المختار

من

ريدرز دايجست

في كل مقالة فائدة دائمة



يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ السابع عشر (الخامس من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون .

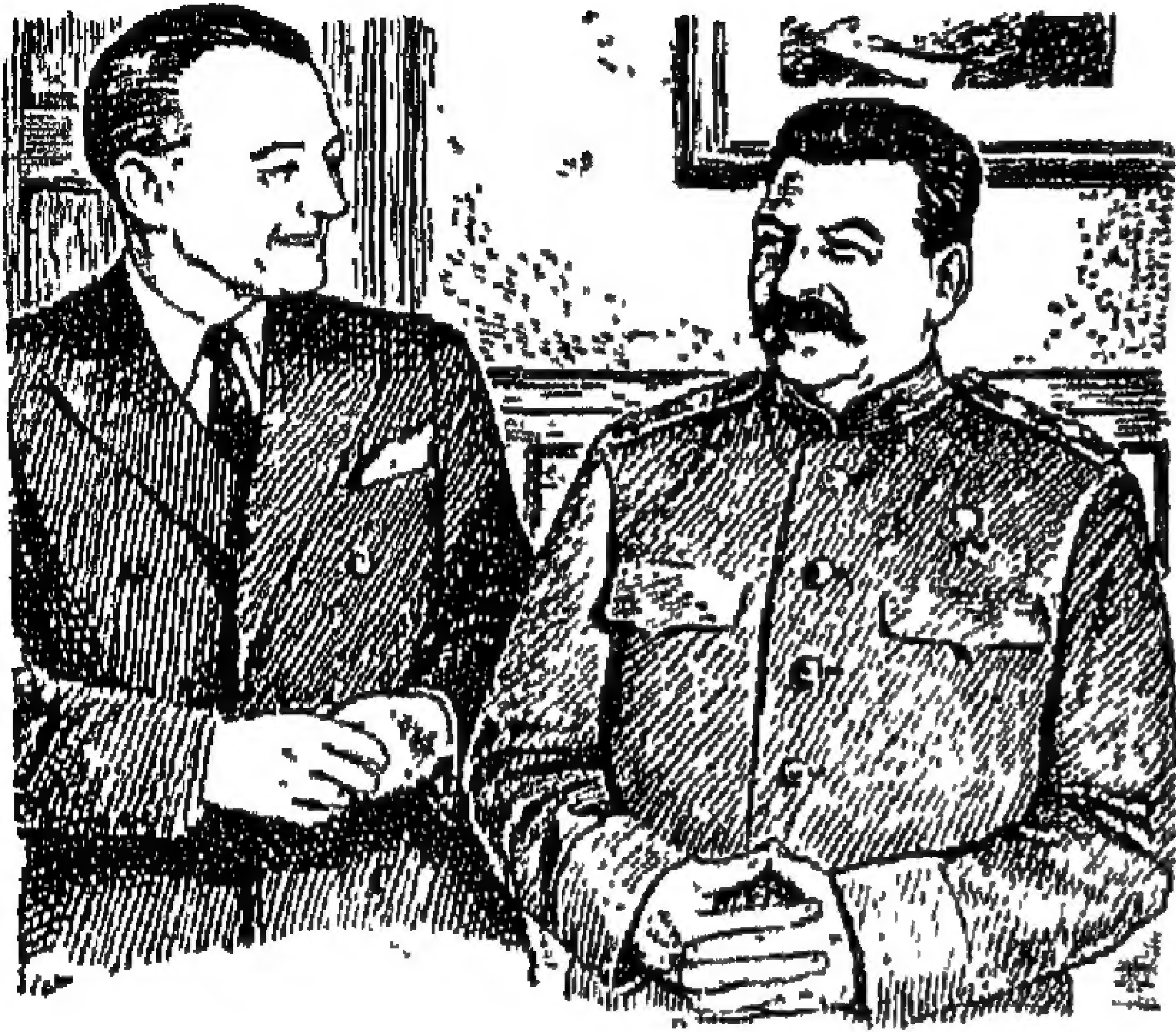
المختار
من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الثانية — يناير ١٩٤٥ — المجلد ٣ العدد ١٧

حديث مع جوزيف ستالين

أريك جونستون
رئيس الغرفة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية

ما يعرفه العالم عن روسيا قليل ، وما يفهمه من شئونها أقل من القليل ، في حين ينبغي للناس أن يعرفوا عنها أكثر مما يعرفون ، وأن يفهموها أكثر مما يفهمون . وإني لأعترف بأن ما أعرف وأدرك من أمورها نزر يسير ، فإنها بلاد واسعة مترامية الأطراف ، كثيرة التعقيد ، شديدة الغرابة . ثم إن للأمم الأخرى أسلوباً في التفكير يختلف عن أسلوبها .

وقد قطعت عشرة آلاف من الأميال في ستة أسابيع قضيتها ضيفاً على الحكومة ، وخلال أجوس خلال الأراضي السوفيتية ، عرفت كثيراً ، والذى نبذت مما كنت أعرفه أكثر . وقد وجدت « خبراء » الجالية الأجنبية في موسكو يختلفون حتى على أبسط



ظفر إريك جونستون ، خلال رحلته الحديثة في روسيا ، بما لم يظفر به أحد . فقابل ستالين مقابلة خاصة في الكرملين دامت ثلاث ساعات ، وجرى بينهما حديث صريح يرويه المستر جونستون في هذا المقال .

✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡ ✡

المسائل . على أنه من الإنصاف أن أسلم بأنه قلما تتاح لهم فرصة الاطلاع الصحيح ، إذ قلما يسمح لهم بالخروج من موسكو .

فإذا حاولنا أن نعرف روسيا وجب علينا أن نعرف رجلا واحداً يتكلم ويعمل من أجل شعب الاتحاد السوفيتي ، وهو أقوى شخص في العالم اليوم ، ومع ذلك لا يعرفه العالم إلا معرفة يسيرة ، ألا وهو المارشال جوزيف ستالين .

وحتى المقابلات القليلة التى أتاحها للأجانب قلما نشر مما يدور فيها من الأحاديث إلا النزر الأقل ، فكان من جراء ذلك الضباب المتكاثف من الإشاعات والشكوك والمبالغات أن أصبح : « الرجلَ الغامض الأول ! »

وقد قضيت زهاء ثلاث ساعات مع ستالين فى جناحه بقصر الكرملين ، وأعتقد أنه من الخير ، لكى يستنير الرأى العام ، أن أخرج على السنة الجارية وأروى طرفاً من الموضوعات التى تناولها الحديث . وقد كان موعد المقابلة فى الساعة التاسعة مساء ، لأن العمل يقل فى الكرملين أثناء النهار ، ولكن أنواره تسطع متلألئة طول الليل .

استقبلنى أنا والسفير الأمريكى مستر أفريل هاريمان ومساعده مستر إدوارد بيدج ، فى البناء الذى فيه جناح المارشال ستالين ، عدد من كبار ضباط الجيش . وبعد تبادل التحيات المألوفة قادونا إلى حيث هبطنا فى ممر دائر أبيض . كانت الأرض مصقولة لامعة ، وفى وسطها بساط ممدود من المخمل ، وكان سقف الممر ناعماً صقيلا مزوداً بالأنوار المستورة . ولم يكن ثم من مظاهر الزينة سوى رجال أيقاظ من الحرس عند كل منحنى ، وليس بينهم من تقل رتبته عن « ميجور » .

وسرعان ما دخلنا غرفة للانتظار ، ورميت ببصرى إلى ساعة كهربائية على الحائط ، وساءلت نفسى إلى متى يمتد بنا الانتظار ، فقد علمتنى تجاربى أن من دأب رؤساء الدول أن لا يحفظوا المواعيد . ولكن الباب فتح فى الساعة التاسعة بالضبط وقال أحد ضباط الجيش الأحمر بصوت مرتفع : « المارشال ستالين يستقبلكم الآن » .

الرجــل

وقادنا الرجل فدخلنا من بابين متطابقين بينهما ١٨ بوصة – توقياً لاستراق السمع – ودخلنا غرفة رحبة مستطيلة ، ورمقت ببصرى رجلين قد وقفا فى طرفها الأقصى ، وكنت قد قابلت أحدهما قبل ذلك ، وهو قوميسار الشعب للشئون الخارجية – مستر مولوتوف .

وكان الرجل الذى على يساره هو المارشال ستالين . أفتراه ابتسم لنا ونحن نجتاز الغرفة ؟

إن ستالين أكبر سناً مما يبدو فى أية صورة من صوره التى تزين المكاتب والمصانع والأماكن العامة فى الاتحاد السوفيتى ، قد شمط شعر رأسه وخف ، ووخط المشيب حاجبيه الأسودين الكثيفين وشاربه الكث .

وستالين قصير يكاد أعلى رأسه يمس شحمة أذنى – ولكنه ضخم الصدر مستديره ، قصير الساقين . وكانت حلته الرسمية متقنة التفصيل ، وإن كان الكمان مفرطين فى

الطول حتى ليكادان يتدليان إلى أطراف أصابعه . وكانت الحلة مصنوعة من القماش « الكاكى » الناعم الجميل ، وقد وشيت أطرافهـا بالشريط الرفيع الأحمر ، وعلى الكتفين شريطتان عريضتان مذهبتان تعلوهما شارة براقة ضخمة — هى شارة المارشالية . وكان يحمل وساماً واحداً ، وهو نجمة من الذهب معلقة فى شريط أحمر — « بطل العمل السوفيتى » . وكان بنطلونه المكوى مثبتاً فى حذاء روسى أسود شديد اللمعان .

وتم تقديمنا إليه ، وكانت مصافحته عادية ، ولكنه ألقى علىّ بعينيه الرماديتين نظرة سريعة فاحصة ، ثم أشار بإجلاسى عند طرف مائدة طويلة مغطاة بقماش أخضر ، يحيط بها نحو ٣٥ كرسياً من خشب الكابلى (الموجان) . ودار فجلس إزائى ، فأثارت فى ذهنى مشيته وطول ذراعيه صورة الدب القطبى حين يمشى قائماً على خلفيتيه ! وكان إلى يمينه مستر مولوتوف ، وإلى يسارى مستر هاريمان ومستر بيدج ، وجلس المترجم الرسمى لوزارة الخارجية مستر بافلوف فى طرف المائدة .

وحينئذ أتيح لى أن أظفر بنظرة أوفى إلى الغرفة . فهذه المائدة الكبيرة التى يكاد يبلغ طولها ثلاثين قدماً تشغل حيزاً كبيراً منها ، وفى أحد الأركان مكتب المارشال ستالين الضخم ومقعده المنجد الفخم . وعلى الأرض بساط طويل أحمر ، وقد غطيت الجدران بخشب قاتم إلى ارتفاع ثلاث أقدام ونصف قدم تقريباً ، ويليه طلاء بين البياض والصفرة يصل إلى السقف الأبيض الذى يتلألأ بالضوء المستور . كانت الغرفة غنية بأجود المواد وأبسط آيات الذوق السليم ، وكان أثاثها يلمع كالمرايا الساطعة .

ولم يكد المارشال ستالين يتخذ مقعده حتى تناول قلماً أحمر من الرصاص وراح يرسم به عابثاً فى مفكرة من الورق الأبيض الكبير . وقد ظل خلال الحديث يرسم ذئاباً ، ونساء ، وقصوراً ، وأشكالا هندسية حتى تمتلىء الصفحة ، فيطويها بعناية من أسفلها إلى أعلاها ، ثم يستأنف الرسم ، ثم يعيد ذلك ، حتى تصبح الورقة شريطاً ضيقاً لكثرة الطى ، فيرميها ويبدأ فى ورقة أخرى من جديد . وقد لاحظت أن يديه مربعتان قويتان ، وأظافره مقلمة ومطرّفة . ولم ينظر إلىّ ، بل بدا شارد اللب اهتماماً بالرسوم التى يخطها فى الورق .

أما مولوتوف فكان يدخن ويحدق فى وجهى ، وله وجه مربع غامض السمات كأنه رئيس قبيلة من قبائل الهنود الحمر ، وكانت عيناه الزرقاوان اللتان لم تكفا عن

التحديق فى لحظة واحدة ، واسعتين كعيون الدمى المصنوعة من الخزف الصينى .

ثلاثون دقيقة بلا نظرة

وكانت فترة ثقيلة محرجة ، فاما لم يبدأ أحد الحديث رأيت أن أبدأه (وأنا أنقل المحادثة التالية من مذكرات دونتها فى الغداة اثناء طيرانى إلى سيبريا) .

بدأت بإبلاغ المارشال ستالين تحيات عدة رجال من أهل أمريكا .

فقال ستالين وهو بعد مستمر فى رسمه : « أشكرك » .

ورغب إلى كذلك فى أن أحمل إلى هؤلاء الناس أطيب أمانيه . ولما جاء ذكر أحد أساطين الصناعة الأمريكية قال : رعاه الله .

وقلت بعد ذلك إننى أود أن أعرب عن شكرى لما لقيت من ترحيب ومجاملة فى الاتحاد السوفيتى ، وشعورى بأن زياراتى للصناعات السوفيتية كانت ممتعة ومفيدة فى وقت واحد . فقال وهو يحدق فى المائدة ويرسم عابثاً دون أن ينظر فيما يرسم : « ولم ذلك ؟ إن الصناعة الأمريكية من غير شك أكثر إمتاعاً » .

وبدأ يداخلنى الشعور بأن الأمور ربما كانت تسير على غير ما يرام . فأجبت : « ربما كان ذلك صحيحاً من وجهة النظر الروسية ، ولكننا فى الولايات المتحدة نتوق إلى أن نعرف من دراستنا المباشرة مدى التقدم الذى بلغتموه » .

فقال المارشال : « إن الولايات المتحدة قد أسدت إلى الصناعة السوفيتية عوناً عظيما ، وفى الاتحاد السوفيتى مصانع كبيرة أنشئت بالمعونة الأمريكية أو استعين فى إنشائها بالخبرة الأمريكية » .

فقلت : « لقد لاحظت ذلك يا مارشال ستالين ، وقد رأيت بالفعل آلات أمريكية ، وأساليب أمريكية ، وخططاً أمريكية . وأنتم قد استعنتم بكثير من خبرة مهندسى الإنتاج الأمريكيين » .

ثم استطردت قائلا : « ولكنكم ما زلتم تهدرون كثيراً من الجهود البشرية ، ففى مدنكم المكتظة بسكانها اكتظاظاً مروعاً رأيت صفوفاً طويلة من الناس تقف لتشترى الطعام ، وفى ذلك إهدار لنشاط بشرى لستم فى غنى عنه . وأنتم فى حاجة إلى تحسين نظام التوزيع لتحسين مستوى الكفاية والإنتاج . لقد استخدمتم خبراء أمريكيين فى الإنتاج ، ولكنكم فى حاجة إلى المشورة الفنية الأمريكية فى التوزيع . وإن عدداً قليلا من خبرائنا فى المخازن المسلسلة . . » .

فقاطعنى ستالين دون أن يرفع رأسه قائلا : « وما هى المخازن المسلسلة ؟ » .

فبينت له أنه نظام يتيح شراء البضائع جملة وتوزيعها جملة على سلسلة فروعها.

فأومأ برأسه وقال: « ولكن لا يكون توزيع، حتى يكون هناك شىء يوزع ».

فقلت: « سيكون لديكم بعد الحرب ما توزعونه ».

فسألنى: « وأنّى لك علم هذا؟ ».

ولم أستطع أن أتبين ماذا عسى أن يكون الرسم الذى يخرج من قلمه العابث.

قلت: « لأن إنتاج بضائع المستهلك يزداد دائماً بعد الحروب. ولعلك تذكر أنه على أثر حروب نابليون حسب كثير من الإنجليز أن بلادهم قد منيت بالدمار، على حين كانت إنجلترا فى الواقع على عتبة عهد من الرخاء منقطع النظير دام قرناً من الزمان، لم يكد يقع فيه ما يعكر صفو السلام. فإذا أتيحت فترة طويلة من السلام بعد هذه الحرب استطاعت روسيا أن توجه طاقتها المطردة الزيادة إلى إنتاج بضائع الاستهلاك ».

وكان ستالين قد تململ فى جلسته مرتين أو ثلاثاً، بل لقد خيل إلىّ أننى سمعته يتنهد، ولهذا غيرت موضوع الحديث قائلا:

« إن صداقة الشعب الأمريكى والشعب الروسى ربما رجعت إلى أيام ثورتنا، فإن دول أوربا الأوتوقراطية لم تشأ فى ذلك الحين أن تتبادل التجارة مع الولايات المتحدة، ولكن قيصر روسيا كان أول من تقدم للاتجار مع بلادنا الجديدة ».

وحسبتنى ألمح ابتسامة على شفتيه حين قاطعنى قائلا: « ذلك لأن القياصرة وجدوا من هذا السبيل باباً للحصول على المال! ».

فقلت: « مهما يكن من أمر، فإن الصداقة العريقة بين شعبينا قد عادت عليهما بالفائدة فى الماضى، وأعتقد أن التجارة بين روسيا وأمريكا سيتسع مداها بعد هذه الحرب ».

فقاطعنى وهو لا يزال مطرقاً: « إن الكساد يصيب الدول الرأسمالية بعد كل الحروب، وسينزل بكم الكساد بعد هذه الحرب ».

فقلت: « ليس ذلك بالأمر الحتم، على الأقل خلال عدة سنوات، وإذا أوتينا من الشجاعة وبعد النظر وسعة الحيلة ما يمكننا من استخدام المعلومات التى تجمعت لدينا بالفعل، فلربما استطعنا أن نتفادى أزمة أخرى من أزمات الكساد ».

فقال معقباً: « إننى لم أحدد تاريخاً ».

وكان قد طوى ورقته بعناية وشرع يرسم صورة جديدة ذات خطوط مديدة مقوسة.

وكان قد قيل لى إن علىّ أن أختتم حديثى إذا لم أجد من المارشال ستالين اهتماماً،

وكان بعضهم قد أنبأني أن مقابلتي قد تستغرق ثلاثين دقيقة ، وكان الوقت في الساعة المعلقة على الجدار البعيد هو الساعة التاسعة والنصف تماماً . فهل أحاول أن أمهد طريق الخروج بلباقة ؟

ألقيت لمحة خاطفة إلى الصورة الأخيرة فوجدتها تمثل جسم فتاة تتلوى من العذاب ، فقلت : « يا مارشال ستالين ! إن ذلك الرسم يبدو من حيث أجلس وكأنه صورة فتاة في كرب وعذاب ، ولما كنت قد سمعتك تتحدث موكداً عن الكساد والضيق ، فإني أرجو ألا تكون قد قصدت بهذه الصورة أن تعبّر عن « مس أمريكا » ...

فلأول مرة ، رفع بصره إليّ ، وحدجني بنظرة ملؤها الدهشة والتدقيق ، ثم ابتسم فجأة ، في شيء من الحياء ، وقال :

« كلا ، إنني أعبث ، ولا أحاول أن أرسم شيئاً بعينه » .

فقلت : « ربما لم تكن تحاول ، ولكنك كنت واثقاً في حديثك عن أزمات الكساد ، وكان الشقاء يرتسم على الفتاة حتى لقد خشيت أن تكون بين الأمرين علاقة ! » .

فقال : « كلا ، لا علاقة مطلقاً » . ثم نحى الورق جانباً ، ووضع القلم ، وابتسم ابتسامة عريضة ..

ينبغي أن أكون أظرف

ثم قال : « لقد تعلم أني كنت رجلا مرحاً ودوداً ، ولكن السن تتقدم بي ، وعلى عاتقي تقع جميع مشاكل الحرب ومتاعبها ، ويجب أن آخذ قرارات تتعلق بالاتحاد السوفيتي كله » ثم أشار بيده إلى عينه وهو يغمز بعينيه قائلا : « وها هو ذا مولوتوف لا يزال مرحاً ودوداً ، وليس لديه من سبب يحمله على أن لا يكون كذلك . وينبغي عليّ أن أكون أكثر مرحاً وأظرف رغم متاعبي » .

ولاحظت أن مستر هاريمان عد يده في جيبه ليخرج لفائفه ، وكنت قد سمعت أن المارشال يدمن تدخين الغليون ، وساءلت نفسي أتراه يحب تدخين السجائر ؟ ولم يكن قد مس اللفائف الروسية التي أمامه ، فسألته : « ألا تتناول سيجارة أمريكية يا مارشال ستالين ؟ » .

فقال : « أشكرك ! إنني أحبها » .

وتناول بنهمة أنفاس عميقة من اللفافة التي قدمتها إليه .

ثم تابع الحديث قائلا : « إن الحكومة السوفيتية وشعبها يقدرات المعونة التي تلقيناها من الولايات المتحدة خلال هذه الحرب أعظم التقدير ، وقد كانت آلات

المصانع ، ومقادير الطعام ، والطائرات التى أرسلتموها عظيمة القيمة . وقد ظفرت سيارات النقل عندنا بتقدير خاص ، فإن سيارات النقل الأمريكية هى التى مكنتنا من ملاحقة الألمان المدحورين بهذه السرعة . إن الشعب الروسى يكنّ للأمريكيين أعظم الاحترام » .

فقاطعته قائلا : « إننا نحن الأمريكيين ننظر إلى الانتصارات الروسية المجيدة بأعظم الإعجاب » .

فقال المارشال : « ونحن من جانبنا مبتهجون بغزو الحلفاء الموفق لأوربا . لقد وفقتم إلى عمل حربى باهر بإنزال قوات كبيرة على الساحل الأوربى الذى يسيطر عليه العدو . والآن تدرك ألمانيا أنه لا سبيل إلى ممارسة حرب ضروس واسعة النطاق بغير أسطول . وقد كان من الحماقة أن يثير الألمان حرباً كبرى بلا أسطول . وأنت لا تستطيع أن تملك أسطولا تجارياً بغير أسطول حربى ، كما أن الأسطول لا يزدهر وحده بل يجب أن يكون إلى جانبه أسطول تجارى يغذيه بالرجال » .

فأجبت : « هذا صحيح يامارشال ستالين ، وإن الحديث عن الأسطول التجارى ليذكرنى بالرغبة فى أن أتحدث إليك كرجل أعمال بشأن مشاكلنا التجارية المشتركة . فهل تريدون أن تشتروا بعد الحرب بضائع استهلاك أو معدات صناعية ؟ لقد فهمت مثلا أن الجلود تنقصكم ، ونحن نصنع الأحذية رخيصة فى أمريكا . فهل تفضلون استيراد أحذية نصنعها نحن ، أو استيراد جلود وآلات ؟ » .

قروض طويلة الأجل

فقال المارشال ستالين : « ربما استوردنا بعض الأحذية . ولكن مطلبنا الأساسى هو استيراد الآلات لنصنع الأحذية هنا . إننا سنحتاج إلى كثير من المعدات والآلات بعد هذه الحرب » .

كان يحدجنى بنظره ، وكان يجيب بصوت خفيض متزن ، وكانت جمله موجزة ، ولم يكن ثم بحث عن الكلمات ، ولا تردد فى الجواب .

سألته : « كم تريدون أن تبتاعوا من الآلات الثقيلة من أمريكا ؟ » .

فأجاب : « أى قدر ، تبعاً لمدة التقسيط وطولها بمقتضى شروطكم . وسندفع ثمن كل شىء فى موعده حالا ، طبقاً لشروط العقود » .

فقلت : « إننى أحد أولئك الأمريكيين الذين يعتنقون فكرة منح قروض طويلة الأجل للاتحاد السوفيتى ، ولكن التجارة

طريقان غادٍ ورائح ، فيهمنى أن أعلم ماذا يستطيع الروس أن يبادلوا أمريكا من البضائع ؟ » .

فنظر إلى السقف برهة ، ومر بأنامله على شاربه وقال : « إن لدينا صنوفاً شتى من المواد الخام ، هل تريد منجنيزا ؟ لدينا منه مقادير كبيرة . وفى استطاعتنا كذلك أن نعطيكم معدن الكروم والبلاتين والنحاس والزيت والتنجستن . ثم إن هنالك الخشب ولباب الخشب لصناعة الورق والغراء » .

« ربما احتجتم إلى الذهب . ونحن نستخرجه بمقادير كبيرة ، وفى استطاعتنا أن نزيد مقاديره كثيراً بعد الحرب » .

فنظر إلىّ فى شىء من السخرية الغامضة . وقال : « إن معظم الدول الرأسمالية تحتاج إلى الذهب » .

فقلت : « لا أستطيع أن أجزم بأن الولايات المتحدة ستهتم بالاستزادة من الذهب بعد مخبأه فى الأرض على نحو ما دفنا خمسة بلايين من الريالات فى قلعة نوكس » .

ومدّ المارشال ستالين يده ليتناول سيجارة أمريكية أخرى وهو يواصل الحديث قائلا : « إن الإنتاج السوفييتى للمواد الخام التى تصدر إلى الولايات المتحدة ، سيعدل طبقاً لحاجات الولايات المتحدة ، وفى استطاعتنا أن نقدم أى مقدار تريدون ، إذا استطعتم أن تمدونا بالمعدات اللازمة لإنتاجها ، ولهذا ترانا حريصين على القروض الطويلة الأجل . وفى استطاعتنا أن نستغنى عنها ، ولكن النتيجة ستكون أبطأ » .

فأجبت : « إذا بعثنا إليكم بشتى أنواع المعدات بالتقسيط لآجال طويلة ، فكم يستغرق إتمام برنامجكم للتحول الصناعى ؟ » .

فقال المارشال ستالين وهو يؤكد عباراته بحركة من يديه : « مثل هذا البرنامج لا يمكن أن ينتهى . إن بلادنا واسعة الرقعة (وهى تعادل أكثر من مساحة الولايات المتحدة مرتين ونصف مرة) وحاجاتنا عظيمة ، ونمونا ضئيل ، حتى لا أكاد أحجم عن التكهن بالوقت الذى نبلغ فيه كفايتنا من أى شىء . وقد وضعنا قبل الحرب مشروعات السنوات الخمس ، فكنا كلما أنتجنا ما نحتاج إليه ازداد شعورنا بالحاجات . وسيكون أول واجباتنا بعد انتهاء الحرب أن نعيد تعمير مناطقنا المخربة ، فقد دمرت مدن بأكملها ، وحتى المصانع القائمة الآن لا بد من تعديلها وإصلاحها ، إذ تبين أن كثيراً مما عملنا من قبل كان قد أعد إعداداً ناقصاً » .

سياسة السوفييت فى التجارة الخارجية

قلت : « يا مارشال ستالين ، كم تلبثون حتى تصبحوا مصدرين لا للمواد الخام وحدها ، بل للبضائع المصنوعة كذلك؟ » .

فأجاب المارشال : « لن يكون ذلك قريباً . فإن أمامنا حاجات بلادنا وهى بالغة الكثرة ، بالغة الضخامة . ولم يشتبك الاتحاد السوفيتى قط فى صراع على الأسواق الخارجية . وسياستنا تقضى بأن لا نصدر سوى البضائع التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بوارداتنا . مثال ذلك البضائع الخام التى ندفعها فى مقابل الآلات الثقيلة » .

وعندئذ كان الحديث قد بلغ حده من السرعة والحرارة ، وكان يجيبنى إجابة كاملة سريعة .

سألته : « وما خبر صناعة الصلب السوفيتى ؟ ماذا كان إنتاجكم فيها قبل الحرب ؟ وماذا يبلغ الآن ؟ وماذا سيكون فى المستقبل ؟ ومتى تصل إلى كفاية نفسها بنفسها ؟ » .

فذكر الأرقام من فوره وقال : « كان إنتاجها قبل الحرب ٢٢ مليون طن ، ولكن كثيراً منها قد دمره النازى ، وربما بلغت هذا العام ١٢ مليون طن . ويجب أن تزيد بعد الحرب إلى ٦٠ مليون طن » .

فسألته : « وماذا أنتم صانعون بالمقادير الزائدة من الصلب ؟ أتصدرون بعضها ؟ »

فأجاب المارشال : « كلا ، فإننا سنضاعف خطوطنا الحديدية ، وسنبنى جسوراً ، وسنحتاج إليه فى التعمير والإنشاء . وسيمضى وقت طويل قبل أن تستوفى حاجة السوفيت إلى الحديد والصلب » .

ثم تحدثنا عن إنتاج الطاقة الكهربائية ، ماذا كان ؟ وماذا يبلغ اليوم ؟ وقد تبينت أن مهمة التعمير تبلغ من المشقة حداً لا يكاد يصدق . وتناقشنا كذلك فى بعض أرقام الإنتاج الأخرى .

ثم قلت : « فى كل هذا البرنامج هل تبلغ حاجتكم إلى المعونة الفنية الأمريكية مبلغها إلى الآلات الثقيلة ؟ » .

فقال المارشال ستالين : « بالطبع سنحتاج إليهما معاً . لقد تعلم المهندسون السوفيت كيف ينشئون مصانع جيدة ، ولكنا سنحتاج مع ذلك إلى المعونة الفنية » .

فسألته : « هل تكون هذه المشورة من أفراد تستخدمونهم ، أم تراكم تفكرون فى أن تتعاقدوا مع شركة أمريكية على أن تبنى المصنع وتصبح مسئولة عن إنشائه ؟ » .

فقال المارشال : « سيتوقف ذلك على المال ، والسعر ، ونوع الآلات ، وشروط

الاتفاق ، وسيبت فى كل حالة على حدة » .

ومضيت فى مناقشة الإنتاج الصناعى ، مبيناً أن التحسينات فى العمل من ناحية الإدارة والخبرة الفنية قد زاد الإنتاج فى الولايات المتحدة نحواً من ثلاثة فى المائة لكل رجل ، وأن هذا الإنتاج يمكن أن يستوعبه قوم يزداد مستوى معيشتهم باطراد .

ثم قلت : « إن أسباب الترف للأمير اليوم ، هى حاجة الفلاح فى الغد » .

فضحك المارشال ستالين وقال : « هذا مثل حسن جداً . إن لشعبنا مطالب كثيرة تقابلها فرص قليلة لإشباعها . ولم يزل إنتاج كثير من الأشياء ضعيفاً » . .

وهز رأسه ثم استطرد : « إن إنتاجنا من المحارث والأدوات الزراعية تافه إذا قيس بحاجتنا إليها ، ولم تزل صناعة السيارات عندنا فى دور طفولتها . مثال ذلك أنكم قبل الحرب كنتم تنتجون نحو آمس ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ سيارة فى العام ، بينما كنا ننتج نحن بين ٣٥٠٫٠٠٠ و ٤٠٠٫٠٠٠ سيارة » .

فعلقت على ذلك قائلا : « معنى ذلك أن هناك مجالا عظيما للتوسع فى هذا الميدان » .

فقال المارشال ستالين فى لهجة المفكر المتأمل : « نعم . إن الآمال عظيمة ، ولكن الفرص اللازمة لمثل ذلك التوسع قد لا تكون سانحة حتى الآن . فنحن مثلا يجب أن نبدأ بإنشاء الطرق فى شتى أنحاء الاتحاد السوفيتى » .

ثم استطرد : « أما أنتم فى أمريكا فإنكم تنتجون الآن نحو ١٠٠ مليون طن من الصلب ، على حين كنتم قبل الحرب تنتجون نحو ٦٦ مليون طن . فماذا أنتم فاعلون بالفائض الذى يبلغ نحو ٣٠ مليون طن ؟ » .

فأجبته قائلا : « إن علينا أن نتوقع توسعاً فى السوق . وقد صرح أحد كبار صانعى السيارات عندنا بأننا سنزيد إنتاج السيارات إلى سبعة ملايين سيارة سنوياً ، أى ما يزيد نحو ٤٠ فى المائة على إنتاج ماقبل الحرب . وستزداد حركة بناء المنازل ، وتمس الحاجة إلى أنواع كثيرة جديدة من المنتجات . وربما ازدادت طلبات تصدير الصلب بمختلف أنواعه زيادة كبيرة » .

فقال المارشال : « ولكن مجموع صادراتكم قبل الحرب لم يكن يزيد على عشرة فى المائة من إنتاجكم ؟ » .

فقلت : « أعتقد أن صادراتنا لم تزد على سبعة فى المئة » .

فقال : « أليس ذلك قليلا بالقياس إلى البريطانيين ؟ إن نسبة صادراتهم كانت أكثر من ٤٠ فى المئة . ربما كانت هذه النسبة غير عادية ، بل خطرة ، على أن

أعظم مشكلة ستواجه الشعب الأمريكى بعد هذه الحرب هى تفادى البطالة درءاً لأزمة أخرى من أزمات الكساد » .

ليعرف كل منا الآخر

فقلت : « ذلك حق يامارشال ستالين ، يجب أن نخلق أعمالا جديدة بالتوسع فى إنتاجنا وقت السلم . وإن فترة طويلة من السلم لأفعل من كل شىء فى تنمية الإنتاج وضمان العمل الثابت ، وإن التفاهم المتبادل بين بلدينا لخليق أن يساعد على ضمان السلم العالمى مساعدة تفوق الحدود . صحيح أن كلينا يعمل فى ظل نظام اجتماعى واقتصادى شديد التباين والاختلاف ، ولكن ليس بيننا من وجوه الخلاف ما يستعصى حله . نحن نحب نظامنا ، وأنتم تحبون نظامكم ، فعلى كلا البلدين أن يعقد العزم على أن لا يتعرض لشؤون الآخر الداخلية . يجب أن تعرفوا عنا أكثر مما تعرفون ، ويجب أن نعرف عنكم أكثر مما نعرف » .

فقال : « هذا صحيح . ويجب على أمثالك من الرجال أن ينقلوا معلوماتهم إلى الشعب الأمريكى » .

فأجبت : « ولكننى فرد واحد ، أما الصحفيون الأمريكيون هنا فى موسكو فيمثلون مئات من الصحف لها ملايين من القراء ، وفى استطاعتهم أن يزيدوا الشعب الأمريكى اطلاعاً على الحقائق ، إذا أتيح لهم العون اللازم ، وأبيح لهم من حرية السفر نصيب أوفر . مثال ذلك أن الشعب الأمريكى يتوق إلى معرفة شىء عن إمبراطوريتكم الصناعية الجديدة فى جبال الأورال ، ولكن لم يسمح للصحفيين بالذهاب إلى هناك . ولهذا السبب أجد فى نفسى رغبة فى رجاء الإذن باصطحاب أربعة من مراسلى الصحف معى إلى الأورال » .

فقال ستالين : « ولم لا ؟ » .

« وهل معنى ذلك أننى أستطيع أن أصطحبهم ؟ » .

« بالطبع » .

« حسن ، أشكرك يا مارشال ستالين . ولكنى لا أدرى هل يوافق مستر مولوتوف أو لا يوافق ؟ ذلك بأن وزارته لم توافق على طلبى بعد » .

وهنا تحول مولوتوف ببصره إلى ستالين ، بعد أن كان دائم النظر إلىّ ، وقال فى سرعة وفى حزم :

« إننى أوافق دائماً على أوامر المارشال ستالين » .

فمال المارشال برأسه ناحيته ، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ثم قال : « يا مستر

جونستون ، أكنت تنتظر حقيقة أن يخالفني مستر مولوتوف في ذلك ؟ » .

فأجبت : « كلا ، ولكني رأيت أن أحتاط بالسؤال على كل حال » .

وألقى ستالين برأسه إلى الخلف وأرسل نوعاً من هدير الرضا والسرور ، ثم قال : « والآن أود أن أسألك أنت بضعة أسئلة ، نبئني عن أمر الانتخابات القادمة » .

فقلت مازحاً : « لعلي أستطيع أن أنبئك بها خيراً من مستر هاريمان ، ذلك لأنني من حزب المعارضة . إنني جمهوري ! » .

فقال ستالين : « أنت جمهوري ! ! » .

وفتل شاربه وهو يتعجب ، ورفع أحد حاجبيه دهشة ، وانحنى إلى الأمام ليحملق في وجهي . ثم التفت إلى مولوتوف وقال له شيئاً لم ينقله المترجم ، ثم عاد ستالين ليحدثني قائلا في صوت خافت وهو ينظر إليّ :

« إذن أنت جمهوري ، إننا لا نرى منهم كثيرين ، وربما كنت أول من قابلت منهم » .

فقلت : « إنك تعرف على الأقل واحداً من الجمهوريين ، وهو وندل ويلكي » .

فأجاب المارشال ستالين : « هذا صحيح ، وبهذه المناسبة كيف حال مستر ويلكي ؟ » .

فقلت : « إنه بخير ، وقد رأيته قبيل مغادرتي نيويورك ، وأبدى لي رغبة خاصة في أن أذكره عندك » .

فقال : « أبلغه تحياتي ، إنه رجل عظيم » .

وعندئذ سرح ببصره ، وقد سرت في عينيه ابتسامة هادئة ثم قال : « أظنه حانقاً علينا من أجل ما قالت عنه جريدتنا « برافدا » ، لقد كان مقالها سخيفاً جداً » .

فقلت : « إنني لم أتحدث في هذا الشأن إلى مستر ويلكي ، ولكنه قد تعرض لنقد صحف كثيرة ، وأنا على يقين من أنه أعظم من أن يضيق صدره بمقال واحد في صحيفة روسية » .

ومال ستالين مرة أخرى برأسه إلى الوراء وضحك تلك الضحكة الموقرة المرسلة الخافتة .

وقد وجدت المارشال عليما بشؤون أمريكا ، ودهشت حين علمت أنه يقرأ ترجمة الصحف الأمريكية ، ولكنه لم يزل في شك من أمر سياستنا بعد الحرب .

سألني مشيراً إلى ما حدث بعد الحرب الماضية : « هل يرفض مجلس الشيوخ إبرام المعاهدات بعد الحرب ؟ » .

فقلت : « لا أعتقد أن أي رئيس للولايات المتحدة سيعيد اقتراف الخطأ الذي وقع فيه الرئيس ولسن ، فلا يشاور مجلس الشيوخ في شأن مفاوضات السلم ، بل الواقع أن وزير الخارجية « هل » قد استشار بالفعل مجلس الشيوخ في أهداف ما بعد الحرب » .

فقال المارشال ستالين :« هذه معلومات مهمة » .

ثم استطرد قائلا :« إن الروس يعتقدون بالطبع أن للصناعة والتجارة شأناً حيوياً فى علاقاتنا بعد الحرب ، على أن للعلاقات السياسية كذلك شأناً يعادله . إن القروض والاتفاقات الاقتصادية لا يمكن عدها مستقلة تمام الاستقلال عن الحكومة، ولهذا كان من خطر الشأن بمكان ، عند إعداد المشروعات، أن تلاحظ فيها صفة الاستمرار . ويجب أثناء الحرب أن تقرر السياسة الخارجية كل شيء ، وأن تخضع السياسة الداخلية لمقتضيات الحرب ما دامت مستمرة » .

وكانت الساعة الآن قد بلغت الحادية عشرة والربع مساء ، ومضى على بدء الحديث أكثر من ساعتين .

" صورة "

قلت « يامارشال ستالين إن لى رجاء قد لا تقره الأصول المتبعة ، ولكنك تعلم أننى رجل أعمال لا رجل سياسة ، إننى أرجو أن تسمح لى بصورة لك عليها توقيعك » .

فقال : « ولم لا ؟ أتريدها صورة لى وحدى أو لنا نحن الاثنين ؟ »

قلت :« أننى سأغادر موسكو فى الساعة الخامسة صباحاً . وقد لا يتسع الوقت لاستدعاء أحد المصورين .

فتجاهل ملاحظتى ، ونهض ، وأدار زراً كهربائياً فى الحائط غمر القاعة بالضوء الباهر ، ثم ضغط على زر خلف مقعده ، ففتح الباب وظهر منه ضابط ألقى إليه المارشال ستالين بكلمات موجزة ، لم تكد تنتهى حتى دخل الغرفة لساعته ضباط آخرون يحملون أنواراً كشافة وآلات مصورة .

ووقف ستالين أمام مكتبه وأشار إلىّ أن أقف إلى جانبه ، فاقترحت أن يظهر مستر هاريمان كذلك فى الصورة ، فدعاه المارشال . وقال مستر هاريمان وقد وقف إلى يساره : « لعلها أول صورة لك وأنت بين جمهورى وديمقراطى ! » .

فقهقه المارشال ثم قال : « نعم . وما كنت أتصور أن ذلك سيحدث يوماً ما ، تصور شيوعياً يوفق بين الجمهوريين والديمقراطيين ! » .

قلت : « يجب أن يكون مستر مولوتوف فى الصورة أيضاً » .

فقال المارشال ستالين بصوت خفيض وهو يغمز بعينه غمزة خفيفة : « من الغريب أن مولوتوف لا يكاد يحرص قط على أن يظهر معى فى صورة واحدة »، ولكنه ضمه كذلك إلينا فى الصورة .

ثم تحول ستالين من المزاح إلى الجد .

يجب أن نعمل معاً

قال : « لقد صنع هتلر الأحمق خيراً واحداً ، هو أنه جمع بين الشعب الأمريكى والشعب الروسى . وعلينا أن لا نسمح لشىء ما أن يفرق بيننا ، بل يجب أن نعمل معاً بعد الحرب » .

ثم استطرد قائلا ، وقد خفت نغمة الجد الصارم التى اتخذها قليلا : « إننى أحب أن أعامل رجال الأعمال الأمريكيين ، إنكم قوم تعرفون ماذا تريدون ، وأنتم تحفظون وعودكم ، وخير من ذلك كله أنكم تبقون فى مراكزكم طويلا — كما هى الحال عندنا. أما رجل السياسة فهو اليوم حاضر وغداً غائب ، ولا بد حينئذ من إعادة الإجراءات مع قادم جديد » .

وأخيراً شكرت له دعاباته ، وقد كان حقاً شديد الظرف .

وأخبرته أننى أرجو أن أعود فأقابله بعد الحرب . فقال المارشال ستالين : « ربما كنت عندئذ فى عداد الأموات ، فاحضر قبل ذلك » .

فقلت مازحاً : « كلا ، إنك من جورجيا وربما عشت إلى الأبد ! » .

فقال : « حسن ، إذن فلتحضر لزيارتى بعد الحرب ، وسنطلعك يومئذ على تقدم جديد فى تطورنا الصناعى » .

وهز يدى هذه المرة بحرارة ، واجتزنا البابين المطابقين ، وتركنا الغرفة من خلفنا شعلة من النور ، وصحبونا ونحن نجتاز الأروقة إلى حيث استقبلنا الهواء الرطيب فى ليلة من ليالى موسكو الصيفية ، وكان الليل قد انتصف . وبينما كانت السيارة تجتاز بنا شوارع موسكو التى يسودها نظام الإظلام ، كنت لا أزال أحس بحضرة هذا الرجل الذى استولى على مشاعرى بصرامته ، وصراحته ، ودعابته . وقد وجدته عملياً إلى الغاية ، قلما يستعمل فى حديثه صفة أو صيغة من صيغ التفضيل المطلقة .

ومضيت أفكر فى أنه حين يحل السلام ستكون روسيا والولايات المتحدة أقوى أمتين فى العالم ، وستملكان أكبر نصيب من قوة العالم الحربية والصناعية . أجل ، إن ستالين على حق . لقد جمعت الحرب بين البلدين ، ولكن أمامنا تيارات عاتية من عسير المشاكل . فهل تستطيعان أن تحافظا على انتهاج طريق التعاون والصداقة السوى بعد سحق العدو المشترك ؟ ربما كان مصير العالم معلقاً على جواب هذا السؤال .

★ ★ ★ ★ ★ ★

علم سام هيجينبوتم ملايين الهند الفلاحين كيف يخدمون أنفسهم

راجا الأرض

وليم ف . ماك درموث

بمعاونة داريل ديبيجان مكاتب الصحافة المتحدة في الهند



ملخصة عن مجلة « ذى روتيريان »

هيجينبوتم يودع الهند

سام البسام وقد رحل إليها لأنه تحادث مع رجل غريب على مركبة فى سنة ١٩٠٣، وهو الآن يعود إلى وطنه فى السبعين من عمره ، كمزارع الهند الأول ، و قد اشتهر بأنه شيد من لا شئ معهد الله أباد الزراعى، وهو أكبر وأتقن مزرعة نموذجية ومحطة تجريب فى الهند .

وقد أسدى هيجينبوتم إلى الزراعة بالهند أكثر مما أسداه إليها أى رجل آخر . ففى هذه البلاد التى يعيش فيها على الأرض ثمانون فى المئة من سكانها الذين يبلغون ٣٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة ، يشفى منهم على الموت جوعاً ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ . خاض هيجينبوتم معركة لا يكاد يتصورها العقل ضد القحط ، والجفاف ، والفيضانات ، والحر ، وضد الخرافات والجهل والحواجز التى بين الطبقات . وقد عرّف الفلاحين المتضورين كيف يربون الأبقار التى تدر جالونين من اللبن فى اليوم بدلا من أقل من ربع جالون . واستصلح رقعاً واسعة من الأرض المهملة الغمِقة ، وأقنع أمراء ونبلاء بأن يرتدوا ثياب العمال ، وأن يدعوا الأقذار تدخل تحت أظافر أناملهم ، وألقى محاضرات فى الزراعة العلمية فى قصور شرقية ، كان العواهل يتولون رياسة جلساتها وهم فى ثيابهم الملكية ، ولكن أعظم ما قام به هيجينبوتم كان بين الفقراء المدقعين .

ولد سام هيجينبوتم فى إنجلترا ، ورحل إلى أمريكا على سفينة لنقل الماشية ، وتعلم فى جامعة برنستون وكان يعمل نُدُلاً ليكسب نفقاته ، ثم أرادت بعد ذلك كليته أن تكرم ابنها الممتاز ، فلم تجد عندها درجة لائقة به تمنحه إياها ، فأنشأت درجة جديدة — دكتور فى الخير الإنسانى — وأنعمت بها عليه . وقد منحته الحكومة البريطانية عدة مداليات .

ولما كان لا يزال طالباً فى جامعة برنستون اتفق له يوماً أن دخل فى حديث مع راكب فى سيارة ، فأقنعه بأن يذهب إلى الهند

ليقوم بعمل « وقتى » بين المنبوذين . فسافر فى ٨ يوليه سنة ١٩٠٣ من نيويورك ، وكان يتوقع أن يعود بعد شهور قليلة ، غير أن الواقع أنه اتخذ من الهند وطناً له أكثر من أربعين عاماً لم يعد فى خلالها إلى الولايات المتحدة إلا قليلا وعرضاً .

وعين فى كلية أيونج المسيحية فى الله أباد لتدريس الاقتصاديات ، فجرت دروسه من أول الأمر على خلاف المعهود ، فكان يخرج تلاميذه إلى الحقول ليدرسوا المسائل على الطبيعة .

ولم يكن قد رأى مثل هذا الفقر المروع ، وكان شرا من الفقر أن الناس يتحملونه كأنه أمر طبيعى ، فشرع سام يخاطب الموظفين ويسألهم عما يصنعون لإنقاذ الناس من هذه الفاقة ، فكان الجواب الذى لا يختلف : « لا شئ ! فإنه أمر لا معدى عنه » . فاستقر عزم هذا الشاب على أنه يستطيع على الأقل أن يعالج المسألة .

ووجد أن الأسرة من أوساط الناس تملك أربعة أفدنة من أرض ضعيفة متآكلة تكثر فيها الآفات لا تحصل منها إلا على معاش ررى ، والمساكن عبارة عن كوخ من الطين مع مأوى للثور والبقرة ، أما المحاريث فمن خشب وأطرافها من حديد ، وهى لا تزيد على أن تخدش الأرض ، والرجل يقطع خمسين ميلا ليحرث فداناً واحداً .

وقام بزيارة أحد السجون فكان ذلك بداية التحول فى حياة سام . وكان سجن نايني المركزى هذا ، وفيه ثلاثة آلاف من السجناء ، يديره ضابط إنجليزى أنشأ له حديقة مدهشة الإنتاج ، وكانت الأرض تعد عديمة القيمة حتى إن الهنود كانوا يأبون أن يحاولوا زرعها ، ومع ذلك وسع هذا الضابط أن يستنبت من كل فدان كرنباً زنته خمسون رطلا و ٣٠ طنا من العلف .

فاقتنع هيجينبوثم ، وأيقن أن إدخال الأساليب الحديثة فى مزارع الهند أعظم خدمة يمكن أن يسديها إنسان .

وكان سام لا يعرف عن الزراعة الحديثة إلا قليلا ، ولكنه لا جهله هاله ولا ضخامة الهند . فاقترح على زملائه إنشاء مزرعة نموذجية فلم يلق منهم تشجيعاً ، فلج سام وألح وعرض الأمر على موظفى الكلية ، فرموا باقتراحه فى حجرة وقالوا له : « إذا كنت ترى أنه ينبغى أن ندرس الزراعة العلمية فلماذا لا تعود إلى أمريكا وتدرس الموضوع ، وتنظر هل القوم هناك مستعدون أن يظاهروك بمالهم » .

لجازف سام — فقد اعتاد العمل . مثال ذلك أنه فى أيام التحصيل بالكلية التقى بإثيل كودى الجذابة ، وتحبب إليها ، وبعد

عام من رحيله إلى الهند خطبها بالبريد وأصر على أن تبرق إليه بردها ، فأبرقت إليه أنْ « نعم » واستقلت أول باخرة . وقد عادا معاً إلى أمريكا فى سنة ١٩٠٩ فدخل سام جامعة ولاية أوهيو ليدرس الزراعة ، وليحاول فى الوقت نفسه أن يجمع المال ليشترى به المزرعة التى يتعلم كيف يديرها .

وكان الفتى يلقى محاضرة فى اليوم — فى المتوسط ، وكان يسعه فى أى مكان أن يحصل على دعوة إلى إلقاء محاضرة وجمع تبرعات . وكان خطيباً ذَرِباً مقنعاً ، وقد خطب مرة فى حشد فى مسرح فألقى إليه أحد عمال المسرح بعشرة ريالات . وتكلم مرة أخرى فى إصلاحية فجمع له من فيها مبلغاً لمشروعه .

وشهد غداء لخريجى جامعة برنستون بشيكاجو فحدث زميلا له بمشروعه فأشار عليه صديقه أن يحدث عمته عن الهند ، وحمله معه إلى قصر بشيكاغو حيث قدمه إلى سيدة عجوز صماء تستعين بسماعة .

فلما أخذ هيجينبوتم يشرح لها ما يفكر فيه من إنشاء كلية زراعية فى الهند ، قابلته السيدة بإشارة ساخرة .

وقالت : « الهند ؟ هذا شأن إنجلترا » وتركت السماعة تهوى عن أذنها .

فهبط قلب صديقه فى صدره ، ودنا من عمته وتناول السماعة ووضعها على أذنها وصاح :

« ولكن يا عمة ! إن سام زميلى فى الدراسة ! » .

« أوه ! زميلك ! حسن إذن ! سأعطيه ١٠٠٠ ريال » .

ولم يكد سام يفيق من هذه الصدمة السارة حتى سمع صديقه يصيح مرة أخرى .

« ولكن سام صديقى يا عمة ! » .

« أوه حسن — إذن أعطيه ألفى ريال » .

وكانت هذه السيدة العجوز هى المسز سيراس هـ . ماك كورميك أرملة مخترع آلة الحصاد ، وقد ساهمت فيما بعد بخمسين ألف ريال فى مشروع هيجينبوتم .

ولما عاد سام إلى الهند اختار بعناية موقعاً لمزرعته على مسافة وجيزة من مدينة الله أباد المقدسة ، وعلى بضعة أميال قليلة من ملتقى نهر الجمنة بنهر الكنج . وفى كل عام يفد ملايين من الحجاج ليغتسلوا فى المياه السحرية لهذا الملتقى ، وتوقع سام أن يتلبث كثيرون عند مزرعته ثم يعودوا إلى بلادهم فينشروا الآراء الجديدة . وقد اختار أخشن قطعة من الأرض وأصلبها ، فقد أراد أن يثبت أنه ما من أرض فى الهند لا يمكن استصلاحها. وكان معظم الأرض التى اشتراها — وهى ٢٧٥ فداناً — مقشعراً هامداً ولم يزرع قط فيما يذكر أى إنسان .

واستنفد المال ما احتاج إليه من الآلات ،

والبذور ، والماشـية ، والأسوار والآبار ، ولم يبق شيء لغرف الدراسة أو النـوم ، فاجتمعت أول فرقة تحت شـجرة ، ونام الطلبة فى المخزن .

واسـتخدم سام جرارة وثلاثة محاريث لإثارة الأرض وتشقيقها . وكانت سكة المحاريث الحديثة تغوص فى الأرض فتقلب تربة زكية غاية الزكاء ، وتقطع ما تحت الحشائش الوبيلة التى تحدت وأعيت آلات الهنـد التى لا تعدو أن تخدش وجه التربة منـذ آلاف من السنين ، فتقلب جذورها وتعرضها للشمس ، حتى إذا جفت هـذه الجذور ويبست تبين أنها مخصبات حسنة .

واستنقذ سام ٥٠ فداناً ببناء سدصغير — وبذلك بيّن ماتستطيع السدود أن تمنعه من التحاتّ والتفتت . وكان فلاح مجاور لهذه المؤسسة ، له خمسة فدادين يراقب هـذه المعجزة ، فبنى سدوده الخاصة من الطين فكان أن تضاعف محصول أرضه . وأثبت سام أن البذر على خطوط يحول دون تبديد البذور حين تبعثر باليد ، ويزيد المحصول بمقـدار ٢٥ ٪ ، وأدخل نظام خزن الماء ، وزراعة المرتفعات والزراعة المتعاقبة ، وانتقاء البذور وتحسين الآلات .

وصنع أحد مهندسى سام محراثاً جديداً — سماه الهنود « واه واه » يعنون بذلك « الأعجوبة » — وبه يستطيع الفلاحون الهنود أن يحرثوا الأرض حقا بدلا من مجرد خدشها وهو يؤدى خمسة أمثال العمل الذى يؤديه النوع البدائى ، ولايحتاج لجره إلى أكثر من الثيران المستخدمة فى النوع العادى ، ولا يكلف إلا نحو جنيه وبضعة قروش .

وفى خلال سنوات قليلة تبرع أصدقاء له أمريكيون بالمال اللازم لمسكن الطلبة ، وافتتحه حاكم الإقليم رسميا . وجاء سـتة مهراجات فى قطر خاصة ليشاهدوا المزرعة ، وحاول أحدهم أن يستخدم خير أعوان سام وعرض عليه ضعفى ما يتقاضى من مرتب . فأبى الشاب إباءا كريماً . ثم التحق بالمعهد ولى عهد ولاية من أعظم ولايات الهند ، ومنذ ذلك الوقت صار التحاق أبناء الأمراء به مألوفاً .

وأقبل الطلبة من أرجاء الهند جميعاً ، وبعضهم من أبناء كبار الملاك وأغنيائهم ، والبعض من المنبوذين . وكان على كل طالب أن يخرج إلى الحقل ويعمل ، سواء أكان أميراً أم برهمياً أم منبوذاً .

والبقر مقدس فى الهند فلا يجوز ذبحه وإن كان حاوياً وعديم القيمة ، فما تعطى البقرة المتوسطة إلا نحو ٧٠٠ رطل من اللبن فى العام . وقدكان سام حكيما فى اجتناب

المعارضة التى كانت خليقة أن تثور لو أنه ربى البقر للحمه ، وربى بدلا من ذلك قطيعاً متخيراً للحلب . وجاء بثيران كريمة وربى أبقاراً تؤتى الواحدة منها ١٠٠٠٠ رطل من اللبن فى العام ، وترك هذا القطيع الحسن الغذاء الرائق المنظر على مرأى دائماً من جموع الحجاج الهنود . فكانت النتيجة وابلا من الأسئلة عن صناعة الألبان .

وأوفد سام رسلا يعلمون الناس الطريقة الصالحة للتغذية والحلب ، وأنشأ مراكز يشترى فيها ما يزيد على الحاجة من اللبن ، وتصنع منه الزبدة وتباع فى كلكتا .

وعرّف الفلاحين كيف يبنون مطامير تحت الأرض ، وعلمهم أن يخزنوا ، للعلف ، المقادير الهائلة من الحشائش البرية وغير البرية التى تنمو فى مواسم الأمطار ، وقد وجد تلاميذه الذين يقومون بالبحث ، أن هناك ٢٢ نوعاً من الأعشاب تأبى الماشية أن تأكلها وهى خضراء ، ولكنها تلتهمها إذا خزنت فيبست ، وقد نشر المتخرجون هذه المعارف والأساليب فى كل أنحاء الهند ، واليوم انتشرت فى الأقاليم المزارع الحديثة والقطعان الصالحة ، وأصبحت الأساليب المستخدمة فيها تستفيض بين الفلاحين .

ويوجد الآن فى معهد الله أباد الزراعى ٢٠٠ طالب و ٣٠ فلاحاً يتدربون ، وعدد هيئة التدريس ٢٧ منهم ١٨ من الهنود ، واثنان من المهندسين الزراعيين الخمسة الوحيدين فى الهند كلها . وقد اتخذ المعهد محطة لاسلكية تذيع فوائد فى الزراعة والصحة وصناعة الألبان ، وتداول بينها بالموسيقى والتسلية . وقد امتدت المزرعة حتى صارت ٦٠٠ فدان ، وتضرب مياه نهر الجمنة حوافى الحقول العريضة من الغلال والخضر ، وتعكس كالمرآة صور الأغصان المثقلة بالبرتقال والجوافة والباباز فى حدائقها ، وينشر شجر « النيم » المقدس شذاه حول المبانى الأنيقة المشيدة بالآجر الأحمر ، ويفيض النوار البرتقالى من أشجار الدخن ألوانه على الطرق الممهدة .

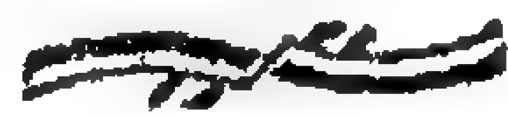
ولم يكن الأمر سهلا وطريقه معبّدا ، فإن الكد عاما بعد عام فى حر محرق ينهك القوى ويستنفدها ، وكانت الأمراض الاستوائية ترقد سام أحياناً ثلاثة اشهر . وقد عاد مرة إلى أمريكا ليستجم ثمانية شهور ، وفى هذه الفترة للاستجمام ألقى ألف خطبة ، أو أربع خطب فى اليوم . وبلغت جملة ما جمع من الاكتتابات أكثر من مليون ريال .

وظلت إثيل كودى هيجينبوتم سنوات وهى تدير صيدلية على شرفتها الخلفية ، وكانت فى كل ساعة من ساعات النهار والليل تقدم الأدوية للملاريا ، والكوليرا ، والبثور

والبرد ، معتمدة فى ذلك على كتاب «الطبيب المنزلى» . وأسست كذلك مدرسة للاقتصاد المنزلى للبنات فى المزرعة ، يتعلم فيها الأميات علم الصحة والإسعاف والتغذية ورعاية الطفل .

وفى باكورة حياة سام وزوجته ، توليا أمر ملجأ نائى للجذام فى الله أباد ، وكان يومئذ عبارة عن عدد من أكواخ الطين غاية فى القذارة ، فجعلا منه ملجأ نموذجيا للمجذومين، فيه طائفة من المساكن ومستشفى ومدرسة وبساتين ومتنزهات . وإلى العمل الذى تقوم به إثيل فى سبيل أبناء المجذومات يرجع الفضل فى إنقاذ ٩٨ فى المئة من هذا المرض .

وكثير من أرض الهند عظيم الخصب ، وفصل النمو طويل ، وثلث الأرض الصالحة للزراعة لم يمسسها محراث . ومن السهل أن تصبح الهند من أغنى الأمم الزراعية فى العالم ، وقد لمح سام هيجينبوتم هذا لما كان معلما شابا ، وهو الآن أوفى وأوضح إدراكا لهذا ، بعد أن قامت هنا وهناك ، فى رقع فسيحة كالواحات فى الصحراء ، مزارع متقنة تنتج محصولات جيدة بإرشاد خريجى معهد الله أباد . وهو ينظر بلحظ الغيب إلى اليوم الذى تصبح فيه سهول الهند الواسعة مترعة بالثروة الزراعية ، وتصير فيه البلاد عضواً صحيحاً فى الجماعة العالمية .



قيل لعمر بن الخطاب : فلان لا يعرف الشرّ ، قال : ذلك أحرى أن يقع فيه .

⁂ ⁂ ⁂

فى الطريق

فى محطة سكة الحديد بشارع ديربورن فى شيكاغو وقف بوليس حربىّ يصيح : اذكروا أسماء الأماكن التى تقصدونها حين تدخلون . وتدفق الجنود والبحارة ومشاة البحرية من الباب ، وكل منهم يذكر مقصده ـ ثم إذا البوليس يستوقف أحد مشاة البحارة وهو يحاول اجتياز الباب دون أن يعلن .

فصاح البوليس : هيا هيا ـ انطق . ما مقصدك ؟

فحدّق الجندى فى البوليس تحديقاً فاحصاً ثم ردّ هادرا .

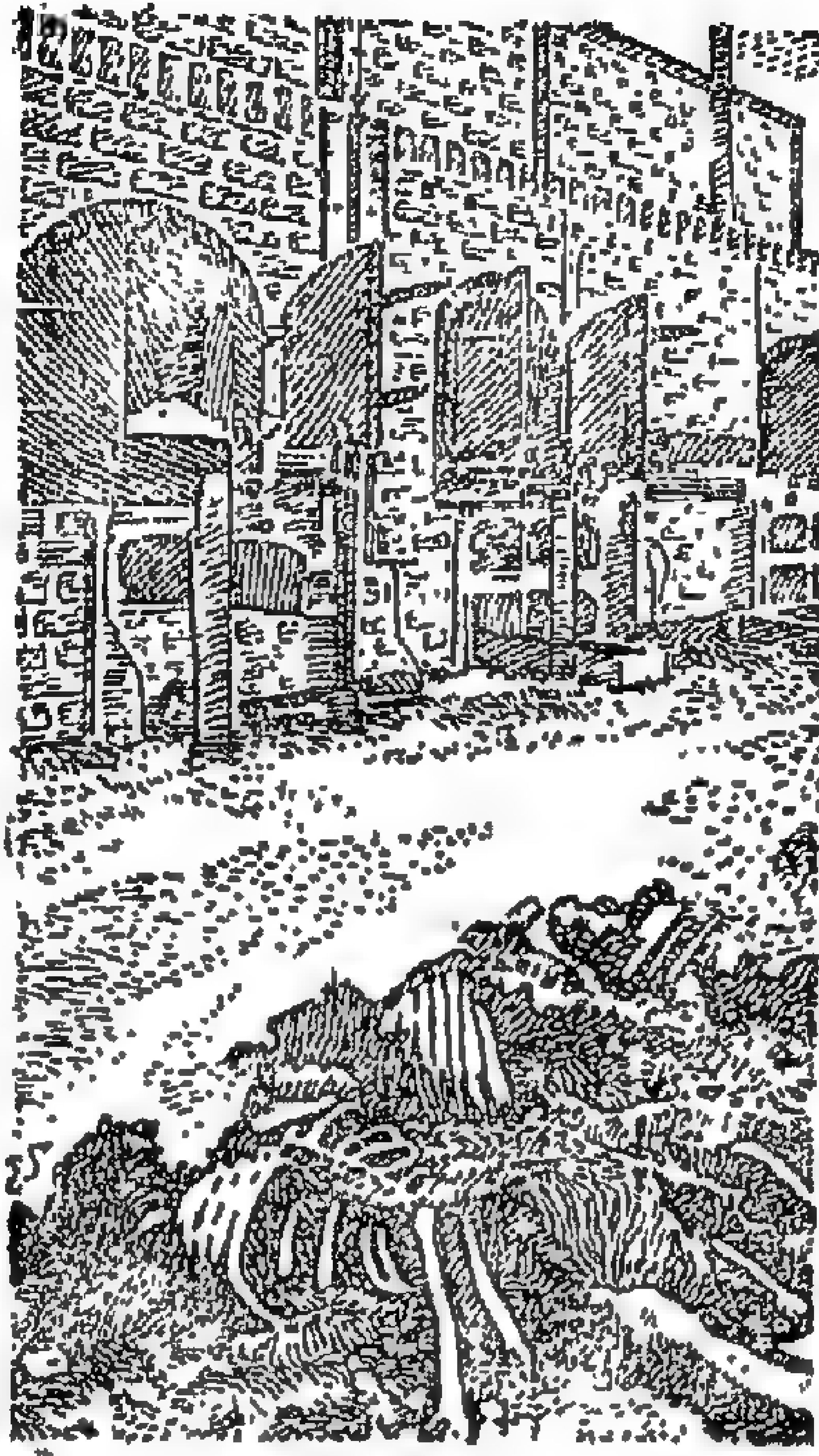
ـ « تبّاً لك ! ماذا تظنّ ؟ طوكيو » وتجاوزه متغاضياً .

لئلا ننسى

معسكر الاعتقال فى ميدانك حيث كان الألمان ينظمون قتل الناس أفواجاً

و. هـ. لورانس • ملخصة عن مجلة "ذى نيويورك تايمز"

الساعة رأيت أبشع مكان على سطح الغبراء — ألا وهو معسكر الاعتقال الألمانى فى ميدانك ببولندة، والذى كان بحق «مصنعاً لإنتاج الموت». وتقدر السلطات الروسية والبولندية أن عدد الأشخاص الذين قتلوا هناك من كل دولة من دول أوروبا قد بلغ ۱٫٥۰۰٫۰۰۰ فى السنوات الثلاث الأخيرة.



رسم مأخوذ من صورة شمسية حقيقية لأفران حرق الأجساد

قصة عن فظائع الألمان بالغة ما بلغت من الوحشية والقسوة والنكر.

ولقد جست خلال المعسكر جميعه، وفحصت حجرات الغاز المسدودة سدا محكماً والتى هلك فيها بالاختناق ضحايا كثيرة. ورأيت الأفران التى كانت تحرق فيها الجثث، ورأيت عدداً كبيراً من الهياكل البشرية، وأكثر من عشرين جثة لم يتسع وقت

ولا بد أن يرى الإنسان هذا المكان بعينى رأسه ليصدق ذلك. ولقد كنت حاضر أمر الكثير من الكشف عن فظائع الألمان، ولكنى لم أقف قط على دليل أبين وأتم من هذا على جرائم الألمان. فلما أبصرته فى ميدانك أصبحت حريا أن أصدق أى

الألمان لحرقها قبل اقتراب الجيش الروسى من لوبلن. وقد رأيت رماد العظام وقد كدس إلى جانب الأفران ليحمل إلى الحقول المجاورة وينثر لتسميد الكرنب. ورأيت فى كريعبتسكى — على مسيرة عشرة أميال شرقاً — قبوراً كثيرة يعاد فتحها. وشاهدت

وليم هـ. لورانس معروف فى الدوائر الصحفية بأنه مخبر ثقة يجمع الحقائق ويتركها تبين عن نفسها. وقد بدأ حياته الصحفية على صفحات «لنكولن ستار»، وفى «أوماها ورلد هرالد»، وراسل بعد ذلك الأسوشييتد برس ثم اليونايتد برس، فصار رئيس مكتب مراسليها من مجلس الشيوخ فى وشنطن، وفى سنة ۱۹٤۱ انضم إلى مكتب وشنطن التابع لنيويورك تايمز، وفى السنة الأخيرة عهد إليه فى الذهاب إلى موسكو

٣٦٨ جثة من جثث الرجال والنساء والأطفال الذين قتلوا فى ميدانك بطرق مختلفة من القسوة والفظاعة ، وكان التعفن قد دبّ فى بعض أجزاء تلك الجثث . وتقدر السلطات عدد الأجساد فى تلك الغابة وحدها ٣٠٠،٠٠٠ جثة .

ولما كنت أحد جماعة مراسلى الصحف الأجنبية التى دعتها إلى بولندة لجنة التحرر البولندية القومية ، حضرت اجتماع اللجنة السوفيتية البولندية لبحث الفظائع ، وناقشت الشهود ، وبينهم ثلاثة من ضباط الألمان فى ذلك المعسكر . وقد اعترف هؤلاء الرجال بصراحة أن ميدانك كانت محلا للإبادة المنظمة — ولو أنهم بطبيعة الحال أنكروا اشتراكهم فى حوادث القتل ، ومن المحتمل أن يقدموا للمحاكمة لما قاموا به فى إدارة معسكر الموت .

وإليك قصة سمعتها من هانز ستاوب ، وهو سجين سابق اعتقل لاتهامه ببيع اللحم فى السوق السوداء بألمانيا ، وقد خلفه الألمان المنسحبون فى ميدانك ، فانسل ستاوب يوماً إلى داخل الحاجز المبنى بالآجر حول مكان حرق الجثث واختبأ ، وسرعان ما جاءت سيارة ضخمة تقل ما يقرب من اثنى عشر أسيراً ، وأمرهم الجنود بأن ينزلوا ويتجردوا من ملابسهم ، فرفضت ذلك امرأة بولندية ، فأثار ذلك غضب النازى الذى كان إليه أمر حرق الجثث ، وكان اسمه مسفلد ، فأوسعها ضرباً . ولما علا صراخها صاح بها قائلا : « سأحرقك حية ! » وأمر اثنين من أتباعه بأن يشدوا وثاق ذراعى المرأة وساقيها ، ثم ألقوها على لوح من الحديد ودفعوها إلى الفرن .

قال ستاوب : « فسمعت صرخة واحدة عالية ، ورأيت شعرها يشتعل ثم غابت فى الموقد » .

وكما شهد الشهود ، كان يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ هو اليوم الذى بلغ فيه عدد القتلى فى ميدانك أقصى حده ، فقد قتل الألمان فيه ما بين ١٨،٠٠٠ و ٢٠،٠٠٠ من الأسرى بالرصاص والشنق والغاز ، وما إلى ذلك من الأساليب .

وعندما يدنو المرء من ميدانك يطالعه منظر معسكر الاعتقال يشبه تمام الشبه تلك الصورة التى تبدو فى أفلام السينما . وأول ما تأخذه العين هو منظر سور بالأسلاك الشائكة يبلغ ارتفاعه اثنتى عشرة قدماً تسرى فيه الكهرباء ، وفى داخله ترى زمراً بعد زمر من المبانى الخضر — تتجاوز المئتين — تشبه ثكنات الجند فى الولايات المتحدة . وفى خارج السور أربعة عشر برجاً عالياً للمدفعية ، وفى أحد طرفيه حظائر

بها ٢٠٠ كلب من الكلاب الضارية المدربة على مطاردة الأسرى الفارين .

وعلى مقربة من المدخل بيت الاستحمام ، وكان يدخله الأسرى المحكوم عليهم بالإعدام خنقاً بالغاز ليخلعوا ملابسهم ويغتسلوا . وكان المتبع أن يغتسل الضحايا بالماء الساخن قبل الإعدام ، لأن الماء الساخن يفتح المسام ويزيد سرعة تأثير الغاز . وكان بعضهم يقتل فى الحجرة المجاورة المحكمة الإغلاق، ومن خلال ثغرات فى السقف كان الألمان يسقطون حقاقاً من غاز الزيكلون ب السام ، وهو مكون من بلورات الحامض الهيدروسيانيك ، فهو يجهز عليهم بالموت.

وعلى مقربة من بيت الاستحمام حجرتان من حجرات الموت صالحتان لاستعمال غاز الزيكلون أو أول أكسيد الكربون ، إحداهما مساحتها سبعة عشر متراً مربعاً ، وفيها — كما علمت — أعدم الألمان من ١٠٠ إنسان إلى ١١٠ ، وحول أرض الحجرة أنبوبة من الصلب فى كل خمسة وعشرين سنتيمتراً منها فتحة ينبعث منها غاز أول أكسيد الكربون . وفى حجرات الموت كوى مغطاة بالزجاج كان الألمان يستطيعون من خلالها أن يراقبوا تأثير الغاز فى ضحاياهم ليقرروا متى تحمل الأجساد .

وعلى مسافة ميل من حجرات الغاز فرن ضخم من الآجر، وهو يبدو كمستوقد صغير فى معمل صلب ، ويستثير نار وقوده منفاخ يعمل بالكهرباء ، وفى كل جانب من جوانبه خمس فتحات ، ففى جانب توضع الأجساد ، وفى الجانب الآخر يزال الرماد وتشعل النيران . وكان لبطاريات المستوقد قدرة على حرق ١٩٠٠ جثة فى اليوم الواحد .

وعلى مسافة غير بعيدة من المستوقد كان عدد كبير من الأوعية الخزفية ليحفظ فيها الألمان رماد بعض الضحايا كما يقول الشهود ، وكان ذلك الرماد يباع لأسر الضحايا لقاء مبالغ تصل إلى ٢٥٠٠ مارك .

وقد ألفيت منضدة من الأسمنت رأيناها ، كان الألمان يضعون عليها أجساد الضحايا قبل إحراقها وينتزعون منها الأسنان الذهبية، ولم تكن الأجسام تقدم للحرق إلا بعد أن يوضع على صدورها طابع ليدل على أنه قد تم البحث عن أسنانها الذهبية .

وفى المعسكر مخزن كبير شاهدت عند طوافى به عشرات الآلاف من الأحذية مركومة على أرضه مثل الحبوب فى البيدر ، وقد رأيت هناك أحذية أطفال لا تتجاوز أعمارهم سنة واحدة ، وأحذية شبان وشابات وكهول ونساء عجائز ، وكانت جميعها قبيحة الشكل ، لأن الألمان لم يستعملوا هذا المعسكر لإبادة ضحاياهم فحسب ، بل اتخذوه أيضاً

وسيلة للحصول على ملابس للشعب الألمانى .
وهذه هى الأحذية التى لم تصلح له ، وكان بعضها فيما يبدو غالى الثمن، وبينها زوج أحذية ورد من أمريكا وعليه علامة تدل على ذلك .

ورأيت فى مخزن آخر فى لبلن عشرات الآلاف من الملابس المأخوذة من الذين قتلوا هناك ، فسألت ضابطاً ألمانيا فاعترف لى أنه أشرف على شحن ١٨ عربة بالملابس المنزوعة عن أجسام الأشخاص الذين قتلوا فى ميدانك فى مدى شهرين .

والنازيون الذين تقع عليهم تبعة الجرائم التى ارتكبت فى ميدانك معروفون ، والبولنديون الذين حادثناهم يعتقدون أن هؤلاء الرجال يجب أن يقتلوا بنفس الطريقة الرهيبة التى استعملوها فى المعسكر . وقد أبدى لى أسفه نائب رئيس لجنة تحرير بولندة القومى « أندرو ويتوس » ، لأن الفريق من الأمريكيين والبريطانيين الذى يرى المياسرة فى عقد الصلح مع ألمانيا ، لن تتاح لرجاله الفرصة ليشاهدوا هذا البرهان القاطع على وحشية الألمان . وتنوى اللجنه أن تبقى أهم جزء فى ميدانك على ماهو عليه الآن ، ليكون معرضاً للوحشية الألمانية تراه الأجيال القادمة .

من علمه الحذر ؟

فى شتاء اشتد برده فى كارولينا ، وعز فيه على الحيوانات البرية الصغيرة أن تجد ما تقتات به ، جعل دان الصياد العجوز يعيد على مسامعى خبر بعض القوارض التى دأبت على سرقة الطعم من أحد فخاخه دون أن تترك وراءها أثراً ينم عليها . وقال دان : « كنت كلما جئت إلى ذلك الفخ ألفيت عصاً ملقاة عليه ولا أثر للطعم » .

فلما أردت أن أميط اللثام عن هـذا السر وضعت آلة تصوير بين أغصان شجرة قريبة ، وأخفيت أسلاكا لالتقاط الصورة عندما ينقبض الفخ .

وعدنا بعد يومين فألفينا الطعم قد سرق مرة أخرى ، وهرعت فى لهفة إلى المنزل لأحمض الفلم . وقد ظهر فى تلك الصورة را كون (حيوان أمريكى من اللواحم) كبير مقعٍ على خلفيتيه ، ينخس الفخ بعصاً صغيرة فى كفه اليسرى .

ولست أدرى أى عقل حكيم أوحى إلى الرا كون بهذه الطريقة الماكرة ، بيد أنى على يقين من أنه قد لقى من الفخاخ كارثة شديدة من قبل ، جعلته حذراً حريصاً . فلقد بدا واضحاً فى الصورة أن يده اليمنى فاقدة .

[كليفورد بك]

مصارف "لقطع الغيار" البشرية

لويس ماتوكس ميلر

المستودعات المعروفة بمصارف الدم ، حيث تحفظ مقادير منها للاستعمال عند الحاجة ، آيات فى إنقاذ الحياة ، حفزت العلم الطبي للبدء فى إنشاء مصارف تودع بها أعضاء من الجسم البشرى أو أجزاء من أعضائه ، لتكون كقطع الغيار فى السيارات ، وينتفع بها فى الجراحة كلما مست الضرورة .

مصرف العيون : ألوف من الناس ، تبلغ عدتهم ١٠٠,٠٠٠ ، ممن عشيت أبصارهم أو أدركهم العمى من جراء فساد القرنية ، ذلك الغشاء الصافى الشفاف الذى يكسو حدقة العين ، لا يفتأون يترقبون بفارغ الصبر تلك الجراحة المرجوّة التى تعينهم على استئناف النظر من جديد[1] . وهى جراحة دقيقة غاية الدقة ، ولعل القدرة عليها لم تتيسر لأكثر من ٢٠ جراحاً فى الولايات المتحدة، تؤخذ فيها بضعة من قرنية صافية فتخاط بمهارة مكان الغشاء الضرير .

والظفر بالعيون لم يزل هو العقبة فى سبيل هذه الجراحة ، فمن النادر أن يرضى إنسان حى أن يهب إحدى عينيه . وقد يحدث بين الحين والحين أن يوصى شخص ما بعينيه للعلم بعد وفاته ، ولكن لم يحدث قط أن توفر من العيون ما يسد الحاجة ، فما استطاع الجراحون أن يجروا هذه الجراحة إلا لماما .

والآن أنشأت مستشفيات مدينة نيويورك أول مصرف للعيون فى العالم ، فاتفق تسعة عشر مستشفى على توريد العيون ، فتتصل بأولئك الذين رضوا بأن يهبوا عيونهم بعد الموت، وتمهد لهم توقيع الوثائق القانونية الضرورية ، ثم تستأصل عيونهم عقب وفاتهم مباشرة . وتتولى كتيبة سيارات الصليب الأحمر الأمريكى نقل هذه العيون على عجل إلى مستشفى نيويورك حيث تختزن فى مصرف مصل الدم تحت حرارة مناسبة ، حتى تجىء ساعة الحاجة إلى استعمالها.

وفى الإمكان أن تستعمل عيون الأجنة الذين يولدون أمواتاً ، ولكن المتوقع أن يكون المصدر الأول من عيون الكبار من الواهبين . وفى ذلك يقول أحد الأطباء : « إن وقف عينى رجل قد مات على إعادة البصر إلى كائن حى ، لولاهما لعاش فى

(١) انظر مقال « عين لعين » المختار مارس سنة ١٩٤٤ صفحة ١٣

الظلام ، هو ولا ريب تذكار جميل » .

مصرف للأعصاب المجففة : الجروح التى تقطع الأعصاب الهامة معضلة من أعقد المعضلات التى تواجه الجراح ، فهى إذا لم يمكن رتقها تورث المريض عاهة مزمنة . وقد يمكن أحياناً تقريب طرفى العصب المقطوع ووصلهما « بغراء للأعصاب » متخذ من الدم ، ولكن رتقها إذا تهتكت أجزاء منها لم يزل أمراً مستحيلا . وقد حاول الجراحون أن ينقلوا أعصاباً من الجسم من مكان لتوضع فى مكان آخر ، ولكن النتائج لم تكن قط باعثة على الرضى فى جميع الأحوال .

وقد احتاج الجراحون حاجة ملحة إلى وسيلة ما لاختزان قطع احتياطية من الأعصاب وحفظها من التلف ، لاستعمالها كلما دعت ضرورات الجراحة . فاخترع الدكتور بول وايس من مستشفى شيكاغو طريقة تمكنه من أن يثلج قطعاً من الأعصاب ساعة تستأصل ، ثم يجففها فى أجهزة مفرغة من الهواء إفراغاً تاما ، ويختزنها فى أوان معقمة مسدودة .

وقد وفق الدكتور ر . م . كليم وزملاؤه بمدرسة الطب فى جامعة سان لويس إلى القيام بعمل بارز رائع فى تطعيم الأعصاب والتعويض عما فقد منها ، فاستعملوا فى ذلك أعصاباً مستأصلة ومختزنة . وقد قاموا الى الآن بعمل ٢٨ طعماً لأعصاب ظاهر الجسم وكانت النتائج موفقة توفيقاً يبعث على الدهش عدا حالتين لم يئن أوان الحكم عليهما . وفى إحدى هذه الحالات أعاد هؤلاء الأطباء مجموعة الأعصاب التى تسيطر على ذراع بأكملها . وقد اقتضى ذلك وصل أطراف ستة أعصاب من ناحية الكتف بنهايات سبعة عشر عصباً من ناحية الذراع ، ويظن أن هذا العمل البارع لا نظير له ، ويرى الدكتور كليم نفسه أنها أروع جراحة قام بها فى حياته .

واستعمل الروس قطع الأعصاب المحفوظة المستأصلة من جثث القتلى فى المعارك فى جراحات الرتق . ويستفاد من التقارير الروسية أن الأذرع والسيقان التى مزقتها الحرب تعاد بهذه الطريقة إلى حيث تؤدى أعمالها كاملة .

القنطرة الشريانية : منذ سنتين وحسب كان الجرح الذى يقطع الأكحل ، وهو الشريان الرئيسى فى الذراع أو الساق ، ينتهى بالأكلة (الغنغرينا) وبتر الطرف المصاب فى كل حالتين من ثلاث حالات ، أما اليوم فإن استعمال قطع الأوردة المحفوظة بعد علاجها بالتثليج السريع ، قد قلل من حدوث ذلك تقليلا عظيما .

اخترع الدكتور أرثر هـ. بليكمور والدكتور جير و. لورد والدكتور بول ستفكو من أطباء المركز الطبي الإنجيلي بكولومبيا بولاية نيويورك ، القنطرة الشريانية البارعة ، وذلك بأن يبطنوا أنبوبا صغيراً من الفيتاليوم بقطعة من الوريد البشرى المحفوظ ، ثم يعطفون أطراف الوريد على طرفى الأنبوب حتى تطوقها كسوار كم القميص ، ثم يدسون نهايتى الأنبوب فى جُذامتى الشريان المقطوع ويثبتون بعضها على بعض بخيوط الحرير ، فيجرى الدم بغير عائق خلال الأنبوب المبطن بالوريد ، ويبدأ التحام طرفى الوريد بجذامتى الشريان لساعته ، ويظل أنبوب الفيتاليوم حيث هو طول حياة المريض لا يؤذيه . ويعتقد الأطباء أن مصارف الأوردة المثلجة ستعم المستشفيات فيما بعد الحرب .

غضاريف من جثث الموتى: الغضاريف، تلك الرقائق الصلبة المرنة فى الجسم البشرى، هى إحدى الأدوات المهمة لجراحة التجميل وخاصة فى مثل تقويم الوجوه بتشكيل الأنوف أو الآذان تشكيلا جديداً ، وكان يؤتى بها عادة من أضلاع المريض نفسه بجراحة فى الصدر كريهة .

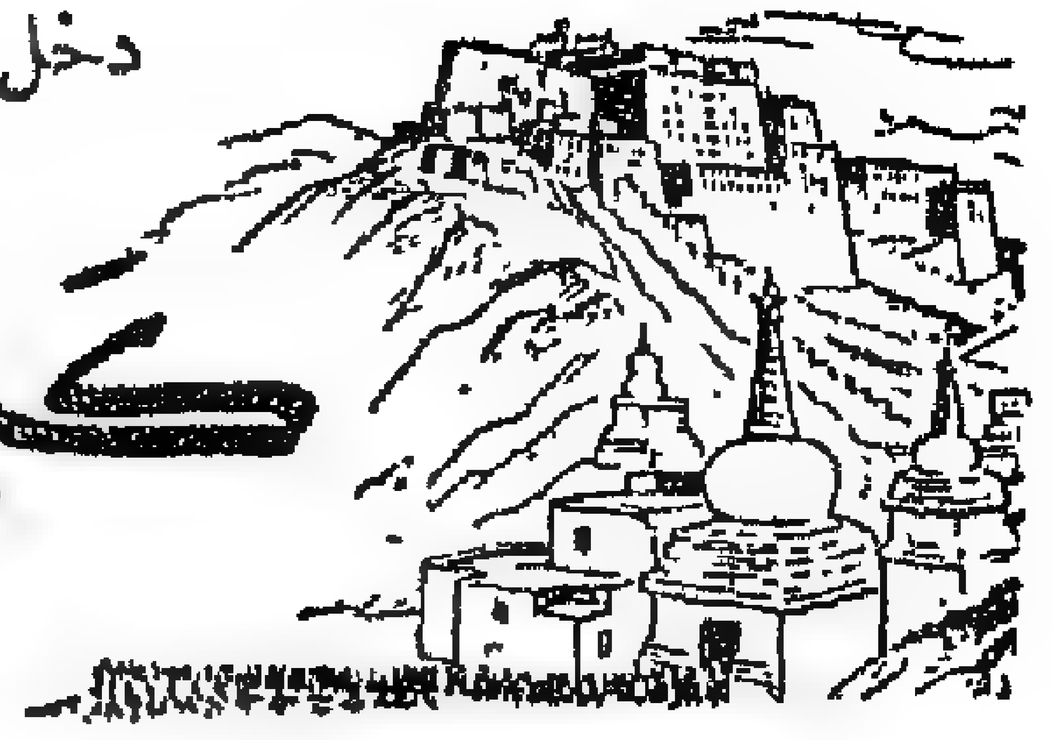
ظل الأطباء إلى وقت قريب يحاولون استكمال الوسائل لحفظ الغضاريف المأخوذة من جثث الموتى ، إذ توقعوا أن يكون كثير من الجراحات التجميلية ضرورياً للجرحى والمشوهين فى أعقاب هذه الحرب . وكان عيب هذه الغضاريف المحفوظة إسراعها إلى التحلل فيمتصها الجسم .

ويبدو أن خير محلول لحفظها هو ذلك الذى أبدعه الأطباء ج . ب . أوكونور و ج . و . بيرس من سان فرنسسكو . فالدكتور أوكونور يختزن قطعه الاحتياطية من الغضاريف فى إناء معقم مملوء بسائل ملحى خاص يحفظ فى الثلاجة ، ويبدل كل أسبوع . ويقول الدكتور أوكونور إنه وفق فى استعمال طعوم من هذه الغضاريف بعد حفظها سنتين ، بل وجد أن الغضاريف المحفوظة بطريقته لها مزايا معينة تفوق بها الغضاريف الغضة المستخرجة من جسم المصاب نفسه .

وقد وضع الدكتوران أوكونور وبيرس طعوماً من الغضاريف فى ٣٧٥ حالة خلال السنوات الخمس الماضية ، وقد حافظت هذه الطعوم على شكلها الأصيل فى كل هذه الحالات إلا فى سبع منها : امتص الجسم الغضروف فى واحدة منها وحسب .

ويبدو اليوم أن مصرف الغضاريف سيكون أداة هامة فى تقويم عيوب الوجوه الناشئة عن هذه الحرب العالمية الثانية .

دخل رجال طائرة محطمة ، مدينة لاسة المقدسة ، على صهوات الجياد.



كيف رأوا المدينة المحرّمة

ملخصة عن مجلة "كولييرز"

كوري فورد و الاستير ماكبين

لما عادوا إلى قاعدتهم فى الهند بعد اثنين وأربعين يوماً قضوها فى سفر مضن على ظهور الجياد ومشياً على الأقدام فى اجتيازهم سلسلة جبال هملايا — كانت المغامرة كلها تبدو ضرباً من الأحلام. أجل ، إنهم كانوا يلبسون أحذية التبّت المصنوعة من الجلد الأسود ، والمشدودة برباط من فراء القطط البرية ، وقد فصلت بحيث يصلح كل فرد حذاء لأى القدمين شئت ، كما أنهم كانوا يحملون بعض نقود التبت التى يرجع تاريخها إلى ألفى عام . أما مدينة لاسة المقدسة ، التى لم يرها أحد فى التاريخ قبلهم سوى خمسة من الأمريكيين ، وأما الشوارع الضيقة التى لم تجر على أرضها عجلة قط ، وأما قصر « الدالاى لاما » القرمزى الذهبىّ وكلابه الضارية المشدودة إلى أبوابه لتحميها — أما هذا كله فلم يكن سوى حلم من الأحلام .

حلم مزعج : هكذا وجده الكوربورال كنيث سبنسر ، فهو يقول إنه ليس فى التبت شيء لا تجد ما يبلغ ضعفه حسناً فى بلدة روكفيل سنتر بولاية نيويورك. لقد سئم الكوربورال سبنسر تلك المغامرات ، فهو يقول : « أريد أن أعود إلى روكفيل سنتر ، وأريد أن أعود إليها بالقطار » .

كانت طائرة النقل التى تقلهم عائدة إلى الهند من كونمينج فى الصين ، فانحرفت عن طريقها ، وانقطع اتصالها اللاسلكى بقاعدتها ، وكاد وقودها ينفد ، ونظروا من خلال ثقب فى برج الطائرة فرأوا أضواء مدينة حسبوها « تشابوا » فى الهند ، ولكنهم كانوا فى الواقع يحلقون فوق بلاد التبت . ثم نظروا بعد برهة فرأوا أمامهم سحابة راعدة وصاح أحدهم على الأثر : « إن فيها صخوراً » .

وسرعان ما جذب الملازم كروزير عصا القيادة فى اللحظة الأخيرة ، وكانوا عندئذ على ارتفاع ٢٥٫٠٠٠ قدم ، ولكن الجبال كانت أكثر ارتفاعاً ، إذ كانت تقارب قمة إفرست فى الارتفاع .

وسعل المحرك الأول ، وتلاه المحرك الثانى ، ثم انقطع عملهما جميعاً . فدفعوا الباب الخلفى بالأقدام وقفز خمستهم ، واحداً بعد واحد ، فى جوف الليل البهيم المطبق ، ومالت الطائرة هاوية حتى اجتازت الوادى

واصطدمت بسفح الجبل واندلعت فيها ألسنة اللهيب ، ثم ساد السكون .

وقد لاقوا جميعاً في هبوطهم عنتا شديداً ، وتناثروا على مسافة ميل فوق سفح الجبل ، وأدركوا أن ليس من الحزم أن يبحث بعضهم عن بعض فى الظلام ، فتزملوا بمظلاتهم ، واستلقوا حيث كانوا فى البرد القارس ، وفى جوّ مريض الأنفاس حتى إنهم ليلهثون ابتغاء التنفس . فلما لاح الفجر أخذ كروزير يناديهم ، حتى عرف مكان الملازم هارولد ماكالم والجاويش سبنسر . أما الجندى جون هفمان والجاويش وليم بارام ، فلم يسمعا النداء ، لأنهما كانا على السفح الآخر من الجبل . ومضى كروزير وماكالم وسبنسر يشقون طريقهم فى عناء شديد هبوطاً إلى الوادى ، وقد أصابتهم الرضوض والخدوش من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، ولبثوا يهيمون حيرى يومين على ضفاف النهر حتى بلغوا إحدى القرى ، فتجمع القرويون من حولهم ، يجذبون ملابسهم وقد ثاروا حولهم وهم يلغطون . وبدأ الطيارون الثلاثة يتراجعون مذعورين ، وأطلق كروزير مسدسه فى الهواء مرة أو مرتين . وقد قال يصف ما حدث : « رأينا كثيراً من الصلبان المعقوفة مرسوماً على جدران المنازل ، فشب الفزعُ نارَ الغيظ فى قلوبنا ، حتى اكتشفنا أنها لم تكن سوى رموز دينية وحسب » .

وكان ماكالم يعرف شيئاً من اللغة الهندستانية فقال على سبيل التجربة والاختبار : « السلام عليكم ! » فأجابه قروى يدعى « سناء الله » : « عليكم السلام » .

وعندئذ أدرك ماكالم أنهم أصدقاء . قال ماكالم : « كان التعب قد أخذ منا مأخذه حتى لا نكاد نقوى على السير . وزاد الطين بلة أن الصبية لم يكونوا قد رأوا قبل ذلك رجلا أبيض ، فواحوا يتعلقون بأذرعنا ويحملقون فى وجوهنا » .

ومضى الثلاثة وقد جرّ كل منهم بيديه طفلين عن يمين وشمال ، ودخلوا بيت «سناء الله» يترنحون ، فارتموا على الوسائد وشربوا من لبن الماعز الساخن وأكلوا خبزاً أسود . وكانوا يعاملون كالأطفال ، فما كان أهل التبت يعتقدون أن إنساناً فى مثل هذه السن من حداثة الشباب يمكن أن يغترب هذه الغربة النائية عن وطنه . والصبى فى التبت لا يعتبر رجلا إلا إذا مات أبوه ، ولهذا تجد فى التبت فى بعض الأحيان « صبياً » فى الأربعين من عمره . وكان سبنسر فى التاسعة عشرة من عمره حسب ، فكانوا يدللونه حتى كان يتميز غضباً ويهدد بأن يضرب أى مخلوق يحاول أن

يكبكبه فى فراشه حين يمسى الظلام !

وجاء رؤساء القرى المجاورة يزورونهم وهم يرتدون مطارف أرجوانيـة مبطنة بالفراء ، وقبعات غريبة كالمخروط المقلوب طولها ثلاث أقدام ، وكل منهم فى أذنه اليسرى قرط من الذهب . ويفسر كروزير ذلك بأنهم يعتقدون أن القرط الفرد أشد استرعاء للنظر من القرطين معاً .

وأحضر الرؤساء معهم هدايا من البيض — وهو من أندر الأشياء فى التبت — ولحم الضأن والسجائر ، وتحلقوا وجلسوا فى وقار وأخـذوا يتحدثون . وترجم « سناء الله » حديثهم إلى الهندستانية فقال : « يقولون إنهم سيرسلون النبأ إلى حكومتكم فى الهنـد » . . فصاح ماكالم فى لهفـة : « الهند ؟ تباً ! وأين نحن الآن ؟ »

فقال سناء الله : « فى التبت » . وذهل الطيارون الثلاثة .

ولما كانوا يعتقدون أن هفمان وبارام على مقربة منهم ، فإنهم أقنعوا الرؤساء بأن ينقلوا إليهم رسـالة من قرية إلى قرية . وكتب كروزير على ورقة هذه الـكلمات : « إننا فى قرية تسيتانج . الحقا بنا هنـا . ونحن جميعاً فى التبت . والله يعلم كيف كان ذلك . لا تجزعا واعتصما بالصبر » .

وعندئذ اندفع هفمان يتم القصة : « تلقيت الرسالة فى الليلة التالية ، وكنت قد قابلت بعض القرويين فأرادوا أن يأخذوا خيوط مظلتى الهابطة ليزينوا بها ملابسهم ، فقايضتهم بها بعض الشاى والخبز ، وأعطيتهم خنجرى لأقنعهم بصداقتى ، ولـكنى عند ما أويت إلى فراشى فى تلك الليلة وجدت الخنجر تحت وسادتى . وأعتقد أنهم أرادوا أن يظهروا ثقتهم بى كذلك » .

واستطرد هفمان يقول : « ومهما يكن من أمر فإننى لم أكد أتسلم الرسـالة حتى قدم لى الأهلون حصاناً وبعض المال ودلونى على تسيتانج ، وما أشد غبطتى أن أرى سائر رفاقى » . وفى تلك الليلة عينها لحق بهم بارام ، وكان يشكو ألماً ممضاً من ذراع مكسورة .

ولم يكن أملهم فى النجـاة أملا مشرقاً كل الإشراق ، فلجأوا إلى الحاكم المحلى ، وهو رجـل على هيئة بوذا فى ضخامتـه ووداعته ، يرتدى حلة من الحرير صفراء فاقع لونها ، فقدم لهم الشاى والبسكويت ، ولـكنه ألقى فى نفوسهم اليأس بأسـلوب رقيق . وجاءهم ، من مكان يبعد عنهم مئة ميل ، ناسك بوذى يتكلم الإنجليزية ليسرى عنهم ، ولـكنه زادهم ضيقاً وكآبة حين قال لهم : إن الطرق يعلوها الجليـد ، والجبال زاخرة بقطاع الطرق ، ولا بد لهم من رفقة كافية من الجنود لحمايتهم .

ثم وصل ذات ليلة طبيب ضئيل الجسم من أهل نيبال من رجال المكتب السياسى البريطانى ، اسمه صاحب را بو ، وتبين أن للدكتور بو سلطاناً عظيما على الناس ، إذ راح يطوح بعصاه ذات المقبض الفضى ويدق بها الأرض ، وأمر الرؤساء أن يقدموا لأصدقائهم الأمريكيين أفخر ما عندهم من الطعام والنبيذ ، وجمع فى يومين اثنين عدداً كبيراً من الخيل والأدلاء . ثم أعلن وهو يبتسم ويعرك كفيه ، أنه سيتولى إرشادهم بنفسه إلى الطريق فوق ممر جوبا إلى لاسة.

وخرجت القرية كلها تودعهم ، وأعطى رؤساء القرية لضيوفهم الراحلين مطارف من الفرو الكثيف ، وأحذية مبطنة بالفراء ، وأغطية من الصوف — أدهشهم أنها مصنوعة فى اليابان — وكوفية لكل منهم مصنوعة من نسيج الخشب ، ولكنه ناعم كالحرير .

وقد رأوا عن بعد من موكبهم أسراباً من أهل التبت يتحركون صعوداً وهبوطاً على الجبل كالنمل ، قد حملوا بقايا الطائرة المحطمة ، وكانوا إذ ذاك قد فرغوا من برج المدفعية أو كادوا ، وكان أحد المحركات قد ألقى بعيداً عن الطائرة فى بركة متجمدة . فراح نحو خمسة عشر رجلا من أهل التبت يحاولون عبثاً أن يخرجوا محركا من وسط الجليد ، غير مدركين أنه متصل من طرفه الآخر بآلة وزنها طن كامل . وشاهد سبنسر رجلا يجمع راديو الطائرة ، وقد تناول الرجل فأساً شطر بها الراديو نصفين ليسهل عليه حمله بعد ذلك .

وراحوا يصعدون فى الجبال ساعة بعد ساعة ، والخيل تتعثر فى طريقها على شفا الهاوية ، ولربما انهارت صخرة فهوت ميلا إلى قعر الهاوية ، وكان لا بدّ لهم من أن يريحوا خيلهم مرة كل بضع دقائق لقلة الأوكسيجين . واستراحوا ليتناولوا طعامهم من لحم الماعز البارد ، فكان عسيراً عليهم بعد ذلك أن يعتلوا ظهور الخيل مرة أخرى . وأخيراً وصلوا إلى القمة على ارتفاع ١٨٫٩٠٠ قدم ، ومن ثم رأوا فى بطن الوادى على جانب أحد الأنهار المنحنية قباب « المدينة المحرمة » وأبراجها التى يجرى حديثها مجرى الأساطير .

وكان الدكتور بو قد طيّر إلى الناس نبأ مقدمهم ، ولم يعرفوا قط كيف استطاع أن يفعل ذلك ، فوجدوا خباء ضخماً من الحرير مضروباً على شاطئ النهر ، وشهدوا فى داخله منظراً من مناظر ألف ليلة وليلة ، فهناك السجاجيد العجمية النفيسة تكسو الأرض ، ومائدة طويلة تحمل أطباقاً من الفضة والصينى الفاخر ، عليها الفطائر والحلوى ، ودنان من جعة التبت الصرف

المصنوعة من الشعير ، وزجاجات من الخمر ، والنبيذ الصينى المعتق . وراحوا يملأون أباريق الفضة ويشربون تحية ضيوفهم ، ثم يملأونها ويشربون تحية الدكتور بو ، ثم يشربون تحية التبت ، وتحية أمريكا ، وتحية الدالاى لاما ، وتحية الرئيس روزفلت ، وشرب سبنسر تحية روكفيل سنتر ، وعندئذ خيل إليهم أن الخيام تهتز ، وأن صوراً مختلطة متعددة للدكتور بو تلح عليهم أن يستأنفوا الرحيل ، فإذا هم على ظهور الجياد فى طريقهم إلى لاسة وقد غمرتهم نشوة لذيذة ، وأخذوا يترنحون وهم على سروجهم .

وهم لا يذكرون شيئاً كثيراً عن دخولهم المدينة المحرمة ، ولكنهم توهموا ، كما قالوا ، أن ألوفاً من الناس كانوا قد اصطفوا على جوانب الشوارع ، وأن النساء كن يبتسمن لهم من الشرفات وقد تحلين بأقراط الأنوف المرصعة بالجواهر ، على حين كان الأطفال السمر والحمير البيض يتواثبون من بين سنابك خيولهم ، ولاح لأعينهم الصرح الرخامى الذى يقيم فيه الدالاى لاما ، منيفاً على سائر مبانى المدينة ، مزداناً بالقباب الذهبية المتلألئة . فلما مروا أمامه أخذت الكلاب الضخمة المسلسلة تثور إليهم ، كما كان يخيل لهم ، فى الفينة بعد الفينة ، أن شبح أحد حراس التبت الغلاظ القساة يسبح نحوهم من خلال الضباب . ثم وقفت بهم الخيل فجأة عند دار الحكومة البريطانية ، وهرع إليهم ميجور بريطانى بسط لهم ذراعيه قائلا : «هيا ادخلوا وأصيبوا شيئاً من الشراب» .

وقضوا خمسة أيام ممتعة مع الميجور شريف وزوجه . وكانوا يهنأون بالحمامات الساخنة وينامون فى فرش حقيقية ، ويتناولون مثلجات منزلية ، ويلعبون البنج البنج مع زوجة شريف . وفى إحدى الليالى أراهم ميجور شريف فلماً قديماً للممثلين الهازلين لوريل وهاردى ، وقد قال كروزير عنه : « لقد ضحكنا حتى بكينا » .

وطافوا فى شوارع لاسة الضيقة الملتوية ، واطمأنت نفوسهم حين رأوا من الناس المودة ، وكانوا يخشون أن يكون السكان قد غضبوا لطيرانهم فوق المدينة ، لأن أهل التبت يعتقدون أنه ينبغى أن لا يجترىء إنسان على أن يبلغ مكاناً أعلى من مكان الدالاى لاما ، ولكن القساوسة أشاروا إلى الطائرة المحطمة دلالة على ما يصيب الخاطئين المجترئين ، وبهذا أرضوا الناس .

وكانت حكومة التبت فى الوقت ذاته تجهز قافلة لرحيلهم ، فاستطاعوا أخيراً أن يبدأوا رحلتهم الطويلة عائدين إلى الهند . وكانوا كلما تقدموا ميلا ازدادت المغامرة كلها بعداً عن الواقع وقرباً من الخيال .

كيف تعاشر من تحب

إدوارد زيجلر
ملخصة عن مجلة «كيوانس»

لإحدى سخريات الحياة أن يكون أحب الناس إلينا هم فى الغالب أشد إثارة لنا من أعدائنا .

وعيت تلك الحقيقة حين كنت أتحدث أخيراً إلى شاب يافع على أثر وفاة أبيه ، كان مما حيّره أن أباه وأمه لم يوفقا فيما يبدو إلى حسن المعاشرة ، وكان يحس فى قرارة نفسه أن كليهما كان يحب صاحبه ، بيد أن أظهر ما بقى فى ذاكرته من حياة والديه هو ما كان يقوم بينهما من نِقار .

دفعنى هذا الحديث إلى التفكير : إننا نستطيع أن نحتمل الثقلاء ومن لا نحب من الناس بأن نضمر لهم الحيطة وأن نعاملهم بأدب ، بيد أنه قد يحدث كثيراً فى حياة الأخذ والعطاء التى تجمع بين الناس أن نغضب أو نذهل لملاحظة عارضة أو موقف يقفه إزاءنا واحد ممن نحب ، وليس ثمة وسيلة سهلة لدفع مثل هذا الأذى من عزيز لدينا . ولذلك كثيراً ما يشوه جمال العلاقات التى ينبغى أن تكون قوية عميقة ذلك الاحتكاك الطفيف ، وما ذلك إلا من جراء هذه الخلطة الدانية .

ولعل من بعض السبب أننا نترك أدق أسباب المواءمة بين النفسين للمصادفات ، فنحن نتقبل الشدائد الطارئة كأن لا محيص عنها ، ونواجهها كلما قامت بحل مؤقت ، ربما كان لحاجة تافهة أو جهامة وعبوسا . ولكنه لا ينبغى أن تتعرض العلاقة الجالبة للسعادة لمثل هذه الأزمات المتكررة ، فإن معاشرة من لا نطيق أن نستغنى عنهم من الناس تقتضى تدبيراً موضوعاً يتقى به المرء ماينتاب عواطفه ، ويستديم به أسباب الوفاق .

ولمثل هذا وسائل عديدة بسيطة فى متناول يدنا ولكننا نهملها . وإحدى هذه الوسائل أن نعرف الأشياء الصغيرة التى تدخل السرور على شخص آخر وأن نعمل بها . فالأزاهر تقدم فى العادة مثلا للاحتفال بمناسبة خاصة ، فإهداؤها مفاجأة فى غير ما مناسبة له أثر بين . حدثتنى سيدة فقالت إنهم حين جلسوا ذات ليلة إلى مائدة العشاء رأوا فى وسطها باقة من الزهور الصناعية ؛ وكان زوجها لايعبأ بالزهور ولكنه كان يعلم شدة حب زوجه لها فعمل عملا بسيطاً

ولـكن كان له دلالته ومعناه ، حتى كنت أتبين فى وجهها وهى تقص على تلك القصة ، طرفاً من ذلك الإشراق الذى أضاءه تلك الساعة .

ويستطيع كل منا كل يوم أن يعرب بعمل بسيط سمح عن شعور طالما تركناه يضمحل ويذبل حتى يصير موضع شك . إن لمحة واحدة مقصودة من لمحات العطف كثيراً ما تغير حال بيت بأسره فى لحظـة . وكذلك الأعمال الصغيرة التى أحسن المرء اختيار وقتها تحرك فى النفس سلسلة لا تنقطع من آثار وقعها فى النفس .

حدث ذات يوم فى بيت جار لى أن استيقظ الابن ، وعمره ١١ سـنة ، وقام بإعداد طعام الفطور للأسرة، فأساء الطهى وأفسد الطعام ، وكان خيراً أن تقوم أمه نفسها بذلك . بيد أنى حين زرت الأسرة فى عصر ذلك اليوم ألفيت روح المرح التى خلفها ذلك الإفطار تسود الأسرة جميعاً . لعلهم كانوا يستمتعون استمتاعاً أكبر ولا شك إذا قدمت لهم وجبة من الطعام معدة إعداداً جيداً ، إلا أن تلك الوجبة ستظل من أسباب سرورهم ومتاعهم أياماً طويلة .

ثبطت همة صديق لى كان يحس أنه بطىء الخطى فى تقـدمه ، وقد كان أمراً سهلا — وغير مجد — أن تقول له زوجه أن تشجع، أو أن تلومه على تركه هذا الشعور يستولى عليـه ، ولـكنها جهدت فى عمل بيان بما أدرك زوجها من نجاح فى السنة المنصرمة ، لم تضمنه مآثره فى عمله فحسب بل ما قدمه لها ولأولادها أيضاً . ولا يزال هذا البيان حافزاً له ودليلا محسوساً لديه على أن زوجه تقـدره ، وأنها جهدت أن تقول له ذلك بطريقة لبقة حصيفة .

إن ما يربط أفراد الأسرة بعضهم إلى بعض هو فى الغالب تلك الأشياء التى يجمعون على حبها ويحلمون ببلوغها ، ويدبرون فيما بينهم أمرها ، ويشتركون معا فى عملها. تدبر مثلا تلك الطريقة المثلى طريقة القراءة بصوت جهير ، يجب أن لا يفوتنا ما تبعثه من حافز لتقوية روابط الزمالة والإخاء . إن فيها شيئاً من شعائر العبادة وإحساساً بتجديد ما يربط القارىء والمستمع من أفـكار . ويتضح صدق ذلك خاصة حين نكف لـكى نناقش ما نقرأ ، فترى كل منا يقدر رأى أخيه حق قدره ، ويعرف كل منا أخاه ، بما يخلفه ذلك من آثار رجعه فى النفوس . لذلك كانت قيمة هـذه القراءة أكبر من أن تكون استمتاعاً محضاً ، فهى توثق شعور الألفة والوفاق ، وتقوم حائلا دون صدمات سوء التفاهم فى المستقبل .

من الصعب أن نحبس انتقال الشعور إلى

أحب الناس إلينا بالتوتر الذى يقوم فى أنفسنا من جراء ما يقع لنا فى أعمالنا ومعاملاتنا . إن الإدلاء إلى أهل المنزل بتفاصيل خلاف شجر بينك وبين رئيس أو زميل لك فى عملك ، هو استغلال لعواطف من تحبهم . وهذا هو مرجع كثير من الخلاف الذى لا يدرك له سبب فيما يبدو ، وينبغى لنا أن نتجنبه بكل ما نملك من وسائل .

درجت عروس صديق لى على أن تصلح أخطاءه على المائدة أثناء الطعام ، فكان يرد عليها بسخرية عن التهذيب المزعوم أو الآداب المتكلفة ، مما يفضى إلى الشجار ، فاقترح عليها ذات يوم أنه إذا عنّ لأحدهما اقتراح أن يدونه كتابة ، ونجحت الفكرة : فإما أن يكون الانتقاد تافهاً فلا يستحق الكتابة ، وإما أن تكون له قيمة فيلقى العناية ، مادامت كبرياء أحدهما لم تمس علانية بسوء .

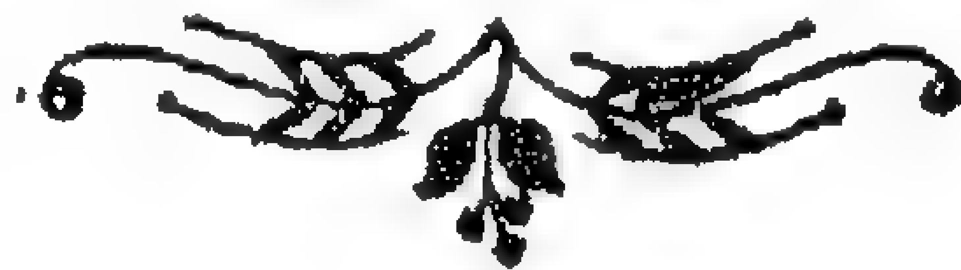
ومن الخير أن نواجه الصعاب حين تقوم ولا ندعها تستفحل دون أن نوليها عنايتنا ، فلطالما شجرت متاعب فى شأن مسائل بعينها مرة بعد مرة ، لأننا لا نسوى الأمور حين تسوء لأول مرة ! إن مسائل سوء التفاهم التافهة حقيقة بأن تنسى ، ولكن مسائل سوء التفاهم الخطيرة يجب أن تفضّ لوقتها لئلا تعظم وتستفحل وتتمكن أصولها فى عواطفنا .

وليس ثمة شىء يذلل الصعاب كالمبدأ القويم . ومن الغريب أن نسمع بعضنا يتشدق بالمبادىء فى العلاقات الدولية ، وينسون جميع المبادىء فى علاقاتهم مع ألصق الناس بهم . إننا ندعو إلى حقوق الأقليات ونتجاهل حقوق أطفالنا . ولو احترمنا حق المرء فى الخلوة بنفسه لمهد ذلك تسوية مشاكل كثيرة تثير السخط فى البيوت . إن علينا على الأقل أن نسدى إلى أهلنا من المجاملات ما نسديه إلى أصدقائنا ، فإذا أراد صديق أن يتحدث بالتلفون انتحينا عنه ولم نتسكع فى جواره ، ألا ترى أننا لا نفضّ رسائل صديق أو نقتحم عليه داره دون دعوة أو إذن منه ؟ وليس للوالدين من الحق فى أن يتخلصوا من لعب أطفالهم أكثر مما للاطفال من الحق فى أن يمزقوا لآبائهم القصاصات التى يهتمون بها ويحفظونها .

ويقوم بجانب مبدأ احترام المرء حقوق غيره ، مبدأ التسامح فيما يتعلق بشذوذ غيرك من الناس ، وهو مبدأ يقضى على كثير من الصعاب ولعل أشد ما نعانى من ضيق النفس يرجع إلى أننا نتطلب فيمن نحب الكمال التام . فإذا كنت تظن أنه يجب أن يكون الزوج أو الزوجة أو الأبناء أو البنات لا عيب فيهم فإنك تستجلب إلى نفسك المتاعب . وإذا كنت تتطلب فيمن تحب أن لا تتغير لهم حال

فقد ضل سعيك، إذ تكلف الناس مالا تطيقه الطبيعة البشرية. وإن كثيراً من الأزمات التي تنشأ بين الوالدين وولدهما إنما تقوم لأن الولد لم يحقق ما كان ينتظر منه من أعمال فوق الطاقة. إنك إذا لم تتسامح تسامحاً كريماً في نواحي الضعف الإنساني ، وحتى في الأخطاء المستقبحة ، كنت كمن يمشي بمن يحب على شفا هاوية ، لو زلت في شعابها قدم لوقعت الكارثة . وليس ثمة شيء يحول بينك وبين أن تتطلب من الناس المستحيل إلا أن تتعود التسامح الممزوج بالصفح ورحابة الصدر .

إن المحافظة على أمن البيت وطمأنينته من آفات سوء التفاهم التافهة تتطلب منا جهداً واعياً . نعم لا بد من وقوع الخلاف إلا أن المعجزة الكبرى في العلاقات الإنسانية هي أن نستطيع أن نعيش على وفاق على رغم هذا الخلاف . فإذا فعلنا ذلك كانت النتيجة آية في الروعة والجلال . ليس ما نبغي طريقة للقضاء على المتاعب فحسب بل إننا نريد أن نعقد العزم على أن ننمي بكل وسيلة ممكنة تلك العلاقات التي لها في أنفسنا أعظم تقدير .



نكتة في أوانها

في قديم العهد والأوان كان ملك وملكة شديدي الشغف بمهرج البلاط ، فقرباه وجعلا يدعوانه لينفردا به في العشاء . وفي إحدى الليالي أصر هذا النديم على قوله : « إن العذر قد يكون أقبح من الإهانة » .

فقال الملك : إما أن تقيم الدليل على ذلك وإما أن أصدر أمراً بقطع رأسك .

وانحنى الملك بعد العشاء يداعب كلبه ، فما هو إلا أن ركله النديم ركلة شديدة ثم صاح قائلا :

— عفوا يا مولاي ، فقد حسبتك الملكة !

[أليكس ف. أوزبورن]

☆☆☆☆☆☆☆☆

الغرور نعمة من الله لصغار النفوس .

[بروس بارتون]

نجم

ملخص قصة صغيرة من تأليف هـ . ج . ولـز

فقليل من الناس من يتأتى له — إذا لم يكن ممن مارس العلوم — أن يتصور عزلة المجموعة الشمسية وما يفصلها عن سائر الأكوان من فراغ هائل . فإن الشمس وما يتبعها من سيارات كالذرات ، ونجيمات كالغبار، ومذنبات لا يدركها الحس ، تسبح فى فراغ هائل يكاد يقصر عن تصوره كل خيال . فمن وراء فلك نبتون فضاء ليس فيه حرارة أو ضوء أو صوت ، بل هو فراغ صرف يمتد عشرين مليون مليون ميل ، وهذا هو أقل تقدير للمسافة التى يجب اجتيازها للوصول إلى أقرب نجم إلينا . وإذا استثنينا بعض المذنبات التى هى أرق قواماً من اللهب ، فإنه لم يحدث قط أن اخترق جسم ما ، هذا الجوف من الفضاء ، إلى أن ظهر فى القرن العشرين زائر ضالٌّ ، وقد كان كتلة جسيمة من المادة اندفعت بغير إنذار من ظلام غيب السموات إلى وهج الشمس . وفى اليوم التالى أصبحت تُرى جليّة من خلال أى منظار صالح للرصد ، وبعد قليل صارت رؤيتها لا تتعذر من خلال منظار السارح الصغير .

وفى اليوم الثالث عرف قراء الصحف لأول مرة ما لظهوره من خطر الشأن . ونشرت إحدى صحف لندن أن العالم دوشيين يرى أنه من المحتمل أن يصطدم هذا السيار الغريب الجديد بنبتون ، حتى أخذت معظم عواصم الدنيا تتوقع أن تتجلى فى السماء وشيكا ظاهرة عجيبة . فلما جنّ الليل تطلعت آلاف من العيون إلى السماء تتقصى النجوم المألوفة ، فإذا بها فى مواقعها التى لم تتحول عنها أبداً . ولكن المبكرين من قاصدى الأسواق رأوا هذا الزائر عند الفجر ، فقد ظهر لهم فجأة فى الأفق الغربى نجم أبيض كبير .

وقد مضى من النهار ساعة وهذا النجم لا يزال يتوهج ، وحوله هالة بيضاء كبيرة وهو فى وسطها قرص صغير مستدير لامع . وحبس العلماء فى مئات من المراصد أنفاسهم ذعراً ، حين رأوا هذا الجسم النائى يندفع نحو نبتون ، ومضوا يجمعون آلات التصوير والمطايف ليسجلوا هذا المشهد العجيب : مشهد عالم يدمر ويتحطم ، فإن نبتون عالم

هو أيضاً ، وهو من السيارات إخوة أرضنا هذه ، بل هو أكبر منها حجما ولا ريب . فهذا عالم يهوى كالشهاب ليفنى حريقاً والتهاباً ، وهذا النجم العجيب الذى انبثق من الفضاء قد صدم نبتون صدمة وقعت عليه كاملة فى صميمه . وقلبت حرارة الصدمة هاتين الكرتين الصلبتين إلى كتلة واحدة ضخمة متوهجة . وفى ذلك اليوم ظل هـذا النجم الأبيض الكبير الشاحب فى طوافه حول الأرض مدة ساعتين قبل الفجر ، ولم يخب ضوؤه إلا حين مال إلى الغروب وطلعت عليه الشمس .

ولما طلع مرة أخرى على أوربا اجتمعت الجماهير على سفوح التلال وسطوح المنازل وفى الأرض العراء ، قد شخصت أبصارهم إلى الشرق ليروا مطلع هـذا النجم الجديد العظيم . وطلع يتقدمه وهج أبيض كوهج النار الساطعة البيضاء ، أما الذين شاهدوا مطلعه فى اليوم السابق فقد صرخوا عند رؤيته قائلين : « لقد زاد حجما ! لقد زاد التماعاً ! » وأما العلماء فى المراصد المعتمة فقد حبسوا أنفاسهم ونظر بعضهم إلى بعض قائلين : « لقـد زاد قرباً . زاد قرباً » .

رددت هذه الكلمات نقرات التلغراف ، واهتزت بها أسلاك التلفون ، وجمع حروفها فى آلاف من المدن عمال المطابع يتناولونها بأصابعهم الملوثة ، « لقد زاد قرباً » ، ولم يلبث الناس أن فطنوا وهم يتحدثون فى آلاف من أنحاء الدنيا ، إلى ما تحتمله هذه الألفاظ من معنى رهيب .

ومضى اليوم كما مضى غيره من الأيام ، ثم بزغ هـذا النجم العجيب من جديد فى ظلام الليل الدامس ، وقد بلغ حينئذ من توهجه أن بدا القمر كأنه شبح شاحب . وكانت الدنيا كلها تلك الليلة مستيقظة ، وأخـذت الأجراس فى آلاف من أبراج الكنائس تدعوا النـاس أن لا يناموا بعد الساعة ، ولا يأثموا منذ اليوم ، بل أن يجتمعوا فى كنائسهم ضارعين إلى الله .

وظلت المنازل والطرقات مضاءة ، وتلألأت الأنوار فى أحواض السفن ، ولم يبق طريق يؤدى إلى الخلاء إلا أصبح غاصاً بالجماهير طول الليـل ، وخرجت السفن مزدحمة بركابها من موانئها إلى المحيطات موليّة شطر الشمال ، فقد أذاع البرق على العالم كله إنذارا أدلى به قطب أساتذة الرياضة جميعاً . قال : « إن النجم الجـديد هو ونبتون ، بعد أن التحما وصارا ذا شعلة واحدة ، قد شرعا يتقذفان رأساً إلى الشمس . وإن هذه الكتلة الملتهبة تسير بسرعة مئة ميل فى الثانية ، وفى كل ثانية تزداد سرعتها المخيفة ، وأنها فى مسيرها الآن تمر بالأرض

على بعد مئة مليون ميل ، ولـكن طريقها يمر بالقرب من فلك المشترى ، ذلك السيار الجبــار الذى يدور حول الشمس مختــالا بهيا ، تحف به أقماره . وكلما توالت الدقائق زادت قوة التجاذب بين هذا النجم الملتهب والمشترى أكبر السيارات . فما هى عاقبة هذا التجاذب ؟ لا مفر للمشترى من أن ينحرف عن فلكه ويسير فى مدار إهليلجى ، وأن النجم الملتهب سينحرف بقوة الجــذب عن طريقــه المستقيم إلى الشمس ويصبح خط سيره قوساً منحنية . وربما اصطدم بالأرض ، وإلا فهو ولا شك سيمر على مقربة منها . وتنبأ قطب أساتذة الرياضة بأن الأرض ستعمها « الزلازل والبراكين ، والأعاصير والسيول ، وأن درجة الحرارة سترتفع إلى حد لا يعلمه إلا الله . . . »

ولـكن ينبغى أن لا تظن أن الدنيا كلها قد شملها الرعب من مخافة هــذا النجم ، فتسعة أعشار النـاس ما زالوا منهمكين فى أعمالهم المعتادة . وقد أخذت الصحف تكرر وجوب الاعتبار بما حدث سنة ألف ، فقد توقع الناس يومئذ أن تقوم القيامة . وقالت عن النجم إنه غازات وحسب — وهو من المذنبات ، ولا يتأتى له أن يصطدم بالأرض ، ولم يسبق لهذا الاصطدام مثيل من قبل . وكانت الغلبة فى كل مكان للمتمسكين بأهداب العقل ، وكانوا يزدرون المستسلمين للخوف ، ويهزأون بهم ، بل قد يميلون إلى اضطهادهم . وقالوا إن هذا النجم سيكون تلك الليلة فى الساعة السابعة والربع حسب توقيت جرينتش أقرب ما يكون إلى المشترى ، وحينئذ سيشهد العالم كيف تتطور الأمور .

ولـكن الضحك قد انقطع بعــد ذلك ، فإن النجم نما ، واطرد نموه اطراداً مخيفاً ساعة بعد ساعة ، فصار أكبر حجما وأسطع ضوءاً ، حتى إنه قلب الليل نهاراً ثانيا . وفى الليــلة التالية طلع على أمريكا وهو فى مثل حجم القمر ، ساطعاً يغشى الأبصار ، ساخناً يشع الحرارة . ولما اشتدت قوته هبت معها ريح ساخنة .

وفوق ولاية فرجينيا والبرازيل ووادى سان لورنس أخذ هذا النجم يظهرُ ويختفى بين كِسَفٍ زاحفة من السحاب الراعد ، يشــقها برقٌ خافقٌ بنفسجى اللون ، كل هذا والبَرَدُ ينهمر انهماراً لم تشهد له الأرض من قبل مثيلا . وذابت الثلوج فى مانيتوبا ، وتدفقت سيول مخربة ولم يبق فى الأرض قمة جبل إلا بدأت ثلوجها فى الذوبان ، وانحدرت الأنهار من مصابها وهى تفيض بماء زاخر عكر تدور على سطحه الأشجار وجثث الحيوان والإنسان ، وارتفعت مياههـا

باطراد — إنه خليط من بهاء ورعب ، ثم فاضت على الشطآن تسوق أمامها سكان الأودية .

وعلى طول ساحل الأرجنتين حتى جنوب المحيط الهادى بلغ مدّ البحر علواً لا يذكر البشر قط أنهم رأوا له مثيلا . وقذفت الأعاصير بمياه البحر إلى الأرض مسافة أميال عديدة فأغرقت مدناً برمّتها، وارتفعت درجة الحرارة بالليل فى حين أن الشمس حين أشرقت بدت أشعتها كأنها ظلال ، وبدأت الزلازل . وفى أرجاء القارة الأمريكية كلها — من الدائرة القطبية إلى رأس هورن — مادت التلال وتشققت الأرض ، وتقوضت الدور والجدران تتلقفها أفواه الدمار .

وهكذا جاب النجم المحيط الهادى وخلفه القمر الشاحب ، يجرّ فى أذياله الأعاصير وجبالا من الأمواج ترغى وتزبد ، ثم تنهدّ على جزيرة فى إثرجزيرة ، وتجتاح من فيها من البشر . وأخيراً تحت ضوء يخطف الأبصار ، وريح حارة كأنها أنفاس أتون ، انتصبت موجة عالية ، بلغ ارتفاعها خمسين قدما ، وتدفقت جائعة تزمجر ، وتدفقت على الأرض ، واجتاحت سهول الصين . وما هى إلا برهة وجيزة حتى أضاء النجم وقد صار أشد من الشمس ، وهى فى أوجها ، حرارة وأكبر حجماً وأسطع تألقاً ، وهتك نوره الأستار عن تلك البلاد الواسعة الغاصة بالسكان ، فبدت مدن وقرى بمعابدها وأشجارها وطرقها وحقولها وقد انتشر عليها ملايين من سكانها يحدقون فى رعب العاجز إلى وهج السماء . ثم أقبل الطوفان، تسبقه إليهم همهمة خافتة ترتفع شيئاً فشيئاً . وكان هذا حال ملايين من الناس تلك الليلة: لا يدرون أين المفر ، ولا يقوون على السير من شدة القيظ ، وقد ضاقت أنفاسهم ، ومن ورائهم موجة المد كأنها جبل أبيض يعدو إليهم عدواً — ثم إنه هو الموت !

غمر الضوء الصين وأنارها ، أما اليابان وجاوة وكل جزائر شرق إفريقية فقد بدا فوقها النجم الكبير كأنه كرة حمراء من نار حامية ، وهذا من أثر الأبخرة والأدخنة والحمم التى تقذفها البراكين تحية لمقدم النجم! وظلت الأرض كلها تميد وتضج ، ثم إذا بالثلوج التى كانت تكسو جبال التبت والهملايا منذ الأزل ، قد أخذت تذوب ، وانحدرت تشق مجراها فى ملايين من الأخاديد إلى سهول بورما والهندستان . واشتعلت فروع الأشجار فى آلاف من المواضع فى غابات الهند الكثيفة ، على حين كانت جذوعها غارقة فى لجة طاغية من الماء ، وتحت سطحه خلائق ما تزال تقاوم

مقاومة ضعيفة ، وتنعكس عليهم ألسنة النيران حمراء كلون الدم . وفى هذا الهرج والمرج اندفع آلاف من الرجال والنساء إلى مسالك أودية الأنهار يفرون إلى آخر ملجأ للبشر : ألا وهو البحر الواسع العريض .

وأخذ النجم حينئذ يزداد حجماً وحرارة وضوءا بسرعة مفزعة ، وانعقدت الأبخرة فى أكاليل بشعة فوق الأمواج السود لا يهدأ اصطفاقها ، وتتناثر من فوقها سفن تتقاذفها العاصفة ، وانقلبت سهول الهند كلها تلك الليلة إلى مستنقع براق تنبت منه معابد وقصور وربى وتلال ، وقد احتشد على هامها الخلق ، وتجمع الناس على المآذن بعضهم فوق بعض ، فإذا صرعهم القيظ والرعب ، تساقطوا واحداً إثر واحد وابتلعتهم المياه العكرة .

ثم حدثت أعجوبة ، كان النجم سابحاً فى سماء الهند ، وإذا ظلٌّ قد أقبل وطوى هذا الأتون وقد يئس الناس من الخلاص منه ، وهبت نسمة باردة ، وتجمعت من الهواء الرطب غلالة من السحب . ولما رفع الناس إلى النجم عيوناً أوشك نورها أن يغيض ، رأوا قرصاً أسود يسعى إليه ويحجب ضوءه . إنه القمر يعترض بين النجم والأرض . وبينا الناس قد أخذوا يذرفون الدمع شكراً لله على هذا الفرج ، بزغت الشمس من الشرق بسرعة لا يمكن تعليلها ثم إذا النجم والشمس والقمر جميعاً تنطلق تجرى معا فى جو السماء .

ثم لم يلبث المتطلعون من أهل أوربا حتى رأوا النجم والشمس يشرقان معا ويسيران فى السماء قليلا ثم تخف سرعتهما ، ثم يسكنان ، ثم يصير النجم والشمس لهباً واحداً متوهجاً مستعراً فى كبد السماء . ولم يعد القمر يكسف النجم ، بل غاب عن العيون وضاع فى بريق السماء . أما الأحياء الذين عفا الموت عنهم فقد أخذوا يتطلعون إلى السماء كالبله لا يفهمون من دهشتهم شيئاً ، ومع ذلك لم يعدموا من بينهم رجالا أدركوا معنى هذه العلامات . لقد دنا النجم حتى أصبح أقرب ما يكون إلى الأرض ، وانجذب كل منهما نحو الآخر . ومر النجم وها هو يبتعد بسرعة تزداد ثم تزداد ، يقطع المرحلة الأخيرة من رحلته التى يهبط بها رأساً إلى جوف الشمس . تجمعت السحب وحجبت السماء ، ونسج الرعد والبرق كساء حول الأرض ، وانهمر وعم الأرجاء مطر غزير لم ير الناس مثله قط . وحينما كانت البراكين تقذف ألسنة حمراء من اللهب إلى ظُلل الغمام ، أخذت تنهمر سيول جارفة من الطين ، وانحسر الماء عن الأرض فى كل مكان ، وخلف وراءه

خرائب ملطخة بالطين ، وقد بدت الأرض كساحل اجتاحه إعصار ، قد تناثر فوقها كل ما كان طافياً على سطح الماء ، وجثث البشر والحيوان .

هـذه هى أيام الظلمة الفاشية التى تلت ظهور النجم والقيظ . ومرت أسـابيع وشهور عديدة والزلازل متوالية لاتنقطع.

ولـكن النجم كان قد مضى لطيتـه ، واستبد الجوع بالنـاس فأخذوا يجمعون شـتات قلوبهم رويداً رويداً ، وجعلوا يتسللون إلى مدنهم المخربة ، ومخـازن غلالهم التى ابتلعتها الأرض ، وحقولهم التى تنز بالماء . أما السفن القليلة التى كانت قد نجت من العاصفة فقد عادت تترنح محطمة ، وتتلمس طريقها بحذر بين الشعاب الجديدة التى نبتت فى الموانئ التى كانوا يعرفونها حق المعرفة من قبـل . ولما هدأت العواصف ، لاحظ الناس فى كل مكان أن نهارهم قد أصبح أشد حرارة مما كان من قبل ، وأن الشمس قد صارت أكبر حجما ، أما القمر فقد ضمر إلى ثلث حجمه السابق ، وأصبح يقطع دورته حـول الأرض فى ثمانين يوماً .

وقد اهتم الفلكيون من سـكان المريخ بهـذه الحوادث أكبر اهتمام ، فـكتب أحدهم يقول : « لو أنعمنا النظر فى حجم هذه القذيفة التى اقتحمت مجموعتنا الشمسية فى طريقها إلى الشمس ، وقدرنا كذلك درجة حرارتها ، لأدهشتنا ضآلة الأضرار التى أصابت الأرض ، وكانت على قيد شعرة من الاصطدام بها . فقد بقيت أعـلام القارات والبحار كما هى . وكل ما حـدث من تغيير هو أن اللطخ البيض عند القطبين (ولعلها ماء قد تجمد) قد تقلصت قليلا » .

وحسبك هذا فى بيان مقدار الضآلة التى تبدو عليها أعم النكبات التى تحيق بالبشر ، إذا ما نظر إليها من مسافة قصيرة ، إن هى إلا بضعة ملايين قليلة من الأميال .



الملـق ، هو أن تقول أشياء فى حضرة من تتملقهم ، لا تقولها فى غيابهم .

[ج . ميلنجتون]

كانت شمس الأصيل تلمع على ذروة كل موجة ، حتى لكأن الميناء كلها تضحك فى النور .

[مورين ديلى]

أصدق صديق للإنسان

الن ديفشو

[لا يستطيع إنسان قط أن يسبر غور خلق الكلاب ويعرفه معرفة تامة ، ولن يستطيع أحد أن يوفى إخلاص الكلب أو ألاعيبه وحيله أو فهمه الخارق للأشياء — حقها . إن حياة الكلب وصاحبه تزخر بمفاجآت لا تنفد . وقد تلقينا من القراء القصص التالية فمن ذا الذى يستطيع التفسير ؟]

النجدة



أتى كلب ضال من نوع الكولى إلى مقامى بكنتكى وصادق كلب صيدى العجوز بنش، حتى صارا لا يفترقان .

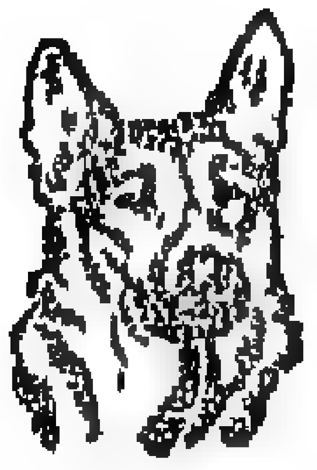
وذات ليلة افتقدنا بنش فلم نجده ، ونقبنا عنه وناديناه فلم نعثر له على أثر . ومر أسبوعان ونبهتنى جدتى إلى تصرف الكولى الغريب . قالت إنه كان لا ينفك طول النهار يجرى إلى حوض الماء ويملأ فمه منه يحاول أن يحمل الماء إلى مكان ما ، فلا يلبث الماء أن ينساب من فيه ، فيعود إلى المحاولة مرة بعد مرة . ترى ماذا كان يقصد من ذلك ؟

وراقبت الكولى فى تلك الليلة حين قدمت له عظمة اللحم فألفيته يهرع بها إلى التلال ، وعاد بعد وقت طويل ولا شئ معه ، فتذكرت قصة الماء ، وناولته عظمة أخرى فجرى بها واقتفيت أثره .

وفى شعاب الجبال البعيدة فى قعر فجوة ضيقة ، وجدت كلبي بنش أسيراً لا يجد له مخرجاً ، ولكنه كان حيا وفى عافية . وكان الكولى واقفاً كالديدبان على حافة الفجوة بعد أن ألقى بالعظمة الثانية إلى بنش .

[أرشى لويد]

تمارض



جاء بال كلبنا البوليسى الكبير ذات مساء إلى منزلنا الريفى يعرج عرجاً شديداً ، فغسلنا له قدمه الجريحة وعقمناها وضمدناها ، ثم شاهدناه يحجل إلى غرفة الجلوس ويتمدد لينام أمام المدفأة ، فلما كان الغد كان بال لا يزال متكاسلا فى غرفة الجلوس ، وظل كذلك فى اليوم التالى والذى يليه حتى أثار العطف عليه والاهتمام به . ورأينا أخيراً أن يخرج بال للنزهة فى الخارج حتى لا تتصلب قدمه ، واقتضى ذلك منا أن نغريه ونرغبه ونسوسه ، فلما رضى بالخروج فى النهاية كان كالذى يساق إلى الموت .

وبينا كان بال يعرج متباطئاً إلى الخارج لمح كلبانا الآخران أرنباً ، فاندفعا فى أثره وهما يضجان بالنباح ، وما هو إلا أن شاركهما

بال الطراد ، ورأيته يعرق كالسهم فى الخلاء متقدماً الكلبين الآخرين تقدم الكلب السليم المعافى .

ولما عاد ثلاثتهم كان بال يتواثب ويلعب على خير مايكون . وفجأة رآنى أرقبه ، فوقف لساعته عن الحراك ، وتدلى ذيله وئيداً بين رجليه ، ورفع قدمه الجريحة عن الأرض ، وحجل بال نحوى فى أسى والتياع ، وقد أعد نفسه مرة أخرى لحياة المريض وما يصاحبها من التدليل والعناية والترفيه .

[هيلدجارد لك]

مفقود وموجود



كنا فى نزهة فى إحدى حدائق شيكاغو ، فلما جمعنا أدوات الأكل استعداداً للعودة تأهب الجميع للمسير ، إلا كلبتى جولدى، وهى من نوع «الإسبانيل» ، فإنها أبت علينا ، فنادينا وصفرنا لها ولكنها هزت ذيلها وهمهمت ولم تبرح مكانها من العشب .

فعدت إليها أريد تأديبها ، فلما اقتربت منها ارتفعت همهمتها وزاد هياجها ، فلما صرت إلى جانبها تجلى الأمر وفهمت سر عملها .

كانت جولدى واقفة تحرس ساعة يدى الذهبية وكانت قد سقطت منى على العشب .

[ب . كروكت]

فى عمله



كان والدى خفير ليل فى بلدتنا بميسورى ، وكانت مهمته أن يمر على جميع دور الأعمال ويمتحن أبوابها ليستوثق من أنها محكمة الإغلاق ، وكان يصاحبه فى جولاته كلبه الدنمركى الكبير بج جورج .

وذات ليلة خرج والدى فى أمر يهمه ، ولم يبدأ جولاته إلا متأخراً ، فلما اقترب من أول تلك الدور لفت نظره آثار أقدام كلب على الثلج فى طريق الباب . لم يستغرب ذلك ، ولكنه حين وضع يده على مقبض الباب ألفى به بللاً . ووجد الحال على هذا المنوال عند كل باب : آثار أقدام كلب ومقبض به بلل ، ولم يزل كذلك حتى اهتدى إلى ما قد حدث، فدار بسرعة حول ركن إحدى الدور .

وهناك رأى بج جورج يمضى إلى كل باب ويمتحن بفمه مقبضه ، ولم يترك فى عمله هذا باباً واحداً .

[راى ستيفنس]



قصة حقيقية

من صميم الحياة

بقلم هيوج ماكنير كاهلر

كتبت قصة قصيرة عن الإقليم الجبلى الذى نشأت فيه ، فجاءنى على أثر ذلك خطاب من طبيب فى موضع سأكنّى عنه باسم كرو هولو « وكر الغراب » فى ذرى الجبال العظيمة . كتب هـذا الطبيب إلىّ يقول إنه فى وسعى أن أجد أقاصيص أخرى عن أهل الجبـال الذين يعيشون هنـاك فى ناحيته ، ومضى يحدثنى عنهم . وكانت هذه أول رسالة من الرسائل الكثيرة التى تلقيتها منه قبل أن يتاح لى لقاؤه .

وكنت وقتئذ قد عرفت الشئ الـكثير عن إقليمه وعن أهله ، وكان قد حدثنى عن أساليبهم المتقادمة العهـــد فى المعيشة وفى الـكلام ، وعن أغانيهم الشجية المحزنة ، وعن فكاهتهم ، وعن رقة أخلاقهم ، وحـدة غضبهم ، وعن خرافاتهم فى التطير والتفاؤل ، وعن جهالتهم وكبريائهم ، وعن شجاعتهم وصبرهم فى المكاره . ومع أن الدكتور ست جيفورد كان قليل الـكتابة عن نفسه ، فقد عرفت الـكثير عنه . لقـد طالعنى من بين سطور رسائله المطوّلة بصورة واضحة لذلك الطبيب الشاب الذى أعرض منذ نحو من أربعين سـنة عن الآمن ورغد العيش فى السهول المطمئنة ، ليخدم أهل الجبال ، كما طالعنى بصورة أوضح عن ذلك الطبيب وقد تقدمت به السنّ ولم يندم على ما اختار لنفسه .

فحين ذهبت إلى تلك البـلاد الجبلية لم يكن ذهابى إليها إلا لرؤية الدكتور جيفورد نفسه . ولم يكن ثمة فى تلك الأيام طريق إلى تلك الثنية فى الجبل العالى إلا بطون الجداول المتوعرة المفروشة بالحصباء والحجارة . ولقد قضيت نهاراً كاملا على ظهر بغلة استأجرتها ، وفى آخر النهار أشار حامل البريد ــ الذى اتخذته دليلى ــ إلى كوخ على الضفة الأخرى من مجرى ماء ، فلما عرضت عليه بعض المال جزاءً ، امتنع فى صمت ومضى فى سبيله .

وقرعت الباب ، فردّ صوت حاد مرتفع ، وانفتح الباب عن حجرة عارية الجدران ، أرضها من خشب البراميل ، وفى صدرها موقد بين رفوف فيها كتب وزجاجات وآلات للجراحة ، وفى أحـد أركانها سلم يرقى إلى باب مفتوح فى السقف . وكان الأثاث لا يعدو مائدة كبيرة من خشب الصنوبر مصنوعة فى البيت ، وبضعة مقاعد من أفلاق

شجر الجوز ، ومضجع مبنى فى الجدار .
وكان ست جيفورد راقداً فى المضجع ، وقد جمع ركبتيه تحت لحاف متعدد الألوان ، وكان وجهه مغضناً قد خدده الزمن والشمس والرياح ، ولكننى أدركت أن بعض أخاديده العميقة إنما هى أخاديد شقها الألم .

وبدأ يقول فى بطء ، وهو يتوقف بين الكلمة والأخرى ، كأنما كان كل لفظ يكلفه جهداً : « لقد كنت أشك فى وصولك قبل فوات الأوان . إن هذه الزائدة الدودية لن تبقى علىّ أكثر مما أبقت ، ولكن قد يتسع الوقت حتى تذهب فى طلب « سيم ماكى » . إنه على مسيرة ميل فقط ، بعد فرع هذا النهر تماما ـ أول بيت تلقاه » .

فلما أن استدرت لأذهب قال : « تمهل لحظة . قد يكون « سيم » فى هذه الساعة مخموراً أو معربداً . وإنه ليكره المجىء حتى لو كان مفيقاً . على أنه قد يجىء لو قلت له ما أنا قائله لك حرفاً حرفاً . قل له : إنه قد صارت لى بطن مثل لوح الخشب ، وأن بى فى كل موضع ألم كأقصى ما يحتمله إنسان ، وإن الكرات البيض فى دمى تبلغ العشرين ألفا ، وإن درجة حرارتى مرتفعة أى ارتفاع . والآن ، كرر ما قلته لك ، كى اطمئن إلى أنك وعيته على وجهه » .

ولم يدعنى اذهب حتى كررت كلامه مرتين ، وظللت أكرره وأنا مصعد فى الطريق ، وظللت كذلك أعجب أن يكون فى هذه الكلمات أى سحر يرد سيم ماكى رجلاً كما كان ، ودع عنك أن يعود طبيباً .

وكنت أعلم قصته من رسائل ست جيفورد ـ فهو ذلك الفتى الذكى القوى الذى أراد أن يكون طبيباً ، فهبط إلى المدينة مزوداً بما استطاع جيفورد ان يزوده به ، فجعل يكد ويكافح الجوع حتى شق طريقه فى المعهد وفى الكلية ثم فى مدرسة الطب . وهو ذلك الفتى الذى كان ست جيفورد يعول عليه ليكون شريكه وخليفته ، ذلك الفتى الذى فصل فى أول شهر من اشتغاله جراحاً مساعداً فى بعض المستشفيات إذ وجدوه سكران فى ساعات العمل ، فعاد إلى قطعة الأرض الصغيرة التى يملكها فى بلدته « كروهولو » ، كسيفاً صامتاً ، لا يعبأ بأن يصنع شيئاً خلا بعض الزراعة الطفيفة المضطربة ، إلا أن يعب من خمره .

ألفيته جالساً القرفصاء فى مدخل كوخ متخاذل متهدم ، وعليه رداء رث ، منفوش الشعر ، له لحية مشعثة كبقايا العيدان فى الحقل . وكانت عيناه تصرحان بالعداوة والشحناء ، ولم أر فيها أدنى تغير حين أبلغته رسالة ست جيفورد ، ولكنه قام من جلسته متئداً ـ فإذا به أطول قامة مما خيل إلىّ .

وبدا لى أن فيه بقية من قوة ، ثم قال :
« يا للشيخ الأحمق ! يصبر هنا على التهاب مزمن بالزائدة الدودية حتى يستفحل ! ماذا يحسب أنى مستطيع أن أصنع له ؟ » .
فقلت : « لا أدرى ، كل ما قاله لى إنه من الجائز إذا بلغتك رسالته أن تأتى إليه » .
فقال : « هذا ما أستطيعه » .
فرغبت إليه أن يأخذ بغلتى ، فقال إنه أسرع مشياً . ولم أكد أقطع مئة ياردة حتى كان قد غاب عن بصرى . ولما وافيتُ كوخ جيفورد ، كان ست جيفورد مستلقياً على المائدة الكبيرة ، وماكى يتجسس بطنه .
وقال ماكى : « أيها الشيخ المعتوه ! أنت عليم بأن هذا كان قميناً بأن يحدث فى أية لحظة ، وأنت عليم بأن ما ينبغى هو أن تذهب إلى المدينة وتستأصله . والآن » .
فهمس جيفورد وهو يلهث : « والآن أولى أن تكفّ عن الكلام وتعمد إلى العمل ، اللهم إلا إذا كنت ستقف هنا هذه الوقفة وتدعنى أموت ، لأنك لا تستطيع من فرط الفزع أن تصنع لى شيئاً » .
فصاح ماكى مغضباً : « من فرط الفزع ؟ أنا ؟ » ثم تغير صوته فجأة « ولماذا تزعم أن هذا هو شأنى ؟ » .
فقال جيفورد : « قد يكون لأن هذا شأننا جميعاً ، يأخذنا الفزع أحياناً ، وإن كنا من أهل القدرة على النفع » .
فهتف ماكى : « كلا ، أبداً ، ليس الأمر كذلك . أنظر إلى يدىّ » .
وكنت عند مدخل الباب ومع ذلك تبينتُ الرعشة فى يديه .
فقال جيفورد : «هو شراب المِزْر (الخمر المتخذة من الحنطة) الذى فعل بهما هذا . وشراب المزر هو الذى سيثبتها . فوق الرف الأعلى باطيةٌ منه ، وأنت لابد تعرف الآن مقدار حاجتك منه » .
فأنزل ماكى الباطية ، وأترع قدحاً من الشراب الأبيض ، وعبّه كما يعبّ الماء ، ووضع السداد فى فم الباطية ، وتوقف لحظة ، ثم أعادها إلى مكانها من الرف ، وهو يقول : « هذه البقية من الشراب قد أكون أشد حاجة إليها إذا انتهيت من العمل » .
وبدت فى صوته نغمةٌ جديدة ، وخيّل إلىّ أنه الساعة أفرع قامةً وأكثر طولا ، وتمتم : « الأفضل أن أجريها مع الاكتفاء بتخدير الموضع ، أليس كذلك ، حتى تستطيع أن تعاوننى إذا خرجت عن جادة الصواب ؟ » .
فأجاب جيفورد : « لن تخرج عن جادة الصواب » .
ولم أكن قد شهدت جراحة فى حياتى ، فلم يكن ينتظر منى عون ، ولذلك كان همى كله مراقبة يدى ماكى . وليس لى من

سبيل إلى الحكم على حذقها ، ولكننى شهدتهما ثابتتين لا ترجفان ، وبدا لى أنهما ماضيتان فى عملهما بوثوق ، وسرعة أيضا . ولم يطل بى الانتظار حتى سمعت ماكى بصوته الجديد يقول لجيفورد : إن كل شىء على ما يرام . ثم بعد برهة قصيرة انتهى كل شىء .

ورفعنا جيفورد عن المائدة وأعدناه إلى فراشه وتركناه نائماً . وقصد ماكى ناحية الرف ، ورأيته يتنفس الصعداء وقد مدّ يده إلى الباطية وأترع القدح ، ولكنه عاد فوضعه دون أن تمسه شفتاه ، وهو يقول : « الأفضل أن أدعه حتى صباح الغد ، فإنى بعد أن أقضى الليل كله ساهراً أرعى هذا الشيخ المأفون ، سأكون عندئذ أحوج إلى هذا القدح » .

فقلت : « أنا أستطيع السهر عليه » .

فهز رأسه وقال : « أنت لا تعرف ما ينبغى عمله . لا ، ياسيدى ، إنما تذهب فتضع بغلتك فى الزريبة وتقدم لها العلف ثم ، تأوى إلى مرقدك » وأشار إلى السلم الذى يفضى إلى الغرفة العليا . ففعلت كما أمر .

ولما نزلت فى صباح اليوم التالى كان لا يزال على المقعد المتخذ من أفلاق شجر الجوز إلى جانب فراش المريض ، فداخلنى أول الأمر العجب من أن يكون من شأن الجلوس والسهر طوال الليل أن يجعل الرجل يبدو أصغر مما كان سناً وأوفر قوة وأنشط همة . ثم تبينت بعدها أن الرجل قد استعار موسى جيفورد ، فظهر وجهه بغير هذا الهشيم الكث الذى كان فى عارضيه ، وعلى الرغم من الغضون حول فمه ، وجه رجل فى شرخ الشباب ، وقد زالت عنه سيماء الفزع .

وكان قدح ويسكى المزر الأبيض لا يزال فوق الرف على حاله لم تمسسه شفة .

وليس يسعنى إلا أن أقول إن سث جيفورد كان يعرف ما قد تحدثه حاجته الخطرة العاجلة من أثر فى سيم ماكى ، وما كان لها من فائدة لأهل هذه الناحية ، الذين كان أملهم الوحيد فى أن يكون لهم خلف للدكتور جيفورد ، معلقاً على أن يجعل جيفورد من سيم خليفة له .

وإذا كان قد انقضى اليوم على وفاة الدكتور سث جيفورد زمن بعيد ، فإن بلدته الجبلية لم تخل من طبيب ، وهذا الطبيب سوف يسره — على ما أظن — أن يقرأ هذه الكلمة عنه ، ولعله يجد شيئاً واحداً ينقصها . فلربما كان يود لو ذكرنا سث جيفورد باسمه الحقيقى ، ولو اضطرنا ذلك إلى تسميته هو — بدلا من سيم ماكى — باسمه الحقيقى أيضاً .

آراء للمناقشة

حسب النساء من الحلم والعقل ، او أدركن أن الرجل الذى لم يحب إلا امرأة واحدة ، فهو رجل لم يحب امرأة قط .

[كريستوفر مورلى]

هــذا أوان أن نبطل تلك الحماقة التى درجنا عليها من أن بعض العمل شريف وبعضه غــير شريف . فكم من غلام ودّ لو يصير ميكانيكياً فى الطيران أو حلاقاً أو نافخاً فى مزمار ، فراح ضحية كبرياء والديه فتراها يحاولان أن يحملاه على مزاولة عمل درجا على إعظامه ، فإذا هو يصبح موظفاً لا يحسن العمل ثم هو لا يجد ما يعمله . وثمة نقص فى العمال الحاذقين ، ولــكن ما أقل من يجرؤ من الآباء على أن يولى بولده شطر المصنع لا المكتب .

[بروس بارتون]

الرقص فى نظرتى الساخرة عمــل من أشــد أعمال الحياة سخفاً وهتكا لأستار النفس . فهيئة الراقصين وحركاتهم وملامحهم الناطقة تكشف ما لا يستطيع أن يكشفه شيء ، من غرور المرء وشهواته ، سواء فى ذلك رقصة الفالس أو تواثب المتوحشين ، فهو أشبه ما يكون بالأشعة السينية تعرض فلماً لدخيلة نفس الراقص . فكل ما كان فى النفس من طبيعة لم تهذب أو طوية كامنة ، يطفو على السطح فيراه الناس .

[جيليت برجيس]

مهما كثرت فتن الحياة فهى قليــلة . والفضيلة بغير ملابسة للفتنة ، لا قيمة لها بل لا معنى لها . ولعلك إن واجهت الفتنة واستعصمت دونها حصّنت حمى الحياة ، وإن واجهت الفتنة وانقــدت لها زدت ذخيرتك من تجارب الحياة . أما من لم يطق أن يواجهها فغير خليق بأن يعيش ، فإن الفتنة أصــل من أصول ذلك النضال الذى هو جوهر الحياة .

[هافلوك إليس]

كثيراً ما سمعت النساء فى الولايات المتحدة يقلن : « إن الأزواج الأمريكيين تعوزهم الصبابة والغزل » . فإن صحّ هذا فأنا ألوم الزوجــة الأمريكيــة . فهى فى إبان الخطبة ساحرة فاتنة ، فإذا ماظفرت برجلها فترت ، وصرفت كلّ دلالها وجلّ عنايتها إلى غــيره من الناس . إنها تدخر رقتهــا وحــلو حديثها للمآدب والحفلات ، حتى تخيل إليك أن حرصها على أن تتيم زوجها ، مضيعة لوقتها .

[أولجا ألاشيف]

استهدفت حياة فرتز كريسلر الموسيقية لكل النكبات التى تتصل بفنه ، ولكن . . .

الأستاذ الموسيقار لم يزل يعزف

دورون ك. انتريم

ملخصة عن مجلة "وشنطن بوست"



لم يكن أروع ألحان الموسيقار فرتز كريسلر صوتاً عزفه على المسرح فى حفلة من الحفلات الموسيقية الصاخبة ، بل فى غرفة ساكنة من غرف أحد المستشفيات ، وكان جمهوره من السامعين لا يعدو شخصاً واحداً.

فى اليوم السادس والعشرين من إبريل سنة ١٩٤١ ، كان الموسيقار يسير شارد اللب فى أحد شوارع نيويورك ، فاصطدم بعربة نقل . ومضت أيام وهو طريح الفراش فى غيبوبة ، وقد أصابته شجّة فى جمجمته وإصابات أخرى داخلية . وبعد شهر كامل بين اليأس والرجاء ، بدأ الأطباء يأملون فى نجاته . وكانت مسز كريسلر زوجته مرابطة طوال هذه المدة إلى جانب فراشه ليل نهار .

وكان الموسيقار فى بداية شفائه لا يذكر شيئاً ، ثم أخذ يلمّ الشتات من حوادث حياته ويربط بينها فى ذهنه شيئاً فشيئا . ولكن السؤال الأعظم الذى كان يساور الأذهان لم يزل بغير جواب : أيستطيع كريسلر فى يوم من الأيام أن يعاود العزف ؟ إن يديه سليمتان لم يمسسهما أذى ، ولكن الذى يخشونه أن يكون قد ألمّ بعقله شىء . وكانت مسز كريسلر لا تطاوعها نفسها على التصريح بما يخالجها من القلق من هذه الناحية ، فعمدت إلى الحيلة ، فأحضرت ذات يوم قيثارة ، وزعمت عرضاً فى كلامهما أنها قد أنسيت فقرة من قطعة موسيقية (كونشرتو القيثار لمندلسون) ولم تعد تذكرها ، وسألته أن يعزفها لتتذكر ما نسيته .

فتناول كريسلر القيثار غير مرتاب فى دعواها ، وأصلح أوتارها وأسندها إلى ذقنه . وأمسكت مسز كريسلر أنفاسها ، ولم تلبث أن جاء الجواب . لقد عزف الفقرة أروع العزف ، كعهده الأول من إحكام الصنعة وإشراق التعبير .

وسرعان ما تم شفاء كريسلر بفضل قوة بنيته ، وأذاع للمرة الأولى فى حياته سلسلة من الحفلات الموسيقية فى الراديو . وكان الراديو قد حاول سنوات طوالا أن يستدرجه

بما كان يعرضه من المبالغ الطائلة . ولكنه كان يبغض هذه الإذاعة ، وذلك أنه كان ذات يوم يلعب الورق مع بعض أصحابه ، ففتح مضيفه جهاز الإذاعة عن سيمفونية « بتهوفن » التاسعة يعزفها العازفون بقيادة توسكانيني . فأذهلت الموسيقى كريسلر عن إحسان اللعب فضاق به زميله ، فأقفل الراديو .

فكان من أثر ذلك أن عقّب الموسيقار فيما بعد على ما حدث بقوله : « إنه امتهان للموسيقى البديعة أن يقطع صوتها هذا القطع الفجائى » ثم قال : « إن الناس حين يحضرون فى بهو الحفلات الموسيقية يحضرون خاصة لسماع الموسيقى . أما الموسيقى فى الراديو فيغض من شأنها أنها تجيئهم عرضاً ومن غير أدنى سعى منهم » . أما الذى حمله فى آخر الأمر على الإذاعة فى الراديو فهو ما كان من زيادة الإلحاف من الجمهور الذى لا قدرة له على حضور الحفلات الموسيقية .

ولقد ظهرت عبقرية كريسلر وهو طفل ، ومع ذلك فقد اكتهل قبل أن تظفر حفلاته بجمهور كبير . وكان مولد كريسلر فى سنة ١٨٧٥ ، وكان فى الرابعة يعزف على قيثارة صغيرة . وقد تلقى دروسه الأولى على أبيه ، وكان من أطباء فينا . وسرعان ما صار يلح فى أن يعزف رباعية وترية مع أصحاب أبيه ، وقد انتهى الأمر بأن أشركوه فى قطعة صعبة ترضية له . ولقد بلغ من إعجاب العازفين بصفاء نغماته واستقرارها أن انقطعوا واحداً بعد الآخر عن العزف حتى صار فريتز يعزف وحده مستغرقاً ، وقد نسى كل شىء إلا الموسيقى .

والتحق كريسلر فى السادسة من عمره بالمعهد الموسيقى بفينا ، وكان أصغر طلابه سناً ، وقد نال المدالية الذهبية للمعهد فى سن العاشرة ، ثم ذهب بعدئذ إلى معهد باريس الشهير فحصل فى الثانية عشرة على أعلى درجات الشرف — على الجائزة الكبرى .

وكان فريتز فتى طويلا نحيلا فى الرابعة عشرة من عمره ، حين قام بأولى رحلاته إلى أمريكا مع عازف البيانو مورتز روزنتال . وما زال كريسلر يضحك حين يذكر بعض ما رآه من مناظر فى سنة ١٨٨٩ ، ومن ذلك أنه مرّ فيما مرّ به من البلاد الأمريكية بمدينة « بت » من مدن المناجم فى إقليم مونتانا ، وأحيى حفلة موسيقية فيها ، وقد حذف من البرنامج قطعة « شاكون » للمؤلف الموسيقى « باخ » خشية أن يستثقلها الجمهور لخلوها من المصاحبة ، وجعل بدلا منها قطعة « كرنفال مدينة البندقية » . وانتهت الحفلة وأوى إلى غرفته فى الفندق . وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة أيقظه طرق شديد

على باب غرفته ، فإذا راعٍ من رعاة البقر ومعه ابنته الصغيرة ، وفى يده برنامج الحفلة ، وقد أشار إلى القطعة المحذوفة ، وطلب من الفتى الموسيقار أن يسمعها هنا وفى الحال ، وإلا . . . . وأشـار إلى مسدسه . فعزف الموسيقار القطعة ، وعندئذ قال الراعى ، « إنها حقيرة » وجرّ ابنته ومضى .

ولم يفِ ما حصّلوه من الرحلة بنفقاتها ، وعاد كريسلر إلى فينا وقد كره اتخاذ الموسيقى صناعة له ، فطرح قيثارته جانباً عشر سنوات ، وأقبل على دراسـة الطب والفن ، وقضى مدة الخدمة العسكرية المقررة .

ولـكن نداء الموسيقى كان يهيب به ملحّـا ، فعاد إلى العزف فى أوروبا وأمريكا . وأعقبت ذلك سـنوات عجاف تثبط العزم وتبعث على اليأس ، ثم تهيأت له أكبر فرصة فى حياته فى لندن ، وهى الاشتراك فى « أوركسترا لندن لمحبى الموسـيقى » لعزف قطعة « كونشرتو القيثار » لبتهوفن . واتفق فى تلك الليـلة أن كانت مدينة لندن تدوى بأنباء الحرب .

لقد وقعت حادثة من أشهر حوادث سنة ١٩٠٠ ، فقد استطاعت حامية مافكنج فى جنوب إفريقيـة رفع حصار البوير عنها بعد أن دام سـبعة شهور . وقد صـدرت الجرائد فى صباح اليوم التالى مملوءة بأخبار هذا النصر — ولم يرد فيها سطرٌ واحد عن كريسلر .

ولقـد عاكسته الأيام أيضاً فيما يتعلق بمؤلفاته الموسـيقية وتقديرها حق قدرها ، فظل سنوات عدة لا يستطيع أن يجد لهـا ناشراً . وفى آخر الأمر ألتى بعضهم نظرة عليها وأبدى استعداده لشراء ست قطع منها بسعر ٢٥ ريالا للقطعة ، فرفض كريسلر العرض ، ولم يلبث أن كتب إليـه أخوه « هيجو » — وكان عازفاً بارعاً على القيثارة الـكبيرة — يخـبره بأنه لن يستطيع المضى فى دراسته الموسيقية لنفاد ما كان معه من مال ، فلم يسع كريسلر إلا أن يرسـل إليه القطع الست ليبيعها بالثمن المعروض ويقبض ثمنها . ولقد كان من بينها القطعة المشهورة « خطـرة من خطرات فينا » .

ومع أن كريسلر ظهر فى الحفلات مرةً بعـد أخرى فى أمريكا ، جاهداً فى كسب جمهور وفىّ له ، فقد اقتضى الأمر قيام حرب ليـكون اسمه معروفاً لدى الجمهور الأعظم . فلقد كان كريسلر ضابطاً احتياطياً فى الجيش النمساوى ، فدعى إلى الخدمة فى الحال على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى ، وشهد القتال فى الخنادق ، وجرح وأعفى من العمل فى الجيش قبل أن تمضى على الحرب سـنة . وقد نشرت الصحف الأمريكية أخباراً عنه بهـذه العناوين « كريسلر قُتل فى ساحة

الوغى» «كريسلر لن يعزف بعد اليوم ».

وفي أواخر سنة ١٩١٥ ظهرت إعلانات كبيرة تعلن عن حفلة موسيقية للموسيقار كريسلر في بهو كارنيجي في نيويورك ، ونفدت التذاكر كلها ، وامتلأت المقاعد حتى الأفاريز العليا . وخرج كريسلر ، وقد بلغ الأربعين ، يظلع فوق المسرح متوكئاً على عصا ، وانتظر خمس عشر دقيقة حتى هدأ التصفيق . إنه كان بهذه البراعة والقدرة على العزف منذ عشر سنوات بل منذ عشرين عاماً ، ففيم هذا التهليل اليوم ؟

إنه الجمهور يتطلع إليه اليوم ليرى بطلا من أبطال الحرب ، وبذلك قفز كريسلر في ليلة واحدة إلى طبقة العازفين الذين يتقاضون ٣٠٠٠ ريال عن الحفلة الواحدة .

واضطر كريسلر إلى طرح قيثارته جانباً مرة أخرى حين دخلت الولايات المتحدة في الحرب . ثم كانت الهدنة فاشترك في الحفلات الخيرية للصليب الأحمر ، ولكن كثيراً ما كان غلاة الوطنية من المحاربين القدماء يتهجمون على البهو ويطفئون الأنوار ، ويسمونه بأقبح أسماء الهمجية التي كانوا يطلقونها على الألمان .

وكانت سنة ١٩١٨ ، والضغائن القديمة لم تزل لها بقية باقية في النفوس ، حين ظهر الموسيقار في بهو كارنيجي بنيويورك وهو غاصّ بالناس ، وتحركت القيثارة ، واهتزت بالحياة تحت أنامله ، متغنية بالأمل ، والحب ، والشجاعة الرفيعة السامية ، والنصر بعد الجهاد ، ثم السلام ، وإنها لتناجي كل واحد من السامعين الحاضرين أن الحياة يمكن أن تكون جميلة ونبيلة . وتعالت الأصوات بالاستحسان « مرحى ! مرحى ! » ، وعلى رأس الصائحين موسيقار فرنسي لم يخاطب كريسلر بكلمة منذ قامت الحرب ، وقد زاد على صياحه أن اندفع إلى الباب الخلفي للمسرح بعد انتهاء الحفلة ليعانق كريسلر .

والآن أصبح كريسلر مواطناً أمريكياً ، ولم تطأ قدمه ألمانيا منذ ولي الأمر فيها هتلر ، ولقد صادر النازيون بيته بالقرب من برلين ، وأخذوا معظم ما جمعه طوال حياته من طرائف الفن النادرة .

وأما مفتاح السر في عزف كريسلر ، فهو ما لعزفه من صفة شخصية . فقد وجد « الدليل المشترك » بين الموسيقي والسامع ، أو على حدّ قول بعض السيدات : « لكأنّ هذا الرجل يعزف لي خاصة » .

ثم هو موضع حسدٍ من زملائه ، لأنه لا يطيل التدرب على عزف ما يعزفه . وقد قال الموسيقار رحمانينوف ، وهو ممن يقضون الساعات الطوال يتدربون : « إن كريسلر في غير حاجة إلى التدرب . إنه يحيي الكثير من الحفلات » .

ويفسر لنا كريسلر الأمر فيقول إنه يبالغ في الانتباه وحصر ذهنـه في أثناء تدربه ، ومن ثمة كانت ساعة واحدة في اليوم تكفيه ، كما أنه يستطيع التدرب على العزف أينما كان من غير قيثارة . بل بمجرد قراءته الموسيقى وتمثُّل عزفها في ذهنه . ولقد أتقن حفظ أكثر من قطعة على هذا النحو في القطار ، ثم عزفها للمرة الأولى بعد ذلك في حفلة عامة .

وهو يجيـد العزف على البيانو مثل إجادته العزف على القيثارة ، وهو يعزف أيضاً على القيثارة الكبيرة والطنبور . وجملة الأمر أنه قادر على كل ضرب من ضروب الموسيقى إلا الغناء ، فإذا حاول الغناء أدخل السرور على الكلاب وأزعج امرأته . ولعله كان يصير من أعلام الرياضة لو لم يشتغل بالموسيقى ، فهو من الأفراد القلائل الذين يستطيعون شرح نظرية أينشتين .

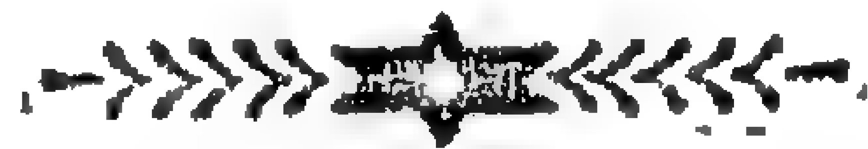
ولقد شغل الناس منذ سنوات يوم تبين أن كريسـلر هو مؤلف مقطوعات كانوا يزعمونها لبعض القدماء من أقطاب الموسيقى ، وذلك أن كريسلر في بداية أمره لم يكن يجد مقطوعات قصيرة للعزف على القيثار صالحة لبرامجه ، فجعل يؤلف ما يحتاج إليه منهـا . ولم يشأ أن يملأ البرامج باسمه على معظم القطع ، فكان يكتب على المقطوعات هـذه الكلمة « على طريقة فلان » ويذكر اسم هذا أو ذاك من الأساتذة الأقدمين ولا يضع اسمه ، ثم أخذ زملاؤه بعد ذلك يستعيرون مخطوطة هـذه المقطوعات غير المطبوعة ويدخلونها في برامجهم . وأخيراً قبل كريسلر طبعها مع هذه العبارة بلغات ثلاث : « هذه الأنغام قد دخلها من التصرف ما قد يجعلها مؤلفات جديدة » ، ولكنها اعتُبرت مع ذلك مؤلفات أصلية لكوبرين وفيفالدى وغـيرهم ممن ذكروا معها .

وانجلى الأمر عام ١٩٣٦ حين اتصل « أولين دونز » ، ناقد الموسيقى في صحيفة التايمز النيويوركية ، بالناشرين في شأن كراسة مقطوعات « بونيانى » التي كان يعتمد عليها في محاضرة موسيقية . فقد قيل له إن هذه المقطوعة وكثير غيرها من وضع كريسلر . فنشر الناقد الخبر ، وعقّب على الأمر بأنه « مثال من أعجب الأمثلة على عبقرية الفنان » .

ومن المعلوم أن متعهدى الحفلات المحلية الذين يتفقون مع الفنان على أجر عظيم لحفلة من الحفلات يضيع عليهم المال إذا ساءت الحالة الجوية ليلة الحفلة ، ولكنه لم يقع لمتعهد من المتعهدين مع كريسـلر أن ضاع عليه ماله . فمنذ أن بدأ كريسلر يتقاضى الأجور العظيمة ، جعل من ديدنه أن يرد على المتعهدين ما لهم إذا حصل مثل هذا العجز في دخل الحفلة . ولعل خير الأمثلة الدالة على حقيقة

نفسه وكرم سجاياه ، ما جرى ذات ليلة فى قطعة يتناوب عزف إحدى فقراتها عازفان ، واحد على القيثار ومصاحب له على البيانو . فقد وقع من المصاحب خطأ فى عزف الفقرة ، فأعاد كريسلر الخطأ نفسه فى عزفه الفقرة على القيثار حتى لا يفتضح غلط زميله . ثم إن أساليبه فى العيش بسيطة ، فليس له خادم ولا سكرتير ، وإذا سافر كان سفره فى المركبات العادية ، وهو الذى يحمل حقائبه بنفسه .

وكريسلر — وإن يكن صاحب قريحة متعددة الجوانب — فهو موسيقىٌّ قبل كل شىء . وكان يصرف معظم وقته مثل كل فنان محب لفنّه فى طلب « الصوت » ، فى طلب القيثارة التى تحمل السامع إلى ماوراء هذا العالم . وهذا ولا شك مطلب عسيرٌ كثير التكاليف ، ولقد دفع ٤٠٠٠ ريال ثمناً لقيثارته الأولى ، ودفع ١٠٫٠٠٠ للثانية . ثم وقع بعد ذلك فى هوى حسناء من القيثارات الحسان كانت فى معرض تاجر من تجار لندن . والتمس كريسلر صاحبها ، وكان من الهواة الأغنياء ، فعلم منه أنها ليست للبيع . وقد تلطف هذا الهاوى الفنى الخبير ، فأخرج القيثارة من علبتها وقال له : « اعزف عليها » . ورفع كريسلر القوس ، وأخذ يأتى عليها بمعجزات سحره . وعندئذ قال صاحب القيثارة : « هى لك . إنى أحبها ، ولكنك القادر على إحيائها ، وليس من حقى أن أبقيها عندى خرساء جامدة » .



نواة قصة

تلقت إدنا فربر الروائية الأمريكية رسالة تلفونية من أحد مديرى شركات السينما فى هوليوود ، فأعرب فيها عن رغبته فى محادثتها فى موضوع روايتها الجديدة التى ملأت ٥٠٠ صفحة . ثم قال : إنه واثق بأن الرواية تحتوى على نواة قصة .

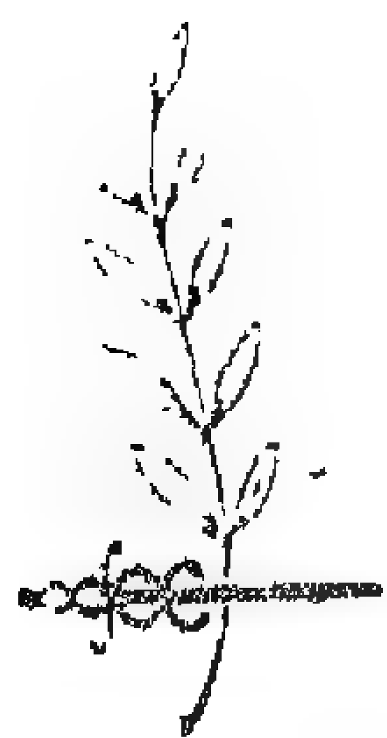
[ذى نيويوركر]



لا ينبغى لأحد أن يحمل أكثر من نوع واحد من أنواع الهموم ولكنّ بعضهم يحمل أنواعها الثلاثة : همومه الماضية ، وهمومه الحاضرة ، وما قد ينزل بساحته من همٍّ فى المستقبل .

[ادورد إفريت هيل]

فى أيدينا اليوم الوسائل الكفيلة بإنقاذ ضحايا السرطان فى الأجزاء القريبة المنال من الجسم



خمسون ألفاً يمكن أن يعيشوا

بول دى كروف

خمسون ألفاً من ضحايا السرطان يموتون كل عام فى أمريكا بلا مسوغ ، من جراء إهمال علاجهم فى مبدأ أمره . وكان إنقاذهم مستطاعاً ، لأن الأورام السرطانية تصيب أجزاء من الجسم يطلق عليها الأطباء اسم «الأجزاء القريبة المنال» ، وتشمل هذه الأورام السرطانية القريبة المنال سرطان الجلد والشفة والفم والحلق وعنق الرحم ، فإن الوصول إلى هذه الأجزاء يسير على الجراح وهو أيسر على سحر الأشعة السينية ذات الضغط العالى والراديوم . فالأشعة السينية والراديوم قد أصبحا الآن فى يد العامل الحاذق نجاة للمريض وهلاكاً للسرطان .

وما من شك فى أن السرطان قد صار اليوم أطوع أمراضنا الفتاكة انقياداً للعلاج ، إذا استثنيا الالتهاب الرئوى . وموطن الضعف فيه أن السرطان فى بدايته يكاد يكون موضعياً فى جميع الأحوال .

من أبسط قواعد الفطنة أن يعجل الإنسان باستشارة الطبيب عندما تبدو له أول بادرة من الشك فى إصابته بمثل هذا المرض المميت ، كأن يشكو مثلا من قرحة عصية ، أو ورم تحت الجلد ، أو بحاح مزمن ، أو نزف مجهول السبب من أى منافذ الجسم كان .

ومع ذلك فإن ثلاثة من كل أربعة من المصابين بالسرطان لا يزالون يقطعون هذه المرحلة التى يتيسر فيها الشفاء ، قبل أن يدخلوا العيادات الطبية حيث تتاح لهم أسباب النجاة . ومرجع هذا الإهمال إلى أنهم لا يحسون ألماً ، وأنهم يخافون مبضع الجراح الباتر ، وإلى علمهم أن القوة الجديدة الشافية فى الأشعة السينية والراديوم لم تزل موضع ريبة ، من جراء ما يسند إليها من الحوادث التى لم يعد وقوعها أمراً محتوما .

لقد شحذت هذه الأسلحة الجديدة فى مستشفى الأورام بشيكاغو لشن حرب على سرطان الحنجرة . والأمل فى شفاء سرطان الحنجرة أمل مشوب بالفزع . وكل بحاح فى الصوت يدوم أكثر من أسبوعين ينبغى أن يثير شبهة الإصابة به ، فيجب عندئذ أن يستشار طبيب متخصص فى أمراض الحلق . هذا وتشخيصه — سلباً أو إيجاباً — أمر يسير ، وهو عادة بطىء التفشى ، وجراحة

محدودة تجرى فى أوائله قد تبرىء ثمانى من كل عشر من ضحاياه . لكن الأمل الوحيد فى برئه فى أواخره هو استئصال الحنجرة ، ويفقد المريض صوته الطبيعى ما عاش . والخوف من هذه النهاية هو علة إخفاقنا اليوم فى خفض نسبة الوفيات بسرطان الحنجرة ، الذى يقضى كل عام على ١٥٠٠ من ضحاياه يموتون مختنقين فى ألم بطىء .

إن وسيلة مكافحة هذا الاختناق فى معهد شيكاغو للأورام هو علم أدنى إلى الهندسة البيولوجية المتفوقة فى دقتها منه إلى الطب . ويشرف على معداته العالم الطبيعى الدكتور آرثر كومتون حائز جائزة نوبل للطبيعة . وبدلا من أن يسدد علماء السرطان سلاح الأشعة السينية والراديوم إلى الأنسجة المريضة والسليمة ، دون تمييز ، معرضين السليمة للأذى ، فإنهم يرمون بدقة وإحكام قلب الهدف ، وهو السرطان نفسه . فأشعتهم أصبحت الآن بندقية قوية تسدد إلى سبب الموت الخانق .

وقد أقاموا الدليل على هذا الإحكام الجديد فى الرماية سنة ١٩٤٢ يوم أنقذوا حياة أستاذ شاب من أساتذة القانون فى البرازيل ، فقد بلغ منه سرطان الحنجرة حتى أصبح يشق عليه الهمس ، ونقص وزنه ٢٠ رطلا ، فبعث به الرئيس فارجاس إلى الولايات المتحدة . وكان أطباء البرازيل وأمريكا مجمعين على أن لا رجاء فى حياته إلا باستئصال حنجرته ، ولما كان خطيباً مفوها فقد رفض هذا العلاج رفضاً حاسماً . وآثر الموت على التدمير الذى يلحق حياته .

والحنجرة وإن كانت دفينة فى الحلق ، إلا أن القوة النافذة للأشعة السينية من جهاز المعهد الذى صعطه ٤٠٠,٠٠٠ ڤولت ، قد استطاعت أن تصل إليها بسهولة . وقد رقد الأستاذ الشاب تحت فوهة هذا المدفع الضخم المنقذ للحياة رقدة مريحة تعينه عليها أكياس من الرمل تمنعه أن يتحرك معشار بوصة . ثم أعد علماء الأشعة عدتهم لحماية الأنسجة السليمة المحيطة بالسرطان من الأذى ، ووضعت علامة على ظاهر عنق المريض تعين تعييناً بالغ الدقة موضع السرطان فى حلقه ، واتخذت هذه العلامة هدفاً للأشعة غير المنظورة ، وبدا الهدف واضحاً على الجلد تحت أشعة جهاز جامع للضوء يشبه مصباح النور الكشاف .

وظل الورم السرطانى أحد عشر يوماً ينسف بالإشعاع الشديد ، كل يوم مرتين . وكان مدفع الأشعة السينية يسدد من موقع يكفل فتك الأشعة بالسرطان دون أن يؤثر فى الأنسجة السليمة ، ماقرب منها من النسيج المصاب وما بعد عنه . وظلت المنطقة التى

سدد إليها الأشعة تنكمش رويداً رويداً نحو قلب السرطان ، وظل مسار الأشعة الدقيق يحدده الجهاز الذى يجمع الضوء فى بؤرة كالنور الكشاف ، فكان متخصصو السرطان فى المعهد على ثقة من المكان الذى يسددون إليه أشعتهم ، فلا ينال الأنسجة السليمة الرقيقة المحيطة بالسرطان إلا أضأل نصيب ممكن من الأشعة السينية الفاتكة . وحين أوفى العلاج على النهاية سلط على قلب السرطان ، وهو أشد مافيه استعصاء ، مقدار مدمر من قوة الأشعة السينية التى رفعت طاقتها رفعاً مطرداً .

لقد كان هــذا استئصالا فائق الإحكام لخلايا السرطان ، وكان أدق كثيراً من مبضع أى جراح ، فلم يلحق الخلايا السليمة إلا أيسر الضرر . وقد كان الإشعاع ولا ألم منه ، فلم يشعر المريض بشىء على الاطلاق .

وقد كان أمر هذا الأستاذ الشاب كأمر الذين يعالجون الآن بهذا الإشعاع المركز فى معهد شيكاغو للأورام ، فلم يصبه من مساوىء الاشعاع المخوفة إلا رد فعل طفيف على الجلد ، وبرىء حلقه برءاً كاملا ، وعاد إليه صوته خلال أربعة أسابيع ، وفى نحو ستة أسابيع اختفى السرطان . وهو اليوم ، بعد عامين ونصف عام ، معافى تام العافية ، يمارس صناعته كما كان .

إن تحويل الأشعة السينية والراديوم من أسلحة موت إلى أسباب تهب الحياة ، حادث من أغرب حوادث التاريخ البشرى وأقربها إلى الخيال . فالأشعة السينية فى نشأتها الأولى وبعقب اكتشافها مباشرة ، كانت تؤدى فعلا إلى السرطان الذى تستطيع أن تبرىء اليوم منه . وكثيراً ما أصيب القائمون بتجربتها من الجراحين والأطباء بحروق من هذه القوة الهائلة التى لم يكونوا يعرفون كيف يتقونها ، وكثيراً ما انتهت هذه الحروق إلى أورام تأكل الأصابع والأيدى والسواعد فى تعذيب موصول عشرين عاما ، ثم يكتسحهم السرطان فى النهاية فيختم هذا العذاب .

ففى أمريكا وحدها قضى ٢٧ رجلا نحبهم فى سبيل سياسة الأشعة السينية حتى تصير حربا على الموت ، وقد ضحت مدام كورى نفسها بحياتها لهذا الغرض بعد أربعين عاما من معونة زوجها على اكتشاف سلاح الراديوم ذى الحدين .

ودنا أول قطاف من جهاد شهداء الأشعة هؤلاء فى العقد الثالث من هذا القرن ، إذ وفد ستة من ضحايا سرطان الحلق على معهد كورى فى باريس يلتمسون فيه آخر ملاذ لهم ، وكان الجراحون قد خطوا فى سجلاتهم أن « لا أمل فى الجراحة » ، وكان أطباء معهد كورى قد نزعوا نيوب الشر من أفواه

الأشعة والراديوم ، ورفعوا الستار عن موضع ضعف خفى فى خلايا أورام سرطانية معينة ، إذ وجدوها أشد قليلا من الخلايا العادية إحساساً بالأشعة السينية — ولكنها أشد منها إحساساً على وجه التأكيد — فعالجوا أولئك المرضى الستة الذين لم يكن فى شفائهم أى أمل ،وآذوا أنسجتهم السليمة، ولكنه كان أذى غير دائم ، وقضوا على خلايا السرطان أتم قضاء ، وهو أول ظفر من جنسه منذ بدء الخليقة .

وجرب أطباء معهد كورى الأشعة فى كل أنواع السرطان ، فعلمتهم هذه التجارب الحذر ، إذ أن سرطانات المعدة والأمعاء والرئتين والكليتين والعظام والبروستاتا بدت لهم عصية على هذا الإشعاع الجديد ، فأخذوا ينذرون الناس أن هذه الأنواع من السرطان يجب أن تعالج بالجراحة ، وذلك ما لم يزل ساريا إلى الآن .

أما فى أمريكا فلم يقض على الخوف من الأشعة والراديوم إلا بعد جهد ، فأطباء مستشفى نيويورك التذكارى،وإن كانوا قد أيدوا ما كشفه معهد كورى من أن الأشعة وسيلة لشفاء كثير من الأورام السرطانية فى الجلد والفم والرحم ، إلا أن الناس ظلوا يعتقدون أن الموت حتم على من يراد شفاؤه من السرطان بالأشعة أو الراديوم . وما كان يتاح لعلماء الأشعة على العموم أن يعالجوا مرض السرطان بالأشعة إلا إذا أعلن الجراحون أنهم قطعوا الأمل من الشفاء .

ثم أخذ المرضى الذين بلغ منهم السرطان ، ودفعهم اليأس إلى الرغبة فى تجربة أى علاج تبدو لهم فيه أقل بارقة من الأمل فى الحياة ، يقبلون على التماس معونة علم الإشعاع . ففى أوائل العقد الرابع من هذا القرن وفد على الدكتور ماكس كتلر،رجل يونانى ميئوس من شفائه يدعى جست إيكونو بولس — وينبغى أن لا ينسى اسمه . وكان الدكتور ماكس كتلر يومئذ مديراً لعيادة الأورام بمستشفى ميخائيل ريز بشيكاغو ، وكان قد درس علم الإشعاع الجديد فى معهد كورى . وقد قدم عليه جست فى نهاية يوم شؤم لم ير الطبيب فيه غير حالات من السرطان مشرفة على الهلاك ، وها هى حالة أخرى . كان جست عاجزاً عن البلع ، وكان يتنفس بمشقة ، وكان النزف قد أصابه مراراً ، وفقد من وزنه ٣٠ رطلا ، وقطع الأمل من شفائه بالجراحة .

نظر الدكتور كتلر إلى حلقه نظرة خاطفة ثم قال لمساعديه : « لا تعرضوا علىّ اليوم حالات أخرى من السرطان العُقام (الذى لا رجاء فى شفائه) » .

وبعد أن أخرج الرجل عاد كتلر فبدأ

له فاستدعاه ، فما له من أمل يخشى عليه الضياع . وكذلك أخذ هذا الرجل الذى كان فى حكم الموتى يعرض كل يوم طوال الأسابيع الستة التالية لقدر هائل من إشعاع الراديوم ، يفوق مرتين ونصف مرة أى قدر مقرر فى السجلات العلمية ، حتى تقشر جسمه تقشراً مفزعاً ، ولكنه عاد فبرئ كما برئ سرطانه العضال . وعاش جست إيكونوبولوس تسع سنوات بعد ذلك ثم مات من القلاب وقد أوفى على السبعين .

وأثارت هذه المعجزة مسائل خطيرة . كيف تستطيع مثلا أن تتحقق أى أنواع السرطان عصى على الراديوم وأيها ذلول له ، إذا أنت لم تجربه فيه ؟ واقتضى حل هـذه المسائل إنشاء معهـد شيكاغو للأورام فى سنة ١٩٣٨ ، وعين ماكس كتلر مديراً له بعيد ذلك .

ومن أى وجه نظرت إلى هـذا المعهد ألفيته باعثا على الدهشة ، فقد استقر فى دار مدرسة شيكاغو اللاتينية القديمة لما لم يجد رجاله مالا لكى يشاد البناء بالأسمنت المسلح ، ويزين بالخزف الأبيض والزجاج . وهو على قذارة خارجه يضم أحدث طراز من أجهزة الأشعة السينية ذات الضغط العالى . وكتلة الراديوم التى فيه تزن عشرة جرامات ، مخزونة فى وعاء من الرصاص وزنه طن ، وهى ثانية كتلتين هما أضخم كتل الراديوم فى العالم ، أما أولاهما ففى لندن .

ويرأس مجلس إدارة هذا المعهد الدكتور لودفيج هيكتوين ، وهو شيخ الأطباء فى أمريكا وعظيمهم . وعلى أنه قد بلغ الحادية والثمانية من عمره فهو الباثولوجى النشيط الذى وكل إليه تشخيص السرطان . ويبدأ عمله فى الساعة الثامنة من صباح كل يوم . وإن تفاؤل هذا العالم الشيخ الرزين الذى لايقهر، ليخجل كثيراً من شباب مكافحى الموت. إن الدكتور هيكتوين يقول : « إن كل سرطان يجتاز دوراً يكون فيه قابلا للشفاء إما باستئصاله بالجراحة وإما بالإشعاع » . وهذه الروح الناضلة فى هيكتوين هى التى تذكر عمال المعهد دائما بأنهم يجهلون — ما لم يجربوا — أمد هذا الدور القابل للشفاء .

وليس لهذا المعهد مال ، وإنما تعينه على الاستمرار فى علاج السرطان القريب المنال بالأشعة السينية والراديوم ، هبات مصلحة الصحة العامة فى الولايات المتحدة ، ولكنه يخسر فى كل عام مبلغا من المال يعوضه منه مجلس الإدارة ، وتبرع نفر قليل من أهل شيكاغو . وعلى رغم هذا الفقر يصر الدكتور هيكتوين على أن أى مريض بالسرطان يمكن أن يسدى إليه أى عون ، يجب أن لا يرد عن المعهد خائبا .

وخلال السنوات الست التي قضاها المعهد في إتقان وسائله لإصابة مقتل السرطان، لم يمت غير اثنين من المرضى آذى الإشعاع أنسجتهم السليمة، وقد كان هذان المريضان محكوما عليهم بالموت على أي حال. وليس إنقاذ حياة أستاذ القانون الشاب وصوته إلا القاعدة وغيره هو الشذوذ. فمن بين الخمسين حالة الأول من حالات سرطان الحنجرة القابل للعلاج بالجراحة، والتي عولجت هذا العلاج المركز بالأشعة السينية ذات الضغط العالي أو بقذيفة الراديوم الضخمة، لم ينتكس غير اثنين عاودهما الداء الرهيب، وقد كان مقدوراً على نصف أولئك المرضى على الأقل لو هم عولجوا بالجراحة أن يحرموا أصواتهم الطبيعية ما بقوا على قيد الحياة.

أما وقد صار في الوسع اليوم استعمال هذا القدر الشافي من الأشعة، دون خوف من أذى الاشعاع أو الحرق، فقد فتح باب جديد من الأمل لأولئك الشاكين من كل الأورام السرطانية القريبة المنال، والتي لم تنتشر بعد في الجسم. وقد سجل معهد كوري في باريس الشفاء بالإشعاع في ٧٥ في المئة من الحالات التي عولجت في بدء السرطان في عنق الرحم. وقد أصاب مستشفى نيويورك التذكاري توفيقا قريبا من توفيق معهد كوري، ومع ذلك فألوف من النساء الأمريكيات لم يزلن يقضين نحبهن بهذا الداء كل عام!

إن العقبة التي تعوق التقدم في هذه المعركة المبشرة بالأمل ليست على أي حال بالعقبة المعجزة أو العصية على التحطيم، فهي ليست إلا شدة الحاجة إلى الخبراء في مرض السرطان. فأنت حين تشهد لودفيج هيكتوين أو ماكس كتلر ومساعديهما يعملون في معهد شيكاغو للأورام، لا تلبث أن تدرك ما للدربة الطويلة من شأن عظيم. وهي لا تقتصر على وصف آفة السرطان وجراحتها فحسب، بل تشمل النواحي الدقيقة المحكمة للصلة الوثيقة بين النظريات الحيوية والطبيعية الحديثة والإشعاع.

ويبدو اليوم من السجلات الدقيقة لهذه الدار، دار الرجاء، أن الزيادة تطرد في عدد الرجال والنساء الذين برئوا بعد أن أعلن الجراحون يأس البضع من شفائهم، وكل أولئك المحكوم عليهم بالموت هم اليوم على قيد الحياة، وذلك بفضل العلاج بالإشعاع الذي بلغ في الشدة مبلغاً لو سئل فيه الخبراء منذ بضعة أعوام لقالوا إن العلاج نفسه فتاك.

حادث كاتب هذه السطور سيدة عجوزا يوم عادت من ذلك المعهد إلى دارها ولا أثر لما بها من أورام السرطان، وكانت عيناها

تحت منظارها تتلألأ الآن بالسعادة . فمنذ بضعة أسابيع كانت هذه السيدة مريضة بسرطان خبيث سريع الانتشار فى حلقها أعجزها عن ازدراد الطعام ، وبدت فى صورة الأشعة فتحة فى الحلق لا تكاد ترى ، كانت تستطيع خلالها أن تشرب قليلا من السوائل شرباً تعانى فيه ألماً شديداً .

وما كان أكبر جراح فى العالم ليجرؤ على أن يجرى لها جراحة ، وكانت قد ظلت طريحة الفراش من ذلك الضعف الذى أصابها من جراء حرمانها أكثر الطعام ثلاثة أشهر ، فلم تستطع أن تصعد سلم المعهد إلا بعونة ، ثم وصف لها الأشعاع المركز بالأشعة السينية مرتين فى اليوم لمدة اثنى عشر يوماً .

قالت السيدة ضاحكة وعيونها السود تحت نظارتها تشع الحياة والقوة : « عندما فحص الطبيب حلقى بالأمس لم يكد يصدق ! »

فلو أننا هيأنا أجهزة الأشعة وابتعنا الراديوم ، ودربنا عمال الأشعة خاصة ، لاستطاع هذا العلم الجديد أن ينقذ ٥٠٠٠٠ نسمة يذهبون ضحايا للسرطان القريب المنال كل عام ، بل قد تنقذ جميع ضحايا السرطان لو تعلم الناس أن يبادروا إلى علاج السرطان فى بدايته ، حين يكون خطره محصوراً فى مكانه . وفى ذلك يقول الدكتور هيكتوين : « إن التقدم فى الأشعاع اليوم قد بلغ مبلغاً يجعلنا نستطيع أن نهدى إلى المريض الأمل فى شفائه لا تروعه مخافة التشويه . فإذا عرف الناس ذلك فسوف لا يخشون التبكير بالعلاج » .

ويعتقد الدكتور هيكتوين أن العلم قد يوفق يوماً ما إلى علاج كيميائى بسيط للسرطان، ولكنه رجل عمل فتراه يعود فيقول وعلى شفتيه ابتسامة جافية : « إن مريض السرطان فى الوقت الحاضر لا يقنعه أن تقول له إن البحث قد يوفق فى المستقبل إلى هذا العلاج ، وإنما عليك أن تعالجه بالوسائل التى فى متناول اليد ، وهذه الوسائل تفعل حقاً ما يفعل السحر » .

وهيكتوين هذا الذى مسه الكبر ، وإن كان لا يزال أحفل أصحابه بفيض الشباب ، لا يفتأ يحفز ماكس كتلر ومساعديه على توسيع حملتهم حتى تشمل جميع أنواع السرطان التى بسطت سلطانها القاتل على الناس . فثمة أورام سرطانية متغلغلة فى الجسم لم تصبح بعد ميسورة المنال كسرطان الرئة مثلا ، والدكتور هيكتوين يأمل أن تنفذ إليها يوماً ما تلك القوة الهائلة المحكمة للأشعة السينية المركزة . .

ولو كان فى كل مدينة معهد للأورام كمعهد شيكاغو ، لأدركنا ثلث ما نبغى من النصر فى معركة السرطان .



تـراف

ولیام باریت

ملخصة عن مجلة « ساوثوست رفيو »

حكاية ظريفة عن مقاومة لطيفة من الوقادين المكسيكيين للنظام

كنت أنا ولارى أصغر المهندسين فى حقل البترول ، وكان معنى ذلك أننا من كتبة الحسابات . ولم تكن مهمتنا إلا أن نردد الأوامر التى يصدرها المكتب الرئيسى ، غير أن العمال المكسيكيين كانوا يبجلوننا ، إذ كانوا يرون فينا صورة الرئيس المجهول الذى يدفع لهم أجورهم .

وكانت أعلى طبقة بين هؤلاء العمال هى طبقة الوقادين « العطشجية » ، وهم رجال ذوو أجسام ضخمة يعملون بالمناوبة ثمانية ساعات تحت حرارة الأتون القاسية . فكانوا يجرفون الفحم بمجارف كبيرة ثم يقذفونه بلا روية فى منافذ ضيقة ، وهم عراة إلى خصورهم ، ولكنهم ذوو إباء وشمم . وقليل من الرجال من يقوى على مثل هذا العمل ، وقد كانوا هم هذا القليل .

كانت الشركة تصرف الأجور للعمال مرتين فى الشهر : فى الخامس وفى العشرين منه . وكان العامل المكسيكى يعدّ هذه الطريقة حمقاً وسخفاً ، فكيف يتيسر لامرىء معه مال أن يبقيه فى جيبه ١٥ يوما ؟ إنه إذا ادخر المال أكثر من ثلاثة أيام كان بخيلا ، ومتى كان الدم الإسبانى ياسيدى يجرى فى عروق البخلاء !

ومن أجل ذلك كان هؤلاء الوقادون يأتون فى اليوم الثالث أو الرابع ليسحبوا شيئاً مما يستحقون . وكنت أنا ولارى نبلغ المكتب الرئيسى الإجراءات اللازمة ثم نتسلم السلفة التى يستحقها كل عامل . ثم حدث ذات يوم أن أبلغتنا الشركة المذكرة التالية :

« لقد وقعت أخطاء كثيرة جداً فى تطبيق امتياز دفع السلف ، ومنذ اليوم لا تدفع سلفة إلا فى أحوال استثنائية طارئة » .

وما كدنا نعلق الإعلان حتى دخل علينا الوقاد جوان جارسيا يطلب سلفة ، فأومأت إلى الإعلان ، فجعل يقرأه متأنياً كلمة كلمة ثم صاح : « وما معنى أحوال استثنائية طارئة » .

فبينت له أن دفع الأجور على فترات قصيرة قد سبب للشركة ضرراً جسيما . فإذا ما أصاب العامل مرض أو إذا اضطر إلى مال لظرف طارىء أو لسبب معقول ، فإن الشركة تستثنيه فى هذه الحالة .

فلوح جارسيا بقبعته بتؤدة وهى بين يديه لسكبيرتين وقال . « لن أحصل إذن على نودى » !

« فى المرة التالية ياجارسيا ، فى العشرين من الشهر » .

وبعد ساعة دخل رجلان من الوقادين وشرحنا لهما الإعلان فانصرفا بوقار ، ولم يأت أحد بعد ذلك . وأخذ جوان جارسيا وبيت مندوزا وفرانسيسكو جونزاليز يذيعون هذا القول : « إذا شئت أن تحصل على بعض المال الآن فلتزعم أن زوجتك مريضة ، أو أن ولدك فى حاجة إلى دواء » .

وفى صباح اليوم التالى كانت زوجة جوان جارسيا تحتضر ، وأم بيت مندوزا يكاد الموت لا يمهلها ، وتفشى وباء بين الأطفال . ولتنويع الأعذار زعم رجل واحد فقط أن والده مريض . وقد بدا هذا غريباً شاذا ، ولكن لم أكن أنا ولا لارى مكلفين بالتطفل على حياة العمال الخاصة ، فأعددنا أذون الصرف وبينا فيها الحالة الاستثنائية الطارئة ، ونال رجالنا بغيتهم .

وتكرر ذلك فى بحر أسبوع ، حتى وصل إلينا أمر جديد : « من الآن فصاعداً لا يدفع للعمال أجورهم إلا فى الخامس والعشرين من الشهر ، ولا يستثنى من ذلك إلا العمال الذين يتركون خدمة الشركة » .

وعلقنا الإعلان على اللوحة وشرحنا مضمونه . وانصرف جوان جارسيا وهو يفكر ، وأخذ هو ومندوزا وجونزاليز وأيالا يتشاورون فى الأمر ، ثم أقبل فى اليوم التالى يقول : « لقد تركت العمل فى الشركة لألتحق بعمل آخر فهل تدفعون لى الآن؟ »

فصرفنا له . وكذلك فعل جونزاليز ومندوزا وأوبريجون وأيالا وأورتيز ، وهم صفوة الوقادين الذين لا يمكن أن نجد من يحل محلهم .

وفى كل صباح كان يطلب الالتحاق بالعمل عمال عابرون لا خبرة لهم . وعلى حين غرة ظهر العمال البارعون فى صفوف الطالبين فهذا جارسيا ومندوزا والآخرون يطلبون عملا فألحقناهم ولا ريب ، إذ لم يكن لنا حل آخر . وفى عصر كل يوم كان عندنا لفيف من الوقادين يعتزل العمل ، وفى صباح كل يوم لفيف من الوقادين يبحث عن عمل . وقد ضج المكتب الرئيسى من طلبات جارسيا المتوالية لاعتزال العمل أو للالتحاق به . وفى بعض الأحيان كان نفس الاسم يظهر مرتين فى قائمة الأجور ، فى حين يبطىء غيره فى طلب الاعتزال . وفى أثناء هذه الفوضى أعلنت الشركة أمراً آخر : « من الآن فصاعدا إذا اعتزل أى عامل العمل لا يلحق به إلا بعد ٣٠ يوما » .

واضطر جارسيا أن يقدم طلباً آخر لترك العمل ، فلما دخل علينا عرضنا عليه الأمر وحذرناه بقولنا : « إن ثلاثين يوماً لمدة طويلة ياجوان » .

إنها لمشكلة عويصة اقتضته زمناً لكى يتدبرها ، وكذلك فعل جونزاليز ومندوزا وأيالا وأورتيز . ومع ذلك فقد تركوا جميعاً العمل فى النهاية .

ولقد بذلنا غاية جهدنا لنثنيهم عن عزمهم وأسفنا على فراقهم ، فقد كان الفراق هذه المرة إلى الأبد فصافحونا . ومع ذلك فقد كان أصدقاؤنا فى الصباح فى صفوف الطالبين الذين يريدون الالتحاق . وبكل رزانة أخبرنى جارسيا بأنه وقاد يطلب عملا .

فقلت له : « لا أمل لك فى ذلك ياجوان ارجع بعد ثلاثين يوما ، لقد حذرتك » .

فحملقت عيناه فى وجهى دون أن تطرفا وقال : « لقد التبس عليك الأمر ياسيدى ، أنا مانويل هرنانديز . وقد اشتغلت من قبل وقاداً فى بيوبلو وفى سنتافى وفى أماكن أخرى » .

ومن أنا حتى أجادل رجلا فى حقيقة اسمه ؟ لقد ألحقته بالعمل ، كما ألحقت جونزاليز الذى أقسم بأن اسمه كاريرا ، وكذلك أيالا الذى زعم ، بصفاقة ، أنه سميث . وبعد ثلاثة أيام عاد اعتزال العمل كما كان .

وفى بحر أسبوع كانت قائمة أجورنا تقرأ كأنها سجل لتاريخ أمريكا اللاتينية ، إذ كان كثير من أسماء أعلامها مذكورين فيها : أوبريجون ، وفيلا ، ودياز ، وباتستا ، وكذلك سان مارتين ، وبوليفار . وأخيرا سئمت أنا ولارى من النظر إلى هذه الوجوه المعهودة ، ومن كتابة أسماء لاعهد لنا بها ، فذهبنا إلى المدير وسردنا له القصة بأكملها ، فحاول أن لا يقطب وجهه ثم قال : « تبًّا لهم ! هذا عبث » .

وفى اليوم التالى نزعنا الأوامر المعلقة ، ودعونا الوقادين المشهورين إلى المكتب ، وأشرنا إلى اللوحة الخالية . فلم يعد ثمة أوامر .

وقال لهم لارى وهو مكفهر الوجه : « فى المرة المقبلة يوم نلحقكم بالعمل ، تعالوا بأحب الأسماء إليكم لأنها الأسماء التى ستظل فى الدفاتر » .

فنظروا إلينا ثم نظروا إلى اللوحة ، ولأول مرة فى هذا الصراع الطويل ابتسموا حتى برقت ثناياهم البيض وهم يقولون : « سمعاً وطاعة ياسادتنا » .



أحب الرجل الذى يبتسم وهو يكافح . [ونستون تشرشل]

بطل الطعام النقي

أ . ك . أرمستروبخ



نشرت ريدرز دايجست فى العهد الأخير سلسلة من سير الذين خدموا الإنسانية وشقوا طريق الإصلاح الاجتماعى . وليس ثمة ريب فى أن كل امرىء يجنى خيراً عظيماً من حماسة هذا الرجل الذى لا يقهر — أول مكافح فى سبيل الطعام النقى .

فى صيف ١٨٦٤ ، فى أواخر الحرب الأهلية الأمريكية ، كان جندى من ولاية أنديانا يدعى « هارفى وايلى » مستلقياً على سرير فى معسكر فى تنيسى ، وهو أدنى إلى الموت ، فقد نزلت به الدسنطاريا آفة الجيوش فى ذلك العهد . وأقبل عليه جراح وسأله : أين يريد أن يرسل متاعه ؟

فكان جواب وايلى : « سأبرأ ، وسأصبح طبيباً يقهر هذه الآفة » .

عاد الجاويش وايلى إلى داره فى أكتوبر ، حيث قضى ستة أشهر تمرضه أمه وترعاه ، فلما استرد عافيته بالطعام المغذى ، اقتنع بأن الطعام الملوث والفاسد ، هو سبب أكثر الأمراض بين المقاتلين ..

ولم تنقض تسع عشرة سنة حتى استفاضت شهرة الدكتور هارفى و . وايلى فى تجارب الطعام ، فعين مديراً لمصلحة الكيمياء فى وزارة الزراعة الأمريكية ، فأتيحت له الفرصة التى ظل يترقبها ، فأدهش الأمة كلها ببياناته عن الأغذية والعقاقير السامة المولدة للأمراض ، وكشف عن الحاجة الماسة إلى مراعاة الأمانة فى الإعلان وتحضير البطاقات التى تلصق على أوعية الدواء والطعام . واندفع يشن حرباً لا هوادة فيها ، فسحق فى آخر الأمر كل معارضة فى سن قانون للأغذية والأدوية النقية . وكذلك وضع الأساس لنظام من الصحة العامة فى أمريكا ، يحسدها عليه العالم كله ، وأوحى ببرامج لحماية الصحة فى كل بلد متحضر آخر .

جبل هارفى وشنطن وايلى على صلابة كصلابة أرض أنديانا الجنوبية ، حيث ولد فى سنة ١٨٤٤ . وقد كان بيته الأول كوخاً من الخشب أرضه من الطين ، وكان والده يزاول أعمال النجارة ليضيف شيئاً إلى دخل المزرعة القليل . وكانت أمه تحوك بيديها

القماش الذى صنع منه ثيابه حين التحق بكلية هانوفر ، بعد أن أبل من مرضه فى زمن الحرب . ثم جعل يدرس اللغتين اليونانية واللاتينية فى جامعة بتاور فى النهار ، ويدأب على دراسة الطب فى الليل . على أن درجة الدكتور المرموقة التى ظفر بها من الكلية الطبية بإنديانا لم تكفه ، فقد كان همه أن يحمى الناس من الأمراض لا أن يبرئهم منها ، فذهب إلى جامعة هارفرد ، ليتوسع فى دراسة كيمياء الأطعمة ، فاجتاز فى ستة أشهر امتحانات الدراسات العلمية التى تستغرق أربع سنوات ، وتخرج .

عين أستاذاً للكيمياء فى جامعة « برديو » وأنشأ معملا للبحث ليقيم فيه الدليل على أن الطعام المغشوش يبتلى الناس بالأمراض ، فعده زملاؤه فى هيئة الأساتذة رجلا شاذ الطباع . ولقد عنفه أمناء الجامعة تعنيفاً شديداً لأنه لعب بالكرة مع الطلبة ، فأزرى بوقار هيئة الأساتذة ، ثم لأنه ركب دراجة كبيرة العجلات ! (وهذه الدراجة محفوظة الآن فى متحف جامعة برديو) . ولكن تقريره الأول عن الطعام النقى أفضى إلى ذيوع ذكره فى الأمة ، وإلى تعيينه مديراً لمصلحة الكيمياء .

كانت المدن الأمريكية ، حين بدأ وايلى عمله فى وشنطن ، آخذة فى النمو السريع ، وكان عدد المستهلكين الذين ينتجون مواد طعامهم فى مزارعهم آخذا فى القلة ، فحاول المشتغلون بتهيئة الطعام وحفظه أن يلبوا الطلب الذى لم يزل يزداد على الطعام المهيأ والمحفوظ مستعينين بأرخص الأساليب ، وكانوا يسلمون بديئاً بأن الطعام المحفوظ صائر حتما إلى الفساد ، إذا لم تضف إليه مواد تقيه الفساد .

وضم وايلى إليه طائفة من الكيميائيين الشبان الأذكياء ، وكانوا يلقبون هذا الرجل الدؤوب المتحمس « الرئيس » وكانوا يشيرون إليه فيما بينهم بقولهم « الدكتور الجسيم » ، فقد كان مديد القامة يبلغ طوله ست أقدام وبوصة ، ووزنه ٢١٠ أرطال ، وكان ضخم الرأس ينطق وجهه بالذكاء والعزم والدعابة .

رسخ الرئيس وايلى فى أذهان أعوانه الشعار الذى اتخذه : « تحروا الحقائق أولا » . والحقائق تبدو واضحة فى أنابيب الاختبار ، فثمة بنزوات الصودا التى يكثر استعمالها لحفظ الطعام المحفوظ فى العلب ، وثمة الشب ، والحمض السلسيليك ، وغيرهما من المواد التى يغش بها الطعام ، وثمة كبريتات النحاس المستعملة لإضفاء لون زاه على الخضروات ، وأصباغ قطران الفحم الحجرى المحتوى على مواد كيميائية ضارة تضاف عادة إلى الأطعمة المهيأة .

ثم تحول « الرئيس » إلى نسف العقاقير المزيفة التي عظم إقبال الناس عليها ، فحلل وايلي ، وأعوانه من مستكشفي الزيف ، ألوفاً من النماذج ، فوجدوا تسعين في المئة منها ليست إلا دجلا صرفاً . وقد تبينوا أن كثيراً من هـذه الأدوية أشربة كحولية وحسب ، وأن دواء أعلن عنه أنه علاج لفقر الدم والربو والقرح وأمراض أخرى كثيرة ، لم يعد أن يكون محلولا خفيفاً من الجنتين الكبريتيك والكبريتوس ، وإذا جميع « مساحيق الصداع » تقريباً مصنوعة من مخدرات تولد في الجسم عادة الاحتياج إليها ، وأدوية تلطف الألم ولكنها تضعف القلب . وكانت الأمهات تعطى صغارها « أشربة ملطفة » مصنوعة من الأفيون والمورفين ، وكانت السوق زاخرة بأدوية لعلاج السل والسرطان !

فأطلق « الرئيس » على الجماعات المتأصلة في هذا الضرب من الاستغلال تياراً مستمراً من التقارير ، وجعل يكافح في سبيل سن قانون عام يضمن نقاء الأطعمة والعقاقير . وفي سنة ١٨٨٩ أغرى « بادوك » ، عضو مجلس الشيوخ من ولاية نبراسكا ، بتقديم أول مشروع قانون للأطعمة النقية ، ولكن العمال الذين يستخدمهم من يغشون الطعام ويصنعون الأدوية المحضرة ، قتلوه في المهد .

على أن مشروعات القانون ظلت تقدم إلى الكونجرس ، دورة بعـد دورة ، خلال ستة عشر عاماً فيقضى عليها في اللجان التي تحال إليها . وقد ظل جيـل كامل من أعضاء الكونجرس يرى هذا الطبيب الضخم البشوش يقود جماعة الخبراء إلى اجتماعات اللجنة ، وقد علموا عـلم اليقين أنه يأتيهم دائماً بالأدلة الحاضرة . ولكنه مع ذلك ظل يمنى بالهزيمة ، إلا أن الكونجرس كان يجلُّ نزاهته ، وكان على الأكثر يرصد له المال الذي يطلبه ، فتمكن من أن ينشئ جماعة متماسكة من الخبراء يكدحون في البحث والتنقيب .

كان وايلي خطيباً مفوهاً ، فسلك سبيل الكفاح في أوسع نطاق . وقد حضر مرة مؤتمراً لجمعيـة معبئي الأطعمة المحفوظة في غرب أمريكا ، فحذره رئيس الجماعة من خطر الظهور في المؤتمر .

فقال وايلي : « دع هذا السخف ، أتح لي فرصة لأحدثهم ، وهذا كل ما أريد » .

وقف الدكتور الكبير ونظر في بحر زاخر بالصمت والبغضاء ، وبدأ حديثـه بسؤال : أبينكم رجل يرضى أن يغش رزمة من بضاعته ، أو أن يضع عليها بطاقة مكذوبة ، لكى يخدع زبونه قصـداً ؟ إن يكن بينكم هـذا الرجل ، فليرفع يده » .

فلم ترتفع يد . ثم مضى وايلى يفسر لهم كيف تربح تجارتهم إذا ما تخيروا أجود البضاعة وصدقوا فى الإعلان عنها . فتحول استنكارهم هتافاً وتصفيقاً ، ووضعت الجمعية قراراً تعرب فيه عن تقديرها لهذه الخطبة ، وعاد الأعضاء إلى ولاياتهم وألسنتهم تلهج بذكر الدكتور وايلى والطعام النقى .

كانت الصحف والمجلات فى ذلك العهد، تنال من المال عوناً كبيراً بالإعلان عن الأدوية المخضرة والأطعمة المغشوشة ، فألقى وايلى خطبة فى نيويورك بيّن فيها لجماعة من الناشرين ، أنهم يستطيعون زيادة كسبهم بنشر الإعلانات الصادقة وحسب ، هذا على أنهم يساهمون بذلك فى حفظ صحة الأمة وسعادتها . وكان فى الجماعة المحرر الشاب لصحيفة « أمبوريا كانساس جازيت » ، وليم آلن هوايت ، فعاد إلى بلدته وكتب افتتاحية مدوّية صرح فيها بأنه لن يقبل إعلاناً يظنه غير صادق . وأعلنت مجلة كوليرز أنها ستؤيد قانون الطعام النقى ، وجاراها إدوارد بوك محرر مجلة « ليديز هوم جورنال » القوية . ونصح وايلى نصحاً ثميناً إذ قال : « احمل النساء على أن يشددنَ أزرك » .

بعد الحرب الأمريكية الإسبانية التى قتل فيها الطعام الفاسد من الجنود أكثر مما قتل الرصاص ، واجه الكونجرس شعوراً مطرد النمو فى الأمة بوجوب سن قانون الطعام النقى . وأراد أصحاب المصانع أن يقاوموا هذا الاتجاه ، فأنشأوا فى وشنطن هيئة من الدعاة ، واستأجروا « خبراء » ليقرعوا بحججهم حجة وايلى وينازعوه صدق الحقائق التى يوردها . فإذا شهد على دواء شائع بأنه دواء ضار ، تقدم الشهود صفا واحداً للتصريح بأن الدواء شفاهم من جميع أوصابهم . وقد صرف المال الوافر للمحررين والساسة وحتى القساوسة لكي يؤيدوا علناً تلك الأطعمة والأدوية التى حللها وايلى فوجدها ضارة .

ولو كان وايلى أضعف عزماً لكف عن النضال ، ولكن « الرئيس » عقد العزم على القيام بضرب جديد من الهجوم يسترعى الأنظار . فأعلن فى سنة ١٩٠٢ أنه سيمتحن الأطعمة والأدوية السامة فى تجارب يجريها على الناس . فأنشأ مطبخاً صغيراً وحجرة طعام فى قبو أحد مكاتبه ، وتطوع اثنا عشر شابا سليما من موظفى المصلحة ليكونوا فى هذا الامتحان حيوانات التجارب . وأضاف وايلى إلى طعامهم البنزوات ، والفورملدهيد ونترات الصوديوم ومواد كيميائية أخرى سوى المواد التى تستعمل عادة فى الأطعمة والأدوية ، فهزلوا وشحبوا وأصبحوا كأنهم أموات .

وأطلق صحفى فى وشنطن على الجماعة وصف « جماعة وايلى المسمومة » ، واهتمت شركات الأخبار بالتجربة ، فكتبت المقالات الضافية ، وكذلك ظفر « الطبيب الجسيم » بعناية الأمة وانتفع بذلك أيما انتفاع .

وحين اجتمع الكونجرس فى ديسمبر ١٩٠٥ ، كان « الرئيس » قد أعد قانوناً شاملا للأطعمة والأدوية النقية وذكر نصيحة بوك ، فطلب إلى مسز والتر مكتاب ميلر ، زوجة أستاذ فى جامعة مسورى ، أن تشد أزره ، فنظمت أول سيل من البرقيات الموجهة من النساء إلى جميع أعضاء الكونجرس فسارع الأعضاء إلى تأييد القانون .

وقد أقر القانون فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦ وبمقتضاه يعد كل غش فى الأدوية أو فى رقومها جريمة . وقد نص على أن لمصلحة الكيمياء أن تقرر الأطعمة والأدوية التى بلغت درجة مقبولة من النقاء ، فزاد وايلى عدد مساعديه ووسع معامله .

واتبعه بعض المشتغلين بتحضير الأطعمة والأدوية ، ولكن آخرين كانوا مقتنعين بأن القانون سيجر الخراب عليهم ، فقد جاء إلى مكتب وايلى أحد الذين يصنعون عصير الطماطم وجلس أمامه وعيناه مغرورقتان بالدموع ، وقال : إن الأمر الذى أصدره وايلى بالحد من استعمال بنزوات الصودا سيجر الخراب على كل معبئ للطعام فى أمريكا . فأرسل الرئيس أحد معاونيه إلى مصنع هذا الرجل ، فوجد الطماطم مكومة أكواماً كبيرة لا يقيها من الذباب شئ ، وكان لباب الطماطم وقشورها — ومنهما يؤخذ العصير — كومة آخذة فى التخمر . وإن أكواماً من هذا القبيل لا يمكن أن تبقى غضة نقية بغير مادة كيميائية .

فأدخل مندوب وايلى الأساليب الصحية فى المصنع ، ووضع قدراً من عصير الطماطم دون أن يضيف إليه مادة كيميائية . وكان صاحب المصنع موقناً أن هذا العصير سيتخمر فتنفجر الزجاجات التى عبئ فيها ، فنحى الزجاجات ووضعها فى مخزن منفصل حتى لا تؤذى أحداً حين تنفجر ، ولكنها لم تنفجر ، وكان العصير النقى أطول عمراً من العصير المغشوش ، فانقلب الرجل إلى داعية من دعاة وايلى .

وكان ثمة معبئ آخر وجد وايلى بضاعته تعج بالبكتريا ، فزعم المعبئ محنقاً على رؤوس الأشهاد أن مصنعه أنظف المصانع فى البلاد وأن وايلى يضطهده ، فزار الدكتور وايلى ذلك المصنع ولاحظ أن الطعام يدفع فى أنابيب قائمة الزوايا حيث تنعطف ، ففكت فوجدت مفاصل الأنابيب ملأى بالمادة المتعفنة —

وهى أصلح مكان لنمو البكتريا . فقال وايلى: جرب أنابيب ليست قائمة الزوايا بل تنحنى انحناءات خفيفة ، فأفضى التحسين إلى زوال البكتريا ، وغدا هذا النوع من الأنابيب من المعدات المعتمدة فى جميع مصانع تهيئة الطعام فى كل مكان .

وللدكتور وايلى مآثر أخرى عظيمة غير قانون الأطعمة النقية خلال خدمته التى دامت تسعا وعشرين سنة . فقد كان أعظم علماء العالم فى كيمياء السكر ، وأنشأ معامل لتحسين استخراج السكر من القصب والبنجر والإسفندان . وقد حسن « طريقة الدوران » فى استخراج السكر من القصب فأتاح ، الفرصة لقيام صناعة سكر القصب الحديثة . وقد حلل أنواع التربة وأجرى تجارب متعددة ، ثم صنع خريطة للمناطق التى تجود فيها زراعة قصب السكر فى الولايات المتحدة .

وقد عارض رجال الصحة فى بعض الولايات قانون الأطعمة النقية خشية أن يكون فيه اعتداء على الحقوق الدستورية للولايات ، فنص الدكتور وايلى فى القانون على أن مديرى الصحة فى الولايات يجب أن يكونوا جزءاً من الأداة الإدارية التى تنفذ القانون ، فكان هذا النص أساس النظام الحالى القائم على التعاون بين حكومة الاتحاد وحكومات الولايات فى الصحة العامة ، وهو مثل يحتذى فى إدارة كل نشاط عام إدارة مشتركة .

وكثيراً ما كان « الدكتور » يطالب بمرتبات كبيرة لمرؤوسيه ، ولكنه لم يطلب قط زيادة مرتبه ، على أن لجنة من لجان الكونجرس ضاعفت مرتبه حين تبينت أنه لم يزل ٢٥٠ ريالا فى الشهر ، وهو مرتبه الأصلى منذ خمس عشرة سنة ، وقد كان أقل من مرتبات كثيرين من معاونيه .

وقد اعتزل الدكتور وايلى الخدمة العامة سنة ١٩١٢ ، ولكنه ظل سبع عشرة سنة أخرى يكافح بكتابة المقالات فى المجلات وبإلقاء الخطب . وقد كان ثقة فى العناية بالحامل والجنين ، على أنه كان يقول برما : « إن زوجتى هى المرأة الوحيدة التى تظن أننى لا أعرف كيف أغذى الأطفال » .

وقد عاش بطل « الطعام النقى » فرأى جميع الإصلاحات التى ناضل فى سبيلها قد حققت ، وقد شاهد بنفسه صانعى الأطعمة والأدوية والمعلنين والباعة ، يدافعون عن القوانين التى اقترحها أولا ويطالبون بتعزيزها . وحين توفى سنة ١٩٣٠ قررت الحكومة المعترفة بالجميل ، أن تدفن الجندى القديم فى حفلة عسكرية تليق به فى مقبرة أرلنجتون .

ماهــو روح الحــرية

لما احتشد أكثر من مليون نفس للاحتفال بيوم : « أنا أمريكي » في مايو الماضي بسنترال پارك بمدينة نيويورك ، تولى القاضي لرند هاند ، من أعضاء محكمة الاستئناف ، قيادة ١٥٠٫٠٠٠ من الذين تجنسوا حديثاً بالجنسية الأمريكية في حلف يمين الولاء للعلم .
وتعد خطبة القاضي هاند المنشورة فيما يلي ،حجراً جديداً في صرح الخطابة الأمريكية. وهي من طراز البيان المأثور عن أبراهام لنكولن الذي يمتاز بالبساطة والقوة ، والقاضي لرند هارد من أبرز فلاسفة القانون الممتازين ، وله في منصب القضاء الاتحادي ٣٥ عاماً .

اجتمعنا هنا لنقرر عقيدة ، عقيدة في غاية مشتركة ، واقتناع مشترك ، وولاء مشترك . وقد اختار بعضنا أمريكا وطناً له ، وانحدر سائرنا من أصلاب من فعلوا ذلك من قبل . ومن أجل هــذا كان لنا بعض الحق في أن نعدّ أنفسنا جماعة مختارة ، جماعة من أولئك الذين أوتوا الشجاعة لبتّ صلتهم بالماضي ، ولمواجهة الأخطار والوحشة في أرض غريبة .

فما هي الغاية التي قوّت قلوبنا أو قلوب الذين سبقونا على هذا الاختيار ؟ لقد نشدنا الحرية : التحرر من الظلم ، التحرر من العوز ، الحرية لنكون كما نحن . هذا هو الذي نبغيناه ، وهــذا هو الذي نعتقد الآن أننا نوشك أن نفوز به .

وماذا نعني حين نقول إننا ننشد الحرية أول ما ننشد ؟ كثيراً ما يخيــل إلى أننا نسرف في الاعتماد في آمالنا على الدساتير ، وعلى القوانين ، وعلى المحاكم . هذه آمال كاذبة . وصدقوني حين أقول إنها آمال كاذبة ، فإن الحرية إنما تكون في قلوب الرجال والنساء ،فإذا ماتت فيها فلا الدستور ، ولا القانون ، ولا المحاكم تستطيع أن تنقذها ، بل ما من دستور أو قانون أو قضاء يسعه أن يصنع شيئاً يذكر لمساعدتها. أما وهي حية في القلوب فلا حاجه بها إلى دستور أو قانون أو محكمة لإنقاذها .

وما هي هذه الحرية التي يجب أن تعمر قلوب الرجال والنساء ؟ إنها ليست الإرادة الجامحة التي لا رحمة فيها ، وليست الحرية في أن يفعل المرء ما يشاء ، فإن هذا نقض للحرية يفضي مباشرة إلى القضاء عليها . وكل جماعة لا يشعر أعضاؤها بكابح لحريتهم سرعان ما تصبح جماعة لا ينعم بالحرية فيها سوى قلة متوحشة ، كما تعلمنا لسوء حظنا .

فما هو إذن روح الحرية ؟ ليس في وسعي

أن أعرفها ، وكل ما يسعنى هو أن أفضى إليكم بعقيدتى : إن روح الحرية هو ذلك الروح الذى لا يبلغ من يقينه أن يعتقد أنه على صواب . روح الحرية هو الروح الذى يحاول أن يفهم عقول الآخرين من رجال ونساء . روح الحرية هو الروح الذى يضع مصالح الغير فى كفة ميزان ، ومصالحه هو فى كفة بغير تحيز . روح الحرية يذكر أنه حتى العصفور لا يسقط على الأرض دون أن يعبأ به أحد . روح الحرية هو روح أولئك الذين علموا الجنس الإنسانى قبل سنوات عديدة ذلك الدرس الذى لم يحذقه قط ، ولكنه لم ينسه كل النسيان : أنه قد تكون هناك دولة يظفر فيها الأدنون بالاستماع إليهم والرعاية لهم إلى جانب الأعلين .

والآن ، بهذا الروح ، روح أمريكا التى لم تكن قط ، والتى قد لا تكون قط ، بل التى لن تكون أبدا ، إلا كما يصوغها ضمير الأمريكيين وشجاعتهم ، بروح هذه البلاد الأمريكية الكامنة فى صورة ما فى مطامحنا جميعاً ، بروح هذه البلاد الأمريكية التى يقاتل فى سبيلها شباننا فى هذه اللحظة ويموتون ، بروح الحرية وأمريكا أطلب إليكم أن تنهضوا ، وأن تعربوا معى عن إيمانكم بالمصير المجيد لبلادنا المحبوبة — مع الحرية والعدل للجميع .



ينابيع الالهام

● كتب يوهان كبلر الفلكى الألمانى فى صدر مؤلفه الفلكى :

« لقد قضى الأمر ، وكتب هذا الكتاب ليقرأ الآن أو لتقرأه الأجيال القادمة . ولا يهمنى متى يقرأ ، فقد يكون من نصيبه أن ينتظر قرناً كاملا ليظفر بقارىء ، كما انتظر العالم ستة آلاف سنة ليظفر بفلكى مثلى » .

● « وكتب هنرى وطسون فاولر فى إهداء كتابه « مقابلات لغوية » :

« إلى المعلمة التى ما فتئت تعلمنى منذ عشرين سنة كيف تبذ الزوجةُ الحقيقيةُ الزوجةَ المثالية » .

● وأهدى الروائى ب . ج . وود هاوس إحدى رواياته :

« إلى ابنتى العزيزة التى لولا عنايتها المتصلة وعونها المستمر ، لما استغرقت كتابة هذا الكتاب إلا نصف ما استغرقت » .

ولدى - أترى العاهة عاقته ؟

بقلم "أم"

ملخصة عن مجلة "ستردى إيفننج بوست"

ابنى البالغ من العمر خمس سنوات بعد يوم بهيج من المرح على الشاطىء ، وكبكبته فى الفراش فمنحنى قبلة ، وتسللت خارجة وأنا مفعمة من الفرح الذى أولتنيه صحته .

وفى تلك الليلة أصيب بشلل الأطفال ، وظلت أعضاء ابنى المعذبة ملفوفة شهوراً عدة فى القطن . على أنه لم يبق من ذكريات تلك الأيام سوى اليسير لحسن الحظ ، ولكنى أذكر ليلة وقد جلست أنا وزوجى بجانب سرير « لارى » وسمعنا الطبيب يقول إنه سيعيش . وكان وجهه الصغير الضامر يتحرك على نحو مضحك من عنق لا يقوى على حمله فوق بدن معروق هزيل . أيمكن أن يكون هذا هو ابنى المشرق الديباجة الذى كان يلعب ويتوثب على الشاطىء ؟

كان هذا قبل ١٦ عاما . وما زال لارى كسيحاً ، ولكن —

منذ بضعة أسابيع قليلة فقط ، دخل لارى حجرة الجلوس ، ونشر صداراً عليه شعار كبير للجامعة فوق مقعد ، وفى الوقت نفسه أعلن إلينا أنه نال مجانية أخرى تمكنه من الالتحاق بمدرسة الطب .

وهذه هى القصة كلها . فلم تكن هناك معجزة ، ولن تقع معجزة ، ولا تزال ساق ابنى اليمنى أقصر من اليسرى بثلاث بوصات ، والفخذ ضاوية لا تزيد استدارتها على الرسغ ، وهو يجرها بيده اليمنى القوية إذا مشى أو رقص ، وسيظل دائماً مضطراً أن يفعل ذلك .

ولكنه على الرغم مما يسمى عاهة ، يضعه سجل أعماله فى صف المتفوقين من طلبة الكلية القدماء ، وأهم من ذلك بكثير أن لارى يعد نفسه رجلا كاملا بين الرجال ، فلا يشقيه تأمل نفسه والتفكير فيها .

وبعد تلك الليلة التى لا تنسى منذ ١٦ عاما واجهت أنا وزوجى مشكلتنا ، فاعتزمنا أن نعلم لارى أن يبنى لنفسه حياة كاملة ، حياة نفيسة . وقال بعضنا لبعض إن الوسيلة إلى ذلك هى أن يُعطى العالَمَ كل ما يدخل فى طاقته ، لا أن يأخذ كل ما يندفع الناس إليه ليعطوه إياه .

واخترنا أصعب الطريقين — لنفسنا وللارى ، وكان الأسهل جداً أن نعامله معاملة الطفل وأن نحميه . وكان هذا ما عنيت أن أفعل ، ولكنى آليت أن لا أفعله .

وبديهى أن كل ما كان يسعى أنا وزوجى

بعد أن أصيب بشلل الأطفال ، هو المحافظة على الحياة ذاتها . على أن لارى بعد ستة شهور من الإصابة ، بدأ يحرك رأسه قليلا ، فشرعت أتعهده بنظام ، من شأنه — على ما قدر الأطباء — أن يتيح له أعظم فرصة للنمو ، وإن كانوا مع ذلك لم يعدوا بأى تحسن . فكنت بعد أن يتناول الإفطار أضعه فى ماء ملح مجاوب من البحر يستحم به ، ثم أدلكه دلكا وافياً ، وأمسد الساقين والقدمين ، ثم تلى ذلك ساعة طويلة من تحريكهما بثنيهما ولثيهما ، ثم تعقب ذلك فترة استراحة ، فالغداء ، فساعة خارج البيت على كرسى ذى عجلات .

ولم يكن لارى يستطيع أن يغادر كرسيه ، ولكنه كان يستطيع أن يقذف بكرة من المطاط لفريتز — كلب الشرطى فى حيّنا — ليجيئه بها . وقد دربنا فريتز على أن لا يتخلى عن الكرة حتى يتسنى للارى أن يميل قليلا من كرسيه ويأخذها من فمه . وإنه لشىء تافه ، ولكنها على كل حال بداية منه فى العمل بنفسه .

وكان زوجى طالباً رياضيا مشهوراً فى الكلية ، فحرص على أن يستخدم لارى أعضاءه السليمة فى أكثر ما يمكن من الألعاب الرياضية ، فابتاع له بندقية صغيرة ، فكانا يجلسان معا على الشرفة الخلفية جادين مستغرقين كأنهما من الخبراء فى المسابقات الأولمبية ويطلقان بندقيتهما واحداً بعد واحد ، على الزجاجات . وكانت الإصابات تسجل أسبوعا فأسبوع ، وما من لاعب جولف كان أغير على إصاباته من لارى . وكان من أثر هذا التدريب أن صار لارى أبرع الرماة بين الصبيان فى الحى فيما بعد .

وقد كلفنا لارى أيضاً بعض الواجبات فى سن مبكرة ، وجاء أول تكليف طبيعياً ، فقبل أن يصاب بشلل الأطفال كان يطيب له أن يمسك كرسىَّ ، ويدفعه تحتى عند العشاء بحفاوة مضحكة . فلم يعد هذا يدخل فى وسعه ، ولكنه كان يستطيع أن يمد يده من كرسيه ويناولنى فوطة ، وكان يفعل هذا كل مساء بنفس التأدب المضحك . وهذا أمر تافه آخر ، ولكنه بداية فى إسداء العون للغير .

وكان على أنا وزوجى أن نهجم على المجهول ببرنامجنا ، وقد مرت أوقات كنت أرتجف فيها مخافة أن أكون قد انقلبت أمًّا غير رحيمة . فلما جاء الصيف بعد الإصابة ، قررنا أن نأخذ لارى إلى كوخنا على شاطىء البحر مرة أخرى — حيث أصيب — فذكرت ذلك عرضاً ، فاتسعت حدقتاه من الفزع وقال متوسلا : « ليس إلى هناك يا أمى ، فإن شيئاً لابد أن يصيبنى هناك مرة أخرى إذا ذهبنا » . فتفطر قلبى ، واندفعت إلى شفتى

التأكيدات بأنه لن يذهب إلى كوخنا على البحرة مرة أخرى ، ولكنى أطبقت شفتى بقوة ، فلو أنى تركت لارى يقهره خوفه لخنته . فلما استطعت أن أتكلم قلت :

« اسمع يا لارى . لابد أن تصحبنا هذا الصيف ، ولن يصيبك شىء فى الكوخ . وإذا لم تشعر أنك سعيد هناك ، فسأعود بك إلى البيت ، ولكن يجب أن تحاول وتجرب » .

وكان لارى ، فى الطريق إلى ساحل البحر ، من الاضطراب بحيث لم يستطع أن يطعم شيئاً ، فلما وصلنا ألبسناه ثياب الاستحمام بسرعة ، وحمله زوجى على ظهره إلى البحر . فطفا على الماء تسنده يد زوجى ، فابتسم ، وما هى إلا ساعة أو أقل حتى عاد كأسعد ما كان .

وأجريت له جراحتان لم يكن لهما داع على الإطلاق ، كانت الغاية منهما نقل عضلات ، وإطالة عرقوبه ، فأخرتا كل محاولة لإدخاله المدرسة . وإذا كانت الجراحتان غير ضروريتين فلماذا رضينا بهما لغلامنا المعذب ؟ من أجل كلمة « يحتمل » — وهى كلمة أصبحت أمقتها ، وقد قيل لنا إن الجراحتين « يحتمل » أن تعيدا إلى ساقى ولدنا الحركة المستقلة . فأحسسنا أننا لا نستطيع أن نحرم لارى هذه الفرصة .

وما أثمرت الجراحتان — إحداهما وهو فى السادسة والأخرى بعد تسعة شهور — إلا زيادة الألم ومضاعفة الأخطار العقلية .

وكانت مسألة النظام أشق ما عانيت فى تلك السنين الأولى . فلما بلغ لارى الثامنة استطعنا أن ندخله مدرسة خاصة صغيرة ونذهب به كل صباح إليها ، ولم يبد لارى من الرغبة فى الدرس والإقبال على التحصيل المنتظم أكثر مما يبديه غلام متوسط . وكان التمرد كثيراً ، وقد تمرد مرة أثناء زيارة صديقة لى :

« لست أريد أن أذاكر ولن أذاكر »

كذلك أعلن إلينا لارى ، وعجزت عن إقناعه فحملته ، وكببته على ركبتى وضربت أليتيه ضربا قويا . فلاحظت أن صديقتى امتقع لونها ، وما لبثت أن انصرفت .

وقد قالت لى حديثاً : « ما كنت أعتقد قط أنى سأظن بك خيراً مرة أخرى بعد أن رأيتك تضربين ذلك الولد المسكين . ولكنى الآن أرى لارى فأفهم » .

ولما بلغ لارى التاسعة ألحقناه بمدرسة أولية . وكان يتخذ حمالات لساقيه جميعاً فى ذلك الوقت ، ويمشى على عكازين ، ثم فيما بعد على عصوين ، وكان يمشى بهما مشياً حسناً ، ولكنه بطبيعة الحال لم يكن يستطيع أن يساير زملاءه .

وقال لى يوما وقد عاد منهوك القوى : « آه يا أماه ، لو استطعت أن أجرى ! » وكان كل ما وسعنا من المعونة أن نتيح له كل نشاط ممكن وحركة ميسورة ، بدلا من الجرى المستحيل . فعلمه زوجى السباحة فأجادها جداً إذا اعتبرنا سنه ، وجعلنا من ساحتنا ملعباً للجيران ، وبيتنا مسرحا .

ولم يكن ثم شىء غير طبيعى أو مصطنع فى مساهمة لارى فى لعبتى البيس بول ، وكرة القدم فى ساحة بيتنا الخلفية . وقد أراد الأولاد فى البداية أن ينيبوا عنه بعضهم فى الجرى فلم يوافق ، فتولى هو ضرب الكرة والجرى بنفسه — فكان ينط حول الساحة بكل ما يسعه من جهد بساقه اليسرى السليمة . وكثيراً ما كنت أراقبه من النافذة ، وكان يقع مرة بعد مرة وينكب بشدة ، وتلتوى حمالاته تحته ، وكنت أعدو لأعينه ، وقد نهضت نفسى مخافة أن يكون قد أصيب بأذى شديد ، ولكنى كنت أكبح نفسى كل مرة على العتبة ، بينما كان لارى ينهضه إخوانه إلى قدميه وهو يضحك .

وكانت هناك أيضاً ، بطبيعة الحال ، مفاجآت سارة . فلما بلغ لارى الحادية عشرة بعثنا به إلى مخيم ، فظل بعد ذلك ست سنوات يذهب كل صيف ، وفاز بما يغطى مائدة من الكؤوس فى مسابقات السباحة ، وأخيراً صار مستشاراً للمخيم .

وصارت الأعوام تمضى كأنها تطير بعد أن جاوز لارى الحادية عشرة ، ففاز بدرجات الشرف فى المدرسة الثانوية ، وصار رئيس فرقته ومحرر صحيفة المدرسة . وقد تلقى نصيبه من الوقعات فى ميدان الرياضة أيضاً ، ولم يستطع فقط أن يدخل فى فرقة كرة القدم ، بل وسعه أيضاً — بعد أن استغنى عن العكازات والعصى — أن يكون قاذف الكرة لفرقة الكلية الثانية فى لعبة البيس بول ..

وحوالى هذا الوقت أدركت أن لارى ينقصه شىء فى الحياة الاجتماعية ، فاقترحت أن يذهب مع أصدقائه إلى الرقص .

فقال : « هذا يا أمى أكثر مما يجب . فلن يحتاج إلىّ أحد . فما أستطيع إلا أن أقعد كأنى نتوء على كتلة من الخشب » .

فأحسست أنى إذا قبلت هذا الرفض حرمت لارى جانباً من الحياة ، فما كان له إخوة أو أخوات فيه حاجة إلى الحياة الاجتماعية .

وكانت لنا فتاة من جيرتنا مفرطة الحياء ، وكان ينعقد لسانها فى محضر الشبان . وكنت أنا ولارى قد تحدثنا فى هذا من قبل ، ففى ذات مساء قلت له ، كأنما خطر لى ذلك عفواً : « لقد كنت أفكر فى أنه ينبغى لنا أن

نحاول مساعدة « سو » ، فلماذا لا نقيم حفلة وندعوها ؟ إنها خليق أن تأنس بنا هنا ، ولعلها إذا أوليتها عناية كبيرة ، تعتاد ذلك تنسى ما بها » .

فقال لارى : « أتعنين أنها ستضجر ضجراً يدفعها إلى مجتمعات أخرى ؟ » .

ولكن الفكرة علقت ، وأقمنا الحفلة ، وقام لارى بدور المضيف وأولاها التفاتاً فوق المعتاد ، فصرفه هذا عن البيانو الذى كان يقعد إليه عادة فى مثل هذه الحفلات فى البيت .

وقد أنسيت أن أذكر أنى اخترت له البيانو وهو صغير ليكون وسيلته إلى الحياة الاجتماعية ، وكان المدرس الوحيد الميسور موسيقيا كهلا كان مغرّى بالموسيقى القديمة (الكلاسيكية) وتحصيلها بانتظام . فكان لارى يحزن ويضجر بمرارة من التدريب ، وأخيراً أقنعت المعلم أن يعالج ما هو أشرح للصدر وأكثر مرحا، وأن يتخذ من الأغانى الشائعة مادة للتعليم . فأدى هذا إلى رضى لارى عن البيانو .

ولما نشطت الحفلة وحميت ، بلغ من اشتغال لارى بالمسألة ـ وهى زهرة صغيرة جميلة حقا ـ أن ذهل عن كل ما عداها . وكانت سو قد تلقت عدة دعوات إلى الرقص من الآخرين ، فعذلها لارى بذلك الأسلوب الدارج الذلق السريّ الشائع فى ذلك الوقت ، وإذا بهما فى المرقص . وكان يضحكان ويرقصان ، وأدت رقصة إلى أخرى ، وما زال لارى يرقص منذ ذلك الوقت ـ لا رقص خبير ، بل بحماسة .

وفى السنة الأخيرة من مرحلة التعليم العالى اضطر لارى أن يواجه أزمة أخرى ، فقد رأى جراح أن إجراء جراحة جديدة قد يعفيه من الحاجة إلى حمالة لساقه اليسرى ، ولكن لارى أبى ذلك ، وكان باعثه على الرفض أقوى مؤثر فى العالم ـــ الخوف من الألم .

وأنا لم أصف الآلام التى لا نهاية لها والتى فرضت على ابنى ، ولكنه لا معدى لى عن ذكر حادثة تجلو حالته الفكرية فى ذلك الوقت . فقد قيل لى إن غلاماً فى الأحياء الفقيرة الزرية يعانى حالة متفاقمة من شلل الأطفال ، وقد ينفعه أن ينقل إليه شىء من دم لارى .

فقلت على الفور : « كلا » فما كنت أطيق أن أكلف لارى ألماً آخر .

فقال لى الجراح : « فكرى فى الأمر » وألقى إلىّ نظرة غريبة .

فلم أطق أن أفكر فى الأمر وأخبرت لارى به .

فقال : « لا أستطيع يا أمى الا أستطيع »

فلم أقل شيئاً بعد ذلك ، وجاءنى لارى بعد يومين أو ثلاثة وقال: « لقد كنت أفكر فى أمر هـذا الغلام يا أمي . وكيف يسعنى أن أقول « لا » ؟ سأعطيه من دمى متى أرادوا . أتظنين أن هذا يؤلم يا أمى ؟ » .

وكانت ألفاظ ابنى واشية بالجزع من الألم . ولست أستطيع أن أصف ثورة الحنق التى اضطرمت فى نفسى فى تلك اللحظة ـ الحنق على الذين اقترحوا تعذيب ابنى لأن هذا « ربما » نفع واحداً لم يره قط من قبل .

وآلمه نقل الدم ، وزاد ذلك فى جزعه من الألم ، وساعد على إيجاد تلك الحالة الفكرية التى حملته على رفض الجراحة التى أشار بها الطبيب ، وكان الطبيب معنيا بإجرائها ولكنه قال: «إن من حق لارى علينا الآن أن ندع له الخيار فى التصرف » وأهملنا الموضوع .

وبعد عام جاءنى لارى وقال: « إنى أريد إجراء هذه الجراحة فى ساقى اليسرى يا أمى، وأنا واثق أنى لن أكون مرتاحا راضيا إذا لم أجرها » .

ونجحت الجراحة نجاحا طيبا ، ورقد لارى ، وساقه فى جبائر الجبس عشرة أسابيع ، غصت فى خلالها غرفته بالأصدقاء وزملاء المدرسة .

وكان من أسعد أيام حياتى ذلك اليوم الذى نزعت فيه الجبائر عن ساقه فخطا خطوة عليها ، وبعث بقبلة مع النسيم إلى الحمالة المعفرة وضحك . وكان وجه الجراح مشرقا .

وكان من حسن الحظ أن سجل لارى الدراسى أكسبه مجانية فى الجامعة ، ولولا ذلك لكان التعليم الجامعى مستحيلا ، فقد كانت أحاظى أسرتنا كلها سوء حظوظ ، ولم يكن فى وسعنا أن ننفق على تعليمه فى الجامعة التى دخلها على شاطىء المحيط الهادى. وأود أن أفيد هنا أننا لو لم نكن فى رخاء من العيش فى طفولة لارى ، لكان من المشكوك فيه أن نمضى فى إنفاذ برنامجنا ، فقد كلفنا العام الأول من مرض لارى ٣٠٠٠ ريال ، وظلت النفقة الشهرية زمنا طويلا ، للطبيب والتدليك ١٥٠ ريالا .

وفى السنة الأولى من حياة لارى فى الجامعة أحس للمرة الأخيرة أن هناك حاجزاً يعزله عن حياة الشبان غيره . وكانت الشهور الأولى أليمة ، فإن كل طالب جديد يصدمه أن يجد أنه ليس بذلك الفتى الذى كان موضع الترحيب والحفاوة، إذ هو طالب قديم بالمدرسة العالية . وكأن النظام الاجتماعى فى الجامعة مجعول لإشعاره الاتضاع ، فكان من جراء ذلك أن تجسمت آفة لارى لما

صارت معروضة فى بيئة غريبة . وقد كتب إلىّ يقول إنه لا يرى زملاءه إلا قليلا . وصحيح أنه كان يعمل ليفوز بمكان فى نشرة الجامعة ، ولكنه كان مذوداً عن ساحة الزمالة فى ميادين الألعاب وبيت اللاعبين ، فافتقد الألعاب الرياضية .

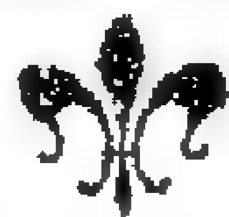
فشاورت صديقى الجراح ، فرأى أن لارى يستطيع ، وإن كان فى ذلك شىء من المخاطرة ، أن يزاول الألعاب الرياضية التى تتطلب قوة الكتفين أكثر مما تتطلب خفة الرجلين . فدخل لارى فى فرقة الرياضة البدنية، وفطن المدرب إلى قوة نمو كتفيه ، فاختبره فى مسابقتين كبيرتين . وكان لارى يتدرب بهمة وإخلاص كأى ظهير جديد ، فأصيبت ساقه اليسرى بأذى شديد بلغ من أمره أن احتاج إلى ابتداع نوع جديد من الحمالات ليستعمله فى إحدى المسابقتين . ولكنه ثابر ، ولم يقتصر نجاحه على الفوز بعضوية الفرقة، بل ظفر أيضا ببطولة المباراة بين الكليات فى المرتين . وفضلا عن ذلك أصبح من زمرة بيت اللاعبين ، وهكذا تخطى الحاجز .

وفى ليلة من ليالى الصيف الماضى ، وقد عاد ابنى إلينا فى العطلة ، لم يسعنى إلا أن أسأله : « أتظن يا لارى أنك ذو عاهة تقعد بك ؟ » .

فقال: « كلا يا أمى ! فقد استفدت مزية مذ مرضت ، ولا تزال لى . ذلك أنى لا أحب أن يسدى إلىّ المعونة أحد . وهذه مزية » .

وأنا أعتقد مثل لارى أن العاهة الحقيقية قد تهيئ للمرء ما يعوضها ، ولكنى أعلم كذلك أنه ما كل أم تستطيع أن تولى طفلها العناية التى أوليتها لارى . ولو كان لى بنون آخرون لاضطررت أن أهملهم أو أهمل لارى .

على أنى واثقة على الجملة أن ما فعله لارى ميسور ، إلى حد ما ، لعدد كبير من ذوى العاهات من الصبيان والبنات . ولارى واثق من هذا مثلى ، فقد اعتزم أن يكون جراحا للعظام ، وهو يشعر أن فى وسعه أن يمنح الغير ما منح نفسه ، وبذلك يجد السعادة .



أن تفكر فى إتقان عملك ، هو خير وسيلة تذهب عن نفسك ملالة ما تعمل .

معرض اعترافات مؤمنين

ملخصة عن مجلة " تروكونفشنز "

أديلا رود جرز سجنز

مؤلفة وكاتبة سناريو للسينما

رجعت بيتى ذات ليلة وحدى ، وكان الوقت متأخراً ، والظلام دامساً ، فأدرت مفتاح الكهرباء فغمر النور المكان ، وإذا بى أقول عفو الخاطر : « الحمد لله على هذا » وبديهى أن المكان كان يظل فى ظلام لو لم أدر مفتاح النور .

وعندى ما يدعو إلى الاعتقاد أن « النور » موجود أبداً ، وأنه مهيأ وقوى ، فإذا كان بى كسل أو كبر ، أو كنت مشغولة أو مضطربة حيرى فلم أضئه ، فإنى أقعد فى الظلمة وألوم كل إنسان إلا نفسى على سوء حالتى . ومتى توجهت أخيراً بالصلاة فى خشوع ، وأدرت المفتاح فإن النور يجىء دائماً .

* * *

كاثلين نوريس

الروائية

كانت بنية فى السادسة من عمرها ، وكانت فى صلاتها تطلب شططاً — ولعل ما كانت تطلب ٥٠ لعبة — فلم تفز إلا بواحدة . وكان أبوها الذى يعرف صلواتها هذه يعابثها فى ذلك ويقول لها : « من الجلى أن الله لم يسمعك يا سارة ، فلم يجبك — أليس كذلك ؟ »

فقالت سارة تجيبه وهى تلعب راضية ، باللعبة الوحيدة التى جاءتها : « لقد سمعنى وأجابنى ، وكان جوابه : لا » .

ونحن الآدميين قد خلطنا الأمور خلطاً شديداً فى قرون من الغباء والإثم ، حتى إن الجواب الذى لامهرب منه ، كثيراً ما يكون « لا » . على أن المدهش أن الجواب كثيراً ما يكون « نعم » ، وأن النور ، على الرغم من عمانا ، ينفذ إلينا ، والسرور والسلام الذى ليس من هذه الدنيا ، يغمران قلوبنا .

* * *

لويس برومفيلد

الروائى

فى السابعة عشر من عمرى عملت كملحق بالجيش الفرنسى ، فبدأت — فى أحوال قاسية ، والموت راصد على زاوية الطريق — أفهم وأقدر زملائى ، وأدركت أنهم يكونون أحياناً ذوى حسد ، وأحياناً من أهل

السوء ، بل يبلغ بهم الأمر فى بعض الأوقات حد الإجرام ، ولكنى على العموم انتهيت إلى الإيمان بما فيهم من خير أصيل ، فأحببتهم ووثقت بهم . وقد وجدت فى رحلاتى فى بلاد غربية أن من السهل جداً أن يكون لك أصدقاء كثيرون كالذين لك فى بلدك ، ومن طرازهم أيضاً . وكان بعضهم سود الجلود ، والبعض صفرها ، وبعضهم يتكلم لغة غير لغتى ، أو يتبع ديناً شديد الاختلاف عن الدين الذى نشأت عليه ، ولكن ما من شىء من هذا كان له تأثير ، فصرت أحكم على الرجل بأعماله لا بدينه أو جنسه .

وتعلمت حقيقة عظيمة سأظل دائماً معتزاً بها — هى أن الناس أشباه فى العالم كله ، متى اعتبرت الأمور الأساسية ، وأن اختلاف العنصر أو الدين أو اللون ليس بشىء يستحق الذكر .

***

الأومباشى أمدرو روسلانسكى

من الفيلق الجوى التابع لجيش الولايات المتحدة

أقبل الطيارون الألمان على موجات وأمطروا الساحة وابلاً من القنابل والرصاص وكنت وأنا راقد هناك — متوتر الأعصاب خائفاً — أدعو الله .

ولم يكن دعائى مما يصلح أن يقال فى كنيسة ، ولكنى ما شعرت قط من قبل بمثل هذا القرب من خالقى ، ولا أحسست قط من قبل بمثل هذه الثقة بأنه يسمعنى . ويقولون إن الموت يجعل الإنسان أدنى إلى الله . وهذا صحيح .

وكان فى أذنى رعد مجلجل ، وكان الطيار الألمانى قد دنا من الأرض وأسف حتى لقد كنت أستطيع أن أرى وجهه ، وما لبث أن ذهب ، فحاولت أن أنهض ، ولكنى عجزت . ورأيت الدم يلوث ثيابى .

وقد أخرجوا فيما بعد من ساقى ١٤ شظية ، وأدخلت ستة مستشفيات ، ولكن هذا لم يزعجنى ، فقد كنت مشغولا بالتفكير فى آراء جديدة . وقوى إيمانى فشرعت أفكر فى أمر غيرى . لم يكن فى ذلك الميدان رجل واحد لم يتوجه بالدعاء كما توجهت ، وكان بعض هؤلاء الفتية من البروتستانت ، والبعض من اليهود ، ومنهم من لم يذهب إلى كنيسة ما ، ولكنهم جميعاً دعوا الله فى ذلك اليوم . وكانوا جميعاً ينطوون على عقيدة لها قيمتها عندهم .

وقد رأيت هذا الإيمان وأثره فى المستشفى وأثناء هجوم الأعداء الذى لا رحمة فيه . وهو إيمان مشترك بالله العظيم ، وشعور نفسى بقرب المرء من خالقه أكسب هؤلاء الفتية ، فى كل ملة ، نفس القوة الباطنية . وقد علمتنى الحرب التسامح إذا كانت لم

تعلمنى سواء، والمرء يتعلم التسامح حين يسمع همس الموت فى أذن ، وبلاغَ ربه فى أذن .

***

فيث بولدوين
الروائية

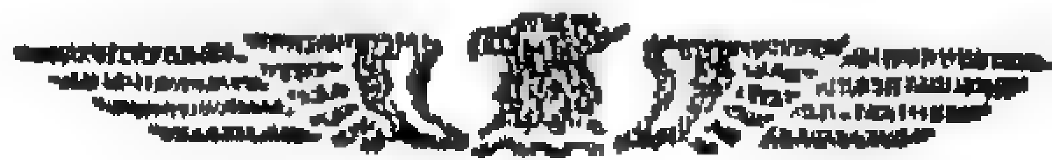
عشت نصف قرن ، وتعلمت ــ ببطء دائماً وبألم أحياناً ــ أننا نؤدى ثمن كل كلمة قاسية ، وكل عمل غير نزيه . وتعلمت أنه مهما يكن الإيمان وطيداً فإن هناك دائماً لحظات من الشك . ولكن الأمور تتعادل على نحو ما ، الخير منها والشر .

وقد كنت دائماً وما زلت أومن بالصلاة : وهى الدعاء والنشدان تفيض بهما النفس . وحدثتنى فتاة قتل خطيبها الطيار ، قالت : « ذهبت كل يوم إلى الكنيسة وصليت ، وصليت كل ليلة ، وكل ساعة من ساعات اليقظة تقريباً ، ولكنه قتل . فلن أصلى مرة أخرى أو أدخل الكنيسة » .

ومن الصعب أن يكون المرء بعيد أفق النظر . وأكبر ظنى أن كل جندى فى أية جبهة قتال ، وكل بحار فى أى موضع حربى تتبعه صلوات الذين يحبونه ، ومع ذلك ما أكثر من لا يعودون .

فإذا كانت هذه الحرب لخير العالم والأجيال القادمة آخر الأمر ، فلن تضيع صلاة سدى ، وقد لا يجاب الدعاء كما كنا نرجو ، وهى لم تحوّل الرصاصة ، ولم تنجد الطائرة ، ولم تحم السفينة أن تغرق ، ولكن حين يموت الرجل الحر ليتحرر كثيرون مستعبدون ، وليمتنع فى المستقبل أن يصفد رجل فى الأغلال ، فإن دعاء الداعين : « امنحه الحياة يا رب ! » يكون قد استجيب لهم .

لأنه يحي أبدا .



كيف تنفق عمرك ؟

تعلم «ول رودجرز» فى حداثته أن الطريق الوحيد إلى السعادة والقناعة هو أن تقبل كل يوم على عملك واثقاً مستبشراً ، وأن تلقى أعباءك فى المساء دون أن يلازمك همّ ما . وفى أحد الأيام جاءه صديق كئيب مهموم وسأله : ول ، لو لم يبق لك فى الحياة إلا ٤٨ ساعة فكيف تنفقها ؟

فقال الفلاح الفيلسوف الشعبي وهو يضحك : كلّ ساعة على حدة .

[كريستيان سينس مونيتور]

أتيحوا لنا فرصة

[كافح حتى أعياه الكفاح ، وفى الجيش يطلقون على ذلك اسم اللوثة وهي الاضطراب العصبي النفساني] .

كنت امرءاً به لُوثة . هكذا وصفني جيش الولايات المتحدة عندما أعفيت من الخدمة لعدم اللياقة الطبية منذ عام . ومنذ ذلك اليوم وأنا أناضل محنة الانتقال العسير من حياة الجيش إلى حياة المجتمع . وطالما واجهت فى ذلك صعاباً ، ورأيت الفضول والشك يتجليان فى وجوه زملائى الموظفين وأصدقائى ، بل أقاربى أنفسهم ، وكل ذلك بفضل هذا الميسم الذى وسمونى به .

إن هذا النوع من القلق العصبي يحدث للجنود فى كل نواحى الخدمة العاملة ، وإذا كنت أتحدث عنه ، فإنما أتحدث من أجلهم ، كما أتحدث من أجل نفسى ، ومن أجل ولدى الذى يوشك أن يولد ، فما أحب لنسلى هذا أن ينظر الناس إليه كأنه نسل رجل معتوه . نحن ضحايا اللوثة لسنا بالمجانين ، وإن لنا من القدرة على مراس الحياة الاجتماعية ما لأى كائن سوانا من البشر ، فأتيحوا لنا فرصة .

أنا الآن فى الثامنة والعشرين وقد جندت فى الجيش الأمريكى سنة ١٩٤١ ونقلت بحراً إلى إنجلترا سنة ١٩٤٢ ، وظللت أحارب الألمان ملاحاً فى إحدى القلاع الطائرة ، حتى قتل معظم زملائى فيها ، وحتى فقدت القدرة على النوم ، وغارت عيناى وتحدّد ما حولهما وأضنانى النحول .

ثم استدعانى جراح السرب ذات صباح صاخب ، وكنت أحاول التخلص من ذكرى ما رأيت بالأمس فلا أستطيع . يومئذ كنا عائدين من فرنسا ، فأصابت طائرة من طائرات مسر شمت إحدى قلاعنا ، فقد رأيت بوضوح كل ما حدث من وراء زجاج مقدم الطائرة : رأيت القلعة الشامخة وهى تترنح هابطة والدخان يتصاعد منها وينتشر ، ولكن لم أر أحداً يهبط منها بمظلته .

كان أعز أصدقائى على نفسى فى هذه الطائرة ، فأرقت طول الليل لا أستطيع النام .

قال لى طبيب السرب دون مقدمات : « ما رأيك فى الراحة إلى حين ؟ » وحلا لى ذلك ، وخيل إلى أنها ليست إلا بضعة أسابيع أقضيها على الأرض ، ثم يأتى خلال الشهر من يوقظنى من نومى بعنف فيردنى إلى الخدمة العاملة فى السماء .

وظللت فى أحد مستشفيات النقاهة منوماً بالعقاقير نوماً موصولا عدة أيام ، ثم بدأت أشعر بالأطباء يتحدثون على رأسى ، واتضح لى من حديثهم شيئاً فشيئاً أنى لن أعود إلى الخدمة ، وأن اسمى قد شطب منها ، وأنى ضحية من ضحايا اللـّوثة .

وطفق طبيب من أطباء الجيش يرفه عنى عذاب هـذا المصير ، وكان رجلا أصلع ودوداً ، فاقتعد مقعداً إلى جوار سريرى ، ومدّ ساقيه ، ثم قال : « لا تدع هذا الهمّ يقتلك أيها الملازم ، وانظر إلى الأمر من هذه الناحية : لقد واجهتَ أخطاراً ما كان يمكن أن تواجه مثلها فى حياتك المدنية قط ، ولـكل منا فى الجلد غاية ثم يتخاذل ، وليس التفاوت بيننا فى ذلك إلا تفاوت درجات ، وأنت حين وقفت لهذه الأخطار الشاذة انتابتك اللوثة فجعلتك غير لائق للخـدمة العسكرية ، فما هو إلا أن تعود إلى الوطن حتى تسترد قواك » .

وأعانتنى كلماته على اجتياز الأشهر الطويلة الموحشة التى قضيتها فى المستشفيات . ولـكن حين رست بى السفينة فى نيويورك اعتادنى بقية إحساس بالألم من فـكرة لقـاء زوجى وأصدقائى ، إذ أنىّ لهم أن يدركوا سر هذه العودة الغريبة إلى الوطن ؟

وارتديت فى مستشفى الاستقبال منامة (بيجامة) المستشفى من فوقها قباء (روب) وقدر علىّ أن ألقى زوجى بهذا الرداء ، أما كسوتى العسكرية التى بليت ولمعت من طول الاستعمال ، والتى تزدان بشارة الطيران وأوسمة الخدمة ، فقد حيل بينى وبينها .

وعندئذ خاطبت « بتى » فى التلفون ، والحق أننا كلينا حرنا كيف نبدأ الحديث على كثرة ما ينبغى أن يقال ، وأدركت أنها كانت تبكى .

أخبرتها أن على أن أبقى فى المستشفى إلى حين ، وأن عليها أن لا تروعها كثرة الممرضين والحراس ، وأنها قد لا تجدنى نفس الرجل القوى الذى كان يضمها إلى صدره منذ عام .

وقدمت لساعتها ، فلم ينبس كلانا بحرف سوى همس كل منا باسم صاحبه ، ولم نعد أن وقفنا متعانقين برهة ، ثم أغرقنا فى الحديث ساعات ، ولم يكن بد من أن أنبئها أن أكثر أصـدقائها فى سربى قد قتلوا ، ولـكننا كذلك لم ننس حظنا من الضحك على كسـائى الغريب ، وشحوبى شحوب السجناء ، وتلك الطريقة الغريبة التى عدت بها إلى الوطن .

كانت بتى تعودنى كل يوم ، وأحسب أن يقينى من قدومها لترانى بعد ظهر كل يوم ، كان أهم ما أعاد إلى قواى وثقتى بنفسى ، وسرعان ما أطلقت لى حرية التجوال

فى ساحات المستشفى ، فأخـذنا نتهادى فى طرقها ، ونتفيأ ظـلال الشجر ، ونتحدث وأكثر حديثنا عن المستقبل .

ثم نبئت أن قد سمح لى أن أغادر المستشفى فى الرابعة بعد ظهر كل يوم حتى الثامنة من صباح اليوم التالى ، وكان هـذا نبأ ساراً ، ولـكن شق على أن أعيد الصلات بينى وبين الناس ، فعرفت لساعتى أىّ شقاء كتب على قلوبنا ، نحن الجرحى ، أن نلقاه . وكان على أن أعود فأتعلم ، نعم أتعلم ، كل أدب من آداب الحياة اليومية مهما صغر وهان .

لقد كانت أول رحلة لى فى السيارة العامة أشق على من أول طيران لى فى سماء ألمانيا ، وكان أول انتقال لى بقطار النفق كابوسا ، وإنى لأذكر كل التفاصيل ، فقـد أخذت أهبط درج السلم مطمئناً ، ثم ألفيت نفسى فجأة وسـط الزحام ، فأحسست كأنى فى شرك — إنه نفس الإحساس الذى كان ينتابنى فى ليالى الطويلة قبيل معاركى الأخيرة — ثم جلجل قطار سريع بجوارى ولعجلاته صرير ، ولنوافذه تدافع قاصف ، فارتسمت فى فكرى ثانية صورة من نُطُق الرصاص لا نهاية لها ، تلك النطق التى سممت أحلامى فى أيامى الماضية .

لـكن بقى أعانتنى . وليت شعرى أيدرك النـاس إلى أى حد يعنينا ، نحن طلقاء المستشفيات ، أن يرافقنا أحد خلال تجوالنا فى الطريق المزدحم ، أو ركوبنا السيارة ، أو ترددنا على المطاعم ؟ إن أولئك الذين يشكون من مثل علتى هم صرعى التردد لا يستقر رأيهم على قرار ، وإن قائمة الطعام التى تحتوى على عشرة ألوان مختلفة لتكفى وحدها كى تبلبل خواطرى .

فإذا ما ترددت اقترحت بقى على شيئا ما ، أو غيرت الموضوع حتى أملك سلطانى على نفسى ، وكانت ترمى فى كل عمل تعمله إلى أن تعيد إلى ثقتى بنفسى ، وإشعارى الراحة والهدوء .

وليس كل جندى يواتيه الحظ حتى يوفق إلى رفيق يفهم كيف يمده بالعون .

وإليك طرفا مما حدث لمالك . إنه ملازم شاب آده الإجهاد فى إنجلترا ، فهمه الأمر كثيراً ، وطالما كان يتساءل : « ترى كيف يلقانى أبواى ؟ »

فقلت له : « أصغ إلى يا صاحبى . لقـد قمت هنا بعمل ناصب لم يتهيأ لأحد فى أرض الوطن حتى أن يتصوره ، وسيدرك أهلك ما كان منك » .

وكنت مع مالك فى المستشفى يوم قدم أبوه ليراه . نظر الوالد إلى ولده مشمئزاً وقال : « إنى لأستحيى لك ، فما ظننت قط أن ترضى لنفسك مثل هذا الهوان » وخلال الأسبوع التالى كان مالك قد فقد كل سلطان له على نفسه .

وفى مرة أخرى قدمت أم أحد أصدقائى لتعوده ، ولم تكد تستقر حتى أيقن كل منا ما ترمى إليه ، فقد جعلت همها أن تتجاهل وجود ابنها فى غرفة الأمراض العقلية ، وغاظه منها ذلك ، فقد كان يحتقر الرياء ، ويريد أن يواجه متاعبه رجلا صادقاً ، وأن يلتمس القوة من قهرها . وذلك ما نبغيه جميعاً .

ظللت ثلاثة أشهر أعالج علاجاً نفسانياً ، وعندما أطلق سراحى من المستشفى لم تعد تروعنى المشاكل التافهة فى الحياة ، فقد عرفنا أن علينا أن نكافح هذه المخاوف إن أردنا أن نعود إلى مكاننا فى المجتمع ، فثابرت على ذلك ، وأخذت الآن أعتاد ذلك الشعور الجديد ، وأملك القدرة على معاناته وحيداً .

ثم أخذت أواجه مشكلة الحصول على عمل . وكنت سمعت فى المستشفى قصصاً تتصدع لها القلوب عن أناس قيل لهم : « لا يمكن أن تؤتمنوا على العمل بمخرطة غالية » أو « أخشى أن يكون هذا العمل فوق طاقتك ، فما مثلك من يقوى على حمل مثل هذه التبعات » .

ولكن الأمر لم يكن من السوء بحيث قدرت ، فعندما كان الناس يسألوننى لماذا فصلت من خدمة الجيش لم أكن أقول لهم قط : « لأنى مصاب باللوثة » فإن وقع هذه الكلمة لأشد من وقع النذير ، بل كنت أقول لهم : « نالنى إعياء من الطيران » وكان هذا حقا .

ومع ذلك فقد أوصدت فى وجهى أبواب عديدة ، ولن أنسى مدير أحد الخطوط الجوية وقد أدرك ما أعنيه بإعياء الطيران فقال لى : « كان لى ابن عم فصل من الخدمة بنفس العلة — علة اللوثة كما يسميها الأطباء ، أليس كذلك ؟ » وقبل أن أبرح المكان كاشفته بكل شىء ، فعرض على وظيفة ، ولكنى شعرت أنها لا تلائمنى .

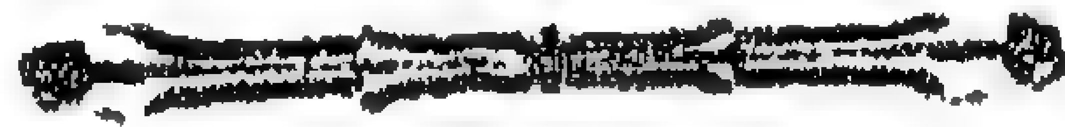
وفى النهاية وجدت عملا أقوم فيه ببعض الأبحاث لرجل من رجال الاقتصاد ، واستقرت بى الحياة على وجهها المعتاد ، وأخذت الغرف التى استأجرناها تتخذ مظهر البيت ، ولكن طلاء الجدران كانت تفيح رائحته بالليل والنهار ، حتى أصيب زوجى بالغثيان ، واضطرت أن تستعين بالطبيب ، فلما عادت كان وجهها كله يشرق بالبسمات . ثم قالت : « لا تتجن على الطلاء ياجيم . لقد أوشك أن يكون لنا ولد » .

وبعد بضعة أسابيع وكل إلى عمل فى كاليفورنيا بوساطة قريب لى ، وبأجر أكبر من أجرى السابق . وإنى لأشعر اليوم شعوراً حقا أنى قد مكنت لنفسى فى الحياة . إن لنا منزلا يشمل نحو فدان ، وأقفاصاً

لتربية الدجاج ، وزريبة للخنازير ، ومخزناً للآلات ، وإنى لأفلح حديقتى ساعة أو ساعتين فى اليوم ، ولن يمضى غير قليل حتى يشرق ضياء ولدى على هذا الفردوس .

وإذا ما تذكرت الأشهر التى قضيتها فى المستشفى ، والنضال الذى ناضلته لأقهر مخاوفى رأعود إلى الحياة المدنية ، أدور ببصرى فى منزلى ثم أوقن أنى الرابح فى هذا النضال .

إن هــذا النضال الشاق سيجتازه مئات من ألوف الجنود العاملين ، وهم مثلى: قصارى ما يطلبون أن تتاح لهم فرصة . فإذا أنتم لم تطلقوا عليهم اسم « البندق الفارغ » ، وإذا ما هيأتم لهم سبيل العمل ، ووهبتم لهم مودتكم ، استطاعوا أن يشقوا طريقهم إلى العافية كما فعلت ، وأن يجدوا أنفسهم فى النهاية سعداء فى بيوتهم ، يشغلهم العمل ، ويرفرف عليهم الأمن والسلامة ، وتحف بهم أهلهم ، ويصبحوا أحراراً فى الوطن الذى جاهدوا فى سبيل حريته



عصر الصراحة

عاد قائد إلى داره فى إجازة على حين فجأة ، فأعدت حفلة على عجل احتفاء باستقباله ، وضاق الوقت عن الظفر بخادم مساعد فى خدمة المدعوين ، فعرضت ابنته ، وكانت فى العاشرة ، أن تساعد فى تقـديم أقداح الـكوكتيل ، فقبل عرضها مقروناً بالشكر . وكانت لم تزل قائمة على خدمة المدعوين والمدعوات على خـير ما تتمناه ربة بيت ، حين سمعتها والدتها تقول لزوجة أميرال فى رقة متناهية : « ألا تسمحين لى بأن أقدم لك كوكتيلك الثامن ؟ » .

[بنيت سيرف مجلة « ستردى رفيو الأدبية »]

ظللت سنين مدرساً فى مدارس منطقة جبـل بلوردج فى ولاية فرجينيا ، وكنت أحاول دائماً أن أطبع فى نفوس تلاميذى فضيلة الأمانة . فأطلب منهم أن يكتبوا فى كل ورقة امتحان عهداً بأنهم لم يبذلوا فى الامتحان عوناً لأحد ولا تلقوا عوناً من أحـد . وقد أعطتنى فتـاة ورقتها وقد كتبت عليها العهد التالى : « لم أتلق عوناً من أحد ، ويعلم الله أنى لم أستطع أن أبذل عونى لأحد » .

[س . ى . ك . ورك]

الطبيب وزوجته والشائعة

أقصوصة لآنا كاترين جرين
يرويها أنتونى أبوت

قال الشهود إن أول ما سمعوه هو صرخة امرأة ، ثم أطل رجل برأسه من نافذة فى الطابق الثانى وصاح : « جريمة قتل » .

ولقد كانت حقاً جريمة بشعة شاذة حتى إن إنيزر جرايس ، ضابط مباحث نيويورك البارع فى كشف الجرائم الغامضة ، ظل وقتاً طويلا حائراً فى أمرها لبساطتها وخلوها من التعقيد .

مكث مستر جرايس إلى مطلع الفجر فى المنزل الكائن بميدان لافييت ، يحادث مسز هازبروك وكان زوجها لم يزل ملقى على الأرض ، وفى وسط جبهته ثقب رصاصة .

كانت الحقائق الأولى قليلة : فى الساعة ١١ كانت مسز هازبروك وزوجها فى الفراش ، وأكبر ظنها أنها استغرقت فى النوم من فورها ، أو هكذا يبدو لها — وأكبر ظنها أنها هبت من نومها من فورها أيضاً ، فهل كانت هذه الأصوات الساخطة أضغاث أحلام ؟ وهل كان صوت الرصاصة كابوسا وحسب ؟ غير أنها تحسست الفراش بيدها فأدركت أن زوجها لم يكن فى مكانه ، وأنها كانت وحدها على السرير .

ألجم الخوف لسانها ، وحملقت فى ظلام الغرفة الدامس ثم سمعت صوتاً يتمتم : « ماذا فعلت يارب ! » .

وسمعت بعد ذلك وقع أقدام تبتعد ، وصوت الباب الأمامى يغلق على حذر . وإلى تلك اللحظة لم تتمكن مسز هازبروك من أن تستجمع قواها لتضىء الأنوار ، ثم دخل عليها رئيس الخدم وخادمتان ، وهم حفاة ، ونبهوها إلى ما لم تكن قد رأته على الجانب الآخر من السرير ، جثة زوجها القتيل ، ثم فتح رئيس الخدم النافذة وصاح طالباً النجدة .

أرهق مستر جرايس نفسه فى فحص الغرفة ولكنه لم يهتد إلى دليل ، ثم أصغى إلى أقوال الجيران ولا سيما أهل الدار المجاورة ، وهما زوجان محبيان ، فالدكتور كونستانت زابريسكى طبيب أعمى يدهش زملاءه بتشخيصه للأمراض . رآه مستر جرايس واقفاً مع زوجته الفاتنة هيلين على شرفة مدخل بيته ، وهى تحثه لكى يأوى

إلى فراشه لينام وقد سمع الضابط ماأجابها به:
« أنام ! وفى الغرفة المجاورة قتيل ! ».
ولم يساعد البوليس لا أسرة زابريسكى ولا السكان الذين يقطنون العمارة نفسها. وقد أكبّ مستر جرايس على فحص هذه الجناية عـدة أشهر ولـكن دون جدوى، ثم استيقظ فجأة ذات ليلة وهو ينضح عرقاً بارداً وقد تذكر أمراً أغفله.

لقـد أخبره الجيران أنهم سمعوا صرخة كانت أول إنذار، غير أن مسز هازبروك لم تصرخ، إذ لم تتو من ذهولهـا على أن تنبس ببنت شفة. وكذلك عقـد الخوف ألسـنة الخادمات، ومن أجل ذلك أقلق مستر جرايس سؤال واحد:

« من هى المرأة التى صرخت قبل أن يطل رئيس الخدم من النافذة ؟ »

وفى مطلع فجر اليوم التالى زار مسـتر جرايس هيلين زابريسكى فألفـاها أكثر فتنة مما يتذكر، وما وقعت عينه على سحر شبابها المتحفّز حتى أدرك أنها من النسـاء اللواتى متى ثار حبهن فإنه يكون أقوى من المـوت، ولـكن هل أثار زوجها الأعمى هذا الحب ؟ ألقى عليها مستر جرايس سؤال الاتهام: من هى المرأة التى صرخت؟ فاصفر وجه هيلين، وقبل أن تتمكن من جوابه دخل الطبيب الأعمى الحجرة، فإنه حين علـم أن الزائر هو ضابط المباحث جرايس قال: « لقد ساقه الله إلينا ».

وقالت هيلين تدافع عنه: « لا تصدق ما سيصرح لك به، فإن به مسًّا من الخبل ».

وقال الدكتور زابريسكى بحزم: « أنا الذى قتل هازبروك ».

« ولـكن لماذا يا دكتور ؟ ».

فهز الرجل الأعمى رأسه، فما من شىء يحمله على أن يبوح بالباعث على جرمه.

« ولـكن كيف يتسنى لك وأنت أعمى أن تصيب مقتلا ؟ ».

فهز الدكتور زابريسكى كتفيه باستخفاف وقال: « إننى أسدد على منبعث الصوت، وأنا خبـير بالرماية، هاتِ مسدساً وأنا أريك ! ».

أصغى أصحاب الشأن فى قلم المباحث إلى حديث جرايس مجاملة له، ثم اقترحوا أن تصحب مسز زابريسكى زوجها إلى طبيب فى الأمراض العقلية.

وكان جرايس هو وحده الذى لم يطّرح هـذا الاعتراف جانباً على أنه غير معقول، فتتبع كل شىء كما يتتبعه ضابط بارع من ضباط المباحث، فلم يكد يتقصى خبر حياة هيلين وزوجها حتى ترامى إليه ما ترجف به ألسنة الناس.

فى الأيام السالفة كان أمر حبهما أسطورة تروى ، وكان حبهما على ما يبدو يزداد شدة بما يلابسه من هم وبلوى ، غير أن الناس جعلوا أخيراً يتخافتون بينهم أن من حظ الطبيب أنه لا يستطيع أن يرى فتنة زوجته تسحر الرجال ذوى العيون والأبصار .

من هذه الأراجيف بدأ جرايس ينسج فكرة الجريمة ، فثابر على العمل عدة أسابيع ملتجئاً إلى كل حيلة فى جعبته ليصل إلى الحقائق ، فقد علم أن الإشاعات كانت قد بلغت زابريسكى فملأته غيرة وشكا ، وأنه فى ليلة ارتكاب الجريمة أبلغه أحد أصدقائه وهو بعيد عن بيته أن زوجته مع عاشق لها.

تمثل جرايس المنظر : عاد الزوج إلى بيته وهو يحمل فى جيبه مسدساً ، ولكنه وهو فى جنون غيرته دخل من باب الدار المجاورة بدلا من باب بيته . وكانت هندسة بناء البيتين متشابهة ، فتسلل صاعداً الدرج ودخل غرفة النوم ، فظن مستر هازبروك المسكين أن المقتحم لص فصاح ، وظن زابريسكى أن هازبروك هو عاشق زوجته فأطلق المسدس فى اتجاه الصوت .

وكان ما تصوره مستر جرايس أن الطبيب حين ثاب إلى رشده أدرك ولا بد مما يحيط به ، أنه قد ارتكب خطأ كبيراً ، وذلك حين تمتم بقوله : « ما ذا فعلت يا رب ! » ، ثم انطلق خارجاً يحث خطاه بما جبل عليه العميان من ثبات الخطى تحت جنح الليل . ثم ألقى المسدس بعيداً ولم يعثر عليه رجال الشرطة أبداً ، واندفع فدخل بيته ، وما كادت هيلين تبصره حتى صرخت لأنها أدركت أن حادثاً مخيفا قد وقع .

ولكن فى صباح اليوم الذى عزم فيه مستر جرايس على أن يواجه الدكتور زابريسكى بهذه الوقائع ، تلقى أمراً مزعجاً من إدارة الشرطة ، فقد كلف بأن يذهب مع جماعة من المراقبين إلى أسوار نيوجرسى ليختبروا حذق الرجل الأعمى فى الرماية ، فبهذا الاختبار كان الدكتور زابريسكى يرجو أن يتخلص من مستشفى الأمراض العقلية ، فقد حكم عليه بالجنون ثلاثة أطباء من بين أربعة .

ولم ينبس أحد بحرف وهم يجتازون النهر بكلمة ، ولم يكن يتردد صوت سوى صوت دقات المنبه الذى سيكون هدف الرجل الأعمى . علقت هيلين المنبه على جذع شجرة ، وكانت الساعة الخامسة إلا خمس دقائق ، وسيدق جرس المنبه فى الساعة الخامسة ويسدد الأعمى إليه قذيفته وهو على بعد عشر خطوات .

وحمل الدكتور زابريسكى المسدس فى يده ، واستعد ليشهد على نفسه بالجريمة ويبعد

عنها شبهة الجنون .

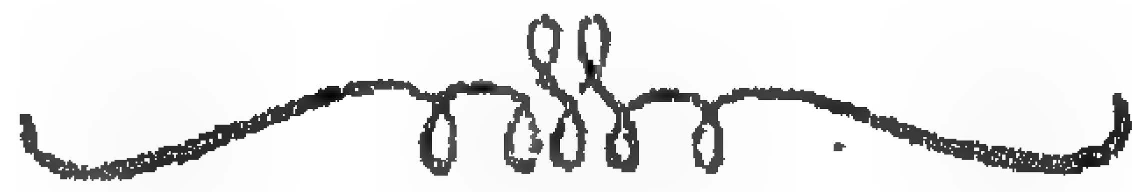
ثم صاح آمراً : « لا يتحرك أحد حتى لا أخطئ التقاط أول رنة للجرس » .

ثم رفع المسدس ، والجميع واقفون عن يساره بعيداً عنه ، إلا زوجتـه التى وقفت وحـدها عن يمينه ، وقد ارتدت معطفاً طويلا أسود . ومرت لحظـة صمت عميق يكاد لا ينتهى ، ثم انطلق رنين الجرس حاداً حثيثاً فى الهواء القارس ، وتبعته ومضة النـار المنطلقة ثم صوت زجاج يتهشم — وصرخة ألم .

وعلى جذع الشجرة ظل المنبه الذى كان هدفاً وهو يدق دون أن يمس أو يضطرب ، فلم تـكن الساعة قد بلغت الخامسة بعـد ، إلا أن الرصاصة كانت قد أصابت المقتـل من هدفها ، فقد سقطت الزوجة البائسة على الأرض مضرجة بدمائها ، وقد تناثر من معطفها حطام ساعة أخرى . وكأنما تحرك الرجل المجنون الأعمى بغريزته وجثا بجانبها على ركبتيه ليصغى إليها وهى تقول إنهـا أحبته أكثر مما أحبت الحيـاة نفسها . لقد أخطأ حين اعتقد أنها خائنة ، غير أن الجريمة حالت بينهما ، وليس فى وسعهما أن يتمتعا بالسعادة فى هذه الحياة الدنيا ، والآن وهما يتهامسان كانا يعدان أمرهما ليعيشا فى الحياة الأخرى .

لم يحزن المستر جرايس حين ألقى الرجل الأعمى بنفســه فى النهر وهو عائد إلى نيويورك ليلقى حتفه .

وقد قال إن هناك ألغازاً تخرج عن طاقة رجال المباحث ، وأحد هذه الألغاز « قلب المرأة » .



ولا يزالون يبتسمون

سألت خادمتى العجوز فى لندن ، ماذا تفعل حين تسقط القنابل ، أتبرح فراشها أم تلزمه ، أم تذهب إلى المخبأ ، أم تظل حيث هى لا تتحرك . فقالت : كنت فيما مضى ألزم الفراش ولكننى أبرحه الآن . المسألة بسيطة يا سيدتى ، فنحن ندفع نفقات هـذه الحرب ، وأنا أقول إنه يحسن بنا أن نشاهد ما ندفع نفقته .

[مرجريت إيتكن]



الجنرال فردريك وكتيبته الباسلة

قصة تذاع كاملة لأول مرة عن وحدة نظمت سرا من الأمريكيين والكنديين ، وقام رجالها بأعمال جريئة سجلت أسماءهم فى التاريخ

وصلت إلى إيطاليا منذ عام وحدة مقاتلة أحيط أمرها بالكتمان ، وكل رجل من رجالها قد نيط إلى كتفه اليسرى رأس سهم أحمر ، نقشت عليه عبارة « الولايات المتحدة — كندا » ، أما الضباط فعلى بنائقهم (ياقاتهم) أسهم متقاطعة مكان الشارات الأمريكية أو الكندية المألوفة . وهؤلاء هم رجال سلاح الخدمة الخاصة الأول ، وهى وحدة شديدة المراس مدربة على أعمال حربية مختلفة ، وقد ظلت مآثر أعمالهم طى الكتمان بحكم الرقابة حتى أواخر هذا العام . وهذا السلاح مؤلف من جنود كنديين وأمريكيين يقاتلون معاً تحت قيادة واحدة لأول مرة فى التاريخ .

وكانت المهمة التى تنتظرهم فى إيطاليا من النوع الذى دربوا خاصة على القيام به . وذلك أن فرقة من أمهر الفرق الأمريكية ظلت ثلاثة أسابيع تحاول الاستيلاء على جبل «لاديفنسا» ، وهو على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم ، ويسيطر على موقع الألمان فى كاسينو . ولكن الثلج والجليد ، ودفاع الألمان المستميت — حالت كلها بين الفرقة الأمريكية وما تريد .

ويومئذ قذف فى المعركة بفرقة الخدمة الخاصة — تحت رياسة قائدها الشاب النابغة البريجادير روبرت فردريك ، فأرسل طلائعه تتحسس ، فتبين لهم أن ناحية من القمة قائمة الانحدار بحيث لا يمكن تسلقها إلا بالحبال . وكان الألمان يحسبون ذلك ضرباً من المستحيل .

وبعد بضع ليال ، شرع فردريك ورجاله يتسلقون سفح الجبل ، فلما انبلج الفجر اختبأوا فى منتصف الطريق إلى القمة على مقربة من العدو ، بحيث كانوا يشمون رائحة الطعام الألمانى ، ويسمعون الألمان يتكلمون ، وكانت درجة الحرارة تكاد تنزل إلى الصفر . ولم يكن لدى الجنود أغطية يلتحفون بها ، ولم يكونوا يجرؤون

على الحراك خشية أن يراهم العدو فيبيدهم ، وهكذا ظلوا اثنتى عشرة ساعة بلا حراك ، حتى تجمدت ملابسهم ولصقت بالأرض ، وظلوا طول هذا الوقت لم يذوقوا طعاماً .

فلما أرخى الليل ستاره تسلقوا المنحدر القائم بالجبال ، حتى إذا لاح الصبح أغاروا على الألمان ، فملأوا قلوب النازيين ذعراً حملهم على التراجع ستة أميال إلى كاسينو ، ولم تفقد الفرقة إلا ٧٥ من رجالها .

وفى يناير ذهبت هذه الفرقة إلى رأس جسر أنزيو ، وظلت ٩٨ يوماً محتفظة بجبهة طولها عشرة أميال ، وهى مساحة تتطلب عادة خمسة أضعاف هذا العدد . كانت الفرقة تنقض من مكمنها فجأة على الطلائع الألمانية على طريقة الهنود الحمر ، فيخرج أفراد هذه الطلائع عشرات ثم سرعان ما يختفون . وأخيراً ردّ الألمان مناطق طلائعهم خمسة أميال إلى الوراء ، فلم يلبث فردريك أن انقض بدباباته وسياراته المصفحة وقتل ٥٠ ألمانيا ، وأسر ٦٠ فى مقابل إصابة رجل واحد من رجاله ، وهو جندى كندى انصدع عقبه وهو يقفز من برج إحدى الدبابات .

ويرجع الفضل فى إنشاء سلاح الخدمة الخاصة إلى ونستن تشرشل ، إذ اقترح فى أوائل سنة ١٩٤٢ تشكيل فرقة كندية أمريكية تسمى « سلاح أمريكا الشمالية » ، تدرب تدريباً خاصا على شتى صنوف القتال وتشترك فى الغارات التى تشن على المواقع العسكرية فى أوربا المحتلة . وانتهى هذا المشروع إلى مكتب فردريك ، وكان إذ ذاك مساعد كولونيل بقسم العمليات والخطط فى وشنطن .

وكان فردريك قد قضى معظم حياته فى اتخاذ العدة لمثل هذه الفرصة ، فقد التحق بالحرس الوطنى فى الثالثة عشرة من عمره ، فلما بلغ السادسة عشرة عين ضابطاً احتياطيا برتبة ملازم ثان فى سلاح الفرسان ، وأتم دراسته بالكلية الحربية الأمريكية فى وست بوينت عند مابلغ الحادية والعشرين .

وفى سنة ١٩٣٩ أرسل إلى مدرسة القواد والضباط العظام .

وذهب فردريك إلى لندن ثم إلى أوتاوة للبحث فى المشاكل المعقدة الخاصة بتنظيم وحدة مقاتلة كندية أمريكية ، وكان لشخصيته الملهمة ، ودرايته العسكرية ، أثرها فى أوتاوة ، فقالت إنها على استعداد للمضى فى المشروع إذا عهد إلى فردريك بقيادة السلاح الجديد . فوافقت وزارة الحرب الأمريكية .

ووقع اختيار فردريك على ميدان للتدريب قرب هيلانة فى ولاية مونتانا ، وفى الوقت عينه كان الضباط يطوفون

بمعسكرات الجيش فى الولايات المتحدة وكندا بحثاً عن رجال ذوى بنية فائقة فى متانتها وقوتها، ما بين خشابين، وصيادين، وقناصى بقر. وقد تطوع عدد كبير من هؤلاء الرجال الأشداء، كما تطوع عدد آخر من أصحاب السوابق.

وسرعان ما وجد فردريك نفسه محوطاً بمشاكل التدريب. ومن ذلك أنه لم يكن بد من إتمام دراسة الهبوط بالمظلات فى ستة أيام، فاستعار طائرة من ناقلات الجنود، وحصل على بعض مظلات الهبوط، وسار بجنوده إلى ميدان التدريب. ولكى يقنع رجاله بأن ستة أيام تكفى للتدريب، تلقى هو نفسه الدروس فى مدة عشر دقائق لاتزيد، فتعلم كيف يعالج مظلته ليتقى شدة الارتطام بالأرض، ثم صعد فى إحدى الطائرات وقفز بالمظلة. وبهذا عرف فى فرقته بالذى طالما سمعتهم يرددونه فى إيطاليا قائلين: «إن لدينا قائداً لا يقود فحسب ـ بل يسبق إلى ما يأمر به».

واستقدم فردريك خبراء يعلمون الضباط والجنود كيف يستعملون شتى أنواع السلاح، بما فيها سلاح الأعداء. وأصبحوا خبراء فى التخريب، وكانوا يخرجون إلى الجبال للتدرب على الانزلاق بالمزاليق وأحذية الجليد، وكذلك تدربوا على النزول من البحر إلى البر فى نورفوك بولاية فرجينيا.

وكان فردريك يعنى بتقوية البنية عناية خاصة، فكان رجاله ينامون فى الجليد بلا أغطية، ويتعلمون كيف يستغنون عن النوم، ويكتفون بأقل الطعام. وأعقب هذا على مر الزمن خير عاقبة، وأصبح السلاح مشهوراً بقوة احتماله للشدائد.

وكان الجنود يذكرون أنفسهم فى فخار باسم «رجال فريدى»، ويباهون بالأثقال التى يستطيعون أن يحملوها. ومن ذلك أن بغلا ناء بحمل مدفع هاون زنته ١٤٠ رطلا وهو يصعد به فوق أحد الجبال فى إيطاليا، فما كان من كندى يدعى فرنسيس رايت إلا أن تناول المدفع وحمله صاعداً فوق السطح المغطى بالجليد!

ويرجع الفضل فى قدرة رجال السلاح على إنزال أفدح الخسائر وانتزاع أمنع المواقع بأقل التضحيات، إلى قوة احتمالهم الهائلة من ناحية، وإلى ما اعتاده فردريك من قيادة جميع الهجمات بنفسه. ومثال ذلك أنه فى ليل ٤ يونيو سنة ١٩٤٤ ركب فى مقدمة سبعة من جنوده سيارة مصفحة اجتازت بهم روما فى طريقها إلى جسر مرغريتا، وهو أحد خطوط التراجع الرئيسية للألمان، على نهر التيبر. وكانت مهمته الاستيلاء على الجسر

والحيلولة دون عبور أحد من الألمان فى تراجعهم .

وقد بدأ القتال حينما دلفت أول سيارة ألمانية من غياهب الظلام ، فقد دوت مدافع تومى وتطاير الرصاص متداركا خاطفاً . ورأى فردريك ألمانيًّا يعدو لإلقاء قنبلة يدوية ، فزأر مدفعه الرشاش وسقط الألمانى صريعاً . ثم انهمر على المدافعين سيل من الرصاص ، فهوى سائق الجنرال فردريك برصاصة أصابته فى المخ ، وسقط جندى آخر من الفرقة ، وأصاب الرصاص ساق فردريك اليمنى .

ولكن نار المدافعين ظلت مستعرة ، فصرعت خمسة من الألمان ، وجرح ستة آخرون ، وتقدم أحد عشر مستسلمين ، وتراجع الباقون هاربين من حيث أتوا ، وراحوا يذيعون أن فرقة أمريكية ترابط عند الجسر ، وأن الموت بالمرصاد لمن يسلك ذلك الطريق .

ويطلب معظم القواد من مرءوسيهم أن يكونوا على رأس رجالهم فى القتال ، ولكن بوب فردريك لا يصر على ذلك فحسب ، بل يجعل تنفيذ ذلك شغله الشاغل . وقد حدث ذات يوم من أيام يناير الماضى فى إيطاليا أن أصدر أمره بالهجوم على موقع صعب المرام من مواقع المدفعية الألمانية ، وقبل ساعة الهجوم تسرب متغلغلا فى خطوط الألمان تغلغلا عميقاً ، حتى وصل إلى مكان استطاع أن يشرف منه على جنود فرقته والملحقين بهم وهم يتقدمون نحوه فى هجومهم ، وما من ضابط صغير تخلف عن مكان الصدر فى ذلك الصباح إلا ناله من غضب فردريك شواظ من نار فى آخر النهار .

وفردريك من غير شك أكثر قواد هذه الحرب ندوباً وجراحاً ، إذ أصيب تسع مرات ، ولم يغادر قط ميدان القتال . وهو يحمل وسام « القلب القرمزى » ذى العناقيد الأربعة ، ووسام « النجم الفضى » لشجاعته فى جبل « لا ديفنسا » ، وصليب الخدمة الممتازة لشجاعته الفائقة ، ولكن أعظم دواعى فخره هو ذلك النجاح الذى أصابه الكنديون والأمريكيون — إذ قاتلوا معاً يداً واحدة .

وترى رجاله أيضاً يسترشدون به ويستلهمونه فى إزالة ما يسميه : « الحدود الخفية بين كندا والولايات المتحدة » . وقد أتيح لى أخيراً أن أشهد مثلا يدل على مبلغ حب جنوده له ، فقد كانوا يستجمون على شاطئ بحيرة ألبانو ، ولم يستطع الجنرال فردريك قط أن يظفر بأية مداليات بريطانية أو كندية يهديها مكافأة لرجاله ، ولكنه استطاع أن يحصل من الجنرال مارك كلارك

على بعض النجوم الفضية ، لمنحها للكنديين والأمريكيين جميعا . ووقفت الفرقة فى استعراض عام أمام البحيرة البهيجة الزرقاء ، وقد رفعت الأعلام الأمريكية والكندية على جانب علم الفرقة الخاص ، وهو علم قرمزى طبع فى وسطه باللون الأسود رسم خنجر الصيد الذى يحمله جنود أمريكا الشمالية . وفى نهاية الاستعراض خاطب الجنرال فردريك جنوده قائلا :

« إنه لمن أحب الأعمال إلى نفس القائد أن يقلد جنوده المداليات التى كسبوها عن جدارة واستحقاق ، ولكن من أشق أعمال القائد أن يقف ليودع وحدة يشعر بأنه يحبها » .

وساد الصمت المطبق لحظة ، ثم صاحت الفرقة صيحة رجل واحد ، صيحة الألم المكظوم . واغرورقت بالدموع عيون المقاتلين العتاة ، وتساءلوا إلى أين هو ذاهب ، ليسعوا إلى العمل تحت قيادته .

ولكنه هز رأسه قائلا : إنه لا يستطيع أن يخبرهم ، ولكنه ينتظر منهم أن يظلوا فى قتالهم معا ، لا على أنهم كنديون وأمريكيون ، بل بأنهم جنود أمريكا الشمالية ، محتفظين بسمعتهم أنهم أشجع وحدة مقاتلة على وجه الأرض . ثم دار فى هدوء ليحيى علم أمريكا الشمالية الفريد فى نوعه .

وتشاء المصادفة أن أكون فى جنوب فرنسا حين عاد هؤلاء الجنود فاجتمعوا بقائدهم مرة أخرى . وذلك أن فردريك كان قد عهد إليه بعمل من الأعمال الحبيبة إلى نفسه ، وهى تنظيم فرق المظلات من بريطانية وأمريكية وفرنسية ، وتأليف قوة جوية موحدة لغزو جنوب فرنسا ، وكان قد نال نجمته الثانية ، ورقى إلى رتبة ميجور جنرال فى السابعة والثلاثين من عمره ، وبذلك أصبح أصغر قائد بهذه الرتبة فى التاريخ الحديث .

ولقد كان مرة أخرى أول الهابطين من الطائرة عند ما نزلت وحدته الجديدة خلف خطوط العدو ، وأقامت حاجزاً للمقاومة حول رأس الجسر ، فلم تمنع الألمان من الدخول فحسب ، بل أسرت كذلك ٤٠٠٠ كانوا يريدون الفرار .

وكان قد عهد إلى سلاحه القديم — سلاح الخدمة الخاصة — بالاستيلاء على جزيرتى ليڤانت وبوركروس ، على مقربة من الساحل الفرنسى عند طولون ، حيث كان عليهم أن يضعوا أيديهم على مدافع ضخمة فى الليلة السابقة ليوم الغزو وقاية لحاملات الجنود ، وقد وفقوا فى مهمتهم توفيقاً باهراً .

ولما ذهبت لمقابلة فردريك فى مركز قيادته فى ليمى قال لى وعيناه تلمعان بهزة

السرور : « إن سلاح الخدمة الخاصة قد وضع مرة أخرى تحت قيادتي . . . . »

وراح رجاله بعد ذلك ، خارج مركز قيادته ، يطوحون بخوذاتهم في الهواء وقد فرحوا فرحاً شديداً، ووقف بوب فردريك من جديد يحيي علم الأمريكيين الشماليين ، ويقول لرجاله : « لقد سرتني رؤيتكم أكبر السرور » . والمعروف أن فرقته هذه تلتزم النظام الدقيق ، ولكن حبل النظام في هذه المرة اضطرب، إذ صاحوا من بين الصفوف : « تستطيع أيها القائد أن تقول عنا كما تقول عن نفسك . إننا لفرحون أشد الفرح لعودتنا إليك » .

وفي اليوم التالي بدأ جنود الخدمة الخاصة يتعقبون الألمان على آخر شقة من الأرض تفضي إلى برلين . . .



نبع الحيـاة

لا أعرف غبطة أعظم من أن أسدي يداً في الخفاء ، ثم ينكشف خبرها مصادفة

[تشارلز لام]

هذا هو المحك الأخير للسيد الكريم : احترامه للذين لا يستطيعون أن يصنعوا إليه معروفاً ما .

[وليم ليون فلبس]

قال نبوليون ، ولا ينبئك مثل خبير : إن الغلبة الوحيدة التي تدوم ولا تعقب أسفاً ، إنما هي غلبة النفس .

لا تكون الهزيمة مرّة حتى تتجرّعها .

كل نصف ما اعتدت أن تأكل ، ونم ضعف ما اعتدت أن تنام ، واشرب ثلاثة أضعاف ما اعتدت أن تشرب، واضحك أربعة أضعاف ما اعتدت أن تضحك، فإن فعلت مُتّعتَ بأفضل العمر .

[الطبيب جون هارفي كيلوج]

هلم بنا نتمشى

ماكس بيربوم
الكاتب الانجليزى الفكاهى ، والمصور الهزلى ،
ومؤلف "زليخه دبسون" و"أشياء جديدة وقديمة" و"المنافق السعيد" الخ

ملخصة عن كتاب " والآن أيضاً "

لم يتفق لى مرة واحدة فى حياتى كلها أن أخرج لأتمشى . نعم خرج بى ناس للتمشى مراراً ، ولكن هذا شىء مختلف جدا . والناس على ما يظهر يظنون أن الرغبة فى التمشى تنطوى على شىء من النبل والفضل ، وأن لهم الحق فى أن يفرضوا إرادتهم على من عسى أن يروه مستقراً مستريحاً على كرسيه يقرأ . فيقولون له : « تعال بنا نتمشى ! » بلهجة الأمر التى لا يحلمون باستعمالها فى اى معرض آخر ، فترى أن من الحكمة أن تطيع فى هدوء .

وقد يكون المشى من أجل المشى أهلا لكل ما يخلع عليه من ثناء جزيل ، وإنما اعتراضى عليه أنه يعطل الذهن . وقد علمتنى التجربة أن كل ما عسى أن يكون ضيف مثلك قد أوتيه من القدرة على الإفادة أو التسلية وهو قاعد على كرسى ، واقف على سجادة بجانب الموقد ، سرعان ما يفقده حين يستصحبك للتمشى . فترى وجه الرجل قد جمد بعد أن كان حيا ناطقاً ، وينطفىء النور الذى كان يشع من عينيه الجميلتين ، ويقول إن أ . (مضيفنا) رجل جامع لكل خير ، ونندرج فرسخاً آخر أو نحوه ، فيقول إن المسز أ . سيدة فتانة . ولا يلبث أن يضيف إلى ذلك أنها أفتن امرأة عرفها . ونمر بفندق فيقرأ ببرود ، وبصوت عال : « حانة حرس الملك . مرخص لها ببيع الجعة والخمور » فأتوقع ، فى بقية الرحلة ، أن يقرأ بصوت عال كل كتابة تصادفنا . ونمر بنُصب فى الطريق نقش عليه «أوكسمنستر ١٠ أميال» . وأرى من بعيد تحذيراً على لوح ، ويراه هو أيضاً ، ويديم إليه النظر ، حتى إذا بلغناه قال : « من تعدّى الحدود حوكم » . يا له من مسكين ! لقد تقوض كيانه العقلى . بيد أن الغداء عند مضيفتنا أنقذه . فانظر إليه وقد صار مرة أخرى حياة الحفل وروحه .

فكيف ترى يحدث هذا الانحطاط السريع لمن يخرجون للمشى من أجل المشى ؟ أحسب أن الذى يغرى المرء بالإقدام على ذلك ليس قواه المفكرة بل شيئاً آخر يسمو فوق العقل — روحه على ما أظن .

تصيح الروح بالجسم: «خطوة سريعة !» فيتدخل العقل مسترضاً وينادى : « وقوفاً ! استراحة ! » ويسأل الروح متلطفاً : « لأية غاية ، وفى أية مهمة تبعثين بالجسم ؟ » فتجيبه الروح : « فى غير مهمة ما ، ولغير غاية على الإطلاق . إنما يذهب الجسم يمشى لأن مجرد عمله هذا آية نبل صادقة ، ودليل نزاهة ، وشاهد قوة ومتانة فى الخلق » فيقول العقل : « حسن إذن . وإنى لأرفض رفضاً باتاً أن أشترك فى هذه الحماقة، وسأنام حتى تنتهى » .

ويلتحف العقل بعد ذلك بتلافيفه . ويغشاه سبات لا يوقظه منه شىء حتى يودع الجسم بسلام داخل الأبواب مرة أخرى !



سر النجاح !

أعلن أن التفتيش العسكرى سيكون دقيقاً لأن ضابط القيادة كان صارماً لا يطيق عبثاً . وكان المجندون فى مدرسة الطيران قد نظموا أمورهم على خير حال ، لولا مجند واحد لم يكن يجيد عملا البتة . فما أقبل القائد وفتح خزانة هذا المجند حتى اضطربوا جميعاً خوفاً عليه ، ولكنهم دهشوا إذ رأوا القائد تبدو على وجهه علامات الارتياح ، ثم مضى يفتش سائر المجندين . وبعد انصرافه ازدحموا حول هذا الفتى وسألوه سرّ ما حدث، ففتح خزانته وإذا صورة كبيرة للقائد ملصقة فى داخلها .



موازنة الميزانية

حين سئل سام كيف يوزّع دخله فى ميزانيته الخاصة قال : أوه ، نحو ٤٠ ٪ للمأكل ، ٣٠ ٪ للمأوى ، ٣٠ ٪ للملبس ، ٢٠ ٪ للملهى ومتفرقات أخرى .

— ولكن المجموع يا سام يبلغ ١٢٠ ٪

— أوتقول هذا لى أنا ؟ !

باب الكتب



أنَّة وملك سيام

ملخص كتاب : مرجريت لاندون

[« أنة وملك سيام » قصة حقيقية ، وإن كانت أغرب جداً من أشد الروايات إيغالا فى الخيال . وهى مبنية على مذكرات صحيحة عن مغامرات سيدة إنجليزية فى بلاط عاهل من آخر الحكام بأمرهم فى الشرق .

وقد قال جون تشمبرلن فى وصفها فى جريدة نيويورك تايمز : « إنها قصة ساحرة . ومن أعجب ما كتب عن أشد القرون رومنطيقية — القرن التاسع عشر »] .

في أصيل يوم من سنة ١٨٦٢ كانت باخرة من سنغافورة تدخل فى بطء وحذر فى نهر تشورفيا مصعدة إلى بانجكوك عاصمة سيام .

وكانت سيدة إنجليزية تعتمد على الحاجز ، ومعها ابنها الصغير وهو فى السادسة أو نحوها ، وكان ثوبها الأزرق ذا زيق عال أنيق وكمين طويلين إلى الرسغين ، وهى هيفاء القوام رشيقته ، وكان النسيم يعبث بذلاذل ثوبها الفضفاض وهى واقفة هناك ، ولم يكن فيها ما يشى بالقلق سوى عينيها النجلاوين وقد شخصت بهما إلى الساحل .

وألقت الباخرة مراسيها على مقربة من جدار طويل أبيض ، تبدو من ورائه مشرفة عليها فى شيء من الغموض طبقة فوق طبقة من سقوف القصر الملكي . فجعلت السيدة الإنجليزية تنظر إليها مستغرقة الذهن ، ذاهلة عن الأطواف والزوارق والسفن التى غص بها النهر .

وإذا بجندول طويل يخرج مؤتلقاً من الظلال المتكاثفة منحوت كالتنين ، ومشاعله تنعكس أضواؤها فى حيث تضرب الماء صفوف المجاديف المبتلة ، وصعد منه موظف إلى الباخرة ، وكان يلف على بدنه ملحفة من حرير أرجوانى نفيس لا تبلغ ساقيه ، ولا يلبس سترة أو معطفاً ، وكان جسمه الأسمر يلمع تحت ضوء المشاعل ، وخلفه اثنى عشر من الأتباع انبطحوا على الأرض كالضفادع وثنوا أذرعهم وأرجلهم تحتهم . وكأنما أعطيت إشارة ، فخر كل أسيوى كان على السفينة — من الحمالين وغيرهم — على وجهه .

وتقدم ربان الباخرة :

« هل تسمحين لى يا مسز ليونوونز أن أقدم إليك صاحب السعادة شاو – فيا – سرى – سوريا ونج رئيس الوزارة فى مملكة سيام ؟ ويا صاحب السعادة هذه هى المسز ليونوونز » .

فانحنت السيدة الإنجليزية قليلا ، واضطرب ضوء المشاعل على وجه رئيس الوزارة الذى كان كأنه مصبوب فى قالب . ومع أنه كان نصف عار ، ولا شيء يرمز إلى رتبته ومقامه إلا أنها أدركت أن هذا الشريف السيامى يتقاضاك الاحترام . وأشار إلى شاب من أتباعه فزحف إليه كما يزحف الكلب ويدنو من سيده المغضب ، وتلا ذلك لفظ سريع بمقاطع ألفاظ غير مفهومة ، والتفت التابع إلى أنـّة ليونوونز وقال لها بالإنجليزية :

« هل أنت السيدة التى ستعلم الأسرة الملكية ؟ » .

فحنت رأسها قليلا وقالت : « نعم » .

« هل لك أصدقاء فى بانجكوك ؟ » .

« لا أعرف أحداً فى بانجاوك » .

ودار كلام سريع مرة أخرى باللغة السيامية ، ولم تكن السيدة الإنجليزية تدرى أن ذا العينين السوداوين المتكبرتين ، الذى كان يحدّ إليها النظر ، كان يفهم ما قالت تماما.

وعاد المترجم يقول :

« وماذا تراك صانعة ؟ أين تبيتين الليلة ؟ » .

فقالت وجاهدت أن تحافظ على اتزان صوتها : « لا أدرى ، فإنى غريبة هنا . ولكنى فهمت من كتاب جلالته أن مسكناً سيهيؤ لي عند وصولى » .

فتأملها المترجم وسيده فى غير أدب ، وتكلم السيد وترجم المترجم : « إن جلالته لا يستطيع أن يتذكر كل شىء » . قال ذلك بلهجة من لا يكترث: « ولك أن تذهبى حيث تشاءين » .

ودار رئيس الوزارة وانحدر من حيث صعد يتبعه عبيده وخوله ، وغاب الجندول فى الظلام بمشاعله الخفاقه الضوء ومجاديفه الملتمعة .

وظلت أنّة لحظةواقفة تنظر وقد أذهلها ما استقبلت به من قلة المبالاة بمصيرها .

وكانت قبل نحو عام قد توفى زوجها فجأة ، وهو ضابط شاب فى الجيش البريطانى فى الشرق الأقصى ، وترك أنّة وطفليها الصغيرين بلا مال ، فحاولت زمناً أن تدير مدرسة لأبناء الضباط فى سنغافورة ، ولكن الأمر كان شاقاً ، فقد كان الضباط يبعثون بأبنائهم عن طيب خاطر إلى المدرسة ، ولكنهم كانوا كثيراً ما ينسون أن يدفعوا المصاريف . ولهذا ما كاد يعرض عليها الملك مونجوت ملك سيام ، بواسطة قنصله ، أن تتولى تعليم أبنائه حتى بادرت إلى القبول . ورتبت أمورها فأرسلت بنتها « أفيس » إلى إنجلترا مع أصدقاء لها ، لتتعلم فى مدرسة هناك ، واستصحبت هى ابنها لويس الصغير واثنين من خدم الأسرة فى رحلتها هذه .

وكانت قد حُذّرت مراراً من الذهاب إلى هذه البلاد — بلاد الظلمات والأسرار والرق والحريم والاسترابة العميقة الجذور بالأجانب . والآن وقد انقطع آخر صوت خافت لضرب المجاديف فى المركب الآيبة ، ولم يعد يسمع فى الليل الساجى النسيم ، فقد شاع فى كيانها الخوف واستحوذ عليه . فياليتها أصغت إلى أصدقائها فى سنغافورة ! غير أنها تشددت وطردت مخاوفها . ومهما يكن ما يحدث فقد صممت على البقاء .

***

وكان فى بانجوك قنصل إنجليزى هو السير روبرت شومبرج ، ولكنه كان قد رحل عن المدينة حتى ينقضى موسم الحر

فهو لا يمكن أن يكون عوناً لها . غير أنه كان من حسن حظها أن ربان الباخرة استطاع أن يدلها على ملجأ وقتى عند مدير الميناء الإنجليزى ، الكبتن جون بوش ، فأنزلت حقائبها ، ورحبت بها المسز بوش ترحيباً جميلا على الرغم من تأخر الوقت .

ولكن أنّة لم تستطع أن تنام . وفى صباح اليوم التالى ، بعد ليلة قلقة لا راحة فيها ، التمست من مدير الميناء أن يشير عليها بما ينبغى أن تصنع .

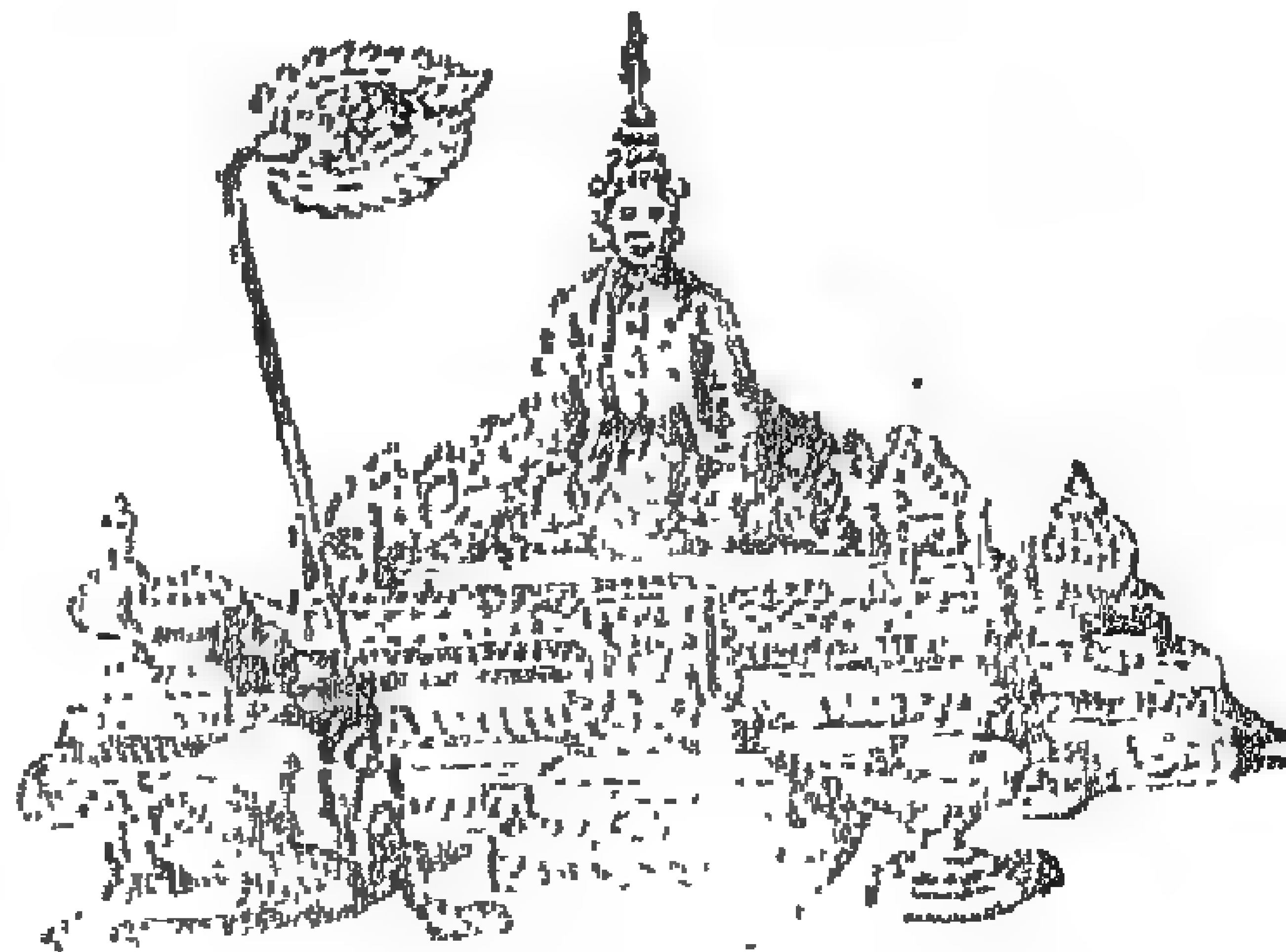
فقال الكبتن بوش على سبيل الإيضاح « هذه سيام . وأهم شىء هنا هو أن تستطيعى الانتظار حتى يتاح لك ما تبغين . وقد أنفق الملك مالا على رحلتك ، فهو سيتقاضاك خدمته فى وقتها » .

والواقع أنه ما كاد طعام الإفطار ينتهى حتى أقبل رسول يدعو أنّة . وقال : إن رئيس الوزارة — أو كرالاهوم وهو لقبه فى بلاده — ينتظرها .

فربتت المسز بوش على كتف أنّة وقالت لها : « والآن لا تقلقى ، فسيكون كل شىء على ما يرام ، وما عليك إلا الصبر » .

واستقبلهما الكرالاهوم فى قاعة الاستقبال بالقصر ، وهى حجرة عظيمة يصل إليها المرء من سلسلة من الحجرات تحجبها ستور من البزّ النفيس ، وتزينها شمعدانات من البلاور ، وقد شاع فيها أرج يفوح من شتى الأزهار ويأخذ بالكظم قليلا . ولمحت أنّة وهى تدخل عدداً من الفتيات ينظر إليها وإلى ابنها من وراء الأستار المخملية المسدلة من السقف إلى الأرض . وكان رهط كبير من الأتباع من الذكور جاثين فى غرفة الانتظار ، وبعضهم فى ثياب الخدم أو الأرقاء الزرية ، وبعضهم فى هندام جميل وكأنهم من أقرباء الكرالاهوم الشبان . وأحست أنّة بالهمس الخافت من الاهتمام المكبوح ، والعيون السود المتطلعة ، فوقفت هى ولويس فى الوسط مترددة متوجسة .

وانفرجت الأستار فجأة وظهر الكرالاهوم ، وكان نصف عار كما كان فى الليلة السابقة ، فوقع فى نفس أنّة ، بفضل حاسة سادسة أفادتها من السنين الطويلة التى قضتها فى الشرق ، أن هذا يشعر بقلة الاحترام لها وللمنصب الذى ستشغله ، ولكن سلوكه لم يكن غير ودى ، فبسط لها يده وقال لها



بالإنجليزية : « اجلسى يا سيدى » .

فصافحت اليد الممدودة ولم يسعها إلا أن تبتسم لقوله « سيدى » ، وصرفتها غرابة اللفظ وعدم موافقته لمقتضى الحال عن مخاوفها ، وردت إلى خواطرها مقداراً من الاتزان ، فقررت أن تدخل فى الموضوع على الفور ، والتفتت إلى المترجم الذى كان جاثماً إلى جانبها على الأرض وقالت :

« هل لك أن تسأل سيدك أن يتفضل فيرفع إلى جلالة الملك رجائى أن يعطينى منزلا هادئاً أو شقة بأسرع ما يستطاع ؟ لقد وعدنى الملك فى كتابه بمسكن قريب من القصر » .

فسرعان ما تغير مسلك الكرالاهوم ، وخاطبها مباشرة فسأل : « متزوجة ؟ »

« زوجى مات »

« إذن أين تراك ستذهبين فى المساء ؟ » .

فأجابته بلهجة الإيجاز الحاد، وقد وخزها ماينطوى عليه سؤاله من التلميح : « لا إلى أى مكان يا صاحب السعادة ، وما أبغى إلا أن يكون لى ولابنى مكان أخلو فيه بنفسى وأرتاح بعد أن أؤدى واجباتى » . والتفتت إلى المترجم وقالت : «قل لسيدك إنه ليس له ما يخوله أن يستطلع شئونى الخاصة ، فإن علاقته بى لا تتجاوز عملى كمعلمة ليس إلا ، وأنا أرفض الحديث فى كل موضوع آخر »

وما كادت تقول ذلك حتى شكت فى حكمة هذه اللطمة الحادة ، وكان رد الفعل الطبيعى قد أنساها لحظة ما تعرفه من أن الشرقيين يفتتحون الحديث عادة بسلسلة من الأسئلة الشخصية ، وأن مابدا لها من سوء أدب الكرالاهوم لعله ليس أكثر من مظهر لرغبته فى التظرف بالحديث . على أنه كان من المهم لها أن تقرر على الفور حقها فى الاحترام ، وفى حريتها فى شئونها الخاصة . فهز الكرالاهوم كتفيه هزة خفيفة وقال بفتور : « كما تشائين » ثم انحنى لها ، ودار فاختفى وراء مرآة .

وما كاد الكرالاهوم ينصرف حتى ترك المترجم مجثمه ونهض ، ودنا فى جرأة من السيدة الإنجليزية .

وقال : « صباح الخير » .

فأجابته بفتور : « صباح الخير . كنت أظنك خادماً » .

فاعتدل فى وقفته كالمستاء وقال: «أنا أخو الكرالاهوم من أبيه . تفضلى من هنا ، فقد أعدت لك غرفك » .

وكان المسكن مؤثثاً تأثيثاً مريحاً على الطريقة الأوربية ، ويفتح على ساحة هادئة تظللها أشجار فاكهة منورة ، وتطل على بركة مصنوعة حافلة بالأسماك الملونة . وبعد قليل ، جىء بالغداء ووضعه على المائدة خدم

صغار ، وكان الطعام خليطاً من آكال أوربية أعدت لها ، ومن الكرى والمتبلات وهى سيامية لا خفاء بها ، وتراجع الخدم الصغار إلى الأرائك ليضطجعوا ويرقبوا باهتمام أنّة ولويس وهما يأكلان .

وكانت حقائبهما قد جئ بها من الباخرة ، وكانت أنّة لا تزال مشغولة بإفراغ مافيها فى اليوم التالى حين زارها المستر روبرت هنتر ، سكرتير القنصل البريطانى ، فالتمست أنّة معونته على مقابلة الملك .

فوعد السكرتير أن يبذل ما يسعه، ولكنه أنذرها أن الأمر قد يستغرق عدة أسابيع . وقال لها ، على سبيل الإيضاح ، إن جلالته مشغول بالاحتفال الذى يتبوأ بمقتضاه أكبر بنيه — البرنس شولا لو نجكورن — منصبه الرسمى ، ويصبح فعلا ولى العهد .

فسألته أنّة : « أتراه سيكون من تلاميذى ؟ » .

فقال المستر هنتر : « أظن ذلك » .

فأحست أنّة للمرة الأولى منذ وصولها بما يشجعها . ولم تكن موافقتها على المجئ إلى سيام من إملاء الحاجة وحدها إلى العمل، فقد شعرت بأن هناك قدراً يحدوها. وكانت الحركة التى قامت فى الولايات المتحدة لتحرير الأرقاء قد حركت فى نفسها وتراً من العطف ، وعسى أن تكون الفرصة التى أتيحت لها للتعليم فى « حريم » الملك معناها أنها تستطيع أن تبث فى تلاميذها شعورها الخاص العميق بقداسة النفس الإنسانية ، والشر الذى ينطوى عليه أى نظام ينتهك حرمتها، بأن يسمح لشخص بأن يملك شخصاً آخر . فإذا كان ولى العهد من بين تلاميذها ، فإن لها أن تأمل على الأقل أن تصوغه قليلا .

وبينما كانت المفاوضات دائرة عكفت أنّة على درس اللغة والحياة حولها ، وكان مسكنها يتعرض كل يوم أو نحو ذلك لغارة صاخبة من السيدات اللواتى فى « حريم » الكرالاهوم ، وكن يقبلن عليها كأنهن الجراد ، وقلما كن ينصرفن بغير غنيمة من التوافه التى يطلبنها أو يأخذنها .

ولم يكنّ ، حتى فى نظر هذه الإنجليزية المدققة، غير فاتنات، وإذا أغضينا عن شعرهن المجزوز ، وأسنانهن السود من جراء مداومتهن على مضغ رؤوس الفلفل ، فإن كثيرات منهن يرتضيهن الرأى الغربى فى الجمال بوجوههن السمر الصافية ،وعيونهن اللوزية السود .

وكان أصعب ما تعانيه أنّة هو أن تشرح لهن سبب وجودها فى سيام ، فقد كانت هناك ، فضلا عن بنات الأسر السيامية الطيبة، كثيرات من الفتيات الصينيات والهنديات

يشتريهن السماسرة كل عام لحريم الملك . وكان معروفاً أيضا بأن هناك أمراً رهن التنفيذ باجتلاب : « إنجليزية ذات جمال وأرومة كريمة » ، فكان يبدو لهن مما لا يصدق أن أنّة إنما جاءت لتعلم أطفال الأسرة الملكية فحسب، لا لتدخل فى الحريم.

على أن رئيسة الزوجات وهى فى الأربعين من العمر ، كانت متوقدة الذكاء وكانت تدعو أنّة أحياناً إلى زيارة بيتها الجميل فى جناح النساء من القصر . وكان يعيش حول القصر وفيه أكثر من ألف من أتباع الملك، وثم أيضاً عدة مئات من الأرقاء يحتاجون إلى التعهد والنظر ، وكانت هذه المدينة المصغرة مسئولة من الزوجة .

وكانت أنّة تزداد كل يوم إعجابا بها ، فقد كانت رقيقة إلا أنها فى منتهى الكفاية ، تُسارت الأمور فى هذه المؤسسة الكبيرة بمثل الهدوء الذى تميزت به سيدتها. وتأثرت أنّة على وجه الخصوص بعطفها الذى لا يفتر على الصغيرات فى حريم زوجها ، وكانت تحيا بينهن سعيدة كأنهن بناتها ، وتشاطرهن نجواهن ، وتسرّى عنهن شجونهن ، وتنصرهن أمام الكرالاهوم .

وتقرر أخيراً أن يتولى الكبتن جون بوش مدير الميناء تقديم أنّة فى بلاط الملك . وتهيأت أنّة لهذه المقابلة بشىء من الخوف ، وكانت قد بدأت تعرف شيئاً عن هذا الملك العجيب الذى يسميه رعاياه «ملك الحياة» . وقد تبوأ العرش بعد ثلاثين عاماً قضاها فى الكهنوت ، وفى هذه المدة عكف على درس العلوم الغربية ، فالآن اقترن ما حصله من العلوم الناهضة بالاستبداد التقليدى القائم على الهوى والقسوة .

وكان القصر الملكى على الضفة الأخرى من النهر فى مقابل قصر الكرالاهوم . وكان النهر ، كما هو دائماً ، يعج بالحركة ، وكان نفر من القساوسة يستحم فى النهر ، وكان قساوسة آخرون واقفين على الساحل فى أكسية صفر مبللة ، يعصرون أردية فرغوا من غسلها ، وكان هناك فتيات رشيقات تعتدل على رءوسهن جرات الماء ، يسرن فى الطريق على حافة الرصيف ، على حين كان غيرهن يحملن حزماً من الدريس أو سلالا من الفاكهة ، وكان الأشراف فى محفات مذهبة يحملها العبدان المتصببون عرقاً على ظهورهم ، يسرعون إلى المقابلة الملكية قبيل الغروب . ولمحت أنّة ، من بعيد ، لفيفاً من الجنود الرامحين وأسنة حرابهم الطويلة تلمع فى ضوء الشمس .

وخرج الكبتن بوش وأنة ولويس عند رصيف القصر من الزورق ، وساروا فى ممر مغطى أدى بهم إلى طربة

نظيف مرصوف بالآجر ، نأى بهم عن النهر وأفضى بهم إلى شـارع ضيق على جانبيـه جدران عالية مبنية بالقرميد . وكان الكبتن بوش يريها المعالم المشهورة — معبد وات بو وتمثاله الضخم المشهور وهو عبارة عن تمثال نبوذا متكئاً ، وطوله ١٥٠ قدم وارتفاعه ٤٠ قدماً ، تكسوه طبقة من رقائق الذهب — ووات فرا كائو و معبد بوذا الزمردى ، وهو أعجب الهياكل الفخمة فى سيام ، ومعبد الملك الخاص .

ودخلوا قاعة الاستقبال بالقصر ، وكان فيها فيض من نور الأصيل يخلص من نوافذ عالية متوجة ، ويسطع على رهط من الأشراف يرتدون ثياباً من حرير ألوانه شتى وموشى بالذهب ، وكانوا جميعاً منكبين على الأرض فوق مرافقهم وركبهم ورءوسهم محنية ، فى اتجاه العرش الذهبي فى آخر القاعة ، وعليه كان يجلس الملك ، وهو معتـدل الطول هزيل الجسم ، وعليه ثياب من ذهب ، وكان متربعاً لا يتحرك ، فكأنما نحت هو والعرش المتألق من قطعة واحدة .

ورآهم الملك ساعة دخلـوا ، فوثب إلى قدميه وتقـدم بسرعة نحوهما فى القاعة ، وكانت قدماه فى نعلين من ذهب لساناها ينثنيان إلى فوق ، وعليهما درر صغار ينبعث منها بريق يسير إذ يمشى .

فلما بلغهم جثا الكبتن بوش على ركبتيه كغيره من رجال البـلاط ، وقام بواجب التقديم : « يا صاحب الجلالة ، هذه هى المعلمة الإنجليزية الجـديدة ، المسز أنة هريبيت ليونؤونز وابنها لويس » .

فانحنت أنـة انحناء شديداً ثم حافظت على قـدر ما تستطيع على وضعها وهى مثنية الركبتين على هيئة ضفدعية ، قالوا إنها تكون مقبولة . وإذا بالملك يمد ذراعيـه فجأة إلى آخر مداهما ، ويشير إلى أنفها وسألها بصوت عال : « كم عمرك ؟ » .

فكان السؤال غير المنتظر مفاجأة تامة لأنـة ، على أن عقلها دار عدة دورات سريعة وقد واجهت احتمال التنقيب فى حياتها الخاصة على مسمع من مئات من الرجال الراكعين .

وأجابته بهدوء ورصانة : « مائة وخمسون سنة يامولاى » .

فرشق الملك محياها بنظرة فاحصة من عينيه السوداوين كأنهما خرزتان ، ثم التمعتا بالفهم السريع .

وسألها بحدة : « إذن فى أى سنة ولدت ؟ »

فقامت بسرعة بحساب عقـلى وردت برزانة : « فى سنة ١٧١٢ يا صاحب الجلالة » وكان هذا أشبه بلعب الأطفال .

ومن المدهش أن الملك لم يغضبه منها اجتراؤها على الهرب من سؤاله ، بل انطلق

يضحك جذلا . وبعد أن وجه كلمات سريعة إلى أقرب رجال الحاشية الذين ابتسموا للسجادة تحت أنوفهم، تناول يد أنة وجرّها بسرعة فى قاعة العرش إلى باب عليه سجف فى آخرها ، وكان لويس يتعلق بثوبها ولا يدعه ، فمضوا بهذه السرعة التى لا وقار فيها يجتازون ممرات مغطاة متعاقبة تجثو فيها قهرمانات متغضنات الوجوه دميمات ، وقليل من الشواب . وكن يغطين وجوههن تأدبا وحياء بالنصيف ، كأن شمس الملك تبهر عيونهن الآدمية . ولما انبهرت أنفاس أنة ولويس ، وقف الملك أخيراً أمام باب من سلسلة الأبواب المستورة ، ونحى السجف المخملية .

فإذا هناك على الأرض امرأة راكعة ، وكان وجهها مغطى بنصيفها كغيرها من النسوة التى كن فى الممرات ، وكان جسمها صغيراً وممشوقاً كأنه تمثال صغير من صنعة درسدن ، فنحى الملك الحرير المطوى الذى سترت به محياها ، وكانت معارف وجهها من الرقة والجمال كقوامها .

وقال الملك : « هذه إحدى زوجاتى . وإنه لمن بواعث سرورنا أن تتعلم الإنجليزية تعلما كليا » .

واستولى شىء من هذه الشابة على قلب أنة ، وألقت الفتاة إلى أنّة نظرة فيها من السرور الصادق ما جعل أنة تحس لها حين انصرفت بمزيج من المحبة والمرثية . ولشد ما يستثير النفس أن تكون رغبات الإنسان البريئة رهناً بأهواء هذا الملك الذى يشبه الصرصور الذابل ! وتبدى القصر فجأة فى نظر أنّة — بما فيه من مرمر وذهب وأنسجة ثمينة وجواهر وجدران متألقة — كأنه غاص بأشباح الاسترقاق والظلم .

وبينما كان الملك يرتد بها من الممرات إلى القاعة الكبرى، خرج عشرات من الأطفال من جوانب القصر ، فخاطبهم الملك بلطف ورقة ، ولكن لويس كان هو الذى اجتذبهم فانقضوا عليه وحفوا به يلغطون ويضحكون ويصيحون ، وكان ينفر خجلا إذ يمدون أيديهم للمسه ، فلا يزدادون إلا شداً عليه ودنوًّا منه ، وتحسسوا ثيابه وشعره وجلده وحذائيه ويديه البضاوين العجيبتين .

وقال الملك مزهوا وقد بلغوا القاعة ونجا لويس أخيرا : « إن لى ٦٧ من البنين ، وستربينهم لى ، وتعلمين من زوجاتى أيضاً كل من ترغب أن تتعلم الإنجليزية ، ولا بد أن تساعدينى كذلك فى مكاتباتى الكثيرة »

فراعت أنة هذه الكثرة فى واجباتها ، ولكنها رأت أن الأصوب أن ترجئ إلى المستقبل أى اعتراض .

وصرفها من المجلس بإشارة من يده وبقوله : « سأرسل إليك فيما بعد » .

فانحنت أنّـة، وحتى لويس استطاع أن يهز رأسه، ثم انصرفا مع الكبتن بوش. ومالبثوا أن خرجوا إلى الهواء الطلق، فتنفست أنّـة تنفساً عميقاً. وكان الملك قد بدأ رقيقاً راضياً، ومن المحقق أنه لم تكن تنقصه روح الفكاهة، ولكنه رجل غريب، ومن الجلى أنه استبدادى النزعة، وحُوّل قلب لا سبيل إلى التكهن بما يغريه به مزاجه.

* * *

وبعد شهور من التأخير، عين أخيراً يوم رأى منجمو البلاط أنه موافق للافتتاح الرسمى للمدرسة. وفى أثناء ذلك كانت أنّـة قد عجزت عن احتمال الانتظار والقعود بلا عمل، فأخذت تعلم الأطفال فى قصر الكرالاهوم. فتعجب رئيس الوزارة لجدها وحبها للعمل.

وقال على سبيل البيان: « إن السيدة السيامية لا تحب العمل، وإنما تحب اللعب والنوم ».

وكان المقرر أن تعقد المدرسة الجديدة فى بناء كبير قائم فى بستان من أشجار البرتقال والنخيل. فلما وافت الساعة المعينة تناولت أنّـة يد لويس ودخلت وبها شىء من التردد، فما كانت تدرى ماذا يحق لها أن تتوقع؟ وكان هناك تمثال كبير من ذهب لبوذا يشرف على القاعة العظيمة، وقد وضعت فى وسطها على الأرضية المرصوفة بالفسيفساء، منضدة طويلة جميلة الصنع، وبضعة كراسى مذهبة. وحضر الملك وأكثر سيدات البلاط من الأشراف، وبعض الكهنة.

واستقبل الملك أنّـة ولويس بلطف وعطف، وأشار إلى مقعدين أعدا لهما من قبل. وأمر الملك فظهر بعض الجوارى يزحفن بحذق فوق الأرض ومعهن صناديق فيها ألواح الإردواز والأقلام المختلفة والحبر، وكتاب وبستر الأزرق الجلدة المشهور، للتهجى والمطالعة، ووضعن ذلك كله على المنضدة الطويلة. ثم أمر الملك مرة أخرى فأنشد الكهنة ترتيلا.

وأخيراً هفت أصوات الموسيقى من فرقة غير مرئية، فكان ذلك إيذاناً بدخول الأمراء والأميرات الذين سيتتلمذون على أنّـة وتقدموا واحداً واحداً بحسب أسنانهم، وكان الملك يمسك كلامنهم برفق ويقدمه إلى أنّـة.



وانتهى الاحتفال. فوجه الملك كلمة قصيرة إلى الأطفال، ثم انصرف ووراءه الكهنة. وبعد

لحظات أقبل بعض الأرقاء وحملوا الأمراء ومضوا بهم . وقد أدهش أنّة ، أن الأمر لم يقتصر على حمل الأطفال الصغار ، فقد تجاوزه إلى الكبار من الصبية والبنات ممن تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشرة ، وكأنهم لم يألفوا المشى حتى ولا مسافات قصيرة ، فكان النسوة يحملنهم على أذرعهن فهن لهم جوار ومركبات آدمية ، ولا يبدو عليهن أن فى الأمر مشقة ، فكأنما يحملن أطفالا رضّعاً .

وبعد أسبوع من الافتتاح الرسمى بدأ العمل المدرسى الجدى ، وكان أصغر أبناء الملك فى الخامسة وأكبرهم فى العاشرة .

وسار الدرس على نهج منتظم إلى أن جىء بعدد من النساء الصغيرات ليتعلمن كالأطفال . وسرعان ما ظهر أن معلمتهن أهم لديهن من كتبهن ، فكن يلمسن شعرها وينزعن منه بعض الدبابيس ، ويتحسسن ثوبها ، وبخاصة زيق العنق والحزام ، ثم خواتمها . ثم جثت إحدى الجوارى أمام أنّة وجعلت تشير إلى أنفها الذى لا يشبه أنفها المبطط ، وكأنما كانت تريد أن تعرف هل استوى أنف أنّة وامتد لكثرة شده ؟ وهل ينبغى أن يشد كل صباح ليبقى هكذا ؟ وقد أدت هذه المقاطعة إلى تعذر العمل ، حتى دخلت قهرمانة صارمة من الشرفة الخارجية فأعاد وجهها المكفهرُ النظامَ على الفور .

وفى الأيام التالية تسلل بعض النساء وقد أضجرهن التعليم ، على أن كثيراً من أبناء الملك أظهرن ما يبشر بحسن التعلم ، ولاسيما البرنس شولا لونجكورن ولى العهد ، وهو غلام وسيم مؤدب فى العاشرة من عمره ، وكذلك أخته الصغيرة الأميرة شانتارا مونتون التى كان كل امرىء يسميها « فاهنج » أى الأميرة السماوية .

وكان علم الجغرافيا من البداية هو الذى كان أقوى استيلاء على هوى التلاميذ الملكيين وخيالهم .

وكانوا إلى الآن لم يروا سوى خريطة قديمة أعدها رئيس وزارة سابق كان أدرى بالسياسة منه برسم الخرائط ، وكان طولها خمس أقدام وعرضها ثلاث أقدام ، وفى وسطها رقعة حمراء مساحتها ٢٠ فى ١٢ بوصة ، وقد ألصق بها صورة إنسان بطولها ، وهى مصنوعة من ورق فضى . وكان هذا هو ملك سيام ، وقد وضع على رأسه تاج ضخم فيه عدة نقط ترمز إلى أملاكه الشاسعة . فلما أجاب الملك أنّة إلى ما طلبت ، وزودها بكرة كبيرة تمثل الأرض ، كان من العسير عليهم أن يروا أن سيام قد تقلصت حتى عادت مجرد نقطة على وجه الأرض . وكان الشىء الوحيد الذى عزاهم هو أن

إنجلترا — موطن معلمتهم — كانت أصغر من ذلك .

ولما أخذ أفق الأطفال يرحب ، راحت أنّـة تجد وتتصيد وتجلب إلى الفصل أى شىء غير مألوف قد يساعدهم على تكوين فكرة عن العالم الخارجى — قطعة من الفحم الحجرى يستطيعون أن يقارنوا بينها وبين فحم الخشب الذى يستعمله الأرقاء للطبخ ، وجزة خروف ، مع صور لدولاب غزل ومصنع حديث ، ونماذج من الغزل ونسيج الصوف .

واتفق يوما أن جلبت باخرة صندوق ثلج للملك من سنغافورة ، فحصلت أنّـة على قطعة للدرس ، فجعل الأطفال يفحصون هذه المادة الجديدة باهتمام عظيم ، وانتشر خبرها فأقبل النسوة من « الحريم » على المدرسة وتزاحمن ليروها ، ولمسنها ، وتهاتفن إذ وجدنها باردة ، ثم راقبنها وهى تذوب وتعود ماءاً . ولما رأى الأطفال الثلج لم يجدوا مشقة فى تصديق أن الماء يتجمد فى بلاد من العالم باردة الجو ، حتى يصبح من المستطاع السير عليها ، ولكن لما استطردت أنّـة وقالت إن المطر فى مثل هـذه البلاد يتجمد وهو يسقط ، وأنه يصير مادة بيضاء يسميها الناس « البرَد » ، ثار ثائر المدرسة كلها ، ولم تستعد حسن الرأى فيها وفى صدقها إلا بعد أن أقنعت الملك بأن يشهد بأنه قرأ كثيراً عن هذه الظاهرة فى كتب السياحة .

ولما كان من أغراض الملك أن يتدرب أبناؤه على العادات الأوربية فإنها ، دعت ذات يوم نحو ثلاثين من تلاميذها إلى حفلة شاي إنجليزية . وزينت حجرة الطعام لهذه الغاية بالأعلام الإنجليزية ، ووضعت أزهاراً كثيرة على الموائد التى صفت عليها أوانى الشاى والقهوة ، والفطائر المنزلية ، والمربيات والمحفوظات والخبز والزبدة .

ولكنها لم يخطر لها أن تطلب قصر الأتباع على عدد معين ، فلما أقبل التلاميذ كان كل منهم يصحبه جوار كثيرة . وحاولت أنّـة عبثاً أن توجد النظام حين أخذ هذا الجمع المختلط يتدفق من الأبواب ، فضاع صوتها فى الضجة ، وخص الأمراء والأميرات موائد الشاى باهتمام ، ودس بعضهم أصابعه فى أوعية المربيات ليعرف قوامها ، وتناول البعض الفطائر ثم وضعها ثانية ، ونظر بعضهم فى أباريق الشاى ، ثم انتشروا فى المكان دون أن يطعموا شيئاً ، ومعهم جواريهم ، ووضعوا أيديهم على كل ما راقهم .

فلولا أن ساعة البرج العالى على الناحية الأخرى من الشارع دقت وأعلنت انتهاء اليوم ، لما بقيت إبرة أو زهرية أو صورة

أو منديل فى البيت ، فخرج الجميع يعدون إلى القصر ، وخطفت الجوارى أحمالهن الملكية ومعها الغنائم ، واختفى الحشد كما جاء بغير احتفال ، وصار البيت قاعاً صفصفاً ، ولم يبق لأنّة مقص ولا بكرة خيط من القطن ولا دبوس ولا كستبان . وكان الشىء الوحيد الذى لم يمسسه أحد ، والذى بقى على ترتيبه الجميل كما كان حين بدأت الحفلة ، هو صف موائد الشاى .

وجاء اليوم التالى بموكب من الجوارى من القصر يحملن صناديق من الطباق (التبغ) والكافور والسعوط ، وغير ذلك من الهدايا من أمهات الأطفال على سبيل التعويض ، وكان معظم هذه الهدايا أثمن عشر مرات مما أخذ ، وإنما كانت الآفة أنها لا فائدة لها عندها على الإطلاق .

* * *

وما لبث الملك موجكوت أن طلب من أنّة مساعدته على كتابة رسائله الإنجليزية والفرنسية ، فضلا عن أعمالها المدرسية . وكانت مكاتبات جلالته هائلة ، وكان اهتمامه بعلوم الغرب ولا سيما بالفلك ، وهو ما أفاده من السنين التى قضاها مع الكهنة ، مدعاة لتبادل الرسائل مع العلماء فى أقطار العالم . ولكن معظم المكاتبات كانت له أسباب دبلوماسية ، ذلك أنه فى القرن التاسع عشر تطلعت كل من فرنسا وإنجلترا إلى شبه جزيرة الملايو ، وكان الملك هو الوحيد تقريباً بين معاصريه السياميين الذى أدرك من البداية أن سياسة العزلة والمنع السيامية التقليدية ينبغى أن تراجع إذا أريد الاحتفاظ باستقلال البلاد .

وكان قبل بضع سنوات قد دخل فى مفاوضة لعقد أول معاهدة حديثة مع إنجلترا ، فاستتبع ذلك مكاتبات طويلة مع الملكة فكتوريا .

ولم يهمل الولايات المتحدة فى سعيه لتوثيق علاقاته بالعالم الخارجى ، وكان قد قرأ مرة أنه فى معارض الوحوش المتجولة ، وهى محبوبة جدا فى المناطق الريفية بالولايات المتحدة ، يعد الفيل أغرب الحيوانات التى تعرض ، فبادر إلى الكتابة إلى الرئيس لنكولن يعرض عليه أن يرسل عدة أزواج من صغار الفيلة ، ويقول إنها كلما كثرت تصلح أن تكون دواب حمل لسكان أمريكا .

ومع أن المستر لنكولن كان فى شاغل عظيم من الحرب الأهلية ، إلا أن رده كان غاية فى اللطف والظرف :

« . . . وما كانت هذه الحكومة لتتردد فى الانتفاع بمثل هذا العرض الكريم ، لو كان يمكن أن يكون ذا فائدة من الوجهة العملية . غير أن اختصاصنا السياسى لا يبلغ من هبوط

مستواه أن يشجع تكاثر الفيلة ، وقد كان البخار ومازال خير وسائلنا وأجداها فى مواصلاتنا الداخليـــة على الأرض وعلى الماء أيضاً . . . .

وإنى مع تمنىّ لجلالتك حياة سعيدة طويلة ، ولشعب سيام الأريحي المحتشد اسمى مراتب الرخاء الميسورة ، أسأل الله القدير أن يبارك فيكما جميعاً » .

. صديقك المخلص

أبرهام لنكولن

وشنطن فى ٣ فبراير سنة ١٨٦٢

***

وكان تولى مكاتبات الملك عملا دقيقاً وشاقا ، لأن جلالته حوّل قلّب ، ومستبد ، فكان يبدو أن من المستحيل إرضاءه ، إذ كان يكتب الرسائل ويوقعها ويضع عليها ختمه ويبعث بها فى حقيبة بريده الخاصة إلى أوربا وأمريكا أو غيرها . ثم يعود بعد ذلك فيأمر أنّة أن تكتب إلى من أرسلت إليهم الرسائل وتقول : إن التعليمات الواردة فيها كانت خطأ ـــ خطأها هى فى الترجمة أو النقل أو أى شىء آخر إلا ما يقصد إليه هو .

وقد أصرت على شىء واحد ، ذلك أنها إذا كان عليها أن تعمل مع جلالته فى غرفة واحدة ، فإنه يجب أن يسمح لها بالوقوف معتدلة فى حضرته . لأن الجثوم على هيئة الضفادع ، وهو ما سمح به لهـا على سبيل المعاملة الخاصة ، لا يطاق أكثر من بضع دقائق . فوافق الملك ، على أنه حتم أن تجلس على كرسى ، إذا جلس على كرسى ، أو على الأرض إذا جلس على الأرض .

وتلقت ذات يوم دعوة مستعجلة من الملك ، وكان ينتظر أن يزوره قريباً اللورد جون هي قائد الأسطول البريطانى فى المحيط الهندى ، فأراد أن يكسب مودة الزائر الممتاز ، فاستقر رأيه على ما لم يسبق له مثيل فى سيام ، وهو أن يسمح له بأن يرى طائفة من أجمل فتيات البلاد ، ولكى لا يعود إلى الملكة فكتوريا فيقول لها إن الملك متوحش ، فإن على أنة أن تدرب النساء الصغيرات على آداب السلوك الإنجليزية وارتداء الثياب الإنجليزية . أما لوثة السواد على الأسنان فإن الحلاق يتكفل بإزالتها .

وفى صباح اليوم التالى تحولت حجرة الدراسة إلى حجرة للخياطة ، وبذلت كبرى وصيفات القصر لأنّة كل معونة ، ووضعت رهن مشيئتها الحرير والجواهر والزهور و « الدنتلات » ، وتكدست المناديل والجوارب والخفاف المرصعة بالجواهر ، إلى جانب عشرات من حزم الحرير الكثيف الغزل والمشجر جىء بها من المخازن ، ولم يكن ناقصاً سوى ما يلبس مما يلى الجسد ،

ولما لامت أنة الوصيفة على هذا النقص ، كان جوابها إن الوقت لا يتسع لصنع شيء من ذلك.

وقد اختيرت الأميرة فانوى عمة الأمير شولا لونجكورن كاصلح سيدة لاستقبال القائد ، ومعها خمس من الحسان كوصيفات لها ، وقد سرهن جميعاً أنهن سيرتدين ثياباً مذيّلة مثل أنة .

وبعث الملك بالحلاق لينظف أسنانهن ويجلوها حتى تعود بيضاء كاللبن ، وتولى رسام صينى دهن بشرتهن باللون الأبيض كذلك ، وكسيت رءوسهن شعراً أوربيا مستعارا ، تتلوى خصله على أحسن طراز ، وجعلت فيه أناشيط من اللؤلؤ والياقوت والماس ، ولما أضيفت الدبابيس والمشابك والقلائد والأساور ، صار المنظر يخطف الأبصار . وأسفت أنة لحظة لأن الوقت ضاق عن صنع الغلائل الثمينة ، وإن كان النظر الفاحص قد طمأنها فأيقنت أن كثافة نسج الحرير لن تدع أحداً يفطن إلى هذا النقص.

وجاء الوقت لتدريبهن على آداب السلوك الأوربية ، وكان كل ما يطالبن به هو أن يجلسن وراء منجف قرمزى بديع موشى بالذهب أسدل فى الهيكل، فإذا نحى السجف، وقدمهن جلالته إلى الضيف ، نهضن وانحنين وارتددن . وكان بعضهم قد حدث الملك أنه لا أحد يولى الملكة فكتوريا ظهره بعد أن يقدم إليها، وإنما يرتد ووجهه إليها، فأصر الملك على هذا من أجله ومن أجل السفير البريطانى.

وقد دربت أنة السيدات مرة بعد مرة على هذه الحركة البسيطة ، ولكنهن كن لا يلقين بالا إلى التدريب لفرط اضطراب أعصابهن. وكانت هناك إشاعة فى الحريم بأن كل الإنجليز ذوو لحى ، وذلك منظر منفر لشعب حليق، وأن كثيرين منهم سريعو الإصابة بعيونهم ، وهى عيون زرق فظيعة تستطيع أن تنفذ مباشرة إلى قلوب ضحاياهم ، وتوقع فى شراكها النفوس القليلة الحيلة إلى الأبد.

ومن سوء الحظ أن اللورد جون كان ذا لحية كثة وشاربين كثيفين يختلطان بها، فهى مرسلة على صدره، ولا شىء يبدو من وجهه سوى عينيه وأنفه . فلما كان يوم الاستقبال، ونحى الستار على صوت بوق فضى ريعت السيدات السياميات فجمدن على كراسيهن .

وفوجىء اللورد جون أيضاً بما أدهشه كل الدهشة ، ولم يكن يتوقع أن يرى فى ضوء المعبد الخافت سيدات أوربيات على ما يبدو ، فى الحريم الملكى بسيام ، وكأنما أراد أن يستثبت فرفع نظارته المفردة (المونوكل) إلى عينه اليمنى ، وراح يفحصهن من قمة رءوسهن إلى أقدامهن على حين كان الملك يقوم بواجب التعريف .

ثم انحنى انحناء شديداً كأحسن ماتقضى

به المراسم ، غير أن السيدات ، بدلا من أن ينهضن وينحنين ، ندت عنهن صرخات فزع خافتـة ، وغطين وجوههن بأكفهن ، وجعلن يراعينه من بين أصابعهن الممدودة . ولما رأين أن الرجل ما زال يحدق فيهن فى هدوء من خلال عينه الزجاجية (المونوكل) صاحت إحداهن : « عين السوء » فوثبن جميعاً عن مقاعدهن كأنما كن على اتفاق ، ورفعن ذيولهن إلى رءوسهن ليقين أنفسهن السوء ، ووَلين الفرار من العبد .

وقد سرى عن أنّـة كثيراً فيما بعد حين لم يزد الملك على تأنيبها فى رفق لأنها لم تعرف السيدات بعادة الإنجليز أن يضعوا على عيونهم « زجاجاً متجسساً » ، وقال لها : « إن نساءنا يستحيين أن ينظر إلى وجوههن رجل غريب » .

كاد العام الأول من مقام أنّـة فى سيام ينقضى ، فتكشفت لها حياة القصر التى كانت غامضة ، وكان القصر نفسه يبدو فى البداية معقداً ، ثم بدأت صورته تنجلى شيئاً فشيئا ، وكان فى الحقيقة مدينة مسوّرة محصنة ، مستطيلة الشكل تزيد مساحتها على ميل مربع .

وكان فى القسم الشمالى ديوان الحكومة وفيـه مستودع السلاح ، وثكنات حرس القصر ، ومكاتب الحكومة ، والبورصة ، ومحاكم القضاء العليا . وفى هذا القسم وحده كان الناس أحراراً فى الدخول والخروج لأعمالهم الرسمية .

أما قلب المدينة الملكية حيث يقيم الملك ، فكان موقعه بحيث لا يمكن الدخول إليـه من الخارج إلا من بوابات محروسة حراسة قوية . وتحيط بقصر الملك إحاطة تامة بساتين ذات شرفات تنمو فيها أشـجار البرتقال والرمان فى أصـص صينية نفيسة ضخمة . وأوراق أشجار البلوط والدِّفْلَى تلقى ظلها المسنون على المماشى المرمرية ، وغرس فى أصـص من الخزف السوسن والزنبق والنرجس من كل نوع ولون ، فمن قرمزى وذهبى ، إلى أرجـوانى حائل وأبيض ، والنوافير لا تفتأ ترسل ماءها فتتلقى فيضه أحواض من الحجر تسبح فيه أسماك بلون الذهب والفضة وتأتلق كالدر .

وفى القصر الملكى ممر مغطى يؤدى إلى الحريم ، ولم يسمح قط لرجـل بأن يدخل دائرة الحرم إلا الملك والكهنة الذين يأتون تحت الحراسة لأداء وظائفهم الدينية . وكان الملك مونجكوت أكثر تسامحاً من أسلافه ، فكان يأذن أحيـاناً لنسائه أن يخرجن فى مناسـبات مهمة كإحراق جثمان والدة إحداهن . غير أن المدينة كانت لمعظمهن هى العـالم ، عالم من النساء عـدته تسعة آلاف فى نطاق من الأسوار العالية .

وكان الملك فى عالم القصر هو قرص النور

الذى يدور حوله كل شىء ، والذى يفعله يوما بعد يوم ، هو الذى يعين ما تفعله نساء الحريم . وكان يستيقظ فى الخامسة صباحا ، فكان معظم من فى بيته من النسوة يفعلن مثله . وبعد إفطار خفيف تقدمه النساء اللواتى كن فى خدمته فى الليل ، يقصد الملك إلى معبده الخاص ليقضى فيه ساعة فى التأمل.

فإذا فرغ من هذا أوى إلى مخدعه ليغفى ، يحف به رهط جديد من الوصيفات ، وتصرف اللواتى كن يقمن بخدمته فى الليل فلا يستدعين مرة أخرى إلا بعد أسبوعين أو شهر ، إلا إذا شاء أن يوليهن عطفاً خاصا .

فإذا استيقظ من إغفاءته قدم إليه طعام الإفطار بمراسم معقدة ، فيركع اثنتى عشرة امرأة على مقربة من صحاف فضية عظيمة فيها اثنى عشر لوناً من الطعام — المرق ، واللحوم ، والطيور المصيدة ، والدجاج ، والسمك ، والخضر ، والكعك ، والهلام ، والمربيات ، والمتبلات ، والفواكه ، والشاى. وكل لون من هذه الألوان تقدمه ثلاث سيدات إلى رئيسة الزوجات ، فترفع الغطاء الفضى ، وتبدو ، على الأقل ، كأنها تذوق ما فيه ، ثم تتقدم على ركبتيها وتضع الصحاف واحدة واحدة على المائدة أمام الملك .

والحقيقة أن الملك ما كان يأكل إلا قليلا من هذا الطعام الوفير ، فقد كان أثناء اعتزاله الطويل ، فى الهيكل البوذى قد اعتاد التزهد ، فهو يكتفى عادة بملء سلطانية من الأرز السلوق .

وكثيراً ما كان يتناول مع أنّة على طعام الإفطار ، أخبار اليوم ، والحرب الأهلية الأمريكية ، وبعثة نابليون إلى المكسيك ، وغوردون « الصينى » .

وسرعان ما أعجبت أنّة بما حصله عقل الملك ، وكانت تعتقد أنه بين الرءوس المتوجة فى ذلك الوقت ، فى الشرق أو فى أوربا ، أوفاها تعلما نظاميا ، ولكنها كانت كثيراً ما يصدمها وينفرها نزوع عقله إلى الشك فيما يتعلق بالناس ، فما كان له أى إيمان بنزاهة أى إنسان . وكان كلما نهضت أنّة لتدافع عن صديق أو صديقة ، لا يرى فى مروءة نفسها إلا نشداناً للمنفعة الشخصية ، وكان لا يفتأ يقول : « المال ، المال المال ! إنه يشترى أى شىء » كأنما كان صديقها قد رشاها لتدافع عنه أمام الملك .

وكان حب الأطفال هو فضيلته الثابتة ،



وكثيراً ما كان يأخذهم بين ذراعيه ويعانقهم ويبدى لهم من وجهه صوراً مضحكة ، بيد أنه على كونه أباً عطوفاً على بنيه الذين أرضته أمهاتهم ، كان لا يستطيع أن يغفر لطفل أن أمه لم ترضه .

ومن نقائض الخلق السيامى الغريبة التى كانت مبعث دهشة دائمة لأنّـة ، أنه على الرغم من وجود الملك، والهلع الذى كان يهجم على النسوة منه فيشلهن ، فقد احتاج الأمر إلى عدد غفير من «النساء الشرطيات» لحفظ النظام ، فإذا كثر الهتاف والهمس وجاوزا الحد وراء ستار ، ذهبت إحدى الشرطيات ، وضربت بالسوط فى رفق أكثرهن جلبة، وكان السوط يستعمل ثلاث مرات أحياناً فى حضرة الملك ، فإذا انصرف انتشر النساء كأنهن سرب من الأوز ، وذهبن مسرعات إلى مساكنهن كأنما نجون وما كدن من واجب ثقيل .

***

ووصلت أنّـة ذات صباح إلى الهيكل فألفت تلاميذها فى هرج شديد ، فقد قيل إنه أثناء الجمع السنوى للأفيال فى الغابات شوهد فيل أبيض ، وهذه عند السياميين حادثة لها أسمى قيمة قومية ، لأن الاعتقاد السائد هو أن الفيل الأبيض ليس إلا بدناً يعود إلى الحلول فيه ملك أو بطل متوفى .

وما ذاع الخبر فى المدينة حتى أقبل الملك والفلاحون والسادة والعبيد والشيب والشبان ، بعضهم على بعض يتبادلون التهنئة فى جذل ، وأقيمت الصلوات وقدمت القرابين فى الهياكل جميعاً على الفور ، وانهالت على منادى المدينة الذى كان يصيح بالخبر فى الشوارع ، الهدايا من المال والثياب والأرز ، وزجاجات الزيت المعطر .

وصدرت الأوامر بإعداد خمسة وسبعين صندلاً ملكياً ومائة زورق فى الحال ، وجهزت بمؤونة أسبوع لتقل الأسرة الملكية بأسرها إلى حيث وجد الفيل الأبيض ، ونالت أنّـة إذناً بمرافقة الركب .

وقبيل الغروب انطلق هذا الموكب فى النهر إلى العاصمة القديمة أيوثيا ، وهناك ركب القوم الخيل وقطعوا أميالا فى أرض جميلة إلى الرقعة المسورة أو « الكرال » التى أحيط فيها بالفيلة ، فكان مما ازدهى بالرهط الملكى واستخفهم أن رأوا فيلا فى لون سمك السلمون يهيج ويزفر فى بحر من الفيلة السود والشهب المحشودة فى هذه الحظيرة .

وفى صباح اليوم التالى نقلت الفيلة المقنوصة من الحظيرة ، وترك الفيل الأبيض وحده موثقاً بحبال من الحرير . وسرعان ما شرع فى تمهيد طريق واسع له فى الأرض التى لا بد أن يجتازها إلى النهر فى رحلته الملكية إلى بانجكوك ، فلما تم ذلك بعد

بضعة أيام ألقى على ظهره ستر منسوج بخيوط بالذهب ، وبدأ موكب النصر يعود إلى العاصمة . وحتى الملك صار فى المحل الثانى إلى جانب هذا « الأمير » الجديد . ورقصت البنات وغنين وضربن على المعازف أمام الفيل الشاب ، وقام عدد من الرجال بطائفة من ألعاب القوة والبراعة ، فكانوا يتصارعون ويوقع بعضهم بعضاً لتسليته ، وتولى رجال آخرون الترويح عليه وإطعامه، وصلى الكهنة من أجله ، فلما بلغ بانجكوك أنعم على هذا الحيوان الحسيب بلقب معناه « مولى الأسرة القوية الوسيم » ، وألبست أسنانه خواتم من ذهب ، وطوقت عنقه بقلادة من ذهب وألقي عليه كساء أرجوانى من خمل حواشيه قرمزية موشاة بالذهب .

وكان قد شرع فى بناء إسطبل جديد بديع « للأمير » ، وبذل القوم غاية الجهد فى إطعامه بخير الأعشاب، وأنضر الحشائش وأحلى القصب ، وأنضج الموز ، وأشهى الكعك، وكان ذلك يقدم إليه فى قصاع ضخمة من ذهب ونضة ، وعطر ماؤه بالياسمين . فثقل عليه هذا كله ، وأصابته تخمة شديدة فى الليلة السابعة ، ومع أن طبيب الملك الخاص دعى لعلاجه فقد مات بعد بضع ساعات.

ولم يجرؤ أحد أن يبلغ الملك خبر هذه الكارثة . غير ان الكرالاهوم ، وكان رجلا واسع الحيلة لا يخونه حضور ذهنه ، دعا بالآلاف من العبيد وهدم الإسطبل الجديد ، وكانوا يعملون بسرعة محمومة، فقد كانوا يخافون أن يجىء الملك قبل أن يفرغوا ، ولم يحضر الملك إلا فى الأصيل العليل ليرى مبلغ تقدم البناء الذى كاد يتم فى الليلة السابقة ، فوقف مسمراً إلى الأرض لما لم تر عينه إلا الفضاء ، وأدرك الحقيقة لتوه، فندت عن صدره صرخة ألم ، وهوى على حجر وأنشأ يبكى بكاء مراً .

فحدت الأمة كلها على الفور ، وأخيراً لف على جثة الحيوان الميت كفن من الكتان الأبيض، ووضعت على نعش حمل على النهر بين العويل والرثاء ليودع آخر الأمر خليج سيام.

* * *

وكانت أنة كلما اجتازت بوابات الحريم الضخمة ، يستولى عليها إحساس ثقيل الوطأة بأن هذا سجن تسجن فيه مدى الحياة نساء وأطفال لم يجنوا شيئاً ، وعسى أن لا يكون النساء جميعاً غير سعيدات ، ولكن أنة كان يستثير نفسها أن هؤلاء النسوة ليس لهن فى حياتهن من الشأن أكثر مما لحيوانات الأرض .

وذهبت ذات صباح لتشهد احتفالا دينيا مهما ، فضلت الطريق بسوء الاتفاق ، وإذا بها تلقى نفسها فجأة فى ممر مظلم لا مخرج لها

منه ، على ما بدا لها ، سوى باب من نحاس مصقول فى جدار عال من قرميد . فدفعت الباب وقد خامرها شىء من الإشـفاق أن تـكون داخلة فى مكان محظور ، ثم تخطت العتبة إلى ساحة مرصوفة .

ورأت فى وسط حديقة قريبة من بركة صغيرة امرأة جالسة على الأرض وفى حجرها طفل عريان فى نحو الرابعة من عمره ، فلما أبصرت أنـّة رفعت رأسها منتفضة ، وضمت ذراعيها العاريتين على الطفل ، وشخصت إلى أنـّة بعينين ثابتتين صارمتين . وكانت عظيمة الجسم قوية البنية سمراء ، وكانت تبدو أشبه بدمية منحوتة من حجر أصم ، وموضوعة هنـاك لتفزع المتطفلين ، منها بآدميـة ، وكانت معارف وجهها معروقة شاحبة ، وشـعرها الأشعث الأغـبر يتهدل متفرقاً على كتفيها .

وسحبت أنـّة يدها من البـاب فارتد بقرقعة منـذرة ، ووقفت ترتجف قليلا ، ولـكنها نسيت ، وهى تنظر إلى المرأة والطفل ، ما ساورها من الخوف ، وطغت على قلبها موجة خانقة من العطف والمرثية ، وكانت المرأة عارية إلى خصرها ، وإحدى رجليها مشدودة إلى عمود ، ولا شىء يقيهـا لفح الشمس المحرقة ، وكانت سلسلة القيد من حديد وثقيلة.

وظلت أنـّة لحظة لا تستطيع أن تنطق بكلمة ، وأخـيراً سألت المرأة عن اسمهـا فـكان الجواب الجافى : « باى سـيا ـــ اذهبى عنى » . فلم يزعج أنة هذا ، وقعدت على البـلاط المحرق بجانب المرأة والطفل ، وسألت عن اسم الطفل بلهجة رقيقة جدا .

فقالت المرأة وهى مترددة : « اسمه ثوك (الحزن) » وأشاحت بوجهها ، ولـكن نظرة التحدى التى كانت فى عينها خفت .

واستطاعت أنـّة ، باستدراجها وعطفها ، ان تقف على قصتها ، فأخبرتهـا أن اسمهـا « لور » وأنها ولدت على الرق ، فاشتراها وأعتقها تاجر هندى كان قد رآها فعشقها . وتمت الصفقة على مقتضى القانون السيامى ، وبدأت المرأة حياة من الحرية السعيدة ، غـير أن مولاتها السابقة لم تستطع قط أن تروض نفسها على التخلى عنها .

ففى ذات يوم ، بعـد ثلاثة شهور من زواجها ، قبض عليها وكممت ، وشد وثاق يديها ورجلها وأعيدت إلى هذا المـكان . وأمرت مولاتها بربطها إلى هـذا العمود حيث بقيت إلى أن وضعت طفلهـا ، وبعد شهر قيدت ثانية ، وكانت جارية تأتى إليهـا بابنها حتى اسـتطاع أن يأتى إليها وحده ؛ ولا يعرف مكانها سوى مولاتها والجارية ، وقد مضى على وضعها فى القيد أربع سنوات .

فوقعت قصة لور من نفس أنـّة موقعاً

عميقاً ، وآلت لتعرضن أمرها على الملك ، وكان من حسن الحظ أنها اشترت حديثاً هدية — كتاباً صغيراً اسمه « عجائب العلم » أزمعت أن تهديه إليه متى قابلته مرة أخرى.

وقد سر الملك بالكتاب سروراً عظيماً ، واهتزت نفسه وانبسطت للمروءة، فوعد بأن يتحرى قصة لور . وبعد وقت غير طويل صُدّعت الأصفاد عن لور بعد أن طال وثاقها ورُدت إلى بيتها ، وفى اليوم التالى زار زوجها السعيد أنّة ، وأخبرها أن اسم ابنه « ثوك » أو الحزن قد أبدل فصار اسمه الحر .

وكان من نتائج عودة لور إلى زوجها بما يشبه المعجزة، أن ألفت أنة نفسها وقد طارت شهرتها فجأة ، فقد راح العبيد الذين يخرجون من القصر إلى المدينة لقضاء الحاجات يقصون القصة على أصحاب الحوانيت فينقلها هؤلاء إلى زبائنهم ، وكان الذين لم ترهم قط من قبل ، من الناس العاديين ، ينكبون على وجوههم إذ تمر بهم ، وجعلوا يزحفون إليها بملتمساتهم وهى جالسة فى رواقها فى المساء . وإذا دخلت حجرة الدراسة وجدت فى مكانها وعلى كرسيها أزهار قطفتها أيدى الجوارى ونظمت منها طاقات . وصارت من الآن فصاعداً معروفة لمن فى القصر والمدينة باسم « الملاك الأبيض » وأصبحت عبارة « اذهبى إلى بيت الملاك الأبيض فتساعدك »

رسالة أمل يُهمس بها فى آذان المكروبين .

ولم يقتصر الأمر على المسكينات ، فإن سيدات الحريم الساميات المقام كن يأتينها سرا بشكاواهن ، فوجدت نفسها على غير قصد منها ، قائمة بين الظالم والمظلوم ، وكانت تُقصد يوماً بعد يوم لمقاومة ظلم القضاة . وقد حاولت مراراً فى حالات التعذيب والسجن والابتزاز أن تتنحى عن التدخل ، ولكن الأمهات أو الأخوات كن يتوسلن إليها فلا ترى لها حيلة إلا أن تحاول المساعدة .

وكانت أنّة أحياناً ، تعمل فى هذه المساعى متواطئة مع رئيسة الزوجات — اللادى تيابج ، وهى امرأة عطوف حكيمة. فكانت اللادى تيابج إذا رأت أن الملك متلهب الغضب خطره ، وأنه يوشك أن يهوى بالسوط على إحدى نساء الحريم ، تبادر إلى دعوة أنّة ، وكان على أنّة أن تذهب من فورها إلى الحجرة التى فيها الملك . والكتاب فى يدها، لتستشيره فى ترجمة من اللغة السنسكريتية أو السيامية . وكانت أنّة تحتفظ بذخيرة من مثل هذه الأسئلة لوقت الحاجة إليها . وكانت هذه الحيلة على وضوحها ، أو لفرط بساطتها ، تؤتى ثمرتها المنشودة فى العادة ، فكان الملك كثيراً ما يستغرقه السؤال الذى تثيره أنة فيكفّ بسرعة مضحكة عن اللعنات والشتائم ويشير

بيده ، وهو شارد الذهن ، إلى المرأة المذنبة الراكعة أمامه أن تخرج .

على أن شفاعتها لم تكن دائماً مقبولة ، ففى ذات يوم جاء نبأ بأن السيدة توبتيم فى كرب شديد ، وهى سيدة صغيرة من تلميذاتها السابقات ويبلغ عمرها ١٦ سنة ، وكانت أنّة توليها مودة خاصة . وكان ما حدث هو أن هـذه السيدة عجزت عن احتمال حياة الحريم ، فلم يكفها أن رفضت ما قاربها به الملك من الرغبة ، بل استطاعت بطريقة ما أن تتسلل من بين الحراس وتفر من القصر ، وشر من ذلك أنها وجـدت متخفيـة فى دير . وإذا دنست امرأة ديراً بوجودها فليس لها إلا الموت .

ولم يكن ثم شئ يسع أحداً أن يفعله من أجلها ، غير أن أنّة ألفت نفسها مرة أخرى تعد ، وهى تشعر شعوراً ممضاً بالعجز ، أن تشهد المحاكمة لتصنع ما يدخل فى وسعها لتلميذتها السابقة .

ولما جئ بالسجينة راع أنّة ما اعترى الفتاة الجميـلة من التغير ، فقـد جز شعر رأسها حتى كاد يكشف العظم ، وحُلق حاجباها ، وكان خداها غائرين ، وعيناها إلى الأرض ، وصُـفدت يداها ، وكادت قدماها الصـغيرتان العاريتان تعجزان عن جر السلسلة الثقيلة التى قيدتا بها .

وكانت البيّـنة ضدها ماحقة ، فلم يقتصر الأمر على العثور عليها فى ثياب الكهنة التى تنكرت فيها لتهرب ، بل وجدت أيضاً رقعة صغيرة مخيطة إلى بطانة الثوب وعليها اسم فراباالات أحد الكهنة . فلم يشك القضاة فى نوع الخطيئة التى ارتكبت ، أو فيما جناه الاثنان ، غير أن توبتيم أصرت على أن الكاهن برئ . وقد تأثرت أنّـة تأثراً عميقاً بجلال هـذه المرأة الطفلة الوهنانة وهى تقذف القضاة بالتحدى ، فاقتنعت أنّـة ببراءتها ، وبادرت إلى الخروج من قاعة المحكمة لتعرض الأمر على الملك .

وكان الملك فى حجرة الإفطار ، وأدار رأس أنّـة نكهة الطعام وهى ترقى بجهد فى الدرج العالى ، فما أفطرت فى ذلك الصباح قبل أن تذهب إلى المحكمة ، غير أنها مضت بسرعة مخافة أن تفقد شجاعتها إذا فكرت فى الأمر لحظة .

وبدأت تقول ، وقد أحست أن هـذا ليس بصوتها : « يا صاحب الجلالة ، لقـد عدت الساعة من محاكمة توبتيم ، وأنا مقتنعة بأنها بريئة من الجريمة التى تتهم بها » .

فنظر إليها الملك بعينيه الضيقتين المؤتلقتين اللتين كثيراً ما أذكرتاها عيون الطير .

وقال : « إنك مجنونة » ورماها بنظرة فاترة كلها استرابة، ثم مال إلى الأمام وانطلق

يضحك فى وجهها ، فوثبت إلى قدميها كأنما كان لطمها ، ورأت فى وجهه المكفهر من الغضب شيئاً مستعراً ، شيئاً شيطانيا لم تره من قبل . ولم يكن معنياً بوجه الحق فى قضية تو بتيم ، وغاض شعوره باللياقة والحق ، وابتلعته حاجة وحشية إلى أن يغرق فى الدم الكبرياء الجريحة للذكر المهين ، فاستولى على أنّة شعور بالاستفظاع لا سبيل إلى العبارة عنه ، وذهلت وبهتت حيال هـذا الشر الصريح الذى تكشف لها عنه قلب الملك ، وخانها عقلها ولسانها ، فدارت لتنصرف .

ولكن الملك كان قد قرأ وعرف ما نطق به وجهها ، فرده استبشاعها إلى الحالة الطبيعية ، فانقلب على الفور على عادته وقال لها بلهجة الأمر : « أيتها السيدة ، عودى ! إنى أقبل رجاءك ، وسيحكم على المرأة بأن تعمل فى مضرب الأرز بقية حياتها . وسأبعث بقرارى إلى المحكمة بعد دقائق ، ولا حاجة بك إلى العودة إلى هنـاك ، والأفضل أن تذهبى إلى المدرسة الآن » .

ولم تستطع أنّة أن تشكره ، فقد كان اشمئزازها عظيماً ، وكان رأسها ينبض ويدور ، فانصرفت دون أن تنبس بكلمة ، ومرت عند رأس السلم بإحدى القاضيات وقد جاءت بعضبطة المحاكمة إلى الملك ، وبدلا من أن تذهب أنّة إلى حجرة الدراسة ، ذهبت إلى بيتها ، فقد كانت تحس أنها مريضة لا تقوى على شىء سوى الرقاد .

وكانت الساعة الثانية حين استيقظت ، وجذبها إلى النافذة صوت جمهور يضج ، وأفزعها أن ترى مشنقتين تنصبان فى الساحة قرب بيتها . وكان العمال يدقون الأوتاد ويجيئون بآلات غريبة بأوامر من موظفين كبار ، وقد احتشد جمع كبير من الرجال والنساء والأولاد ليشهدوا المنظر كائناً ما يكون ، وكان الجمهور يبدو عليه الاهتمام البالغ .

فدعت أنّة خادمتها وسألتها عن هـذا الاستعداد كله وذلك الهرج ما سببهما ؟ فأخبرتها الخادمة أن كاهناً وأميرة مذنبة سيعذبان لترقية الأخلاق العامة ، إذن قد نقض الملك قراره وعكسه !

وعلمت أنة فيما بعد أنها ما كادت تنصرف من حضرة الملك حتى عرض عليه ما جرى فى المحاكمة ، فلما قرأ ذلك تلهب غضبه تلهباً شمل أنّة كما شمل الخليلة والكاهن ، فأمر بأن يعذب السياميان علناً ثم يشنقا ، ولكنه لم تخطر له وسيلة لعقاب الإنجليزية سوى إقامة المشنقتين تحت نافذتها مباشرة !

وقبل الساعة الثالثة بقليل رتبت أدوات التعذيب إلى جانب المشنقتين ، ثم سمعت نفخة فى الأبواق كانت إيذاناً بقدوم الرهط الملكى ، وأقبل الملك وحاشيته جميعاً وأخذت

الشرطيات فى ثياب قرمزية مذهبة،أمكنتهن لحراسة سيدات الحريم ، وإذا بالجمهور يطلق صيحة ، ذلك ان الحراس كانوا قد جاءوا من فناء القصر بالسجينين ، وكان الكاهن على ما يبدو أضعف من أن يمشى وحده ، فرفع إلى المشنقة التى إلى اليمين على حين صعدت توبتيم إلى المشنقة التى إلى اليسار فى هدوء وبدون مساعدة ، وصوبت عينيها فى سكون إلى الغوغاء الذين اقتربوا متزاحمين ليستمتعوا بالمنظر ، غير أن شيئاً فى هيئة الفتاة ألزمهم الصمت ، وأحست أنة أن سكينة توبتيم أفرغت على قلوبهم الرهبة بكرههم .

وانطلق نافخان فى بوقين ـ يميناً وشمالا ـ يعلنان الجريمة التى اتهم بها الاثنان ، فصارت توبتيم وبالات فى نطاق من عشرة آلاف حدقة ، ولكن الجمهور كان أخرس حتى لا تفوته كلمة واحدة من الحكم ، ونفخ فى الأبواق مرة أخرى وأذيع الحكم الذى صدر ، فزال السحر الذى كان مضروباً على الجمهور ، وارتفعت صيحة عظيمة حين ارتقى الجلاد منصّة مرفوعة ليعذب توبتيم ، وبدأت الضربات تهوى عليها ، وخيل إلى الجمع فى اللحظات التاليـة الأولى أن الألم سيكون أشـد من أن يطاق ، فأشاحت بوجهها قليلا عن الملك المتفرج من النافذة ، وتلوى جسمها برغمها ، وحاولت أن تخفى وجهها فى راحتيها ، غير أنها لم تكد تهم بذلك حتى ارتدت بقوة الإرادة فاعتدلت فى وقفتها ، ودوى صوتها فى الساحة كأنه ناقوس فضى عميق الرنة « أن بوذا المقدس فى السماء يعرف كل شىء ، ونحن بريئان ! » .

وما كادت تنتهى مما قالت حتى انكفأت صارخة صرخة نفذت من قلب أنة كالسيف ، وظلت الفتاة غائبة عن رشدها حتى رده إليها الأطباء ، ثم استؤنف التعذيب . فعاد صوتها يدوى مرة أخرى احتجاجاً .

واستخدمت كل أداة للتعذيب ـ واحدة واحدة ـ دون القتل ، لانتزاع اعتراف من توبتيم ، غير أن كل عذاب ، وكل ألم عجز عن أن يكشف عن شىء سوى شجاعتها المعدومة النظير ، فلم تعترف بشىء ، ولم تطلب رحمة ، وواجهت معذبيها ومضطهديها بجلد بلغ مرتبة الجلال ، وواجهت قضاتها والملك ببراءتها . وكان آخر ما سمعته أنة منها قولها : « إنى لم أرتكب خطيئة ! » .

ولم تسمع أنة ولم تر شيئاً آخر بعد هذا ، ولم تدرك أن الإعياء أضمرها ، وأنه لم تبق لها ذرة من القوة تحتمل بها المنظر الذى تحت نافذتها ، فقد غاب وعيها فلم تعرف شيئاً ، وكانت لا تزال منطرحة على الأرض ـ ضعيفة متقبضة ـ حين أقبلت جارية من القصر سراً لتخبرها بما صار إليه توبتيم

وبالات ، ولم يعترف أحد منهما بشيء على الرغم من التعذيب ، وأخيراً كفوا عن التعذيب مخافة أن يزهق روحيهما قبل أن يحرقا حيين ، ثم جروهما فى الشوارع وأحرقوهما علناً خارج أسوار المقبرة ، وقد تأثر الشعب تأثراً عميقاً بجلد توبتيم وقوة روحها ، حتى لم يبق ثم من يهزأ ويسخر .

ولبثت أنة شهراً لا ترى الملك بعد مقتل توبتيم ، وأخيراً دعاها ذات يوم إلى حضرته ولم تكن قط كما كانت فى ذلك اليوم ، باردة جافية ، لا يعرف قلبها الصفح والمغفرة ، فلم يعر ذلك اهتماماً ، وما كاد يراها حتى استأنف حديثهما السابق كأنما لم تكن ثم فترة انقطاع.

وقال : « إنى شديد الحزن على توبتيم » ورأت أنة أنه قد اعتراه تحول سريع شاذ على عادته ، وأنه صادق فيما قال فقد كان وجهه بادى الكآبة : « وأنا أعتقد الآن أنها بريئة ، فقد رأيت حلماً تمثلت لي فيه بوضوح توبتيم وبالات يسبحان معاً فى فضاء واسع ، وانثنت إلى ، ولمست كتفى وقالت لى : « لقد كنا دائماً طاهرين غير مذنبين على الأرض ! وانظر إننا سعيدان الآن » . وإنى لعظيم الأسى أيتها السيدة ، عظيم الأسى ، وعميق الاحترام لرأيك . والآن سآمر أن يقام أثر تذكارى لبالات وتوبتيم » .

وأقيم على المكان الذى ماتا فيه أثران عاليان بأمر الملك ، ونقشت على كل منهما هذه العبارة : « قد تغرب الشموس وتعود إلى الطلوع ، ولكن بالات وتوبتيم النقيين الشجاعين لن يعودا إلى الأرض » . ولما كان يؤمن بالدورة التى لا تنتهى للميلاد وتكروره ، وأن ذلك لا ينتهى إلا ببلوغ النيرفانا ، فإن كلماته هذه شهادة باقتناعه بأنهما قد نجوا يطهرها من دورة التناسخ .

* * *

وعلى الأيام صارت أنة كثيراً ما تشعر بالحاجة إلى مغادرة سيام ، فقد انقضت خمس سنوات دون أن ترى ابنتها أفيس ، وصار لويس محتاجاً إلى الالتحاق بمدرسة داخلية منتظمة العمل . وثم أيضاً صحتها ، فقد جعلت تعتريها نوبات عنيفة من الحمى ، ووافق الملك مكرهاً — نزولا على أوامر الأطباء — على خفض ساعات عملها ، غير أن ذلك لم يقها مطالبه المسرفة .

وقد أحست مرة أنها فى خطر حقيقى من تقلب مزاج الملك ، وذلك أنه فى عصر يوم على أثر خلاف بينهما على رسالة ، جاء سكرتير الملك الخاص برقعة فيها جدول بعدة اتهامات طولبت بالاعتراف بها وتوقيعها . وكان بين الاتهامات التافهة بالعصيان ، والجحود ، و « الفكر السيء » اتهام بأنها « مشت على رأس جلالته » .

وقرأت أنة هذه التهم السخيفة ، وغضبها يستشيط ، فياما أشد تشبث ذاكرة الملك بكل هفوة صغيرة ! وما أسرع ما ينسى الإخلاص فى الخدمة ! حدث مرة منذ زمن طويل ، وقبل أن تفهم مراسم القصر ، أن أعرب الملك عن رغبته فى كتاب معين ، فتذكرت أنه فى الغرفة التى فوق الحجرة التى كان الملك يعمل فيها فى صبيحة ذلك اليوم ، وظنت أنها إنما تفعل ما يريد ، فأسرعت فصعدت لتأتى بالكتاب ، ودخلت وهى لا تدرى غرفة فوق التى كان الملك جالسا فيها، وأخذت الكتاب ونزلت به وهى تتوقع أن يسره منها ما فعلت . ولكنها بذلك « مشت فوق رأسه » وأدهشها ، أن الوصيفات كن ينتفضن جزعاً ، وأكدن لها وشفاههن ترتجف أنها إذا ارتكبت مثل هذا الانتهاك لحرمة المراسم الملكية مرة أخرى فإنها ستلقى فى غيابة السجن . وكانت التهم الأخرى مثل هذه السخافة ، فردت الوثيقة إلى رسول الملك دون أن تنطق بحرف.

وبعد قليل تلقت رقعة بغير توقيع من قصر الملك جاء فيها أن غضب الملك قد زاده رفضها أن توقع الورقة التى أرسلها إليها ، وأنه صاح فى حاشيته المجتمعة: «أما من أحد يخلصنى من هذه المرأة ؟ » فطلبت أنة من خدمها أن يغلقوا الأبواب كلها ، وأن لا يسمحوا بدخول أحد . وقد ضحكت من نفسها فيما بعد ، وبدت لها مخاوفها ، وهى تكرر النظر فيها ، خيالية . ولكن أكانت خيالية ؟ أم تراها شعرت بخطر حقيقى زال لما زال غضب الملك ؟

وقد بقيت ، على الرغم من كل شىء ، لأن عملها استغرقها استغراقاً عميقاً ، ولاسيما تربية الأمير الصغير شولالونجكورن. ولكنه لابد آخر الأمر من فهم هذه العلاقة أيضاً ، فقد بدأ الأمير يشب ويدخل مداخل الشباب، وسيكون عليه أن يتفرغ لواجباته الرسمية .

وأحست أنها ، مع هذا الأمير على الأقل، قد أصابت قسطاً من النجاح ، فقد جرى بينهما أخيراً حديث طويل مداره أبرهام لنكولن ، وكان يعرف قصة هذا الرجل الإنسان العظيم من إشاراتها الدائمة إليه على طول السنين ، وقد أثرت فاجعة موت لنكولن تأثيراً عميقاً فى تفكير الأمير الشاب.

فقال لها وعيناه تومضان بالعزم : « ياعزيزتى . إذا عشت لأتولى الحكم ، فسأكون ملكا على أمة حرة لا أمة مسترقة».

فنظرت أنة إلى وجه الفتى المتحمس ، وتمنت أن يعيش ليحقق حلمه .

***

وأبى الملك فى أول الأمر أن يوافق على سفرها ، وكان يقول لها معاتباً كلما خاطبته

فى الأمر : « ياعزيزتى ، إنك مكسال ، وجاحدة » فاحتاجت إلى ستة شهور لتفوز بموافقته التى كان ضنيناً بها . وحتى بعد ذلك لم يأذن لها فى السفر حتى وعدت بإخلاص أن تعود متى سمحت لها صحتها .

وقبل أن تسافر دعتها إحدى تلميذاتها المحبوبات السيدة « صون كلين » ، وهى من الحريم ، إلى العشاء ، ولم يكن ثم شىء غير مألوف فى مثل هذه الدعوة ، ولكن أنّة كانت تشعر طول الوقت أن هناك اهتماما مكبوتاً بأمر مستور ، فلما انتهى العشاء نهضت السيدة صون كلين وخرجت بأنّة إلى الحديقة . وهناك كان كل عبيدها وجواريها ركعا ، ١٣٢ من الرجال والنساء والأطفال ، وكان كل منهم يرتدى ثياباً جديدة . فقد اعتقتهم السيدة صون كلين !

فوقفت أنّة صامتة ، وأحست بشىء معترض فى حلقها . وإذا كانت لم تصنع شيئاً سوى أن تعلم هذه المرأة بمفردها ، فإن لها أن تثق أنها جزيت أوفى جزاء بما شاهدته فى تلك الليلة على السوان الخمس الشاهه .

وكانت أنّة قد أرجأت إخبار معظم النساء والأطفال أنها مسافرة حتى اقترب اليوم . فلما أعلنت ذلك كادت لا تقوى على مواجهتهم ، وظل البعض يأبى أن يصدق أنها ذاهبة حقاً ، فلما انقطع الشك أولوها من مظاهر الحب والإخلاص ما غلبها على أمرها ، فتدفقت الهدايا من كل نوع بكثرة تورث الارتباك ، وبعث كثيرات من النسوة مبالغ من المال لتستعين بها أنّة على الرحلة ، وجاء أفقر الجوارى وأصغرهن شأناً ، بالأرز والكعك والبقول المجففة والسكر ، وحاولت أنّة عبثاً أن تفهمهن برفق أنها لاتستطيع أن تأخذ كل هذه الأشياء معها .

أما الملك فكان صامتاً مقطباً حتى كان صباح يوم السفر ، ثم سال منه ما كان متجمداً ، فعانق لويس وأعطاه مشبكا من فضة وكيساً فيه مائة ريال ليشترى بها حلوى فى الطريق . ثم التفت إلى أنّة وقال : « يا عزيزتى إنك محبوبة جداً من عامة شعبنا ومن جميع سكان القصر والأطفال الأمراء . وكل امرئ متأثر لرحيلك ، ولا بد أن السبب أنك سيدة طيبة ومخلصة . وكثيراً ما غضبت منك وأضعت حلمى ، وإن كنت أنطوى لك على احترام عظيم ، على أنك يجب أن تعرفى أنك امرأة عسيرة ، وأنك أصعب مراساً من النساء عامة ، ولكنك ستنسين ما كان وتعودين إلى خدمتى ، فإنى أزداد ثقة بك كل يوم . وداعاً ! » .

ولم تستطع أنّة أن تجيب ، واغرورقت عيناها بالدموع ، وأدركت أن ما حسبته

غير ممكن قد كان . وأنها هي والملك ليسا مخدوماً ومستخدماً ، ملكا ومربية ، بل هما صديقان .

وبعد بضعة أيام رحلت أنة ولويس عن بانجكوك ، ورافقهما كثير من صديقاتها إلى الباخرة ، ثم صارا وحدهما — هي ولويس — يرقبان خط الشاطئ وهو يغيب ويصبح ظلا أشهبَ رقيقاً .

* * *

ولم تعد أنة إلى سيام بعد ذلك ، ومات الملك بعد عام من رحيلها .

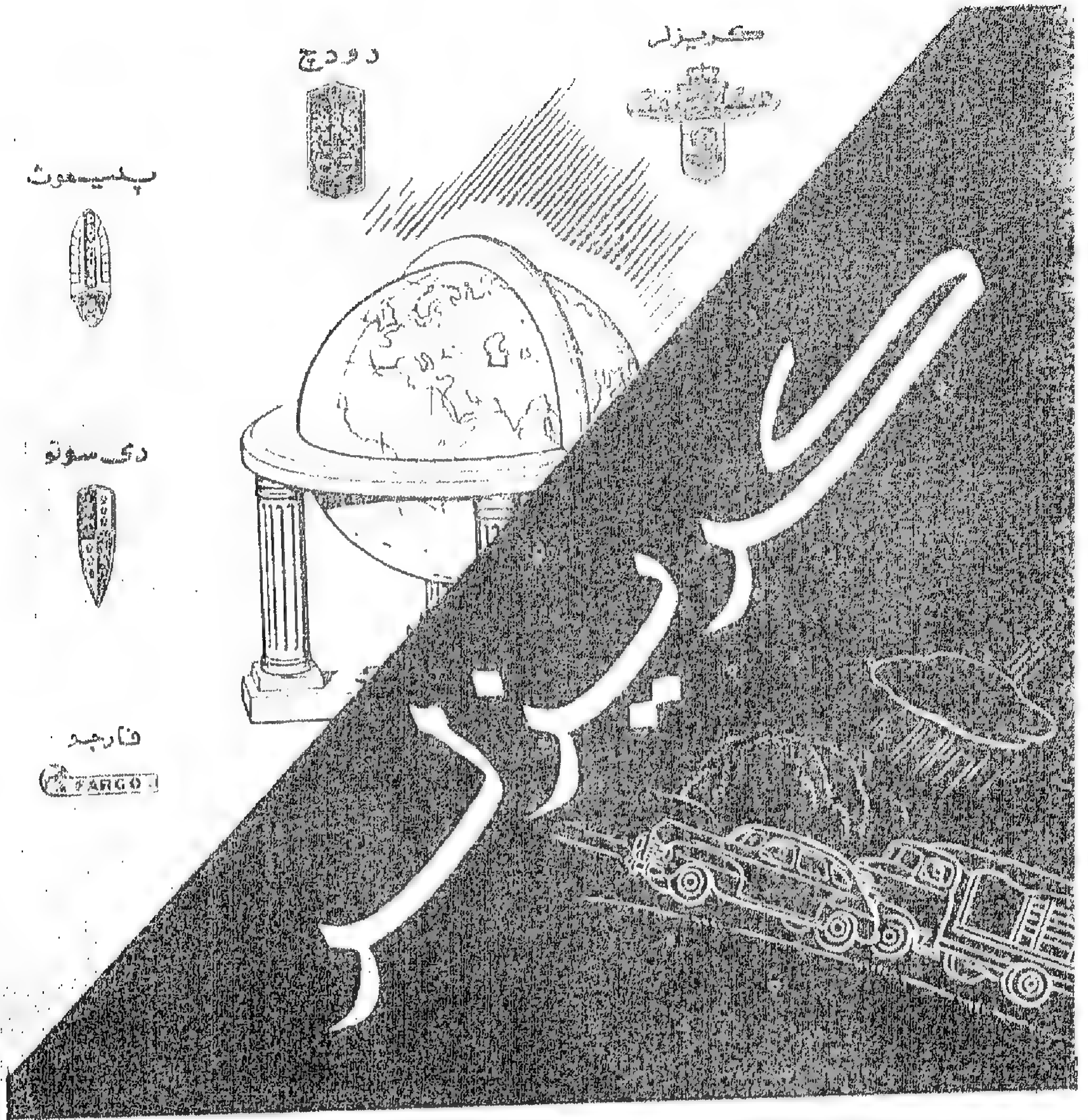
وكانت أنّة قد شغلت بحياة جديدة ، فبعد أن أدخلت لويس مدرسة في إنجلترا سافرت إلى أمريكا عملا بمشورة الطبيب ، لأن الجو هناك أبعث على النشاط ، وظهرت أولى مقالاتها وفيها تصف بعض تجاربها في بلاط الملك مونجكوت في مجلة « أتلانتك منثلي » في يونيه سنة ١٨٦٩ ثم تلا ذلك كتابان « المربية الإنجليزية في بلاط سيام » و « قصة الحريم » . وما كادا يظهران حتى انهالت عليها طلبات المحاضرات ، فقضت سنوات توزع وقتها بين الكتابة والمحاضرة .

وبعد ثلاثين سنة من رحيلها عن سيام في سنة ١٨٦٧ ، زار الملك شولا لونجكورن لندن ، فالتقت أنّة مرة أخرى بأبرز تلاميذها شأناً .

وكان الملك قد تبوأ العرش منذ ٢٩ سنة ، وهو رجل وقور هادئ قوي العزيمة قام بأعمال كثيرة على الرغم من مصاعب عظيمة ، فقضى على عادة السياميين أن ينكبوا بوجوههم على الأرض ساجدين ، وكبح امتيازات الأشراف ، وبدأ بإدخال الاصلاحات الخليقة أن تمحو الرق يوماً ما ، وأسس المدارس في أنحاء المملكة ، وشجع بعثات المبشرين على فتح المستشفيات والمدارس ، وأعاد تنظيم المحاكم ، وأخذ الموظفون المتعلمون يحلون شيئاً فشيئاً محل رجال الإدارة الإقطاعيين السابقين ، وأوفد الشبان إلى الخارج ليدرسوا ، واستقدم المعلمين من أوربا وأمريكا ، حتى صار أهل سيام يقولون في حياته إن شولا لونجكورن أعظم ملوكهم .

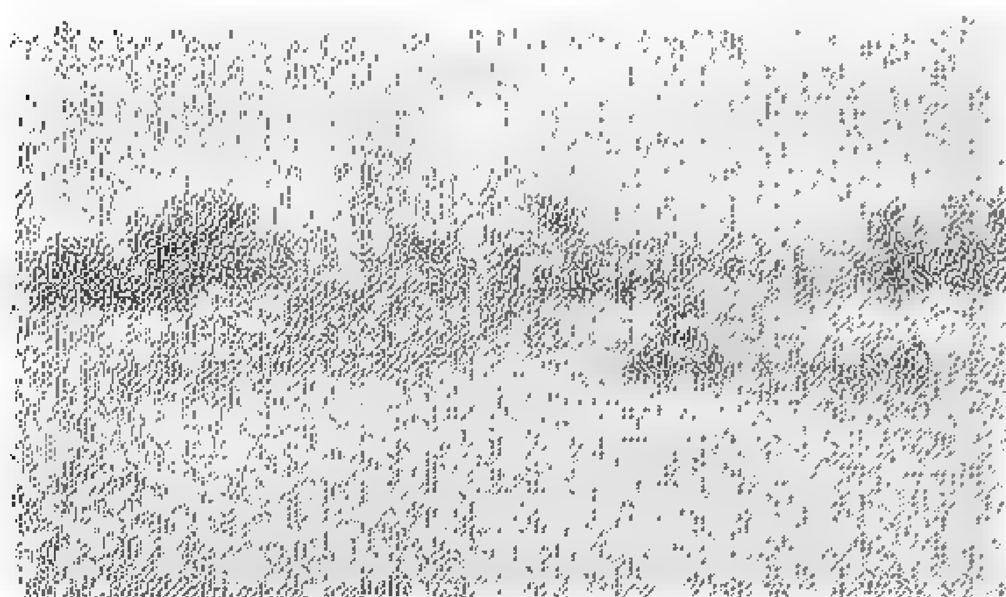
وهكذا سمعت أنّة الملك يقول — وقلبها يفيض شكراً وتواضعاً — إن الفضل في المشروعات التي وضعها لترقية مملكته يرجع إلى المبادئ التي بثتها في أثناء تعليمها له .

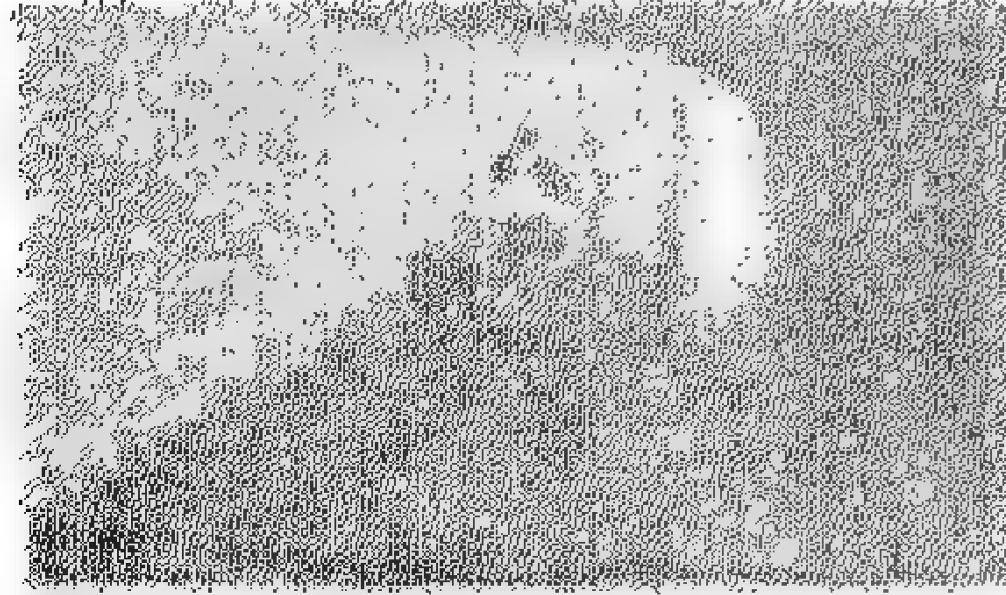



كريزلر
دودج
بليموث
دى سوتو
فارجو
FARGO
كريزلر









إنّ فلاح العالم يعمل يوماً عظيما طويلا شاقاً . وكذلك جزء من الليـل ، فى وقت الحرب الآن . وعليه أن ينفق ساعات أكثر فى الحقل ليعوض نقص المعاونين والآلات ، إذا كان يريد أن يبلغ أهدافه فى إنتاج الطعام للحرية . وعلى ذلك فنى كثير من الفصول ، نجد الهدوء الذى يعم الأراضى الزراعية ليلا ، يطير شعاعاً من جراء جلبة الجرارات التى فى العمل . وتخترق الظلام فى كل مكان أزواج من أشعة الضوء ، على حين يقوم الفلاح بأكبر عمل ألقى إليه .

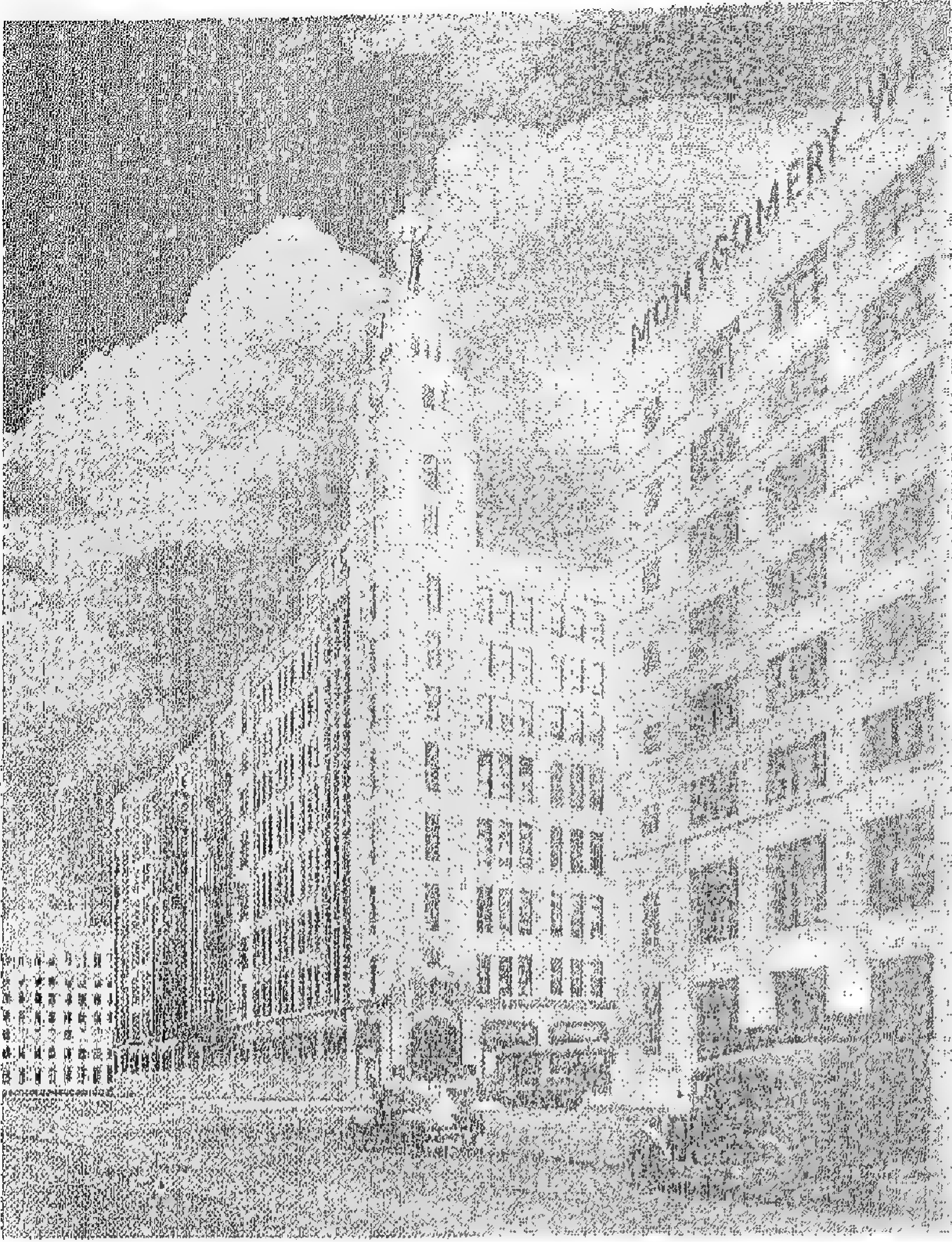
هذه الجرارات التى لا تهبط درجـة حرارتها من جراء العمل ليل نهار والتى تجمع سنوات عديدة من الخدمة فى سنة واحدة ، كثير منها من صنع مينيا بوليس مولين وذلك لأن شركة مينيا بوليس هى الأولى التى وضعت المصابيـح الأمامية على الجرارات وبذلك جعلت العمل الليـل فى حيز المستطاع . وهـذا التحسين الذى ينظر إلى المستقبل ، نتج من تقدير مهنـدسى شركة مينيابوليس مولين ، أن الجرار يجب أن يستخدم عدداً معيناً من الساعات كل سنة لكى يستغل استغلالا مجدياً . ثم نظرت إلى زيادة نفعه فكانت مينيابوليس مولين هى الأولى أيضاً التى جهزت الجرار بعربة مقفلة حتى يمكن استعماله فى كل حالة جوية .

وهذان هما إثنان فقط من التحسينات الحديثة العديدة التى مكنت مينيابوليس مولين من أن تقدم أعظم خدمة لإنتاج الطعام خلال الأزمة الحالية .



MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER EQUIPMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U.S.A.





بعض المنتجات التى نبيعها

معدات كهربائية

أجهزة راديو ، ثلاجات *
أجهزة غسيل ، وكى *
مكانس كهربائية * آلات خياطة *
مكبرات الأصوات *
أجزاء أجهزة الراديو وصمامات *
أفران كهربائية * ، موتورات

أجهزة سيارات

إطارات ، إطارات داخلية ، شموع احتراق
بطاريات ، أجهزة شحن البطاريات
زيت وشحم ، طلاء وشمع

أدوات زراعية

آلات لاستخراج القشدة
جرارات حدائق عربات ملحقة بالسيارات
جهاز كهربائى لحماية السياجات الحديدية

معدات ميكانيكية

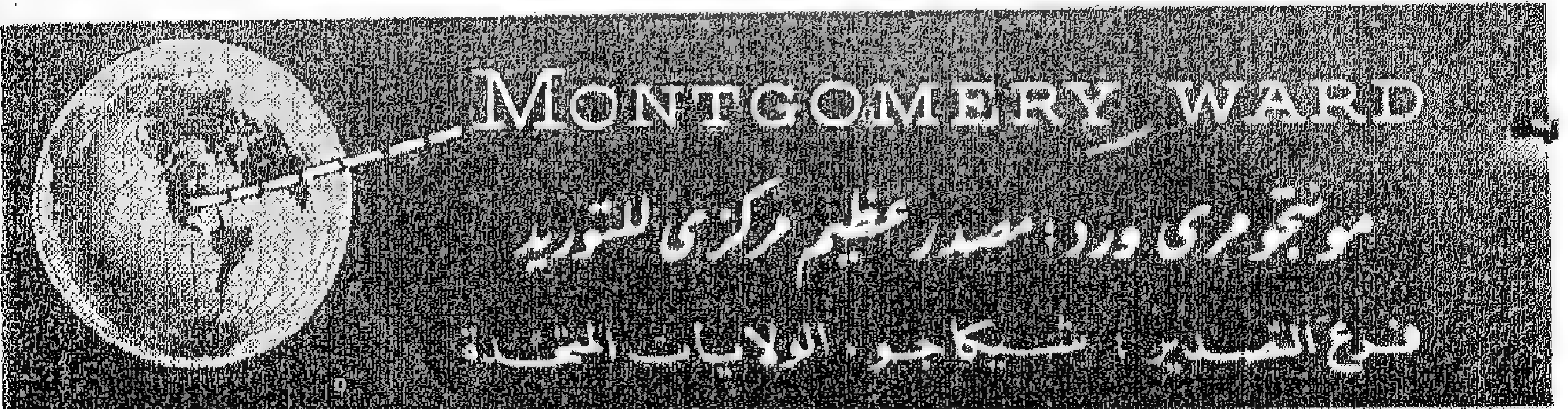
آلات إنارة ، محركات بنزين
آلات لخرط الخشب ، معدات للبناء
طلاء ورشاشات طلاء ، أدوات السباكة
مجارف الفحم ، مواقد

متنوعات

أدوات الرياضة ، ملابس ومنسوجات
معدات المطبخ ، آلات موسيقية
حلى ، أدوات كتابة
مواد البناء ، مصنوعات حديدية

* لا تصنع الآن وإنما تعد نماذج منها للشروع فى صنعها فى أول فرصة

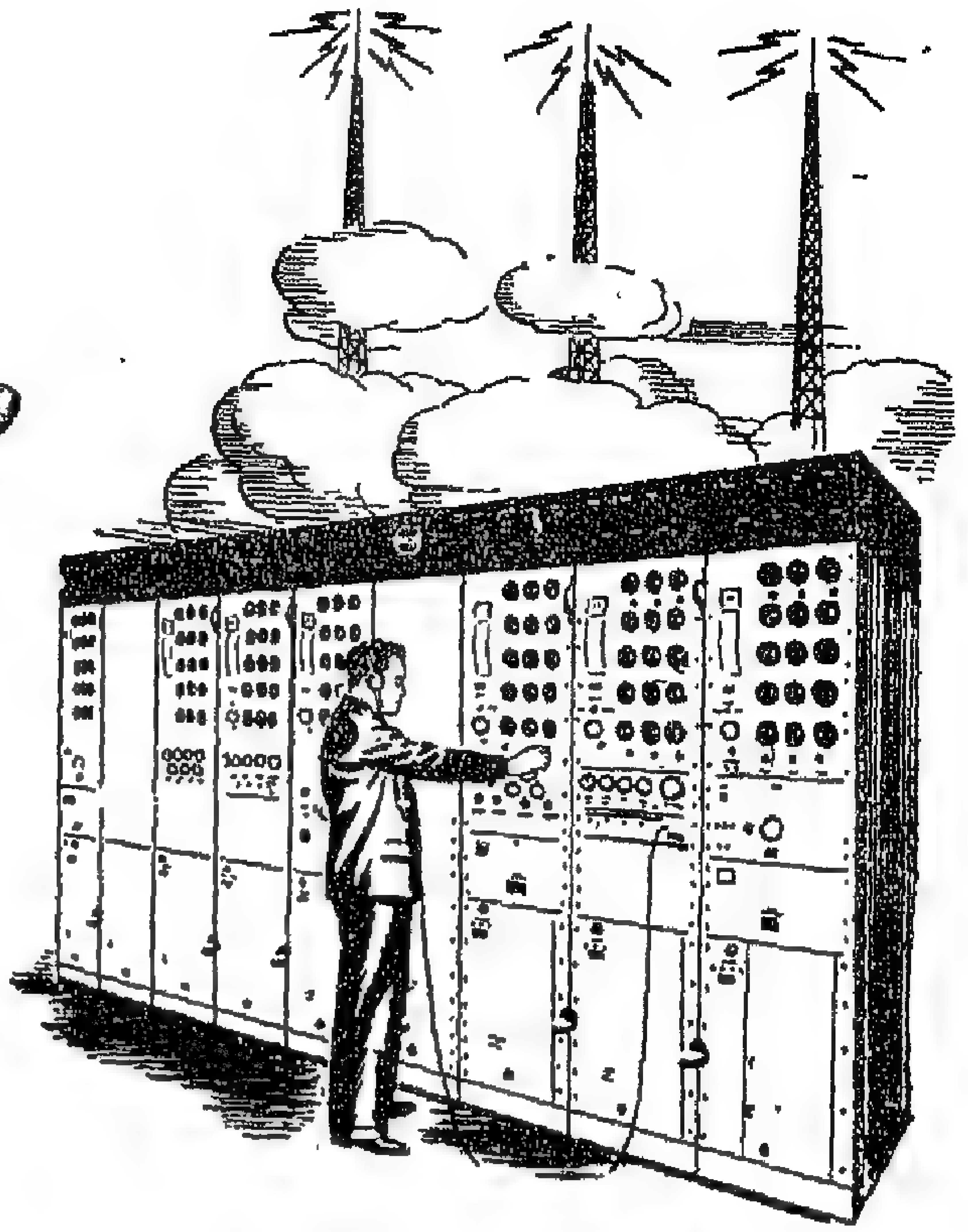
لم يزل المستهلكون منذ نصف قرن يعلمون أن مونتجومرى ورد وشركاه هم دائماً فى الطليعة ومركز للتمون والتزود يمكن الاعتماد عليه دائماً . فالصفقات العظيمة التى تعقدها هذه الشركة التى رأس مالها ٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال تمكنها من الإنتاج الاقتصادى الواسع النطاق للبضائع الرئيسية فتظفر بذلك بمنتجات أحسن وأسعار أقل. وشركة ورد تملك بعض المصانع ولها اتفاقات وثيقة فى الإنتاج مع مصانع أخرى وفى كثير من الأحيان ليس لغيرها حق الإصدار إلى أسواق العالم . إن منتجات ورد الكهربائية وأجهزة السيارات والآلات والأدوات لا تباع فى الخارج إلا عن طريق موزعين مساهمين . فاكتب إلينا فى طلب حق التوزيع فى منطقتك . وهناك بضائع كثيرة متفرقة تباع للمستوردين والتجار . اطلب كتالوجاتنا وأسعارنا .

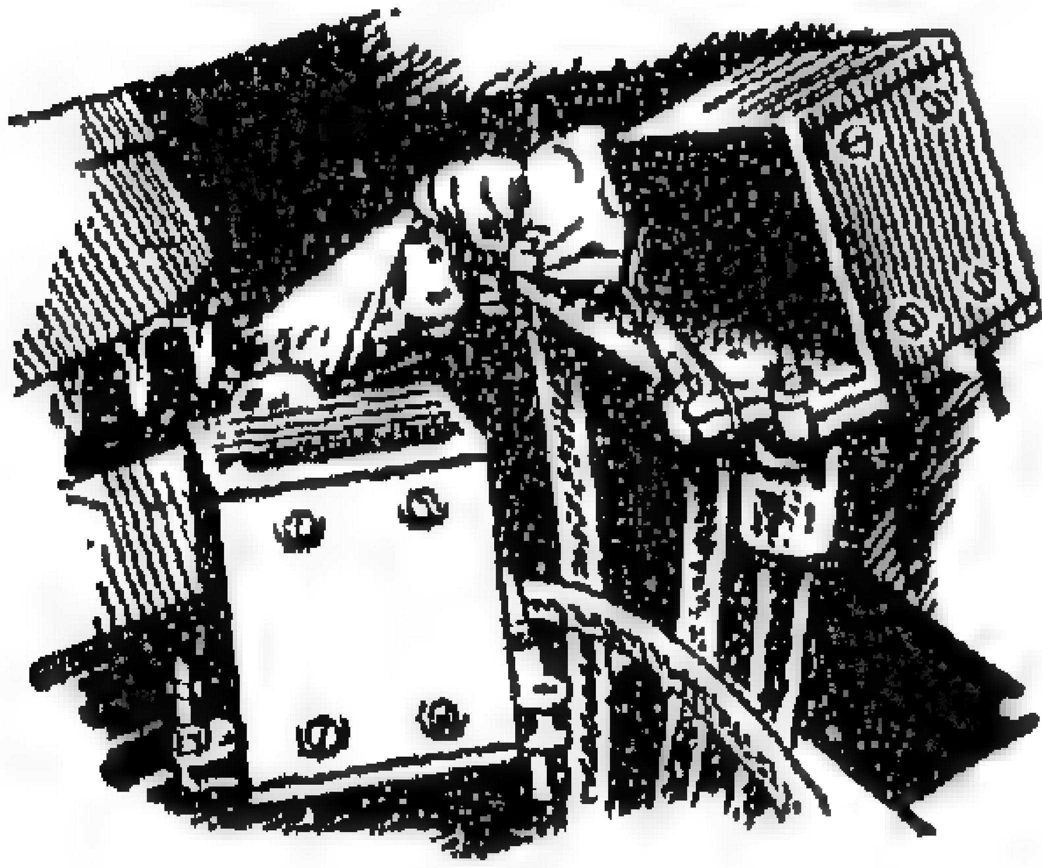


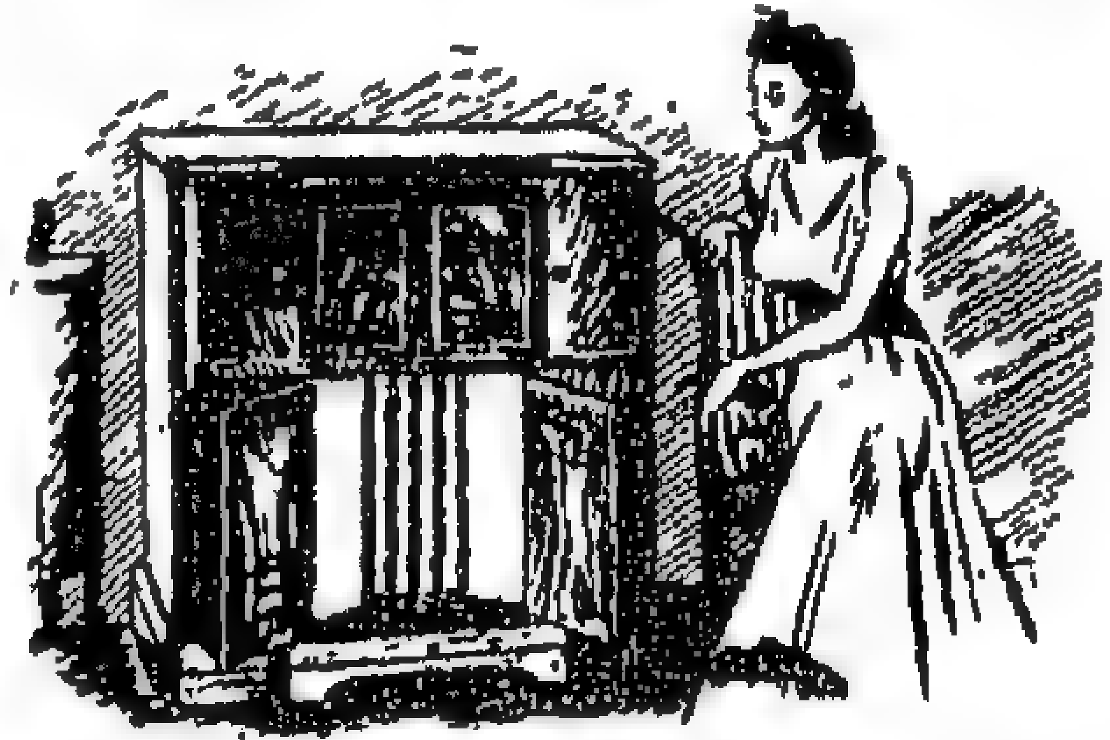
RCA تقــــــدم

أحدث مبتكرات

حلم خبراء الراديو : إن جهاز الاستقبال RCA ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحى الفائدة ، هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صور للإذاعة الواحدة على ثلاثة أسلاك هوائيـة مختلفة ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث . وبحوث RCA المنقطعة الآن لخدمة قضية الأمم المتحدة ، تعدنا براديو أجود ومنحات أخرى لعالم أفضل ، حينما يأتى السلام .







أعظم أجهزة الاستقبال إتقاناً : هو جهاز RCA QUB . وهو يقدم أقصى ما يمكن تقـديمه فى عالم الراديو بوسـاطة صماماته الأربعة والعشرين ومناطقه الموجية التسع ، كما يقدم أجود نوع من إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذى يغير عشرين قرص جراموفون تغييراً أوتوماتيكيا بدون أدنى ضعف فى الإخراج . وهو يقوم بتسجيـل برامج الراديو أو الأحاديث ، ويمكن استخدامه كجهاز فعال للخطب العامة — فمنظره رائع وصوته رخيم ، وهو ذلك النوع من راديو RCA الذى سيتاح لك استخدامه مرة أخرى حين يأتى السلام .

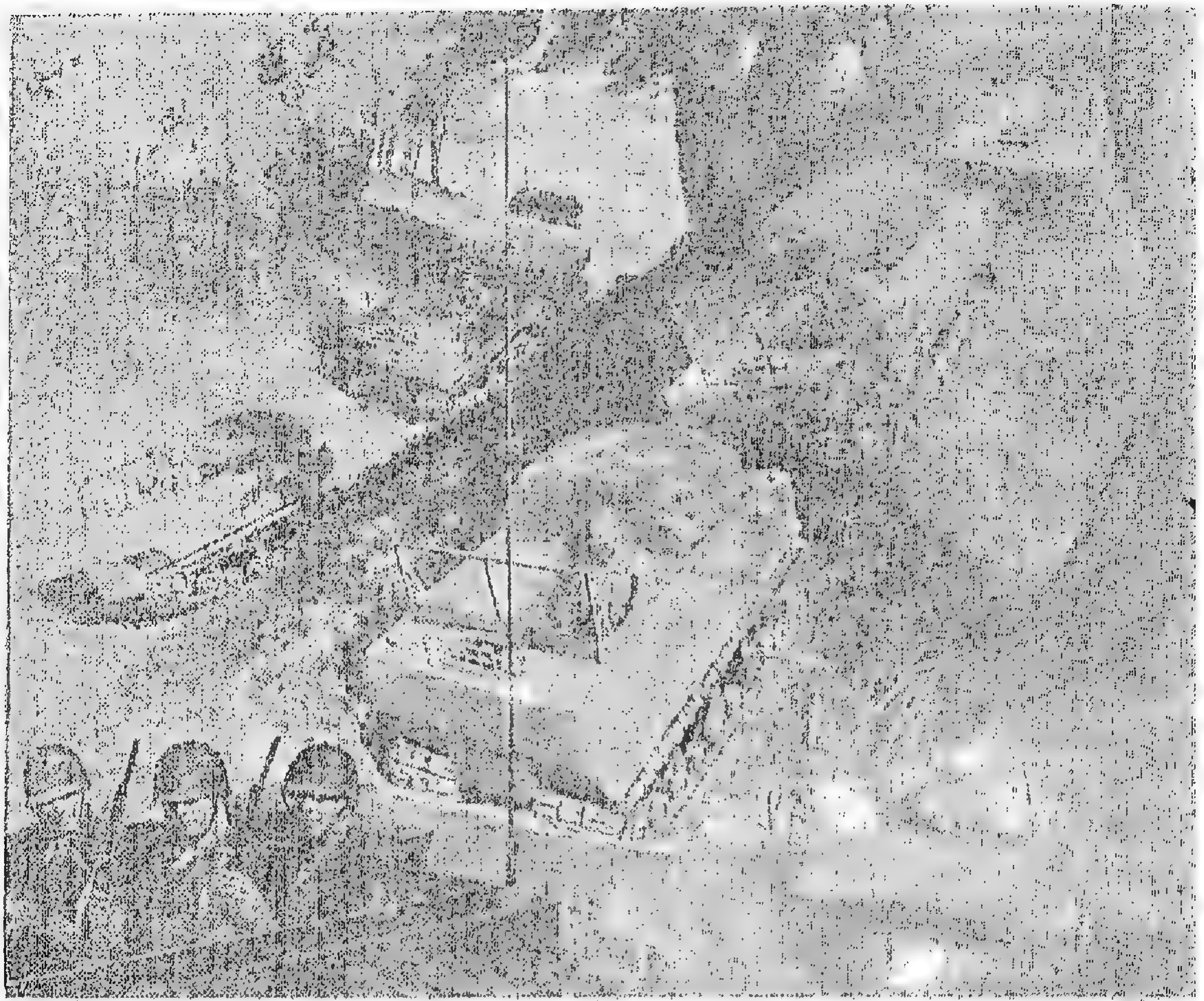
أنبوبة تساعد على طلاء أخرى : فى رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية ، يتولى صمام RCA الألكترونى الاقتصـاد فى الطلاء برشه رشا أوتوماتيكيا حينما تكون الأنابيب تماماً أمام صنبور الطلاء . وتصنع مئات من صمامات RCA العجائب فى الصناعة الحديثة . وهناك صمام RCA خاص لكل غرض !



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. انابيب .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات



بطل جديد فى حرب الغزو
سيارة ستوديبيكر "ويزل"

يصنعها ستوديبيكر ... يحركها محرك ستوديبيكر " شامبيون "

هذه السيارة الجديدة المتعددة المنافع الصالحة لنقل البضائع والأشخاص ، التى أطلق عليها إسم « ويزل » ، وقد وسمها الجيش الأمريكى رسميا بوسم م ٢٩

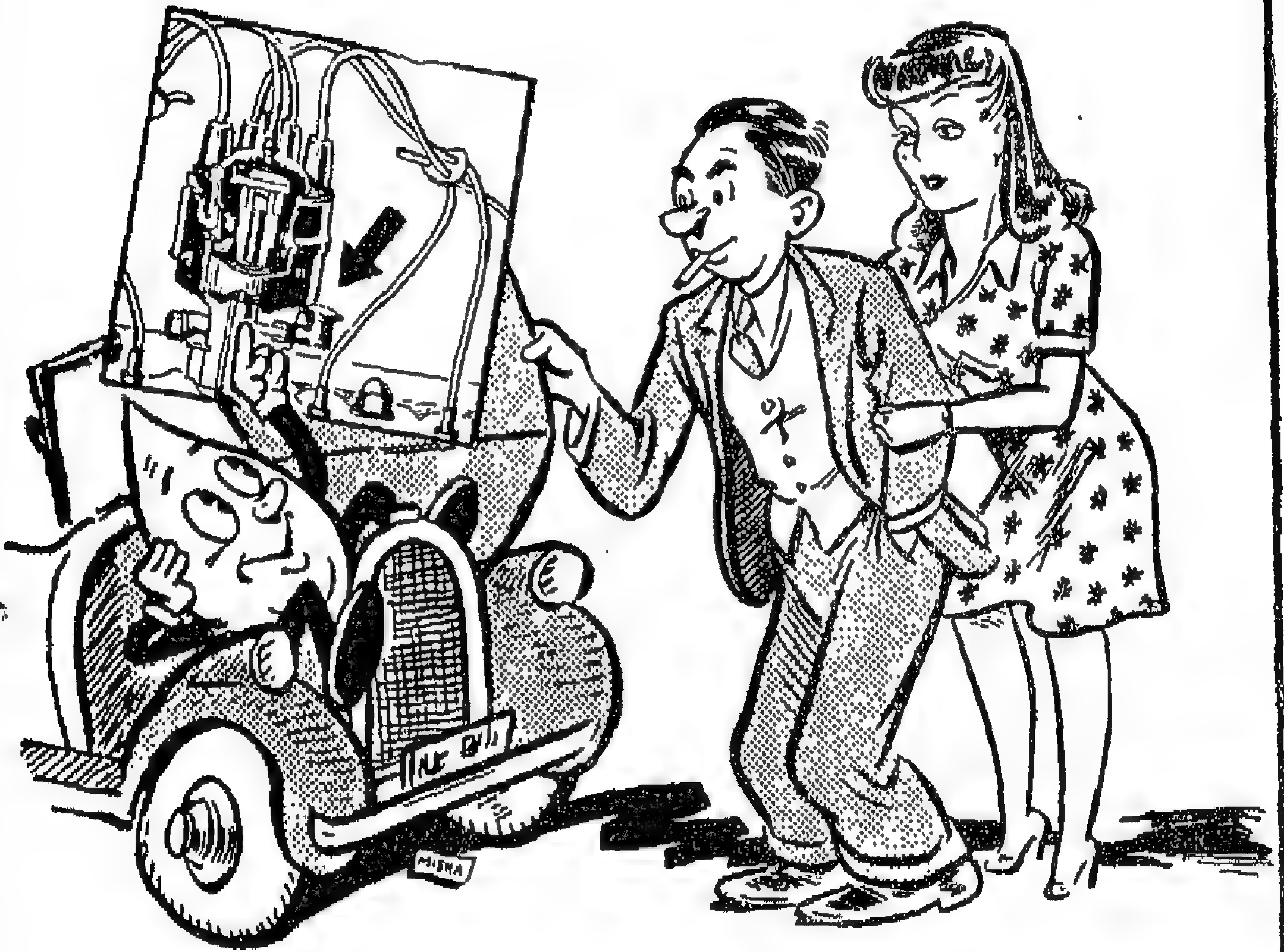
هى وليدة مكتب البحث العلمى والتحسين ومهندسى وزارة الحربية وستوديبيكر ، ويحركها محرك ستوديبيكر المشهور ، « شامبيون » . وهى تصنع فى مصانع ستوديبيكر بمقتضى عقد مع قسم المهمات لقيادة التموين الحربى .

وهى كاسمها (ويزل يعنى ابن عرس) خفة وسرعة ، فى حركتها الواثقة ، مهما تختلف طبائع الأرض التى تسير فيها — فهذه العربة الجديدة تضيف وحدة كبيرة ثالثة من معدات الحرب ، الى كشف المصنوعات الحربية التى عهد بها إلى ستوديبيكر وتشمل محركات سيكلون رايت للقلاع الطائرة بوينج ، وسيارات النقل الحربى متعددة القوى — لخطوط التموين والميادين التى تقاتل فيها الأمم المتحدة فى جميع أنحاء العالم .

THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION — South Bend, Indiana, U.S.A.

CABLES : Studebaker, South Bend.

يدور الموزع تحت غطاء سيارتك بسرعة خاطفة وفي درجة حرارة مرتفعة متوليا تنظيم وتوقيت الاشتعال لكل اسطوانة . أتعلم أن الترتيب الصحيح للاشتعال لا يتم إلا اذا كانت أجزاء الموزع المتحركة سليمة من التآكل وأن التزييت الصحيح يؤجل لحد ما التآكل ؟ ونحن نتولى تزييت الموزع عند كل عملية تشحيم تجرى لسيارتك بالكيفية التي يوصي بها صانعوها أي باستعمال الزيت أو الشحم الصحيح بالمقدار اللازم . فهناك من الموزعات ما يحتاج الى قطرة أو قطرتين من زيت موبيلويل آركتيك في عمودها أو البعض الآخر مجهز بمشحمة صغيرة تملأ بشحم مقاوم للحرارة كشحم — موبيلجريس نمرة ٥ .. ولكن مهما يكن تصميم الموزع المجهزة به سيارتك فتأكد بأنه سينال أتم العناية عند تشحيمه على طريقة موبيل .
ان هذه الخدمة الممتازة تقدم في جميع محطات بنزين شركة سوكوني - فاكوم .



تفوق تشحيم "موبيل" على غيره



CR 4954

كتابة جافة بمداد سائل !

پاركر "٥١"

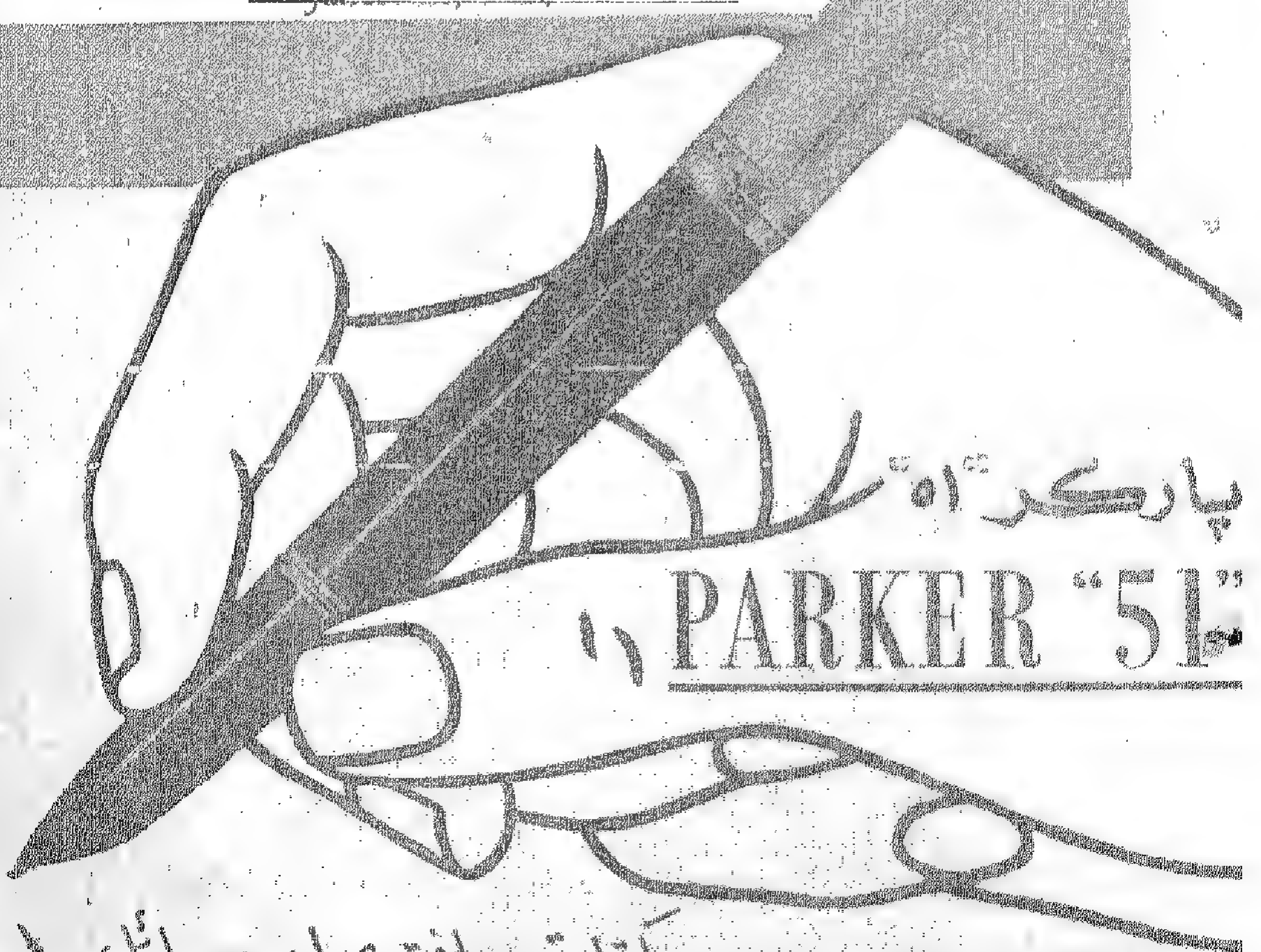
أمر لا يعقل – بيد أنه حقيقة واقعة فإن قلم باركر العجيب «٥١» وحده يستطيع استعمال هذا المداد السحرى الجديد «٥١». فإنه يجف حال كتابته. ويجعلنا فى غنى عن النشافات. ويمكن مع ذلك استعمال أي مداد لقلم باركر «٥١»

إن السن الدقيق فى قلم باركر مصنوع من الذهب عيار ١٤ قيراط. بمنأى عن الهواء والأوساخ، تسيل كتابته حالما تكتب به. ويطيع أقل بادرة من أناملك.

فعليك بمشاهدة قلم باركر «٥١» الجميل بمحل أقلام باركر اليوم. فهو القلم الوحيد من نوعه.

غطاء من ذهب أو فضة — الألوان أسود، أزرق قاتم، رمادى، بنى، والماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة.

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U.S.A.



مهام عظيمة تواجهنا

ما أكثر ما كتب عن الجرارات القوية التى تمهد الأرض وأعمال البطولة التى يقوم بها رجالها فى جيوش الحلفاء. والواقع أن جرارات ديزل كاتربيلار نفسها كانت تتولى القيام بمهام عظيمة كمهامها الحربية زمناً طويلاً قبل أن تنشب الحرب. وهى متأهبة للقيام بمهام أعظم خلال عصر السلام الذى يمتد أمامنا. فليس ثمة جبل مهما يبلغ انحداره ولا صحراء مهما تشتد حرارتها ولا مفازة قطبية مهما يعظم بردها لا تستطيع هذه الآلات المتينة أن تعمل فيها كل ما يطلبه منها الإنسان.

وحين تنتهى الحرب سيوجد من جرارات ديزل وممهدات متحركة ومحركات وأجهزة كهربائية مما تصنعه شركة كاتربيلار كميات أوفر كثيراً من قبل. ولما كانت تصنع فى مصانع كاتربيلار فهى تشبه كثيراً فى تصميمها ما يستعمل الآن وستكون أقدر وأكفأ فى العمل من الآلات التى امتحنها الزمن وجربت فى القتال فى جميع ميادين الحرب.

CATERPILLAR *DIESEL*

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا، الينوى

سحر الأليكترونات!

مهندسو فيلكو يخلقون "عقلاً متفوقاً" يفكر ... يقرأ ... يحسب ... يقيس

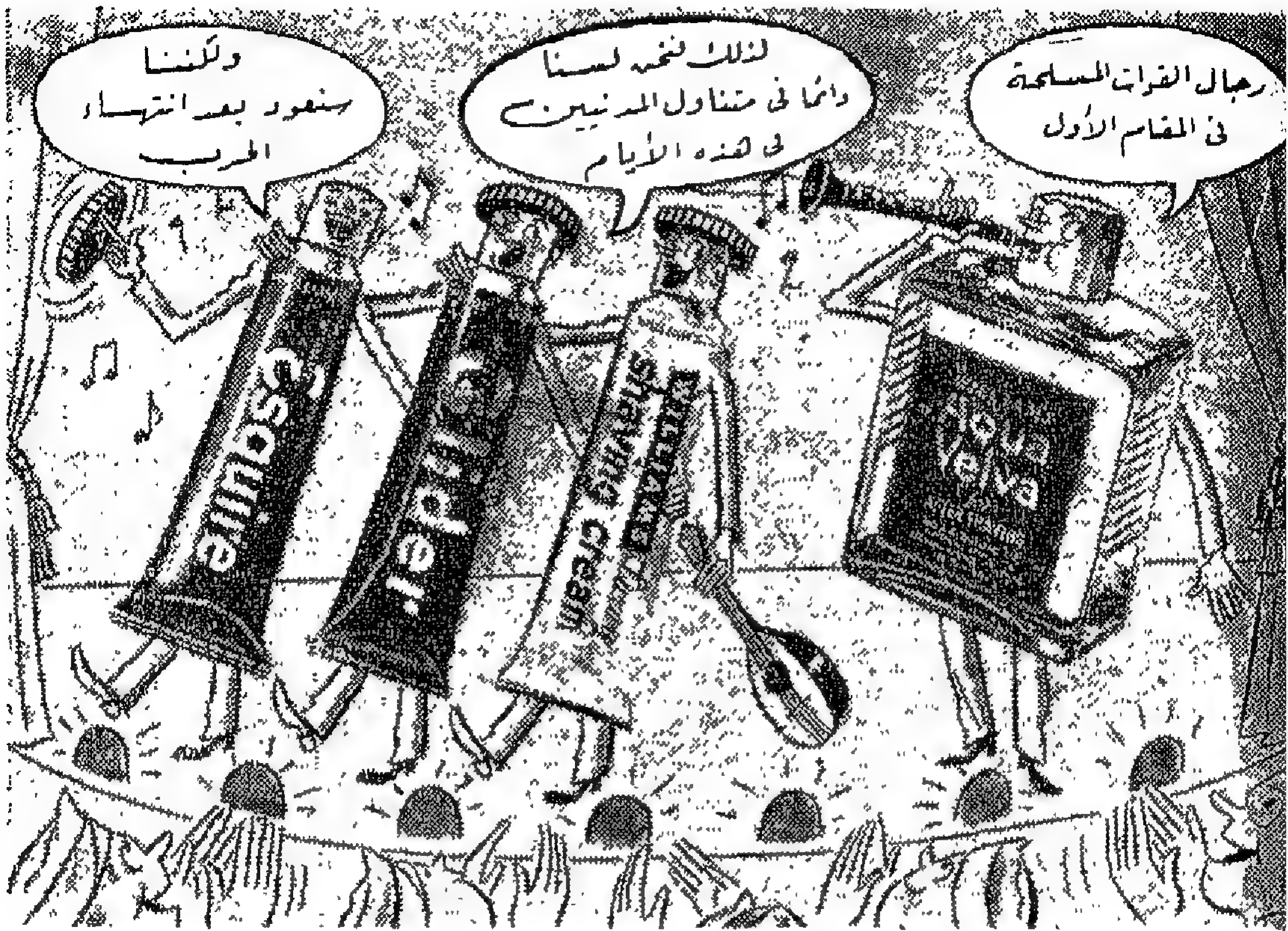
تجد بين الخدمات الكثيرة التي أسداها «فيلكو» إلى المجهود الحربي، هذا العقل الاليكتروني المتفوق. هذا الجهاز العجيب، الذي يستعمل فيه ١٢٦ صماماً اليكترونياً، قد حل محل العمل اليدوي المعقد البطيء، فوفر توفيراً عظيماً في الوقت والمال، لحكومة الولايات المتحدة.

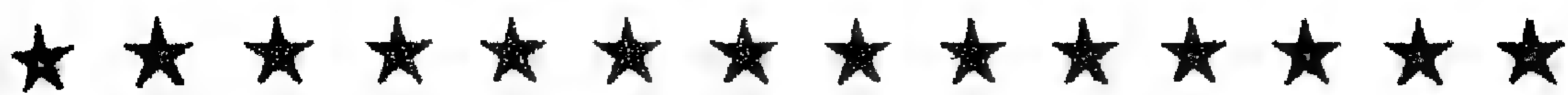
هذه المأثرة وليدة الحرب، تشير إلى العجائب التي سوف تخرج من عقول وأيدي علماء فيلكو ومهندسيه وصناعه لكي تزيد من رفاهية البشر ويسرهم وحسن حالهم — بعد الظفر.

فيلكو

الراديو الذي يباع منه أكبر عدد في العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION, 230 Park Avenue, New York, U.S.A.


رجال القوات المسلحة
فى المقام الأول
لذلك نحن لسنا
دائما فى متناول المدنيين
فى هذه الأيام
ولكننا
سنعود بعد انتهاء
الحرب



لماذا يفضّل الرجال شفرة چيليت فى كل قطر

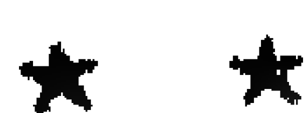
إن مزية الحلاقة الممتازة التى تتصف بها شفرة چيليت ترجع إلى الصناعة البارعة والمعرفة الفنية المتفوقة التى تبذل فى صنعها.

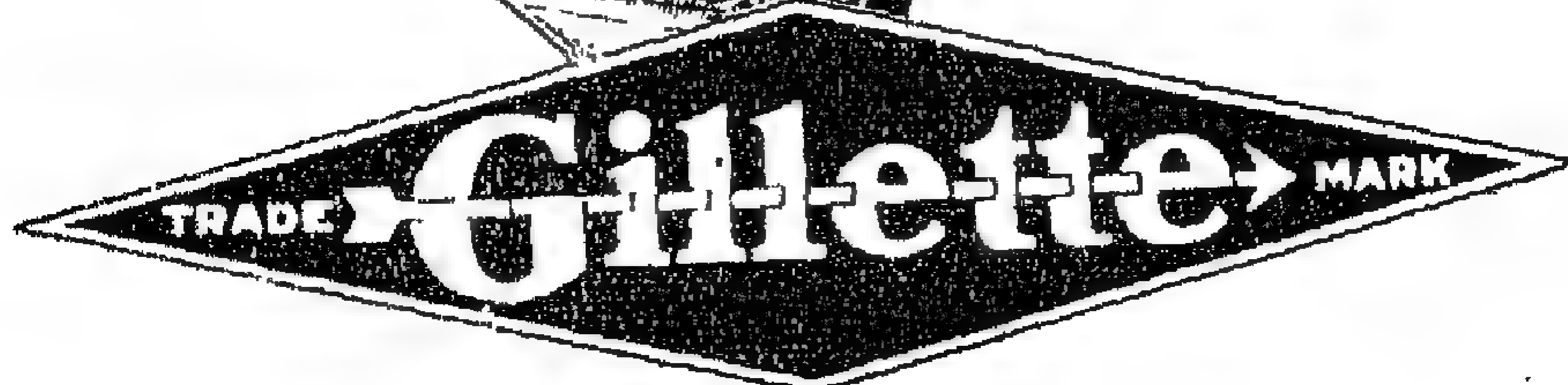
هذه الشفرة — أفضل شفرات الحلاقة — يصنعها خبراء أتيحت لهم جميع الوسائل والأساليب الحديثه، وهم رجال وقفوا حياتهم على اتقان أدق وأصعب الأعمال فى ميدان الصناعة الدقيقة كله.

فنى وسعك أن تعتمد دائماً على شفرة چيليت لتظفر بأهون وأسرع حلاقة — وأنظفها كذلك — ممكنة لأى رجل. وسبب ذلك أن هذه الشفرة هى أحدّ الشفرات التى تصنع وحدّاها ادقها سناً.

شركة چيليت لأمواس الحلاقة









تكرر مآسى الصراع التى يرميها بهم الحاكمون بأمرهم الذين لا يشبعون من السلطة . ولو أننا استطعنا أن ننفى الخوف من المجهول ، ونزيل ما تكدس من سوء التفاهم ، لكننا خلقاء أن نتبين أنه ما من خلاف صحيح فى الرأى لا يمكن الاهتداء إلى تسوية ودية له .

وهذا أحد الأسباب التى تثير اهتمامى الخاص بمجلة ريدرز دايجست ، فإن محرريها يقومون اليوم بنجاح غريب ، بما يشبه سعيى الذى حاولت به أن أعمى حسن النية . وهم يتيحون للقراء فى كل قارة ، بفضل طبعات بخمس لغات كبرى ، أن يطلعوا على حياة الأمة الأمريكية — كما هى مصورة فى مقالات يقرأها الأمريكيون أنفسهم .

وقد أتيح لى ولزوجتى حديثا أن نسعد بزيارة مكاتب الدايجست فى بليزانتفيل ، وأن نقابل بعض المحررين الذين يصدرون هذه المجلة التى هى أوسع مجلات العالم انتشارا ، وقد انصرفت وأنا عميق التأثر بالمثالية العملية العميقة التى ظلت رائد الريدرز دايجست مذ ظهرت . فههنا طريق يبشر أقوى بشرى بالوصول إلى تفاهم ودى وطيد بين أبناء الأمم فى العالم طرا .

وأحسب أن بريطانيا وأمريكا قد تعلمتا أن تفهم إحداهما الأخرى خيرا مما كانتا تفعلان من قبل ، فى خلال هذه الزمالة الوثيقة فى القتال المستميت ضد الأعداء المشتركين . وإنى لأرجو أن تتعاونا بنفس الحصافة والإيثار فى السلام المقبل ، كما تعاونتا فى الحرب الحاضرة ، وأن تعززا إلى الأبد أداة مشتركة لحل المسائل الدولية . فإنه على طريق التعاون والفهم ينبغى أن تسير عقول الإنسانية ، إذا أريد أن نصل — ويجب أن نصل — إلى عالم يسود فيه السلام الدائم بين ذوى النية الحسنة من الناس .

في سبيل السلام

بين الأخيار

بقلم صاحب السمو الملكي الدوق أوف وندسور

لو كتب لى أن أطوف فى العالم أكثر مما طوّفت إلى الآن ، ولما كنت خليقا أن أمل ملاقاة ناس جديدين . وإن ذكرياتى لصورة شاصة بالمناظر المتغيرة للناس : لجندى جريح يصعد طرفه من الموضع الذى سقط فيه إلى جانب طريق متوحل فى الفلاندر ، ومعدن إنجليزى فى منجم فحم قدم إلىّ قدحا من الشاى الساخن ، وصياد محار يعنى من أهل ميريلاند ، وعامل مستترق فى مجاهل الأمازون ، وقناص بقر مديد القامة قرب كالجارى فى كندا — رجال ونساء من خمسين أمة ولغة لا يشبه واحد منهم الآخر .

على أن أوضح ما وقع فى نفسى لم يكن الاختلافات بين الناس الذين لقيتهم فى أرجاء العالم السحيقة ، بل أن بينهم عددا مدهشا من الأشياء المشتركة — مشاكل ومسرات ، وغايات ومثل عليا . وقد وقعت من نفسى على الخصوص الاستجابة الودية التى أظهرها الجمهور الأكبر من الرجال والنساء بمجرد تفطنهم إلى اهتمام الغريب بهم ، فينتفى التكلف ويتبدّى الإخلاص .

لقد أثبتت لى تجربتى فى سعيي لإنماء المودة لبريطانيا العظمى فى بلاد الأرض ، إثباتاً لا يرتقى إليه الشك ، أن معظم الأمم كمعظم الناس ، تبغى أن تكون على ود . والإنسان فى كل مكان يمقت الحرب ، ويستفظع

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش

المختار
من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

الملاريا . نكبة البشر . يمكن قهرها	بول دى كروف	٤
لن يتعلم اليتيم	« ذى أمريكان ميركيورى »	٨
أشقى نساء العالم	مجلة « ساترداى إيفننج بوست »	١٣
من الخير أن تكون رابط الجأش ؟	مجلة « ليبرتى »	١٧
قصة سمكة حمراء	مجلة « أتلانتيك الشهرية »	٢٠
كيف يؤدى الآباء بالأبناء	مجلة « يور لايف »	٢٥
خطة الدفاع عن سلامة أمريكا	توماس م . جونسون	٢٩
من صميم الحياة	و . ا . ويندلر	٣٨
من بسمات أمريكا		٤٢
أشد الكتاب بأساً	صحيفة « سانت لويس بوست ديسباتش »	٤٥
مرح مع العالم	مجلة « [illegible] »	٥١
المخصبات التي لا تنمو	ولتر [illegible]	٥٣
مخابئ النازى الحربية الخفية	مجلة « [illegible] »	٥٦
وليم ... رائد الديموقراطية	دونالد [illegible]	٦٠
تعال وارسم	مجلة « كريستيان [illegible] »	٦٥
عجائب [illegible]	مجلة « أتلانتيك الشهرية »	٧٠
أعظم الحيوانات حباً للزهو	صحيفة « بالتيمور صنداى صن »	٧٣
وادى شياطين الفحم	مجلة « [illegible] »	٧٨
ألف رجل ... ورجل واحد	صحيفة « [illegible] »	٨٣
أرصاد أمواج الأثير	صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور »	٨٦
نقلنا معنا مرافقنا	ألبرت لى . هوول	٩٠
[illegible]	مجلة « [illegible] »	٩٦
أعلى صفقة في التاريخ	مجلة « فورتشن »	١٠١
ملكة الأفلام الملونة	فرانك ج . تايلور	١٠٥
[illegible]	صحيفة « نيويورك وورلد تلغرام »	١٠٩
درسوا النساء	مجلة « أرجوسى »	١١١
كتاب الإنسان ... ذلك المجهول	الدكتور ألكسيس كاريل	١١٥

فبراير ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . وهذا هو العددُ الثامنَ عشر (السادس من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار من ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز ، باقية الأثر

السنة الثانية فبراير ١٩٤٥ المجلد ٣ العدد ١٨

الملاريا : نكبة البشر تكاد تقهرها

بول دى كروف

أصبح قهر الملاريا — أعدى أعداء البشر من الطفيليات — قاب قوسين أو أدنى ، فقد سلم أكبر ثقات الطب اليوم بأن استعمال العقار الجديد المسمى بالأتبرين ، تؤازره السيطرة على البعوض ، ينبغى أن ينتهى بنا إلى القضاء على قاتل البشر الأكبر فى كل أقطار العالم المتمدن .

عند ما بدأنا ، نحن الأمريكيين ، الحرب فى المحيط الهادى أدركنا أننا إن لم نقض على الملاريا فلا مفر من الهزيمة . وهكذا بلغ الأمر من البساطة وانقطاع الرجاء معاً ، فقد كانت الكينا ، ترياق الملاريا المعهود قد ضاعت من أيدينا بعد غلبة اليابانيين ، ولولا بقية محدودة منه لظللنا وليس بأيدينا سوى قليل من أقراص صغيرة صفر من ذلك العقار المركب المحدث — الأتبرين .

وقد أشارت الريدرز دايجست فى نوفمبر سنة ١٩٤٣[1] إلى الأنباء الحافلة بالرجاء ، وأن الأتبرين أسلم من الكينا وأشد أثراً ، وأنه قادر على تمهيد السبيل لجنودنا حتى يحاربوا وهم أصحاء الأبدان . ويومئذ أعلن رئيس قسم العلوم الطبية فى المجلس الوطنى للأبحاث أن هذه القصة مبنية كلها على خطأ وقرر أن « الكينين على أى وجه أسلم فى علاج الملاريا وأسرع أثراً من الأتبرين » ثم كتب يقول : إن الريدرز دايجست تنشر « مزاعم لا نصيب لها من الصحة ، يكمن فيها الخطر على صحة الجمهور وعلى المجهود الحربى على السواء » . وظاهره أطباء آخرون فى هذه الحملة القاسية على مقال الريدرز دايجست ، وتناولت بعض الصحف والمجلات هذه

(١) « دخل الأتبرين — خرجت الملاريا » بول ده كروف ، المختار نوفمبر ١٩٤٣ ، ص ١١

الشكوك فأذكت أوارها ، وقالت إحداها : إن أقوال الريدرز دايجست عن الأتبرين « هراء صرف » .

وضاعف كل هــذا قلق أطباء الجيش وجنده المحاربين فى غابات المناطق الحارة ، فلم تكن هنـاك كفاية من الكينا . وقد عرض الحملة كلها للخطر هـذا الخوف من استعمال الأتبرين ، فما كان ممكناً أن تلهب الحماسة جندياً أو بحاراً يتداوله من الملاريا نافض رعدتها وسعير حمّاها ، ويتهالك بإعياء من فتكها بدمه. وقد أصيب بالملاريا فى أوائل الحملة على جزائر سليمان ، ٧٠٪ أو أكثر من الجنود الأمريكيين. وفى أوائل معركة جزيرة غينية الجديدة أعلن رسمياً أن الملاريا رمت إلى المستشفيات بعدد من المصابين أكثر مما رمت سائر الأسباب مجتمعة ، بما فيها جراح المعارك .

وكان ضعف إيمان مجلس الأبحاث الوطنى بالأتبرين أمراً غريباً ، كما كان أمراً خطراً على جندنا المحاربين . فقد صدر قبل الحرب ما يقارب ١٠٠٠ تقرير علمى تشهد للأتبرين بأنه ليس أسلم من دواء الكينا القديم وحسب ، ولكنه أشد منه قوة ، وأنهض منه بالوقاية فعلا ، وقل من التقارير الطبية ما كان يدحض هـذه الشهادة .

وفى سنة ١٩٣٨ ندبت عصبة الأمم ثلاثة أطباء ليجروا تجربة عملية دقيقة محكمة فى سالونيك، تمتحن قدرة الكينا والأتبرين على الشفاء ، فكان معدل انتكاس الملاريا المعالجة بالكينا ٢٧ فى المئة ، على حين لم يزد بعد العلاج بالأتبرين على ١٢ فى المئة . وفى سنة ١٩٤١ قرر العالم الإنجليزى الثقة الذائع الصيت السير فيليب هـ . مانسون بار أن الكينا قد فشلت فى إبراء ٢٣ فى المئة من ضحايا الملاريا ، وأبرأ الأتبرين كل المعالجين به إلا ٤٫٨ فى المئة . وما من دواء واحد فى جعبة الأدوية المكافحة للموت (بما فيها السلفا والبنسلين) يصيب النجاح فى جميع الحالات، وليس منها ما هو أوفى بالغرض المتوخى منه من الأتبرين . وقد ختم الكولونل تشارلس ف . كريج من جيش الولايات المتحدة تقريراً له فى سنة ١٩٣٩ قائلا : « إن الأتبرين أنجع من الكينا بكثير، ويجب أن يؤثر بالتفضيل » .

إن ما يحمى البدن من الملاريا لازم لزوم علاجها . وفى هذا أيضاً برهن العلم قبل الحرب على أن للأتبرين مزية على الكينا لا يرتاب فيها : ففى سنة ١٩٣٩ جرب البريجادير جنرال جيمس س . سيمنز ، من جيش الولايات المتحدة ، ما فى الأتبرين من قوة حامية بالقياس إلى الكينا ، فى ٦٠٠ رجل تعرضوا لعدوى الملاريا فى أدغال بناما تعرضاً

شديداً ، ثم قرر أن : «التجربة أثبتت تفوق الأتبرين على الكينا ، حتى ولو زيدت جرعة الكينا المقدرة للحماية إلى ثلاثة أضعافها» .

كل دواء يراد تعاطى جرعة منه كل يوم إلى أجل طويل ليكون واقياً من المرض، يجب أن يكون خالياً من الضرر ، ولكن الكينا إذا أخذت يومياً بمقادير وافية بهذا الغرض تؤدى إلى الدوار والصداع والصمم والغثيان والإسهال فى كثير من الناس ، وقد تؤذى بصر بعضهم أذى بليغاً . ثم إن مذاقها المرّ بغيض إلى كثير من الناس ، حتى إنهم ليرفضون تعاطيها حتى يصرعهم الداء . ويقابل هذا ما نشره الدكتور بول ف . رسل من مؤسسة روكفلر منذ سنة ١٩٣٤ قال : « يكاد الأتبرين يكون خالياً من الضرر ، ويندر أن يعقبه أذى» .

هذا قليل من كثير مما سبق من الأدلة الناصعة قبل الحرب على عظم نفع الأتبرين فى كفاح الملاريا ، فلمَ لم يوصَ بالتعجيل فى استعماله والثقة فيه ؟ ذلك ما أجاب عنه رئيس لجنة الأتبرين فى مجلس الأبحاث الوطنى ، فقد ـــرح الناس بهذا الرأى الصاعق ، وهو أن التقارير العلمية التى كتبت عن الأتبرين قبل الحرب لا قيمة لها .

وقد بنى رأيه على تجارب معينة (ثبت خطؤها فيما بعد) أقامت الدليل على أن الأتبرين الأمريكى لم يكن نقيا ، وأنه مشوب بأوضار شديدة الأذى ، وأدى ذلك إلى أن ألغى الجيش كل صفقاته المطلوبة من الأتبرين برهة من الزمن فى صيف ١٩٤٢

أصبح لزاماً على الدوائر العلمية المؤمنة بالأتبرين أن تعود فتقيم البرهان من جديد على سلامة تعاطيه ، حتى تذود عنه هذه الحملة الشديدة الخطر على سير الحرب فى المحيط الهادى . وفى سبتمبر سنة ١٩٤٣ نشرت مجلة الجمعية الطبية الأمريكية (الطب فى الحرب) تجربتين كان الإشراف عليهما محكما ، شملت إحداهما مجموعة من مرضى السل ، وقام بها الدكتور إلمر لفلين ومساعدوه بمدينة نيويورك ، فأعطى الأتبرين لعدد عظيم من الأشخاص كل يوم على مدد طويلة ، تحت إشراف بلغ الغاية من الدقة . فلوحظت فى الأيام الأولى اضطرابات طفيفة فى المعدة والأمعاء ، لم تلبث أن زالت مع استمرار العلاج . واصفرت أبدان ثلث المرضى إلى حين ، من جراء الأصباغ التى يحويها الدواء ، ولكن لم تكد التجربة تشرف على نهايتها حتى اختفى هذا الاصفرار . وقد استطاع كل الأشخاص غير المصابين بالسل أن يؤدوا عملهم كاملا وهم يتعاطون الدواء كل يوم ، ولم يعقب الأتبرين أثراً سيئاً لأحد منهم حتى المرضى بالسلّ .

ولكن الامتحان الحقيقى للأتبرين حدث فى المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادى. ففى جزيرة وادى الكنار كان بلايين من البعوض تصب طفيليات الملاريا صبًا فى أجسام الجنود كلما عسعس الليل أو تنفس الصبح ، وكان اتباع الخطط المعروفة للسيطرة على البعوض أمراً مستحيلا تحت وابل قذائف اليابانيين ورصاص رماتهم ، ولكن كان الأتبرين أمضى أسلحة الدفاع .

وكان الجنود فى البداية يحتقرون الأقراص الصغيرة الصفر ، وقال أحد أطباء البحرية : « إنهم يزعمون أنهم أقوى من أن يتعاطوا دواء لمرض لا يشكون منه » ، ولكن سرعان ما غلبت عليهم حكمة العقل ، حين رأوا أولئك الذين رفضوا تعاطى قسطهم من الأقراص يخرون صرعى لرعدة النافض تارة ، ولسعار الحمى تارة أخرى ، وذلك ما لم يحدث مثله لأولئك الذين أداموا تعاطى الأتبرين . وكانت هذه التجربة الحكيمة ، تجربة الحياة والموت ، أبسط من أية تجربة قام بها علماء الملاريا المدربون .

وفى هذه الأدغال الموبوءة بالملاريا المميتة، ثبت أن مخاوف العلماء الأمريكيين من أخطار الأتبرين ليس لها أساس ، إذ كتب اللفتننت كوماندور جيمس ج . سابيرو يقول : « لم نجد أثراً خطيراً واحداً يعقبه تعاطى الاتبرين » . وفى غينية الجديدة أيضاً فاقت بعوضة الملاريا محاربى الأدغال من اليابانيين فى إيذاء الجنود . ونشبت معارك بونا فى أسوأ مواطن الملاريا على وجه المعمورة ، فكان الأتبرين أكبر واق للجنود الأستراليين . فماذا كانت النتيجة ؟ تبين من التقارير الرسمية أن الملاريا لم تسلب الجيش الأسترالى كله أثناء الحرب فى بونا سوى ستة جنود وتقرر الدوائر الطبية الأسترالية أن الهجوم على غينية الجديدة بحذافيره كان خليقاً أن يستحيل لولا الأتبرين.

وفى صيف سنة ١٩٤٤ قرر الأطباء الأمريكيون رسميا أن الأتبرين ساعد على خفض معدل الإصابات بالملاريا فى غينية الجديدة ٩٥ فى المئة عما كان قبل ١٥ شهراً . وثمة قوات أمريكية كانت تعانى ٩٦٢ إصابة بالملاريا لكل ألف شخص فى السنة ، فأمكن خفض هذا المعدل السنوى إلى ٤٥ فى الألف . وأعلن جيش الولايات المتحدة أن مجموع الوفيات التى يمكن إرجاع سببها للملاريا مباشرة كانت أقل من ١٠٠ فى سنة ١٩٤٣ .

يقول الدكتور الجنرال نورمان ت . كرك فى جيش الولايات المتحدة : « إن الوصول إلى معرفة طريقة لإيجاد بديل ناجع للكينا (يعنى الأتبرين) كان أجل معونة أسديت إلى المجهود الحربى » .

ومن أجل هذه المعونة حصلت شركة ونثروب الكيميائية ، التى استطاع علماؤها أن يقضوا على احتكار الألمان للأتبرين، حين عرفوا طريقة تحضيره بأنفسهم ، على ثلاثة أوسمة شرف من الجيش الأمريكى والبحرية الأمريكية ، وعلى التهنئات الحارة من كبار أطبائهما . وعلى أن مجلس الأبحاث الوطنى عارض الأتبرين فى مبدأ الأمر، وأن الحكومة امتنعت عن إسداء إعانة مالية أو عقد قرض، فقد جازفت شركة ونثروب فوسعت إنتاجها للأتبرين(١) توسيعاً يفوق التصور .

ولم يكن للشركة من مشجع فى البداية سوى الدكتور الجنرال توماس باران مدير الصحة العامة فى الولايات المتحدة . ولما استيقنت وعرفت ما يحتمل أن سيكون من عظيم حاجة الناس إلى الأتبرين فى المستقبل، لم تزد من إنتاجها منه وحسب ، بل تطوعت فأمدت ١١ مصنعاً آخر بترخيص صنعه وتركيبه الكيميائى ، دون أن تتقاضى منها نصيباً من الربح . وأدى ذلك إلى أن وثب الإنتاج من ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ قرص إلى ٢٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فى العام فى الوقت الحاضر ، وكل جندى وكل بحار يحارب اليوم فى أى منطقة من مناطق الملاريا يتزود من الأتبرين بما يكفيه ثلاثين يوماً .

وقد عدّل مجلس الأبحاث الوطنى موقفه السابق حيال خطر الأتبرين المزعوم ، وما قيل من فضل الكينا عليه ، فى عدد ٥ أغسطس سنة ١٩٤٤ من مجلة الجمعية الطبية الأمريكية . فذكرت شعبة المجلس المؤلفة لتنسيق أبحاث الملاريا أن فى الوسع منع الملاريا منعاً حاسماً زمناً طويلا باستعمال الأتبرين استعمالا محكماً ، وأن الأتبرين لا خطر فيه ، وأنه لا يقى من الملاريا الخبيثة وحسب ولكنه يبرئ منها أيضاً . وختم المجلس بيانه بهذا القرار : « إن القوات المحاربة لن تجنى مزية ما ، وقد يصيبها ضرر، لو هى أحلت الكينا محل الأتبرين فى كفاح الملاريا المعتاد وعلاجها ، وأن إنتاج الكينا الآن على نطاق واسع لا يعدّ أمراً هاما لمكافحة الملاريا بين رجال الجيش والبحرية » .

وكذلك تمت تزكية تلك الأقراص الصغيرة الصفر . وها نحن أولاء نتهيأ لاتخاذها أسلحة كيميائية فى تلك المعركة التى لا بد أن تنشب بعد الحرب فى كافة أقطار العالم، للقضاء على داء قد يصل المصابون به من البشر إلى ثمانى مئة مليون كل عام . وسوف يكون الهجوم يومئذ مزدوجاً ، يوجه بعضه إلى بعوضة الأنوفيل التى تنقل الملاريا ، وبعضه

(١) « متوكين » هو اسمه المسجل فى الشرق الأوسط .

إلى طفيليات الملاريا فى دم المصابين .
إن موطن الضعف فى الملاريا هو أن البعوض يجب أن يستمد طفيلياتها من الناس المصابين ، ما دامت هذه الطفيليات القاتلة لا تعيش فى أجسام غيرهم من الحيوان . وقد دلت التجارب فى حرب المحيط الهادى على قدرة الأتبرين على أن يحطم سلسلة انتقال الملاريا القاتلة : من الإنسان ــ إلى البعوض ــ إلى الإنسان .

وانظر إلى قوة الأتبرين الواقية حين يعطى قرص واحد منه فى اليوم (ستة أيام فى الأسبوع) ، فى أولئك الذين يعيشون فى المناطق الموبوءة بالملاريا . إنه يحمى ٢٠ فى المئة من الناس من الإصابة بالملاريا حماية تامة ، ويصاب بها ١٥ فى المئة تقريباً ولكن الإصابة تكون رفيقة ، فيشفى معظمهم بعد علاج أسبوع واحد يتناولون فيه ٢٨ قرصاً ، أما ال ٦٥ فى المئة الباقون فتعديهم طفيليات الملاريا دون أن تبدو عليهم أعراضها ، ما داموا يتعاطون هذا العقار الواقى . فإذا ما فارقوا المناطق الموبوءة وكفوا عن تعاطيه ، فقد يدركهم الداء ، ما لم يعالجوا عند رحيلهم علاجاً شافياً بأخذ ٢٨ من هذه الأقراص ، وبفضل هذه الوقاية تنجو الأغلبية العظمى (٨٥ فى المئة) من الإصابة بالملاريا بعد الرحيل .

كذلك يمكن تحطيم السلسلة القاتلة للملاريا ، إذ تتضاءل تضاؤلا كبيراً قدرة بعوض الأنوفيل على امتصاص طفيلياته ، لأن الأقراص الصغيرة الصفر تكون قد خفضت عدد هذه الطفيليات فى حاملها من البشر خفضاً مبيناً . أما كفاح البعوض فالأمل فيه كبير ، إذ أضيف إلى أسلحتنا الفاتكة بالبعوض والتى ثبتت على امتحان الزمن ، ذلك السلاح الكيميائى القاتل للبعوض الذى اكتشف أثناء الحرب .

لقد تجلت قوة الأسلحة القديمة فى البرازيل فى عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ،[١] فقبل ذلك بعشر سنوات غزت البرازيل أقتل بعوضة من بعوض الملاريا ــ أنوفيل جامبيا ــ النازحة من إفريقية ، وظلت هذه البعوضة القاتلة تعيش فى الأرض تسعة أعوام ، حتى كانت سنة ١٩٣٩ فأسفر أمرها عن أروع وباء بالملاريا شهدته أمريكا على طول العصور ، إذ بلغت إصاباته ١٠٠٫٠٠٠ ووفياته ١٤٫٠٠٠ فى الأشهر الستة الأولى من ذلك العام . ونشطت حكومة البرازيل للعمل تؤازرها مؤسسة روكفلر ، فجند جيش من مكافحى البعوض ، وزود بـ ٥٠٠٫٠٠٠ رطل من أخضر باريس ،

---

(١) « الموت لنازى العالم الجديد » المختار يونيو سنة ١٩٤٤

وأطلق فى المنطقة المصابة على كل وَشَل من الماء ، وكل مستنقع يمكن أن تفرخ فيه يرقات الجامبيا المخيفة . والآن لم يعد للجامبيا فى البرازيل من أثر يتبينه مئات الصيادين المدربين الدائبين فى البحث عن هذه اليرقات.

فإذا كان مثل هذا النصر قد أمكن تحقيقه قبل الحرب ، فإن كفاحها اليوم أحفل بالرجاء فى النصر. وجنودنا الذين يحاربون الملاريا يستطيعون اليوم أن يغزو أسوأ مواطنها فى العالم يحميهم الأتبرين ، وتقيهم كساهم المنيعة على البعوض . وفى قدرتهم أن يكافحوا البعوض البالغ بالأسلحة الجديدة الجبارة ، مثل د . د . ت(١) ونُفاث عود القرح ، ويعالجوا محاضن البعوض بالنفط وذرور أخضر باريس، ويجففوا مستنقعات البعوض ، وعندئذ لا يجد البعوض المستيئس الذى يتحدى هذه الحرب العاصفة ، إلا قليلا من مرضى الملاريا يأخذ العدوى منهم، ما دام سكان المنطقة يعالجون فى الوقت نفسه بالأتبرين . وكذلك تحول المناطق الحارة من أقطار تتخاذل فيها قوى الناس من ضعف الملاريا ، إلى بلاد تعمرها الصحة ويغزر فيها الإنتاج .

إن ما تنتجه أمريكا من الأتبرين اليوم يكفى لعلاج أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المصابين بالملاريا الذين كان يمكن علاجهم بكل ما ينتجه العالم من الكينا قبل الحرب ، والعلاج بالأتبرين أفعل منه . ويمكن أن تشفى الملاريا العادية اليوم بأتبرين لا يتعدى ثمنه قرشين ، وهذا الثمن يمكن أن ينخفض فى المستقبل كلما زاد إنتاج الأقراص الصفر. وبهذا الثمن الحاضر يمكن أن تشفى كل حالات الملاريا فى العالم بما يقل عن ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وهو مبلغ تافه إذا قيس بالبلايين التى يقتضيها منا بقاء هذا الوباء الذى هو أقوى الأسباب التى تمنعنا عن ارتياد دنيا المناطق الحارة .

إن شكوك علماء الولايات المتحدة قد زالت الآن ، وها هى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية ، كبرى مراجعنا الطبية ، تنفخ نفير الحرب فى عدد ٥ أغسطس سنة ١٩٤٤ قائلة إن العالم بعد الحرب ينبغى أن يكون قادراً على محو الملاريا من أرجاء العالم المتمدن بما تيسر لنا اليوم معرفته عن هذا العقار (الأتبرين) وبوسائل توقى الملاريا .

وقد برهن المحاربون الأمريكيون فى المحيط الهادى على أن أشد الغابات الموبوءة فتكا بالناس يمكن أن يسودها الأمان ، بالأتبرين أولا ثم بالسيطرة على البعوض . وكذلك أقاموا الدليل على صدق النبوءة التى تنبأت بها الريدرز دايجست سنة ١٩٤٣

(١) «الخلاص من أوبئة الحشرات» المختار أغسطس سنة ١٩٤٤

[illegible]

جوردون جاسكيل • ملخصة عن "ذي أمريكان مجازين"

[إن الفصيلة البريطانية للإنقاذ الجوى البحرى أنجت من المـوت أربعـة من كل خمسة طيارين أمريكيين سـقطوا فى بحر المانش أو البحر الشمالى] .

في أحد أيام الصيف ارتفعت قاذفة بريطانية من مطار إنجليزى واتجهت إلى البحر ومضت طائرة مسافة ٤٥ ميلا ، حتى بلغت بقعة نزلت فيها إحدى القـلاع الطائرة التى أصابتها قذائف المدافع المضادة ، وبعـد أن أرسلت استغاثتها الأخيرة منذ دقائق ترنحت فى الماء وغرقت . وها هم رجالها العشرة ، ينتظرون فى قلق ، على حين تتقاذف اللجج أطوافهم الصفر المصنوعة من المطاط .

ولم تلبث القاذفة البريطانيـة أن حومت فوقهم . وقد سبق المدفعى الأمريكى إخوانه إلى تبين شيء غير مألوف فيها فسأل : « ترى ما هـذا المدلّى من أسفلها ؟ إنه يبدو كالزورق » .

وقد كان زورقاً — كان زورق إنقاذ كامل الحجم متين البناء — وكذلك شهد العالم أول مرة إنفاذ فكرة جديدة فى إنقاذ الحياة . وقد عمدت القاذفة أولا إلى إلقاء وعاء صغير من المعدن فى الماء ، فانبعث منه دخان أبيض ، يبين قوة الريح واتجاهها ، ثم عادت وارتفاعها عن سطح الماء ألف قدم ، كأنها مقبلة على هدف لتقذفه .

وقد قال قائد القلعة الطائرة بعـدئذ : « لم أكد أصدق ما رأيت ، فظننت أن بى مساً من الجنون » .

وسقط زورق الإنقاذ كأنه صخرة ، إلى أن انفتحت ثلاث مظلات كبيرة فحبسته عن الهبوط . ثم نزل فى البحر نزولا رفيقاً على بعد ثمانين ذراعاً تقريباً ، لم يحرك سطح الماء إلا قليـلا . وقد وقع على الماء مقلوباً فصححت وضعه أجهزة سرية فى باطنه ، ثم انطلقت منه مرساة بحرية صغيرة ، فأرسته فى الموج ومنعته من أن يسرع فى الابتعاد ، وانقذف فى الوقت نفسه حبلان طول كل منهن ٧٥ ذراعاً .

فجـدف الأمريكيون ، وقد ملكتهم الدهشـة ، إلى أحد الحبلين وشـدوه ، فدنا طوفاهما الخفيفان من زورق



النجاة ، وقد قال قائد القلعة : « كان هذا الزورق مجهزاً بكل شيء ، ولا ينقصه إلا لوحة كتب عليها : مرحباً » . وعلى أن معظم معداته لم تزل سراً محجوباً ، إلا أنه لن يضير إن قلنا إن الزورق كان مجهزاً بمحركين ، وأشرعة وبوصلة وخرائط ، وتعليمات مكتوبة بأربع لغات محفوظة حفظاً يقيها البلل . وكان فى الزورق كذلك ملابس دافئة جافة محفوظة فى أوعية لا ينفذ منها الماء ، وآنية تسخن الماء من تلقاء نفسها ، وسجائر وشوكولاته وطعام ، وأدوات لصيد السمك وسكاكين .

حومت القاذفة فوقهم وهى تراقبهم ، إلى أن تمكنوا من إدارة المحركين ، ثم أرسلت إليهم إشارات بالضوء ، تعين لهم اتجاه السير إلى بريطانيا ، ووجهتهم إلى الوجه الصحيح. وفى اليوم التالى عاد الطيارون إلى مطارهم . وكذلك تمكنت الفصيلة البريطانية العجيبة للانقاذ الجوى البحرى من إنقاذ عشرة أمريكيين آخرين .

ليست هذه الفصيلة ، التى يدير شئونها سلاح الطيران البريطانى ، واسعة الشهرة ، وليس لها إلا مهمة واحدة : أن تنقذ الطيارين الذين يضطرون إلى الهبوط فى البحر بين بريطانيا وأوربا ، وقد قامت بعملها هذا خير قيام . وإلقاء زوارق النجاة من الفضاء ليس إلا عملا واحداً من أعمالها ، فقد ألحق بها كذلك زوارق سريعة ، وطائرات بحرية تنزل على سطح الماء حين لا يحول اضطراب اللجة دون النزول . وقد أنقذت هذه الفصيلة فى يوم واحد — وهو الغاية — ١١٨ أمريكيا من ١٢١ أمريكيا نزلوا فى البحر ، وقد بلغ معدل من أنقذتهم من رجال الطائرات الأمريكية أربعة من خمسة.

وقد أذنت لى وزارة الطيران ، التى أنشأت هذه الفصيلة فى فبراير ١٩٤١ ، أن أزور أحد منازل محطات الفصيلة على الساحل البريطانى ، لأستكشف بنفسى الطريقة المتبعة فى الإنقاذ . وقائد هذا المنزل هو قائد السرب الكهل وليم هـ . بوين الذى سلخ ١٧ سنة من عمره فى الخدمة البحرية .

كانت ريح قوية تهب من البحر الشمالى ، وكانت الزوارق السريعة الخمسة التابعة لقيادته تعلو وتهبط كقطع الفلين وهى مربوطة إلى مراسيها .

وقد قال لى بوين : « هنا زورقان متأهبان دائماً للحركة . وإننا نصون محركاتهما فى أحسن حال ، فنستطيع أن نقلع فى خلال ستين ثانية بعد الإنذار . وقد كان فى وسعنا أحياناً أن نقلع فى ثوان معدودات » .

فسألته : « كيف تعلم على وجه الدقة البقعة التى يجب أن تذهبوا إليها ؟ » .

«نعلم ذلك على الأكثر بوساطة إشارة لاسلكية صادرة من الطائرة التي تحتاج إلى معونة . إن لنا طائفة من محطات الراديو التي تتلقى هـذه الإشارات ، وهي منتشرة على طول الساحل . فإذا أرسلت طـائرة إشارة استغاثة واحدة وحسب ، استطعنا أن نعين موقعها ، بطريقة «تقاطع الخطوط» . فيعهد إلى محطتين ، قد تكون المسافة بينهما خمسين ميلا ، في تعيين اتجاه المصدر الذي صدرت منه إشارة الاستغاثة . ثم يرسم الخطان على خريطـة ، وحيث يتقاطعان ، فهناك موقع الطائرة » .

فقلت : « ولـكن افرض أن جهـاز الراديو في الطائرة قد أصيب فعطل » .

فقال : « يغلب أن تكون طائرة مرافقة لها قد رأتها تهبط فتنبئنا بذلك، وإذا تمكن رجال الطائرة الهابطة من النزول سالمين في أطواف المطاط ، ففي وسعهم أن يستعملوا جهاز الراديو الصغير الذي في الطوف . وحين تخرج الطائرات في غارة كبيرة نرسل دائماً زوارقنا السريعة وطائراتنا للاستطلاع والبحث عن كل من يحتاج إلى معونة »

ومتى عرف الموقع ، ولو لم تكن المعرفة دقيقة ، يطير الخبر بإشارة برقية إلى أقرب منزل لفصيلة الإنقاذ على الساحل ، فتقلع سفينة الإنقاذ في الحال . ويغلب أن تكون هذه السفينة زورقاً سريعاً ، وسلاح الطيران يسمى هذه الزوارق « زوارق الطائرات الساقطة » وبريطانيا تملك مئات منها الآن .

ولكي تطلع على طرف من المعجزات التي تصنعها فصيلة الإنقاذ كل يوم ، اقرأ ما يقوله الجاويش لورانس ستانلي من بوسطن وهو ضابط الإشارة اللاسلكية في إحـدى القاذفات : « علمنا قبل ربع ساعة تقريبا أنه يحتمل أن نضطر إلى النزول في البحر ، فأرسلتُ إشارة استغاثة ، فرد علينا أحد المنازل الساحلية لفصيلة الإنقاذ معيناً لنا طريقاً نتبعـه ، فلما هبطنا على المـاء ، كان زورق النجاة هناك ! فنزلنا إليه من جناح الطائرة ، فلم تبتل لأحد منا قدم » .

وقد روى أمريكي آخر وهو مأخوذ ، أن ثماني طـائرات استطلاع تابعة لفصيلة الإنقاذ حومت حول طوفه ، ملقية أشياء كثيرة ، حتى وصل زورق النجـاة . قال متعجباً : «كانوا يقيناً يريدون أن يستيقنوا من نجاتنا جميعاً » .

إن السرعة ركن من اركان عمل هذه الفصيلة ، لأن أطواف المطاط قد تصيبها نار العـدو ، أو تتأثر بالسقوط في البحر فلا تصلح ، وأطواق النجاة لا تقي لابسها شر التعرض للبرد ، فبرد الشتاء المخدر في البحر الشمالي ، يقتل رجلا طافيا في مائه في أقل

من نصف ساعة ، وحتى فى الصيف لا يستطيع الرجل الطافى فيه أن يصبر على برده أكثر من ساعتين .

وقد قال لى ربان أحد زوارق النجاة : « إن أحد الأسباب التى تعلل سلامة كثير من الأمريكيين هو أنهم دربوا جميعاً تدريباً دقيقاً على أن يحسنوا الهبوط بطائراتهم فى البحر . وقد قال لى أحدهم إن قائد طائرتهم كان يدربهم على هذا الهبوط قبل كل غارة » .

لكل نوع من أنواع الطائرات الأمريكية طريقة خاصة فى التدرب على الهبوط فى البحر ، أما القاتلات فقلما تهبط فى البحر ، ويكتفى طياروها بالهبوط بالمظلات ، ثم يستعملون طوف المطاط الصغير المصنوع لرجل واحد . وعلى كل طيار فى أسراب المقاتلات أن يتدرب على استعمال هذا الطوف مرة كل ثلاثة أشهر ، فيلقى فى ماء بركة من ارتفاع اثنى عشر قدماً ، لابساً جميع ملابسه ، وحاملا أمتعته ، ولا يجوز الامتحان حتى يكون قد أحسن استخدام الطوف .

أما رياضة رجال القلاع الطائرة ، فتتجلى مما حدث منذ عهد قريب من هبوط طائرة كان قائدها الملازم ألبرت ستوكس ، قال :

« كنا فوق مونستر فأصابتنا الصواريخ إصابات بالغة ، وعلمت أن لا مفر من الهبوط فى البحر ، ونبهت رفاقى إلى ذلك بوسيلة التخاطب فى داخل الطائرة . ثم طاف بهم المهندس ليستوثق من أنهم سمعونى جميعاً ، فأوصدوا جميع الفتحات السفلى ، لكى لا ينفذ منها الماء حين نصطدم بسطح البحر ، وألقينا من الطائرة كل ما لم يكن مسمراً فيها . وأذكر أحد المدفعيين يصيح : « هذا يا صاح مدفع لن أنظفه مرة أخرى » وفى الوقت نفسه ، كان عامل الجهاز اللاسلكى يرسل إشارات الاستغاثة معيناً موقعنا . وقبيل هبوطنا فى البحر ، ضبط الجهاز بحيث يستمر فى إرسال الإشارة » .

يقف رجال الطائرة فى مواقع معينة لهم فى حجرة الراديو متأهبين للهبوط فى البحر ، أما الطياران فيظلان مربوطين بمقعديهما ، ولكن حجرة الراديو صغيرة لا تزيد سعتها على سعة خزانة ، فيحشر الرجال الثمانية فيها حشراً . ويستند أضخمهم جثة إلى الحاجز الأمامى ، وأخفهم وزناً إلى الحاجز الخلفى . ويعهد إلى أحدهم فى أن يحمل معه أدوات راديو الطوف ، ويضع كل رجل يديه على قفاه منعاً للتدافع المفاجىء . أما وقد تأهبوا فإنهم ينتظرون الصدمتين المتواليتين ، الأولى حين يصيب ذيل الطائرة الماء ويمضى يشقه ، والثانية وهى أشد ، حين يصدم جسم الطائرة كله ماء البحر .

ومضى الملازم ستوكس فى حديثه : « كان

البحر مضطرباً بعد العاصفة ، ولكن الصدمة الأولى لم تكن شديدة ، أما الثانية فكانت فظيعـة ، فاندفع المـاء إلى الداخل من كل مكان ، وعمـدت أنا وزميلى الطيار ، إلى الخروج من مقعدينا بالتمسك بمدافع القلعة العليا ، وكان المهندس قد وجهها إلى الأمام لهـذا الغرض تماماً . ثم زحفنـا جميعاً إلى سطح الأجنحة ، ووقفنا خمسة على كل جناح ثم شـددنا أمراس الطوفين ، فانتفخا من تلقاء نفسهما ، ولم نكن فى حاجة إلى استعمال راديو الطوفين ، لأن طائرة فصيلة الإنقاذ اهتدت إلينا فى الحال تقريباً ، وظلت تحوم فوقنا إلى أن وصل زورق الإنقاذ .

« فأعطـونا قمصاناً من الصوف ، وسراويل ، وقنـانى من « الروم » ، ثم عادوا بنا ، وقد جرى كل شىء على ما يرام . وطبعاً لن أعمد بعد الحرب إلى المطالبة بحمل بريطانيا على أن تردّ نصيبى مما أخـذته من أمريكا طبقاً لنظام الإعارة والتأجير » .

إن القوات الأمريكية الجوية فى بريطانيا تعتمد اعتماداً تاماً على فصيلة الإنقاذ البريطانية ، ولم تحاول أن تنشىء فصيلة أمريكية تماثلها ، ولـكن طـائرات الاستكشاف الأمريكية ، تلحق أحياناً بفصيلة الإنقاذ . فالبريطانيون والأمريكيون يشتركون فى استعمال معداتهم ويتبادلون ثمار تجاربهم . ورجال كل طائرة تهبط فى البحر ، بريطانية كانت أو أمريكية ، عليهم أن يجيبوا إجابات مفصلة دقيقـة عن نحو مئتين من الأسئلة توجه إليهم استخباراً عما حدث لهم .

وما تسفر عنه هـذه الأسئلة من العبر تذيعه فصيلة الإنقاذ على جميع الطيارين فى بريطانيا ، فيقوّى سلك هنا ، وتوسع كوة للنجاة هنـاك . وبذلك يهون بعض الأمر على الطيـارين الذين يضطرون إلى الهبوط فى المـاء فى المستقبل . وقد أنقذ رجال إحدى الطائرات فى ليل كثيف الضباب ، لأنه اتفق لأحدهم أن كان معه صفارة فاستعملها ليرشد سائر الرجال إلى زورق النجاة . وعلى ذلك تجد الآن صفارات فى جميع الأطواف .

وسيمضى الطيارون الأمريكيون الذين أنجتهم من الموت فصيلة الإنقاذ البريطانية ، يتحدثون عنها سنة بعد سنة ، وسيذكرون روعة علم أزرق يخفق على سارية زورق ، طلع عليهم بعد أن قطعوا كل أملٍ فى النجاة . وعسى أن يتذكر بعضهم زورقاً ما ، كتب شعاره على مرقبه بأحرف من ذهب ، وقد اختـار بحـارته الإنجليز هذا الشعار لأنفسهم ، ولـكنه يصلح شعاراً للفصيـلة كلها : « لن يبتلعهم اليمّ » .



وراء قناع من الرقة والابتسام تعيش

أشقى نساء العالم

هيلين موسكي
ملخصة عن
مجلة "ستردای ایفننج پوست"



في أثناء السنوات الثلاث التي كان زوجي فيها وزير بولندة المفوض في بلاد اليابان ، حاولت أن أفهم النساء اليابانيات . فهؤلاء النساء الرشيقات المليحات اللواتي يشبهن الفراش في مطارفهن الزاهية ، تراهن أبداً سعيدات . وهن يتحدثن عن كل شيء : عن الأزهار أو عن الأرزاء ، وعلى ثغورهن تلك الابتسامة الغامضة العويصة . فقلت في نفسي ، أوَ يمكن أن يكن خاليات من أسباب الهم والكدر ؟

ولكني بدأت شيئا فشيئا أرى أن هذه الابتسامة تتخذ ستارا لكل ألوان العواطف والشعور . فالمرأة اليابانية — وسرعان ما انكشف لي أنها من أشقى نساء العالم — مطلبها الأعظم أن تحتمل كل حزن وكل مصاب وهي باسمة .

ذلك أن الفتاة اليابانية منذ حداثة سنها تتدرب على هذا المظهر المبهرج المشرق من السعادة . ولما كان يراد بها أن تكون إما خادمة الرجل وإما ملهاته الجميلة ، فإنها تنشأ منذ البداية على ما يرضي أهواءهم . فكل إيماءة بالرأس أو حركة باليد مصطنعة ، ولكنها تعلمتها في مستهل حياتها حتى أصبحت طبيعة ثانية . ولقد شهدتُ فتيات صغيرات لا يتجاوزن الخامسة وقد بلغ من حسن دُرْبتهن أن صار لابتساماتهن وجلساتهن المصطنعة أصالة الفن القديم .

والرجل الياباني يتطلب من امرأته أن تعرف واجبات البيت ، وتحذق أدب المجالس وتنسيق الأزهار ، وأن تكون لطيفة الشمائل ، ولكنه لا يطلب منها أن تكون ذكية . وهو يريد منها قبل كل شيء الطاعة المطلقة من غير مراجعة ، ومن ثمة كان اتجاه تعليم الفتاة منصبا كله على أن يتقرر في ذهنها أنها مخلوق أدنى ، وأنها ملك يمين ليس لها حق من الحقوق أيا كانت .

فإذا تزوجت الفتاة — والزواج عمل

المرأة الوحيـد إلا إذا أرادت أن تكون من السرارى (الجيشات) — لم تكن لها حقوق أمام القانون. فهى لا تستطيع تطليق زوجها، وهو يستطيع تطليقها إن شاء، ولا يكلفه ذلك إلا أن يردّها إلى بيت والدها. ويطلق على ذلك فى الاصطلاح القانونى «تسريح المرأة». فإذا سرّحت، لأنها لم تلد — وهذا من أدعى الأسباب للطلاق — فإنها تعيش منبوذة من المجتمع. فهى على الدوام المذنبة، وما كان لأحد أن يفكر فى تمحيص العلة من قبل الرجل بالاختبار العلمى.

والمرأة اليابانية — فقيرة كانت أو غنية — لا تبرح أمة مسترقّة، فهى أول من ينهض فى الصباح وآخر من يأوى إلى الفراش. وإذا عاد زوجها إلى البيت من إحدى سهرات اللهو، وقد مضى من الليل أكثره، فواجبها يقضى عليها أن تستقبله خاشعة راكعة على عتبة الباب، ولا يحق لها أن يتبين فى وجهها الكدر والاستياء.

والزوجة فى أغنى الأسر هى التى تتدم الشطور لزوجها، وهى التى تدلك له جلده فى الحمّام. ولا يجوز لها أن تجلس فى حضرته على وسادة، بل على أرض الغرفة، وهى باردة كالجليد فى الشتاء. فإذا سارت معه، فإنها تسير دائما وراءه تحمل له حقائبه.

ولقد شهدت فى بعض رحلاتنا فى الجبال مثالا من الأمثلة الدالة على هـذه العلاقة فقد كنا زمرة من الأوروبيين ومعنا رجل يابانى وزوجته. كان البرد شديداً، فأقبل علىّ زوجى يلفّنى فى معطفه، وكذلك فعل الآخرون — إلا الزوج اليابانى فإنه لم يلتفت أدنى التفاتة إلى زوجته وهى ترتجف من البرد، بل إنها خلعت شالها من فوق كتفيها ولفّت به عنق زوجها حرصا على دفئه. ومع هـذا لم تنفرج شفتاه عن كلمة شكر.

يضاف إلى ذلك أن متعة المرأة اليابانية بأولادها محدودة أيضا، لأنهم بمقتضى القانون من حق الزوج. وقد حدثنى السفير كوروسو، الرسول اليابانى الخاص الموفد إلى وشنطن حين نشبت الحرب الحالية، فقص علىّ أنه لما بلغ الثانية عشرة ألبسته والدته فى عيد ميلاده أحسن ما عنده من المطارف، وتقدمت به إلى محراب صغير وقالت له: «إلى هذا اليوم كنت أتعهدك وأسدد خطاك وأرشدك، وأما اليوم فقد بلغت الثانيـة عشرة ويجب أن تتولى أمر نفسك. وإنك لتعلم ما أنت مدين به لوطنك، ولأهلك، ولنفسك. فإذا جلبت العار على أحد هؤلاء، فإنك تعلم ماذا ينبغى أن تفعل». وما إن أتمت كلامها حتى انحنت،

وقدمت إليه في طبق خنجرَ الانتحار .

وكان كوروسو يقص عليه القصة مستشعراً الخشوع والإجلال لذكراها ، ولا يشعر أدنى شعور بما تنطوي عليه من دلالة . فالأم اليابانية مسموح لها برعاية ولدها حتى الثانية عشرة من عمره ، ولكنها منذ الساعة التي يدرك فيها الولد سن البلوغ ، لا يعود لها في حياته شأن . ويعدّ من الهوان لرجولة الياباني أن يجامل امرأة أو يحمل لها معطفها أو حقيبتها أو يبدى لها أيسر المصانعة والتأدب .

وقد حدث يوماً أن أراد أحد السادة اليابانيين أن يجاملني مجاملة بسيطة وبيننا الترجمان ، فإذا الترجمان الياباني — كأنما أخذته تباريح ألم شديد — يستر وجهه بيديه ، ثم تغلب آخر الأمر على نفسه ونقل إليّ الكلمة ، ولكنه لم يتمالك أن أعرب إنكاره لسلوك سيده المعيب .

فالحياة كلها في اليابان من نصيب الرجل حتى لم يعد للمرأة فيها إلا أن تخدم الرجل وتنجب له الولد ، بل لا تسمح الآداب في الولادة نفسها بتخدير المرأة ، كما أنه محظور عليها أن تتأوه .

وليس لأحد من النساء أدنى قدر من الحرية اللهم إلا السراري (الجيشات) ، فقد جرت العادة من قديم أن يتخذ الياباني سُرّية (جيشا) ولو كان ذلك عقب زواجه مباشرة . وهو يجعلها رفيقاً ، ويشاورها في عمله ، ويسمح لها أن تجلس معه بين رفاقه ، وهو أمر محرم على زوجته البتة .

وكانت السراري — منذ عهد غير بعيد — يُقمن من البيت في جناح ، وتقيم الزوجة في جناح آخر . أما اليوم ، فإن الرجال لا يجاهرون بالتسري إلى هذا الحد ، ولكن الزوجة عليها أن ترضى لزوجها بالسرية ، فإذا ولدت له السرية فالزوجة ملزمة بأن تتبنى أبناءها .

فأما الزوجة اليابانية السعيدة فهي التي تعيش خارج بلادها ، فثمة يضطر الزوج إلى أن يطلق لها بعض الحرية . وسرعان ما تألف ذلك ، فإذا اضطرت إلى العودة إلى أسلوب الحياة اليابانية كان شقاؤها شديداً مستحكماً .

ولقد عرفت في طوكيو سيدة من العلية عادت إلى اليابان بعد أن عاشت عشر سنوات خارج بلادها ، وكانت كثيرا ما تحدثني فتصدقني القول على غير العادة اليابانية .

ولقد قالت لي : « إنني أقرب إليك مني إلى ذوي قرابتي . وإني لم أعد أطيق هذه الحياة ، فأنا هنا لا أستطيع أن أقول ما يجول في خاطري ، ولا أستطيع أن أعتزم أمرا من غير إذنهم . إنه لشيء يدفع إلى

الجنون ويُشعر بالهوان ، ولولا أولادى ما عدت أبداً » .

وكانت تتكلم والابتسامة دائماً على ثغرها ، فإن ما تعودته فى التربيــة اليابانية لا يزال مستحكما على الرغم من ثورة نفسها .

والنعمة الوحيدة التى يمكن أن ترتقبها زوجة يابانية هى أن تكون يوماً من الأيام حماة ، فإنها تظفر آخر الأمر بأمَــة هى زوجة ابنها ، وهى إذ ذاك قلما ترحمهــا بل تتخذها هدفاً لتنفس بالإساءة إليها عن حرّ نقمتها على الحياة .

وإنى لأذكر صديقة لى من الفتيات اليابانيات ، وكانت دائماً تبــدو شديدة الشحوب والإعياء ، فلمــا نبهتها لكى تعنى بنفسها أجابت : « لست مريضة ، وقصارى الأمر أنى لا أستوفى حظى من النوم ، فإن حماتى توقظنى مرات عدة كل ليلة لكى أدلكها ، ولا بد أن أقدم لهــا فى السادسة صباحاً طعام الفطور » . ولما كان التدليك فى اليابان من أرخص الأشياء وفى مقدور كل إنسان أن يدفع أجره ، تبينت أن تكاليف زوجة الابن به إنمــا هو مثل من أمثلة التعذيب المشروعة المأثورة من قديم عند اليابانيين .

فليس للمرأة اليابانية مخلص إلا الانتحار ، وحتى هــذا العمل اليائس الأخير ليس لها فيه مطلق الحرية ، فالمرأة لا حق لهــا إلا فى ضروب معينة من الانتحار ، فيجوز لهــا أن تغرق نفسها أو تقذف بنفسها فى جوف بركان ، ولكنها ليست أهلا لبقر بطنها (الهارا كيرى) ، بل هى إذا طمعت فى شرف الموت مع زوجها ، فلا بد لها من أن تظفر بإذنه .

ولما أن وقفت على هذه الحقائق ، بدأت أدرك كيف كان هؤلاء اليابانيات الرشيقات الدائمات الابتسام هن أشقى من عرفت من النساء . ولعل أبلغ تلخيص لذلك هو هذه العبارة الواردة فى كتاب يابانى قديم مدهش ، يتضمن إرشادات للسفراء وهم على وشك أن يلاقوا عادات غريبة فى بلاد أجنبية : « إن احترام النساء ومجاملتهن من الأمور التى لا يرى فيهــا الأجانب ما يغض من شأن الرجل ، بل هى على العكس من الواجبات المحتومة » .



سئلت سيدة عجوز فى التسعين كيف استطاعت أن تعيش هذه السنين الطويلة فى هدوء وصفاء فقالت : « أحسب السرّ فى ذلك أنى قابلت كلّ شدة من شدائد الحياة بأن آوى إلى فراشى » .

[بروس بارتون : فى « المجلة الأمريكية »]

من الخير أن تكون رابط الجأش!



أمور مهمة يحسن تذكرها فى هذه الأيام التى تزدحم فيها المسارح والمطاعم وصالات الرقص وأندية الليل ازدحاما شديدا



پول و. كيرى + ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

أثناء الإنذار بإحدى الغارات فى لندن، أسرعت سيدة فى النزول على درج أحد المخابىء فزلت قدمها وسقطت وأحدث ذلك جلبة فى نهاية السلالم، وأرسل رجل سريع الفزع صرخة خوف، فظن الذين كانوا فى داخل المخبأ أن المخرج قد سدّه سقوط قنبلة، فاستطارهم الفزع وتدافعوا للخروج، فاصطدموا بالجماعات التى كانت تتدفق على درج السلم، وأسفر التدافع الذى حدث عن موت ١٧٨ شخص وطئا بالأقدام.

وقد أغمى على سيدة فى إحدى الحفلات الخيرية التى أقيمت فى أحد أبهاء الاجتماع بالدور الثانى فى كالومت بولاية مشيجن. فجزع أحد أصدقائها وطلب ماء، وظن أحد الحمقى أنه يستغيث لحدوث حريق. وفى الحال أخذ الحاضرون جميعهم يتدافعون مهرولين على السلالم الضيقة والمخرج المنعزل، وزلت قدم أحد الأفراد فعثر به الذين كانوا خلفه وتكدسوا فوقه ولم يكن هناك حريق — ومع ذلك فقد قتل ٧١ شخصاً.

وزينت مدرسة ذات حجرة واحدة لإقامة حفلة، وغطيت جميع النوافذ بالزخارف، ولم يترك سوى باب واحد للدخول والخروج، وحدث أن اتصل لهب شمعة بالزخارف، فاندفع القوم نحو الباب على غير هدى، فمات ستة وثلاثون.

فالفزع خطر دائم المثول حيثما تتجمع الجماعات.

فكر فى ذلك.

فبعد أقل من عامين على حادث مأساة نادى «كوكونت» الليلى فى مدينة بوسطن الذى مات فيه قرابة خمسمئة، حدثت مأساة ملعب سباق هارتفورد التى احترق فيها ١٦٣ شخصاً ثلثاهم من الأطفال، ثم تزول موجة السلوك الحسن التى تتلو أمثال هذه النكبات، ويهيأ بعد ذلك المسرح للمأساة التالية.

وإذا ساورك الشك فى ذلك فألق نظرة على دور السينما الشديدة الازدحام، وأندية الليل، ومطاعم الجيش وصالات الرقص فى أى مدينة اليوم. فمنذ عهد قريب حاولت أن أدخل إحدى دور السينما الكبيرة فى

برودواى بنيويورك ، ووراعنى أن أجد الردهة والبسلالم والممرات خارج أبواب الشرفات غاصة بالناس . فالآف الذين جلسوا فى مقاعدهم لم يكن لهم سوى ممر واحد للخروج ، لايجاوز ست أقدام ، فانتصور ماذا يحدث لو أن أحد المخمورين الهازلين صاح قائلا : « النيران ! » .

وتركت دار السينما وقصدت أحد المطاعم ، فلما فرغت من طعامى كانت الردهة مزدحمة بالجالسين ، حتى إنى لم استطع أن ألبس معطفى إلا بعد خروجى إلى الشارع ، ولم أعرف إلا فى تلك اللحظة أن المدخلين الضيقين يؤديان إلى الداخل . فأية مصيدة هذه من مصايد الموت !

وإذا كان مثل ذلك يحدث فى نيويورك ، حيث قوانين الاجتماعات العامة حسنة ، والإشراف على تنفيذها دقيق ، فماذا يحدث فى المجتمعات التى لا يبالى فيها أحد بالطريقة التى يخرج بها الناس ماداموا قد استطاعوا إدخال عدد كبير منهم ؟

ومن المؤكد أن المبانى بعضها غير قابل للحريق ، ولكنى أنا وأنت لسنا غير قابلين للسحق تحت الأقدام . نعم إن الحريق مما يساعد على إحداث الفزع مساعدة كبيرة ، ولكنه ليس ضروريا كل الضرورة . ففى بالتيمور انبعثت صيحة زائفة باشتعال النار ، وانتهت بقتل أربعين شخصاً تحت الأقدام .

وليس مما يضر بنا أن نفكر بجد فى تلك المخاطرة حين نكون هادئين ، فإنه متى احتوتنا تلك الجماعات المزدحمة ، فسيكون تفكيرنا فى طريقة الخروج قد فات أوانه وإليك بعض إرشادات قد تنقذ حياتك يوما ما .

(١) لا تجلس فى أى مكان من مجتمع عام حتى تضع نصب عينك موقع أقرب مخرج منعزل ، والناس فى العادة يخرجون من المكان الذى دخلوا منه ، فإذا كان عندك بعد النظر الذى يمكنك من معرفة مخرج منعزل غير الأبواب الرئيسية ، فإنك تستطيع أن تتجنب التصادم . ففى نكبة مسرح إيروكوا فى شيكاغو لم يستعمل فى الخروج سوى ثلاثة مخارج من بين اثنى عشر مخرجا — فمات ٥٧٥ من الناس .

(٢) إذا شرع الناس فى الاندفاع فاملك أمر نفسك برهة ، واعرض الموقف ، وانظر فى الخطر المباشر والاتجاه الذى يسير فيه معظم الناس ، وتصرف على هذا الأساس .

(٣) كثير من نوبات الفزع امكن أن يقضى عليها فى مهدها فرد ثابت الجأش ، له صوت مؤثر ، قد وثب على مقعده وأكد للناس أن كل شىء على ما يرام . وقد لا يؤثر ذلك فى كل وقت ، ولكنه أمر جدير بالمحاولة . فعندما اشتعلت النيران فى إحدى

دور السينما فى لويزيانا أثناء العرض ، طلب مدير المحل وهو هادىء النفس إلى الجمهور أن ينصرف بطريقة منظمة . وقد عمل الجمهور بنصيحته دون أن يحدث شىء . وكان فى الطابق الأعلى ساحة رقص ، فشم بعض الحاضرين رائحة الدخان وأطلق صرخة مرعبة ، فمات من جراء ذلك خمسة وعشرون شخصاً فى الاندفاع الذى تلا ذلك .

(٤) إذا كنت تحاول الخروج من مكان قد امتلأ دخانا فاخرج جاثياً على ركبتيك ، فالزحف على البطن غير مستحب ، فحين يتصاعد غاز الاحتراق يهبط غاز التقطير ، فأسلم منطقة للتنفس فى الغرفة المحترقة هى فى الأعم الأغلب على ارتفاع ثلاث أقدام من سطح الأرض .

(٥) لا تنتظر لتلبس سترتك أو لتحمل عبرها من أشيائك التى ليست فى متناول يدك . فإذا صرت خارج المكان فلا تعد ! فعدد الذين عادوا إلى الأمكنة المحترقة ليلقوا حتفهم كثير جداً .

وهناك أمر له خطره ، يستطيع كل إنسان أن يقوم به ليتلافى موقفا قد يحدث ذعراً ، ذلك هو أن نعارض معارضة شديدة كل مخالفة صارخة لقانون العرف العام — وهذا بعينه هو قانون المحافظة على النفس . فإذا جعلت هذه الأشياء موضع عنايتك كما أفعل أنا ، أمكنك فى يسر وسهولة أن تتبين الأخطار الشديدة ، كالتجمع الزائد عن الحد ، وأبواب الخروج المسدودة بالحواجز أو المغلقة ، والممرات المزدحمة بالأثاث والمفروشات أو الزبائن . إذا رأيت ذلك ، فقدم شكوى إلى الإدارة ، وارفع الأمر إلى رئيس رجال المطافىء ، ولا تتردد فى معارضة ذلك ، فقد تكون حياتك عرضة لخطرها يوما ما !



آيات الكسل

كان « إد » معطلا فأعانته الحكومة بعمل فى رصف طريق بولاية فرمونت ، فشكا فى أحد الأيام إلى رئيس العمال طالباً مجرفة . فنصح له الرئيس أن لا يعنيهُ أمر الحصول على مجرفة ، لأنه يتناول أجره على كل حال . ولكن « إد » أصر قائلا : « ولكننى أريد مجرفة ، فكل عامل لديه شىء يتكئ عليه » .

قصّة سمكة حمراء

ملخصة عن مجلة "أتلانتك الشهرية"

أوستن سترونج

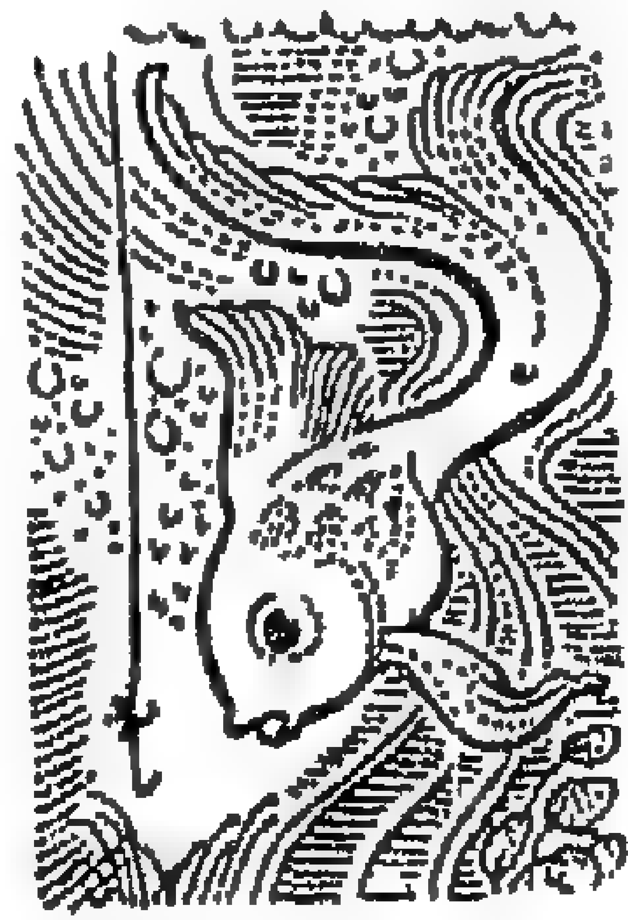
الشارب الكبير لوالدى ، وكانت العينان السوداوان الجميلتان لوالدتى ، وأخذتنى الدموع ورنين الضحك وصيحات الوداع حين وقفنا إلى جانب سياج السفينة ننظر إلى الرصيف وإلى مدينة سان فرانسسكو المتنائية .

كنا فى سبيلنا إلى المجد والثراء ، أفلم يعهد صديق ثرى إلى والدى أن يسافر إلى هونولولو فيرسم صورة زيتية لبركان مونا لوا فى ثورته ؟ أو لم يحمل والدى كتاب تقدمة إلى ملك حقيقى ، يلبس تاجاً حقيقيا ، ويعيش فى قصر حقيقى ، هو صاحب الجلالة الملك كالاكوا ملك أرخبيل هواى ؟

وأتاح لنا نصيرنا السفر مجاناً على إحدى سفنه التجارية ، وبعد أربعة عشر يوماً اندفعنا حول الرأس الماسى إلى مرفأ هونولولو ، وانطلق للقائنا من حظيرة زوارق الملك زورق بديع الشكل يقوم على تسييره بحارة من الأهالى وهم يغنون ، وكان هذا الزورق هو اليخت الملكى أتى لينقلنا إلى البر فى أبهة وعظمة .

ونزلنا فى كوخ خشبى يكاد يخفى عن الأنظار وسط حديقة غناء عاطرة ، ملتفة الأغصان ذات أزهار غريبة ، واتصل بوالدىّ المرحين الملحقون السياسيون الشبان وزوجاتهم ، وكانت شرفتنا تموج بضباط السفن الحربية البريطانية والفرنسية والروسية ، ويتألق فيها الوشى المذهب الذى تزدان به بزاتهم البحرية ، وعشت فى جو من المرح والحفلات لا ينقطع ، بيد أننى لم أكن سعيداً ، فإن الأطفال الذين يسكنون شارعنا كانوا ينظرون إلىّ شزراً .

كان من التقاليد فى تلك البلاد أن يكون للإنسان عند مدخل طريق بيته إناء يملأ دائماً بالماء الحلو لتشرب منه الخيل ، وكان للأثرياء من السكان آنية جميلة المنظر مطلية طلاء براقاً يأخذ بالأبصار . وكانت تلك الآنية ، زيادة فى رفعة أقدارهم ، تزخر بالأسماك الحمر . وكان إناؤنا قديماً لا طلاء عليه ، وعاء مثلم الجوانب تحوطه أطواق يعلوها الصدأ . وأصر أطفال الجيران على أننا من الفقر بحيث



لا تملك وضع سمك أحمر فى إنائنا الحقير. وقد أقلقنى أن لم يتنبه والداى للذى كنا نفقده من احترام أطفال الجيران ، بيد أنى كتمت آلامى فى نفسى ولم أفض بها إلى أحد .

وذات يوم جاء للغداء على مائدتنا الملحقون السياسيون اليابانيون مرتدين ملابسهم الأهلية التى يبدون فيها كالفراش القاتم . وسمعتهم يتحدثون عن الأسماك الحمر الجميلة ذات الذيل المزدوج التى أهداها إمبراطور اليابان إلى الملك كالاكوا ، وكيف أفرغوها رسميا صباح ذلك اليوم فى بركة النيلوفر بحديقة كابيولانى الملكية ، وقد قالوا لوالدتى إن هذا السمك المقدس نادر الوجود ، ولا تقتنيه إلا العائلة الملكية فى اليابان .

خفق قلبي وطغت علىّ رغبة جامحة ، وجعلت لا أحلم منذ ذلك الوقت إلا بسمكة حمراء من أسماك الإمبراطور تسبح فى إنائنا المهشم ، أسترد بها مكانة والدىّ وأملأ نفوس أعدائى كمداً وغما .

كانت حديقة كابيولانى خارج المدينة بالقرب من وايكيكى ، وكان أجر الركوب إليها خمسة سنتات فى عربة يجرها بغل ، وكنت قد اقتصدت عشرة سنتات فى حصالتى ، فصرفت خمسة منها فى شراء كرة من الخيط ، ثم أخذت دبوسين جديدين لامعين من صندوق خياطة مربيتى وانطلقت فى سبيلى إلى العمل .

كانت هذه أول مغامرة لى بمفردى فى خضم الدنيا ، وناديت العربة وقلبي يخفق خفقاناً شديداً ، وكان يسوقها رجل من الوطنيين حافى القدمين يكاد يغلبه النوم . وشعرت بخطرى إذ ألفيتنى الراكب الوحيد فى العربة ، فقد كان الوقت وقت اشتداد الحرارة بعد الظهيرة حين يلجأ الناس إلى القيلولة ، وهمس بى هاتف عند ما دفعت أجر العربة بآخر خمس سنتات معى ينذرنى : كيف تعود ؟ .

ولكنى أصممت دونه أذنى .

فلما بلغنا حديقة كابيولانى ترجلت وشكرت السائق فى أدب ، وسألته أن يقرأ لى لوح إعلان عند مدخل الحديقة ، فقرأ لى فى تؤدة : « صيد السمك فى الحديقة ممنوع منعاً باتا ، ويُعاقب عليه أقصى عقوبة فى القانون — كالاكاوا ، ملك » .

فوقفت جامداً لا أتحلحل : « أقصى عقوبة فى القانون » معناها شيء واحد إذا قبض عليك ملك ، معناها أن تقطع رأسك . وجعلت أخط فى التراب وئيداً بإصبع قدمىّ حتى يهدأ خفقان قلبي .

واستعدت شجاعتى شيئاً فشيئاً ، ودخلت

الأبواب أمشى على أطراف أصابعى إلى ظل الحديقة الناعم القاتم . وجمدت فى مكانى مرة أخرى، فلقد رأيت على مقربة منى صينيا يكاد يكون عارى البـدن ذا وجه كأن عليه قناعاً من جوّ معابد الصين ، فى يده سيف مقوّس كريه المنظر يقطع به العشب. ووقفت لا أتحرك حتى غاب عن بصرى وراء إحدى الأشجار ، فأسرعت الخطى على أرض معشبة إلى حديقــة صينية جميلة بها مصابيح من حجر أدكن، وبها أبراج صينية رفيعة الذرى (باجودا) ، وتماثيل أسود لها وجوه ضفادع تشع عيونها ضراوة ووحشية .

وانتهيت إلى بركة تزخر بزهر النيلوفر، وكان ثمة جسر مقوس فوق الماء الساكن اعتليته حتى قمته ، وانبطحت على بطنى وبى رجفة من هول الموقف ، ولكن الحديقة كانت خاليــة لا حياة فيها إلا من نحامة (بشروش) وردية اللون كانت تنظر إلىّ نظرة المرتاب .

وحدقت فى الـبركة تحتى فرأيت أسماك إمبراطور اليابان الحمراء المهيبة، كانت أسماكا عظيمة لها زعانف كأنها الريش، وذيول كأنها أذيال ملابس البلاط ، أو هى سحائب العظمة والأبهة .

فأسرعت إلى ثنى دبوس وشـــددته إلى طرف الخيط الذى أحمله، وألقيت به إلى الماء البـــلورى الصافى ، فمرت به الأسماك تلتمع كالزجاج فى زهو وخيلاء . ولست أدرى لماذا خطر لى أن سمكة من تلك الأسماك تزدرد سنارتى من غير طعم ، على أن ما حدث كان انتصاراً مبيناً للأمل على تعاليم التجاريب ، فقد وقعت المعجزة بعـد حين ، إذ استرعى التماع الدبوس نظر سمكة كبيرة مهيبة ، فظنته خطأ شيئاً طيباً يؤكل فازدردته . وجذبتها إلىّ ، وارتمت إلى جانبى حيث بصقت الدبوس فى ازدراء ، وكادت تهوى إلى الماء ، لولا أن غطيتها بقبعتى الخوص . وأجلت بصرى فيما حولى كرة أخرى ، فقد أصبحت مذنباً فى الواقع بعد أن قضى الأمر .

وكانت النحامة لم تبرح مكانها واقفة بلا حراك على رجل واحـدة تنظر إلىّ بعين الريبة ، وتملكنى الخوف ،فدسست السمكة فى تجويف قبعتى ، وكبستها على رأسى ، وعدوت من خشية إلى الطريق العام .

كانت الفكرة الوحيدة التى تجول برأسى الآن هى : كيف أحفظ على السمكة حياتها حتى أودعها الوعاء ؟ ورأيت قناة واسعة للرى تجرى إلى جانب الطريق، فدلفت إلى شاطئها ، وخلعت قبعتى ، وأمسكت بذيل السمكة الذهبى وأدليت بها فى الماء .

وظللت ممسكا بها تحت الماء حتى استفاقت وتحركت ، ثم واصلت رحلتى الطويلة تارة

أعدو فى الطريق وتارة أنزل إلى القناة لأغمس السمكة الإمبراطورية فى الماء حتى تنتعش انتعاشاً كافياً للمرحلة المقبلة . ولا أدرى كم مرة فعلت هذا بالسمكة ، ولكن قدمىّ أخذتا تؤلمانني ، وأخذ رأسي يدور من الجهد والبلل . وعلى حين فجأة ألفيتنى وسط ضجيج وصيحات تنذر بإخلاء الطريق ، ووقع حوافر خيل ، وجلجلة أرسان ، ودوى أوامر عسكرية ، وقد كادت تدهسنى عربة .

وقفز ضابط من سرجه ووقف أمامى ، واقتادنى إلى عربة مكشوفة لامعة تنتشر منها رائحة الدهان والجلود اللامعة والخيل المطهمة ، ويجلس فيها رجل مهيب الطلعة فى لباس أبيض .

وأخذ قلبي يدق دقا عنيفاً ، فقد عرفت فى وجهه الوجه المسكوك على جميع قطع النقود الفضية للمملكة . كان يلبس على رأسه قبعته المعروفة المصنوعة من ريش الطاووس ، ولها حزام عريض تزينه أصداف بحرية صغيرة ، فنظر إلىّ فى جد حين مثلت بين يديه ، وكانت يداى وقدماى متلطختين بالطين ، والسمكة تحتج بحركات شديدة تحت قبعتى . أتراه يأمر جنوده بإعدامى على الفور ؟

وارتفع صوت عميق : « عجباً ! هذا ابن السيدة ستروبخ الصغير ! ما ذا تفعل هنا بعيداً عن منزلكم ؟ »

فامتنع علىّ الكلام .

فقال : « لا بد أن تكون والدتك جد قلقة عليك ، هيا اركب معى » .

فحملنى الضابط ، على ما بى من قذارة وبلل ، وأجلسنى على الوسادة النظيفة إلى جانب الملك . وصدر الأمر بالسير وأخذنا طريقنا : قافلة بديعة يتقدمها ويتبعها راكبو الخيول .

وشرع جلالته يسألنى فى لباقة وظرف ، وهو يجهد على سنن الملوك أن يؤنس ضيفه ، بيد أن السمكة كانت تشغل فكرى ، فلم أتمالك من أن أذرف دموعاً ليست من شيم الرجال .

فسألنى الملك : « هل تستشعر ألماً يا أوستن؟ ألا تخبرنى ما ذا دهاك ؟ » .

وسمعت صوتاً خائراً يخرج من فمى : « أرجو من مكارمك أن لا تقطع رأسى ! » .

فأجاب الملك فى جد : « لست أنوى قطع رأسك » .

فخلعت القبعة وأريته هدية إمبراطور اليابان إليه . فرفع الملك يده ، ووقفت القافلة وصاح : « قفوا بأقرب إناء لشرب الخيل وعجلوا ! »

فخفوا سراعاً ، ووقفنا أخيراً أمام كوخ

أحد الأهالى، فنزلت وأدليت بالسمكة فى إناء الماء وأنفذوا رجلا من الأهالى لإحضار وعاء كبير وضعت فيه السمكة. فأنقذت حياتها المقدسة، واستعادت ما لها من مكانة ومقام.

وعدت إلى المنزل فى موكب الظافر وقد مالت الشمس للمغيب، فأسـندت رأسى إلى كتف جلالته فأخذنى سبات عميق، وصحوت على صيحات الضـحك من والدىّ وقد زال ما استولى عليهما من قلق، ونظرا إلىّ فى استغراب، وأنا أجر قدمى مترنحاً يكاد النوم يغلبنى على أمرى، لأفرغ تلك الجائزة الذهبية فى إناء الماء.

واستيقظت مبكراً صباح اليوم التالى، ودلفت إلى ظلال الحديقة لأكحل العين بما فى الإناء، وثم رأيت تلك السمكة المهيبة تسبح فى كبر وخيـلاء فى وعائنا الحقـير، وقد أعـدت بذلك مكانة والدىّ، ورفعت من قدرها الاجتماعى فى عيون أعدائى.

وعند الأصيل ترجل ببابنا رسول أنيق من قبـل الملك يحمل ظرفاً كبيراً مذهب الحواشى مطبوعاً عليه تاج مملـكة هواى، وكان إذناً ملـكيا للسـيد أوستن سترونج بصـيد السمك فى حديقة كابيولانى طوال حياته، وكان ممهوراً بتوقيع:

«كالاكاو — ملك».

الجنس البشرى!

— حين زار المارشال فوش « الغـور العظيم » فى ولاية كولورادو الأمريكية، رافقه الكولونيل جون ر. هوايت لأنه كان يجيد الفرنسـية، فكان الأمريكى يتلهف إلى كل كلمة يفوه بها المارشال العظيم، وهو يقول فى ذات نفسـه: « سأسمع كلمـات جديرة بأن تؤثر عنى لأولادى وحفدتى ». وإذا المارشال يقول: « ما أروعه مكاناً يقذف فيه المرء حماته ». [داما مرجريت سميث]

كان أنوريه ده بلزاك يحب أن يعتقد أنه خبير بتبين خلق الرجل من خطـه، فحمل إليه فى أحد الأيام دفتر صبى صغير وسئل أن يقول كلمته فى مستقبل هذا الصبى. ففحص الخط فحصاً دقيقاً ثم التفت إلى السيدة التى جاءت به وسألها: أوالدته أنت؟ فقالت: لا، بل قريبته. فقال: « إذن أصارحك القول. يبدو هـذا الفتى مهملا، ويحتمل أن يكون أدنى إلى البلاهة، وأخشى أن لا يكون فى خلقه ما يبشر بخير ».

قالت السيدة: « ولـكن يا أستاذ هـذا الدفتر هو دفترك حين كنت صبياً صغيراً فى المدرسة. [صحيفة « كريستيان سينس مونيتور »]

كيف يؤدي الآباء بالأبناء إلى ضعف العقل

ملخصة عن مجلة « يورلايف »

الدكتور كنيث آپل
مساعد أستاذ علم الطب النفساني بجامعة پنسلفانيا
فى حديث مع وب . والدرن

هناك مليوناً من تلاميذ المدارس فى الولايات المتحدة سيتردّون يوماً ما فى مستشفيات الأمراض العقلية ، إذا درجنا فى تعليمهم على الأساليب القديمة . على أن معظمهم يمكن أن ينقذهم آباؤهم بالتعليم الصحيح الذى يعدّهم للحياة .

ويزيد اليوم عدد المرضى فى مستشفيات الأمراض العقليـــة الأمريكية بمقدار ٧٠٠,٠٠٠ ، على تعداد جميع المرضى بالأمراض الأخرى مجتمعة ، كما تزيد حالات العَتَه — وهو المرض الذى ينتاب الشبان فيما بين الثالثة عشرة والعشرين ومابعدها — على حالات مرض السل .

وقد رُفض من المتقدمين إلى الخدمة العسكرية فى مراكز التجنيد فى أمريكا ما يزيد على ١,٣٠٠,٠٠٠ لعدم صلاحهم للخدمة العسكرية لضعف عقولهم . وعلاوة على ذلك فقد أخرج من الخدمة ٣٠٠,٠٠٠ رجل آخر للسبب نفسه ، وهم إما أميون ، وإما ضعاف العقول . ولكن معظمهم مروّع الجنان بحيث لا يستطيع خدمة بلاده خدمة ذات أثر .

ما السبب فى ضعف العقول هذا الضعف الذريع ؟ فى رأيى — وأنا أتحدث عن خبرة طبية واسعة — أن أهم أسباب هذا الضعف هو التربية الفاسدة . إن هؤلاء العجزة ضعاف العقول هم — إلى حد كبير — عاقبة من عواقب التربية الناعمة المتساهلة الحالمة التى ينشأ عليها الشبان فى البيوت والمدارس .

على أن فساد التربية وحدها لا يفضى إلى ضعف العقل ، وليس لمثل هذا الضعف سبب واحد . ولكن معظم حالاته كان يمكن التغلب عليها فى بدايتها باتباع خطة حازمة مطابقة للحياة فى معاملة أولادنا .

خذ مثلا حالة « لانى » : كان مدللا فى طفولته وشبابه ، لم يكن يطلب إليه القيام بأى عمل وإنجازه . وعلى أنه كان فوق المتوسط ذكاءً ، فقد خاب فى ثلاث مدارس ، ثم انتهى به المطاف إلى مدرسة شديدة

التهاون مهدت له سبيل النجاح . لقد أتاح له والداه دون تبصر تعلما يعلمه المراوغة وتجاهل أساليب الحياة . فلما نشبت الحرب التحق لانى بالجيش ، فأثر فى أعصابه النظام الرتيب الصارم، والتدريب المتواصل، وامتناع ما كان يتمتع به من ميزات ، فلم يستطع احتمالها ، وقد أعده كل شيء فى حياته لقلة احتمالها ، فاعتلت صحته وخيل إليه أن جميع الأمراض القاتلة قد حلت به .

وبعث به والداه إلىّ ، فجعلته يعتقد أن ليس به مرض ، وأن أعراض علته لم تك إلا وليدة التنازع العقلى بين حياته الأولى والحياة التى خبرها بعد . ويروض لانى الآن نفسه شيئاً فشيئاً على الحياة المدنية .

أو خذ مثلا حالة لويد : كان هو الآخر محفوفاً بالتدليل والعناية ، لم يطلب إليه يوما أن يضطلع بتبعة ما ، ولم يكسب فى حياته قرشا ، ولما شب كان أبوه يدبر له أعمالا مختلفة ، ولكنه كان لا يطيق الاستمرار فى عمل ما إلا قليلا ، ثم يتركه محتجا بقوله : إنه لا يستطيع أن يستمر . فلما نشبت الحرب جند لويد ، ولكن لم يطل به المقام فى الجيش ، فقد أخرج منه بعد شهور على أن عقله غير صالح .

وثمة فى الناحية الأخرى آباء لا ريب فى ذكائهم ، ولكنهم يتحكمون فى أبنائهم . فقد كان والد فرانك أستاذ جامعة ألمعيًّا ، وكانت أمه زعيمة معروفة فى الحياة العامة ، فرسما حياة فرانك بالدقة التى ترسم بها رحلات كوك ، ولم يكن يباح له أن يحيد عن الخطة المرسومة أو أن يتمسك برأى له. وقد أدت هذه الخطة الدقيقة إلى نجاحه فى الكلية ، بيد أنه حين واجه الحياة العملية وما تتطلبه من الابتداع والتفنن والتجربة ، حار وضل . وقد جرب عملا بعد عمل ولكن حيرته أخذت تنقلب شيئاً فشيئا إلى خوف وفزع ، حتى انتهى به الأمر إلى التداعى والانهيار .

إن فساد الحياة فى البيت هو مصدر كثير من حالات انهيار العقل الذى يصيب الآباء والأبناء . ولعل أهم أسباب هذا الشقاء هو جهل الآباء أنفسهم بأساليب التفاهم ووسائل الأخذ والعطاء التى ينبغى أن تسود الحياة الزوجية . ولفساد الحياة فى البيت أثر سيئ ، إذ هى تنقل الشعور باليأس وخيبة الأمل إلى الأبناء ، فتفسد عليهم إحساسهم بالأمن والطمأنينة ، وهو الشعور الذى ينبغي توفره لكل صغير وصغيرة .

وسلامة العقل تقتضى ثلاثة أشياء ، الأول : أن تقبل تحمل التبعة ، الثانى : أن تعاون غيرك ، الثالث : أن تشارك الناس ما استطعت . وهذه الصفات الثلاث لازمة

لكل إنسان ، ويقصر فى ثلاثتها جميعاً أصحاب العقول الضعيفة . وفى أغلب الأحوال يقع جرم هذه الخسارة الإنسانية الفادحة ، — وتكاليف رعاية أمر هؤلاء الأشقياء فى المنشآت العامة — على البيت والمدرسة .

إن الاهتمام موجه فى أكثر المدارس إلى الأشياء النظرية لا إلى الحياة . ولقد سمعت بعض موظفى الجامعات يقولون : « إن واجبنا هو تنمية العقول لا تنمية الشخصية » ، على حين أن تنمية الشخصية ينبغى أن يكون له المقام الأول . إن المدارس تعلمنا الكثير عن وظائف جهاز الهضم وعمله ، ولكن ماذا تعلمنا المدارس عن وظائف عواطفنا وعملها ؟ وإلى أى حد تعين الصغار على أن يواجهوا خيبة الأمل والغضب بضبط النفس، وأن يواجهوا الإخفاق والهزيمة بالشجاعة والصبر ؟ وإلى أى حد تنمى فيهم تقدير شعور الآخرين، ويقظة الضمير فى مواقعة الفتنة والزلل فى أيام الشباب ؟ وماذا تعلمنا البيوت ؟ هل تعين الصغار على أن يدركوا خطر الغضب الثائر إذا ما خاب أملهم فى شىء صغير ، وكيف يؤدى هذا إلى غضب أشد ثورة إذا ما واجهوا خيبة أكبر ، حتى يفضى بهم الأمر إلى فقدان القدرة على ضبط النفس وإلى مرض العقل ؟

إن الحسد والخوف والغضب وخيبة الأمل أمور طبيعية تلحق كل إنسان من البشر ، وليست مدعاةً للخجل ، ولكن ينبغى أن تفهم وتضبط ، فإن تعليم النشء معنى العواطف الإنسانية جزء لازم فى بناء سلامة العقل .

ماذا تعلم المدارس الصغار من أساليب معاشرة الناس بإحسان ؟ وماذا تعلمهم من ضرورة إنجاز الأعمال الصعبة محتملين تبعاتها بأنفسهم ؟ إن قليلا من الكليات تقوم بالشىء الكثير فى هذا الصدد ، فمدرسة أنتيوك فى أوهيو مثلا تقضى بالتناوب ثلاثة أشهر فى الدراسة وثلاثة مثلها فى العمل فى الخارج . ويعطى للطالب درجات على الطريقة التى يؤدى بها عمله ، وعلى تفننه وابتداعه فى أدائه ومواظبته عليه ، مثل ما يعطى له من درجات على عمله فى الدراسة ، وبذلك يدرك ما معنى احتمال التبعات .

ولقد نهجت بعض المدارس الثانوية هذا النهج ، ولكن الأمر متروك فى ذلك — فيما أعلم — إلى الاختيار فقط . فلماذا لا تخصص المدارس جميعاً لطلابها أعمالا فى الخارج ، وتمنحهم الدرجات بحسب إتقانهم أداء تلك الأعمال ؟ إن عدداً كبيراً من مرضى العقول يعترفون بأنهم لم يتذوقوا فى شبابهم لذة إنجاز عمل صعب ، وهو خير

وسيلة لإعداد المرء للحياة . إن طبيب الأسرة فى قديم الزمن كثيراً ما كان يطبق، غير متعمد، قواعد علم الطب النفسانى . فقد كان يعرف الأسرة وظروفها وأسرارها ، وكان فى مكنته أن يردّ كثيراً من الأعراض إلى علتها الحقيقية فى العقل ، ثم يشفى منها ببضع كلمات حكيمة .

لقد اختفى اليوم طبيب الأسرة من مدن الولايات المتحدة ، وظهر مكانه الأطباء المتخصصون ، وليس لديهم متسع من الوقت أو من الفهم يسمح لهم بمعالجة الإنسان من جميع نواحيه .

لهذا نجد أن الطبيب النفسانى أخذ يشغل حيزاً أكبر فأكبر فى الحياة الإنسانية ، فصار عليه أن يقوم بما كان طبيب الأسرة القديم ينجح فى القيام به من معالجة الجسم والعقل على أنهما وحدة واحدة ، وأن يهتم بالأسباب التى تورث توتر العاطفة وإجهادها مما نصادفه فى حياتنا اليومية .

وربما كان فى مقدورنا شفاء نصف المرضى الذين تبلغ عدتهم سبعمائة ألف والذين يعالجون فى المستشفيات العقلية الأمريكية ، ثم إطلاق سراحهم ليعودوا إلى أعمالهم فى الحياة ، إذا أمكن تدبير العدد الكافى من الأطباء والممرضين المدربين لعلاجهم علاجاً ناجعاً . إن الخرافات الموروثة لم تزل ترين على عقولنا ، وبعضنا يعتقد أن مرض العقل من عمل الشيطان ، أو أنه مسألة شذوذ متعمد أو وراثة سيئة ، وأنه شىء يثير الخجل ، وأنه — بعد ذلك كله — شىء لا يمكن شفاؤه ، وأن أى طفل تبدو عليه أعراضه مقضىٌ عليه لا ينجح فيه علاج .

فإذا نحينا هذه الخرافات جانباً ، ألفينا أمامنا مسألتين تستدعيان العمل السريع : أن نعيد إلى الحياة العادية جميع من يمكن إعادتهم من مرضى العقول ، وأن نمهد لأبنائنا طريق سلامة العقل بالتربية الحازمة المطابقة لحقائق الحياة .



جلس مسافر فى مركبة « بولمان » ثم دعا الخادم وقال له أريد شريحة كبيرة من شواء البقر تكون غضّة بضّة طرية مدفونة فى البصل . فوقف الخادم هنيهة مذهول اللب ثم قال : أهذا ياسيدى هو المشروع الذى أعددته لما بعد الحرب ؟

[فيوليت ى . بروكيت]

خطة للدفاع عن سلامة أمريكا بعد الحرب



توماس م. جونسون

إن صفوة قواد الجيش والأسطول الأمريكيين مكبّون على وضع خطط الدفاع عن أمريكا بعد الحرب، وهم يقولون إنهم يعدون وثيقة تأمين وطنية ستدفع أقساطها جهوداً وعرقاً، وقليلا من الدمع أيضاً. غير أن واضعي هذه الوثيقة مؤمنون بأنها، على خير ما يبلغ التقدير، ستكفل لنا الخلاص من الحرب، ما دمنا نحن الأمريكيين مثابرين على تسديد أقساطها. ويعتقدون أننا لن نفرط في هذه الوثيقة إذا ما أدركنا حقائق الحياة كما ستكون بعد انقضاء هذه الحرب.

والقواد الأمريكيون في الجيش والأسطول متفقون على أنه إذا وقعت أية محاولة أخرى يراد بها غزو العالم، فإننا سنكون أول من يقع عليه الهجوم، وسنضرب على غرة ضرباً شديداً. ولم يعد من المحتمل أن تتلقى الشعوب الأخرى الضربة الأولى وتثبت في وجه العدو إلى أن نتسلح.

والعلة في ذلك واضحة، فقد أظهرنا للعالم مرتين أننا نمتاز من أي شعب آخر بأن في وسعنا أن نحصل على أعظم قوة حربية متى اتسع أمامنا الوقت لتعبئتها. ولذلك سيكون أول هدف للعدو المعتدي في المستقبل هو أن يحطمنا قبل أن ينقضّ على أحد سوانا، وأن لا يتيح لنا ما كنا دائماً في حاجة إليه عند حلول الطوارئ السابقة — وهو الوقت.

ومثل هذه الضربة أصبحت ممكنة، إذ لم نعد هدفاً بعيد المنال، فالطائرات اليوم تجتاز المحيطات في أعمالها العادية، وغداً ستستبدل بالقلاع الطائرة الضخمة التي في وسعها أن تلقي حملا ثقيلا من القنابل على أهداف تبعد ١٠٠٠ ميل، ثم تعود إلى قواعدها — طائرات مطارها أبعد مدى وقنابلها أشد فتكا. وستتمكن الطائرات التي تجر السابحات (الطائرات الشراعية) المحملة بالجنود، أن تطير من أوربا أو آسيا وتهبط بالرجال ليحتلوا مصانع الصلب في بتسبرج أو جسور نهر المسيسبي. وسوف يبلغ إتقان سفن الغزو في المستقبل القريب مبلغاً ييسر لها أن تنزل بالجنود والمؤن على

توماس م. جونسون باحث وثيق في الشئون الحربية منذ سنة ١٩١٧. وقد عرف معظم قواد هذه الحرب منذ كانوا في رتبة كابتن، ومن كتبه: «بلا رقيب» و«حربنا السرية» و«الكتيبة الضائعة».

شنو اطئنا ، وستوجد يومئذ قنابل طائرة أشد فتكا وأبعد مدى ، وأكثر دقة وإحكاما من قنابل اليوم ، وستقذف من الطائرات ومن حاملات الطائرات ومن الجزر — وربما من قارات أخرى . وقد نضرب بصواعق تنقض علينا من السماء من حيث لا نعلم .

يقول ستمسون وزير الحربية : «لم يعد موقعنا الجغرافى يعدّ موقعاً منيعا » .

وينبغى أن لا نعود مرة أخرى إلى إغراء أحد بمهاجمتنا ، باستغنائنا عن نصف أسطولنا ومعظم جيشنا ، أو نضيق على قوتنا الجوية فلا نتيح لها أكثر من مئة طائرة جديدة فى العام ، كما فعلنا قبل هذه الحرب . ويقول الجنرال مارشال : « إن ما تحتاج إليه الحروب الحديثة لن يسمح بارتجال الخطط بعد نشوب الحرب » .

ويعتقد الرجال الذين يرسمون الخطط اعتقاداً راسخاً أن من الواجب علينا أن نشارك مشاركة صادقة فى الهيئة الدولية التى ستتولى تدبير شئون السلام . على أن هذا وحده ، كما يقولون ، هو أحد الأسباب القوية التى تدعونا إلى الاستعداد ، فإن سلطاننا فى أية هيئة دولية للسلام سيكون على قدر ما لدينا من قوة مسلحة ، ومثل هذه الهيئة ستكون أكثر توفيقاً إذا ظاهرتها القوة ، القوة المتأهبة للانطلاق فى أية لحظة .

وهذا كما يعتقدون هو أضمن طريق للظفر بالعالم الجديد المنشود الذى يتطلع إليه الأمريكيون ، وإن أمامهم الآن فرصة رائعة لتحقيق وجوده .

ولسنا فى حاجة ، بل لا ينبغى ، أن تظل أمريكا شاكية السلاح ، ولكننا سنحتاج فى وقت السلم إلى قوة مرنة ، حديثة ، على استعداد لمواجهة الخطر المقبل لا الخطر الذى مضى زمنه .

ومثل هذه الخطة للدفاع عن أمريكا بعد الحرب ترسم الآن فى عدة اجتماعات يعقدها ضباط الجيش والأسطول الذين كلفوا هذه المهمة الخاصة . ويقف وزيرا الحربية والبحرية على كل خطوة فى هذا السبيل ، وكذلك رؤساء هيئة أركان الحرب مجتمعين . وستشكل الصورة الأخيرة لخطة الدفاع طبقاً للالتزامات الدولية التى ترتبط بها الولايات المتحدة . وها هى صورة عامة للخطة التى يعتقد قوادنا الحربيون أنها أحسن الخطط .

حاجتنا الأولى — الانتباه والحذر

إن أول ما نحتاج إليه هو أن نتخذ الحيطة من هجوم مفاجىء ، فيجب أن يكون لدينا قلم مخابرات خير مما كان لنا فى أى وقت مضى ، وأن لا نبخل على أنفسنا ذلك البخل الذى سلب الجيش والأسطول ، قبل هذه الحرب ، كلّ وسيلة تتيح لهما أن

يأخذا الطريق على رسائل اليابان السرية ويحلا رموزها ، وأن لا نأنف من استخدام « الجواسيس » تلك الأنفة التى جعلت قوة اليابان الجوية والبحرية خافية علينا . وسوف نكون ، كسوانا ، فى أشد الحاجة إلى معرفة ما ذا تصنع الجيوش والأساطيل وأسلحة الطيران فى العالم ، وما الذى تعدّ له عدتها .

إن خير وسيلة للدفاع ولا ريب هى القدرة على الهجوم ، فالإنجليز لم يصدّوا الغزو بانتظارهم على شواطئهم مسلحين بالبنادق ، ولكن بتحطيم سفن الغزو الراسية على شواطىء أوربا بسلاحهم الجوى ، ولقد كان سلاح الطيران البريطانى مستعداً ، فكان له السبق . وهذا ما يجب علينا فى المرة التالية . ولاشك أن فى وسعنا أن نفعل ذلك ، وليس بنا حاجة إلى أكبر جيش وأضخم أسطول واقوى سلاح طيران ، بل إلى أحدثها وأحسنها تأهباً للعمل .

ولكى نكون متأهبين للعمل يجب أن يكون لدينا «مراكز أمامية» تامة التسليح ، وقريبة على قدر الإمكان من أوكار الاعتداء فيما نتوقع ، لتكون قواعد لقواتنا المسلحة ، ومرابىء تحذرنا الهجوم المباغت . ولسنا فى حاجة إلى أن نحتفظ فيها بجميع المنشآت الحربية تامة الأهبة للقتال ، بل من الممكن أن ندع كثيراً منها لوقت الحاجة ، ففى وقت السلم نحتاج إلى القواعد الرئيسية فحسب . وفى وسعنا أن نراقب البحر الكاريبى من جزيرة ترينداد ، ومن بورتكان فى جزيرة بورتريكو ، ومن جوانتنامو فى جزيرة كوبا ، وجنوب الأطلسى من البرازيل ، وشمال الأطلسى من نيوفاوند لند ولابرادور . وينبغى علينا أن لا نهمل ألاسكا وجزر ألوشيان فى المحيط الهادى ، كما يجب علينا — على الأقل — أن نحصن جوام وتروك وإحدى جزر أرخبيل البونين ، تحصيناً منيعاً ، فنظفر بطريقين إلى جزر الفلبين التى يجب أن نحصنها على أنها قواعد متطرفة تمهد لنا سبيل مواجهة الخطر الأسيوى المقبل .

وحيثما تدعو الضرورة فالواجب علينا أن تعقد اتفاقات تنص على تبادل استعمال القواعد الحربية ، مع كل من بريطانيا العظمى والبرازيل وأوستراليا ونيوزيلند ونيوفاوندلند وكندا ، ومع أكوادور التى تشرف على قناة بناما ، من جزر الجلاباجوس . وربما كان علينا أن نتعاقد نحن وأسبانيا والبرتغال ، التى قد تكون جزائرها كنارى وكيب فيرد والأزور ، كالصخور يتخذها الغازي مواطىء لأقدامه لكى يثب على أمريكا .

ويحتاج كل مركز أمامى إلى استعداد تام من جهاز رادار ، وأجهزة لالتقاط

الإذاعات ، ومدافع مضادة للطـائرات ، ومعدات بحرية ، على أن توضع متناثرة حتى لا تكون هدفاً ظاهراً لقاذفات القنابل ، كما تفرق وتخفى تحت الأرض حظائر للقاذفات الضخمة التى تبادر إلى القضاء على أى مغير .

الطـيران : خير وسـيلة للدفاع

إن خط القتال الأمامى هو اليوم المناطق التى تضربها القاذفات ، فينبغى علينا أن نبعده بقدر ما نستطيع لكى نحمى بلادنا .

وربما كان السبيل الوحيـد لتثبيط من يهمّ بالاعتداء علينا ، أن يكون لدينا أحسن سـلاح طيران فى العالم ، ولا نعنى بذلك أضخم سلاح بل أحدثه . فإن خمسة آلاف طائرة من طائرات الأمس ، لا تعادل ألفاً من الطائرات فى يومنا هذا ، فكيف بنا غداً ؟ يقول روبرت لوفيت وكيـل وزارة الحربية للطيران : « أصبحت سرعة الطائرات على وشك أن تجارى سرعة الصوت ، فإذا تجاوزنا هـذه السرعة بأن نحل مشكلة الضغط الجوى وتأثيرها فى الطائرات فلا يعلم أحد كم تصبح سرعة الطائرات يومئذ » .

وينبغى أن يكون سلاحنا الجوى مستعداً أبداً لينطلق إلى الحـرب بطائرات أفضـل وطيارين أبرع من طيارى الأمم الأخرى وطائراتها ، وإن لم يكن ذلك لشىء ، فمن أجل تلك المسافات المترامية الأطراف التى يجب علينا أن نقطعها ، إذ ليس علينا أن نحمى مدننا فحسب ، بل أن نحمى أيضاً قواعدنا وبحارنا ، وطرق تجارتنا أيضاً .

من أجل ذلك كانت خير وسيلة لمقاومة القنابل الطائرة إنما هى القوة الجوية التى تستطيع أن تدك مصانعها والمعدات التى تقذفها .

ويضع السلاح الجوى للجيش الأمريكى خطة برنامج شـامل لتجارب تكفل له تفوق تصميم طائراته فيما بعد الحرب ، وهو يرمى أيضاً إلى تشجيع صناعة هيا كل الطائرات ومحركاتها ، فإننا لن نظفر بسلاح جوى إن نحن أهملناه فى وقت السلم . فقيادتنا الجوية ترى أنه من الواجب علينا أن نشجع الطيران الخاص والنقل الجوى ، وأن نحتفظ بنواة لقيادة النقل الجوى قابلة للنمو والتوسع حين الحاجة . ولما كان سـلاح الطيران لا يتألف من طـائرات فحسب ، بل من رجال أيضاً ، فهى تنصح بإمداد المدارس بطائرات لتدريب الشبان .

ومعظم رجال الطيران يطلبون لسلاحهم استقلالا أكثر من الذى يتمتع به الآن ، وبعضهم يودّ أن يكون هناك سلاحان : أحدهما « تكتيكى » تحت إشراف الجيش ، ليعاون القوات البرية معاونة وثيقة ، والآخر « ستراتيجى » ، وهو سلاح مستقل يشمل

القاذفات الضخمة وجنود الهابطات والسابحات والقنابل الطائرة ، وغيرها من الأسلحة المشابهة البعيدة المدى من أسلحة المستقبل .

وسيظل سلاح الطيران البحرى خاضعاً للقيادة البحرية كما هو الحال اليوم ، غير أن خطر شأنه سيزداد ، حتى ربما شمل ما يقرب من نصف رجال بحريتنا بأسرها . وإن حجم حاملات الطائرات لفى زيادة مطردة ؛ وكذلك الطائرات التى تحملها، ولن تستعمل هذه الطائرات لقذف العدو بالقنابل وحسب ، بل للتجسس عليه أيضاً ، من أجل تلك القوة التى تشترك فيها الأسلحة الثلاثة : الجوية والبحرية والبرية ، الموجودة فى كل قاعدة رئيسية ، والتى ينبغى أن تظل متأهبة على الدوام كفرقة المطافىء ، لتنطلق إلى منطقة الخطر . والمشاة البحريون ، وهم اليوم « جنود البحر » ، سيصبحون على التدريج « جنود الجو » ، وسيكون اختصاصهم أن ينزلوا بالهابطات والسابحات لكى يحموا مواقع النزول إلى البر ، ونقط الارتكاز الساحلية ، والمطارات اللازمة لقوات الجيش التى ستأتى على أثرها .

أقوى أسطول - لا أضخمه

ويلوح فى أفق المستقبل أن أسطولنا فى وقت السلم سيحمل على عاتقه مراقبة المحيط الهادى بأكمله وغرب المحيط الأطلسى، كما سيحمل الأسطول البريطانى على عاتقه مراقبة شرق المحيط الأطلسى والمحيط الهندى . وقد رسمت ثلاث خطط مؤقتة للبحرية بعد الحرب . وسيتوقف استعمال أيها على التزاماتنا الدولية ، وعلى مدى استقرار السلام فى العالم بعد الحرب ، وجميع هذه الخطط ترمى إلى أن يكون لدينا أقوى أسطول ، وإن لم يكون بالضرورة أضخم الأساطيل . وهى لا ترمى إلى الاحتفاظ بكل أسطولنا الراهن الضخم الذى يعادل جميع أساطيل الدول الأخرى مجتمعة ، ليكون أسطولا عاملا ، ففى إمكاننا أن نستغنى عن بعض السفن الصغيرة التى لا حصر لها وزوارق الغزو ، غير أننا لن نستغنى عن سفينة حربية واحدة . وفى وسعنا أن نربط عدداً كبيراً من سفننا الحربية ، على أن نقى ما فى جوفها من الآلات عادية الصدأ بأسلوب جديد ، وأن نجعلها على أهبة للعمل العاجل . ولا تزال الخطة ترمى إلى الاحتفاظ بأسطول عامل تبلغ قوته ثلاثة أضعاف قوة بحريتنا كلها قبل الهجوم على بيرل هاربور .

ويجب أن يشمل أسطولنا العامل ما يقرب من ١٥ بارجة ، و ٣٠ طرادة ، و٧٥ مدمرة، و١٥٠ غواصة ، و٣٠ حاملة طائرات ضخمة على الأقل ، وينبغى أن تكون جميعاً من أحدث ما شيدنا ، ويتألف منها

جميعاً ذلك الأسطول المتوازن القوى الذى طالما تمناه كل رجل فى البحرية ، والذى يجتمع له أن يكون أعنف ضرباً وأشد احتمالا من أى أسطول سواه ، لضربات الطرابيد وقنابل المدافع والطائرات . وسيكون فى قدرته أيضاً أن يشترك فى القتال بعيداً عن القواعد البرية ، ولن يعود الفضل فى ذلك إلى سعة مخازنه فحسب ، بل إلى معدات الصيانة القوية أيضاً ، من سفن الإصلاح وناقلات البترول وسفن المؤونة التى تتألف منها القواعد العائمة . وقواد البحرية يحذروننا بناء أسطول مقيد إلى قاعدة ثابتة .

جيش سريع الحركة

وأمام الجيش مستقبلان : المستقبل القريب ، أربع سنوات أو خمس وهى التى تلى الحرب مباشرة ، والمستقبل المديد . فالأول قد يحتاج إلى قوة تتألف من عدة ملايين لتكون على الأقل حاميات فى اليابان وألمانيا المهزومتين ، وفى مخافرنا الأمامية . والثانى إلى جيش دائم أقل عدداً ، يتألف من قوة سريعة الحركة على أهبة للطوارىء وجنود لحماية قواعدنا ، وقوات داخلية للإشراف والصيانة وتعليم الاحتياطى .

وسيقسم الجيش الجديد إلى جنود البر ، وسلاح الخدمة العامة ، وسلاح الطيران ، واتقاء لما يخبأه الغد من هجوم مفاجىء ، تجهز القوات البرية بالآلات الميكانيكية أحسن تجهيز لتنتقل بسرعة إلى مواطن الخطر . أما القوات الجوية فستكون نسبياً أكثر عدداً ، وكذلك جميع وحدات المدافع المضادة للطائرات .

ولن نفعل كما كنا نفعل حتى اليوم ، فنمزق شمل وحداتنا ونفرقها بَدَداً فى الحصون المهجورة التى أنشئت من قديم لصيانة الأمن بين الهنود الحمر ، بل لا بد من أن تتجمع مدافعنا المضادة للطائرات وقواتنا الأخرى ، لتبادر إلى حماية المناطق المعرضة لهجوم بحرى أو جوى ، أو بحيث يسهل اجتماعها للقيام بالمناورات . ويجب علينا قبل كل شىء أن لا نعود القهقرى إلى الأيام السابقة للحرب ، حين كان جيشنا المتحرك بأسره لا يملأ مقاعد ميدان كبير لكرة القدم .

ويقول الجنرال مارشال إنه لا بد من أن يكون جيشنا فى المستقبل ، من القوة بحيث يستطيع أن يحطم لساعته أى معتد ، فإن لم يقو على ذلك ، فليصده إلى أن نحشد احتياطينا . ولا نعلم بالدقة كم يقتضينا ذلك من الرجال فى ١٩٥٠ فلربما احتجنا إلى مليونين ، وليس هذا بالعدد العظيم إذا قيس إلى ما يحتمل أن تحشده الدول العظمى الأخرى .

ويرى الجنرال مارشال أن لا بد من جيش دائم صغير نسبياً واحتياطى كبير نسبياً ، حتى لا تنحصر « القيادة الحربية

والإشراف على الاستعداد الحربى والسياسة الحربية أثناء السلم ، فى يد طبقة خاصة أو طائفة من الجنود المحترفين ». فلكى نحول دون ذلك ، ينبغى أن يظل ثلث المليونين من المجندين الدائمين ، احتياطياً يجمع لكى يدرب طبقاً لنظام التجنيد الإجبارى .

التدريب العسكرى العام

يرسم الجيش خططه على أن الكونجرس سيوافق على قانون يفرض على كل شاب أمريكى قوى البنية ، أن يدرب تدريباً عسكرياً سنة واحدة ليدافع عن وطنه ، ثم يصبح بعد أن ينتهى تدريبه من الاحتياطى ، ويكون على أهبة للرجوع إلى الخدمة متى دنت ساعة الخطر . وهكذا يجتمع لنا جيش قوى يعرف مهمته فى شهرين لا فى عامين كما كان الحال حتى الآن . وكذلك يجد الجيش سنوياً عدداً يدربه يبلغ ٦٥٠٫٠٠٠ شاب فى سن الثامنة عشرة أو حين ينال شهادته الثانوية . أما الأسطول وسلاح الشاة البحريين ، وقد وافقا على مبدأ التدريب العام للمرة الأولى ، فسيدربان ٢٠٠٫٠٠٠ رجل ليمدّوا الأسطول الاحتياطى بالرجال . وسيكون للأمة بعد مضى خمسة أعوام احتياطى يبلغ ٥ ملايين من الرجال المدربين ، بينهم الذين سبق تدريبهم عاماً واحداً ، ومن الضباط السابقين فى الجيش النظامى .

ويعتقد البريجادير جنرال بالمر وهو الحجة فى هذا الشأن ، أن لو كان لنا مثل هذا الاحتياطى فى سنة ١٩٤١ لما هوجمنا .

ويدل الاستفتاء على أن ٦٥٪ من الشعب الأمريكى و ٧٠٪ من الجنود (بينهم نحو ٩٠٪ من الضباط) يرحبون « اليوم » بالتدريب العسكرى العام ، كما ترحب به « اليوم » الصحافة والكونجرس بما يشبه الإجماع . ويود الجيش والأسطول أن يتم التصديق على القانون « اليوم » أيضاً قبل أن نحرز النصر فنعود ، كما حدث فى ١٩١٩ — ١٩٢٠ ، إلى التفاؤل المستبشر . والتفاؤل أفضل ذخيرة لأعمالنا فى وقت السلم ، إلا أنه أكبر عبء مثقل يعوقنا حين نضع خطط الدفاع .

ويتوقع رجال الجيش والبحرية أن تتطلب هذه المادة من وثيقة تأمين السلام جهوداً كبيرة فى إقناع الشعب حتى يتقبلها .

عمل الصناعة

ولعل ثانى الأمرين مشقةً على الجمهور أن يتقبله هو المادة التى تكفل لنا استعداداً صناعياً لحرب ثانية . فقد وضع الجيش والبحرية لهذه الحرب خطة التعبئة الصناعية بناء على تجربة الحرب الماضية . ولكننا أغفلنا شيئاً كثيراً من تلك الخطة . ونحن وإن كنا نتتج مقادير كبيرة إلا أن ذلك

يرجع على الأكثر إلى أننا شعب ينتج إنتاجاً وافراً ، لا إلى أن لدينا توجيهاً سديداً ثابتاً . فيجب علينا فى المرة القادمة أن نبدأ بتنظيم جيد وخطة حسنة ، وأن نتبعهما ولا نحيد عنهما ، وعلينا أن نستعد لكى نثب بصناعتنا إلى إنتاج مجموعة متنوعة هائلة من المعدات الحربية ومئات الألوف من الأدوات المختلفة ، وأن ننتجها على الفور عند الحاجة . ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

يوافق كثير من الناس وزيرَ البحرية ، على أن التماس السبيل إلى ذلك عمل يستغرق عامين ، من جهد لجنة تمثل الجيش والبحرية والعلماء ورجال الصناعة والنقل .

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن أسلحة اليوم قد تصير حثالة الغد ، فقاذفة القنابل فى سنة ١٩٤٥ ربما صارت فى سنة ١٩٥٠ طائرة نقل عادية . ولقد كان محرك طائرة الحرية فى سنة ١٩١٨ هو خير المحركات جميعاً ، وكان لدينا مقادير كبيرة منه ، لكن سرعان ما انقلب الأمر فلم يعد خيرها ، وظل عندنا منه مقادير كبيرة .

ويتساءل رجال الكونجرس : «أمحركات طائرات جديدة ؟ ولم ؟ إن لدينا محركات طائرات ! » .

ولكن الفرنسيين لم يحتفظوا بمحركات فحسب ، بل احتفظوا أيضا بأشياء كثيرة أخرى بعد سنة ١٩١٨ ، فقد ادّخروا بعض المال ، فلما كانت سنة ١٩٤٠ كانت معداتهم القديمة عوناً على ضياع حريتهم . وستنتهى هذه الحرب وبين أيدينا معدات حربية أكثر من أى شعب آخر ، وبعد بضع سنوات ستعتبر هذه المعدات آثاراً قديمة ، فينبغى إذن أن نستبدل بها أخرى جديدة طبقاً لبرنامج بعيد المدى يساير تطور العلوم ، بل سيكون لدينا عدد وافر من السفن الحربية ، إلا أنه يجب أن نصنع حيناً بعد حين نماذج من سفن ندخل عليها ما يجدّ من الأفكار .

إن ازدياد ما يتم على يد العلم فى الحرب يفرض علينا أن نشجع البحث والاختراع . وقد نصحت لجنة مؤلفة من ١٢ عضواً يمثلون الجيش والبحرية والعلماء ، بأن نواصل هذا التعاون الراهن السائد بين العلماء البارزين فى علم الطبيعة والكيمياء وعلم الحياة ، وأركان حرب الجيش والبحرية .

ويعتقد رجال الجيش والأسطول أن أية لجنة تكلف دراسة الاستعداد الصناعى ستشير حتما بإنشاء كلية لصناعات الجيش والأسطول ، ومكتب واحد لموارد الحرب فيحول دون اختلاط الطلبات الحربية ، وهو ما كان من عوائقنا فى هذه الحرب .

ولن يعود الجيش والأسطول مرة أخرى فيتنازعا للاستيلاء على نفس المهمات والمصانع ،

وإلى إحداث الفوضى فى إدارة المصانع ، بأن يرسل كل منهما مندوبه إلى مصنع واحد يتعجل إنجاز ما يريد . وكان الجيش والأسطول يتزاحمان على الأراضى والآلات والخشب لبناء الثكنات والقواعد ، وكان ذلك يكلفهما ثمناً غالياً من الوقت والمال .

وقد انتهى عهد التضارب والمنافسة ، وساد التعاون بين الجيش والبحرية ، ولكن بعد أن شكل من أجل ذلك ما لا يقل عن ٧٠ لجنة مشتركة من الجيش والأسطول ، ولكن لا يزال للجيش فى وشنطن مطار وللبحرية مطار آخر على مقربة منه ، ويصنع الجيش صواريخ قطرها خمس بوصات ، ويصنع الأسطول صواريخ قطرها أربع بوصات ونصف ، وكلاهما يتخذ لغرض واحد .

ويشترى الأسطول قمصانا لها نصف كم ويشترى الجيش قمصاناً بلا أكمام . ولا شك أن التجانس التام أمر غير مرغوب فيه ولا يمكن تنفيذه ، فعدة الجيش ينبغى أن تصنع لتحتمل التراب والوحل ، أما معدات الأسطول فلكى تقاوم الملح والتآكل . ويعتقد رجال الجيش أننا نستطيع أن نقتصد كثيراً من النفقات ، متى تم التعاون الوثيق فى شراء المهمات وإنشاء المبانى والمستشفيات .

لسلا نسنسى

لقد كنا دائماً نتبع سياسة التقتير الشديد فى وقت السلم ، وتبديد أموالنا وخيرة رجالنا وأشجعهم فى وقت الحرب . فلكى نساعد شعبنا على إدراك هذه الحالة وكيف نقضى عليها ، وضع المكافون بدراسة حالتنا الحربية — وهم نصحاؤنا فى وقت السلم — آخر مادة فى وثيقة التأمين على السلام ، وسيعرضونها للحصول على موافقتنا . وتقضى هذه المادة بإنشاء مكاتب للشئون العامة تبين للناس حقائق الحرب التى ستؤثر فى مكانتنا فى العالم ، مستعينة بالصحافة والراديو وغيرهما من الوسائل . ولن تكون هذه الإذاعة اللسان الناطق بما تريده الوطنية المغالية ، بل إنها ستبين ، بكل أمانة وصدق للشعب الذى يكره الحروب ، وللذين يمقتونها من أعضاء الكونجرس — أين السبيل إلى تجنبها ، أو إلى تقصير أجلها والقضاء على خسائرها فى الأرواح والأموال . وقد كلفتنا هذه الحرب حتى الآن ٢٠٨ بلايين ريال ومئة ألف نفس . ويعتقد خبراؤنا العسكريون أن الأمر سيكون على نقيض ما كان ، وأن وثيقة تأمينهم على السلام ستكون خير مشروع بذل فيه هذا الشعب من ماله .



من صميم الحياة

الأب الصعلوك

و . ا . ودوارد

كنت أعيش منذ سنوات فى بعض بلدان المصانع فى القسم الجنوبى من الولايات المتحدة . وكان المجتمع فيها صغيراً ليس فيه غنىّ ولا شهير ، ومع ذلك كانت الفوارق الاجتماعية فيها ظاهرة كل الظهور ، صارمة كل الصرامة .

وفى الذروة من هذا السلم الاجتماعى « الخاصة » ، وهم الذين يسكنون الدور الجميلة ، وأمامها ساحاتها الناضرة المخضرة ، وعلى واجهتها الطُنُف العريضة ، فى الطريق المسمى « صف الوجهاء » . وهؤلاء هم مديرو المصنع والمصرف ، وبعض التجار والطبيب ، والمحامى ، وأسرة واحدة من السراة الذين لاحاجة بهم إلى السعى والعمل ، ويأتى بعدهم « أصحاب البنائق البيض » ، ثم عمال المصنع . وأخيراً فى أدنى درج السلم ، وفى الحضيض الذى يطل عليه جميع من ذكرتهم وينظرون إليه نظرة المزدرى ، تجد الطبقة الدنيا التى يسمونها « جحر الضفدع » .

و « جحر الضفدع » هذا مجموعة رثة من الأكواخ على شاطىء خليج فى أطراف البلدة . وأحواش هذه الأكواخ مملوءة بالأعشاب البرية ، ونوافذها المحطمة الزجاج محشوة بالخرق البالية ، وما يحيط بها من الحواجز قد تهاوت أخشابه . وكثيراً ما كان الخاصة يقولون ، إن هذه البيوت الكريهة المنظر التى تقذى منها العيون ، أولى بها الهدم ، وإن على هؤلاء الصعاليك أن يعملوا أو يجلوا عن البلدة . وكان فى وسع كل واحد ، فيما عدا العميان والعجزة والمجانين ، أن يجد عملا فى المصنع ، ولكن أهالى « جحر الضفدع » كانوا ينظرون إلى العمل فى المصنع بترفع وازدراء ، لقد كان بعض النساء يخرجن للقيام ببعض أعمال الخياطة والتنظيف ، وأما الرجال فهم فى الغالب الأعم قد جعلوا همهم فى الحياة التسكع ، أو صيد البر والبحر ، أو القمار ينفقون فيه وقتهم .

وكان من جملة هؤلاء الكسالى المتبطلين « بوب مارتن » ، وكان يأتى أحياناً إلى باب دارنا الخلفى ليبيعنا حبلا من السمك .

وكانت هيأته هيأة المختلس المتلصص فى ثيابه القذرة ، وقبعته التى لاشكل لها . وكان يبدو عليه كأنه يحس أنه كالشىء النابى عن موضعه إذا دنا من ذوى الثياب النظيفة والصناعات المحترمة . وكان مقتنعاً بأنه ليس بشىء بين الناس ، وأنه لن يبلغ أن يكون يوماً من الأيام شيئاً مذكوراً . فكانت نقمته من أجل ذلك شديدة مريرة ، وكانت مشاعره هذه تظهر كلما شرب ، وكان يشرب حيناً بعد حين . فتراه قائماً أمام الدور فى الشارع المعروف بصف الوجهاء يصب الشتائم ، ويجهر بسب الخاصة من أهل هذه الدور ، حتى يأتى شرطى البلدة فيحبسه .

وكانت زوجة « بوب » تطرق الدور للخياطة ، وكانت لا تكف عن الكلام طوال الوقت ، وكان مدار حديثها شدة وطأة الفقر ، وكيف أناخ عليهم بكلكله وعضهم بنابه — فليس فى بيتها مليم واحد .

وقد تقول أمى عندئذ : « ولكنى نقدت زوجك بالأمس ريالا فى سمكات اشتريتها منه ! » .

فتجيبها زوجة الرجل : « لم أر من ذلك مليما ، وما رأيت قط لا من قبل ولا من بعد . إنه ينفق كل شىء فى الحانة » . وكان لا يبدو على « سالى » ابنة بوب أنها استمتعت بشىء فى حياتها ، وإنها لفتاة وسيمة الطلعة لطيفة الشمائل، ولكن ثيابها أسمال مهلهلة ، فكانت تلوح كالاصبع الملفوف فى خرقة وسط أية جماعة من زميلاتها فى المدرسة ، فهن جميعاً أحسن منها لباساً . ولم تدعَ قط إلى حفلة — وما كان لأحد أن يشجع فتاة من « جحر الضفدع » على ارتياد حفلات المجتمع .

على أن ناظر المدرسة أفضى إلى خاصة أصحابه بأن « سالى » أذكى فتاة علمها . وفى نهاية السنة الدراسية ، غلبت الدهشة على فريق من أهل بلدتنا حين علموا أن « سالى مارتن » فازت بحق الدراسة المجانية فى الكلية، وأنها فازت بها فى امتحان مسابقة فاقت فيه اثنى عشر طالباً وطالبة أو نحو ذلك ، وكان من بين هؤلاء فتاة حسناء من فتيات « صفّ الوجهاء » . وقد كان لنجاحها هذا وقع مرير عند السراة والخاصة فردّدوا قولهم : « ماذا يقصد الممتحنون بهذا ؟ وكيف ، وهى من عامة « جحر الضفدع » ، وهم سواسية كأسنان المشط لا تفاوت بينهم ؟ » .

ولما أن رحلت « سالى » للحاق بالكلية نشرت صحيفة بلدتنا كلمة طيبة عنها ، أشارت فيها إلى « كريمة زميلنا المواطن ، روبرت مارتن » . وكانت هذه ، ولا شك ، أول مرة يرى فيها بوب اسمه مطبوعاً فى

صحيفة،أو أول مرة يستمتع فيها بظل باهت من الثناء . ومنذ ذلك الحين أو قريباً منه أخذنا نلحظ تبدّلا فى «بوب»، فهو يلبس القمصان النظيفة ويحلق ذقنه ، وهو اليوم لا يتسلل كالمتوجس فى الحارات والدروب ، وإنه ليدخل البلدة ويشترك مع الناس فى الحديث عن الجو وعن المحصول. ثم لم يلبث أن جعل يشير فى حديثه إلى « ابنتى التى فى الكلية» ، فإذا لقى غريباً عن البلدة أخرج من جيبه قصاصة الجريدة .

ولم يعد بوب يطوف بالسمك بعد ذلك، ولما استخبرت أمى عنه ، علمت أنه التحق بعمل فى المصنع ، وأنه مجدّ فى عمله مواظب عليه . وقد عيّره الصيدلى يوماً بهذا على مسمع من المجتمعين فى صيدليته فى ليلة الأحد . قائلا : « كنت أحسب أن لك عند الدنيا نصيبا من الرزق يا بوب ، ولكنك كنت تأبى أن تخدم أحداً » .

فسكت بوب لحظة ثم قال : «حسنا ، لقد أصبحت الحال غير الحال ، فأنا لا أريد أن تستشعر ابنتى فى الكلية الخزى من أبيها » .

واتفق لى فى يوم من أيام إجازة الصيف أن مررت بكوخ مارتن، فإذا سالى قائمة على سلم تطلى الجدران بطبقة من الطلاء .

وفى أثناء العام الثانى من غيبة « سالى » فى كليتها ، ظهرت آفة فى النبات توشك أن تقضى على شجر الدردار الذى يظلل شارع البلدة ، ولم يعرف أحد كيف يعالجها . فما كان أشد دهشة الناس حين انبرى بوب مارتن فبيّن سبب الآفة . ولا ندرى السر فى ذلك ، أكان الرجل فى ماضيه المنطوى عنا بستانيا ، أم كان ذلك مما أفاده فى سنوات تسكعه فى الغابات . وعلى ضفاف الأنهار بالمشاهدة والملاحظة ؟ وأيا كان الأمر ، فقد وصف لشيوخ البلدة ما ينبغى عمله ، فطلبوا إليه أن يتقدم ويفعل ما يراه ، فكان الخلاص من الآفة على يديه . ولقد بلغ من وقع الحادث فى نفس مدير المصنع أن عهد إلى بوب بالإشراف على ما للشركة من غابات وحدائق . ولما أن عادت « سالى » فى الصيف،كان آل مارتن قد انتقلوا من جحر الضفدع إلى بيت جميل،فاختارت له «سالى» ما يناسبه من الأثاث .

ونالت « سالى » إجازة الكلية مع درجة الشرف ، والتحقت معلمة فى مدرسة للبنات . ولم تمض سنوات حتى تزوجت من شاب من أعضاء مجلس الإدارة لبعض مصانع القطن . وسرعان ما تقدم الشاب فى صناعة المنسوجات واتصل نجاحه ، وهو يدير الآن جملة مصانع .

رحلت عن القرية ، وتصرّمت الأعوام قبل أن أعود إليها ثانية ، فإذا هى أجمل

منظراً — نظيفة أنيقة، كأنها بستان. وكان الصديق الذى جئت أزوره أمين الخزانة فى بعض مصانع البلدة، وكان حديث عهد بها.

فقال لى فى الليلة الأولى بعد العشاء: « وددت لو تنزل معى فتستمع إلى سقراط بلدتنا، إنه يجلس فى مقعد وثير على باب الصيدلية كل مساء ويمضى يتكلم. وليس يسعنى إلا أن أقول إنه شيخ مجرب حكيم اسمه روبرت مارتن — وهم يدعونه الشيخ بوب» .

رأيت الشيخ بوب جالساً هناك، أبيض الشعر أبيض اللحية، عليه ثوب جميل من الجوخ، وبيده عصا رأسها من ذهب. ولم يتبين بوب من أنا، وكان جمع من الشبان حوله يستمعون إلى كل كلمة من كلماته. وإذا كنت لا أجد فى كلامه ما يشبه حوار سقراط إلا أنه مع هذا حديث شائق. ولما أن انصرفنا قال مضيفى الشاب: « هذه البلدة مدينة بالكثير إلى روبرت مارتن، من كل وجه » . فقلت: « لقد عرفته من قبل، وما كنت أتوهمه يصير إلى مثل هذا » .

فقال: « أجل. أعلم أنه قد مرت به فى صدر حياته أيام شداد، ولكنه تخلص منها بالجرأة والمثابرة. وقد اعتزل العمل الآن مكفول الرزق ميسور الحال. وقد ظل زمناً مشرفاً على الأراضى المزروعة، فأبلى أحسن البلاء. لقد اقترح على المصنع أن يمنح عماله جوائز لمن يزرع منهم حول داره أجمل حديقة، فكان من ذلك ولا غرو ما تراه من أناقة فى البلدة. وكان من إعجاب الشركة به أن وكلت إليه الإشراف على دورها جميعاً، ولقد تعهدها فعلا وعنى بأمرها. أتذكر جحر الضفدع؟ لقد قيل لى إنها كانت قذى العيون من قبح منظرها. أجل لقد هدم الأكواخ وأزالها، وحول أرضها إلى ساحة لعب، يرتع فيها الأولاد بعيداً عن أسباب الأذى والخطر. أجل، يا سيدى، إنه مثال رائع للأرستقراطية القديمة فى الولايات الجنوبية، إن الشىء الأصيل لا يخفى على أحد » .

وكان هذا كله عقبى فوز «سالى مارتن» بحق المجانية فى الكلية.

كانت أيدا تاربل من أشهر من ترجم للعظماء، فلما سئلت فى عيد ميلادها الثمانين أن تسمى أعظم الرجال الذين لقيتهم فى حياتها أجابت: « أولئك الذين لا يعرفهم أحد » . [دترويت نيوز]

من يضحك أخيرًا

بقلم
روى شابمان اندروز

كان خليفة بوذا في منغوليا امرءًا مرحاً فيه دعابة ، ولو أنه أقدس إنسان من أهل دين اللاما بأجمعه بعد الدالاى لاما وتاشى لاما فى التبت .

وكان آلاف من الحجاج يجتمعون كل يوم أمام قصره يغترفون حفنات من التراب المقدس الذى وطئته قدماه ، ويتلقون بركته كل يوم فى الساعة الرابعة . بيد أن مهمة مباركتهم باليد بدأت تثقل على بوذا ، وكان قد أقام أخيراً مولداً كهربائيا ، فعنت له فكرة مباركتهم بالجملة . فأمر أن يمد من نافذة القصر حيث كان يجلس ، سلك متصل بالمولد ، وطلب إلى الحجاج أن يركعوا ويمسكوا به ، ثم أطلق التيار الكهربائى فيه ، وتلقى الحجاج بركة لن ينسوها . وقد بلغ من سرور بوذا بهذه الطريقة أنه زاد مرات تلقى بركاته إلى ثلاث فى اليوم .

وقد شاهدت حفلتين من هذه الحفلات ، وعرض علىّ بوذا أن أتلقى البركة أيضاً ، ولا يحل لإنسان أن يرفض عرض بوذا وهو فى بلاده ، وكادت هزة البركة تلقى بى إلى الأرض .

بقلم
لويد سميث ، دوجلاس

كان مستر جولدبرج عائداً من أوروبا على إحدى البواخر . فعين له رئيس الخدم مائدة يجلس إليها اثنان . وحدث بعد أن اتخذ مجلسه إليها أن جاء رجل فرنسى مهذب فانحنى له وابتسم ، وقال له قبل أن يجلس : « بون أبيتى » (شهية طيبة) ، فما كان من مستر جولدبرج إلا أن قام وانحنى له وقال : « جولدبرج » .

وتكرر هذا فى كل وجبة من وجبات الطعام ثلاثة أيام ، يأتى الفرنسى دائما متأخراً ويقول : « بون أبيتى » ، ويقوم له دائما رفيقه الحائر ويقول : « جولدبرج » .

وفي اليوم الرابع أسرّ مستر جولدبرج بحيرته إلى رجل فى غرفة التدخين : « إن ما يحدث هو هذا : يجيء الفرنسى ويقول لى اسمه : « بون أبيتى » ، فأقول له اسمى : « جولدبرج » ، وبذلك يتم التعارف بيننا . هذا جميل ، ولكن لماذا يوالى ذلك كل يوم ؟ » .

فأجابه الآخر : « ولكنك لم تفهم قوله يا مستر جولدبرج ، فإن « بون أبيتى » ليست اسما ، ومعناها « أرجو لك شهية طيبة » .

فصاح جولدبرج : « شكراً لك » .

وفى تلك الليلة وصل مستر جولدبرج متأخراً على العشاء ، وقبل أن يجلس إلى المائدة انحنى فى احترام وقال : « بون أبيتى » .

فقام الفرنسى من مكانه وابتسم وقال : « جولدبرج » .

بقلم دونالد كلروس بيتج

طلب إلى محاضر مشهور أن يلقى محاضرة فى محلة للعراة ، فلما قدم تلقاه بالترحيب رجال ونساء كما ولدتهم أمهاتهم ليس على أبدانهم شيء ، فعرضوا عليه أن يستعد للعشاء معهم ، فصعد إلى غرفته معتقداً أن عليه أن يخلع عنه ملابسه كبقية القوم . فجعل يذرع الغرفة فى حال مفزعة من التردد ، ودق ناقوس العشاء ، فأخذته شجاعة المستيس وخلع عنه ملابسه ، ونزل الدرج فى جلال الفطرة الأولى ، فألفى القوم قد ارتدوا ملابس السهرة إكراماً له !!

بقلم جورج ست باى

ركب مزارع قطاراً إلى المدينة ، فألفى نفسه بجانب رجل يتصرف تصرفاً غريباً — كأنْ ينظر بسرعة من النافذة ويتمتم فى سره شيئاً ثم ينظر ثانية . واستبدت به رغبة فى استطلاع أمره ، فسأله عما دهاه ، فقال الرجل : « لا شيء إنى حاسب سريع ، وللتسلية أحسب عدد السيارات الواقفة فى الشارع إذا مررنا ببلد ، وعدد الناس فى المحطات ، وعدد الأشجار فى الحدائق . ثم لا أخطىء » . فقال

المزارع : « هذا عجيب ، إننا سنمر بعد لحظات بمرعى لى ، وأنا أعرف بالضبط عـدد البقر الذى يرعى فيه فهل لك . . . » ؟ فسرّ الحاسب هذا الامتحان ، فلما مرق القطار إلى جانب المرعى ، نظر إلى البقر نظرة واحدة وقال « ١٥٧ » . فقال المزارع : « إن هذا مدهش حقاً . كيف تستطيع ذلك ؟ » فأجاب الحاسب : « هـذا سهل ، وكل ما أعمله هو أن أعد حلمات ضروع البقر ثم أقسم العدد على أربعة » .

بقلم ركس بيتشر

كنت مجهداً جائعاً بعد أن سرت يوماً طويلا فى حراج الشمال ، فدلفت إلى كوخ من الخشب ألتمس المأوى . وكان الكوخ بسيطاً فيه غرفة واحدة فيها موقد وسرير ومنضدة وكراسى ، وكان ثمة سلم يؤدى إلى غرفة صغيرة تحت السقف . وعلى ازدحام المكان بصاحب الكوخ وزوجه وأطفاله الأربعة ، فقد رحبوا بى وقدموا لى وجبة ساخنة من الطعام جعلت بعدها أهوّم لأنام ، فقال لى مضيفى : « إنى آسف فقد حبسناك يقظان ، ولكننا مزدحمون هنا شيئا ما ، وعليك أن تنتظر حتى ينام الصغار » . وكان الأطفال قد أدخلوا السرير مبكرين ، فلما ناموا جميعا حملهم أبوهم واحداً واحداً ووضعهم جنبا إلى جنب على الأرض فى مؤخرة الغرفة ، ثم قال لى : « ها هو السرير ، إنه لك » . فاحتججت بشدة على حرمان الصغار من راحتهم ، ولكنه قال لى : لا تعر ذلك اهتماما ، فإنهم اعتادوا هذا كلما جاءهم ضيفان . ولما كنت مجهداً لا قوة لى على الجدال دخلت السرير ، ولم أع شيئا حتى انبلج الصباح . فلما صحوت ألفيت نفسى على الأرض مع الأولاد : وكان الزوج والزوجة على السرير يغطان فى النوم .





فقدت فرقة الفدائيين الأمريكيين (راينجرز) تسعة من كل عشرة من رجالها — ولكن ما تعلموه عن القتال يصون اليوم أرواح المقاتلين من جنود الولايات المتحدة .

أشد الكتائب بأساً تعود إلى الوطن

بقلم ماكس جونسون ● ملخصة عن صحيفة " سانت لويس بوست ديسباتش "

عاد الفدائيون الأصليون إلى وطنهم — أو على الأصح عاد الذين بقوا منهم .

كانوا أول من قاتل فى إفريقية من المشاة الأمريكيين ، وأول من قاتل فى أوربا أيضاً . واستطاعوا أن يسجلوا لأنفسهم صفحة فذة فى تاريخ هذه الحرب ، وهى صفحة تبدأ بتضحياتهم فى دييب ، وتنتهى بمأساة حزينة فى تشسترنا . لقد خاض هؤلاء الجنود من المعارك ، ونالهم من الخسائر أكثر مما فعلت أية وحدة أخرى فى جيش الولايات المتحدة . وعلامتهم أربعة نجوم برنزية ، ترمز لأربع حملات . فهم الصناديد الذين خاضوا ثلاث عشرة موقعة — ومتوسط أعمارهم خمس وعشرون سنة .

وها هم أولاء قد عادوا الآن ، عادوا وعددهم ١٩٩ ، وهم الذين بقوا من ألفين ، أما سائرهم فقد تركوهم فى المستشفيات ، وفى معسكرات الأسر ، أو فى طوايا القبور !

لم تذهب تضحياتهم سدى ، فإنهم تطوعوا وهم يعلمون ، لعمل خطر ، لا لأنهم يتحدون الموت ، بل لأنه قيل لهم إنه لا بد من أن يتعلم بعض الناس فنون هذا الضرب الجديد من القتال ، وأن يحذقوا هذه الفنون على مشقتها حتى يتيسر أن يصل هذا الذى تعلموه إلى كل جندى فى الجيش الأمريكى ، وربما نجا بذلك ألوف لا تحصى من الأرواح . هكذا بدأت التجربة ونجحت ، وآتت ثمارها من النصر .

عند ما تقرر تنظيم جيش الفدائيين ، وقع اختيار الجنرالين مارشال وأيزنهاور على كولونيل فتى قوى الشكيمة لقيادة هذه الوحدة ، هو الكولونيل ولم داربى . وفى ربيع سنة ١٩٤٢ غادر معسكرات تدريب الجيش الأمريكى فى إرلندة الشمالية ليلحق بأشد جنود الجيش قدرة ودربة على القتال — كانوا أقوياء البنية ، أذكياء العقول ، من ذوى المرونة والإخلاص .

لحق الكولونيل بجنده ، فلم يجدهم أشداء فحسب ، بل وجد منهم مروض الأسود ، ومنازل الثيران ، والمصارع ، وبطل الملاكمة بين الهواة ، والمقامر المحترف ، والممثل المضحك ، وكان بينهم هنود حمر ورعاة بقر أظهروا براعة في أعمال الطلائع ، غير أنه كان يشركهم في هذه البراعة كاتب من كتاب هوليوود كان حديد البصر في الليل ، كما كان بارعاً في رمى الخناجر . وكان أبرع الكشافين (وكل الفدائيين من أهل الخبرة في ذلك) جندى أعور . وكان التعاون في العمل على أتمه بين أحد عازفي موسيقى الرقص وأحد رجال البوليس في الفنادق .

ألحق الفدائيون الأمريكيون أول الأمر بمدرسة الفدائيين البريطانيين ، وزاولوا ما فيها من المشى الطويل ، وسباق الحواجز ، وقتال المفاجأة ، والتدريب على المعارك والرصاص يئز فوق الرؤوس ، والقنابل اليدوية تدوى ، والألغام تنفجر . ثم أرسل نحو أربعين من هؤلاء الفدائيين الأمريكيين ليشتركوا في غارة دييب ، فلما عادوا قالوا في تقاريرهم : « إن تدريب الفدائيين البريطانيين (الكوماندو) تأمين حقيقى في المعارك على الحياة » وكان قواد الجيش يعتقدون ذلك ، ولكنهم في أوائل سنة ١٩٤٢ كانوا يخشون رد الفعل في نفس الجمهور الذى لم يكن قد اعتاد مثل هذه الخشونة في القتال . واستناداً إلى تقارير الفدائيين الأمريكيين قررت بعض تمرينات الكوماندو ليتعلمها جميع الجنود ، ثم استقل الفدائيون الأمريكيون ببرنامجهم الخاص ، فتخصصوا في قتال الليل ، فينامون النهار ويستيقظون مع الغروب ، ثم يجلسون ساعة كاملة في الظلام البهيم لتألفه أبصارهم . وقد تعلموا كيف ينظرون شزرا بمؤخر العين فتبينوا مالا يكاد يرى ، وتعلموا كيف يدنون رءوسهم من الأرض ، ليتبينوا ظل الأشياء مرتسما على صفحة السماء ، وتعلموا كيف يزداد السمع إذا غرست حربة في الأرض ووضعت عليها أذنك . وكان استخدام هذه الطريقة سبباً في موت أول من سعل من رجال الطلائع الألمانية وهو على مقربة من بعض الفدائيين .

ولا يجوز للفدائى أن يسعل وهو في عمله ، ولهذا يتعلم كيف يضغط على حنجرته ليمنع السعال . وهو لا يغفل عن تزييت عدته وشدها حتى لا يسمع لها صوت . أما صفائح تحقيق الشخصية وأقفال الأحزمة ، فيخرس صوتها بالورق المصمغ . وهم يلبسون القلانس المنسوجة بدلا من قبعات الصلب التى تصلصل إذا أصيبت أو وقعت ، ويلفون علب الطعام بالجوارب القديمة . ولعل أعقد مشاكل قتال الليل هو التعاون بين الجنود ، فإن قوادهم

يهتدون فى سيرهم بالبوصلة ، وعلى الذين من خلفهم أن يظلوا متقاربين ، وأن يعرف بعضهم بعضا بالشبح وبالمشية وبالأصوات .

فى أول غارة ليلية من غارات الفدائيين فى تونس ، فقدوا جنديا واحداً ، على حين خسر العدو ٨٥ قتيلا و١٣ أسيرا . وسرعان ما استولوا على تل القطار حين تسللوا بين صفوف العدو ، وقد نالوا على ذلك وساماً خاصا .

وفى صقلية أبدى الفدائيون حذقا فى ناحية أخرى ، وهى القتال من بيت إلى بيت ، فإنهم نزلوا على مقربة من « جيلا » ، حيث كان كل بيت بمثابة حصن لا مناص من اقتحامه . وكانوا قد تدربوا على ذلك كما تدربوا على كل شىء سواه . فبينما كان فريق منهم يسدد نيران مدافع تومى نحو النوافذ والأبواب ، كان آخرون يستعينون بالحبل والخطاف لتسلق أنابيب المطر ، حتى إذا صعدوا إلى الطابق الأعلى هبطوا من السلم ، ثم انتقلوا إلى البيت التالى بالأسلوب نفسه .

وتخصصوا كذلك فى شىء آخر ، هو قتال الجبال ، فإنهم زحفوا من جيلا على جرف شاهق واستولوا على بيوتيرا بسرية واحدة ، ثم كانوا فى طليعة الأمريكيين عند نزولهم فى إيطاليا نفسها ، وشقوا طريقهم ليلا مسافة ستة أميال فى الجبال حتى استولوا على ممر كيوnزى . ومن هذا المرتفع استطاعوا أن يشاهدوا نابلى وبطاريات العدو على بعد سحيق تحتهم ، وراحوا يرشدون قاذفات القنابل والمدفعية الأمريكية . وقد هوجموا اثنتى عشرة مرة على يد عدو يفوقهم عددا بنسبة ثمانية إلى واحد ، وأطلقت عليهم نيران المدافع من اليمين والشمال ومن أمام وخلف ، ولكنهم ثبتوا ١٨ يوما حتى سقطت نابلى .

وكان جميع الفدائيين من أهل البراعة فى استعمال البنادق ، ولكنهم آثروا الحراب لأنها لا صوت لها . وكل منهم كان يستطيع أن يستعمل اثنى عشر سلاحا ، وكانوا يحملون أربعة أو خمسة منها ، فإذا نفدت ذخيرة أحدهم وجد خنجره فى غمده ، أرسل الألمانى إلى حتفه بقبضة يده !

ونصيحة الفدائى هى :

كن خبيراً بضروب أسلحتك أولا ، فإن ذلك يبعث فيك الثقة بنفسك وأنت محتاج إلى الثقة بنفسك فى القتال . ولاشك أنك تستشعر شيئاً من الخوف ، ولكن عدوك يستشعر الخوف نفسه ، وهو أمر ينبغى أن لا تنساه .

وهم يزودون الوحدات الأخرى من الجيش بحكم تجربة عديدة منها :

« تقدم ولا تتقهقر ، فذلك أقل خطرا عليك ! لا ترشد الطائرات المعادية بطرق الممرات فى الخلاء ، أو بالنظر إلى أعلى (فإن

وجهك يلوح أبيض) ، أو بإلقاء علب الصفيح الفارغة (فإنها تلمع) . غطخوذتك بالطين أو بالدخان ، وألصق بها ورق الشجر ولاسيما إذا كنت خلف شجرة . انظر من خلال الشجر ، لا من فوقه ، وتحرك ببطء ولا تثب » .

« كن صبورا . وذلك ليس من طبع الأمريكيين ، ولكنه يفيد . استرح ونم كلما استطعت ، وكل كلما استطعت ، وعلى قدر ما تستطيع ، فربما كانت فرصتك التالية أبعد مما تظن » .

وقد كان الفدائيون من أبرع من يحتال فى طلب الطعام فى أوربا ، إذ كانوا يحصلون على الخضروات من الحدائق ، ويصيدون الغزلان من الغابات ، وينالون الطعام من الفرق الأخرى بالمقايضة فى مقابل الهدايا التذكارية ــ كمسدسات لوجر ، والصلبان الحديدية ، والأعلام ذات الصليب المعقوف ــ وقد كانوا يغنمون منها الشىء الكثير .

وفى إحدى المناوشات جرح ٥٤ من الفدائيين ، فظل ٤٠ منهم يواصلون القتال . وكان رجال الإسعاف الطبى يرافقون الجنود حاملين على ظهورهم مقادير من بلاسما الدم ، والبنسلين ، والسلفا ، والجبائر ، والأربطة وبعض أدوات الجراحة .

وقد كان الفدائيون الأمريكيون يقاتلون خيرة جنود العدو ، إلى جانب خيرة جنود الحلفاء ، كالفدائيين ورجال الآلايات الحرس من البريطانيين ، والمقاتلين الفرنسيين الإفريقيين ، وصفوة الوحدات الأمريكية القديمة . وكانوا قد دربوا للهجمات السريعة دراكاً كضربات الخناجر ، ولكنهم جُمعوا وقتا ما ، بسبب الحاجة إلى الجنود ، فرقة عادية من المشاة .

وهكذا جاءت خاتمتهم الحزينة الفاجعة ، فقد كانوا أول من نزل إلى البر فى (أنزيو) فكتب عليهم أن يقضوا ست ليال بلا نوم تحت وابل من النيران ، ثم تلقوا الأمر أن « ازحفوا إلى تشسترنا ، وأشعلوا من نار جهنم فى كل ما تستطيعون ! »

وكانت تشسترنا قرية حمراء السطوح ، تقع على أرض مرتفعة على طريق آبيوس ، وقد كان النازيون فى أشد الحاجة إلى التمسك بها . وكانت حاميتها من جنود المظلات الجدد الذين لم تفتر قواهم ، فكان الفدائيون يقولون مازحين : « إنهم زهرة الجيش الألمانى ، ولكننا سنقطفها » ، وكان الفدائيون فرحين متهللين ، لأن بريداً كبيرا كان قد وصل إليهم حديثاً فمضوا فى طريقهم يغنون وينشدون الأناشيد .

وفى تلك الليلة الحالكة القارسة البرد ، ليلة ٢٨ يناير ، بدأت صفوف الكتيبتين

الأولى والثالثة من الفدائيين تنتشر فى حقول موحلة تتخللها الخنادق ، وتعترضها الغابات وكانت الخطة المقررة تقضي بأن يبعثوا من لهيب جهنم ما يجذب الألمان إلى تشسترنا ، وعندئذ تحيط كتائب المشاة بالمدينة من الجانبين وتتقدم لإنقاذهم . وكذلك تخف لنجدتهم كتيبتهم الرابعة نفسها ، قادمة من الطريق المعبد ، مارة بمجموعة من المنازل المبنية بالحجر ، تدعى (المرأة الميتة) !

وهكذا كانت الخطة ، وقد كانت بدايتها حسنة ، فلما طوى الظلام الكتيبتين الأولى والثالثة ساد السكوت . ولكن الكتيبة الرابعة لم تكد تتقدم فى طريقها حتى تدفقت النيران من المنازل الريفية . فانطرح رجال الجبال أرضاً وظلوا يتسمعون ، وقد تبين حينئذ أن عدد الألمانيين كان أكثر مما قدر رجال المخابرات .

ثم سمعوا نيران المدافع تدوى من تشسترنا ، ويعلو ضجيجها يميناً ويساراً ، حيث كان مفروضاً أن يقوم المشاة بالتطويق . كان العدو قد أحاط بالكتيبتين الأولى والثالثة — وكان رجاله من جنود المظلات ، ومعهم أسلحتهم الأوتوماتيكية ، ونخبة رجال فرقة مدرعة ومعها دباباتها ومدافعها من طراز ٨٨ مليمتراً . وظل الفدائيون على هدوئهم واعتمدوا على تفكيرهم ، واستطاعوا بشتى الحيل التى حذقوها ، مستعينين بالخناجر الصامتة ، أن يستولوا على الدبابات الألمانية ، آملين بذلك أن يكسروا حلقة الحصار المضروبة حولهم ، ولكن المدفعية الأمريكية جهلا منها بما هنالك ضربت هذه الدبابات وحطمتها .

وعندئذ تعذر على المشاة الأمريكيين أن ينفذوا إلى البلدة من اليمين أو اليسار ، لأن مدافعهم المتحركة اصطدمت ببعض الألغام . وراح الأمريكيون المحاصرون يدافعون عن موقفهم بشتى الأساليب التى حذقوها فى إطلاق الرصاص ، وجعلوا كل رصاصة رصاصة قاتلة ، ولكن جنود المظلات كانوا عشرة بإزاء كل واحد من الفدائيين ، فكانت أنباء الإصابات الفادحة التى مزقت الكتيبتين الأولى والثالثة تقع فى نفوس الجنود موقع المأساة ، وهى تبلغ إليهم بالتلفون اللاسلكى .

وصاحت الكتيبة الرابعة قائلة : « اثبتوا إنا قادمون ! » ثم ألقوا بأنفسهم على « المرأة الميتة » فمات منهم عدد كبير ، وقتل من قوادهم خمسة أو ستة .

وفى تشسترنا لفظ الراديو التلفونى بصوته الأجش آخر كلماته ، قائلا : « إنهم يضيقون علينا الخناق ، ولكنهم لن ينالونا بثمن بخس ! » .

أما الذين أسرهم الألمان أحياء ، فكانته

ذخيرتهم قد نفدت ، وكان معظمهم مثخنين بالجراح . وكان مجموع الذين نجوا خمسة وعشرين من ثماني مئة .

وعاودت الكتيبـة الرابعـة الهجوم فكسرت حلقة الحصار الذى ضربه جنود المظلات ، بعد أن فات أوان إنقاذ الكتيبتين الأولى والثالثة ، ولكن الهجـوم جاء فى الوقت المناسب للمساعدة على إنقاذ نقطة ارتكاز أنزيوكلها من كرات النازيين .

كانت هذه هى الهزيمة الأولى ، والوحيدة التى نزلت بالفدائيين ، ولهذا قالت لهم القيادة العليا : « انكم فى حاجة إلى راحة طويلة ... فى وطنكم ! »

ولم يسبق أن أنعم على وحدة من وحدات الجيش الأمريكى بمجموعة من الأوسمة كالتى يحملها الـ ١٩٩ الذين ظلوا منهم على قيد الحياة ، فهم جميعاً يحملون وسام « المشاة المقاتلين » . وهناك من الأوسمة « القلب القرمزى » تنويها بكثرة الجراح ، ويحمل كل رجل من الفدائيين وسام التنويه من رئيس الجمهورية ، وهو أزرق مذهب الحافة — وهو الوسام الوحيد الذى يحمله جنود الولايات المتحدة على الصدر من الناحية اليمنى . وهناك أوسمة صليب الخدمة الممتازة ، والنجوم الفضية ، والأوسمة البريطانية والفرنسية والروسية . والفدائيون يفاخرون الجميع بأكبر مجموعة من التنويه الرسمى بتعاونهم فى القتال .

وقد تمزق الآن شمل الفدائيين الأصليين ، فرجالهم وضباطهم يعملون فى التدريب فى عشرات من المعسكرات ، ولكن هناك وحدات أخرى من الفدائيين الجدد ، وستحتفظ بالاسم القديم والتقاليد القديمة . ويعلم الفدائيون الأصليون اليوم أنهم بلغوا ذروة مجدهم الحق فى الصيف الماضى ، حين اندفعت جموعهم إلى الشواطىء الملتهبة ، وحين كانوا يتسللون ليلا إلى خطوط الأعداء ، فقد أثبت هؤلاء الجنود أنهم لا يضارعون فى القتال فرداً فرداً .

ويقول الفدائيون الذين عملوا فى معسكرات التدريب : « كل جندى من جنود الولايات المتحدة يتلقى اليوم تمرينات للقتال لا كالتى كنا نتلقاها نحن ، بل خيراً منها . وهم ليسوا جنوداً وحسب ، بل كلهم الآن من الجند الفدائيين » !

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

لقد أنعم الله على النساء بشىء كثير من القوة والسلطان ، فكان من إنصاف القانون أن منحهن حقوقاً قليلة .

[صموئيل جونسون]

سنة مع العالم

فريسنج فوستر

مقتطفات من مجلة "كوليرز"

تستخدم السفن الحربية البريطانية الآن طريقة إيڤ للتنفس الصناعى ، إذ كانت خير طريقة لإنعاش من كادوا يموتون غرقاً . فيلف الغريق فى بطانيات ، ويوضع على وجهه على نقالة ، ويربط رسغاه وكعباه إليها ، ثم توضع النقالة على عمود أفقى وتهز إلى أعلى وأسفل على ميل مقدار زاويته ٤٥ درجة فى كلتا الناحيتين ، ويفعل ذلك اثنتى عشرة مرة فى الدقيقة ، فيستعيد الغريق حركة الشهيق والزفير بتناوب ضغط الأحشاء على الحجاب الحاجز .

☆☆☆☆

حدث منذ سنوات فى قضية جنائية بنيويورك أن عمد محامى الدفاع إلى حيلة بارعة لتفنيد ادعاء شاهد الحكومة الأول أنه خبير بتمييز مختلف الروائح ، فأتى بعشر قنينات صغيرة بها سوائل ذات روائح معروفة . ولم يستطع الخبير أن يسمى تسعاً منها ، لأن القنينة الأولى التى قدمها إليه المحامى كانت بنزيناً ، ومن شأن أبخرته أن تميت حاسة الشم فلا يمكنها تمييز أية رائحة أخرى عدة دقائق .

انقطع كثير من جرائم الأحداث فى كوفنجتن بولاية كنتكى بصدور قانون جديد يقضى بغرامة مالية تصل إلى ٥٠ ريالا يدفعها آباء الأولاد فيما دون سن السادسة عشرة ، إذا هم وجدوا فى الشارع لا يرافقهم بالغ ، وذلك بعد الساعة العاشرة والنصف مساء بين شهرى مايو وأكتوبر ، وبعد الساعة التاسعة والنصف مساءً فيما بين شهرى نوفمبر وأبريل .

☆☆☆☆

إن الأراضى التى تتكون منها الثمانى والأربعون ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت يوماً ما خاضعة لحكم دولة أو أكثر من ست دول أجنبية ، فثلاثون ولاية منها كانت خاضعة بعضها أو كلها لبريطانيا العظمى ، و٢٥ ولاية كانت خاضعة لفرنسا ، و ١٩ ولاية كانت خاضعة لإسبانيا وثمانى ولايات كانت خاضعة للمكسيك ، وأربع ولايات لهولندة ، وولايتان للسويد .

☆☆☆☆

يحكم على الناخب الذى لا يعطى صوته فى الانتخابات فى كوبا بغرامة قد تصل إلى ٥٠٠ ريال .

الشخصيات التي لا تنسى

ولستر ب . بتكين

في العقد التاسع من القرن الماضي كان هنري شيرارد يعلم اللغة اليونانية في مدرسة ديترويت العالية. ولم تكن به حاجة إلى مزاولة التعليم ، فقد كان ذا مال ، وإنما أصر على أن يعلّم لأنه يحب أن يعلم. وكان في مظهره ، كما كان في شخصيته ، من الشواذ ، وكان عبارة عن قامة مديدة غير رشيقة طولها ست أقدام وأربع بوصات تجللها ثياب سيئة ، وعلى قمتها شعر أصهب أشعث ، وكان وجهه جملة غير متناسقة من العظام والأسنان ، تومض فيه عينان زرقاوان نظرتهما النافذة تتلف الأعصاب . وكانت ثيابه خليطاً غير منتظم تعلوه طبقة خفيفة من تراب الطباشير . وكان هو على الجملة تاطورا يمشي ، أو خيالا في سراويل فضفاضة .

وكنت في السادسة عشرة حين وقعت في يده ، وكنت سريع الانطباع وتوّاقا إلى المعرفة ، فأهوى عليّ سنتين كاملتين ، كما يهوى الحداد بالمطرقة على السندان . فقد كان شيرارد من ذلك الضرب الذي ليس أندر منه بين الناس - كماليا ، لحاجته في نشدان الكمال هي نفسها كمال . وكان سبب متاعب دائمة للجنة التعليم وللمعلمين الآخرين ، لأنه يأبى أن يتسهل أو يتوسط . فقد كانت له مثله العليا الخاصة في التعليم ، ووسائله الخاصة لتحقيقها ، وكان يمضي على سَنَنه ولو اجتاز في سبيل ذلك الجحيم أو خاض غمار البحر .

وكانت وسائله المحببة إليه في التعليم ، الزراية ، والإرهاب ، وركلة في الظهر ، على أنه لم يكن يستعمل هذه الأساليب إلا بعد أن يكون الضحية قد أتيحت له كل فرصة ليتعلم ما يتلقى ، كما يصر شيرارد أن يتعلمه - على الوجه الصحيح مئة في المئة .

وفي أول يوم من أيام التلمذة عليه ، ظل شيرارد يتأملنا برزانة وقتاً طويلا . ثم قال بغاية اللطف والرقة : « تريدون أن تتعلموا اللغة اليونانية ؟ حسن ، وإنه لطموح محمود ، ولكني أرجو أن تعرفوا ما ستعانون . وسأبسط الأمر . فإني عدو الأولاد الطيبين » .

فغتّ تلميذ ضحكه ، فنظر إليه شيرارد ومضى في كلامه :

« لست أمزح ، فإني لا أحب التلاميذ الطيبين ، وإنما أحب خير التلاميذ فقط .

ولا أحب ترجمة حسنة ، وإنما أحب الترجمة الصحيحة ليس إلا .

« فأنتم إما أن تعرفوا شيئاً ، أو لا تعرفونه ، وتستطيعون أن تفعلوا شيئاً ، أو لا تستطيعون . وسأبذل غاية جهدى لتعليمكم اليونانية ، ولكن هذا يضطرنى إلى أن أحرص على أن تبذلوا أنتم غاية جهدكم فى تعلمها .

«والآن أنتقل إلى الطريقة: يجب عليكم فى كل يوم أن تبلغوا غاية الإجادة ، فتنطقوا نطقاً سليما ، وتترجموا ترجمة دقيقة .

«ولكى أساعدكم على بلوغ الكمال سأحتم أن تكتبوا على السبورة صواب كل غلطة عشر مرات ، فإذا وقعتم فى الخطأ مرة أخرى، بعد أن عالجتم أمره على هذا النحو، فسأكلفكم أن تكتبوا التصحيح مئة مرة . والآن فلنشرع فى تعلم اللغة اليونانية » .

وهكذا بدأ عامان فاصلان فى حياتى ، وقد حركت نفسى طريقة شيرارد ، لأنه إذا استطاع الإنسان أن يكون كاملا ولو فى شىء صغير ، أفلا يمكن أن يكون كاملا فى غيره ثم فى غيره ؟ وعلى الأيام قد يصبح المرء كاملا فى أشياء كثيرة . وأخلق بهذا أن يكون مدهشاً .

وكان التلاميذ الآخرون يذهبون إلى « الفصل » وهم ينتفضون فرقاً ، أما أنا فكنت أذهب كأنى ماض إلى حلبة مصارعة ، لأرى الضحايا يلقى بهم إلى الأسود ، فإذا هجم الأسد على ، تبسمت ، فيغمز الأسد بعينه ، فأعلم أنى على الطريق السوى .

وكنت أحياناً بعد أن أملأ السبورة جملا ، لتصحيح نبرة أخطأت فيها ، أمسح كل ذلك ثم أكتبه كله من جديد ، فكان عملى هذا يترك الأسد مبهوتاً ! وما ظنك بمن تكلفه كتابة شىء عشر مرات فيكتبه عشرين مرة ! فكيف لو علم الأسد أنى كنت أعود إلى البيت فأملأ صفحات من ورق اللف بجمل يونانية لا لشىء سوى أن أغلبه فى ميدانه .

وكان يضع علامة بالقلم الأزرق على أيسر غلطة فى الأوراق التى نقدمها إليه كل يوم ، ويكتب تنديداً فظيعاً بالأغلاط الفاحشة . ولم يكن يهمل سطراً واحداً ، ويعجزنى أن أتخيل كيف كان يفعل ذلك ويقوى عليه ، ولكنه كان يفعل عاما بعد عام فى غير تردد أو اضطراب .

وفى العام الثانى شرعنا ندرس هوميروس ، وكنا نحفظ كل يوم عن ظهر قلب خمسة سطور ، وإلا . . . . وفى كل يوم ننهض وننشد الكتاب الأول ، من فاتحته إلى آخر ما وصلنا إليه فى يومنا ، فإذا وقعنا فى غلطة واحدة فى النطق كان علينا أن نبدأ

من البداية. وهذا مضن إذا كان عليك أن تعيد مئتى سطر .

ولم أكن قط أستطيع أن أحفظ نثراً أو شعراً ، وكنت أكره أن ألقى محفوظاً ، لأن شيئاً فىّ كان ينفر من ذلك ويثور عليه ، غير أن هنرى شيرارد ساقنى حتى استظهرت الكتابين الأولين من الإلياذة ، سطراً سطراً ، وجوّدتهما فى ختام العام ، وحفظت كل لفظ نطقته ، وشاع فى نفسى إدراكه والشعور به كأنما كان باللغة الإنجليزية .

أما الذين لم يستطيعوا أن يبلغوا الكمال ، فقد ساء ما لَقُوا . فكان شيرارد يقول للمقصر متهكماً : « وهكذا يا مستر جونز ، لا يبدو أنك تبالى الصفة وموافقتها للموصوف . فإذا خرجت من هنا فى هدوء يا مستر جونز ولم تظهر بوجهك مرة أخرى فلن أركلك ، ولكن أسرع يا مستر جونز . واشتغل بتفريغ البطيخ على أرصفة الموانئ ، فإن البطيخ ليس عليه أن يوافق شيئاً . والآن أخرج يا مستر جونز قبل أن أكسر لك رأسك » .

ولكن إذا كان التلميذ المسكين قد بذل غاية جهده حقاً ، فإن شيرارد يتلطف معه إلى النهاية ، فقد كان يدرك أن الإرادة أجهدت ، وأن العقل صرّ كأنه مركبة حملت فوق طاقتها . وكان يؤمن بأن الضعفاء ينبغى أن يعاملوا معاملة فيها رفق ورحمة ، فكان يبعث بهؤلاء الخيّاب فى طريق العفاء برقة ولطف ، فيضع يده على كتف التلميذ ، ويبتسم له ، ويسأله أن يزورنا أحياناً حين يكون مارًّا من هنا ، ويدعو له بالخير .

وقد حاولت الكمال ، ونجحت . فهل ربت شيرارد على كتفى ؟ هل قال : « أحسنت يا فتى ؟ » كلا . فأنت قد أحكمت شيئاً وبلغت به الكمال ، فما أسخف الثناء عليك أو عليه .

وقرأنا الأبيات الأخيرة من الإلياذة فى يوم قائظ شديد الرطوبة من يونيه ، فطوى شيرارد الكتاب ، ونظر من النافذة ، ومضى إلى الباب ، وخرج . ولم أره بعد ذلك أبداً .

ولكنى الآن ، بعد نصف قرن ، لا أزال أقيس الناس — معلمين وتلاميذ وغيرهم — بمقياسه : « إن ما يستحق أن نعمله ، يستحق أن نتقنه ، وما يستحق الإتقان يستحق الكمال » .

وقد استقر رأيى على درس الإنشاء كما درست اللغة اليونانية ، فسرعان ما فرغت ، فى دقائق معدودات ، من موضوعات يومية كان المفروض أن نقضى فيها ساعات ، وأخذت بعد ذلك فى كتابة موضوعات لتزجية الفراغ ، وعالجت طلب الكمال فى درس العبرية والعربية ،

وعلم الاجتماع . وجرب أن تجلس فى حجرة درس عادية بعد عامين من التعلم على شيرارد !

وقد وجدت طبقتين من الناس الذين لا يرضيهم إلا الكمال ، العلماء العظماء حقا ، الذين يستقصون ، ويذهبون فى ذلك إلى الرقم الخامس من الكسر العشرى ، وضباط هيئة أركان الحرب العامة الألمانية . وقد عرفت وأنا أدرس فى ألمانيا عدة جنرالات وكثيرين من الضباط الشبان ، فألفيتهم يفكرون ويحيون على نحو ما كان يفعل شيرارد . وكانوا أشداء على نفوسهم غير رحماء بها ، كما كانوا مع مرءوسيهم . فأنت إما أن تعرف أو لا تعرف ، وأنت تقدر أو لا تقدر على شىء . فإذا كنت لا تعرف أو لا تقدر ، فانصرف فما لك محل هنا .

ولما اجتاح الجيش الألمانى فرنسا تذكرت شيرارد .

وعندى أنه ينبغى أن يقع كل امرىء ، ولو مرة واحدة على الأقل ، تحت سحر رجل كمالى مغرق ، فبهذا وحده يدرك احتمالاته المدهشة ، فإن مراقبة رجل يقف نفسه وجهده وقوفاً تاما على أسمى مثل أعلى ، يكون أكثر من تربية له ، إنه يكون أشبه بإدخاله فى دين جديد ، فإن رؤية رجل عامل يكره الطيبين من التلاميذ كراهة عنيفة لأنه لا يحب إلا القادرين الحذاق ، بمثابة رؤية العالم كله فى ضوء جديد رائع . وإدراكك أن من الممكن أن يمقت المرء أن يكون العلم وسطاً ، والكفاية وسطا ، والمثل العليا فاترة ، خليق أن يشعل شيئاً فى نفسك.

إن العالم يضمحل ويفسد بسوء قيادة السخفاء الذين لا يؤمنون بالكمال وهم يسمون أنفسهم واقعيين ، غير أنهم فى الحقيقة ضحايا الخرافة السوقية عن العجز الإنسانى التام الذى لا سبيل إلى التغلب عليه . ولما كان هؤلاء القادة كما يسمون يرون أن الناس شر مما هم فى الحقيقة ، فإنهم يصبحون طلاب توسط فى الأمور ، وفرّارين من الواجبات ، أو أحراراً زائفين يتدفقون كلاماً ويشرقون بالعمل ، ويقولون معترضين : « إنك لا تستطيع أن تجعل الناس كاملين أو الدنيا كاملة » ، ولكن الناس بطلبهم الكمال لأنفسهم ، ولعملهم ولحكومتهم ، قد يجعلون كل أولئك أحسن عشر مرات مما هى الآن .

وقد أصبح معظم ما علمنيه شيرارد من اليونانية منسيا ، ولكنى لن أنسى إرادة الكمال التى كان يجيش بها كيان ذلك الرجل المضطرب الخلق . وستظل هذه النار العجيبة مضطرمة فى شعوب أخرى وأقوام آخرين ، بعد عشرة آلاف سنة من رحيلى عن الدنيا ، فإذا هى خمدت فإن خمودها يكون إيذاناً للإنسان بالعفاء .

[كشفها قلم المخابرات السرية للحلفاء ، وهى مؤامرة للقيام بمقاومة غاية في الفظاعة بعد أن تضع الحرب أوزارها] .

خطط النازي للحرب الخفية

ألن ا. ميكى + + + ملخصة عن مجلة "تريكولور"

يتوهم كثير من الناس أنه عند ما تنتهى المقاومة الألمانيــة الحربية المنظمة فى داخل ألمانيا تنتهى الحرب مع النازى ، وهذا وهم شديد الخطر ، فالكف عن المقــاومة المنظمة ســيتلوه مقاومة حرب العصابات .

والأنباء التى ظفر بها الحلفاء حتى اليوم تدل على أن النــازيين ، وقد عرفوا أن هزيمتهم ضربة لازم ، قد وضـعوا خططاً دقيقة للاستمرار فى حركتهم خفيّة حتى تلوح لهم فرصة مناســبة للقبض على مقاليد الأمور فى ألمانيا . وقد تعلم الألمان دروساً قاسية من نجاح رجال المقاومة الخفيــة فى فرنسا، وأنصار تيتو فى يوغوسلافيا،وفضلا عن ذلك فإنهم يجيدون أمثال هذه التدابير لأنهم خلال سـنوات جمهورية ويمار كان أكثر نشاطهم خفياً مستوراً .

ومن المعلومات المتوافرة الواردة من ألمانيا، يتضح لنا أن هتلر وزعماء النازية لهما خطتان منفصلتان وإن كانتا متداخلتين ، فالخطة الأولى القصـيرة الأمد هى اختيار بعض المتعصبين من رجال الحرس الأسود النازى وفرق الشباب الهتلرى لشن الغارات من غابات ألمانيا وجبالها بعد احتلال الحلفاء لألمانيا . وقد درس الألمـان بما عرف عنهم من الدقة والعناية أساليب الحرب الخفية فى البلاد المحتلة ، ودرّبت فرقتان من الحرس الأســود النازى قرابة عام على القيام بتلك الحركات ، وأنشأ هملر من شـبان جماعات الشباب الهتلرى المعروفين بالقسوة وعدم التردد ، وحدات لتتولى حرب العصابات على مثال جماعة الإرهابيين التى كانت تطوف بأرجاء ألمانيا ، وكانت تسيطر على جزء كبير منها بعد سنة ١٩١٨ . وقد خبئت مقادير ضخمة من الأســلحة والعتاد الحربى ، حتى أجهزة محطات الإذاعة ومستشفيات الميدان ومستلزمات مصانع الأسلحة الصـغيرة ، لتستعملها تلك القوات التى تقوم بأعباء المقاومة الأخيرة .

ومن المحتمل أن يختبىء هتلر نفســه ، وهو يتهيأ للقيام بدور شهيد ألمانيا الكبير ، فى إقليم لا يتيسر الوصول إليه ، ولقد أفضى إلى خاصته قائلا : « إذا اقتضى الأمر أويت إلى الجبال والتلال كما صنع أندريز هوفر » .

وعوفر هو المزارع النمساوى الذى قاد قومه من أقليم التيرول الجبلى ضد البافاريين ونابليون فى أوائل القرن التاسع عشر. ومن تلك الجبال المنيعة سيحاول هتلر — ومن المحتمل أن يكون معه رهائن من أسرى الحلفاء — أن يمثل خاتمة رهيبة للحرب التى أعلنها على العالم.

وعند ما تتمكن قوى الحلفاء الحربية من القضاء على حرب العصابات فى ألمانيا، يبدأ النازيون فى تنفيذ خطتهم الثانية، وهذه الخطة تعرف بخطة «ما بعد الهزيمة»، وهى برنامج مسهب يرمى إلى جعل ألمانيا فى حالة اضطراب وقلق يسفر فى النهاية عن ظهور النازيين باعتبارهم القوة السياسية الوحيدة الحسنة التنظيم، وسيكون هدفها التخريب والنيل من القوات المحتلة وإقلاق راحتها، حتى يعتريها الكلال، وتعمل على الانسحاب تاركة ألمانيا للنازيين مرة أخرى.

والرجال الباقون من الحزب النازى، وعددهم الرسمى فى هذه الآونة يبلغ ستة

لقد شرعت القيادة العليا الألمانية فى وضع خطط للقيام بحرب عالمية ثالثة، وقد وجدت الأدلة على تدبير مؤامرة لإعادة تشكيل الجيش الألمانى أثناء السلم القادم، فى وثيقة وقعت فى يد الحلفاء، أعدتها القيادة العليا لتوزع على أصحاب الرتب العليا من الضباط الذين يفكرون تفكيراً نازياً.

وأول كلمات الوثيقة هى: «سرخطير، هذه الوثيقة يجب أن لا تقع فى يد الأعداء»، وقد جاء فيها:

«على كل ضابط أن ينقذ نفسه عند إحداق الخطر، ومن ألزم ما يلزم إنقاذ فريق الضباط لإعادة بناء الوطن.

«وفريق الضباط الألمانيين هو الذى جعل ألمانيا فى طليعة الدول، فى المحاولة الأولى من سنة ١٩١٤ إلى ١٩١٨، وهذا الفريق نفسه هو الذى أعاد بناء ألمانيا للقيام بالمحاولة الثانية لقيادة العالم.

وقد اتضح أن هذه المحاولة أيضاً قد استهدفت للاخفاق، واتجاه الحوادث الراهن يرغمنا على عدم التفريط فى الضباط.

«ولقد كان انتصارنا الحاسم التام مؤكداً إلى أمد قريب، بحيث نستطيع أن نجدد عزيمتنا للقيام بحرب أخرى، ونحن نحتاج إلى ضباطنا لهذا النزاع الثالث على قيادة العالم، وفى جميع الأوقات قد وجدنا العدد الكافى من الجيوش.

«فمن أجل ذلك ينبغى أن نحافظ كل المحافظة على قوة فريق الضباط الراهنة، وفى الوقت نفسه يجب اختيار بعض القواد يظلوا مع الجيوش ويضحوا بأنفسهم إذا اقتضى الأمر. وهذه القدوة لازمة للمحافظة على الروح المعنوية بين الجنود. وقادة الفرق سيقومون بانتخاب من هم أقل منهم رتبة من الضباط الذين كتب عليهم أن يموتوا موت الأبطال».

[جوزيف درسكول فى هيرالد تريبون]

ملايين، سيخفون قمصانهم السود، وشاراتهم الحزبية، وأعلامهم المرسوم عليها الصليب المعقوف، وكل ما يتعلق بمظهر الحزب. وستكون المقاومة المكشوفة قليلة، ولكن الألمان الذين يتعاونون مع الحلفاء سيكون من السهل التخلص منهم، وسيختفي رجال الإدارة المشرفون من الحلفاء في ظروف غامضة، وستعمل الحركة الخفية على جعل أي حكومة تعاون الحلفاء كبش الفداء، وتلقى تبعة الهزيمة على الجيش النظامي، وبذلك تصون سمعة الحزب النازي.

وقد أعدت خطـه « ما بعد الهزيمة » بدقة بالغة، ففي الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٤٣ طهر الحزب النـازي من ألوف الأعضاء الذين كانوا موضع الشك، وشمل ذلك دعاة الهزيمة والتردد وضعاف القلوب من الأعضاء الذين انضموا إلى حزب النـازي ليخدموا مصالحهم، ثم نظمت قوة منتخبة من رجال الحزب لتكون نواة للحركة الخفية.

وقد أعدت في ميونيخ مراكز للحزب النازي الخفي، وعينت هيئة قيادة عليا من القـادة لتنظيم حركة الإتلاف والتخريب والمقاومة،ومن بين هؤلاء القادة ولهلم شبمان الذي قاد عصابة الإرهابيين في الرور أثنـاء احتلال الفرنسيين في سنة ١٩٢٣، والذي صار بعـد ذلك رئيس أركان حرب جيش العاصفة، وأرنست كالتنبرنر الذي خلف راينهارد هيدريش الجلاد بصفته أكبر عضد لهملر في الجستابو، وورنر فون ألفنسليبن الذي تخصص في الاغتيال السـياسي بعد سنة ١٩١٨، وأصبح الآن من أصفياء هتلر.

ومما ترمي إليه خطة « ما بعد الهزيمة » أن تعمل على ألا يقع في قبضة الحلفاء أحد من رؤساء الحزب وأعضـائه، وقد وضع هملر بعض رجاله في معسكرات الاعتقـال مقدراً أن الحلفاء سيطلقون سراحهم على أنهم من أعـداء النازية، وقد أعدت بعناية سجلات زائفة لضحايا النازيين «هؤلاء»، وأعلنت وفاة بعض صنائعهم، وهم في الواقع قد نقلوا إلى نواح أخرى مزودين بأسمـاء جديدة وأوراق تحقيق شخصية، وفي بعض الحالات لجأ ضباط الجستابو الذين أعدّوا للعمل في الخفاء، إلى الجراحة ليخفوا ملامح أشكالهم.

وقد أصبح معروفاً أن الألمان قد شرعوا في جمع ثياب جنود الحلفاء، وخاصة من قتلى الإنجليز والأمريكيين، لتمكين النازيين المتنكرين من الاختلاط بجيوش الحلفاء المحتلة. وتدل المعلومات التي وصلت إلى الحلفاء حتى آخر سبتمبر، على أن ما لا يقل عن ١٠٫٠٠٠ من أعضاء الجستابو قد غيروا شخصيتهم، وعمـدوا إلى العمل في

مراكز بألمانيا بعيدة عن إثارة الشبهة .

وحينما يسود السلام سيتقدم هؤلاء الرجال ليكونوا زعماء جماعات الشباب والهيآت الدينية وأوساط المشتغلين بالمسائل الفكرية ، ويظهرون بمظهر الديمقراطيين الناقمين على النازية ، أى بمظهر « الألمان الصالحين » ، وسيعملون من وراء ستار على تنفيذ خطة « ما بعد الهزيمة » التى ترمى إلى جعل المراكز السياسية المهمة فى أيدى الحزب .

وقد وضعت مبالغ من النقود فى مصارف البلاد المحايدة ليصرف منها على إحياء النازية ، وخبئت فى أماكن أمينة تلك الخطط الخاصة بالأسلحة السرية التى تعمل فى غضون سنوات المقاومة الخفية . وسيكون على رأس الحركة النازية الخفية جستابو متطرف أسمى من جستابو هملر ، وقد اختير أعضاء لذلك النظام من بين أشد النازيين تعصباً ، ويرأسه الجنرال أرنست هايسمير وهو قاتل ناعم الملمس خفى الفتك ، وقد نجح فى تجنب الظهور ، حتى أن أكثر أعضاء الحزب النازى لا يعرفون سوى اسمه .

وقد كان هايسمير قديماً أحد أعضاء عصابة الإجرام السياسى ، وبعد حادث مؤامرة إلقاء القنبلة فى ٢٠ يوليو ساعد هتلر على معرفة القواد الذين يضمرون العداء للزعيم ، وفى أوائل سنة ١٩٤٤ كان هايسمير قد أتم تأسيس ما لا يقل عن خمسين مدرسة لتدريس التخريب والتدمير ، وسينظم خريجو هذه المدارس الإرهاب فى المراكز المهمة .

والتفكير فى هذا المستقبل الذى ستظل فيه الحرب قائمة على ساق وقدم ، ليس أمراً يسر ، فإن النازيين سيعرفون بالتجربة أن قوة الجيش المحتل محدودة ، وأن حركة المقاومة إذا أحسن تنظيمها تستطيع أن تفعل شيئاً كثيراً فى إبطال جهوده . وبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت المقاومة المسلحة فى داخل ألمانيا بين جماعات منتثرة موزعة ، ولم تكن فى أغلب الأحيان متضامنة متعاونة ، فمنهم رجال الجيش السابقين الذين لم يكن لهم عمل ، وأعضاء من هيئة أركان حرب الجيش الألمانى ، وبعض أصحاب مصانع الأسلحة الحربية .

وفى هذه المرة ستكون حملة الحرب فى زمن السلم ، التى سيتولى أمرها النازيون ، أشد خطراً وأبلغ أثراً ، لأنها قد أعدت وقدرت تقديراً دقيقاً قبل أن تصبح الهزيمة أمراً واقعا ، ولن يكون فى العالم سلام إلا إذا أصر الحلفاء على احتلال ألمانيا احتلالا تاماً حتى تخمد آخر أنفاس النازية المحتضرة .

****

وليم پن

رائد الديمقراطية



بجني العالم نفعاً عظيماً إن هو تأمل آراء مؤسس ولاية بنسلفانيا

دونالد كلروس بيتي

منذ ثلثمئة عام ، ولد رجل آراؤه حديثة حتى أن العالم قد بدأ الآن يأخذ بطائفة من خيارها . وقد مات قبل أن تولد الولايات المتحدة الأمريكية بسبعين عاماً ، ومع ذلك كان هو أول من اقترحها . ولم يقتصر على الحض على إنشاء اتحاد من المستعمرات الأمريكية ، بل جاوز ذلك إلى وضع مشروع لعصبة من الأمم . وقد قامت بنسلفانيا — أكثر المستعمرات الأصلية رخاء — على ثروة هذا الرجل الشخصية ، وإيمانه بالمبادىء الديمقراطية الكبرى التي اشتمل عليها إعلان الاستقلال الأمريكي والدستور ، وإن كان قد تقدم به الزمن فلم يذيل باسمه لا هذا ولا ذاك . ويقول المؤرخ جون فيسك إن « وليم پن » كان أعظم مؤسسي الأمة الأمريكية .

وهو ابن « كلب البحر » الأميرال السير وليم پن ، وقد ولد في سنة ١٦٤٤ في ظل برج لندن — وهو ظل قاتم ، ورمز للسلطة الاستبدادية ، وكان الناس يزج بهم في السجن هناك لا لشيء سوى اعتقاداتهم المخلصة . وقد كانت مبادىء هذا الشريف الثرى هي التي أفضت به إلى السجن في البرج ، وهو لما يناهز الرابعة والعشرين من عمره ، فقد كان من أتباع مذهب الكويكر المضطهدين ، على أنه لم يكن يتكلم كعضو في جماعة الأصدقاء فحسب حين طالب بحرية الكلام وحرية العبادة ، بل فعل ذلك كصديق أيضاً لجماعة الأحرار في كل مكان .

وبسبب عقيدته طرد پن من جامعة أكسفورد ، ونفاه أبوه عن البيت بعد أن أوسعه ضرباً ، ولكن لا هذا ولا تسعة شهور من السجن الانفرادي تقريباً ، صدّه ، فراح يضرب في الجزر البريطانية وهولندة وفرنسا وألمانيا ، ويجتذب جموعاً من ألفين أو ثلاثة آلاف معظمهم ليسوا من مذهب الكويكر ، وإنما كانوا رجالا يبتغون حقوقهم الضائعة ، وقد أحسوا أن صوت

پن القوى هو نفير الدعوة إلى الحرية . وقد حدث ذات يوم فى لنـدن ، أن وجد پن وأتباعه أن مكان اجتماعهم قد أوصده الجند فى وجوههم ، فصلى بالجمع فى الشارع ، فألقى عليه القبض وقدم إلى محكمة أولد بيلى متهماً بعقد اجتماع غير مشروع ، من شأنه أن يؤدى إلى الفتنة والتمرد .

فسـأله القاضى المقطب المجـلل الرأس بالشعر المستعار ، السير وليم ستارلنج محافظ لندن : « هل تعترف بأنك مذنب ، وأنك ارتـكبت ما تتهم به ؟ » .

فكان الجواب الذى قذفه به پن الشاب : « ليت المسألة هل أنا مذنب أو لا ، وإنما هى هل هذا الاتهام قانونى ! » .

وأعلن فوق الضجـة التى تلت ذلك أن قانوناً يحرم الإنسان حقه الثابت له فى إطاعة ضميره ، لا يكون شرعيا .

فصاح المحافظ : « أخرسوه ! ضعوه فى القفص ! » وبينما كان المحلفـون يُلـقنون ما مؤداه أن يصدروا قراراً بالإدانة ، وضع پن فى القفص كرهاً كأنه وحش .

فصاح پن بالمحلفين : « أنتم إنجليز ، فاحرصوا على امتيـازكم ، ولا تتنزلوا عن حقكم ! » .

فقال مقدمهم : « لن نفعل أبداً » .

وعاد هـؤلاء الاثنا عشر من الرجال الأخيار الصادقين وهم يرجفون ، ولكنهم مصممون ، وأعلنـوا أن پن لم يرتـكب جريمة ما . فهددهم القاضى المحنق بأن يجدع أنوفهم ، وردهم إلى حجرة المشـاورة بلا طعام أو وقود حتى يغيروا رأيهم ، ولـكن هذا لم يثن من عزيمتهم ، وبعد خمسة أيام انهزم القاضى فحبس المحلفين والمتهم فى سجن نيوجيت بتهمة احتقار المحكمة . فدفع والد پن — وكان فى سياق الموت — الغرامة عن ابنـه . وقاضى المحلفون القـاضى لأنه قبض عليهم بغـير وجه شرعى ، وكسـبوا الدعوى . واليـوم يقوم نصب فى موضع محكمة أولد بيلى تذكاراً « للمحاكمة الكبرى فى سبيل حرية الضمير » .

وقد دخل پن السجن خمس مرات بسبب آرائه الدينية والسياسية ، وكان فى كل مرة يزداد قوة . وبينما كان يفكر ويكتب أعظم كتبه داخل جدران السجن ، صارت آراؤه أكثر وضوحاً ، وإرادته كالسيف المصقول ، وذاع صيته ، وأصبح ضحيـة عزيزة لا على أتباع مذهب الكويكر وحـدهم ، بل على جميع محبى الحرية فى كل مكان .

ولما كان پن قد ولد وشب فى بيئـة الأشراف والمناصب العالية ، ورحل إلى بلاد كثيرة ، وتعلم لغات عدة ، فقد كان يغشى بلاطات أوربا بغير كلفة ، ويحادث بطرس

الأكبر كأنه ندٌّ له ، ويشعر كأنه فى بيته حين يقضى الليل فى كوخ سقفه من قش . وقد استمع إلى حديثه أربعة ملوك لبريطانيا على التوالى — شارل الثانى ، وجيمس الثانى ، ووليم أمير أورانج ، والملكة آن — واستطاع بتأثيره أن ينقذ عشرات من الناس من السجن العرفى ومصادرة أملاكهم بغير حق . وأنقذ ، بطريقة غير مباشرة ، آلافاً آخرين بفضل المبادىء التى يؤيدها .

وكان پن ، على خلاف كثير من الثاليين ، لا يتحرج أن يخوض غمار السياسة المحلية ، فألقى بنفسه فى معمعة الانتخابات العنيفة المضطربة ، وكان يعلم أنك لا تستطيع أن تفوز بحكومة صالحة بغير سعى لذلك ، ولم يقصر إلا بعد أن أخفق مرتين من جراء التزوير فى الأصوات ، فنفض يده من إنجلترا واتجه بخواطره إلى ما سماه « التجربة المقدسة » ، يعنى تأسيس جماعة جديدة فى أمريكا .

وكان پن قد ورث ديناً قدره ١٦٫٠٠٠ جنيه اقترضها الملك شارل الثانى من أبيه ، فالتمس من الملك أن يقضيه إليه ، وأن يمنحه أرضاً فى العالم الجديد يجد فيها هو وإخوان آخرون معاذاً لهم . واغتبط الملك المرح بأن يتخلص من دين قديم ومذهب جديد ، فأقطع پن رقعة فسيحة إلى الغرب من نهر ديلاوير ، تكاد مساحتها تبلغ مساحة ولاية بنسلفانيا الحالية ، وتقارب إنجلترا فى السعة ، ولا يسكنها إلا القليلون من الهنود والسويديين والهولنديين والإنجليز ، وليس فيها حكومة مستقرة .

وهكذا فى صباح يوم جميل من شهر أكتوبر سنة ١٦٨٢ انسابت السفينة « ولكم » إلى خليج ديلاوير كأنها أوزة متعبة ، ونزل پن إلى البر فى مستعمرة نيوكاسل الصغيرة ، واستقبل الوفد الذى حمل إليه « قدحاً فيه قطرات من ماء النهر ، وحفنة من تراب الأرض ، وعود أخضر » . وبهذا الرمز استحوذ على الأرض والنهر والغابات ، غابات پن ، أو بنسلفانيا كما أصر مستأجروه المخلصون أن يسموها .

وكانت شواطىء « الشويلكيل » تضطرم فيها ألوان الخريف ، حين رسا زورق پن عند الموضع الذى بنى فيه عاصمته . ويشهد له بحسن اختيار الموقع أن فيلادلفيا اليوم هى المدينة الثالثة الكبيرة فى أمريكا ، وأقبل على تخطيط الشوارع وتسميتها — برود ، شستنت ، سبروس ، باين — بمثل حماسة الصبى ، فى رقعة مساحتها ١٠٫٠٠٠ فدان ، وقد عده الرجال العمليون خيالياً ، فخفضوا المساحة إلى ١٢٠٠ فدان ، لأنهم عجزوا عن أن يتكهنوا بأن تجاوز فيلادلفيا فى خلال قرنين ، أشد أحلام پن شططاً ، وأمر پن بأن

يكون كل بيت مبنيا فى ساحة رحيبة ، وأن يكون كل شارع عريضاً وعلى جانبيه الأشجار.

ومع أن پن أصبح مالكا لما وهبه الملك، إلا أن ذمته أبت له إلا أن يدفع إلى الملاك السابقين ثمن أرضهم كاملا ، واشترى الأرض مرة أخرى فضلا عن ذلك من الهنود ؛ وذهب بنفسه غير مسلح لمقابلة قبائل السسكويهانوكس المصبوغى الوجوه والشونيز المائلى العيون ، واللينى لينيب ذوى السمت والوجاهة . وقد عاش الهنود وأتباع مذهب الكويكر سبعين عاماً فى وئام ، وذلك رقم قياسى فى تاريخ الحدود الأمريكية المضطرب.

ووضع پن نفسه وثيقة الدستور لمستعمرته، فصار لكل بالغ من الذكور صوت ، بغض النظر عن الملكية أو الكنيسة التى ينتمى إليها ، ومنحت الحرية الدينية المطلقة لكل قادم . وفى ذلك العصر الذى كان فيه القانون الإنجليزى ينص على ٢٠٠ جريمة عقوبتها الإعدام ، قصر پن عقوبة الإعدام على جنايتى القتل والخيانة العظمى ، وألغى الحبس كعقاب على الإعراب عن الرأى أو عدم قضاء الدين ، ومحى التفريق بين الأجناس .

ثم أقام پن المحاكم ، فإذا كان المتهم من الهنود ، وجب أن يكون نصف المحلفين من الهنود الحمر . وعرضت قضية سحر ، وآذنت الخرافات الأوربية القديمة بأن يذر قرنها كما حدث فيما بعد بولاية ماساشوستس ، ولكن لما اعترفت العجوز بأنها ساحرة قال لها پن : إنه لا يعرف قانوناً (سوى قانون الجاذبية) يمنعها أن تركب مقشة وتطير بها فى الهواء ! وهكذا عصف الضحك بالقضية .

وبعد أن قرر حرية الكلام وحرية العبادة ، سعى پن جهده ليجعل التحرر من العوز ممكناً ، فجاهد جهاداً متواصلا ليجعل مستعمرته كافية لأهلها، غنية بأطايب الحياة. وجيء بأصحاب الحرف الحاذقين والفلاحين من أرض الرين ، فساعدوا على أن تصبح بنسلفانيا أعظم الولايات المستعمرة إنتاجاً . وتقدمت بسرعة صناعة السفن والخشب ، وارتقت المطاحن والمصانع وتجارة الفرو

وكان نظام التعليم أرقى فيها منه فى أى مستعمرة أخرى . وكان من أول ما عنى به پن إنشاء مدرسة ، ولا تزال مدرسة پن المنشأة عرسوم موجودة إلى الآن . وكان پن يرى أن الفقراء ينبغى أن يتعلموا بالمجان ، وأن الموسرين يجب أن يؤدوا نفقات المدارس . وكان يقول إن اللغات الميتة ، وكتب البلاغة والمحفوظات ، تجعل الناس أشبه بالكتب ، وإن بأمريكا حاجة إلى رجال حقيقيين يقدرون أن يعملوا ويفكروا مستقلين . وكان لا ينفك يقول : « ليس المهم ما تتركه لبنيك ، بل كيف تتركهم » .

وكان پن ينوط أمله فى الإنسانية بالجيل الناشىء ، وكان له من البنين ١٤ ، سبعة من كل من زوجتيـه . وكان يطيب له أن يلعب مع بنيه وحفدته على نحو كان خليقاً أن يدهش الذين لا يعرفون إلا أنه «الكويكر» الوقور أو رجل البلاط المصقول .

وبنى پن على مقربة من بلدة تيليتسون الحالية ، وعلى مسافة عشرين ميلا شمال فيلادلفيا بالزورق ، « داره المحبوبة » — بنزبرى — وهى عبارة عن مسكن ذى طبقتين ونصف طبقة من الآجر ، له مداخن جميلة ، وجدران مغطاة من الداخل بالخشب ، تحف بذلك الحدائق والماشى الظليلة . وهنا كان يرجو پن أن يحيا حياته ، ولكنه اضطر أن يقيم مدداً متطاولة فى إنجلترا ليحمى مصالح مستعمرته .

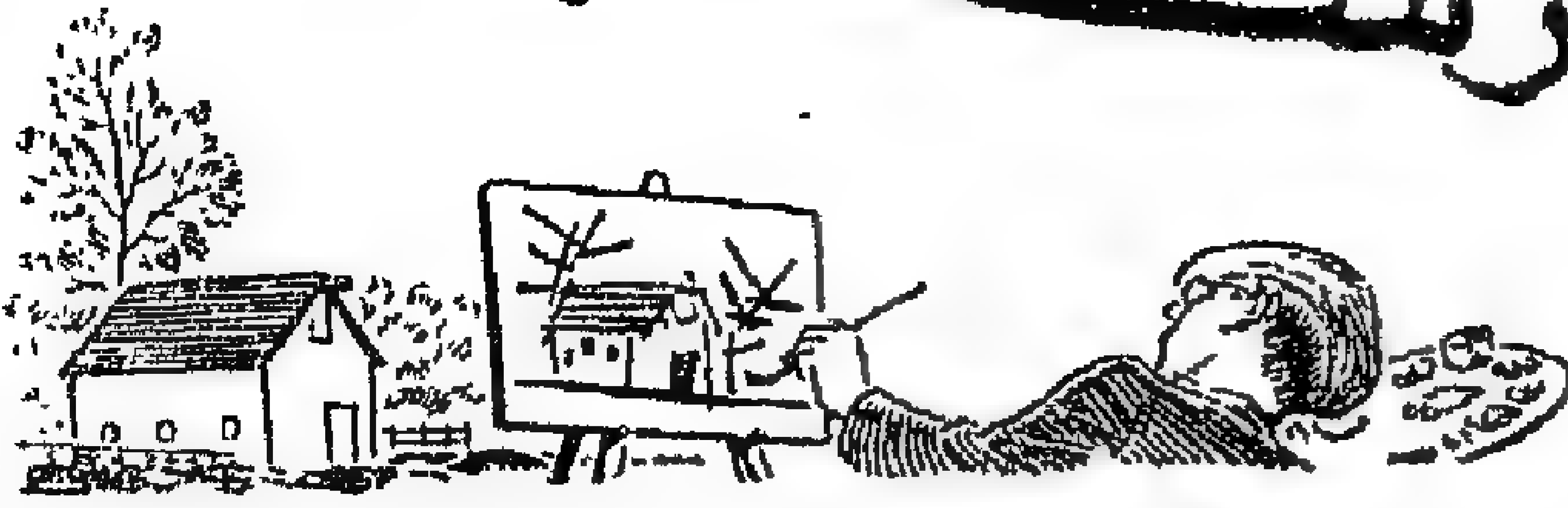
ولم ير پن ، بنز برى بعد عام ١٧٠١ ، وترك بنوه الدار تخرب ، حتى كانت سنة ١٩٣٤ فجددتها لجنة بنسلفانيا التاريخية ، وقام علماء الآثار بالتنقيب ، فأخرجوا من الأرض آجر الموقد ومحاور الأبواب . وكان پن قد احتفظ بكل الرسوم وبكل دقيقة من تفاصيل البيت ، فاستطاعت اللجنة فى سنة ١٩٣٩ أن تفتح أبواب « بنز برى » وقد عادت الدار كما كانت تماماً ، وإن كانت إعادتها قد كلفت ٢٠٠,٠٠٠ ريال ، أو نحو عشرة أضعاف ما كلف پن بناؤها .

وقد عادت شهرة پن فبعثت من جديد ، ومع ذلك كانت حياته تبدو كأنها انتهت بالخيبة ، فقد تعددت فى إنجلترا المصاعب المالية والسياسية ، ونزعت منه ضياعه ، وسجن زمناً من أجل ما عليه من الديون . وفى إحدى زياراته لإنجلترا اتهم بالخيانة لأنه كان قد كتب رسالة بريشة إلى الملك جيمس الثانى المنفى ، وما أنجاه من السجن إلا اختفاؤه سنتين .

وفى سنة ١٦٩٣ ، وفى هذه الظروف المثبطة ، أظهر پن الذى لم يقنط قط من الإنسانية او قدرتها على حكم نفسها بنفسها ، آخر ومضة من عبقريته . فقد وضع رسالة سماها « فصل فى سبيل السلام الأوربى فى الحاضر والمستقبل » ، وكانت هذه الوثيقة هى الجهد الذى ساهم به پن ولم يلتفت إليه أحد ، لتحرير العالم من الخوف . والذى اقترحه هو فى الواقع — بعبارة بسيطة رفيعة — إنشاء ولايات متحدة فى أوربا تتعهد كل دولة فيها بأن تعرض نزاعها مع أية دولة أخرى على هيئة تحكيم عالمية ، وتتحد جميع الدول على الفور لسحق المعتدى . فالحق أن العالم سيكون عليه أن يخطو خطوات عظيمة ليدرك هذه الروح النبيلة التى خرجت فى سنة ١٧١٨ من حدودها الأرضية .

ألا تستطيع أن ترسم خطاً مستقيما ؟
إذن فإليك أصلح هواية — ارسم بالزيت !

تعال وارسم !



جوزيف الجر

ملخصة عن مجلة "ريكريشن"

« أن بلغ الإنسان الأربعين دون أن يتناول قط فرشة أو يعبث بقلم رصاص ، ثم ألفى نفسه فجأة قد انغمس فى ضرب جديد قوى من العمل والاهتمام بالألوان وألواحها ، ولوحات الرسم ، ولم يثبطه ما ينتجه ، فإن هذه تكون تجربة مدهشة وافرة الخير . وإنى لأرجو أن يجربها الغير » .

هذا ما كتبه ونستون تشرشل منذ اثنتى عشرة سنة . وما زال هاوياً متحمساً حتى لقد حمل فرشته معه إلى الدار البيضاء ، وبعد انتهاء ذلك المؤتمر التاريخى اختلس يوما ليرسم .

ولم يكن المستر تشرشل يتكلم لغواً ! فإن رسم الصور مسلاة ، وهو شىء يدخل فى وسعك ، وكل إنسان يستطيعه . والتصوير هواية تضمن لك أرباحا عظيمة من النشوة ، وهى الهواية الوحيدة المعزولة عزلا تاما عن تطفيل الضجر . وهى جواز سفر صحيح إلى عوالم جديدة بهيجة من الملاحظة ، تستطيع بفضله أن تستمتع حقاً لأول مرة بكل شىء من « تاج محل » إلى فنجان من الصفيح . وتظل الصور التى ترسمها مذكراً مقوياً للعزم ، بأسعد لحظات حياتك .

وخير ما فى هواية التصوير أنها غاية فى السهولة ، فليس من الضرورى أن تحسن الرسم ، فإن التصوير بالزيت أسهل ضروب الفن .

وعسى أن تسأل : « وما قولك فى الرسم بالألوان المائية ؟ » .

وقد أحسنت بإلقاء هذا السؤال ، لأنه يفضى بنا إلى نقطة مهمة جدا . ذلك أن الألوان المائية يجب أن تنبذ !

والألوان المائية فى أيدى الهواة لاتكون إلا ضعيفة ، ومحاكاة باهتة لبدائع الطبيعة المتألقة . وهى صعبة التناول : تسيل ، وتسيح ، وتطمس . ترسم السماء ، فتدرك بسرعة أن الرسم أحلك مما يجب . فات الأوان ! ولا تستطيع أن تصلح شيئاً .

فمهما يبلغ من إعجابك بالألوان المائية التي رسمها الاخصائيون ، فإن عليك أن تجتنب رسمها .

والآن فلنأت بشيء من الزيوت ولنشرع في التصوير . وسنجد القوم في دكاكين أدوات التصوير ، ظرافا لا يدعون جهداً في مساعدتك ، وقد ألفوا المبتدئين وأسئلتهم . وفي وسعك أن تشترى كل الأدوات التي تحتاج إليها بثمن يسير ، وربما استحييت أن ترتدى قميصاً ، غير أنه يحسن بك أن تلبس ثياباً قديمة ، وأن تهيء إلى جانبك كثيراً من الخرق ، فإن قطرة قرمزية من الزيت لا يروق منظرها على ثياب جديدة .

واذكر أنه ليس عليك أن ترسم لتصور ، فإن أثر التصوير يحدث على الأكثر بالألوان . فكل ما تحتاج إليه هو بضعة خطوط لتعيين الشكل العام .

وأنت تريد مثلا أن تصور هذا البيت العتيق الجميل . حسن . خط عمودي واحد (ويحسن أن تستعمل الفحم) يعين زاوية البيت ، وخط آخر يحدد القاعدة ، وخطان لجذع الشجرة ، وغصن أو اثنان ، ثم خط للأفق . وهذا كل شيء ! فلا أوراق شجر ، ولا أكر أبواب ، ولا قطط ، ولا أزهار . ذلك أن التصوير هو المسلاة ، وكل وقت يضيع في التفاصيل الدقيقة ، يكون مدعاة للأسف .

وقد وافتك اللحظة العظيمة . وسرعان ما تصبح على حال من النشوة والثقة بالنفس بحيث لا تتقبل مشورة أحد . فاسمع كلمة واحدة قبل فوات الأوان : أعمل يدك بالألوان ، إن هذه ليست ألوانا مائية غدارة واهية ، وإنما هي زيوت متينة مرنة طيعة معوان . وما من شيء تصنعه إلا وفي وسعك أن تمحوه بجرة أخرى من الفرشة ، وكلمة أخرى : توخ أن يكون كل شيء كبيرا ، فإذا كان صغيرا على فرشة متوسطة ، فلا تضعه في الصورة .

والآن اعصر قليلا من اللون على لوحك واعصر قدراً كبيراً من اللون الأبيض ، وألق نظرة على هذه السماء ، ولنفرض أنها صافية لا غيم فيها ، وهي زرقاء حقا ، ولكن زرقتها ليست كزرقة قميص عمك إدوارد خذ بطرف السكين قليلا من اللون الأبيض وضعه على اللوح . والآن حاذر ! خذ قليلا جدا من اللون الأزرق وامزجه بالأبيض حتى لا يبقى فيه عرق . أليست زرقته كافية ؟ حسن . خذ قدرا يسيرا آخر . رضيت عن النتيجة ؟ اغمس الفرشة في زيت التربنتين (النفض) ثم في اللون وصور به ، بجرأة — لا يشق عليك أن ينتثر منه شيء في البيت .

والبيت أحمر ، ويبدو أن القرمزى والأبيض يخرج منهما اللون الموافق للجانب

الشمس . وقليل جدا من الأسود والأزرق يصلحان ممتزجين لتصوير الجانب الظليل . والحشيش الذى تقع عليـه الشمس أخضر ذهبى — فله الأصفر مع قليـل من الأزرق وبعض الأبيض . أما فى الظل فالخضرة أخضر ، ولهذا نضيف كثيراً من الأزرق .

وتكون الآن قـد صورت بعض ساق الشجرة ، ولـكن لا تدع هذا يقلقك ، فإن التصحيح هين ، وهو مبعث سرور عنـد التصوير . وما عليك إلا أن تمحو أغلاطك بحد السكين ، ثم تمسح مكانها بخرقة ، أو تدع كل شىء يجف (وهـذا يستغرق من يوم إلى ثلاثة أيام) ثم تصور فوق ما كنت مصوراً من قبل .

والآن تقهقر عن اللوح خمس خطوات أو ستاً ، وألق نظرة . يبدو أنه بدأ يتخذ شكل شىء ما ، أليس كذلك ؟ وهذه ، مع ذلك ، أول تجربة لك ! لقد أصبحت واقفاً على قدميك من الآن فصاعدا . غض مع التحديق ، وتبين أى لون ترى ، ثم جرب حتى تحصل عليه . وانس ، وأنت تصور ، كل ما سمعت من قبل من الأوصاف التقليدية للألوان . هـذا التل البعيد يبدو الآن أرجوانيا ، وكان قبل ساعتين خفيف الخضرة وضاءها ، وقد ينقلب أسمر أو أزرق . فصور ما ترى فى وقته .

وبعد البيت ماذا تصور غيره ؟ ربما كان أسهل شىء أن تعالج شيئاً خارج البيت فى يوم ضاح ، ولـكن إذا كان اليوم مكفهراً أو بارداً وأردت أن تصور شيئاً فى البيت ، فاختر شيئاً ساكناً ، فإن الحياة الساكنة هى مفخرة المحترفين ، لأن ذلك يدل على أنهم يستطيعون أن يتناولوا أى موضوع كيفما اتفق ويجيدوا تصويره حبا فى التصوير . ولـكنه ملهاة حسنة للهواة ، فاجمع غليونك وكتابا وزجاجة وبرتقالة ورتبها على ما يوافق ذوقك ، وصـور . وتوخ مرة أخرى أن يكون كل شىء كبيرا ، واجعل الأشياء تملأ معظم اللوح . وقد يطيب لك أن تصور ركن غرفة مع كرسى ومنضدة ومصباح ، وستكون أكثر توفيقاً إذا كانت عمتـك سوزان غـير جالسة على الكرسى ، فإن تصوير الوجوه من عمل المحترفين ، ومطلبها عسير جدا .

إن المصور سيد كل ما تأخذه عينه . فإذا كنت ترى أن الصورة تكون أوقع إذا نقلت الشجرة إلى ما وراء السقيفة ، فضعها هناك ولا تعتذر لأحد ، وإذا كانت أمامك مركبة يد ثقيلة معقدة ، فأهملها . فإن ترك أى شىء ليس إثماً فى التصوير ، بل إنه هو الطريق إلى التوفيق ، ومطلبك هو إخراج صورة ، لا خريطة أرض .

وستعرف أن كثيراً من الأشياء «الجميلة» لا تطيب فى التصوير ، مثل الأزهار ، فإن ألوانها المونقة شرك ، ولكن تفاصيلها الدقيقة المحتومة حفر ومهاد . وبضع نقط من اللون الأحمر تمثل زهر الخشخاش فى الحقل — هذا شىء ، ولكن عوداً من «الجلاديولى» شىء آخر مختلف جدا . وتجاوز عن مناظر الغروب ، فقد أغرت من الصور الرديئة أكثر مما أغرى أى موضوع آخر .

ومن الغريب أن الدمامة كثيراً ما تنقلب جمالا عند التصوير . حاول أن ترسم أحياناً صورة حين تقع على حقل منجرد يبس ، فيه أشجار متجدعة سلبية وكوخ زرى متداع . أو تأمل ما يحدث حين تصور شيئاً عاديًا كمحطة بنزين أو مخزن للسكة الحديدية .

ولاحظ كيف يعظم اهتمامك بكل شىء حولك بعد أن تشتغل بالتصوير بالزيت ، وستغتبط بأن تجد أنك اكتسبت حاسة أخرى — حاسة الملاحظة باعتبارها شيئاً آخر مختلفاً عن مجرد الرؤية . فالأعشاب النابتة على الشاطىء تصبح ذات جمال عجيب إذ تنثنى أمام الريح ، ورءوس القرع العظيمة الراقدة فى جلال تحت ظلة من أوراقها العظيمة ، تعود ذات رشاقة دقيقة .

وتشعر أيضا بفضل هذه الحاسة الجديدة المكتسبة بما لا يأتلف فى رأى العين ، فتدرك أن كثيراً من الأشياء الموجودة فى البيت غير متناسبة ، وأن كثيرا من الألوان سقيمة أو سوقية ، لأن التصوير يرفع الستار عن عالم جديد حافل بمناظر جميلة ، ومضحكة ودميمة ، ومدهشة تخطف الأنفاس .

وتشعر بزمالة جديدة للفنانين ، فتعجب بالطريقة التى يصور بها « كورو » أوراق الشجر ، وتحس أنه خليق أن يربت على كتفك راضياً عن الطريقة التى عالجت بها هذا الحاجز . وتروح تشير إلى الفنانين بكلمة « نحن » — وهذا أجدى عليك من رحلة بالمجان إلى باريس . أما كون الفنانين المحترفين لا ينطوون على احترام عميق للهواة ، فلا ينبغى أن يزعجك على الإطلاق .

وفى وسعك أن تجد سلوى عظيمة فى العدد الكبير من زملائك الهواة ، فإن البلاد غاصة بالمصورين ، وإن كنت لا تقع عليهم عادة الا من كلمة عارضة . وقد تسمع بأحد الأندية الكثيرة للتصوير مثل نادى أطباء شيكاجو ، أو ذلك الذى يسخر من نفسه ويتسمى نادى الفنون الفظيعة فى نيويورك وهو قائم يعمل منذ عشر سنوات .

ومن لذات التصوير تلك الذكريات التى تثيرها مجموعة صورك ، فالبرتقالات الساكنة والقيثارة ، تذكرك بعصر يوم مطير زارك

له إخوان عديدون ، فناولتهم أدوات التصوير ليحاولوه .

وهذه الصورة التي رسمتها لبيت صغير في شارع جانبي ، تعيد إليك ابتسامة ، فقد قضيت الصباح وأنت ترسمها على الحشائش الطويلة وفي أظلال الربيع . وأقبل غلام من المدرسة يصفر وهو يسير ، ووقف لينظر ما تصنع ، وبعد خمس دقائق من النظر في صمت صاح : « أما والله إن هذا لبيتي ! » وكثير من الإهانات التي لا مفر منها تمحوه كلمات الثناء. فقول أحدهم : « ياليتني أستطيع أن أصور » . تعدل عشر دبلومات من مدرسة للفنون ، بل قد يقول لك بعضهم : « وددت لو استطعت أن أصور مثلك » فإن هذا يكون بمثابة مدالية ذهبية تمنحها .

فاذهب إذن واشتر ألوانا وفرشة ولوحا وقماشاً وحاملا ، أو هيء لنفسك حاملا واتخذ فرشة واحدة واستغنى عن الحامل ، فإن المهم هو : أن تنهض وتصور .

✲✲✲✲✲✲✲✲

ثأر

حين علمت الإمبراطورة جوزفين — زوج نابليون الأول — أن امرأة كانت هي تمقتها أشد المقت ، تنوى أن تلبس في إحدى حفلات البلاط ثوباً أخضر مقفلا ، عمدت الإمبراطورة على وجه السرعة إلى تغيير زخرفة حجرة الاستقبال فأنفقت مالا كثيراً لجعل لون الورق الذى يلصق على الجدران ولون الأثاث والستائر والطنافس ، ضرباً معيناً من اللون الأزرق ، يبدو الثوب الأخضر حياله ، صارخاً مبتذلا .

[ا . ا . رينهارت في : « جوزفين زوج نابليون »]

شفى المصور وسلر غليله من صاحبة البيت الذى يقطنه في البندقية بأن جعل يصيد سمكاتها الذهبية — وكانت في وعاء تحت شرفته — ثم يقليها ويعيدها إلى الوعاء .

[أجنس زبليير في : « ثمانية عقود »]

أبت سيدة متنطرسة أن تعطى أحد محررى الأخبار الاجتماعية في إحدى الصحف ، كشفاً بأسماء المدعوين والمدعوات إلى إحدى حفلاتها ، فقضت سنة بعد سنة ، يذكرها في المآدب وحفلات الشاى والأوبرا والسباق ، ويصفها لابسة نفس الثوب الأزرق الفاقع والقبعة ، اللذين كانت ترتديهما يوم ذلك اللقاء التاريخي !

[ديكسون وكتور في : « قصة الاجتماع الأمر...

أحدث الأنباء عن

عجائب العدسات الملصقة بالعيون

ب . ف . سيلفستر • ملخصة عن مجلة " أتلانتيك الشهرية "

في الولايات المتحدة نحو ٣٥٠٠٠٠ شخص يستعملون عدسات ملصقة بالأعين على هيئة أصداف لا ترى ، مصنوعة من العجائن الكيمياوية تلبَس حدق العيون تحت الأجفان . ولولا ما أحدثته الحرب من نقص في العمال الفنيين لكان هذا العدد أكبر . وثمة بقية قليلة من الفنيين يشتغلون من ١٢ إلى ١٦ ساعة في اليوم كي يوفروا هذه العدسات لأشد الناس حاجة إليها ، وبينهم قرابة ٧٥ في المئة من العاملين في الخدمة العسكرية .

وثمة كثيرون ، بينهم عدد من كواكب السينما ، يفضلون استعمال هذه العدسات الملصقة التي لا ترى لأسباب لا تخفى . وهناك آخرون هم بلا ريب في أمس الحاجة إليها ، ومعظمهم ممن تكون قرنيات عيونهم غير منتظمة الشكل ولا يمكن إصلاح فسادها بالنظارات العادية ، وبعضهم ممن يشكون قصر النظر ، أو تكون عدسات أعينهم الأصيلة قد استؤصلت بعد إظلامها ، وقد ردت هذه العدسات الملصقة على فتاة من شكا غو بصرها الطبيعي ، وأصلحت فسادا فيه قيل إنه إصلاح لا نظير له في تاريخ الطب ، إذ كان في إحدى عينيها يصل إلى (— ١٩) ويصل في الأخرى (+ ١٩) أي أنها كانت طويلة النظر في إحدى العينين طولا زائداً ، قصيرته في الأخرى قصراً بالغاً . وكانت قبل أن تظفر بعدساتها الملصقة تستعمل نظارات ، ويجلل أحد ناظريها السواد .

وبين أولئك الذين يستفيدون من العدسات الملصقة لاعبو كرة القدم والسباحون وغيرهم من الرياضيين الذين هم في حاجة إلى إصلاح البصر ، ولكنهم يريدون أن يتجنبوا ما في استعمال النظارات من خطر ومضايقة . وهذا سائق إحدى مركبات النقل التي تعمل على طريق ألاسكا تراه يستعمل هذه العدسات ، لأنه يعمل في حرارة جوية تنخفض عن الصفر ، فيجب أن يكون لنظارتيه ما يزيل الثلج عنهما من تلقاء ذاته ، كما تفعل الجفون بالعيون . ويجد جنود البحرية الكندية أن هذه العدسات اللصيقة خير معوان على المراقبة حين يسوء الجو ، على حين تغيم سواها من النظارات من أثر رذاذ ماء البحر . فصفاء العدسات الملصقة

تكنفه الأجفان ، فهى بمنزلة الجهاز الذي يمسح حاجز الزجاج الأمامى فى السيارة .

وقد أجرت قوات الطيران فى الولايات المتحدة تجارب فى أنفاق خاصة ، لتبين قدرة هذه العدسات على وقاية العين من الغبار ، فكانت النتائج حسنة . وأجريت تجارب أخرى على أشخاص من ذوى العدسات الملصقة فى غرف عالية الضغط ، لمعرفة مدى تأثير اختلاف الضغط والحرارة فيها على الارتفاعات ودرجات الحرارة المختلفة ، فلم يحدث تغير الارتفاع سوى تغير قليل فى كفاية البصر ، ولم يصحب تغير الحرارة أى غيم أو عناء .

إن قوات الولايات المتحدة للطيران ، لم تجر على استعمال هذه العدسات استعمالا رسميا ، ولكن قوات الطيران البريطانية والكندية تستعملها . والطيارون الأمريكيون ينبغى أن يبدأوا عملهم ببصر تام فى العينين (٢٠ — ٢٠) ، ولكن لهم إذا شاءوا أن يستعملوا العدسات الملصقة من أجل وقاية عيونهم .

نشأت العدسات الملصقة أول ما نشأت فى ألمانيا ، حيث كانت تصنع من زجاج منفوخ . ومنذ ثمانية أعوام اخترعت الطرق لإفراغ العدسات المصنوعة من العجائن فى قوالب مناسبة ، ولكنها لم تكن تستعمل لغير أغراض الزينة ، إذ لم تكن ثمة وسيلة ، معروفة لجعل سطح عدسة من العجائن متصفا بخصائص بصرية مطلوبة . وظلت عدسات هذه العيون تعمل من الزجاج حتى اكتشفت طريقة ، بعد ذلك بعامين ، لجعل العدسات المصنوعة من العجائن الصافية ، متصفة بالخصائص البصرية اللازمة .

والخطوة الأولى فى تحضير العدسات الملصقة أن تخدر العين ويعمل لها طابع يصب عليه القالب ، ثم تعمل العدسة . وبعد تصحيح خطأ البصر تجرب العدسة فى المريض لكى يعرف أهى صالحة من الوجهة الكيميائية أم لا ، ثم يملأ الفراغ الكائن بين قرنية العين الأصلية والعدسة المحدبة قليلا بمحلول من الماء المقطر وبيكربونات الصودا وملح الطعام . وبهذا المحلول يستطيع المريض أن يضع العدسة فى عينيه دون عناء ، ويحفظ العدسة صافية أطول وقت ممكن .

والعدسة لا يغشاها الغيم حتى تكون قد استعملت أربع ساعات ، وعليك عندئذ أن تغير المحاول . ومع ذلك فثمة مدفعى فى الطيران يغير المحاول مرة واحدة كل يوم . ويقول رسام معمارى أنه يكفيه أن يغير المحاول مرتين فى الأسبوع . وتوضع العدسات فى مكانها وتنزع منه إما بالأصابع وإما باستعمال كأس مصاصة من المطاط .

وقد استغل كواكب السينما هذه العدسات استغلالا بارعا ، ففى فلم «دراكولا» استعمل « بيلا لوجوزى » عدسات ملصقة مغشاة بطبقة من الفلوروسين الأخضر ، تشع إشعاعا رهيبا إذا وقع عليها وميض ضوء فى الظلام . وقد أوقف يوما ما فجأة تصوير فلم « فرسان الشمال الغربى » حين نظر شخص ما مرهف النظر إلى وولتر هامدن ، ممثل دور القائد الهندى ، وقال : « محال أن تكون قائدا هنديا وأنت أزرق العينين ! » ثم عاد الممثل للظهور أدعج العينين ، إذ وضع محلول السكر المحروق بين عينيه وعدساتها الملصقة .

ولا داعى لاستعمال محلول خاص كهذا لإحداث التغييرات البسيطة فى لون العيون ، كتغيير اللون السنجابى إلى أزرق أو عسلى أو عسلى ضارب إلى السمرة ، إذ يكتفى صناع هذه العدسات فى هذه الأحوال بصبغها باللون المطلوب . ومن عملائهم عدد من النساء غيروا لهن ألوان العيون ، وهذا التلوين لأغراض التجميل ممتنع ما دامت الحرب ، إذ يقتصر التلوين الآن على الأغراض النافعة دون سواها ، كحماية العين من وهج ضوء شديد .

وليس من المتوقع أن تحل العدسات الملصقة محل النظارات العادية للاستعمال العام ، فهى على عناء وضعها ونزعها ، يبلغ ثمن الزوج منها من نحو ٤٠ إلى ٥٠ جنيها . ولكن من المحتمل أن يزداد عدد المنتفعين بها من الذين يحتاجون إلى وقاية خاصة أو إلى تصحيح أخطاء فى البصر ، لا يتم بالنظارات المألوفة

ما عمرك المجيد

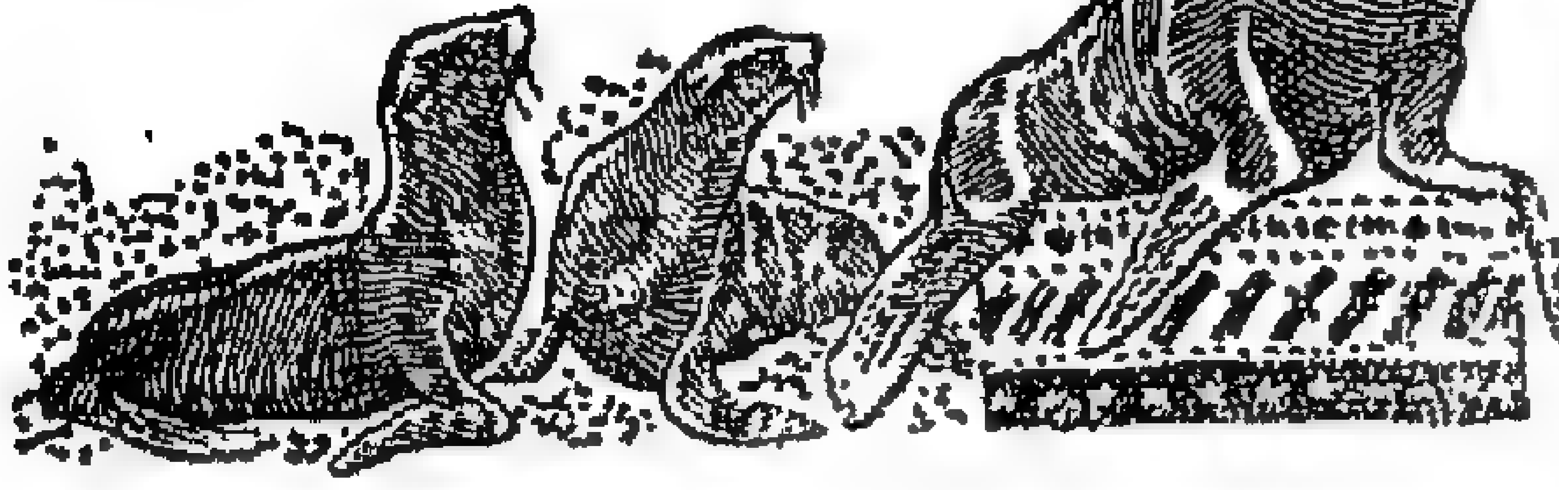
لم أجد فروقا حاسمة مطلقة بين حياة الشرق الأقصى وحياة الغرب ، إلا فى نظرتهما إلى السن . فأول سؤال يوجهه إليك زائر فى الصين هو : « ما عمرك المجيد » فإذا أجبت وكأنك تعتذر ، أنه ٢٣ سنة أو ٢٨ سنة ، عمد السائل إلى مواساتك بقوله إن أمامك مستقبلا مجيدا ، وإنك ستبلغ الشيخوخة يوما ما ، وكلما كان المضيف أكبر سنا كان زائره أشد احتراما له ، فإذا كان الجواب ٥٠ سنة خفض السائل صوته فى خضوع واحترام . والناس فى الصين يتطلعون صادقين إلى الاحتفاء بعيد ميلادهم الحادى والخمسين .

[لن يوتانج ، الفيلسوف الصينى المعاصر]

أعظم الحيوانات حباً للزهو

ملخصة عن مجلة "ذي بالتيمور صنداي صن"

مارك فلمنج
مدرب الفقمة مدى ٣٧ سنة
في حديث مع س . لستر ووكر



أُسود البحر هو أحسن الحيوانات تمثيلا فى العالم لأنه أعظمها حباً للزهو والخيلاء ، وإن أحدها ليطول كمده واكتئابه إذا لم يستطع أن يُزهى ويختال . وما من شيء يزيده كمداً واكتئاباً إلا أن يرى بعينيه أحد أصحابه وهو يزهى ويختال .

وإنى لأذكر أحدها واسمه «نبتون» ، وقد دربناه فى كلية أسود البحر بكنجستون فى نيويورك ، وكان من بين الألعاب أن يدخن غليوناً ، فلما تعلم «نبتون» أن يستنشق الدخان أصبح لا يحتمل ، فهو يتبختر وينفث الدخان فى وجوه أصحابه من أسود البحر ، وكان أحياناً يتجشأ ويقذف من جوفه صوتاً مجلجلا وسحابة مكفهرة من الدخان . وقد اضطررنا ، من أجل أن نقوّم ما اعوجّ من أخلاقه أن نعلم «پال» ، وهو أسد من أسود البحر الأحداث ، أن يدخن هو الآخر ، فربما أذل هذا المنظر كبرياء «نبتون» ، فلا يجد بعد ذلك متعة فى الزهو والاختيال . وتعلم پال التدخين بسرعة . واتفق له مرة أن ينفث حلقة من الدخان ، فبرطم نبتون غيظاً وكف عن زهوه بما كان يفعل . «لقد برأ من دائه» وشمتنا فيه .

ولكن جاءت ليلة فسمحت لپال أن يمثل لأول مرة دور التدخين على المسرح ، وكان هذا أكثر مما يطيق نبتون احتماله ، فاندفع إلى المسرح يعوى وقد جن جنونه ، فأخذت الغليون من پال وأعطيته لنبتون ، فجعل يدور به مختالا وهو ينفث منه سحباً من الدخان . وشعرت فجأة أن شيئاً يجذبنى من الخلف . إنه پال وقد مزق سراويلى وأطراف قميصى . ولم يكن ثمة ما يهدئ من روعه غير أن تتاح له فرصة أخرى ليختال وهو يدخن الغليون .

الفقمة لفظ يطلق عامة على حيوانات بحرية بونة (ثديية) لاحمة ، وتشمل الفقمات (عجول لبحر) وأسود البحر ، وفيلة البحر ، ونمور البحر . وحين يذكر الناس الفقمات المدربة فإنما يعنون بها سود البحر المدربة المتوطنة مياه كاليفورنيا زالوفوس كاليفورنيانوس)

وذات مرة ولد «أسد بحر» فى الكلية ، وكان يزن نحو ١٢ رطلا وهو صغير لاحول له ولا قوة . وفى اليوم الثالث أخذت أمه تعلمه السباحة ، فأمسكت بقفاه وأسقطته فى الماء ، فغاص كأنه صخرة ، فساعدته أمه على أن يطفو ليستنشق شيئاً من الهواء ثم تركته يغوص ثانية . واستمر هـذا التدريب نحو خمس عشرة دقيقة كل يوم مدة أسبوعين . حتى جاء يوم فصدرت من الأسـد الصغير عدة صيحات عالية ، فكأنه كان يصيح بكل إنسان: « انظر إلىّ ! فى وسعى الآن أن أسبح ! » ومن يومئذ بدأ يزهى بما يفعل ويختال .

وترد أسود البحر التى تعد للتمثيل ، من الكابتن جورج ما جواير فى سانتا باربرا بكاليفورنيا ، فهو يصيدها وهى فى الرابعة من عمرها ويبيعها للمدربين . وفى الولايات المتحدة خمسة من هؤلاء المدربين . ويوم جاءنى «شاركى» وهو أرشق ما رأيت من أسود البحر ، كدت أعيده لما رأيت من ضآلته . بيد أنى عندما أطلقته اندفع يسبق جميع أسود البحر ، مريداً بذلك أن يسترعى انتباهى . ولقـد ظل يعوى بلا انقطاع ، وأخيراً علمته لعبـــة فتعلمها فى أقصر وقت ممكن . وهو اليوم أكبر حيوانات التمثيل أجراً فى العالم ، ويبلغ أجـره بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ ريال فى الأسـبوع .

وأسود البحر لا تأكل إلا السمك الجديد الغض ، ولا يحسن بى أن أحدثك عن أسلوبها فى الأكل ، فإنها جميعاً تزدرد طعامها ازدراداً وكأن أفواهها فتحة صندوق البريد ، ومن أجل ذلك يجب أن لا تصيب أبداً كل حاجتها من الطعام ، فلو أنت تركت أسود البحر التى تدرّب تأكل ما تشتهى ، سمنت وانتفخت ، وأصبحت فى انتفاخها كالمنطاد.

والعضّ مشكلة أخرى من مشكلات تربية أسود البحر . كنت قبل أن أدخل عليها لدرسها الأول ، أرتدى سرابيل من المعدن ، وأحذية ثقيلة مغطاة بالمعدن ، فإذا ما فتحت باب القفص اندفعت نحوى أســود البحر الجديدة وأعملت أسنانها فى كعبىّ وساقىّ ، وأخيراً ترتدّ عنى وهى تنفخ وقد ذهلت لأمرى ، وسرعان ماتتعلم الإقلاع عن العض .

ولا ريب أن الأمر يختلف إذا تجرأ أحد فأقدم على إفساد الدور الذى يقوم به أحد أسود البحر . حدث مرة أن كانت فرقة من الحيوانات تقوم بألعابها فى حديقة أحـد المستشفيات ، وكان أحـد أسود البحر يحاول أن يحمل كرة لتستوى فى مكانها على أنفه ، فجاء إليه فيل يخطو متثاقلا وضرب الكرة بخرطومه ، فما كان من أسد البحر إلا أن أنشب أنيابه فى خرطوم الفيل ، ثم أرسله وهو يعوى من الألم .

وأســد البحر المدرب تدريباً صحيحاً لا يؤذي أحداً من الناس وهو يسبح معه في الماء . حدث في بكور أحد الأيام أن مرّ أربعة من الشبان في عودتهم من حفلة بحديقة الحيوان بنيويورك،فوجدوا أنفسهم عند بركة أسود البحر ، فراهن ثلاثة منهم رابعهم بأنه لا يستطيع أن يسبح إلى الشاطئ الآخر في البركة الغاصة بأسود البحر ، ولكنه ما لبث أن غاص في الماء وأقلق سكون البركة . ولم تزد أسود البحر على أن نظرت إلى جهوده السقيمة بازدراء ، ثم أشاحت عنه وتجاهلته .

ولا بدع فإن أسود البحر خير من يلعب في الماء في العالم ، وأسرع خلق الله سبحا . فالدُّلْفين (خنزير البحر) يسبح بسرعة خمسين ميلا في الساعة ، ولكن أسود كاليفورنيا تستطيع أن تبذّ الدلفين في سرعته، وأن تدور حوله وهو يسبح. وإذا ما قفزت سمكة من الماء تلقفها أسد البحر وهي في الهواء ، فإذا غلبت عليه الدعابة قذف بها إلى أسد آخر فيتلقفها ويقذف بها إلى آخر ، كما يفعل الرياضيون بالكرة ابتغاء الدفء . وأسد البحر يتسلق نجداً عاليا ثم يقذف بنفسه من ارتفاع أربعين قدماً ، ثم يغوص في قرار الماء ربع ساعة دون أن يبدو عليه تعب أو كلال .

وأسد البحر وهو تحت الماء حديد السمع. وقد حدث مرة في معرض شيكاغو الرياضي أن كان « شاركي » في قعر الحوض وقد أبى أن يطفو ، وكانت مئات من الناس يتزاحمون بالمناكب حول الحوض وأقدامهم تقعقع على خشب الأرض ، فلما قدمت أنا طفا « شاركي » ونبح إلى يناديني ، فقد ميز وقع أقدامي من بين تلك الأقدام جميعاً .

وأسود البحر مرهفة الحس إلى أبعد غاية،فأنت إذا خاطبت أحدها بغضب خشع تحت قدميك لا يتحرك . حدث مرة أن لطم أحد مضحكي الفرقة «جمبو»، وهو أحد أسود البحر الماهرة ، فعل ذلك دعابة ، ولكن جمبو رفض أن يعمل معنا منذ تلك اللحظة حتى اضطررت أن ألغي دوره في اللعب أسبوعين .

ومهما يبدُ من سوء خلق أسود البحر فإني لا أضرب أحداً منها البتة ، فذلك خطأ وسوء تصرف على أية حال ، فإنها إذا ردّت بالمثل فلن يفيق المدرب ويعرف ما أصابه .

إن قوة تلك الزعانف لا تصدق ، وقد أيد لنا ذلك « بدى » أحد أسود البحر ووزنه ٢٥٠ رطلا،وكاد يؤدى إلى مالا تحمد عقباه . فقد درب على أن يستلقي على ظهره وينشر زعانفه على الأرض ، في حين يقف أحد رجالي على يديه فوق إحدى زعانفه .

ومن حسن الحظ أن تمثيل هذا الدور كان يعرض دائماً على حافة بركة ، فحدث عصر أحد الأيام أن ضاق صدر بدى ، فضرب بزعنفته الرجل الذى يبلغ وزنه ١٧٠ رطلا فطوّح به إلى الماء !

وتتعلم أسود البحر فى « كلية الفقمات » كل ألعابها بالتمرين ، ويتعلم أسد البحر أن يحمل الكرة حتى تستوى على أنفه ، وهى من أصعب الألعاب ، فيظل ستة شهور يتدرب ستة أيام فى الأسبوع ، ثلاث مرات فى اليوم ، كل مرة عشرون دقيقة . وأبدأ بأن أمسك دارة (طارة) من الخشب فى يدى ، واجعل أسد البحر يتبعها بأنفه ، فإذا فعل ذلك على الوجه الصحيح ألقمته سمكة حتى يقترن العمل لديه بالمكافأة . ثم أستبدل الدارة بكرة منفوخة تحيطها شبكة يمكن أن تتخللها أصابعى ، ويتبع أسد البحر بأنفه حركة الكرة . وبعد ذلك بأيام أضع الكرة على أنفه وأثبتها بأصبع واحدة ، حتى يجئ يوم فأرفع أصبعى وتبقى الكرة على أنفه بغير معونة منى . فبعد أسابيع تراه يقذف بالكرة ، وهو فى الماء ، إلى أسد آخر فلا يلبث هذا أن يقذفها إليه .

وأسد البحر إذا ما تعلم بضع ألعاب أبى أن ينتهى إلى غاية ، فتراه يقفز حاجزاً ارتفاعه ست أقدام خارج الماء ، ويستخرج أثقالا من قعر البركة ، ويجر طوفاً للرياضة البحرية ، ويعزف على أجراس موسيقية ، ويوازن قدحا من الماء على عصا وهو يتدحرج ، ويمتطى ظهور الجياد وهو يلقف المدى ومقابض الحديد ، حاملا شموعا مضاءة تقف مستوية على أنفه ، وهو يفعل هذا كله ما وجد إنساناً ينظر إليه .

حدث مرة عند افتتاح حديقة الحيوان فى إحدى المدن أن كان محافظ المدينة وغيره من الموظفين جالسين بالقرب من بركة أسود البحر ، وإذا بنفخة من الهواء تطيح بقبعة المحافظ الطويلة فأرسلتها طافية مستقيمة على وجه البركة ، وما هو إلا أن مرق من تحتها أسد ، وطلع والقبعة على رأسه على هيأة ماجنة ، واستوى على إفريز عال حيث قعد مزهواً يتلقى ضحك الجمهور .

وفى وسع شاركى أن يتعلم ألعابا جديدة فى جلسة واحدة ، فهو يستخرج مثلا حلقة من حديد من البركة ، فأضع الحلقة حول عنقه ثم ألقى بالحلقة فى الماء ، فيفهم غرضى ويخرج بها فى المرة التالية وهى حول عنقه .

على أن أسد البحر لا يتعلم بالملاحظة والتقليد إلا فى النادر القليل ، وقد تحسن ثلاثة منها أو أربعة أن تؤدى الألعاب معا لا لشئ إلا لأن كلا منها يشتهى أن يظهر مقدرته فيما يأتيه .

وأسد البحر المدرب لا يفر من منزله . وقد حدث ليلة أن خرجت أسود البحر من أقفاصها،ولكنها لم تبتعد كثيرا ،وجالت مستطلعة حول الأقفاص . ولما كان على أحدها أن يرقد على سرير فى ساعة التمثيل دخل إلى مخدع الحارس ونام فى فراشه ، فلما عاد الحارس من حانة مجاورة وهو نشوان ورقد فى سريره ، وجد فيه رفيقاً لم يدر بخلده أن يلقاه .

وتعمر أسود البحر إلى سن السبعين ، وهى لا تنى تحب الزهو والخيلاء والتمثيل . وإذا أعيد أسد بحر مدرب إلى المحيط فإنه لا يفتأ يحاول الرجوع إلى أضواء المسرح.

وثمة قصة طريفة عن فرقة من قدامى أسود البحر المدربة نجت من سفينة غارقة ، ولحقت بقطيع من أسود البحر الوحشية فى اليمّ . ومضى زمن إلى أن اتفق يوما أن خرج مدربها يتمشى على الصخور التى تشرف على الساحل الغاص بأسود البحر ، وجعل ينادى رفيقا له ، وإذا بخمسة من أسود البحر تنفصل عن القطيع وتهرع خفافا نحو الصخور ، ولم تكن هذه الأسود الخمسة سوى الفرقة القديمة التى كان يتولى تدريبها .



الأنثى الخالدة

قطع حديث التلفون بين مستر سيجال وزوجه حين سمعها تصيح صيحة مخيفة « يارباه » ثم اعقبها صمت ، فذعر واستدعى البوليس .

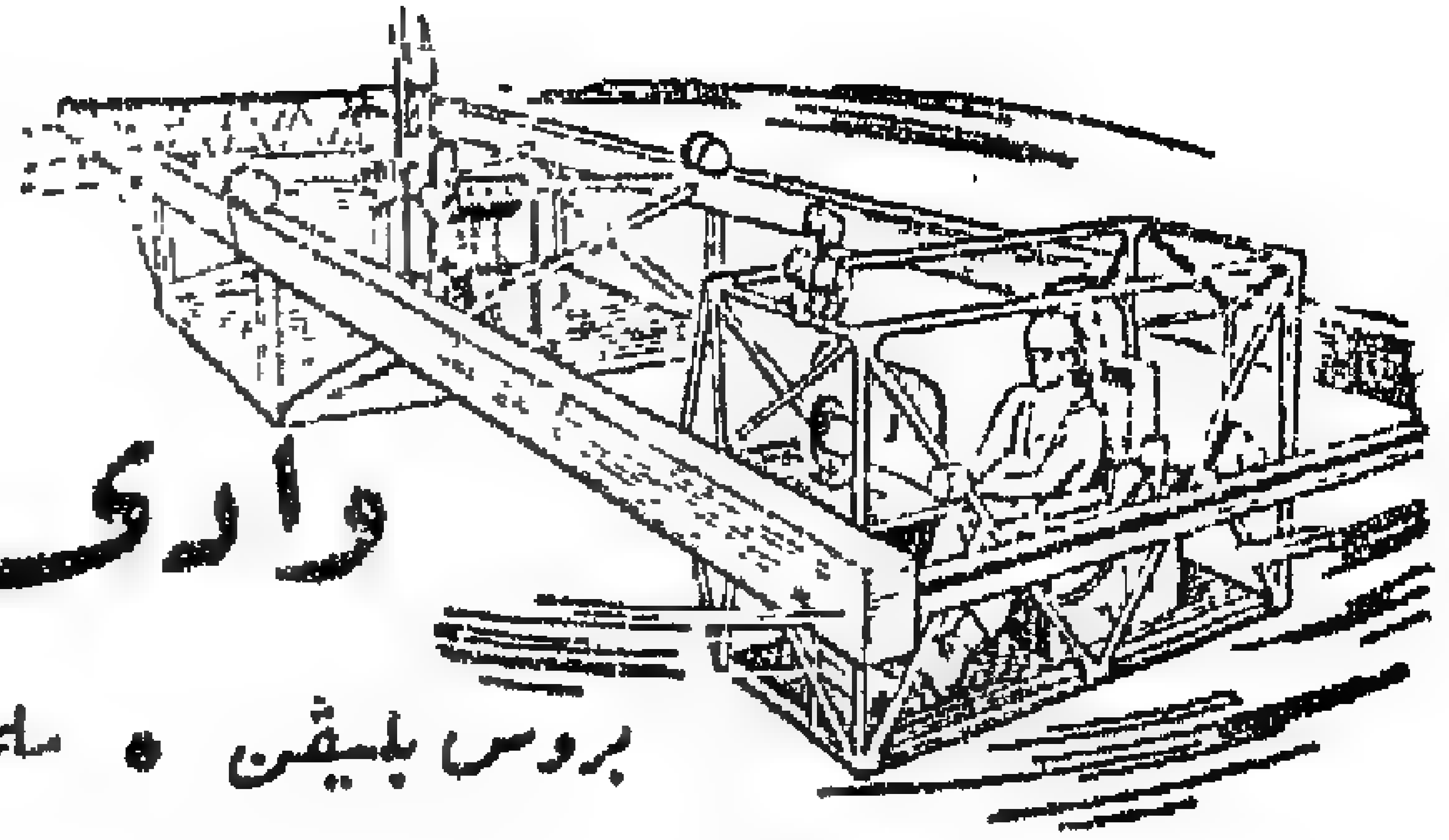
أسرع خمسة عشر رجلا منهم مسلحين إلى دار الرجل ، فوجدوا زوجه أغمى عليها وإلى جانبها سماعة التلفون المتدلية من المائدة ، وحين أسعفوها استفاقت وهى تقول : « لا يزال فى البيت ، وقد يكون تحت السرير ، أو فى الخزانة ، ولكنه لا يزال هنا ، فقد هجم على . . . . .

فقاطعها الجاويش ما كبرايد سائلا : ما أوصافه .

فقالت : أوصافه ، أوصافه . . . لعلها كأوصاف أى فأر آخر .

[وولتر دورانتى فى : « أكتب كما أهوى »]

مطار رايت — منطقة من أهم المناطق الحربية السرية في العالم — حيث يطوح بالطيارين بسرعة ٦٠٠ ميل فى الساعة ، وحيث ترمق الأجهزة الغريبة زوارها وتحدق فيهم .



وادى شياطين النقمة

بروس بليفن • ملخصة عن مجلة " ذى نيو ريببلك "

هذا سهل فسيح مستو بين التلال المتحدرة فى وادى ميامى فى جنوب ولاية أوهيو ، وفى جانب منه تجمعت عدة مبان من الأبرق (الإسمنت المسلح ، خرسانة) كبيرة جاثمة ، تحوم من فوقها متهادية طائرة أو اثنتان ، وقد انعكس خابياً بريق شمس الخريف المتألقة ، من طلائهما الأخضر الأغبر الذى يخفى معالمهما .

يبدو لك هذا المنظر ريفيًا هادئاً . ولكنه ليس بالهادىء ، فهذه البقعة الريفية هى إحدى منطقتين أو ثلاث ، تعدُّ أهم المناطق الحربية السرية على سطح الأرض . فههنا وادى شياطين النقمة ، حيث تبتدع طائرات أمريكا الحربية ، وههنا فى مطار « رايت » حشدت أعظم عصبة من العقول المتخصصة فى الطيران كما تصفها سلطات الجيش الأمريكى — أكثر من ١٠٠٠٠ خبير مدرب ، فضلا عن آلاف من المساعدين . فقد وضعوا تصميم طائرات ومدافع وأجهزة ، واختبروا المواد ، وامتحنوا الرجال ، لا ليجعلوا سلاح أمريكا الجوى أضخم قوة جوية وحسب ، بل أفضل القوات الجوية جميعاً ، فيما يعتقدون .

إن تاريخ مطار « رايت » هو سجل يضم أشياء حققت عملاً ، وكانت قد نبذت من قبل على أنها أوهام : كالطائرات التى ليس لها مراوح (النفاثات) ، والمدافع التى تدار من بعد ، ومدفع قطره ٧٥ مليمترا يطلق من الطائرة فلا يرجُّها رجاً يفكك أوصالها ، والرادار ، ومراوح مزدوجة تدور فى اتجاهين مختلفين فتحول دون التواء ذراع نقل القوة ، ومراوح مهيأة لتدور عكساً ، فتستخدم كالفرملة إذا هبطت الطائرة ، إذ تدفع الهواء بدلا من أن تجتذبه .

ورأيت جهازاً يبين للطيار مكانه بخطوط الطول والعرض أثناء الطيران ، ولا يعوزه إلا أن يعمل حساباً لدفعة الريح الجانبية ، وقد علمت أن الطيارين قد ضاقوا بهذا النقص ضيقاً غير يسير .

وثمة جهاز آخر يبقى قائماً مهما تقلبت الطائرة ، وهذا يحل مشكلة خطيرة :

ذلك أن ميل الطائرة أو انقلابها دون أن يحس الطيار بذلك ، خطر حقيقي يتعرض له الطيار حين يسوء الجو . وقد صنع من قبل جهاز يمثل الأفق فسمى « بالأفق المصنوع » ، يعين الطيار على أن يتبين مدى ميله عن مستوى الأفق ، ولكنه لا يصلح إذا زاد الميل على ٩٠ درجة ، وهذا دون الكفاية . أما الجهاز الجديد فيبدو كأنما هو كرة بلياردو نصفها الأسفل مدهون بالسواد ، وهو داخل آلة تصوير متوسطة ، أمامه عدسة بارزة ، ومن خلال هذه العدسة يطل هذا الجهاز الذى يدل على الوضع أيًّا كان ، ساخراً من البشر البُله الذين لا يعلمون مكان رؤوسهم، أهى إلى فوق أم إلى تحت ، أما هو فإنه يعلم ولا يخطىء .

وقد حسَّن خبراء مطار رايت فن التصوير من الجو تحسيناً عظيما ، فآلات التصوير تصور الآن من تلقاء نفسها ، وقد لا يكون التصوير بآلة مفردة بل بجماعة من الآلات . وهى تصور من جانبى الطائرة نطاقاً من الأرض ممتدًّا من الأفق إلى الأفق ، وطوله مئات من الأميال ، وتتراكب الصور التى تؤخذ على التوالى تراكباً دقيقاً ، ولكن إذا مالت الطائرة مالت الصورة كذلك ، فاخترع رجال مطار رايت جهازاً يسجل على سطح الفلم درجة ميل الطائرة عن مستوى الأفق حين التقاط تلك الصورة المائلة . ثم اخترعوا جهازاً آخر يعيد الصورة المطبوعة إلى مستواها الصحيح . وقد كان فى وسعهم أن يستعملوا جهازاً يبقى آلة التصوير فى وضعها مهما فعلت الطائرة ، إلا أن الطريقة السابقة أسهل وأبسط .

لم تخلق الأجسام البشرية لتهوى من السماء بسرعة تبلغ ٦٠٠ ميل فى الساعة ثم ترتدّ فجأة فتنطلق إلى أعلى . والانقضاض بالقاذفات يحدث فى أجهزة الجسم البشرى اضطراباً عنيفاً . وواجب على السلطات العسكرية أن تتبيّن قبل طيران الطائرات : ما هذه الاضطرابات ، وكيف يمكن التغلب عليها ، مع ملاحظة الفروق الكبيرة بين مختلف الأفراد . وهذا سرّ مشهد من أفظع ما شاهدته فى حياتى : مشهد رجل فى « آلة امتحان البشر بالقوة المركزية الطاردة » .

المشهد فى حجرة مربعة كبيرة ، يكاد يملؤها جهاز واحد ، كأنه جزء من رحى أرجوحة أفقية دوّارة . ويرتكز الجهاز من وسطه على الأرض ، وتمتد منه ذراعان طويلتان فى اتجاهين متقابلين . وفى إحدى هاتين الذراعين بالقرب من المركز مقعد ولوحة أجهزة ، وجهتهما نحو طرف الذراع . وفى هذا الطرف مقعد صغير مكشوف قابل للترجح ، وفيه ايضاً كرسى ولوحة أجهزة .

يجلس مراقب على المقعد القريب من مركز المحـــور . ويصعد الرجل عند التجربة إلى المقعد المكشوف عنـد طرف الذراع — وهو مركب لن يحملنى أحد على ركوبه ولو أغريت بمبالغ طائلة — ويضغط على زر ، فيشمل الحجرة هـدوء عميق ، ويدور الجهاز كله بسرعة لا تكاد تصدق . ويصبح المقعد المدلّى مائلا على الجنب تماماً وهو يشـق الهواء بسرعة تؤثر فى جسم راكبه نفس التأثير الذى يحدثه انقضاض طائرة بلغت سرعتها ٦٠٠ ميل فى الساعة . ويمر خطفاً أمام ناظرى مرة بعد أخرى ، وجهُ الطيار الساكن الذى لوّحته الشمس ، وقد أصبحت رأسـه (تبعاً لميل المقعـد) أقرب إلى مركز الجهاز من قدميه ، فتكون سرعتهما أكبر من سرعة رأسه .

وينير المراقب فى الوسـط ضوءاً يظهر أمام الطيار على لوحة الأجهزة ، فيمد يده إلى زر ، على الرغم من تلك السرعة الهائلة ، فيطفئه مظهراً بذلك أنه لم يفقد وعيه بعد . ثم ينار ضوء آخر ويطفأ ، ثم آخر ، وهكذا بالتوالى . ولكن الأخير يظلّ مضاء ، إذ يكون الطيــار قد فقد وعيــه . فالقوة المركزية الطاردة قد دفعت الدم من أوعية المخ — وهى لم تدفعه كله ، ولـكنها دفعت منه قدراً يكفى لأن يضعف « مركز توليد القوة » — وهو العقــل ، كما يسميه العالم القـائم على هذه التجربة — فتنحط قوته ويتلاشى الوعى .

هذا الجهاز يحـدد سرعة الدوران التى تفقد الفرد وعيـه وما يسـتغرقه ذلك من الوقت ، وتدوّن هـذه الحقائق فى سجل الطيار . ومن الغريب أن الرجل إذا ركب الجهاز مراراً متواليـة ، اطرد ضعفه عن مقاومة فقـد الوعى . ويرجع سبب ذلك إلى خوفه أول مرة ، فيرتفع ضغط دمه فتزداد مقاومته للقوة المركزية الطاردة . ولـكنه حين يألف الأمر تسترخى العضلات ، فتزداد سرعة اندفاع الدم من المخ ويفقـد وعيه فى زمن أقل .

وسيصبح لبعض المخترعات الحربية فائدة عظيمة فى زمن السـلم . فلقد اخترع رجال مطار رايت أسلوباً جديداً لإنارة المطارات ، فهو حين يسوء الجو يكون عوناً للطيارين إذا ما دنوا من الأرض ، فيجوزون المرحلة الأخيرة إلى أرض المطار غير معتمدين على الآلات وحسب . فالأنوار الملونة مرتبة فى صفين يحاذيان جانبى المدرج ، ولـكنهما يمتدان مسافة كبيرة وراء كلا طرفيه . وهذا النظام يدل الطيار على ما ينبغى عليه أن يفعل فى كل لحظة خلال الهبوط ، ويتيح للطائرة أن تهبط على أى طرف شاءت . ولقد اتخذت

دول أخرى غير أمريكا هـذا الاختراع ولن يمضى زمن طويل حتى يعم العالم .

وقد أصبحت أجهزة القيادة الآليـة (القائمة على مبدأ الدوّامة : جيروسكوب) تخفف من عناء الطيران مسافات طويلة . ولكن مع علمى بهذا ، بهرنى شىء رأيته ، ففى ركن معمل وضع جهاز كأنه ثلاث آلات تصوير مجتمعة ، فهذا هو الطيار الآلى. وقد ركب هذا الجهاز فى نموذج طائرة بجناحين صـغيرين وذيل قصير . فلما وقفت خلف هذا النموذج ، حيث مقعد الطيار ، ونظرت إلى عيون صـغيرة مضاءة مرتبـة فى خط أفقى غير منتظم ، حدّقتْ فى الآلة دون أن تطرف ، فبـذلت جهدى أن أحدق فيها كما تحدق .

كنا عنـدئذ كأننا فى الجو طـائرون ، وكانت الآلة قد أنبئت نبأ اتجاهها وسرعتها وارتفاعها ، وكان ينبعث من جوفها هدير خافت . ثم تقدم أحد الملاحظين ودفع مقدم الطائرة الصغيرة إلى أسفل وإلى اليسار ، فحملق الجهاز فىّ مستنكراً ، وصار يطرف بعينين من عيونه طرفاً شـديداً ، وظل يطرف ، فلم تكد تمضى ثوان حتى رفع مقدم الطائرة وداربها إلى اليمين وأعادها فى اتجاهها الأصلى تماما ــ وأنا أعنى تمـاما . ثم كف عن الطرف بعينيه ونظر إلى نظرة المؤنب .

وجذب الملاحظ عندئذ الطائرة إلى أعلى وإلى اليمين ، فبدأ الجهاز يطرف من فوره ، ولم أكد أعدّ خمسة حتى استقام مسير الطائرة. وأعيدت التجربة، فعرّضت الطائرة لكل ضرب من ضروب الخلل الذى يصيب الطائرات ، فحل الجهاز جميع هذه المشكلات دون أن يحوّل نظرته عنى . ويمكننى أن أضيف أنه ظل يحافظ أيضا كل المحافظة على سلامة جهاز إرسال القنابل ، فيتسنى إرسالها فى أية لحظة فتصيب هدفها .

وقد أدركنى أنا الإعياء قبل أن يدرك هذه الآلة ، فصرفت وجهى عنها محزون النفس وأنا أنظر إلى مستقبل ينكرنى وأنكره . وعاودنى الفكر فى أمر البشر ، يحسنون للحرب المدمرة ما لا يحسنون للسلم ، وعجبت لعلمائنا يبذّون رجالنـا السياسيين مقدرة ! فأى عالم يكون عالمنا هذا ، لو تيسر لمثل هذه العبقريات التى تبدع مثل هـذه الآلات الماثلة فى مطار رايت ، أن تعلم البشر كيف يعيشون معاً فى وئام وسلام .



كيف ثار أهالى كوبا على ضعف أداة الحكومة ، وتعاونوا فى سبيل النهوض بمدنهم ؟

ألف رجل – ورجل واحد

ج . سپ . ماكس ايڤوى . ملخصة عن مجلة " ذى سپان أمسيديكان "

ليست الحياة كلها فى كوبا خمراً ورقصاً، فإن أهل هذه الجزيرة بأسرها قد نهضوا اليوم جميعاً ثائرين على فساد أعمال الحكومة وما فيها من العجز ، وخطتهم من البساطة وسهولة التنفيذ بحيث تصلح أن تكون نموذجاً يحتذيه من طال بلاؤهم ، من دافعى الضرائب فى أى بلد ، حتى فى بلادنا هذه. وهى تسمى «مشروع الألف رجل» ، وهى جمعية دائمة مؤلفة من ألف رجل من الأهالى فى كل مدينة من ٤٠ مدينة ، وعلى كل منهم أن يدفع ريالا واحداً فى الشهر ، ويستخدم المال فى تمهيد الطرق ، ومكافحة البعوض ، وتنقية مياه الشرب ، أو النهوض بمرافق الحياة الأخرى .

بدأت الحركة منذ خمسة أعوام فى ميناء كارديناس الذى يبلغ سكانه ٤٠ ألف نسمة، فهناك جمعت الجماعة ما يكفى من المال لتمهيد ٢٠٠ طريق ، فضلا عن إنجاز بعض المشروعات الأخرى . ولا بد من تعليق بسيط يبين السبب الذى جعل سكان ٤٠ مدينة فى كوبا يدبرون أمر مرافقهم بأنفسهم ، ويؤلفون جمعية الألف رجل .

يقول ظرفاء أهل كوبا : إن فى الجزيرة صناعتين وحسب : صناعة السكر وصناعة الميزانية . ويردفون : « للأمريكين الأعمال الكبيرة وللإسبان الأعمال الصغيرة، ولم يبق لأهل كوبا سوى أعمال الحكومة » .

فمن جراء ذلك كان عدد الموظفين أكثر من عدد الوظائف ، وكان جانب هائل ضخم من الدخل القومى ، يدفع مرتبات للموظفين الذين وصفهم سيكادس شيخ ظرفاء كوبا فأحسن وصفهم ، قال : « حينما يلتحق أحد أهالى كوبا بوظيفة فى الحكومة ، فإنه يقوم بثلاثة أعمال : يذهب إلى عمله ويثبت حضوره ، ثم ينصرف ليصيب فنجاناً من القهوة ، ثم يعود إلى مكتبه ليأخذ قبعته » . غير أن أظرف نكتة إذا رددت تملها الأسماع، ولكن هذه أثارت ثائرة دافعى الضرائب .

ومن وراء هؤلاء «الألف رجل» ، ذلك الرجل الذى شرع لهم هذا كله، وهو أمريكى فى الثانية والسبعين من عمره ، يدعى روبرت وارتون . دخل كوبا سنة ١٨٩٠ وأنشأ مدرسة فى كارديناس ، وثابر على التعليم ٤٢ سنة ، إلى أن اعتزل عمله منذ سنتين

مضنا وهو لا يزال سليم البدن، ذكيّ الفؤاد .

وقد استهل عمله فى غرفة استأجرها ، فيها سبورة و١٤ تلميذاً ، ثم نمت مدرسة الدكتور وارتون — « النهضة » — فصارت معهداً كان له أثر قوى فى رفع مستوى التعليم فى كوبا . وكانت المدرسة كاسمها ، إذ أصبحت مركزاً لحركة عقلية وعملية تنهض بالمدينة . وقد درس فيها شبان كوبا مشكلات كوبا مع ما يدرسونه من البسائط فى كتبهم .

وقد خرج مشروع الألف رجل من أحد فصول هذا المعهد . كان تعبيد طرق صالحة وشوارع ممهدة من أكبر مشكلات كوبا ، وكان بحث مشكلة الطرق الصالحة ودراستها ومناقشة أمرها ، وقفاً على الطبقات العليا . وقد شجع الطلبة على جمع الرسائل الفنية من الحكومة والجامعات ومن الهيئات المدنية فى الولايات المتحدة . وكلف كل طالب أن يحدّث أهل بيته عن الطرق الممهدة ، كما عهد إليه أن يُحدّث عشرين شخصاً عن قيمة الطرق الصالحة وحاجة كارديناس إليها .

ولم تمض بضعة أشهر حتى هبت المدينة بأسرها . وقد وهب نادى الروتارى المحلى بطاقات لمن يقدمون أحسن المشروعات للطرق الصالحة . ولم يلبث نشر الأبحاث أن حفز الناس إلى عقد اجتماع عام شكلت فيه لجنة من ٣٥ من السكان ليتعاونوا على عمل شىء ما . وكان فى هذه اللجنة التجار والأطباء والمحامون والعمال، بعضهم من أغنى الأغنياء ، وبعضهم من أفقر الفقراء . وكانوا هم زعماء المدينة ، وقد نهضوا للعمل. وقد خصصت الحكومة مئات الريالات وآلافها على سنوات ، للشوارع والطرق ، وقد صرفت هذه الأموال ، ولكن الناس لم يظفروا بطرق صالحة ولا شوارع ممهدة .

إن الألف رجل الذين تتألف منهم جماعة كارديناس يخبرونك اليوم أن الفضل هو فضل الدكتور وارتون الذى لم شعث ثورتهم فى خطة بسيطة مثمرة ، فقد نصحهم بقوله : « علينا أولا أن لا نحاول تمهيد الطرق جميعاً دفعة واحدة ، فلنمهد طريقاً واحداً فى كل مرة . ثم علينا أن لا نحاول أن نعمل كل شىء بأنفسنا وحدنا ، فالمدينة ملك لجميع السكان فليتعاونوا جميعاً . ومهما نصنع من شىء ، فليكن أول ما نصنع ما يضمن لنا سبيل الاستمرار ، لا أسابيع أو أشهر بل سنة بعد أخرى . إن كثيراً من المشروعات تحييها الحماسة ليقتلها الإهمال . ولا يحدث هذا غالباً لأن المشروع غير صالح ، بل لأنه صالح جدا هائل جدا ، غايته بعيدة ومناله صعب » .

كم يكلف تمهيد طريق واحد فى مدينة ؟ خمسمئة ريال ! يقول الدكتور وارتون : « لنبدأ بهذا ، ألا نستطيع أن نحصل على

٥٠٠ ريال إذا دفع كل فرد منا ريالا واحداً ؟»
فبدا للجنة أن الأمر ميسور وقد كان .
ثم قال : « علينا الآن أن نضم ٥٠٠ رجل آخرين، ليدفع كل منهم ريالا ، وكذلك نظفر بإصلاح طريق آخر » . ولقد تم هذا أيضاً .

يا للسحر ! بعد سنين طويلة من إهمال الحكومة تم تمهيد طريقين بالمدينة ، لا يؤودك أن تسير فيهما ، وأن تجرى بسيارتك عليهما ، ولكن غير بعيد حتى توغل فى الوحل والتراب مرة أخرى .

قال الدكتور وارتون : « الآن لدينا ألف رجل ، فلنكن عصبة واحدة ، فإذا تخلى أحدهم فليحل غيره مكانه . وإذا دفع كل رجل من الألف ريالا على الأقل كل شهر فسنمهد طريقين شهريا أى ٢٤ طريقاً فى السنة» . وبدا للجنة أن هذا لن يتم بسرعة ، فلماذا لا نحصل من أوساطهم ٥ ريالات ومن أغنيائهم ٥٠ ريالا ، غير أن الدكتور وارتون حبسهم على الفكرة الأولى الأصيلة ، وأكد لهم أن بعض الناس سيدفع أكثر وهو مغتبط متى رأى العاقبة رأى العين » .

ولقد صحت نبوءته . وقسم الألف رجل أنفسهم جماعات من المحامين والأطباء والتجار والعمال ، وكان بعضهم يبذل من جهوده فضلا عن نقوده ، وكان المختصون يبذلون من فنهم ، والعمال يبذلون من كدح سواعدهم ، ولقد دفع أغنى رجل فى المدينة آلاف الريالات . وكان بين الألف رجل بعض النساء اللائى نظمن الحفلات التى جمعت نحو ٥٠٠٠ ريال سنويا مدى خمسة أعوام .

وقد اهتمت السلطات المحلية بالمشروع وأمدته بالمال والمواد ، ولم تكتف حكومة كوبا بفتح اعتماد للمرافق العامة فى كاردنياس بل قررت أن تمنحه جماعة الألف رجل لتتولى هى صرفه . وكانت العواقب مرضية جدا ، حتى إن الحكومة اعترفت بالهيئات المماثلة لها فى كل مكان ، وعهدت إليها فى صرف الأموال الخاصة بالمرافق العامة .

ولا ريب فى أن السبيل إلى هذا الغرض لم يكن محفوفاً بالأزهار والرياحين . ففى الجلسة الأولى صرح الدكتور وارتون بأن الهيئة لا تساهم فى أى نشاط سياسى ، فتذمر الساسة وطلبوا أن يعرفوا لماذا يبعدون . فقال الدكتور وارتون أنْ ليس المقصود إبعاد المشتغلين بالسياسة بل إبعاد السياسة ، والجماعة ترحب بالساسة مواطنين ، فرضيت نفوسهم . والذى أقبل منهم ليهزأ بالجماعة لم يلبث أن بقى فيها ودفع نصيبه . وكان أحد كبار الساسة فى هافانا يوالى إرسال شيك بمبلغ ٢٥ ريالا كل شهر مدة سنتين .

وطبيعة البشر هى هى فى كوبا ، فإن كثيراً من الطبقات الفقيرة التى تعيش فى أطراف

المدينة وجهت إلى الجماعة تقدماً مرا ، لأنها تمهد الطرق التي في قلب المدينة ، وقالوا إن الفقير دائماً مغبون ، فأعدت الجماعة عدتها لتمهيد طريق يدور حول المدينة بأسرها .

وقد علق على باب كل مشترك في الجماعة لوحة صغيرة نظيفة مكتوب عليها «الألف» . وفي ماتنزاس عاصمة المقاطعة تكاد «الألف» تتألق صفراء فاقع لونها على كل بيت وكل مكتب . وفي بينار ديلريو ، حاضرة منطقة السيجار الفاخر ، يتجلى العدد ١٠٠٠ على أبواب المنازل وإلى جواره هذا الشعار : « نحن جميعاً لبينار ديلريو » ، وفي هذه البلدة كان المشروع الأول للألف رجل هو حفر مصارف الماء لمكافحة البعوض .

وما كادت تمضي سنتان حتى أتمت الجماعة أعمالا تقدر بمئة ألف ريال ، وهي نفس الأعمال التي فتح لها اعتماد ٣٥٠ ألف ريال ، وبددت في سنوات ولم يظهر لها أثر .

وقد أقبلت الوفود على كارديناس من جميع أنحاء كوبا ، حتى لقد أقبلت وفود من بلاد أخرى ، ليتعلموا كيف ينشئون جماعة الألف رجل في بلادهم . وكثير منهم كان يريد أن يرى بعينه صدق هذا المشروع وإمكان تنفيذه ، لأن أهل كوبا يحبون أن يفخروا بأن أهل كوبا لا يمكن أن يتعاونوا في عمل شيء : « لأن كل رجل منهم مغال في استقلاله وأهوائه » .

إلا أن الدكتور وارتون استخلص برأيه الناضج ، من معاشرته أهل كوبا وعمله معهم ، أنهم يتعاونون في العمل ، كغيرهم ، متى وجدوا مشروعا مرسوماً وزعيما مقتدراً وهو يقول : « إن أهل كوبا شعب ناشئ لا يزيد عمره عن عمري ، وليست مشكلاتها المضطربة إلا آلام النمو في زمن الصبا . فهي آخر مستعمرة في العالم الجديد تحررت من ربقة الإسبان . ولم يكن أمامها ، في أقل من ٥٠ عاماً من عهد الاستقلال ، وقت كاف أو فرصة متاحة لكي تنشئ جيلا يتخصص في شئون الحكومة الديمقراطية المعقدة .

« غير أني أرى جيلا جديداً من أهل كوبا يشق طريقه — جيل يتطلع للنهوض بوطنه ، وهو عازم على التعاون وقادر عليه » والدكتور وارتون يدعو الزائرين المرتابين إلى اللجنة التنفيذية لجماعة الألف رجل في كارديناس ليثبت وجهة نظره . وهي لجنة مؤلفة من ١٥ عضواً يثابرون على الاجتماع في مساء يوم الاثنين منذ خمسة أعوام . « فلتأتوا بخير من هذا النظام إن استطعتم في أمريكا أو حيثما شئتم » . هكذا يقول الرجل الذي يقف من وراء الألف رجل .

طرد أرصاد الإذعات التابعون لقسم مخابرات الراديو الأمريكي ، جواسيس العدو من جو الولايات المتحدة ، وعاونوا بلاد أمريكا اللاتينية الصديقة أن تحذو حذوهم .

أرصــاد أمــواج الأثــير

بليك كلارك • ملخصة عن صحيفة "كريستيان ساينس مونيتور"
مع إضافات من المؤلف

عقب الاعتداء الياباني على بيرل هاربور بيومين ، سمع راصد(*) الإذاعة التابع لقسم مخابرات الراديو للولايات المتحدة فى محطة ذلك القسم فى بورتلند بولاية أوريجون ، أحرف النداء غير المألوفة « ى ، ا » تقعقع فى سماعتيه . وكانت هذه الإشارة مرسلة على موجة صالحة للاذاعة فوق المحيط الأطلسى . فطيّر الراصد نبأ ما وقع عليه بشبكة التليفون الكاتب الخاصة بقسمه . وفى ست دقائق كان زملاؤه من رَصَد الأمواج اللاسلكية فى عدة جهات من البلاد قد جاسوا الهواء باحثين بأجهزة بعيدة المدى تعين الاتجاه ، واهتدوا إلى مصدر تلك الإشارة فى مدينة وشنطون .

وركب رجال من قسم مخابرات الراديو ، ثلاث سيارات مزودة بأجهزة تعيين الاتجاه وخرجوا من جهات مختلفة فى العاصمة ، فوقفوا على مكان محطة الإذاعة السرية بالسفارة الألمانية قبل أن تتصل بألمانيا .

لقد تولى قسم مخابرات الراديو ، رصْد أمواج الأثير لحكومة الولايات المتحدة منذ سنة ١٩١٠ . ولقد كسب رجاله خبرة عالية بترصدهم للهاربين من العدالة ، ومهربى الخمور وغيرهم من منتهكى حرمة القانون ، الذين يستعملون إشارات رمزية معقدة ، والذين يغيرون على الدوام حروف نداءاتهم المحظورة ، ومواقع محطاتهم ، وغيرها من الحيل . فهؤلاء الأرصاد قد جعلوه اليوم أمراً مستحيلا على جواسيس العدو أن يديروا أية محطة إذاعة سرية فى الولايات المتحدة ، وعاونوا على استئصال المحطات الخفية التى تذيع معلومات عسكرية من أمريكا الجنوبية إلى القيادة العليا الألمانية .

وقد ضبط اليابانيون منذ عهد قريب أمريكيا يرسل إذاعات منتظمة من الفلبين إلى الولايات المتحدة ، ولكن ضبطه استغرق سنتين . وقد نجا شيعة الحلفاء ، الذين يذيعون فى الخفاء من ألمانيا ، من القبض عليهم منذ سنة ١٩٤٠ . على حين ترى فى أمريكا أن شيعة المحور الذين يحاولون الاتصال اللاسلكى

(*) هو من يتسمع للاذاعات المختلفة وينقلها كتابة أو تسجيلا على آلات خاصة .

بألمانيا أو باليابان يمكن أن يكشف أمرهم في ثوان ، وأن يعين مكانهم في دقائق ، وأن يقبض عليهم في أقل من ٢٤ ساعة .

وقد أتقن «جورج سترلنج» ، وزملاؤه صنع الجهاز البعيد المدى لتعيين الاتجاه . وهو مؤلف من ساريتين متوازيتين متصلتين على هيأة (H) ، تدوران حول مركز مركبتين على برج ارتفاعه ٤٠ قدماً . وثمة ٢٦ جهازاً من هذه الأجهزة الحساسة موزعة على أنحاء أمريكا يستعملها رجال قسم مخابرات الراديو ليتصيدوا الإشارات من الأثير . وحين يكشف أحدهم إشارة لاسلكية غير معهودة أو معروفة ينذر زملاءه فوراً بأجهزة إذاعة دقيقة وبتلفونات كاتبة . وعندئذ يتسقط كل راصد تلك الإشارة المجهولة ، ويبعث كل منهم على حدة بتقريره عن اتجاه مصدرها إلى مقر يتولى دراستها ورسم الاتجاهات على خريطة . وهكذا يتعين مكان المحطة الخفية في النقطة التي تلتقي فيها الخطوط الستة والعشرون .

ولقد أدت إشارة التقطها أحد رَصَد الإذاعة إلى الكشف عن واحدة من أكبر شبكات التجسس للمحور في أمريكا الجنوبية . فقد حدث ذات ليلة أن التقطت أذنه المدربة تلك الإشارة اللاسلكية الخافتة « ر ، إ ، و » تتكرر إذاعتها بانتظام .

ولما انقطعت إذاعة هذه الإشارة في انتظار الرد سمع حروف النداء «ب ، ى ، ل» ، فنبه زملاءه المنتشرين في جهات مختلفة ، وأخذ رجال قسم المخابرات يعينون اتجاه تينك الإذاعتين . وإذا مصدر الإشارة « ر ، إ ، و » في هامبورج بألمانيا ، ومصدر الإشارة الثانية « ب ، ى ، ل » في فلباريزو بشيلي . ولم يتدخل رجال المخابرات اللاسلكية ، ولكنهم استمعوا إلى المحطتين ليلا ونهارا بلا انقطاع ، مسجلين الرسائل السرية المذاعة التي كشفت عن وجود هيئة واسعة الانتشار ، محكمة التنظيم ، من جواسيس المحور .

أذيع الأمر التالي من الريخ : « يجب أن نظفر حالا بمعلومات مفصلة عن إنتاج الطائرات في الولايات المتحدة في المنطقة رقم ٤٤ » ، فالتقط قسم مخابرات الراديو الرد وقد كان : « سيشرع مصنع كرتيس كولمبس في إنتاج واسع النطاق لطائرات «س ب ٢ ث» من ذوات المقعدين للأسطول ، وهي مسلحة بمدفع وخمسة رشاشات . أما المحرك فمن طراز رايت ، وقوته ألفا حصان ، ولا يزال في دور التجريب . ويبلغ عدد عمال كل مصانع كرتيس ٢٧٫٠٠٠ وسيبدأ إنتاج مراوح هذه الطائرات في شهر نوفمبر : ١٩٤٢ » .

بعد الهجوم على بيرل هاربور بعشرة أيام

أذاع مذيع مجهول هذه الرسالة : « ستجهز جميع البواخر المسلحة بشبكات واقيـة من الطربيد عنـد وصولها إلى ترنيداد ، أو فريتاون ، أو أي ميناء إنجليزي . ولدينا رجال يوثق بهم كل الثقة سيغرقون السفن خارج نطاق المياه الإقليمية في هذه الموانيء ، دون أن تحوم شبهة حولنا . والدفع بعـد الإغراق لا قبله » . فلما أنذر الأسطول الأمريكي ، غير اتجاه هذه السفن .

وحين كانت شبكة جواسيس المحور غير منهمكة في إجابة طلبات خاصة ، كانت تذيع فيضاً متصلا من أحدث المعلومات السرية .

فلما حملت الباخرة كوين ماري جنوداً إلى البرازيل ، أعلنت ست محطات سرية مختلفة نبأ وصولها ، ونبأ إقلاعها ، ونبأ عودتها .

وقد أرسل جون . ف . باردلين ، أحد خبراء قسم مخابرات الراديو ، إلى شيلي تلبية لطلب حكومتها . وقد عاونته السلطات المحلية معاونة كريمة ، فوجد أن عامل الإذاعة ، في محطة من أكثر هذه المحطات السرية نشاطاً ، يذيع كل ليلة من أمكنة مختلفة في مدينة فلباريزو . فلم يلبث بارد لين أن كشف بمعاونة زملائه الشيليين ، وبوساطة الأجهزة المتنقلة لتعيين الاتجاه ، أن الجاسوس المذيع كان يتخذ مقره في فترات منتظمة في منزل مَن يدعى وليم زيلر . فهاجم البوليس الشيلي المنزل ، ولكنه لم يعثر على جهاز إرسال ، غير أن رجال البوليس لاحظوا في هجمة ثانية صندوقاً كبيراً في الطبقة السفلى من المنزل ، وقد كتب عليه « ماكينة خياطة » . وكان ذلك الصندوق مركباً على عربة يد لا تحدث صوتاً عند دفعها ، فقبض على زيلر ومعظم عصابته . وعند المحاكمة ركب باردلين « ماكينة الخياطة » و « خاط » عليها عدة رسـائل بين سمع القاضي وبصره ، فحكم بإدانتهم !

وكان في البرازيل ، ثلاث محطات سرية ، وكانت كل منها نواة لعمل فريق منفصل من الجواسيس الألمانيين . فدرّب روبرت . د . لنكس ، أحد رجال قسم مخابرات الراديو ، عـدداً من البرازيليين في فن مقاومة الجاسوسية بالراديو ، فقبض على عدد من الجواسيس ، وضبطت أجهزة إرسالهم القوية ، وفر بعضهم إلى الأرجنتين حيث لا يزالون يوالون عملهم .

وقد التقطت محطة قسم مخابرات الراديو في سانتا آنة بكاليفورنيا الرسائل اللاسلكية المذاعة من الأرجنتين ، فمهدّ الطريق للقبض على واحد من أخطر جواسيس اليابان في بونس آيرس . وقد كان « ماساو تسودا » يرسل في الظاهر أخبارا لا غبار عليها ، ولـكنه ، كان في الواقع يبعث بمعلومات عسكرية مفصلة ، مثـال ذلك ، تقرير كامل

عن الطائرة المتفوقة «مارس» . ولقد كلف الموظفون الأرجنتينيون أن يراقبوا « تسودا » مراقبة دقيقة . وقد كان الرجل يهيم بالغوانى ، فكان حديثه معهن حديثاً مستفيضاً ، فانتهى به المطاف إلى السجن .

وكثيراً ما استمع مكافحو الجاسوسية من رجال قسم مخابرات الراديو إلى قصص بشعة عما يتخلل حياة جواسيس المحور من المآسى . فقد اشتبه فريق من مذيعى النازى الخفيين الذين يزاولون عملهم على شاطىء أمريكا الجنوبية الشرقى ، فى أن أحدهم كان منافقاً يتصل بالنازيين وبأعدائهم فى وقت واحد . وذات يوم شكا هذا الرجل المشتبه فى أمره من الحرارة الاستوائية . وبعد ظهر ذلك اليوم سمع أرصاد الإذاعة فى الولايات المتحدة زميلا له يبلغ برلين أن ذلك الرجل لن يبعث بعد اليوم برسائله ، فقد أعطى عقب آخر إذاعة له كوبا مبرداً من عصير حلو المذاق ، مزجت به جرعة كبيرة من السم .

وقد ظفر رَصَد الإذاعة بالولايات المتحدة ظفرا باهرا يوم قبض على « بدرو » ، وهو شاب ألمانى مولود فى شيلى ، كان يدير محطة الاذاعة السرية المعروفة « ج ، إ ، س » ، فلما أطبقت السلطات الشيلية على عصبته لاذ بالفرار . وبعد عام كشف رَصَد الإذاعة من قسم المخابرات محطة إذاعة خفية جديدة تذيع فى أمريكا الجنوبية ، فتبينوا أن المذيع هو صديقهم القديم بدرو ، فقد نمَّت عليه طريقته فى إرسال الإشارات ، وهى من العلامات الصادقة فى الدلالة على شخصية المذيع ، كما يدل عليها خط الكاتب . وكان بدرو يدق رسائله بيده اليسرى تضليلا لراصديه ، ومع ذلك فقد كانت هى طريقته لا ريب فيها . فقبض عليه بوليس شيلى اعتمادا على معلومات تلقاها من الولايات المتحدة .

وسيضطلع قسم مخابرات الراديو بأمور كثيرة ، حتى بعد أن تضع الحرب أوزارها ، فمحطات الإذاعة ومحطات التلغراف اللاسلكى ، والسفن التى تمخر البحار ، والطائرات ، وإدارات البوليس ، ومحطات الجيش والأسطول ، كلها تذيع على موجات مختلفة . وفى الولايات المتحدة وحدها ٢٠٠,٠٠٠ محطة لاسلكية مصرح لها بالإذاعة . وكان عدد المذيعين الهواة قبل الحرب ٦٠,٠٠٠ فلابد أن يلزم كل مذيع من هؤلاء المذيعين الكثيرين ، بالإذاعة على الموجة المخصصة له فقط ، ويجب أن يحمى كل منهم من طغيان موجة أخرى على موجته ، فإن لم يحقق ذلك عمت الفوضى الهواء . ولكن أرصاد الاذاعة اللاسلكية من قسم مخابرات الراديو سيضطلعون بهذا العمل المهم فى زمن السلم والحرب على السواء .

نقلنا معنا مرافئنا

« معجزة العصر » ، عجائب هندسية سرية تفسر غزو فرنسا السريع

البرت ك ميزل

أحكم النازى وضع خطتهم الحربية لمواجهة الحلفاء يوم يغزون أوربا ، فيردوا القوات النازلة إلى الساحل على أعقابها إلى البحر فى ساعة الضعف ، حين يكون المشاة المسلحون بأسلحة خفيفة لايزالون على الشاطئ ، أما المدافع الكبيرة والدبابات التى تزن الدبابة منها ستين طنا وسائر المعدات المتحركة ، فلا تزال تشق طريقها فى الماء إلى اليابسة .

كذلك قدر روميل فأخطأ التقدير ، لأن القوات النازلة إلى البر كشفت عن سلاح سرى عجيب — هو مرفآن كاملان مصنوعان ، وكلاهما كمرفاء دوفر فى سعته . وكانا قد بنيا قبل الغزو ، وقطرا على بحر المانش ، وأقيما أمام الساحل . وعلى هذين المرفأين ، اللذين يبلغ طول كل منهما ثلاثة أميال ، أفرغت أصناف شتى من السفن الصغيرة ، فى اليوم الثالث بعد بدء الغزو . فلم يكد ينصرم الأسبوع الأول حتى كانت سفن الحربية الكبيرة القادمة من الولايات المتحدة ، تفرغ شحنها فيهما . فلما شرع الألمان فى الكر على قوات الغزو ، ردتهم معدات حربية ضخمة ، كانت القيادة الألمانية واثقة بأن الحلفاء لن يستطيعوا إنزالها إلى البر دون أن تتاح لهم وسائل مرفإ كبير .

وقد بدأ هذا المشروع فى سنة ١٩٤٣ خاطراً ألمعيا فى وزارة الحربية البريطانية ، فقد كانت قيادة الحلفاء العليا تعلم مكان نزول قوات الغزو على الساحل الأوربى ، وكانت واثقة بقدرتها على نقل قوات عظيمة على بحر المانش ، واقتحام ستار الدفاع الألمانى على الساحل ، ولكنها كانت تعلم كذلك أن ثغور الصيد الفرنسية الصغيرة التى تقع فى أيدى الغزاة فى الأيام الأولى ، لن تتسع وسائلها للمقادير العظيمة من المعدات الضخمة التى لا بد من إنزالها إلى البر ، وكانت تعلم أيضاً أن مدّ الماء وجزره فى بحر المانش ، البالغ ٢٢ قدماً ، والعواصف العاتية ، ستحول دون إنزال المقادير اللازمة من هذه المعدات على السواحل المكشوفة .

وكذلك شرع فى تنفيذ هذا المشروع الجرىء ، فصنع سلاح المهندسين الملكيين البريطانيين التصميمات الأولى ، وراجعها المهندسون الأمريكيون المدنيون الملحقون

بالأسطول ، واقترحوا بعض التعديل ، فشملت التصميمات النهائية ، صنع مئة وخمسين كتلة ضخمة من الأسمنت المسلح تبنى بهما جدران المرفأين ، على أن تكون ستة أحجام مختلفة ، يصلح كل منها لأغوار الماء المختلفة. وكان أصغرها يزن ١٦٧٢ طنا وأكبرها ٦٠٤٤ طنا . وتقرر أن تصنع أرصفة مجموع طولها سبعة أميال ، على أن تبنى قطعاً قطعاً طول كل قطعة ٤٨٠ قدماً — حتى يسهل جرها فى بحر المانش ، وحاجز للماء من الصلب وزنه ١٥ ألف طن ، وسفن تغرق فى الماء للغرض نفسه .

وقد قدم البريطانيون الصلب والحجر والأسمنت ، وأرسل الأمريكيون مقادير عظيمة من الخشب تبلغ مساحتها ملايين من الأقدام المربعة . فلما وافى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ حتى بدأت كتل الأسمنت الضخمة ترتفع فى ٢٧ موقعاً متفرقاً فى الجزائر البريطانية ، وكان ارتفاع كل كتلة يبلغ ارتفاع دار كبيرة .

وقد بنى بعضها على شكل السفن ، وبعض آخر على شكل مزالق السفن فى دور الصنعة ، وقد شيدت منها كتل فى أحواض صُنعت لها خاصة فى حُفر على الساحل بعد أن رفع وحلها ثم عوّمت الكتل فيها ، واليابسة لا تزال تحيط بها ، بدفع الماء فى الأحواض ، ثم شقّ الجدار الذى يفصلها عن البحر ، وقطرت إليه.

وقد اشتغل بهذه الناحية وحدها من المشروع عشرون ألف عامل ، ولم يكن أحد منهم يعلم سرّ ما يعمله ، وقد لحتهم الطائرات الألمانية المستطلعة فلم تتبين غرضهم .

فى أثناء ذلك احتشدت فى الموانى الإنجليزية والأسكتلندية سفن قديمة من جميع أنحاء العالم . وقد ساهمت كل أمة من الأمم المتحدة بسفينة واحدة على الأقل ، ولكن الكثرة كانت من سفن الحرية القديمة التى صنعت أولا فى الولايات المتحدة . وقد بلغ بعض السفن من القدم مبلغاً اقتضى من المهندسين أن يضعوا محركات جديدة فيها لكى تتمكن من عبور بحر المانش . وكان من رجالها ألف رجل من بحارة السفن التجارية الأمريكية الذين تطوعوا لهذه المهمة الشديدة الخطر .

وفى صباح يوم الغَزو ، سار البحارة بقواربهم الصغيرة إلى سواحل الغزو ، مع الأمواج الأولى من القوات الغازية ، ولكنهم وقفوا بقواربهم دون اليابسة ، وعسى أن يكون المراقبون الألمان على صخور نورمندى قد ظنوا أن بهم مسّا من الجنون ، لأنهم عمدوا إلى إلقاء حبالهم فى الماء ، كأنهم ينوون أن يقضوا صباحهم مطمئنين إلى الصيد . ولكنهم كانوا فى الواقع ، يعيدون

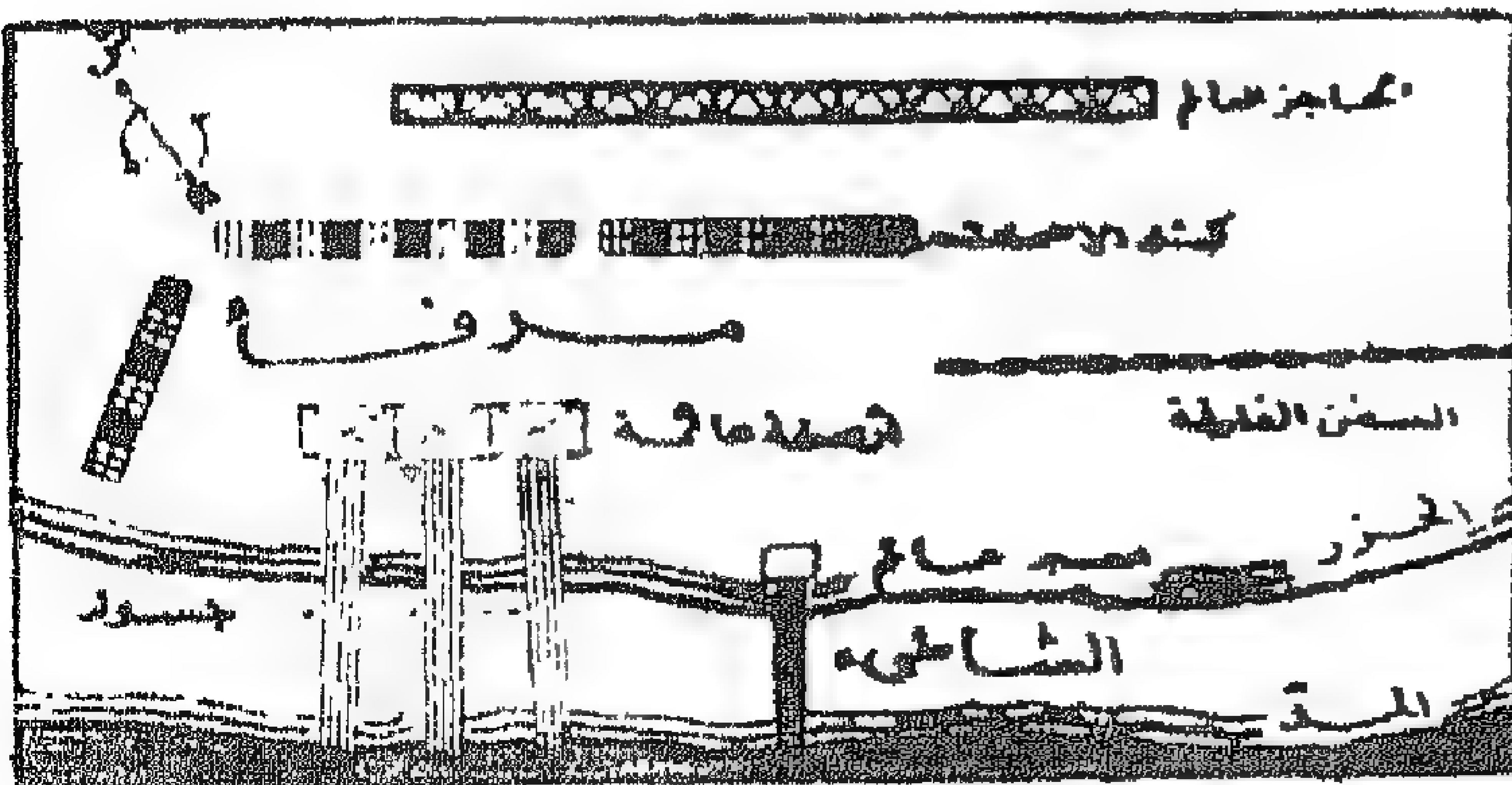
استكشاف قعر البحر أمام الساحل ، ليضبطوا الاستكشاف الذى قام به الفـدائيون من البريطانيين والأمريكيين منذ أشهر .

وفى مساء يوم الغزو ، شاهدتُ وصول السفن الأولى المعـدة للاغراق ، وكانت خطاً غير منتظم من السفن القديمة ، كأنما هى طائفـة أخرى من السفن التجارية لا أكثر ولا أقل ، ولـكنها لم ترس أمام الساحل لتنزل الزوارق ، كما كانت مئات من السفن الأخرى تفعل فى منطقة النقل الحربى ، بل تقدمت هـذه السفن المعدة للتضحية نحو اليابسة . وقد ظن الجنود الذين لا يعلمون السر أنها سترتطم بالساحل ، ولـكنها لم تلبث أن استدارت ، فربطت كل منها بعوامة أحكم رجال المساحة البحرية وضعها فى مكانها من البحر ، ثم نزل بحارة السفينة فى الزوارق ، ولـكن تخلف بضعة رجال منهم ليتولوا العمل الدقيق الخطير ، وهو تفجير الديناميت ، لينسف فى قعر كل سفينة فجوات كبيرة .

وقد شـاهدنا السفن وهى تغرق ، واحدة بعد واحدة ، فلما أسدل الليل ستاره ، كان هناك خط متصل مؤلف من اثنتى عشرة سـفينة تقريبا ، يبعد عن الشاطىء ١٢٠٠ قدم .

وكانت كل سـفينة مستقرة فى قعر البحر وسطحها بارز فوق مستوى الماء . وارتفع المدُّ ٢٢ قدما ، فبلغ متن السفن تقريبا ، ولـكن العمل أحكم إحكاما عجيبا ، فلم يطغ ماء المد على متن إحداها ، وتكسرت عليها الأمواج فضعفت حدتها ، وكان الماء على الجانب الآخر رَهْواً يتيسر النزول فيـه من الزوارق الصغيرة .

وعندئذ بدأ أسطول من الزوارق القاطرة يقطر كتل الأسمنت الضخمة من خمس مناطق معينة فى بريطانيا ، فعبر بهـا بحر المانش . وقد كان هذا العمل أشـد أعمال المشروع خطراً ، لأن الـكتلة كانت شاهقة فوق سطح الماء ، فما أحسنها من أهداف لزوارق الطربيـد النازية ، وللطائرات والغواصات . وكان على هـذه القطرات أن تجتاز مسافة ١٢٥ ميلا من بريطانيا إلى فرنسا ، وكانت سرعتها لا تزيد على ثلاث عقد فى الساعة . وقد وصـلت



القطرات الأولى دون أن تهاجم ، لأن الألمان أخذوا على غرة . ولكن الألمان بدأوا يهاجمونها منذ اليوم الثالث ، فتبينوا أن هذه الكتل مسلحة ، مع أنها كانت تبدو مجردة من وسائل الدفاع . فعلى قمة كل منها برج مستدير من الصلب ، فيه رجال المدفعية من الجيش ، يطلقون النار من بطارية صغيرة من المدافع المضادة للطائرات . وقد بنى لهؤلاء الرجال مساكن فى الجزء الأسفل من البرج ، ولكن ضرورة الدفاع لم تتح لمعظمهم فرصة كى يهبط إلى المسكن فيصيب غفوة .

ولم يلبث النازيون أن صرفوا همهم إلى الزوارق القاطرة التى تكاد تكون مجردة من وسائل الدفاع ، وكانت مربوطة إلى الكتل البطيئة ، فلم يكن فى وسعها أن تتجنب الهجوم عليها بالمراوغة . وقد خسر الحلفاء بعض رجالهم ومعداتهم ، ولكن الخسارة كانت متوقعة فى المراحل الأولى من هذا المشروع . فلما تم إنفاذ المشروع كله ، كان لا يزال فى بريطانيا كتل من الأسمنت تزيد عن الحاجة .

كانت هذه الكتل قد صممت لتغرق فى ماء عمقه خمس قامات ونصف قامة ، فيتيح ذلك للسفن التى تحتاج إلى ثلاثين قدماً من الماء أن ترسو وراء هذه الكتل عند الجزر . وكان لا بد أن تغرق تماماً فى المكان المحدد لها ، وعلى أسرع وجه وقت المد . ولم يكن فى الوسع استعمال الديناميت هناك ، لأن انفجاره قد يحطم الكتل أو يقلبها . فبدلا من ذلك صنع فى كل منها سلسلة من الصمامات تفتح فيدخل الماء ، وقد رتبت هذه الصمامات بحيث تغرق الكتل وهى مستقيمة الوضع بسرعة سبق ضبطها . فإذا وصلت كل كتلة إلى موضعها المحدد لها ، فتحت الصمامات ، فكانت كل كتلة تستغرق تماما ساعة ودقيقة واحدة قبل أن يصل أسفلها إلى قعر البحر .

وفى اليوم الثالث بعد يوم الغزو ، بدأت هذه الكتل تصل إلى السواحل الأمريكية والبريطانية بمعدل أربع كتل إلى ست فى اليوم ، ولذلك اطرد امتداد جدار المرفإ المصنوع من الأسمنت ، واتسعت مساحة الماء التى يحميها ، حيث تستطيع السفن الكبيرة أن تفرغ شحنها فى مأمن من العواصف .

ثم تجلى الغرض من حاجز الماء المصنوع من الصلب ، فمهندسو الحلفاء كانوا يعلمون أنه حين تهب أعتى العواصف ، ترتفع أمواج المانش إلى اثنتى عشرة قدماً ، وترتطم بساحل نورمندى الوعر .

فقوة هذه الأمواج خطر عظيم يهدد

كتل الأسمنت بالانقلاب والتدمير ، وقد تنقطع أمراس السفن المنتظرة خارج المرافئ المصنوعة ، فتنفصل عن مراسيها وتصطدم بجدران الكتل . فرغبة فى إنشاء مرفإ خارجى تؤمه السفن التى تنتظر تفريغ شحنها ، أو ترتقب انتظامها فى قافلة عائدة إلى بريطانيا ، صنع حاجز عائم للأمواج من الصلب طوله ميل خارج حافة المرفإ الذى صنع جداره من كتل الأسمنت . فالموجة العاتية ، تفقد نصف قوتها فى تجاوز حاجز الأمواج العائم ، فتصدم جدار المرفإ الداخلى صدمة موجة صغيرة زال خطرها . وفى آخر الخط المؤلف من السفن الغارقة ، أرست بارجة قديمة لم تعد تصلح للقتال ، فجعلت مركزاً للدفاع الجوى ، ومكتباً عاماً ، ومقراً للمراقبة والتوجيه . ومن أعلى سواريها كان ضباط مراقبة المرفإ يرسلون تعليماتهم ، وإلى الغرب من هذه البارجة ، كان المدخل الرئيسى إلى المرفإ ، وكانت سعته ٦٠٠ قدم فتجوزه السفن الكبيرة إلى مراسيها . ويلى ذلك صف من كتل الأسمنت ، وقد كان مجهزاً بالوسائل اللازمة لتفريغ سبع من سفن الحرية ، فى كل مرفإ من المرفأين

وجاء اختراع آخر فكان له شأن عظيم فى تدبير المعدات داخل المرفإ ، فثمة الأرصفة العائمة التى صممها البريطانيون لخدمة سفن الإنزال والسفن الساحلية . وقد كانت مشكلة المد والجزر فى إعداد هذه الأرصفة مشكلة لا يدرى كيف تذلل . فإذا صنع رصيف يرتفع سطحه عن مستوى الماء وقت المد ، فإنه لا يصلح لخدمة السفن الراسية وقت الجزر ، وإذا جعل سطحه منخفضاً لخدمة السفن وقت الجزر ، غمره الماء وقت المد.

وقد ذللت العقبة بإبداع نوع جديد من الأرصفة يستقر على دعائم مفرغة مصنوعة من الصلب ، فإذا كان وقت الجزر لمست الدعائم قعر البحر واستقرت عليه ، فيكون سطحه فى مستوى الارتفاع المتوسط لمتون السفن ، وإذا كان وقت المد عام الرصيف على دعائمه المفرغة المملوءة بالهواء فيرتفع ارتفاعاً كافياً لحفظ سطحه مسافة كافية فوق سطح الماء . وقد بنيت هذه الأرصفة إجابة للأمر الخاص الصادر من تشرشل قال : « يجب أن تكون عائمة تعلو وتهبط مع المد والجزر . ولا بد من تذليل مشكلة الإرساء . أعطونى خير حل للمشكلة ، لا تتجادلوا فى المسألة ، فإن العقبات تحسن أن تجادل عن نفسها » .

فلما أدرك النازيون ما يواجهون ، وعرفوا شدة الخطر الذى تتعرض له خطة دفاعهم فى هذين المرفأين ، بدأوا يغيرون عليها بالطائرات إغارات جنونية ، ولكن

الهجوم الألمانى جاء متأخراً (١) لأن الدفاع الجوى عن المرفأين كان شديداً ، اشتركت فيه المدافع المضادة من بطاريات المرفأين ، ومن البارجة القديمة ، ومن مواقع الجنود على الساحل ، وكان لكل سفينة مغرقة وكل كتلة أسمنت ، ستارها من البلونات الحارسة . وأهم من هذا كله أن ظلت طائرات الحلفاء المقاتلة تحمى المرفأين كأنها مظلة تظللهما .

نعم ، لم تتجه النية إلى استعمال المرفأين استعمالا غير محدود ، وحسبهما أن ينتفع بهما الحلفاء إلى أن تؤخذ شربورج ، فإذا ظلا قائمين إلى أن تنقضى فترة عواصف الخريف فذلك خير ، ولكن المطلوب هو سرعة إنزال المعدات الحربية الضخمة إلى الساحل . وهو عمل لم يعمل قبل فى غزو من هذا القبيل .

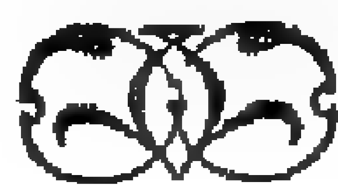
وقد حقق الغرض بجهد عجيب مشترك بين البريطانيين والأمريكيين ، وقد دفع الحلفاء ثمناً لمواطئ أقدامهم على الساحل بدماء ألوف من جنودهم ، ولولا هذه المرافئ المصنوعة لظلت هذه المواطئ ، على الأرجح ، مواطئ دامية وحسب . فالأمير ألن كيرك قائد القوات البحرية البرية فى المحيط الأطلسى لم يبالغ حين قال مُعجباً وعجباً : « إنها معجزة العصر » .

(١) فى اليوم الثانى عشر تخرب المرفأ الذى فى المنطقة الأمريكية ، ولكن تخريبه لم يرجع إلى هجوم الألمان عليه ، بل إلى أعتى عاصفة هبت فى شهر يونيو منذ أربعين سنة . ولكنه كان قد أسدى خدمة عظيمة للغزو ، وقد ظل المرفأ فى المنطقة البريطانية سليماً .



قتل مدفعى فى إحدى القاذفات الأمريكية ، فكتب قائد تلك القاذفة إلى والدة القتيل : « عساك تجدين كما أجد أنا تعزية عظيمة ، فى أننا سنموت جميعاً يوماً ما ، ولكن لن يتأتى لكل منا أن يموت فى سبيل شيء ذى خطر » .

[الجندى توماس كريم]

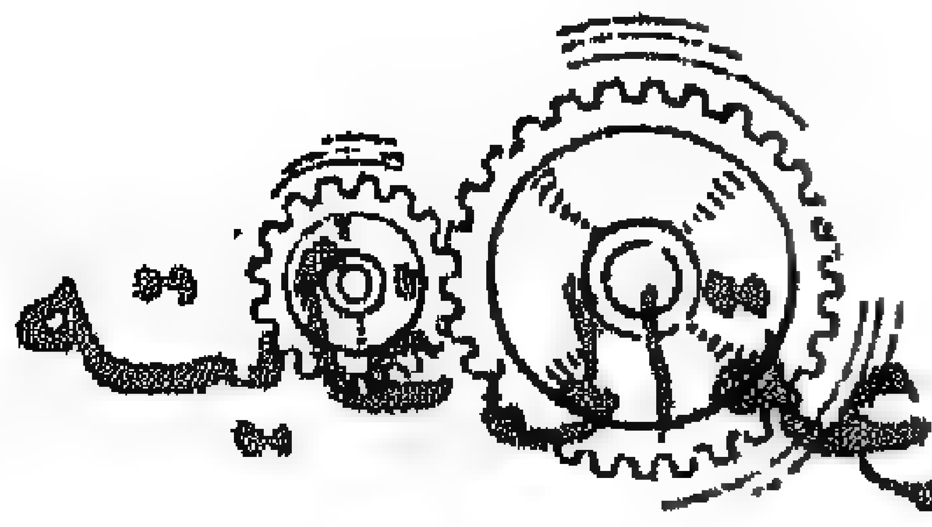


آفة معظم الناس ، أنهم يفكرون بآمالهم أو مخاوفهم أو أهوائهم لا بعقولهم .

[والتر دورانتى فى : « أكتب كما أهوى »]

يقدم آلاف من أصحاب الأعمال للعمال في الولايات المتحدة ضمانات ماليه جديدة

الضمان الاجتماعي للعمال ينطلق بسرعة آلية



رالف والاس

ملخصة عن مجلة "نيشنز بيزنيس"

ل. شيلدز، عمره ٨١ عاما، ولم يربح في حياته أكثر من ٣٢ ريالاً ونصف ريال في الأسبوع الواحد، وكان خفيراً في مدينة فرانكفورت بولاية كنتكي، ولما تقدمت به السن كان لابد من أن يعتزل العمل، وقد استأجر منزلا لنفسه ولزوجه وكان لديه مبلغ ضئيل مدخر، وشيء قليل سوى ذلك.

منذ سنوات كان يحتمل أن ينتهي الأمر بجون إلى مزرعة الفقراء، وهي مزرعة تنفق عليها الدولة ليأوي إليها ويعمل فيها الشيوخ الذين هم عالة على الأمة، بيد أنه يكسب الآن مثل ما كان يكسبه في أزهر أيامه. ومع أنه لا يعمل عملا ما، فإنه يقبض كل شهر ما قيمته ١٣٠ ريالاً، أو ما يساوي بالتقريب ما كان يقبضه مرتباً. وذلك أن للرجل معاشاً وافراً يأتيه من أصحاب عمله الأول، وهم أصحاب معامل التقطير «شنلي».

لقد قضى على شبح العوز في شيخوخة مليونين من العمال الأمريكيين بأكبر موجة عرفها التاريخ ترمي إلى إنشاء نظام المعاشات. فقبل الحرب كانت ألف شركة وحسب تأخذ بنظام معاشات العمال، وأما الآن فإن ستة آلاف شركة قد سجلت أخذها بهذا النظام للحصول على موافقة وزارة المالية الأمريكية، وذلك غير ما ينهال منها على مكاتب تلك الوزارة كل يوم. وهكذا قد يبلغ ما يدفعه أصحاب المصانع الخاصة للعمال المتقاعدين ألف مليون ريال في العام. وفضلا عن هذا، فإن المبالغ السنوية مكفولة إما في شركات تأمين، وإما بأوقاف لا تنقض.

إن هيئات العمال في الولايات المتحدة التي كانت يوماً ما تعارض نظام المعاشات على أنه خطة لإبقاء الأجور منخفضة، تقر الآن بوجه عام برامج الشركات لتعزيز مزايا الضمان الاجتماعي وتكميلها. ويختلف معدل ما تدفعه حكومة الولايات المتحدة لكل عامل وزوجه، تقدمت بهما السن، بين ٥٠ و٦٠ ريالاً في الشهر — وهو ما لا يكفي باتفاق الآراء لتوفير أسباب المعيشة إلا في حدود الضروريات الأولى. ولذلك كانت المبالغ

الإضافية التى يدفعها أرباب الأعمال تساوى الفرق بين الراحة والشقاء .

مثل هذا التفكير الاجتماعى المستنير قرب ما بين المستخدَم والمستخدِم . ولقد درستُ حالة أكثر من مئة شركة أمريكية أخذت بنظام المعاش ، فقررت كل شركة بعد الأخرى أن هناك زيادة فى إنتاجها ، وأن راحة نفوس العمال صارت خيراً مما كانت . وقررت أكثر من ثمانين شركة منها أن تخلف العمال عن العمل قد قل .

وأبلغنى أحد المديرين أن تخلف العمال كان نصف ما كان متوقعاً فقط ، وأن ذلك يرجع لسبب بسيط هو أن العمال كانوا يعرفون أنه سيعتنى بأمرهم عندما يتقدم بهم العمر ، إذا واظبوا على أعمالهم .

ويكاد يعدل ما تقدم دلالة ، أن عظم الإقبال على الأخذ بنظم المعاشات قد أحدث رواجاً عظيما فى برامج التأمين الصحى والتأمين على الحياة بكفالة هذه الشركات نفسها — وهذان التأمينان هما حجرا الزاوية فى الضمان الاجتماعى للعمال . إن مشروعات التأمين الصحى والتأمين ضد الحوادث للجماعات ، تحمى الآن حوالى ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من العمال الأمريكيين ، ومشروعات التأمين على الحياة للجماعات تشمل ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ منهم . والشركات تتحمل فى هذه المشروعات ثلث التكاليف أو أكثر .

قال لى لانجبورن وليمز ، رئيس مجلس إدارة شركة فريبورت سلفر : « إن العامل هو قلب الصناعة الأمريكية ، فلماذا لا يظفر بضمانات تكفلها الشركات : لحياته ، وصحته ، وأمنه على المال فى شيخوخته ؟ » .

وقد أنشأت شركة « شل أويل » منذ سنوات نظاما للمعاشات يعد من أكرم النظم المعروفة ، فالمستخدمون يحصلون ، بعد خدمة عشرين عاما ، على معاش يساوى ٤٠ فى المئة من معدل مرتباتهم فى السنوات الخمس الأخيرة من عملهم . فالعامل الذى يتقاضى ٣٠٠٠ ريال فى العام يمكنه أن يعتزل عمله بمعاش يبلغ ١٢٠٠ ريال فى السنة . ولا يقتطع من مرتبات المستخدمين مليم واحد لهذا الغرض . وأوقع من هذا فى النفس ، أن لشركة شل « صندوق ادخار » ، وهو نظام اختيارى يخصم بمقتضاه ما لا يزيد على ١٠ فى المئة من مرتب المستخدم ، ويدخر إلى أن يترك الخدمة أو يعتزل العمل ، على أن تساهم الشركة بنفس المبلغ الذى ساهم به المستخدم ، ريالاً بريال . وقد اعتزل عمله إ . ن . هدجنز ، من مدينة نوركو ، بولاية لويزيانا قبل الحرب بقليل ، وكان نجاراً فى شركة شل ، فتقاضى معاشاً قدره ٨٦ ريالاً فى الشهر ، وأضيف إليه مبلغ

١٧٫٧٠٠ ريال ، هو نصيبه من صندوق الادخار فى الشركة .

يضاف إلى هذه المزايا التى تمنحها شركة شل عند اعتزال العمل ، أنها تكفل لعمالها رعاية كاملة أثناء المرض . وتتكلف مشروعات شل المنطوية على كل هذه المزايا ما يقرب من ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال كل سنة ، ويقول مديرو الشركة إن فائدة هذه المشروعات لا تقوَّم بمال .

وشركات تليفونات « بل » ، وهى تشمل شركة ويسترن إليكتريك ومعامل تليفونات « بل » ، توفر لعمالها مزايا سخية شاملة دون أن تكلفهم شيئاً . ففى حالة المرض ، مثلا ، تمنح شركات « بل » مرتباً كاملا عن الشهر الأول ، ثم نصف مرتب عن الشهرين التاليين ، لمستخدميها الذين قضوا فى خدمتها سنتين ، وتزداد هذه المبالغ وفقاً لطول مدة الخدمة . فإذا مرض مستخدم قضى فى الشركة خمسة وعشرين عاما واستغرق مرضه سنة ، تقاضى مرتبه كاملا عن سنة . ولا تدفع الشركة معاشات تقاعد وحسب ، بل تدفع كذلك مكافأة تستحق عند الوفاة تتراوح بين مرتب أربعة شهور ، إن كانت مدة الخدمة سنتين ، ومرتب سنة كاملة ، إن كانت مدة الخدمه عشر سنوات . وتأخذ شركة « دوبون » بنظام مماثل فى المعاشات ، كما أنها تقدم لعمالها تأميناً على الصحة دون مقابل .

ولعل أعجب برامج الضمان الاجتماعى ، فى سخائه وسعة نطاقه ، هو البرنامج الذى أخذت به منذ أمد قريب شركة معامل تقطير « شلى » . فنظام المعاشات فى هذه الشركة يتمتع به جميع العمال دون أن يدفعوا شيئاً ، وغرضه أن يضمن لجميع المستخدمين ، حتى الذين لا تزيد مرتباتهم على ١٥٠٠ ريال فى السنة ، حداً أدنى للمعاش عند التقاعد مقداره ١٢٠٠ ريال فى السنة ، بعد قضاء ثلاثين عاما فى الخدمة . ومن قضى فى الخدمة مدة أقل من ذلك ، تقاضى معاشاً يناسب مدة خدمته . فالمستخدم المتزوج حين يبلغ من العمر ٦٥ عاما مثلا ، بعد خدمة مدتها ٣٠ سنة ومرتب سنوى معدله ١٥٠٠ ريال ، يحصل على معاش قدره ٥٦ ريالا ونصف ريال شهريا من نظام الحكومة الأمريكية للضمان الاجتماعى ، وعلى معاش قدره ٤٧ ريالاً شهريا من الشركة — أى على معاش يبلغ جملته ١٢٤٢ ريالاً فى السنة . وينال العامل الذى يبلغ مرتبه فى السنة ٢٢٠٠ بعد أن يقضى فى الخدمة ٣٠ عاما ، ما يقرب من ١٦٠٠ ريال معاشاً فى السنة .

وتكفل الشركة لموظفيها أيضاً تأميناً صحيا يشمل العلاج فى المستشفى للمستخدم

ومن يعولهم . أما نظام التأمين على الحياة ، وتساهم الشركة فيه بالجزء الأكبر من قسط التأمين ، فيضمن لصغار السن من المستخدمين تأمينا أكبر قدراً ، إذ تكون حاجات الأسرة أشد وأعظم ، وتأميناً اقل قدراً لكبار السن من العمال . فالعامل الذى ينال مرتباً سنويا قدره ٢٠٠٠ ريال ، ويدخل تحت هذا النظام فى سن الخامسة والثلاثين ، يبلغ التأمين الذى يستحقه عند وفاته ٥٠٠٠ ريال ، أما العامل الجديد الذى يبلغ من العمر خمسين عاما ، والذى ينال أيضا ما يقرب من ٢٠٠٠ ريال مرتبا سنويا ، فلا تؤمن الشركة على حياته بأكثر من ٢٥٠٠ ريال .

ولا يقل عما تقدم شأنا ، وإن كان على خلاف معظم ما تأخذ به أنظمة التأمين على حياة جماعات العمال ، أن فى وسع المستخدم الذى يترك عمل الشركة ، أن يستبدل بعقد التأمين على حياته ، المبالغ التى تكون قد تجمعت ، أو أن يحصل على تأمين خالص الأقساط ، أو على عقد عادى للتأمين على الحياة ، أو أن يحوّل عقد التأمين على حياته إلى مرتب سنوى .

ويقول لويس س . روزنستيل ، رئيس

(البقية على الصفحة التالية)

مجلس إدارة شركة شنلى : « إن ما عملناه هو أننا حصرنا جهودنا فى أشد ما يحتاج إليه العمال الذين ينالون أجوراً قليلة . إننا نرصد المال الاحتيـاطى لما يستهلك من الآلات — فلماذا لا نرصده لما يستهلك من الرجال ؟ » .

إن المعاشات تمكن العمال من التمتع بالحياة متاعا كاملا فى المرحلة الأخيرة من عمرهم ، فترى أصحاب المعاشات يعملون فيما يستأثر بهواهم أو يديرون أعمالا صغيرة يحبونها . ولقد قال أحدهم : « ليس المعاش نذير الموت ، ولـكنه مستهل مرحلة جديدة فى الحياة .

فبفضل ما أشعر به من طمأنينة على المعاش ، وما يتاح لى من أسباب الراحة ، أحس كأنى استرجعت مما مضى من عمرى عشر سنوات » .

إن هذا الفيض المتدفق من مشروعات الضمان الاجتماعى للعمال ، تطور عظيم الشأن ، وخطوة واسعة فى الاتجاه الصحيح البين . فالمزايا التى توفر للعمال بكفالة من يستخدمونهم ، تقيم الدليل على أن أصحاب الأعمال من الأمريكيين قد هبوا خفافاً إلى إدراك التبعات الملقاة عليهم — وإلى اغتنام الفرص المثمرة المتاحة لهم .

أعظم تصفية في التاريخ

ملخصة عن مجلة "فورتشن"

في وسعك أن تشترى طائرة من حكومة الولايات المتحدة إذا أردت ، وفى وسعك أن تشترى سيارة تتسع لراكبين صالحة للاستعمال بنحو مئة وعشرين جنيها أى بنحو ثلاثة أرباع قيمتها جديدة، وكذلك تستطيع أن تشترى أدوات الانزلاق على الثلج ، وأطواق الخيل والبغال ، وفرش الدهان، ومركبات الجيش، والبيانو المستعمل، والمركبات التى تجرها الكلاب على الثلج ، والتوسيكلات التى تستعمل فى الصحراوات، ومصنوعات أخرى مختلفة لا حصر لها . وقصارى القول ، أن أمام الحكومة أعظم تصفية تجارية فى التاريخ ، وهى فرصة طيبة تستغرق عشر سنوات منذ اليوم .

إن الحرب لا تستنفد إلا جزءاً يسيراً من المواد التى تصنع للقتال ، والتخلص مما يتخلف منها قد يقتضى نظاماً لا يقل دقة وعناية عن نظام إنتاجها ، وقد يكون التخلص منها أشق الأمرين .

قد تعانى الولايات المتحدة مشقة فى التخلص من مصنوعاتها الحربية أعظم وأخطر من المشقة التى عانتها فى صنعها .

والأمر كله متوقف على رخاء الولايات المتحدة بعد الحرب ، فإذا أعقبت الحرب فترة من الرواج فقد يسهل الخلاص من الجانب الأكبر من تلك المواد ، أما إذا تفشت البطالة فإن بيع الفائض من مصنوعات الحرب قد يزيد الطين بلة ، فبيع كل دثار أو مركبة من منتجات الحرب المتخلفة يعطل بيع منتجات جديدة من تلك الأصناف ، فهى إذا ما بيعت ساعدت على نشر البطالة ، ومنعت الدخل الناتج من بيع مصنوعات جديدة .

نعم إن العتاد المتخلف بعد هذه الحرب سيزيد كثيراً على العتاد الذى تخلف سنة ١٩١٩ وبيع بخمسة مليارات إلى ستة مليارات من الريالات ، ولكن مشقة تصريفه لن تزداد وفقاً لازدياد المواد . ففى خريف سنة ١٩١٨ ، بلغ جيش الولايات المتحدة ثلاثة ملايين، ولكن العتاد والذخائر الحربية التى أمرت الحكومة الأمريكية بصنعها كانت لجيش تعداده خمسة ملايين ، معدٍّ لهجوم عظيم كان ينتظر شنه فى ربيع سنة ١٩١٩ . ولكن الحرب انتهت فجأة ، حين كان سيل العتاد والذخائر يتدفق على خطوط القتال فى طريقه إلى ذلك الجيش

العظيم وللقيام بذلك الهجوم . وعسى أن تنتهي هذه الحرب أيضا فجأة ، ولكن الجيش الأمريكي يكون قد بلغ أقصى قوته، والإنتاج يومئذ على قدر الحاجة . والجيش يعني اليوم بأن يكون له احتياطي من العتاد والذخائر يكفيه مدة لا تزيد على ستة أشهر. وقد أنشىء مجلس للنظر في ما يزيد على الحاجة من الذخيرة والعتاد ، أما في الحرب العالمية الأولى فقد انقضت ستة أشهر على انتهاء الحرب قبل البدء في وضع الخطط المحكمة لبيع الفائض .

إن أكثر من نصف العتاد المتخلف سيكون معدات حربية، معظمها من الطائرات وربما بلغ ثمنها عشرين بليوناً من الريالات . وقليل من الطائرات الحربية ما يصلح للطيران المدني ، فالطائرات المعروفة بالمقاتلات لا تصلح أبداً للأعمال المدنية ، والنفقات التي يقتضيها تحويل طائرة من قاذفات القنابل إلى طائرة تصلح للنقل ، كبيرة جداً ، وقدرتها على حمل البضائع أو الركاب قليلة ، فاستعمالها في الأغراض التجارية كبير النفقة.

ويتعذر أيضاً أن يباع معظم المتخلف من المعدات الحربية ، وإن استنفدت منها أشياء كإطارات السيارات وشموع الاحتراق ومصابيح الراديو ، ومع ذلك فلا بد من اتخاذ قرارات بشأنها . وسيكون نصف هذه المواد أو أكثر من النصف خارج الولايات المتحدة . فهل يجب أن يعاد إلى أمريكا ؟ فحين انتهت الحرب الماضية بيعت منشآت الأحواض ، ومعدات السكك الحديدية وما كان محفوظاً في المستودعات ، مما بقي في فرنسا ، للحكومة الفرنسية بمبلغ أربعمائة مليون ريال، أصدرت لها الحكومة الفرنسية سندات لم يدفع ثمنها فيما بعد. ولذلك يرى قواد الجيش الأمريكي الآن أنه يجب أن تعاد جميع المواد إلى أمريكا .

وسيكون من الحكمة الاحتفاظ ببعض الذخائر الحربية ، على أن أصحاب الرأي من رجال الجيش يرجون أن لا تكون مقاديرها كبيرة . فقد كان أحد أسباب ضعف الجيش الفرنسي في سنة ١٩٤٠ هو تسلحه بكثير من مدافع سنة ١٩١٨ . وحين انتهت الحرب العالمية الأولى ، كان لدى الجيش الأمريكي نحو أحد عشر ألفاً من محركات « ليبرتي » ، وقد اختزنت هذه المحركات، وكان من الصعب الحصول على اعتمادات مالية لشراء محركات أخرى ما دامت القديمة موجودة (وبعض تلك المحركات كان حتى سنة ١٩٣٠ يستعمل في طائرات الجيش الأمريكي) . وكان من نتائج ذلك أن تخلف تصميم المحركات للطائرات عدة سنوات . ويقول ضابط برتبة كولونيل : إن أعظم

مصيبة يمكن أن تحل بالجيش فى زمن السلم هى أن يكون مضطراً إلى الاحتفاظ بخمسين ألف طائرة .

على أن إصدار قرار بالتخلص من فائض العتاد الحربى ليس سهلا كما قد يظن ، فمصالح الحكومة أشبه بالزوجة الحريصة ، تميل إلى اختزان بعض المواد خيفة الحاجة فى المستقبل . ومنذ بضعة أشهر سلمت دوائر الجيش الأمريكي بضرورة الاعتماد على النقل بالسيارات ، فباعت ١٥٠٠ مركبة كانت قد اختزنتها عشرين عاماً . ثم إن نبذ الأشياء الجديدة أو العتاد الغالى ، مدعاة للانتقاد . فالجيش الأمريكى أحرق بعد الحرب العالمية الماضية أكثر من ألف طائرة رؤى أنها لا تساوى نفقات إعادتها إلى الولايات المتحدة ، فثار الرأى العام واضطر الجيش إلى إعادة ما بقى من الطائرات .

على أن الحاجة إلى خطة حكيمة تبدو جلية الآن ، فإذا كان ثمة شك فى صلاح هذا العتاد الحربى أو نفعه ، فمن الخير عندئذ أن ينبذ . ونفقات هذه الحرب لا يمكن أن تسترد باستبقاء عتاد لا فائدة منه ، فلو شبت حرب أخرى فستدعو الحاجة إلى عتاد أفضل .

أما الفائض من المواد التى يرغب الجمهور فى شرائه ،أو سيتسنى له شراؤه فقيمته نحو خمسة عشر بليون ريال ، منها سيارات خاصة ، وسيارات نقل ، وجرارات ، وأطعمة ، وملابس ، وأدوية ، وأدوات خاصة بالطب ، وطب الأسنان ، وأدوات للتصوير ، وطائفة كبيرة من أشياء مختلفة . وقيمة هذه المواد يبلغ ثلث ما بيع بالتجزئة فى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٠ ، وربع ما بيع سنة ١٩٤٣

والمهم فى ذلك كله تأثير الفائض من مواد الحرب وعتادها فى حالة الإنتاج بعد الحرب ، لأنه يمكن أن يحل محل ما تنتجه بعض الصناعات أشهراً أو سنوات . ويغشى هذه المسألة الآن ضباب كثيف من التعلل بالأمانى والمقترحات التى يمليها هذا التعلل .

إن أعضاء لجان الكونجرس ، وهيئات التجار ، وواضعى خطط ما بعد الحرب ، يصرون على بيع جميع السلع فى الحال ، إذ يعتقدون أن الحكومة ستتمكن بذلك من استرداد جانب غير يسير مما أنفقته ، بغير أن تلحق أى ضرر بالعمال أو بالإنتاج بعد الحرب . على أن هذا غير ممكن .

إن توزيع تلك السلع على سبيل الإعانة للبلاد المنكوبة قد يؤدى إلى الخلاص منها بسهولة ، ولكن لا يمكن الخلاص من الفائض كله بعمل هو أشبه ما يكون بعمل الخير . فالبلاد التى يستردها الحلفاء ستكون فى حاجة إلى الطعام والثياب الرخيصة ، وإلى مقادير

معتدلة من المواد الخام ومن الآلات الميكانيكية البسيطة ، أما طلب البضاعة الجيدة النوع فسيكون محدوداً جداً . ولذلك ينتظر أن ينتقد الأمريكيون بشدة كل إفراط فى إهداء البضائع الغالية الثمن ، كدثارات الجيش الثمينة والمنسوجات الثخينة الغاليـة — وهى سلع يتمنى الأمريكيون الحصول عليها ولا يستطيعون لغلائها . أما السلع الميكانيكيـة الباقية ، فسنتياجو (فى شيلى) وكييف (فى روسيا) كلاهما سوق للمصنوعات الأمريكية الميكانيكية من أدوات النقل وأجزاء الراديو ، شأنها فى ذلك شأن مدينة سيوكس الأمريكية ، ولا يمكن إغراق تلك الأسواق بالسلع الرخيصة أو بالسلع الميكانيكية المجانية دون التضحية بسلع ستباع فيها فيما بعد .

ومن المهم أن يباع كل ما يمكن بيعه من مخلفات العتاد قبل نهاية الحرب ، إذ تكون الأسواق فى أشد الحاجة إلى السلع ، ولكن لا يمكن عدّ أى شىء من العتاد والمصنوعات فائضاً ما دامت الحرب قائمة .

وأحسن طريقـة للتخفيف من مشكلة هذه المواد الفائضة هى خزنها . على أن احتمال إخراجها وبيعها هو بمنزلة تهديد دائم لاستثمار المال فى الصناعة ، فخزن السلع إنما يحل مشكلة الفائض منها بجعل السوق متقلقلة تقلقلا دائماً .

وسيظل فائض السلع قائماً حتى بعد اتخاذ الوسائل لتخفيف أثرها ، فإذا كان الرخاء منتشراً فقد يمكن تصريف مقادير يسيرة من الفائض دون صعوبة كبيرة . أما إذا لم يبلغ الدخل والعمل مبلغ الرخاء ، فإن تصريف الفائض قد يورث بعض الاضطراب . نعم إن لب السياسة الحكيمة التى يقوم عليها تصريف الفائض هو جعل ذلك التصريف مطابقاً لحالة الرخاء أو الضيق ، وقد يكون من المرغوب فيه بيع الفائض بالأسعار السارية بالطرق التجارية بعد عقد الهدنة بستة أشهر إذا كان الرواج منتشراً ، ولكن مثل هذه الخطة قد تكون خرقاء بعد سنة ، إذا كانت حالة الرواج قد انقلبت كساداً .



يروى أحد أصدقاء برنارد شو رواية عن سهرة قضاها مع المؤلف وزوجه ، فكان الكاتب يسوق النوادر تترى ، وكانت زوجه تشتغل بحبك الصوف . فسألها الضيف : ماذا تحبكين ؟

فردّت هامسة : لا شىء لا شىء ، ولكنى سمعت نوادره ألف مرة ، فلابدّ لى من عمل أعمله بيدى ، وإلا خنقته .

ملكا الأفلام الملونة

رجل عادى من ولاية ماساشوستس يغمر هوليوود بالألوان

فرانك ج. تايلور

أضحى منتجو الأفلام فى هوليود يزدحمون بباب دار يقطنها رجل طويل أشيب وزوجه الشقراء التى تبهر صورها الأنظار. وقد كان هذا الرجل من قبل أستاذاً فى أحد معاهد نيو إنجلند، ولكنه اليوم قبلة أقطاب الصور المتحركة. ودخول داره يكلف مبلغ ٢٥ ألفاً من الريالات، هو قيمة التأمين الذى يدفع لاستئجار آلة للتصوير الملون، وهى جهاز معقد التركيب، يجعل الممثلين فى فلم ما كأنهم أحياء لحماً ودماً.

ولا يوجد من هذه الآلات المصورة العجيبة سوى ٣٠ آلة، ٢٦ منها فى الولايات المتحدة و ٤ فى إنجلترا. والدكتور هربرت ت. كالموس رئيس شركة « تكنيكولور » هو الساحر الذى يوزع هذه الآلات على شركات السينما، فهو الذى ابتكر وتعهد الطريقة الفنية الوحيدة لتصوير الأفلام تصويراً ملوناً يبعث على الرضى. وتذهب زوجه نتالى، الخبيرة بالألوان، فى أثر آلات التصوير إلى مسارح التمثيل، فتسهر على تلوين الأفلام فلا تلون لاجتذاب الأنظار وحسب، بل يراعى إدماج الألوان فى نسيج القصة. فهى تؤمن بأن استعمال الألوان استعمالا صحيحاً حرىّ بأن يثير العواطف كما يثيرها الصوت والتمثيل.

وقد ظل منتجو الأفلام فى هوليوود فى السنة الماضية يستعملون هذه الآلات الست والعشرين ليل نهار، فصنعوا ٢٨ فلماً ملوناً كبيراً، وصنعوا ضعف هذا العدد من الأفلام القصيرة، وظفر الدكتور كالموس وشركاؤه مقابل هذا بأكثر من ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال. وإخراج فلم كبير بالألوان يقتضى نفقة إضافية تتراوح بين ١٠٠٫٠٠٠ و ١٥٠٫٠٠٠ ريال. وكل آلة من هذه الآلات تصور ثلاثة أفلام بثلاثة ألوان مختلفة فى وقت واحد — وهذا هو السر فى وضوح الألوان فى الأفلام التى تصوَّر بها. وحين تؤجر إحداها يصحبها جماعة من الفنيين المزودين بمعلومات عملية جمعت خلال ٢٧ سنة من تجارب مضنية. وقد خاب معظم هذه التجارب خيبة كانت خليقة بأن تهزم كل من يعوزه مثل مضاء الدكتور كالموس وعزمه.

ولقد استحوذت على « الدكتور » — وهكذا تلقبه هوليوود بكل احترام —

فكرة واحدة منذ التحق سنة ١٩٠٠ ، وهو يومئذ شاب رزين العقل ، بمعهد ماساشوستس للفنون الصناعية . فقد وطن النفس على أن يصير ثقة فى ميدان الكيمياء الكهربائية الجديد . والتقى بعد سنتين بنتالى دنى ، وهى فتاة حمراء الشعر زرقاء العينين ، كانت تدرس الفنون المسرحية فى بوسطن . وبعد زواجهما عين ناظراً لمدرسة ثانوية فى سان فرنسيسكو ، ثم مدرساً فى المعهد الذى تلقى العلم فيه ، ثم بجامعة كوينز فى أونتاريو بكندا . وقد عنى العالم الشاب ، فى ساعات فراغه ، بإنشاء شركة مع زميلين للأبحاث الهندسية ، هى شركة كالموس كومستوك ووستكوت .

وفى سنة ١٩١٢ ذهب إليهم أحد عملائهم فى معملهم الصغير ببوسطن ومعه اختراع جديد لتصوير الأفلام السنمائية ملونة ، هو «الفاناسكوب» . وأجمع البحاثون الثلاثة على أنه جهاز غير عملى ، إلا أنهم أيقنوا أنهم يستطيعون أن يستنبطوا أسلوباً عملياً أصلح منه . ورضى الذين موّلوا « الفاناسكوب» بتقديم المال اللازم لإجراء التجارب ، وكانت طريقتهم المتبعة ، كلما وفقوا إلى صبغة جديدة للمستحلب الذى يغشى الفلم ، أن يصوروا نتالى كالموس ثم يضاهون الصورة بالأصل ، من حيث حمرة شعرها وزرقة عينيها ولون وجنتيها . وكان كالموس متشدداً يشق إرضاؤه ، حتى أخفقت كل التجارب .

فلما كانت سنة ١٩١٧ ، توصلوا إلى طريقة ظنوها وافية بالغرض ، وأطلق عليها كالموس اسم « تكنيكولور » ، وأنشأوا معملا كاملا للكيمياء الضوئية فى مركبة سكة حديد ، للانتقال بها إلى حيث تكون إحدى الشركات السنمائية قائمة بعملها ، فيقدمون لها حيث هى الفلمَ الملون بعد تحميضه . ولكن المركبة لم ترحل إلا رحلة واحدة إلى فلوريدا ، حيث صور أول فلم ملون هو فلم « الفاصل المعترض » الذى مثلت فيه مسز كالموس دوراً رئيسيا .

وفى حفلة عرض خاصة بنيويورك دعى إليها العلماء ، طرأ بعض الخلل أثناء مرور الفلم فى آلة العرض ، وظهرت الخيل على الشاشة ولكل جواد ذيلان ، أحدهما أحمر والآخر أخضر ، ثم توالت أشياء غريبة أخرى نقضت ما أكده الدكتور كالموس من أنه يستطيع مع شريكيه أن يصوروا أفلاماً ملونة متقنة ، وبعد محاولات أخرى فى دور سنمائية عامة ، أبطل عرضه .

وبعد ثلاث سنوات هيأ كالموس وكومستوك ووستكوت آلة جديدة للتصوير تلتقط منظرين فى وقت واحد ، قبل طبعهما بألوانهما على فلم رئيسى ، وبدت النتائج

طيبة ، فساهم بعض أساطين السينما فى شركة تكنيكولور بمبالغ كبيرة . واتفق معهم نيقولاس شنك على تصوير فلم كامل : « إتاوة البحر » . وقد قوبل عرضه الأول سنة ١٩٢٢ ، فى نيويورك ، باستحسان وحماسة ، إلا أن طبع النسخ الكافية للتوزيع فى الولايات المتحدة كلها استغرق نحو سنة ، فوقع فى نفوس المنتجين وقعاً عظيما ، ولكن الموزعين قالوا إن التكاليف باهظة ، فقد اقتضى طبع القدم الواحدة من « إتاوة البحر » ٢٧ سنتا (٥٤ مليما) .

وواجه الدكتور هذه المشكلة بأن أقنع أصدقاءه بزيادة رصيد المال ليتيسر إنشاء معامل أكبر فى بوسطن وهوليوود ، وبذلك أفضى بتحسين الأساليب إلى خفض التكاليف.

على أن صعاباً أخرى ظلت تباوء المخترعين، فقد عمد مخرجو الأفلام الملونة إلى استخدام الألوان لإحداث التأثير الباهر فى النفوس ، فانصرفت أذهان النظارة عن الرواية ، وأخذت نتالى كالموس على عاتقها أن تقنع المديرين بضرورة تأليف القصص للفلم الملون خاصة . وأخذت تشهد الاجتماعات التى تناقش فيها موضوعات القصص ، وساعدت المديرين الفنيين على تدبير المناظر التى يمكن تصويرها تصويراً مطابقاً للواقع . وظهرت ضرورة التخلى عن الأفكار القديمة المتبعة فى إعداد المناظر الخلفية والمكياج . ففى الأفلام غير الملونة ، كانت المناظر الخلفية تطلى بأى لون يسمح بتصويرها تصويراً واضحاً ، أما فى الأفلام الملونة فمطابقتها للواقع لازمة ، وكذلك اختفت المبالغة فى المكياج لتفسح المجال لألوان البشرة الطبيعية .

واندفعت صناعة الأفلام سنة ١٩٢٩ خلف الألوان اندفاعاً شديداً ، إذ انخفضت تكاليف الإنتاج إلى ما يقابل سبعة سنتات ١٤ مليما لكل قدم من الفلم الملون بفضل بعض الوسائل المتقنة . وتعاقدت شركة وارنر على إخراج عشرين فلماً كاملا ، وأمضت شركة مترو جولدوين ماير اتفاقاً ، وحذت حذوهما شركات أخرى ، وأبرم الدكتور كالموس عقوداً لا تستطيع مصانعه تنفيذها فى أقل من سنتين .

ثم حلت الأزمة العالمية ، فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء الرواد يتهيأون لجنى ثمار عملهم ، واختزلت شركة بعد أخرى من نفقاتها تكاليف الفلم الملون ، فما إن انتصفت سنة ١٩٣١ ، حتى كان عدد موظفى شركة تكنيكولور ، الذين بذلت العناية فى تدريبهم قد هبط من ١٢٠٠ إلى ٢٣٠

وقد حلت الأزمة حين كان الدكتور كالموس قد أعد آلة تصوير جديدة ثمينة — آلة تلتقط ثلاثة أفلام فى وقت واحد ،

وقد صبغ كل منها ليلتقط لوناً واحداً ، فإذا ما نسق طبعها فى المعمل على الفلم الرئيسى تنسيقاً دقيقاً ، بدت الألوان واضحة صادقة خالية من الاختلاط الذى اتصفت به أفلام تكنيكولور الأولى . وكان صنع هذه الآلة الجديدة يقتضى نبذ آلات التصوير الموجودة حينذاك ، ونبذ أجهزة أخرى يبلغ ثمنها آلافاً من الريالات ، فأقدم الدكتور كالموس على تلك المجازفة .

وكان والت ديزنى أول من اختبر الآلة الجديدة اختباراً تجاريا ، فاستخدمها فى تصوير أحـــد أفلامه ، ثم فى فلم « ثلاثة خنازير صغيرة » وفلم « سنو هوايت والأقزام السبعة » فصادفت جميعها نجاحاً عجيباً . وأثبت ديزنى بهـذا ضرورة كتابة القصة لتوافق مقتضيات التلوين ، فتبعته الشركات الأخرى . ونفذت رسالة اللون ، التى دعا إليها كالموس وزوجه نتالى خلال سنين ، إلى قلوب المنتجين والمخرجين والكتاب والممثلين .

وما إن أوفت سنة ١٩٣٦ حتى كان إنتاج مصنع « تكنيكولور » قد بلغ ٣٠٠٠٠٠٠٠ قدم من الأفلام كل شهر . وأنشأ الدكتور كالموس بالاشتراك مع الكسندر كوردا فرعا فى بريطانيا ، وخصص له أربعاً من الآلات الثلاثين التى صنعت فى مصنع بهوليوود . وأنفقت نتالى كالموس عاماً فى تدريب هيئة بريطانية على أساليب السيطرة على الألوان .

ويشتمل مصنع الاختبارات فى هوليوود على علماء يماثلون الدكتور كالموس فى تكتمه ، وفيه تجرى تجارب ربما تنقضى سنوات قبل أن تثمر ، فالدكتور كالموس لم يزل العالم المثابر المجد كما كان من قبل ، وهذه صفات رجل لا يلتئم مع حياة هوليوود المندفعة الصاخبة .

ومع ذلك فقد تحمس الدكتور لإحدى تجاربه الجديدة ، ولولا الحرب لأقدم على عمل ما ، على ضوء هذه التجربة . على أن القوات المحاربة انتقلت منذ سنتين إلى مصنعه بأعمال أسدلت عليها أكثف سجف الكتمان ، وأضحى معمله مصنعاً حربيا . أما فكرة الدكتور الجديدة — وقد تم اختبارها — فهى صنع فلم ملون بآلات التصوير العادية ، وهذا يقتضى من شركة تكنيكولور نبذ آلات التصوير المثلثة الألوان التى يبلغ ثمنها ثروة ضخمة . وعلاوة على ذلك فإن هذه التجربة تثبت أن الدكتور كالموس كان قد سلك سواء السبيل سنة ١٩١٧ ، حين بدت الخيل فى فلمه الأول تهز ذيلين — إلا أنه كان عندئذ قد سبق نفسه بسبع وعشرين سنة !

لأنني —٢—

رواية ضابط فرنسي عن أعمال جيوش الاحتلال النازية

ماچور رينيه شوڤان
ثالث حامية حصن روماتڤيل (باريس)
ملخصة عن صحيفة "نيويورك ورلد تلجرام"

لقد دوّنتُ هذه القصة لأنني أريد أن يعرف كل إنسان حقيقة القسوة الألمانية . ووقائع القصة عادية كانت تقع أمثالها مراراً كل يوم في أثناء احتلال الألمان لفرنسا ، حيث قضى المحتلون على نحو ٣٠٠,٠٠٠ من الرجال والنساء . وقد شهدت بنفسي جميع الحوادث التي أرويها فيما يلي :



كنت قبل إعلان الهدنة (الفرنسية الألمانية) ضابطاً برتبة « لفتنانت » ، وكنت قبل دخولي الجيش مهندساً ، وفي سنة ١٩٤٢ انضممت إلى قوات المقاومة . وفي شهر مارس سنة ١٩٤٣ ألقي القبض عليّ ، وشاء حسن الحظ أن يقوم الألمان « بالتحقيق » معي ساعات طويلة دون أن يعذبوني . وبعد أربعة أيام أطلقوا سراحي .

أما الذين كانوا معي في السجن فلم يخدمهم الحظ مثلي ، وكنا نحو خمسة وعشرين — رجالا ونساء — في غرفة واحدة طولها نحو ثلاثين قدماً وعرضها نحو اثنتي عشرة قدما .

وأما الطعام فكان عبارة عن ربع رطل من الخبز يوميا لكل واحد منا ، مع قدر غير محدود من الماء ، وكنا ننام على أربعة مقاعد صغيرة . أما الذين كان الألمان يرتابون أنهم من القناصة ، فكانوا يقيدون أيديهم وأرجلهم بسلاسل إلى الحائط فلا يستطيعون حراكا . وكان الألمان يخرجون كل يوم بفريق منهم ليسوموهم العذاب بضع ساعات ، وقد رأيتهم يعذبون أحدهم ثلاث ساعات كل يوم مدة الأيام الأربعة التي قضيتها هنالك . ورأيت آخر قد أسودّ جلده من رأسه إلى أخمص قدميه من ضربه بالسياط ، وقد جرح ظهره في خمسين موضعا .

وكان الألمان يضربون أولئك المساكين أحيانا « بالجملة » ، ويسلطون نحو خمسة عشر من رجالهم لتعذيب كل رجل منهم ، وكان التعذيب أحيانا أشد « تفننا » ، فكانوا يقيدون ذراعي الرجل وساقيه وراء ظهره ثم يقذفونه في الهواء كأنه كرة ، بحيث يسقط

على القوائم الأربع من كرسى مقلوب . وكانوا يكررون ذلك مثنى وثلاث ورباع إلى أن يغمى عليه، فينضحون وجهه بالماء لينتعش قبل أن يعاودوا تعذيبه . وعند ما يعيدونه إلى غرفة السجن لا يعطونه سوى الماء .

أما النساء فكن أسوأ حظا ، إذ لم يكن يعذبن على ذلك الوجه فقط، بل كن يعرضن أيضا لضروب من الوحشية تشمئز منها النفس ، ولا أستطيع أن أخط فى وصفها حرفا واحداً . ولم يكن إحراق ثديهن بأطراف السجائر سوى بداية تعذيبهن .

ومن المدهش أن الكثيرين من الذين سيموا العذاب على ذلك الوجه ظلوا أحياء ، وإن كان بعضهم قد أصبح كسيحا مدى العمر . أما الذين توفوا منهم ، فإلى القارئ وصف ما رأيناه فى يوم ٢٦ أغسطس عندما استولينا على حصن رومانفيل الذى كان الألمان قد جعلوه معسكراً لاعتقال الأسرى السياسيين :

فقد وجدنا ، فضلا عن الأقذار والأوساخ ودلائل الازدحام وسوء التغذية التى تتصف بها معسكرات الاعتقال الألمانية ، جثث عشرة رجال وامرأة واحدة قد اختلطت وكوّم بعضها فوق بعض ولم تدفن ، فكان فيها جميعا ما يدل على أن أصحابها ضربوا ضربا مبرحا قبل إعدامهم بالرصاص . وكانت الأقدام لا تزال مربوطة بالأسلاك الشائكة . وقد استعمل الألمان رصاصا من النوع الذى ينفجر لقتل أولئك البائسين ، ولذلك لم يبق أثر لرؤوس الجثث أو الصدور ، لأن الرصاص المتفجر أطاحها . وكان واضحا أن أولئك البائسين قتلوا وهم راكعون على ركبهم، وذراع كل واحد حول عنق جاره .

وكان الألمان قد سجنوا خمسين معتقلا فى غرفة صغيرة مظلمة ثم حصدوهم جملة واحدة بالمدافع السريعة

إن أمثال هذا التعذيب وأعمال القسوة هى مما لا يصدقها العقل ، ولا يمكن أن تصدقها حتى تراها بعينك .

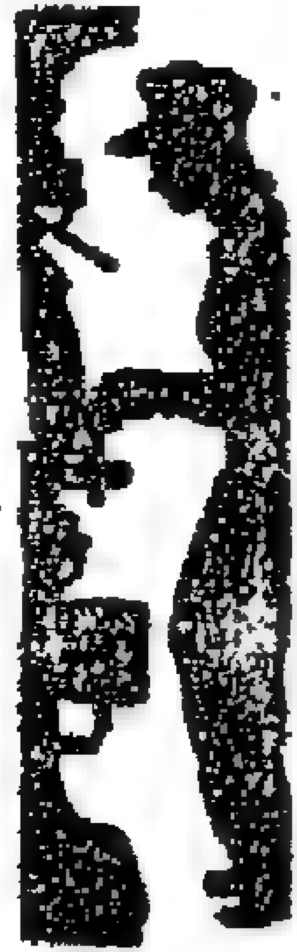


يبكى قبل أن يولد

يبكى بعض الأجنة بكاء مسموعاً فى فترات قبيل ميلادهم بساعات . وثمة حالة من هذه الحالات استمر فيها الجنين يبكى أربعين دقيقة، وفى حالة أخرى بلغ عويل الجنين مبلغاً سمعه خدم المستشفى فى الناحية المقابلة لغرفة التوليد . [مجلة كوليرز]

[لماذا تسلك المرأة العاملة سلوك الأنثى ؟ وكيف يعالج هذا ؟
إليك بعض الأجوبة التي كشف عنها البحث في مصنع كبير للطائرات] .

درسوا النساء



جريتا بالمر

ملخصة عن مجلة " ارجوسي "

« لغز المرأة » مسألة لا ضير منها من حيث هي موضوع للشعر ، ولكن متى بدأ التفاوت الخفي بين سلوك الرجل وسلوك المرأة ، يحدث المتاعب ويعطل إنتاج الطائرات الحربية ، فقد آن أن نهمل الشعر ، وأن نحاول الغوص على الحقائق المكنونة وراء هذا السلوك .

فمن ذلك مثلا ، أن النساء المستخدمات في مصانع « كونسليديتد فولتي إيركرافت كوربريشن » أكثر من الرجال ، والغياب بين النساء خمسة أضعاف الغياب بين الرجال ، ومن خمس نساء يعملن لوحظ أن أربعاً يتركن العمل قبل أن يقضين فيه سنة ، وتجنيد نساء أخريات وتدريبهن ليحللن محل اللواتي هجرن العمل ، يستنفد وقتاً ومالا ، ويشغل العمال الحاذقين بالتعليم بدلا من الإنتاج .

وقد قررت الشركة أن تبحث الأمر لتقف على السر في أن المرأة تسلك سلوك الأنثى ، ولتهتدي إلى العلاج . ولم تهتد الشركة إلى الآن إلى جواب كل سؤال ، ولكن البحث المستفيض الذي قامت به ماري جاكسون مديرة اللجنة الاستشارية ، كشف عن كثير يعد جديداً فيما يتعلق بالنساء العاملات .

والنساء المشتغلات في مصانع الطائرات مجموعة نموذجية وافية ، فأعمارهن تتراوح بين ١٦ و ٧٨ ، وتربيتهن تتفاوت من الأمية إلى إتمام الدراسة الجامعية ، وفيهن المتزوجة ، والعزبة ، والمهذبة ، والعسرة ، والرقيقة ، والشكسة ، والبيضاء ، والسوداء . فخصائص العاملات المجتمعات في هذه الشركة هي خصائص المرأة — في كل مكان وفي كل زمان .

وقد حفلت ملفات المسز جاكسون بحقائق غريبة :

إن شجاراً يقع على مائدة الإفطار يؤثر في عمل المرأة طول اليوم ، فيهبط إنتاجها هبوطاً محسوساً . أما كفاية زوجها في عمله فلا تتأثر .

وفي كل تسع حالات من عشر ، يكون هبوط إنتاج المرأة راجعاً إلى أمر خارج

المصنع ، أما فيما يتعلق بالرجل فإن السبب يكون فى داخل المصنع .

والمرأة المتوسطة تؤثر الاستمرار فى عمل ألفته مع زميلاتها، ورئيستها، وعلى نظام اعتادته ، على أن ترقى إذا كان معنى الترقية أن تنتقل إلى بيئة جديدة، أما الرجل فيتلهف على أى تغيير أو نقل يكون معناه التقدم .

والنساء يتأثرن بالنقد الجاف الخشن أكثر مما يتأثر الرجال ، فلابد من أن يكون التأنيب معسولا، كأن تقول للمرأة: « إنك ياجين تؤدين على التحقيق عمل اليوم أداء رائعاً ، فلماذا لا تحاولين أن تواظبى على الحضور أكثر مما تفعلين ؟ » .

وإثارة التنافس بالجوائز تستحث همم الرجال وكثيراً ما تزيد إنتاج القسم كله ، ولكن ذلك بين النساء أسوأ دواء ، فإن أعصابهن تتوتر، فيضطربن لفرط ما يستثرن، وإذا رأت إحداهن أنها مسبوقة متخلفة ، ثبطت همتها حتى لتكف عن المحاولة ، ويصبح عملها أسوأ مما كان قبل المسابقة .

والفتاة الجميلة مبعث متاعب ، فإذا حسن عملها جداً ورقاها رئيسها ، أول النساء الأخريات بواعثه تأويلا سيئا ، وإذ أنبها فإن المرجح أن تعد تأنيبه إهانة شخصية ، لطول ما ألفت أن تسلم من العقاب بفضل حسنها وفتنتها .

والمزاح الخشن والمباسطة ، وذلك ما تتفتح له قلوب الرجال ، لا يصلح للنساء على الإطلاق ، لأنهن يبغين اللمسة الرقيقة .

والمتزوجون من الرجال أصلح لملاحظة العمل من العزاب، ولعل ذلك لأنهم أدرى بالمرأة وأخبر . وقد يكون تفاوتهم غير راجع إلى أكثر من موقفهم اليومى الذى يتخذونه وهم مدركون له أو عن غير وعى منهم .

والنساء أكثر استعداداً من الرجال للاقرار بالخطأ ، ولطلب النصيحة ، ولكن عملهن يسوء إذا كان عليهن أن يتصرفن برأيهن ، فلا ينبغى أن تكون هناك طريقة لعمل تتولاه امرأة . لأنها تضيع وقتاً طويلا فى التفكير فى الطريقة التى تتبعها .

وكل هذه الملاحظات تؤدى إلى نتيجة عامة واحدة ، ولكنها ليست فى الحقيقة مستغربة :

ذلك أن المرأة معنية أولا وقبل كل شىء بأنها امرأة ، واهتمامها بأى نوع آخر من النجاح يأتى فى المحل الثانى . ومن الممكن أن يقال بحق أيضاً إن الرجال معنيون أولا وقبل كل شىء بأنهم رجال ، ولكن كون المرء رجلا ينطوى على إرادة النجاح فى عالم الرجال ، أما كون المرأة ناجحة فقلما ينطوى على ذلك .

والعمل بأجر شيء تزاوله المرأة حتى — حتى تجد الرجل الصالح، وحتى يجيء الطفل، وحتى يعود رجلها إلى البيت، وحتى يكسب « جو » مالا ، وحتى تؤدى أقساط ثمن بيتها ، وحتى تكسب الحرب . فهل من استثناءات ؟ نعم ، آلاف منها — ولكن المرأة المتوسطة في مصنع حربى تتلهف على اليوم الذى تلزم فيه بيتها . وقد أثبتت دراسات المسز جاكسون هذه الحقيقة بما لا يدع محلا للشك .

وثم أمور شتى لها أهمية عملية ، فالنساء لا يحسنّ العمل بالآلات التى تتطلب حركة دائرية مثل المفك . ويجب أن لا يعملن فوق مواضع عالية ، فإن اتزانهن ضعيف ورءوسهن تدور ، وهن خير من الرجال وأسرع إذا زاولن أعمالا خفيفة منسقة منتظمة . وقد دل البحث فى المتاعب التى تنشأ بين الرجل والمرأة ، فى المصنع ، على أن المرأة هى المعتدية وهى التى بدأت الشر ، فى كل ثلاث مرات من أربع .

وقد اتخذت الشركة تدابير للانتفاع بدراسات المسز جاكسون . فكانت النتيجة النجاح، لأن الغياب بين النساء نقص إلى رقم معقول (٧٫٧ ./. يومياً) ، وقل معدل التغيير فى العمال إلى النصف ، وارتفع الإنتاج إلى ذروة قياسية . وقد عكفت مصانع الطائرات الأخرى : كرتيس رايت ، وجلين مارتن ، وفيرتشايلد ، ولوكهيد فيجا ، وجنرال موتورز — على دراسة تقارير المسز جاكسون . وفى وسع أى إنسان يستخدم نساء أن يستفيد منها كثيراً مما له قيمة .

وكان أهم ماقامت به شركة كونسوليديتد — فضلا عن تلقين الرؤساء المبادىء المستخلصة من الدراسة — هو أنها دربت مستشارين ، وعينت مستشاراً لكل ٣٥٠ امرأة عاملة . وهؤلاء المستشارون يؤدون وظيفة ضباط الاتصال بين الجنسين . وقد أكبرهم الملاحظون من الذكور ، وصاروا الآن يعرضون عليهم من المشاكل ستة أضعاف ما كانوا يعرضون فى الشتاء الماضى . والعاملات أنفسهن يعرضن عليهم من مصاعبهن ضعف ما كن يعرضن من قبل .

وتتفاوت قصصهن من الشاذ إلى الشجىّ . خذ مثلا مارى التى لم تكن تقوم بنصيبها من العمل، وكان من الجلى أنها شقية . وقد تبين أن مارى ، وهى فى منتصف العمر وشديدة الإحساس بجمالها الذى يذبل ، لا تستطيع أن تلتفت إلى عملها، لأن زوجها يعمل فى نفس القسم مع فتاة جميلة غَزِلة ، وكانت مارى مضطرة أن تولها ظهرها وهى تعمل . وقد نقلت الفتاة فصار كل شيء على ما يرام مع مارى .

ونقلت فتاة اسمها فيرا من الإشراف على قسم التخريم إلى قسم التجميع ، فاستاءت وتجهمت وصارت تضيع الوقت ، وتبين من الأسئلة البارعة أن كبرياءها جرحت ، فقد كانت تشعر أنها كفؤ لأى رجل فى العمل ، واعتقدت « أنها أنزلت إلى عمل امرأة » ، فأعطيت عملا فى قسم البرشام فصارت أحذق من الرجال .

وقد نُسخ الوهم الخاص « بالجنس الضعيف » ، بعد استقصاء الحقائق عن النساء العاملات على اختلافهن . فهناك تلك المرأة الصغيرة الجسم – وزنها ٨٩ رطلا – التى تقطع كل يوم ٢٥ ميلا من غيط لها مساحته عشرة فدادين مزروعة أشجار فاكهة ، تتعهدها وتعنى بعشرين دجاجة يَسُوض ، وبقرة ، على حين أن زوجها فيما وراء البحار .

وهناك ماريان وهى عاملة على آلة تخريم ، فى الستين من عمرها ، لم تغب ولم تتأخر مرة واحدة فى ١٥ شهراً ، وهى مع ذلك ذات أولاد ثلاثة ترعاهم ، وتشترى حاجاتها من السوق ، وتطبخ طعامها ، وتنام خمس ساعات كل ليلة . وهناك مرجريت وهى امرأة رقيقة الخلق فى الرابعة والسبعين ، وسعيدة كل السعادة لأنها تستطيع أخيراً أن تربى الطواويس والكلاب من فصيلة بكينيز فى حقلها ، وتدفع عن أرغن تتلقى عليه درساً كل أسبوع .

وماذا ترى سيكون مصيرهن حين يعدن إلى دورهن ؟

تقول المسز جا كسون بلهجة الجزم :

« سيصبحن أصلح مما كن زوجات أو ربات بيوت ، وسيقدرن مبلغ تعب الرجل حين يعود إلى بيته من عمله ، وسيعرفن معنى كسب المال ، وأن معناه هو العمل الشاق ، وسيدركن قيمة الوقت ، وكيف يحرصن عليه وينفقنه بحساب ، وسيكون ما تعلمنه من قيمة النظام له أثره فى تدبير شئون البيت . وأهم من ذلك أنهن يتعلمن قيمة معاشرة الناس بالحسنى ، وطيب الحياة فى البيت المتوافق الأهـواء ، وأثر ذلك فى إتقان العمل ومبلغ الأجر عليه » .



تجتاز كلُّ حقيقة علمية عظيمة ثلاث مراحل : الأولى ، قول الناس إنها مخالفة لما فى الكتب السماوية . الثانية ، قولهم : إنها قد كشفت من قبل . والثالثة ، إنهم كانوا دائماً يؤمنون بصحتها .

[لويس أجاسيز]

الإنسان ...
ذلك المجهول

مقتطفات ملخصة عن كتاب "ألكسيس كاريل"

الدكتور ألكسيس كاريل ، الجراح العالم ، وحائز جائزة نوبل الطبية سنة ١٩١٢ لنجاحه فى وصل أوعية الدم بعضها ببعض ، ونقل الأعضاء وزرعها ، يسدد هنا بصره النافذ إلى دراسة الإنسان ، أكثر المخلوقات غموضاً .

فهذا العالم المشهور يصف فى كتابه « الإنسان ، ذلك المجهول » ، بأسلوب صاف فاتن ، ما هو جسدك وما هى وظائفه ، وما يعينك على أن تكون صحيح البدن والعقل ، ويدلك على ما يضرك . والكتاب حافل بالآراء التى تحفز إلى المناقشة ، وبنظرات صادقة سديدة فى حيـاة الناس فى العصر الحديث ، تلهم الرضى وسكينة النفس .

قال ول دورانت مؤلف قصة الفلسفة : « إن هذا الكتاب هو أعمق كتب الأدب الأمريكى الحديث وأعظمها قيمة وأحفلها بالحكمة » . وقال ستيفن وايز : « سوف يكون له أثر عظيم فى تفكير الناس أجيالا طويلة » .

وقد ظل « الإنسان ، ذلك المجهول » زمناً ، أكثر الكتب رواجا بعد أن نشر سنة ١٩٣٥ ، ولم يزل من أبعثها على منازعة الآراء واحتدامها .

الانسان ، ذلك المجهول

الجسم وألوان النشاط الفسيولوجي فيه

المرء عن سواه بقامته وهيأته ومحياه، ويدل مظهره على ما في جسمه وعقله من قوى ، وما لهما من صفات . فالرجل الذي كان في عصر النهضة (بعد القرون الوسطى) هدفاً دائماً للأخطار والمحن ، والذي تعهد اكتشافات جاليليو بنفس الحماسة البالغة التي أولاها روائع ليوناردو دافنشي ، لا يشبه الرجل الحديث الذي يتقلب في ظلال الترف ، ويقصر تأملاته على أفلام السنما السخيفة ، ويرهف سمعه للمذياع.

إن كل عصر يسم بميسمه الكائنات البشرية التي نعيش فيه ، ولقد بدأنا نشهد هذه الأجيال الجديدة من البشر التي صاغت حياتها السيارات والراديو وفنون الرياضة . فهيئتنا تشكلها ماتألفه أبداننا من عادات بل تشكلها أفكارنا المألوفة أيضاً . وصور وجوهنا وأفواهنا وأساريرها تحددها الأحوال التي تألفها العضلات ، وهذه الأحوال إنما تعتمد على حالة العقول. فقسمات وجهك تصطبغ ، وأنت لا تدري ، عامرة بشعور كيانك كله وشهواته وأمانيه . ولا يرى الذي يقرأ ما في صفحة هذا الوجه ، رذائل الكائن الحي أو فضائله ، وذكاءه أو غباءه ، وما يحتال في إخفائه من عاداته فحسب ، بل يرى فيه أيضاً تكوين جسده وما هو عرضة له من الأمراض البدنية والعقلية . إن جمال الشباب مستمد من ذلك الانسجام الطبيعي بين أسارير الوجه ، أما جمال الشيخوخة — وما أندره — فمنبعه الروح .

يتوقف مظهر العظام والعضلات والجلد والشعر على تغذية الأنسجة ، وهذه التغذية إنما ينظمها تركيب مصل الدم ، أو بعبارة أخرى : نشاط الغدد وجهاز الهضم . وظاهر الجلد مرآة تنعكس عليها أحوال الغدد الصم والمعدة والأمعاء وجهاز الأعصاب . وثمة تفاوت عظيم في وظائف الأعضاء بين الرجل الطويل النحيل والرجل القصير الممتلىء . فالطويل عرضة للإصابة بالسل والعته ، والقصير للهوس المتردد والسكر والروماتزم

والنقرس . ولقد كان الأطباء القدماء فى تشخيصهم للأمراض يعلقون أهمية عظيمة على المزاج والطباع ، وكانوا على حق ، ففى وجه كل امرىء صورة جسمه وروحه .

☆☆☆☆

ويكاد الجلد يكون حدوداً منيعة مضروبة على دنيا مستورة محجوبة ، وهو قادر على إتلاف الميكروبات التى تعيش على سطحه ، مستعيناً بمواد تفرزها غدده ، ولا ينفذ فيه الماء ولا الغاز ، ولكن فى استطاعة بعض الكائنات الدقيقة القاتلة أن تجتاز الحدود . وظاهر الجلد معرض للضوء والريح والرطوبة والجفاف والحر والبرد ، أما باطنه فيتاخم عالماً من الماء دافئاً محروماً من الضوء تعيش فيه الخلايا كأنها أحياء البحر . ويستمد الجلد صفاته من طبقاته المتعددة من الخلايا التى تتكاثر ببطء وإلى غير نهاية . وتموت هذه الخلايا ولا يزال بعضها متصلا ببعض كأنها لبنات على سطح ، وهى كمثل هذه اللبنات لا تفتأ الريح دائبة تأخذ منها ، ولا يفتأ الجلد يعيضها لبنات جديدة مما تذهب به الريح .

وتحس كريات اللمس الشائعة تحت الجلد كله بالضغط والألم والحر والبرد ، فما كان منها فى اللسان فهو يتأثر بطعم الطعام وبالحرارة أيضاً ، وتؤثر ذبذبات الهواء فى جهاز الأذن المعقد ، وتستجيب شبكة أعصاب الشم للروائح . ومن أجل ذلك كانت سمة الفرد تابعة لسمة سطحه البادى ، لأن المخ يتشكل بالرسائل المستديمة التى يتلقاها من العالم الخارج . ومن أجل ذلك ينبغى أن لا ندع عاداتنا الجديدة ، ونحن لا ندرى ، تغير من حالة هذا الغلاف . فنحن مثلا لا ندرك تمام الإدراك ما للتعرض لأشعة الشمس من أثر فى نمو الجسم كله ، فيخلق بنا إذن أن لا نقبل الإسراف بغير حساب فى دبغ جلودنا بلفح الشمس .

☆☆☆☆

إن الإنسان لا يستطيع أن يفهم الكائن الحى بدراسة جثمانه الميت ، لأن أنسجة الموتى قد حرمت دمها الجارى وعمل وظائفها . والعضو الذى ينفصل عن الوسط المغذى الذى يعيش فيه لم يعد له وجود . وفى الجسم الحى يجرى الدم فى كل مكان ، فتستحم كل الأنسجة فيما يحتوى عليه من سائل شفاف . فلكى نفهم هذا العالم الباطن كما هو ، يجب أن ندرس أعضاء الحيوان الحى والإنسان كما نراها أثناء الجراحات ، لا كما تتفق لنا فى أبدان الموتى . وينبغى أن لا نفرق بين الخلايا وبيئتها كما يفعل علم

التشريح ، فإن كل الخلايا الحيـة تعتمـد فى حياتها اعتماداً مطلقاً على الوسـط الذى تـكون مغمورة فيه ، وإنها لتغير هذا الوسط تغيـيراً لا ينتهى ، وتتغير به ، والحق أنها جزء منه وليس لها بغيره حياة .

يتألف الدم من حوالى ٢٥ إلى ٣٠ ألف بليون خلية حمراء و ٥٠ بليوناً من الخلايا البيض ، وهذه الخلايا كلها معلقة فى سائل هو المصل . ويحمل الدم لـكل نسيج من أنسجة الجسم غـذاءه المناسب ، ويقوم فى الوقت نفسه مقام الأنابيب التى تلقى فيها الفضلات المتخلفة عن الأنسجة الحيـة . ويحتـوى الدم كذلك على مواد كيميائيـة وخلايا قادرة على ترميم الأعضاء كلما مست الحاجة . وإن خواصه هذه فى الحق لعجيبة ، فإن الدم فى أدائه هـذه الوظائف المدهشة يعمل ما يعمل السيل الذى يكون ما يحمل فى عبابه من الطمى والشجر سبباً فى إصلاح ما يتداعى على حِفافيه من معاهد العمران .

وهـذا المصل ، الذى هو زاخر بمواد أكثر مما يظن ، يحتوى على مواد زلالية وأحماض وسكريات ومواد دهنية ومفرزات من كل الغدد والأنسجة ، وعلمنا بطبيعة أكثر هذه المواد ووظائفها الشديدة التعقيد علم ناقص . وفى الدم فوق هـذا أجسام مضادة للميكروبات ، تظهر عند ما يكون لزاماً على الأنسجة أن تحمى نفسها من غزو الجراثيم . يضاف إلى ذلك أن فى هذا المصل مادة زلالية تدعى « الفيبرين » تلتصق خيوطها من تلقاء نفسها بالجروح فتكفـها عن النزف .

ويسرى فى الجسم بأسره هذا الفيض من مواد الغــذاء . وليست أغشية الهضم بمساحاتها الواسعة جداً مرشحاً لهذه المواد فحسب ، ولـكنها تقوم منهـا أيضاً مقام المصنع الـكيميائى . وتفرز الأغشية المخاطية التى تغطى باطن الجوف، مقادير عظيمة من السوائل ، وتمتص مثلها ، فتأذن خلاياها للأطعمة بعد هضمها أن تنفذ إلى الجسم ، ولـكنها تمنع الميكروبات التى تزخر بها قناة الهضم أن تنفذ . وهذا العدو المخوف لا يقل خطره ولا يزول . ففى الحلق والأنف تعيش الميكروبات الفيروسية ، وفى اللوزتين تثوى الجراثيم السبحية وجراثيم الدفتريا ، وتتكاثر ميكروبات الحمى التيفودية والدوسنطاريا بسهولة فى الأمعاء . وسلامة أغشية التنفس والهضم لها سيطرة عظيمة على مقاومة الجسم للأمراض المعدية ، وعلى توازنه وكفايته واتجاهاته الفكرية .

وتشدُّ غدد التناسل أزر القوى البدنية والعقلية والروحية جميعاً ، فما من خصىّ أصبح فيلسوفا عظيما قط ، أو عالماً كبيراً ،

أو حتى مجرماً خطيراً . وتفرز الخصيتان والمبيضان فى الدم موادّ معينة ، تجعل لأفعالنا كافة مميزاتها الخاصة ، فإفراز الخصيتين يورث الجرأة والضراوة والقسوة ، وهى السجايا التى تميز ثور الصراع من الثور الذى يجر المحراث فى الحقل . ويؤثر إفراز المبيضين فى كيان الأنثى أثراً مشابهاً .

والفِلْذة من النسيج الحى إذا وضعت فى قارورة احتاجت إلى مقدار من السائل يعادل حجمها ألفى مرة، كى لا تقتلها فضلاتها السامة فى بضعة أيام . وعلى هذا لو أن الجسم البشرى أحيل عجينة، وزرع زرعا صناعياً، لتطلب ٢٢٥٫٠٠٠ لتر من السوائل المغذية . ولكن نظراً للكمال الخارق الذى امتازت به الأنسجة المسؤولة عن دورة الدم فى الجسم ، وعن ثروته من المواد الغذائية ، وعن نفض الفضلات منه على الدوام ، نجد أنسجتنا تستطيع أن تحيى فى سبعة لترات أو ثمانية من السوائل بدلا من ٢٢٥٫٠٠٠ لتر .

ويسرى الدم فى الأنسجة بسرعة تكفى لمنع تركيب الدم من أن يتأثر بما يلقى فيه من الفضلات . ويقدر كل عضو مقدار الدم اللازم له وسرعة جريانه فيه ، وذلك بمعونة الأعصاب التى تسيطر على أوعيته الدموية . فالمخ وسائر الأعضاء يتطلب كل منها ضغطاً خاصا للدم الجارى فيه ، ويتوقف أمر ساوكنا ونوع أفكارنا على حالة دورتنا الدموية توقفاً كبيراً . وكل الجهود البشرية تابعة لحالة هذا الوسط الغذائى .

وعند ما يعود الدم من العضلات والأعضاء إلى القلب تدفعه نبضات القلب إلى شبكة الشعيرات الدموية الهائلة فى الرئتين ، حيث تأخذ كل كرة حمراء حظها من أوكسجين الجو ، وفى نفس الوقت تنفض فى الجو الخارجى ثانى أكسيد الكربون بحركات التنفس . وتتم تنقية الدم فى الكلى حيث تنفصل منه بعض المواد خارجة مع البول ، وحيث تقدر هى مقدار الأملاح الضرورية للمصل . ويجرى عمل الرئتين والكلى بكفاية عظيمة ، وإن نشاطهما البالغ لهو الذى يهيىء للبيئة المائية اللازمة للأنسجة الحية أن تكون قليلة فى مقدارها كل هذه القلة ، ويهيىء للجسم البشرى أن يكون مدمجاً خفيف الحركة .

وفى الدم فوق ما فيه من أوكسجين الهواء ومنتجات الهضم فى الأمعاء ، نوع آخر من المواد المغذية مكون من إفرازات الغدد الصم التى من خواصها العجيبة أن تصنع من مفردات الدم الكيميائية مركبات جديدة . ومن عمل هذه المركبات أن تغذى بعض الأنسجة وتنبه بعض الوظائف . ويشبه هذا الأسلوب فى أن يجدد الشىء

نفسه بنفسه ، أسلوبَ تربية الإرادة بجهد الإرادة نفسها . فالغدة الدرقيـة والغدتان فوق الكليتين ، والبنكرياس مثلا ، تصنع مركبات جديدة هي الثيروكسين والأدرنالين والأنسولين على التوالى ، فهى مصانع كيميائية حقيقية . وتصنع بهذه الطريقة مواد لا غنى عنها فى تغـذية الخلايا والأعضاء ، وفى شتى وجوه النشاط البدنى والعقلى . وهذه الظاهرة تشبه فى غرابتها سيارة تستطيع بعض أجزائها أن تصنع الوقود الذى تستهلكه أجزاؤها الأخرى ، وأن تصنع المواد التى تعجل حرق هذا الوقود ، بل أن تصنع خواطر المهندس الميكانيكى نفسه أيضاً . وإلى هذه الغدد يعود الفضل فى حياة الجسم وما ينطوى عليه من شتى ألوان النشاط .

فالإنسان أولا كيان قائم على التغذية ، فهو مركب من حركة دائبة بين مواد كيميائية ، وتجرى المادة جريانا دائماً بين خلايا الجسم كلها ، تهب للأنسجة ما تتطلبه من الطاقة وتمنحها المواد الكيميائية التى تبنى لأعضائنا ومزاجنا كيانها المؤقت الرقيق .

****

ليست وظائف الجسم من دقة التحديد كأعضائه ، وإنما هى أقل منها فى هـذه الناحية بكثير . فالهيكل العظمى مثلا ليس دعامة للجسم وحسب ، بل يؤلف أيضاً جزءاً من أجهزة الدم والتنفس والغذاء ، مادام يستعين بنخاع عظامه على صنع الخلايا البيض والحمر . والكبد تفرز الصفراء وتفتك بالسموم والميكروبات ، وتختزن النشاء الحيوانى ، وتنظم تمثيل السكر فى كيان الجسم كله ، وتنتج الهيبارين . وعلى غرار ذلك لا يقتصر البنكرياس ولا الغدتان فوق الكليتين ولا الطحال على وظيفة واحـدة ، بل لكل منها وجوه مختلفة من النشاط ، وتكاد تشاطر الجسم كل ما يجرى فيه من أمور . وليس العضو محدوداً بحدوده الظاهرة ولكنه يصل إلى حيث تصل المادة التى يفرزها ، فكل غدة تبسط ظلها على الجسم كله بإفرازها الخاص . فلو فرضنا أن المواد التى تنتجها الخصيتان كانت زرقاً ، لشاع اللون الأزرق فى جسـد الذكر كله ، ولكانت الخصيتان نفسهما أشد من سواها زرقة ، ولانتشر هذا اللون الخاص فى كل الأنسجة والأعضاء حتى الغضاريف والعظام .

ويجدد العضو نفسه بطرق تعـد غريبة على العقل . فما هو بالمصنوع من مادة دخيلة عليه كما يصـنع البيت ، ولا هو ببنيان مرصوص من الخلايا ، إنه بالبداهة مكون من خلايا كما يتكون البيت من لبنات ، ولكنه يولد من خليـة واحـدة حتى كأن

البيت قد استوى بناؤه من لبنة واحدة ، لبنةٍ سحرية طفقت تصنع سواها من اللبنات ، وهذه اللبنات لا تنتظر تصميم المهندس ولا قدوم البنائين ، ليتجمع بعضها على بعض وتنشئ الجدران ، وهي أيضاً تتحول فتصير ألواحاً للنوافذ ، وبلاطاً للسقف ، وفحماً للتدفئة ، وماء للمطبخ ، وحماماً . وكذلك ينمو العضو بوسائل تشابه الوسائل المعزوة إلى الجنيّات في أساطير الأطفال ، ويتخلق من خلايا كأنها تعلم ما سيكون عليه الصرح المنشود ، وتخلط له من محتويات مصل الدم مواد البناء ، بل توجد له العمال أيضاً .

والجسم غاية في القوة ، يعد نفسه لكافة الأجواء من زمهرير القطبين إلى قيظ المناطق الحارة ، ويقاوم كذلك الحرمان من الطعام ، وأهوال الجوّ والتعب والشدائد . والإنسان أصلب الحيوان عوداً ، وإنا لنديم مقارنة الجسم بالآلات بلا وعي ، فقوة الآلة تعتمد على المعدن الذي صنعت منه ، ولكن قوة الإنسان مستمدة من مرونة أنسجته وتماسكها ، وقدرتها على النمو لا على التهافت والفناء ، وقوتها على التغير كلما تغيرت الظروف . وليست مقاومة الإنسان للمرض ، واحتماله للعمل والمتاعب ، وطاقته على السعي ، وتوازن أعصابه ، سوى آيات لسموّه على سواه .

وهذه المزايا ، وإن كانت وراثية ، قد تنمحي حتى في أعظم الأمم وأغناها ، ويدل تاريخ المدنيات الغابرة على أن مثل هذه الكارثة محتمل الوقوع . ويوهب الفرد المنحدر من سلالة أمة عظيمة ، إذا لم يبتلَ بالانحلال ، مناعة طبيعية من التعب والخوف ، فهو لا يفكر في صحته ، ويتجاهل وجود الأطباء ، وينظر إلى نفسه كأنما قضى عليه أن يناضل ويحب ويفكر ويقهر . وهو يواجه البيئة التي يعيش فيها بمثل البساطة التي يثب بها الحيوان الضاري على فريسته ، غير شاعر بتكوينه المعقد أكثر من شعور هذا الحيوان .

إن كثيراً من الناس ليسوا أصحاء ، وإن هم لم يكونوا مرضى . ولعل مرد ذلك إلى نقص يشوب نشاط بعض الأنسجة في أجسامهم ، فقد يكون إفراز هذه الغدة أو ذاك الغشاء المخاطي دون الكفاية أو فوقها . وقد تكون أجهزتهم العصبية مرهفة الأحساس ، أو لا تكون أنسجتهم من القدرة على مقاومة العدوى بحيث ينبغي أن تكون . وتجلب هذه النقائص على مثل أولئك الأشخاص شقاء كبيراً . وسيكون من يعثر في المستقبل على طريقة ما لتحريض الأنسجة والأعضاء على أن ينسجم بعضها

مع بعض فى النمو ، محسنا قد أدّى للبشر أكثر مما أدّى باستير نفسه .

وللجسم وحدته فى المرض ، كما أن له وحدته فى الصحة ، فهو يمرض جميعاً إذا مرض ، ولا يبقى أى انحراف يصيبه مقصوراً على عضو واحد لا يتعدّاه . ولقد كان من آثار الفكرة التشريحية القديمة للجسم البشرى ، أن انساق الأطباء إلى النظر إلى كل مرض كأنه وقف على العضو الذى يصيبه ، وقلما استطاع أن يفهم هذا الجسم إذا اعتلّ سوى أولئك الأطباء الذين يعرفون الإنسان تفصيلا وإجمالا فى عقله وبدنه على السواء .

جمهور العقل

يدخل فى تركيب المراكز المخية سوائل تحتوى على مفرزات الغدد والأنسجة التى تشيع فى البدن كله ، وكذلك يكون كل عضو ممثلا فى قشرة المخ السمراء . فإذا حرم الدم وسائله الشفاف من إفراز الغدتين فوق الكليتين غلب على نفس المريض فتورها . وكل منا يدرك كيف تتأثر شخصية الإنسان بأمراض الكبد والمعدة والأمعاء . ويتضح من ذلك أن خلايا الأحشاء تقذف فى سوائل الجسد موادّ معينة تؤثر فى وظائفه العقلية والنفسية .

وتؤثر الخصية أثراً عميقا فى قوة العقل وقدرته . وفحول الشعراء والفنانون والقديسون وكذلك الغزاة الفاتحون ، هم عامة من أصحاب القوة الجنسية العظيمة . ويحدث استئصال الغدد الجنسية بعض التطور فى قوى العقل ، ويبدو أن الإلهام يعتمد على أحوال خاصة فى الغدد الجنسية ، والحب إذا لم يدرك بغيته نبّه العقل ، فلو ظفر دانتى ببياتريس فصارت خليلة له ، فلربما عدمنا « الكوميديا الإلهية » آيته الشعرية . ومن المعروف أن الإفراط الجنسى يعوق نشاط العقل ، ويبدو أن الذكاء ، لكى تكتمل قواه ، يحتاج إلى غدد جنسية كاملة النمو ، يظاهرها قمع مؤقت للشهوة .

فإذا ألف المرء عواطف الحسد والبغض والخوف ، أصبح فى قدرتها أن تحدث تغيرات عضوية وعللا حقيقية ، فآلام النفس وتباريحها تزلزل الصحة . ورجال الأعمال الذين يجهلون كيف يكافحون الهموم يموتون صغاراً . وتسيطر العواطف على انبساط الشرايين الصغيرة أو انقباضها بوساطة الأعصاب التى تنظم الدورة الدموية ، فهى مصحوبة إذن بتغيرات فى هذه الدورة ، فالسرور يضرّج الوجه حمرة ، والفزع يجعله شاحباً ، وذلك أن الظرف المؤثر إما أن يهيج إفراز الغدد أو يبطله أو يغير تركيبه الكيميائى . وقد قام الدليل على أن

الصدمة النفسية قد تسبب تغيرات واضحة المعالم فى الدم . ويورث التفكير نفسه ألواناً من الأذى للبدن ، وتنشىء ذبذبة الحياة الحديثة واضطرابها الذى لا ينتهى حالات فى العقل تصيب المعدة والأمعاء باضطرابات عصبية وعضوية وتؤدى إلى نقص التغذية ، وتقحم جراثيم الأمعاء فى الدورة الدموية وثمة التهابات شتى فى الكلى والمثانة ليست إلا آثاراً بعيدة أسبابها ، من جراء اضطرابات قديمة تخامر العقل والنفس. ومثل هذه الأمراض تكاد تكون مجهولة فى طوائف المجتمع حيث مناهج الحياة أكثر بساطة ، وحيث القلق أقل تتابعاً ودواماً . ومثل هؤلاء ، أولئك الذين يحافظون على سكينة نفوسهم فى صخب الحياة، فهم بمنجاة من كل اضطراب عصبى أو عضوى ، فالإنسان إنما يفكر ويخترع ، ويحب ويتألم ، ويعجب ويصلى ، بعقله وأعضائه جميعاً .

وجهود العقل تنميها الرياضة ، والذكاء ينبغى أن يصاغ بالتعود على التفكير المنطقى . فكل إنسان يولد وقوى عقله تختلف عن قوى سواه ، ولكن أيا كان أمر هذه القوى الكامنة من قوة أو ضعف ، فهى فى حاجة إلى الرياضة المستمرة . فقوى العقل ينميها التعود على التفكير المنظم ، ودراسة المنطق ، وخضوع العقل للنظام ، وقوة ملاحظة الأشياء . وعلى نقيض ذلك كان مما يعوق نمو العقل تلك الملاحظات الخاطفة وتلاحق المؤثرات ، وفقر المرء إلى التفكير المرتب. ويؤثر أيضاً نمو الذكاء فى بعض عادات المعيشة والطعام ، ولعل التخمة والإفراط فى الألعاب الرياضية يمنعان نمو العقل ، فالرياضيون عامة ليسوا على حظ كبير من الذكاء . ومن المحتمل أن يكون العقل يتطلب ، لكى يصل إلى أقصى نموه ، سلسلة من الظروف لم تجتمع إلا فى عصور معينة . فماذا كان منهاج حياة أولئك الرجال الذين عاشوا فى العصور المجيدة من تاريخ المدنية ؟ وماذا كانوا يأكلون؟ وكيف كانوا يتعلمون؟ إننا نكاد نجهل كل الجهل سر نشأة الذكاء ، ومع ذلك فنحن نؤمن بأن عقول الأطفال يمكن تنميتها بتمرين الذاكرة وشتى الرياضات التى تمارس فى المدارس الحديثة !

وللعباقرة ، على ما وهبوه من قوى الملاحظة وسعة الإدراك ، مزايا أخرى كالبصيرة والخيال المبدع ، وبهذه البصيرة يتعلمون أشياء يجهلها سائر الناس . فالقائد الحق من قادة الشعوب لا يحتاج إلى اختبارات نفسية فى اختيار أتباعه ، بل هو يقدّر الرجل قدره فى لمح البصر ، ويدرك فضائله ورذائله . والعالم العظيم يتبع بغريزته السبيل الذى يؤدى به إلى الكشف

عن مجهول . والمعرفة التي يمتاز بها الأطباء العظماء في الطب لمرضاهم في بعض الأحيان ، إنما تنبع من هذا الينبوع . وهذه الظاهرة كانت تسمى يوماً ما إلهاماً .

والإرادة والذكاء عملان متشابهان في أرقى البشر تهذيباً وحضارة .

ومن الإرادة والذكاء تنشأ كل قيم الأخلاق . وكل امرئ يولد ، على قدر محدود ، إما صالحا أو طالحا أو بين بين ، ولكن الأخلاق يمكن أن تنمى كالذكاء بالتعليم والنظام وقوة الإرادة ، فالخير يعادل الإحسان والعدل والجمال ، والشر يعادل الأنانية والخسة والقبح . ولكي يحافظ المرء على استواء عقله وبدنه ، يجب عليه أن يفرض على نفسه نظاما تخضع له . ويجب على كل إنسان أن يدرك ضرورة إخضاع نفسه لمثل هذا النظام بمجهود من إرادته هو .

إن الذكاء والإرادة والخلق متقاربة النسب أشد تقارب ، ولكن الأخلاق أهم كثيراً من الذكاء ، فإذا عدمتها أمة من الناس بدأ كيانها الاجتماعي كله يتقوض . والجهود الساعية إلى تهذيب الأخلاق لم تنل ما هي خليقة به من العناية ، فيجب أن تدرس مسائل الأخلاق بطريقة إيجابية كما يدرس الذكاء . ومثل هذه الأبحاث لا يمكن بالطبع القيام بها في معمل ، ولا غنى عن دراستها في البشر أنفسهم ، ولكن هذه الجهود الأخلاقية تقع في حيز الملاحظة العلمية دون ريب .

إننا حين نلاقي ذلك الشخص النادر الذي يسير في الحياة سيرة يستلهمها من مثل خلقي أعلى ، لا يسعنا إلا أن ننتبه إلى طلعته ، فإن الجمال الخلقي ظاهرة نادرة تلفت النظر ولا ينساها المرء أبدا . وهذا النوع من الجمال أشد أثراً من جمال الطبيعة ، وهو يجعل للذين رزقوا من نفحاته العلوية قوة عجيبة خفية السر ، وينمي قوة الذهن ، وينشر السلام بين البشر ، ويمكن للمدنية أكثر مما يمكن لها العلم والفن .

إن حاسة الجمال مركبة في فطرة البشر من أدنى درك في سلم المدنية إلى أعلى درج فالإنسان يسره أن يعمل أشياء أوحت له بها نفسه . وفي أوربا تجد فنانين بين الطهاة وقطاع الحجر وصناع الأحذية والميكانيكيين ، وأولئك الذين يصبون الفطائر على أشكال جميلة وذوق دقيق ، والذين يطرقون الحديد ليصنعوا منه الأبواب الفخمة ، والذين ينسجون الأقمشة الجميلة — يحسون من نشوة الإبداع ما يحسه عظماء النحاتين والموسيقيين .

ويظل نشاط حاسة الجمال كامنا في معظم الناس لأنهم انقلبوا فصاروا آلات . فالعامل

تقتصر على صنع مفردات من العمل ، ولا يباح له أن يصنع الشيء كاملا أبداً ، بل لا يؤذن له أن يستعمل ذكاءه . إن الصناعة تحرّم على المرء كل لون من ألوان نشاط عقله الذي يمكن أن يمدّه كل يوم بمتاع . وقد ارتكبت المدنية الحديثة خطأ كبيرا ، حين ضحت بالعقل في سبيل المادة ، ويتفاقم أمر هذا الخطأ لأنه لم يجد من يثور عليه ، ولأن الناس قد هان عليهم أن يتقبلوه كما تقبلوا الحياة الضارة بالصحة في المدن الكبيرة وكما تقبّلوا أن يسجنوا في المصانع. وكيفما كان ، فإن أولئك الذين يجدون في عملهم أثارة من الشعور بالجمال أكثر سعادة من أولئك الذين لا يعملون إلا لكى تستهلكوا ما ينتجون . إن الجمال كامن في كل مكان ، وهو يفيض من الأنامل التي تصب آنية الفخار ، أو تنسج الحرير ، أو تنحت الرخام ، أو ترتق فتوق لحم البشر . ونراه في جداول جاليليو الرياضية ، كما نراه في تجارب باستير . وهو للذين يكشفون الغطاء عن مستقره ، معين سعادة لا يغيض .

وقلما نجد في الرجل من أهل هذا العصر سمات النشوة الروحانية أو الروح الدينية ، فأغلب الناس لا يرى الكنائس إلا متاحف ديانات بائدة . والنشاط الديني ليس سوى إلهام غامض يتجه بالإنسان نحو قوة تسيطر على هذا العالم . إنه ضرب من الصلاة لم تقيد صورته ، أو بحث عن الجمال المطلق . وهذا النشاط سخى كل السخاء فهو يمد الإنسان بقوة كامنة في النفس ، ونور في الروح ، وسكينة لا يحيط بها الوصف .

أسرار الملاءمة

هناك بون بعيد بين قوة أجسادنا على البقاء ، وإسراع عناصرها إلى التحول . فالإنسان مكوّن من مادة رخوة قابلة للتغير ، متهيئة للانحلال في بضع ساعات . ومع ذلك فلو كان قد صنع من الفولاذ لما كان أطول بقاء . وهو خير من الحيوان بكثير في الملاءمة بين نفسه والظروف المتبدلة والتقلبات الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية . ويعود مثل هذا الاحتمال إلى طريقة النشاط الخاصة التي تتخذها أنسجته وأخلاطه . فبدلا من أن يتهافت الجسم فإنه يتبدل ، وترتجل أعضاؤنا على الدوام وسائل نواجه بها كل موقف جديد .

فإذا استؤصل نصف الغدة الدرقية ازداد حجم النصف الباقي ، وكانت زيادته أكبر مما يلزم بوجه عام . واستئصال كلية واحدة يليه تضخم الأخرى ، ولو أن إفراز البول

يمكن أن تكفله كلية واحدة سليمة . وإذا لم يكف إفراز غدة ما ، فإن الغدد الباقية تزيد من نشاطها لتعوض إفراز الغدة المعطلة. وإذا اختلت الكليتان ارتفع ضغط الدم فى الشرايين ، كى يدفع مقداراً أكبر من الدم خلال المرشح المختل .

وكل عنصر من عناصر الجسم يتشكل ليوائم سائر العناصر ، وكذلك تفعل كلها ، يعينها على ذلك ارتباطها جميعاً بالسوائل العضوية والجهاز العصبى . ويبدو أن كل جزء يدرك حاجات الجسم كله فى الحاضر والمستقبل ، فيعمل على أساس ما تقتضيه ويشعر الجسم بالمستقبل شعوره بالحاضر . فإذا ما أشرف الحمـل على غايته أخذت السوائل تتدفق إلى أنسجة الشفرتين والمهبل ، فتصبح هذه الأنسجة رخوة مطاطة ، وتجعل مرور الجنين فيها ممكناً بعد بضعة أيام . وفى الوقت نفسه تضاعف الغدد الثديية خلاياها ، ثم تشرع فى عملها قبل الولادة . وكذلك يتهيأ الثديان لإرضاع الطفل وينتظرانه . ومن الواضح أن كل هذه الأعمال تمهيد لحادث مقبل .

وتظل الأنسجة تمهد للمستقبل طوال حياة الجنين ، فالأجزاء التى تتكون منها العين مثلا تتعاون على هدف معين ، وإن يكن هدفاً مستقبلا ، : ٠٠١ جزء من سطح المخ يتكون منه عصب البصر وشبكية العين ، ويتحول الجلد الذى يغطى هذه الشبكية الناشئة تحولا عجيباً فيشف حتى يؤلف القرنية والعدسة البلورية ، ويؤسس هذا الجهاز المبصر العظيم الذى نسميه العين . فبأية وسيلة تؤثر الشبكية المستقبلة فى الجلد فتجعله يصنع عدسة قادرة على إبراز صور الدنيا الخارجة على أطراف أعصابها ؟ وأمام العدسة تتشكل القزحية نفسها على صورة غشاء مثقوب يتسع ثقبه أو يضيق تبعا لشدة الضوء ، يضاف إلى ذلك أن شكل العدسة يهيء نفسه بنفسه كى يستطيع الرؤية القريبة أو البعيدة ، وصلة هذه الأجزاء بعضها ببعض مما لا يمكن إيضاحه .

إن صلة الأعمال العضوية بعضها ببعض يصبح ظاهراً عقب النزف ، ففى البداية تنقبض جميع أوعية الدم ، فيزداد حجم ما يبقى فيها من الدم نسبيا ، وبذلك تحتفظ الشرايين بضغط يكفى لاستمرار دورة الدم ، ويشعر المصاب بظمأ شديد ، فتنفذ سوائل الأنسجة خلال جدران الأوعية الشعرية وتغزو مجرى الدم ، كما أن الدم يمتص السوائل التى تدخل المعدة ، ويستعيد حجمه الأصيل ، ثم يستمد الخلايا الحمر من مستودعاتها الاحتياطية فى الأعضاء التى تخزن فيها ، وفى النهاية يأخذ نخاع العظم

فى صنع خلايا حمر يكمل بها تجديد الدم . وقصارى القول أن أجزاء الجسم جميعا تشاطر فى هذه الظاهرة .

فإذا أصاب الجلد أو العضلات أو أوعية الدم أو العظام أذى ، هيأ الجسم نفسه فى الحال ليلائم الحالة الجديدة ، ويجرى كل شىء كما لو كان الجسم يتخذ سلسلة من الخطوات كى يصلح الفساد الحادث . وكما حدث فى تجديد الدم ، تنهض إلى العمل أجهزة مختلفة المكان متحدة الهدف . فإذا قطع شريان انبثق منه الدم بغزارة ، وانخفض الضغط الشريانى ، وأحس المصاب بغشية مفاجئة ، ثم يقل النزف ، ويتكون فى الجرح غشاء من الفيبرين ، وعندئذ ينقطع النزف . وخلال الأيام التالية تغزو الخلايا البيض وخلايا الأنسجة هذا الغشاء ، وتدأب على إقامة جدار الشريان .

وإذا انكسرت جارحة من جوارح الجسم ، فإن الأطراف المسنونة من العظام المصدوعة تمزق العضلات وأوعية الدم ، وسرعان ما تحاط بغشاء دموى من الفيبرين ، ثم تنشط الدورة الدموية ، فتتورم الجارحة المصابة ، وتفيض على العضو الجريح المواد الغذائية اللازمة لتجديد الأنسجة . وتتجه كل الجهود نحو الإصلاح ، فتصير الأنسجة إلى الحالة التى ينبغى أن تكون عليها لتؤدى نصيبها من العمل المشترك . فتتحول مثلا قطعة من العضل قريبة من موضع الكسر إلى غضروف ، ويستحيل هذا الغضروف فيما بعد إلى نسيج عظمى ، ويحدث خلال هذا الإصلاح عدد عظيم من الظواهر الكيميائية والعصبية والدموية والخاوية . وكل هذه الظواهر متصل بعضها ببعض ، ويبدأ الدم ، الذى يسيل من الأوعية ساعة الإصابة ، أعمالَ التجديد الفسيولوجية ، وتتلاحق الظواهر ناشئاً بعضها عن بعض .

إن علمنا بهذه الخطوات التى يتخذها الجسم نحو الشفاء ، هو الذى خلق الجراحة الحديثة ، ولو لم يكن من الجسم هذا السعى فى سبيل البرء ، لما استطاع الجراحون أن يعالجوا الجروح ، إذ لا سلطان لهم على أسباب الشفاء ، وإنما يقتصرون على توجيه هذه الأسباب التى تعمل عملها من تلقاء نفسها .

****

على أن ثمة عوامل لا تجدى فيها هذه الأسباب المصلحة أية جدوى ، فمرض الزهرى مثلا أحد هذه العوامل . فهو لا يترك فريسته مختاراً أبدا ، وهو يستقر فى الجلد أو أوعية الدم أو المخ أو العظام ، فلا تقوى خلايا الجسم ولا أخلاطه على قتاله ، ولا يسلس

الزهرى قياده لغير العلاج الطويل .
والسرطان كالزهرى لا يجد من الجسم مقاومة ، فهذه الأورام قريبة الشبه بالأنسجة الطبيعية حتى تجد الجسم لا يشعر بوجودها. وأما أعراضها حين تظهر، فليست إلا نتائج مباشرة لأفاعيل الورم السيئة ، أو منتجاته السامة ، أو إتلافه عضواً مهماً ، أو ضغطه على عصب من الأعصاب .

✲✲✲✲

إن البيئة تسم الكائنات البشرية بوسمها الذى لا يمحى ، ويؤدى النشاط العنيف الذى يبديه العضل أيضاً إلى تطورات دائمة . فالرعاة يكتسبون قوة ومنعة ومرونة لا يمكن أن يظفر بمثلها أي رياضي محفوف بالترف الذى تهيئه له الجامعات الحديثة ..

لقد كان بقاء الإنسان فى الأزمان الغابرة يرجع كله إلى قدرته على مطابقة نفسه لما يحيط به ، أما المدنية الحديثة فقد استطاعت بمعونة علم الصحة ، والعيش الناعم ، والمستشفيات والأطباء والممرضات أن تبقى على حياة كثير من البشر الضعاف البنية . ويساهم هؤلاء الضعفاء وذراريهم مساهمة كبيرة فى إضعاف الجنس كله . ولعل الأخلق بنا أن ننبذ هذا النوع الزائف من الصحة ونصرف جهودنا إلى طلب العافية الطبيعية .

ويبدو أن عمل هذه الأسباب المصلحة ينبه كل وظائف الأعضاء ، فالإنسان يصل إلى أقصى نموه حتى يكون عرضة لعوادى الحر والبرد ، وحين تكون وجبات طعامه وافرة حيناً ، وزهيدة حيناً آخر ، وحين يبذل جهداً جهيداً لكى يظفر بطعامه ومأواه . فقد كتب عليه أن يروض عضلاته ، وأن يتعب نفسه ويريحها ، وأن يناضل، وأن يتألم، وأن يسعد، وأن يحب وأن يبغض. وإن إرادته لتتطلب أن يتعاقب الجهد عليها والراحة ، وينبغى له أيضاً أن يكافح أخدانه أو يناضل نفسه . لقد خلق لمثل هذه الحياة كما خلقت المعدة لهضم الطعام . فإذا ما تمت وتكاثرت أساليب مطابقته لما يحيط به بلغت رجولته غاية تمامها . ونحن نعلم أى قوة فى البدن والخلق انفرد بها أولئك الذين خضعوا منذ طفولتهم لنظام حكيم والذين عانوا بعض الحرمان ، وراضوا أنفسهم على ما حاق بهم من الشدائد .. فالمرء إذا خف كساؤه وكان عليه أن يصون حرارة جسمه بالرياضة العنيفة ، تعمل كل أجهزته البدنية عملا كثيراً متواصلا . وعلى نقيض ذلك ترى هذه الأجهزة تظل هامدة إذا ما اتقى المرء الجو البارد بالفراء وبالملبس الدافىء ، وبجهاز تدفئة الهواء فى السيارة المغلقة ، أو بجدران الغرف المدفأة بالبخار .

إن رجل العصر لا تضرب الريح جلده قط، فليس عليه أن يذود عن نفسه الثلج أو المطر أو الشمس عدة ساعات . وقد كانت الأجهزة المسؤولة عن تنظيم حرارة الدم والأخلاط البدنية فى العهود الماضية تظل فى نشاط متواصل ، من جراء كفاحها عادية الحر والبرد ، أما اليوم فقد أصبحت فى همود مستديم .

وإذا عاش المرء عيشة أكثر شظفا وأشد عناء ، استرد قوة نفسه وبسالتها ، فينبغى أن نستبدل باطراد الحياة ولين العيش فى المدارس عادات أقرب إلى الرجولة . فالمرء حين يطابق نفسه لما يحيط به من النظم تلحقه تطورات واضحة فى جهازه العصبى ، وفى غدده الصم ، وفى عقله ، فيصيب الجسم بذلك حظا أوفر من الكمال ، ونصيبا أعظم من القوة ، وقدرة أسمى على اقتحام مصاعب الحياة .

والإنسان يميل بطبعه إلى إشباع شهواته ، كشهوة الخمر مثلا ، وشهوة السرعة ، وشهوة التغيير على الدوام ، ولكن إشباع هذه الشهوات إشباعا كاملا يفضى إلى الانحلال ، فعليه إذن أن يروض نفسه على السيطرة على جوعه وعلى نزواته الجنسية ، وعلى كسله ، وعلى كلفه بالخمر ، وعلى حاجته إلى النوم .

إن رجل العصر إما مفرط فى النوم وإما مفرِّط ، فهو لا يعد نفسه لمطابقة ما يختلف عليه فى مثل هذا الأمر . وخير له أن يعود نفسه على أن يظل يقظا حين تدركه الرغبة فى النوم ، فإن مقاومة النوم يحرك أعضاء تنمو قوتها بالتمرين ، وهى تقتضى أيضا بذل مجهود من الإرادة ، وهذا المجهود وكثير من أمثاله قد قضت عليه مناهج الحياة فى العصر الحديث .

إن الفرد والجماعة تضعفهما شدة الفاقة ، وخطر الثراء كخطر الفاقة ! فالفراغ مهلكة للفقراء والأغنياء جميعا . فالسينمات والحفلات والراديو والسيارات والألعاب الرياضية ، لا تصلح أن تكون عوضا عن العمل الحكيم . وثم شرطان أساسيان فى رقى الإنسان هما شىء من العزلة والنظام ، وفى وسع كل إنسان أن يروض نفسه على هذه الشروط . ففى طاقة كل امرىء أن يرفض ارتياد سينمات معينة ، أو الإصغاء لبعض إذاعات الراديو ، وقراءة بعض الكتب أو الصحف ، ولكن تجديد نفوسنا يتوقف فى الأغلب على نظام العقل والخلق ، ونبذ طباع القطيع . وأهم ما يكون مثل هذا النظام فى زمن الكهولة والشيخوخة خاصة ، إذ يبدو أن دؤوب الجسم والعقل على العمل

يرجئ نزول الشيخوخة . والعمـل أجدى من الـكحول والمورفين فى احتمال الشدائد، والبطالة تضاعف جميع الآلام . ومجهود العقل المتطاول العنيف يسم الإنسان بسمة لا تزول .

إن العمل ينشط كل الوظائف البدنية والعقلية ، وكلما عملت العضلة ازدادت نماء ، فالعمل يقوّيها ولا يوهن قوتها . والعضو إذا أهمل ضمر وذبل ، والذكاء والأخلاق كالعضلات والأعضاء تذبل من قلة التمرين، فبذل الجهد أمر لا غنى عنـه للانسان كى يبلغ غايته من الرقىّ والتهذيب .



عجائب البلاد الشمالية

✲ حين يصفو الجو فى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وتهبط الحرارة إلى درجة تتفاوت بين ٥١ و ٦٢ تحت الصفر بميزان سنتجراد ، تستطيع أن تسمع حديثاً عادياً على مسافة تختلف من نصف ميل إلى ميل . وأن تسمع وقع أقدام رجل على ميلين ، ونباح الـكلاب أو صوت قطع الأخشاب على عشرة أميال إلى اثنى عشر ميلا .

✲ ترتفع الحرارة فى الصيف إلى ٣٥ درجة سنتجراد ، وقد سجلت هذه الحرارة فى غير مكان واحد داخل الدائرة القطبية الشمالية .

✲ يؤثر البرد الشديد تأثيراً ظاهراً فى الهواء فيجففه . فإذا كانت درجة الحرارة ٣٤ إلى ٦٨ تحت الصفر أحدث هذا الجفاف ظاهرات غريبة ، إذ ترتفع الغيوم من الأنهار الفائضة كأنها دخان حريق فى غاب ، وتعدو الحيوانات فتترك وراءها خطا من الضباب . وقد روى أن وعلا واراه البخار المتصاعد من بدنه ، فلم ير على مسافة عشر أقدام .

✲ يزداد مدى الرؤية فى الهواء البارد ، إن لم تتكثف الرطوبة التى فى الهواء . فاذا كانت درجة الحرارة ٤٦ تحت الصفر ، استطعت أن ترى أجساماً صغيرة لا تراها إذا كانت درجة الحرارة ١٠ فوق الصفر ، إلا على ثلث مسافة بعدها الأول عنك أو نصفها . أما الأشياء البعيدة ، كالجبال التى ترى فى الجو الدافىء أرجوانية اللون غير واضحة المعالم ، فتبدو فى هـذا الجو البارد جلية لا يشوبها لون . وقد اتفق لى أن حسبت جبلا يبعد عنى ٢٠ ميلا ، أكمة لا يزيد بعدها على ميل واحد .

[ستفانسن فى كتابه : « دليل المنطقة المتجمدة الشمالية »]

انظر الآن ماذا نعني : خواص يعتمد عليها ..

ضع ثقتك في الإطار المشهور بأنه أجود إطار

شركة جنرال تَير أند رابر اكسپورت

اكرون . أوهايو . الولايات المتحدة

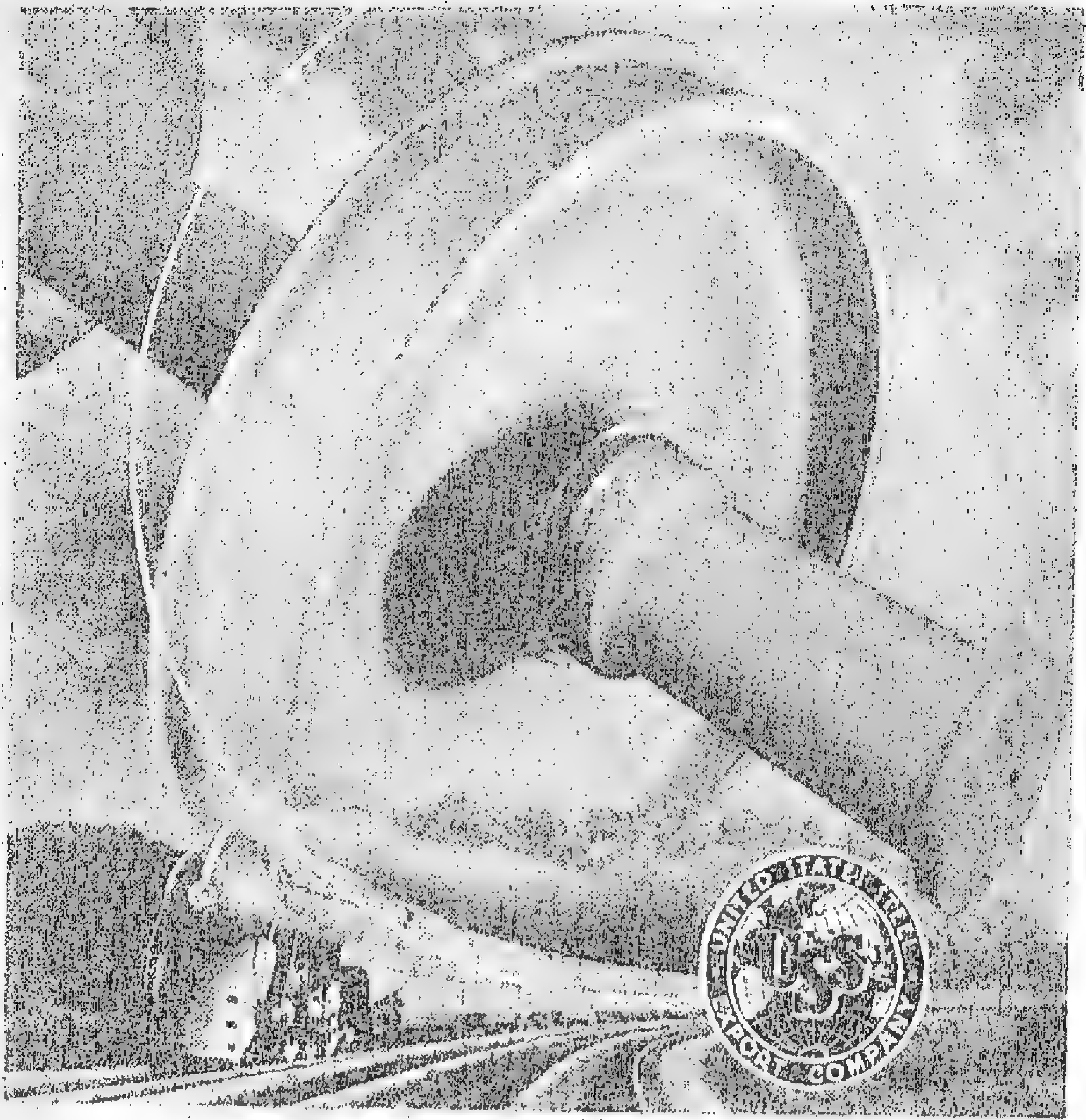
تلغرافيا : چنتيروكو اكرونوهايو

مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا ، ومكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلي ، والبرتغال









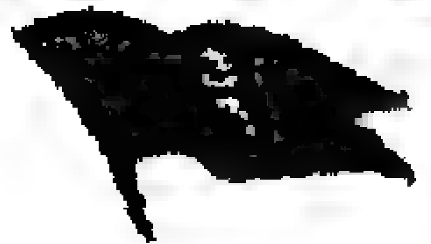
مدرعات لمعارك السلام

إن الفعال الحربية التى قامت بها المركبات الكبيرة من الجرارات — ممهدات الأرض، قد أذاعت بشائرها الصحف ومحطات الراديو، وأما المقاتلين البسل من الأمم المتحدة، القائمين على تسيير محركات ديزل كاتربيلار، فقد غامروا بحياتهم — وكثيراً ما كان ذلك تحت وابل من القذائف — ليطهروا الشواطىء، ويمهدوا المطارات، ويشقوا الطرق فى الجبال والأدغال. إنهم يستحقون الشكر من جميع الشعوب التى تعشق الحرية.

وإن العالم ليواجه مهام تجارى مهام الحرب ضخامة ومشقة، وستشتد الحاجة إلى أعمال تعمير واسعة النطاق. فثمة طرق جديدة لعهد السلام يجب أن تشق، ومنابع زيت يجب أن تستغل، ومطارات تجارية يجب أن تنشأ. وأعظم مشروعات البناء فى التاريخ، ستقتضى أعمالا كبيرة فى الاحتطاب والتعدين وحفر المحاجر. فجرارات ديزل كاتربيلار المتينة القوية الثابتة، ستكون، حين تقرن بالأدوات اللازمة للحفر والرفع، متأهبة لتحقق ألوفاً من مشروعات الغد العظيمة.

إن مشروعات الرخاء العالمى، ستظل على الأكثر، حبراً على ورق، بدون هذه القوة العاملة العظيمة، السريعة، الاقتصادية.

CATERPILLAR DIESEL



جرارات • محركات • اجهزة كهربائية • آلات زراعية

لكي تطيل حياة محركك

استعمل الشموع الجديدة

شامبيون

CHAMPION



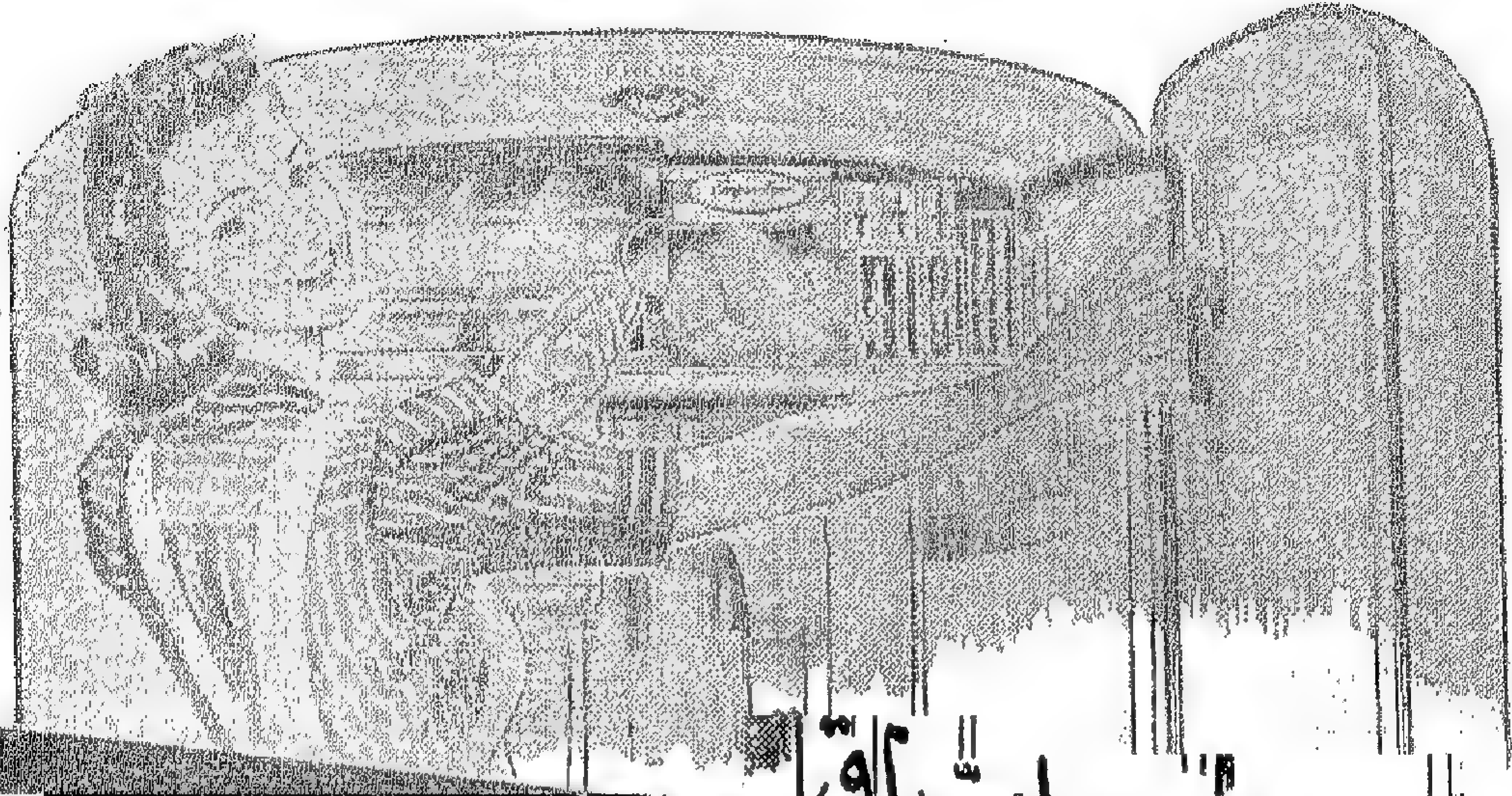
إن طائفة كبيرة من محركات السيارات وسيارات النقل والجرارات تتحرك الآن حركة منتظمة مطردة ، لأن أصحابها يعتنون دائماً بحفظ شموع الاحتراق فيها نظيفة — و بإبدال القديمة المتآكلة بالشموع الجديدة « شامبيون » . إن جميع الناس يعلمون أن شموع احتراق « شامبيون » هى شموع يعتمد عليها ، وتوفر الوقود ، وتزيد القوة والسرعة ، وتحفظ المحركات دائرة أتم ما يكون الدوران .

CHAMPION SPARK PLUG COMPANY
Toledo, U S A • Windsor, Can. • Feltham, Eng.

حتى قبل أن تنشب الحرب

قدمت لك

ثلاجة فيلكو



هذا التصميم السباق

حجرة كاملة منفصلة

للتخزين المبرد

علاوة على حجرة مكعبات الثلج

واليوم يحق لجميع الذين يملكون ثلاجات فيلكو ، أن يهنئوا أنفسهم على حسن اختيارهم . لأن فيلكو ، قدم قبل الحرب نوعاً جديداً تام الجدة من الثلاجات يحتوى على حجرة منفصلة كبيرة « للتخزين المبرد » بحيث يمكن أن تحفظ جميع أصناف الطعام ، مدى أسابيع ، على درجات من البرودة تحت درجة التجمد . وهذه صفة مميّزة ، وهى مثــل واحد على هذا التصميم السباق ، الذى أدخله فيلكو فى صناعة الثلاجات

وغداً تحت تأثير تصميم فيلكو السباق ، ستكون الثلاجة أجمل وأكثر نفعاً ، وأيسر استعمالا فى البيت . وثمة ، أفكار جديدة تنتظر أن تبحث وتستغلّ ، حين يعود مهندسو فيلكو ، من معامل أبحاث الحرب . فترقّب فيلكو فى ميدان صناعة الثلاجات ، بعد الحرب ، فستجد أدلة جديدة على التقدم الهندسي ، الذي جعل من اسم فيلكو رمزاً للسبق ، على مرّ السنين .

فيلكو

المشهور بالجودة فى جميع أنحاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION, 230, PARK AVENUE, NEW YORK, U.S.A.

إن مجرد ذكر اصطلاح «مفصلات اليايات» (السوست) قد لا يعني لديك شيئاً ولكن إن كنت تقود سيارتك بنفسك فتذكر بأن هذه الأجزاء الصغيرة تبدأ في التحرك بمجرد تسلمك عجلة القيادة. فلو أهملت أمر هذه المفصلات لرأيت التآكل يضرب فيها أطنابه ويجعلها تصرصر وتكلفك مصاريف إصلاح باهظة.

وأما إذا واظبت على تزييتها بانتظام فتكون قد ضمنت قيادة سهلة مريحة. ونحن نستعمل في تشحيم الأجزاء القائمة بهذا العمل الشاق شحم موبيلجريس نمرة ٣. وهو شحم خاص لزج ومقاوم لصدمات الطريق لمئات من الكيلومترات.

هذه الخدمة الممتازة تقدم في جميع
محطات بنزين شركة سوكوني - فاكوم

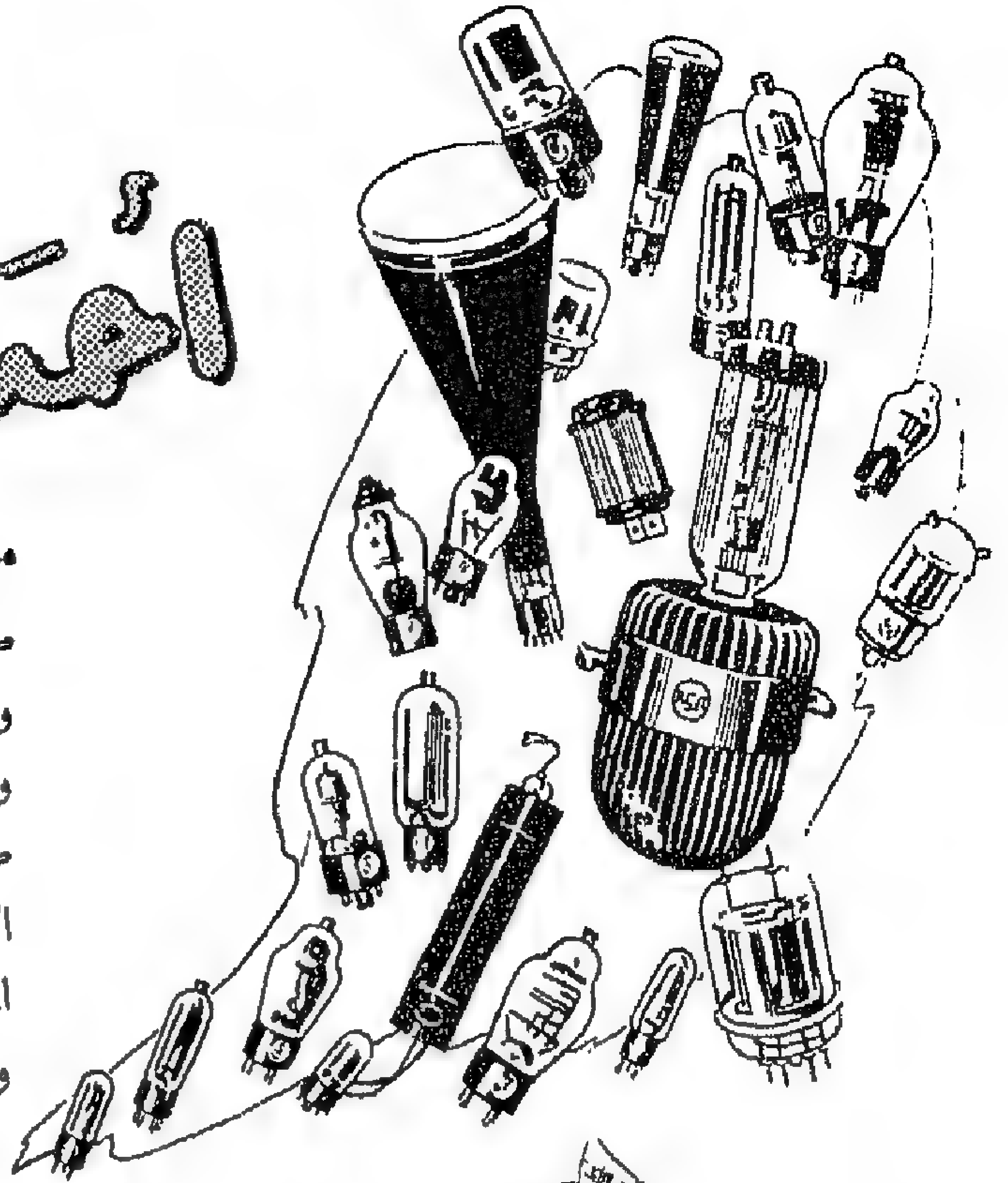


تفوق تشحيم «موبيل» على غيره

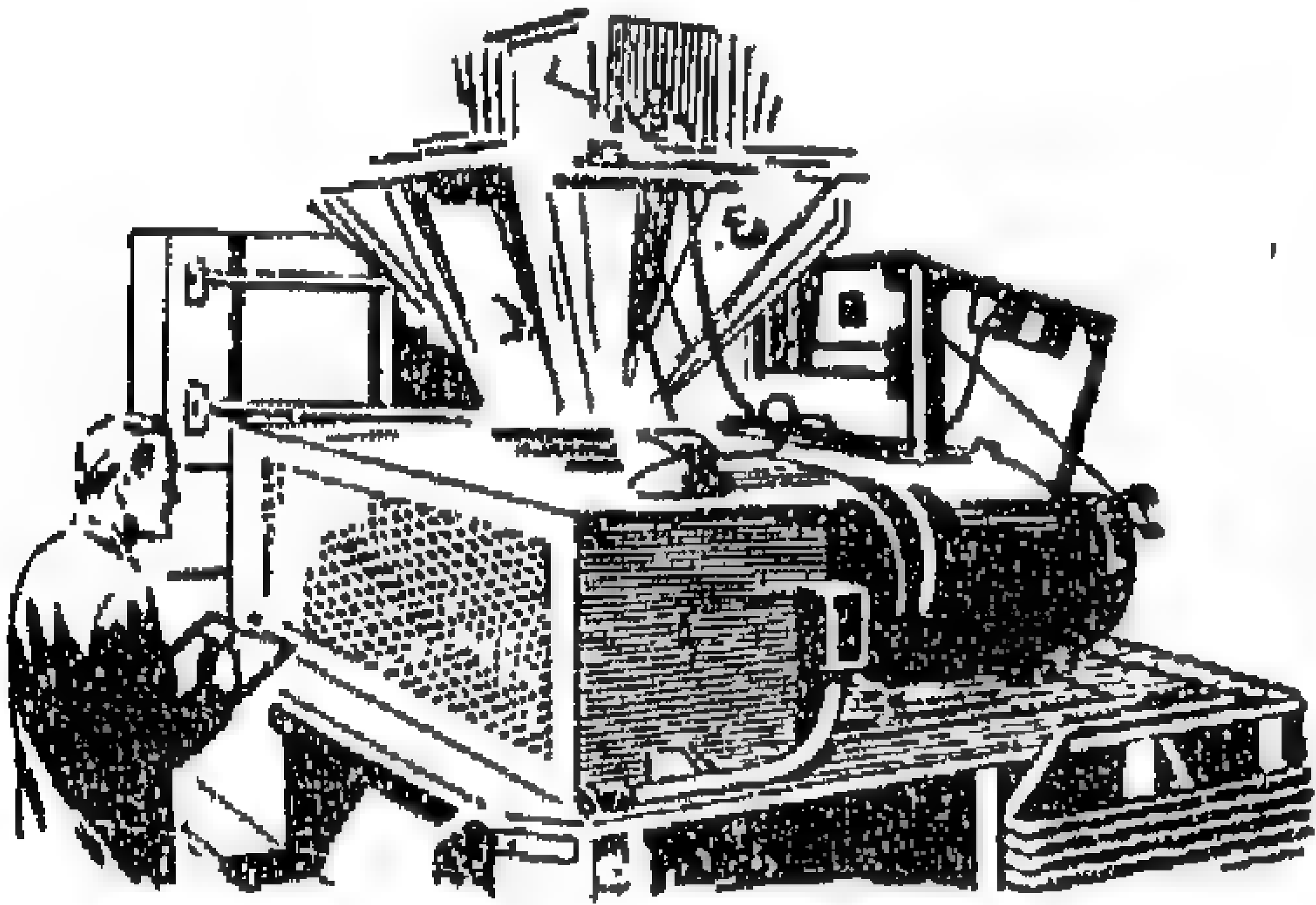
سوكوني فاكوم

RCA تقـــدم

أحدث مبتكراتها



مصباح علاء الدين فى المستقبل القريب : تقوم صمامات RCA الاليكترونية بمعجزات فى الصناعة والعلم ... إنها ترى ، وتشعر ، وتشم ، وتذوق ، وتعد ، وتسمع ، وتتذكر ، وتتكلم . وهناك صمام RCA اليكترونى خاص لكل غرض . وهذه الأدوات تستعمل الآن لتأييد قضية الأمم المتحدة ولكنها ستشارك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب .





يمكنها أن تهز منزلك : صنعت RCA أجهزة تهتز اهتزازاً قوياً ، لتبين مواطن الضعف فى الأجهزة اللاسلكية للطائرات وتوفيها . فكذلك تستطيع شركة RCA أن تتقن الأجهزة اللاسلكية للطائرات قبل استعمالها . وهذه الأجهزة لها أعظم شأن في توسيع آفاق المواصلات والمخاطبات .

الفتنة دائماً جديدة : فتنة دينا شور نجمة شركة وارنر السينمائية وكذلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم تعرض فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتوفون. إن المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الاليكترونية وسائر أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل الفيلم والصوت بالمسرح .



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION · CAMDEN, N. J

تتقدم القافلة فى الراديو . تليفزيون . صمامات . فونوغرافات . اسطوانات . اليكترونات

[تتمة مقالة الغــلاف]

فى تمهيد طريق واسع للتفاهم والتسامح بين أمة وأخرى لا يسير على جادّته عامة الناس فحسب ، بل زعماؤهم أيضاً تحدوهم روح الصداقة التى تتبع دائماً قيام التفاهم بين الناس :

ويقول فى ذلك الأستاذ عباس محمود العقاد المؤلف والشاعر المصرى الممتاز .

« ومن العلامات المبشرة بالخير أن تساهم اللغة العربية بنصيب وافٍ من هـذه المائدة العالمية المشتهاة : وإنى أرحب بالمختار على أنه رسول من رسل الثقافة العربيـة ، ووسيلة من وسائل الألفـة بين بنى الإنسان ، ومصباح من مصابيح النور التى تبدد الظلام من زوايا الكرة الأرضية » .

تطبع طبعات ريدرز دايجست الدوليـة فى تسع مدن فى العالم : كونكورد ، وشيكاغو فى الولايات المتحدة ، وفى القاهرة ، ومنتريال ، ولندن ، واستوكهولم ، وكلكتا ، وشنجكنج ، وسدنى ، وتقرأ الطبعات الإنجليزية فى الولايات المتحدة ، وهواى ، وكندا ، وبريطانيا العظمى ، وجنوب إفريقية ، وأستراليا وغيرها من بلاد جامعة الأمم البريطانية . ويوزع من هـذه الطبعات جميعاً ما يربى على ٩٫٤٧٢٫٠٠٠ نسخة فى الشهر . وعلاوة على ذلك هناك ١٣٥٫٠٠٠ نسخة باللغة العربية توزع شهرياً و ٧٥٠٫٠٠٠ نسخة باللغـة الإسبانية و ٢٧٦٫٠٠٠ نسخة باللغة البرتغالية و ٢٨٥٫٠٠٠ نسخة باللغـة السويدية . ولعل أعجب طبعة من طبعات هـذه المجلة هى الطبعة التى يوزع منها أقل عدد ، وهى الطبعة الإنجليزية التى تطبع على الحجر فى مغارة فى أطراف شنجكنج التى لا ينقطع ضربها بالقنابل . ولا تسمح الحرب وغيرها من الأخطار إلا بطبع ٥٫٠٠٠ نسخه فقط فى الشهر ، ولما كان الطلب يزيد كثيراً على العرض ، فكثيراً ما يبلغ ما يدفعه بعض القراء ثلاثة ريالات ثمناً لنسخة واحدة .

المختار يقرأ في جميع أنحاء العالم

إن قراء هذه المجلة ، على اختلاف ألسنتهم وملابسهم ومآكلهم ، يجمع بينهم رابطة وثيقة لا يستطيع أحد أن يراها رأى العين ، ولكن كل منهم يدركها فى نفسه . ففى كل شهر تطبع عشرة ملايين نسخة من مجلة ريدرز دايجست وتوزع فى جميع أنحاء العالم ، ويقرأ ثلاثون مليوناً من القراء فى أكثر من ستين بلداً المقالات نفسها التى تظهر فى المختار بلغات متعددة . ويربط أعضاء هذه الجماعة العالمية من مختلف العناصر والأجناس حافز مشترك ، هو أن يفيدوا ما استطاعوا من فرص الحياة ، واهتمام مشترك بحياة الآخرين وبأحوال الأمم الأخرى .

ولما كان هذا الجمهور العظيم من القراء يتكون من أجناس كثيرة منتشرة فى أنحاء العالم ، فإن هذه المجلة تحفز إلى تبادل الأخبار والآراء بين أقوام يعيشون فى بلاد مختلفة ، ولهم عادات مختلفة وعقائد مختلفة ، بيد أن آمالهم ومطامحهم ومخاوفهم تتشابه فى جوهرها تشابهاً كبيراً . فالطبيب فى لندن ، ومربى البقر فى بوينس إيرس ، وربة البيت فى شيكاغو ، وكاتبة الآلة فى استوكهولم ، والمدرس فى القاهرة ، كل هؤلاء بدأ يتعرف بعضهم إلى بعض عن طريق هذه المجلة العالمية . فإذا زادت معرفة أحدهم بأساليب حياة غيره من القراء فى البلاد الأخرى ، لم تقتصر فائدته منها على ما يجنيه من معلومات أو تسلية لنفسه ، بل إنه ليساهم

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

من مشروع السلام — إدوارد ر. ستتينيوس — ١
الشبح الطائر — الكولونيل روبرت ل. سكوت — ١٠
الأمراض التي تنتقل عدواها بالهواء — مجلة «هايجيا» — ١٦
مهمة أمريكا في معاملة ألمانيا بعد الحرب — مجلة «كوليرز» — ٢٠
[illegible] كما تريده — [illegible] — ٢٦
دي جول [illegible] — مجلة «لايف» — ٣٠
من أين يأتي كل هذا الإيمان الكبير؟ — صحيفة «بالتيمور صنداي صن» — ٣٧
[illegible] الشرقي [illegible] — مجلة «كوليرز» — ٤٤
حوادث مدهشة — لورد فردريك هاملتون [illegible] — ٤٦
أخي، الذي كلم الخيل — مجلة «ذي أمريكان ميركوري» — ٤٨
[illegible] — [illegible] — ٥٢
[illegible] المتناقضات — مجلة «ساترداي إيفننج بوست» — ٥٣
كيف نذود أشباح القلق عن الذهن؟ — [illegible] — ٥٩
حقائق عن البيئة، حول مدينة ديترويت — [illegible] — ٦٥
كيف تختار زوجك؟ — [illegible] — ٦٨
فرنسا تحتاج لا إحسان [illegible] — مجلة «ذي [illegible]» — ٧٣
لغز [illegible] ولكنه حقيقة واقعة — [illegible] — ٧٦
[illegible] — [illegible] — ٨٠
[illegible]: أعجوبة زراعية أخرى — مجلة «كنتري هوم» — ٨٦
تعريفات لاذعة — «معجم الشيطان» — ٨٩
سوف نعود إليكم — [illegible] — ٩٠
[illegible] — مجلة «إسكواير» — ٩٣
[illegible] — [illegible] — ٩٧

مارس ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ التاسع عشر (السابع من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هـذه المجلة رضاك . ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الثانية مارس ١٩٤٥ المجلد ٤ العدد ١٩

مَعنى مَشرُوع السَّلام الذى صِيغ فى دمبرتون أوكس

إدوارد ر. ستيتنيوس . وزير خارجية الولايات المتحدة

وضع الخبراء خطة ، وهذا مقال يهيب بنا أن نفهمها ونجبها — وأن نبذل جهداً فى سبيل تحقيقها .

إن مصلحة الشعب الأمريكى فى المحافظة على السلام بعد هذه الحرب ، قد بلغت من خطر الشأن مبلغاً لا مزيد عليه . إننا مقت الحرب ، ومع ذلك فقد حُملنا مرتين فى جيل واحد على أن نقاتل دولاً قوية معتدية ، دفاعاً عن حريتنا ومصالحنا الحيوية .

إن شبابنا يبذلون حياتهم كلَّ يوم لأننا ، نحن وغيرنا من الأمم المحبة للسلام ، أخفقنا فى تنظيم السلام والمحافظة عليه بعد الحرب الماضية . فعلينا أن نضمن أن لا يساق أبناؤهم — وأبناؤنا — إلى بذل حياتهم فى حرب كبيرة أخرى بعد ربع قرن منذ اليوم .

كنا فى هذه الحرب آخر من هاجمه المعتدون ، وقد استطعنا أن نكافحهم فى مواقع بعيدة عن أرضنا ، ولكن مدى الطائرة والأسلحة الجديدة التى صنعت ، ستنزل دمار الحرب فى المرة المقبلة — إذا سمحنا بنشوبها مرة أخرى — ببيوتنا وأرضنا . ومن المحتمل أن تكون الولايات المتحدة فى المرة المقبلة — إذا سمحنا بنشوب الحرب مرة أخرى — أولى الدول التى تهاجمها دولة معتدية ، لا أخراها .

ولن يكون لنا إلا طريق واحد نسلكه فى التأهب للحرب التالية ، بعد الظفر فى هذه

الحرب ، وهذا الطريق هو أن نمنع نشوب حرب تالية . فلا محيص لنا عن أن نبدأ الآن بهذه المهمة . ولن نستطيع القيام بها إلا إذا أعددنا الخطط : وعززنا ، بالتعاون مع أمم العالم الأخرى المحبة للسلام ، سلاماً صالحاً للبقاء يقوم على أساس منظم .

— ١ —

كل خطة سليمة للسلام يجب أن تنهض على الحقائق كما هى ، ويجب أن تتجه إلى تحقيق ما نتمناه من عالم يسوده السلام . وإنى لأعتقد أن هذين الركنين إنما تحققهما المقترحات التى صاغها ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى والصين ، فى الصيف والخريف الماضيين فى دمبرتون أوكس بوشنطن . وأودّ هنا أن أصف ما أعتقد أنه لباب هذه الخطط وروحها المحركة ، وأن أبين قيمتها العملية فى التطبيق .

لم تنشأ هذه المقترحات من لا شىء ، فقد سبقتها دراسات طويلة دقيقة تولتها جماعات شتى من الناس فى كل دولة من الدول الأربع . فلم تقتصر فى الولايات المتحدة على استشارة الخبراء الفنيين فى وزارة الخارجية وحسب ، بل استشرنا كذلك أقطاب الحزبين السياسيين فى الكونجرس ، وأهل الرأى من الضباط العظام فى جيش الولايات المتحدة وأسطولها ، والمشهورين من أبناء البلاد من أصحاب الآراء المختلفة . فالمقترحات هى نتيجة بحث دائب ومشاورة واسعة النطاق . ولا يدخر الآن وسع فى عرضها ، ليرى الشعب الأمريكى رأيه فيها .

والخطة المقترحة فى دمبرتون أوكس تقوم على أربعة أركان :

أما الأول : فهو أن السلام لا يصان إلا إذا أجمعت جميع أمم العالم المحبة للسلام على تحقيق هذا الغرض . ويجب عليها فى عملها هذا أن تعترف بالمبدأ الأصيل ، وهو أن جميع هذه الأمم متساوية : وأنها فى الوقت نفسه غير متساوية حقيقة فى قدرتها على منع الحرب .

إن عبارة «التساوى فى السيادة» مضمنة فى المبدأ الأول من مقترحات دمبرتون أوكس . وهى تعنى أن كل دولة محبة للسلام ، مهما تكن صغيرة ، لها من السلطة العليا فى أرضها ما لكل دولة أخرى مهما تكن كبيرة . فكل دولة منها ، صغيرة كانت أو كبيرة ، هى وحدة دولية ، فلكل منها حق أن تقول كلمتها فى شئون أسرة الأمم ، وعلى كل منها يقع نصيب من التبعة فى مهمة إنشاء نظام عالمى يسوده السلام .

وقد سايرت مقترحات دمبرتون أوكس هذا المبدأ ، فنصت على أن تكون أبواب الهيئة الدولية الجديدة مفتوحة لجميع الدول

« المحبة للسلام » ، كبيرة كانت أو صغيرة .
ونصت كذلك على إنشاء جمعية عمومية يمثل فيها جميع الأعضاء من الدول على أساس التساوى . ثم نصت على هيئة أصغر من الجمعية العمومية، قوامها أحد عشر عضواً، تعرف باسم « مجلس الأمن » ، وجعلت الدول الخمس المتفوقة فى القوة ، أعضاء دائمين فى هذا المجلس .

وعلى جميع أعضاء الهيئة أن يقطعوا عهداً بتسوية كل نزاع بينهم تسوية سلمية ، وأن ينهضوا بالالتزامات الأخرى التى يتخذونها فى الدستور المقترح لهذه الهيئة ، فى حفظ السلام وتعزيزه . وفى حدود هذه العهود، يحق لممثلى كل دولة أن يقترعوا على أية مسألة دولية كما تشير عليهم بلادهم أن يفعلوا، وكل منهم تختاره أمته بالطريقة التى تؤثرها. فالسيادة القومية تظل سليمة لا تمس .

وللهيئة غرضان : أن تمنع الحروب وأن تقمعها . ثم أن تعزز السلام تعزيزاً مطرداً بتوثيق صلات الصداقة وأواصر النفع المتبادل بين الأعضاء .

إن التبعة الأولى فى منع الحرب وقمعها، تقع على كاهل « مجلس الأمن » . وسبب ذلك أن هذه المهمة لا يمكن أن ينهض بها على أجدى وجه ، إلا هيئة صغيرة يجب أن تشمل الدول الخمس الكبرى ، أعضاء دائمين فيها . وللجمعية العمومية فى إنجاز هذه المهمة شأن خطير لكنه فى المقام الثانى.

أما التبعة الأولى فى إنشاء الأحوال الدولية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تؤاتى السلام ، فهى تقع على كاهل الجمعية العمومية . وسبب ذلك أن النهوض بهذه التبعة نهوضاً موفقاً ، لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق تعزيز الاتفاق تعزيزاً مطرداً بين جميع الأعضاء من الدول ، كبيرة كانت أو صغيرة .

— ٢ —

إن هذه الحرب قد أثبتت أن الدول الصغيرة فى عهد الحرب الميكانيكية ، عاجزة عن أن تذود عن نفسها اعتداء الدول الكبيرة . فالدول الكبيرة وحدها تملك القدرة الصناعية وسائر الموارد الحربية التى تحتاج إليها الأمم المتحدة لهزم دول المحور المعتدية . وكذلك لا يمكن أن تمنع الحروب فى المستقبل أو تقمع ، إلا إذا استعملت الدول الكبيرة قوتها المادية المتفوقة استعمالا يكون ركناه العدل ووحدة القصد لتحقيق هذا الغرض . ومن أجل هذا كانت المنزلة التى أعدتها مقترحات دمبرتون أوكس لمجلس الأمن . ومن أجل هذا أيضاً كانت المكانة التى خصصت للولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى والصين وفرنسا ، بتعيينها أعضاء

دائمين فى المجلس . وللمجلس علاوة على ذلك ستة أعضاء غير دائمين ، تنتخبهم الجمعية العمومية باتفاق ثلثى الأعضاء مدة سنتين .
والواجب الأعلى على مجلس الأمن هو « أن يتخذ مايلزم من الوسائل لحفظ السلام الدولى وصون الأمن ، وفقاً للأغراض والمبادىء » المبينة فى دستور الهيئة الدولية الجديدة .

وهذه الوسائل هى الركن الثانى فى خطة السلام ، وهى طائفتان : الوسائل اللازمة لمنع الحروب ، والوسائل اللازمة لقمعها .

تقطع جميع الدول ، التى هى أعضاء فى هذه الهيئة ، عهداً بفض النزاع فضاً سلميا بأساليب هى التى تختارها . وقد تفعل ذلك بالمفاوضة ، أو الوساطة ، أو التحكيم ، أو المسالمة ، أو عن طريق القضاء . وكثير من وجوه النزاع المحلى أو الإقليمى ، يمكن أن تفض بتدبيرات إقليمية دون الرجوع إلى مجلس الأمن .

ولكن إذا أخفقت هذه الوسائل ، فالدول ملزمة بأن تلجأ إلى مجلس الأمن الذى له كذلك حق الشروع فى بحث كل نزاع ، ولو لم يطلب منه ذلك ، وأن يقترح الأساليب لتسويته . وللجمعية العمومية الحق كذلك فى أن تبحث كل مسألة لها صلة بحفظ السلام وصون الأمن ، وأن توصى بما تراه ، إلا إذا كان المجلس قد شرع فى معالجة المسألة .

وتنص مقترحات دمبرتون أوكس على إنشاء محكمة دولية للعدل ، يعرض عليها كل نزاع يمكن فضه باللجوء إلى القانون . وسيكون قانون هذه المحكمة — أو دستورها — هو قانون المحكمة الدائمة للعدل الدولى القائمة الآن ، بعد تعديله تعديلا يسيراً ، أو يكون القانون القديم أساساً للقانون الجديد . فهذه المحكمة ستكون الفرع القضائى للهيئة الدولية الجديدة ، ولمجلس الأمن أن يستشيرها فى جميع المسائل القانونية التى تنطوى عليها النزاعات الدولية .

ولن يعمد مجلس الأمن إلى أن يجعل القوة وسيلة لمنع الحرب أو قمعها ، إلا بعد أن تستنفد فى منعها وسائل السلم .

والخطوة الأولى التى يخطوها مجلس الأمن هى أن يدعو جميع الأعضاء فى الهيئة الدولية الجديدة ، للضغط على الدولة المسيئة ضغطاً غير حربى ، مثل « قطع الصلات الدبلوماسية والاقتصادية » و « فصم أواصر المواصلات بالسكك الحديدية والبحر والجو والبريد والبرق والراديو وغيرها ، كل الفصم أو بعضه » .

فإذا لم تجد هذه الوسائل ، فلمجلس الأمن أن يعمد إلى العمل الحربى بوساطة « قوات الجو والبحر والبر » .

وعلى أعضاء الهيئة الدولية الجديدة أن

يقروا فى دستور الهيئة نفسه ، أن مجلس الأمن يعمل « نائباً عنهم » فى بذله جميع هذه المساعى . وعليهم كذلك أن يوافقوا على النهوض بالتزامهم ، وأن يتيحوا لمجلس الأمن « قوات مسلحة » و « وسائل » و «معاونة» حين يدعوهم إلى ذلك ، وفقاً لاتفاقات خاصة سبق عقدها . ولكى يضمن استعمال هذه القوات أفضل استعمال ، يلحق بمجلس الأمن هيئة أركان حرب ، مؤلفة من رؤساء أركان حرب الدول التى هى أعضاء دائمون فى المجلس ، أو من يمثلهم .

فلمجلس الأمن سلطة لم تكن لمجلس عصبة الأمم ، فقد ثبت أن السلطة التى أتيحت للعصبة كانت ضئيلة . ومن الواضح الذى لا ريب فيه أن هذه السلطة لازمة .

ولكن هذه السلطة الواسعة لا تنشىء ما يصفه بعض الكتاب بأنه « دولة متفوقة القوة لا يمكن ضبطها أو محاسبتها » ، بل إن الخطة نفسها على نقيض ذلك ، تشتمل على ضوابط كثيرة ، مثلا :

(١) لا يحق لمجلس الأمن أن يطالب من دولة ما قوة مسلحة إلا فى الحدود التى وافقت عليها تلك الدولة نفسها من قبل . ولكل دولة أن تحدد مقدار ما تتقدمه من القوة المسلحة ، باتفاق خاص أو اتفاقات توقعها حكوماتها ، وتصدق عليها وفقاً لأساليبها الدستورية . أى أن خُطة دمبرتون أوكس تترك كل دولة حرة فى تحديد « الكمّ » و « النوع » فيما تمد به مجلس الأمن من قوة مسلحة ، ومعاونة ، ووسائل حربية أخرى . ولا يستطيع مجلس الأمن أن يفرض عليها شيئاً خارج هذه الحدود . فمجلس الأمن ليس على وجه ما ، السيد المتحكم فى موارد العالم الحربية .

(٢) أن الدول الكبيرة التى ستكون أعضاء دائمين فى مجلس الأمن ليست أكثرية فى ذلك المجلس ، فكل قرار يتخذه المجلس يقتضى موافقة بعض الأعضاء الستة غير الدائمين على الأقل .

(٣) أما فى الجمعية العمومية فللدول الصغيرة ، وهى الكثرة الساحقة من الأعضاء ، أن تقر أى توصية فى مسألة من مسائل السلام ، قبل أن نعرض هذه المسألة على مجلس الأمن لينفذ رأيه فيها . وتجتمع الجمعية العمومية مرة فى السنة على الأقل . ولها أن تعقد أكثر من اجتماع واحد ، وأن تتلقى تقارير مجلس الأمن السنوية والخاصة ، ولها الحق فى أن تبحثها وأن تعرب عن رأيها فيها ، موافقة أو معارضة .

إن الاتفاق بين الدول الكبيرة ركن أصيل للسلام ، ولكن الفرصة التى تتيح للدول الصغيرة ، فى خطة دمبرتون أوكس ،

أن تقف من الدول الكبيرة ومن مسلكها موقف المراقب المحاسب . هى بلا ريب أعظم كثيراً مما يتاح لها فى عالم غير منظم، متروك نهباً لعوادى المعتدين .

— ٣ —

أما الركن الثالث فى خطة السلام، فهو مكمل جوهرى للركن الثانى . إن منع الحروب وقمعها، هو كالظفر فى هذه الحرب، ليس كافياً وحده لإقرار سلام دائم . وإذا كان مقدراً لنا أن نظفر بسلام دائم، فعلينا أن نبنيه بأيدينا . وعلينا أن نبنى صرحه حجراً حجراً بناء مستمراً، سنة بعد سنة، فى نطاق هيئة كالهيئة التى اقترحها مؤتمر دمبرتون أوكس . وعلينا أن نبذل فى بناء السلام مثل الحزم والجهد المتحد اللذين بذلناهما فى شن الحرب .

وفى هذا الميدان ستكون الجمعية العمومية المؤلفة من جميع الدول المنتظمة أعضاء فى الهيئة الدولية للأمم المتحدة، هى المجلس النيابى الأعلى فى العالم، فتمثل أمنية الإنسانية العالمية المشتركة والقصد العالمى المشترك، لتعزيز التعاون الدولى، وبسط ظل القانون فى العلاقات الدولية، ورفع مستوى الحياة المادية والثقافية فى جميع الشعوب .

فعمل الجمعية من حيث هى منبر حر لجميع الأمم المحبة للسلام، وسلطاتها الواسعة فى البحث والتوصية، هى فى حد ذاتها أسلحة قوية من أجل السلام فى عصر يسهل فيه تعبئة الرأى العام على الفور بوساطة الصحافة والراديو .

ولكن الجمعية لها كذلك أداة نافذة فى العمل المستمر فى بناء السلام، وهذه الأداة هى مجلس الاقتصاد والاجتماع الذى ينتظر إنشاؤه وفقاً لمقترحات دمبرتون أوكس .

وقد نُصَّ على هذا السلاح اعترافاً بالحقيقة العظيمة التى تتسم بها الحياة الدولية فى عصرنا اتساماً مطرداً، وهى أن العالم سائر إلى أن يغدو منطقة واحدة تترابط فيها المخترعات الفنية . والأساليب الصناعية، ومشكلات الأسواق وأثرها فى أحوال الاجتماع البشرى . وهذا الترابط يقضى على توازن ربما كان موجوداً بين الدول التى زعموا أنها « راقية »، والدول التى زعموا أنها « متأخرة »، وهى تعنى : إما تناحراً اقتصاديا عالميا يمزق أوصال العالم ويدفعه إلى الحرب، وإما تعاوناً اقتصاديا ينسِّق أجزاء العالم فى سبيل السلام . فالإخفاق فى تبين هذه الحقيقة بعد الحرب الماضية، كان من بواعث نشوب هذه الحرب .

وستنتخب الجمعية العمومية مجلس الاقتصاد والاجتماع من جميع الدول، دون مساعدة مجلس الأمن . وسيؤلف من ممثلى ثمانى عشرة

دولة ، وتجعل مدة العضوية فيه ثلاث سنوات . وليس له أن يفرض رأياً أو قراراً ، بل ينبغي عليه أن يتوسل بأساليب الإقناع ، و « يسهل حل المشكلات الدولية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية » ، « وأن يعزز احترام حقوق الناس وحرياتهم الأصيلة » مسترشداً برأى الجمعية العمومية .

وستنشئ اللجان اللازمة فى جميع ميادين النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، ولن يكون أعضاء هذه اللجان ممثلين سياسيين أو دبلوماسيين ، بل يكونون خبراء فنيين ، وعليهم أن يبذلوا المشورة الفنية لمجلس الاقتصاد والاجتماع ، وللجمعية العمومية . فمنهم تتألف سكرتارية وهيئة بحث فى جميع المشروعات .

وستكون الجمعية العمومية ومجلس الاقتصاد والاجتماع التابع لها ، مركزاً لتنسيق جميع الهيئات الدولية المختصة القائمة الآن ، أو التى تنشأ بعد ، لخدمة أغراض التقدم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

فثمة هيئة العمل الدولية وسجلها الطويل الحافل بالنجاح فى خدمة قضايا العمال المعقولة ، وثمة الهيئة المقترحة — هيئة الدول المتحدة للطعام والزراعة — وما يقع على كاهلها من عبء عظيم فى خدمة منتجى الطعام فى البلاد الزراعية ، ومستهلكى الطعام فى جميع البلاد . وهناك كذلك صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للتعمير والتحسين ، اللذان اقترح إنشاؤهما ، وما ينبغى أن ينهضا به من تبعات معقدة دقيقة ، من أجل ضروب النقد العالمية وأموال الاستثمار العالمية ، ويدور البحث الآن على هيئات دولية جديدة « متخصصة » ، فى الطيران ، « والكتل التجارية » والصحة والتربية ، والمخاطبات السلكية واللاسلكية ، والتجارة الخارجية ، وكثير من المنتجات الزراعية والصناعية .

وجميع هذه الهيئات أشبه ما يكون بالفروع التى تحتاج إلى مركز يربط بينها ، فمشروع دمبرتون أوكس يجعل من حق الجمعية العمومية أن تكون ذلك المركز ، ومجلس الاقتصاد والاجتماع التابع لها ، هو أداتها الأولى فى التنفيذ . فالمشروع ينص على أنه ينبغى أن تربط جميع الهيئات الدولية المتخصصة ، بالهيئة الدولية العامة ، بواسطة اتفاقات تعقد مع مجلس الاقتصاد والاجتماع ، على أن توافق الجمعية العمومية عليها . وينص كذلك على أن يتلقى مجلس الاقتصاد والاجتماع ، تقارير الهيئات الدولية المتخصصة ، وأن يعمد إلى تنسيق خططها ومناحى نشاطها تحت إشراف الجمعية العمومية .

فها نحن نرى ، أول مرة فى التاريخ ، احتمال نشوء هيئة أركان حرب اقتصادية استشارية للعالم كله .

والرجاء الوثيق معقود على أن تلك التوصيات التي توصى بها الجمعية العمومية ومجلسها الاقتصادي الاجتماعي ، الصادرة عن المركز الرئيسي للفكر العالمي في الاقتصاد والاجتماع ، لا تلبث حتى تتضمنها معاهدات واتفاقات تبرمها دول كثيرة ، فتوسع نطاق العمل . وترفع مستوى الحياة في جميع البلاد . وتحقيق هذه الأغراض ، ركن لا غنى عنه في بناء سلام يدوم .

— ٤ —

فلنلق الآن نظرة على الركن الرابع ، في المربع الذي يشيد عليه صرح العلاقات الدولية السلمية ، بحسب مقترحات دمبرتون أوكس .

هذا الركن هو خفض التسلح خفضاً مطرداً ، فالتسلح في هذا العصر أصبح عبئاً فادحاً على موارد جميع الأمم . ولو عمدنا في أمريكا — مثلا — إلى أن نستعمل للإنتاج في سبيل أغراض السلام ، نصف ما وقفناه على إنتاج السلاح لهذه الحرب ، لرفعنا مستوى حياة الأمة الأمريكية رفعاً عظيماً .

وبعد الظفر في هذه الحرب ، سيتوقف ارتقاؤنا الاقتصادي ، وارتقاء غيرنا من الأمم ، توقفاً كبيراً على مقدار ماتفعله الأمم في خفض التسلح . وإحدى المهام التي ينبغي للهيئة الدولية العامة أن تواجهها ، هي « البحث في المبادىء العامة المتسلطة على نزع السلاح وضبطه » . وعلى مجلس الأمن أن يذهب مذهباً أبعد ، فلكي يحقق « أقل تحويل في الموارد الإنسانية والاقتصادية الموقوفة على صنع السلاح » ، ينبغي عليه أن يضع « خطة لإنشاء نظام يضبط صنع السلاح » ، وأن يعرض هذه الخطط على جميع أعضاء الهيئة الدولية الجديدة .

ولا تنطوى المقترحات هذه المرة على أن تعمد الولايات المتحدة ، أو غيرها من الأعضاء في الهيئة الدولية الجديدة ، إلى نزع السلاح لتضرب بذلك مثلا لغيرها ، ولكن المقترح أن تسير جميع أعضاء الهيئة على هذا الطريق جنباً إلى جنب ، أسرع سير مستطاع .

ولا يحتمل أن تسير أمة ما على هذا الطريق مسافة طويلة أو سريعة الخطى ، إلا إذا شعرت أنها تستطيع أن تعتمد كل الاعتماد على الهيئة الدولية لضمان سلامتها

ولن تنبذ أمم الأرض من أسلحتها ومدافعها إلا بمقدار ما تبذله في تمهيد العمل لهذه الهيئة الجديدة ، وما تمضى في تهيئته حتى تظفر بقانون دولى قائم السلطان ، وما تنشىء من وسائل مشتركة فعالة في سبيل حفظ السلام ، وما توثقه من الروابط القوية في التعاون الاقتصادي والاجتماعي من أجل الخير العام .

فالركن الرابع فى هذه الخطة يعتمد على الأركان الثلاثة الأخرى .

— ٥ —

هذه هى الخطة . وإننى لأظن أنها تدخل فى حسابها الحقائق التى لا تتغير ، والآمال التى لا تخمد . وإننى لعلى يقين من أنها لا يعوزها ما وصفه الذين كتبوا وثيقة الاستقلال الأمريكية بقولهم : « الاحترام الكافى لآراء الناس » . فليس فى التاريخ خطة للسلام عرضت لكى تمحصها آراء الناس كما عرضت هذه الخطة .

وقد خرجت هذه المقترحات من مرحلة دمبرتون أوكس فى ٩ أكتوبر من العام الماضى ، ونشرت فى العالم كله . وقد مضت أشهر وهى موضوع تتدارسه الحكومات والصحف ومحطات الإذاعة والأفراد والجماعات فى جميع البلاد . وستعرض فى حينها على مؤتمر تمثل فيه الأمم التى تخوض غمار هذه الحرب لإنشاء عالم تسوده الحرية والسلام ، ثم يعود الممثلون إلى كل بلد للموافقة عليها فى مجلسه التشريعى أو الهيئات الحكومية المختصة .

إننا ننشد رأياً شعبيا رزيناً مدروساً وافياً فى هذه الخطة ، فإذا تمت الموافقة عليها وأبرمت ، فإننا ننشد لها تأييداً صادقاً مجدياً ، لا من الحكومات وحسب ، بل من الشعوب أيضاً . وإذن ، فهى الشعوب — والشعوب وحدها — وعزمها الصادق وفهمها ، وولاؤها المقيم ، هى التى تستطيع أن تجعل هذا العالم عالماً يسوده السلام والأمن والارتقاء .

****

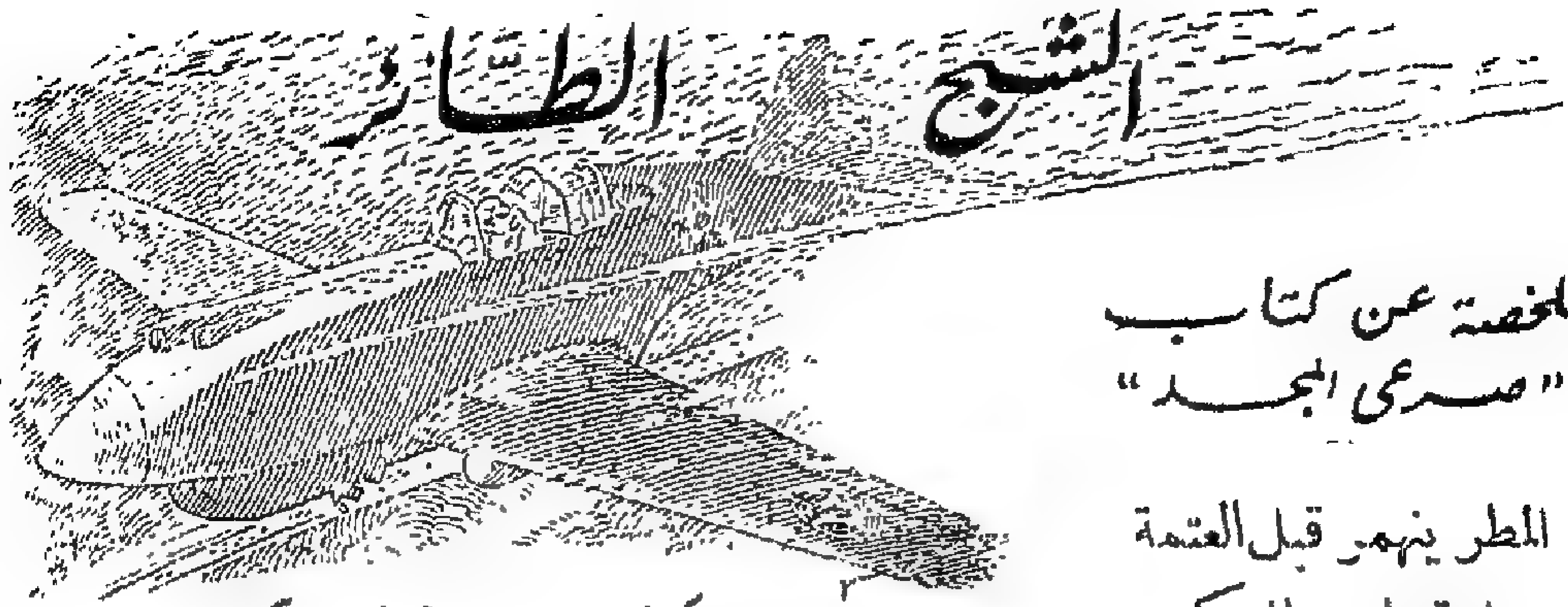
سوء الفهم

كان سيمون بوليفار ، محرر أمريكا الجنوبية ، ينوى أن يبيت ليلة فى مدينة صغيرة فى بيرو ، فأرسل ياوره خطاباً إلى صاحب النزل فى المدينة يطلب فيه « إعداد حجرة مجهزة تجهيزاً خاصا بوسائل الراحة وبالطعام الخ.. الخ..الخ » .

وحين وصل بوليفار إلى البلدة قيد إلى أفضل حجرة فى النزل ، وبعد أن أعرب عن رضاه ، توجهوا بالرجل العظيم إلى الحجرة المجاورة حيث رأى ثلاث غوان جميلات جالسات . فقال : « ومن هؤلاء الفتيات ؟ » .

فقال صاحب النزل : « الخ ، الخ ، لخ » .

[دايجست أمريكا الجنوبية]



الشبح الطائر

ملخصة عن كتاب "صدى المجد"

تأليف الكولونيل روبرت ل. سكوت "الابن" مؤلف كتاب "في الطائرة والمدفعي"

كان المطر ينهمر قبل العتمة بساعة على مطار كينو الضيق الرقعة ، وقد جثمت في مدرجه طائراته الثمان من طراز ب / ٤٠ يجللها ضباب لا يرى فيه سوى مقدمها الذي يحاكي رؤوس سمك القرش المفترس .

وأخذ جوني هامشير ، قائد السرب ، يتطلع من كهف الإدارة يترقب بادرة صفاء في الجو ، فإن سربه التابع لسلاح الطيران الصيني قد قدم من كون منج إلى هذا المطار في شرقي الصين ، وقد أخذ أهبته للمشاركة في القتال من فوره ، ثم يمضي عليهم أسبوع والجو كريه لا يدع لهم ما يفعلون سوى التململ على مضض .

وفي تلك اللحظة جاء الإنذار ، وأخذت التلفونات ترن ، فصاح : « ماذا دهاكم يا كابتن شو ؟ »

رشق الضابط الصيني علماً أحمر على الخريطة وقال : « لا أدري . فإن نقطة ر /١٥ تنبىء بأن طائرة لم تستبن جنسيتها قادمة نحونا ، وهي قريبة جدا من الأرض » .

لم تتوغل الطائرات اليابانية قط مثل هذا التوغل براً ، في مثل هذه الأحوال الجوية . ثم هي طائرة واحدة ، وليس هذا من عادتهم أيضاً ، فقد علموا منذ زمن طويل أنهم إذا فعلوا فلن يرجعوا أبداً .

ومع ذلك فقد تكون هذه إحدى خدعهم ، فقال جوني : « اتصل بكوخ المراقبة وقل لكوستيللو أن يتبعني ويظل قريباً مني ، ولتبق الطائرات الست على الأرض لا تتحرك إلا إذا ناديتها » .

وانطلقت تجري على المدرج طائرتان أثارتا خلفهما رشاشاً يتناثر من الوحل الأحمر ، ثم احتوتهما الغيوم اللاتي كن المثقلة بالماء .

ومن غرفة الراديو أمكنهم أن يسمعوا صوت جوني وهو يستفهم عن موقع الطائرة المجهولة ، وكان من أخبارها حينئذ أنها على بعد ٢٠ ميلا فحسب إلى الشرق .

وقد روى جوني فيما بعد ما حدث فقال : إنه كان قد بعد عن المطار عشرة أميال

تقريباً حين رأى الطائرة تحته بمسافة ٢٠٠ قدم . فهمّ بمهاجمتها ، فهى طائرة لم تعرف حقيقتها ، قادمة من أرض العدو ، فالأوامر تقضى بإسقاطها .

وأطلق جونى وكاستيللو النار عليها لساعتهما واقتربا فى هجومهما من الطائرة بحيث استطاعا أن يبصرا علامتها ، فصرخ كوستيللو فى المذياع : « أرى عليها علامة أمريكية — هى من طراز ب/٤٠ » ، ومع ذلك لم ينقطع توجسهما بأنها خدعة ، فالعلامة وإن تكن أمريكية ، إلا أنها من رسم قديم — رقعة سوداء ، عليها نجمة بيضاء ، وسطها قرص أحمر . وكانت الولايات المتحدة قد أبطلت هذه العلامة منذ سنة ، إذ رأت أن هذا القرص الأحمر قريب الشبه « بالشمس المشرقة » !

وقال جونى إنه أصابها هو وكاستيللو بمئة طلقة على الأقل قبل أن يفطنا إلى أنه من العبث مهاجمتها ، فإن هذه الطائرة كانت — من قبل أن يقع بصرهما عليها — قد أصابها وابل من الرصاص مزقها تمزيقاً ، فمقعدها لم يكد يبقى منه أثر ، وهيكلها من كثرة ما به من الخروق كالغربال . ولما زاد قربه منها رأى الفجوتين اللتين تضمان العجلتين عند سحبهما فارغتين ، وما كان الرصاص ليفعل هذا ، إذن فهذه طائرة لم تكن لها عجلتان البتة .

ثم استطاع جونى وكاستيللو ، وهما يطيران بالقرب من ب/٤٠ ، أن يتبيّنا الطيار من وراء الوقاء الزجاجىّ المهشم ، قد مالت رأسه على صدره ، واستطاعا أيضاً أن يتبينا شعره الطويل الفاحم ووجهه الملطخ بالدماء .

ولم تمض بضع ثوان حتى رأيا هذا الشبح الطائر يصطدم بالأرض وينفجر ، فحرص كلاهما على التثبت من موضع اصطدامه كيلا يضلا عنه .

واصطحبا الطبيب فيما بعد ، وطافا بسيارة نقل حول حقول الأرز حتى وصلا إلى الحطام .

كانت الطائرة ب/٤٠ مثخنة بالجراح ، قد مزقها الرصاص تمزيقاً ، رصاص جاء من تحتها ومن فوقها ، من خلفها ومن قدامها ، مما يدل على أنها هلكت برصاص طائرات معادية ورصاص المدافع المضادة . وتملكتهم الحيرة فلا يدرى أحد منهم كيف بقى الطيار حيًّا يقود طائرته هذه المسافة الطويلة التى قطعها ولا ريب . ولم يترك الطيار لهم شيئاً كثيراً يستدل به عليه ؛ غير أن سترته المصنوعة من الجلد كان بها رسائل بقى منها أجزاء تقرأ ، ومفكرة قد تلف بعضها

كان خلطاؤه يلقبونه تندُّراً « شريل —



إثر الهجوم على قاعـدة بيرل هاربور ، رفض طلب التطوع للقتال المقدم من الطيار روبرت . ل . سكوت وقيل له إنه ، وقد بلغ الرابعة والثلاثين ، قد تجاوز بكثير حـد السن التى تصلح لقيادة طائرات القتال ، وألحق بطائرات النقل العـاملة فى الشرق الأقصى ، وهناك استطاع أن يقنع الجنرال شينو بأن يسمح له بقيادة طائرة مقاتلة . وفى سنة ١٩٤٢ عين الكولونيل سكوت — وقد استفاضت شهرته بأنه « قوة طيران قوامها رجل واحد » — قائداً لأول سرب من طائرات المطاردة الأمريكية فى الصين . وهو يعد بين الطيارين الأمريكيين ، الرجل الذى بلغ الغاية فى إسقاط طائرات العدو . فضلا عما ناله من الأوسمة الكثيرة ، وما فاز به مراراً من ذكر فى البلاغات الحربية . وهو مؤلف كتاب « فى الطائرة — والله معى » ، وقـد وصفته جريدة نيويورك تيمس بأنه « لا يدانيه كتاب آخر فى وصف الحرب عن تجربة وصفاً شائقاً أخاذاً » . ووضع كتاباً آخر أسماه « صرعى المجد » وهو سلسلة من وقائع لم تستفض شهرتها ، جمعها إشادة بذكر زملائه الطيارين الشجعان ، وطائراتهم التى لاقت عناء شديداً .

أبو شعيرة» ، ويرجعون كلفه بشراب الجعة إلى أيامه الأولى فى ولاية كارولينا الجنوبية . وكان أول ذهابه إلى مانيلا سنة ١٩٣٧(*) وألحق بادئ الأمر بسرب المطاردات ، ثم عهد إليه بعمل الضابط المكلف بإنشاء سلسلة من المطارات الإضافية .

وقد برهن « أبو شعيرة » على أنه فى الطيران ابن بجدته ، فما من مكان فى الجزائر إلا وهو قادر على أن يقود طائرته إليه . ويستطيع أن يعرف من لون الماء مهبطه من خلل السحاب أهو فى بحر سولو أم فى بحر فيزيان ؟ وأنشأ المطارات فى طول الجزائر وعرضها ، وكان ملما بأمكنتها ، فلما أتمها كان قد أصبح نائب قائد سرب .

وبعد يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، يوم بيرل هاربور ، تولى أبو شعيرة القيام برحلات استكشاف أو إرهاق للعـدو ، وسلاح الطيران الأمريكى فى ذلك الوقت تتناقص قواه ويتراجع ، وهو يقاتل ، خطوة خطوة إلى تلك المطارات المهيأة للطوارئ التى أنشأها صاحبنا نفسه من قبل وسط الأدغال .

وفى ٥ مايو ١٩٤٢ ألفى نفسه منقطعاً عن بقية العالم، إذ كان يتبع قوة صغيرة اتخذت مقرها فى ميراماج بمندناو . وكانت باتان قد سلمت ، وغاية ما يعلمه هو أن قوة

* أسماء الأشخاص والأماكن فيما يلى أسماء منتحلة حرصاً على سلامة المحاربين .

الطيران الأمريكى كلها فى الجزائر تتألف من أحد عشر عاملا ميكانيكيا هربوا إلى الجزائر الجنوبية فى طرق ملتوية ، وطائرة واحدة قديمة من طراز ب / ٤٠

ورأوا أنهم إذا رمموا هـذه الطائرة الوحيدة بمختلف البقايا التى يظفرون بها من حطام الطائرات التى وقعت بالقرب منهم فإنهم يثبتون فى الحرب زمناً ما . وإنها لطائرة لا بأس بها ، اللهم إلا هذا الالتواء فى مراوح محركها ، وهـذا الاعوجاج فى هيكلها .

ومضى عليهم أسبوعان وهم يذرعون منطقتهم لفحص كافة ما بهـا من حطام ، وأخيراً عثروا، على بعد ٤ أميال من قاعدتهم، على حطام طائرة من طراز ب / ٤٠ وهيكلها جـدير بأن يستنقذ ، وساعدهم ٤٠ من أهالى الجزائر فى حمل الهيكل ، مستعينين بالحبال والأعمدة ، يحركونه شبراً شبرا ، وذراعاً ذراعا ، حتى وصلوا به إلى ميرماج ، وإنه لحمل لا يقل وزنه عن طن كامل . وكانوا كلما ظهرت طائرة معـادية فوق رؤوسهم سارعوا فغطوا حملهم بسعف النخل .

ولما حلّ شهر أغسطس كانوا قد ركبوا الجناح السليم من طائرتهم القديمة فى الهيكل المستنقذ ، ثم أقاموا رافعة على ثلاث قوائم وشدوا إليها المحرك حتى استقر وهبط فى مكانه . وكان خزان الزيت فى أحد الجناحين نزّازاً ، فأبدلوا به غيره ، ونزعوا من الطائرة جهاز الراديو ومالا ضير فى الاستغناء عنه ، ووضعوا فى المكان المخصص للأمتعة خزاناً يسع ٥٠ جالونا ، ووجدوا مقداراً من الزيت فى خزان طائرة من طراز ب / ١٧ محطمـة بالقرب منهم ، وقوموا مراوح المحرك الملتوية بدقها بمطرقة ثقيلة على جذع شجرة خشبها صلب شديد .

وأعضلتهم مشكلة تركيب عجلتين تنسحبان فى فجوتهما إذا ارتفعت الطائرة، فقال أحد الجنود عابثاً : « لو أن السماء أمطرتنا ثلجاً لاستطعنا أن نثبت مكانهما عارضتـين من عوارض الانزلاق على الجليد » فسخروا منه جميعا ، ولـكن أبا شعيرة تذكر فجأة أنه ارتفع مرة بطائرة من طراز ب / ٦ ثم هبط بهـا على عارضتـين من عوارض الانزلاق على الجليـد ، إلا أنه هبط على حشائش ندية .

وكلما ازداد تفكيرهم فى الأمر ازدادت رغبتهم فى تجربة تلك الوسـيلة ، فأخذوا يتدبرون كيف يمكن تثبيت عارضتى الانزلاق يتخذونهما من الخيزران ، وكيف يمكن أن ترفع العارضتان لتستقرا فى فجوة العجلتين . فلم يجدوا بداً من إسقاط العارضتين

إذا ارتفعت الطائرة بهز سلك تربطان به . ومعنى هذا أن الطائرة إذا ارتفعت فلن يتسنى لها أن تعود ، ثم إنه لن يطير بها إلا رجل واحد منهم .

أخرجوا الخرائط ليروا أين تستطيع الطائرة أن تصيب اليابانيين بأفدح الضرر ، فوقع اختيارهم على فورموزا ، فلليابانيين قاعدة بحرية هامة فى تايهكو وهى تبعد عنهم ألف ميل ، ثم وراءها على مسافة ٢٥٠ ميلا على الشاطىء الصينى مطار كينو . فإذا أحسن الطائر تدبير زيته، فلعله يستطيع أن يبلغه أيضاً .

فلما كان يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٣ كانوا قد مهدوا بمداهم مدرجاً على الحشيش للطائرة، طوله ٥٠٠٠ قدماً ، وتمت كل الاستعدادات لقيام الطائرة . وكم كان منظرها عجيباً، فهى طائرة من طراز ب/ ٤٠ تنتعل عارضتى انزلاق ولكنها كانت كاملة الاستعداد ، بها ٤ قنابل زنة ٣٠٠ رطل ، وستة مدافع رشاشة من عيار ٥٠ر٠ سم .

وقال أبو شعيرة : « ماذا ترون لو جعلنا قيامنا فى يوم ذكرى هجوم هؤلاء الأوغاد علينا ، سأطير من هنا فى صبيحة ٨ ديسمبر»

وفى الساعة التاسعة من يوم ٨ ديسمبر دفع الرجال بالطائرة من مكمنها إلى رأس المدرج ، ووجهوها نحو منحدر تل حيث ينتهى الحشيش الممهد عند حافة صخور مرتفعة .

صافح أبو شعيره زملاءه واحداً واحداً، ولما صعد إلى مقعده رأى الدموع تترقرق فى عيونهم ، وكان يعلم أنه يتملى برؤية وجوه لن يراها مرة أخرى ، وارتفع صوته فوق هدير المحرك يقول: إنه سيقذف قنابله حيث يصيب اليابانيين بأوجع الضرر .

ورأى الرجال الطائرة تقطع المدرج وثباً وثباً وهى تحجل كالغراب لا تسعفها قائمتا الخيزران ، ولكنها تزداد سرعة على الوثبات. وما هى إلا طفرة مبعدة ، وعويل من المحرك عال ، وإذا هذه الطائرة العجيبة ترتفع فى الهواء مجتازة مكان الصخور .

ولما وصلت إلى ارتفاع ألف قدم قوم أبو شعيرة طائرته، وأسقط عارضتى الانزلاق، ثم عاد وحلق بها فوق مقرهم، ليتسنى للرجال أن يروا نجاح جهدهم الذى بذلوه شهراً كاملا . ثم اتجه بها نحو فورموزا .

وصل أبو شعيرة إلى الجزيرة اليابانية بعد ٥ ساعات من قيامه ، وقد أيد اليابانيون ذلك فيما بعد . واليابانيون يفخرون بأنه ما من رجل غربى وقعت عيناه على فورموزا فى السنوات الأربعين الماضية ، فها هو ذا رجل يحلق اليوم فوقها ! ولا جرم أن

يكون المطار الذى بدا لعينى أبى شعيرة قد أسال لعابه ، فقد كان مكتظا بصفوف منتظمة من طائرات القتال وقاذفات القنابل ، فضربها صفا بعد صف ، وحطم بطرف جناح طائرته العلم اليابانى المرفوع فوق قيادة المطار ، وأسقط أولى قنابله فوق أبنية الإدارة ، وبدأت طائرات العدو تدخن و تحترق وتنفجر .

ثم أخذت الطائرة ب / ٤٠ تهتز من وقع رصاص المدافع المضادة ، ولم يكن له مايفعله إلا أن يظل طائراً على ارتفاع منخفض حتى لا تستطيع المدافع أن تسدد إليه قذائفها طويلا ، ثم أخذ يضرب كل طائرة يقع بصره عليها بإحكام .

ولحقته الطائرات اليابانية من طراز زيرو ، فأسقط قنبلته الأخيرة على إحدى الحظائر ، وهجم على الطائرات القاتلة يصليها بناره مستبسلا يائساً ليشق طريقه بينها .

ولا يدرى أحد كيف اصطلح قلب هذا الرجل وجسم طائرته المتين ، على أن يفلتا وينفذا من خلال السحاب فى طريقهما إلى الصين ، دون أن يكون لديه من الأجهزة مايعينه على معرفة الطريق . ولقد انطلق كالسهم من تايكو إلى فرنكو وإلى كينو ، كما أبدت ذلك تقارير مراكز المراقبة فى الأراضى الصينية .

وانشق الضباب عن طائرة ، وفى أثرها أخريان ، وانهال الرصاص من المدافع فأصيبت مرة أخرى طائرة ، وجرح طيار ، وكلاهما كان قد أثخنته من قبل الجراح ، وأدار أبو شعيرة وجهه المخضب بالدم يتطلع ، من وراء وقائه الزجاجى المحطم ، إلى الطائرات الأمريكية التى تشبه سمك القرش المفترس . . . هم زملاؤه يهاجمونه عن قرب ، وفى صف واحد . . . نعم هكذا الحياة . . فليكن ، لقد عاد إلى وطنه ، وقد أنجز مهمته وأدى واجبه .



مثل المذاهب الاجتماعية

الشيوعية : إذا كنت تملك بقرتين ، فعليك أن تعطيهما للحكومة فتعطيك بعض اللبن الحليب .

النازية : إذا كنت تملك بقرتين ، فإن الحكومة ترميك بالنار وتحتفظ بهما .

الرأسمالية : إذا كنت تملك بقرتين ، فإنك تبيع إحداهما وتشترى ثوراً .

وعد باهر للمدنيين ، يهيئه نجاح القوات المسلحة الرائع ، عن ...

الأمراض التي تنتقل عدواها بالهواء

لقد كبح جماحها

لويس مانوكس ميلر

ملخصة عن مجلة " هايجيا "

أطباء جيش الولايات المتحدة وبحريتها نصراً ساحقاً على أمراض جهاز التنفس التي تنشأ عن جراثيم تنتقل عدواها بالهواء ، كالزكام الشديد والتهاب اللوزتين والحصبة والحمى القرمزية والالتهاب السحائي والالتهاب الرئوي — وأهم من ذلك كله الحمى الروماتزمية . ففي ثكنات الجنود وفي السفن ، يختلط الناس في معيشتهم بحيث تنتشر بينهم هذه الأمراض انتشار النار في الهشيم . وقد كانت جميعها شائعة في قوات الولايات المتحدة المسلحة في سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٣

وقد هبط انتشارها الآن إلى حده الأدنى ، وكانت النتائج باهرة حتى حين تعرضها بلغة الأبحاث الرزينة التي تليت رسائلها في اجتماعات عقدت قريباً للجمعيات العلمية . ولم يتسع الوقت ولا تهيأت الفرص لتطبيق الطريقة الجديدة على المدنيين ، ولكن من الواضح أن الصحة العامة ستصيب منها نفعاً جزيلا .

في سنة ١٩٤٢ ، وفي معسكر واحد من معسكرات بحرية الولايات المتحدة يضم ٤٣٫٠٠٠ رجل ، حدثت ٤٩٧٣ إصابة بالحمى القرمزية و ١٣٧٥ بالحمى الروماتزمية و ١٢٨٣ بالالتهاب الرئوي و ٥٠٫٠٠٠ بالتهاب اللوزتين . وكذلك ضاع على الخدمة العاملة مجهود أكثر من ٥٥٠٫٠٠٠ يوم من أيام عمل الجنود . وفي سنة ١٩٤٣ أضاع ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنود وقتاً في المستشفيات ، من جراء التهاب الحلق والزكام والتهاب الكهوف العظمية في الرأس والأنفلونزا والالتهابات الرئوية ، وما شابه ذلك من الأمراض . وحيثما انتشرت هذه العلل في مجارى التنفس لاحظ الأطباء ارتفاعاً مشهوداً في إصابات الحمى الروماتزمية التي تورث عاهات القلب .

ولقد عرفت الحمى الروماتزمية منذ قديم بأنها قضية خطيرة من قضايا الصحة العامة ، وهي علة شائعة في الطفولة ، وكثيراً ما تصيب المراهقين . وهي تخيِّلُ المريض في بدئها فتبدو كأنها زكام شديد ، ثم تنقلب حمى وألماً وورماً في المفاصل ، وتعدو في النهاية على صمامات القلب ، وكثيراً ما تكون منيّة قاضية .

ولكي يمكن استئصال تلك العلل التي

تفتك بالشباب صدرت الأوامر للأطباء العسكريين أن يعلنوا حرباً لا هوادة فيها على الأمراض التي تنتقل عدواها بالهواء . وكانت المشكلة مغلقة ، فجرثومة الحمى الروماتزمية مثلا وأسباب علاجها ما زالت كلها مجاهيل . ولكن أطباء الولايات المتحدة في الجيش والطيران ، تحت رياسة الكولونيل و . بول هولبروك ، وجدوا أن أكثر من نصف أمراض مسالك الهواء التي تصيب رجال القواعد العسكرية والجوية تقترن كلها بوجود الميكروب السبحي الذي يحدث التهاب الحلق المألوف . ووجد الكولونيل هولبروك أيضاً أن الحمى الروماتزمية كانت تبلغ مبلغ الوباء دائماً عقب أوبئة العدوى بالميكروبات السبحية . وبدا خط من خطوط الهجوم واضحاً هو : أن نقضي على هذه الميكروبات .

ولجأ الأطباء إلى السلاح الوحيد الناجع في علاجها وهو واحد من أحدث مشتقات السلفا — السلفاديازين ، ولكنهم انتضوا هذا السلاح متهيبين . فأغلب المرضى يتعاطون عقاقير السلفا فلا يصيبهم أذى ، أو يصيبهم أذى ضئيل ، إذا تولى ذلك لهم طبيب مجرب ، ولكن بعضهم يدركه منها أذى شديد ، كطفح الجلد والصداع واختلاط العقل والهذيان .

ومع ذلك فإن الكولونل هولبروك في قوات الجيش والطيران والكوماندور ألفين ف . كوبرن في بحرية الولايات المتحدة وآخرين ، قد أدركوا أن جرع السلفا الضئيلة مأمونة العواقب ما دام المريض خاضعاً للمراقبة الدقيقة ، وما دام دمه يختبر بين الحين والحين ، ولما كانت نظم الجيش والبحرية تستطيع أن تكفل هذه المراقبة الدقيقة ، فقد قرر الأطباء أن يمضوا في هذا السبيل قدماً .

وفي شتاء عام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ دهش البحارة والجنود في عشرات من المؤسسات الحربية ، إذ وجدوا أنفسهم يُصفون صفوفاً كل يوم ، ثم يؤمرون بتعاطي نصيبهم من حبوب السلفا تحت أبصار الضباط التي لا تغفل . وترك عمداً في كل معسكر فئة لم تعط الحبوب ، حتى يقدر الأطباء ، من مقارنتهم بزملائهم ، مبلغ تأثير عقاقير السلفا على وجه الدقة .

وكانت النتائج : أن اختفى الالتهاب السحائي أو كاد ، وانخفضت إصابات العدوى بالميكروبات السبحية بما فيها التهاب اللوزتين الحاد ما بين ٧٥ و ٩٠ في المئة ، وهبطت أمراض مسالك الهواء الأخرى بما فيها الالتهاب الرئوي الفصي والزكام أكثر من ٥٠ في المئة .

وفى إحـدى القواعد الجوية الكبيرة حيث انتشر وباء شديد من أوبئة الالتهاب السحائى الناشئ من عدوى الميكروب الكروى السحائى ، أمكن وقف الوباء بإعطاء جميع الجنود فى القاعدة جرعات من السلفاديازين . وفى نفس الوقت كانت القاعدة ذاتها مسرحاً لوباء آخر من أوبئة الحمى القرمزية ، فانقرض الوباء بعد تعاطى العقار .

ولاقت تجارب البحرية نجاحاً مماثلا ، ففى مؤسسة كبيرة على مقربة من شيكاغو حيث كانت عدوى الميكروبات السبحية تجرى فى أرسالها ، انخفضت إصابات الحمى القرمزية فى الأشخاص الذين يتناولون السلفا من ١٧١ إلى الصفر فى بحر ثلاثة أسابيع ، وهبطت إصابات الحمى الروماتزمية من ٨٧ إلى ست إصابات فى أربعة أسابيع ، وقلت أمراض مجارى التنفس العامة بمقدار ٨٠ فى المئة ، على حين كان معدل إصابات الحمى القرمزية والحمى الروماتزمية بين أولئك الذين لم يتخذوا هذه الوقاية يجرى مجراه المعتاد .

وفى الجيش والبحرية ، كان عدد من أصابتهم السلفا بأذى كريه يبلغ كسراً من واحد فى المئة .

ولم تذع إلى الآن التقارير النهائية لحملة قوات الجيش والطيران على الحمى الروماتزمية ، ولكن المقدر أن معدل إصاباتها قد هبط نحو ٧٥ فى المئة ، ويقول الكولونل هولبروك : « إن من العسير أن يكتم المرء حماسته تلقاء مثل هذه النتائج » .

على أن عقاقير السلفا لم تكن هى الأسلحة الوحيدة التى شنّ بها الأطباء العسكريون هذه الحرب المظفرة على الميكروبات التى تنتقل عدواها بالهواء ، فقد صنع علماء جامعتى شيكاغو ونورث وسترن ، تحت إشراف مصلحة البحث والتقدم العلمى ، رشاشاً من الجليكول عسى أن يكون خير شرك اخترعه البشر لصيد الميكروبات ، هذا على أنه خلو من الأذى والرائحة . فإذا رشت به الأرض والجدران والأسرة والمنسوجات بعناية ، كادت كلها تشابه ورق الذباب اللزج فى صيدها للميكروبات التى يحملها الهواء ، فيقل عددها فى الهواء أكثر من ٩٧ فى المئة . وفى التجارب العلمية التى أجريت فى ثكنات الجيش كاد رشاش الجليكول يبيد الميكروبات السبحية المذيبة للدم من الهواء ، ووقف انتشار الأمراض المعدية التى تصيب مسالك الهواء .

وسرعان ما يفجؤنا هذا السؤال : إذا كانت عقاقير السلفا قد وفقت كل هذا التوفيق فى توقى أمراض مجارى التنفس فى

القوات المسلحة فلم لا يُيسّر استعمالها لجمهور المدنيين ؟ والجواب على هذا السؤال يجب أن يؤجل حتى يوجد بديل صالح يحل محل النظام الحربى بين المدنيين . فإن عقاقير السلفا من شدة الخطر بحيث لا ينبغى أن تستعمل لمجرد الرغبة فى استعمالها كالأسبرين، بل يجب أن تعطى بجرع يعتنى بتقديرها، تحت إشراف طبى دقيق ، مع فحص الدم بين حين وحين لمعرفة فعل الدواء .

ولكن لا ريب فى أن بعض العبر المستخرجة من ذلك البرنامج الموثق الذى وضعته قوات الخدمة العاملة للسيطرة على هذه الأمراض ، سيكون فى متناول الجمهور قبل مضى وقت طويل .



للنفس أسرار

— ١ —

روى « لويس كان » رئيس معهد « كان » للمهندسين ، أن العمال شكوا من حالة الجو فى أحد مصانع الطائرات على الرغم من أن الأجهزة العلمية الدقيقة دلت على أن درجات الحرارة والرطوبة فيه هى أنسب ما يكون لحالة العمال والعمل . فأخذ رجال معهد « كان » أشرطة من القماش وربطوها بالمشابك أمام الأنابيب التى يندفع منها الهواء ، وجاء العمال فى الصباح التالى فرأوا الأشرطة تخفق فى تيار الهواء ، ففرضوا أن تعديلا قد تم فى أجهزة تكييف الهواء . فلم تنقطع الشكوى وحسب ، بل صار كل منهم يزعم أنه فى المصنع أحسن حالا منه فى بيته . [ج . هال رسلر]

— ٢ —

كانت المهمة التى عهد بها إلى فتاة ، أن تقرع أجراس البيوت ، وتلقى على ربتها أسئلة يقتضيها استطلاع علمى فى موضوع « الاستهلاك » . ولكنها كانت تجد من ربات البيوت ممانعة فى الإجابة ، فاهتدت إلى وسيلة تمكنها من التغلب على هذه المقاومة . فكانت إذا همت بالخروج بعد خيبتها ، تشد خيطاً فتتهاوى إلى الأرض حبات عقد من اللؤلؤ المصنوع الرخيص . وليس فى وسع امرأة أن تنظر إلى حبات اللؤلؤ تتساقط على الأرض وتقف غير حافلة بها ، فإذا انحنت المرأتان لالتقاط الحبات زال الحاجز بينهما واستفاض الحديث ، فتظفر الفتاة بالأجوبة التى تريدها .

[صحيفة نيويورك هرالد تريبون]

[الحكومة الولايات المتحدة ووزارة الحربية ووزارة الاقتصاد الخارجي ، خطط محددة عن الطريقة التي تعامل بها ألمانيا بعد هزيمتها ، وإليك بيانها]

خطة أمريكا في معاملة ألمانيا

جورج كريل • ملخصة عن مجلة "كوليرز"

ليس من رأي الولايات المتحدة، ولا هو بنيتها، أن تزيل من الخريطة ألمانيا المنهزمة، وأن تفرق الألمان في الأرض أيدي سبأ ، بل الأمر على نقيض ذلك ، فهناك أمل وطيد في إمكان شفاء شعب مريض، أشرفت به على التلف قرون متعاقبة من التربية السيئة ، ورده إلى مكانه في جماعة الأمم . ولكن مهما يكن من الأمر، فإن أمريكا تصر على أخذ ألمانيا بنظام صارم حتى يظهر الدليل على أنها شفيت من علتها . وكل خطة غير هذه إن هي إلا استثارة حرب عالمية ثالثة.

وقد بث الرأي في مدى هذا النظام الصارم وصورته ، وقد ظفرت وزارتا الخارجية والحربية، تعضدهما إدارة الاقتصاد الخارجي ، باتفاق صريح بعد أشهر من الدرس والبحث ، ولا تزال الأساليب مطروحة على بساط البحث، ولكن المسائل الجوهرية قد تحددت .

وأول ذلك أن ألمانيا المقهورة يجب أن تظل مجردة من السلاح ومن المنشآت الحربية . وهذا الشعب الذي يعد نفسه سيد الشعوب ينبغي أن ينزل منزلة من العجز الحربي ، بحيث لا يستطيع أشد أفراده تعصباً أن يتطلع إلى التفكير في مغامرة أخرى للسيطرة على العالم .

والمطلب الثاني هو اعتقال مجرمي الحرب جميعهم ومحاكمتهم ، سواء من كان منهم في أسمى مكانة ومن كان في أدنى منزلة . وقد حذر كوردل هل ، حينما كان وزير خارجية الولايات المتحدة ، الأمم المحايدة أن تتخذ حق الأمم التاريخي في حماية اللاجئين السياسيين ، وسيلة لحماية رجال متهمين بارتكاب أفظع الكبائر .

والأمر الثالث : أن يرغم الألمان على أن يشاركوا في إعادة تعمير عالم دمره عدوانهم، وكما كدوا وضحوا في الاستعداد للحرب، واستبدلوا المدافع بالزبد راضين ، فيجب أن يكدوا ويضحوا لإصلاح الخراب الذي جرته وحشية الحرب .

وسنوجز ذكر الأسباب التي أدت إلى الاتفاق على هذه المطالب الثلاثة الأساسية كما أوضحها لنا كبار الموظفين الرسميين .

من ناحية الاحتلال العسكرى والحكم الحربى، ماهو التصرف السليم المعقول؟ فهل نترك الألمان يعملون على الخلاص؟ ولكن بأى وسيلة؟ فليس هناك مجلس الريخستاج، ولا حزب معارضة، ولا حركة عمال، ولا جماعة من المفكرين لهم ماض فى المعارضة، حتى ولا جماعة تعمل فى الخفاء. وقد تغلغل الفساد إلى صميم الإدارة المدنية والقضاء وسائر الأعمال. وسيوضع سلوك الرجال الذين يخرجون من السجون والمعتقلات موضع البحث، لأن هتلر قد تحرى قتل جميع الذين توسم فيهم أى أثر للقيادة الوطنية.

فهل نستطيع أن نضع ثقتنا فى اللاجئين الذين فروا من بلادهم؟ إن دراسة وزارة الخارجية لهذه الجماعات، سواء فى الولايات المتحدة أو فى إنجلترا، تظهر أنهم على الرغم من كراهتهم جميعهم للنازية، لاتزال أغلبيتهم الساحقة جرمانية النزعة فى صميمها، فهم ناقمون على «الفوهرر»، ولكنهم فى الوقت نفسه يجمعون على معارضة فكرة اتخاذ إجراءات تأديبية من أى نوع، زاعمين أن الأمم المتحدة يجب أن تتخذ سياسة الإشفاق والرحمة.

ولقد كان رد كوردل هل المهذب الرقيق، على الذين قالوا بتكوين حكومة جديدة للريخ من اللجنة الاستشارية للألمان الديمقراطيين المنفيين: «إن هذا الاقتراح خيال كله»، وترى وزارة الخارجية أنه من الغباء المفضى إلى الإجرام أن نضمن أو نعترف بأية حكومة ألمانية، قبل أن توجد مادة البناء السليم وتفحص، وسيسمح للادارات البلدية بمباشرة أعمالها بعد التطهير التام.

وأى شىء غير الاحتلال العسكرى يستطيع أن يشفى الألمان من جنون العظمة؟ والقيادة العليا الأمريكية تنبذ الفكرة التى تزعم أن الألمان يمكن ردهم إلى الصواب، بأن تغير كتب الدراسة وحسب. وهيئة أركان الحرب العامة مجمعة على أن الطريقة الوحيدة لإعادة التربية التى يؤمل أن يكون لها أثر فى إعادة تهذيبهم هى مواجهة الألمان بمجموعة من الحقائق القاسية التى لا تلين، مثل حقيقة هزيمتهم، وحقيقة أنهم ليسوا شعباً له السيادة، وحقيقة أن ادعاءهم أنهم لايغلبون هو ادعاء باطل. ومادامت القوة هى الشىء الوحيد الذى يبدو أنهم لا يفهمون سواه، فلنظهر لهم القوة. وعندما أعلن أيزنهاور أن الجيوش الأمريكية قد دخلت ألمانيا دخول الغزاة، كان استعمال هذه اللفظة خطة مقصودة من القيادة العليا.

وقد أعطت معاهدة فرساى ألمانيا حق الاحتفاظ بجيش قوامه مئة ألف، وحق الإبقاء على عدد من السفن، وأن تستمر

بها صناعة الطيران . وقبل أن يجف مداد المدنة كان مليون من الشبان يدربون سراً ، وبدىء فى تشييد أسطول ، وكانت مصانع الآلات الحربية تعمل سراً ، والمعامل تقذف بالعدد العديد من الطائرات التجارية التى يسهل تحويلها إلى أغراض الحرب .

وقد كان ستمسون وزير الحرب والجنرال مارشال من رجال الجيش الذين شاهدوا ذلك بعيونهم ، وقد علمتهما التجارب المريرة أن الأمل الوحيد فى السلام الدائم هو تجريد ألمانيا من السلاح ومن المنشآت الحربيــة ، ولا يجب مصادرة السفن الحربية والدبابات والطائرات والمدافع وأكداس الأسلحة فحسب ، بل يجب أيضاً مصادرة المسدسات وبنادق الرش ، وتجريد مصانع الأسلحة وإتلاف آلاتها أو إرسالها إلى أماكن بعيــدة ، ومنع الطيران التجارى ، وحتى صناعة الطائرات الخاصة ، وجعل طائرات أجنبية تقوم بما تحتاج إليه ألمانيا من النقل الجوى ، وتسريح الجيش الألمانى ، وتشتيت شمل هيئة أركان الحرب العامة ، واتخـاذ الاحتياطات التى تكفل عــدم العودة إلى إنشاء قوة جـديدة متسترة باسم جماعات المصارعة أو الغناء ، ويمنع ارتداء الملابس العسكرية وتشكيلات التدريب ، والاحتفالات القوميــة التى تقام تكريماً للانتصارات الألمانية أو ميلاد أبطال ألمانيا الحربيين .

وهناك داع آخر يدعو إلى الاحتـلال العسكرى ، فحتى بعد التسليم سيكون هناك جيوب للمقاومة ، لأن جنود جيش العاصفة وجلادى الجستابو ، وقد وثقوا أن مصيرهم إلى الإعدام ، سيضطرون إلى الجهاد حتى النهاية . وفضلا عن ذلك فإن لدى قلم مخابرات الجيش السرية ما يثبت أن عصبة « فيم » الإرهابية قد أعيد تنظيمها لقتـل جميع الألمان الذين يعاونون الحلفاء .

وهيئة القيادة العليـا الأمريكية لا ترى أساساً للخوف من أن يكون احتلال ألمانيا احتلالا عسكريا قضاء على الجيـوش الأمريكية بالخدمة فى الخارج زمناً غـير محدد . وقوة مكونة من خمسمئة ألف تعدّ كافية ، وهــذه القوة ستجمع من الأمم المتحالفة كلها ، وسيكون الذى يطلب من كل أمة قليـلا نسبياً ، ويمكن أن يكونوا من الجنود المحترفين . وترى هيئة أركان الحرب أن منظر الجيوش من البلاد المحتلة فى ملابسها الحربيــة سيكون علاجا شافياً لشعب السادة فضلا عما له من منافع أخرى .

ولا تميل وزارة الخارجية ولا الجيش إلى اقتراح تقسيم ألمانيا المنهزمة إلى ثلاث مناطق حربية ، تدير روسيا الثلث الشرقى ، وتشرف إنجلترا على الثلث الشمالى الغربى .

والولايات المتحدة على الثلث الجنوبى الغربى.
ولقد كانت هناك بعد الحرب السالفة هذه السلطة الموزعة، وأسفر هذا النظام عن مشاحنات وتراخ وإهمال.

ولقد كان ما رمت إليه الولايات المتحدة هذه المرة هو « الإدارة المتحدة » التى تمنح سلطة إنشاء نظم وقواعد شاملة. ومهما يكن من الأمر، فإن روسيا قد عارضت هذه الخطة، وأصرت على أن يكون لكل قوة من القوات اليد المطلقة فى المنطقة الخاصة بها، ولما كان النواب الأمريكيون يرون أن النصر لم يأت بعد، فلذلك لم يجترئوا على توسيع شقة الخلاف. والجيش ووزارة الخارجية كلاهما مصر على أن تكون هناك سلطة عسكرية موحدة، وهناك أمل فى أن يعدل الروسيون عن موقفهم.

وشدة الاستمساك بمعاقبة مجرمى الحرب أساسها الاقتناع العميق بأن العدالة السريعة الصارمة وحدها هى الكفيلة بمنع فظاعة قيام الجماهير للثأر والانتقام. وتقترح الولايات المتحدة محاكمات عسكرية، لقلة جدوى الإجراءات المدنية.

ومن المحتمل أن تثير هذه المسألة خلافاً حاداً فى الرأى، لأن الروسيين لا يريدون محكمة عليا تدلهم على ما يأتون وما يذرون. وفى رأيهم أن العقوبة هى وحدها أخص ما يعنى البلاد التى عانت وحشية الألمان. وفضلا عن ذلك فإن الولايات المتحدة تفكر فى معاقبة رجال السياسة ورجال الجيش، أما حكومة السوفيت فإنها تهمها الجماعات الاقتصادية أيضاً، وترى أن كبار رجال الأعمال وسادة المال هم فى الجريمة مثل هؤلاء الذين تقطر أياديهم دماً.

أما من ناحية مطالبة ألمانيا بأعمال الإصلاح فالاتفاق تام، وفى وزارة الخارجية أرقام تقدم البرهان الواضح على أن ألمانيا لم تخسر شيئاً بموجب ما سمى شروط معاهدة فرساى القطيعة السالبة للأموال، بل ربحت ربحاً سخياً، ففى سنة ١٩٣١ عندما رفضت حكومة الريخ كل الالتزامات الخارجية، كانت قد دفعت أربعة بلايين دولار وأخذت ستة بلايين ونصف. حقاً هذه هى « ألمانيا الفقيرة » !

وهذا الوضع ليس معناه إقرار « خطة مورجنتاو » للقضاء على الصناعات الألمانية، وإيصاد أبواب المناجم الألمانية، وإرغام ألمانيا على أن تتحول إلى دولة زراعية خالصة، وقد بينت وزارة الخارجية ووزارة الحربية وإدارة الاقتصاد الخارجى، أن ذلك ليس إلا قضاء على ألمانيا، لأن أرضها الهزيلة المرملة لا تفى بحاجات نصف سكانها، وإذا انسحب

٧٠ مليوناً من الألمان لجأة من أسواق الصادر والوارد ، فماذا يكون تأثير ذلك على حالة أوروبا الاقتصادية المتشابكة .

إن البلاد المحتلة ، وقد نهبت واستبيحت تنتظر الإنشاء والتعمير؛ والملايين من العراة وذوى المسغبة فى أمس الحاجة إلى المطعم والملبس والمسكن، والعدالة تستلزم أن يحتمل الألمان هذه النفقات الباهظة، فإذا تحول الألمان إلى أمة من صغار المزارعين، فكيف يستطيعون أن يدفعوا تلك النفقات نقداً أو عيناً ؟

ويؤيد الأمريكيون أن تنطلق المصانع الألمانية إلى غايتها فى إنتاج السلع للبلاد التى تركها الألمان قاعاً صفصفاً ؛ وليس يخطر ببال أحد أن تحتفظ ألمانيا بتفوقها الصناعى المسيطر على اقتصاد جيرانها وأسباب حياتهم . وستعان فرنسا وبلجيكا وهولندة على النهوض السريع من كبوتها . وسيبذل كل جهد لإنشاء صناعات فى الجهات المختلفة، بجنوب أوروبا وجنوبها الشرقى ، بإنشاء مشروعات توليد الطاقة والصناعات المحلية .

وفى الوقت نفسه ، تُرى أى شىء أقرب إلى المعقول من أن تنشأ صلة وثيقة بين الصناعة الألمانية والزراعة فى أوربا ؟ وأى شىء أعدل من أن نجعل الألمان يعملون فى استصلاح ما أفسدوه كما عملوا فى مصانع التسليح والذخائر ؟

وسيستغيث الألمان ويجأرون بالشكوى بطبيعة الحال ، كما ينتظر أن يسمع استصراخ من ناحية هؤلاء المشفقين الذين يتعلقون بأسطورة « الألمان الطيبين » ، ولن يحفل بشىء من ذلك . لأن سجلات وزارة الخارجية وإدارة الاقتصاد الخارجى تثبت إثباتاً قاطعاً أنهم لن يكلفوا بما لا تقوى عليه طاقتهم ، وقد أنفقت ألمانيا بين سنة ١٩٣٣ و سنة ١٩٣٩ — بحسب ما جاء فى هذه السجلات — ما بين أربعة وخمسة بلايين من الريالات فى كل سنة استعداداً للحرب . ولما جاءت الحرب ارتفعت نفقات الحرب السنوية إلى ٢٠ بليوناً — كل ذلك دون اضطرار إلى تخفيض مستوى المعيشة تخفيضاً ضاراً ، وهذا باعترافهم مما يستطيعون عمله فى سبيل التعويض ، وينبغى أن يفرض عليهم عمله .

ولا تشك حكومة وشنطن فى أن ألمانيا ستحاول كل ضرب من ضروب الغش والتحايل ، ولكنها تعتمد على الإشراف الدقيق على الصناعة الألمانية لمنع الغش . فمثلا ترى إدارة الاقتصاد الخارجى أن حاجة ألمانيا إلى المواد الخام مما يسهل على الحلفاء مراقبة عدم عودتها إلى التسلح، حين تشتغل ألمانيا بالإنتاج من أجل البلاد المخربة ، فإن ٦٠ فى المئة من الزيت — بخلاف الزيت الصناعى

— ترد من الخارج ، وكذلك ٨٠ فى المئة من الحديد الخام . وتعتمد دولة الريخ أيضاً على واردات من الألومينيوم والنحاس وغير ذلك من المواد اللازمة لصناعة المعدات الحربية .

فنظام الرقابة الحازمة يستطيع أن يقدر ما تحتاج إليه ألمانيا من الإنتاج فى زمن السلم، مضافاً إليه السلع اللازمة للبلاد الحربية، ويمنع بعد ذلك توريد أية زيادة . وإذا لم تكن مراقبة الزيت الصناعى وصناعة المطاط ذات أثر ، فيمكن إقفال تلك المصانع . والسيطرة على قوة ألمانيا الكهربائية ونقلها من الخارج إذا اقتضى الأمر مما يجعل فى مقدورنا تنظيم نبض قلب الصناعة الألمانية، كما أن إشراف الحلفاء على إدارة السكك الحديدية ، وسيلة أخرى لإحكام المراقبة .

وواضعو الخطط لما بعد الحرب من الأمريكيين ، يصرون على ضرورة مراقبة أحوال ألمانيا المالية مراقبة دقيقة . وقد تسلمت ألمانيا فيما بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٣٠ مبلغاً أكثر من خمسة بلايين ريال على أنها ديون دولية وديون خاصة ، وذلك بحسب الأرقام الموجودة فى وزارة الخارجية . وقد أنفق هذا المبلغ الضخم جميعه فى الاستعداد للحرب ، وهذا لن يتكرر .

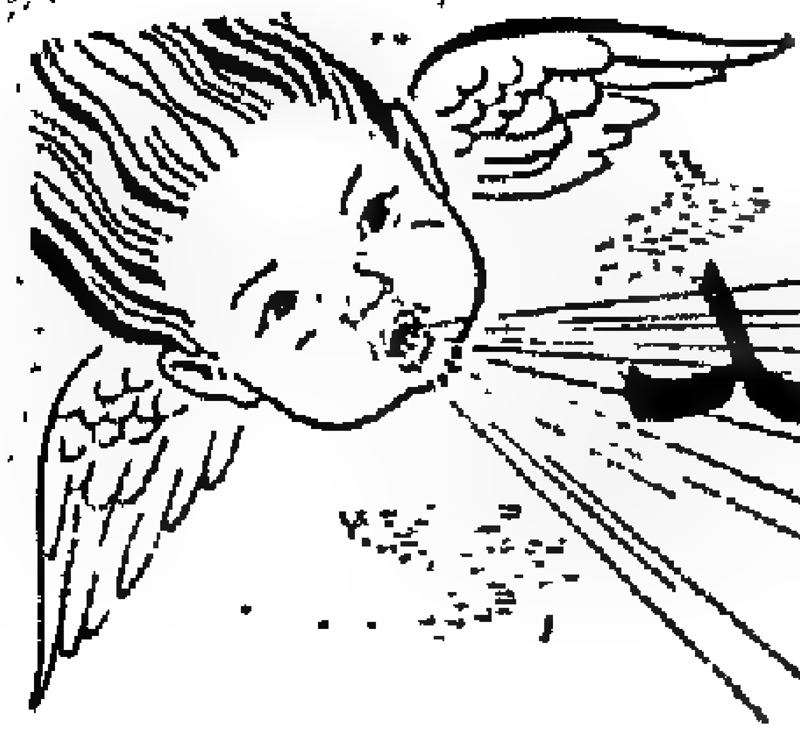
وإذا كانت الكلمة للولايات المتحدة ، فإن جميع ما تقترضه ألمانيا — إذا سمح بذلك وحينما يسمح به — سيوضع تحت المجهر الفاحص قبل التصريح به ، ويتخذ كل احتياط لمنع استعماله استعمالا ضاراً .

وموجز القول أن هذه هى نيات الولايات المتحدة فى معاملة دولة الريخ المنهارة وأهلها المهزومين : (١) الاحتلال العسكرى لتثبيت حقيقة الهزيمة ، وتنفيذ نزع السلاح الدائم حتى يثبت الألمان أنهم أهل لحكم أنفسهم (٢) أن تتولى المحاكم العسكرية محاكمة مجرمى الحرب (٣) أن يبذل الألمان الجهد ويحتملوا التضحية ، حتى يتم تعمير الخرائب والأطلال التى أحدثها هياجهم ، وأن يتولى الحلفاء الإشراف على الصناعة الألمانية والمالية الألمانية خلال ذلك .

ولا نزاع فى أن الولايات المتحدة ليست الحكم الوحيد فى مصير ألمانيا ، ولكن مهما يكن من الأمر ، فإن كبار الرجال الرسميين يشعرون بأن حجج الأمريكيين مقنعة ، فإن النقط الثلاث الأساسية ، مع ما فيها من مراعاة العدالة ، لا تشوبها صبغة الكراهة وحب الانتقام، وهى تترك لألمانيا مجالا واسعاً كي تعمل على الخلاص ، إذا كان الخلاص هو ما يريده الألمان .

****

تكييف الهواء يصل إلى ميادين القتال



الجوّ كما تُريد

هارلند مانشستر

يظن كثير من الناس أن تكييف الهواء لا يتخذ إلا لتبريد دور السينما ، والواقع أنك لا تكاد تجد عملا خطير الشأن فى إنتاج الأسلحة الحيوية والمتفجرات والأدوات الصناعية والعقاقير والأطعمة ، كل هذا ما كان ليتم على أحسن وجه وأسرعه وأقله نفقة ، لولا اعتماد المصانع على أجهزة تكييف الهواء .

ولولا التكييف لتعذر صنع كثير من معدات المخاطبات الحديثة المدهشة ، أو استعمالها فى ميادين القتال . فالأنابيب الكهيربية (الأليكترونية) كمصابيح الضوء الكهربائى ، هى أتاتين تولد حرارة عالية ، وكل حجرة يجتمع فيها عدد وافر من هذه الأنابيب ، حيث تمتحن أو تستعمل ، تغدو كالحمّام التركى إذا لم تبرد تبريداً آلياً .

أما قبل تكييف الهواء ، فقد بلغ ما نبذه أحد المصانع من الأنابيب لعيب فيها ، ٨٠ فى المئة مما صنع .

وفى المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادى ، كثيراً ما تبلغ حرارة السقف فى سيارات الراديو الحربية ٧١ درجة مئوية ، من جراء حرارة الشمس ؛ أما الأشعة المنبعثة فى داخلها من الأنابيب ، فتكفى لتدفئة منزل ، فلو لم يكيف هواء هذه السيارات لتعذر بقاء أحد فى جوفها .

إن معدّات المخاطبات الجديدة فى السفن الحربية ، تستعمل فى حجرة محكمة الإقفال سميكة الجدران ، حتى لا يؤثر فيها انطلاق المدافع أو غيره من أسباب الارتجاج ، فتبريد هذه الحجرات يجعل العمل فيها محتملا . وتكييف الهواء يمكن رجال المدافع من المضى فى عملهم على أتم وجه ، لأنه يطرد دخان البارود إلى الخارج ، ويجلب محله هواء بارداً منعشاً إلى الداخل . أما فى مخازن الذخيرة فإنه يقى البارود المخزون من الانحلال .

وقد كانت غرف حاملات الطائرات ، التى يجتمع فيها الطيارون بملابسهم الكثيفة ليتلقوا أوامرهم قبل الطيران ، توصف بأنها « صناديق العرق » ، أما الآن فتبرد هذه الغرف آليا ، ويجد فيها الطيارون أوفر راحة.

وقد كان ترميم معدات القتال فى الصحراء ذات الرمال المتقدة ، أو فى إحدى جزائر

المحيط المادى ذات الرائحة الكريهة . عملا يحمّل نفس الميكانيكى عبئاً فادحاً ، أما الآن فإنك تجد كوخاً مصنوعاً لترميم المعدات يمكن نقله . مجهزاً بوسائل تكييف الهواء ، فيستعمل ثم يطوى وينقل بالطائرة . وفى هذا الكوخ يمكن ترميم الأدوات الدقيقة فى نصف الزمن المعهود من قبل ، ولا عرق ولا غبار .

إن برج المراقبة فى كل مطار يحيط به الزجاج من كل جانب ، فلا مفر من أن تقع أشعة الشمس عليه ، فتجعله جحيما على المقيمين فيه ، وكانت حرارته تفسد عمل آلات الأرصاد الجوية وأدوات الراديو ، فوضعت فيه أجهزة تكييف الهواء فقضت على هذه المتاعب جميعاً .

وقد جهزت حجرة الجراحات والأشعة السينية فى كثير من مستشفيات القواعد الحربية بأدوات التبريد ، فضعف خطر التعفن من جراء العرق والغبار ، وتضاعفت قدرة الجراحين على العمل . وصنعت سيارات نقالة على طراز عربات بولمان لنقل الجرحى من الميدان إلى المستشفى ، وكيّف هواؤها ، فيصيب فيها الجرحى قسطاً وافراً من الراحة أثناء نقلهم .

وتقتضى الحاجة الحربية أن تحمض الأفلام التى تصوّر من الطائرات ، وأن تطبع منها نسخ فى دقائق ، وهذا خليق أن يكون مستحيلا فى الأقاليم الحارة ، لولا الحجر المعتمة فى المركبات المقطورة ، وقد كيف هواء هذه الحجر تكييفاً يكفل وقاية الفلم من الغبار ، ويحفظ المستحلبات على درجة معينة من الحرارة ، ويمنع العرق .

وفى أثناء القتال فى إفريقية أعدت قافلة من سيارات جهزت بأدوات تكييف الهواء ، فكانت القافلة الأولى من نوعها ، ومكنت فصيلة متنقلة من المهندسين من أن تأكل وتنام وتقوم بأعمالها الكتابية فى راحة تامة . على حين كانت حرارة الجو فى الخارج ٥٥ درجة . وقد استعمل المهندسون هذه القافلة لإنشاء قواعد أمام الجيش الزاحف .

إن وسائل التبريد الحديثة ، تتيح من الطعام الغض ، لعدد كبير من الجند ، ما لا مثيل له فى تاريخ الحروب . فمخازن الطعام المبردة تبريداً آليا ، تنقل فى عنابر السفن ثم تسلم ملأى باللحم المجمد أو الخضر ، فى القواعد الأمامية . والمركبة المقطورة تحمل فى جوفها ٨٠٠٠ رطل من لحم البقر المجمد إلى ساحة القتال ، وهناك تفك المركبة المقطورة من السيارة القاطرة ، فتصبح المركبة مبرّداً مستقراً ، فى داخله جهازه الذى يولد الطاقة اللازمة للتبريد .

إن الاعتماد على وسائل تكييف الهواء ، قد ذللت عقبات عظيمة فى الإنتاج الحربى

الأمريكي ، فدرجات الحرارة في مناجم النحاس قد تبلغ ٦٥ درجة مئوية ، وقد كانت العادة أن يدفع الهواء في أنفاق المناجم مدة ثلاث سنوات أو نحوها حتى تبرد برداً كافياً يجعل المناجم صالحة للعمل فيها ، أما الآن فإن هذه الحفر الجاحمة المحتدمة تبرد في أقل من شهر .

وكلما ارتقت أساليب الصناعة وتنظيم المصانع ، ازداد عدد ما يقام من الآلات في مساحة معينة منها . وكل آلة تولد حرارة بالاحتكاك ، فالمصابيح والأنابيب التي تنير المصنع تشع حرارة ، ومن جسم كل عامل تنبعث حرارة مستمرة تعدل حرارة مصباح كهربائي قوته مئة وات ، فالتبريد الصناعي ضرورة لا بد منها .

وقد صنعت أدوات بالغة الدقة والإحكام للأسطول الأمريكي ، فنبذ منها عدد عظيم برغم المراقبة الدقيقة في المصنع . فلم تكد تنقضي بضعة أسابيع على استعمالها ، حتى ظهرت بقع صغيرة من التأكل على سطوحها المصقولة ، جعلتها لا خير فيها . وبعد البحث عرف السبب ، فإذا هو إصبع مبلولة من يد عامل مست السطوح المصقولة كالمرايا ، وإذا حمض العرق قد نفث في الأداة بواعث الانحلال المقبل . أما تكييف الهواء فيبقى أصابع العامل جافة ، وبذلك انقطعت أسباب هذا الفساد .

ولربما صنع في برد المساء رسم هندسي طوله ست أقدام ، فيتمدد نحو بوصة في حرارة النهار ، وقد يفضي ذلك إلى خطأ جسيم . ثم إن الأيدي التي يتصبب منها العرق كثيراً ما تلطخ الرسم ، أما الآن فإنك ترى هواء حجر الرسوم في المصانع قد كيف بالآلات ، فليس غبار ولا عرق .

والسبب في أن جميع الآلات الحديثة ، ومنها محركات الطائرات ، تفوق كل ما سبقها من نماذج ، يعود على الأكثر إلى شدة الإحكام والمطابقة بين أجزائها . وتحقيق هذا كان باعثاً على قيام مشكلات كثيرة في الإنتاج الواسع النطاق ، فجزء من آلة يصنع في الليل البارد ويركب في النهار الحار ، قد يتمدد تمدداً كافياً يحمل على نبذه . ولولا استعمال أساليب تكييف الهواء ، لنقص إنتاج منظار نوردن — منظار قذف القنابل المحكم — ٥٠ في المئة في الصيف . أو قد يصنع جزء من آلة في لوس أنجليس فلا يطابق جزءاً آخر صنع في إقليم بوسطن ، وهو أبرد من إقليم لوس أنجليس . وقد يؤدي تغيير درجة واحدة في الحرارة إلى خفض دقة الصناعة في أجزاء آلات محكمة تصنع للقياس وتستعمل لضبط الأدوات

اللازمة فى المصانع، فكان حل هذه المشكلات أن جعلت درجات الحرارة والرطوبة واحدة فى كل ساعات اليوم، وفى جميع فصول السنة، وفى جميع المصانع.

كانت الغازات المستعملة للتبريد، حتى سنة ١٩٣١، سامّة، قابلة للالتهاب، كبيرة النفقة، فنشأ عن استعمالها شبوب نيران كثيرة وحدوث حوادث قاتلة. وفى تلك السنة كشف توماس مدجلى غاز «فريون»، فأتاح استعماله لصناع آلات التبريد أن يجعلوها أخف وزناً وأقل حجما. مثال ذلك أن استعمال هذا الغاز يتيح تجديد هواء الغواصة تجديداً مستمراً، وفى وسع بحارتها أن يدخنوا، وهو أمر لم يسمع بمثله من قبل.

إن مستقبل تكييف الهواء بعد الحرب مستقبل عظيم، ويحق لنا أن نتوقع أن تجهز به، خلال سنوات، معظم المصانع، والمخازن، ومعامل البحث، والقطرات، والفنادق، وأبهاء الاجتماع، ومكاتب العمل، والمساكن المؤجرة. وسيجنى الناس من ذلك خيراً كثيراً وراحة وصحة وكفاية فى العمل. وأمامنا فى المستقبل، وإن كان مستقبلا بعيداً، هدف هو «الجوكا تريده» فى كل منزل من منازل أوساط الناس.



عزيزى العم سام!

[هذه نخبة من رسائل حقيقية مستخرجة من سجلات هيئات حكومية شتى فى أمريكا]

مكتب إدارة الأسعار

أنا سليل أحد الآباء المهاجرين، ولست أدرى لماذا يجب علىّ أن أخضع لنظام الجراية، فأرجو أن تدبروا الأمر فى الحال، لإطلاقى إطلاقاً دائماً من أى قيد من قيود الجراية.

مكتب الخدمة العسكرية

بعد أن قضيت أربعة أشهر فى الجيش، وبعد تدبر، قررت أننى عاجز عن أن أنفق من مرتبى البالغ ٥٠ ريالا فى الشهر ما يكفى زوجتى لتعيش المعيشة التى ألفتها. فأرجو أن تعدونى مستقيلا من القوات المسلحة.

مكتب إدارة الأسعار

أنا إحدى فتيات المسارح، وأحتاج إلى زيادة مقدار البنزين المتاح لسيارتى لأنى جميلة فاتنة. وأنا أعيش على مئات من الأمتار من محطة قطار النفق، وحين أعود من المسرح فى الليل يتعقبنى رجال كثيرون، وهم يتهافتون علىّ كالذباب. فلو كان عندى مقدار وافر من البنزين، لاستطعت أن أعود إلى دارى فى سيارتى. ولما كان هذا يحدث لأنى جميلة فاتنة، فإنكم ولا ريب ستلبون طلبى.

دى جول النذير

مفتاح شخصية زعيم فرنسا
وسر نفوذه وسلطانه



نويل ف . بوش

ملخصة عن مجلة "لايف"

يحب الجنرال ديجول رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية — فيما يحب — أن يشاهد الأفلام بين الحين والحين . ففي أغسطس الماضي ، حينما استقر في الجزائر بعد زيارته للولايات المتحدة استعداداً للانتقال إلى باريس ، أعد له مرافقوه حفلة عرض لفلم « الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة » من رسم والت ديزنى — مرضاةً لصغرى بناته التي لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها .

وابتهجت أسرة دى جول كلها بالفلم ، غير أن الجنرال كان أكثرهم سروراً بالمشهد الذى بدت فيه الأميرة الغارقة فى السبات بسحر الساحرة الخبيثة ، وهى تستيقظ وتنهض على قبلة من الأمير الشاب ، فقد التفت دى جول إلى أحد مرافقيه وأبدى ملاحظة تنم على طبعه إذ قال : « هذا بديع ، فإنني أحب من الناس من يستطيع أن ينهض على قدميه من جديد » .

وهذه الرواية على بساطتها تبين عن سر شخصيته ، وما كان أبعدها عن الدلالة لو عزيت إلى رجل لا تتوافر فيه مقدرة دى جول على ربط شخصيته بالتاريخ أو الأساطير . فها هو يستشف فى نهوض الأميرة — وربما من قبلة الأمير أيضاً — مثالا ينطبق عليه . والمسموع عنه أنه يقارن نفسه فوق ذلك بكليمنصو ، ونابليون ، وجان دارك . والواقع أنه بتماديه فى هذه المقارنات إنما يبخس نفسه قليلا ، إذ أنه يفترق عن هؤلاء جميعاً بمكانه الفريد الذى يحتله فى تاريخ فرنسا .

فالتاريخ زاخر بأسماء أبطال نبتوا فى بلادهم ، وفيه أيضا أسماء أبطال كثيرين هاجروا حين أغفلهم قومهم ، فوفقوا فى غير أوطانهم ، أما دى جول فقد فارق وطنه وهو فرد من عامة الناس ، ثم عاد إليه وهو رئيس الدولة .

وقبل أن يعود دى جول إلى فرنسا ، تردد كثير من الشك فى مقدار ما قد يلقاه

من الترحيب ، ولكن الشهور التى مرّت على عودته أثبتت أن سلطانه قادر على البقاء على مر الزمن . وهناك نزاع داخلى شديد فى فرنسا ، إلا أنه لم يظهر فيها زعيم آخر ينافسه . وإذا أجرى غدا استفتاء لانتخاب رئيس ، فمن المحتمل أن يفوز دى جول بأغلبية ساحقة ، ولكن هذا الاستفتاء لن يحدث ، إذ أن سياسة دى جول ترمى إلى تأجيل كل انتخاب عام ما دام هناك ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ من الناخبين غائبين فى ألمانيا .

ودى جول رجل قليل الأصدقاء ، وهو يلتزم فى اجتماعات مجلس الوزراء موقفاً فيه شىء من التباعد حتى عن أقرب معاونيه . ومن عادته أن يترك الوزراء يبينون ما شاؤا عن آرائهم، ثم يعقّب هو فيذكر الحل الذى يراه ، فى كلمات موجزة مقدرة .

وإنه ليضيق ذرعا بكل ثرثرة أو تردد ، وفى أحد أيام الربيع الماضى كان أحد معاونيه يذكر أن الروح المعنوية فى فرنسا آخذة فى التراخى ، فاستمع له دى جول وهو يفكر ، ثم قال : « يجب أن نفرغ من هذه الحرب بأسرع ما نطيق » فأومأ أحد الحاضرين برأسه موافقا يتلهف على متابعة رئيسه ، وقال : « نعم . ينبغى أن لا تطول كثيرا » فنظر إليه دى جول نظرة المشمئز وقال : « ما أحكم قولك ! أليس معنى انتهاء الحرب أنها لا تطول ؟ » .

وهو لا يصبر طويلا على العجز والتردد . فحين اشتبكت جيوش فرنسا الحرة وقوات فيشى فى سوريا ، جىء له بضابط أسير . فأخذ يعتذر عن مسلكه ويقول : إنه لم يستطع أن يظفر بصحيفة ما ، وأنه لا يثق بأنباء الراديو ، فكان من المستحيل عليه أن يعلم ما يحدث فى فرنسا . فمشى إليه دى جول ، ومال عليه وهمس متألماً :

« أنصت ! إننى أستطيع أن أؤكد لك عن ثقة أن الألمان فى باريس ! » .

فسخريته اللاذعة ، وهيامه بالمواعظ الخلقية ، من خصاله المختلفة التى تجعل معاصريه يحارون فى فهمه .

وأثار اعتراف الولايات المتحدة بدى جول مسألة الصفة التى يوصف بها : أهو جندى محارب ، أم هو رجل سياسى ؟ والواقع أنه ليس أحد الرجلين . وخير صفة تنطبق عليه أنه نذير خرج فى قومه ، من هؤلاء الفلاسفة المفكرين الذين نزلوا إلى ميدان الجهاد ، ويمكن أن يقال إن دى جول كان نذير قومه منذ طفولته .

فمهمته الرئيسية تستفاد من هذا اللقب الذى ورثه منذ ٥٤ سنة عن أبيه المعلم فى كلية الجزويت فى باريس ، ولما كانت فرنسا

تسمى أيضاً « بلاد الغال » ، وهذا هو معنى كلمتى (دى جول) ، فإن هـذا اللقب كان من محاسن المصادفات فى حياة رجل قدر له أن يصبح فيما بعد رمزاً وطنيا . وأغلب الألقاب المسبوقة بكلمة (دى) فى فرنسا تفيد أن صاحبها ينتسب إلى طبقة الأشراف ، ولكنها فى شمال فرنسا لا تفيد هذا المعنى . ولهذا فإن أسرة دى جول لا تنتسب إلى طبقة الأشراف بل إلى فرع رجال الفكر من الطبقة المتوسطة ، فإذا نادى دى جول الآن بإعادة توزيع الثروة ، فإنه يخلص لمبادىء نشأته وتربيته .

وكان أبوه على صرامته رجلا لا ينقصه حسن الفهم ، وقد اتخذه ابنه الصغير مثالا قبس منه خلائق الجدّ والرزانة ، ولما كانت هذه الخلائق تناسب أيضاً جسمه العملاق (فطوله متر و ٩٠ سنتيمتراً) فقد أصبحت عنصراً أصيلا مستقراً فى طبعه ، وكانت عوناً له فيما بعد حينما شرع ينذر قومه . وقد ورث أيضاً عن أبيه تمسكه بالأصول الدينية وتعاليم السلف الصالح ، فإن يكن هذا التشدد فى الدين من أبرز صفاته ، فهو أيضاً من أهم دوافعه ، وإن لم يلق هذا الدافع من الناس حقه من الفهم والتقدير .

وقد وهب أيضاً ، فضلا عن إيمانه العميق المستقر ، موهبة المنطق النافذ الذى يمتاز به رجل الفكر فى فرنسا .

وشبّ دى جول فتى متمسكا بأهداب الجدّ ، منطوياً على نفسه ، منصرفاً عن اللعب إلى الدرس ، عتله أكبر من سنه ، وفتح له تفوقه فى الدراسة أبواب كلية سان سير الحربية الشهيرة حيث لقبه زملاؤه تندُّراً « أبو طويلة » . ولم يكد يتخرج فى الكلية حتى صادف فى ضابط كتيبته رجلا اتخذه من بعد أبيه مثالا يحتذيه ، وكان ضابطاً صغيراً عليه أمارات الجد والتحفظ ، يدعى هنرى فيليب بيتان . ولبث دى جول سنتين يحارب فى جبهة القتال تحت إمرة بيتان ، ثم انقطعت الصلة بينهما حينما جرح دى جول ، وكان قد أصيب من قبل مرتين ، بجرح خطير أوقعه فى أسر الألمان .

وانصرف أكبر همه فى معسكر الاعتقال إلى التفكير فى الهرب ، وإن اتسع وقته أيضاً للتدبر والتأمل ، فوقف بعض ساعاته على حفظ فصول بأكملها من كتب الأدب الفرنسى ، فلم تضق بها ذاكرته التى استوعبت من قبل محصولا بلغ من وفرته أن كان يملى على زملائه كتباً بأكملها من تأليف هوميروس وأوفيد مما حفظه أيام الدراسة .

ومن التجارب التى كان لها أثرها فى تكوين شخصيته ، اتصاله فى المعتقل بضابط

روسى ، فتمثل فيهما تقابل النقيضين ، فإن دى جول رجل ذو عقل من خصائصه الجد والترتيب ، أما الروسى فكان عقله يمتاز بالميل إلى البحث والتجربة ولا يتقيد ، فاقتبس كل منهما شيئاً من خصائص صاحبه ، وأخذ فهم دى جول للأشياء يستقر ويتحدد وهو يحادث الروسى عن الحرب وسياسة أوربا ومستقبل بلديهما ، ولما وضعت الحرب أوزارها ، افترق الرجلان ولم يتقابلا بعدئذ إلا مرة واحدة .

وكان هذا اللقاء فى باريس سنة ١٩٣٦ ، وكان توخاشفسكى — وهو اسم الضابط الروسى — قد أصبح مارشالا فى الجيش السوفيتى . وكان هو أيضاً قد صار نذيراً فى وطنه يحذرهم أموراً كثيرة . ولما أثبتت الأيام أن نذره لم تتحقق طاحت رأسه جزاءً وفاقا فى المحاكمات التى جرت فى روسيا سنة ١٩٣٧

وانتهت الحرب ، فعين دى جول مدرساً فى كلية سان سير حيث أخذ يشرح آراءه عن حروب المستقبل . وفى سنة ١٩٣٢ طبعت محاضراته فى كتاب ، وكانت فرنسا حينئذ تبنى خط ماجينو ، وبنيت خططها الحربية كلها على الدفاع ، وبنى هذا الدفاع أيضاً على استدراج العدو إلى مناطق استحكامية وقع عليها الاختيار باعتبارها أصلح المناطق لإبادته . وسنحت لدى جول فرصة لإثبات صحة رأيه المناقض لتلك الخطة ، وذلك حينما قامت الكلية الحربية بإجراء مناوراتها التجريبية ، فإنه أغفل شأن تلك المناطق الاستحكامية التى اختارها خصمه وانتصر عليه انتصاراً حاسماً ، فوبخه رؤساؤه المباشرون ، ولكن بيتان أثنى عليه .

وفى سنة ١٩٣٤ نشر دى جول كتاباً أسماه (جيش المستقبل) تكهن فيه بالحرب القادمة ، وكان فيه صادق الدلالة على ضعف خط ماجينو ، وأبان أن وسائل النقل الحديثة قلبت النظريات الحربية رأساً على عقب ، ونادى بوجوب استناد الجيوش على وحدات تسهل حركتها ، قوامها جنود من ذوى الخبرة مدربين خير تدريب . فسخرت فرنسا من الكتاب ، ولكن ألمانيا رحبت به وعدته فتحاً مبينا فى فن الحرب . أما هيئة القيادة العليا فى فرنسا فقد قابلت هذا الكتاب ببرود دفع دى جول إلى أن يفقد إيمانه بأستاذه بيتان . ولبث دى جول ست سنين يعرض رأيه بإلحاح حتى أملّ سامعيه فى كثير من المآدب فى باريس ، كما أملّ الكثيرين من موظفى الحكومة من رتبة وزير فأقل . والواقع أن أحداً لم يأبه لرأيه ، اللهم إلا سياسى ناشىء ، زئبقى قلبّ ، هو بول رينو .

فالخطط التي كان دي جول يرسمها لرينو على غطاء الموائد في المطاعم ، كادت تطابق الخطط التي اتبعتها القيادة العليا الألمانية في اختراق خط ماجينو في ربيع سنة ١٩٤٠ .

وفي تلك السنة تولى دي جول قيادة الفرقة المدرعة الرابعة — وكانت قد كونت على عجل — فتجلت براعته في هجوم مضاد بالدبابات في لاون وآبفيل ، وبفضله عقد النصر للجيش الفرنسي مرتين في المعارك القليلة التي خاض غمارها . ولم تكد تمر على انتصاره بضعة أيام حتى اختاره رينو — وكان قد أصبح رئيساً للوزارة — لمنصب وكيل وزارة الحربية .

وتحدثت دي جول — هذا النذير — حوادث لم يبق في فرنسا أحد إلا وثق بأنها كارثة مطبقة ، والواقع أن انهيار فرنسا التام كان هو الثقاب الذي أشعل إيمانه المتأجج بأنه صاحب رسالة في الحياة: هي إنقاذ وطنه .

وحاول دي جول أن يقنع رينو بمواصلة القتال ، وباحث تشرشل في مدينة تور ، ثم سافر إلى إنجلترا حيث أذاع نداءه الشهير الذي قال فيه : « إن فرنسا قد خسرت إحدى المعارك ، ولكنها لم تخسر الحرب » وفي لندن أقام دي جول نفسه زعيما على فرنسا الحرة ، فرضيت به إنجلترا ، وإن لم يكن كل رضاها عن طيب خاطر .

وكان مما أوضحه دي جول تمام الإيضاح أنه لا يعد نفسه ممثلا لجهود فرنسا الحربى بل ممثلا لفرنسا كلها ، وجعل مسلكه يطابق هذا المعتقد .

وكان في مسلكه هذا إحراج لتشرشل وروزفلت،وهما سياسيان بارعان ، ولكنهما لم يألفا معاملة مثل هذا الرجل الذي جعل نفسه نذيراً للناس ، فقد قيل إن روزفلت بعد أن لقي دي جول في الدار البيضاء صرح بأنه قد يفهم أن يعتقد رجل في نفسه بأنه كليمنصو أو جان دارك ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم كيف يتم له أن يعتقد في نفسه أنه يجمع بينهما معاً في شخصه !

وعلى أن النزاع الذي كان بين دي جول، وجيرو وتشرشل وروزفلت وكثيرين غيرهم، بدا يومئذ من المماحكات الجافية ، إلا أن مسلكه هذا ساعد على صبغ حركة المقاومة بصبغة وطنية مما أعان على غزو القارة الأوربية ، وعاد بالفائدة على فرنسا الحرة .

وفضلا عن ذلك فإن تشرشل وروزفلت لم يكادا يألفان نزوع دي جول إلى أن يكون نذيراً للناس حتى بدآ يميلان إليه .

وظل دي جول في لندن متمسكا بخطة العزلة والصمت ، فغلبت عليه حدة الطبع ، ولكنه بعد عودته إلى وطنه أصبح يبدو أكثر هدوءاً وبشاشة .

وهو على غرار أولئك الذين يعتقدون أن لهم رسالة فى الحياة ، يشعر بأن مصيره مقدر ، وهذا الشعور يجعله فى مأمن لا تفزعه خشية الموت .

ففى اليوم التالى ليوم عودته إلى باريس سار دى جول بلا حرس فى طريق الشانزلزيه بين صفوف متزاحمة من الجماهير، وركع بسكينة وخشوع فى كنيسة نوتردام، على الرغم من الرصاص الذى أطلقه حينئذ أحد القناصة من شرفة الأرغن .

وقد حادث دى جول زعماء حركة المقاومة فى ضرورة إعادة الآلة الحكومية إلى دورتها . ولم ينقض أسبوعان حتى كان قد وضع برنامجاً لسياسته ،وأغلب مواد هذا البرنامج - كإعطاء الناس حق الانتخاب ، وإشراف الدولة على الصناعات الثقيلة ، ومحاكمة أنصار التعاون مع العدو - كان قد تم الاتفاق عليه قبل الغزو بمراسلات سرية مع زعماء حركة المقاومة فى فرنسا . ومحاكمة أنصار التعاون مع العدو ستساعد على إرواء ظمأ الفرنسيين المتأصل الدائم إلى المرافعات القانونية المستفيضة . أما تنفيذ بقية مواد البرنامج فموقوف ، لاستمرار الحرب ، ووجود هيئة القيادة العليا لقوات الغزو فى فرنسا . وما دام كل ما يتيسر من وسائل النقل موقوفاً على شحن المهمات الحربية إلى الجبهة ، فإن الحكومة المؤقتة ستظل مغلولة اليدين إزاء المشاكل المدنية العاجلة كإنعاش الصناعة ، وتعمير ما خربته الحرب ، وإسكان المهاجرين العائدين .

وفى فرنسا من الانقسام فى الرأى مايفضى إلى اضطرابات اجتماعية ، هذا إذا لم يفض أيضاً إلى حرب أهلية ، فإذا لم يكن قد حدث شىء من هذا إلى الآن ، اللهم إلا عصيان بعض قوات المقاومة فى جنوب فرنسا - فالفضل فى ذلك يرجع بعضه إلى وجود دى جول ، وبعضه إلى الكياسة التى تعالج بها هذه المشاكل .

ولما تبين أن الحرب قد تستمر طول الشتاء ، وأن البرنامج الذى وضعه للإصلاح الاجتماعى والتعمير قد يرجأ تنفيذه إلى ما بعد نهايتها ، أخذ دى جول يقوم برحلات فى كافة أقاليم فرنسا ، وهذه الرحلات تساعده على استمرار صلته بالسلطات المحلية وتمكنه من أن يعقد اجتماعات يحضرها المزارعون ، فيلقى عليهم خطباً موجزة هى أشبه شىء بالعظات يحثهم فيها على التمسك بالخلق الكريم ، وتقابل خطبه دائماً بتصفيق متحمس .

ولما كان دى جول رجلا جافى المظهر قاسى الملامح أجش الصوت متشابه النغمات ، فهو لا يأسر سامعيه فى المجتمعات الصغيرة ،

ولـكن الأمر يختلف ويصـير إلى ما هو خير من ذلك ، إذا وجد ميداناً عاماً مزدحماً بالجماهير ومكبرات جيـدة الأداء ، فتبدو فى صوته حينئذ نغمة جديدة تدل على إيمانه الحارّ وعلى ثقته بسلطانه . وهو يلتزم إذا خطب سمتاً واحداً ، فيثنى ذراعيه إلى كتفه ويهوى بمرفقـه تأميناً على كلامه ، وقلة براعته فى اختيار الحركات الخطابية هى مما يساير أسلوبه الوقور ومخبره الرزين .

إن مستقبل أوربا يتوقف توقفاً عظيما على مقدرة فرنسا فى النهوض من كبوتها لتعود إلى عهدها السابق بل إلى عهد أزهر منه ، ومجهودها فى هـذا السبيل مرتبط — إلى وقت ما على الأقل — بشخصية دى جول ، وليس فى مسلكه الآن ما يدل على أنه غافل عن هذه الفرصة أو متهيب لها .

وينتفع دى جول فى حكمه لفرنسا بأحوال حسنة تواتيه ، منها أن بنيانها — على الرغم من التبعات التى تحملها فى الناحيتين المادية والروحية — سليم القواعد ، إذا أتيح له من الزمن ما يكفى . فالبنيان الاقتصاديّ فى فرنسا قائم على الزراعـة ، والزارع الفرنسى قد ظل دائباً يعمل زمناً طويلا تحت ألوان مختلفة من الحكم ، وهو خليق أن يستمر يفعل ما كان يفعل . ومن هذه الأحوال المواتية أيضاً أن سلمت لفرنسا هيئات الحكم المحلية بنظامها المعقد وظلت قائمة إبان الاحتلال الألمانى ، ولا تزال تقوم بمهمتها .

وفرنسا وإن كانت سليمة القواعد إذا أتيح لها الزمن الكافى ، فهى تلفى نفسها الآن فى ورطة كبيرة . فمن سكانها ملايين شردوا من ديارهم التى هدمتها القنابل ، ووسائل النقل غير متوافرة ، والصناعة معطلة ، والقتال المرير لا يزال دائراً ، فإذا استطاع دى جول أن يتغلب على هذه الصعاب كلها فإنه جـدير لا باعتراف الولايات المتحدة وحدها ، بل بشكر هذا العالم المعذب كله .



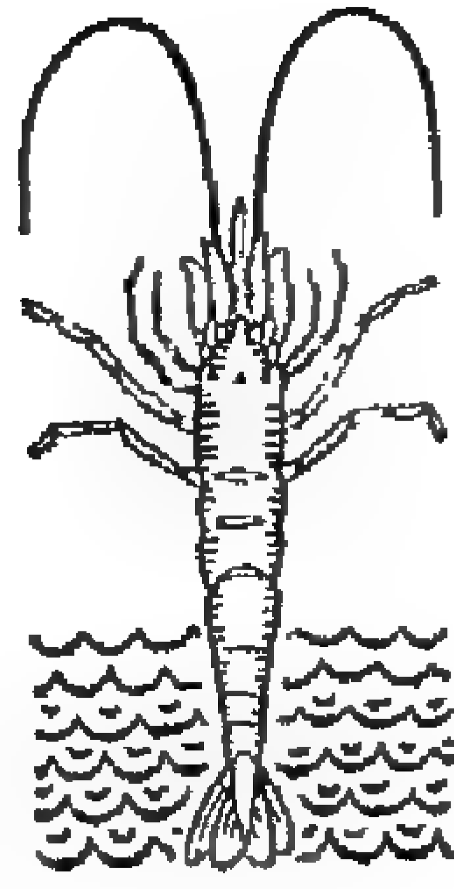
مشكلة معقدة

كان فتى وفتاة صغيران يقطنان داراً مجاورة لمحلة للعراة ، فوجدا فى أحد الأيام ثقباً فى خشب الجدار ، فتقدمت الفتاة واسترقت النظر . فسألها الفتى : أرجال هم أم نساء ؟

فقالت : لا أدرى ، فليس عليهم ثياب .

[روبرت كارسون]

من أين يأتي كل هذا الإربيان الكبير (١)



مقر جديد عجيب فى خليج المكسيك يبشر بمورد لا ينفد من طعام لذيذ : مغذ ومباح للجميع

ملخصة عن صحيفة "بلتيمور صنداي صن"

ليالون مارتن ، وكارولين رمزي

طوال سنة ١٩٣٨ — بعد انتهاء فصل الزوابع — كانت « بليكان » ، وهى سفينة صغيرة متينة البناء ، تساحل فى سير متعرج خليج مكسيكو ، من «موبيل» بولاية «ألباما» إلى « برونسفيل » بولاية تكساس. وبين الفينة والفينة يدلى ملاحوها شبكة إلى قعر الماء فتجرها السفينة نصف ساعة، ثم ترفع الشبكة ويفرغ ما تحويه على ظهر السفينة ويفحص . وهنالك أجهزة تمتحن الماء من حيث الملوحة والحموضة والحرارة ، وتخرج معها إلى السطح نماذج مما يحتويه قعر البحر ، فى حين يعكف مسجاو مكتب مصايد الأسماك على تدوين ذلك تفصيلا . ويستمر هذا الدرس الفنى يوماً بعد يوم على وتيرة واحدة . فغمست الشبكة ٤٠٢ مرة ، وكنس قعر البحر على مدى ١٢٠٠ ميل .

كانت النتيجة أن توافر دخل قدره ٦٠٠٠٠٠٠ ريال ، وشيد أسطول من سفن الصيد ، ووجد فيه ألفا رجل عملا رابحاً، وردت به الحياة على جماعة برمتها من الناس ، وحصل سكان الولايات المتحدة على طعام وزنه ٥٠٠٠٠٠٠٠ رطل زيادة عما لديهم من مواد الطعام كل سنة — طعام لذيذ مغذ خارج عن نظام الجرايات . وهذا كله عاقبة الصبر فى بحث علمى بسيط.

إنه سر كان قد أمض العلماء عدة عقود من الزمان — فأين يذهب الإربيان (الجمبرى) عند ما يختفى من مياه الشاطئ ؟ فعين مكتب مصايد الأسماك بالولايات المتحدة ملتون ج . لندنر ، ووليم و . أندرسون ، وكلاهما من علماء الأحياء، ليستشفا الأمر، وأعطيا «بليكان» لتكون رهن إشارتهما .

أما ما استكشفت « بليكان » فكان أعظم محشر للإربيان عثر عليه . جموع لا يحصيها العد من ذلك الحيوان، وأى إربيان؟ إنه ليس كتلك القطع الصغيرة التى ألفناها فى السنين الأخيرة التى يبلغ طولها من بوصتين إلى خمس بوصات ، وإنما هى من ثمانى بوصات إلى عشر ، أطلق عليها فى

(١) الجمبرى

الأسواق اسم « جامبو » . وهذا المحشر العجيب يتوسط مكاناً يسمى « شب شول » على عشرة أميال إلى عشرين من لويزيانا ، وإنه لن ينفد أبداً . وأى مقدار من الصيد تمكن الحصول عليه بأسطول كامل من سفن صيد الإربيان فى سنة ، لن يؤثر فى محصول السنة التالية . فهذا الإربيان قد رمى بيضه ولن يبيض مرة أخرى ، ولقد أتم واجبه فى الحياة ، وقد انحدر إلى هـذا الملتقى ، حيث يجد ما يلائمه من الغـذاء ودرجة الحرارة والكسل . وعلماء الأحياء يعتقدون أنه يموت هناك ، فإنهم لم يعثروا فى كل بحوثهم الاستقصائية على إربيان عمره أكثر من سنة ونصف سنة .

ومنذ قرن ونيف كان عمل أهل لويزيانا القاطنين حول خلجان الماء ، هو صيد سمك الإربيان . فيجتمع أسطول من صغار السفن فى مستهل الفصل ، ثم يبارك الأسطول فى احتفال فخم ، ثم تتفرق وحـداته للعمل فى تلك الخلجان التى تساحل البحر . وأكثر ما يصاد منه يرسـل إلى مصانع التعبئة — غير أن جزءاً غير قليـل منه يقع فى أيدى أهل الصين والفلبين من الجالية ، فينشرون الإربيان المسلوق فوق أفدنة من الأرض على رفوف من الخشب ، حيث يترك ليجف فى وهج الشمس .

ولم يكن لصيادى الإربيان من أهـل لويزيانا سفن تجرؤ على الخروج إلى عرض الخليج ، فكان أول من انتفع بالأخبار التى ذاعت عن تلك المكامن الجديدة ، جماعة من أصحاب سفن صيد الإربيان فى فلوريدا . ثم وفد « أستاتيس كلوناريس » ويعرف عنـد جميع أهل الشاطىء « بالإغريقى » إلى « مورجان سيتى » فى لويزيانا ، وليس معه أكثر من أدواته التى يستـخدمها فى بناء السفن . وبدأ يبنى سفناً متينة طولها ٦٥ قدماً وتحركها آلات ديزل قوتها ١٠٠ حصان ، وفى قدرتها أن تجر شبكة صيد فى خلال مياه عمقها ١٢ قامة . ولقـد بنى « كلوناريس » مائة من هـذه السفن ثمن الواحدة ١٣٫٠٠٠ ريال — منها ٥٠ بنيت فى زمن الحرب . ولقد أصبحت هـذه السفائن ذات قيمة فى تزويد أمريكا بمواد الغـذاء ، حتى أن أوليات البناء التى يحتاج إليها تمنح له بغير إبطاء .

وقيل إن الرواج الذى تبع بناء أسطول الإربيان فى مورجان سيتى ، وعدته ٢٠٠ سفينة ، أعظم ظاهرة حدثت فى تاريخ مصايد الأسماك الأمريكية . فمنذ عشر سنوات مضت كان الأمريكيون يأكلون ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ رطل من الإربيان كل عام ، أما الآن فقد زاد عليه نصف هذا المقدار ، بيد أن الـ

٠٠٠,٠٠٠,١٠٠ رطل التي كانت تؤكل هي من الإربيـان المحفوظ في العلب ، أما أكثر ما أكل هذه السـنة من ال ٠٠٠,٠٠٠,١٥٠ رطل فقد أكل طازجاً . ولما أصبح « الجامبو » في متناول اليـد في أماكن لم يتذوق أهلها الإربيان الطازج من قبل ، ذاع صيته بسرعة البرق . ويطلب الأمريكيون الإربيان الطازج الآن ، حتى أن أصحاب مصانع التعبئة لا يعبئون منه ربع المقـدار الذي اعتادوا أن يعبئوه ، فنشأت صناعة الإربيان المسوي بالتبريد . وقد شقت هذه الصناعة طريق الرواج ، على قدر ما سمحت بذلك موانع الحرب .

ولا تخرج مياه الولايات المتحدة ما يفوق محصول الإربيان كثرة ، إلا محصول السلمون والطونة والمحار . وثلثا صيد الإربيان يأتي من لويزيانا ، وأكثره من مورجان سيتي .

وكانت مورجان سيتي يوماً ما « ميناء » ذا بال ، ولـكنها أخذت في التدهور سنة ١٩٣٨ . وخيمت خيوط العنكبوت على أسواقها ، كما كان يقول أهلها بأسف وحزن . أما الآن فإن غرفتها التجارية تفخر بأنها « أسرع المدن الأمريكية الصغيرة نمـاء » . وربما لم يكن كذلك ، فلابد من أن تكون مدن أخرى قد زادت عنها نماء من جراء رواج الحرب . ولـكن عند ما تبطل صناعات الحرب ، فإن الإربيان سـيظل هنالك ، فتزدهر مورجان سيتي .

والصـيادون هنالك مجموعة عالميـة . فمنهم الـكريوليون والإغريق والطليـان والإسـكنديناويون ، وكل ثلاثة منهم يستخدمون سفينة صـيد مشاركة ، مثلهم كمثل سائر الصيادين في العالم .

وتقع مورجان سيتي على بعد ١٨ ميلا من الخليج على نهر « أتشافالايا » وهو من أعمق أنهار الدنيا . ومن هذا المرفأ الجميل تشق سفائن الصيد ، في خلال ضباب الصبح الـكثيف ، طريقها إلى « شـب شول » . والمساحات هنالك واسعة مديدة ، حتى إنه قد يسبق العثور على محشر الإربيان ، بحث محض مضن بشبكة الاختبار . فإذا عثر عليه أدليت شـبكة الصيد ، مفتوحة الفم شبيهة بكيس النقود ، وسعة فتحتها تسعون قدماً وارتفاعها ست أقدام . وهناك يكون الإربيان متراصاً حتى لقـد تأخذ السفينة حملها في ثماني جولات . وقد تكون حافة المحشر غاصة إلى الغاية ، حتى إن السفينة قد تملأ شبكتها دفعة واحدة ، في حين أن غيرهـا قد لا تفوز بإربيانة واحدة .

فإذا امتلأت السفن ، وهي تحمل حوالى خمسة أطنان منه ، أسرعت إلى الشاطئ . ويقوم المشترون من نيويورك وشيكاغو ،

وقد يفدون من سان فرنسسكو، ويدفعون الثمن نقداً على ظهر السفينة، ١٣ سنتاً لكل رطل من «الجامبو» المتوسط. ثم يحمل في ستين حاملة من العربات والجرارات المجهزة بآلات التبريد، تحمل الإربيان شرقاً وغرباً ليباع بسعر ٥٥ سنتاً إلى ٦٥ للرطل بالقطاعي.

ويقول علماء الأغذية إنه من أفيد أغذية الإنسان، فإن فيه فضيلة غذاء البحر الذي يزودنا بالبروتين والمعادن. وأفضل مزيته أنه سهل الهضم، وهو كذلك غنيّ بالعنصر الواقي من تضخم الغدة الدرقية، وباليود وهو عنصر نافع لسكان البلاد. وقد ينبعث من الإربيان في بعض الأحيان رائحة شبيهة برائحة المستشفيات، فتتّهم الحريصات من ربات البيوت بائعيه بمعالجته بمواد الحفظ. وليس هذا صحيحاً، فقد يتفق أن يغتذي الإربيان بمخلوقات بحرية ضئيلة فيها رائحة اليودوفورم.

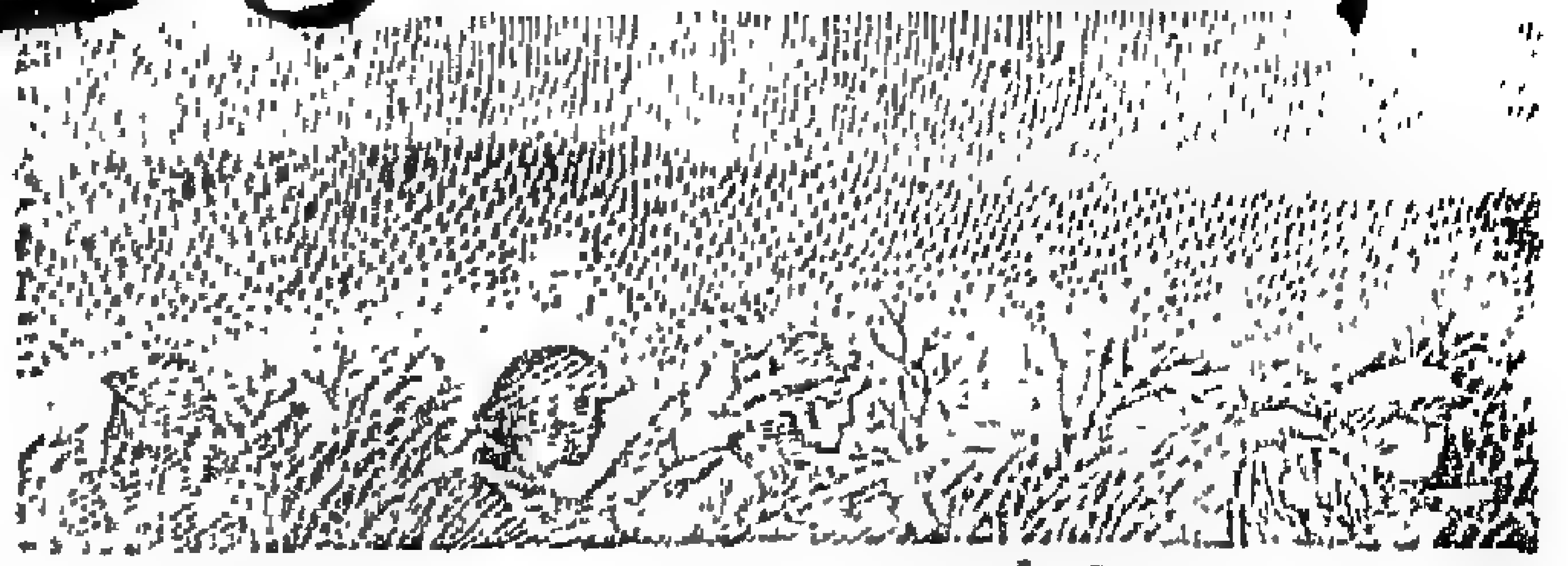
والإربيان يسمى أحياناً جراد البحر، وهو من ذوات القشر كالنوع المسمى كركند. أما تاريخ حياته الذي ظل لغزاً زمناً ما، فقد تكشف الآن. فالأنثى تضع ٨٠٠٫٠٠٠ بيضة تنساق مع الماء بعيداً عن الشاطئ، فتنفلق عن مخلوقات دقيقة طولها ١/١٠٠ من البوصة. فإذا بلغت من النمو بحيث تكون ربع بوصة طولا، فإنها تشق طريقها أميالا عديدة من عرض البحر إلى حيث الخلجان الدافئة القليلة الماء، وترى إذ ذاك كأنها براغيث شفافة. وفي أثناء الأشهر القليلة التي تلي ذلك الطور، تتناسخ في ستة أطوار أو ثمانية لكل منها تغير محدود يصيب الشكل الظاهر. فإذا بلغت صورتها الأخيرة، وكانت في نصف حجمها النهائي، دلفت ثانية إلى مياه أشد عمقاً وملوحة. وفي هذا الطور كان قدامى الصيادين يصطادونها.

وقال ملتون لندنر: إن الإربيان بعد أن يترك الخلجان القليلة الماء تضع بيضها في المياه الواسعة، ثم تندفع إلى أبعد من ذلك في عرض البحر حيث الماء أكثر عمقاً والحرارة أثبت وأقل تقلباً. وقد حقق الواقع نظريته كل التحقيق.

ولا يبعد أن يكون في بعض أنحاء الدنيا مواطن أخرى غاصة بالإربيان بكثرة تفوق الوصف. ولكن البحث في آلاف مؤلفة من الأميال لم يهتد إليها بعد، وظل ذلك المنجم العظيم في الخليج فريداً بغير منافس أو نظير.



بث الفوضى عملهم



قصة أعوان بادى مين الصناديد الذين ينشرون الدمار وراء الخطوط الألمانية — تروى لأول مرة .

فردريك سوندرن • ملخصة عن مجلة " تريكولور "

قبل غزو نورمندى بأسابيع ارتطمت بالأرض قاذفة قنابل أمريكية ، تخلص رجالها أنفسهم من الحطام ولجأوا إلى خندق قريب حيث أخذوا يتشاورون فى أمرهم يائسين . لم يخف عليهم أنهم هبطوا فى مكان ما فى وسط فرنسا ، فى قلب المنطقة التى يحتلها الألمان ، وفجأة أشار ربان الطائرة وصاح : « إن صدقتنى عيناى ، فإنى أرى رجلا إنجليزياً قادماً نحونا » .

وإذا هم بسيارة من طراز جيب ، قد أشرعت من جوانبها المدافع السريعة ، قادمة نحوهم يقودها ضابط بملابس الميدان فى الجيش البريطانى .

ووقفت السيارة وصاح القادم المجهول : « مرحباً أيها الرفاق . إذا كان بينكم جرحى فالأولى أن ننقلهم إلى المستشفى ، وإنه لقريب » .

ففغر رجال الطائرة أفواههم فطمأنهم الإنجليزى قائلا : « لا تراعوا ، فنحن أفراد فرقة للطيران الخاصة ، نعمل وراء خطوط الألمان كما تعلمون ، ويسرنا لقاؤكم » .

وهكذا كان أول معرفتهم بجيش بريطانيا الخفى وأشد جنودها النظاميين شذوذاً ، فمن العلمين إلى شمال إفريقية وصقلية ، وإيطاليا وفرنسا ، حتى الحدود الألمانية ، كتب هؤلاء الرجال فصلا فى التاريخ الحربى من أكثر فصوله مدعاة للعجب ، فقد أمكنهم فى إفريقية أن يجردوا كتيبة من الهابطين بالمظلات ومن فرقة الفدائيين تحملهم سيارات جيب لضرب مطارات النازى الواقعة على مسافة ٥٠٠ ميل خلف خطوط رومل ، فحطموا بذلك على الأرض من الطائرات الألمانية ما يربى على ما أسقطه منها سلاح الطيران البريطانى فى الجو .

وظلوا يرهقون خطوط إمدادات العدو بلا هوادة ، ثم كرروا عملهم هذا فى معركة فرنسا على نطاق أوسع كثيراً .

وقد علم مدبرو الغزو أن نجاحه يتوقف أكبر التوقف على منع الألمان من جلب

إمداداتهم الثقيلة إلى الشواطىء ، قبل أن ترسخ فيها أقدام جيوش الحلفاء ، واضطلع سلاح الطيران الممهد للغزو بقسط كبير من المهمة ، بإلقاء القنابل على ملتقى طرق المواصلات الرئيسية ، ولكنه كان — على أحسن الفروض — أبعد من أن يحقق كل ما يرجوه واضعو الخطط من إصابة أهداف كثيرة في وقت واحد ، وكان العون المرجّى من قوات المقاومة الفرنسية عظيما ، غير أنه كان ينقصها تنسيق مجهوداتها هذا التنسيق الضرورى لضمان تنفيذ البرنامج المعقد المرسوم للتخريب والتدمير ، والذى يجب أن يساير بدقة نزول الحلفاء وتقدمهم ، وهذا عبء لا ينهض به إلا رجال هـذه الفرقة الجوية الخاصة ، فإن رجالها أقوياء ، مدربون على القتال ، وكل رجل منهم محارب قديم خبير بالتلاحم وأعمال الاستكشاف والتخريب . نجىء بهم من إيطاليا ليقوموا بأشق ما قاموا به من الأعمال .

فقبل بدء الغزو بزمن طويل شرع رجال المظلات التابعون لتلك الفرقة في الهبوط ليلا على الأراضى الفرنسية مثنى وثلاث ، وأطلق عليهم اسم « لجان الاستقبال » ، وأخذوا ، بمساعدة الفرنسيين ، في استكشاف ما حولهم من مناطق للعثور على حقول منبسطة لهبوط الرجال والإمدادات ، وعلى منازل وغابات ليختبئوا فيها . ولما تم استعدادهم أنبأوا به مقرّهم العام بواسطة آلات راديو صغيرة ، فما لبث أن وصلت القوات الرئيسية للغزو السرى .

وحدث في مرات قليلة لجماعات الهابطين (التابعين لفرقة الطيران الخاصة) أن صادفت عسساً ألمانياً فاضطرت للقتال طلباً للنجاة ، ولكنهم على وجه الإجمال — هبطوا جميعاً فى أمان ، ومعهم عتادهم وقد ألقى بالهابطات أيضاً ، ويشمل هـذا العتاد سيارات من طراز جيب ، وموتوسيكلات قابلة للطىّ ، ومدافع سريعة ، وعتاداً حربيًّا خفيفاً .

وحرصت كل جماعة على التحرك وأن لا تلبث طويلا فى مكان واحد ، حتى لا تتم عليهم فلتة لسان من أهالى المنطقة ، وإن كانوا موالين لهم . وقلما أوى هؤلاء الرجال إلى الخيام ، بل كان أغلب نومهم فى أكياس على الأرض ، بين سيارات متناثرة من طراز جيب ومن أمامها حرس متقدم يحيط بهم . واحتفظ كل رجل منهم بمدفع سريع وضعه على مدّ يده ليلا ونهارا .

وفى يوم الغزو ، كان رجال الفرقة الجوية الخاصـة مسيطرين على خطوط مواصلات الألمان فى شبه جزيرة شربورج شرقاً وجنوبا ، طبقاً للخطة الموضوعة ، وأعطيت

تعليمات دقيقة إلى جماعات ، يتراوح عدد رجال كل منها من ٥ أو ٦ إلى ٢٠ أو ٣٠ ووزعت فى نطاق واسع على السكك الحديدية ومحطات توليد الكهرباء ومراكز التلفون ، وغيرها من المؤسسات التى يراد تدميرها .

وفيما يلى مثال من مئات من تقارير القتال التى انهالت على المقر الرئيسى لتلك الفرقة الجوية الخاصة ، ثم أبلغت للقيادة العليا للغزو ليعلم قادة الحلفاء مقدار ما قد يصادفونه من مقاومة الألمان :

« قمنا باستكشاف خط — من الكيلو ٩٠ إلى الكيلو ٩٢ ، وفى الساعة ٢٢ تغلبنا على جنود الحراسة عند الكيلو ٩٠ ، ووضعنا الألغام بين قضبان السكك الحديدية ، وفى الساعة ٢٢ر١٢ حطم الانفجار قطاراً محملا بالجنود متجهاً إلى الغرب ، وقطعنا أسلاك التلفون وجهاز الإشارات ، وفى الساعة ٢٢ر٢٥ خرج عن القضبان قطار يسير إلى الشرق . وانسحبنا » .

ولم يقتصر عمل رجال هذه الفرقة الجوية الخاصة على التخريب ، فمما قاموا به أيضاً إرشاد سلاح الطيران التكتيكى ، فقد حدث يوماً أن أصابت إحدى طائراته خطاً حديدياً يصل بين منطقتين رئيسيتين ، فذهب أحد أفراد حركة المقاومة السرية ممن يستكشف لهذه الفرقة الجوية الخاصة ، إلى موضع الإصابة ليتبين مقدار ما أحدثته من ضرر . فسأل عاملا هناك : «كم من الوقت يلزمكم لإصلاح هذا الخط ؟» فنظر إليه الفرنسى ملياً وأجاب : « لن نحتاج إلى وقت طويل ، ولو أن القنابل سقطت على بعد نصف ميل ، حيث أكشاك الإشارة والتحويلات لكان الضرر أبلغ بكثير » ، ولم يمض وقت طويل حتى ألقت طائرات الغزو عدداً من قنابلها فى الموضع عينه .

وقامت القيادة الألمانية فى باريس يائسة تحاول أن تقضى على هذا الجيش الخفى ، وأطلقت العنان للجستابو ولما يسمونه الحرس الفرنسى المساعد ، وقد جند رجاله من الأوباش والسفلة ، فعم الرعب ، وقبض على مئات من أهالى نورمندى لمجرد الشبهة البعيدة فى أنهم يساعدون الغزاة ، وعذبوا حتى يبوحوا بما يعرفون ثم أعدموا . ولكن هذه الأعمال لم تمنع رجال هذه الفرقة الجوية الخاصة ومساعديهم من مباشرة أعمالهم .

وإليك إحدى مغامرات السرجنت شوكى ، وإن كان رجال الفرقة المحنكون لا يرونها شيئاً ذا بال : ففى إقليم مورفان من وسط فرنسا ، اصطفت وحدة من جنود الألمان فى ميدان القرية ، فأقبلت كالبرق من وراء منعطف ، سيارة جيب

بها جنديان بريطانيان ، ووقفت فجأة ، وقبل أن يتسع الوقت للألمان حتى يدركوا ما حدث ، أمطرهم أحد الجنديين بوابل من رصاص مدفعه السريع ، فتفرق الألمان يطلبون ملجأ يعتصمون به ، ولكن السرجنت شوكى كان قد صرع عدداً كبيراً منهم فغطت جثثهم الميدان ، ثم اختفى بسيارته في المنعطف . وكانت التعليمات تقضى عليه أن ينتظر فرقة كبيرة للهجوم على هؤلاء الألمان فلما تأخر قدومها ، قرر أن يشن الهجوم وحده .

وفى حادث آخر ، أبلغ أحـد رجال المقاومة الفرنسية جماعة من ٥٠ رجلا قد كمنوا فى غابة ، أن رجال الجستابو عرفوا مكانهم ، وأن ٢٠٠ من رجال الهجوم الألمان سيقتحمون عليهم الغابة فى تلك الليلة من ناحية ، و ٣٠٠ من الحرس الفرنسى المساعد من الناحية الأخرى ، وقال : « يجب على البريطانيين أن ينسحبوا فى الحال » فرفض الضابط القائد ذلك رفضاً باتاً .

وعند الغسق حاصرتهم فرقة الهجوم الألمانية والحرس الفرنسى ، وتقدموا وسط وابل من الرصاص المنهمر ، فقد كانت الأدغال والخنادق ملأى بالمدافع الرشاشة ، واستمر الهجوم والمناوشة ساعات قبل أن يفطن الضابط الألمانى إلى أن القتال إنما يدور بين فرقة الهجوم والحرس الفرنسى لا غير ، وأن رجال الفرقة الجوية الخاصة قد انسحبوا واتخذوا طريقهم إلى مخازن الذخيرة القريبة فدمروها ، بعد أن تغلبوا على حراسها . واعترف الأسرى الألمان ، كما دلت التقارير التى وقعت فى أيدينا ، على أن الفوضى التى نجمت عن هـذا التخريب قد بلغت مبلغاً عظيما .

وإن أربع سنوات قضوها فى خوض غمار النيران قد حنكت هذه الفرقة . وكان موقف الإنجليز فى شمال إفريقية فى بدء سنة ١٩٤١ قد بلغ من الحرج أن رضيت قيادة الشرق الأوسط أن تأنس إلى خطة قد تبدو طائشة ، تقدم بها ملازمان صغيران ، هما دافيد استرلنج وجوك لويس ، يؤمنان بأن جماعات صغيرة من رجال منتخبين ومدربين خير تدريب ، يمكنها أن تكمن وراء خطوط العدو لتقوم بتخريب شامل . ووصل الملازمان إلى غرضهما بقوة الحجة والإقناع حتى رضى القائد الأعلى . فأقيم فى تيه الصحراء المصرية « معسكر استرلنج » وجمع له متطوعون من خير وحدات جيش الشرق الأوسـط . ودربوا أتم تدريب كالهبوط بالمظلات ، والقيام بالحركات الحربية فى الميدان ، وتعلم اللغة العربية .

وسرعان ما تجلت آثار اسـترلنج على

صورة باهرة مثيرة للدهشة . فقد دمر فى ليلة واحدة مطاراً ألمانياً على مسافة ٥٠٠ ميل وراء خطوط رومل . وقد تولى هذا التدمير فصيلة من رجال مغامرين استقلوا سيارات جيب ، فحطموا الطائرات ودمروا الأبنية فى نصف ساعة ثم اختفوا فى الصحراء من حيث أتوا . وكذلك كانت مخازن الذخيرة يكتشف أمرها وتنسف ، وظلت الأعمال الحربية على طول الساحل الشمالى وهى تعرقل باستمرار ، وقوافل الإمدادات تهاجم ويقضى عليها . وخسر سلاح الطيران الألمانى ٣٠٠ طائرة فى أشهر قليلة بفضل تلك الهجمات ، فأصابه الضعف ، فى حين كان رومل فى أشد الحاجة إليها ليهجم على مصر .

وأخيراً وقع استرلنج فى قبضة الألمان فى تونس . ولما كان جوك لويس قد قتل من قبل فى إحدى المعارك ، فإن قيادة فرقة الطيران الخاصة أسندت إلى بادى مين وكان بها جديراً ، وهو لا يزال إلى اليوم قائدها .

وهو إرلندى ضخم الجسم ، مغضن الوجه ، وبطل من الهواة فى لعبة كرة الرجبى والملاكمة ، لطيف اللهجة حيى الابتسامة . وهو لا يعدّ قائداً فحسب ، بل أصبح مضرب الأمثال أيضاً . ويحب رجال هذه الفرقة التحدث عن قصة لوحة القيادة الطائرة من طراز مسنز شميت رقم ١٠٩ وهى الطائرة الأربعون التى دمرها الكولونيل جميعها فى ليلة واحدة فى مطار ألمانى .

وضع استرلنج آخر قنابله تحت الطائرة التاسعة والثلاثين ، ولم يكد يتحول إلى الطائرة الأربعين حتى شرع الألمان يطلقون رصاصهم كالجحيم ، فصعد استرلنج إلى داخلها ، وبقوة جبارة لا تتجلى إلا فى الأحوال الفذة ، انتزع اللوحة مستعيناً بيديه فحسب ، وأخذ يلوح بها فوق رأسه مفاخراً وهو يقود سيارته عائداً إلى مقره .

وظل الكولونيل مين يعمل أثناء غزو نورمندى وراء خطوط الألمان حول لومان ، وهو ملتقى مهم للمواصلات ، ولما سقطت شربورج تحولت فرقة الطيران الخاصة شمالا وشرقاً لتساعد فى التمهيد لهجوم مونتجمرى وباتون ، فخربت على خط باريس - آميان وحده ، وهو الخط المهم الذى يربط باريس بالساحل ، ٥٠ قطاراً ، ونسفت عدداً من القناطر ، وخربت المواصلات تخريباً تاماً .

وقد شكرهم مونتجمرى رسمياً فى شمال إفريقية ، ثم عاد وأثنى عليهم بعد معركة فرنسا ، وربما بذل إليهم الشكر مرة أخرى فى المستقبل ، فرجال بادى مين لا يزالون على دأبهم ، أمّا أين ؟ وكيف ؟ فقصة لم يأن بعد أوان روايتها .

حوادث مدهشة

لورد فردريك هاملتون
في كتاب "أبهة أمس البائدة"

حين كنت في مفوضية ريوده جانيرو ، ذهبت في أحد الأيام أزور زوجة القنصل في مدينة باهيا ، ملبسي البياض من الرأس إلى القدم ، وإذا المطر ينهمر فجأة — كما يحدث في المناطق الاستوائية — كأنما ينسكب من أفواه القرب . بلغت دار القنصل في حالة يرثى لها ، فأنبأني الساقي — وكان من جاميكا إحدى جزائر الهند الغربية — أن السيدات خرجن في نزهة ، وبعد أن ألقى نظرة على ملابسي الزرية قال : « أعطني الملابس يا سيدي ، فتغسل وتكوى في عشر دقائق قبل عودة السيدات » . فلما أكد لي أن ليس في الدار غيري وغيره ، تجردت من ملابسي وجلست في حجرة الاستقبال .

ومر الوقت ولم تعد ملابسي . وكان ينبغي لي أن أعلم أن مقاييس الزمن عند خادم زنجي من جاميكا ، هي مقاييس مطاطة . وإذا بي أسمع أصواتاً ، وأرى — ويا لهول ما رأيت — زوجة القنصل تدنو ومعها ابنتاها وسيدات أخر . فلم تعد هناك لحظة تضاع ، ولم يكن في حجرة الاستقبال الاستوائية ما أتزر به إلا غطاء مائدة من المخمل الذي طرزت حواشيه بالخرز ، فلم يبق لي إلا أن أنتزعه وألفه على بدني العاري ، وإذا السيدات يدخلن الحجرة فبينت لهن حرجي آسفاً لعجزي عن النهوض لتحيتهن ، وكذلك شربنا الشاي معاً .

ماري نايت
في فصل "مراسلة من باريس"

كنت واقفة مساء يوم في مدينة إنجليزية صغيرة تدعى ستريت ، مكبة على دليل « بيدكر » ، وإذا رجل إنجليزي يلبس المونوكل على إحدى عينيه ، يربت على كتفي ويقول : « اغفري لي تطفلي ، ولكن أتسمحين بأن أصحبك لترى مكاناً لن تجديه مذكوراً في دليلك ؟ » وحين قابلت نظرته الثابتة ابتسم ، ثم انقلب وجهه على غرة كأن حزناً لا يوصف قد شوه أساريره . فلم أقل شيئاً ، بل سرت إلى جانبه حتى وقف وقال هادئاً : « هو هذا » . وكان كنيسة سانت كاترين . لم يكن ثمة أحد ، وكان السكون سكوناً تدسيا ، فحدقت في القبة الفخمة والنوافذ الملونة ، ثم التفت لأبحث عن الرجل . . . كان واقفاً ورائي تماماً ، وكانت أصابعه الطويلة المخروطة تبدو في الأصيل كأنها براثن من الصلب ،

وقد أخذت تنقبض رويداً رويداً على كتفى قرب عنقى .

فذكرت شعاراً قديماً لنا فى أسرتنا : « لا تدع قط أحداً يظن أنك خائف » . فأخذت أربت فى رفق على البرثن القابض على كتفى اليمنى . وقلت : « إنى أدرك . ما أشق الأمر ! ولكنى أناشدك أن تصدقنى إن قلت لك إنى أدرك . إن عزيزة عليك ماتت منذ عهد قريب ، أليس الأمر كذلك ؟ وأنت تحب أن تجىء إلى هذا المكان لأن الجو كله سكينة . أشكر لك أنك جئت بى هنا . . . » .

وأحسست أن قبضته أخذت تسترخى رويداً رويداً ، نقلت وأنا لا أدرى أأستطيع أن أمسك ساقى عن التخاذل : « لقد تقدم بنا الوقت . أأمضى ؟ » .

فقال : « نعم .. كنت عزمت أن أخنقك ، ولو فعلت لكنت الخامسة ، ولكنى عدلت » .

ثم شهق ، وقال : « إذا رويت ما حدث ، أو حاولت أن تصفينى لأحد فإنى . . . » ثم سكت .

وهذه أول مرة أذكر فيها ما حدث .

[كتاب « مراسلون فى أنحاء الأرض »]



نفسية الجماهير

كنت بعد ظهر الأحد أنتظر صديقاً أمام مسرح توليدو ، فسمعت جنديين يتآمران على أن يلقى أحدهما قطعة نقد بنصف فرنك على الرصيف ، فإذا وقف أحد المارة وانحنى لالتقاطها صاحا به ، ووقفا يراقبانه وهو يتململ خجلا

وأخيراً لحظ أحد المارة قطعة النقد ، فالتفت إلى الجنديين الواقفين يتكلفان عدم المبالاة ، فابتسم وألقى قربها قطعة بربع ريال ، ومضى . فذهل الجنديان ، ولم يفيقا إلا والجمهور مندفع ، فثمة امرأة رأت الرجل يلقى ربع ريال فتبعته وألقت هى نقدها . وتبعها غيرها من المارة ، وإذا النقود كومة . ثم وصل صديقى فدخلنا المسرح .

وقد خرجنا من المسرح بعد ثلاث ساعات فوجدنا جمهوراً غفيراً محتشداً حول كومة النقود ، وكان الناس حينئذ يلقون عليها أوراق النقد علاوة على النقود المعدنية . وبعد خمس ساعات تدخل البوليس ، لأن الجمع المحتشد عرقل حركة المرور . فجمع الجنديان المال وعدوه فإذا هو ٧١٢ ريالا ، قدماها منحة لجمعية الصليب الأحمر .

[مسز ڤكتور جاورسكى]

أخي الذي كلّم الخيل



مورتن طمسون

ملخصة عن مجلة "ذي أميريكان ميركيوري"

ظل أخي ست سنوات منذ بلوغه العاشرة يلقب « لويس الحصان » ، فقدعاش بين الخيل وآكلها ، ودارت برأسه أحلام كأحلامها ، وصارت رائحته كرائحتها ،وكان يكلمها ويحادثها . ذلك كان سر « لويس الحصان » : كان يحادث الخيل وتحادثه .

وقد بدأ ذلك سنة أرسلناه بعيداً عنا إلى مدرسة قريبة من سان دييجو . وكانت المدرسة قد اشترت خيولها من قبيلة هندية مجاورة. وكانت هذه الخيول الهندية الصغيرة شُمُساً لم تروّض بعد . ولم يزد لويس على أن خرج إلى مسارح الخيل ومعه حبل وعدا خلف الفرس الذى اختاره ، وعاد بفرسه . ولا يعلم أحد كيف كان ذلك ، غير أنه دخل ساحة المدرسة وهو على صهوة فرس عُرْىٍ ، بادى الزهو يقوده بحبل . وحين بلغ الحادية عشرة ركب فرساً وقفز به حاجزاً ارتفاعه أربع أقدام ولم يكن عليه سرج ، وظل واقفاً على صهوته معتدل القامة .

وحدث ذات يوم حين كان فى الثانية عشرة أن ذهبت إلى كالينتى لمشاهدة السباق . وهناك صادفت لويس . كانت المدرسة فى عطلة ، فجاءت بالتلاميذ إلى ميدان السباق ليروّحوا عن أنفسهم ، فجعلوا يتراهنون على الخيل بحلواهم . وكانوا لا يعبأون باللوحةالتى تكتب عليها نسب المراهنات ، إذ كانت لهم طريقة فى المراهنة أعدل من هذه . فكان لويس يختار أولا أحد الخيول ثم يراهن التلاميذعلى أن يدفع لهم ٣½ مقابل ١ للحصان الذى ينتخبه إن خسر .

فسألته ساخراً : « وكم قطعة حلوى عليك للتلاميذ ؟ » .

فقال متعجباً : « لست مديناً بشىء ! » .

ثم ظهر أنهم كانوا مدينين له بـ ٢٧ قطعة وكان كل تلميذ مديناً له طيلة المدة الباقيةمن السنةالدراسية. وقال لى : إنه يختار دائماً الحصان السابق ، فسألته : أى حصان تفضل فى الشوط التالى ؟ فشق طريقه فى

مورتون طمسون أديب وقصصى ، وقد كتب هذه القطعة منذ سنتين عن أخيه لويس مارشال طمسون الذى قضى نحبه فى العام الماضى ، وهو تلميذ بمدرسة الطيران .

الزحام، وذهب إلى معرض الخيل فى الحلبة، فكلما مرّ به حصان نظر إليه نظرة المتسائل، وقد تلفتت إليه أربعة خيول واتلعت أعناقها، وسددت إليه نظراتها ثم همهمت له.

« الجواد رقم ٤ » قالها هادئاً غير حافل.

وكان الجواد ٤ سيدفع ١٢ ضعفاً، وقد فاز بالسباق. ثم بقيت ثلاثة أشواط. وكان « لويس الحصان » ينتخب لى الخيل فى كل شوط بأن يسألها فتجيبه، ثم أراهن. وقد عدت إلى بيتى وأنا أكاد أجن.

حاولت أن أهتدى إلى سرّ عجز هو عن تفسيره، أو عجز عن تفسيره تفسيراً يستقيم.

وإنه ليقول بسذاجة: « إنهم يخبروننى ».

« وماذا يقولون ؟ ».

« يثرثرون! يخبروننى عن حالتهم أسيئة هى أم جيدة، وكيف يكون جريهم فى الشوط، ويذكرون لى رأيهم فى راكبيهم، وفى المضمار، وفى بقية الخيل. ثرثرة كثيرة ».

كان ينبغى أن أرى ذلك بعينى. قلت لنفسى: « لو أسأت الظن بالفتى فهو كاذب متوهم، ولو أحسنته لظننته يؤمن بما يقول ». ولذلك استأذنت له المدرسة، وأخذته معى إلى « سانتا أنيتا ».

عدنا إلى معرض الخيل فى الحلبة فوقف بجوار الحاجز وقلت له: « فلتكلمهم الآن ». وكانت خيول الشوط ثمانية، فكلم ستة فردوا عليه بحمحمتهم. ثم التفت إلى وسألنى: « ألا تريد أن تعرف أيهم السابق ؟ هو الجواد ٣ ». نظرت إلى لوحة المراهنة فوجدت الجواد ٣ سيدفع ٨ أضعاف.

فسألته مرتاباً: « وكيف علمت ذلك؟ ».

فالتفت إلىّ وقد تجهم وجهه وقال: « ألم ترنى أسألهم ؟ ».

« وماذا قالوا ؟ ».

« قال الجواد ١ إنه يتلهف، غير أنه لا يحب راكبه. وقال الجواد ٢ إنه لا يمكن أن يربح. وقال الجواد ٣ إنه ثائر كالنار المشتعلة وإنه مستعد أن يسبق كل الجياد. وأما الجواد ٤ فإنه لا يبالى فاز أو خسر. وأما الجواد ٥ فظهره يؤلمه أشد الألم. ورقم ٦ يشعر أنه فى حالة جيدة غير أنه يعلم واثقاً أن الجواد ٣ سيتغلب عليه. وأما الباقيان فلا تبال بهما، جميعهم يقولون: « لا تكترث بالباقين فهما فى حال سيئة » ».

فغمزته بسبابتى وقلت له: « إن الجواد رقم ٥ كذاب. انظر إلى مشيته. إن ظهره سليم سلامة ظهرك ».

فسألنى لويس بسذاجة: « ولماذا يكذب؟ لقد قال إنه مريض فهو إذن مريض »

وقد فاز الجواد ٣ وسبق الخيل بمسافة طويلة، أما الجواد ٥ فتخاذل ونكس، ووصل النهاية وهو يعرج.

وفى ذلك اليوم اختار لى لويس الخيل السابقة فى ستة أشواط من ثمانية . وفى شوط واحد كان الجـواد الذى انتخبه المصلىّ (الثانى) فامتقع لون لويس من الغيظ .

فصاح : « هذه الحشرة القذرة ! هذا الراكب الدنىء ! هـذا اللص ! » وكانت الدموع تترقرق فى عينيه . فقد شد الراكب الجواد الذى اختاره ، ولم يكن لويس يراقب الخيل أثناء عدوها ، بل لبث ينظر بمنظار كبير إلى الراكبين منذ بدأ السباق .

أما الشوط الآخر فكان للخيول المبتدئة التى كانت فى الثانية من عمرها . وكان لويس يحب أن يكلم هذه الخيول الصغيرة غير أنه قال لى إنه لا يثق بها . فهى تبالغ فيما تقول . وهى صادقة حين تقول إنها ستفوز ، غير أنها لا تدرى لصغر سنها وغرارتها .

ولما جاء الصيف وكانت عطلة الدراسة ، واظبنا على الذهاب إلى ساتنا أنيتا كل يوم . وإنه ليعرونى الخجل حين أعترف بأن أرباحى فى نهاية السنة كانت هائلة . وكان لويس نفسه لا يهتم بالمراهنة بل لم يكن مغرماً إلا بمراقبة الخيل والدنو منها ومحادثتها .

وكثيراً ما كان يستيقظ فى الثالثة صباحاً ويلتمس الركوب فى سيارة عابرة لينتقل ٢٥ ميلا لا يريد غير الجلوس على سور المضمار فى بدء ساعة السباق الدقيقة . فقد كان يطمع أن يصير راكباً ، غـير أنه كان مشبوح العظام . ثم تمنى أن يصبح ممرناً ، فاستحضرت له الكتب وقدمتـه إلى أصحاب الجيـاد . ولو تيسر له أن يصير جواداً لفعل .

وإنى لأذكر يوم قال لجوك هوتنى : إن أحد خيوله سيفوز بالسباق التالى ، فسخر منـه جوك . وكان معدل دفع الجواد ٢٢ ضعفاً . ولـكن جوك آثر عليه جواداً آخر قال عنه لويس إنه جواد أعرج . فنظر جوك إلى الجواد مرة أخرى ، وأنعم النظر ، ثم التفت إلى لويس وقال له متعالياً : « إن هذا الجواد أسلم منك بدناً يا بنى » .

وقد فاز الجواد الذى دفع ٢٢ ضعفاً ، وأما ذلك الذى قال عنه لويس إنه أعرج فقد نكس ، وبلغ النهاية وهو يعرج .

وذات يوم طلب إلىّ المخرج السينمائى سـام وود أن أترك له لويس ، وسألنى أن أصحبه . فلما بلغنا معرض الخيل جعل سام يراقب لويس وهو يكلم الخيـل . ثم قال له لويس : « الجواد ٧ » . وهو الجواد سيرو الذى كان معدل ربحه ٣٠ ضعفاً ، فلم يخرج ذلك صاحبنا سام عن وقاره ، وتقدم إليه وشكره . وذهب إلى شباك التذاكر وراهن بمئة ريال ، وقد فاز سيرو . ولما ذهب سام ليصرف ربحه البالغ ثلاثة آلاف ريال أطبق الصمت على مقصورتنا ، إذ كنا ننظر إ!

لويس وهو ينظر بهدوء إلى الخيل الآيبة وهى تعدو خبباً إلى منصة المحكمين .

ثم اختار لويس الجواد ؛ فراهنا عليه وفاز ، وصرفنا نصيبنا من الربح ، ثم توالت بعد ذلك الأشواط وربحنا فى كل شوط .

ولم يشأ أن يختار أحد الخيول فى الشوط السادس وقال : « إن أى جواد يستطيع أن يفوز بالسباق ، فقد قالوا جميعاً إن فى وسعهم أن يفوزوا » . فتوسلنا إليه وألححنا فصاح : « لا أستطيع أن أخبركم فهم أنفسهم لا يعلمون » .

فراهنا حسبما تراءى لنا ، وخسرنا ، وفى الشوطين السابع والثامن جاءنا صديق يسرّ إلينا بنبأ يقين ! فتهالكنا على المراهنة وعدنا إلى بيوتنا مفلسين .

أما لويس فعاد راضياً ، فقد أمضى يوماً فى السباق ، وكلم بعض الجياد الفاخرة ، واستمتع برائحتها وأصواتها ومنظرها ومداعبتها . وهو لا يبالى بعد ذلك شيئاً .

هكذا صار لويس يلقب « لويس الحصان » .

ولما ترك المدرسة بكت الخيل ساعة رحيله ولا سيما جواده ، فقد رأيته يبكى حين دخل لويس الإصطبل وأخبره بعزمه على فراقه .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره كفّ فجأة عن محادثة الخيل ، وكفت الخيل عن محادثته فغمه ذلك بعض الغم .

وكنت أسمعه أحياناً يقول لها : « لا أدرى ماذا تقولين ! » . ولكننى أظن أنه كان حزيناً مبتئساً . ولقد رأيته بين الحين والحين وهو يحاول أن يسترد شيئاً مما كان له ، ولكنه كان يخفق دائماً ، وأخيراً نفض يديه من الأمر كله . وأظنه أحسّ بأنه قد كبر عن مثل ذلك ، غير أنه لم يزل فى وسعه أن يسير بين الجياد الغضاب الثائرة ويهدىء من ثورتها بأن يربت عليها بيده ، ويصيح فى وجوهها كالدجاجة ، وينظر إليها نظرة رقيقة . إنه يحب الجياد .

ولكنه لم يعد يكلمها أبداً ، وكذلك هى لم تعد تجيبه .

يدعون : عنتر ! والرماحُ كأنّها أشطان بئر فى لبان « الأدهم »
مازلت أرميهم بغرّة وجهه ولبانه حتى تسربل بالدم
فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان ، لو علم الكلام ، مكلمى

[عنتر بن شداد العبسى]

أُومن ..!

چون د. روكفلر • في إذاعة

• أومن بكرامة العمل ، عمل العقل وعمل اليد ، وبأن ليس لزاماً على العالم أن يكفل الرزق لأحد ، ولكن عليه أن يتيح لكل امرئ فرصة لكى يكسب رزقه .

• أومن بقيمة الفرد السامية ، وبحقه فى الحياة والحرية ونشدان السعادة .

• أومن بأن الحق والعدل ركنان لا غنى عنهما فى كل نظام اجتماعى ثابت .

• أومن بقدسية الوعد ، وأن كلمة الرجل ينبغى أن تكون كعهده المكتوب ، وأن الخلق وحده ، لا المال ولا السلطان ولا الوجاهة ، له قيمة لا تسامى .

• أومن بأن كل حق من الحقوق يقتضى تبعة ، وأن كل فرصة تقتضى التزاماً ، وأن كل امتلاك يقتضى واجباً .

• أومن بأن القانون وُجد من أجل الإنسان ، أما الإنسان فلم يوجد من أجل القانون ، وأن الحكومة خادم الشعب لا سيده .

• أومن بأن حسن التدبير ركن من أركان الحياة المنتظمة ، وأن الاقتصاد عنصر أساسى فى كل بنيان مالى سليم — فى الحكومة والأعمال والحياة الخاصة .

• أومن بأن إسداء العمل النافع واجب على البشر جميعاً ، وأن أدران الأنانية لا تبيدها إلا نيران التضحية المطهرة التى تحرر عظمة النفس البشرية من قيودها .

• أومن بربٍّ حكيم رحيم ، وأومن أن إدراك المرء أقصى مناه وأصدق سعادته وأعظم نفعه ، إنما يكون حين يعيش فى طاعة الله .

• أومن بأن الحب أعظم ما فى الدنيا ، وأنه هو دون غيره يستطيع أن يقهر البغض ، وأن الحق يستطيع أن يقهر القوة ، وسيقهرها .

بلد المتناقضات

يصفون رئيس جمهورية كوبا الجديد بانه «عالم» وأنه « حالم » ولكنه ينجز ما يحتاج إليه الشعب



ج . پ . ماك ايفوى

ملخصة عن
مجلة " ستردای ایفننج بوست "

احتفل منذ سنتين فى هافانا بإحياء ذكرى ٤ يوليو — موكب ، وخطاب بليغ ألقاه الرئيس باتستا ، ورد كريم من مستر بريدن سفير الولايات المتحدة ، وعرض عسكرى يأخذ بالأبصار . فيوم ٤ يوليو ، يوم استقلال أمريكا ، هو يوم عيد فى كوبا لأن الكوبيين يعلمون أن استقلالهم وليد استقلال أمريكا ، فهم يشكرون فضل الأمريكيين بالأمس ، ويبقون على مودتهم اليوم .

وعلى بضعة أميال من حيث يبدأ الموكب ، ركب رجل سيارة قديمة بسيطة ، واتخذ طريقه فى الشارع المؤدى إلى موقف الاستعراض ، ولكن سيارته تعطلت فى الطريق على مسافة ميل أو نحو ميل من وجهته ، فترجّل ليقطع بقية المسافة على قدميه . وبدأ الناس يتبعونه ، وكلما تقدم زاد عدد من يتبعه . وكان يبدو لمن لا يعرفه رجلا وجيهاً عالماً ، شديد الحياء ، رقيق الأخلاق ، قد خرج يتمشى ، ولكن الجماهير التى جعلت تتدفق خلفه من الشوارع والأزقة كانت تنظر إليه نظرة الإكبار والإعجاب ، ثم أخذت تهتف : « ليحيى جراو ! ليحيى جراو ! » . وحين وصلوا إلى موقف الاستعراض كان هذا الهتاف وهذا الموكب المرتجل من عامة الشعب ، قد طغى على الاحتفال الرسمى وجعله يبدو ضئيلا بجانبه .

وفى سنة ١٩٤٤ كان ثمة احتفال آخر بيوم ٤ يوليو ، وكان فى مقدمة الموكب الرسمى ، مع الرئيس باتستا والسفير بريدن ذلك الرجل حبيب الجماهير ، ولكنه لم يكن فرداً من الناس حينذاك بل كان الرجل الذى اختاره الشعب للرياسة . فقد ثار الشعب ثورة لم يرق فيها دم لانتخاب الدكتور رامون جراو سان مارتن ، وردّوا إليه

سلطانه — فهو الرجل الذى استطاع ، فى أربعة شهور قصيرة من رياسته منذ إحدى عشرة سنة ، أن يجعل قوانين البلاد أوسع حرية ، وأن يصلح من حال عامة الشعب أكثر مما فعل أى كوبى آخر .

والكوبيون أهل دعابة وبصر بأساليب الحياة، فتراهم يفخرون بأن يسمّوا جزيرتهم الجميلة : بلد المتناقضات . ويريدون بذلك أن لا يدهش أحد لأى شئ قد يقع فى جنتهم التى تجمع بين النقائض . ويكاد أهل الجزيرة كلهم يكونون من السياسيين ، ولكن كوبا على الرغم من ذلك لم تنتخب أحداً من السياسيين لمنصب الرياسة، ولكنها انتخبت أستاذاً فى وظائف الأعضاء والأمراض الباطنية .

ولقد قيل للكوبيين وقالوا هم لأنفسهم إنهم فى حاجة إلى يد عسكرية قوية تحكمهم فالعجب العاجب أنهم آثروا بعد ذلك أن يحكمهم رجل عالم مفكر .

والذين لا يعرفون الدكتور جراو يدعونه خياليا وحالما ومتصوفاً ، ولا يدع لحديثه العذب . ورقة حاشيته لا يدلان على ما انطوى عليه من قوة عزم وشدة مراس لا يعرفهما فيه إلا الأقربون . ويشهد له جيل من مَهَرة الأطباء الذين تلقوا عنه العلم أنه ذو عقل علمى منظم ، وأنه يصر إصراراً بالغاً على طهارة الذمة والكفاية الفنية . سيقولون لك إنه « رئيس شديد الوطأة » ثم يذكرون لك فى زهو وفخار ملاحظته الساخرة المأثورة حين يسقط من يقصرون فى الامتحان : « أتريدون أن تكونوا أطباء أم قتلة ؟ » .

وجراو هذا الذى يدعون أنه « حالم غير عملى » نجح نجاحاً باهراً فى صناعته، فقد كان من أعظم أطباء كوبا توفيقا ، وكانت عيادته الخاصة تدر عليه ما يربى على ٥٠٫٠٠٠ ريال فى السنة ، كان ينزل عن معظمها فى كفاحه فى سبيل الإصلاح ، ويحاضر فى الجامعة فى الصباح ، ويجعل من منزله فى المساء عيادة بالمجان لمن يبتغون مشورته فى أمر من أمورهم الخاصة أو السياسية . قيل له مرة إنه شيوعى فكان جوابه: « إن رجلا يملك ربع مليون من الريالات كسبها بجده وكده لا يمكن أن يكون شيوعيا » ، ثم أردف قائلا: « ليس لزاما علىّ أن أكون شيوعيا حتى أومن بأن العامل ينبغى أن يتقاضى أجراً يكفيه ليعيش كإنسان لا كحيوان » .

وحق الانتخاب فى كوبا إجبارى يشمل الرجال والنساء ، وقد يحكم عليك بغرامة إذا لم تعط صوتك فى الانتخاب . وفى يوم الانتخاب فى يونيو الماضى انهالت أكثرية الأصوات على جراو من جميع أرجاء

الجـزيرة . وكان الدكتور كارلوس سالادريجـاس المرشح المنهزم مؤيداً من حكومة باتستا، ومن الجيش والبحرية، ومن كبار رجال الأعمال، ومن الشيوعيين والطبقة الرائية، وهو خليط غريب حقا ! أما جراو فلم يؤيده سوى عامة الشعب !

كان الناس يعلمون أن الدكتور جراو يفكر فى خيرهم، وكان خطيبه البليغ السناتور إيدى شيباس يشن وحـده حرباً من الكلام فى الصحف والمجلات اختتمها بدعاية انتخابية قوية أذاعها بالراديو . وشيباس هذا كان زعيما منذ ١٥ سنة على نفر من طلبة الجامعة الثائرين ، واقتحم بهم الفصل الذى كان الدكتور جراو يحاضر فيه . وقالت لجنة الثائرين إنها تبغى تأييد جميع الطلبـة والأساتذة فى مقاومة طغيان الرئيس ماخادو فقال لهم جراو : « هذه الحصة حصتى أفعل بها ما أشاء . سيروا على بركة الله » .

وأقنعت اللجنة الطلبة ، وأهم من ذلك أنها أقنعت جراو أيضاً ، وكان قد أصبح رأس الحركة الثائرة ضـد حكم ماخادو . وقضى جراو سنة فى السجن معتقلا سياسيا فى جزيرة الصنوبر ، على أنه فر فى الوقت المناسب واشترك فى حكومة الثائرين التى انتزعت الحكم بعد فرار ماخادو .

وتاريخ تلك الأيام الصاخبة تاريخ دام أسود ، فقد اندفعت كوبا بعد أن ارتفعت عنها يد ماخادو الحديدية فى سلسـلة عنيفة من أعمال القتل والثأر والإحراق والسلب والنهب . وانتهز باتستا — وكان يومئذ جاويشاً غير معروف فى الجيش — الفرصة ، فقام فى نفر من زملائه فى الجيش بثورة انتزع بها مقاليد السلطة على الجيش ، واتخذه قوة بوليس فى كبح جماح الكوبيين وإخضاعهم لبعض النظام .

وبعد ذلك بأسابيع اختير الدكتور جراو ، وهو أحد أعضاء لجنة الثائرين المؤلفـة من خمسة ينتخبهم الجند والطلبة ، ليقوم بعمل الرئيس حتى تهدأ البلاد ويتم فيها انتخاب قانونى . وكان ذلك فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٣

وفى الأيام المئة التاليـة حلق « حالم » كوبا مصعّداً فى سمـاء الخيال والأحلام مجتـازاً كل غاية معروفة ، وجاوز ذلك فكتب أحلامه جميعاً فى سجلات قوانين البلاد على أنها قرارات رسميـة لم تجرؤ أية حكومة لاحقة على إلغائها .

فقد منح كوبا أول قانون انتخابى، وأول قانون للاحصاء، وحق النساء فى الانتخاب، وأول قانون يسمح باستخدام النسـاء فى الوظائف العامة . ونصت قوانينه الزراعية على إقامة المنازل الريفيـة ، وإعادة توزيع الملكيات الزراعيـة الكبيرة بين صغار

الزراع . وتضمنت قوانينه الاجتماعية إنشاء أول وزارة للعمل ، وتحديد أقصى ساعات العمل بثمانى ساعات فى اليوم ، وتحديد أدنى حد للأجور ، وتحديد ساعات العمل فى الأسبوع بأربع وأربعين ساعة ، وتعويض العمال ، والتحكيم الإجبارى ، وحماية العمال من الحجز على أجورهم ، وقانون لمنع الربا ، وقرر تقديم وجبة الإفطار بالمجان فى المدارس ، وتوفير المرضين والممرضات للشعب ، والمساكن للفقراء ، ودخول الجامعة للملقين من الطلاب ، وزيادة مرتبات المدرسين جميعاً .

ولم تعترف الولايات المتحدة بحكومة جراو . وكان أول عمل رسمى عمله أنه ندد « بنصوص بلات » التى جعلت لحكومة الولايات المتحدة حق التدخل بالقوة المسلحة إذا اقتضى الأمر لحفظ النظام فى أى وقت كان . ومن جراء ذلك وصف جراو بأنه عدو الأمريكيين ، أما جراو فقد صرح بأنه ليس إلا عدواً للاستعمار ، وأن الأمريكيين أنفسهم سوف يقرون موقفه يوماً من الأيام . وبعد انقضاء سنة — وكان جراو قد أقصى عن الحكم — وافقت حكومة الولايات المتحدة على مبدأ جراو وألغيت النصوص .

كذلك أثار جراو عداوة الأمريكيين وغيرهم من الأجانب بتقريره قانون الخمسين فى المئة ، الذى يحتم على جميع الشركات التى تعمل فى كوبا أن تستخدم من الكوبيين عدداً يستنفد نصف المرتبات التى تدفعها هذه الشركات .

وأخيراً ، وكانت سفن الولايات المتحدة الحربية راسية فى مياه كوبا ، نذيراً قائماً بالتدخل المسلح ، ولا أمل فى اعتراف الولايات المتحدة بما يريده ، خضع جراو لما ليس منه بد ، وفى ١٤ يناير سنة ١٩٣٤ خرج فى هدوء من قصر الحكومة إلى منزله وترك تعيين خلفه للجاويش باتستا .

وكان باتستا يدير الحكم فى كوبا كما تدار معارض الدُّمى المتحركة ، فقد كان يحرك الأسلاك خلف الستار فى حين يمر على المسرح أمام أعين الشعب موكب من الدمى خلع على كل منها لقب « رئيس الجمهورية » . ولما ملّ باتستا السلطان المجرد من مجد الحكم وأبهته ، ترك الجيش منذ أربع سنين ورشح نفسه لرياسة الجمهورية . فترك جراو حياته الهادئة ورشح نفسه ضد باتستا . وسيقول لك الكوبيون إن جراو نال أغلبية الأصوات ، ولكن الوثائق الرسمية تدل على أن باتستا نال رياسة الجمهورية . على أن الأمر فى سنة ١٩٤٤ كان يستلزم جيشاً من السحرة لإخفاء أغلبية جراو .

وكسب الدكتور جراو الحرب ، ولكن لم يزل أمامه أشق عمل يعمله ، وهو أن يكسب السلم . فكوبا بلد صغير ، ولكنه مبتلى بجميع متاعب البلاد الكبيرة ، ويزيدها تعقيداً المصالح الخاصة المتضاربة : فليس بها ما يكفى من الطرق المعبدة ، ولا من المدارس والمدرسين ، ولا تزال أحوال الرعاية الصحية فيها على الفطرة ، وعمل الحكومة فيها تنقصه الكفاية ، وتشيع فيها السياسة الحزبية حتى تفشّت حرب العصابات بين الأحزاب ، وهى تعتمد على محصول واحد فى نظامها الاقتصادى ، وتنذر علاقات العمال بأصحاب العمل بالخطر الداهم ، كما تقوم فيها طائفة عادية من الشيوعيين . ويتخلل جميع ذلك الرشوة ، وهى ما يدعوه الكوبيون « بالشيفو » أو الماعز .

ويقول الكوبيون ساخرين : إن ثمة صناعتين فى جزيرتهم — صناعة السكر ، وصناعة الميزانية . « ولكن هناك — كما قال لى الدكتور جراو بعد انتخابه — صناعة ثالثة ، أكبر وأعظم هى « الرشوة » ثم أضاف إلى ذلك قوله : « ليس فى كوبا من المساوئ ما تعجز عن إصلاحه حكومة نزيهة مخلصة ، فإن النزاهة فى المناصب العليا تنساب متحدرة حتى تصل إلى عامة الشعب » .

وبعد ذلك بأيام أعلن خطيبه إدى شيباس فى الراديو أن الدكتور جراو سيستصدر إشهاداً رسمياً بممتلكاته وأمواله قبل دخوله الرياسة ، وكذلك سيفعل كل عضو من أعضاء وزارته .

ويقول الكوبيون أنفسهم عما جبلوا عليه من غلبة المتناقضات عليهم ، إنهم مبتلون بأرض غاية فى الخصوبة ، وجو غاية فى الصفاء ، وعمال غاية فى الكثرة ، وسوق غاية فى القرب ، حتى إنهم دائماً بين اثنتين : إما أن يتردَّوْا فى الإفلاس ، وإما أن يجهدوا فى الخلاص منه . وتستطيع كوبا أن تنتج من الطعام ما يكفى لإطعام أهلها ويبقى الكثير لديها للتصدير ، ولكنها تتمسك بنظام اقتصادى قائم على محصول واحد هو قصب السكر ، وهى مقيدة إلى مشتر واحد لا تستطيع الخلاص منه هو الولايات المتحدة . والجزيرة إلى ذلك يسكنها قوم من الفلاحين ليس لهم مزارع ، ولا يفعل معظمهم أكثر من التحلق حول مصانع السكر المئة والخمسين القائمة فى كوبا . ولما لم تكن لهم أرض ، كانت الزراعة لا تهمهم حتى ولا من ناحية إنتاج طعامهم . كذلك لما لم تكن لهم بيوت ، فإنهم لا يهتمون بأن يحافظوا على أكواخهم الزرية التى يغطيها سعف النخيل لتكون فى حال حسنة .

وزراع قصب السكر الكوبيون ليسوا فى الواقع زراعا ، بل هم عمال مصانع يعيشون على الأرض دون أن يمتوا إليها بأصل أو سبب ، ويتوقف معاشهم على مصانع تقفل أبوابها من ثمانية شهور إلى تسعة فى السنة . وهذا أسوأ التناقضات فى كوبا — جمهورية من شعب حر سياسياً، ولكنها تقوم على نظام اقتصادى من الرّق يتصل بعصور الإقطاع.

ولقد واجه الدكتور جراو متاعب كثيرة حين أراد أن يحل هذه المشكلات فى مدة رياسته القصيرة الأولى .

ولا عجب أن يذرّ قرن هذه المتاعب ثانية . ولعل أعنف الحملات هى حملات الشيوعيين ، وعددهم قليل ، ولكن فى زعمائهم زكانة وجرأة ، وهم يعملون يداً واحدة لتنفيذ برنامج بسيط لا تعقيد فيه هو : (١) أن تكون لهم السلطة على العمال وجماعاتهم المنظمة . (٢) أن يستخدموا هذه القوة فى انتزاع السلطة الاقتصادية والسياسية.

بيد أن الدكتور جراو يفهم كوبا كما يفهمها كوبى حكيم عاش طوال حياته فى تلك البلاد . وهو يفهم الكوبيين كما يفهم طبيب الأسرة المدرب الحصيف أدواء مرضاه فى الأسرة . ولعل بساطته توهم خطأً أنه سهل الانقياد ، كما أن استعداده لسماع كل شكوى يؤول إلى أنه تردد ، وينسى الناس أن الطبيب العظيم يعلم جميع ما يريده عنك بالاستماع الدقيق إليك . ويدل تاريخ الدكتور جراو على أنه لم يتزحزح مرة عن موقفه أو يتراجع مرة عن النضال، وغير محتمل أن يفعل ذلك الآن .

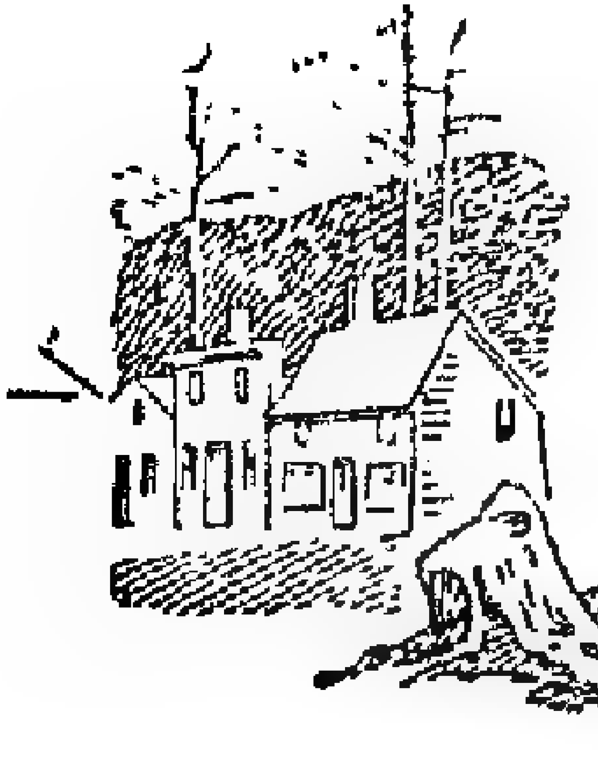


الجواب غير المنتظر

حين طبق نظام الجراية على اللحم ، بعث فلاح إلى اللجنة المشرفة على النظام ، ينبئها بأن عنده من لحم البقر بضع مئات من الأرطال مخزونة فى داره . فجاءه خطاب من اللجنة يسأله لماذا خزن مثل هـذا القدر الكبير من اللحم فردّ : «كان لا بُدّ لى من أن أقتل الثور كله مرّة واحدة » .

[ج . كلارك فى « كورونت »]

نهض سكان مدينة « إلما » بولاية وشنطون نهضة رجل واحد وقرروا أن ينقذوا مدينتهم . . . .



كيف تذود أشباح الفاقة عن المدن

ملخصة عن كتاب سينشر قريبًا بعنوان " رجال يعملون "

ستيوارت تشيس

ما هى المدينة التى تسكنها الأشباح ؟ هى تلك التى كانت بها وسيلة لكسب العيش ثم زالت على نحو ما .

لقد تناثرت مدن الأشباح فى أرض أمريكا تبعاً لما استنفده سكانها من أحد مواردها — غابات ، ومصايد أسماك ، ومراع ، ومعادن ، وآبار نفط ، ومياه .

ويحدث أحياناً أن تحزم صناعة متاعها وترحل بقضها وقضيضها ! لقد رأت بعض المدن فى ولايات نيو إنجلند ما فيها من مصانع القطن تنتقل إلى الجنوب ، أو ما فيها من مصانع الأحذية ترتحل إلى الغرب . إن عصر القوة المحركة يستطيع أن يجعل المدن تنقلب مسكناً للأشباح بسرعة فائقة.

فماذا ينتظر أن يكون مصير العدد العظيم من تلك الجماعات التى ضخمتها صناعات الحرب الآن حين ينضب المعين الذى تدفع منه أجورها ؟ ماذا تستطيع مدينة ما أن تفعل بأشباح الفاقة التى تهددها ؟

إن أحد طرق العلاج هو أن تفعل ما فعلته مدينة « إلما » بولاية وشنطون . لم تكن «إلما» قط من مدن الأشباح ، ولكن الأشباح كانت تكتنفها وهى فى وسط مظاهر الرخاء ، فذادتها وشتتت شملها . ولقد اخترع أهل هذه المدينة اختراعاً اجتماعياً جديداً ، يمكن أن يطبق فى أماكن كثيرة أخرى .

فى حديقة « إد ستامبر » الخلفية فى مدينة « إلما » شجرة من أشجار الشربين الضخمة ، وهى شجرة ماردة يبلغ ارتفاعها مئتى قدم من تلك الأشجار البواسق التى تغطى الجهة الشمالية الغربية من ولاية وشنطون . لم يحص أحد قط أو لم يكن يستطيع أن يحصى عدة هذه الأشجار . ولقد أمرّ « إد » إبهامه على حد فأسه وبدأ يضرب به ، فبنى لنفسه كوخاً ومطبخاً ومخزناً لخشب الحريق بعض خشب شجرته ثم قطع ٣٠٠ قضيب كالذى يستعمل فى عمل الحواجز ، طول كل منها ١٠ أقدام ، وصنع ٣٣٤ عارضة من التى تمد عليها وتثبت بها قضبان السكة الحديدية ، ثم نشر ٥٠ لوحاً ، عرض كل منها ست بوصات وسمكه بوصتان ، وكوّم أثناء عمله ١٥ حزمة من خشب الحريق فى مخزنه

الجيد ، وباع قشر الشجرة بمبلغ ١٢ ريالا ، وبقى لديه جزء كبير من تلك الشجرة .

نشرت جريدة « إلما كرونيكل » هذا النبأ فى سنة ١٨٩٩ ، وكان فى منطقة « إلما » حينئذ من الخشب غير المقطوع ما مساحته ستة آلاف مليون قدم .

وبدأت آلات أول مصنع لنشر الخشب تهدر فى سنة ١٨٩٠ ، فلم تمض عشر سنوات حتى كانت هناك عشرة مصانع كبيرة تشق الخشب وتنشره . وكانت آلات هذه المصانع تقطع الخشب بلا هوادة ، متخيرة أحسن الأشجار ، ونابذة غيرها لتلقى إلى النار . ولِمَ لا ؟ أليس شجر الغابة شيئاً « لا ينفد ! » .

تحولت « إلما » تلك المحلة الصغيرة ، تدريجاً حتى غدت مجتمعاً محكم التنظيم ، واثقاً من استقراره ومن مستقبله .

ولم تأت سنة ١٩١٠ حتى كانت الأشجار فى ٣٨ فى المئة من منطقة « إلما » قد قطعت ، وكان فى وسع أى تلميذ يومئذ أن يرسم خطاً بيانياً يدل على السنة التى تحوّم فيها الأشباح على المدينة . ولكن لم يفعل ذلك أحد لا من الولدان ولا من الرجال .

وهكذا أطبقت الأشباح على إلما فى سنة ١٩٣٨ . فلم يبق فيها من ١٥٣٫٠٠٠ فدان من الغابات الباسقة الأشجار التى لم تمس ، إلا ١١٫٠٠٠ فدان . وقد ارتحلت مصانع مالون التى كان رزقاً لما يزيد عن ثلث سكان المدينة . فمتى يرحل المصنع الباقى ، وماذا يفعل الناس يومئذ ؟ إن أكثر من ألف حرفة كانت تعتمد على هذه الغابة التى أخذت تتقلص .

لم يعد غرب الولايات المتحدة بقعة فيها مدن متناثرة تهدر آلات مناشرها ، بل مدن ينعق فيها البوم . أفهذا مصير « إلما » أيضاً أن تصبح ذكرى وحسب ؟ إن فى تلك المنطقة ستة آلاف من الرجال والنساء والأطفال من خيار الأمريكيين ، والثلثان منهم يملكون دورهم . فماذا عساهم يصنعون ؟

دعت الغرفة التجارية فى المدينة إلى اجتماع حضره كبار القوم فى المنطقة ، وقرر المجتمعون أن يلجأوا إلى مجلس تنظيم الولاية ، فهو إنما أنشئ لمثل هذا . فتبين المجلس فى حالة مدينة « إلما » فرصة لإقرار سابقة وتنفيذ خطة لإنعاش عدد من المدن تعتمد اعتماد « إلما » على الغابات التى أخذت تتضاءل .

أترى أهل « إلما » درسوا حاجات مدينتهم ، ومواردهم الطبيعية ، وعاداتهم الاقتصادية ، ومستوى معيشتهم ؟ أتراهم عرفوا أنواع تربة أرضهم وخير المحصولات التى تجود فيها ؟ أتراهم عرفوا حقيقة مصير الغابات على مرور الزمن ؟ وماذا تراهم يعلمون عن مواقع المعادن ، وموارد المياه ؟

وهل تصلح منطقتهم مكاناً للنزهة أو لصيد السمك أو للقنص ؟ وماذا أعدوا للمدارس، ومرافق الخدمة العامة، وأسباب العناية الطبية؟

كلا ، وقليل ما عرفوا عن مثل هذه الأشياء .

فتساءل المجلس : فلم إذن لا نستطلع حقيقة هذا كله ؟

وقال المجلس : إذا كان البحث يستحق شيئاً من العناية ، فيجب أن نلم بالقضية كلها لا بما يسرّ منها وحسب ، ويجب أن يتم الجزء الأكبر من العمل تطوعاً، وأن ينهض به أهل المدينة أنفسهم . فإنه إذا كان قد قدر لإلما أن تنقذ، فعلى أهلها أنفسهم أن ينقذوها .

وهكذا تألفت لجنة محلية من ٢١ عضواً توجّهها هيئة مؤلفة من ثلاثة أعضاء لتنفيذ مقترحات المجلس .

حقاً لقد أفزع الناس إقفال مصانع خشب « مالون » ، فما كادت اللجنة تطلب المساعدة حتى لباها الأهلون ، فأجاب ثمانون في المئة من الأسر عما حفلت به نشرة وزعت عليها ، فيها أسئلة مفصلة خاصة ، كشفوا بها أسرار دخلهم وممتلكاتهم .

ونجح المدرسون في تحريك عناية تلاميذهم . ويعد المجلس هذه اليقظة في نفوس النشء أعظم ما أنتجه العمل . إن هؤلاء التلاميذ الصغار أثاروا في حالات كثيرة عناية آبائهم القانطين .

ودرب فريق مؤلف من ١٢٠ من طلبة المدارس تدريباً خاصاً لتوزيع نشرات الأسئلة ، ولمساعدة الأهلين في الإجابة حين يحتاجون إلى المساعدة . فقد كان بعض الأسئلة دقيقاً كل الدقة ، وكان على هؤلاء التلاميذ أن يطوفوا بالناس ، بالسيارة أو بالدراجة أو على أقدامهم في منطقة مساحتها ٢٥٠ ميلا مربعاً ، وأن يسلموا النشرة ، وهي أربع صفحات ، إلى ١٦٠٠ أسرة . وجمعت الإجابات بلا توقيع في صناديق الانتخاب المختومة بالشمع .

ودرب فريق آخر من الطلاب على مسح الأرض لمعرفة ما تصلح له ، وكانت المعلومات التي يجمعونها تسجل على مصور جغرافي خاص . فغدت نشرات الأسئلة والمصور الجغرافي مرجعاً عظيما خطير الشأن للدراسة المطلوبة . ولقد بدأ الصغار الذين اضطلعوا بهذا العمل يعرفون من مدينتهم ما لم يعرفه قط أي مرتاد أو والد أو موظف .

كان هناك ولا ريب كثير من المعلومات عن « إلما » في بطون المطبوعات ، ولكنها كانت مبعثرة في تقارير إحصاء السكان ، وفي أعمال مصلحة الغابات ، وفي سجلات الحكومة ، وفي ملفات عمال الإدارة في الجهات المختلفة ، ونشرات المطر ، وتقارير

فيضان الأنهار — كانت مبعثرة فى كل مكان فجمع المجلس هـذه المعـلومات ، ونسق الشذرات المتناثرة فى مجموعة مرتبة ، وبـيّن ما كان ينقص هذه الدراسـة . وفى هذا يقول المجلس : إنه هو العمل العظيم الثانى فى هذه الدراسة — أى جمع هذا المقدار من المعلومات المفيدة التى يمكن أن تستفيد منها أية مدينة فى البلاد ، إذا عنى أحد بتجميعها.

وقد أعادت حكومة الولايات دراسـة طبقات أرض المنطقة . دراسة المعلومات الخاصة بمجارى الأنهار، وبسقوط الأمطار، وبمراقبة الفيضان . وقد وضعت مصلحة المحافظة على تربة الولايات المتحدة ، بمعونة أصحاب المزارع ، خريطة للتربة ، اتضح منها أن كثيرين من مزارعى « إلما » كانوا يحاولون زرع محصولات فى أرض جرداء ، على حين كانوا يهملون بعض أنواع التربة الجيدة الممتازة . وقد دلت دراسة منتجات الألبان من ماشية « إلما » أن حالتها سيئة ، وهكذا مضت الدراسـة ، وقد ضمنت النتائج فى التقرير الخاص بها .

والفصل الخاص بالغابات فى التقرير هو أخطر فصوله شأناً فيما يخص « إلما »، وقد جاء فيه: « إن إلما ستبقى دائماً منطقة غابات ، فقد كانت أربعة أخماس مساحتها البالغـة ٢٥٠ ميلا مربعاً قد أعدتها الطبيعة لإنبات الأشجار الباسقة ، فتربة المنطقة وأمطارها وشكل سطحها ، مهيأة جميعاً لهذه الأشجار وأما الأراضى التى تصلح تربتها للزراعة فمحدودة ، وأما نشوء الصناعات الكبرى الجديدة فبعيد الاحتمال . فلا بد إذن أن تحاط الغابات بالعناية إذا كان قد قدر « لإلما » أن تبقى محتفظة بعدد سكانها الراهن » .

وجاء فى التقرير : « إذا عولج الأمر بحكمة أعظم ، فمن الممكن أن تغل منطقة الغابات دخلا أكبر بكثير مما تغل ، وأن تغله إلى الأبد . إن صناعات « إلما » يجب أن تعنى أولا بإعداد الخشب . ففكرة « إد ستامبر » فى سنة ١٨٨٩ كانت الفكرة الصائبة — أى استعمال الشجرة كلها » .

ولا يصلح للزراعة من أرض المنطقة إلا خمسها ، ولكن المزارعين يستطيعون أن يسدوا يداً أعظم إلى رخاء المدينة ، بتحسين ما شيتهم ، وبالرى ، وباستنبات المحصولات المناسبة للتربة الطبيعية . وقد كانت طائفة كبيرة من الأسر تعد الزراعة عملا يستغرق بعض الوقت وحسب ، فأمام الفلاحين فرصة فائقة لكى يضاعفوا دخلهم، باستخدام أحدث الطرق الزراعية ، وببذل غاية جهدهم .

ولكن لابد لذلك من التعاون . خذ مثلا نبات الشليك ، وهو محصول تفخر به إلما : إن المزارع الصغير لا يستطيع أن

يفعل شيئاً كبيراً لو مضى وحده فى زراعته، ولكن إذا أنشئت جمعية تعاونية ووضعت نظاماً لنقل المحصول بالسيارات، وقررت له رتباً، وأسست مصنعاً لتعبئته وحفظه فى علب من الصفيح، وفتحت له سوقاً فى مدينتى «تاكوما» و «ستيل» المجاورتين، وإذا بذلت المعاونه الفنية للمزارعين فى العناية بهذا النبات المتعب وتغذيته، فربما صنعت الأعاجيب. وعسى أن تكون الجمعيات التعاونيـة مفيدة أيضاً فى إيجاد أسـواق للطيور، وللحوم الأبقار، ولشجيرات عيد الميـلاد، ولقشور أشجار الـكاسكارا، وأشياء كثيرة أخرى.

ومما أوصى به التقرير أن تجعل «إلما» مركزاً للترويح عن النفس، لصيد السمك والقنص والملاحة بالزوارق والسباحة، والرحلات على الأقدام وبالسيارات، فمناظرها الطبيعية رائعة، وهى لا تبعد عن المحيط الهادى إلا بضعة أميال.

وماذا كشفت عنه نشرة الأسئلة من رغبات الناس؟ لقد اتضح أن أكثر الذين يعيشون فى القرى التى بها مصانع الخشب كانوا يريدون أن يهاجروا منها، وأن نصف الذين يعيشون فى مدينـة إلما كانوا يريدون أن يعيشوا فى المزارع، أو فى بيوت تحيط بها الحدائق. وهذا اتجاه قومى عام نحو ما يسمى «مزرعة الغسق» وهى طراز من المزارع يعنى بها أصحابها عند الغسق بعد عودتهم من عملهم فى مدينة أو مصنع.

ولـكن التقرير يقول إنه إذا كان أهل إلما يريدون ذلك النسق من الحياة، فلابد أن يعـدوا العدة له. يجب أن يعاونوا على أن تستمر مصانع الخشب فى عملها بتحسين استغلال الغابات من ناحية، وضبط طرائقهم الزراعيـة من ناحية أخرى. ويجب أن يمتنعوا عن أن ينشروا مساكنهم فوق التلال البعيدة، لما يقتضى ذلك من نفقات فادحة يتطلبها إنشاء الطرق والمدارس، ومد أنابيب المياه، وأسلاك القوة المحركة، وغيرها من المرافق. وخير لهم، أن ينشئوا مدينة حدائق — «جاردن ستى» — أي مدينة مؤسسة للسكن، لا لجنى الربح من المضاربة.

وقد جنت إلما فائدة حقيقية من التقرير، فالأطفال بدأوا يتخذونه كتاباً يدرس، توطئة للتعمق فى دراسة تاريخ أمتهم، وقارتهم، وعالمهم وشئونها الاقتصادية والجغرافيـة، ذلك أن الشباب هم الذين سينقذون «إلما» فأى إعداد خير من هذا الاعداد يمكن أن يهيئهم لذلك الواجب؟

اشترت المدرسـة الثانوية غابة مساحتها ٢٥٠ فداناً جعلتها مدرسـة يدرب فيها التلاميذ تدريباً عملياً. وفى سـنة ١٩٤١ زرع هؤلاء التلاميذ ٥٠٠٠ شجرة، بينها

٢٠٠٠ من أشجار الكاسكارا . وفى الوقت نفسه زرعت الحكومة المركزية ٢٥ مليوناً من النقائل (شتل الزرع) .

وأسست شركة خشب « ويرهاوزر » التعاونيــة ، مزرعة أشـجار مساحتها ١٢٠٫٠٠٠ فدان ، وضعت نظاماً لحمايتها حتى يمكن أن تستغل أخشابها استغلالا مستديماً . وزرعت أراضى أخرى صالحة لأشجار الخشب على مثل هذا الأساس .

وقد ألف المزارعون وصغار الملاك جمعية تعاونية للبحث عن أسواق لمنتجاتهم الخشبية. واستأجروا خبيراً مدرباً فى زراعة الغابات ليعلمهم كيف يجعلون الأشجار رفيعة عالية ، وكيف يصنفون ضروب الأخشاب وقشورها ولبابها ، لكى يظفروا بأحسن الأسـعار فى السوق .

وأسفرت جهود جمعية تحسين قطعان المواشى فى هذه المنطقة ، عن ازدياد معدل ما يستخرج من القشدة من لبن البقرة الواحدة ٧٥ ٪ ، وأسست جمعية تعاونية أخرى لإعداد الأرض التى قطعت أشجارها للزراعة حيث قررت مصلحة المحافظة على التربة بالولايات المتحدة أن تلك الأرض صالحة لزراعة المحصولات . ولقـد نزحت حمأة « ونزل » ، فزيدت مساحة الأرض الجيدة الصالحة للزراعة . وأخذ القوم يجرون تجارب لتربية الماشية فى أراض قطعت أشجارها ، وتجارب أخرى لاستنبات السوسن ، ولرسم الصورات للطرق وللأماكن الصالحة لصيد الأسماك . ووضع مشروع جمعيــة تعاونية غرضها البحث عن أسواق للشليك البرى ، وإنشاء مصنع للأثاث يستخدم فيه ما ينبت فى المنطقة من خشب أشجار الحور الرومى .

ويقول « بن كيزر » رئيس المجلس : « هذه هى أول مرة يتحد فيها سكان « إلما » فى مشروع كبير واحد . فقد تعاونوا فى عمـل التقرير ، وعليهم الآن أن يقوموا بتنفيذ ما جاء فيه » .

أتراهم يفعلون ؟ لا أستطيع أن أجيب على هـذا السؤال ، ولكنى أستطيع أن أجيب على السؤال الآتى : ما هو خير سبيل وأصلحه يمكن أن يذود أشباح الفاقة عن أية مدينــة ؟ والجواب : خذ نسخة من تقرير « إلما » وادرسـه بعناية فائقة ثم اصنع ما صنع أهلها !

كان الرائد قديماً يجمع أسرته وموقده فى عربته ثم يرتحل ، يوم تخمد مظاهر الحياة فى الغابات أو المراعى أو التربة ، ولكن أهل « إلما » لا يريدون الرحيل . إنهم يريدون البقاء فى بيوتهم التى يحبونها . وهم لا يريدون أن يحملوا على الطبيعة حمـلة عدوان ، بل يريدون أن يصالحوها على التعاون فى العمل.

حقائق عن الدببة حوالى مدينة دولوث



ناثان كوهين

ملخصة عن مجلة "بريدرى سكوبز"

بينما كان ريتشرد نورثوب ، وهو من أصحاب العقار فى مدينة دولوث بولاية مينسوتا حيث أسكن ، يمضى فى بيته ليلة هادئة منذ أمد قريب ، سمع قرعاً شديداً على باب منزله الخلفى ، فيمم شطر الباب ، وإذا به يلقى دبّاً وجهاً لوجه .

ولا ريب فى أن ذلك الدب الأغبر الوديع ، كان يطوّف باحثاً خلسة عن عشاء عاجل ، فمضى يدبُّ ببلادة نحو الباب ، كالمتطفل الذى يتودد إليك بمعسول اللفظ وقبعته فى يده ، حتى أن مستر نورثوب قد أسف فيما بعد على ما فعل ، حينما ردّ الباب فى خطمه . ولما أقبل رجال الشرطة بدأت لعبة المسّة (الاستغماية) فى ضوء القمر . وفى النهاية حوصر الدب فى حظيرة سيارات وقتل بالرصاص ، عندما كان يحاول أن يولج بدنه الجسيم فى باب سيارة مقفلة . ولقد وزنت جثته فكانت ٣٠٢ رطل . وسجل جاويش الشرط تفاصيل الحادث فى تقريره الليلى ، وكذلك زادت حكاية إلى الحكايات التى كان يرويها أهل « دولوث » عن غرائب الدببة التى تزورهم .

ولم يبين أحد ما السبب الذى يحمل هذه العجماوات على أن تهبط المدينة . ففى أواخر الصيف وأوائل الخريف ، قد يصادفها الغلمان موزعو الصحف وهم يوزعون صحف الصباح ، وقد تراها سيدات المنازل ثائرات وهى تسرق الفطائر من حيث تركت للتبريد . كما قد يفزع بها راكبو الدراجات حين يرونها تسد عليهم الطريق ، وقد تشاهد أثناء الليل وهى تمد أنوفها فى سلال القمامة أو تقضم خضر الحدائق . أما دببة النهار فعلى نقيض ذلك ، فهى عابرة سبيل تلقى على الناس نظرة خاطفة ، وهى على العموم هيّابة تخاف .

بيد أنه قد يتفق أن يخاطر أحدها فيهبط المدينة ويحاور الشرط . وهى تجربة مميتة فى العادة .

وقد صار لأهل مدينة « دولوث » نوع من العطف الممزوج بالحذر، على هؤلاء المتطفلين ، فتراهم يتبسطون فى تسلية الوافدين عليهم برواية مخاطراتهم . وقصة

ذلك الدب الذى قتل فى فندق «دولوث» الفخم ، ووزنه ٣٥٠ رطــلا ، قد أصبحت من أهم حوادث التاريخ المحلى ، كحادث مقدم السيد « دولهوث » ، مؤسس المدينة، أول ما قدم . وقد عمد مدير الفندق ببعد نظره، إلى جثة الدب فحشاها وحنطها، فنال بذلك شكر جميع رواة أقاصيص الدببة ، إذ زودهم بهذا الشاهد الملموس الذى ذلل لهم سبيل إقناع الغرباء الوافدين .

قامت فتاة من نُدُل الفندق بخدمة رجل وصف لها نفسه بأنه جائع «جوع الدب» ، فلما رفعت رأسها تنظر صاحت : «ها هوذا دب جائع جوع إنسان ! » وأطلقت ساقيها للريح فى الرواق الطويل . وكان ذلك الدب الأغبر الذى رأته قد تبع عربة السمك إلى المدينة ، فلما مر بالفندق استهوته رائحة الطعام ، فاقتحم باب المقهى .

بادر صبيان الفندق فكدسوا الكراسى والموائد لتكون دريئة ، واستدعى أحدهم الشرطة فجاءت فرقة النجدة ، ومعها الغاز المسيل للدموع والبنادق والحبال ،وسرعان ما ركل الجاويش « إيلى له بو » البــاب ففتحه ، وألفى المجرم جالساً على مائدة مقلوبة يلحس طبق السكر مستلذاً . قال الجاويش مسدداً بندقيته : « هــذا شئ سأرويه لأحفادى » ، واخترق الرصاص جبهة الدب .

ومع أن الدببة لم تؤذ أحداً قط ، فإنها كانت سبباً فى فزع كثير من الناس فى وضح النهار . من ذلك أن صبياً من موزعى الصحف ظن أن كلباً يتبعه ، فلما التفت صائحاً : « هالو : سبورت » ، فزع ، إذ تبين أنه ليس كلباً وديعاً ، وعدا مسرعاً إلى محطة بنزين وأعطى إشارة الخطر . أما ما تبع ذلك من الطراد ، فمما يسر به رجل يسجل مناظر سينمائية مسلية . فبينما كان الشرطة يصخبون مصعدين ثم هابطين فى الشوارع ، كان الدب يتخطى حواجز المنازل الخلفية بخفة وسرعة ، مارقا من بين صفوف الثياب المغسولة فى الصباح ، طارداً ربات المنازل صائحات مذعورات مسرعات إلى ملجأ يستترن فيه . ولما رأى المواطنون ذلك الطراد من نوافذهم ، اتصلوا بالتلفون برياسة الشرطة ، فبادرت هــذه فأبلغت فرق النجدة . ولما بلغ منه الجهد تسلق الدب شجرة ، فانتهى الطراد ، فقــد خرّ بعدها صريعاً بقذيفة بندقية .

وذات يوم وقفت سيدة تنتظر قدوم سيارة الركوب فى حى من الأحياء النائية ، وما إن ظهرت السيارة حتى رأت عملاقاً من ذوات الأربع ينهب الطريق مقبلا نحوها . وكانت السيارة والدب على بعد

واحد منها ، وكانت مشكلة : أيهما يصل إلى حيث هي قبل صاحبه ؟ ومشت السيارة ببطء في الطريق ، ولكن الدب كان يلاحقها على بضع أقدام عند ما تابعت سيرها. وما إن وثبت السيدة إليها ووضعت الأجر في الصندوق ، حتى سقطت مغشياً عليها .

ومع هذا فإن كثيراً من أهل «دولوث» يظنون أن في الدببة فطنة وروية ، قال أحدهم : «إنك لن تغضب منها ، على ما يكون منها من بواعث الإزعاج» . وفي بيت « آل هارفي » وقف دبان في داخل فناء خاص ، فتجمهر الجيران في الحجرة العامة ، ينظرون إليهما وهما يتصارعان ويتلاكمان ويتمرغان ثلاثين دقيقة على أرض المرج ، كأنهما يمثلان تمثيلا جديراً بفرقة بهلوانية من المحترفين . وفي بيت « آل ولسون » جثم دب أغبر ذكر في رائعة النهار على شرفة بارزة من نافذة حجرة النوم ، ورفض أن يبرح مكانه حتى أغراه بالحلوى خبير بالقنص .

إنه أمر غير مقبول أن تهبط الدببة مدينة بها ١٠٢ ألف نسمة ، وقد جهدت مدينة « دولوث » أن تثني هذه الحيوانات عن زيارتها في الخريف . وقال الذين حاولوا وقاية المدينة : إن هذه الحيوانات إنما تهبط المدينة عند ما تشعر بالجوع في الفصول التي يندر فيها وجود ثمار التوت وصغار حيوان الصيد ، ولذلك عينت لجنة يكون عملها إطعام الدببة . ولما كانت نفايات الفنادق والمطاعم تلقى في العراء في بعض الحفر ، فهي تجذب الدببة ، فتمد أنوفها وتشم وتستكشف وتذوق — ومن ثم تأخذ طريقها إلى المدينة .

والآن يعد أهل « دولوث » هذه الهجرة السنوية أمراً لا محيص عنه . وما يقتل من الدببة الآن ، أقل مما كان يقتل قبل ، وكثيراً منها يطارد حتى ينتهي إلى الأدغال . والدببة تكره الضوضاء ، فإذا سمعت قرعاً قوياً على صَنْج من النحاس فزعت وولت الأدبار .

ولم يتفق لأحد أن يفعل بدب ما فعل قطاع الخشب « سام » . فإنه عندما أسرع هارباً من دب تعقبه ، تسلق شجرة صنوبر عظيمة — ناسياً أن الدب خبير بتسلق الشجر . فلما رأى الدب يجر بدنه مصعداً إلى أعلى ، خلع « سام » قميصه وأشعله بثقاب ، ورمى بالقميص المشتعل على متعقبه ، وكان آخر ما رأى من هذا الدب خطاً مشتعلا يغيب في جوف الغابة .

كيف تختار زوجك

تشير عيادة الزواج على ثلاثة أرباع الذين يفكرون فى الزواج ، أن يتريثوا قليلا

كليفورد ر. آدمز ، دكتور فى الفلسفة
مدير إدارة إستشارات الزواج ، كلية ولاية بنسلفانيا

ملخصة عن " ذى أمريكان مجازين "

يلوح اليوم أن احتمال ظفر الشباب الأمريكي بالسعادة فى الزواج ، احتمال يسير حقا ، فارتفاع معدّل الطلاق فى الولايات المتحدة بلغ مبلغاً مخيفاً . ففى سنة ١٩٤٠ انتهى بالطلاق زواج واحد من كل خمسة أو ستة . وينتظر أن يزيد المعدّل إلى أن يبلغ ربع المتزوجين فى سنة ١٩٤٦ ، فإذا استمرّ هذا التيار بلغ معدّل الطلاق النصف منهم بعد خمسين سنة .

وهناك بواعث أعمق من قيام حالة الحرب ، تزيد معدّل الطلاق زيادة مستمرة ، فاطّراد التعقيد فى الحضارة يجعل عبء الزواج أفدح مما كان .

وقد عالجت كلية ولاية بنسلفانيا أصول هذه المشكلة بإنشاء إدارة لاستشارات الزواج يطلق عليها الطلبة اسم « عيادة الألفة » ، وأبوابها مفتوحة للطلبة والأساتذة وسكان البلد على السواء . وبعض الحوادث التى تعرض علينا ، هى حوادث أزواج مشرفين على الفراق ، فنمتحنهم ونحدّثهم ، ونبين لهم المشكلات التى تعترضهم ، فإذا لم يكن ثمة هوة عميقة تمنع وجود الألفة بينهما ، فعليهما أن يحاولا أن يصلا إلى حل . وثمانون فى المئة من هذه الحوادث يصلح أمرها تمام الصلاح .

على أن عنايتنا متجهة أولا إلى الشباب قبل الزواج ، وقبل أن يقع الضرر . فنحن نشجع الفتيان والفتيات على أن يبدأوا التفكير تأهباً ليوم الزواج . وحين تتوثق الصلات بين فتى وفتاة ، ويعرض علينا الأمر نبحث نشأتهما ، ونحدد عناصر نفس كلّ منهما حيال نفس صاحبه ، ونصوّر لهما صورة عامة تبين مبلغ ما يحتمل لهما من سعادة فى زواجهما .

إن ربع هؤلاء الراغبين فى الزواج يظفرون منا بموافقة تامة ، وأربعون فى المئة منهم ننصحهم بالحذر لما بين الفتى والفتاة من فروق خطيرة أو نقائص نساعدها على إصلاحها ، وأما من بقى فإننا ننذرهم إنذاراً صريحاً بالتريّث . ونحثّ الشباب ، فى الطائفتين الثانية والثالثة ، على أن يتريث ستة أشهر على الأقل . ففى مثل هذه المدة

يتفرق شمل الذين لا تتفق أهواؤهم لتعاظم الفروق بين الفتى والفتاة .

وقد تزوّج مئات ممن فحصناهم ، ويسرّنا أن كل حكم أصدرناه قبل زواجهم قد صدق على الأكثر ، أما الذين وافقنا على زواجهم وشجعناهم عليه ، فلم يقع بين زوجين منهم طلاق أو فراق .

إن معظم الشباب الذى يفد على عيادتنا إما مشبوب العاطفة وإما متيّم . وهم يقولون لى إنه «الحب بعد النظرة الأولى» ، فيحملنى هذا القول دائماً على الاحتياط ، لأن « الحب بعد النظرة الأولى » : إما أن يكون تجاذباً جنسيا وحسب ، وإما أن يكون اتفاق أوصاف كانت وهماً فى المخيلة . فقد يتخيل الفتى « فتاة أحلامه » شقراء الشعر زرقاء العينين ، ذلفاء الأنف (ارتفاع طرفه إلى أعلى) ، مغموزة الوجنتين دقيقة الخصر ، لا يزيد على ٢٤ بوصة . فيقع فى هوى أول فتاة يلقاها تطابق أوصافها ما يتخيل . وهذه أفسد طريقة فى اختيار الزوجة .

يتجه جلّ اهتمامنا فى عيادتنا إلى أن نعرف : أتوائم شخصية الفتى شخصية الفتاة ؟ فنمتحن فيهما إحدى عشرة صفة ، وهذه الصفات تندرج بين هذه المتقابلات .

١ حسن العشرة — مترفع
٢ سهل الانقياد — عنيد
٣ سريع التهيج — رابط الجأش
٤ حيىّ — جرىء
٥ مشبوب العاطفة — فاتر القلب
٦ مثالى — مجار لمقتضى الضرورة
٧ متقلب — ثابت
٨ حليف همّ — لا يبالى
٩ يتقيد بالعرف — لا يتقيد بالعرف
١٠ لا يعتمد عليه — يعتمد عليه
١١ ألوف — نفور

فالفتى والفتاة إذا توافقا حصلا على درجة متقاربة فى معظم هذه الصفات ، وتكون صفاتهما أقرب إلى الوسط بين الطرفين .

والدرجات التى يظفر بها المرء فى هذه الصفات ، تجتمع منها صورة دقيقة « لنضجه العاطفى » . وخبراء الزواج متفقون على أن «النضج العاطفى» هو أهم العوامل فى الزواج الموفق . فالذين يتصفون بهذا النضج ، لا يعانون العقد النفسية والأمراض العصبية والأوهام . وأقول أيضاً إن ٥٠ فى المئة من السعادة فى الزواج يرجع إلى التوافق الجنسى بين الزوجين ، وهذا التوافق لا يتحقق إلا إذا كان الزوجان قد أدركا النضج الجنسى ، وهو أمر لا يدركه إلا الذين يتصفون بالنضج العاطفى .

نعم ، إن السعادة فى الزواج تتوقف على

أشياء غير التوافق فى إحدى عشرة صفة . وإليك بعض ما نلقى إليه بالنا ، وأول ذلك نشأة الفتى والفتاة فى أسرتهما . إنه لذو شأن عظيم جـدا أن تعرف هل كان العريس والعروس سعيدين فى طفولتهما ؟ وهل كانت معاشرتهما لوالديهما معاشرة طيبة ؟ ومقدار ما كان من حسن العشرة بين آبائهما . فالسعادة فى الزواج تسرى فى الأسر ، فإذا نُشِّئت فى بيت سعيد لا نزاع فيه ولا خلاف فأنت أدنى إلى أن تكون متصفاً بالنضج العاطفى ، منك إن نشأت فى وسط كله صخب ونزاع .

وجميع الآباء الذين تحرّوا الصراحة فى محادثة أولادهم عن سحر العاطفة الجنسية وأسرارها ، أسـدوا خدمة عظيمة إلى نضجهم العاطفى ، ثم إلى سـعادة أولادهم حين يتزوجون .

وثمة شىء آخر يهمنا أن نعرفه : ما أمل الفتى فى الرزق ؟ وكيف يرجو أن ينفق على زوجه ؟ فالأعمال التى تقع تحت رقابة المجتمع وتشـمل نظاماً روتينياً لسـاعات العمل ، ولا تقتضى الرحلة خارج البلدة ، هى خير الأعمـال من ناحية الزواج . وهى تشمل الأطباء والصيارفة والمعلمين والوعاظ ، أما البائع الجوال فيعد على الإجمال أسوأ من يتزوج .

وثالثاً نحب أن نعلم : أمذهب الزوجين الدينى واحد أم لا ؟ فإذا كانا ينتميان إلى مذهبين متباعدين ، فالغالب أن يفضى ذلك إلى نقار مستمر ، إلا إذا وقف كل منهما موقف الفهم والتسامح من مشكلة تربيـة الأولاد قبل أن يولدوا .

والفرق فى العمر ليس له من الأثر ما يظن عادة ، ما دام الرجل والمرأة ، فوق العشرين ودون الأربعين ، ولا يزيد الفرق بين عمرها على عشر سنوات .

وهناك ثلاثة أشياء نعدها عظيمة الشأن فى نجاح الزواج : « خطبة تدوم سـنة على الأقل ، ونظرة واسعة الإدراك لشئون الحياة تساعد الزوجين على تذليل العقبات ، ورغبة الزوجين فى الولد (فقـد دلت إحصـاءات إدارة الزواج فى كلية بنسلفانيا على أن ٩٢ فى المئة من الأزواج يرغبون فى الولد) .

فلننظر الآن فى حوادث معينة لأشخاص مقبلين على الزواج ، يجب أن يراعى الحذر الدقيق فى معالجة شئونهم . فثمة أولا مرضى الأعصاب ، ثم مدمنو الخمر . فالفتـاة التى تتزوج رجلا من هذا القبيل يحدوها أمل قوى فى أن تصلح من شأنه ، ستمنى يوماً ما بخيبة عظيمة ، فالزواج لا يصلح المدمن ، ولا المصاب بأى هوس آخر .

والمرء المصـاب بمرض مزمن لا يصلح عادة للزواج .

ولا يزال العقم والعُنّة منذ قديم الزمان باعثين على شقاء الأزواج، ولكن العلم قد تقدم تقدماً يبعث على الأمل فى علاجهما الموفق.

وثمة ضرب آخر من الناس نحذره أشد حذر وهو أليف الطلاق وأليفته، وجميع الدلائل تدل على أن المطلقين إذا تزوجوا، كان احتمال ظفرهم بالسعادة فى الزواج التالى أقل ممن لم يتزوج من قبل.

وأخيراً هناك الذى تستبد به الغيرة والريب، فهو فى الغالب هادم لبيته. ففى أربعين فى المئة من حوادث الخطبة والزواج التى انتهت إلى الفراق، كانت الغيرة فيها عاملا قويا.

أأنت محب حقاً؟

يعتمد الدكتور أدمز على الأسئلة التالية، ليتبين من الأجوبة: أهو الحب حقا ما يجده المرء، أم هو (أو هى) واقع تحت سحر الجمال والجاذب الجنسى.

١ — أثمة أعمال كثيرة ترغبان أن تعملاها معا؟

٢ — أتحس بالزهو حين تقارن فتاتك (فتاك) بأى شخص آخر تعرفه؟

٣ — أيستبد بك شعور القلق وعدم الاستقرار حين تفترقان؟

٤ — أتشعر بمتعة الاجتماع حتى بعد نزاع؟

٥ — أترغب رغبة شديدة فى إرضائها أو (إرضائه)؟ وهل يسرك أن تسلم وتنزل عما يرضيك؟

٦ — أتريد حقا أن تتزوج هذا الشخص؟

٧ — أيتصف هو (أو هى) بالصفات التى ترغب أن يتصف بها أولادك؟

٨ — هل يعجب أصدقاؤك وزملاؤك بهذا الشخص ويرون أنه كفء لك؟

٩ — أيعتقد والداك أنك تحب؟ (الآباء يصدق نظرهم فى هذا)

١٠ — هل بدأت تدبر — ولو كان التدبير فى الذهن وحسب — ما تكون عليه حفلة الزواج، وكل ما يخص بيتك وأولادك؟

فإذا أجبت صادقا بالإيجاب عن سبعة من هذه الأسئلة، فالدكتور أدمز يرى أنك محب حقا.

وإنى حين أرسل هـذا التحذير من الناس الذين لا يصلحون للزواج ، أهمل أمراً خطيراً ، فمهما يكن احتمال الإخفاق ، ففى وسع معظم الأزواج أن يظفروا بالتوفيق إذا واجهوا الأخطار التى تحدق بهم بعيون مفتوحة ، وتناقشوا فيما يساورهم من مخاوف ومشكلات ، وما يقلقهم من حبوط آمالهم ، ثم إذا سعوا إلى الظفر بحل معقول . ويطلقون على هذا وصفاً رناناً هو « العلاج النفسى المتبادل » ، وهو لون من العلاج يصنع العجائب أحياناً ، حتى فى أبعث الحالات على القنوط .

والمحتمل أن تكثر بعد الحرب حوادث الزواج السريع ، كزواج جندى عائد من الحرب بفتاة ما فتئت منتظرة . ولا يجوز لك أن تلوم فتى وفتاة افترقا طوال الحرب ، إذا عنّ لهما أن يتزوجا فى أول فرصة متاحة . ولكن إذا حكما العقل ، استخرجا العبرة من فيض الطلاق المتزايد ، فإذا تريثا مدة تتفاوت من أربعة أشهر إلى ستة أشهر ، استطاعا أن يتبينا ما طرأ على كليهما من تغير ، وأن يستوثقا أنهما ما زالا مقيمين على الحب ، وأن تتاح للرجل فرصة يعود فيها إلى الحياة المدنية التى تلائمه ويلائمها ، وليتيسر لهما كليهما أن يدبرا أمرهما للمستقبل . فإذا اقتنعا بأن اشتراكهما مدى الحياة لا يزال أمراً يرغبان فيه ، فلك أن تثق بأن زواجهما سيدوم .

****

وراء حجاب الحياة

روى الرئيس أبراهام لنكولن لزوجه ولصديقه وارد هل لامون تفاصيل رؤيا تراءت له فى الحلم . قال : طفت بغرف البيت الأبيض فلم أر بها حيًّا ، ولكننى سمعت نشيج الباكين أثناء طوافى حتى دخلت الحجرة الشرقية ، فإذا أنا أمام نعش فيه جثمان ميت فى أكفانه ، وقد وقف حوله جنود يحرسونه ، وحشد من الناس بعضهم يحدق تحديق الحزين الواجم فى الجثمان الذى حجب وجهه ، وبعضهم يبكى . فسألت أحد الجنود : من الميت فى البيت الأبيض ؟ فأجابنى : الرئيس ! فقد اغتاله مغتال . ثم صدرت عن الحشد صرخة حزن أليمة ، فأيقظتنى فلم أنم بعدئذ تلك الليلة ، وهو وإن كان حلماً وحسب ، إلا أننى اضطربت اضطراباً شديداً لما ينقطع .

[كلارا لوفايين فى كتابها « موت لنكولن »]

مئة وثلاثون من ذوى العاهات ، رجالا ونساء ، يديرون عملا موفقاً

فرصة تتاح

لا إحسان يُبذل

وليم ف . مكدرموت • ملخصة عن مجلة " ذى بروجرسيف "

منذ تسع سنوات كان الشاب الكيميائى « جورج بار » يعمل فى إحدى شركات مدينة « سان پاول » بولاية مينسوتا ، فبترت إحدى ساقيه ثم ترك عمله . فلما لم يجد عملا آخر ، أسس لنفسه عملا ، وهو اليوم صاحب شركة كبيرة لصنع المواد الطبية بشيكاجو ، يبلغ ثمن ما تتجر به كل سنة خمسة ملايين ريال ، وعدد عمالها ١٤٧ بين رجال ونساء ، منهم ١٣٠ قد أصيبوا بعاهات خطيرة كان يظن أنها قضت عليهم أن يعيشوا كسالى عالة على الناس . أما اليوم فإنهم يكسبون أجوراً حسنة تضاف إليها المكافآت .

قال لى جورج بار : « إن المرء لتدهشه الأعمال الكثيرة التى يستطيع المُقعد أن ينجزها ، فإذا وضعته حيث يجيد عمله أنجز أكثر مما ينجز السليم . فالرجل الذى يسير على عكازة تقوى عضلات ساعديه وكتفيه فيستطيع تحريك الآلات الضخمة بأيسر مما يستطيع الرجل السليم . والأبكم الأصم يحسن إنجاز العمل الذى يتطلب استعمال الأنامل بمهارة . أما الأعمى الذى يقرأ الكتب المطبوعة بأحرف بارزة ، فهو خير من ينجز ما يتطلب دقة اللمس .

وإذا زرت مكتب جورج بار وشركاه ، نبهك جورج إلى أن تدع الإشفاق جانباً قبل أن تدخل ، ويقول لك مفتخراً : « هؤلاء الناس لا يريدون شفقتك ولا يحتاجون إليها » . وسرعان ما تدرك ذلك ، فوجوههم جميعاً تطفح بشراً .

وفى أحد خطوط التجميع ٢٥ أعمى من الرجال والنساء تجرى أناملهم بسرعة وثبات وهم يتمازحون ويتبادلون المُلَح والنوادر . وحول مائدة طويلة ثلاثون أبكم أصم تنطق أسارير وجوههم بشراً وهم « يتحادثون » . وهؤلاء ١٥ رجلا وامرأة ممن فقد ساقه أو ذراعه ، وعشرة من ضحايا شلل الأطفال وآخرون من العور ، وجميعهم يعملون فى خطوط الإنتاج أو يزنون أو يقيسون أو يرزمون المنتجات ويشحنونها ، ويقومون بأعمال المكاتب كأحسن ما يستطيعه الموظف السليم .

وكل ما فى المصنع يشف عن شخصية مديره الفياضة ، وهو فى الثانية والثلاثين من العمر ، وقد تخرّج فى جامعة ويسكونسين سنة ١٩٣٣ وكان متفوقاً . وبعد ثلاثة أشهر من حصوله على أول وظيفة صدمته سيارة فبترت ساقه . وقد اتخذ ساقاً من الخشب ، وتعود أن يمشى بها لا يعرج . وتراه يتنقل فى جوانب مصنعه كأنه إعصار .

ولم يستطع بار أن يجد عملا من جراء عاهته، ولكنه أبى أن يقضى حياته بائع أقلام، فاستنبط مادة جديدة لتمويج الشعر فكان يصنعها ليلا ويبيعها نهاراً لدور التجميل ومخازن الأدوية .

واستخدم رجلا أبكم أصم يسمى متشل إيشيكوفتز ، فلما راجت السلعة شعر الشريكان بحاجتهما إلى مساعد آخر . وكان متشل يعرف فتاة بكماء صماء لا عمل لها ، فاستدعيت وعُهد إليها بلصق البطاقات على الزجاجات . ولا تزال تعمل معهم ، وقد تزوّجها متشل .

ولم تنقض أربعة أعوام حتى كانت الشركة تصنع طائفة من العقاقير ومعجونات التطرية والتجميل، وأصبح فيها ١٨ موظفاً كلهم صم بكم . وفى ذات يوم كان جورج يدير آلة لصق البطاقات فرأى أن الحاجة لا تقتضى غير ساق واحدة لتدوس على « البدال » . فاستأجر من فوره رجلا ذا ساق واحدة ، ومنذ ذلك اليوم لم يستخدم غير ذوى العاهات .

وأمام لوحة تلفون شركة بار تجد فتاة متوقدة باسمة لا يلوح أنها ذات عاهة ، ثم ترى فى زوايا الغرفة عكازتين . ومن العمال رجل مبتور الساقين يدير آلة لملء الأنابيب . وثمة عامل فى الخامسة والثلاثين قد فقد بصره منذ ثلاثة أعوام وهو يربح اليوم أكثر مما كان يربح حين كان مبصراً . وهذه امرأة فى الثانية والثلاثين من عمرها ولدت عمياء ، وقد دخلت المعمل منذ ثلاثة أشهر ، هو أول عمل زاولته فى حياتها ، وهى سعيدة به سعادة الطفل بدميته الجديدة .

وحين يسمع مستخدمو الشركة عن رجال من ذوى العاهات لا عمل لهم يبلغون جورج بار فيقول: «هاتوهم» ويبذل قصارى جهده حتى يوجد لهم عملا .

ومن السهل على بار أن يكفل لعماله رضاهم وحماستهم ، فإن ذوى العاهات من العمال تمتلىء قلوبهم ارتياحاً وثقة حين يقومون بعمل مجدٍ مثمر . . ثم إن وجودهم بين جماعة من أمثالهم يجعلهم يشعرون بطمأنينة وكفاية تعوزهم حين يعملون مع الأصحاء . ولهذا يشير « بار » على رجال الصناعة بأن يعهدوا إلى ذوى العاهات

المتشابهة بأعمال متماثلة ، وأن يقسموهم طوائف طوائف .

ونسبة الذين تدعوا الحاجة إلى الاستعاضة عنهم بغيرهم أقل من واحد فى المئة ، ونسبة الغياب عن العمل لا تزيد على نصف فى المئة . وترى العمال جميعهم فى أماكنهم « فى الميعاد ، طول الوقت » . والإصابات بينهم قليلة نادرة ، فإن ذوى العاهات قد تعلموا بما أصابهم الرفقَ والحذر .

ومعظم إنتاج الشركة فى الوقت الحاضر من المواد الطبية المخصصة للجنود ، على أن الإنتاج الخاص بالمدنيين قد تضاعف فى ٣٥ صنفاً من منتجاته فى السنتين الماضيتين .

ويقول بار : « ستسنح فرص كثيرة للمصانع فى زمن السلم تتيح لكل ذى عاهة عملا يقيم أوده . إنهم سينالون أجورهم بحق ما عملوا ، وفضلا عن ذلك أن ذا العاهة إذا عاش خاملا بليداً أصبح عالة على أهله أو حكومته . ومصنعنا الصغير هذا قد استخدم ثلاثين أعمى كانوا عالة على حكومة ولاية إيلينوى ، فوفرنا بذلك لها عشرة آلاف ريال كل سنة . فضاعفْ هذا العدد بضعة آلاف من المرات تحصل على شىء يستحق التقدير » .

ولما فازت شركة بار بوسام الجيش والبحرية مكافأة على حسن الإنتاج ، كانت الحفلة إحدى العجائب . فالذى قدم الوسام كان جنديا يمشى على عكازة ، إذ فقد إحدى ساقيه فى معركة أنزيو . أما الذين نالوا الوسام نيابة عن الشركة ، فكانوا اثنين من الصم البكم وصغيراً أعمى وفتاة قطعاء (مقطوعة الذراع) وقد ألقى الصغير الأعمى كلمة يرحب فيها بقبول الوسام ، ونقلت كلمته إلى لغة الإشارات لكى يفهمها رفاقه الصم البكم .

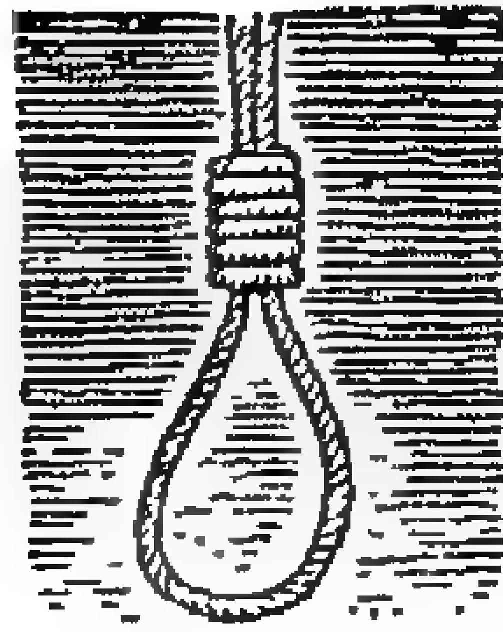
ويعتقد موظفو شركة « بار » أن تجربتهم هذه تفتح طريق الكسب والسعادة لألوف من الجنود الذين سيخرجون من هذه الحرب بشتى العاهات . وهم يقولون إن المصانع إذا هيأت لذوى العاهات فرصا متاحة لا إحساناً مبذولا ، ففى وسعهم أن يثبتوا نفعهم فى المجتمع . ويلوح أن جورج بار ومستخدميه قد أثبتوا صدق هذه الحقيقة .



السعادة كالقبلة ، لا تظفر بها إلا بالمشاركة . [أوليفيو سانتورو]

ألغاز رائعة منسية ـ ٥

معجزة على المشنقة



جيروم بيتي

لغز منسي ولكنه حقيقة واقعة

حدثت هذه المعجزة في كولومبيا بولاية المسيسبي في فبراير سنة ١٨٩٤، حينما شنق ويل بيرفيس، وهو فلاح في الحادية والعشرين من عمره..

تألفت في مقاطعة ماريون سنة ١٨٩٤ جماعة سرية لإرهاب المزارعين والسود، وقد سموا أنفسهم «ذوى القبعات البيض». وكانت آخر جرائمهم أنهم ضربوا بالسياط رجلا أسود هجر عزبة أرملة ليعمل عند جيم وويل باكلى، بأجر أكبر من الذى كانت تطيق الأرملة أن تدفعه. وقد عرف الرجل الأسود بعض الذين عذبوه، وأعلن آل باكلى أنهم سيبلغون أسماءهم إلى هيئة المحلفين الكبرى، فهددهم ذوو القبعات البيض بالموت إذا هم فعلوا. غير أن جيم وويل كانا شجاعين أبيين، فذهبا أعزلين بلا سلاح إلى المدينة، وشهدا أمام هيئة المحلفين الكبرى.

وكمن لهما في الطريق ذوو القبعات البيض في عودتهما، وسقط ويل عن حصانه وأصيب بضربة قاتلة، وأما جيم فقد فرّ ونجا. وقد قال: إن رجلين كمنا لهما في دَغَل، وأن الذى سدد الضربة هو ويل بيرفيس.

وكان ويل بيرفيس من أسرة عريقة سميت باسمها مدينة بيرفيس المجاورة. وقد شهد جاران وثلاثة من أقاربه أنه كان في بيته وقت ارتكاب الجريمة، وأن بندقيته لم تستعمل منذ عدة أشهر، غير أن هيئة المحلفين ارتابت في شهادة الأقارب والأصدقاء، فأدانته وحكمت عليه بالشنق.

وفي اليوم المحدد للشنق احتشد ثلاثة آلاف نفس بين رجال ونساء وأطفال ليشهدوا المنظر في فناء المحكمة. وقد فحص العمدة وأعوانه، وهم ذوو خبرة في عملهم، الحبلَ والبابَ الذى يهوى منه المشنوق بأكياس من الرمل، واستوثقوا من ربط الأنشوطة ربطاً محكماً، وصار كل شيء حاضراً.

وقيد ويل بيرفيس حتى صعد الدرج. ثم كبل مساعد العمدة يديه ووضعهما وراء ظهره، ووضع القيود في ساقيه، وأمسك رجل بالقناع الأسود، ثم سأله العمدة الذى

يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه ارتكب الجريمة : « هل تود أن تقول شيئاً ؟ » .

فصاح ويل بصوت واضح هادىء : « لم أرتكب هذه الجريمة . إن هناك رجالا إذا شاءوا أنقذونى » .

على مقربة من درج المحكمة كان يقف القس سيبلى، راعى كنيسة بكولومبيا، وكان قد زار بيرفيس فى سجنه وهداه إلى الإيمان، ولم يكن بيرفيس ينتمى إلى أية كنيسة ، وكان القسيس يعتقد – هو وكثير من الناس – أن المتهم برىء .

وأثناء الأشهر التى كانت تعرض خلالها معارضات بيرفيس التى لم تجد على محكمة الاستئناف العليا ، كان مستر سيبلى ورعايا كنيسته يدعون له مساء أيام الأربعاء فى الكنيسة الصغيرة . وفى بادىء الأمر لم يكن يحضر الصلاة إلا عدد ضئيل ، غير أن هذا العدد أخذ يزداد إلى أن ضاقت الكنيسة بالحاضرين . وكان أملهم الوحيد أن تدركه عناية من الله . وفى ليلة اليوم المحدد لشنق بيرفيس، دعا مستر سيبلى الناس إلى الصلاة تحت ضوء المشاعل فى ميدان المحكمة حيث ركع مئات من الناس .

وبعد هذه الصلاة توجه مستر سيبلى ليصلى مرة أخرى هو وويل . وكان ، وهو مقيد بالأغلال المثبتة فى الأرض ، رابط الجأش وقال له : « ليس فى قلبى أدنى خوف على مصير روحى » .

وفى اليوم التالى، حين وضع القناع الأسود على رأس بيرفيس ، أخذ مستر سيبلى وأولئك الذين يرتابون فى ارتكابه الجريمة ، يصلون مرة أخرى ويرددون هذا الدعاء بصوت عالى : « اللهم اكفف يد الجلاد بحولك وقوتك » .

ووضع القناع الأسود على رأس بيرفيس ثم قال له العمدة : « كان الله فى عونك ياويل بيرفيس» ، ثم شد ذراع المشنقة، وعلا بكاء المحتشدين حين هوى الجسم من الباب الذى فتح تحته، واهتز الحبل اهتزازاً شديداً.

ثم ارتفع صياحهم . حين رأوا بيرفيس راقداً على الأرض تحت المقصلة ، ولم يزل القناع الأسود على رأسه ، والأغلال فى يديه وساقيه . لقد كان حياً ولا يزال الخناق يترجح فوق الباب المفتوح خالياً . فماذا حدث ؟ ما من أحد يستطيع أن يضع خناقاً – يعقد أنشوطته جلاد – حول رقبة إنسان بحيث تفلت منه حين يهوى الجسم، فإن الأنشوطة إذا زلت عن مكانها ازداد الخناق ضيقاً . ولم تكن حيلة احتالها العمدة ، فهو يعتقد أن بيرفيس هو مرتكب الجريمة ومع ذلك هوى بيرفيس وقد خلص عنقه من الخناق .

وقد قال بعد ذلك : « سمعت صرير الباب ، ثم هوى جسمى ، واسودّ كل شىء فى عينى ، ولما ثاب إلىّ رشدى سمعت شخصاً يقول : حسناً يا ويل لا بد لنا من أن نعيد الكرة » . ثم جره معاونا البوليس كأنه كيس بطاطس ، وصعدوا به الدرج ليشنق مرة أخرى .

فلما أمسكا بالحبل وثب مستر سيبلى إلى المشنقة وصاح فى الناس : « يا أهل ماريون إن عناية الله هى التى حلت الخناق . لقد سمع الله دعاءنا واستجاب ، فما قولكم أيها الأصدقاء ؟ هل يشنق ويل بيرفيس مرة أخرى ؟ » .

فصاحوا : « كلا ! كلا ! » فقد أذهلت المعجزة عقولهم ، وأخذوا ينشدون الأغانى ويصيحون ويحمدون الله . ولا شك أنهم كانوا سينقذون بيرفيس لو همّ الجلادون بشنقه .

ولذلك اضطر العمدة الذاهل المذعور أن يعيد ويل إلى السجن ، ثم أصدر الحاكم الذى لا يؤمن بالمعجزات أمره بإجراء التحقيق . ولم يوجه المحققون إلى العمدة تهمة ما ، وقرروا أن الاستعداد للشنق كان تاماً . ولم يستطيعوا أن يفسروا سر إخفاقه .

ثم صدر الحكم على ويل بيرفيس بالشنق إلى أن يموت . وقد رفض الحاكم الذى كان يعتقد أنه مرتكب الجريمة ، أن يخفف الحكم ، غير أن المحامين عن بيرفيس احتجوا بأنه شنق مرة فلا يمكن أن يشنق مرة أخرى إلا إذا أدين بمحاكمة أخرى . وعلى الرغم من ذلك رفضت محكمة الاستئناف العليا ثلاث معارضات فى شنقه ، وحكم على ويل بالشنق فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٥ ، بعد سنتين من نجاته تقريباً . ومثل هذا العذاب الذى تتابع شهراً بعد شهر ليجعل معظم الرجال يضيعون صوابهم ، غير أن ويل بيرفيس الذى لم يفتر عن الدعاء ، كان على يقين من أن الله سينقذه مرة أخرى .

ولم يهتد أحد إلى دليل يثبت براءته ، ولكن الرأى العام تحول فصار معه ، إذ أن خيار الناس ممن يخشون ربهم آمنوا بأنها آية من عند الله أعلنت براءته ، ولذلك بدأت يد الإنسان تعمل . نخصه المسئولون بمقاطعة ماريون بمعروف صنعوه له ، فنقلوه من سجن كولومبيا الكبير إلى سجن بلدة بيرفيس الصغير « ليكون على مقربة من أصدقائه فى أيامه الأخيرة » . ولعل هؤلاء المسئولين لم يدهشوا حين تهجم بعض الناس على الحراس فى منتصف الليل وأخلوا سبيله قبيل تنفيذ الحكم عليه ببضعة أيام .

وقد قدم الحاكم الخانق مكافأة قدرها ٦٥٠ ريالا لمن يقبض على ويل ومكافأة

قدرها ٢٥٠ ريالا لمن يقدم البينة على الذين أخلوا سبيله. ولكن لم يطمع أحد فى هذه المكافآت، مع أنه يكاد كل إنسان يعلم من الذى اقتحم السجن، ويكاد يعلم أيضاً كل إنسان أن ويل يعيش مع أهله فى الغابات والتلال.

ثم انتخب حاكم جديد، وكان هذا الحاكم قد اعترف فى أثناء دعايته للانتخاب بالمعجزة التى حدثت، ووعد بتخفيف الحكم على بيرفيس، فقدم ويل نفسه واستبدل السجن المؤبد بحكم الشنق.

وبعد سنتين صدر العفو عن ويل بعد التماس رفعه آلاف من الأهالى، بينهم وكيل نيابة المنطقة الذى أقام الدعوى عليه. ولم يفرج عنه لعثور على دليل يثبت براءته، بل لأن أغلبية سكان ولاية المسيسبى آمنوا بأن حكم الله نسخ حكم المحلفين. ثم رحل إلى قرية، وتزوج بعد بضعة أشهر بابنة أحد القساوسة، وقد رزق أحد عشر ولداً. وكان ويل يتوجه هو وزوجته صباح أيام الآحاد إلى الكنيسة ويحمد الله الذى أنقذ حياته.

ولما بلغ ويل السابعة والأربعين من عمره، كتب الفصل الأخير فى قصته الغريبة، فإن فلاحاً طاعناً فى السن يدعى جو بيرد اعترف وهو يجود بنفسه أنه هو الذى قتل باكلى هو وعضو آخر من ذوى القبعات البيض. وقد أثار النبأ سكان ولاية المسيسبى. وظل الذين كانوا يؤمنون ببراءة بيرفيس يطوفون بالذين لم يصدقوهم قائلين: « لقد قلنا ذلك » ودفع المجلس التشريعى ٥٠٠٠ ريال تعويضا له عن أخطاء الولاية.

وقد توفى ويل بيرفيس منذ عامين، رجلا جليل الشأن بين أهالى منطقته. وارتبْ ما شئت فى أنه نجا بمعجزة، وسمها صدفة تحدث مرة فى التاريخ، إلا أن ويل بيرفيس قد شهد بقوله: « لقد استجاب الله دعاءنا وأنقذ حياتى، لأننى كنت بريئاً ». فقد آمن ويل بيرفيس، وكانت نجاته ثمرة إيمانه.

★ ★ ★ ★ ★ ★

تجربة أديسون

فى المعركة التى دارت سنة ١٩٤٠ لانتخاب حاكم لولاية نيوجرسى، كان أحد المرشحين تشارلز أديسون ابن توماس أديسون المخترع العظيم. فقدم نفسه للجمهور فى إحدى الحفلات بالكلمات التالية: « لا مفر للناس من أن يقرنوا اسمى باسم والدى، ولكننى لا أرغب أن يظن أحد أنى اتجر باسم أديسون، بل أفضل أن أوصف بأنى نتيجة إحدى التجارب الأولى التى جربها والدى ». [كارل جون بوستلمان]

الشخصيات التي لا تنسى

المعلِّم المحبوب



بقلم
هنري جيمس فورمان

« لقد كانت ذخيرة المروءة عنده من الوفرة بحيث كان كل واحد منا نحن الذين وردنا منهلها يحسب أنه استوعبها واستأثر بها جميعاً »

ما من أحد كان يعرف البارون رسل بريجز إلا حسبه كاتباً بسيطاً ، أو معلم صبيان خاب كل أمل فى ترقيته منذ زمن بعيد . ولقد بلغ من تواضعه أنك تخاله يحتال على خمول الذكر احتيال غيره على الشهرة . وكم طالب من طلابه عاد إلى موطنه ، وفى نفسه — إن لم يكن فيها من قبل — حرمة راسخة باقية للبساطة الديمقراطية ، وذلك أن العميد بريجز كان لا يكره شيئاً كرهه للزيف والادعاء والتعاظم .

وكان الناس يشبهونه أحياناً بالرئيس لنكولن وبالكاتب إمرسن ، على أنه لم يكن يشبه هذا ولا ذاك فى ملامحه وقامته ، فهو ربعة لا بالطويل ولا بالقصير ، مدمج وثيق التركيب ، وكان يسير دائماً مسرعاً متكفئاً كأنه منطلق فى مهمة خطيرة عاجلة . وكانت سراويله منتفخة عند ركبتيه ، وإلى جنبه جرابٌ من قماش خشن أخضر مشدود إلى عاتقه ، فيه طائفة من الكتب ، وعلى رأسه قبعة منسحقة الوبر مبتذلة ، وقد كفأها إلى الوراء . وكان هذا كله ظاهر الدلالة على الإهمال ، ولكنك إذا نظرت فى وجهه الوديع الصريح الذى يفيض رحمة ورقة ، أدركت سر تشبيهه بهذين الرجلين العظيمين .

ومن النوادر الكثيرة التى يروونها عن العميد بريجز : أن شاباً فى بزة أنيقة كان يسوق ذات يوم مركبة ذات جواد واحد إلى دار الحكومة فى مدينة بوسطن ، فلما بلغ الدار ، قال لأحد المارة — وكان غريب الشكل ، ولكن وجهه يبعث على الثقة والطمأنينة — : « أيمكن أن تمسك لى الجواد عشر دقائق يا أخى ؟ » . فأجاب الرجل : « بلا ريب ، إنه جواد غاية فى اللطف » . ولم يلبث أن عاد الشاب ومدّ يده إلى الرجل بربع ريال ، فاعتذر الرجل بأدب ، فسأله الشاب عن اسمه وقد عجب لأمره ، فكان جوابه : « أنا بريجز . البارون بريجز » . فعرف الشاب أنه عميد معهد هارفرد . ومع ما يبدو على هذا الخبر من شبه بالحكايات المخترعة فإنه حقيقة واقعة .

وأول ما لقيت العميد بريجز فى مستهل

هذا القرن ، وكان فى الأربعين من عمره . وكنت قد جئت من أواسط غرب أمريكا إلى هارفرد على حساب هبة ضئيلة ، وليس معى سوى ثمانين ريالا . وقد ذهبت إلى لقائه والروع ينفض جوانحى ، فلو أنه علم بأن ما عندى لا يفى طويلا بحاجتى لردّنى . ولكن العميد أحسن لقائى كأنه كان ينتظرنى زمناً طويلا . ثم قال لى فى صوت كصوت طبيب الأسرة فى لطفه ورقته : « كن صريحاً ، كم معك من المال ؟ » . فصدقته القول ، وانتظرت قراره لحظة معاق الأنفاس .

فقال : « هذا من حسن حظنا . لقد أخبرنى أمين مكتبة المعهد منذ هنيهة أن لديه عملا يقتضى مساعداً من الخارج ، يشتغل بعد الظهر ثلاثة أيام فى كل أسبوع . إن الأجر قليل ، ولكنه عمل مستمر طوال السنة الدراسية ، وسيكون فى استطاعتك أن تنصرف إلى الدرس والتحصيل بعض الوقت على الأقل . تعال إلىّ كلما أشكل عليك أمر » .

وماجت بنفسى موجة من الثقة ، وارتفعت حياتى فى هذه الدقائق المعدودات إلى أفق جديد . لقد أصبح العميد بريجز صديقى وحليفى .

وقد سمعت بعد ذلك أخباراً من هذا القبيل كثيرة ، يتضاءل لها ما رويته من خبرى . من ذلك أن فتى رقيق الحال احتوته الطرقات بائساً متشرداً ، فاتصل به خبر هذا العميد العجيب ، فاعتسف طريقه إلى ناحية كمبردج وقابل العميد بريجز ، وحصل على المساعدة فى دخول معهد هارفرد ، حتى تيسر له أن يكون أستاذاً . وهنالك فتى آخر قدم من مدرسة ريفية صغيرة بنفقة استدانها ، وكان على وشك العودة ، إلا أن العميد بريجز رأى نجابته فاستبقاه . ومن يومئذ التمع نجم الفتى وصار مدرساً ومحاضراً وكاتباً .

فمن كان العميد بريجز وليّه فقد تأتّى له كل شىء تقريباً وهان كل مطلب ، فالرجل فاتح أبواب مغلقة . وكل غريب ناء عن أهله ، وخاصة إذا كان حديث عهد بكمبردج أو لا صديق له بها ، فهو فى حفظه ورعايته . وإذا وقعت عينه على طالب يجول متوحداً متوحشاً فى الفناء دعاه إلى داره ، وإلى مائدته ومجلس أهله . ويقول لزوجته وهو يدخل معرفاً بالقادم : « حسنا يا أماه ، لقد جئتك معى بضيف للغداء » . وكانت مسز بريجز ترحب بنا دائماً فى لطف فياض ، ولا غرو فقد تعوّدت الزوجة هذا من زوجها منذ زمن طويل ووطنت عليه نفسها.

وقد يصادف العميد طالباً يظهر عليه أنه لا يصيب من الطعام إلا قليلا ، فيصحبه إلى

مطعم ، لا للطعام فحسب ، بل ليجاذبه أيضاً أطراف حديث شهى . فإذا جاءت ساعة الافتراق ، قال وهو يغمغم على استحياء : « يا مستر جونز ! لقد وضع بعضهم رهن يدى مبلغاً صغيراً من المال لمثل هذا . فأكون شاكراً لك لو أخذت هذه الريالات العشرة لتبلغ بها آخر الشهر » . ثم يسر إليه : « أنت تعلم ولا ريب أن مما يؤذى العينين أن تقرأ وأنت خالى الجوف » .

وكان كل طالب جزءاً من حساب حياته وتدبيره . وإذا كان إمرسن يؤمن بأن النفوس لا يمكن استنقاذها جملة ، فإن العميد يؤمن بأن كل فرد مظنة خير لا حصر له .

والعميد فى المعاهد الأمريكية هو عادة من رجال النظام والتأديب . ولقد كان العمداء من قبله عامة من ذوى الهيبة ، إن لم نقل إنهم ممن يقذفون الرعب فى القلوب ، ولكن العميد بريجز أبدع للعمادة ضرباً من العصر الذهبى ، وأدخل على الوظيفة إنسانية ورحمة مستحدثة . وكان من مبادئه : « من عمل العميد أن يخالف القوانين ، فإن أى كاتب يستطيع أن يتبعها » . وكان يقول : « إنه لأحب إلىّ أن أخدع عشر مرات من أن أظلم أحداً مرة واحدة » . ومع ذلك فقلما كان يخدع .

أما نحن الذين كنا نشتغل لنكسب ما يفى بنفقة دراستنا ، فلم يكن يتسع وقتنا لمخالفة قوانين المعهد . وأما أقراننا من الأغنياء فكثيراً ما وصفوا لنا العميد وشقوته وتململه فى كرسيه وقلقه الأليم ، إذا استوجب الأمر منه أن يوقع عقوبة ، حتى لكانوا فى أكثر الأحيان يألمون لألمه أكثر مما يألمون للعقوبة . وكان يتحرى الظروف المخففة ويستقريها فى لهفة ظاهرة ، ولكنه كان عادلا كل العدل دائماً ، حتى لم يخطر ببال مذنب قط أن يراجعه فى حكمه .

وكان لطرد طالب من المعهد فى نفس العميد بريجز مضض أشد مما فى نفس الطالب . فهو متألم للطالب ، ثم هو أشد تألماً لوالديه . وهو يقول للفتى الجانى : « ينبغى أن أخبر أنا أباك ، ولكن من حقه عليك أن تخبره أنت أولا . فأرجوك أن تخبره ، وخير ما تصنعه له أن تذهب إليه . ولا إساءة أبلغ من اجتنابه فى هذه اللحظة وتركه » .

وكان مع اشتغاله هذا كله بشئون الطلبة يلقى بعض الدروس ، وكان من أقدر المدرسين فى هذه البلاد . ولقد مارس التعليم اثنتين وأربعين سنة ، وكان صاحب فضل فى إحداث انقلاب فى تعليم الإنشاء فى الولايات المتحدة .

وقد ألح بريجز بالاشتراك مع الأستاذ «آدمز شرمان هيل» فى وجوب جعل درس الكتابة إجباريا فى السنة الأولى من الجامعة، كما أنه عمل بالاشتراك مع «باريت وندل» على التوسع فى فكرة «الموضوع اليومى». وقد زاد ذلك عمل المدرسين زيادة كبيرة، ولكن السبيل إلى تعلم الكتابة هو أن تكتب، وأن يكون ذلك تمريناً يومياً فى موضوعات مختلفة.

ولقد نجحت الفكرة حتى أصبح نظام «الإنشاء والموضوع اليومى» أساساً مقرراً فى معظم مناهج الدراسة فى الكليات. وقد أصبح البعض من تلامذة بريجز معلمين وأساتذة، فأذاعوا الطريقة فى جميع أنحاء البلاد.

والنهج الذى جرى عليه العميد بريجز مع الطلاب فى فن الكتابة هو أوفى ماقدمته جامعة من الناحية التعليمية الفنية. ومازلت كلما لقيت أحداً من طلابه الأقدمين، وهم يعدون بالمئات، التمعت عيونهم، ولم يتمالكوا، وقد أصبحوا اليوم مؤلفين وناشرين ومدرسين، إلا أن يذكروا ذلك العهد فى تأثر بالغ لا يبتعثه فى النفوس إلا المعلم العظيم المحبوب.

ولقد بقيت بعض تعليقاته محفوظة مأثورة، منها:

(هذه جيدة فى طبقة الكثير مما ينشر فى المجلات السيارة، ولكنها ليست جيدة جداً).

(موضع الملاحظة على كلمة «متنطس» هو أنى أجدنى فى كل مرة مضطراً إلى مراجعة المعجم للتحقق من عدم الخطأ فى استعمالها).

(هى حكاية لطيفة، إلا أن المدخل أكبر مما ينبغى للبيت).

وبين يدىّ الآن ربطة من الموضوعات التى قدمها إلى العميد بريجز منذ ثلاثين عاماً أحد تلاميذه، وهو اليوم أحد أعلام الفكاهة الذائعى الصيت. وتستطيع أن تتبين من هذه الأوراق كيف كان المعلم يتعهد ما عند تلميذه الفتى من استعداد فطرى للفكاهة، وكيف كان تقريظه لهذه الكلمة، وتنبيهه إلى هذه السقطة فى أسلوب الكلام، وأحياناً إلى خطأ فى التهجئة، ثم تعقيبة على الموضوع فى جملته بأنه: «هو قطعاً موضوع فكه»، وهو لا ينسى مع ذلك التحذير من التكلف واستكراه الفكاهة.

فإذا لم يجد فى الموضوع المكتوب غير عبارة حسنة واحدة نوه بها. ولقد يستوقف الناس فى فناء الجامعة أو فى الشارع — وقد يدعوهم فى التلفون — ليعرب لهم عن مبلغ استحسانه لشىء كتبوه. ولقد أهما

ذات يوم أستاذين من الأعلام فى فنهما ، ليذكر لى بخير مقالةصغيرة كتبتُها فى بعض المطبوعات التى ينشرها تلاميذ المعهد . وذلك أن العميد كان لا يستطيع أن يحبس الثناء عمن يراه مستحقاً له .

والذى يرجع إلى سجلات أسماء تلاميذه يجدها عامرة بأسماء الكثيرين من مشاهير الكتاب والناشرين فى عهدنا الراهن .

ومازلت حتى اليوم ألقى أناساً فى مختلف مناحى الحياة يبسمون حين يذكر لهم اسم بريجز ، ويقولون مثل هذا القول أو ما فى معناه : « تسألنى هل أعرف العميد ؟ إنى أعرفه معرفة لم تتح لأحد قط . نعم إن بيننا رابطة خاصة تربطنا » . وما ذاك إلا لأن ذخيرة المروءة فى نفسه كانت من الوفرة بحيث كان كل من ورد منهلها يحسب أنه استوعبها واستأثر بها . فنحن جميعاً تربطنا به رابطة خاصة .

وفى ذات يوم سقطت علينا سقوط القنبلة ترقية العميد بريجز إلى عميـد للكلية ، وهى وظيفة يكون عمله فيها أهون عليه وأيسر . ولا أزال أذكر الشعور الذى أصابنى ساعتئذ ، كأنها ضربة وقعت على رأسى . فالعميد بريجز لن يكون عميدى أنا بعد اليوم .

وسرعان ما تبين أن شعور أكثرنا كان مثل شعورى ، فقد تم لنا استقدامه بحيلة من الحيل إلى مكتب المعهد فى غبش المساء ، وكان نحو ثلاثة آلاف تلميذ قد اختبأوا خلف الجانب الآخر من المبنى ، فاحتشدوا أمام المكتب وصفقوا يهتفون فى طلب العميد بريجز .

دهش الرجل ، وأطل من نافذة مكتبه فإذا الفناء سواد واحد من الزحام ، فخرج إلى السلم ، بطلعته المعهودة المحبوبة . أيكون هذا آخر عهدنا به ؟ وحاول الكلام . فاختلج صوته ، ولكنه غلب عليه وامتلكه وذكر العميد الجديد ببضع كلمات ، ثم قال : « إن طلاب معهد هارفرد يستطيعون المضى على أحسن حال بدونى ، ولكننى أنا الذى لا أستطيع المضى بدونهم » .

وكانت هذه الكلمة تنطوى على سره وعلى أمله معاً . فالرجل يحتاج إلى الناس ليمارس فيهم مقدرته على الحنان والعطف . وربما كان يأمل أن يجد وسيلة تفضى إلى دوام صلته بنا . وتعالى هتاف جهورى عميق من هـذا الحشد من الطلبة ، وقد اختنق صوت بعضنا بالبكاء وهم يحاولون الهتاف .

ولقد وجد بريجز سبيلا لمعاونتنا ، فقد ظل مدة يوالى العميد الجديد بالمشورة ، وظل على اتصال بما يعرض من مشكلاتنا ،

ولم نزل نحن أيضاً نختلف إلى داره مساءً في بعض الأيام .

ودارت المقادير دورتها ، فإذا بريجز تزداد مشاغله . وذلك أن معهد رادكليف الذى يُعدّ اليوم من أكبر معاهد النساء ، كان وقتئذ ناشئاً وفى دور التكوين . وكان يحتاج إلى يد ذات خبرة تدير دفته ، فانتخب العميد بريجز ليقضي بعض وقته في الإشراف عليه . وقد اضطلع بذلك عشرين عاما ، وهو اليوم جزء من تاريخ هذا المعهد ، ولقد سميت إحدى منشآته باسمه .

ولم أر العميد بعد تخرجي في الجامعة إلا مرات قلائل نادرة ، ولكنها نفيسة غالية . وإني لأذكر بعد عشرين سنة تحيتي له في فناء المعهد ، وكان العميد على علم بما كنت أزاوله من عمل ، وكان واقفاً على تفاصيل حياتي في صناعتي . وكنت قد لقيته قبل ذلك في نيويورك عند عودتي من فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان قد صدر قرار وقتئذ بندبه — على سبيل التبادل — أستاذاً في السوربون ، وكان في طريقه إلى باريس فسألني : « قل لي يا مستر فورمان ! أمن الصواب أن آخذ معى قمصاناً بيضاً إلى باريس ؟ فقد خطر لي أنه إذا لم يكن لدى القوم بعد هذه الحرب الطويلة وسائل للغسل فربما كانت مدعاة ارتباك لهم » .

ولقد قضى العميد بريجز نحبه منذ عشر سنوات ، ولكنه ليس منا ، نحن الذين عرفناه ، من ينساه . والسبب في حبنا له كل هذا الحب وإعجابنا به ، هو أننا لم نكن عنده « تلاميذ معهد » أو « جماعة طلبة » وحسب ، أو ما شابه ذلك ، بل كنا عنده أناسيّ لنا مشاكلنا وشئوننا الخاصة ، كنا عقولا ينبغى أن تتثقف ، ونفوساً ينبغى أن تهذب . فهو على نقيض مذهب الفاشيّة في التربية وفي الحياة . ولقد أحسن العبارة عن ذلك « إليوت » مدير جامعة هارفرد في طلبه منح درجة « دكتور في القانون » للعميد بريجز إذ قال : إنه يطلب هذه الدرجة للعميد لأنه كان « مؤمناً بغلبة الخير في عالم الطلبة » .

ولقد كان من حرارة الإيمان واتقاده بحيث كان يقدح الشعور في أشد القلوب قسوة وصلابة . ولقد أصبح تلاميذه اليوم ، بعد هذه السنين الطوال ، شيوخاً ، ولكن أصحاب هذه الرءوس التى جللها الشيب أو بدت فيها خيوطه ، لا يذكرون عميدهم حتى اليوم إلا غلبهم التأثر .

نبات مداد للزينة نقل من اليابان فأحدث حدثاً في أمريكا



كودزو أعجوبة زراعية أخرى

رسل لورد

ملخصة عن مجلة « كنتري بوكلت »

كانت كانت هناك مزرعة قد تجلت عليها مزرعة جبلية بولاية ألباما ، وإذا سكرات الموت ، فهى هذه ، فقد جرفت تربة سطح الأرض إلى الخلجان والبحر ، وأصبح الحقل الذى وقفنا عليه الساعة كثير الأخاديد ، حتى لا تجد بداً من متابعة القفز وأنت تعبره . وكانت الأرض مواتاً عارية ، وكان المنزل المقوض السقف خاوياً ، ولكنك لو أنعمت النظر هنا وهناك فى تلك الأخاديد ، لرأيت نباتاً مداداً كالحبال ، يزحف على الأرض محتضناً سطحها ، فبدأ ينبسط فوقها كالشبكة . تلك كانت زراعة كودزو الأولى التى رأيتها ، أول ما رأيت ، وكودزو هو هذا النبات الواقى الجديد .

حدثنى رفيقى ر . ى . بايلى ، قال : « لقد شنق رجل نفسه فى ذلك المنزل ، فاستولى المصرف على الأرض . ولكن الحقل سيسترد خصبه قريباً ، فيغدو مرعى خصباً ، وسيخضر فى الربيع القادم » .

وقد أطلق القوم على رفيقى اسم « كودزو بايلى » ، وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٣٦ . وكان الذين يشاركونه ثقته بأن يكون هذا المداد اليابانى نباتاً نافعاً للحقل قلة ، أما الذين ساورهم الخوف أن يصبح هذا النبات آفة أشد خطراً من حشيش « سلطان الجبل » فيعم المنطقة كلها ، فلم يكونوا قلة .

كان جواب بايلى ، وبعض الذين آمنوا كإيمانه ، أنه إذا كان ثمة نبات ينمو نمو حشيش « سلطان الجبل » ، ولكنه يغذى تغذية البرسيم أو البرسيم الحجازى ، ويحتوى تقريباً على ما يحتويان عليه من البروتين والكاروتين ، فليس هناك ما يدعو إلى الحذر . وقد بينوا أن الكودزو لا ينسج حصراً تقى سطح الأرض وحسب ، بل يفعل فعل البقول ، فيستخرج النتروجين الطليق من الهواء ويختزنه لحاجة النبات فى التربة . وكذلك انتشرت زراعة الكودزو لإصلاح الأراضى المشطبة والأخاديد الكبيرة .

قضيت فى شهر يونيو الماضى ، عطلة الأسبوع ، فى مزرعة بولاية جورجيا

يملكها تشانتج كوب ، وهو أحد زراع الكودزو المقتدرين . وقد قال كوب إن الكودزو نقل من اليابان نباتاً مدّاداً للزينة ، فزرعه أولا فى حقله سنة ١٩٢٧ حين اشترى أرضاً مواتاً مساحتها ٧٠٠ فدان قرب كوفنجتون ، وعلى ٣٠ ميلا من اتلانتا . فدعيت مزرعة النهر الأصفر ، لأن النهر الذى ينصرف ماؤها فيه كان أصفر اللون لاختلاط مائه بتربة سطحها .

أما اليوم فالمكان كله يُرَى مَرْجاً أخضر وسط منطقة غبراء طرح فيها القطن . وقد قال تشانتج ووجهه يطفح بشراً : « قد ثلّ عرش القطن فى هذا المكان . ورفع عرش الكودزو » فالمواشى تتكاثر فى المروج ، والتربة تثبت فى الأرض ، والمزرعة تدر المال .

وقفنا فى ذلك اليوم القائظ على حافة حقل عجيب يغطيه النبات المداد ، فقد نما الكودزو نموًّا بلغ ارتفاعه إلى أعلى الورك وكان يغطى الأكمة كلها . قال تشانتج : « انحن ومد يدك » . كانت الأرض ندية باردة كأنها أرض فى غابة كثيفة وارفة الظلال . ثم قال : « لقد قاسوا درجة الحرارة فى يوم مثل هذا فى محطة التجارب فإذا الحرارة على سطح الأرض العارية ٦٠ درجة بميزان سنتيجراد ولكنها كانت ٣١٫٦ درجة على سطح الأرض التى يغطيها الكودزو .

وهذا أمر جدير بالتدبر ، ففريق كبير من رجال الزراعة يسألون : أترى الحر الشديد يضر الأرض المحروثة ويعوق ترطيبها ؟

« ألق نظرة على ورق كودزو المتساقط » وأخذ بيده حفنة . إن هذه الأوراق الكبيرة الرقيقة التى سقطت من نبات العام الماضى تكسو الأرض رقائق متحللة ثم تتحلل فى التربة مادة عضوية فتخفف من شدة فقرها إلى الغذاء ، إن هذه الطبقة المنتشرة فوق الأرض لتبدو تحت قدميك كالبساط الكثيف .

إن الكودزو يقاوم الجفاف مقاومة عظيمة ، فجذور بعضه تذهب ١٢ قدماً فى الأرض ، ويكوّن التاج الواحد ، من مدّاد إلى أربعة ، ثم تنشأ التيجان الجديدة عند المفاصل والعقد . وتكفى ٥٠٠ تاج لزرع فدان واحد ، أى ما يعدل تاجاً واحداً فى كل ٨٥ قدماً مربعة ، فإذا كانت التربة جيدة بلغ معدل النمو فى اليوم قدماً ، حين يكون النمو على أشده . وليس غريباً أن يبلغ نموها فى عام مئة قدم . ومحصول السنة الأولى قد يكون كبيراً ، ولكنه فى العادة يستغرق ثلاث سنوات لتنبسط فروعه على المساحة كلها . وقد ترعى المواشى نبات الكودزو ، أو قد يقطع ويؤخذ دريسه . قال كوب : « هذه الأرض التى مساحتها ٣٥ فداناً تغل ٣½ طن من الدريس

ســواء أنزل الجفاف بالأرض أم لم ينزل .

ولست أظن أنى رأيت قبل فى مكان ما تربة أدنى إلى التآكل من تربة هذه المزرعة، فهى تذوب كالسكر . وحسب عجلة مركبة، أن تمر فى الأرض المعشبة منها لتترك أثراً يتحول إلى أخـدود . ولـكن متى ثبت الـكودزو فى الأرض انتهت جميع هـذه المتاعب . فهذه الحصيرة القوية تمسك التربة.

ومنذ عهـد قريب قال هيو هـ . بنيت رئيس قسم المحافظـة على التربة فى الولايات المتحدة : « بماذا تسمى هـذا النبات إن لم تسمه معجزة ؟ . فقـــد حملنا نبات الـكودزو على أن نعيد النظر فى حكمنا على أراض كثيرة أصابها التآكل الشديد ، فقلنا إنها لا تصلح بعد للزراعة فى المستقبل. وهو ليس محصولا يصلحُ للأرض المخددة وحسب ، بل هو نبات ممتاز للأرض الجيدة كذلك ، فهو يغطى فى عام واحد حقلا من حقول الذرة ، ثم يحرث ويدفن فى الأرض فى الربيع التالى أو أوائل الصيف ، فتزرع الذرة . وبعد آخر زراعة من الذرة ، ينبسط الـكودزو ثانية على وجـه الحقل ، مانعاً تآكل التربة ، خازناً فيها قدراً جديداً من النتروجين ، ثم إذا حل فصل الصقيع سقط ورقه على الأرض فغطاها كالبساط ، وهو يضارع الورق المتساقط من شـجر الغابة . إنه يفعل كل هذا فى سنة واحدة ! »

وقد بدأ زراع الولايات الأمريكية الشمالية يحسدون زراع الولايات الجنوبية على هذه المعجزة . وعلماء الوراثة يبذلون الجهد الآن لاستنباط سلالات أصلب عوداً (أشد احتمالاً للبرد) حتى يمتد نطاق زراعة كودزو إلى الشمال .

والـكودزو حياة وأمل وشـوق ، فى مناطق استنزفت الزراعة بالطريقة القديمة خصبها ، حتى كادت تموت . ويقول كوب : « تساور قلوب الزراع فى الجنوب نشوة عجيبة ويلهجون بالثناء عنـد ما يجتمعون فيمتدحون الـكودزو . وفى اجتماع فى نادى الـكودزو بأتلانتا فى الربيع الماضى ، ذكر رجل كيف استطاع أن ينتج البيض مقابل ٧ مليمات لـكل ١٢ بيضة من دجاج يرعى الـكودزو ، كما شهد آخرون بزيادة غـلة الذرة من ٤ أحمال إلى ٧ حيث زرع الـكودزو من قبل. وتحدث رجل عن نجاحه فى تجفيفه ليستعمل غذاء للماشية والإنسان، وقال : من الممكن أن يصنع منه فطور شهى» .

وقرر نادى الـكودزو أن يكون هدفه زراعة مليون فدان فى جورجيا سنة ١٩٥٠ ، وثمانية ملايين فى الولايات الجنوبية عامة ، ويقول تشانج كوب : « ليس ذلك بكثير فى سبيل ما نحتاج إليه من تعزيز نتاج الماشية، ولـكي نساعد على استقرار شئون زراعتنا» .

من "معجم الشيطان" تأليف "أمروز بيرس"

تعريفات لاذعة

* **السخف** : هو صفة كل قول أو عقيدة يرى المرء أنهما يناقضان رأيه .

* **المعرفة** : فلان من معارفي ، وهو كل امرىء تبلغ معرفتك به أن تقترض منه ، ولا تبلغ بك أن تقرضه شيئاً . وهي منزلة من منازل الصداقة تعدّها ضئيلة حين يكون الرجل فقيراً أو خامل الذكر ، وتعدّها صداقة متينة حين يكون الرجل غنياً أو بعيد الصيت .

* **النصيحة** : أرخص نقد متداول .

* **الثقيل الممل** : هو من يتكلم وأنت تريده أن يصغي .

* **الكرنب** : نبات معروف أشبه شيء برأس الإنسان في ضخامته وحكمته .

* **النكبة** : تذكرة صريحة بأن لا سلطان لنا على تدبير شيء من شئون هذه الحياة . **والنكبة ضربان** : النائبة التي تنزل بنا ، والنعمة التي تدرك سوانا من الناس .

* **المشورة** : هي أن تسأل أخاك أن يوافقك على أمر قد قطعت فيه برأي .

* **الجبان** : هو من إذا نزل بساحته خطر داهم ، كان عقله في رجليه .

* **الواجب** : هو ما يسوقنا سوقا يفضي بنا إلى المنفعة في عنان الهوى .

* **التربية** : هي ما يكشف للعاقل ويخفي عن الجاهل قلة إدراكه .

* **الأناني** : هو كل امرىء فاسد الذوق ، اهتمامه بنفسه أكثر من اهتمامه بي أنا .

* **الموضة (الشهرة)** : طاغية يسخر منه العقلاء ويطيعونه .

* **المأتم** : حفل يراد به أن ندلّ على احترامنا للميت بأن نزيد ثروة الحانوتي ، وأن نزيد أحزاننا بمال ننفقه ، فيضعف أنيننا ودموعنا .

* **الضيافة** : فضيلة تغرينا بأن نطعم ونؤوي من الناس من ليس محتاجا إلى طعام أو مأوى .

* **الضوضاء** : قذى في السمع ، موسيقى متوحشة ، هو ثمرة الحضارة وأصدق دلائلها .

* **التجلد** : ضرب من اليأس متنكر في ثياب فضيلة .

* **السلام** : هو في الشئون الدولية فترة من الخداع بين حربين .

* **المجاملة** : أحب ضروب الرياء إلى الناس .

* **الثورة** : في السياسة انقلاب مفاجىء يحدث تغييراً في ظاهر الحكم الفاسد .

آخر ما أذاعه الألمان وهم يغادرون بروكسل —
شعور البلجيكيين الذين سمعوا تلك العبارة بقلم أحدهم

"سوف نعود إليكم"

ملخصة عن صحيفة « أخبار من البلجيك »
جان ألبير جوريس

تفيض قلوب ثمانية ملايين ونصف مليون بلجيكي بالشكر لأنهم قد استعادوا حريتهم ، ولكنهم وهم فى نشوة الفرح يفكرون فى المستقبل، وحُقّ لهم أن يفكروا، فقد وجه إليهم النازيون وهم يغادرون بروكسل إنذاراً خطيراً . قالوا لهم فى أول سبتمبر أربعة أشياء جديرة بالاعتبار :

« لن نسلبكم شيئاً . لن ننهبكم . لا تحقدوا علينا . سوف نعود إليكم فإلى اللقاء » .

إن هذه الكلمات تشف عن العقلية الألمانية ، وتدل دلالة جديدة على أن قضية ألمانيا أدنى إلى الحمق منها إلى الرشاد .

إن الذين يعرفون الألمان — ومعظم الأميركيين لا يعرفونهم أما الأوربيون فيعرفونهم — كانوا يعلمون منذ زمن أنه متى غلب الألمان على أمرهم ، فسيبدأون حملة جديدة قوامها أنين الاستعطاف ، لأن الألمان يعرفون شعور الأنجلوسكسون نحو المغلوب . ولما غلبوا فى الحرب الماضية أخذوا يئنون أنين الاستعطاف، فأسفر أنينهم عن نتائج لا بأس بها ، وقد عادوا يفعلون كرة أخرى . وستمر سنوات ونحن نسمع أنغامهم المحزنة . ومن المحتمل أن تلين لهم بعض الأمم مرة أخرى .

أما البلجيكيون فلن يلينوا . ولماذا ؟ لأن الألمان يقولون لهم بوقار يضحك: «لن نسلبكم شيئاً » . فيجيبهم البلجيكيون : « وهل تركتم شيئاً يسلب ؟ » إنهم استنزفوا بلجيكا فأخذوا ٨٥ فى المئة من منتجاتها ، وفرضوا على عشرات من المدن البلجيكية ملايين الفرنكات من الغرامات ، ونهبوا البيوت ، وصادروا ممتلكات البلجيكيين المبعدين ، وسرقوا التحف الفنية وخزائن العلماء، وأقاموا أربع سنوات ينهبون، وفى الليلة التى طردوا فيها قالوا لضحاياهم : « لن نسلبكم شيئاً » !

لقد أقاموا أربع سنوات يلتهمون خيرات البلاد ويتركون أولاد البلجيكيين يتضورون جوعاً ، ويشحنون ما ينتجه البلجيكيون من مواد الطعام إلى الريخ . ولقد أخذوا معدات السكك الحديدية والآلات الكهربائية وفحم المناجم البلجيكية ، وكل ما وصلت إليه

أيديهم . وبعد أن جردوا البلاد من كل شيء قالوا : « لن ننهبكم » .

وأغرب من ذلك كله قولهم — وهو أمنية الجلاد : « لا تحقدوا علينا » .

هذه كلمات أولئك الذين جعلوها ملهاة أن يقتلوا في سنة ١٩٤٠ عشرة آلاف طفل وامرأة، في طرق البلجيك، بالمدافع السريعة، وأولئك الذين سجنوا أكثر من اثني عشر ألفاً من البلجيكيين الوطنيين ، والذين عذبوا وقتلوا مئات من الرهائن الأبرياء واختطفوا خمسمئة ألف من الرجال والنساء واستعبدوهم ليعملوا في المصانع الألمانية ، هؤلاء يقولون في ساعة فرارهم للبلجيكيين : « لا تحقدوا علينا ! » .

أجل . لا تحقدوا على الذين حاولوا هدم معاهدكم، وحاولوا القضاء على الحرية التي حاربتم في سبيلها قروناً عدة ، وعلى كل ما يجعل للحياة قيمة .

على أن العبارة الأخيرة التي أذاعها الألمان في فرارهم هي إنذار شديد جدير بأعظم اهتمام .

هذه هي المرة الثانية في ربع قرن يحتل فيها الألمان البلجيك ، أربع سنوات . وقد غلبوا الآن . فهل أدركوا أخيراً أن العالم يأبى أن يستعبد ؟ لا . إنهم لا يزالون يقولون : « سوف نعود إليكم » ، سوف نعود بطائفة جديدة من الجستابو وحجرات الغازات السامة، وضروب التعالي والقسوة .

وإذا كان ثمة شيء يذكره البلجيكيون للألمان بالشكر فهو هذا التحذير : « إلى الملتقى ! نرجو أن نراكم قريباً ! » .

والحقيقة المخيفة هي أننا إذا عاملناهم كما عاملناهم في سنة ١٩١٨، وإذا عددناهم كسائر الناس. فسيصدق كلامهم كل الصدق إن هنالك شعاراً واحداً يجب ترديده وهو : إن ألمانيا يجب أن تدمَّر . ولنحذر أن نقف أمام أولادنا يوماً ما، فنقول وقد نكّس هاماتنا الخزي والندم : « إنهم أنذرونا أنهم سوف يعودون إلينا ، وقد نفذوا وعيدهم من جراء جهلنا وضعفنا وتمسكنا بمبادئ الإنصاف » .

الحقيقة الرائعة

روى لنرد ليونز في مقاله الذي ينشر في صحيفة نيويورك بوست أن طبيباً نفسيًّا في كاليفورنيا سئل : « أأنت نابليون ؟ » فقال : « لا » . فدلَّ جهاز كشف الكذب على أنه كاذب في ردّه .

[مجلة « تايم »]

عبقرية

جلبت له الشهرة هوايته، ولكن منزلته في عالم الفن لم تزل ترتفع

صموئيل مورس

كرت ستيل • ملخصة عن مجلة "إسكواير"



حين أعلنت الولايات المتحدة الحرب على إنجلترا سنة ١٨١٢ لم يكن للكونجرس الأمريكى حيلة يعرف بها أن البرلمان البريطانى كان منذ يومين قد خطا إلى المسالمة خطوات يحتمل أن تمنع الحرب. وكان فى لندن حينئذ مصور أمريكى فى الحادية والعشرين، وقد نزل بها منذ عهد قريب، فتركت هذه المأساة فى نفسه أثراً عظيما. فكتب إلى أسرته فى بوسطن متحسراً على استحالة نقل الأنباء «فوراً» فوق المحيط الأطلسى. وقد كان نقل الأنباء بسرعة الفكر، حلم الناس منذ قرون، فلم يتح لأحد أن يخطو خطوة ناجحة فى سبيل تحقيقه، قبل هذا الشاب الأمريكى، صموئيل فنلى بريس مورس.

وقد حجبت مآثر مورس العجيبة، أن يعرفه الناس فناناً قبل كل شيء — فناناً مجيداً. وكان هو نفسه يعد التصوير عمل حياته، وكان على حق فى ذلك، فقد ظفر بشهرة عالمية فيه، وهو فى الثانية والعشرين، حين انتخبت صورة صنعها فجعلت فى الصور التسع الممتازة بين ألفى صورة معروضة فى الأكاديمية الملكية فى لندن. ثم كان أحد مؤسسى الأكاديمية القومية الأمريكية للرسم، وشغل منصب الرئيس فيها قرابة عشرين سنة. وفى سنة ١٩٣٢، حين انقضت ستون سنة على وفاته، مجد ذكره متحف متروبوليتان للفن فى نيويورك بإقامة معرض خاص لصوره.

ولد مورس سنة ١٧٩١، وقد كان والده القس «جديدية مورس» صديقاً للرئيسين وشنطون وأدمز، وقد ألف كتاباً فى الجغرافية، ومعجماً فى الحقائق العامة. وقد طار ذكر الأسرة بهذين الكتابين، وجنى منهما المؤلف مالاً مكنه من تعليم صموئيل وأخويه الآخرين تعليما عالياً. وحين طلب مورس العلم فى جامعة ييل كتب إلى والديه يقول إنه يستمتع بدروسه «ولا سيما محاضرات مستر داى فى الكهرباء»، ثم قال إنه ينفق معظم فراغه يصور صوراً مصغرة لأصدقائه على العاج، ويقتضى منهم

خمسة ريالات عن كل صورة . وقد كانت دراسة الكهرباء خير ما يهواه ، وكان دائم البحث عن العلماء الذين يجربون التجارب بهذا « السيال » الجديد .

عارضه والداه أولا فى أن يتخذ التصوير صناعة ، ولكنهما عدلا حين ظفر صموئيل ، وهو فى التاسعة عشرة ، بثناء من جلبرت ستيوارت المشهور ، فأذنا له أن يسافر إلى إنجلترا ، ليدرس أصول الفن . وبعد عودته إلى أمريكا فى سنة ١٨١٥ ظل فترة يجنى مالا غير قليل من تصوير صور الأشخاص ، وأفضل صورة صورها هى صورة صديقه لافاييت ، وتجدها معلقة الآن فى دار المجلس البلدى فى مدينة نيويورك . ولكن الإقبال على صوره كاد ينقطع بعد سنوات حين حلت بأمريكا ضائقة اقتصادية .

فى شهر أكتوبر من سنة ١٨٣٢ كان مورس عائداً إلى وطنه بعد أن زار أوربا زيارة ثانية . وذات ليلة دار الحديث بين ركاب السفينة على الكهرباء ، فكان من بواعث التسلية بين سائر الركاب ما قاله مورس ، وكأنه يخاطب نفسه بصوت عال : « ما يمنع أن تنتقل الأنباء بالكهرباء على الفور إلى أى مكان » . وأخذته الفكرة ، كما تأخذ الحمى المريض ، خلال ما بقى من أيام الرحلة ، وإذا كل ما تعلمه فى دراسة الموضوع الذى مال إليه هواه ، يؤتى ثماره فجأة . فلما نزل إلى البر فى نيويورك كان كتاب مذكراته ، يحتوى على رسوم جهاز ودورة كهربائية ، وعلى رغم الزمن وتقدم العلم لم يطرأ تغيير أساسى على قواعدها ، وما زالت بساطتهما تثير إعجاب العلماء والمهندسين .

ولكن مورس لم يزل فناناً ، وكانت جامعة نيويورك الجديدة قد عينته منذ أشهر أستاذاً للنحت والتصوير ، فكان هذا أول منصب أستاذ للفنون الجميلة أنشئ فى أمريكا . وكان ينفق ليله فى عمل النموذج الذى صنعه لـ « تلغرافه » ، ويمضى نهاره فى غرفة رسمه مكباً على إنجاز لوحة كبيرة كان قد بدأها فى فرنسا . وفى هذه الصورة تجلى طموحه العظيم ، لأنها تمثل ردهة العرض فى متحف اللوفر ، وقد علقت على جدرانها سبع وثلاثون صورة لأئمة المصورين من مثل موريلو ، وفاندايك ، وكورجيو ، وغيرهم . وكان خلق مورس موسوماً بالسمة الأمريكية من نشاط ورغبة فى إصلاح الجماعة ، وحماسة فى الإعلان ، فقرر أن يعرض هذه الصور فى أكبر المدن الأمريكية لكى يصلح شيئاً من ذوق قومه . ولكن الإقبال كان ضعيفاً ، فلم يطل به الزمن حتى اضطر إلى أن يبيع الصورة وهو على شفا الإفلاس .

وأصيب بخيبة أخرى زعزعت إيمانه بالفن وجرحت نفسه جرحاً بالغاً. ففي الردهة المستديرة بالكابيتول ، دار الكونجرس في وشنطن ، رسمت جميع الصور على الجدران ما عدا أربعاً ، فتقدم طلباً بأن يؤذن له في رسم إحداها ، فمر أولو الأمر باسمه مرّ الكرام ، فنالت منه خيبة الأمل وانصرف عن الفن ، ووجه نشاطه المتدفق إلى تحسين تلغرافه .

ولكنه كان حينئذ يقطن غرفة في جامعة نيويورك ، فقد كان أفقر من أن يطيق دفع أجر حجرة ، وكان يطبخ طعامه بيديه ليوفر مالاً ينفقه في تجاربه . وقد صنع بيديه كل جزء من أجزاء الجهاز : البطاريات والمغنطيسات ، وحتى السلك المعزول اللازم للدورة الكهربائية . وقد استعمل في صنع الجهاز المستقبل إطار صورة ، وأجزاء من ساعة قديمة لكي تجر شريطاً من الورق تحت رقاص ، قد ركب في طرفه رأس قلم من الرصاص . وكان رأس القلم يسجل ، وفقاً لحركة الرقاص ، خطاً متموجاً ، كأنما هو مؤلف من « نقط » و « شرط » .

فلم يبق أمام مورس إلا أن يخطو خطوتين ليتم صنع التلغراف كما هو معروف اليوم ، وكانت عبقرية مورس كفؤاً للخطوتين جميعاً . ففي سنة ١٨٣٦ أصاب فكرة « تعزيز التيار » ، فاستعمل إشارة منقولة بدورة كهربائية واحدة ، لتفتح وتقفل دورة أخرى ، فيقوى هذا طاقة الرسالة دورة بعد دورة ، فتعبر القارات حول الأرض . وكانت « رموز مورس » هي خطوته الأخيرة ، وقد عاونه في إتقانها شريكه « ألفرد فيل » .

وفي ٢٤ يناير من سنة ١٨٣٨ عرض مورس في غرفة رسمه بالجامعة ، عرضه الأول في إرسال الرسائل برموز مورس ، وجعل يتأهب ليعرض عمله على الكونجرس ، عسى أن يظفر بتأييد الحكومة . ولكنه كان قد ضم إليه ثلاثة شركاء ، فوجد نفسه ، وقد أخذ النجاح ينقاد إليه ، في شقاق لا ينتهي من النزاع والقضايا مع المدعين الحساد . فكتب ملتاعاً : « إن حالة المخترع ايست ، ولاريب ، مما يحسد عليه » .

وقد انقضت خمس سنوات حافلة بالخيبة قبل أن يتم الكونجرس المال اللازم لإنشاء خط تلغرافي على سبيل التجربة . فانصرف مورس إلى بحث جديد ، هو التصوير الضوئي (الفوتوغرافي) . فحين كان في باريس توثقت صلة الصداقة بينه وبين داجير ، وفي إبريل من سنة ١٨٣٩ وصف عمل داجير للجمهور الأمريكي . والغالب أن مورس صنع أول آلة تصوير في أمريكا ،

وبمعاونته تمكن الأستاذ جون داريبر من أن يصنع أول صورة بالمصورة الضوئية، على سطح غرفة رسم مورس فى جامعة نيويورك، وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٨٣٩، فما جاءت سنة ١٨٤١ حتى كان مورس وداريبر قد خفضا مدة تعريض المصورة للضوء، من خمس دقائق إلى بضع ثوان، وجعل مورس يلقى دروساً على المتحمسين فى أصول هذا الفن الجديد.

وأخيراً أقر الكونجرس فى سنة ١٨٤٣ صرف ثلاثين ألف ريال لإنشاء الخط التلغرافى الأول، ولكن بعض الشارعين ظنوا مشروع القانون سخيفاً فحاولوا أن يضيفوا إليه تعديلا، بتحويل جانب من المال إلى تأييد التنويم المغناطيسى. وعين مورس مفتشاً لتلغرافات الولايات المتحدة، فشرع فى مد خط طوله أربعون ميلا من وشنطن إلى بلتيمور. وكان الرأى الأول أن يمد السلك تحت الأرض فى أنبوب من رصاص، واخترع له إزرا كورنيل – مؤسس جامعة كورنيل فيما بعد – محراثاً بارعاً يستطيع أن يحفر الأرض ويلقى الأنبوب ثم يغطيه بالتراب، فى عمل ميكانيكى واحد. فلما أنفق مورس ٢٣ ألف ريال، تبين أن عزل الأسلاك عزلا تاماً تحت الأرض مستحيل. فاستدعى كورنيل على عجل ليجتمع به، فقررا وقف مد الأسلاك تحت الأرض، ولكن إذا علم الجمهور بالحقيقة قبل أن تحل المشكلة، ذاعت بين الناس وساوس الفضيحة. ولكن براعة كورنيل جازت هذه الأزمة، فقد عاد إلى المحراث، وألهب بسوطه الثيران التى تجره – ثم دفعه إلى صخر فتحطم عليه. فكانت هذه «الحادثة» عذر مورس فى أن يمد الأسلاك على أعمدة.

وقد تم إنشاء الخط الأول فى مارس من سنة ١٨٤٤، فأرسلت به الرسالة المشهورة: «ما أعظم ما صنعته يا رب»، إلى ڤيل فى بلتيمور أثناء حفلة فى حجرات المحكمة العليا. وقد استعمل هذا الجهاز الأمريكى أول ما استعمل، لينقل إلى وشنطن حوادث مؤتمر الحزب الدمقراطى المجتمع فى بلتيمور، فلما وقف الأعضاء وصاحوا: «تحية لجيمز. پولك، وتحية للتلغراف» رسخت شهرة الجهاز الجديد فى الأمة.

كان مورس يبغى أن تتخذ الحكومة هذا الاختراع الجديد وتستعمله، ولكن الكونجرس أبى، فألقيت مهمة تحسين التلغراف واستغلاله إلى الهيئات الخاصة. فلما كانت سنة ١٨٤٦ كان فى وسع صحفى فى نيويورك أن يكتب مباهياً: «فى الحين الذى أنشأت فيه إنجلترا، بمعونة حكومتها

وبعد مشقة عظيمة، خطوطاً تلغرافية طولها ١٧٥ ميلا ، استطاعت الولايات المتحدة بجهود الأفراد أن تنشىء خطوطاً طولها ١٢٦٩ ميلا » .

كان مورس قد تصور فى سنة ١٨٤٢ أو قبلها الخط التلغرافى الممتد فى مياه المحيط الأطلسى . والواقع أن الخط الأول الذى أنشأه على سبيل التجربة كان خطاً ممدوداً تحت الماء ، لأنه مده بين موقعين على جانبي خليج نيويورك . وقد مده بنفسه من زورق تجديف ، وكان يتوقع الاحتفاء بافتتاحه ، فلما طلع الفجر ذهب مورس إلى الخليج ليستوثق من أن كل شيء على ما يرام ، وإذا هو يرى فجأة صاحب سفينة صيد ، يرفع الحبل الممدود على مرساته ، ويهزه مغضباً ، ثم يقطعه ويلقى طرفيه فى الماء ، فتحولت الحفلة المعـدة إلى اجتماع ساخر . وظلّ المشروع محـل الهزء والاستنكار عدة سنوات . على أن سيروس فيلد نظم أخيراً جماعـة من رجال المال اكتتب أعضاؤها بالمال اللازم لتنفيذ المشروع الطموح ، مشروع مدخط المحيط الأطلسى ، وبعد أن خاب العمل ثلاثاً ، تم مد الخط سنة ١٨٦٦ ، وقد ظل مورس مدة ما ، مساهماً فى مشروع فيلد .

وقد دفع به نشاطه الفياض إلى ميدان السياسة ، فاشترك اشـتراكا قوياً فى كل معركة سياسـية قومية ، وكان فى الغالب فى الفريق الخـاسر . وقد قاوم الحرب الأهلية مقاومة عنيدة ، وشن ، وهو فى الثالثة والسبعين ، حملة شعواء ضد تجديد انتخاب الرئيس لنكن .

وقد مات مورس سـنة ١٨٧٢ ، قبل يوم ميلاده الحادى والثمانين ببضعة أيام ، وهو شديد الأسى على أنه لن يظفر بالتقدير لعبقريته كمصور . أما المخترعات التى دفعت أوربا وأمريكا إلى أن تغدقا عليه التكريم والثراء ، فقد حلت محلها مخترعات جديدة ، ولـكن قيمة صوره تزداد سنة بعد سنة . وهو يعد الآن بين عظماء مصورى الأشخاص فى العالم . ولو علم هـذا لـكان خليقاً أن يكون أعظم بواعث سروره ورضاه .



دعاء

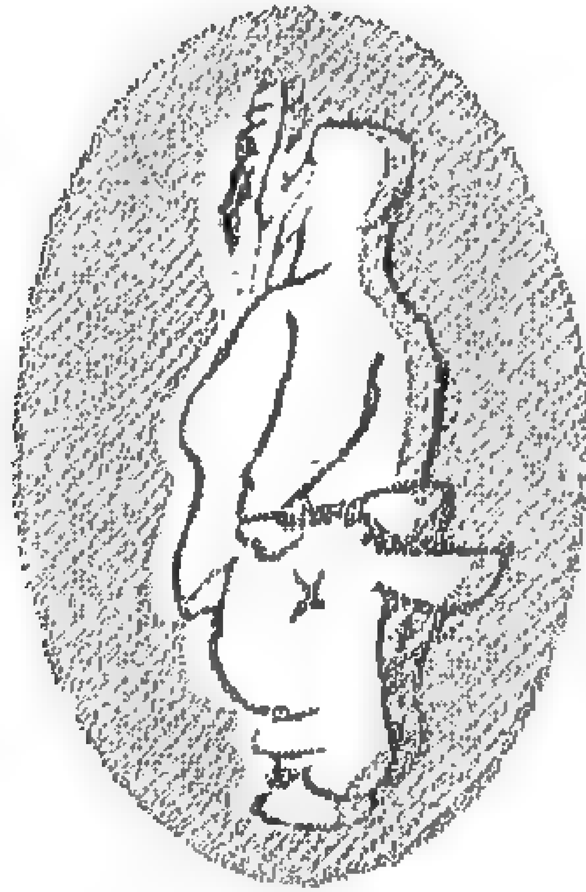
اللهمّ ارزقنا القوة حتى نقبل بنفوس مطمئنة كلّ ما لا يمكن تغييره ، وارزقنا الشجاعة حتى نجرؤ على تغيير كل ما يمكن تغييره ويجب أن يغـيّر ، وارزقنا الحـكمة حتى نميّز بينهما .

[مسندة إلى الأميرال هارت]

كابلونا

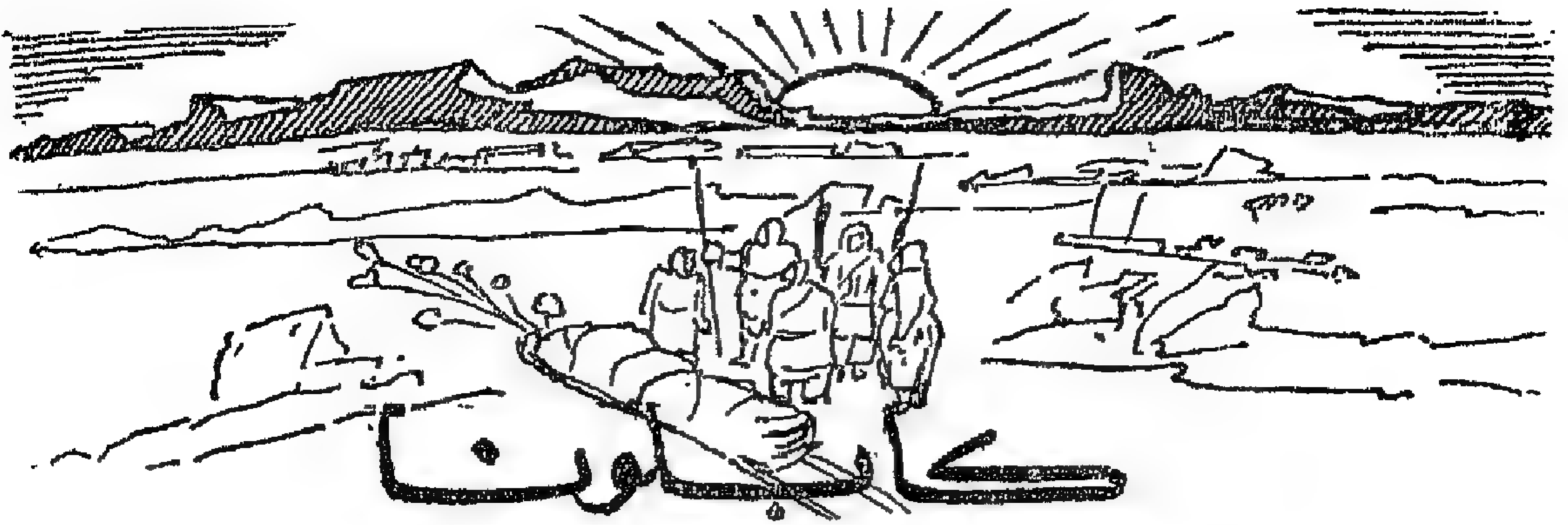
ملخصة عن كتاب

جونتران دى بونسان



يقول جونتران دى بونسان : « إن من أندر الأشياء فى العالم أن تقع على رجل متحضِّر مطمئن النفس » . بيد أنه حين كان فى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وعاشر الإسكيمو « غير المتحضرين » الذين لم تفسد فطرتهم ، وحين شاطرهم متاعبهم الفادحة المروعة ، ولذاتهم الفطرية ، ونشواتهم التى تكاد تكون وحشية ، وجد من سكينة النفس ما لم يجده فى أى مكان آخر .

وقد لقى كتابه « كابلونا » الذى يروى فيه تلك المغامرات المادية والنفسية ثناءً عاما من جمهور الناقدين .



لست أذكر ، أكانت صورة شمسية معروضة فى دكان أو ملاحظة عابرة وقعت فى سمعى ، هى التى حفزتنى إلى ما فعلت ؟ ولكن كل ما أعرفه ، قبل ذلك الربيع وأنا فى باريس ، أن كلمة «إسكيمو» كانت تدوى فى أعماق نفسى ، وجعلت تتردد كأنها رنين ناقوس . واستولت على شيئاً فشيئاً رغبة ملحة فى النزوح إلى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وأن أعيش بين قوم لا يزالون على الفطرة .

وكان أول أثر لهذه الرغبة فى نفسى هو شعورى بالقلق لا بالعزم والاستقرار ، فقد أخذت دنياى تضيق بى ، وجعلت أضيق بها ، وبدا لى أن أصدقائى لا ينطقون إلا هراء ، وأنهم يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى . وأخيراً تأتى لحظة ، فتفيق فى جوف الليل وتظل بلا حراك ، ، وعيناك مفتوحتان فى الظلام ، وتشعر أن شيئاً يوشك أن يكون ثم يكون فعلا : لقد أجمعتَ رأيك .

ووقفت أدق الجرس بباب الآباء الكاثوليك ، وأخص أعمالهم أن ينشروا المسيحية بين شعوب الأرض البعيدة التى حرمت هداية الله ، ومن هذه الدار لم يزل يخرج القساوسة المسيحيون منذ أجيال مضت إلى أواسط إفريقية وغابات البرازيل والمنطقة المتجمدة .

وبغير تمهيد أفضيت بغرضى من الزيارة إلى القس الذى فتح لى الباب : إنى أريد أن أعيش بين الإسكيمو ، لا إسكيمو جرينلندة الذين أشرفت الحكومة على تحضيرهم ، ولا إسكيمو ألاسكا الذين ينحتون التذكارات للسائحين ، بل إسكيمو كندا الذين يسكنون تلك الأصقاع المتجمدة الوسطى ، وقد نأت بلادهم فهم لا يزالون يعيشون على الفطرة كل الفطرة . وكانت الجزر التى يعيشون فيها تابعة لأسقف له طائرته الخاصة . ولقد أمّلت أن يطير بى إلى تلك البقاع ، فهل أجد مُعيناً من الآباء ؟

وأشاروا علىّ بأن أكتب إلى الأسقف ، فكتبت إليه فى إبريل وعنونت كتابى إلى

«فورت سمث» . وفى آخر مايو تلقيت رده أنه يسرّه أن يطير بى، ورغب إلى أن أقابله فى ماك مرى بألبرتا الشمالية فى أوائل يوليو.

وكانت هذه الرسالة الغالية ووثائق جمعية باريس الجغرافية التى تدل على أنى من الباحثين فى عادات الأجناس البشرية ، هى كل ما حملته ، ولم يكن معى من المال إلا القليل ، ولم تكن لى خطط موضوعة . فقد وجدت من أمد بعيد — فى الهند والصين وفى بحار الجنوب — أن الحياة تمقت ما نضع من خطط ، وأن لها خططاً تفوق كل ما نتصور .

وغادرت باريس فى ١١ يونيو ١٩٣٨، وفى ٩ يوليو ، وكنت قد بلغت أقصى ما تصل إليها القطارات فى شمال كندا ، ركبت الطائرة مع الأسقف بريثات من فورت ماك مرى . وبعد خمسة أيام ، وقد طرنا ١٥٠٠ ميل ، أنزلنا طيار الأسقف فى كوبرماين على المحيط المتجمد. فقابلنا الأب ديلالاند وقادنا إلى دار بعثته . وفى اليوم التالى عاد الأسقف العجوز بعد أن قام بما استطاع من أجلى، حيث أنزلنى فى أبعد منزل من منازل المدينة .

ففى كوبرماين ينتهى عالم الرجل الأبيض، حيث يظل فى وسع المرء أن يتعامل بالنقود وإن كانت قليلة ، وحيث آخر محطة للراديو فى أقصى الشمال ، وهى محطة حكومية تذيع أحياناً بعد ظهر أيام الآحاد ، وترسل رسائل خاصة إلى رجال الدين ورجال البوليس ومديرى البريد فى خليج هدسن، وحيث يزورهم طبيب الأسنان مرة فى السنة يصحبه غلام من الإسكيمو يحمل ثاقبته التى تدار بالقدم .

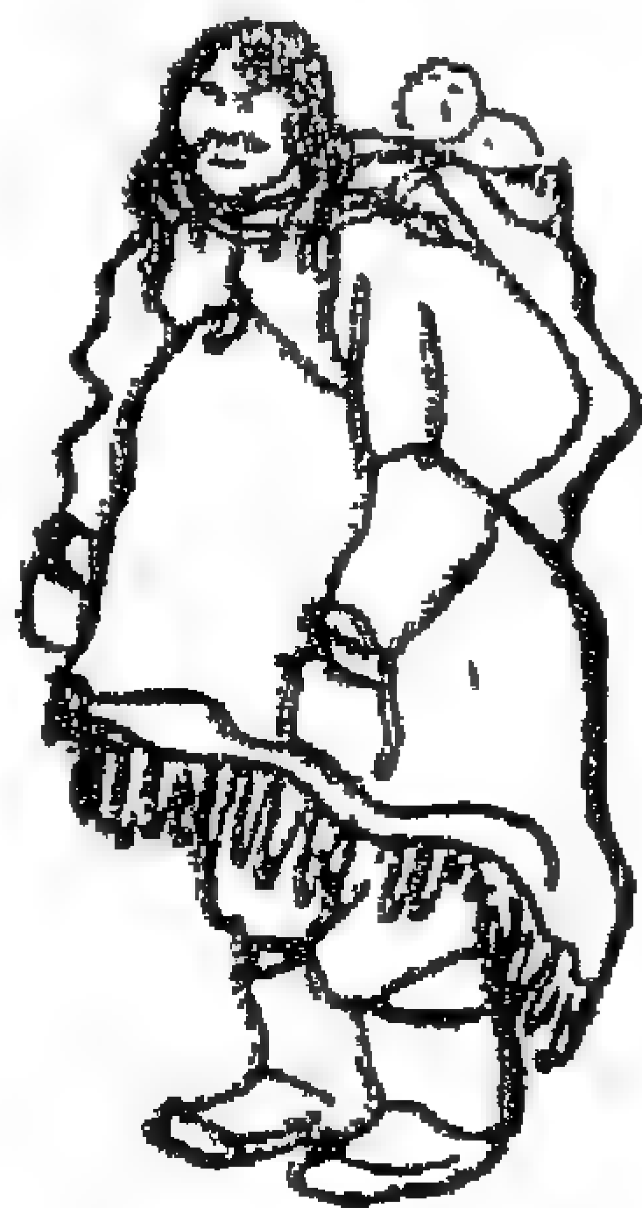
على أن كوبرماين التى بلغتها بعد سفر ٧٠٠٠ ميل كانت لم تزل تبعد من الأصقاع التى يسكنها إسكيمو المنطقة المتجمدة الشمالية. وكان آخر وجهتى مقر شركة « هدسن باى » فى جوا هافن فى الجزيرة المعروفة بأرض الملك وليم ، وتقع على مسافة ٧٠٠ ميل شمالا شرقيا ، وكان علىّ قبل بلوغها أن أقطع ٢١٠٠ ميل — وهكذا الترحال فى الأصقاع المتجمدة .

ولم أستطع الرحيل من كوبر ماين إلا بعد انقضاء أسبوعين أقمت خلالهما مع الأب ديلالاند . وقد لاحظت أن البيض أمثال الأب وزائريه ينقلبون فيعيشون معيشة الإسكيمو ، ولا ينقلب الإسكيمو فيعيشون مثل معيشتهم . فقد كان كل همهم كهمّ الإسكيمو — الجمد ، وتكسر الثلج ، وزمركبات الجليد ، وأمراض الكلاب . وأسعار الفراء . وكان يهمهم أمر دليل الكلاب إذا مرض ، أكثر مما يهمهم سلام

أوروبا بأسرها ، فإن دليـل الكلاب فى البـلاد الشمالية هو كل شىء . وقد قال لى الأب ديلالاند : إنه أمضى ست سنين فى هذه الأصقاع قبل أن يتيسر له أن يقع على دليل قادر ، وهو الآن لا ينفك يتحدث عنـه وعن براعته وجرأته .

وكنا إذا تجاذبنا أطراف الحديث لا يفتأ الأب ديلالاند يميـل ببصره إلى النافذة ، ثم يخرج ولما يتم حديثه ليتبينها أهى فقمة فى الماء ؟ فإن الفقمة فى تلك الأصقاع هى الغذاء ، والغذاء أهم من الحديث . والأكل والدفء هما حياة الناس فى الشمال .

على أننى بدأت أرى أن هؤلاء القناصة والصائدين ورجال الدين من البيض فى بلاد الشمال ، إنما يأخذون بطرائق معيشة الإسكيمو إلى حد محدود ، فيسافرون على عربات الثلج ، ويصطادون السمك من منفرج الجمد ، ويتدثرون بالفراء ، وقد يلجأون أحياناً قليـلة إلى بناء أكواخ من الجمـد كما يفعل الإسكيمو ، ولـكنهم لا ينفذون البتة إلى «عالم» الإسكيمو ، إلى أسلوب تفكيرهم فى الحياة . ولقد قصدت هذه البلاد لـكى أنفذ إلى هـذا « العالم » الذى لم يعيروه مهم .



وكانت الملابس الصالحة للمنطقة المتجمدة لم تزل تعوزنى ، فأشار على الأب ديلالاند أن أشترى ما أحتاج إليـه من جلود فى كوبرماين . وأنفذ فى طلب كريلامك وهى خير خياطة فى القرية ، وذكر لها حاجتى .

وسارت إلى جانبى عجوز الإسكيمو وهى تطلع تدخن سيجارة فى أثر سيجارة ، حتى انتهينا إلى الدكان . وليس ثمة مشهد يستولى على الإنسان كمشهد صانع يزاول صناعته ، وكان مشهد كريلامك وهى منهمكة فى اختيار الجلود يبعث على الثقة ، فقد نبذت نصف الجلود بنظرة واحدة ، وفحصت المخزون جلداً جلداً وهى تعرك الجلد وتزنه بين أصابعها . وبعـد ساعتين فرزت كومة من الجلود عددها ١٧ جلداً كاملا وثلاثة بيضاً من جلد البطون و ٣٠ من جلد القوائم ، وكلها من جلد الوعول ، ثم جلد فقمة كبيرة للأحذية وجلد أيـل كبير وجلد ذئب لزركشة الملابس .

واشـترينا كذلك لفافة من عضل الوعول جعلت كريلامك تستخرج الأعصاب منها واحداً واحداً وتفتلها بأسنانها ، فتصنع منها خيطاً غاية فى المتانة .

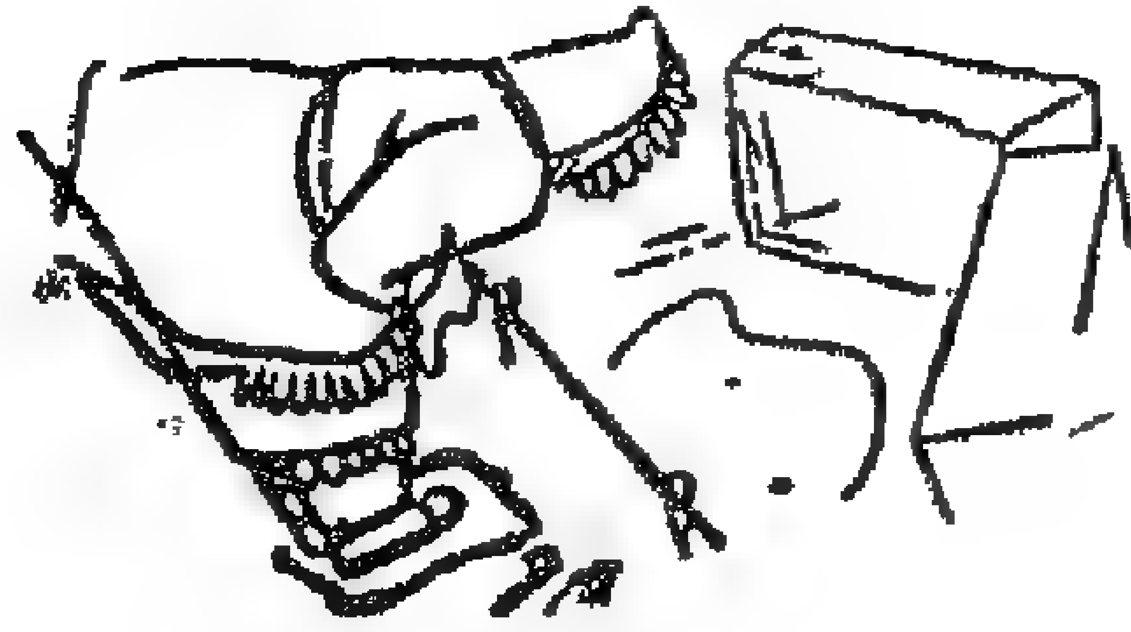
وحملت كل هذا إلى خيمتها وبدأت تخيطها دون أن تنبس بكلمة عن المقاييس ، ومع ذلك

فقد جاءت الملابس على قدّى تماماً .

وعلمت بعد إقامتى ١٢ يوما فى كوبرماين ، أن فى وسعى أن أبلغ نهر برى على مسافة ٢٥٠ ميلا من أرض كنج وليم بالسفينة أودرى ب ، ولكن خط سيرها كان يتعرج غرباً إلى مصب نهر ماكنزى قبل أن تبحر شرقاً إلى نهر برى — وهى رحلة طولها ١٩٠٠ ميل لبلوغ مكان لا يبعد إلا ٥٠٠ ميل ! وأخيراً أرسينا فى نهر برى بإزاء مقر شركة « هدسن باى » . وفى اليوم التالى أقلعت السفينة ، وانفصمت بذلك آخر حلقة تربطنى بسائر العالم .

وبعد أسبوع صحبنى إسكيمىّ على شىء من الحضارة ، اسمه أنجولا لك ، فى زورق بخارى قطع بنا ٢٥٠ ميلا تفصلنا عن أرض كنج وليم . وفى ٩ سبتمبر دخل الزورق خليج جواهافن الهادىء الفخم . ولاح لى من ورائه سهل فسيح لا لون له ، سهل صخرى لا نبض فيه ولا حياة ، ولا ينفسح أمام الناظر إليه من الآمال سوى أمل الوحدة والعزلة .

وفى جواهافن نزلت ضيفاً على بادى جبسون ، الرجل الأبيض الوحيد فى مقر



الشركة ، وكان مساعده الذى يشاطره كوخه الأدكن الصغير قد ارتحل بالزورق الذى جئت فيه .

ووقفت أنا وبادى على حافة الماء ، وقد انساب الزورق فى الخليج ، وعجبت لبادى كيف لم ينبس بكلمة أو بيد إشارة وداع ؛ لا : إن الاشارات تصلح للناس على أرصفة السكك الحديدية يلوحون بها لمسافرين لا يرتابون فى أوبتهم يوما ما ، ولكنها هنا نافلة لا ضرورة لها .

وما إن عدنا إلى مقر الشركة حتى أكبّ بادى على البريد الجديد القادم ، ولم يكن له ما يفعله غير ذلك خلال يومين ، فكان يبدأ كتاباً ويقرأ منه صفحة أو صفحتين ثم يلقى به جانباً ويفضّ غلافَ آخر . إن فى قلبه لشوقاً شديداً أن يتصل بالناس ، شوق لا تشوبه رغبة فى معرفة الأخبار . ممن هذا الكتاب ؟ وذلك أيضاً ؟

وفجأة التقط جبسون غلافاً وندّت عنه زفرة ، وجعل يقرأ ذلك الكتاب بإنعام إلى آخره . فقد كان من أبيه ، ولكن أباه كان قد مات فى إرلندة منذ ستة شهور وسمع نبأ وفاته فى الراديو . وظل بادى ساكناً بلا حراك . فحوّلت نظرى عنه ،

وجال برأسى أن هنا ركناً من العالم لايزال الحىّ يتلقى فيه من الميت رسائله . وألح علىّ هذا الخاطر ، وفى المساء حين أوى كل منا إلى مضجعه تخيلت جبسون وهو فى فراشه، على الجانب الآخر من الحاجز ، يفتح ذلك الكتاب ثانية ويقرأ :

« ولدى العزيز ٠٠٠ »

غداة وصولى وقفت فى نافذة وحدقت فى باز يطير مع الريح ثم ينقلب عائداً مع العاصفة التى تجتاح تلك المفازة الفسيحة من الجليد . وكان يصيد طير الثلج ، وهو قوام معاشه .

كل شىء فى هذا المكان حلقة فى سلسلة الفناء ، فالإنسان يجىء هنا ليصيد الثعلب الأبيض ، والثعلب الأبيض خلق هنا ليصيد جُرَذ الجليد ، وجرذ الجليد فى إثره فريسة أصغر منه . والحال فى الداخل على هذا المنوال أيضاً : فالذئب يقتفى أثر الوَعِل ، ومن ورائه الثعلب يأكل ما خلفه الذئب ، وفى أثره الذُّؤَيب ليأتى على ما نبذه الثعلب . وعلى أطراف الجليد يصيد الدب القطبى الفقمة ، ويسير الثعلب الماكر فى أثر الدب ، لأن الدب — ساكن الثلج النهم الذوّاقة — لا يأكل من الفقمة إلا شحمها ويترك ما عداه . ويأتى الإنسان من خلف الثعلب الماكر ينصب له الفخاخ .

لقد تقلصت دنياى هنا تقلصاً شديداً . ففى هذا الفصل لا تستطيع العين أن ترى أبعد من ثلاثة أرباع الميل ، وحيثما ألقيت بصرى تبينت لى حدود كل شىء ونهايته . وهى حال أشبه بحال السجين فى المعتقل على ما خيل إلىّ ؛ فقد كان المكان كئيباً ممحلا مخوفاً لا حياة فيه .

كانت جميع هذه الخواطر — ذلك الباز الحائم، وسلسلة الموت، والإحساس بالعزلة — كل أولئك، كما عرفت الآن، كانت هى برَم الغريب عن تلك الأصقاع ، وليس فى المنطقة المتجمدة من يدعها تفسد عليه حياته . ولقد خبرت ذلك فى نفسى ، فما هو إلا أن زالت ، وسرعان ما انقلب كل كئيب غريب أليفاً مألوناً ، فيصبح الجمد ملاذى ، والعاصفة الثلجية عدوًّا يجب أن أتعلم كيف أغالبه ، ويصبح خاطر الموت نفسه مألوفاً .

بيد أننى لم أبلغ بعد هذه المنزلة ، فالشتاء لم يحل بعد ، وكنا فى الخريف : ذلك الفصل المخوف ، فصل الزوابع والأمطار ورعدة الأبدان ، (وهو الفصل الوحيد الذى يرتجف فيه الناس برداً فى الشمال) حيث يتبع الإسكيمىّ فى خيمته يبتهل إلى الله أن يعجل مجىء الشتاء كما نتوق نحن إلى مجىء الربيع ، والثلج عند الإسكيمو هو هبة الله الموموقة ، والعنصر السحرى الذى يتيح له

السفر والترحال ، والترس الذى يقيه غائلة الريح، حين يقضى الساعات الطوال فى البحر المتجمد مترقباً ظهور الفقمة، وهو بعد، تلك المادة الجميلة التى يصوغها قطعاً لبناء بيته ، ويخفى الإسكيمى تحت أكوام من الحجر مركبة الثلج وحرابه وسروج كلابه وجميع أمتعته شهور الشتاء الرائعة المهيبة .

والإسكيمىّ يظل ، حتى يتساقط الثلج فى أكتوبر ، مخلوقاً شقيًّا ، وأفاقاً فى أسمال بالية. فإذا جاء الشتاء هجر تلك الخيمة الرثة، وأقام كوخ الجمد الأبيض ، وخاط الجلود والفراء ملابس جميلة ، وينقلب ذلك الأفاق الرث السقيم صائداً ، ويصبح ذلك الفقير المسكين الذى كان يلوذ بجدار مقر الشركة « رجلا تام الرجولة » .

وفى أوائل أكتوبر شاهدت البحر يجمد لأول مرة ، رأيت المياه الدافقة تجمد وتتحجر أمواجاً وتتجمد فى الجحور والأخاديد .

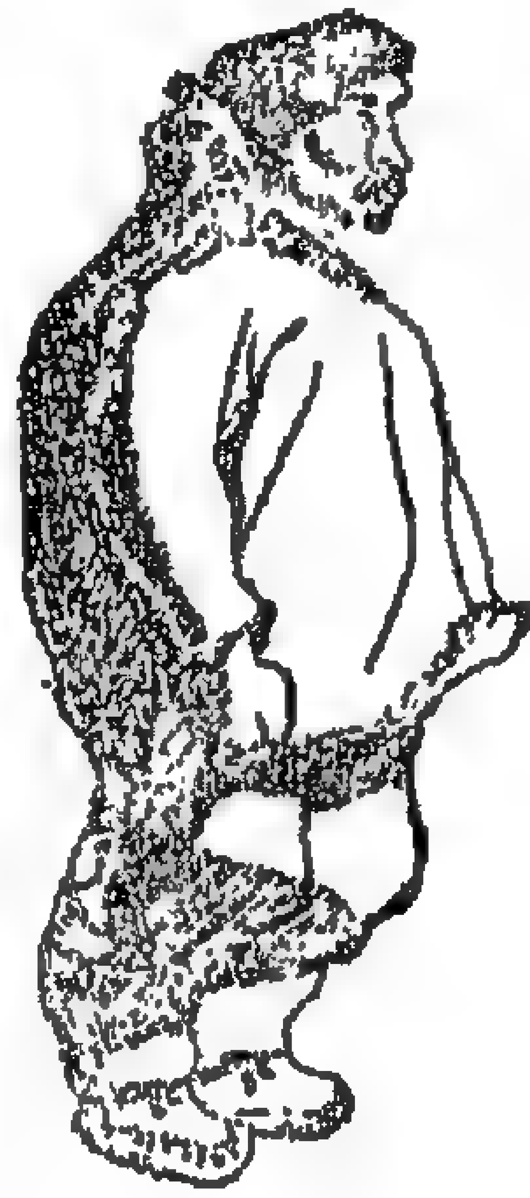
وكان ما شهدته — وقد نشأت فى بقعة قلما نزلت فيها درجة الحرارة إلى ٥ تحت الصفر — مشهداً سحرياً عجباً . ولم يكن تجمد البحر فى نظر الإسكيمى بأقل شأناً منه فى نظرى ، لأن البحر فى تلك الأصقاع هو الطريق الملوكى فى الشتاء . وهو مرتع الصيد الذى يمنح قوتاً وفيراً يدّخر للأشهر العجاف المقبلة ، وهو موطنه و « أرضه » حيث يؤثر أن يبنى عليه كوخ الجمد ، فإن الجمد على الماء أدفأ من الأرض الدائمة الجمد .

ولا ينقلب البحر جمداً فى ليلة واحدة ، فقد شاهدت يوماً إثر يوم تلك المرآة المحببة من سطح الجمد تتشقق وتتكسر وتنساب فيها المياه طليقة غير ممنوعة ، ثم يبدأ كفاح الجمد من جديد . ويستكره البحر شيئاً فشيئاً على الإذعان والتسليم ، وتتبلور مياهه المتاخمة للساحل الذى جمد . ويجىء يوم فلا يبقى من تلك المياه غير بركة وسط الخليج خضراء دكناء حتى تكاد تخالها سوداء وفى اليوم التالى تختفى هذه أيضاً ، ويسير الإسكيمو من الساحل إلى وسط الخليج يتحسسون الجمد بأقدامهم فى براعة وحذر إيذاناً بحلول أعظم الفصول .

وكان جبسون فى خلال ذلك يعد العدة للشتاء ، كان عليه بادئ ذى بدء أن ينقل الفحم من كومة بجوار الساحل ويخزنه ، ثم كان عليه أن يستر الباقى بعناية ويقيه البرد ، فإن ثمن الطن من الفحم عند التسليم يبلغ ١٧٠ ريالا ، وإذا جمد لا يحترق . وكذلك تجب العناية بكل شىء يمكن أن يضرّ به البرد الشديد ، فالبطاريات الكهربائية مثلا تفقد نصف قوتها إذا جمدت ، والأوانى الزجاجية التى تحفظ فيها

الطماطم والمخللات قد تنفجر ، والبطاطس التي تجمد لساعتها يمكن أن يذاب جمدها وتبقى صالحة للأكل ، ولكنها إذا جمدت على مهل فسدت وعطبت .

ولم يمض طويل وقت حتى خرجت أول مركبة من مركبات الثلج في أول رحلة في الشتاء ، وتجمع الناس يرقبون رحيلها ، ولم يكن ذلك لأن الثلج كان قد تكاثر يومئذ ، بل لم يزل رقعاً متناثرة . وكان السفر يحتاج إلى التعرج الطويل من كثيب إلى كثيب ، فيسيرون ٦٠ ميلا ليصلوا إلى نقطة تبعد ٢٥ ميلا . بيد أن الإسكيمو لا حاجة بهم إلى أن يقيموا للوقت وزناً ، وبذل الجهد عندهم هو قوام الحياة . ولقد دبرت أمر رحلتي بأن يصحبني يوتاك الإسكيمي ، نظير ثعلب أبيض ، إلى مخيم قريب للاسكيمو . وكان عليّ أن أدبر طعامي والهدايا الصغيرة المعتادة لأهل المخيم . ولما تهيأنا للمسير كان الثلج قد تراكم حول مقر الشركة كثباناً يبلغ ارتفاعها عشر أقدام .



وساعدني بادي في حزم أمتعتي ومؤونتي وقال لي : « ألا أنبئك بما تفعل : جهز لنفسك حساء ثخيناً من اللحم المملح والأرز والفاصوليا ، وانشره على لوح من الخشب في صحن الدار فيجمد لوقته . ثم خذ مطرقة واكسره قطعاً واتركه معرضاً حيث يبقى على حاله متجمداً ، وفي الطريق سخن إحدى هذه « الحجارة » . فهذا هو غذاؤك ! » .

ولقد تزودت بهذه المؤونة الضئيلة ، وببضع كلمات دارجة من لغة الإسكيمو لكي أخوض غمار عالمهم.

وتختلف مركبة الثلج في طولها من ١٢ قدماً إلى ١٨ ، ويبلغ ارتفاعها عن الأرض من ست بوصات إلى ثمان ، أما عوارض الانزلاق فهي من الصلب ، بيد أن الصلب وحده لا يصلح ، فإن الثلج يعلق به ويعوق سيرها السهل الحثيث . ومن أجل ذلك يعمد الإسكيمو إلى الطين الذي يستخرجونه من قعور البحيرات في الصيف ويغلونه ، ويدهنون به تلك العوارض وهو لا يزال يغلي ، فيجمد عليها ، ثم يصقلونه بمبرد من حديد ، وبعد ذلك يرشون قطعاً مربعة من جلد الدب ببعض الماء ويمسحونه بها مسرعين — ويصير هذا طلاءً مستوياً من الجمد ، فإن الماء يجمد لساعته ، وبهذا تستطيع أن تجعل مركبة الثلج تنزلق على الجليد بلمسة من بنصرك .

فإذا انتهى تجميد عوارض المركبة ، حملت

بالمؤن وربطت إليها الكلاب ، وهى شديدة الحرص على مواضعها من العنان ، فإذا بُدّلت مواضعها فإما أن يقوم بينها صراع عنيف ، وإما أن تأبى أن تتحرك .

ولما تهيأ كل شىء ، على ما بدا لى ، اكتشف يوتاك فجاءة أن سكين الثلج لم تزل فى الكوخ ، فعاد إليه وأحضر تلك الأداة التى لا يستغنى عنها ، والتى تستخدم فى الأكل ، وبناء أكواخ الجمد ، وفى مهاجمة الدب القطبى . ثم وجدنا أننا نسينا حربة صيد الفقمة فجعلناها بين أمتعتنا ، وألقى يوتاك نظرة فاحصة على المركبة وأبدى ارتياحه . ولكن مهلاً ، أين إبريق الشاى ؟ كيف نسيناه !

واستغرق تحميل المركبة ساعة ، وقفت خلالها برماً بطول الاستعداد ، وإذا بالمركبة تسير فجاءة وألفيت نفسى أجرى خلفها أتعثر فى الثلج ، أجهد أن ألحق يوتاك وهو يجرى إلى جانب المركبة يلهب الكلاب بسوطه . ولما تقطعت أنفاسى كفّ الكلابَ وابتسم حين لحقته وأنا ألهث ، وقد سره أن يرى الرجل الأبيض فى حال مضحكة . وكنا على مسافة ٢٠٠ ياردة فقط من مقر الشركة ، ولكن خيل إلىّ مع ذلك أننى قد انتقلت إلى عالم آخر .

ولم يقع شىء فى الطريق ، نعم ! ومع ذلك فقد كنا لا نكف عن العمل ، فهذا حزام قد استرخى ، عليك أن تشده وإلا انزلقت نصف أمتعتك . ارقب ذلك الكلب ! إنه يوشك أن يقعى ، فإذا فعل فألهبه بالسوط . اتق ذلك الحجر ! فلو اصطدم بعوارض الانزلاق لتكسر طلاء الجمد . إن سوق مركبة الثلج كتسيير الزورق ، فإنه لا شىء يحدث فى البحر والجو صافٍ ، ولكن البحّار لا ينقطع عن العمل .

ولقد بذلت ما وسعنى حتى أكون جزءاً لا يتجزأ من هذه المركبة وتلك البيئة . وكان أعجب العجب عدم اللون ، فقد وجدت أن الثلج ليس بأبيض ، فما أرى إلا عالماً أشهب لا معالم له ولا حدود . ولم أر قط أفقاً يفصل بين الأرض والسماء : فإنهما كانا من أديم واحد . لم يكن ثمة ما تتبين به الأبعاد أو المرئيات ، فلم تكن العين تقع إلا على آلاف من زغب الثلج الأدخن ينساب على الأرض تسوقه الريح .

وإذا نحن نضل الطريق فى هذا القطن الأشهب المندوف . كان الرذاذ المتطاير ملء الهواء ، وكنا نرى الكلاب ونحن فى المركبة كأنها أشباح ، فأطبقت عينى وشددت على أجفانى — كأنى أريد أن يلتحما ، فقد كانت الريح تقطع وجهى إربا إربا . وجعلت

وجنتاى وذقنى تلهب كأن حديداً محمًّى قد مسّها ، وأحسست بلحمى يجمد فجأة .

واهتزت نفسى وكنت أزمع الاستسلام ، إن الطبيعة هنا أقوى من أن تقاوم . والتفت بوتاك نحوى وحسبت أنه على وشك أن يحدثنى بما يدور بخلدى — أن يعترف بأننا هلكنا . كلا ! بل كل ما قاله : « وددت لو أعطيتنى غليونك » ونفث نفثتين وأعاده إلىّ ، ولم يزد على أن قال باسماً : « جميل جدا » .

كان ينبغى أن أعرف أن هذا لا يزعجه ، فهو إسكيمى . وإذا « ضل » الإسكيمى فإنه يبنى كوخاً من الجمد — كوخاً من هذه الآلاف — ويسلم نفسه إلى سنة من النوم الهادىء حتى تمر العاصفة .

وتقدمنا بوتاك فى الطريق فاختفى ، ثم ظهر فجأة وهو يصوب بصره محدقاً إلى الأرض ، وجعل يسير من اليمين إلى اليسار بسرعة فائقة . كان يبحث عن أثر مركبات الثلج فى الزوبعة . تصور آثاراً عرضها بوصتان تفرق بينها ١٨ بوصة ، غائرة فى ضريب أبيض مترامى الأطراف ! ولكن العجب أن بوتاك يتحسس الثلج الجديد بقدمه فوجد الآثار ، وما لبث أن عاد يسير وهو يتطلع باحثاً عن المعالم التى يعرفها كما يعرف الزراع فى بلادنا « الغصن المكسور » أو « شجرة البلوط التى حرقتها الصاعقة » .

فما أرخى الليل سدوله حتى شق تلك الغياهب بصيص ثلاثة أنوار خافتة . تلك هى أكواخ الجمد ! حيث يرى من خلال جدرانها الشفافة الثلجية بصيص مصابيح الزيت التى تنم على وجود الإنسان . ولقد زحفت على أربع ، فى نفق ملتو متعرج ، لأدخل أحد هذه الأكواخ .

ولكن أهذا هو كوخ الجمد ؟ ذلك الكهف المعتم الذى يتصبب بللا من فعل حرارة مصباح الزيت وأجسام البشر ! وفى ضوء ذلك المصباح الخافت رأيت أشباحاً ، رجالا ونساء ، يتحركون . وكانت الرائحة تفوق التصور ، فلقد حسبت نفسى فى وِجار دبّ أو مغارة أحد سكان الكهوف .

وكنت حديث عهد بهذا العالم ، فلن ترى عيناى فى الكوخ إلا قذارة : أكواماً من اللحم المتجمد مكدسة على الأرض ، وبقعاً من دم الفقمة ، ورءوس السمك المقضومة متناثرة فى كل مكان . وكان مما يزيد الهول أن أحد هؤلاء الإسكيمو كان يلقى بنفسه بين الفينة والفينة فى النفق المؤدى إلى الكوخ ليطرد الكلاب ، ويتردد فى أرجاء المكان عواء كأنه صوت قتيل فى حجرة تحت الأرض .

ولم يزل من العسير علىّ حتى اليوم أن أفسر كيف استطعت فى خلال شهر أن أعتاد

هذه الحيــاة حتى أرى وصفاً كهذا شيئاً سخيفاً ، وأنه سرد للتوافه ، وإغفال لكل ما هو عظيم فى حياة الإسكيمو .

وكنت لحسن الحظ لا أستطيع التفكير لما لحق بى من كلال ، كانت التوافه تؤذى عينى ولـكنها لم تكن لتبلغ فكرى . وكانوا قد حملوا صندوقى إلى الكوخ ولـكننى من الإعيــاء لم أستطع أن أعثر على طعام يصلح للرجل الأبيض . ماذا آكل ؟ ذلك السمك الكرية المجمد المغطى بالثلج الذى أسمع جَرْشه بين أسنانهم وهم يمضغونه ؟ .

وحملق أهل الدار فىّ حين رأوا أن « الكابلونا » — أو الرجل الأبيض فى لغة الإسكيمو — لن يقدم إليهم شيئاً من الهدايا الطيبة . لم ينبسوا ، ولـكن سخطهم كان بادياً لا تخطئه العين . وهكذا انسللت مكتئباً حزيناً إلى كيس نومى لم أذق طعاماً .

ونمنا ستة فى صف فى كوخ بنى لثلاثة . ولم أخلع ملابسى ولـكن الإسكيمو ناموا عراة فى أكياس نومهم . كنت كمن نام فى قفص مع وحوش ، وكان يؤذينى طول الليل تساقط الماء على وجهى من السقف . ولم يكن فى وسعى أن أتجنبه . فقــد كنا محشورين حشراً فى ذلك الكوخ . وكان جارى ، وهو أخو يوتاك ، لا يكف طول الليل عن تقريب إناء من صفيح يستعمل كمبولة ، ثم يفرغه تحت أنفى كل مرة دون أن يكلف نفسه عناء التحرك .



وفى ركن من الكوخ عجــوز جعلت طول الليل تبصق . بهذا الشعور القاتم الـكئيب استسلمت أخيراً للنعاس .

وفى اليوم التـالى بنى لى يوتاك كوخاً متصلا بكوخه . وكوخ الجمد غاية فى الحسن حين يكون جديداً ، وتكون أريكة الثلج المسطحة قد صقلت فهى ناصعة البياض نقية صافية حتى ليخشى الإنسان أن يتحرك مخافة أن يفسدها. فما كاد كوخى يصبح مريحاً كالبيوت ، حتى أغار عليــه الإسكيمو كالفاتحين واقتعدوا أريكتى الثلجية يتجشأون ويتضاحكون ويأكلون السمك ويلفظون الشوك ، ويلوثون ويدنسون كل شىء .

ورأيتنى عاجزاً ، وفى حالة لا رجاء فيها . وزاد الطين بلة أن يدى جمدتا بعــد ذلك بيومين ، فلقــد خرجت لصيد السمك مع يوتاك ، وعلى مسافة نصف ميل من الساحل حفر يوتاك حفرة من الثلج وبنى حاجزاً من ثلاث قطع من الثلج يقينا الريح ، ثم جثا على قطعة من جلد الأيّـل ، وأدلى فى الماء بطعم كذِب يجتذب الأسماك ، فلما هرعت إلى الطعم رماها بحربة ذات ثلاث شُعب .

وما كان أعجب صبره وتشوّفه وهو يرقب تلك الحفرة . كانت أصغر سمكة تمر تستثير بضع كلمات خافتة منه وتحمله على الاضطراب . كان منهمكا انهماك العـالم فى . . . . فيم ؟ فى فن ملء بطنه .

ولولا تباريح البرد لكنت أسعد ما أكون وأنا أرقبه ، ولكن أصابعى كانت تحترق وهى فى قفازىّ ، وأصبح الألم لا يحتمل بعد أن قضينا بضع ساعات . وأخيراً وقفنا وخلعت قفازى ، فألفيت أصابعى قد صارت كالشـمع . وظلت ثلاثة أيام ولا نفع لى منها ، وهى كالخشب صلابة ، وبلغ منى الألم فلم أكن أطيق أن ألف سجارة ، وظللت رهين الكـرخ أياماً .

وجعلت من أريكة الثلج أرقب حيـاة النساء من الثغرة التى بين كوخينا . كانت أونارناك، زوج يوتاك، تشتغل بمصيدة القمل، وهى عظمة طويلة من عظام الأيّـل ملصق فى طرفهـا خصلة من شعر الدب القطبى . ويظهر أن هذا الشعر يجتذب القمل اجتذاباً شديداً . وكانت متعة حقا — ولو أنها متعة من نوع خاص — أن ترى أونارناك تستخرج القمل من الشعر وتقضمه بأسنانها.

وكانت نياكو جنالوك أم يوتاك ، وهى عجوز شمطاء تجلس طيلة اليوم تحتُ الجلود، وهى مهمة لا تنقطع عند الإسكيمى" ، فإن الثلج والماء لا يزالان يبللان ملابسه والجلود التى يرقد عليها ، ويقسّيها .

كانت مكبّة على الجلود وقد ثنت قدميها تحتها تعمل بيديها المشوهتين، وهى لا تنفك تحتّ وتتمتم بلا انقطاع . فإذا فرغت من جلد ألقته بملل جانباً ، وترنحت إلى كومة الجلود وأخذت جلداً آخر .

وكان لها محتّتان أو ثلاث مختلفة تعمل بها ، ولكن التطرية الحقيقية كانت تقوم بها بأسنانها ، وكان الجلد الذى تفرغ منه نياكوجنالوك يرتدّ أبيض رخْصاً كالقفاز.

فلما وثقت أن أصـابعى لن تسقط من البرد ، عزمت على أن أطلب إلى يوتاك أن يصحبنى إلى صيد الفقمة مع الآخرين بدلا من أن نعود إلى مقر الشركة . وكان ثمة سببٌ خطير يقتضيه الخروج إلى صـيد الفقمة ، فإنه مع خروجه كل يوم لاصطياد السمك ، كان السمك صغير الحجم لا يكفينا جميعاً .

والإسكيمو ، قبـل كل شىء ، رحّال وصـائد بحرى تسوقه الحاجة إلى إطعام أسرته فى دائرة غير منتظمة . فإنه إذا انتهى موسم صيد السلمون فى النهر ، قصد البحيرات لصيد السمك خـلال الثلج وقنص الثعلب الأبيض . فإذا تقدم به الشتاء وتراكم الثلج كثيفاً حتى يتعذر صيد السمك من خلاله ،

ضطر إلى الرحيل ، فإن أسرته وكلابه تستهلك نحو ٥٠ رطلا من الطعام في اليوم ، وهو متوسط تصعب المحافظة عليه . والمرحلة التالية في دائرة حياته هو صيد الفقمة وصيد الدب القطبي على البحر المتجمد . فإذا حل الربيع جاءت الأيايل في طريقها نحو الشمال ويبدأ موسم السياحة العظيم . وفي الخريف يعود سمك النهر إلى الظهور .

ولست أعرف في العالم مكاناً آخر تفرض فيه الفصول ، على هذا النحو من الدقة ، ما ينبغي أن يفعله الإنسان لكي يعيش . على أن الإسكيمو لا يعدّون بلادهم بلاداً تقسو فيها الحياة ، فإنها بلادهم وملكهم الذي لا ينازعهم فيه منازع ، إن جميع الأيايل التي تسرح في تلك السهول هي ملك أيديهم ، كذلك جميع السمك في البحيرات ، وجميع الفقمات في البحر ، لا ينازعهم في رزقهم أحد ، ولا يقتحم بيوتهم ناهب يبغي سرقة متاعهم اليسير أو يستعبد عيالهم ، ولا تغير عليهم الجيوش لتحرمهم سلطانهم على الثلوج . والسرقة غير معروفة في تلك الأصقاع ، فإن في وسعهم أن يختزنوا في أكواخ الجمد ما لا يحتاجون إليه في صيد الفقمة ، ويغرسون أدوات صيدهم معتدلة مستقيمة على بيوتهم الثلجية لتكون معلماً ، وينطلقون في الطريق دون أن يلتفتوا إليها التفاتة واحدة ليستيقنوا أنْ لا خوف عليها .

ولقد خطر لي وأنا أنظر إليهم وهم يحملون مركباتهم فأرى كيف يجد أحدهم العون من سائرهم ، وكيف يتعاونون جميعاً على العمل دون أي أثر للأنانية ، وكيف يجرون من مركبة إلى مركبة ، وكيف يتبسمون ويتضاحكون وهم يتحدثون ويشربون آخر قدح من الشاي قبل أن يؤذن بالمسير وتصفر السياط في الهواء ، لقد خطر لي أن هذه هي حقا حياة الجماعة ، فكانت أول مرة بدأت أرى في الإسكيمو شيئاً جميلا أخاذاً ، وأرى في حياته شيئاً يصح أن يحسده عليه الإنسان المتحضر .

كان الرحيل نفسه مشهداً عجيباً — مركبات محملة أحمالا عالية ، وكلاب تنبح وتكاد تختنق إذ تشد إلى الأحمال الثقيلة ، وزوجات يصحن ويشرن بأيديهن في مقدمة الركب ، وعجائز ربطن إلى أعالي الأحمال يتأوهن كلما اهتزت المركبة وارتجت عظامهن البالية .

كان أول منزل لنا على مقربة من مخيم للسمك حيث لكل رجل مخبأ مطمور ، فأزيلت عنه الصخور وظهر المخبأ . واقتطعوا بفأس قطعة كبيرة من لحم السمك المجمد ، وكان ثمة مئات من الأعمال : أنزل هذه

العجوز فإن عضلاتها تؤلمها ، وأرضع ذلك الطفل ، وحلّ مقاود الكلاب التى اشتبك بعضها ببعض ، وأعدّ الشاى ، وكان الرجال يقفون بعد شربه جانباً يدخنون غلاييهم ويتحدثون عن أمورهم . وقلّ أن يحار الإسكيمى فى اختلاق عذر للتلكؤ فى الطريق ، فإن الحياة القاسية التى يحياها تجعل وقت فراغه ثميناً ، وليس ثمة فى عالمنا المتحضر مثل هذه المتعة يقتنصها الإنسان فى ساعة من ساعات الفراغ ، اللهم إلا بين الزراع والعمال .

ويعمل الإسكيمو دائماً بوحى خاطرهم، فالوقوف فى مهبّ عاصفة ليس شيئاً إذا صح عزمهم فجأة على تناول قدح من الشاى . وقد يؤدى هذا التأخير إلى قضاء ليلة أخرى فى الطريق — ولكن هذا لا يهم ، وتقف المركبة ، ويوضع صندوق فارغ على أحد جوانبه ، ويوقد موقد البريموس فى داخله ويغلى عليه الشاى . وقد تكون الريح شديدة تقطعك إرباً إرباً ، ولكن ماذا يهم؟ إنها لم تمنع أوثارناك وحماتها من الاستمتاع بحديث هادئ ، ولم تمنع يوتاك من التسلى بتدوير ابنه على مركبة ثلج صغيرة والطفل يصرخ فرحاً . وقد ترى خنازير البحر فى البحر الهائج تلعب وتمرح ، وتعجب أنت كيف بها لا تبالى . فالإسكيمو مثل هذه الخنازير .

• وفى اليوم الرابع وقعنا على مخيم صيد الفقمة ، وهو مخيم صغير من أربعة أكواخ أو خمسة ، ولم يبق لدى طعام كثير ، ولم يكد كوخى يتم حتى اجتاحه أهل المخيم وطاحت نصف مؤونتى فى ساعتين ، وأشرف يوتاك بنفسه على توزيع الأسلاب ، ووزع جميع ما وقعت عليه يداه من طعامى وطعامه أيضاً ، فإن أهم شىء هو الكرم ، والملكية لا قيمة لها.

ولقد أدخل السرور على نفسى طريقة سلوكهم التى لا كلفة فيها ، فقد كانوا يلكزوننى بغير مبالاة ويقولون لى : إن الصغير فى حاجة إلى شىء من المربى فأين تخبئه ؟ أو « أو هذا كل ما لديك من الطباق ؟ ليس لديك منه ما ينبغى لرجل أبيض » .

وينتشر الإسكيمو فى مكان صيد الفقمة على شكل مروحة ، ومع كل منهم كلبان مدربان تدريباً خاصاً مشدودان إلى مقاود طولها ٣٠ قدماً . وتتشمم الكلاب ككلاب الصيد وأنفها إلى الثلج . وفجأة يقف أحد الكلاب مرتجفاً متشمماً ، لقد وجد الثغرة التى تتنفس من خلالها الفقمة .

ولكل فقمة عدد من هذه الثغرات ، فبينما يتراكم الثلج إلى ارتفاع ست أقدام أو ثمان فى كل مكان ، تجد الفقمة تطل فى أوقات متقاربة لتتنفس ، حتى إن جمد الثغرة يظل رقيقاً بين فترات إطلالها من

الثغرات ، فمن اليسير عليها أن تنفذ بجسمها إلى السطح .

فإذا ما عثر الكلاب على الثغرة المغطاة بالثلج ، شد الإسكيمو رأس حربة من الصلب إلى طرف حربته ، ويعقد الحبل المشدود إلى رأس الحربة حول يده ويقف متأهباً لصيد الفريسة .

ولكن الفريسة قد تتأخر ، فإن الفقمة لها عدة ثغرات ، قد تستغرق ساعات حتى تظهر عند تلك الثغرة ، أو لربما لم تأت أبداً .

وقد لقيت مرة صائداً قضى ثلاثة أيام بغير حراك في ذلك الوضع الغريب الذي يتخذونه : الرأس إلى أسفل والعجيزة إلى أعلى ، إذ يضطرهم سمع الفقمة المرهف إلى التزام الصمت المطلق — وكل ذلك بلا جدوى .

حدث مرة أن عاد أنجوس جافن إلى نهر بري صفر اليدين من صيد الفقمة . فسأله إسكيمي : « كم لبثت عند الثغرة ؟ » .

فأجابه جافن محنقاً مغيظاً : « أربع ساعات جُمُداً » .

فنظر إليه الإسكيمي في رزانة وقال : « بل أربعة أيام ليست بالوقت الطويل » .

وبعد القنص يعد الطعام . وحدث مرة في رحلة صيد أن شاطرت ثلاثة من الإسكيمو كوخهم ، وذات ليلة بعد صيد موفق تناولنا الشاي المعتاد، ثم — ولا أدري



كم كانت الساعة، صحوت وكنت قد استسلمت لسنة من النوم ، ووقع ناظري على الإسكيمو الثلاثة — خيالات ثلاثة — يضيئها من الخلف نور الشمعة المرتجف ، وقد ألقى على الجدار ظلالا غريبة مكبرة. كان الرجال الثلاثة جاثين على ركبهم وجذوعهم مائلة إلي الأمام لا يبدون حركة إلا من أيديهم النهمة . وكان أمامهم طست هائل ملؤه قطع كبيرة من لحم الفقمة . اجتمعوا عليه كأنهم في وليمة ، وكان كل منهم يمسك بيديه وفمه قطعة هائلة من اللحم ، وقبل أن يتموا التهامها تسرع أيديهم إلى الطست تتحسس ما فيه . وكانت الرائحة التي تشيع في جو الكوخ رائحة الفقمة ، ورائحة المتوحشين في الحر وقد جلسوا يلتهمون طعامهم. ولقد بدت لي وجوههم ، من حيث كنت راقداً ، تلمع بالشحم والدم المتدفق . وأوحى إليّ مشهد جماجمهم المفرطحة، وجباههم يحجبها الشعر، وأشداقهم الهائلة — بصورة لا تحول من العصر الحجري .

لقد رأيت عجائب مدهشة في بلاد قاصية ، بيد أن ما شهدته في ذلك الكوخ يفوق كل ما شهدته من قبل . أحسب أن كان

ثمة ٥٠ رطلا من اللحم هاجمها الرجال الثلاثة بدمدمة الحيوان وزمجرته ، وكانت أشداقهم تقعقع وهم يأكلون ، وكانوا يتجشأون ويلعقون أيديهم المخضبة بالدم ويمصون أصابعهم . ولا يزالون يأكلون ، ولا يزالون يمدون أذرعاً كأذرع القرود إلى الطست ويقلبون بأيديهم القطع التي نبذوها في بدء الطعام ، فأصبحت الآن أطايب تلتهم في شراهة ونهم . ولقد كفوا منذ وقت عن قطع اللحم بأيديهم ، فأسنانهم تغني ، وكانت عظام الفقمة تقعقع وتتناثر شظىً في وجوههم . ولقد خبرت من قبل ما تستطيعه تلك الأسنان ، فإنه إذا تعذر رفع غطاء خابية البنزين بالأصابع أخذه الإسكيمو بين أسنانه ونزعه بسهولة . وكانت أسنانهم ، وقد تآكلت ، حتى اللثة تبدو جذوراً من عظام غائرة لا تتكسر . وإن أخوف ما أخافه ، إذا قدّر علىّ أن أخاصم رجلا من الإسكيمو ، أن يحطم جمجمتي بتلك الأسنان .

وبعد عودتي من رحلة الصيد إلى جواهافن بأيام قليلة علمت أن الأب هنري ، وهو قس من سواطني ، يدير بعثة دينية بين الإسكيمو في خليج بلي ، فعقدت النية على زيارته ، واتفقت مع أحد الأهالي على أن يصحبني في مقابل ثمن ثعلبين .

والإسكيمو إذا أخذت تفاوضه أبدى اعتزازاً شديداً وثقة تثير الإعجاب ، تسأله عن كلابه فيقول : إن لديه خير دليل منها أنجبته تلك الأصقاع ، وسل من بدا لك . وتسأله عن الطريق فيجيبك : هل أنت جاد فيما تقول ؟ ليس في الدنيا من يعرف هذا الطريق خيراً من معرفتي .

وتسأله كم تستغرق الرحلة إلى خليج بلي فيعد على أصابعه . كوخين ، ثلاثة أكواخ ، أربعة أكواخ . . . والكوخ في حسابهم يعدل ليلة في الطريق . وهو حين يعد يرقب وجهك ويفكر : كم أعد من الأكواخ قبل أن يدرك الخوف الرجل الأبيض ؟ ثمان ليال وتسعة أيام ، بيد أننا استغرقنا في رحلتنا ١٧ يوماً .

وأخيراً سافرت مع دليلي شونجيلي ، وسرنا على نهر متجمد نجر المركبة وندفعها على الثلج . ووقفنا حين أرخى الليل سدوله وجعلت أنظر إلى الرجل نظرة فاحصة . كان واقفاً كالقرد ميت العقل مقوس الكتفين قد أرخى ذراعيه إلى جانبيه ، وشارباه الطويلان قد تهدّلا على فمه ، وكان يضحك كأنه بنت ، ولا يكف عن لعق أصابعه . وكلما أدرت ظهري لأجري أمام الكلاب علا المركبة فإذا نظرت خلفي ترجل عنها . وكان ثقيل الفهم بطيء الحركة بغيضاً

إلى الغاية. ولكن الحياة فى الأصقاع المتجمدة دروس متواصلة لا تنقطع ، والجو بشدته الهائلة هو الذى يلقى عليك أول هـذه الدروس . كنت ممتعضاً كل الامتعاض من شونجيلى ، وهبت يوماً عاصفة عاتية حملتنى من فورى على أن أنسى نفسى وأن أذكر أننا رجلان يقاتلان فى سبيل هدف واحد .

بدأت العاصفة حول منتصف السـاعة الثالثة ، وعلى حين فجأة أخذت الريح تهب بسرعة ٥٠ ميل فى الساعة واكتنفتنا سدود من الثلج ، ولم تمض دقيقة حتى لف الضباب الكلاب كلها إلا ما كان قريباً منا ، وصدمت عصفة من الريح مركبة الثلج وجعلت تتقاذفها كأنها عود من القش . وكان عواء الكلاب الإسكيمية التى حجبها الضباب ينبعث فى العاصفة مروعاً مخيفاً .

فوقفنا وبنينا كوخاً على خير ما وسعنا ، وعندئذ أراد شونجيلى أن يرينى معنى الرجولة الحقة ، واستحال هذا المخلوق البليد الثقيل الفهم فناناً ، وجعل يعمل كمن ألهم إلهاماً ، وأشعل غليونه فى رصانة وهدوء وجعل ينخس الأرض بحربته بحثاً عن الثلج الصالح للبناء .

وبدا لى أن بناء هذا الكوخ استغرق قروناً ، واقتطع شونجيلى بعناية صفاً من كتل الثلج ورتبها فى دائرة ، وهرعت الكلاب إليها تلتمس الوقاية فركلها بشدة ، ووقف داخل هذا الجدار وقد عقد العزم على أن لا يخرج منه حتى يتم عمله . وكان يقتطع كتل الثلج اللازمة للصفوف العليا من تحت أقدامه . ويحتاج الأمر إلى مهارة خاصة فى استعمال الثلج الهش ، وفى قطع السطوح الداخلية بالميل المناسب ، وإنقاص مساحة الكوخ أثناء العمل ، إذ يضطرك اشتداد العاصفة إلى الإسراع . كل ذلك كان يسيراً على شونجيلى .

واستمر يعمل هادئاً ثابت الجأش ، فإن ما كنت أعده نكبة نكباء كان لديه شيئاً من الحياة اليومية . ولما أشرف الكوخ على التمام زحفت إلى داخله ولبدت إلى الجدار ، ووضع شونجيلى آخر كتلة من الثلج فى البناء ثم خرج ليبحث عن الكلاب ويطعمها ويدفن أمتعتنا فى الثلج . وأخيراً عاد وهو ينفض ملابسه ، وجلس وخلع حذاءيه ، ثم اضطجع ونظر إلىّ ، فقد أثبت أنه أقوى من العاصفة . وكان مثله مثل البحّار فى اليمّ يلقى العاصفة هادئاً ، وتمضى عنه ولم تزعزعه . إنها لم تغير من سيرته شيئاً . وهـذا التأنى البطىء الذى كان منذ ساعة مضت يملؤنى غيظاً ممضّـا ، أصبح يبدو لى الآن نوعاً من العظمة .

إن فلاح المنطقة المتجمدة هذا قد وهبنى

بقلة اكتراثه فى تلك الزعازع الجائحة ، شيئاً من سكينة النفس .

وبعد أيام فى الطريق انتهينا أخيراً إلى مستعمرة الإسكيمو فى خليج بلى ، وقادنا أحدهم إلى الأب هنرى الذى قصدته . فلما أشرفنا على مقصدنا أسرع دليلنا خطاه ليحمل إليه النبأ العظيم نبأ وصول كابلونا « الرجل الأبيض » . فهذه أرض لم يرها إلا ثلاثة من البيض فى قرن من الزمان .

وجاوزنا أكمة ورأينا رجلا طويلا نحيلا معروق العظام مقبلا علينا ليلقانا — كلا لم يكن نحيفاً وحسب ، بل كان صافياً شفافاً ، فقد كان الأب هنرى كجميع من على شاكلته من النساك ، يوحى إلى النفس شعور الصفاء الذى لا يخفيه ماتسربل به من ملابس الإسكيمو ، وقد برقت تحت فرو قلنسوته عينان صافيتان زرقاوان فيهما روحانيـة وطفولة ، وكانت له لحية صهباء كلحى رجال الدين تتهدل على صدره .

وقادنى الأب هنرى إلى باب خشبى فى سفح الأكمة وساقنى إلى صومعته ، وكانت الأرض هنا متجمدة إلى عمق مائة قدم ، وكانت درجة الحرارة ٥٥ تحت الصفر . ولن يرضى إسكيمى أن يعيش فيها ، فإن كوخ الجمـد أكثر منها دفئاً . وكان فى المغارة مصباحان يرسـلان ضوءاً خابياً فى الظلام . وعلى رف إلى اليمين مصباح بترول ومدية إسكيمية مقوسة ، وخرقة ، وعلبة طباق خاوية ، وصندوق للملح . وكان فى نهاية المغارة قبـالة الباب أريكة بينها وبينه أربع أقدام ونصف .

كانت الأريكة مصنوعة من ألواح رقيقة من الخشب بسط عليها جلدان من جلود الأيايل ، وعلى هذا السطح المائل كان يرقد الأب هنرى ، وكان ثمة فتحة فى الأرض إلى اليمين حجب صندوق أمتعتى جزءاً منها .

وقال لى الأب هنرى : « سيكون هذا الصندوق سريرك ، فإذا استطعت أن تتجنب هذه الفتحة فستصيب كل الراحة » .

كان الأب هنرى يعوزه كل الأدوات التى يعرفها البيض المتحضرون ، وقد أصبح كل ما كان يملكه منها عند قدومه إلى هذه الأصقاع نسياً منسيا . وقال لى : « إن هذه الأشـياء لا معنى لها هنا » فما فائدة صحفة أو سكين أو شوكة ، ووجبة طعامه الوحيدة قطعة من السمك المجمد يأكلها عند مايصحو من نومه فى الصباح ؟ وما القلم هنا حيث يجمد المداد ؟ وما المنشفة التى تيبس وتصير كلوح الخشب فى هذا البرد ، وما من شىء يستطيع الإنسان أن يفعله سوى أن يلعق أصابعه ، وقد أصبحت هذه الحركة عادة حاكمة .

ولما أخرجت إليه هداياه وقف وهز رأسه . إنه لم يعد يطيق أن يأكل طعام الرجل الأبيض : حتى الأرز شيء لا يهضمه ، أما السمك المجمد فليس ثمة خير منه كما يقول لتدفئة الأحشاء . ولقد ظل ست سنين لا يأكل غيره ، إنه غض يدفئك ويرد جوعك ويجعلك تشعر بالعافية .

على أنني مع هذا التثبيط لم أنقطع عن إخراج الهدايا . ذلك الجبن سآكله أنا ، وتلك السيجارات : إن ثمة قساً بلجيكيا في خليج ريبلس يحب السيجار فعزلتها له جانباً ، وذلك الغليون ! مسكين الأب هنري ! كان تدخين الغليون بين الفينة والفينة هو متعته الوحيدة ، بيد أن الأسقف طلب إلى جميع المرسلين أن يقدموا تضحية فضحى الأب هنري بغليونه . وأما بقية الهدايا فقد تناولها ووضعها جانباً وهو يقول لبارد اللب : « هذا كرم عظيم ، هذا كرم عظيم » . كان شكره اعترافاً بجميل القصد ، أما الهدايا نفسها فلم يكن لها معنى لديه .

كانت الساعة السادسة حين استيقظت في اليوم التالي ، وقد نبا مضجعي على صندوقي ، إذ لم أستطع أن أمد رجلي . وكان الأب هنري قد صحا منذ وقت طويل وجلس على سريره ساكناً مخافة أن يوقظني وهو يتمتم ببعض الدعوات . أما وقد صحوت ، فقد قام بعد غرابه ، فدفع مصباح البترول وصندوق الطعام الحاوي جانباً وبدأ يصلي .

كنت طول ذلك اليوم أشعر بالضجر والبرد الشديد ، فجعلت نفسي في كيس النوم وجعلت أشرب الشاي . وكان الأب هنري يبادلني الحديث ونحن نتناوله ، وحدثني عن سرب كلابه العظيم الذي كان يفخر به بأسلوبه الذي لا كبر فيه .

وكان يقول : « كلما زدت في معاشرة الكلاب ازددت معرفة بالناس ، فعيوبها عيوبهم ومحاسنها محاسنهم . وما أشد اختلافها عن كلاب بلادنا ! وكم ذا يسرها أن تغرر بك وتلعب عليك الألاعيب ، وتنظر إليك كل مرة تلك النظرة الساخرة ! ومع ذلك فقد رأيتها تظل أسبوعاً بغير طعام ، وهي لا تكف عن العدو . لا يند عنها ضُغاء من الشكوى . فإذا جن الليل رقدت لتنام على غير طعام ، كأنها لا تنتظر خيرا » .

وأبديت أسفي لأني لن أجيد معرفة لسان الإسكيمو وبذلك لن تتيسر لي معرفة أهله . فقال لي الأب هنري : « إن من جمال لسانهم البيان المفضي إلى غرضه ، بيد أنهم عندما يتكلمون يتركون لأنفسهم مخرجاً للخلاص . وإليك المثال : يعود الإسكيمو من صيده فيجد في الكوخ عدداً من الزائرين ، فيأخذ منفضة الثلج وينفض

الثلج عن ملابسه ثم يخلعها وهو لم ينبس بكلمة ، ولما كان يعلم أن الآخرين ينتظرون حديثه يقول : « هذه الثعالب ! لا سبيل إلى صيدها » . ثم يصمت : « هذا ولست بعد قادراً على بذل جهد كبير ، وقد تقدمت بي السن » . ثم يصمت ثانيـة . وأخيراً يقول وهو كمن يحدث نفسه : « ولـكنى اصطدت اليوم ثلاثة » .

وحـدثت الأب هنرى عما لقيت من متاعب فى الوصول إلى خليج بلى على كثرة ما توسلت إلى دليلى أن يجد فى السير .

فضحك الأب هـنرى وقال : « إنك لسعيد الحظ أن وصلت إلى هـذا المكان بهذه الطريقة ، فإنى إذا أردت أن أبعث مركبة فى رحلة مستعجلة أدعو الإسكيمى وأقول له : أريدك أن تذهب إلى خليج ريبلس ، وسيقتضيك ذلك وقتاً طويلا ، وأنت صغير السن وربما كنت لا تعرف الطريق كل المعرفة ، ولا أحسب كلابك قوية قادرة ، ومع ذلك فليس ثمة غيرك ، فسر فى طريقك » .

وينقضى وقت ويعود الإسكيمى من رحلته .

فيقول الأب هنرى : « خيراً ؟ » .

ويقف الرجل ذليلا ناكس الرأس ، لقد ساءت الأمور : كان الجو أسوأ مما توقع ، ثم مرض أحـد الـكلاب ، وكانت مشقات جمـة أخرى يعددها له واحـدة واحدة ، ولـكنه مع ذلك ذهب وعاد فى ١٢ يوماً ، فهو يعلم أن الأب هنرى يعرف أن هذا سير سريع .

وحدثنى الأب هنرى عن رجل من الإسكيمو زاره يوماً ، وبعد ما جرت به العادة من شرب الشاى والصمت ، قال فجأة :

« لقد خرجت اليوم بالعجوز إلى البحر المتجمد » .

والعجوز هى أمه ساقها إلى البحر لتتجمد حتى تموت ، زعم أنه كان يحبها حبا جما ، وكان يشفق عليها ، بيد أنها كانت كفيفـة البصر بلغت من السن عتيـًّا فلم تعد تصلح لشىء ما . وقد اقتادها بموافقة الأسرة جميعاً إلى البحر المتجمد وخلـّفها هنالك وحدها فى العراء لـكى تموت .

وقال لى الأب هـنرى : « إنى لأرجو بعون الله أن أغير هـذه الأحوال على مر الزمن ، وأن أرقـّق بعض عاداتهم ، على أن ذلك أمر عسير ، فإنهم يعيشون عيشة قاسـية ، عيشة مادية . وسـيقولون لك ، إذا هم عرفوا تعبيرنا ، إن عليهم أن يواجهوا الحقائق : إنّ هـذا الرجل كان ولداً باراً حقا . إنهم يعنون بالشيوخ منهم على الطريق ، ويعودون إلى المركبـات مراراً ليروا أنهم

فى دفء وشبع لا تعوزهم قطعة من السمك . ولكن يأتى يوم بعد سنين طويلة لم يتخللها ضجر أو تذمر ، ويومئذ يرى صغار السن أن ذلك أصبح متعذراً ، ويتركون العجوز على الجمد . ويذعن الشيوخ لهذا فى هدوء ، بل إنهم يكونون أحياناً أول من يقترح تلك النهاية لأنفسهم .

وقد قطعت إقامتى عند الأب هنرى لزيارة مخيمات صيد الفقمة التى كانت متناثرة على الجليد على طول خليج بلى . ولما انتقلنا من مخيم إلى مخيم أثار دهشتى سعة الأكواخ وفخامتها . ولقد رأيت طرازاً من مساكن الجماعات — ثلاثة أكواخ بنيت بحيث تفتح على ردهة وسطى ، وقطر كل كوخ ١٢ قدماً أعد لأسرتين ، ينيره مصباحان من مصابيح زيت الفقمة . أما رخاء هذه الجماعات الثريّة فيدل عليه وفرة لحم الفقمة .

كانت كل صغيرة من أمور الحياة هنا أمراً جللا : تسوية المصابيح عند القيام من النوم ، وإطعام الأطفال والرجال والكلاب ، وجلبة الخروج إلى الصيد ، وثرثرة النساء وضجيجهن فى تدبير بيوتهن ، والعودة من الصيد عند المساء تحت عواء الكلاب وصخب الرجال وجر الفقمات إلى الأكواخ ، وأخيراً تناول الشاى والرجال ينفخون ويمزحون ويقتطعون قطعاً كبيرة من اللحم وهم ينتظرون أقداح الشاى أن تبرد ، وقد شعروا بأنهم رجال حقا . وقليل من الناس من رأى ما رأيت ، وهى مشاهد لا ترى فى غير هاتيك البقاع — حياة الجماعة كما كانت عليه فى قديم الزمان ، ورخاء ورفاهية يختلفان اختلافاً بينا عن حياة الإسكيمو الغربيين وتحضرهم الكاذب ، وعن حياة قبائل أرض كنج وليم البائسة وفقرهم المدقع .

وكان ما أعجبنى من كرمهم مثل ما أعجبنى من جمال حياتهم ، كنت لا أكاد أدخل الكوخ حتى أجدهم يخلعون عنى ملابسى وحذائى وجوربى ، ثم تعلق لتجف ، حتى كأن محضرى كان يشرف الكوخ . وبعد حين تناولنى بنت صغيرة ملابسى على استحياء فاتن ، وقد جفت وحُتّ عنها الثلج وأصبحت لينة .

حدث ، ولما يمض على غير خمس دقائق فى مخيم كنت أزوره لأول مرة ، أن سمعت هأهأة مرحة فى الكوخ المجاور ، فانحنيت ورأيت شخصاً على صورتى . كانت زوج إكشيڤاليتاك تقلد حركاتى ، وهأنذا أرى نفسى على ما أنا عليه بحركاتى الثائرة وكلامى الجازم : « أريد هذا وأريد ذاك » لا كما كان ينبغى أن أقول « أودّ » . إن مشهد

رجل أبيض أوحد فى بلادهم،يأخذ على نفسه أن يصدر إليهم أوامر بقوله « أريد ... » وحيرته بين « أريد » و « أودّ » . كان مما يثير ضحكهم .

وكان تقليد المرأة لى حتى فى نبرات صوتى متقناً إتقاناً أذهلنى . ومن عجيب أمر هؤلاء الناس أنهم يلمون لساعتهم بالصفات المميزة للشخص : ذلك الهياج وذلك الملل ، وتلك الكبرياء الخرقاء التى يبديها الرجل الأبيض الذى يظن أنه السيد الآمر حيثما ذهب . فلا عجب إذا انفجرت ضاحكا أنا أيضاً .

لا تحتاج العودة إلى حياة الفطرة إلى طويل وقت ، فلقد كففت عن الشعور بحاجتى إلى مرافق المدنية ، وذهبت من خاطرى فكرة تغيير ملابسى كل يوم ، وأصبحت أحبّ مذاق السمك المجمد وخاصة إذا كان قد جمد لساعته ، وبذلك يحتفظ بنكهته الطبيعية . ولا أذكر أنى استسغت طعاماً فى فرنسا كما استسغت هذا السمك .

نعم ، إن الأب هنرى كان مصيباً حين قال : إن طعام الرجل الأبيض لا يصلح أبداً لهذه الحياة ، فالأرز المسلوق يدفئك وأنت تأكله ، ولكن حرارته تزول من فورها تقريباً . أما السمك المجمد فتأثيره عكس ذلك ، فأنت لا تشعر لساعتك بما يشيعه من الحرارة ، ولكنه يبدأ بعد عشرين دقيقة يبعث الحرارة فى جسمك ويحفظها عليك ساعات . أما اللحم النىء بذخائره الثمينة من الفيتامين ، فإنه إذا أكل مجمداً امتص الجسم منه مقادير وفيرة ، فإذا قضيت يوماً شاقاً فى الطريق ، فلا تكاد تعرف نهاية لما تأكل ، ويأتى يوم تستسيغ فيه حتى الطعام العفن ولو أن الأمر لم يبلغ بى أن أعدّه من الأطايب . وقال لى الأب هنرى : « لقد كنت مثلك ، بيد أنى وقعت يوماً على قطعة من الـ « تى بى » أو اللحم الزّهم المتغير ،فتذوقتها وقلت لنفسى : آه ، لا بأس به ، ومنذ ذلك الوقت صرت أجد اللحم الغض لا طعم له » .

وقد أحبنى الأب هنرى وأحببته منذ أول لقاء ، فلما ائتلفت قلوبنا صار حديثنا خالياً من تحفظ المجتمع ، فسألته يوماً : ألم يجد فى حياة الوحدة مشقة وعنتاً ؟

فأجابنى : « كلا ، وأنا سعيد جداً هنا ، ولدى كل ما أحتاج إليه » . (ولم يكن لديه شىء البتة !) « وما يجثم على صدرى بين الحين والحين إلا مصيرى إذا أدركنى الكبر ؟ » .

كان كمن يعترف بضعف خفى فى نفسه . فقلت له محاولا أن أرفه عنه : « إذا كبرت فستعود يوماً إلى بعض الإرساليات

بين البيض » . فاعترض قائلا : « لا ، لا ، لا ، ليس هـذا » .

ماذا كان يسعنى أن أقول ؟ لم يكن لى أن ألح عليه فى السؤال ، غير أنى وددت من أعماق نفسى عندئذ أن يرى كل رجل له بيت ينعم فيه بالدفء وقد ضمن الراحة فى الكبر ـ هذا القس المتوحد فى تلك الأصقاع المتجمدة .

إن هذا الرجل تحييه قوة غير قوة الطبيعة . لقد غادرته الحياة كما نفهمها ، وحل محلها شىء أكثر لطفاً وغموضاً . كان صريحاً ساذجاً ، متجرّد النفس ، لا يلتحف بغير رداء دينه وتقواه .

كان بفضل هذا الرداء لا يبالى بجسده ، فإذا قلت مثلا : « إنه يوم غير دافىء » ، وافقك غير مريد ولكنه لا يحس البرد ، « البرد » عنده « لفظ » لا أكثر ، وكان إذا سدّ منافذ الباب فإنما يفعل ذلك من أجلى . كان بنجوة عن يحيى حياة أخرى .

نعم ، لم تكن به حاجة إلى شىء قط ، فقد كان يعيش ويقيم أوَدَه بالصلاة . ولو كان عماد حياته ما فى الإنسانية من قوة لما عاش إلا فى يأس مقيم ، ولكنه كان يستمد العون من قوى أخرى ترعاه بعنايتها . ومهما يكفر بأمره من لا يؤمنون ، فقد كان إذا اشتدت العاصفة وأنذرت بالهلاك ، يدعو ربّه ، فإذا هى تضمحل وتهدأ . كان يوماً ما على شفا الموت من جوع ناله ، هو والإسكيمىّ الذى كان يصحبه فدعا ربه ، فوجدا فى شباكهما تلك الليلة فقمتين . وكان عبثاً أن أحاول ردّه إلى حقيقة الحياة ، إنه لا يطيق أن يعايش تلك الحقيقة .

كانت حلته الروحانية درعاً تقيه الجوع والبرد وجميع عوادى العالم . ولقد علمت مرة أخرى أن الروح عزيزة لا تقهر ، وأن المادة هالكة ضعيفة . فإذا كان ثمة رجل شهد ما شهدت ، ثم يأبى مع ذلك أن يؤمن بهذا ، فخير له أن يقبع فى داره فليس هو بالرحالة الجوّال !

وأخيراً طلبت إلى الأب هنرى أن يدبر أمر عودتى إلى أرض كنج وليم ، فاتفق مع أحد الإسكيمو ليصحبنى ، فلما جئت أودعه خنقتنى العبرات واحتبست الكلمات ، وبعد لأى ما استطعت أن آخذ بكلتا يديه وأومىء له برأسى . وانطلقت مركبتنا بسرعة .

واستمر نور النهار على الطريق من منتصف الساعة الثانية عشرة إلى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم سقط الليل علينا وقضينا يومنا ظلاماً دامساً . والآن عادت الشمس فجعلت البحر بساطاً مترامياً رقيقاً وردى اللون ، بدت على سطحه قطع

الثلج خضراء صافية ومركبتنا تسرع السير بينها . وماتت الأرض مع دورة الفصول ثم ولدت من جديد ، وأحس الإسكيمى بنضارة الحياة ورقتها كما أحسست . ومع أن درجة الحرارة لم ترتفع بعد إلى أكثر من ٥٠ تحت الصفر ، ولم يزل البرد قارساً في الليل ، فقد كنا ثلاثتنا — وكان مانيلاك قد اصطحب زوجه في هذه الرحلة — نتحدث ونتضاحك في مرح وسرور ، وقد أحسسنا كأننا ولدنا من جديد .

وكنت كلما قضيت أياماً بين هؤلاء القوم أجدنى أطابق نفسى على طرائقهم في الحياة . فقد أصبحت بعد الثرثرة حليف الإيجاز . وإذا فكر المرء في هذا الأمر فكم من كلمات نقولها لا ضرورة لها ! وقد صرت أعتقد أن اللغة إنما وضعت للكسالى الذين لا عمل لهم . ونحن في الطريق لا نكف أبداً عن العمل ، إن ثلاثة من الناس في رحلة على الجمد هم جماعة صامتة ، يؤدى كل منهم ما عليه صامتاً . فإذا ما اعترضتنا أكمة نزلنا ثلاثتنا ، ولم ننطق كلمة ، وتعاوننا على دفع المركبة . وسواء أكنا نغطى بالثلج عوارض الانزلاق ، أم كنا نحل أحزمة الكلاب ، أم كنا نعد الشاى ، فقد كانت حركاتنا مؤتلفة ، وإذا في النفس أثر لا ينسى من الألفة والسكينة . فإذا ما فرغنا من عملنا أخذنا في لف السجائر من علبة طباقنا المشتركة ، وتبادلنا الابتسامات كأننا على تفاهم واتفاق .

وفي كل ليلة كنا نقيم كوخ الجمد بأسرع من لمح البصر ، وكانت الزوجة تدق الثلج حتى يصير مسحوقاً ناعماً ، وتسد به الشقوق سداً محكماً . وكان الزوج يقيد الكلاب في مكانها ، أما أنا فكنت كربة المنزل دائب الحركة في جوف الكوخ . والراحة في الكوخ هي الترتيب ، فإنه ينبغي إذا ما جلست على أريكة الثلج أن يكون كل شيء في متناول يدك ، وكل أداة في مكانها المعهود ، حتى إذا ما مددت ذراعك ، وقعت يدك على « ثلج الشرب » أو علبة الطباق أو الملابس على مشجب التجفيف فوق المصباح . ولقد أصبحت كقعيدة البيت ، لا شيء يغريني بتغيير مواضع هذه الأشياء . وإذا تم كل شيء اتخذت مجلسي ورضيت عن نفسي كما ترضى عن نفسها حارسة الباب في باريس ، وقد جلست في غرفتها وحبل المزلاج إلى يمينها والموقد إلى يسارها ، وهرتها على ركبتيها .

تلك هي الراحة ! على أنك إذا ما تمت تغير كل شيء ، فحين يطفأ المصباح تنزل درجة الحرارة . كنت لم أصبح إسكيمياً بعد ، وظل النوم يراوغني ، ويأخذ كيس نومى

يطقطق كلما تحركت ، فقد استحال قطعة من جليد . كان الثلج يشمل شعرى ويغطى وجهى ، وقد كان نفسى يجمد لساعته حين يخرج من بين شفتى .

فإذا صحوت من نومك فى الصباح ألفيت الكوخ مفعما بضباب أشهب ، وبعد لأى ما تعقد عزمك على أن تتحرك . وإنه لعذاب أىّ عذاب أن تخرج ذراعك من الكيس لتوقد موقد البترول .

ولن تطيق أن تحلق ذقنك ، وعجزك هذا يجلب شراً مستطيراً ، فإن الشعر إذا نما على خديك وذقنك وشفتيك ، تجمع الثلج عليه وأصبح عبئاً لابد من إزالته . ولم أكن أطيق أن أخلع قفازى لأفرك الثلج بيدى ، فأجذبه بشدة ويأخذ وجهى يدمى ، والدم يجمد ، ويبدو منظرى ، بين الدم المجمد وبقع الصقيع السود على أنفى وخدى ، منظراً فظيعاً .

وبلغنا جواهافن عند منتصف الليل حيث لم يزد جبسون فى الترحيب بى على قوله : « هالو ! لقد عدت إلينا ثانية » . ليته كان يدرك ما أدركه من قوله « عدت إلينا ثانية » .

لقد انقضت ٣٥ يوماً منذ أن غسلت وجهى وخلعت عنى جميع ملابسى . وعلى أنى كنت منهوك القوى فقد كان عسيراً على أن أنام . كان الترمومتر فى داخل الكوخ عند درجة التجمد ، وكنت أكاد أختنق من الحر . وجعلت — وأنا الذى لم أسعل مرة فى الطريق — أسعل كما يسعل العجوز . ولقد غلبنى سُعار الجوع ، ولكن الإعياء قعد بى عن الأكل . كنت مضنى من التعب ، وسأظل كذلك أياماً .

وسافرت بعد إقامة ثلاثة أسابيع فى مقر الشركة فى صحبة يوتاك وأحد أهالى نهر پرى ، اسمه بيروآنا ، إلى مقر شركة خليج هدسن عند نهر پرى .

كانت الشمس متألقة فى ذلك اليوم ، والمياه المتجمدة تلمع على مدّ البصر ، والجو هادئاً صافياً ، حتى خيل إلى أنى أخلف ورائى السعادة كل السعادة . وفى الطريق لقينا مساعداً شابا من شركة خليج هدسن ، وقد جعلنى منظره أدرك فجاءة طول المسافة التى قطعتها .

وقد تتوقع أن يتعانق اثنان من البيض إذا هما التقيا فى منتصف الطريق فى تلك الأصقاع المتجمدة ، بيد أنى ، عندما أسرع ذلك الشاب نحوى يحيينى ويقدم نفسه إلىّ ، وقفت لدهشتى بلا حراك فى حذر الإسكيمى وتهيبه . وشر من ذلك أننى ، بعد أن تبادلنا التحية ، انصرفت عنه إلى يوتاك وبيروآنا . فلقد صارا أعز علىّ من جنسى . ولما تحركنا

للسير – وكان ثمة ثلاث مركبات قد اتجهت وجهة واحدة – تركت الشاب وحده ودلفت إلى جانب رفيقي أمزح وأتحدث إليهما . وقد كان لدىّ ولدى الإسكيمى أشياء كثيرة يقولها بعضنا لبعض ، ولم يكن لدينا ما نقوله للرجل الأبيض . وكل ما قاله الرجل الأبيض لم يسترع انتباهى ، بل إنه لم يكد يطرق سمعى ، وكان ما فهمته من قوله سخيفاً غير معقول .

وقد ظهر الفرق بينى وبينه ظهوراً بيناً عند ما جنّ الليل ، فقد بنى يوتاك كوخاً من الجمد لخمستنا ، بدا صغيراً لصاحبنا الأبيض حتى لقد زفر حين رآه . وأول كوخ يراه الإنسان يبدو دائماً صغيراً .

وقد قال لى صاحبنا : « إن هذا مضحك ! قل له إننا لا نستطيع أن ننام جميعاً فى مثل هذا الكوخ » .

لم يكن يعرف من الحياة فى الكوخ شيئاً ، وقد خطر لى فجأة أن قضاء ليلة فى كوخ من الجمد يقتضى مئات من التفاصيل الدقيقة تعلمتها أنا واحدة واحدة دون أن أشعر . فثمة طريقة نفض الثلج عن الملابس دون أن يقع الثلج على الجلود التى تغطى أريكة الجلوس . وثمة ذلك الفن الجميل ، فن ترتيب كل أشيائك بحيث تكون فى متناول يدك وأنت متكىء على الأريكة .

وأخيراً وفوق كل شىء ، هناك نظام الحياة فى الكوخ الذى يجب أن يتبع بدقة صارمة.

فإذا عرفت هذا النظام تصبح حياة الكوخ سهلة بسيطة وتسير بغير عائق ، وإذا جهلته سارت الأمور على غير ما تريد ، فتتأخر ، وتزاحم ، ولا تستطيع أن تعثر على ما تبحث عنه . وبينا يكون الآخرون فى أكياس نومهم ، لا تكون أنت قد استطعت حتى أن تأكل . وأخيراً يندس الرجل الأبيض وهو مرتد جميع ملابسه فى كيس النوم ، ولا يستطيع أن يغمض جفنه ، وينقضى الليل والمبولة تدور تحت أنفه نزيده هماً على هم .

كان هذا الأبيض المسكين عبئاً ثقيلا وحجر عثرة فى سبيل كل فرد ، لم يكن يدرى ماذا يفعل ، وكان خيراً له أن لا يفعل شيئاً ، ولكنه كان مثلى فى الخريف الفائت ، كان به نقيصة أخرى هى أنه كان لا يفكر فى غير نفسه . وقد كشف لى وأنا أرقبه أن حياة الإسكيمو تجرد المرء من الأنانية . كان هذا الشاب رجلا أبيض فهو إذن محب لذاته : « شايى ... علبتى ... نومى » ، ولكن لا ياسيدى ! إنه شاينا ، وعلبتنا ، ونومنا ، إن الحياة الإنسانية تنقرض من المنطقة المتجمدة لو هى خلت من هذا التماسك والاجتماع . ولقد علمنى الإسكيمو فوق هذا

جميعاً أن أنبذ أشياء كثيرة ـ العجلة، والهم، والتمرد ، والأثرة .. وقد استغرقت سنة أتعلم هذه الدروس ، ورأيت فجأة أن تلك السنة التي قضيتها في الشمال لم تكن ـ كما حسبت ـ سنة قهرت فيها عناصر الطبيعة ، ولكنها كانت سنة قهرت فيها نفسي . وبفضل هذا النصر لم تعد المنطقة المتجمدة عندي مصدر ألم وعناء، بل مبعث سعادة وسرور. كانت البوتقة التي ذاب فيها خبثي طبيعتي على مهل . فلقد وجدت في هذا الرحب المتجمد ما أبغيه من رضى النفس ، وهو مالم أجده في سائر أنحاء العالم .

وعاد الربيع إلى المنطقة المتجمدة ، وارتفعت درجة الحرارة إلى ما فوق الصفر وذات يوم ارتفعت فجأة ـ وكان ذلك في ٢٥ ابريل ـ إلى درجة واحد تحت الصفر، وهبت ريح « حارة » تضيق بها الأنفاس وكان « الحر » لا يطاق ، واضطررنا إلى إزالة الثلج الذائب عن سطح الشركة مخافة أن يغمرها الماء .

وتطلعت من النافذة إلى خيوط الجليد وهي تقطر ماء ، وفكرت في اكتئاب : ما أبغض مرأى الدنيا على هذه الحال . وبرزت من جديد تلك الحجارة الشبيهة بالجماجم كالحة قد انتثرت في البرية الجرداء ، وكان المشهد على امتداد البصر كريهاً شاحباً كئيبا ، وبدا مقر الشركة غارقا في حمأة من الرفات والفضلات أظهرها ذوبان الثلوج . فيالها من قذارة لا تقع تبعتها إلا علينا نحن ! هذه الصفائح التي كنا نلقي بها في الخارج غير آبهين ، وأوعية المربى الخاوية ، والبطاطس الفاسدة ، كلها تظهر فجأة لتلبسنا الخزى .

فلما مرت الأيام سراعاً جعلنا نرى النور في السماء طول الليل ، فكنا نكره أن نأوى إلى الفراش ، فإذا فعلنا لم نستطع النوم . وكنا كالحيوان قد استكن الشتاء كله ، وقد أشرفنا الآن على زمن الخروج والسعي .

وكان الإسكيمو في ذلك الوقت قد هجروا أكواخهم المتداعية ، وقامت الخيام في كل جانب . فلما عادت ريح المنطقة المتجمدة المتقلبة تهب باردة ، وجعلت تصفر خلال مساكنهم الجديدة ، أقاموا حولها سياجاً من الثلج يقيها شرة الريح. وكنت ترى في خيامهم أكواماً مختلطة من الحراب وجلد الدب وآلات الخياطة التي علاها الصدأ ، وفونوغرافات قديمة، إلى غير ذلك مما نبشوه من الأرض في الربيع . أما شاطئ البحر فكان أكواماً من الصفائح الفارغة وجثث الثعالب وقطع الجلود البالية ، تشهد كلها أن الإنسان أحقر حيوانات الخليقة جميعا .

وشهر مايو هو شهر الزيارة العظيم ، وكان الإسكيمو ينزلون هذا المكان كل يوم تقريباً ، وكثيراً ما يأتون من مسافات بعيدة ليبيعوا تجارتهم السنوية ، وقد يجلب بعضهم ١٥٠ أو ٢٠٠ من جلد الثعلب : وكان يبدو عليهم جميعاً التلهف والفرح لما يتوقعونه من ولائم وزيارات وتجارة في النساء ، وكان وصول كل مركبة غنما كبيراً للمخيم جميعه .

ولم يكن هؤلاء هم الإسكيمو الذين أسعد بالإقامة بين ظهرانيهم ، فإنهم كان يصطادون بالبنادق ، وكانوا يعرفون الجمع والطرح ، وقد قطعوا إلى الحضارة نصف الطريق . كانت قفازاتهم معلقة إلى جنوبهم بخيط من الصوف طويل زاهي اللون ، كانوا كقرود معارض الحيوانات يجلسون على كراسي ولا يأكلون إلا أرقى صنف من أصناف البسكوت ، ويدخنون السجاير الملفوفة ، ويقلدون الرجل الأبيض في حركاته .

وفي مقر شركة « هدسن باي » تلتقي في التجارة عقليتان وتلتحم إحداهما بالأخرى ، هما عقلية الرجل الأبيض وعقلية الإسكيمو . فيرى الإسكيمو في هذه النقطة النائية الواقعة في أقصى الفضاء ، ما يمثل خلاصة حضارة الرجل الأبيض — مستودعاً للثروة والترف ، فإذا دخلوا المتجر سمعت منهم ضحكا مكتوماً ، فسوف يغلبون الرجل الأبيض في البيع مرة أخرى ! ألا تراهم يظفرون بتلك الأشياء العجيبة في مقابل فراء بعض الثعالب ! فالرجل الأبيض ولا ريب رجل مأفون لاهتمامه بمثل هذه التجارة . ماذا تجدى عليه هذه الثعالب ؟ إن جلد الثعلب ينفع في كوخ الجمد لمسح الآنية ، على أن جلد الطيهوج (طائر من رتبة الدجاج في البلاد الباردة) خير للمسح من جلد الثعلب . وليس من الممكن أن يكون لدى الرجل الأبيض آنية كثيرة تحتاج إلى المسح !

ويدخل الإسكيمو واحداً بعد واحد إلى المتجر وفي أعقابهم زوجاتهم وأطفالهم ، يقفون بلا حراك صامتين مشدوهين . فإن هذا المتجر هو جنة الخلد عند قوم يرون مبرداً علاه الصدأ كنزاً ثميناً — وقد روى لنا آمندسن عن إسكيمو يسافرون ٦٠٠ ميل للحصول على بضعة مسامير . هنا صناديق عدة حافلة بالمسامير ، وصنوف من مبارد الحديد ، ويتدلى من السقف على مد أيديهم ٥٠ مسخنة (غلاية) من مساخن الشاي . فجعل بعضهم ينظر إلى بعض . وقد أثارهم وبهرهم ما رأوه . ما أعجب هذا المخلوق ، هذا الرجل الأبيض ! إنه لا يقتنى جميع هذه المساخن والأباريق فحسب ، بل إنه لتصله منها مقادير جديدة كل سنة . لا بد

أن يكون له فى بلاده النائية مخابئ هائلة فى الأرض ملؤها الآنية والأقمشة والطباق .

ويتقدم أولهم، وهو أعظمهم شأناً ، لقد راعه ما رأى ، ومع أنهم قد تحدثوا عنه فى أكواخهم مراراً فإن حقيقة المتجر تبهر الأبصار أكثر مما كانوا يذكرون . ويلقى الإسكيمو بكيس إلى الأرض ، ويفتحه ويسحب منه شيئاً أبيض لا شكل له يعلوه دم مجمد . ذلك هو الثعلب .

ويقف الرجل الأبيض باسماً ، ويظل الإسكيمى منقباً فى فكره ، وأخيراً يقول فى ثبات :

« أوت — كور — لو » أى زيت الفحم .

فيسأل الرجل الأبيض: « تا — مار — ميك ؟ » أى : بقيمة ثعلب كامل ؟

فيقول الإسكيمى : « إهْ — إهْ » أى : نعم .

ويحضر الرجل الأبيض ذلك الوقود ، ويأخذ أول ثعلب ، ويخرج الإسكيمى ثعلباً آخر ويعود فيقول :

« تى — با — كو » أى طباق .

فيسأله الرجل الأبيض ثانية: « تا — مار — ميك ؟ »

ويضايق الإسكيمى تكرار هذا السؤال، ويستولى عليه خوف غامض ولا يجرؤ أن يأمر وينهى ، وأخيراً يقول فى صوت خافت:

« نابى — دلو — جو » أى مشطور شطرين .

ولكن ماذا يشترى بالنصف الآخر من الثعلب ؟ فيجعل ينظر إلى السقف ويتمتم :

« نا — أونا » . (لا أدرى) .

وفجأة يذكره شىء يراه على الرف بما يريد ، فيشير إليه ويقول :

« تام — نا — لو » . (ذلك الشىء) .

وكلما رمى الرجل الأبيض بجلد الثعلب تحت المنضدة يفهم الإسكيمى أن ذلك الثعلب قد نفدت قيمته ، ولكن ما دام الثعلب على المنضدة فله قدرته على الشراء لا تزال .

وتباع الثعالب الثلاثة أو الأربعة الأولى بسهولة ، فثمة تلك الأشياء التى لا يستغنى عنها الإسكيمى ، كزيت الفحم ، والشاي ، والطباق ، بيد أنه بعد بيع الثعلب الخامس يحار الإسكيمى فيما يبغى ، ولا يرجع ذلك إلى قلة تأهبه للأمر ، كلا علم الله ، فقد تحدث هو وزوجه عشرين مرة فى كوخهما فى ذلك الأمر ، ولكن خانته الذاكرة .

على أنه من حسن الحظ أن زوجه كانت حاضرة ، فكانت تلمزه بطرف حذائها فى كعبه وتلقنه ما يقول ، فتقول : « القماش » « آنية الطهى » ، وتلتمع عيناها التماعاً لا يكون إلا فى عينى امرأة تعيش على الفطرة .

نعم نعم ، كيف نسى ؟ وتتوالى عليه الأفكار تباعاً ويقول : « هذا ! وهذا ! وذاك ! » ويشير إلى كل ناحية فى وقت واحد مخافة أن تفلت منه هذه الأفكار الطارئة .

وأخيراً يرى أنه قد تمادى ، وحين يترك المتجر يجر وراءه صندوقاً من خشب حشوه الكنوز ، يحس إحساساً غامضاً أن كثيراً من هذه الأشياء البراقة لا تجديه شيئاً . وفى أغلب الأحيان يجد نفسه فى غير حاجة إلى تلك الأشياء التى كان منذ لحظة واحدة لا يستطيع مقاومة إغرائها . ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة أخرى فى الاتجار — بين الأهالى أنفسهم . ولما كانت الأشياء فى نظرهم لا قيمة لها فى ذاتها ، بل إنها تقوّم حسب الرغبة فيها أو الرغبة عنها ، فإنه يحدث أن يشترى طوق كلب جميل بغليون من طين ، أو نصف كيس من الدقيق بقلم أحمر . وكذلك قد تعدل الإبرة فراء ثعلب بأكمله ، وتكون لشريحة جلد رئة قيمة مصباح . والغريب أن ليس ثمة إسكيمى يقول بأنه غلب فى صفقة بيع ، فإن ذلك لا يخطر له على بال .

وتبادل الزوجات شائع بين الإسكيمو ، وهو أمر تافه يقتضيه حسن المعاشرة ومجاملة لا تمنع عن الأصدقاء او الزوار . والتصرف فى المرأة من حق الزوج وحده ، والرجل الذى يطلب هذا من الزوجة رأساً يقترف أمراً خطيراً ينقض العرف المتبع ويستجلب المتاعب الشديدة .

وسؤالك الإسكيمى أن يعيرك زوجته أمر تجرى به العادة ، بحيث لا يتردد أحد أن يطلبه فى كوخ يعج بالناس . وهو أمر لا يبلغ من شأنه أن يقطع الحديث ، فترى الزوج يجيب بلا أو نعم ، كما يشتهى فى تلك اللحظة بغير اكتراث .

ويتم كل شىء بغير اكتراث كما تم الطلب نفسه . فإذا حان وقت النوم اندس الزوج ساكن النفس فى كيس نومه المصنوع من جلد الغزال ، على حين تنسل زوجته إلى كيس صديقه . ولا يجد الزوج فى نفسه شيئاً من الغيرة ، بل تراه قد أسلم نفسه للنوم قبل أن يستقر الصديق فى الكيس مع زوجته .

ولا يزال الإسكيمو على الفطرة الأولى ، فالربيع ، وهو فصل السِّفاد (التلاقح) فى المملكة الحيوانية ، يبدّل فى أبدانهم وطبائعهم ، فيتغير لونهم من أسمر أربد إلى أرجوانى ، ويتقد على خدودهم وهج أحمر ، وتلمع عيونهم ببريق غريب . وتسود هنا فى نهر يرى ثورة من الهياج الجنسى فى طول المخيم وعرضه تجتاح كل من فيه . ولا يزالون

يتواقعون ليل نهار فى طوفان من الهياج لا ينقطع ولا تكبح شِرّته . ولا حديث لهم غير هذا . ويصل الرجال إلى مقر الشركة فرحين مرحين يقصون مفاخرهم فى هذا الميدان بإسهاب وتفصيل ، ثم إذا بهم ، وقد حركتهم كلماتهم ، يعودون سراعاً إلى خيامهم . ويشترك فى هذا الهياج ، الصغير والكبير ، وكل بنت وامرأة . ولما كان موكاهينك بلا زوجة فقد تزوج بأم شريكه فى الصيد ، وكان يبدو عليها أنها بلغت السبعين ، ولكن ربما كانت فى الخمسين . وقد ظهر هو الآخر عند مقر الشركة يقص قصته . وحتى صغار الأطفال ركبتهم هذه الحمى التى كانوا يشاهدون مظاهرها (فلا حياء فى الخيام) . وكانوا يقلدون كبارهم فى فرح ، وهم لا يدرون ما يفعلون .

وفى ناحية نهر برى ألفيت حزمة من الرسائل تنتظرنى ، وكان على أن أجيب على بعضها ، ومع أنى كنت على مسافة ٥٠٠ ميل من كوبر ماين ، لم ينقذنى هذا البعد من براثن الراديو الحديدية ، واضطررت أن أرسل بعض برقيات ، فمنذ الآن لم يكن لدى ما أفعله إلا أن أدبر أمر عودتى إلى العالم الذى كنت الآن فى سبيلى إليه . ولقد قاومت فكرة عودتى هذه ، وحدثت نفسى أنى كنت ملكا فى كوخى ، وسأرتد فى ذلك العالم عبداً مسترقاً . ومهما يبد من عقوقى ، فإن جميع الدوافع كانت تحفزنى إلى نبذ عالمى الذى نشأت فيه . ولم تك بى رغبة فى سماع أى شىء عن فرنسا أو عن أصدقائى ، حتى بارحت كندا نفسها وعلمت أن الحرب قد اندلع لهيبها .

وفى ليلة فى أواخر مايو — قبل أن أبحر على سفينة البوليس الملكى الكندى بيومين ، وهى السفينة التى كانت ستحملنى من المنطقة المتجمدة إلى بنى جنسى — مشيت إلى قمة الأكمة وأجلت البصر حولى . وكانت الليلة ساكنة سكوناً عجيباً ، وقد ران على الأرض والبحر ذلك الصمت الذى يجعل الليالى فى المنطقة المتجمدة شيئاً يفوق تصور من لم يعرفوه .

ورجعت بخاطرى إلى تلك الأشهر فى الطريق ، وتلك الشدائد ، وحتى ما لقيت من البلاء . وفجأة جعلت أفتقدها افتقاداً شديداً دهشت له ، ولم يفارقنى هذا الشعور منذ تلك اللحظة . ولم أحن فى حياتى إلى أى شىء حنينى إلى الشتاء القطبى ، وتلك الأكواخ الزائلة الجاثمة على الثلج .

ويعلم الله أى فقر كان فقرنا ، فقد كان فقراً تاماً شاملا ، لم نكن نملك فتيلا . على أنه كان ثمة فرح ورضى يسودان حياتنا ، ولا أزال أطيل التأمل فيهما دون أن أجد لهما

تفسيراً . لقد خسرت جميع ما أملك، بيد أنى وقعت على كنوز عظيمة . خسرت العالم ولكنى وجدت نفسى ، واستبدلت البريق بالذهب . لقد كان فى قرارة نفسى مكان للهدوء الروحانى لم أكن أعرفه . ولقد وجدت فى العاصفة والخطر المحدق خلاصى وسعادتى ، ولولاهما لنامت روحى غير حافلة تحت أطباق الجسد . وهنالك فى البرية المتجمدة أعدت بناء نفسى من جديد ، فمن خلال طبقات الجلد المتجمدة المغضنة التى تكسو وجهى ، بدأ يبرز وجهى الحقيقى ، ذلك الوجه الذى أراد الله لكل امرئ أن يبديه لأخيه .

ووقفت على تلك الأكمة وقلت لنفسى : إننى لا أريد أن أبرح هذه الأرض . كان ما أنزع إليه أن أعود إلى تلك الأصقاع النائية ، وأعيش كما يعيش الأب هنرى فى خليج بلى ، ولكن هذا كان أمراً لا يمكن التفكير فيه لأسباب كثيرة . فلما انقلبت راجعاً أنزل عن الأكمة ، أدركت أنه قد كتب على أن أعيش فى غير ذلك المكان . وإنى لأعلم الآن علم اليقين أنه فرنسا .

****

هذا زمن خيار الناس

لا يذهبن بك الظن إلى أنك أصغر سناً من أن تنهض بجلائل الأعمال ، فقد كان توماس جفرسون فى الثالثة والثلاثين من عمره حين كتب وثيقة « إعلان الاستقلال الأمريكى » . وكان بنيامين فرنكلين فى السادسة والعشرين حين ألف « تقويم رتشرد المسكين » . وكان تشارلز ديكنز فى الرابعة والعشرين حين شرع يؤلف « أوراق بيكويك » . وفى الخامسة والعشرين حين ألف « أوليفر تويست » . وكان ماكورميك فى الثالثة والعشرين حين اخترع الحصادة ، أما نيوتن فكان فى الرابعة والعشرين حين صاغ قانون الجاذبية .

وقد كان الفليسوف كانت فى الرابعة والسبعين حين ألف أفضل مؤلفاته ، وفردى الموسيقى فى الثمانين حين ألف أوبرا فالستاف ، وفى الخامسة والثمانين حين ألف أوبرا آفى ماريا . وكان جوته فى الثمانين حين أنجز « فاوست » ، وميخائيل أنجلو فى السابعة والثمانين حين أتم أعظم آثاره ، وفى الثامنة والتسعين حين رسم الصورة التاريخية « معركة لبانتو » . ولا يزال برنارد شو — وهو فى الثامنة والثمانين — هو شو نفسه كأبرع ما كان .

[لويس نيزر فى مجلة « باجنت »]

قبل نشوب الحرب

جَدَّد فيلكو
الراديو - جراموفون



لاحاجة إلى تغيير الإبر
جمال جديد في النغم
حياة مديدة للاسطوانات
دولابٌ ذو واجهة متحركة

وبعد الظفر ..

ستضيف فيلكو نشوة جديدة للموسيقى المسجلة

إن مباحث فيلكو جعلت الجراموفون مسايراً للتقدم العصري في أوائل العقد الثالث بعد الحرب الماضية، وقد حسنت معامل أبحاثها تحسينات أصيلة عدة في عزف الاسطوانات والمتعة بسماعها وجعلت عزف الاسطوانات المسجلة تسجيلاً كهربياً في متناول الجميع.

إن راديو فونوغراف فيلكو المقبل سيضيف إضافات جديدة إلى متعة عزف الاسطوانات — في جمال النغم وكماله وسهولة العمل ويسره، ورشاقة تصميم الخزانة.

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION
230 Park Avenue, New York, U.S.A.

فيلكو

المشهور بالجودة في جميع ارجاء العالم

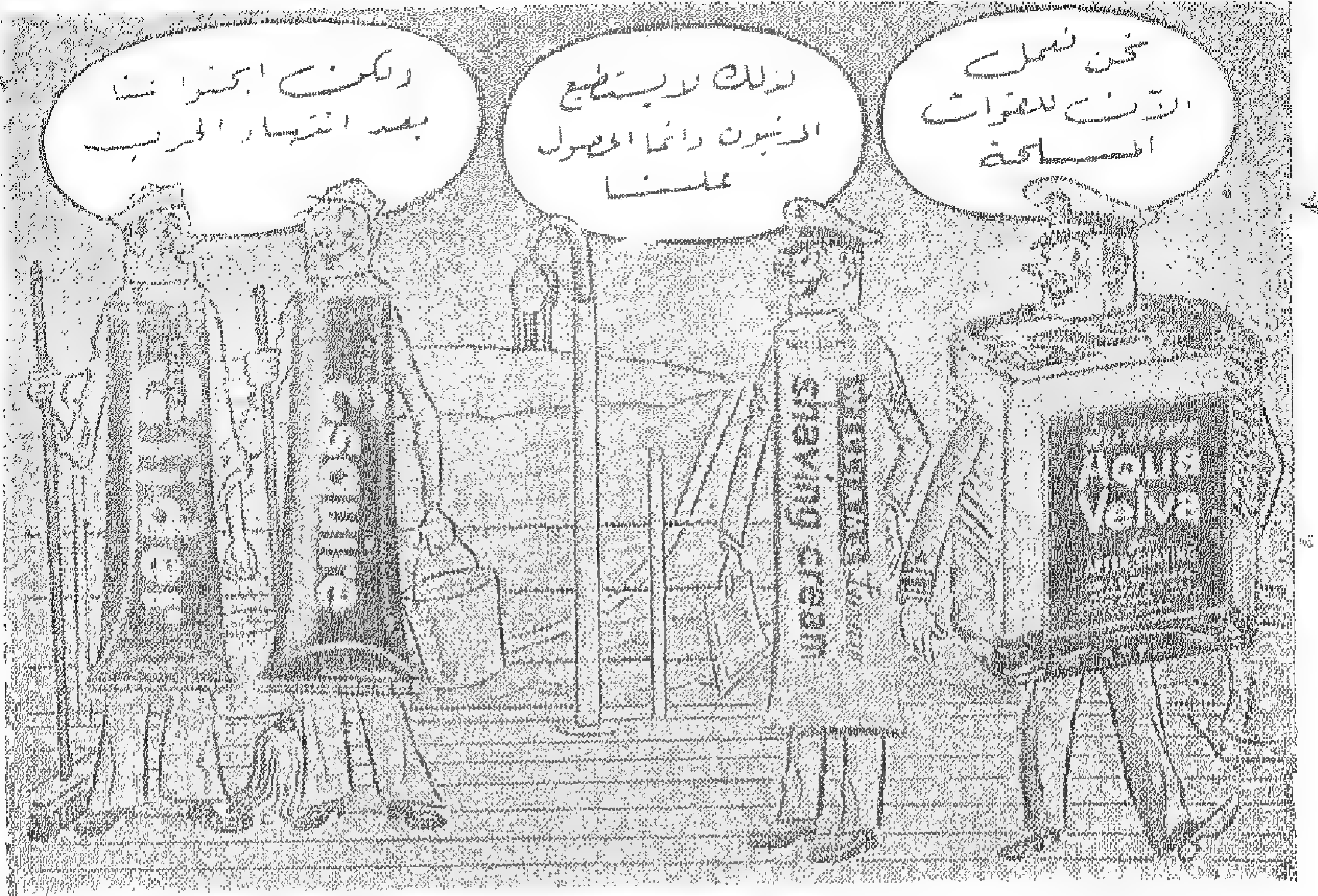


تنشئ مستوىً عالمياً جديداً في النقل الجوي

إنّ النقل الجوي قد بلغ درجة عجيبة من الاتقان والكفاية ، منذ طار الأخوان رايت قبل ٤١ سنة — وهذا التقدم قد بلغ ذروة جديدة ، في طائرة كونستيليشن صنع لوكهيد . تربط بين المدن ، تعبر القارات ، فلا ينكمش بانتقالها الزمان والمكان وحسب ، بل تدخل على السفر الجوي القصير المدى وبعيده ، درجة عالية جديدة من الأمن والراحة والاقتصاد .

ارتقبوا من Lockheed كل ممتاز وجديد

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U.S.A.



كريم جليدر واسكواير

الحلاقة بدون فرشاه

صنع خصيصاً للرجال الذين عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكواڤلفا وليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة في العالم
نقي ، لطيف ، منعش الرائحة

كريم حلاقة ويليامز الفاخر

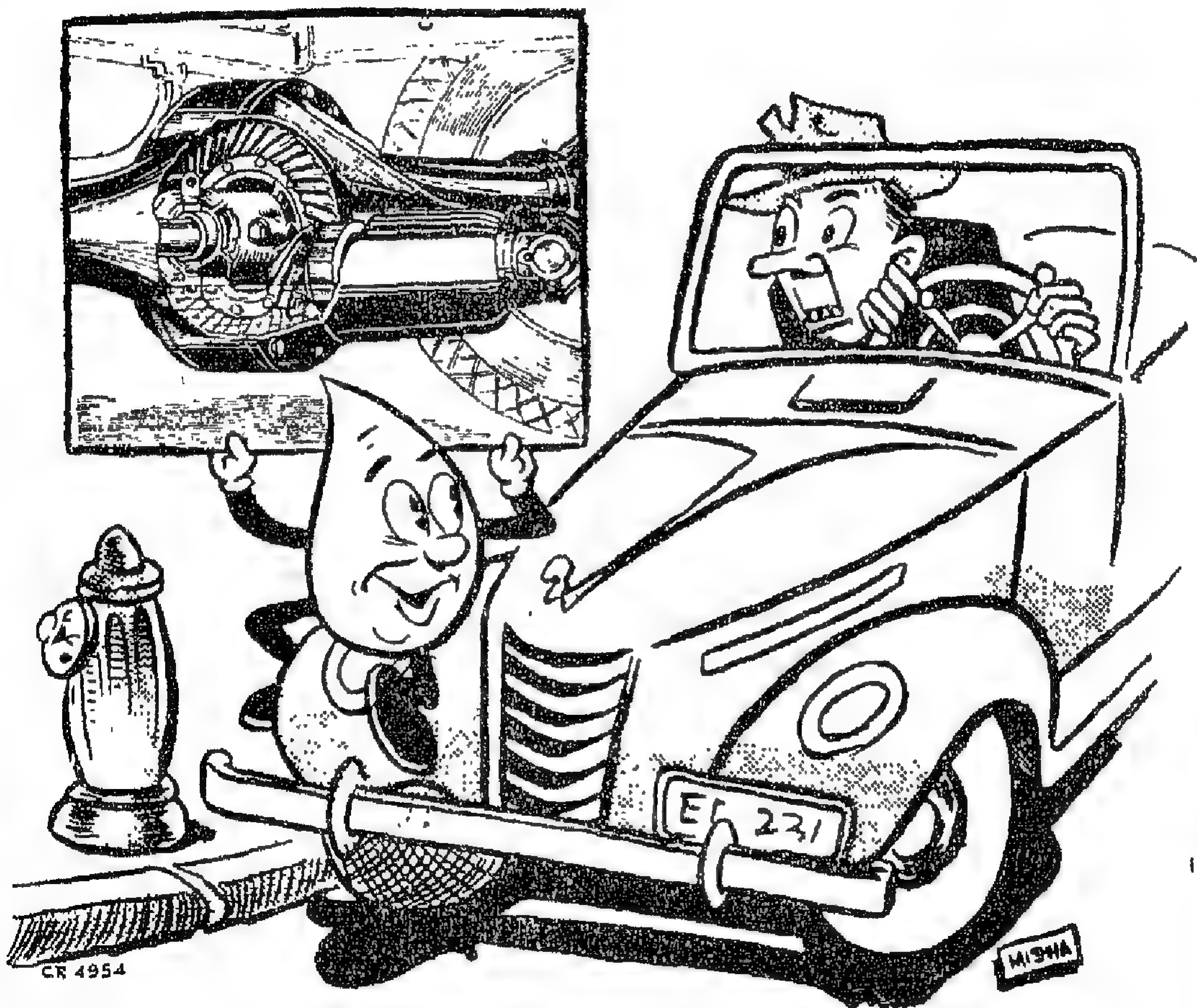
يحتوي على مادة لانولين الملطفة التي تهيء لك
لك حلاقة تامة دون أن تسبب للبشرة أي تهيج

WILLIAMS

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج . ب . ويليامز . جلاستونبري . كونيكتيكت . الولايات المتحدة

من المسلم به عادة أن دفرنسيال سيارتك يؤدي عمله على الوجه الأكمل دون عائق. غير أن هذا يتطلب استيفاء شرطين، أولًا: أن يوضع صنف زيت التروس الصحيح في الدفرنسيال. ثانيا: أن يتم هذا التزييت في فترات منتظمة. ومهما يكن نوع زيت التروس الذي يحتاج اليه دفرنسيال سيارتك سواء أكان من النوع الخاص المعد للعمل المرهق تحت الضغط الشديد أو من نوع الزيوت المعدنية الفاخرة ذات درجة اللزوجة الملائمة فلا شك بأنه سيزيت تزييتا صحيحا سديدًا اذا عهدت به الى عمال التشحيم على طريقة „موبيل" المدربين. وتقدم هذه الخدمة الممتازة في جميع محطات بنزين شركة سوكوني - فاكوم المساهمة.



بتفوق تشحيم „موبيل" على غيره

سوكوني | فاكوم



شفرات

لاتزال جيليت هي اجود شفرات للحلاقة
فى العالم. باستعمالك شفرات جيليت الزرقاء
او جيليت استندرد تضمن لنفسك الحلاقة
المثلى فى النعومة والسرعة والاقتصاد.



جيليت

في خدمتك

لانتاج انقى المواد البترولية

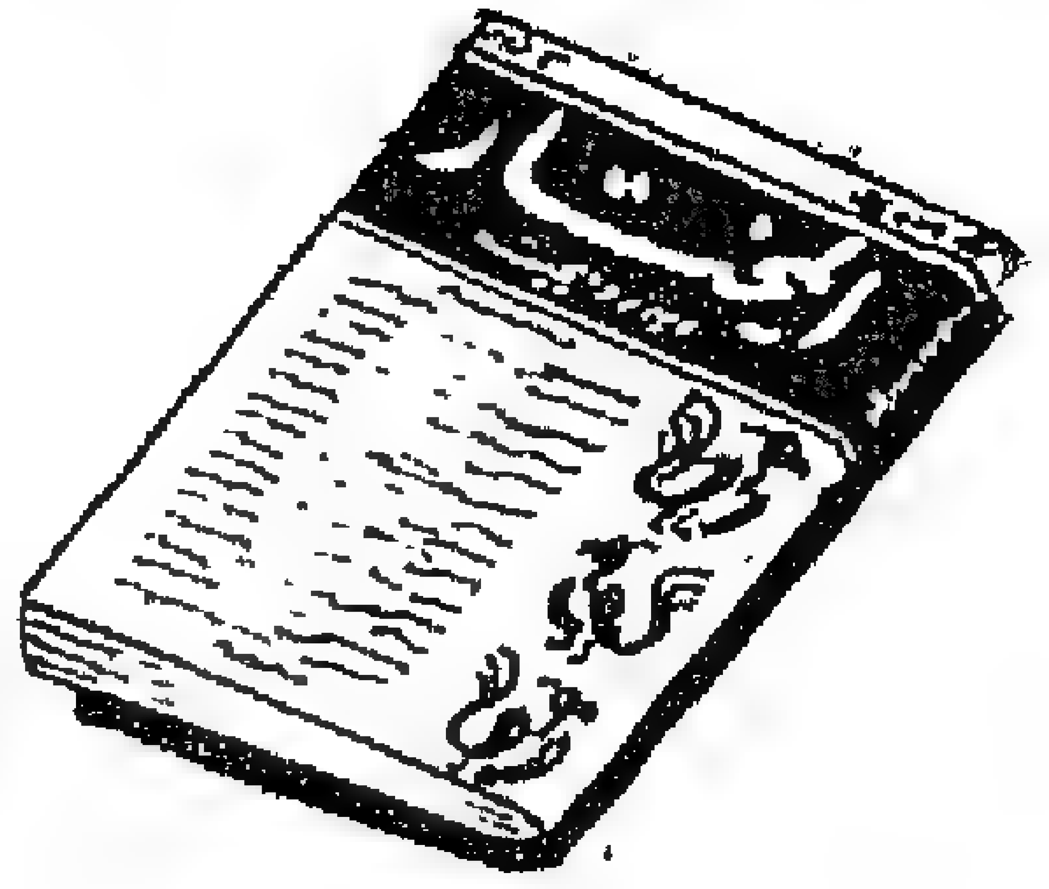
أن وسائل التوزيع الواسعه الانتشار التي تملكها شركة كالتكس تيسر لكم التزود بافضل اصناف البنزين والجاز ومواد التزييت ووقود ديزل وزيوت الوقود .

فمنتجات كالتكس البترولية تضمن لكم خدمة اقتصادية فعالة .

شركة زيت ، كاليفورنيا – تكساس
وموزعوها



كالتكس لانتاج البترول



المختار

ابريل ١٩٤٥

تقرأ فيه ٢٥ مقالا ممتعًا ، منها

الصم يسمعون

جراحة عجيبة ، تحمل بشرى النجاة لهؤلاء الذين قطع الصمم صلتهم بعالم الأصوات والأنغام .

كن سيد عملك

آراء ومقترحات عملية وحوادث يجد فيها الذين يريدون الاستقلال فى العمل، وحياً ونبراساً .

أمى نشرت لالنها (قصة)

ولادة دستور

دراسة مشكلات أمة بعد حرب ، بقلم مؤلف « نابليون يتقهقر عن موسكو » و « جنكيزخان فاتح العالم » .

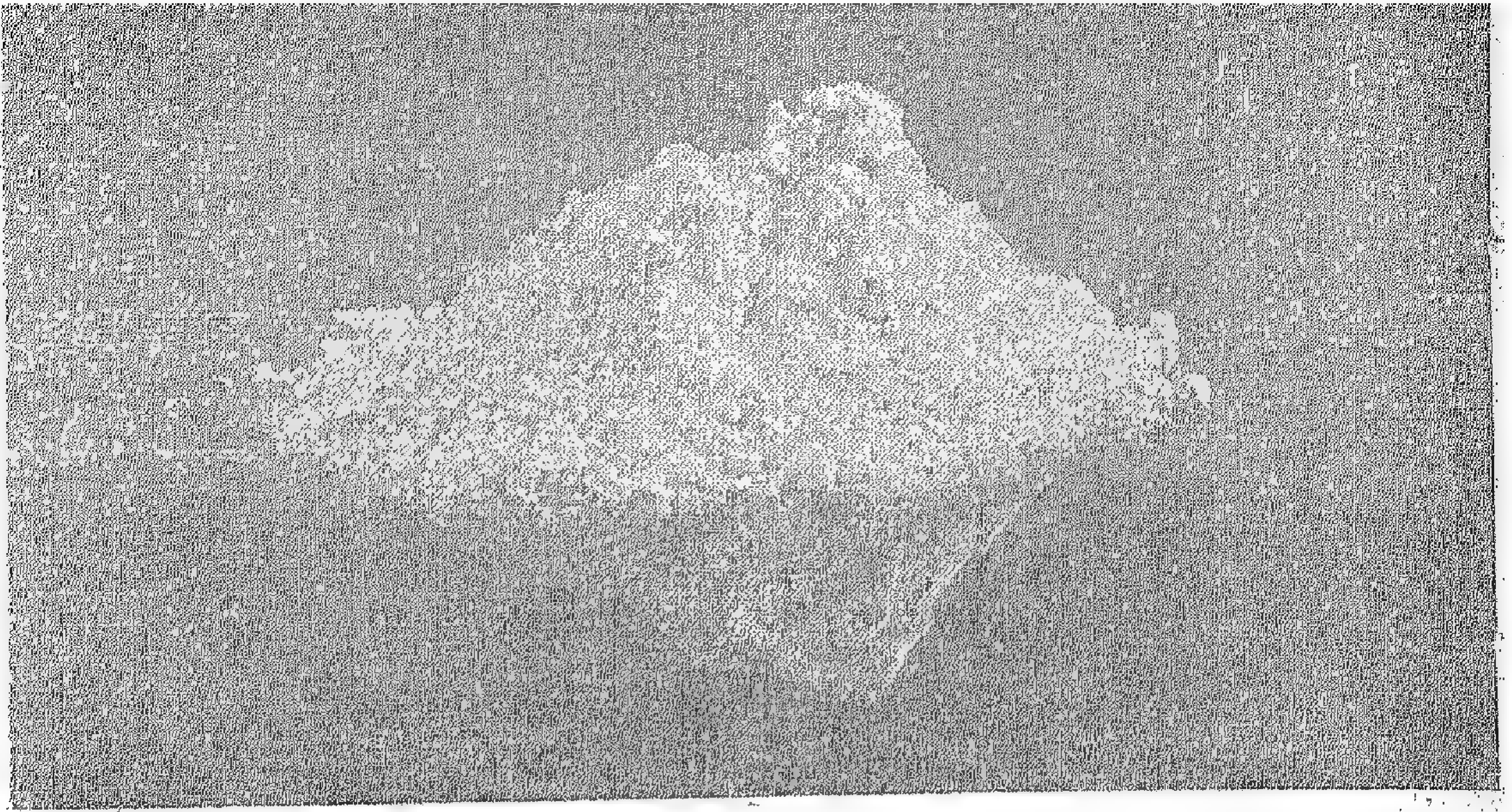
عجائب صناعة الزجاج

زجاج ينحنى كالخيزران ، ويقفز ككرة المطاط ، ويطفو كالفلين ، ولا ينفذ فيه الرصاص - كيف يستعمل بعد الحرب

علموا أولادكم الحياة

كتاب كامل ملخص كالمعتاد

كتبه بعد رحلة طويلة ، صحفى بريطانى ، طالما كانت آراؤه باعثاً على احتدام الآراء . وصف مغامرة شخصية بين شعوب الهند وزعمائها ، ينتهى منها الكاتب إلى أحكام مغايرة للأحكام الشائعة ، فى مشكلة استقلال الهند .



مسحوق الحياة

هذه حفنة من البنيسلين

كانت أمس قطرات عنبرية اللون أفرزها فطر « بنيسيليوم نوتاتوم » أو العفن العادى .

أما اليوم فهى مسحوق جاهز ليشحن إلى أحد ميادين القتال .

أما غداً فقد تنقذ حياة .

إن ظفر البنيسلين ، هو إلى حد بعيد ، ظفر تكييف الهواء والتبريد .

فى مصانع شبلين وهايدن وليدرلى وفيزر وريشل — وهى جميعاً تحضر البنيسلين على نطاق واسع — تجد أجهزة تكييف الهواء التى صنعها يورك ، محتفظة بالخزانات التى تربى فيها الفطر على درجة الحرارة اللازمة للنمو الصحيح .

وبعد أن تستقطر القطرات الذهبية من العفن الأم ، تسلم أمورها لأجهزة تبريد يورك .

فالبنيسلين السائل يجمد حتى يمكن التبخير فى فراغ وعلى درجات واطئة من حرارة تصلح لذلك دون أن تقضى على ما فى العقار من خواص تفتك بالبكتيريا ، وإذا النتيجة المسحوق المستقر التركيب الذى تراه فى أعلى الصورة .

وعلى أن إنتاج البنيسلين أصبح واسع النطاق فإن البحث العلمى فيه لم ينقطع ، ولا ريب فى أن أقطاب البحث الطبى العلمى سيكشفون أصنافاً جديدة من الفطر الفاتك بالميكروبات ، وسيتقنون وسائل أجد وأفضل للانتاج .

ولاريب كذلك ، فى أن علم التبريد ، سيجارى جهود الأطباء العلماء بصنع الأجهزة اللازمة ، للنهوض بالمهام المطلوبة .



York Corporation,
York, Penna.

يورك للتبريد وتكييف الهواء

المقر الرئيسى لأجهزة التبريد الميكانيكى منذ عام ١٨٨٥

أثر فى تكوين شخصيتها ، من إنسان أو مكان . ولقد وقعت أنا على هذه المسرّات نفسها .
فكم من طعام أكلته وحدى صار أطيب مذاقاً لما استعدت ذكرى رحلاتى إلى الصيد — ذكرى الترقب فى الأدغال ، وذكرى الهدوء والنسيم العليل فى بعض مواقع الغابة ، ثم الروعة المناجئة حين ينفر الصيد من مخبئه . ولقد راجعت أيام صباى ، وملاعبى أنا ووالدى ، وخروجنا أنا وأمى وأختى لنقطف البرتقال للمربّى . وظللت أنبش ذاكرتى فوجدت عشرات من الأصدقاء لم يخطر اسم أحد منهم أو وجهه لى ببال منذ عشر سنين أو عشرين . وقد عادتنى مشاهد من زمن الصبا ، فكأنما كنت أشاهد صوراً تتوالى خاطفة على صفحة الصخر .

وقد جعلت قطرات المطر تبلل هذين العددين ، فإذا ذهبت أجففهما فى قيظ الشمس ، تهتكت أوراقهما وتقشرت ، حتى صار فتات الورق يغطى رأسى ووجهى كلما تناولت أحدهما لأقرأه . وقد أدركت وأنا أتصفحهما مرة بعد مرة ، كثرة ما فاتنى أن أقرأه فى المجلات فيما مضى . فحين كنت فى بلادى كنت أقرأ المقال مرة ولا ألبث أن أنساه إذا ما بلغت صفحات الإعلان ، ولقد عرفت الآن أن المرء إذا قرأ المقال مرة واحدة عجز عن استيعاب كثير مما فيه ، فأيقنت أن الكتابة المحكمة جديرة بأن تقرأ على مهل وبإنعام نظر .

فلما أسفر لى هذا الخاطر — وأنا أقضى أياماً معذباً ألتمس فى الأفق أشباح السفن الأمريكية العائدة ، وأقضى ساعات أكافح يأسى من النجاة — فيومئذ تعلمت أن أقرأ .
فالآن حين تصلنى نسختى من « ريدرز دايجست » أقرؤها كلها من فورى ، ثم آخذها بعد أسبوع مرة ثانية لكى أرى كم من مقالة أذكرها بحيث أستطيع أن أناقشها . ولشد ما أدهشنى أن يكون أكثرها قد تفلّت منى كل التفلّت تقريباً ، وعندئذ أعود فأقرأ كل مقال لم أحط به شيئاً .

وقراءتى الثانية أرضى لنفسى من الأولى . ولما كانت خلاصة الفكرة غير غريبة عنى ، فإنى أحصر ذهنى فى التفاصيل ، وهى التى تكسو الهيكل لحماً وعضلا حتى يعود حياً يجرى فيه الدم ، ثم تصبح الأفكار جزءاً من معرفتى المثمرة ، وتستقر النوادر فى ذهنى فتحيى ساعات السمر .
حقاً لقد كنت تلميذاً صعب العريكة . فلكى أتعلم كيف أقرأ ، لم يكن بدٌّ من أن أخوض غمار حرب عالمية . وأن أبقى فى عزلة ٣١ شهراً يهددنى الخطر يوماً بعد يوم !

في أيام محنتي تعلمت القراءة

جورج تويد ••• بحرية الولايات المتحدة الامريكية

ظللت سنتين وسبعة أشهر فى جزيرة جوام بعد أن استولى اليابانيون عليها ، فقضيت أكثر أيامي مختبئاً فى مثل وكر العقاب ، وهو شق بين صخرتين يطل على المحيط الهادى. وكثيراً ما كنت أسمع ، وأنا جاثم هناك ، تقصف أعواد الشجر . فينذرنى أن العسس اليابانى المؤلف من ٥٠ رجلا ، والذى وكل إليه أن يتصيدنى، قد عاد يشق طريقه بين الشجيرات تحت مكمنى .

وفى مثل الذى كنت فيه تقل أسباب المسرات ، ولكنى ظفرت ببعض قليل ، ومن خيرها مطالعة عددين من « ريدرز دايجست » ، وهما ذخيرة غالية احتملتها معي ، لم أطق أن أتخلى عنها حتى فى الأسابيع التى قضيتها مطارداً فى جوف الأدغال الشائكة التى يشق اختراقها .

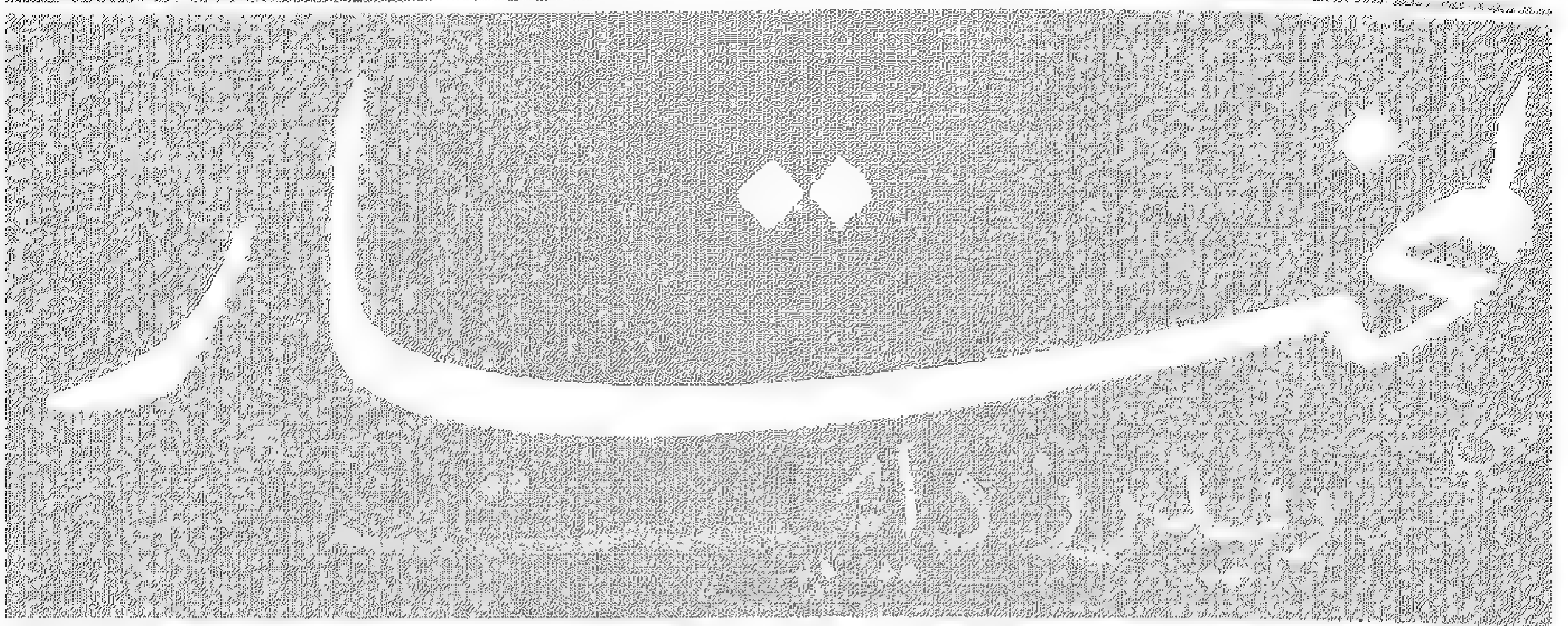
وإخالنى قرأت هذين العددين من الغلاف إلى الغلاف فى كل أسبوعين مرة ، تحت ضوء سراج يتشظى، ، خمس فتيله فى علبة سردين ملأتها من زيت جوز الهند ، فلم أكن أقتصر على أن أعيد قراءة ما أوثر من المقالات ، بل كنت دائماً أمضى فى القراءة من الصفحة الأولى إلى الأخيرة .

وثمة مقالة يخيل إلى أنها كتبت لى أنا خاصة ، عنوانها « تستطيع أن تكون شيئاً — وأنت وحدك » (المختار مايو ١٩٤٤ ص ٤٤) . وقد وصفت كاتبته ، مارى إلن تشيس ، مايجده المرء من نشوة السرور حين يخرج وحده فى رحلة . فلما أخذت تعدد فضائل الخلوة ، جعلت أقابل ما تذكر بما أنا فيه واحدة واحدة . ولقد قالت مس تشيس إنها فى ساعات وحدتها الطويلة ، جعلت تنشر ماضيها وهى طفلة وتعيش به ، باعثة من أطباق الماضى كل شىء كان له

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش



في كل مقالة لذة وفائدة

... أن يسعدا ... [illegible] ٩

[illegible] ٣

[illegible] الحياة المتطوعون في روسيا ... [illegible] ١٠

[illegible] من الإخفاق في [illegible] ... [illegible] ١٤

[illegible] ... [illegible] ٢٠

كيف [illegible] أطفال ألمانيا ... [illegible] ٢٢

[illegible] ... [illegible] ٢٩

[illegible] في [illegible] الجبال ... [illegible] ٣١

[illegible] حبا [illegible] ... [illegible] ٣٥

لماذا يبوح الناس إلينا بأسرارهم ... [illegible] ٤١

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] مرة أخرى على الفلبين ... [illegible]

[illegible] الملونة [illegible] ... [illegible]

[illegible] من أوربا ... [illegible]

[illegible] شيئا [illegible] من [illegible] ... [illegible]

[illegible] أولادكم [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] حول العالم في ٩٠ ساعة ... [illegible]

[illegible] الأكبر ... [illegible]

ليست هذه [illegible] بل صلاة ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] الجبال ... [illegible] ١٠٦

[illegible] على [illegible] ... [illegible] ١٠٧

إبريل ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند . والطبعة الأسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . وهذا هو العددُ العشرون (الثامن من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العـام : باركلى أتشيسون

المختار
من
ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الاثر
السنة الثانية — المجلد ٤ العدد ٣٠

آن للصم أن يسمعوا

لويس ماتوكس ميلر
ملخصة من مجلة "هايجيا"

جراحة معجزة تنطوى على أمل الخلاص من عالم الصمم الموحش

كانت الفتاة الراقدة فى سرير المستشفى ترهف السمع مأخوذة بالأصوات المألوفة التى تخترق عصائب رأسها السميكة. فوقعُ قطرات الماء فى الحوض، ولغط الأصوات البعيدة، وطقطقة الترام فى الطريق... كانت هذه الأصوات كلها أحلى فى سمعها من موسيقى مقبلة من عالم آخر. فهذا أول ما « تسمع » منذ ١٥ عاما، إذ استطاعت براعة الجراح أن تفتح كوة دقيقة بيضية فى صدفة الأذن الباطنة، وكذلك يسرت نفاذ كل ما فى عالم الصوت من فتنة.

لقد تمت هذه التكوية (فتح الكوة) الجريئة الدقيقة فى أكثر من ٢٠٠٠ مصاب حتى اليوم، وقد تم بعضها منذ سبعة أعوام. وظل أولئك المرضى تحت مراقبة الأطباء الذين كانوا فى ريب من أن شفاء الصمم سيدوم. فليست المسألة أن تفتح كوة صغيرة، بل أيضاً أن تمنع الطبيعة العنيدة من أن تسدها ثانية. وفى العام الماضى قامت لجنة من المجمع العلمى الأمريكى للرمد وطب الأذن والحنجرة ببحث واف فى طريقة التكوية ونتائجها البعيدة المدى، وقد قال الدكتور مارفين جونس: « كنت أعتقد منذ ست سنوات أن نتائج جراحة التكوية، وإن كانت رائعة إلا أنها لا تدوم، ولكنى رأيت قريباً مرضى كان سمعهم، لخمس سنوات مضت قبل الجراحة، أضعف من أن ينتفع به، فأصبحوا اليوم يسمعون الهمس الخفيض ».

إن جهاز السمع معقد أشد التعقيد، محاط بالغموض. فأمواج الصوت التى

مدخل صوان الأذن تقرع الطبلة ، وهى الغشاء الرقيق الذى يفصل الصوان عن الأذن الوسطى ، ويتصل باطن الطبلة بأحد طرفى سلسلة مؤلفة من ثلاث عظمات دقيقة تسمى (للمشابهة) بالمطرقة والسندان والركاب ، وذبذبة الطبلة تنتقل إليها على التوالى . ويستقر الركاب على كوة فى الصدفة التى تفصل الأذن الوسطى عن الأذن الباطنة . ومن هذه الكوة تنتقل ذبذبات الركاب إلى السائل الذى يملأ الأذن الباطنة، حيث تمس مؤثرات الصوت مجموعة من أعصاب السمع تشبه أوتار القيثار ، وتنتقل عليها إلى منطقة السمع فى المخ .

وكثيراً ما يختل شىء ما فى هذا الطريق فينجاب عن مأساة الصمم ، ففى صغار الأطفال مثلا قد يؤدى طغيان النمو فى زوائد الأنف إلى سد قناة يوستاخ (قناة تصل الحلق بالأذن الوسطى) . فإذا استؤصلت هذه الزوائد عاد السمع كما كان . أما فى الشيخوخة فقد ينشأ الصمم عن فساد يلحق أعصاب السمع ، وهذا لا علاج له .

وبين هذين الطرفين أكثر من فى العالم من ملايين الصم أو الذين فى آذانهم وقر . وسبب صممهم علة تسمى تصلب الأذن ، لا تستتبع ألما ولا تقيحا فى الأذن الوسطى ، وليس لها أعراض تزعج العليل إلا طنين الأذن أو ضعف مطرد فى السمع . وسبب ذلك أن ينمو العظم نمواً بطيئاً فيسد الكوة الصغيرة التى تحيط بالركاب ، فلا يتحرك ، وينقطع وصول الذبذبات إلى سائل الأذن الباطنة . أما عصب السمع فى داخلها فربما ظل سليما كل السلامة ، ولكن الصوت لا يعود ينفذ إليه لكى ينقل إلى المخ .

ولقد حار متخصصو الأذن المشهورون طوال القرن الماضى فى هذا الموقف الذى يذهب بالألباب . وفى سنة ١٨٧٦ أجرى الجراح الألمانى « كسل » أول محاولة فى حلحلة الركاب من الكوة المغلقة ، فزال الصمم لساعته ، ولكن سرعان ما عادت كوة العظم فانسدت . وحاول « هولجرن » الطبيب السويدى أن يبقى الكوة مفتوحة بتثبيت وتد من العجائن الكيميائية ، ولكن هذا الوتد سبب ما يسببه الجسم الغريب من أثر ، فأحدث نمواً جديداً فى الخلايا سد الكوة سداً أشد إحكاما . وأخذ الجراحون فى ست ممالك يجربون وينبذون طريقة بعد طريقة .

وصنع الجراح الفرنسى سوردى فى هذا الصدد آية من آيات الجراحة ، إذ طوى بمنتهى الدقة غلالة من الجلد فى رقة نسج العنكبوت ثم وضعها فوق الكوة الجديدة لتنقل الذبذبات من طبلة الأذن إلى الأذن

الباطنة ، ثم طفق يجرى الجراحة بعد الجراحة ليبقى الكوة مفتوحة حتى « تفنى بالتدريج طاقة العظم على النمو » .

واكتشف جراحون آخرون أن نمو العظم يبدأ عادة حول شظايا مجهرية تتناثر أثناء خرم الكوة ، فحددوا بالمجهر مواضع هذه الشظايا ، وأزالوها جميعاً بالمسح الرفيق . ولكن بدد جهودهم شىء آخر، ذلك أن أقل أثارة من الدم تزيد نمو الأنسجة الجديدة ، فلم يزل أولئك الأعلام حتى وفقوا إلى جراحة خالية من نزف الدم أو تكاد ، ومع ذلك فالكوة المفتوحة لم تزل تنسد .

ظلت جراحة التكوية جراحة غير مجدية حتى تحدّى لغز هذه الكوة وانسدادها أبداً ، خيالَ طبيب ناشىء من أطباء الأذن فى نيويورك يدعى الدكتور يوليوس لمبرت . وبعد اثنى عشر عاماً قضاها فى الدرس والتمرين ، استطاع أن يسجل فى عدد سنة ١٩٣٨ من مجلة سجلات طب الأذن والحنجرة (أركيفزأوف أوتولارنجولوجى) — طريقةً مبتكرة للتكوية كلت حتى عزّ تصديقها . فلما كان سوردى وآخرون يبدأون الجراحة من خلف الأذن بدأ الدكتور لمبرت من صماخها ، فهذه الطريقة أقل هتكا للأنسجة ، فضلا عن أنها تفضى إلى الأذن الوسطى رأساً ، وهى لم تقلل من فرص العدوى وحسب ، بل ضاءلت من الالتهاب الحادث الذى كان سبباً من أهم أسباب نمو العظم الجديد .

فإذا وصل الدكتور لمبرت إلى الصدفة التى تحيط بجهاز الأذن الباطنة ، استعمل ثاقبة دقيقة من ثاقبات الأسنان ليحفر ثقباً بيضيا — أكبر من حبة الأرز قليلا — فوق الكوة القديمة مباشرة ، ثم عاد فاستعمل ثاقبة من الذهب أدق من الأولى ليهذب الثقب ويصقله ، وهذا أمر هام فى توقى نمو العظم ، وأزال آخر الأمر كل أثر من شظايا العظم المثقوب .

ولما كان الدكتور لمبرت يبحث عن بطانة يغطى بها الثقب الجديد ، عثر على قصارى ما كان يروم — فى الطريق المؤدى إلى الأذن الباطنة . فهذا نسيج رقيق ناعم يسمى غشاء شرابنل ، وهو جزء من طبلة الأذن . فشد لمبرت هذا الغشاء ثم ثبته فوق الكوة الجديدة بحيث يكون فى الثقب الجديد بمنزلة إطار النافذة وزجاجها .

وفى سنة ١٩٤١ اكتشف الدكتور لمبرت موضعاً جديداً للثقب الجراحى الصغير . وما إن وافت سنة ١٩٤٣ ، وهو يستعمل هذه الطريقة التى تفضل سابقتها ، حتى كان قد عالج بها ٨٠٠ مريض ، استرد ٧٠ فى المئة منهم القدرة على السمع ، وقد عالج بها أطباء

آخرون درّبهم الدكتور لمبرت ، نحو ٦٠٠ مريض، وكذلك برىء منهم ٧٠ فى المئة زال صممهم .

ولكن لمبرت قال ، إن ٧٠ فى المئة ليست ترضى . وقد ألفى بين الحالات التى لم تنجح مضاعفات كان على ثقة من أنه يستطيع التخلص منها كالتهاب الوَقْبة (تجاويف الأذن الباطنة) وتلف عصب السمع ، وما يتكرر من انسداد الكوة .

وفى عدد يناير ١٩٤٥ من مجلة سجلات طب الأذن والحنجرة استطاع أن يذيع بين الأطباء أن قد تمت له الغلبة على المضاعفات الأخيرة . واحتوى تقريره على حقيقة مدهشة : إن الكوة يجب أن تغلق حتى يتيسر للصوت أن ينفذ منها ! ولكى يبلغ ذلك احتال بوسيلة تشبه كل الشبه وسيلة الطبيعة ، وذلك أنه اقتطع قطعة من غضروف صوان الأذن فسواها ، وأولجها فى الكوة الجديدة ، ثم غطاها بالحاشية الرقيقة التى أخذها من غشاء شرايين ، وثبتها فوقها ، فقامت هذه السدادة الغضروفية مقام ركاب جديد ينقل الذبذبات إلى الأذن الباطنة ، ومنحت أيضاً نمو العظم وما قد ينشأ عنه من تلف عصب السمع .

استعملت طريقة التكوية المنقحة فى نحو ٥٠ مصاباً فاستردوا جميعاً قدرتهم على السمع . وما أعظم ما انجلى عنه ردُّ هؤلاء الصم إلى دنيا الصوت من آثار ! وتلك الفتاة التى افتتح بقصتها هذا المقال ، هى آية ذلك . ففى الرابعة عشرة من عمرها آضت طفلة مريضة النفس — كئيبة ، غافلة ، عاصية ، وهبط مستواها فى المدرسة ، وتبين من فحص طبيب الأسرة إياها أن فى أذنيها وَقْراً ، وأخذت الأسرة تنتقل من طبيب إلى طبيب حتى لم تجد بداً من التسليم بصحة تشخيص علتها وهو : « تصلب فى الأذن ، مصحوب بصمم مطرد ، ليس له علاج حاسم » .

وفى الرابعة والعشرين أصبحت إحدى أذنيها صماء كل الصمم ، وقلّ سمع الأخرى ٦٠ فى المئة فقط ، وأعانها قليلا تدريبها على قراءة حركات الشفاه ، ثم ركب لها سماعة ، ولكن هذه الوسائل أخفقت جميعاً فى أن تنقذها من مساوىء عالم الصمم الموحش .

ثم اقترح طبيبها فى العام الماضى أن تعالج بجراحة لمبرت .

هتفت الفتاة قائلة : « إنك لا تدرى أية

نشوة يبعثها سماع الصوت الأول بعد فتح هذه الكوة السحرية . إن أحدنا لا يدرك فى أى دنيا صاخبة نعيش . وإن الأصوات التى تنبعث فى الليل والتى يلقى المرء باله إليها أو يتجاهلها ، قد توقظنى مروعة ، حتى إذا ثاب إلىّ وعيي ظللت وأنا راقدة أتمتع بكل منها.

« فلما برحت المستشفى كان الأمر أعجب ، فى البيت سمعت صوت أختى الصغرى ولم أكن سمعته من قبل ، وإنى لأتوقع مع ذلك امتحاناً أعظم يوم يعود زوجى من وراء البحار فأسمعه يتكلم ، وسنكون يومئذ أسعد حياة مما كنا » !

وقد درب الدكتور لمبرت خلال السنوات السبع الماضية نحو ٣٠٠ جراحاً على جراحته الأولى . وقد عاد إليه كثير من مهرة أطباء الأذن والحنجرة فى كثير من المراكز الطبية الأمريكية .

ويوصى الدكتور لمبرت وزملاؤه بالتنبه إلى حقيقتين مهمتين .

الأولى : أن جراحة التكوية إنما تفيد فى حالات مختارة أدق اختيار ، « إذ يجب أن يثبت من فحص المريض فحصاً دقيقاً قبل إجرائها أن عصب السمع نفسه ما زال حياً وسليماً ، وعندئذ فقط تسفر التكوية عن معجزة رد السمع . وقد دلت سجلات عدة آلاف من الحالات أن ٩٨ فى المئة من حالات الصمم الناشىء عن تصلب الأذن يمكن شفاؤها.

الثانية : أن هذه الجراحة يجب أن لا يجريها سوى جراح آتاه الله حظاً عظيما من المقدرة الجراحية ، وقضى أشهراً — بل سنوات — يتعلمها ويتدرب عليها تحت إرشاد ذوى الكفاية .

ومع ذلك فإن جراحة التكوية ، التى يجريها طبيب قدير ، نعمة برئت أو كادت من كل ما يلازم الجراحة من أخطار عارضة . فاحتمال العدوى لا يستحق الذكر ، والجراحة خالية من خروج الدم ومن الألم ، ويسترد المرء سمعه عادة بعد تكوية أذن واحدة ، وبذلك يبقى للمريض أذن « احتياطية » لا ينبغى تكويتها إلا عند الضرورة القصوى .

وهذه أول مرة فى التاريخ الطبى ، حيث لن يضطر الطبيب أن يقول لمريض أصابه تصلب الأذن إن علته لا علاج لها ، وأنْ لا أمل له إلا فى قراءة حركات الشفاه أو فى سماعة تعينه . وكما أن إظلام عدسة العين لم يعد يؤدى إلى ضياع البصر ، فكذلك تصلب الأذن لم يعد يقضى على ضحاياه أن يُنْفَوا إلى دنيا الصمت والسكون. وكذلك قطعت صناعة الطب شوطاً طويلا يدنو إلى تحقيق القول القديم : « يأتى على الناس زمان يبصر فيه الأعمى ويسمع فيه الأصم» .

كن سيد عملك ١-٢-

مكتب محاسبة

أسست امرأة من سان فرنسسكو تدعى جنيفيف هريان، مكتب محاسبة لخدمة المتاجر يستطيع أي محاسب مجرب سواء أكان رجلا أو إمرأة، أن ينشيء مثله في ألوف من القرى والمدن. وقد رأت أن كثيراً من المتاجر يعجز عن دفع أجر محاسب دائم، ويجد مشقة في مجاراة القواعد التي وضعت لنظام التأمين الاجتماعي وضرائب الدخل، فاستأجرت فراغاً يتسع لمائدة مكتب، وافتتحت مكتباً يتولى أعمال المحاسبة بعض الوقت. ولها الآن سبعة عملاء: شركة زيت صغيرة، وبائع أزهار، وعالم بطبقات الأرض، وشركة سفن تجارية صغيرة، وثلاثة مصانع.

وأجورها تتراوح ما بين ٢٥ ريالا فى الشهر إلى ٢٥ ريالا فى الأسبوع، وذلك يتوقف على نوع العمل. ففي نظير الأجر الكبير تقضي ساعة كل يوم في مكتب زبونها، وفى نظير الأجر الصغير تخصص يوما كاملا كل شهر تراجع دفاتر الزبون وهي تجيب بالتلفون عما يوجه إليها من أسئلة عن مشكلات التأمين الاجتماعي أو ضريبة الدخل. ومتوسط دخلها الشهري في أكثر من أربع سنوات يتراوح ما بين ٥٠٠ ريال و ٦٠٠ ريال، ولم يكن لها مناص أول الأمر من أن تسعى في طلب الزبائن. وهي تؤثر أن تقتنع بجزء من وقتها في تلقي الدروس، حتى تجاري أحدث أساليب المحاسبة والأنظمة الحكومية، على أن تضم إلى زبائنها أربعة أو خمسة آخرين.

مصنع قروي

يملك س. ج. كارلسون مزرعة مساحتها ٣٠٠ فدان بمقاطعة مارشال بولاية أيوى، ويدير مصنعاً في فناء منزله يصرف فيه وقته هو وأجيره وجيرانه في الأيام المطرة وإبان فصل الشتاء. وهو يصنع ملحقات للأدوات الزراعية في ورشته المعدة إعداداً حسناً، ويصنع عدداً زراعية من اختراعه الخاص، ويصلح ما يطلبه منه جيرانه الفلاحون الذين يفدون من مسافات بعيدة.

وفى شتاء سنة ١٩٤٣ صنع لزبائنه الذين يعتقدون أن مراقبة آلة زرع الذرة من مقدم الجرار أسهل من مراقبتها من خلفه، ١١٢ تكملة تركب في مقدم جرارات

« فورد — فرجسون » . فمن يومئـذ كثر طلبها .

وقد صنع كارلسون مركبات تجرى على عجلتين تقطرها السيارات ، ويستعملها ستة من جيرانه فى نقل الدريس ، وحزم القمح ، وعلف الذرة ، والماشـية . وقد صنعت هذه المركبات بحيث يكون تحميلها أيسر من تحميـل عربة الدريس المألوفة . وفى اليوم المطير ترى فى فنـاء كارلسون سيارات المزارعين لـكى يصلح لهم آلاتها .

قد يكون عمل كارلسون هادياً يقتدى به كثير من فتيان القرى الذين سيعودون من خـدمة الجيش وقد حذقوا الأعمـال الميكانيكية . حقاً إن تجربتـه لتدل على أن هناك كثيراً من الأعمال يستطيع أن يزاولها الميكانيكى القروى فى محيط ريفى بحت .

مغسلة لثياب العزاب

لاحظ نزيل بأحد فنادق مدينة كانساس أن السيدة أنة م . ملر — وهى كاتبة اختزال ، وعاملة تلغراف بالفندق — تزيد دخلها برتق ثياب النزلاء من الرجال ، فاقترح عليهـا أن تفتح مغسلة لغسل ثياب الرجال وحسب والعنـاية برتقها ورفوها . فابتدأت بعامل واحد ، وخمسين ريالا اقترضتها من أحـد المصارف . وقد نمت « مغسلة ثياب العزاب » هذه نمواً مطرداً حتى صارت عملا كبيراً . فيصلها مئة ألف حزمة من الثياب كل سـنة ، وتخدم ثلاثة آلاف وخمسمئة رجل ، وتشمل خدمتها قلب بنائق القمصان أو أكمامها ، والرفو والرتق ، وتثبيت الأزرار . وليست أسعارها أعلى من التى تتقاضاها مغسلة الثياب المتوسطة . ولا تأخذ أجراً إضافياً على الإصلاح . وعلى أن هـذه المغسلة تشغل الآن بناية خاصة ، وتستخدم سبعين شخصاً وثلاث عربات نقل ، فهى نوع من المشروعات التى قد تبتدىء فى البيت ، وتنمو بالتدريج حتى تصير مغسلة تجارية كاملة العدة .

الأمتعة القديمة

وجد فلويد هونورن — تاجر ميين أجهزة الراديو فى مدينة أبيفيل فى سوث كارولينا — أنه لا يستطيع الحصول على أية بضاعة يبيعها ، ابتدأ عملا جديداً سماه (سفينة نوح) . فيشترى ويبيع ثلاجات قديمة ، وأثاثاً ، وبسطاً ، وأفراناً ، وآلات موسيقية ، وأثريّات ، وآلات السباكة وأى شىء يمكن استنقاذه ويستعمل فى المنازل . وقـد استنقذ آلافا من الأدوات كانت وشيكة أن تنبذ ، وهو يرود الأرياف لـكى يظفر بها . وهذا عمل مجد يجلب له

كثيراً من الزبائن من مسافات بعيدة . وهو يزور نيويورك مراراً كل سنة ليشترى الأدوات المستعملة . وقد باع فى الصيف الماضى ٣٥٠ ثلاجة ، وباع فى السنتين المنصرمتين ٥٠٠ حوض حمام ، كثير منها أخذ من الباخرة الفرنسية نورمندى . وإصلاح الأدوات المستعملة والاتجار فيها ، يوشك أن يكون عملا ناجحاً فترة من الزمن بعد انتهاء الحرب ، يوم تقل وتعوز أدوات المنازل فى أكثر البلدان .

تنظيف المبانى العامة

أسس ثلاثة رجال من شيكاغو عملا غير مألوف ، مبتدئين منذ سنة برأس مال يقل عن ٥٠٠ ريال . فيتعاقدون مع الفنادق والمطاعم ، والمتاجر الكبيرة . . إلخ على أن ينظفوا بأجهزة كهربائية أنابيب الغاز العادم فى المطابخ ، وآلات تكييف الهواء ، وآبار المصاعد الكهربائية ، والجدران والسقوف مانعة الصدى . وتتألف الفرقة من رئيس ومساعدين ، وهى مجهزة بمفرغين بأدواتهما الخاصة ، ثمن كل منهما ١١٠ ريال ، وأجر العامل فى الساعة ١٥ ريالا ومتوسط دخل الشركة فى الأسبوع ٥٠٠ ريال . وقد قوبلت هذه الخدمة بترحاب كبير حتى أن كل زبون يوصى بها غيره ، وليست فى حاجة إلى بائعين . والشركة تخدم ١٥٠ زبوناً فى شيكاغو ، وقد افتتحت فرعاً فى ميلووكى .

فى خدمتك

أسست امرأة من بتسبرج ، مفطورة على التدبير بارعة فى الشراء ومطبوعة على بذل العون ، عملا أطلقت عليه (فى خدمتك) فيتعهد هذا المكتب تعهداً تاما بحفلات الأفراح : من إرسال بطاقات الدعوة ، إلى إعداد الموسيقى والأزهار والمرطبات ، والإشراف على نظام الحفلة ، وإعداد كشف الهدايا ، وتدبير شئون السفر لرحلة العرس .

وهو أيضاً يحزم الحقائب ويفرغها ، ويفتح البيوت ويغلقها ، ويشترى الهدايا ويلفها ويرسلها بالبريد ، ويحضر المغنين والمسلين الموسيقيين للحفلات ، ويشتري تذاكر المسارح والحفلات الموسيقية والرياضة ويدير فى سائر الأوقات مكتب سياحة .

والأجور تختلف باختلاف الخدمات التى يؤديها ، والوقت الذى يستغرقه العمل . ففى بعض الأحيان يتقاضى على العمل أجراً مجملا ، وفى بعضها تضاف عشرة فى المئة أو خمسة عشر فى المئة على مجموع الحساب ، وفى حالات أخرى تكون الأجرة — كلها

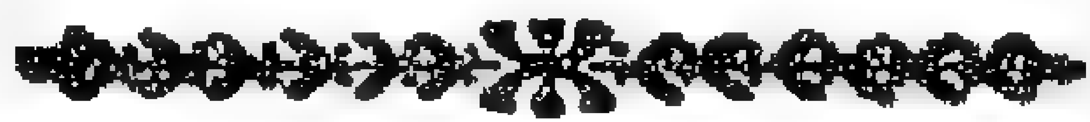
أو بعضها — هى السمسرة المألوفة . وقد ظفر رجلان بدخل حسن من هذا العمل خلال سنوات .

وإنشاء مثل هذا العمل مستطاع فى كثير من المدن التى ليس له فيها مثيل ، ورأس المال المطلوب هو مائدة وآلة كاتبة وحسب . ويمكن فى بادىء الأمر تأجير غرفة فى فندق أو فى مكتب ، أو غيرهما من الجهات العامرة . وما يرجى منها كثير لا يحده إلا مواهب من يتولاه ، رجلا كان أو امرأة . فروح الفكاهة ، والرغبة فى خدمة الناس ، والمقدرة ، وكثرة الأصحاب ، أمور لا بد منها . والمعضلة الأولى أن تبتكر طريقة لتقاضى الأجور المعقولة ، وأن تعين الناس معونة صادقة ، دون أن تعمل عملا كثيراً لقاء شىء تافه .

بيت اللعب

ه . ر . جوديل أحد سكان مدينة برستول بولاية كونكتكت شاهد أولاده يلعبون « ببيت » صنعوه بأيديهم بفرش ملاءة على خوان صغير . فأوحى إليه ذلك خاطراً بنى عليه عملا موفقاً . فأخذ قطعة من نسيج القطن الصفيق ، وطبع عليها رسوم أبواب ونوافذ وشجيرات وقصها وخاطها بحيث تلبس مائدة صغيرة ، فإذا هى بيت يلهو الأولاد باللعب به . فسجله باسم « بيت لعب جيفى » ، وأضاف إليه مدخنة مصنوعة من الورق المقوّى ، وجعل يبيعه بريالين فى حوانيت لعب الأطفال والمخازن الكبيرة .

وجوديل رئيس فرع من فروع البيع فى شركة « جنرال موتورز » وقد عنى بصناعة هذا البيت فى وقت فراغه وباع منه ٧٥ ألفاً فى أربع سنوات . ولكنه اضطر إلى ترك صنعها لندرة المواد الضرورية ، ولكنه ينوى أن يعود فيصنعها متى أصبحت هذه المواد متاحة له مرة أخرى ، وسيضيف إلى الأغطية رسوماً جديدة مثل أكواخ الخشب أو الجمد التى يسكنها الإسكيمو .



على رف الموقد فى فندق « هندز هد » فى بلدة براى بإنجلترا ترى العبارة التالية :

« قرع الخوف الباب ، فأجابه الايمان . فلم يكن أحد فى الداخل » .

وقد نقشت هذه العبارة أيام دنكرك . [ماجور دونالد د . درسدن]

منقذو الحياة المتطوعون في رونوك

جيمس ج. كيلباتريك
و
تشارلز هنري هاملتون

ملخصة عن مجلة "پبليك سيافتي"

« أنقذت فرقة الإسعاف التي أنشأها هذ المواطن ٢٠٠ حياة — فكرة تجدي على بلدك ».

في أصيل يوم من أيام شهر مايو سنة ١٩٠٩ وقف غلام على ضفة نهر رونوك وقفة العاجز، يرقب رجلين يكافحان في الماء يحاولان الوصول إلى زورقهما المقلوب. وكان النظارة يتصايحون بالنصح لهما بأصوات مبحوحة، ويقذفون أغصان الشجر في النهر، وظل الرجلان يستغيثان — ثم ما لبثا أن غرقا.

وألحت على الغلام ذكرى هذا الحادث أعواماً، فقد كان مأساة لا داعي لها — كان ينبغي أن تكون ثمة وسيلة من نجدة سريعة لضحايا الحوادث. وبعد ١٩ عاماً على التمام، أي في مايو سنة ١٩٢٨ أسس جوليان س. وايز — الغلام الذي بلغ مبلغ الرجال — مع تسعة متطوعين آخرين، جماعة رونوك للإنقاذ والإسعاف، فكانت أول جماعة من نوعها في أمريكا. ولما ذاع صيتها أخذت مدن أخرى تنشيء جماعات للإنقاذ على غرار جماعة رونوك بفرجينيا.

تغيث جماعة رونوك ١٥٠٠ مستغيث كل عام. وقد أنقذت في سنواتها الست عشرة أكثر من ٢٠٠ نفس. وعندما ترى في سجلاتها أن نفساً أنقذت، فمعنى ذلك أن طبيباً حضر الحادث قد شهد على ذلك. وقد استنقذ كثيرون من الغرق والاختناق بالغاز ومحاولة الانتحار، أو انتشلوا من السيارات المحترقة والدور المنهارة، ومن بين الأسلاك المكهربة، أو أنقذوا من فيضان السيول.

وتضم الجماعة الآن ٣٥ عضواً كلهم من رجال الأعمال وذوي الرأي، وتعد عضويتها شرفاً مرموقاً. وقبول المرء بها تحت الاختبار حين يخلو مكان، إنما هو البداية فحسب. وعلى العضو الجديد أن يتعلم العوم حتى يجوز امتحان الصليب الأحمر لإنقاذ الحياة، ثم قواعد الإسعاف، وطرق استعمال النسّامات (الكمامات التي تقحم بها الأبخرة الطبية على صدر المريض) والرئات الحديدية (صناديق من الحديد يوضع فيها عاجز الرئتين، وتحكم على عنقه بطوق من المطاط، ثم يفرغ فيها الهواء ويكبس بمضخة ماصة كابسة، فيتمدد الصدر وينقبض

معه فى التنفس الطبيعى)، ومشاعل الإسيتيلين (غاز يحترق فى درجة حرارة مخفضة فلا يحدث احتراقاً فى المناجم)، والعصىّ العازلة لتداول الأسلاك الكهربية. ويجب أن يكون خبيراً بالتجديف واستعمال خوذة الغطس، والشصوص الحديدية لاصطياد الغرقى، والتلفون المائى. وعلى الأعضاء أن يقوموا بتمارين رياضية ساعتين فى مساء كل أربعاء، وأن يكونوا على أهبة للاغاثة ٢٤ ساعة فى كل يوم. ولا يسمح للعضو الجديد أن يلبى استغاثة طوال السنتين الأوليين من عضويته إلا تحت إشراف عضو قديم. ومع ذلك فثمة قائمة طويلة بأسماء المتطوعين الذين ينتظرون القبول!

لاقت الجماعة فى أول الأمر عنتاً فى التغلب على قلة مبالاة الجمهور الذى عودها أن لا يستغيث بها إلا بعد أن يكون السهم قد نفذ، وأن لا يسألها إلا استنقاذ جثة هامدة. ولكن الجمهور أخذ يتعلم بالتدريج أن أعضاء الجماعة يحسنون مايعملون، وأنهم لا يبالون أن يبذلوا الجهد ساعات طويلة، إذا بدت له أخفى بارقة من الأمل فى رد الحياة على شخص ظهرت عليه كل أعراض الموت.

ثم تبرع مجلس المدينة للجماعة ب ٣٠٠ ريال أنفقت فى شراء نسّامة من نوع قديم لإنقاذ ضحايا الاختناق بالغاز والدخان. وجاءتها هبة هى قليل من الشصوص الحديدية. وظل الكابتن وايز لا يفتر عن تذكير الناس بوجوب الإسراع فى الاستغاثة بالجماعة.

وأخيراً قامت الجماعة فى سنة ١٩٣١ بإنقاذ هزّ النفوس، وذلك أن شاباً زنجياً فى السادسة عشرة من عمره غرق فى بحيرة، فلم تمض ١١ دقيقة منذ غرق حتى كان زورق الجماعة يشق طريقه إليه فى الماء، ثم ما هو إلا ١٢ دقيقة أخرى حتى كان الشاب قد بدأ يفيق.

وبعد هذا الحادث ظلت الجماعة دائبة تلبى الدعوات — من حضور إلى مكان الحادث، إلى معونة على الأوبئة، إلى الإمداد بما تدعو الضرورة إليه من حاجات. فإذا ما أصيب مثلا أحد مدرسى المدرسة الثانوية فى رونوك بالتهاب رئوى خطير، وكان يومئذ فى مدينة رالى بنورث كارولينا، ولم تتيسر له خيمة الأوكسجين، استأجرت الجماعة طائرة حملت هذه الخيمة إلى مقره. وقد ألقى الأعضاء محاضرات وبيانات كثيرة فى الإسعاف، وعلموا عشرات من الممرضات ورجال الشرطة والمطافىء ما تعلموه من طرق الإنقاذ.

وأصيبت فرجينيا فى العام الماضى بشر

وباء شهدته من أوبئة شلل الأطفال المعدى ، فبلغت إصاباته ٧٥٢ ، ولقيت منه رونوك خاصة بلاءً فادحاً ، فأخذت جماعة المنقذين تعمل بلا كلال .

يقول الدكتور ا . ك . هاربر : « لقد أنقذوا اثنتى عشرة نفساً على الأقل ، وكانت مهارتهم مثيرة للاعجاب . من ذلك أن أطواق المطاط فى الرئات الحديدية تبلى فلا بد من تغييرها ، والمتبع عندئذ أن يوضع المريض فى رئة أخرى ، ويتاح الوقت الكافى لإصلاح الطوق البالى . وكان بمستشفى رونوك مريض لا يمكن أن يخرج من رئته الحديدية أكثر من دقيقة واحدة كل مرة ، فبلى طوق جهازه ، وجميع الرئات الحديدية عندئذ مستعملة . فبعث الجماعة بعضوين من أعضائها لتغيير الطوق البالى ، فأخرجا المريض من جهاز التنفس ، ومددوه على نقالة ، وبعد ٤٢ ثانية ركبوا فى الجهاز طوقاً جديداً وأعادوه إلى حيث كان .

« وفى مرة أخرى تعطلت القوى الكهربائية فى المستشفى ، فأرسلت الجماعة على الفور فرقة من رجالها يديرون بأيديهم مضخات الرئات الحديدية . وإدارة هذه الأجهزة باليد ، ولو بضع دقائق ، عمل ناصب ، ولكن أولئك الرجال لم ينوا عن إدارتها لحظة قط » .

ولم يكن شلل الأطفال جديداً على هؤلاء المنقذين ، ففى سنة ١٩٤٠ تلقت الجماعة طلباً فى عصر يوم ممطر من أيام الآحاد — لقد مست الحاجة إلى رئة حديدية بأسرع ما يستطاع . ولم تمض ثلاث دقائق حتى كانت سيارة الجماعة فى طريقها ، ومن خلفها الرئة المطلوبة . وكان على رجالها أن يجرّوا الجهاز الذى يزن ٧٥٠ رطلا فيعبروا به أخدوداً ثم يصعدوا فى شاطىء نهر موحل ، فلما وصلوا وجدوا غلاماً فى الحادية عشرة من عمره يلهث فى أحضان أمه . فما هو إلا خمس عشرة دقيقة حتى بدأ جهاز التنفس ينش نشيشه المتدارك . وما أسرع ما ابتسم الغلام إلى أمه ، وبقيت الرئة الحديدية فى البيت ستة أشهر ، أما الغلام فقد عاد إلى مدرسته .

والدعوة الوحيدة التى أذاعتها الجماعة لجمع التبرعات كان هدفها الحصول على رئة حديدية إضافية . ولبّت المدينة الشاكرة هذه الدعوة ، وتبرعت بضعف الألف ريال المطلوبة ، فابتاعت الجماعة رئتين . وعندما اكتسح وباء شلل الأطفال نورث كارولينا فى مطلع الصيف الماضى ، توقعت الجماعة الشر ، ووافقت على شراء ثلاث رئات أخرى استعداداً للطوارىء . ولم يكن لدى الجماعة رصيد ، ولكن الكابتن وايز كا

شديد الثقة بأهل المدينة . وذاع الأمر ، فجاءت إحدى السيدات إلى مركز الجماعة وبيدها شيك بمبلغ ١٣٠٠ ريال . وقبل أن تصل الرئات المطلوبة بوقت طويل كان لدى الجماعة من المال فوق ما يكفى لشرائها .

وقد كان أن تلقت الجماعة فى اليوم التالى لوصول الرئات الجديدة استغاثة مستعجلة من مستشفى رونوك ، فشحنت رئة منها فى سيارتها الخاصة وبعثت بها إلى المستشفى ، ورأى الكابتن وايز السيدة التى تبرعت ب ١٣٠٠ ريال فى سيارتها على الطريق ، فأومأ لها أن تتبعهم ، ولم تكن رأت رئة حديدية قط ، فلم تمر غير لحظات حتى كانت تشهد من وراء زجاج نافذة قسم العزل فى المستشفى غلاماً فى العاشرة يسترد لونه الطبيعى بقوة هذه الرئة المصنوعة — بقوة هبتها .

وعلى مر السنين أصبح لدى الجماعة ٣٠٠ قطعة من الأجهزة ، فلديها سيارة لإسعاف منكوبى الطائرات المحطمة تشتمل على ملابس من حجر الفتيل (مادة لا تؤثر فيها النار) ومشاعل الإستيلين وقوائم حديدية عليظة مثلثة القواعد فيها سلاسل متحركة لرفع الأثقال ، ومولدين للأنوار الكشافة ، وسيارة لفرقة الإنقاذ تحمل بين ما تحمل نسامات وكمامات تقى الغازات ، وملابس تقى الحريق ، وأسطوانات للأوكسيجين ، وسيارة نقل تحمل المصابيح الكشافة ، وسلماً مداداً ، ورداء الغطس وجهاز تلفون ، وعتلات خاصة وضعت الجماعة تصميمها لتحطيم السيارات المحترقة وإنقاذ المغمى عليهم .

وقد اشتركت جماعة المنقذين فى رونوك بجهد نافع فى تأسيس جماعات مشابهة لها فى أمكنة أخرى . فجماعة « سالم » القريبة ، بولاية فرجينيا والتى أسست سنة ١٩٣٢ ، قد أنقذت قرابة مئة نفس . وأسست جماعات أخرى فى ويسكونسن ومشيجن وألباما . وقد طلب رجل من هالندر ، بالدانمرك ، دستور الجماعة وقوانينها ، ثم أسس جماعة للإنقاذ هناك .

ولا يرى جوليان وايز سبباً يعوق تأسيس جماعة إنقاذ فى كل مدينة . وإن رونوك لتعد اليوم جماعة المنقذين فيها « ضرورة من الضرورات التى تتوقف عليها حياة الجمهور » كما قال أحد الكتاب .

وأى جزاء يناله الأعضاء عن هذا النصب الذى يتجشمون عن مخاطرتهم بأرواحهم ؟ . . يقول وايز : « من العسير أن تفسر سر ما يعملونه ، ولكن المرء إذا شعر يوماً بأن فى يده أن يرد على هالك حياته ، فهذا هو كل ما يبتغى من جزاء »

على قيد شعرة من الإخفاق في تكلوبان



ملازمان أمريكيان شابان ، أحدهما فى الأسطول والثانى فى الجيش ، ليس لهما ما يعملانه . فوجدا مهمة كبيرة ينهضان بها ، فمهدا لقوات غزو الفلبين اجتياز لحظة حرجة بشجاعتهما وسعة حيلتهما



لوسيان هبارد • ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

التوقيت هو العماد فى تدبير الغزو ، كما هو العماد فى إعداد المائدة . فلا بدّ أن يسبق التقديرُ العمل ، ثم أن يبدأ التنفيذ فى أوقات مختلفة محددة حتى يتم الأمر على أحسن وجه .

ففى إعداد المائدة يقيد كل شىء بموعد نضج رأس الطعام . أما فى الغزو ، كغزو جزيرة ليتى مثلا ، فالقيد هو إعداد مهبط الطائرات . ولا يكون الغزو غزواً ، حتى تظفر بمهبط تستطيع أن تتخذه قاعدة لطائرات القتال .

وقد اقتضى جدول الأعمال الحربية فى جزيرة ليتى أن يتم إعداد المطار فى شبه جزيرة كليزان ، على خمسة أميال من العاصمة تكلوبان ، فى اليوم الخامس بعد يوم الغزو — يوم تنزل قوات الاقتحام الأولى إلى ساحل الجزيرة . وكنت أود أن أشاهد كيف يعدّ فى خمسة أيام مطار فى أرض الأعداء . وما كنت أستطيع أن أعلم أننى سأشاهد عن كثب حدثاً من أعظم أحداث الحرب فى المحيط الهادى حرجاً وروعة — ولو أخفقنا فيه لمنيت مغامرتنا فى غزو الفلبين بكارثة .

يكاد شبه جزيرة كليزان يكون أرضاً مستوية ، ومستوى الماء على ١٨ بوصة فقط من سطحها ، فإذا حفرت فى الأرض حفرة عمقها قدمان فهى بئر يبلغ ارتفاع الماء فيها نصف قدم . فخير مدرج للطائرات هناك لا يكون إلا طبقة رقيقة من المرجان أو المعدن مبسوطة على أرض زلقة موحلة كالهلام ، أما شرّ مدرج فهو الهلام نفسه .

وقد وجدت كتيبة البنائين من سلاح المهندسين تناضل كى تحول المطار المدنى الصغير

لوسيان هبارد ، كاتب ومخرج سينمائى كان ملحقاً بالقوات الأمريكية الأولى التى نزلت فى أستراليا وغينية الجديدة ، وقد هبط الفلبين مع قوات الاقتحام الأولى يوم غزو جزيرة ليتى موفداً فى مهمة رسمية .

الذى لم يصلحه اليابانيون إلا بعض الإصلاح ، إلى مطار حربى ، فكانت مركبات النقل تقذف بأحمال لا نهاية لها من المرجان المسحوق ، فى بحر من الوحل الأسود الرقيق .

كان الماجور رتشرد ب . ديفدسون ورجال وحدته رجالا ذوى تجربة وكفاية ، وقد أعدوا منذ فبراير ١٩٤٢ ثلاثة عشر مدرجاً فى أستراليا ، ثم اتجهوا شمالا يعدون المطارات هنا وهناك ، كأنما هم ينثرونها نثراً من أكياس بين أيديهم .

وقد كانت المواصفات التى أعدت لمطار تكلوبان تقتضى أن ينشأ مدرج طويل بعض الطول ، يصلح لطائرات النقل والمقاتلات ، وأن ينشأ بعد ذلك مدرج آخر ، أطول من الأول بألف قدم ، يصلح للقاذفات المتوسطة ، على أن يكون أولهما قد فرغ منه حين يكون الآخر قد بدأ إنشاؤه .

نزلت وحدة المهندسين فى إثر قوات الاقتحام ، فما وافت الساعة العاشرة مساء حتى كانت جميع معداتها قد نقلت سالمة إلى الشاطئ . ولم يكد يسفر فجر اليوم التالى ليوم الغزو حتى كانت آلات شق الطرق وسيارات النقل والمسالف (وابورات الزلط) ماضية فى عملها . فإذا أقبلت الطائرات اليابانية كفت عن عملها تارة أو ظلت تعمل تارة أخرى . أما الجماعة المعينة للعمل ليلا فمضت تعمل على ضوء المصابيح ، لا تتوقف إلا حين تشن غارة على المطار .

وفى أصيل اليوم الثالث التالى ليوم الغزو جاءهم الأمر بالكف عن العمل بتّة ، فإن الحاجة الآن ماسة إلى المدرج الثانى الطويل .

كان مستحيلا أن يمد المدرج الذى أكبت الكتيبة على إعداده ، لأنه ينتهى إلى مستنقع . فحل رؤساء ديفدسون المشكلة بأن أمروه بمد المدرج الطويل من إحدى زوايا المطار إلى الزاوية المقابلة .

وقال ديفدسون هادئاً : «إنكم تدركون أنكم بهذا تكادون تضيعون كل شىء أنجزناه حتى الآن ، ولن تظفروا بمدرج ما فى اليوم الخامس التالى ليوم الغزو ، فإعداد المدرج الجديد يستغرق خمسة أيام منذ الساعة ، أى فى اليوم الثامن التالى ليوم الغزو » .

« فليكن . إن القوات الجوية تريده » . وقضى الأمر .

فتحولت سيارات النقل من نقل المرجان إلى نقل الرمل ، ومضت فى ذلك طوال الليل ، ثم تحولت فى اليوم التالى إلى نقل المرجان . وبُسط سطح صلب على ما يقرب من نصف المدرج . وفى ليل اليوم الرابع عادوا إلى نقل الرمل لإعداد النصف الآخر . فما وافى صباح اليوم الخامس حتى كانوا قد مهدوا ثلاثة آلاف قدم من المدرج . أما

الطرف الشمالى فكان غائراً ست بوصات فى رمل ناعم أسود ، ولا بد من أن يكون قد بدا لمن رآه من الجو ممهداً يؤمن هبوط الطائرات عليه .

ثم ظهرت فجأة مجموعة غريبة من الطائرات وبدأت تحوّم فوق المنطقة .

فذهب ظننا إلى أنه الهجوم — أول هجوم جوى كبير شنه اليابانيون علينا . فأشرعت المدافع المضادة ، كأنما هى أنامل طويلة رشيقة ، ثم وقفت : فقد رأى رجالها ما رأيناه نحن . هذه الطائرات هى طائرات الأسطول الأمريكى ، وهى تريد أن تهبط الأرض ، بل كان لابد لها من الهبوط — إما على ذلك المدرج ، وإما فى المستنقعات أو البحر .

ذلك بأن معركة الفلبين البحرية الكبيرة كانت دائرة الرحى ، وكانت هذه الطائرات قد طارت أولا من على سطوح أربع حاملات صغيرة وهاجمت الأسطول اليابانى ، وقد نفد وقودها وغرقت إحدى حاملاتها ، وكانت الثلاث الأخرى تكابد هجوم قوات يابانية متفوقة عليها . فلم يكن بدّ من أن تنزل هذه الطائرات فى مكان ما فى الدقائق القليلة المقبلة ! فالطيارون يريدون أن يتزودوا بالوقود ، وأن يتدروا بعض القنابل لكى يعودوا إلى القتال . وكانوا يعلمون أن مطار تكلوبان لم يكن قد تمّ ، ولكن لا خيار لهم .

والطائرات لا تستطيع أن تحط على مطار حربى ، كما يحط البط على ماء البركة ، ثم يحلق متى شاء . فلا بد لها من قسم اتصال يوجهها ، وفصائل خدمة تزودها بالوقود ، وتملأ مدافعها الرشاشة ومقابض قنابلها ، وتتولى ترميم ما يجب ترميمه ، وإسعاف المصابين ، ولابد كذلك من رجال فى المطار يديرون برج التوجيه ، ويعينون للطائرات أماكن وقوفها . ولم يكن قد أعد شىء من هذا فى مطار تكلوبان .

وتجمعت الطائرات فوق المطار أسراباً للهبوط ، وأقبلت الأولى نحو الأرض ، ولمست بعجلها الجزء الصلب من المدرج لمساً رفيقاً مندفعة نحو الطرف الناعم اللين . أسرع المراقبون يشيرون إليها بالأعلام أن تقف ، فضغط الطيار على الفرامل ولكن الطائرة غاصت فى الأرض اللينة ، وانقلبت انقلاباً شديداً على ظهرها ، ثم استقرت وعجلاتها تدور فى الهواء .

وكانت الطائرة التالية قد هبطت للنزول ، ولكنها مرقت فوق المطار مدوية مبتعدة عن مكان الخطر . ثم تفرق سرب الطائرات المتأهبة للهبوط كما تتفرق جماعة من الطير أطلقت عليها الطلقة الأولى من بندقية رش . وإذا

أجهزة اللاسلكى تعج بالأسئلة : أتجازف بالهبوط برغم الطائرة المهشمة التى تسد الطريق أم تنزل فى الماء ، أم تحاول يائسة أن تعثر على حاملة ؟ إن العاقبة وبال فيها جميعا .

وفجأة ارتفع صوت جديد على الموجة اللاسلكية الخاصة بالطيارين .

« طائرات الأسطول . طائرات الأسطول . هنا مدرج تكلوبان من تحتكم . أتسمعوننى ؟ نرجو أن تستعدوا للهبوط » .

« نعم . نعم . استمر » .

« داوموا التحويم فوق المطار . وليرسل كل منكم إشارة التعريف الخاصة به أثناء مروره فوقه » . ومضى الصوت الرزين يرسل التعليمات الفنية الخاصة بالهبوط ، محذراً مواضع الرمال الناعمة ، مشيراً إلى أسلم اتجاه ، وجذبت رافعة للحطام ، من طراز ث ٢ ، الطائرة المحطمة من على المدرج ، واجتمع سرب الهبوط مرة أخرى سريعاً ، واستدعيت الطائرة الأولى . ولم تكد هذه تخلى المدرج حتى كانت الطائرة التالية قد لمست سطح الأرض . وتتابعت الأخريات سراعاً بإرشاد الصوت المنقول إليهم على الأثير .

كان صاحب الصوت الملازم إدوارد وراد ، وهو ضابط فى سلاح الطيران ، وقد كان وجوده فى المطار عندئذ فى سيارة جيب ، من محاسن الاتفاق . فهو ملحق « برقابة المقاتلات » ، وكان عليه أن يوجه المقاتلات بالراديو لقطع الطريق على العدو حين تشرع فى عملها من مطار تكلوبان . وكان فى هذا الصباح يجول جولة ليرى سير العمل فى إعداد المطار ، واتفق كذلك وجود الملازم البحرى رسل فورستر ، وكان معه سيارة جيب مجهزة براديو .

كان فورستر ضابط اتصال لاسلكى ، ولم يكن يجد ما يعمله خلال الأيام الثلاثة الماضية ، مترقباً تهيئة أسباب المواصلات فى الميدان . وكان يسخط على حظه العاثر إذ أهمل فى عزلة على الشاطئ ، وهذه الأحداث تدور فوق الماء . وكان قد أتى من منطقة النزول على الساحل ، وقد قدر له أن ينظر نظرة الأسى إلى أسطول النقل المتناثر فى خليج سان بدرو ، وأن يرى أيضاً طائرة يابانية أو اثنتين تهوى بهما نيران المدافع المضادة إلى الماء .

عندئذ تعاون وراد وفورستر ، بتفكيرهما وبالأجهزة اللاسلكية فى سيارتى الجيب ، فأحالا الأمر من كارثة محتملة إلى عامل أساسى من العوامل التى أدت إلى هزيمة الأسطول اليابانى . فاتصل وراد بالطائرات فى الهواء بواسطة جهازه ، واتصل فورستر بسفينة المراقبة بالأسطول . وبرز جاويش لم يكونا قد رأياه من قبل ، هو سام هلبرن ، كان

قد درس من قبـل فى مدرسة العمليات الجوية ، فهو خبير بوابان العمل . ضماه إلى شركتهما ، فجعل يسجل الطائرات التى يرشدها وران إلى الهبوط .

و بلغت الطائرات التى هبطت بضع عشرات ، وهشم بعضها واحترق البعض ، وصدمت أخربات حطام طائرات أخرى فى المطار ، ولـكن أغلبها هبط سالماً ، ولم يتحطم منها إلا ثمانى طائرات ، ولم يقتل طيار ما ، وأصيب واحد لاغير إصابة خطيرة .

فالآن لقد نشأت هيئة منظمة ولا يدرى أحد كيف نشأت . فإذا انقلبت طائرة اندفع رجال إلى الذيل يرفعونه فيخرجون منها الطيار ، وإذا اشتعلت أخرى انطلقوا نحوها ليخمدوا النيران .

ولـكن الطائرات لم تأت هذا المطـار لتمكث فيه . فما يكاد ينتهى سرب الخدمة المرتجل من تزويدها بالوقود والقنابل حتى تنطلق طائرة . ولم يكن على الشاطئ قنابل حين أقبلت الطائرات ، فلم تنقض ساعتان حتى نقلت إحدى سفن الغزو حملا منهـا . وشق على هلبرن إحصاء الطائرات الهابطة والصـاعدة وهى توالى ذهابها وإيابهـا ، لتمضى فى صك الأسطول اليابانى . وقد كانت هذه الطائرات تابعة للأسطول ، تتولى خدمتها وحدات من الجيش لم تألف مطالبها قط ، وتعمل غير مقيدة بقيود رسمية معقدة . ثم ترتفع الطائرات فى الجو تحت إشراف ضابط مـن الجيش ، ثم توجهها مراقبة المقاتلات البحرية عن طريق الملازم فورستر.

وكان الأسطول اليابانى ساعتئذ يدور على أعقابه مجتازاً بحر سيبويان ، وكانت هذه الطائرات من مطار تـكلوبان هى التى تعقبته ، وأرشـدت إليـه قوات مهاجمة أخرى ، ووردت أنباء بأن بارجة وطرادة كانتـا مشرفتين على الغرق ، وأن أخرى أعطبت — ويعزى الفضل فى هـذا إلى طائرات تـكلوبان وحدها .

وكانت الطائرات لا تتقيد حين قيامها من المطار باتجاه الريح ، فـكانت لا تبالى أن تطير مع الريح أو ضدها ، لشدة لهفتها على تسديد الضربات القـاتلة إلى الأسطول اليـابانى . وقد هبطت مرة طائرة حاملة طرابيد ، على حين مرقت من فوقها راعدة مقاتلة كانت قد انطلقت من طرف الميدان المقـابل .

ومضت سـيارات نقل الوقود والزيت وعربات الإسعاف تكد وتكدح ، والسائقون يقفزون منها إلى الأرض كلما أغارت قاذفات اليابانيين والطائرات الرشاشة . وقد بلغت إغارات الأعداء عشراً فى ذلك النهار . وقد دنت مرة ثلاث مقاتلات يابانية من الأرض

حتى ظنها هلبرن أمريكيـة ، فأرسل لها ضوءاً أخضر من برجه المرتجل .

وفي الساعة الحادية عشرة ونصف حبس الجميع أنفاسهم ، حين منعت الطائرات من الهبوط ، وقد زحف حول الميدان سرب بطيء من الجرارات — أربع مسالف وثماني ممهدات — لتمهد الأخاديد التي شقتها في الأرض الطائرات المحطمة . ثم ابتعدت الجرارات على نظام دقيق كأنها في أرض للاستعراض ، وهدرت الطائرات مرة أخرى على المدرج . وبقي فورستر ووراد في سيارتهما طول الوقت، ولما مالت الشمس إلى المغيب أراد بعض كبار ضباط الجيش أن يتسلموا زمام العمل . فأبرق فورستر إلى الأميرال مستعيناً به مستطلعاً أمره : وكانت سيارته قد سميت باسمه : «قاعدة فورستر». وما من طائرة أو سفينة واحدة في نطاق نصف قطره خمسون ميلا ، إلا التقطت بعض الرسائل «الحماسية» المتبادلة بين « القاعدة فورستر» و « هركيوليز » محطة سفينة المراقبة .

وبعد قليل أرسـلت هركيوليز جواب الأميرال إلى « القاعدة فورستر » .

« هنا هركيوليز . أنت صاحبة الأمر . أنت صاحبة الأمر . — انتهى » .

والتفت وراد ، الملازم الشـاب ، إلى كولونيل ثائر : « آسف يا سيدي ، أنا الآن تابع للأسـطول . إنها طائرات الأسطول يا سيدي » .

واستمرت شركة وراد وفورستر وهلبرن في عملها حتى منتصف الليل ، ثم عادت إليه مع الفجر ، ومضت فيه حتى كانت الساعة ٤½ من عصر اليوم التالي . ثم تسلم «الفريق الأول » زمام العمل في مطار تكلوبان ، وكان رجاله ومعداته مما أعد خاصة لإدارة المطارات . فانطوت أعمـال « القاعدة فورستر» إلى الأبد . وكانت الرسالة التالية آخر رسالة وافاهم بها المذياع .

« إلى القاعدة فورستر . هنا هركيوليز يرسل الأميرال إلى الملازم فورستر خـير الثناء . لا ريب ، لقد أنقـذت أنت ومن معك أرواحاً وطائرات كثيرة . انتهى » .

وكان هذا حسبهم .

☆☆☆☆☆☆☆☆

قهر الغابة

سئل أسير ياباني : من خير المقاتلة في الغابات في رأيه ؟ فقال : « الأستراليون » . « ومن يليهم — أهم الأمريكيون ؟ » . فقال : « لا ، بل هم اليابانيون » . « وماذا تقول في الأمريكيين ؟ ألا تراهم يجيدون القتال في الغـابات ؟ » . فقال : « ليس الأمريكيون مقاتلة غابات ، إنهم يزيلون الغابات » . [رويال آرتش جنيسون]



مقتطفات من كتاب
بنيت سيرف

« حاول أن تمنعنى » كتاب فى ٣٧١ صفحة وهو مجموعة من النوادر معظمها فكاهة . وقد أهداه صاحبه « إلى من كانت فكاهتهم أو افتقارهم إلى الفكاهة معواناً على إخراج هذا الكتاب » . وقد اتصف بنيت سيرف ، على ما يقول ، بقدرة غير مجدية على أن يتذكر نوادر متباينة عن أناس متباينين . وهو يعرض فى هذا الكتاب « خير ما انتحله الناس لأنفسهم » .

وكثير مما فيه نشر قبل فى المقال البارع الذى يكتبه بنيت سيرف فى « ستردای رڤيو الأدبية » .



أيام كان ديتز رئيس مكتب الإعلان فى شركة مترو جولدوين ماير ، لقيه يوماً رئيسه لويس ب . ماير وعنفه لأنه يتأخر فى الحضور إلى مكتبه كل صباح . فقال ديتز : « ولكنك تنسى يا مستر ماير أنى أبكر فى الخروج من المكتب كل مساء » . فما كاد ماير يدرك النكتة حتى كان المشكل قد انفضّ .



دهشت هوليوود حين تزوج الممثل الهزلى فيكتور مور ، وهو فى السابعة والستين ، من فتاة فى الثانية والعشرين . فسأل بدى ده سيلفا : « وما وجه العجب فى ذلك ؟ فيوم تبلغ زوجته المئة ، فلن يزيد عمره يومئذ على ١٤٥ سنة » .

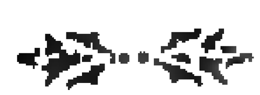


منذ سنوات عاد أحد الشبان الأذكياء ، الذين يعملون فى شركة « ستاندارد أويل » فى الصين ، إلى أمريكا ليقضى إجازته فيها ، فلقى حسناء من بلدته وتزوجها .

وأثناء عودتهما إلى الصين أكد لها غير مرة : « ستحبين شنغهاى ولا سيما «لنج» رئيس خدمى . ولن تضعى أصبعاً فى عمل ، فإن لنج يدبر جميع شئون المنزل » .

وصلا شنغهاى ، وقابلت العروس الخادم لنج ورضيت عنه . وفى صباح اليوم التالى قبلها زوجها قبل أن يبرح الدار إلى عمله وقال : « نامى يا حبيبتى ما شئت أن تنامى . إن لنج يعنى بكل شىء » .

ثم استيقظت بعد ساعات ، وإذا الخادم لنج يهزها هزاً رفيقاً وهو يقول : « حان الوقت يا آنسة ، فالبسى وعودى إلى دارك » !



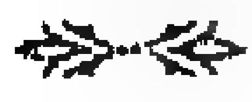
فلما كان هايلان محافظ نيويورك الأسبق يعنى بمراجعة الخطب التى يكتبها له كتاب

مأجورون قبل إلقائها . وفى إحدى الحفلات وجد فى صلب الخطبة العبارة التالية : « وهذا يذكرنى بإحدى النوادر التى أوثرها » . وقد اتضح أن المحافظ لم يكن قد سمع النكتة من قبل ، فلما انتهى من قراءتها استغرب فى الضحك حتى وقعت نظارته فانكسرت .



كانت المسرحية التى عنوانها « الرجل الذى جاء إلى العشاء » نتيجة مباشرة لزيارة ألكسندر ولكوت لعزبة موس هارت ، أحد مؤلفيها . فقد ظل ولكوت ينهر الخدم ويندّد بالطعام ، ودعا بعض أصدقائه من فلادلفيا لتناول العشاء مساء الأحد ، وكتب فى كتاب الزوار . « أشهد أنى قضيت فى زيارتى الأولى لبيت موس هارت أبغض الأوقات إلىّ » ، ثم اقترح على موس نفسه أن يؤلف مسرحية يكون هو بطلها .

وذهب موس فى اليوم التالى يصف سلوك ولكوت لزميله فى التأليف جورج كوفمان ، فقال هارت وكأنه يناجى نفسه : « ترى ما كنت أصنع لو انكسرت ساقه ، وأقام فى بيتى طوال الصيف » . وإذا الزميلان يتبادلان النظرات ، ثم أشرق وجهاهما بالفرح ، وإذا كل منهما يعمد إلى آلته الكاتبة ينزع عنها غطاءها ، وبدآ يكتبان المسرحية .



ذهب أسقف من ولاية تكساس إلى لندن ، حيث دعى إلى حفلة ساهرة كانت النساء فيها عاريات النحور ، فتلطفت ربة الدار وسألته : أرأيت قبل مشهداً كهذا ؟ فقال : لم أر مثله منذ فطمت .



يرأس لاجوارديا محافظ نيويورك محكمة البوليس أحياناً ، ففى يوم بارد قارس البرد جاءوه برجل يرتعد متهماً بسرقة رغيف ، فقال : إن أسرته تتضور جوعاً . فقال لاجوارديا : « لا بد من أن أعاقبك ، فالقانون لا يستثنى ، فأحكم عليك بغرامة عشرة ريالات » . ثم مد المحافظ يده إلى جيبه وهو يقول : « هذه عشرة ريالات لتوفى بها غرامتك » ثم قال : « والآن أعفيك من الغرامة » . وألقى بورقة العشرة ريالات فى قبعته الواسعة ثم صاح : « والآن سأفرض على كل من فى الحجرة غرامة قدرها نصف ريال ، لأنهم يرضون أن يعيشوا فى مدينة يلجأ فيها رجل إلى السرقة لكى يقتات » . وأديرت القبعة على الجمهور ، وإذا العجوز المأخوذ يخرج من المحكمة بسبعة وأربعين ريالا ونصف ريال فى يده ، وبنور يشع من عينيه .

قضى خبراء الحرب الاقتصادية بالتدريج على آلة الحرب الألمانية بحبالة من الورق

كيف حاصر الحلفاء ألمانيا

دافيد جوردون
القائم بأعمال الحصر بإدارة الإقتصاد الخارجي للولايات المتحدة
ملخصة عن مجلة « هاربرز »

ضرب ألمانيا في السنوات الأربع المنصرمة حصار من الورق ، وكان هذا أول حصار في التاريخ لم تستخدم له السفن — ولقد كان من أبلغها تأثيراً .

هذا الحصار الخفي لم يمنع عن ألمانيا المؤن والأطعمة والزيت والمعادن الواردة من وراء البحار فحسب ، بل تغلغل أيضاً في القلعة الأوربية ، وحدّ من مقدار المواد الحربية التي استطاع الألمان أن يستوردوها من البلاد المحايدة ، وأخيراً تمكن الإخصائيون في الحرب الاقتصادية أن يظفروا للأمم المتحدة بمقدار صغير عظيم الشأن من المواد التي لاغنى عنها. وقد هرّب بعض هذه المواد مجتازاً خطوط الألمان ، وشحن بعضها جهاراً من الثغور الألمانية بترخيص ألماني رسمي — وكانت جزءاً من تجارة عجيبة تجتاز حدود العدو .

حين نشبت الحرب بادرت بريطانيا العظمى إلى ضرب حصار على نمط عتيق كالحصار الذي استعملته في قتال نابليون والقيصر غليوم ، ولكن بعد اكتساح النرويج وفرنسا كان هذا الحصار غير مجدٍ . فالأسطول الإنجليزي لا يستطيع أن يراقب شاطئاً يبلغ امتداده ٧٠٠٠ ميل من همرفست إلى بيروت . ومع ذلك لم يزل في الوسع إقصاء السفن الألمانية من البحار ، ولكن الثلمة الخطيرة في الحصار كانت الدول الأوربية المحايدة ، مثل السويد وسويسرا وإسبانيا والبرتغال وتركيا ، فكيف يستطاع منعها من الاتجار اتجاراً غير محدود مع سائر العالم ، ثم موافاة ألمانيا بكل البضائع التي تشتد إليها حاجة آلة الحرب الألمانية ؟

فاتجهت بريطانيا إلى أسلحة جديدة بعض الجدة في الحرب ، وهي الاتفاقات الحربية التجارية ، وتراخيص السفن ، وشهادة الملاحة ، والقائمة السوداء .

كانت الاتفاقات التجارية الحربية معاهدات غير رسمية فاوضت فيها وزارة الحرب الاقتصادية البريطانية الدولَ المحايدة ، وكان كل اتفاق ينص على أن لا تستورد الدولة المحايدة أكثر مما يلزمها من قائمة

طويلة من السلع ، وأن لا تصدر أى صنف منها إلى العدو . ووعدت إنجلترا فى مقابل ذلك بأن تسمح للدولة المحايدة بأن تستورد ما تشاء فى هذه الحدود دون انقطاع .

وقد اطرد تنقيح هذه المعاهدات وتضييق حدودها خلال الحرب — وخاصة بعد دخول الولايات المتحدة — وكان الحلفاء يزيدون طلباتهم وفقاً لازدياد قوتهم . وكثيراً ما يطلب إلى المحايدين أن يحدوا من تصدير بعض المواد الحربية إلى ألمانيا أو أن يمنعوها بتة ، وحتى المواد التى كانوا ينتجونها فى بلادهم . وقد وافقت السويد فى أول الأمر على أن تفيد تصدير كرات المحاور إلى مصانع الطائرات الألمانية ثم أن تمنعه .

وقد كان الألمان كذلك يعرفون كيف يشهرون أسلحة الحرب الاقتصادية ، فإذا خفضت السويد شحن كرات المحاور خفضاً كبيراً ، فإن ألمانيا تعمد إلى تهديدها بأن تمنع عنها الفحم الذى لا غنى للسويد عنه .

على أن الأمم المحايدة لم تسحقها رحى هذا الصراع الاقتصادى ، فقد كانت لديها أسلحة قوية ، وكان فى وسع ألمانيا أن تنقض على السويد ، ولكن مثل هذا الهجوم كان يستغرق جهد ٣٠ فرقة ألمانية ، بل كان ثمة مانع أقوى ، وإن كان هذا يُرى متناقضاً ، وذلك بأن ألمانيا كانت تفيد على الأغلب من السويد المحايدة أكثر مما تفيد من السويد المغلوبة ، فلو فتحت بلاد السويد بالقوة لعمد أهلها إلى إشعال النار فى مصانعهم أو تخريب الصناعات .

وحتى سويسرا — وهى دولة تحيط بها من جميع نواحيها بلاد خاضعة للنفوذ الألمانى — استطاعت أن تمضى فى الاتجار مع سائر العالم ، لأنه لو أخذ عليها طريق جنوا لكان فى مستطاعها أن تنسف أنفاق سكة حديد الألب الكبرى . وكان السويسريون قد وضعوا المفرقعات وأقاموا الحرس على الألواح المعدة لنسفها آناء الليل وأطراف النهار . وهذه الأنفاق يجرى فيها سيال الحياة بين ألمانيا وإيطاليا ، فهى تحمل مليون طن من الفحم فى كل شهر ، ولا غنى للصناعة الإيطالية عنها .

ومن أغرب ما أسفر عنه الموقف أن سويسرا كانت تشترى الحرير الإيطالى وتحوله إلى نوع من النسيج الذى تصنع منه المناخل ، وتشتد إليه حاجة الصناعة الكيميائية فى أمريكا ، وكان هذا النسيج ينقل بالسكة الحديدية الإيطالية إلى جنوا فى عربات مختومة بترخيص من ألمانيا ، وكان يشحن بعد ذلك عن طريق لشبونة إلى الولايات المتحدة ، والصفقات التى من هذا القبيل كثيرة .

ومثل هذه المساومة كانت مستحيلة لو لم تملك الأمم المتحدة بعض الوسـائل لفرض السيطرة المحكمة على تجـارة الأمم المحايدة البحرية ، والعقاب على من ينقض الاتفاقات التجارية . فإذا أفضت الأمور إلى ذلك ، استعملت الأسلحة الأخرى التى فى جعبـة الحرب الاقتصادية .

وكان أشدها مضاء ترخيص السفينة ، وهى قطعة من الورق وحسب ، تصدرها سلطات الأمم المتحدة وتشهد فيها بأن الباخرة « نيوترال ترايدر » مثلاً ، لاغبار عليها ، ولا تحمل غير الحمولة التى أقرها موظفو الحلفاء الرسميون . ولايسمح لسفينة محايدة أن تحصل على الوقود والمؤونة فى أى ثغر من الثغور الواقعة تحت سيطرة الحلفـاء ، إلا إذا كانت تحمل مثل هـذا الترخيص . ولا يمكن التأمين على السفينة ولا على حمولتها لأن معظم التأمين البحرى واقع تحت سيطرة لندن ونيويورك ، وعلاوة على ذلك فـكلما دنت سفينة لا تحمل ترخيصاً من إحـدى سفن الحلفاء الحربية أو إحدى الطائرات المستطلعة ، كانت عرضة لوقفها ثم سوقها إلى أحد ثغور المراقبة الخاضعة للحلفاء ثم تفتيشها . وهذا التفتيش قد يستغرق أياما ـ وخاصة إذا كانت السلطات التى تتولى الحصر لا تخصها بشىء من العطف ـــ وكثيراً ما كان الأمر يستدعى تفريغ حمولتها وفتح المئات من صناديقها وبالاتها . وهذا عمل يستغرق زمناً ويكلف نفقة فادحة . وكان فى وسع أية سفينة أن تحاول أن تتزود بالوقود فى أحد الثغور المحايدة المتسامحة ، وأن تتسلل بعـد ذلك فى مياه لا تجترىء على دخولهـا دوريات الحلفاء البحرية . ولـكن عملا كهذا كان محفوفا بالخطر ، وكان قـلم المخابرات السرية الاقتصادية البريطانية يعنى عناية شديدة بالبحث والتنقيب عن هذه السفن التى ترفض التعاون ، وتكلف أساطيل الحلفاء مراقبتها . فلم تكد تنتهى سنة ١٩٤٠ حتى كان ربان كل سفينة محايدة قـد قرر أن من مصلحته أن يحصل على ترخيص لسفينته ، وأن يلتمس موافقـة الحلفاء على حمولته والطرق التى يسلـكها .

وكان يصاحب هذا السلاح سلاح آخر ، هو شهادة الملاحة ، وهى قطعة أخرى من الورق تثبت أن الشحنة الواحدة ـــ سواء كانت ١٠,٠٠٠ طن من القمح أو نصف أوقيـة من البلاتين ـــ قد أقرها موظف يمثل الأمم المتحدة ، وكانت هـذه الشهادة لا تمنح إلا إذا كانت الشحنة فى حدود النسبة الخاصة بتلك السلعة ، التى تصـدر كل ثلاثة أشهر .

وكانت القائمة السوداء تعزز جميع هذه

الوسائل ، فكل شركة تجارية ، وكل فرد فى البلاد المحايدة يبيع بضائع للعدو أو يجعل نفسه ستاراً لصفقات المحور التجارية ، كان عرضة لأن يثبت اسمه فى القائمة السوداء ، وتصبح مثل هذه الشركة فى عالم الاقتصاد كالمجذوم يفرّ منه الناس ، فهى لا تستطيع أن تعامل أى شركة تجارية من شركات الحلفاء ، ولا أن تنقل البضائع مجتازة حدود بلد من بلاد الحلفاء ، أو تستعمل وسائل الحلفاء للنقل والمواصلات . وإذا كان لها رصيد فى أى مصرف من مصارف الأمم المتحدة أو شركة ما ، جمّد مالها . وكل من يعامل شركة مقيدة فى القائمة السوداء قد يوضع هو نفسه فى القائمة السوداء ولو كان من المحايدين . ومما كان يفت فى عضد تلك الشركات أن القائمة السوداء قد لا تلغى بعد الحرب ، فأصحاب الأعمال فى الأمم المحايدة الذين عرفوا بموالاة المحور ، قد يجدون مشقة فى معاملة بلاد الحلفاء سنين كثيرة .

وبسلاح هذه الأوراق استطاعت الأمم المتحدة أن تضرب حول ألمانيا حصاراً أشد وطأة وأكثر إحكاما من الحصار الذى ضرب فى الحرب العالمية الأولى ، وبدلا من الاعتماد على فصائل باهظة النفقة من السفن الحربية ، استطاع بضع مئات من الاقتصاديين والخبراء فى الإحصاء المقيمين فى وزارة الحرب الاقتصادية فى لندن ، وفى ثلاث إدارات فى وشنطن هى مجلس الحرب الاقتصادية (وقد أدمج أخيراً فى إدارة الاقتصاد الخارجى) ووزارة الخارجية ووزارة المالية ، أن يضعوا عليها خناقاً محكماً ، وقد كانت لجنة الحصر البحرى الإنجليزية الأمريكية بلندن هى المركز المتحكم فى هذا العمل كله .

وكان منع تهريب مقادير صغيرة من بعض الأصناف من أشق الأعمال ، ومما هوّن العمل أن المواد النفيسة التى تستحق المخاطرة فى تهريبها كانت قليلة ، وكان أهمها الماس المستعمل فى الصناعة ، وهو لازم لزوما جوهرياً لكراسى المحاور فى عدد الطائرات ثم لصقل الآلات الدقيقة ، والبلاتين الذى يستعمل وسيطاً كيميائياً فى عمل الزيت الصناعى ، ولا يمكن أن يعوض فى الأجهزة الكهربائية والكيميائية .

وحاجة العدو إلى هذه البضائع النفيسة يمكن قياسها بالأثمان المماثلة التى تدفع للمهربين ، فالماس الصناعى من النوع الذى يساوى القيراط منه أقل من ريال فى سوق لندن ، كان يباع القيراط بما بين ٣٠ ريالا و ٦٠ ريالا فى طنجة ، والثمن العادى التجارى للبلاتين هو ١٠٠٠ ريال للكيلو جرام ، ولكنه ارتفع مرة فى سوق

لشبونة السوداء إلى ١١٫٠٠٠ ريال .

وقد حاولت الهيئات المشرفة على الحرب الاقتصادية ، رغبة فى منع هـذا التهريب ، أن تستولى على كل المقادير المتاحة من البلاتين والماس المستعمل فى الصناعة ،والبلور الصخرى، ومواد أخرى قليلة من مواردها الأصلية . وعقـدت اتفاقات مع البلاد التى تنتجها فتعهدت أن تبيع كل ما تستخرجه للأمم المتحدة . وكان العملاء الأمريكيون الذين يتولون الشراء يبحثون عن المنتجين الأصليين ويشترون منهم مباشرة كل ما يستخرجونه مبالغة فى الحرص والحذر . فنى فيافى شوكو فى كولمبيا مثلا أسس ممثلو إدارة الاقتصاد الخارجى الأمريكى مراكز تجارية على شواطىء الجداول الصغيرة ، حيث يستخلص البلاتين من الرمل .

وكانت الخطوة التالية إنشاء نواة للتجسس فى داخل عصابات التهريب والمشتغلين بالسوق السوداء ، وقد أدى هذا إلى حدوث بعض حوادث نادرة تشبه أعمـال التجسس كما توصف فى روايات الجاسوسية ، وإن كانت أعمـال التجسس على الأكثر مملة رتيبة كمسك الدفاتر . فأحد العملاء الأمريكيين مثلا صـار زعيما فى عصابة من عصـابات التهريب الكبيرة ، وقد استرشدت سلطات الحصر بتقاريره فاستطاعت أن تضبط حقيبة رثّة قد أرسلها عامل لاتينى أمريكى من عمال الأحواض إلى قريب له فى إسبانيا ، ولم يكن يبدو أن فيها شيئاً من المهربات ، ولـكنها كانت مشدودة بما يُرى كأنه سيور عادية من حديد مدهون باللون الأسـود ، فلما أزيل الدهان اتضح أنها بلاتين خالص تكفى مصانع الزيت الصناعى فى ألمانيا أشهراً .

وفى أوائل سنوات الحرب لم نستطع أن نصدّ كل الصدّ ذلك السـيل المتدفق إلى ألمانيا من البلاد المحايدة فى أوربا ، فلم تستطع أمة محايدة أن توصد الباب فى وجه الألمان إلا بعد أن صـار انتصار الحلفاء لا ريب فيه . ولـكننا كنا نستطيع أن نشن هجوماً اقتصاديا بسلاحنا الأمضى — وهو المال — فقد كان فى وسعنا أن نشترى السلع اللازمة للحرب بالغـة ما بلغت أثمانها . وكذلك أنشأت إنجلترا وأمريكا شركتين جعلتا همّهما شراء كل ما يستطاع شراؤه من المواد الحربية المهمة ، لكى يكون ذلك حائلا يحول ألمانيا عن شرائه ، فاقتسمنا الأسواق واقتسمنا النفقات التى اقتضاها تنفيذ هذه الخطة .

وقد كان أعظم ما تم معركة الولفرام (ركاز التنجستن) ، فالتنجستن لا يمكن الاسـتغناء عنه فى بعض أخلاط الفلزّات اللازمة لتقسية العدد القاطعة وصفائح الدروع ومواسـير المدافع . وقد كانت إسبانيا

والبرتغال تصدران إلى ألمانيا أكثر من ٩٠ فى المئة مما تحتاج إليه ، فاختار رجال الأعمال من الأمريكيين والإنجليز أن عمدوا فى الحصول عليه إلى الشدة لا إلى الأساليب السياسية الناعمة ، فأقبلوا على السوق وشرعوا يشترون ، فخفضوا فى الحال تقريباً ما كان يصدر من الولفرام إلى ألمانيا . وبلغت الحالة الاقتصادية فى إسبانيا والبرتغال من الرواج مبلغاً لم يعهد منذ أيام كورتز . وقد كان السعر العادى للولفرام قبل الحرب أقل من ٢٠٠ ريال أمريكى للطن الواحد ، وكانت إسبانيا تخرج ٢٥٠ طناً فى السنة . فما وافت سنة ١٩٤٣ حتى كان المشترون من الألمان والإنجليز قد رفعوا السعر إلى ٢٠٠٠٠ ريال للطن الواحد . وزاد ما يستخرج منه فى إسبانيا زيادة عظيمة حتى بلغ ٤٥٠٠ طن فى السنة ، وقد كان من أسباب استمرار حكومات الحلفاء فى بيع الزيت إلى إسبانيا حاجتهم إلى الحصول على العملة الإسبانية لتمويل برنامج هذا البيع الجامع المانع .

وقد كبد ذلك الحلفاء مبالغ باهظة ، ولكنه كان أشد وطأة على الألمان إذا قيس بمواردهم . ففى أواخر سنة ١٩٤٣ اضطروا إلى الانسحاب التام من السوق المكشوفة ، لأنهم استنفدوا كل ما كان عندهم من العملة الإسبانية ، واستطاع الحلفاء يومئذ أن ينقصوا ما يشترونه نقصاً كبيراً . وجرى الحلفاء على نفس هذه الطريقة فى تركيا للحصول على النحاس والكروم ، وفى السويد لمنع تصدير أصناف خاصة من الفولاذ والآلات .

ولقد كانت هذه الأعمال لعباً بالقياس إلى نوع آخر من برامج الشراء . كانت بعض مصانع الطائرات فى إنجلترا ، قبل الحرب ، قد زودت بعدد ميكانيكية من السويد ، ولم يكن الحصول على « أجزاء الغيار » ميسوراً فى غير السويد ، وكانت الحاجة ماسة إلى كرات المحاور ، وكان الحلفاء فى أشد حاجة قبل كل شىء إلى كراسى المحاور المصنوعة من الماس ، وهى تستورد من سويسرا . وتقطيع هذه الماسات الدقيقة كان مما تخصصت فيه سويسرا منذ سنين ، وقد كان صنع عشرات من منتجات الحرب ما بين طزابيد وكرونومترات مستحيلا لولاها .

وألمانيا لم تكن تنوى طبعاً أن تترك مثل هذه الأصناف التى لا يمكن الاستغناء عنها تتسرب من السويد وسويسرا ، فأنشأ عملاء الحرب الاقتصادية من الحلفاء نظاماً للتهريب . فقد تمكن قليل من السفن الإنجليزية المثقلة بالآلات الميكانيكية التى لا تقدر قيمتها بمال ، من أن تتسلل من الثغور السويدية فى ليلة عاصفة بعد أن استدرج الجاسوس

الألمانى الموكل بمراقبة الميناء إلى حفلة سكر وعربدة ، وكانت الطائرات السريعة تقوم ليلا من المطارات السويدية مغامرة فى تحليقها فوق النرويج المحتلة إلى إسكتلندة . وكانت المقادير التى تنقل بهـذه الطريقة قليلة وغير مضمونة ، ولـكنها كانت عوضاً كافياً عما أبلاه الاستعمال ، أو ما نسف من الآلات فى الغارات الجوية ، واستطاعت مصانع الطائرات فى إنجلترا أن توالى عملها .

وعلى أن إخراج كراسى المحاور المصنوعة من الجواهر من سويسرا كان مشكلة أشق وأعقد، إذ كان لا بد فى أول الأمر من تهريب المادة الخام ، وهى قطع دقيقة من المـاس كحبات الرمل الخشن الى سويسرا ، فهربت بأساليب خفية شتى ، تهريباً منتظما إلى سويسرا فى رُزَم صغيرة تـكفى لسد حاجة الحلفاء العاجلة ، وبعد أن تعدّ فى سويسرا كانت تخرج منكـّرة عن طريق فرنسا وإيطاليا وألمانيا — وكانت فى بعض الأحيان تقدم على غيرها فى النقل بالطائرات الألمانية إلى مصانع الحلفاء الحربيـة . أما الآلات اللازمة لثقب الجواهر ، فكانت تهرب مع عدد قليل من رجال الصناعة الحاذقين ، وبذلك تأسست صـناعة كراسى المحـاور المصنوعة من الجواهر فى بلاد الأمم المتحدة ، وصارت تفى بأغراضها .

إن تأثير الأسلحة الاقتصادية تأثير غير مباشر ، ويتأخر ظهوره ، ويكون فى الغالب متنكراً . وقد بدأت ألمانيا الحرب وعندها أكوام مكدسة من المواد الخام المستوردة ، وبلغت فى استعمال الأبدال شأواً بعيداً ، ومع ذلك لم يكن لألمـانيا بدّ من أن ينزل بها الحصر عجزاً فى بعض المواد . وقد أحكم الحلفاء تنظيم خططهم الاقتصادية والحربية ، فأفضى ذلك إلى نقص هذه المواد فى ألمانيا فى أحرج الأوقات . فالضغط الاقتصـادى الذى منع تصدير كرات المحاور من السويد مثلا ، حدث فى نفس الوقت الذى شنت فيه الغارات على مصانع كرات المحاور فى ألمانيا ، ونقص الزيت الذى تزيّت به الآلات الميكانيكية وما تلاه من نقص البنزين ، عاق حركة الفرق النازية الميكانيكية ، وأخيراً عوّق سلاح الطيران الألمانى نفسه . وقد أحكم تنسيق أعمال الحصر والغارات الجوية التى شنت على معـامل التكرير والتصفية فى بلويستى برومانيا وعشرات من مصانع الزيت الصناعى ، لـكى يضرب الاقتصاد الألمـانى أشد ضربة ، حين تغزى نورمندى .

وقد كانت الحرب الاقتصادية فى هـذه الميادين وغـيرها شريكا صامتاً قوى الأثر لقوات الحلفاء المسلحة ، أما نصيبها فقد كان أمراً لا بد منه فى إحراز الظفر الأخـير .



هالو ماما ! لقد عدت !

جرولد فرانك + + + ملخصة عن مجلة "كورونت"

موضع للنزول على الشاطىء الشرقى عند الأمريكى ، خرج فتى فى بذلة مارثة ، من بناء كالثكنة ، وهو يبكى . وهو بدين خشن قوى — أى إنسان كان يستطيع أن يتبين ذلك . وقد كابد أهوال النزول على الشواطىء مهاجما ، والجثوم فى الحفر والقذف من الجو ، ولكنه هنا اليوم يبكى .

ذلك ان هذا البناء الأدكن فيه مركز التلفون رقم س — وهو مركز سرى لا يتلقى أبداً مكالمة من الخارج ، ولكن يخرج منه ليلا ونهاراً ، فيض لا نهاية له من الأحاديث الفرحة الحارة ، إلى الآباء والزوجات والحبيبات ، فى كل مكان فى الولايات المتحدة .

وفيه الآن جنود كهذا الفتى يغص بهم مربع فيه ٣٠ كشكا ، وكل منهم ممسك بالسماعة بشدة وهو يتكلم ويتكلم ، ويخاطب قومه لأول مرة بعد أن عاد إلى الأرض الأمريكية . وكلهم مثل هذا الفتى يكاد يتعاظمهم الأمر — خفة الفرح حين يسمعون الأصوات المألوفة ، وحين يسعهم أن يقولوا أخيراً : « هالو ماما ! نعم ، هذا أنا ولا شك ! فقد عدت . نعم يا ماما .. » وليس فى وسعهم أن يقولوا من أين يتكلمون ، ولكنهم يستطيعون أن يقولوا إنهم سيدخلون من الباب الأمامى الليلة بعد موعد العشاء .

وتعترف شركة التلفون بتحرز أن نحو ١٥٠٠ مكالمة قد جرت مرة فى ٢٤ ساعة . ولا يخلو كشك من متحدث أكثر من ٤٥ ثانية — أى ما يكفى عامل التلفون أن يعلن ، على طريقة الإذاعة ، أن « الأمباشى سميث يطلب اشتابولا بولاية أوهايو — تفضل فى الكشك رقم ٤ » ، وأن يسحق سميث السيجارة التى كان يدخنها وهو مضطرب ، ويعدو إلى الكشك رقم ٤ . ولعله انتظر قبل ذلك ساعات لأن الخطوط كانت مشغولة .

ويقعد سميث وهو متوتر الأعصاب ، ويلصق السماعة بأذنه ، ثم يسمع الصوت ، صوت الأم أو الزوجة أو الصديقة ، فيشرق وجهه . ويتكلم وفمه يكاد يلمس آلة التلفون ، فلو رآه أحد على هذه الصورة لارتبك واستحيى ، ويدير ظهره إلى الباب ويحشر نفسه فى ركن من الكشك — ويتلوى ، ويضحك ، ويقهقه ، ويرد خوذة الميدان عن جبينه إلى الوراء .

وإذا كان كمعظم الجنود فلن يفرغ فى أقل من سبع دقائق ، حتى إذا خرج آخر الأمر ، بدا كأنه مدار به قليلا . وإذا كانت

عيناه لم تحمرّا من حرّ أو بكاء، فإنه يبتسم لكل من يمر به، أو يتمتم أو يصمت ويذهل كالحالم من أمر السكينة التي يفرعها في القلب علمُ الإنسان أن أهله جميعاً بخير، وأن كل شيء على حاله لم يتغير.

والفتيات اللواتي يعملن على لوحة التوريع شهود على ذلك، وقد تخنقهن العبرات أحياناً، ولكن ما من شيء من هذا يبدو للذين يكونون على الطرف الآخر من الخط. وكل ما تسمعه هو صوت متزن يقول: «هل أنت المسز وليم سميث؟ طلب لك من الأمبسائى سمث، وعليك أجره، فهل تقبلين؟».

وإذا شهقة، ثم سؤال بصوت مخطوف الأنفاس: «أين هو؟ من أين يتكلم؟».

والجواب المطرد هو: «لا نستطيع أن نقدم لك هذه المعلومات»، وقد ترق قلوب الفتيات لأنهن من الإنسان، فيقلن: «إن الطلب ليس من وراء البحار يا سيدتي» وبهذا تتصل المخابرة.

ويحدث في تسع حالات من عشر أن يبلغ من اضطراب الفتيان، أن ينسوا أرقام تلفوناتهم، ومع أن الفتيات يطلبن منهم أن لا يتكلموا أكثر من ثلاث دقائق — «لأن هناك آخرين ينتظرون ياسيدى» — إلا أنهن لا يقاطعن الجندى أبداً مهما طال حديثه. وقد أدهشهن شاويش صموت بأن تكلم ٨٤ دقيقة. ومعظم المكالمات تؤخذ أجورها من الشخص المطلوب، ولكن مكالمة الشاويش لم تكن كذلك، وقد كلفته ٥٤ ريالا.

وتباهى العاملات بمهارتهن خاصة في الاهتداء إلى حبيبات الجنود أو أمهاتهم حتى ولو اضطررن، كما حدث مرتين، أن يتتبعهن إلى دكان بقال أو يعثرن عليهن في قطار على مسافة ألفي ميل. فقد حدث أن العاملة تعقبت أم جندى، بفضل جارة لها، إلى محطة السكة الحديدية، وكلفت حمالا أن يبحث عنها في اثنتى عشرة مركبة حتى وجدها ومضى بها إلى التلفون بعد نصف ساعة من طلب ابنها أن يكلمها.

وتقول العاملات: «إننا لا نؤثر أى شيء على عملنا هذا، ذلك أننا نحمل أنباء سارة». وتلهج إحداهن بقصة لها، فقد تعدت الطلب، وأدت العبارة المألوفة، فأذاعت اسم الجندى وأردفت ذلك بالسؤال: «هل تقبلين دفع أجرة المكالمة؟».

فأجابها ببطء صوت فاتر يائس ذاهل: «ليتني أستطيع. ولكنى تلقيت خبراً منذ شهرين بأنه قتل في المعركة».

فصاحت العاملة: «ولكنه لم يقتل! إنه واقف هنا إلى جانبي الآن».

وتلا ذلك سكون، لأن المرأة عند الطرف الآخر من الخط أغمى عليها!

إنه صاحب مصرف رحب الخيال

مصرف فرنكلين سكوير ليس هيكلا من المرمر ، إنه يبذل المعونة إلى زبائنه ويبث النشاط فى الجماعة .

روجرز وليم ريس

ملخصة عن مجلة " آدفرتايزنج آند سلنج "

لقد مر كثير من راكبى السيارات بحى الأعمال فى بلدة فرنكلين سكوير فلم يلقوا إليه بالا ، إذ لم يكن إلا بقعة على طريق عام فى « لونج أيلند » ، على مسافة عشرين ميلا شرقاً من قلب مدينة نيويورك ، وليس فيها سوى قليل من مصابيح المرور ، ونحو ثلاثين دكاناً وائنتا عشرة مزرعة تنقل منتجاتها بالسيارات إلى الأسواق . فليس فى البلدة على ما يبدو شىء يصلح لمشروعات ما بعد الحرب .

ولكن فى فرنكلين سكوير مصرف ، وللمصرف وكيل فى الثامنة والثلاثين من عمره هو « آرثر ت . روت » ، وقد أضفى مجهود الرجل على هذه البلدة شهرة فى دوائر المال ، وجعلها تهم بشئونها اهتماماً دقيقاً . وقد قال مندوب متجر لبيع الأدوات الكتابية للمصارف . وهو يدخل مئات منها : « إن السؤال الأول الذى يوجهه إلى مديرو المصارف حيثما أذهب هو هذا : « ماذا ننوى بلدة فرنكلين سكوير أن تفعل الآن » وكان آخر عمل قام به هذا المصرف مشروعاً لتجميل البلدة ، فقد أخذ روت صورة شاملة تبدو فيها الدكاكين الزرية على جانبى الشارع الرئيسى . ثم عهد إلى أحد المهندسين المعماريين أن يرسم الشارع بحيث يكون وجوه الدكاكين متشابهة على طراز أمريكى قديم ، ثم دعا رجال الأعمال ، وعرض عليهم صورة الحى كما هو الآن ، وأخذ يريهم تقشر الدهان هنا ، وتمزق الظُّلَّة (التندة) هناك ، وضيق الشبابيك والأبواب . ثم عرض عليهم فجأة صورة المستقبل . فكل دكان فيها قد حدد وجعل متناسقاً مع غيره من الدكاكين — أبيض اللون ، أنيق المظهر ، واسمه منقوش عند مدخله .

ثم قال لهم : « إن تحسين البلدة هذا التحسين يكلف ٥٠٠ ريال لكل مساحة قدرها ١٥ قدما من وجه الدكان ، والمصرف مستعد أن يقرض المبالغ اللازمة ، ويكون ردها على أقساط فى خمس سنوات . فمن منكم يوقع ؟ » .

فوقعوا جميعاً . هذا حسن . . ولكن

روث يسهر على إنجاز ما يشرع فيه . فأوفدت لجنة إلى كبار أصحاب المصانع ، فوافقت إحدى شركات الزجاج على أن تبيعهم الزجاج جملة واحدة بأسعار زهيدة ، وأرسلت الشركات التى تعد أدوات البناء والأثاث خبراءها لحضور سلسلة من المباحثات .

وقال روث : « لا خير فى بنيقة جديدة على قميص قذر » ، وذكر أن الظاهر الوسيم جدير بداخل وسيم أيضاً .

وقد كان ذلك فى الصيف الماضى حين كانت الأفكار متجهة إلى مشروعات ما بعد الحرب ، فوافقت لجنة التقدم الاقتصادى عليه . ولكن النار شبت فى دكان أحدهم فبنى دكانه بناء جديداً ، ولم يطق آخر أن ينتظر فجدد دكانه كذلك ، وقد اتفقا كلاهما على أن التجديد قد أجدى على تجارته .

ولم يكن هذا إلا عملا من أعمال كثيرة أحيت التجارة ، قد تولاها هذا المصرف . ففى نادى الشراء — ويسميه المصرف « مشروعك الخاص لما بعد الحرب » — تعرض الأشياء التى يحتمل أن يرغب الناس فى شرائها بعد الحرب ، وييسر للمودعين أن يشتروا منه فى المستقبل . فيقسم المبلغ المراد إيداعه على مئة أسبوع ، ويعطى المودع فائدة قدرها اثنان فى المئة . وقد بلغ عدد المودعين ٦٠٠ ، لشراء أشياء تصنع بعد الحرب يبلغ ثمنها ١٨٠٫٠٠٠ ريال .

وقد انضم إلى « نادى الشراء » كثيرون فى جميع أنحاء البلاد . فهذا طبيب من سكان سوث داكوتا يرسل كل أسبوع بالبريد مبالغ تودع له على حساب مجموعة جديدة من الأدوات الطبية . وهذا رجل من سكان أعالى ولاية نيويورك يقتصد لشراء جهاز تلفزيون . وهذا آخر من سكان نيوجرسى يريد داراً مجهزة بجهاز تكييف الهواء . والمودعون أكثر إقبالا على أجهزة الراديو والتلفزيون ، وتليهما السيارات فالأجهزة الكهربائية للغسل والتبريد والطبخ والكنس . وقد بدأ ٢٥٠ مصرفاً آخر فى تنفيذ مشروعات من هذا القبيل .

ومع ذلك فبلدة فرنكلين سكوير ليست واقعة على سكة حديدية ، وتعداد سكانها عشرة آلاف ، ولا يزيد متوسط إيراد كل أسرة منها على ٢٥٠٠ ريال كل سنة ، ولكن المصرف جعل لهذه الجماعة منزلة عالية . فيوم التحق روث بالمصرف فى سنة ١٩٣٤ كانت الودائع نصف مليون ريال ، وهو أقل مبلغ وصلت إليه الودائع منذ تأسيس المصرف ، ولكنها تزيد اليوم على ثلاثة عشر مليوناً من الريالات . وقد زاد

موظفو المصرف من خمسة إلى ثمانية وخمسين، وسبعون فى المئة من أعماله تأتى من بلاد أخرى غير فرنكلين سكوير.

وأهم أسباب النمو أن لروث فى أعمال المصارف رأياً جديداً غير مقلد، فهو يرى أن المصرف يجب أن يكون صديقاً نافعاً لكل فرد فى الجماعة.

ويوم وضع روث مشروع « مصرف الحديقة » هزأ به خلق كثيرون، ولكن روث كان قد لاحظ أن زبائنه يحتاجون إلى مساحة فسيحة لسياراتهم، فاستولى على رقعة من الأرض خلف المصرف وزينها بالأزهار والأشجار. ويقول روث: « قال الناس، ليست زخرفة الحدائق من أعمال المصارف » ثم يضيف: « ولكنها أرضت زبائننا »

وقد بنى فى الحديقة جوسقاً يظل منضدة يكتب عليها زبائنه أوراق الإيداع أو يحررون شيكاتهم، وتطل ثلاث من نوافذ المصرف على الجوسق. وفى الصيف يتم ربع أعمال المصرف بين الزهور، أما فى الشتاء فتقام حول الجوسق جدران من زجاج ويدفأ.

وحين كان إعصار شهر سبتمبر الماضى لم يزل مزمجراً على طول الشاطىء، نشر بنك فرنكلين سكوير الإعلان التالى:

« لاحظ أن الثلاثة آلاف أسرة فى لونج أيلاند التى رهنت منازلها فى مصرفنا مؤمنون جميعاً — مع استثناءات قليلة — ضد أخطار الأعاصير. ونضع تحت تصرف أصحاب المنازل الذين يرغبون فى إصلاح أضرار الأعاصير ما يلزم من المال، طبقاً للشروط التى وضعتها الهيئة الحكومية لإدارة السكنى وتسدد هذه المبالغ على ثلاث سنوات. ولدينا المقاولون والموردون للبدء فى العمل فوراً ».

عمل بارع ولا ريب، ولكنه أيضاً خدمة للمجتمع.

ويقول روث: « إننا نبتكر وسائل الخدمة التى تسد حاجة زبائننا، ثم نعرض خدمات المصرف كما يعرض صاحب المتجر بضاعته ».

فقد ساءت حالة سيارات الركوب فى المنطقة خلال فترة من الزمن، فندب المصرف أحد موظفيه ليتصل بشركات السيارات والهيئات المدنية حتى يطمئن إلى أن كل شىء قد تم وصلح.

ويزور روث وبعض موظفيه كل منزل فى المنطقة لبحث الشئون المالية. وفى المصرف قسم للسكرتارية المالية يتولى عن زبائنه سداد أقساط الضرائب والتأمين وفوائد الديون وثمن الوقود، وحتى المصاريف الطبية. أما زبائنه الذين يرسلون ودائعهم بالبريد فرسائله إليهم رسائل ود ومباسطة. وقد أنشأ قسما لتمرين الطلبة، فيختار كل سنة

عشرين طالباً من خير طلاب المدارس الثانوية ليتدربوا على أعمال المصارف خمسة أسابيع . وبذلك ييسر للطلبة وسيلة التدرب على العمل ، وللمصرف معالجة مشكلة المستخدمين .

ويتحول المصرف فى إجازة عيد الميلاد إلى مركز للحياة الاجتماعية ، فيحل مكان مكاتب الموظفين مسرح للدمى ، ويتحول نادى الشراء إلى غرفة لاحتفال عيد الميلاد . ويحضر هـذا الاجتماع من مسافات بعيدة أطفال مع آبائهم فيعرفون يومئذ شيئاً من هذا « المصرف الصديق » . وقد يفتح كثير منهم حسابات فى زيارته هذه . وينفق المصرف بعض ماله فى وجوه مستغربة ، منها شراء أربعة آلاف قطعة من الحلوى للأطفال .

وعسى أن يكون حـدب المصرف على الأطفال ، هو سر إقبال بائع جرائد فى الثانية عشرة من عمره ، على أن يطلب قرضاً قدره تسعة وعشرون ريالا ليشترى دراجة ، فإنه يريد أن يوسع نطاق توزيعه . فرأى المصرف أن هذا القرض عمل مالى صحيح ، فأعطوه ما طلب ، وسدد أقساطه وفوائده مواعيدها .

وفى المصرف غرفة تسمى « غرفة الجماعة » يرتاح إليها الزائر كأنه فى بيته ، وفيها جهاز لتكييف الهواء ، وجدرانها تزينها الصور ، وبها موائد « بنج بنج » ، وراديو وفونغراف ومطبخ حديث . وتعقد فيها كثير من الهيئات اجتماعها مثل لجنة الدفاع المدنى والصليب الأحمر والكشافة وأعضاء أندية أصحاب الأعمال .

ويقول أصحاب الرأى القديم من مديرى المصارف : أنْ ليس من الممكن أن تربح مالا وأنت تنفق كل هذا . ولـكن نسبة ربح مصرف فرنكلين سكوير أكثر من نسبة ربح أى مصرف آخر من طبقته فى منطقة تشمل مدينة نيويورك نفسها . وهو ينشر بياناً كاملا عن حالته المالية يبين فيه جميع أبواب دخله ونفقاته . وقد أثنت مجـلة « أميريكان بانكر » على تقريره عن سنة ١٩٤٢ المزين بالصور ، فقالت : إنه خير بيان صدر فى ذلك العام .

وستصير سـعة المصرف ، يوم يتيسر الأمر ، ثلاث أضعاف ما هى عليه ، فتنشأ فى المبانى غرف ونوافذ يعرض فيها تجار فرنكلين سكوير بضائعهم . وفى المصرف الآن هيأة تعقد اجتماعات خاصة لـكي تنشىء صلات بين الزبائن والمشترين وباعة التجزئة والمصرف نفسه وأصحاب المصانع أيضاً .

قد كان مصرف فرنكلين سكوير سبباً فى نمو البلدة ، وهى ترد عليه فضل ما يسديه ، فهما يتبادلان الخدمة والمنفعة .



كان يحبني حبا صادقا



برنادين بيلي و دوروثي والوورث

العروس مع زوجها على المقعد ركبت الأمامي العالي للمركبة المرتجّة ، وكانت في الحادية والثلاثين من عمرها ، وهي بمقياس سنة ١٨١٩ امرأة نَصَف ، وكان معظم النساء الرائدات يمتن صغيرات .

وكان ذلك في يوم من أيام ديسمبر ، وكان يوماً مقروراً إذا اعتبرنا مناخ كنتكي . وكانت وجهتهما الشمال إلى بلاد الغابات . فقالت : « أحسب أن الجو سيطيب » فقد كانت امرأة تتلقى ما يجيء على خير وجه .

وكان توم قد وصل أمس ممتطياً جواداً من مزرعته في إنديانا إلى بيتها في إلزابثتون . وتكلم فيما جاء له بلا لف فقال : « يا آنسة سارة . ليست لي زوجة ، وليس لك زوج ، وقد جئت لأتزوجك ، وقد عرفتك منذ كنت بنتاً صغيرة ، وعرفتني منذ كنت صبياً ، وليس عندي وقت أضيعه . فإذا كنت موافقة ، فلنتزوج على الفور » .

وتزوجا ذلك الصباح ، وسجل القسيس الواعظ أن سارة بوش جونستون أرملة منذ ثلاث سنوات ، وأن زوجة توم توفيت في الشتاء الماضي . وكانت الخيل والمركبة التي استعارها توم واقفة تنتظر ، فكدست متاعها في المركبة حتى لم يكد يبقى محل لأطفالها الثلاثة . وكان لتوم طفلان ، لم يخبرها أنه سيجيئهما بأم جديدة ، وقد غامت عينا سارة الزرقاوان الثابتتان وهي تفكر في ذلك ، فقد يشعر الطفلان أنها غريبة عنهما .

وعبرت المركبة نهر أوهيو الذي جمد بعض مائه ، على طوف ، وكان الهواء قارسا ، وغاصت العجلات في الثلج إلى محاورها . وبعد خمسة أيام بلغوا كوخا من الخشب قائماً في فضاء قليل على نهر « ليتيل بيجيون » . ولم يكن له نوافذ ، وكان بابه عبارة عن فتحة عليها ستار من جلد الغزال ، وللكوخ مدخنة من عصيّ مطيّنة ترتفع على الجدار . فصاح توم فخرج إليه من الباب صبي

برناردين بيلي هي مؤلفة « أم إيب لنكولن الأخرى » وقد بنت بعض كتابها على محادثاتها مع السكان القدامى في المنطقة القريبة من بيت نوم لنكولن . أما دوروثي والورث فكاتبة حرة وهي صاحبة المقالة المأثورة : « امرأة تأسر القلب » المختار يوليو سنة ١٩٤٤

يعدو ، وكان نحيلا كالخيال ، وعليه قميص مهلهل وسراويل من الجلد مخرقة ، ولكن نظرة عينيه هي التي نفذت إلى قلب سارة ، وإن كانت نظرة لم تستطع أن تجد لها وصفاً. فترجلت من المركبة ، وفتحت ذراعيها كأنهما جناحان منشوران ، وضمت الغلام إلى صدرها . وقالت : « أحسبنا سنكون صديقين حميمين . فكيف حالك يا إيب لنكولن ؟ » (هو أبراهام لنكولن) .

ولم يكن لها عهد سابق بالبرارى ، ولا جربت غير ما في المدن الصغيرة من خفض يسير . وكان الكوخ ذا غرفة واحدة ، ولا بلاط له بالمعنى الصحيح ، وإنما أرضه تراب مكبوس ، وكان السرير عبارة عن ألواح على قوائم من العيدان ، وهو مسند إلى الحائط ، ومرتبته حشوها قشر الذرة ، والأغطية من الجلود والثياب المنبوذة . وكان الغلام إيب ، وهو في العاشرة ، وأخته التي تكبره بعامين ، ينامان على أكوام من ورق الشجر في عِلِّيّة (غرفة مسحورة) ، يصعدان إليها على أوتاد مثبتة في الحائط ، وكان الأثاث عبارة عن بضعة مقاعد لكل منها ثلاث أرجل ، ومائدة منجورة السطح دون البطن . وكان يعيش مع هذه الأسرة دنيس هانكس وهو فتى في الثامنة عشرة ، وابن عم لزوجة توم الأولى — نانسى هانكس — وكان يحاول أن يطبخ الطعام مستعيناً بِنُصُب للطبخ ، وقدر مكسورة ، وملعقتين من الحديد . ومع أن سارة كانت تتوقع أن يكون المكان خيراً من هذا فإن كل ما قالته هو : « جئني يا توم بحمل من الحطب ، فإنى أريد أن أسخن ماء » .

ولم تضيع وقتاً هذه الأم الجديدة ذات المحيا الوردى والشعر الفينان اللامع ، فلما غلا الماء أخرجت من متاعها صرة فيها صابون من صنع البيت ، وغسلت الغلام وأخته أمام النار الحامية ، ومشطت لهما شعرهما المتلبد بمشطها العاجى النظيف . ولما أفرغت حمولة المركبة جعل إيب ، الذى لم ينبس ببنت شفة ، يتحسس بأصابعه المعروقة هذه الأشياء العجيبة ، من مثل درج من خشب الجوز ، وصوان للثياب ، ونول ، وكراسى حنيقية ، ولما صعد في تلك الليلة إلى العِلِّيّة لم يجد ورق الشجر ، فقد كنسته وألقته خارج الدار ، وألفى مرتبة من الريش ووسادة من الريش ، وبطانيات كافية ، فظل دافئاً طول الليل .

وبعد أسبوعين تغير المكان عما كان ، وكانت سارة قد أوتيت ما يسمى «الموهبة» ، فكانت تكدّ وتستطيع أن تحمل غيرها على العمل أيضاً ، حتى توم الذى كان حسن النية ولكنه يدع كل شىء يجرى كما يتفق.

ولم تقل له قط أن عليه أن يفعل كذ أو كذا فقد كانت أحكم من ذلك وأرق ، غير أن توم ألفى نفسه — لا يدرى كيف — يصنع بابا حقيقياً للكوخ ، ويشق نافذة كما أرادت ، ويفرش أرضية ، ويسد الثغرات بين الألواح ، ويبيض الجدران من الداخل. ولم يستطع إيب أن يكبح اغتباطه بحسن المنظر ، ونسجت لإيب قمصاناً وصبغتها بنقيع الجذور ولحاء الشجر ، وصنعت له حمالات من الجلد محكمة ، وخفين وقبعة من الفرو. وكانت عندها مرآة فصقلتها ورفعتها قباله ليرى نفسه — وكانت هذه أول مرة يرى فيها نفسه — فقال : « أهذا أنا حقاً ؟ » .

وكانت سارة ربما خطر لها فى بكرة الصباح وهى توقد النار أن الأمور تحدث على نحو غريب . فقد رفضت قبل أربعة عشر عاما توم لنكولن لما خطبها وآثرت عليه دانيل جونستون . وعاش توم مع زوجته نانسى هانكس اثنتى عشرة سنة ، ماتت بعدها فجأة بحمى النفاس . والآن ، بعد كل هذه السنين صارت هى وتوم معاً مرة أخرى ، وعندها أطفاله وأطفالها تطعمهم وتتعهدهم .

وكانت مساحة الكوخ ١٨ قدماً مربعة ، وتحت سقفه الواهى ثمانية ، وكانت سارة تتولى أمر من بقى من أسرتين ومعهما فتى يتيم ، هو دنيس هانكس ، وعليها أن تجعل من هؤلاء أسرة يحب بعضها بعضاً ، وكانت تبغى أن يشعروا جميعا أنهم كانوا معاً دائماً. وكانت هناك احتمالات كثيرة للمتاعب ، فمن فريقين من الأطفال لم تقع عين أحدهم على الآخر قبل اليوم ، ومن قصص سمعها إيب وأخته من الناس عن امرأة الأب . وكانت سارة فى الأسابيع الأولى شديدة القلق ، وخاصة من ناحية إيب ، وإن كان يفعل ما تقول ولا يرد عليها أو يكابر معها بخلاف . وقد رأته مرة ينظر إليها مستثبتاً ، وكانت تضع كعكات الذرة الصفراء فى الفرن ، ثم قال فجأة : « سأظل أحب هذا الكعك طول عمرى » ثم أسرع فخرج من الباب . وكان من الصعب أن تعرف كنه إيب ، كما قال دنيس : « إن فى إيب شيئاً خاصاً غريباً » .

ولعله ما كان ليعيش حتى يبلغ مبالغ الرجال لولاها ، فقد كان دائماً ينمو بسرعة ولا ينال من الطعام الكفاية . فأما الآن وقد أكل الكفاية من الكعك واللحم والبطاطس المنضجة لا الملهوجة ، فقد امتلأ وجهه وزايله الاصفرار ، وفارقه السكون. والآن وقد اكتسى عظمه لحماً فإنه لم يعد ساهما كئيبا ، وصار أكثر فكاهة وعبثا ممن عداه ، وتعلم أن يقص القصص كأبيه ، غير أنه بدأ بسارة فجربها فيها ، فكانت تضحك فى مواضع الضحك ، وتكون معه

يضاً حين يقهقه بغتة ضاحكا من أشياء لا يستطيع غيره أن يدركها . وكان توم يرى أنه يهذر فكانت سارة تقول له : « إن لإيب الحق فيما يتفكه به » .

وكانت سارة يخطر لها أحياناً فيما بينها وبين نفسها أنها تحب إيب أكثر مما تحب ندها ، ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحقيقة ، وإنما كانت تدرك في سريرتها التي لا يعلم بها غير الله أن إيب إنسان متميز ، وأنه ليس لها ، ولكن في وسعها أن تتخذه لنفسها إلى حين . وفي حداثة إيب لم يكن توم يحفل بأن يراه يقطع تسعة أميال إلى « مدرسة الثرثرة » حيث يتعلم التلاميذ القراءة بأن يرفعوا عقائرهم بالكلمات ويكررروها ، ولكن إيب كبر وصار أقوى ، فرأى توم أن الأولى به أن يلزم محله وأن يقطع الأشجار ، ويذرى القمح ، أو يستأجره الجيران للتذرية بثلاثين سنتا في اليوم . ولا شك أنه كان يمتلىء زهواً حين يجيء الجيران إلى إيب ليكتب لهم رسائلهم بقلم صنعه من قادمة طير ، وحبر اتخذه من جذور العوسج . ولكن إيب كان يطمح إلى ما هو أبعد مما يجب حين يعكف على قراءة الكتب بدلا من إصلاح الأرض الغمقة ، وكان يقول له إنه لا يحتاج أن يعرف كل هذا القدر من العلم ليحيي .

ولولا أن سارة ناصرت إيب على أبيه لما أتيح له أن يتعلم ما تعلم ، وإن كان علم الله يسيراً ، فكان يتعلم — كما قال الناس — « قليلا قليلا » . وقد ظلت على مدار الأعوام تعارض توم ولا تعبأ شيئاً بقوله إنها مجنونة تماما .

وكان إيب يؤثر أن يقرأ على أن يأكل . فكان يشرع في القراءة متى بدأ الصباح يطلع ، ويقرأ في المساء بعد أن يفرغ العمل ، ويقرأ وهو يحرث ، حين تستريح الخيل عند آخر الصف . وكان يمشى ١٧ ميلا ليستعير الكتب من المحامي بتشر في روكبورت فاستعار « أساطير أيوب » و « روبنسون كروزو » و « رحلة الحاج » وروايات شكسبير ، وقوانين إنديانا . ولما أتلف المطر كتاب « حياة وشنطن » لمؤلفه ويمز ، عمل ثلاثة أيام كاملة ليدفع ثمنه . وحدث مرة أن اشترى برميلا قديما بخمسين سنتا ، فوجد في قعره « تعليقات » بلاكستون ، فكأنما وجد كنزاً . ثم بدأ يقرأ في عتمة الليل على ضوء النار . فلما تذمر توم قالت سارة : « دع الغلام وشأنه » . وكانت دائماً تدعه يقرأ حتى يمسك من تلقاء نفسه . فإذا غلبه النوم وهو على الأرض جاءت بلحاف ولفته عليه برفق .

وكانت كتابته على لوح ، حتى إذا امتلأ

واسود ، مسحه وبدأ من جديد ، وإذا أعجبه ما يقرأ كتبه ، وكان يكتب دائماً ، وكان معظم الوقت لا يجد ورقا، وكان يضع علامات بالفحم على لوح رمزاً لما يريد أن يكتب، حتى إذا وجد ورقا نقله عليه . وكان يقرأ بصوت عال لسارة بجانب النار بعد أن ينام توم وسائر أهل البيت ، ويسألها : « هل أوضحت ذلك ؟ » وكانت تشعر بزهو حقيقى حين يسألها عن كتابته ، فكانت تجيبه على قدر ما يستطيع أى إنسان لا يعرف القراءة والكتابة .

وكانا يتناقشان ويحدث كل منهما صاحبه بما لا يحدث به أحداً سواه ، وكانت تعروه حالات من اليأس فلا يصغى إلا إليها ، حالات يخيل إليه فيها أنه لا خير فى الأمل ولا فى السعى والتدبير ، فكان يحتاج إلى قدر عظيم فى التشجيع .

وفى سنة ١٨٣٠ قرر توم أن يبحث عن أرض أصلح فى ولاية إلينوى، فانتقلت الأسرة إلى كولز كاونتى ، على جوس نست بريرى (سهوب عش الإوزة) وهناك عاون إيب أباه على بناء الكوخ ذى الغرفتين ، حيث قضت سارة وتوم بقية حياتهما . وما كاد الكوخ يتم حتى جاء اليوم الذى كانت سارة تتوقعه — اليوم الذى يرحل فيه إيب عن البيت . وكان قد شب وبلغ الثانية والعشرين ، وسنحت له فرصة للعمل كاتباً فى متجر دنتون أوفوت فى مدينة نيوسالم ، فلم يبق شىء آخر تستطيع أن تبذله لإيب، فقد قاومت توم للمرة الأخيرة ليتسنى لإيب أن يتعلم ، ولآخر مرة حافظت على الهدوء فى الكوخ ليتيسر لإيب أن يقرأ ما يشاء .

وكان فى البداية يكثر من التردد على الكوخ ، ثم صار بعد أن أصبح محامياً يزور جوس نست بريرى مرتين فى العام . وكانت سارة تحس كلما رأته مرة أن عقله صار أكبر . وكانت عقول غيره تبلغ مبلغاً تقف عنده ، أما عقل إيب فكان يزداد نمواً . وكان يحدثها عن القضايا التى يتولاها، ثم حدثها ، مع كر الزمن ، عن دخوله فى المجلس التشريعى للولاية ، وعن زواجه من مارى تود . ولما مات توم فى سنة ١٨٥١ حرص إيب على معونتها حتى لا تحتاج إلى شىء .

ولما سمعت أن إيب ذاهب إلى شارلستون المناظرة الرابعة مع ستيفن ا . دوجلاس ذهبت هى أيضاً دون أن تخبره . فقد كان حسبها دائماً أن تلاحظه فى صمت، ووقفت مع الجماهير فى الشارع ، كغيرها حين مر الركب . وكان هناك مركبة ضخمة تجرها الثيران وعليها ثلاثة رجال ولوح كبير كتب عليه : « إيب الشريف — سائق الثور — قاتل العملاق » ، أفهذا فتاها إيب ؟ وأقبل

إيب مستقلا مركبة سوداء لامعة ، وملوّحاً بقبعته السوداء يميناً وشمالا . أفهذا إيب ؟ وحاولت أن تستخفى ، ولكنه رآها فأوقف المركبة ، ثم نزل على مرأى من الجميع وأقبل عليها وعانقها وقبلها . نعم هو فتاها إيب .

ولم تكن ممن يعرفن البكاء ، ولكنها بكت لما انتخب رئيساً — بكت وحدها حيث لا يستطيع أن يرى دموعها أحد . وفى شتاء ١٨٦١ ، وقبل أن يذهب إلى وشنطن عبر الولاية ليزورها ، مستقلا القطار والمركبة فى الأوحال ليودعها ، وجاءها بهدية — قطعة من صوف ألاباكا لتفصلها ثوبا لها ، وكانت فى نظرها أجمل من أن يعمل فيها المقص . فلما عاد ، صارت تكتفى بإخراجها وتحسسها لحظة من حين إلى حين .

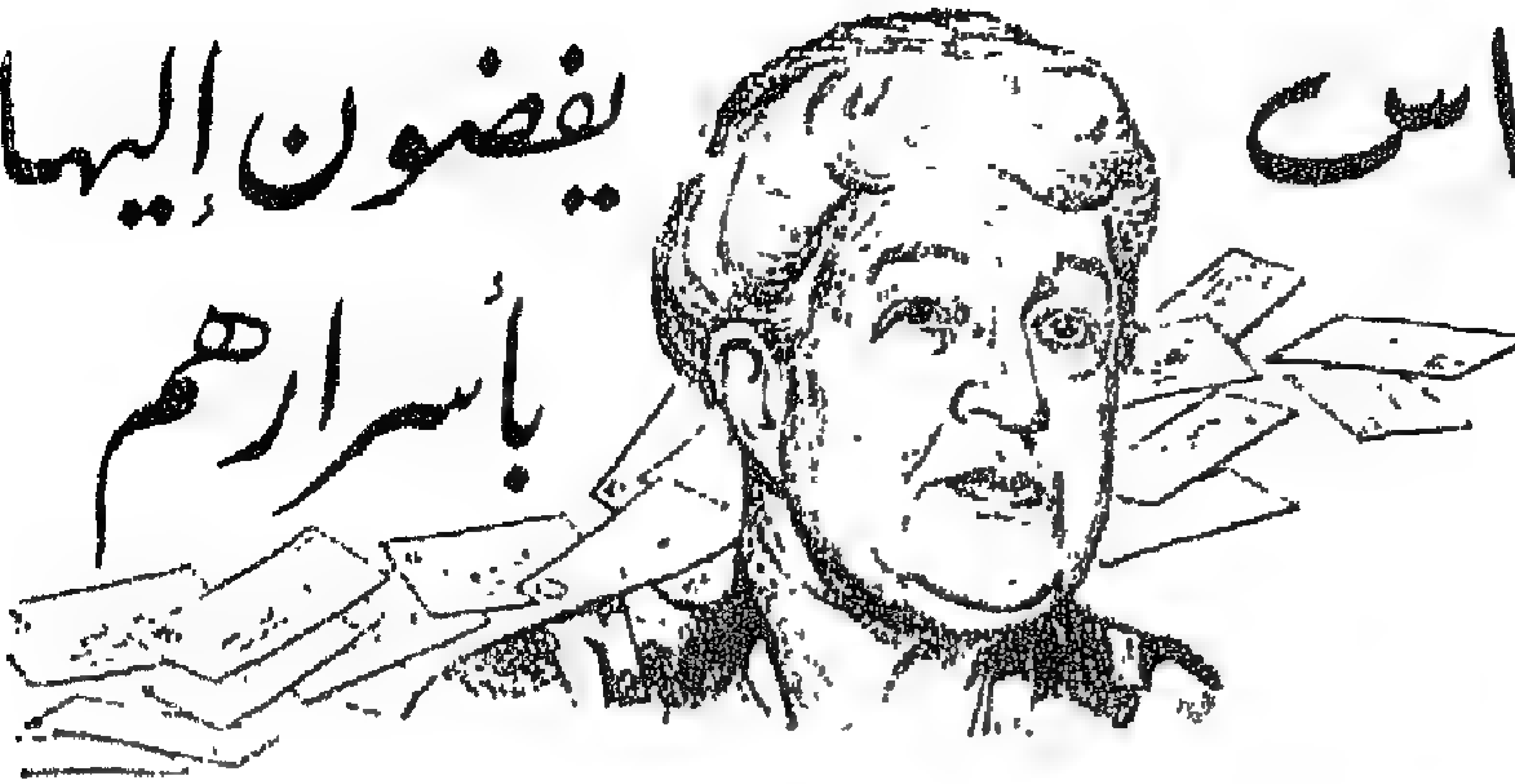
وكان إيب يبدو عليه التعب ، وكان يفكر فى أمور كثيرة ، ولكن حديثهما كان طيباً . حتى حين كانا يصمتان كان بينهما ما يقوله أحدهما للآخر ، وكان لا يزال يحفل برأيها . ولما قبلها مودّعا قال إنه سيراها قريباً ، ولكنها أحست أنها لن تراه مرة أخرى .

وبعد أربع سنوات جاءوها بنعيه ، وكتبت الصحف أطول الفصول عن أمه الحقيقية ، وكان هذا كما ينبغى أن يكون ، ولكن بعضهم جاءها يسألها أى صبى كان إيب ، وكان بودها أن تحدثهم عن ذلك غير أن الألفاظ خانتها فقالت : « كان غلاماً طيباً ، ولم أر منه ولا سمعت ما أكره ، لا باللسان ولا بالنظر ، وكان عقله وعقلى — على ضآلته — يسيران معا » ثم أضافت إلى ذلك : « أعتقد أنه كان يحبنى حبا صادقاً » .

وكثيراً ما كانت فى السنوات الأربع التى بقيت لها ، تجلس فى المساء وتفكر فيه . ولما كانت أما ، فإنها لم تفكر فيه رئيساً مذكوراً . وتذكرته فى صباه ، وكيف كانت تخبز الكعك من الذرة الصفراء له ، وتنسج له قميصاً ، وتغطيه ببطانية حين يثنى النوم رأسه على كتابه وهو يقرأ ، محاولة أن تقيه البرد .

دفنت سارة بوش لنكولن إلى جوار زوجها فى مقبرة شيلو . ومر حادث موتها فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٦٩ دون أن تلتفت إليه الأمة ، وظلت عدت سنوات لا يذكرها المؤرخون وكتاب السير . حتى كانت سنة ١٩٢٤ فنصب حجر ملائم على قبر توماس وسارة بوش لنكولن . ومنذ عهد قريب حول موقع بيتهما فى جوس نست بريرى حديقة عامة ، وأقيم كوخ ذو غرفتين على غرار الكوخ الذى ساعد إيب على إقامته . وفى السنوات الأخيرة فقط عرف الناس أن أبراهام لنكولن حين قال : « إنى مدين بكل شىء لأمى الطاهرة » كان يعنى امرأة أبيه .

ملايين الناس يفضون إليها بأسرارهم



« إن الناس يفضون إلى
..سرارهم لأنهم يعرفون أنى
..حنى عما أسمع ، وأننى لا أشمئز
.. » . هذا ماتقرره دوروثى
ديكس ، وهى أحب المحررين
لأمريكيين جميعاً إلى القراء .

منذ عهد قريب سألت شابة حسناء من طالبات الصحافة ، دوروثى ديكس عميدة المحررين الأمريكيين من كتاب المقالات اليومية ، عما تنصحها به حتى تصير من نوابغ الصحفيات المشهورات . فلما أنبأتها أن المعتاد هو أن تبدأ مخبرة صحفية قليلة الأجر ، ثم تظل تكدح خمس سنين أو عشرين سنة، ثم ترجو الخير فيما بعد ذلك، اعترضت الزائرة قائلة : « سيكون من همى أن أكتب مثل تلك الأشياء الخفيفة البسيطة التى تكتبينها فى مقالاتك » .

و « هذه الأشياء الخفيفة البسيطة » تظهر كل يوم فى ٢١٥ جريدة فى ثلاث قارات ، ويقرؤها نحو ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ من الناس . وقد قضت حتى اليوم تسعة وأربعين عاماً تكتب، فمقالاتها هى أقدم سمة معهودة فى صحافة الولايات المتحدة . ومس ديكس التى لم تتأخر قط عن تقديم مقالها فى حينه ، لا يبدو أن معينها قد نضب .

وأهل الشك الذين لا يقرءون مقالاتها يخالونها كاتبة عاطفية النزعة، تجود بنصائحها على من قل حظهم من الذكاء . والواقع أن أحاديثها التى تظهر فى صحف كثيرة فى وقت واحد، قد لمست كل مشكلة مثيرة للعواطف صالحة للنشر فى الصحف . وقد اشتمل بريدها على رسائل من رجال أعمال بارزين، وآلاف من الأزواج والزوجات ، ومن بينهم أحد قضاة المحكمة العليا فى الولايات المتحدة .

ويرسل إليها الوزراء صوراً من خطبهم التى تبنى على أساس مقالاتها . وقد نصح أحد أساتذة الأمراض العقلية ، فى جامعة جونز هوبكنز ، النساء اللواتى برّحت بهن الشكوك والأوجال ، أن يقرأن كل يوم مقالات دوروثى ديكس . وقد اختارتها جماعة النساء الطبيبات القومية عضو شرف ، اعترافاً بما لمقالاتها من أثر فى تقوية النفوس وشفائها .

ومس ديكس بارعة واسعة الحيلة فى تناول الموضوعات التى تهم الجمّ الغفير من قرائها.

فهى تقول للآباء الذين يكثرون النـِّقار : « إن منازعاتكم ليست لهواً ولا تسلية وإنما هى جناية على الأولاد » . ولما كتبت إليها إحدى الفتيات : « فى أول لقاء تعاطينا كأسين من الكوكتيل، ثم شربنا نبيذاً على العشاء ، وختمنا يومنا بالكونياك ، فهل أسأت وأخطأت ؟ » فأجابتها مس ديكس : « أظن ذلك » ، ونصحت زوجة جندى عير وفى أن تصبر إلى ما بعد الحرب : « فإذا قتل صار إليك مال التأمين على حياته » .

وقد يقدم أشد الناس إعجاباً بمس ديكس إلى « مسز إليزابث جيلمر المقيمة بنيو أورلينز » فلا يكاد يخطر له ببال أنه فى حضرة مناط ثقة الأمريكيين ومستودع أسرارهم . فقد استعارت اسم « دوروثى ديكس » يوم لم يكن يليق بسيدة أن توقع مقالاتها باسمها الحقيقى .

وقد تجاوزت مس ديكس السبعين من عمرها ، وهى محقة فى شكواها من أن صورها فى الجرائد والمجلات تجعلها تبدو بدينة ثقيلة الظل ، والواقع أن طلعتها طلعة جدة محبوبة ، وهى صغيرة الجرم لا يعدو طولها أربع أقدام وإحدى عشرة بوصة ، ذات عينين متلألئتين ، تسرع فى حديثها كأنها لا تزال فى ميعة الشباب . فإذا ضحكت — وكثيراً ما تفعل — ألقت برأسها إلى الوراء واستغرقت فى الضحك، فإذا حُدِّثت أحسنت الإصغاء ، ومعظم أصدقائها وأقاربها يسمونها دوروثى ، أما الجمهور الذى يرسل إليها نحو ٢٠٠٠ خطاب فى كل أسبوع فيخاطبها : « مس ديكس العزيزة — هذه هى مشكلتى » .

وهذا قليل من المشكلات التى وافاها بها البريد منذ عهد قريب . كتب إليها شقيق ينازع شقيقته على ميراث : « لقد اتفقنا على أن ننزل على حكمك مهما يكن ». وثمة غلام فى الرابعة عشرة من عمره يجل والده ، وقد عثر على رسالة حب أرسلها رجل آخر إلى أمه ، فبعث إلى مس ديكس يستشيرها : « أيصارح أمه بالأمر أو يهجر المنزل؟ ». وهذه أرملة فى الثانية والأربعين تستنصحها أتتزوج رجلا فى الرابعة والثلاثين (وكان جوابها : امضى قدُماً ، حسبك برجل بلغ الرابعة والثلاثين أن يعرف ما يريد، وقد تبينت من رسالتك أنه سديد الرأى) . وسألتها سيدة ظل زوجها سنوات يخونها : أهو الأجدر بها أن تظل معه من أجل أولادها أم تسعى فى الطلاق ؟ وفى أكثر ذلك تشير مس ديكس بالطلاق ، وقد ظلت دائماً تستنكر تنشئة الأطفال فى بيت يسوده الشقاق والخلاف .

وأهم ما يرد فى رسائل النساء مشكلتان: هما مشكلة الحماة ، ومشكلة « زوجى الذى لا يظهر لى حبه أبداً » . أما الرجال، فأكثر شكواهم من كثرة المناكفة . والذين هم دون العشرين يعنون فى العادة بالمواعيد وقد كتب إليها أحدهم : « أرجو أن ترسلى إلىّ تعريفك للمرأة الفاضلة ، ولا بد من أن أتلقى الرد قبل نهاية الأسبوع القادم » .

وكل بريد يحمل إليها يحوى رسائل شكر مؤثرة : « لقد أنقذتنى وجنبتنى أن تفسد علىّ حياتى » أو « أحسبك تريدين أن تعرفى كيف تحسنت أمورى بفضلك » . وقل أن تخطىء النصيحة هدفها ، كالذى حدث فى حالة الزوج الذى قال : « لقد أشرت علىّ بالثناء على طريقتها فى الطهى ، ولكنى لا أستطيع أن أهدى ثناء على حساء محفوظ فى العلب » ، أو السيدة التى كانت شكواها: « لقد حرصت على أن أتخلق أخلاق السيدة الفاضلة كما وصفتها ، فانتهيت إلى أن صرت رهينة منزلى كل ليلة » .

ولدت دوروثى ديكس فى سنة ١٨٧٠ ، وكان اسمها إليزابث مريوذر ، وكان لأسرة مريوذر مزرعة لتربية الخيل تبلغ مساحتها ١٥٠٠ فدان فى تخوم ولايتى كنتكى وتنيسى، ولكنها كانت فقيرة مملقة مثل أكثر أسر الملاك الجنوبيين بعد الحرب الأهلية الأمريكية . وكان التعليم غير منظم ، يقوم به نساء عوانس ، مؤهلاتهن أن آباءهن كانوا ضباطاً فى الجيش الجنوبى . ومن حسن الحظ أن كان للأسرة جار له مكتبة تزودت إليزابث منها بأدب ديكنز وفيلدنج وثكرى ، وقد ذكرت ذلك فقالت : « إن هذا الاطلاع جعلنى لا أطمئن إلى الأدب اللين الرخو » . وقد علمتها أمها « أن تقول الحق ، وأن تخشى ربها ، وأن تذكر دائماً أن الكريم لا يذل ولا يشكو » .

وفى الثامنة عشرة من عمرها تزوجت جورج جيلمر ، وهو شاب وجيه وسيم ، فلم تمض سنة حتى أصيب عقله بمرض عضال ، ومات بعد ذلك بزمن طويل فى أحد مستشفيات الأمراض العقلية . وقد أضر بصحتها ارتياعها لما أصابه ، واهتمامها بالقيام عليه والأخذ بيده . فذهبت تستشفى فى خليج المكسيك ، وهناك عكفت على تدبر رأيها هذا : « إذا نابتك نائبة مفظعة ، فاصرف همك إلى شىء جديد يشغلك » . وشرعت تكتب قصصاً قصيرة ، وكانت القصة الأولى حافلة بالوصف ، فلما كتبت القصة الخامسة تجلت أشخاصها ومدارُها . ولما عرضتها على جارتها مسز إليزا نيكلسون ناشرة مجلة « بيكايون » فى مدينة نيو أورلينز ، رنت فى أذن دوروثى تلك

الكلمة العذبة « سنشترى حق نشرها » .

وشجعها الثمن الباهر، وهو ثلاثة ريالات فضية ، فالتمست عملا فى جريدة البيكايون ، وبدأت بأجر قدره خمسة ريالات فى الأسبوع. وسرعان ما أقبلت على جمع إحصاء المواليد والوفيات ، وبالتدريج عهد إليها بأعمال أخرى . فلم تمض ثلاث سنوات حتى كانت تحرر المقال الخاص بالمسرح ، وتشرف على الصفحة النسائية

وفى سنة ١٨٩٦ استحسن المشرف على تحرير البيكايون ، وهو الماجور ناثانيل ربانك أن يخصص فى صحيفته عموداً للمسائل النسائية ورغب إلى المسز جيلمر أن تكتبه ، فاختارت اسم دوروثى لأنه حسن فى السمع ، أما اسم « ديكس » فمأخوذ من اسم خادم عجوز اسمه دك . وقد ظهرت أحاديث دوروثى ديكس أول ما ظهرت فى ٦ أبريل سنة ١٨٩٦ ، وفى أعلاها صورة فتاة أنيقة تلبس بنيقة عالية ، ومحيط خصرها يبلغ ١٩ بوصة ، وليس بينها وبين مس ديكس أى شبه .

وقد نسفت فى مقالاتها الأولى ذلك الرأى المأثور ، وهو أن الدموع أمضى أسلحة المرأة ، واستنكرته أشد استنكار ، فإن الرجال « يمقتون البكاء ويضجرون به » . وأن للنساء أن يتقدمن بالخطبة كما يتقدم الرجال « لأن السيدات أكثر اهتماماً بالزواج من الرجال » . واستحثت الزوجات على أن يلتمسن لأنفسهن ما يشغلهن خارج المنزل ، وحذرتهن « أن يتوقعن أن يسلك أزواجهن سلوك الأبطال فى الروايات السخيفة » . فلما سألها أحد الناس بعد سنوات : « أما ساءت قراءها هذه النصيحة المسرفة فى التجديد ؟ » قالت : « أظن النساء كن ينتظرن مثل هذه النصيحة » .

وفى سنة ١٩٠٠ سألها برونو لسنج الذى يعمل فى جريدة هرست المسماة « نيويورك أميريكان » ، أن تكتب بعض الافتتاحيات عن الحب والزواج . ولما كانت مس ديكس لا تقصر فى اغتنام أى فرصة تزيد دخلها ، سارعت إلى القبول . وبعد أسبوع أبرقت إليها الجريدة تعرض عليها الانتقال إلى نيويورك، فرفضت لأن الماجور ربانك كان مريضاً وكان يعتمد عليها . فلما توفى الماجور فى السنة التالية رحلت إلى نيويورك .

وكان هرست ينوى أن يعهد إليها بأعمال أخرى كثيرة علاوة على الأحاديث الثلاثة الأسبوعية ، وقد ظل ساعة يحدثها عما يفتن الناس من حوادث القتل . فلما جعل يكشف لها عن الفرص التي يتيحها مثل هذا الموضوع لامرأة تجيد وصف الحوادث، طارت شوقاً إلى العمل .

كلفها محرر المدينة أن تذهب إلى ولاية نيوجرسى، فهذه حادثة طفل قتلته امرأة أبيه. فلما وصلت إلى مدينة جرسى أجرت عربة وطلبت إلى السائق أن يطوف بها قليلا، ولم تنقض ساعة حتى عرفت شيئاً كثيراً، وتبين لها أن السائق كان عاشقاً للقاتلة ثم هجرته، وكان مما يسره أن يكشف لها تاريخ حياتها. وأطلعها على مجموعة بديعة من الصور تخص أسرة القاتلة، وكان ذلك بدءاً حسناً لصحفية مبتدئة، فسبقت جريدة «الأمريكان» سائر جرائد نيويورك. ومضى عليها بعد ذلك ١٥ سنة وهى أشهر الصحفيات، وقد سماها أرثر بريزبين «أعظم مخبرة صحفية على وجه الأرض».

وقد قالت إن تلك السنوات التى قطعتها فى جمع أخبار جرائم القتل مكنتها من أن ترى خبء الطبيعة الإنسانية وسرائرها سافرة. «ولقد تعلمت كيف أرهف بصيرتى حتى كاد يكون فى وسعى أن أقرأ عقل المجرم».

وقد أسعفتها هذه الموهبة فى أثناء التحقيق فى إحدى جرائم الفجور التى أثارت الناس، وكانت أهمّ شاهدة فيها، امرأة بغىّ أبت أن تشهد على زعيم عصابة الفجور. وبلغ من سخط النائب العام أن أرسل برقية يستنجد بدوروثى ديكس: «أتظنين أنك تستطيعين حملها على أن تبوح». فبعد ثلاث ساعات ظفرت مس ديكس باعتراف جلا المشكلة وساعد على البت فى القضية. وفسرت ذلك بقولها: «إن الناس يفضون إلىّ بأسرارهم لأنهم يعلمون أننى أحتفى بما أسمع، وأننى لا أشمئز منه».

فما إن دنت سنة ١٩٠٥ حتى صارت دوروثى ديكس تستخرج موضوعات مقالاتها مما ينهمر عليها من رسائل القراء، وصار من يكتب إليها من الرجال كالنساء كثرة. وكانت معظم مشكلات القراء يومئذ كمشكلاتهم اليوم: مشكلة الحماة، والأزواج البخلاء، والعيشة المملة فى الزواج، والغيرة.

ولما أخذ ميل الرأى العام إلى الاعتماد عليها يزداد شعرت بكبر تبعتها، وصارت تمقت الجرائم الدامية التى تستغرق الجانب الأكبر من وقتها. وفى سنة ١٩١٧ يوم عرضت عليها شركة هويلر أن تكتب أحاديث لا صلة لها بالجرائم الدامية، على أن تصرف إليهم كل وقتها، بادرت إلى انتهاز الفرصة وعادت أدراجها إلى نيو أورلينز لتزاول الكتابة ومنذ ذلك الوقت ومقالاتها تظهر ست مرات فى الأسبوع، وشركة بل هى التى توزعها الآن على الصحف.

تملى فى كل صباح المقالة والرسائل وهى فى مخدعها الذى يشرف على حديقة أودبون

فى نيو أورلينز ، وصديقتها الحميمة وعونها الأعظم هى مسز ستانلى آرثر التى قضت معها ١٨ سنة . والأسئلة المألوفة مثل : « كيف يمكن أن أصبح مشهوراً ؟ » يجاب عنها بنشرات مطبوعة، ولا تجيب فى مقالاتها إلا عن الرسائل التى تنال اهتمام الناس عامة . فإذا حمل إليها بريد الصباح ثلاثين رسالة فى موضوع : « زوجى يتركنى وحيدة كل ليلة » ، فعندئذ تشرع تكتب عن الأزواج الخاطئين . أما الرسائل التى تتعلق بأمور خاصة لا يليق نشرها ، فتجيب عنها برسالة خاصة .

وقد كان للحرب مشاكلها الجديدة . فعندما تشكو النساء الشُّصُف : « إنه يعمل فى مصانع الحرب مع طائفة من الفتيات الفاتنات » تجيبهن مس ديكس : « لا تهتمى فهو، إذا لم يعش فى صومعة ، لا محيص له عن أن تقع عينه على المليحات أينما ذهب » . والنساء اللواتى يخدعن الجنود يثرن ثائرتها ، وقد نصحت جندياً ورطته فتاة منهن فى خطبتها ، هذه النصيحة الصادعة : « لا تطع هذه الفتاة فتتزوجها لأنها قد غررت بك ، اكتب إليها بصراحة أنك لم تخطبها ثم لا تحفل بها » . والجندى الذى يتلقى مثل هذه النصيحة ينام كالطفل ملء جفونه .

كانت مس ديكس كثيرة السفر ، حتى نشبت الحرب . وبيتها غاص* بالأثاث الدقيق الصنع ، والستور الشرقية والتماثيل الصغيرة . وقد قالت لأحد زوارها وهى تريه سريراً جميلا يرجع إلى عهد الملك الفاجر لويس الرابع عشر : « أراهن على أنى المرأة العفيفة الوحيدة التى نامت فى هذا السرير » .

ومنذ عهد قريب خرجت هى وإحدى صديقاتها فى نزهة فرأت سيارات تقل جنوداً إلى الميدان ، فهشت لهم ولوحت بيدها ، فصاح الجنود جميعا يحيونها .

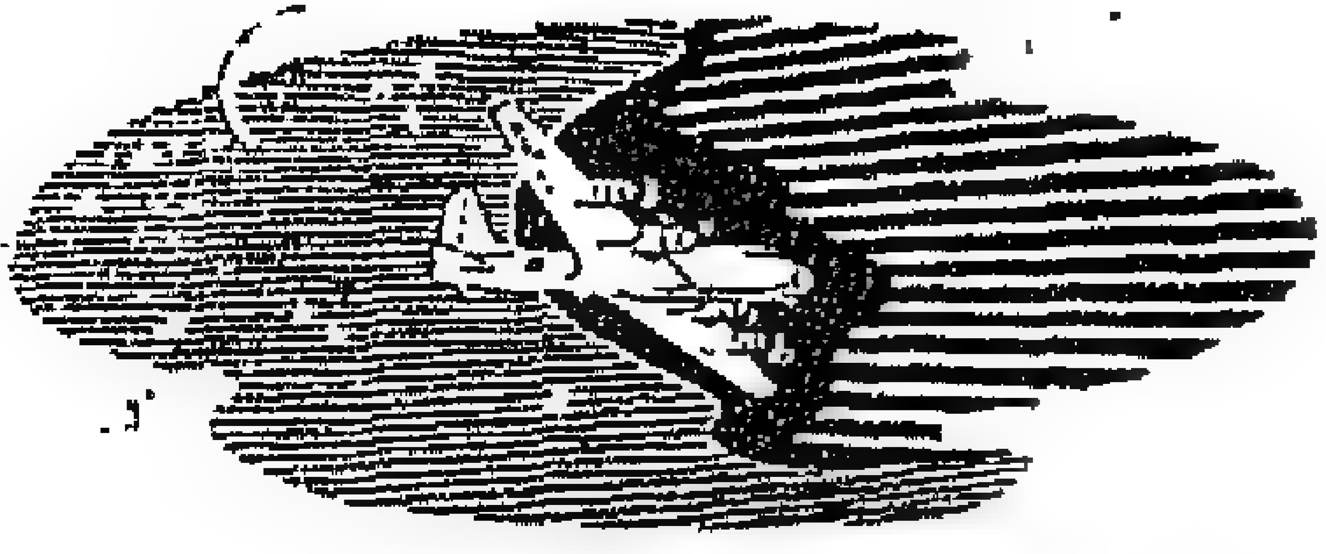
قالت لها صديقتها تنهرها : « أتعرفين هؤلاء الشبان يا دوروثى ؟ » .

فأجابتها أشهر أمريكية يفضى الناس إليها بأسرارهم : « أعرفهم ولا جَرَم » .

★ ★ ★ ★ ★ ★

ما من خطأٍ يُعجزك تلافيـــه ،
إلا عـــدُّك إياه خطأً لا يُتـــلافى .
[فيليس بوتوم فى كتابها « ثمرات غريبة »]

« مستحيل أن يتم »
ولكن سلاح الطيران الأمريكي أتمه



لـ الار مارشال السير وليم ولش
ملخصة عن مجلة " سكاى وايز "

تخصصوا فى « قهر المستحيل »

مافتىء سلاح الطيران الملكى البريطانى ، منذ سبتمبر ١٩٣٩ ، يستكشف رويداً رويداً أساليب الحرب فى الجو . وقد بدأ مهمته من لا شىء تقريباً ، ومنذ تلك الأيام الأولى الخيالية ، يوم كانت المنشورات تنثر من سماء الخريف ، إلى العهد الحديث عهد القذف الآلى ، كان لا مفرّ من أن نتعلم بأسلوب التجربة والخطأ . ولكننا لا نكاد نظنّ أننا تعلمنا شيئاً حتى يطالعنا وكر جديد . وقد حدث هذا حين جاءتنا القوات الجوية الأمريكية لتنضم إلينا .

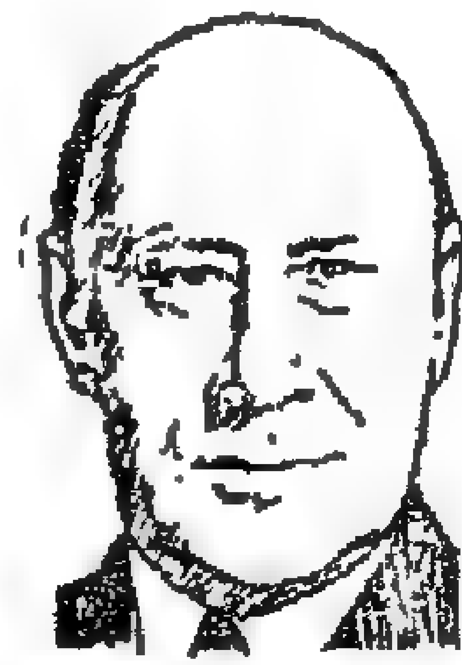
كان الطيارون الأمريكيون كراما حين قالوا إنهم قبسوا أشياء كثيرة من سلاح الطيران الملكى البريطانى فى القتال الجوى ، فأحببت أن أذكر بعض ما تعلمه سلاح الطيران البريطانى منهم .

خذ مسألة القذف فى النهار ، فقد جربه الألمان وباءوا بالخيبة ، وكذلك نحن جربناه مدة قصيرة . فقال الأمريكيون : « حسن ، أنتم تقذفون فى الليل ، ونحن نقذف فى النهار ، وكذلك نستطيع أن نجعل القذف مستمراً طول اليوم » .

وكانت خطتهم أن يغيروا مباشرة على المواقع الصناعية التى تمثل الحلقات الحيوية فى سلسلة الصناعة الحربية الألمانية . وتعاون الأمريكيون ورجال الاقتصاد وسلاح الطيران البريطانى ، فوضعوا كشفاً يحتوى على هذه الحلقات الحيوية ، مقدمين ومؤخرين فيها ، وفقاً لأسلوب بارع فى تقدير منزلتها فى الصناعة الحربية . فقد قالوا مثلا إن قذف الصناعة الألمانية لا يمكن أن يتم على وجه صالح ما دامت قوة ألمانيا الجوية قائمة على الدفاع عن الصناعة ، فجعلوا سلاح الطيران الألمانى فى رأس الكشف . وسلاح الطيران الألمانى يعجز عن العمل بغير هياكل الطائرات ، مهما تكن محركات الطائرات كثيرة ، فإذا استطاعوا أن يقضوا على المصانع التى تجمع فيها هياكل الطائرات القاتلة أسرع العجز فى قدرة سلاح الطيران الألمانى على الدفاع ، وتبقى الصناعة الألمانية كلها مكشوفة عرضة للغارات . وبدلا من أن يغيروا على محتشدات المركبات الحربية .

قدّروا أن إزالة مستودعات الوقود يبث الشلل فى كل قدرة ألمانيا على القتال ، فجعلوا الزيت الهدف الثانى . وهكذا .

وقد كانت هذه الخطة من الناحية النظرية خطة لا يرقى إليها النقد ، أما من حيث هى برنامج عملى ، فقد نظرنا إليها نحن ، رجالَ سلاح الطيران البريطانى ، نظرة أدنى إلى الرجاء منها إلى اليقين . وعلى جانبى المحيط الأطلسى سارع الناس الذين يساورهم الشك الصادق فى الشروع إلى تبيان وجوه استحالته . كيف تستطيع القاذفات أن تصل فى النهار إلى أهداف فى قلب ألمانيا مجتازة مناطق متوالية من مقاتلات العدو ؟ وكيف تستطيع ، حتى إذا وصلت ورأت الأهداف فى جو أوربا الغائم ، أن تسدّد إليها القنابل وتصيبها من ارتفاع ٢٥ ألف قدم ؟ وكيف ترجو أن تعود إلى قواعدها ، وقد جرّد



الإر مارشال ولش وهو أحد كبار قواد سلاح الطيران البريطانى ، لم يزل إلى عهد قريب يمثل بريطانيا الجوى فى هيئة أركان الحرب المشتركة فى وشنطن . وقد طار منذ ١٩١٤ فوق معظم أرجاء العالم ، وشارك فى أعمال قيادة المقاتلات البريطانية ، وكان عضواً فى مجلس الطيران ، واشترك مع الجنرال أيزنهاور فى إعداد خطط حملة إفريقية الشمالية وتنفيذها .

للهجوم عليها كل سرب من أسراب المقاتلات الألمانية ؟

ومع ذلك فقد فعلت . ولم ترتدّ القاذفات الأمريكية مرة واحدة عن غرضها بعمل العدو . وقد نجح الطيارون الأمريكيون فى أن يشقوا طريقهم قتالاً إلى الأهداف الحيوية ، وأن يصيبوها ، وأن يشقوا طريقهم قتالاً عائدين إلى قواعدهم .

فى هذا الهجوم الذى شنته القاذفات الأمريكية ، تغلب سلاح الطيران الأمريكى على المصاعب البادية التى كان الناس يكثرون من ذكرها ، وتغلب أيضاً على مصاعب كثيرة أخرى . فلما خف طيارو سلاح الطيران الألمانى ، متأثرين بذعر القيادة النازية العليا ، فتألبوا بكثرتهم على القلاع الطائرة وزادوا خسارتها زيادة كبيرة ، استطاع رجال سلاح الطيران الأمريكى أن يكونوا إلى هدم المشاكل أسرع من الألمان فى إقامتها . فقد ركبوا فى قاذفاتهم أبراجاً جديدة ، ومناظير قذف جديدة ، وأنشأوا تشكيلات جديدة للطائرات تحير الألمان . وقد قهروا المقاتلات الألمانية التى تقذف الصواريخ بتدبيرهم تدبيراً كان يعد مستحيلا — هو الطائرة المقاتلة بعيدة المدى ، التى أضافت مزية عظيمة إلى قوة الحلفاء الجوية ، مع أن المقاتلة البعيدة المدى

كانت تعد حتى ذلك الحين شيئاً فى تسميته وحسب تناقض أصيل .

ولقد مضى زمن حتى بدأت المصانع تخرج هذه الطائرات البعيدة المدى. وبينما كان الأمريكيون ينتظرونها ، أتموا « مستحيلا » آخر — أضافوا إلى بطون القاتلات قصيرة المدى خزانات وقود يمكن فصلها حين تفرغ ، فاستطاعت هذه القاتلات أن تحرس القاذفات نصف الطريق على الأقل فى ذهابها إلى أهدافها وفى إيابها .

ومسألة حماية القاذفات أثارت مشكلة أخرى عاتية . ذلك بأنه لم يكن بدّ من ابتكار أسلوب لحشد التشكيلات الجوية المعقدة ، ولم يكن فى وسعها أن تحشد تحت أطباق الغيم ، لأن السماء الأوربية المشهورة بغيمها ، تضيق عن مناورة أساطيل جوية قد يبلغ طولها أحياناً مئتى ميل ، وتتوافد طائراتها إلى منطقة واحدة من قواعدها المنثورة فى جنوب إنجلترا . أما الصعاب الفنية فى التحليق خلال الغيم إلى ملتقى يرتفع ٢٥ ألف قدم عن سطح الأرض ، فلا موقها إلا المشقة التى تلاقيها حين تخرج من ضباب لندن الكثيف ، باحثاً عن شارع لا تعرفه فى خريطة ليست بين يديك .

ويقول الأمريكيون إن بعض الفضل فى تذليل هذه العقبة يرجع إلى مخترعات رادار البريطانية ، ولكن دوائر سلاح الطيران البريطانى لا يساورها شك فيمن يرجع إليه الجانب الأعظم من هذا الفضل .

وحين تنظر اليوم إلى سلاح الطيران الأمريكى الوافر العدة ، والذى يشبه آلة تسير سيراً منتظماً وتقوم بنصيبها فى تدمير أحشاء ألمانيا ، فلن يغيب عن نظرك ما بذلته الجماعة الأولى من رجال القاذفات الأمريكية من دم وعرق ودموع . فقد قضى هؤلاء الرجال ثمانية عشر شهراً قاسياً ، يخيّب أملهم فقرهم إلى الطائرات والرجال المدربين والمعدات . كان لابد لهم من ألف قاذفة ضخمة على الأقل لكل غارة ، ولكن قاذفاتهم كانت تحوّل دائماً إلى ميادين أخرى . وقد ظل رجال الطائرات يطيرون حتى يبلغ منهم الإعياء . وكنت تراهم بعد هجوم طويل المدى منهوكين لا يكادون يقوون على التسلل إلى أحشاء قاذفاتهم لمواجهة اثنتى عشرة ساعة أخرى من القتال على ارتفاع خمسة أميال . ولكنهم فعلوا ، وبذّوا طيارى القاتلات الألمانية فى القتال والصبر . وقد بلغ خلق أولئك الرجال ، فى تلك الشهور المثبّطة ، مبلغاً من القوة دفع لورد ترنشارد مارشال سلاح الطيران الملكى البريطانى أن يقول :

« لقد دمروا مئات من المصانع الحيوية ، ولقد تغلغلوا بعيداً فوق ألمانيا ، ولقد

خاضوا غمار معارك عظيمة يوما بعد يوم على طول طريقهم إلى أهـدافهم ، وفوق الأهداف ، ثم فى عودتهم منها ، مدمرين من طائرات الأعداء أكثر مما فقدوه هم من طائراتهم . ولم يكن فى وسع أحد رأى الصور المصورة من الجو أن يرتاب فى أن القذف فى النهار يؤثر تأثيراً مدمراً فى معامل حيوية ، ولو قد ضوعفت هذه القوة لما عجزت عن شىء » .

ولم تنقض ستة أشهر حتى شهد العالم كله ماذا تستطيع أن تفعل . فى فبراير ١٩٤٤ دبر سلاح الطيران الأمريكى وحاز النصر فى معركة ستنزل منزلتها من التاريخ . كان المستقبل كالح الوجه ، وكانت حالة الجو على أسوإها . وكانت الحرب الجوية تتخلف يوما بعد يوم عن البرنامج الموضوع لها ، وكان تاريخ الغزو قد عين ولا رجعة فيه ، وهو يدنو بسرعة ، وكان إنتاج الطائرات فى ألمانيا آخذا فى الازدياد . ثم جاء الحادث الذى هز النفوس هزا . فما هو إلا أن توالت ستة أيام فى أسبوع واحد صحا فيها الجو وصلح لغارات القذف — وهو أمر نادر فى الشتاء — وكان ثمة قوة لم يسبق لها مثيل مؤلفـة من ثلاثة آلاف قاذفة حشدت فى إنجلترا وإيطاليا لتمهد الطريق ليوم الغزو . فبعد أشهر اليأس ، ألفى سـلاح الطيران الأمريكى أن بين يديه الطائرات ، والخطط ، والجو المواتى . هى الفرصة ، ولم يكن بها حاجة أن تقرع بابه مرتين .

فانطلق الجنرال سباتز بكل ما فى يديه من قاذفات ومقاتلات وطائرات احتياطية . واغتنمت قيادة القاذفات البريطانية فرصة الجو المواتى فوجهت فى الوقت نفسه غارات ساحقة فى الليل إلى مراكز الإنتاج الألمانى « فسمعت ألمانيا — كما قال فرجيـل فى سنة ٣٠ ق . م . — قعقعة السلاح فى جميع أطباق الفضاء ، ورجت جبالَ الألب زلازلُ غير مألوفة ، وانقضت الصواعق من السماء الصافية انقضاضاً لم يعرف له مثيل ، وجلجل الرعد جلجلة لم تعهد من قبل » .

فلما انقلبت الحالة الجوية بعـد ستة أيام هائلة ، كان ظهر القوة الجوية الألمانية قد قصم . فحطمت مجموعات مصانع التجميع التى بذلت العناية فى تفريقها من البحر الشمالى إلى النمسا ، ومزقت أوصال خيرة الطائرات الألمانية ، فى الجو أو على الأرض أو حيثما وجـدت . وكانت طائفة منها قد أغريت بالخروج من مخابئها بأن شن الأمريكيون غارة كبيرة فى النهار على برلين . وقد ركب متن الهواء فوق برلين فى ذلك النهار أمريكيون تحركهم ذكريات مريرة

لإخوان لهم أسقطوا فى غارات شنت سنة ١٩٤٣ كانت فيها الطائرات الأمريكية مرجوحة العدد . كان لهم ثأر يريدون أن يدركوه فأدركوه . فكان معدل ما أسقط من الطائرات الألمانية من الفضاء مئة طائرة فى اليوم ، فبلغ مجموع ما أسقط منها ٦٤٢ طائرة فى الأيام الستة .

وقد بلغ من شدة الضربة التى أصيبت بها قوة ألمانيا الجوية ، أن تمكنت الأساطيل من سفن الحلفاء بعد أربعة أشهر أن تنزل الرجال والعتاد على سواحل نورمندى فى يوم الغزو ، دون مقاومة جوية تقريبا من قبل الألمان . ولولا هذا التمهيد الجوى « لكان الغزو متعذراً » ، كما قال الجنرال أيزنهاور .

وما نجم عن ذلك من إنقاذ أرواح الجنود من الحلفاء ، هو فى نظرى أعظم ما أسدته القوة الجوية إلى هذه الحرب . وحسن أن نقول : « سننال النصر مهما كان الثمن » — ولكن ماذا نقول فى الثمن الفاجع الذى ندفعه رجالا يقتلون أو يشوهون أو يفقدون . فى الحرب العالمية الأولى كلفتنا معارك السوم وباشنديل وحدها مليونا من الرجال فى بضعة أسابيع ، ولم تسفر إلا عن بضع مئات الأمتار من أرض موحلة ربحناها أو خسرناها . أما فى هذه الحرب فإن مجموع إصابات الحلفاء فى غرب أوربا ، لم تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ بين يوم الغزو والاستيلاء على آخن — وهى خسارة تثير الأسى ، ولكنها أقل كثيراً مما كان ينتظر بالقياس إلى وفرة المعدات الفتاكة التى اخترعت منذ الحرب الماضية . وإنى لموقن أن العامل الجديد الذى خفض إصاباتنا إنما هو القوة الجوية .

وقد كانت الحرب الجوية كلها عملا هائلا وجهداً طويلا ، ولمّا ينته . وإنه ليروعنى أن أذكرها فلا أذكر نصيب سلاح الطيران الأمريكي . ونحن فى سلاح الطيران البريطانى الملكى نقدر حقاً هذه المؤازرة التى ولدت فى أيام المحنة ، والتى أخذت تبلغ أشُدّها فى أيام الظفر بحمد الله .



الإرشاد العالى

قدمت جريدة ستتيسكوب — وهى صحيفة تنشر فى مستشفى الأسطول فى مدينة سياتل — جائزة لمن يستطيع من نزلاء المستشفى أن يتبين ساقى « بتى جرايبل » بين سيقان نساء كثيرات فى مجموعة من الصور .

[مجلة تايم]

نظفر بالجائزة « القسيس ! » .

والدتى ينتثر عقدها

ماريون سترجس - جونز

ملخصة عن مجلة " جود هاوسكيبنج "

في وقت من الأوقات التي مرت بنا ، وليس فى يدنا شىء من المال ، وذلك بعد وفاة أبى ، رضيت والدتى أن تكون وصيفة لسيدة عجوز من فلادلفيا . وكانت والدتى تجيد القراءة جهراً . وقد وفقت توفيقا عظيما فى صحبة مسز إفنجهام الثرية المصابة بالروماتزم .

وكان هذا الداء يحمل السيدة إفنجهام بين الحين والحين على السفر لكى تعالج نفسها عند طبيب فى نيويورك . ولم تكن والدتى قد ذهبت إلى نيويورك منذ سنوات ، فلما أخبرتها مسز إفنجهام بأنها ستصحبها ، وأنهما ستقيمان أسبوعاً فى فندق البلازا ، فرحت والدتى فرحا طاغياً .

ولم تكد تقص علىّ بعض هذا النبأ حتى علت وجهها سحابة من الغم ، وقالت وهى تلهث : « لم أفكر فى ثيابى ! ويحى ، ماذا أرتدى ؟ نعم عندى لآلئى » . ثم أردفت تقول بعد تأمل : « لو ارتديت معها ثوباً أسود لكفى » .

كنت قد أهديت إلى والدتى عقداً من اللآلىء فى عيد الميلاد الماضى ، وكان عقداً « نفيسا » قيمته ثلاثة ريالات و ٩٨ سنتاً .

ولم تزل والدتى تحدثنى من يومئذ عن شراء الثوب الأسود الملائم له ، ولذلك ذهبنا من فورنا إلى محل مستر سولومون . ومن حسن الحظ أنه صنع ثوباً أسود لاح كأنه مصنوع خاصة لعقد من اللآلىء « النفيسة » . وكان اجتماع الثوب واللآلىء مثلا فى الأناقة يذكرك بفندق البلازا فى موعد تناول الشاى .

وبعد عودة والدتى سالمة إلى فلادلفيا علمت ما جرّته عليها هذه اللآلىء ، فقد انفرط العقد وتناثرت حباته فى بهو فندق البلازا فى عودتها ذات مساء هى ومسز إفنجهام من العشاء .

فصاحت والدتى : « لآلئى ! يا ويحى ! » وندّت عنها صرخة خافتة ، ومرت لحظة من الاضطراب ، ثم تقدم لنجدتها ضابط شهم من البحرية وجعل يجمع اللآلىء . ثم ظهر رئيس الخدم ، ونحى الضابط بحزم جانبا قائلا له : « لا تؤاخذنى ياسيدى ، فسأتعهدها أنا حتى يحضر رئيس المخبرين . وأرجو أن يبتعد كل شخص ، ولنقف جميعاً حول السيدة حتى نستوثق من أنه لم تضع منه حبة واحدة » .

فقالت والدتى : « آه ، أشكرك » وقد ارتاحت نفسها لشدة حفاوة الفندق بمساعدتها . وظلت تدور معربة عن شكرها وتقديرها إلى أن عثر على آخر حبة .

ثم سألها رئيس المخبرين : « هل تسمحين بأن أختمها فى ظرف ، وأن أضعها فى خزانة الفندق إلى أن تعيدى نظمها » .

فقالت والدتى : « أظنها فكرة رائعة ! » وانتظرت فى سرور أمام المكتب لتتسلم الوصل.

وفى اليوم التالى خرجت والدتى تسير فى « فيفث آفنيو » ، ثم وقفت تنظر إلى حلى أنيقة معروضة فى دكان جوهرى . فبدا لها فجأة كأن القدر ساقها إلى « ماتبتغى » حيث تعيد نظم لآلئها .

فدخلت ، وحياها رجل لطيف طويل القامة فى ثياب السهرة وسألته والدتى : « أيمكنكم أن تنظموا لآلئى فى يوم أو يومين ؟ إننى من فلادلفيا، وأود أن يتم ذلك على الفور إن أمكن » .

كان الرجل رقيقاً كل الرقة وقال : « سأرى ، وهل هى معك ياسيدتى » ؟

فقالت والدتى : « كلا لقد تركتها فى خزانة فندق البلازا » .

ورفع الرجل سماعة تلفون ذهبية ، وبدأ يتحدث حديثاً مهذبا مع فرع من فروع المتجر . ثم قال لوالدتى : « سيذهب مستر دى ويت مندوبا من قبلنا إلى البلازا بعد الظهر ليجىء بها ، هذا إذا لم تكن السيدة مرتبطة بموعد آخر . فلو سمحت السيدة أن تعود إلينا هى ومستر دى ويت واللآلىء ليتسنى لها أن تشهد بنفسها إعادة نظمها » .

وقد أدرك والدتى شىء من الذهول لهذه الحفاوة ، ولشدة ما يبديه كل امرئ من العناية بلآلئها ! فقالت والدتى شاكرة : « إننى أحب أن أشهد بنفسى نظم لآلئى ، فهى أعز ما أملك » .

فقال الرجل الطويل : « بلا ريب ، وهل تناسبك الساعة الثالثة ؟ » .

وحملت والدتى اللآلىء وهى لا تزال مختومة فى ظرفها ، وقد وضعتها فى حقيبتها حين حضر مستر دى ويت إلى البلازا . كان رجلا وسيما يبدو كأنه أحد أعضاء مجلس الشيوخ ، وقد شعرت والدتى أن العيون سترمقها حسداً وهى تسير معه فى بهو الفندق ، ثم تملكها الفرح أيضاً وهى تعود إلى محل الجواهر فى السيارة الخاصة التى أعدت لها .

ولما بلغا محل الجوهرى سار بها مستر دى ويت بين قطع الماس والياقوت ، وبين الفضة الصافية وتحف البلور الرائعة ، إلى غرفة مؤثثة بأفخر الرياش تقع فى أقصى الممر . وهناك جلست والدتى إلى منضدة

ثم وضعت قطعة من المخمل الأسود الثقيل أمامها .

قال مستر دى ويت : « سيتولى مستر دوبريه نظم اللآلىء وسيحضر بعد لحظة » ، ثم أقبل مستر دوبريه مسرعا ، وهو فرنسى ضئيل البدن ضامر الوجه أنيق الشاربين ، ثم جلس ووضع على المائدة وعاء فيه بعض الآلات ، وسوى قطعة المخمل بيده ثم مدها إلى ظرف البلازا . والتقت عليه العيون وهو يفتحه بأنامل نحيلة حذرة ، وترك اللآلىء تتدحرج منه . وكان على وشك أن يضع على عينيه نظارة ، حين جمد فى مكانه فجأة ، ثم ارتعشت يداه . وتردد ، ثم أسرع فثبت النظارة فى أذنيه ، ثم ألقى نظرة فاحصة ثابتة إلى اللآلىء ، ثم تنفس فجأة وأرسل صوتا حادا كالصفير ثم صاح : « لقد سرقت السيدة ! يجب أن يستدعى البوليس ! هذه ليست لآلىء ! » .

فغضت والدتى بصرها ثم قالت : « أنا على ثقة من أنى لم أسرق . لقد كان كل شخص فى البلازا رقيقا فى معاملتى ، ولا أستطيع أن أظن بهم شيئا من هذا » ، ثم انحنت وحملقت فى حبات العقد ، ثم زفرت زفرة المرتاح وقالت : « هذه هى لآلئى بلا ريب ، فأنا أعرف المشبك تمام المعرفة . انظر هذه زهرة الزنبق مصنوعة من الذهب والماس . وليس هو بماس حقيقى بالطبع ولكنه مشبك جميل ، أليس كذلك ؟ » .

والتفتت والدتى إلى مستر دوبريه ، ثم حولت بصرها إلى مستر دى ويت . وكان دى ويت قد احمر وجهه حتى كاد يصعق ، على حين شحب لون الفرنسى القصير وظل قابضا بيديه على ذراع مقعده . وقد فغر فمه ، ولكنه لم ينبس بكلمة .

فتساءلت والدتى فى وجل : « أفى الأمر شىء ؟ » .

وكان دى ويت أول من استرد قدرته على الكلام وقال : « سيدتى أنت جالسة فى الغرفة الخاصة لأكبر جوهرى فى العالم . وأنت الآن تجلسين على نفس المقعد الذى جلس عليه أغا خان يوم نقشت له الرسوم على بعض قطع الزمرد التى لا تقدر بثمن . وقد حمل ولى عهد بريطانيا بعض جواهر أسرته إلى هذه الغرفة نفسها يلتمس إعادة صياغتها . وعلى رغم هذا كله لم نترفع عن إعادة نظم لآلىء أى أمريكى ، ولكننا ياسيدتى لا ننظم بأيدينا حبات عقد قيمتها ٩٨ سنتا » .

فقامت والدتى شامخة الرأس وقالت ببرود : « أظن أن هذا وقاحة ، ليس ثمن هذه اللآلىء ٩٨ سنتا بكل تأكيد . لقد أهدتها إلىّ ابنتى فى عيد الميلاد ولم أسألها عن

عنها — إنه أمر لا تستطيع أن تدركه — ولكننى أعلم أنها لآلىء نفيسة، وإن لم تكن لآلىء حقيقية . فإن كنت تأبى نظمها ، فلك أن ترفض ما شئت ، ولكنه ينبغى أن أقول لك إن مسلكك كان بعيداً كل البعد عن الكياسة والذوق » .

فلما أتمت والدتى حديثها جمع مستر دى ويت شتات نفسه ونهض على قدميه . ثم قال ، وهو يبدو مرة أخرى كأنه أحد أعضاء مجلس الشيوخ : « إن السيدة على حق فيما قالت ، إن الخطأ خطؤنا ، وإننى لأعتذر عما فرط منى — لقد كان ذلك هو ما عهدته ثلاثين عاما قضيتها فى هذا المحل — ولكن دعينا من هذا . الخطأ خطؤنا ، يادوبريه ، نظم لآلىء السيدة فوراً » .

فقالت والدتى : « أشكرك » وقد ابتسمت ثانية .

ثم أردف مستر دى ويت : « ولن تدفعى شيئاً ! » وكان تعبيره يدل على الألم ولكنه ألم احتمله بنبل ومروءة .



اللطف يجزى صاحبه

كنا نتعشى فى مطعم أنيق من مطاعم نيويورك ، فلاحظت أن عيون رئيس الخدم والخدم وصبيانهم جميعاً ، تحتفى بفتاة جميلة تتعشى مع ضابط . وحين خرجنا سألت رئيس الخدم ما سبب هذه العناية بخدمتها خدمة خاصة فقال : « إنها أفضل سيدة عرفتها » ، ثم روى الرواية التالية :

« منذ أسابيع كانت هذه الفتاة تخطف عشاء معجلا قبيل ذهابها إلى الأوبرا، وكان أحد الخدم يحمل طبقاً كبيراً حافلا بأصناف الطعام يدنو من مائدتها، فنهض أحد الضيوف على حين فجأة لكى يحيى سيدة ، فانقلب الطبق واندلق الحساء والصلصة والمحار على ثوب الفتاة الأبيض الذى ارتدته للسهرة . فهرول موظفو المطعم ليمسحوا ثوبها ، وغض زوار المطعم طرفهم عنها ، ولكن صوت الفتاة الصافى الساكن الفكه رن فى المطعم فسمعه كل من فيه .

« قالت للخادم المحنق : « كان ثوباً قبيحاً، وكانت طياته تتجمع لأن الخياطة لم تحسن قصه ، وقد كنت أمقته . إن بيتى قريب ، فاحتفظوا بطعامى ساخناً ، وسأعود فى الحال » .

« ثم ، أتعلم ياسيدى ما فعلت حين عادت فى ثوبها الجديد وهى أجمل وأنضر ما تكون ؟ إنها ذهبت إلى مدير المطعم وقالت له : إن عاقبتم الخادم ، فإنى سأمتنع عن المجىء إلى هذا المطعم وسيمتنع أصدقائى كذلك » .

[هنرى ف . برنجل]

الراية تخفق مرة أخرى على الفلبين

ملخصة عن مجلة "كولييرز"



رويال آرش جنيسون

قدر لى أن أعود بحيث ترى عيناى أول راية أمريكية تعود إلى الخفقان فوق الفلبين . وكان الجنود الذين وضعوا أقدامهم على « الشاطىء الأحمر » بجزيرة ليتى قبل ساعة الغزو بثلاثين ثانية، قد صمموا على أن يرفعوا الراية بأسرع ما تقتضيه سلامة الجندى الذى كان عليه أن يتسلق النخلة . على أن السبب الخاص الذى دفعنى إلى الحرص على أن أشهده ، يرجع إلى يوم مكفهر رطب من أيام شهر يناير سنة ١٩٤٢ حين كنت أسيراً فى قبضة اليابانيين بمانيلا ، وقد رأيتهم ينزلون الراية الأمريكية عن سارية أمام مكتب المندوب السامى ويطأونها بأقدامهم .

ورفع اليابانيون يومئذ مكانها راية الشمس المشرقة فى احتفال أطلقت فيه المدافع ، أما اليوم فقد كان انطلاق مدافعنا فى حفلتنا على « الشاطىء الأحمر » انطلاق قتال لا انطلاق احتفال ، وكأنى بجهنم قد فغرت فاها .

ونهض شاويش من جحره وكان لابساً ثياباً رُقّطاً خصصت لقتال الغابات وهو يصيح : « ألا يعلم هؤلاء الملاعين أن هذه الجزائر لنا ؟ هلموا نطردهم منها ! »

وبينما أنا أهم بالمسير مع الجنود سمعت أحدهم يقول : « لقد حان وقت رفع الراية ! »

والتفت فرأيت جنديا أشعث أغبر يحمل راية أمريكية صغيرة ، ويجيل الطرف بين جذوع النخل ليختار منها جذعاً يصلح سارية .

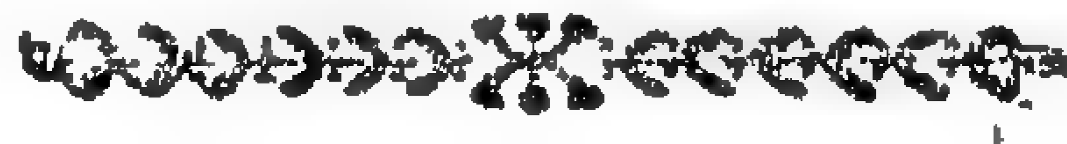
وأخذت جماعات من الجنود تنزل من القوارب إلى الشاطىء فتنبطح عليه ، ثم تتكىء على مرافقها لتشاهد الراية حين ترفع . وكانت جثث القتلى من الأمريكيين واليابانيين ممددة عند جذوع النخل المقتلع ، وعلى بعد عشرين قدماً جندى جريح أومأ إلى أحد رجال المستشفيات أن يفسح له قليلا حتى يشاهد ما يجرى .

وإذا جندى فى العشرين من عمره هو أوستن هولدر ، قد عدا عدواً سريعاً ثم وثب وثبة فإذا هو على خطوات من قمة نخلة عارية قد اختارها . وكان يلبس حذاءً ذا خطاطيف كحذاء عمال التليفون الذين يتسلقون الأعمدة . وكانت الراية مثبتة

إلى خصره. وكنا إذ ذاك نسمع القذائف تصدم أرومة الشجرة، ولكن حامل الراية لم يتوقف، وما كاد يصل إلى منتصف الطريق حتى مد يده إلى خصره ونشر الراية. فصاح الجنود المحمولون على النقالات والموجودون فى الحفر وعلى الشاطىء بصوت واحد: «إلى أعلى! إلى أعلى! زدها ارتفاعاً»، ففعل.

وكانت خوذة الجندى قد مالت فغطت إحدى عينيه، ومع ذلك ربط الراية من أعلى ومن أسفل بكل عناية. ولما كان الهواء ساكنا عندئذ فقد مد أوستن هولدر ذراعه وأمسك بطرف الراية ونشرها فى الجو. هذه هى راية الولايات المتحدة — بنجومها الثمانية والأربعين، وبخطوطها الأربعة عشر — قد رفعت مرة أخرى فوق أرض الفلبين!

وهتف الجنود مرة أخرى ملء حناجرهم عندما انحدر هولدر نازلا من على النخلة. وهذا كل ما كان. واستمرت الحرب.



اللمسة الرقيقة

بعد أن انفض الاجتماع فى دار المجلس البلدى بإحدى مدن أمريكا الوسطى، رأت سيدة الكاتب ألكسندر ولكوت واقفاً وحده فى الردهة، فاندفعت نحوه لتعرب له عن اغتباطها بمحاضرته. ثم قالت، وهى جدة فى السبعين: «وقد شجعنى أن أتقدم إليك فأحادثك أنك قلت إنك تحب العجائز».

فقال ولكوت «أحبهن، ولكننى أحبهن أيضاً وهن فى مثل عمرك».

[فانى كامبل]

فوق الحياة إلى النفس الأخير

أحببت إرفن كوب الكاتب الأمريكى الفكاهى حباً جماً، ولكن حبى له أوفى على الغاية بعد ساعة قضيتها معه قبل وفاته ببضعة أيام. وقد بلغ من ضحكه وفكاهته حينئذ، أن حكمت بأنه لا يدرى أن النهاية قريبة. وحين فارقته قلت «سأراك ثانية».

فقال إرفن: «لن ترانى فى هذا العالم». ولاحظ دهشتى، فأضاف: «إنك تظن أننى لا أراعى خطورة الساعة. إن الحياة حفلة يابنى. فكلما استغرقت فى المتعة بها، تزداد متعة الضيوف الآخرين، وكانت الحفلة أدنى إلى النجاح. وإنى لأرى الضيف الذى يبرحها مكتئباً هو ضيف كفور». [تشانج بولوك فى مجلة «كورونت»]

جوارب النيلون المهربة

[احذرى أيتها السيدة كل من يعرض عليك جوارب يدعى أنها من «النيلون» واعلمى أن هذه الجوارب لا وجود لها الآن .]

ملخصة عن مجلة " نيوز ويك "
مع إضافات بقلم كاتب المقالة
فرانك بروك

يستطيع الرجل أن يدرك تأثير جوارب « النيلون » الساحر فى نفس المرأة وعقلها وقلبها ، ولكن هنالك طائفة من الرجال يستغلون ضعفها هذا .

وفى طليعة هؤلاء ، العم سام . فالمشترى الوحيد لجوارب « النيلون » فى العالم كله هو حكومة الولايات المتحدة . وليس صحيحاً أن هذه الجوارب ترسل إلى أيسلندة بمقتضى قانون الإعارة والتأجير ، كما روى فى قصة سخيفة ترددت فى أرجاء الكونجرس . إن هذه الجوارب تسلك طريقاً أكثر التواء وتعرجاً من طريق أيسلندة .

لقد ثبت للجواسيس الأمريكيين فيما وراء البحار أن القليل من جوارب النيلون أقدر من المال على الظفر بالأنباء من بعض النساء الواقفات على الأسرار فى أوربا وشمال إفريقية . نعم ، فماذا تستطيع النساء أن تشترى بالمال من حوانيت العالم القديم الخاوية الخالية ؟ ولذلك تلقت عدة مصانع أمريكية أوامر من الحكومة فى وشنطن بصنع مقادير كبيرة من جوارب النيلون ، وكانت قد وقفت عن صنعها بعد حادث « بيرل هاربور » . وقد قيل لتلك المصانع يومئذ أنه سيتقدم لها الغزل اللازم ، فسرّها ما فوجئت به وصنعت السلعة المطلوبة ، وهى جوارب النيلون الوحيدة التى أباح القانون صنعها منذ سنوات .

ومع ذلك فإن كثيرات من الأمريكيات يطلبن جوارب النيلون بأى ثمن كان ، مستهزئات بسلطة القانون ، غير حافلات بحاجة الجنود الأمريكيين إلى أشياء أخرى تصنع من النيلون ، وكذلك راجت السوق السوداء . ومما يعزّى بعض العزاء أن عمال السوق السوداء يسلخونهن بلا شفقة .

وقد سرق اللصوص مرة من محطة سيارات نقل فى جرينز بورو ، بولاية نورث كارولينا ، ثلاثة عشر صندوقا من النيلون الخام كانت فى الطريق بين مصانع دوپونت فى مارتنسفيل ، بولاية فرجينيا ، وأحد مصانع المظلات الواقية فى ونستن سالم ، فى الولاية نفسها ، ولقد صدّق رجلان من أصحاب المصانع ما روى لهما من

أن هـذا النيلون مستنقذ من حريق فى أحد المخازن ، فصنعوا منه جوارب . وقد استفادوا منها غاية الاستفادة بأن صنعوا أخامصها وأعاليها من خيوط القطن ، وباعوا كل زوج منها بخمسة ريالات للمهربين . فباع هؤلاء كل زوج بعشرة ريالات للرجال والنساء الذين سحرتهم كلمة « نيلون » ... وكان ثمن خيوط النيلون المسروقة ٧٨٠٠ ريال ، صنعت منها جوارب ثمنها مئة وأربعون ألف ريال ! .

وألقى رجال الحكومة الأمريكية القبض على ثلاثة كان أحدهم موظفاً سابقاً فى إحدى شركات سيارات النقل ، فحكم عليه بالسجن سنتين وبدفع خمسة آلاف ريال غرامة . أما الآخران فكانا من عمال مصنع الجوارب ، وقد حكم على كل منهما بدفع اثنى عشر ألف ريال غرامة ، وبالسجن ١٨ شهراً مع وقف التنفيذ . وصادر رجال الحكومة خمسة آلاف زوج من الجوارب قبل أن يتيسر بيعها ، وبيعت بأمر المحكمة بالسعر الذى فرضته الحكومة ، أى بريال وثلثى ريال للزوج الواحد . وحددت الساعة العاشرة من صباح أحد الأيام لإتمام البيع ، فهجمت النساء على المكان منذ الساعة الخامسة صباحاً ، ووقفن أربعة صفوف طويلة إلا أن نصفهن عدن كاسفات البال .

وهنالك حادثة أغرب مما تقدم من حوادث النيلون والسوق السوداء ، ذلك أن أحد مصانع نسج الحرير بولاية بنسلفانيا تعهد بأن يغزل النيلون الخام حبالا لاستعمالها فى قذائف الساقطات (الطائرات الشراعية) ، إلا أن مقادير من النيلون التى قدمتها الحكومة لهذا الغرض سرقت سرقة منظمة ، وزعم أصحاب المصنع أنها « تالفة » . ثم وزعت على ثلاثة مصانع كان أصحابها متواطئين على السرقة . وفى ذات يوم كبس رجال المباحث تلك المصانع ، فوجدوا فى مخزن أحدها ١٠٫٣٢٠ زوجا من جوارب النيلون ، ووجدوا فى آخر ٦٥٠٠ زوج لم يتم صنعها ، ووجدوا فى ثالث خيوطا من النيلون تكفى لصنع ٣٦ ألف زوج من الجوارب . وكذلك حكم على أربعة رجال بالسجن .

ومعظم الذين يزاولون شراء النيلون فى السوق السوداء يصابون بمصيبتين — فهم يتكبدون أثمانا باهظة ، ثم تقدم لهم بضاعة ليست من النيلون فى شىء . وكثيراً ما انخدع التجار المتنقلون بل المحترفون من الذين يشترون البضائع للمخازن ، فاشتروا مقادير كبيرة من « النيلون المكسيكى » فخدعوا . وكثيراً ما تطلق عليها أسماء مضللة كـ « الكربونيل » مثلا . وقد تولى الاتحاد

الأهلى لصناعة الجوارب مرة بفحص مقادير من الجوارب المصنوعة من الكربونيل وتحليلها فى المعمل ، فظهر أنها ليست إلا حريراً صناعيا يمكن شراء الزوج من أى حانوت بريال واحد وربع ريال .

ومما يدل على المدى الذى يذهب إليه المحتالون ، كثرة المتاعب التى يعانيها أصحاب شركة « فان رالت » التى تصنع جوارب النيلون، فإنها تتلقى كل يوم سيلا من الشكاوى ممن يشترون الجوارب على أنها من النيلون وعليها اسم « فان رالت » ورقم النيلون (ماركته) . وقد صنع مقدم القدم فيها على طريقة « فان رالت » المسجلة مبالغة فى الإقناع . وقد اشترى ضحايا ذلك الغش تلك الجوارب المزيفة من مكسيكو ستى ، عاصمة المكسيك ، أو من طائفة المهربين فى الولايات المتحدة ، ولكن من الواضح أن الجوارب المزيفة صنعت فى المكسيك .

أما المقادير الكبيرة من النيلون الصحيح التى تتلف وتتجمع فى الإنتاج الحربى ، فإنها ترسل إلى مصانع الملابس التحتية والحزم والمناطق ، ولا ترسل إلى مصانع الجوارب أبداً . ويجدر بكل تاجر تجزئة أن يدرك أن جوارب النيلون غير موجودة على الإطلاق . ومع ذلك فإن رجلا يدعى جورج تونى كتب إلى أصحاب ألف مخزن من مكتب بريد فى وشنطن العاصمة ، وعرض عليهم جوارب نيلون بسعر $7 \frac{1}{2}$ ريال لكل ١٢ زوجاً فانهالت عليه بعودة البريد طلبات دفع بعضها نقداً بلغ ألفى ريال . وليس هذا المقدار من المال ظناً ، فإن رجال البريد فتحوا رسائله وعرفوا المبالغ التى تلقاها .

ليس فى الحيل التى يلجأ إليها المهربون ما يدل على شئ من الابتداع . فهذا رجل يسوق مركبة يستوقف امرأة فى الطريق ويسر إليها أن فى مركبتـه بعض جوارب النيلون وضعت خطأ ، ويعرضها عليها بسعر خمسة ريالات أو عشرة ريالات للزوج الواحد . أو هذا دلال يحمل رزمة فيدخل عيادة طبيب بحجة أنه يطلب تعيين ميعاد للزيارة ، وفى أثناء حديثه مع الزائرين يقول غير آبه : إن الرزمة التى يحملها هى جوارب نيلون ، وأنه يأسف لأن مقياس تلك الجوارب لا يوافق مقياس زوجته ، فهل يريدها أحد منهم ؟ مثل هـذا الرجل هو نموذج مهربى جوارب النيلون المحتالين الذين يغشون مكاتب التجار فى المدن الكبرى .

ولعل منتهى السذاجة أن تجد بعضهم يشترى مواد مركبة يقال له إنها إذا أذيبت فى الماء حولت جوارب الحرير الصناعى إلى جوارب نيلون . وقد قال أحد أصحاب مصانع الجوارب : « إذا كان أحد علماء الكيمياء

قد وفق إلى اكتشاف مركب كهذا، فإني مستعد لشراء اكتشافه بخمسة ملايين ريال ولاحاجة به إلى بيع ذلك المركب بالتجزئة »

ولا شك فى أنه ستظهر بعد الحرب جوارب من النيلون، أجمل وأرق وأمتن من جوارب النيلون التى قد عرفت حتى الآن. وقد وضعت رسوم الآلات التى ستصنعها وأعدت. أما اليوم فإن جيش الولايات المتحدة وأسطولها يحتاجان إلى كل رطل من النيلون إلى أن تضع الحرب أوزارها، ولن يتيسر لأحد شيء من هذه المادة لصناعة الجوارب إلا ما كان مسروقاً. ولن تتاح سرقة شيء يفي بأية حاجة. فصبراً أيتها السيدة — ولا تجدعى.



السم الوافد من أوربا

فرنسيس روفوس بلامى ** ملخصة عن مجلة « ذى أميريكان ميركيورى »

رجل يتلفع بستار الدبلوماسية الختالة ويكيد كيده، هو فرتز مندل أحد الدهاة الأشرار فى الشق الغربى من الأرض. وقد كان من صانعى الذخائر فى النمسا، وهو الآن علم بارز فى البرنامج الجديد للتسلح فى الأرجنتين، وهو الخطر الأول الذى يهدد سلام القارتين الأمريكيتين، إنه سم وافد من أوربا.

وتناقض أقوال مندل غاية فى العجب، فهو أحياناً يؤكد أنه صديق الحلفاء، فلما وقعت محنة دنكرك جعل يفتخر بعلاقاته بالنازيين، وهو يسمى نفسه طريد الجستابو، ولكن بونيس إيرس كلها رأته قد استدعى موظفاً نازيا من ألمانيا ليساعده فى إنشاء مصنع للذخائر فى الأرجنتين.

وقد ولد مندل فى بيت ثراء سنة ١٩٠٠، وقبل أن يبلغ الثلاثين ولاه والده إدارة مصنع الذخائر الذى تملكه الأسرة، وهو مصنع هرتنبرجر العظيم. ولقد ربح من الحروب أرباحاً عظيمة، ففى الحرب الإسبانية الأهلية كان فرانكو مديناً له. وقد منحه الدوتشى وساماً لما أسداه إلى إيطاليا فى الحرب الحبشية، وكان صافى أرباحه من الأسلحة أكثر من ستين مليون ريال.

هذا المقال مستمد من مصادر موثوق بها ووقائع صحيحة فى متناول المؤلف.

فلذلك ظل صنع أسلحة الهلاك يخلب لبه ، ويستخفه الفرح بكل جديد من الألغام الأرضية التي تمزق أقدام الجنود .

وهو الآن من رعايا حكومة الأرجنتين أصحاب الملايين ، أما هو فيعد نفسه لاجئاً فقيراً ، ويقول عن نفسه : « لقد اتبعت دائماً خطة واحدة لا أحيد عنها ، هى خطة الوطني النمساوى ، ومن جرائها فقدت وطنى والجزء الأكبر من ثروتى » .

أمّا الوثائق نتدل على أن هذا الوطنى هجر وطنه يوم ظهرت فى النمسا بوادر الخطر فى سنة ١٩٣٧ ، فلما دخلها النازيون سنة ١٩٣٨ ، كان يدير مصنع هرتنبرجر وهو مقيم فى دار قائمة على شاطىء الرفييرا الفرنسية . أما مقادير الخسائر التى تكبدها على يد النازيين فهى أيضاً موضع الريب .

ولقد بادر منذ سنة ١٩٢٧ فانضم إلى الفاشيين النمساويين ، ثم احتال فيما بعد حتى زوّد حرس الأمير ستارنبرج بالأسلحة . ذلك بأن باع لموسولينى الذخائر ليغزو الحبشة ، وقد اتفق مع الحكومة الإيطالية على أن يستوفى ٣٠ ٪ علاوة على الثمن ، فاشترى بهذا المال أسلحة من إيطاليا وهربها إلى النمسا ، وهكذا كان الدوتشى يحاول سرا أن يعوق التوسع الألمانى .

وأيام كان هتلر يدبر غزو النمسا ، كان اسم مندل فى قائمة الذين عضدوا الفاشيين النمساويين . ولما كان يخشى أن يكون هذا أمراً لا يرضاه هتلر فقد زار شمدت ، وزير الخارجية النمساوية ، سرًّا قبل دخول الألمان فينا ، وغادر النمسا حاملا ثروته الخاصة وكل المال الحاضر من أموال مصنع هرتنبرجر .

وكان نقل المال إلى الخارج يعد جريمة ، فلذلك كان أحد القرارات الأولى التى أصدرها الغزاة النازيون فى سنة ١٩٣٨ ، هى مصادرة أملاك مندل بتهمة الخيانة العظمى ، والاستيلاء على مصنع هرتنبرجر . فلم يلبث مندل أن اختار من فوره أصحاب شركة جوان فهرلى — وهم من الماليين الدوليين فى زيوريخ — ليكونوا وسطاءه ، وأرسلهم إلى برلين للمساومة .

وعلى أنه كان لاجئاً فقد ظفر بصفقة رابحة ، فأعيدت إليه أملاكه فى النمسا مضافاً إليها مليون ريال دفعت بالجنيه الاسترلينى ومليون وربع من المارك الألمانى فى مقابل ردّه أموال مصنع هرتنبرجر ، ولم يذكر ماله الخاص ، ولم يزل حتى أواخر سنة ١٩٤٤ يقول إذا ذكر مصانع هرتنبرجر « مصانعى فى فينا » .

ولكن جاءت بعد ذلك خدعة نازية خالصة ، فالذى تولى إتمام الصفقة بالنيابة عن النازيين هو مكتب يسمى « مؤسسة

جستلوف » . فكان أحد الشروط يقضى بأن يدفع مندل كل الضرائب المتأخرة على أملاكه ، فلم يكد يدفعها حتى صودرت أملاكه ثانية ، والذى صادرها هذه المرة هو الجستابو . فلما رفع عقيرته قائلا : « هذا غش » ، قال له أصحاب مؤسسة جستلوف بلطف : إن إدارة الجستابو مكتب آخر من مكاتب حكومة الريخ وليس لهذه المؤسسة سيطرة عليه . وكذلك فقد مندل أملاكه ، وهذا هو أساس وصفه لنفسه بأنه « طريد الجستابو » .

ولم يدخل مندل الأرجنتين حتى كانت سنة ١٩٣٧ ، ولم تكن زيارته زيارة رجل يريد استثمار أمواله وحسب . نعم كانت بوادر الزوبعة النازية قد أخذت تملأ السماء ظلاما ، ولكن مندل نفسه كان قد أعد خططاً محددة تتجاوز طلب الأمن والسلامة .

وقد استقبل استقبالا حسناً فى الدوائر السياسية ، وكان لعلاقاته بموسولينى وفرانكو قيمتها ، وكان قد عرف من قبل الكثيرين من ضباط جيش الأرجنتين ، حتى لقد زكته السفارة الألمانية نفسها ، وبدا كل شىء ملائماً للمشروع الذى كان يجول بفكره .

وفى أكتوبر سنة ١٩٣٨ ذهب إلى بونيس إيرس مرة أخرى ، واشترى فى هذه المرة مزرعة لتربية المواشى ومزرعة لزراعة



فرتز مندل « تاجر الموت » العجيب (وقد كان يوماً ما زوجاً لهدى لامار ، إذا سرك أن تعرف) وهو يساعد فى تنفيذ برنامج الأرجنتين على التسلح ويثير المتاعب فى أمريكا اللاتينية .

الأرز ، وأودع ٧٠٠ كيلو من سبائك الذهب فى بنك الأرجنتين المركزى ، ومبلغاً يعادله عند شركة لويد فى لندن ، ووضع لحسابه الجارى فى نيويورك مبلغ ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، وأنشأ فى بونيس إيرس شركة يستغل بها ثروته ، وكان بين شركائه أحد زعماء النازية من أهل الأرجنتين . وجرى مندل على عادته فى إبعاد اسمه ، ولكنه كان يسيطر عليها بالتوكيل .

وشارك إحدى الأسر الكبيرة فى الأرجنتين ، واستثمر ماله فى صناعة العجائن الكيميائية والأسمنت والمنسوجات ، واهتم بالحرير الصناعى والمطاط الصناعى ، واشترى سفينة وباعها لليابانيين ، وعنى بتوثيق صلاته

بضباط الأرجنتين العسكريين ، وخاصة بالجنرال باسيليو برتين والجنرال جوان بوتستا مولينا ، وكلاهما من أصحاب النزعات النازية الذين يشغلون مناصب عالية .

وفى أكتوبر سنة ١٩٣٩ وصل مندل إلى نيويورك ليقضى فيها سبعة أشهر . وكان فى حاشيته الكبيرة موظف نازى خبير فى المعادن ، قد أطلقته ألمانيا ليعين مندل على خططه . ولقد أخذ حامه يتحقق ، فقد بدأت تشيد فى الأرجنتين مصانع عظيمة أضخم من مصانع هرتنبرجر . واشترى الآلات والمواد اللازمة لمصنع كبير للدراجات — نعم ، للدراجات ، ولكن مهلا ! فقد بدأ يفاوض فى شراء مصنع للنحاس الأصفر ، واشترى أدوات صناعية، وأشار عليه النازى الخبير فى المعادن فاتفق مع شركة هندسية كبيرة ، تولت بناء مصانع هرمان جورنج وبناء أحد مصانع الفولاذ العظيمة فى بريطانيا ، وقد استأجر هذه الشركة لتبحث الموضوع فى الأرجنتين ، وتضع التصميمات ، وتقدر المبالغ اللازمة لإنشاء مصنع فولاذ .

وعاد مندل إلى بونيس إيرس فى الوقت المناسب ليسمع مأساة دنكرك . وكانت الحوادث تتجه اتجاها غير منتظر ، وقد عزم على أن يشترى ما يلزمه من المواد والأجهزة من الولايات المتحدة ، ولكن من الواضح أن ألمانيا المنتصرة تستطيع أن تلبى طلباته أكثر مما تستطيع أمريكا المنعزلة .

فلم تمض ٤٨ ساعة حتى غير خططه ، وأبرق إلى صديقه القديم الوزير النمساوى شمدت — وهو يومئذ فى برلين يدير مصانع هرمان جورنج — يقترح عليه أن يتعاونا تعاوناً تاماً فى إنشاء مصانعه الجديدة للفولاذ فى الأرجنتين ، واقترح عليه لقاء ذلك أن يبذل جهده حتى يجعل حكومة الأرجنتين تشترى سائر حاجاتها من الفولاذ من مصانع هرمان جورنج . فلما تلقى رداً موافقاً بادر لساعته فأرسل الخطط التفصيلية والتقديرات المهيأة من قبل إلى ألمانيا . وكان ما يريد الحصول عليه هو طريقة كروب فى استخراج الفولاذ من ركاز الحديد الدفين فى الرمال المترامية على شاطىء الأرجنتين الجنوبى ، وأمسك عن الحديث عن عداوته للجستابو ، وأخذ يفخر بحسن علاقته بألمانيا .

ولكن قبل أن يتسنى للألمان أن يأخذوا باقتراحه ، جاء دفاع بريطانيا العنيد فزعزع ثقة مندل فى انتصار النازى السريع ، فعاد حذراً يفاوض الولايات المتحدة .

وفى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤١ ظهر فى مجلة أكسيون أرجنتينا مقالة استغرقت صفحة تصف مصنع الدراجات الجديد المسمى « كومتا » ، وكان مندل لا ينى يبرأ إلى

أصدقائه الأمريكيين من أى نيسة فى صنع الأسلحة . ومع ذلك فقد تضمنت المقالة إشارة خفية إلى أن من الممكن تحويل مصنع الدراجات فى أربع وعشرين ساعة إلى مصنع ذخائر ، وجاء فى المقالة أيضاً سؤال محرج وهو : ما هى الأحوال التى يسرت لفرتز مندل أن يخرج من النمسا بثروة ضخمة ؟

ولم يكن ذلك سوى قليل من كثير كان يقلق بال مندل ، وكانت الجاليات الأمريكية والبريطانية وكثير من الأسر الأرجنتينية تتجنبه وتقصيه . وصار الألمان المقيمون هناك يرتابون فى حقيقة علاقاته ببرلين . ولما سعى ليكون عضواً فى نادى السباق لم ينل أصواتاً تزكيه ، وقد عزا إخفاقه إلى حملة تولت السفارة الألمانية شنها عليه .

ثم نزلت به ضربة أخرى ، فقد أرسل إلى أحد مصانع الجعة فى بروكلين بنيويورك مبلغ ١٠٠٫٠٠٠ ريال نقداً عن طريق أحد مصارف بونيس إيرس الخاصة وفرعه فى نيويورك ، ليكون فى حرز حريز . وفى يونيو سنة ١٩٤١ كشف معمل الجعة سر هذه المعاملة نزولا على أمر حكومة الولايات المتحدة بتقديم بيانات عن كل رصيد أجنبى ، فإذا الشركة التى تولت لمندل هذا أرجنتينية إسما ، ولكنها كانت إلى حد ما سويسرية ، ولذلك دخلت فى حيز إدارة الرصيد الأجنبى ، لأن بعض رأس مالها أوربى .

وقد أثارت حوادث مختلفة ظنون وشنطن ، فانطلقت تتحرى ، فكان العاقبة أن ضرب الحصار على جهود مندل ثم جمدت أمواله بأمر من وزارة المالية فى الولايات المتحدة فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ . وسرعان ما وجدت شركته فى الأرجنتين أنها لا نستطيع الحصول على المواد اللازمة من الولايات المتحدة ، وكان هذا هو المشكلة كل المشكلة .

وأخذ مندل يتحدث إلى كل من أعاره أذناً مصغية من ذوى السلطان من الأمريكيين والبريطانيين ، وظل يؤكد أنه يحب الحلفاء . ولما كان على ثقة من أن مفاوضاته مع شركة هرمان جورنج سر مجهول ، أعلن أن لم يكن بينه وبين النازيين عمل قط ، وأن لا أمل له فى استرداد أملاكه فى النمسا إلا أن ينتصر الحلفاء ، فكيف إذن يرتكب هذا الخطأ الذى يتهمونه به ؟ وظل شهوراً يتردد على السفارتين الأمريكية والبريطانية ولكن بغير جدوى .

وقد أسر أخيراً إلى أصدقائه الأرجنتينيين من رجال الجيش أنه لم يزل يمقت الحلفاء ، ويفخر بأنه سينجز هذا العمل بغير معين . فهذه الرسوم اللازمة فى طريقها إليه من فينا وبرلين ، والآلات الضرورية كلها يمكن أن تصنع فى مصانع كومتا ، وتم الاتفاق على

استيراد النحاس والحديد من شيلي ، أما استيراد الصلب من السويد فميسور ، وكذلك قراضة الحديد موفورة قريبة المنال ، وهؤلاء الخبراء إلى جانبه يشدون أزره ، وثمة خمسة مصانع للفولاذ قد أخذت تعمل ، وما من شيء يعوزه حتى يعاود عمل الذخائر على نطاق واسع إلا دعاية بارعة بين أصدقائه من رجال الجيش ليطمئن على المقادير المطلوبة ، وإلا فرصة تتاح لكي يشتري أسهماً في الشركات الصناعية الأرجنتينية حتى لا يبدو كأنه أجنبي يحتال لكسب المال وحسب .

وقد وجد سبيل الدعاية ممهداً ، فكثير من الحزب العسكري كانوا يعتقدون بعض الاعتقاد أن البرازيل تطمع في إقليم كورينتز الأرجنتيني الغني ، وفي أراضي مسيونيز . وكانوا يرتابون في قانون الإعارة والتأجير ، فهو ليس إلا خدعة من الولايات المتحدة لكي تمكن البرازيل من أن تتسلح لغزو الأرجنتين تحت ستار التأهب للحرب الأوربية .

وكانت أمثال هذه العقائد ثرًى خصبا لمندل ، فاغتنم الفرصة خير اغتنام . ونجحت ثورة يونيو ١٩٤٣ في الأرجنتين ، فلم ير إلا وداً وثيقاً بينه وبين العسكريين الجدد في بلاد تواقة للتسلح مهما تكن تكاليفه .

وفي أكتوبر من تلك السنة اشترى خفية أسهما في شركة قديمة أرجنتينية اسمها شركة إمبا ، وهي شركة تصنع الطائرات والأسلحة والسيارات ، ويديرها جوزيه ماريو سويرو شقيق نائب رئيس الحكومة الأرجنتينية السابق ووزير البحرية في الوزارة الحاضرة . وكان من زبائن هذه الشركة كثيرون من الشركات المقيد اسمها في القائمة السوداء ، وبين رجالها قادة طائرات إيطالية فارّون كانوا يعملون في خط لاتي الإيطالي الذي استولت عليه الحكومة البرازيلية .

وكان بمصانع إمبا كل ما تفتقر إليه مصانع كومتا من الآلات والمواد والاسم الأرجنتيني القديم . وأعظم من ذلك علاقة قربى دانية بين سويرو وحكام الأرجنتين العسكريين . فلم يكد يوافي شهر نوفمبر حتى تم اندماجهما تماما ، وحول مندل مصانع كومتا إلى مصانع ذخائر ، واشترى أسهم المتذمرين ، وأقام جوزيه سويرو رئيساً واستأثر هو بالإشراف على العمل .

وفي أوائل سنة ١٩٤٤ اعتمدت حكومة الأرجنتين أول عقد أبرمته مع شركة إمبا ودفعت ٥٦ مليون بيزو للأسلحة والذخائر والألغام وسيارات النقل ومطابخ الميدان — ثم تبرم فيما بعد عقوداً لصنع طائرات وسفن حربية .

وفرتز مندل يمضي قدما حثيث الخطوات ، ومنذ يناير سنة ١٩٤٤ أصبحت قدرة إنتاج

مصانع إمبا للذخائر ، ثلاثة أضعاف ما كانت ، وهو يشترى اليوم معامل فى البرازيل تمتلك الحديد ألواحاً وقضباناً . واجتلبت الأساليب الفنية والرسوم ودقائق الإنتاج ، من فرع مصنع هرمان جورنج فى بودابست ، واشترى أرضاً فى خارج سان مرتن لإنشاء مسبك للنحاس الأحمر والأصفر . لقد أوشك أن ينشأ اتحاد عظيم جديد لعمل الذخائر فى برارى الأرجنتين الماثلة .

كانت العاقبة أن صار فرتز مندل معدوداً فى القائمة السوداء ، ولكن كثيراً من الأرجنتينيين رأوا أن مثل هذا الاتهام ما هو إلا محاولة أمريكية يراد بها إفساد برنامج الأرجنتين للتسلح — إنه خطوة واسعة فى الطريق الطويل الذى يسلكه الحلفاء للإرغام والقسر .

ومندل أيضاً هو مستشار نائب رئيس الحكومة الكولونيل بيرون ، وبذلك لم يقتصر تأثيره على برنامج التسلح الأرجنتينى فحسب ، بل تعداه إلى سياستها الصناعية والمالية . وهو يعمل جنباً إلى جنب مع لجنة المواد الحربية الأرجنتينية ، ومع الجنرال سافيو رئيس مصانع أسلحة الجيش .

لقد بلغ مندل من القوة مبلغاً جعل المرجفين يصرون على أن جهوده جميعها جزء من اتفاق مع النازيين يرجع إلى سنة ١٩٣٨ ، ويفضى إلى أن تقع الأرجنتين فى قبضة الألمان كما وقعت النرويج فى أيديهم بمعاونة كويسلنج .

وسواء أكان فرتز مندل من صنائع النازيين أم كان من طلاب الربح ، فهو الآن فى مركز يساعده على تحقيق مطامعه . وليس من السهل أن يقطع برأى فيما يمكن عمله ، فقديماً ما عرف عن فرتز مندل انغماسه فى عشرات من الدسائس والشبهات والعداوات التى تضطرم فى أوربا الوسطى ، والتى كانت ثمرتها عقد الاتفاقات المبيدة الخاصة بالتسلح . وأمم أمريكا الجنوبية فى نظره سلسلة أخرى من أمم البلقان ، وهى كمثلها فيما يرجى من تسليحها ، أو هى أصلح . وبوليفيا وشيلى وبيرو وباراجواى تدخل جميعها فى عداد مطامحه الأثيرة ، ولكى يزداد عمله سعة وانتشاراً تراه يتطلع مستبشراً إلى نشوب الخلاف بين الأرجنتين والبرازيل .

ومندل هو أعظم مثال للسم الأوربى الوافد إلى الشق الغربى من الأرض ، والمال هو إلهه المعبود ، والحرب والموت حليفاه ، أما السلام والديمقراطية فهما فى نظره شىء لا يعقله . ومع ذلك فقد أقنع حكام الأرجنتين العسكريين بأنهم فى حاجة إليه ، وهو الآن وطنى أرجنتينى ، وخطر يتفاقم على سلام أمريكا الجنوبية جميعها . وهو خطر لا بد من أن نلقاه إما عاجلا وإما آجلا .

ينحني ، ويطفو ، ويرتد كالكرة ، ويقاوم الرصاص وسيكون له آلاف المنافع بعد الحرب .

أرأيت شيئاً يعجزهم صنعه من الزجاج!

لويد ستوفنر • محرر مودرن باكيجنج
ملخصة عن مجلة "سينس نيوز لستر"

الزجاج منذ أربعة آلاف سنة لم يزل ممتعاً علينا . إنه من أمتن المواد التي عرفها الإنسان ومن أقساها ، ولما كان سهل الانكسار ، لم نتبين ما يرجى من منافعه.

أما اليوم فإنه يصلح لأشياء لا تصلح لها أي مادة أخرى ، وذلك بفضل البحث العلمي أثناء الحرب . وسيضيف غداً أشياء لا تحد إلى وسائل الحياة ورخاء العيش .

وقد شاهدت في مختبرات شركات الزجاج الكبيرة ومعاملها زجاجاً ينشر ويسمر كالخشب ، وزجاجاً يطفو ، وزجاجاً يرتد كالكرة ، وزجاجاً ينحني كالمطاط ، ويفتل كغزل القطن ، ويعقد عقداً وينسج كما ينسج الحرير .

ورأيت في رايت فيلد ، وهو المطار العظيم الذي تستحدث فيه مستنبطات الطيران في أوهيو ، خبراء قيادة الخدمة الفنية الجوية يطيرون بطائرة صنع بعضها من الزجاج — وليس هذا الزجاج كزجاج النوافذ ، إنه غير شفاف . وإن الطائرة لتبدو كأية طائرة تدريب أخرى من طراز ب ت ١٥ ، ولكن جسمها وقطعة ذيلها من نسيج الزجاج ، والجسم أمتن ضعفين من الجسم المألوف الذي غطته رقائق الألومنيوم وأخف منه خمسين في المئة . وإذا روعي الوزن فهذه الطائرة أصلب ما بني من الطائرات بدناً ، ثم أسرع طيراناً وأرخص إنتاجاً وأطول عمراً .

والنسيج المصنوع من خيوط الزجاج اللينة الهفافة كخيوط العنكبوت المعالجة بالعجائن الكيميائية ، هو أشد المواد مقاومة لاختراق الرصاص ، فهو ينحني انحناء يمكنه من أن يلين للرصاصة فينتزع منها شوكتها ، وقد أثبتت امتحانات الرماية أن القذائف الشديدة التفجر التي تخترق جسم طائرة مصنوع من الزجاج ، تنفذ منه دون أن تنفجر .

وقد وضعت خطط لاستعمال المادة المصنوعة من الزجاج والعجائن لصنع عوارض لا يمكن أن تتحطم ، فتتخذ منها حواجز الاصطدام في مقدم السيارات ، وكذلك الأمتعة المثبتة في المطابخ وحجر الحمام ، والقطارات ، وسيارات النقل المشيقة ،

والحقائب ، والبيوت المجهزة ، (التى تهيأ أجزاؤها قبل تشييدها) . ومن وجوه منافعها الجديدة التى تجرب الآن استعمالها فى السيقان الصناعية ، ومن مزاياها أنها مما يسهل إفراغه فى قالب مطابق كل المطابقة للساق الطبيعية ، وأنها تقاوم مدى الحياة كل عوامل البلى .

والجراحون يجربون التجارب لصنع خيط من ألياف الزجاج ، يستعمل فى رتق الجراح ، لأنه لا يمتص ولا يهيج الأنسجة. وقد أدخلت خيوط من غزل الزجاج فى الإسفنج المستعمل فى الجراحة ، فإذا ترك الإسفنج فى جرح أمكن تبينه بالأشعة السينية.

وقد صنعت شركة « أونز كورننج » صوف زجاج من ألياف يبلغ قطر الليفة منها جزئين من مئة ألف جزء من البوصة. وهو صوف أبيض هش ، ٩٩ فى المئة من حجمه هواء ، وقد يستعمل فى عزل القلاع الطائرة المتفوقة على نحو ما قد يستعمل فى عزل جدران الدور بعد الحرب .

وقد قدم إلىّ كرسى فى مكتب بتوليدو ، وعلى الكرسى وسادة عادية ، ولكنها مع ذلك مصنوعة من صوف الزجاج ، ولا يزيد ارتفاعها على بوصة ونصف بوصة ، تجاوزت الغاية فى وثارتها ولينها . وصوف الزجاج يستعمل الآن فى صنع وسائد الجلوس والفرش فى الطائرات الحربية ، وقد يستعمل بعد الحرب فى طائرات الركاب والقطرات والسيارات العامة .

والزجاج يصير أدنى إلى المرونة التامة من أى مادة أخرى معروفة . فهو يعود دائماً إلى شكله الأول مهما حنيته ، إلا إذا بلغ مكسره . وقد أعطيت فى شركة أونز كورننج لوحاً من قماش الزجاج ، ولكنه ملبّد تلبيداً من ألياف دقيقة لا منسوج ، فبدت بين أناملى كأنها قُدَد رقيقة من الورق الناعم الذى يوضع فى قعر علبة الحلوى ، فطويته فى قبضتى ثم رميته على المكتب ، فدهشت إذ رأيته يعود مستوياً لم أتبين فيه أثر الطىّ .

وهناك صنف آخر من صوف الزجاج أخشن من الأول ، يمكن ضغطه ووضعه بين طبقتين صقيلتين من الزجاج المعالج بالعجائن الكيميائية ، فيصبح لوحاً خفيفاً عازلا ، وقد خصصته بحرية الولايات المتحدة لجميع لوحات الأجهزة والحواجز الداخلية فى السفن . فهو لا يتأثر بماء البحر ، ولا تأكله النار ، ويمتص الاهتزاز ودوىّ المدافع .

وهذا الضرب من الزجاج يمكن نشره ودقّ المسامير فيه ، وقد يستعمل بعد الحرب فى صنع ألواح لأرض السيارات وأجهزة سائقها ، وجدران البيوت المجهزة ، وجميعها مما لا يخترقه صوت أو تأكله نار .

وقد صممت للجيش مساكن تنقل ، لتستعمل في المواقع النائية ، وعزلت جدرانها بطبقات كثيفة من صوف الزجاج توفيراً للوقود . ففي جزيرة أيسلندة مثلا ، حيث يعزّ الخشب أو الوقود من أى نوع ، يوفر صوف الزجاج في كل مسكن فيها أكثر من ٢٠ ألف رطل من الوقود كل شتاء ، ولولاه لما كان ثمة مفر من نقلها بالسفن إلى أيسلندة .

وقد صنعت شركة « بتسبرج كورننج » زجاجاً يدعى « فوجلاس » يبدو لك لبنة سوداء كثيرة المسام ، وهو أخف من الفلين ٣٠ فى المئة ، ويطفو خيراً منه فى الماء ، ويصلح الفوجلاس للاستعمال فى مناطق النجاة ، وزوارق النجاة ، وشباك عوامات الغواصات ، وإذا صنع ألواحاً سمك كل منها بوصتان استعمل عازلا فى سقوف مصانع الحرب .

إن مصانع زجاج كورننج بولاية نيويورك هى مركز البحث الذى خرجت منه معظم هذه المعجزات الحديثة ، ولكن شركة كورننج عمدت فى كل حالة إلى أن تضم معلوماتها إلى المعلومات والوسائل التى تظفر بها أية شركة أخرى ، تيسيراً للإنتاج السريع ، والتوزيع الحسن .

وباحثو كورننج الذين صنعوا زجاج « بايركس » المقاوم للحرارة ، صنعوا اليوم زجاجاً جديداً يفوق بايركس وأطلقوا عليه إسماً تجارياً هو « فايكور » . والفايكور يفوق البايركس على قدر ما كان البايركس يفوق الزجاج العادى . ولما كان هذا الزجاج يقاوم الحرارة إلى درجة ٩٠٠ سنتجراد ، ويحتمل فعل مواد كيميائية تدمر معظم المواد الأخرى ، فإنه فتح عالماً جديداً فى البحث الكهربى (الأليكترونى) والكيميائى ، ولولاه لكان إنجاز طائفة من أسلحة الحلفاء السرية أمراً مستحيلا .

وقد جربت أنابيب مصنوعة من الزجاج منذ سنين لحل مشكلة الفساد فى مصانع الطعام والكيمياء . وقد صنع زجاج جديد مطوّع يقاوم الانكسار ، وابتكرت وسائل جديدة للحام الزجاج بالكهرباء ، فأصبح ميسوراً للميكانيكى أن يصنع مفاصل أنابيب من الزجاج ، كما يصنع مفاصل أنابيب من المعدن . وفى أحد المصانع الكيميائية كانت المضخات التى صنعت سطوحها من الصلب الذى لا يصدأ ، تقيم على حالها ستين يوماً وحسب ثم تبلى ، فأقيمت مكانها ست مضخات من الزجاج منذ ثلاث سنوات ولم تزل تستعمل ، وليس ثمة ما يدل على أنه أخذت تبلى .

وقد صنع باحثو كورننج كرات محاور من الزجاج ، تستطيع أن تتحمل من

الضغط ما يحوّل كرات المحاور المصنوعة من الفلزات ليّنة كالطين . وقد رأيت سلكا ملفوفاً (زنبركا) من الزجاج امتحن بضغطه بضعة ملايين من المرات دون أن تبدو عليه آثار الكلال التي لا مفرّ من ظهورها في الفلزات آخر الأمر . ورأيت مدفأة مشعّة — وهي لوحة من الزجاج المطوّع تبلغ مساحتها ١٨ بوصة مربعة ، وعلى سطحها الخلفي قُدّة من رقيقة فلزية ، يسرى فيها التيار الكهربائي العادي المستعمل في البيت . وقد يكون شيء من هذا القبيل خير وسيلة لتدفئة البيت بالإشعاع — ألواح من زجاج تثبت في الأرض وفي الجدران في كل حجرة .

وأصناف الزجاج الجديدة متينة القوام . وقد رميتُ إلى الأرض في شركة « أوِنز إلينوى لبى » قطعة من الزجاج الجديد على أرض مصنوعة من الإسمنت ، فلم تتكسر ألف كسرة ، بل جعلت تنزّى وتثب من جانب إلى جانب كأن بها مساً من الجنون ، ثم التقطتها في نَزْوتها الرابعة فإذا هي لا تزال سليمة لم تخدش .

وقد صنعت شركة « لبى أونز فورد » قبل الحرب زجاجاً مطوّعاً ، واتخذت منه ألواحاً سمكها ثلاثة أرباع البوصة ، فكانت من صلابة القوام بحيث عُلّقت على مفاصل واستعملت أبواباً . وقد زيدت صلابة هذا الزجاج بجعله طبقات كثيرة مرصوفة ، فصار يستعمل دروعاً شفافة في الطائرات ، وهو يرد قذائف مخترقة للدروع يبلغ قطرها خمسون مليمتراً .

والزجاج الجديد يدهشك بقدرته على مقاومة أشد درجات الحرارة والبرد . فقد وضعوا في شركة لبى أونز فورد لوحا من زجاج « تف فلكس » على مكعب من جمد ، ثم صبوا عليه رصاصا مصهوراً ، فلم يؤثر فيه . وجيش الولايات المتحدة يستعمل هذا الزجاج لمصباح النور الكشاف الذي قوته ٨٠٠ مليون شمعة . وهو لا يتكسر حتى ولو كانت الحرارة في الخارج تحت الصفر .

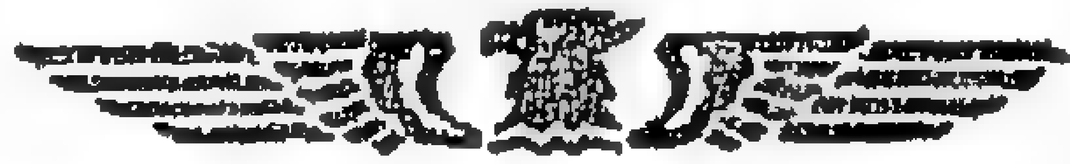
وقد عمد علماء الطبيعة ، تلبية لأحد مقتضيات الحرب ، إلى كشف طريقة تمكنهم من حني الزجاج دون أن يحدث ذلك تشويها ما في خواصه البصرية . وهو ما لم يصنع قبل صنعاً واسع النطاق . وتجد اليوم الزجاج المنحني يحل محل العجائن الكيميائية في « أنوف » الطائرات حيث يحتاج الطيار إلى أوسع نطاق للرؤية . وأما غداً فإن هذا الزجاج سيستعمل في ألواح الزجاج في مقدمة السيارات المشيقة .

ونحن نعرف الزجاج مادة تتكسر ، فإذا انكسرت كان لكسرها حروف حادة قاطعة ،

ولكنى حين زرت شركة « كورننج » دسست يدى فى صندوق يحتوى على كسر من الزجاج فلم تخدشنى خدشاً . وهذا النوع من الزجاج يستعمل اليوم فى مصابيح الأنوار التى تقام على المدارج فى مطارات الجيش ، فإذا انكسرت وتفرقت شظاياها لم تقطع إطارات عجلات الطائرات . فتصوّر قيمة ذلك عند أصحاب السيارات حين تصنع ألواح مصابيحها الأمامية من هذا الزجاج .

أما وقد اشتهرت معامل كورننج شهرة عظيمة فى تحقيق المستحيل فى الزجاج ، فإنها تتلقى نصيبها من المقترحات الشاذة التى يتطوّع بها الناس . وقد اقترح عليها غير مرة ، أن تصنع من الزجاج مصايد للفئران ، ومناطيد ، ومواسى الحلاقة ، وقطار شحن يشحن فيه البرتقال مخضراً فينضج ويصفر أثناء النقل بسقوط أشعة الشمس عليه .

ومع ذلك فإن المعامل لا تتعجّل فتنبذ فكرة ما ، مهما بدت بعيدة المنال . فتبحث كل فكرة ويقدم عنها تقرير ، فبعض الأحلام السخيفة التى تولدها الحرب ، قد تصبح يوماً ما من الحقائق الواقعة .



أنباء فى المحكمة

كان السجين يحاكم بتهمة سرقة الجياد ، فقرأ وكيل النيابة المرافعة بلهجة شديدة ثم سأله : « أمذنب أنت أم لا ؟ » فتلوى المتهم حيرة واضطراباً وقال : « ألم يؤت بنا إلى هذه المحكمة لنعرف ؟ » .

[كتاب انخاب ونوادر]

ألّفت مجلة « رد بوك » لجنة لبحث خير الوسائل التى يتوسل بها الرجل للاحتفاظ بودّ زوجته ، ووضعت كشفاً بأسماء أزواج اختيروا ليسألوا عن ذلك . فلم نتلق إلا ردًّا واحداً من سجين فى أحد سجون الولايات الغربية ، وقد جاء فى ردّه المقتضب : « وجدت خير وسيلة هى الإطباق على عنقها ، ولكن ينبغى أن لا تبالغ . وأرجو أن تلاحظوا تغيير عنوانى » .

[إدورد ـ تريتر فى مجلة « رد بوك »]

علموا أولادكم الحياة

كان فى أبنائى حياء شديد ، فدبرت خطة لطيفة أوصى بها غيرى من الآباء . فأول ما قلت لهم إنه لجميل بالمرء أن يكون حييا ، ثم أتبعته ثانياً بأن غضضت الطرف أبداً عن حيائهم . فلما صاروا يثقون بى ويأتمنوننى ، وضعت خطة ، لكى أبلو شجاعتهم . فبدأت بأسهل الأمور ، كأن يتقدموا إلى رجل كبير السن يسألونه : كم الساعة ؟ أو أن يبتاعوا تذاكر القطار للأسرة كلها فى محطة السكة الحديدية . ثم تدرجت إلى حيل أشق وأصعب ، كأن يأتى أحدهم متأخراً عن ميعاد الغداء ، وفى الدار زوار ويقول : « يؤسفنى أن تأخرت » . وكان مدار الخطة كلها على التطوع والاختيار . فإذا قال الصبى : لا أستطيع سؤال ذلك الرجل عن الساعة ، فما هو إلا أن يقال له : « حسن لا بأس » .

وكان أشق اختبار لشجاعتهم أن يذهب أحدهم إلى النادى ويسأل عنى . فإذا ما جاز هذا الاختبار ، فقد غلب حياءه . [هارولد نيكلسون فى مجلة « ذى ليسنر »]

كنت إذا تشاجرت أنا وأختى ، أجلستنا أمنا على كرسيين متقابلين ، وأمرتنا أن تسدد كل منا نظرها إلى عين أختها ، وأن لا نبتسم مهما يكن من شىء . فسرعان ما نبتسم ، ثم نضحك ، وإذا ما بيننا من الغضب قد زال . [كارولاين ا . ستكنى كريفى]

فى دراجة ذات ثلاث عجلات كان يلهو بها طفل من سكوتسبلف بولاية نبراسكا ، ساعة منبهة فى علبة من الصفيح مثبتة فيها ، وكانت أمه إذا خرج الطفل إلى لهوه ، تضبط المنبه على الساعة التى تريده أن يعود فيها . فلا يكاد يرن جرسها حتى يتجه عائداً إلى بيته ، وهو الآن لا يتأخر قط عن موعد العشاء . [الأسوشييتد برس]

لى صديقة حلت المعضلة التى تواجهها كل والدة « حين يعثر الطفل لعبه فتأمره بلمها » ، وذلك أن تلمها بنفسها ، ولا تسأل الأولاد قط أن يلموها ، ثم تضعها فى صندوق قديم وتقفله بالمفتاح . فإذا طلب أحدهم مضرب كرته دفع غرامة من نفقته الخاصة ، أو أدّى لِقاء ذلك بعض أعمال فى المنزل . والأسرة كلها تتخذ من هـذا النظام تسلية وتتقبله قبولا حسناً ، ولا سيما بعد أن اضطر الوالد أن يفتدى مفك مساميره ، والوالدة مكواة شعرها.

[ألما بول فى مجلة « يور لايف »]

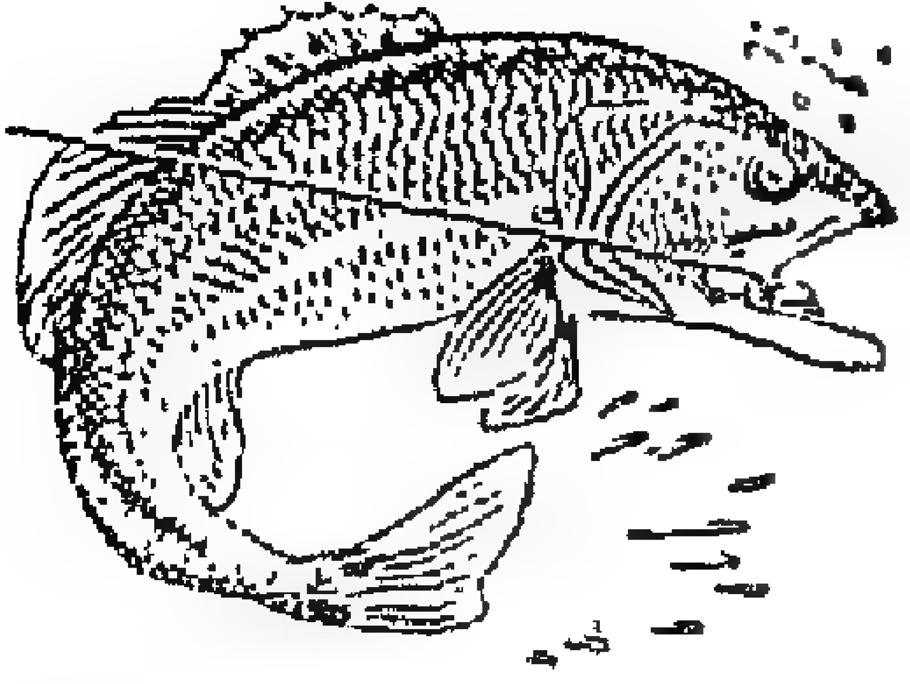
عرفت سيدة ، هى زوجة رجل فقير ، وكانت تعلق فى مطبخها كيساً صغير من الجلد تضع فيه ملاليم وقروشاً ، لكى ينفق منها أبناؤها وبناتها الذين يذهبون إلى المدرسة . وقد كانوا فى حاجة دائمة إلى المزيد من النقود أجراً لركوب الترام أو ثمناً للكتب أو الأقلام أو أربطة الأحذية ، أو غيرها مما لم يكن فى الحسبان . فإذا اشتدت حاجة أحدهم إلى شيء ما ، مد يده إلى الكيس وأخذ منه ما يحتاج إليه . ولكنه كان يدرك إذا ما فعل ، أن ما يأخذه يقلل نصيب الآخرين ، وعسى أن تكون حاجتهم أعظم من حاجته . وكان الكيس لا حارس عليه ولا رقيب ، ولم يكن أحد يشى بما فعله غيره ، وربما بيّن أحدهم لِمَ يحتاج إلى المال — وربما لم يفعل — فهذا شأنه . وكانت الأسرة مجتمعة تنزل الكيس من مكانه مساء كل سبت ، فإذا كانت فيه بقية من مال كان ذلك باعثاً من بواعث رضى كل فرد منهم . وإنى لعلى يقين من أن هؤلاء الأطفال أصابوا النجح فى الحياة ، فإن فى تلك الخطة البارعة التى وضعتها هـذه السيدة ، دروساً فى الادخار وضبط النفس والشرف وتماسك الأسرة .

[إدوارد ا . برانيف]



ليست التجارب هى ما يلقاهُ المرء ، بل التجارب هى ما يصنعه فيما يلقاه .

[ألدوس هكسلى]



آنَ للفلاح أن يُربّى السّمك

غلة جديدة تضيف ضربا رخيصا مغذيا
من الغذاء إلى طعام أهل الريف

هولمان هارنى • ملخصة عن مجلة " بروجريسيف "

شجعت حكومة الولايات المتحدة سبعة آلاف فلاح فى السنة الماضية ، وأنتجوا محصولا من السمك . وسوف ينشئ كثير غير هؤلاء فى هذا العام بركا ويزودونها بمجموعات من السمك ، لأن فائدة هذا الضرب الجديد فى أعمال الزرّاع أخذ يغرى الكثيرين فى ولايات متفرقة . وقد يحصل الفلاح على ٢٠٠ رطل من السمك إلى ٣٠٠ من بركة سعتها فدان واحد ، وهو سمك سمين لذيذ الطعم ، قد تزن إحداه ستة أرطال أو ثمانية ، وثمن الرطل قرش ونصف — فهو أرخص من الفراريج واللحم ، فضلا عن أنه يزود أسر الريف بضرب جديد من الغذاء .

أما الإنتاج المدهش الذى سجلته تربية السمك فيقوم على أصول ثلاثة اكتشفوها :

١ — تستطيع أن تستحدث فى كل قدر مضبوط من الماء سلسلة غذائية متوازنة تزود سمكها بغذاء يكفيه أن يعيش ويتوالد وينمو حتى يصلح للأكل .

٢ — أية زيادة فى عدد السمك ، بغير زيادة فى مورد الطعام ، تؤدى إلى نقص حجم كل سمكة فى البركة .

٣ — بتسميد الماء ، يمكن زيادة مورد الغذاء حتى يكفى عدداً أكبر من السمك ، على نفس النمط الذى تسمّد به المراعى ليزداد ما ينتجه كل فدان من اللحم أو اللبن .

ومن المستحيل أن يستنفد الصيد سمكَ بركة أحسن ملؤها ونظم تسميدها، ولا يمكن قط أن يصاد بالسنارة أكثر من نصفه ، أما النصف الذى يتخلف وعنده ضعف ما كان يجد من الغذاء ، فيظل أشهراً لا يحفل بطعم السنارة ولا يقربه حتى يزداد عدده ، وحتى يقل غذاؤه مرة أخرى .

قطعت ألف ميل أطوف بجنوب الولايات المتحدة ، وزرت عشرات من الحقول بها برك السمك . وقد تجلت لى حماسة أكثر الفلاحين بادية ظاهرة .

فهذا أ . و . كولمن يتولى شأن مزرعته الخاصة التى تبلغ ١٤٠٠ فدان فى منطقة سالودا فى سوث كارولينا . فبعد أن يفرغ كولمن من عمله اليومى ينطلق إلى بركته طلباً للترويح عن نفسه .

« إنى أظفر منها بما يروعنى ، فقد أصيد

فيها نصف ساعة ، ثم أعود بشيء لذيذ الطعم للعشاء. إنها تزخر بالسمك، ولقد وزنت منذ ليال سمكة فوزنت أكثر من ٦ أرطال » .

وقد سبق القاضي ريموند ستابلتون ، في ولاية جورجيا ، إلى تشييد بركة تعدّ مثالا في إقليم خلو من كل ماء طبيعي يصاد سمكه . وفي مزرعته ثلاث أسر تزود موائدها بسمك غض، وقد صاد ستابلتون نفسه في العام الماضي مئة سمكة من سمك « الباص » وبضع مئات من سمك « صن فيش » .

ولهذه البرك ، فضلا عن غلة السمك ، متعة أخرى هي الرياضة. فالأسر تقضي عندها بعض الوقت في الصيد والسباحة . وقد يبيح بعض الزراع امتيازاً بالصيد للأفراد أو الأندية مقابل أجر حسن . وفي بلدة أوبرن بولاية ألباما ستون أسرة تدفع كل منها عشرة ريالات كل سنة ، لقاء الانتفاع ببركة سعتها ١٢ فداناً . وقد صادوا في العام الماضي ٣٠٠٠ رطل من السمك .

وفي معهد التجارب الزراعية بإقليم ألباما يقيم عالمان مجدّان يعود إليهما الفضل في القضاء على كل أثر للحدس والتخمين في تربية السمك في المزارع ، وهما هـ . س . سوينجل الخبير في تربية السمك ، و أ . ف . سميث النباتي . ومنذ أن اشتركا في العمل سنة ١٩٣٥ تبينا أن أي سماد كيميائي يوضع في بركة يؤثر تأثيراً سريعاً في استحداث النباتات المجهرية والحيوانات الدقيقة . والحشرات تغتذي بهذه النباتات والحيوانات الدقيقة ، والأسماك اللمّامة تغتذي بالحشرات واليرقات ، وفي النهاية تغتذي الأسماك المفترسة بصغار هذه الأسماك اللمّامة التي تتكاثر وتحتشد .

وبعد وضع السماد ببضعة أيام يغصّ الماء بملايين النباتات والحيوانات الدقيقة، فيصبح لون الماء أخضر ناعماً لامعاً كالبحر . وبعدئذ يتعذر على بصرك أن ينفذ إلى أبعد من عمق عشر بوصات تحت الماء . فإذا استطاع الفلاح أن يرى يده على عمق قدم تحت الماء ، علم أنه ينبغي أن يضاف إلى الماء مقدار آخر من السماد . وهذا حسبه لكي يعلم . وهذه النباتات والحيوانات الدقيقة ، تمنع أيضاً السمك من أن يرى الصياد أو القارب .

ويقل نماء الحشائش المائية إذا ما منع الماء المفعم بهذه الحيوانات والنباتات، أشعة الشمس من النفاذ . وزنبق البرك والحشائش المائية التي تغطي أوراقها الكبيرة الماء ، ينبغي أن تقلم قممها ، لأنها تكون مكمناً لصغار السمك ، فيختل توازن السلسلة الغذائية في البركة . فإذا اتفق أن لا توجد حشائش مائية ، التهم السمك يرقات البعوض، فيساعد على استئصال مصادر الأوبئة .

وسمـــك الأبرميس هو أصلح أنواع

السمك اللمّام ، الذى يوافق ولايات الجنوب ، فهو سريع التكاثر لذيذ الطعم . والبركة المسمدة تعطيك عدداً كبيراً من سمك الأبرميس البالغ الذى تزن إحداه حوالى نصف رطل ، وهو الحجم المناسب للقلى .. ولقد صدت ١٥ سمكة من بركة فى ثلاثين دقيقة — ولا يستغرق ذلك أكثر مما يستغرق وضع الطعم فى السنارة .

يوضع فى البركة الجديدة بعد تسميدها ١٥٠٠ سمكة صغيرة من الأبرميس فى كل فدان . ففى السنة الأولى يلد كل زوج منه حوالى ٤٠٠٠ سمكة . فإذا لم يحدث للسمك ما يقلل تعداده ، بلغ عدده فى السنة ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ فى كل فدان . وعندئذ يأتى السمك المفترس فيضمن بافتراسه استقرار توازن السلسلة الغذائية . والسمك المختار لأقاليم الجنوب هو سمك الباص ، وهو صعب المراس مناجز . ومقابل كل ١٥٠٠ من الأبرميس توضع ١٠٠ من سميكات الباص . فإذا قل عدد الباص عن ذلك ، فربما زاد عدد الأبرميس زيادة تفوق المطلوب . فإذا زاد عدد الباص فقد يقضى على الأبرميس جميعاً .

بعد سنة من حشد البركة بالسمك ، تكون قد بلغت حد الامتلاء الأعلى المطابق لمقدار الطعام ، فقد يصل وزن السمك فى بركة أجيد تسميدها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ رطل فى كل فدان ، منها ١٥٠ رطل إلى ٢٠٠ رطل من سمك الباص ، أى ثلاثة أو أربعة أضعاف سمك الباص الذى يوجد فى أية بركة طبيعية يصاد فيها السمك .

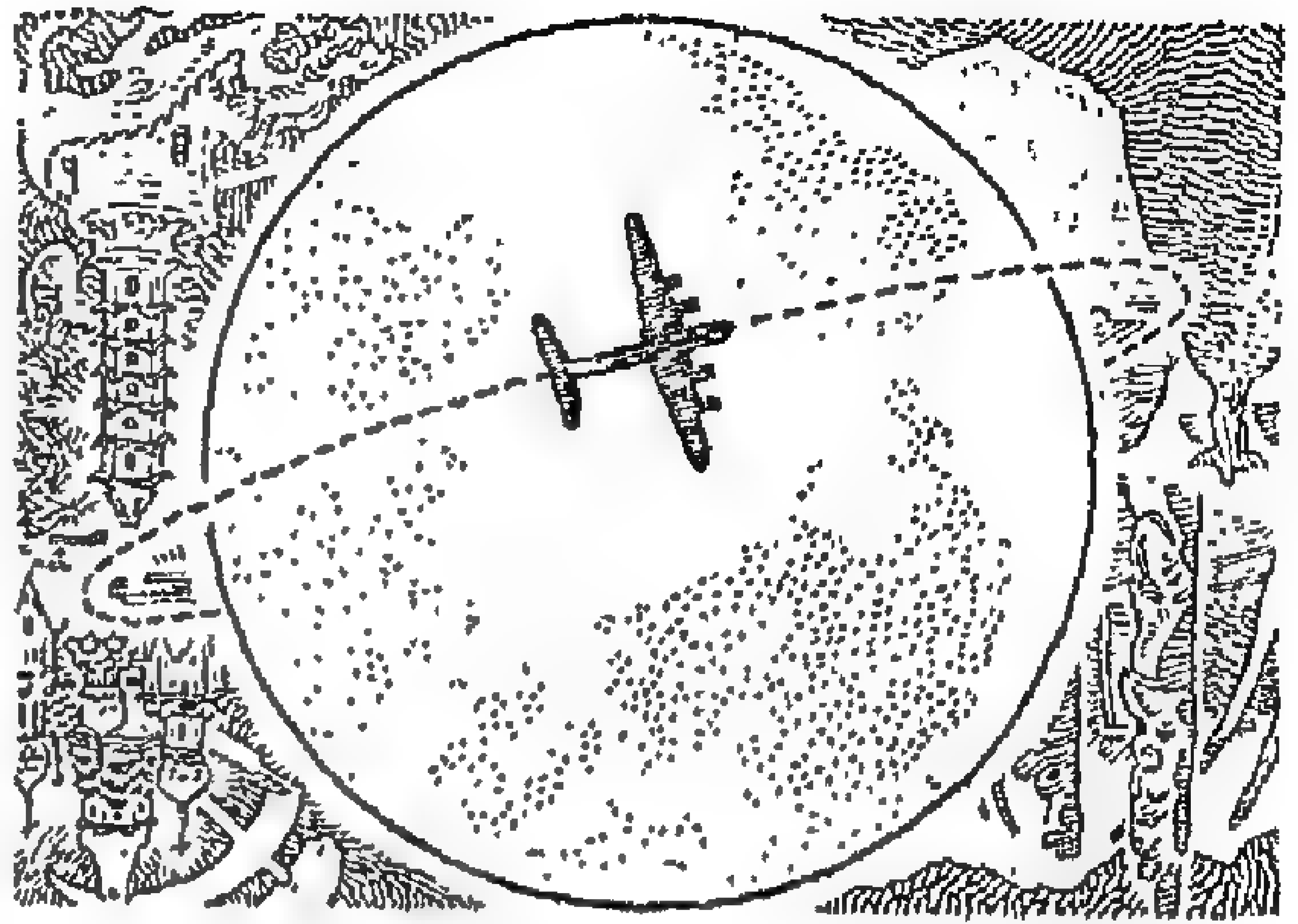
والتسميد يزيد أيضاً غلة السمك فى المياه التى يكون فيها . ولقد سمع ب . و . تيلور من إدارة حيوان الصيد ومصايد الأسماك فى كويبك بعمل علماء ألباما ، وبدأ يجرب ، سنة ١٩٤٣ ، فتبين أن سمك اللوت الأرقط فى بحيرات كندا يتضاعف حجمه فى سنة ، إذا ما نثر السماد فى مياهها القليلة الغور .

ويحصل زراع الولايات المتحدة على السميكات مجاناً أو نظير ثمن اسمى من المرابى الحكومية أو من قسم السمك وحيوان الصيد الوحشى ، إذا عزز طلباتهم قسم « حفظ التربة » . ويزود هذا القسم الفلاحين بالنصيحة فى اختيار المكان ، وأمثل الطرق لبناء بركة للسمك . فإذا قام الفلاح بإنشائها بواسطة جرارته الآلية أو بغله ، فإنه ينشىء بركة سعتها فدان واحد لقاء مبلغ يتراوح بين ١٠٠ ريال و ٢٠٠ ريال .

ويوم يعرف الفلاحون أن فى وسعهم أن يحصلوا على غلة مجدية بغمر الوهاد المنخفضة من أرضهم ، فمن المنتظر أن تنشأ آلاف عديدة من برك الأسماك .

سحر الرحلة

حول العالم في ٦٠ ساعة



دينا كلارك

ملخصة عن مجلة "ذى روتسيريان"

استجلاء ماسوف يتاح للسياح بعد الحرب ــ الطائرات التي تقلهم، والأماكن التي يزورونها والنفقات المتناقصة .

يتطلع كثير من الأمريكيين بحماسة منذ اليوم إلى السياحة في الخارج بعد يوم النصر . ففي سجلات شركة الخط الهولندى الأمريكي أكثر من ٥٠٠ طلب لحجز أماكن في السفينة « نيو أمستردام » في أول رحلة لها بعد الحرب . وفي اليوم الذى حررت فيه باريس تلقى مكتب « الخط الفرنسى » بنيويورك أربعمئة طلب للسفر إلى فرنسا . وتقدر « شركة الطرق الجوية الأمريكية » (بان أميريكان) معدل المسافرين من الولايات المتحدة إلى أوربا في سنة واحدة بعد الحرب بـ ٢٣٣٫٥٠٠ مسافر ، وقد دبرت برنامجاً موقوتاً لست وثلاثين رحلة تقطع المحيط في الأسبوع ، لتواجه به إقبال الناس على السفر .

وليس يُدرى الآن متى يستطيع الأمريكيون السفر إلى الخارج بعد الحرب ؟ ولكن وزارة الخارجية الأمريكية بدأت تعد جوازات سفر للسياحة بعد انقضاء ستة أشهر على هدنة ١٩١٨ . والمقدَّمون في هذه المرة هم المشتغلون بأعمال التعمير الضرورية بعد الحرب ، ثم رجال الأعمال المشتغلون بمشروعات الإغاثة ، ثم اللاجئون الذين برَّح بهم شوقهم إلى أوطانهم . ثم تعطى تصريحات السفر بعد ذلك للمتجنسين بالجنسية الأمريكية الذين قد يساورهم القلق على أقربائهم أو ممتلكاتهم في وطنهم القديم . وسيرحل هؤلاء المسافرون على البواخر التي تقل الجنود ، أو الطائرات ذات المقاعد المعدنية التي تعود بالمحاربين إلى وطنهم .

وستكون الطائرات ، ولا ريب ، أهم أسباب التزاحم المنتظر على الرحلة بعد الحرب . فقد كان آلاف من الأمريكيين ، فيما مضى ، يحرمون قضاء إجازاتهم في الخارج ، لأن السفن كانت تستغرق خمسة أيام في الذهاب ، ومثلها في العودة ، فكان ذلك يستنفد معظم زمن الإجازة . أما بعد الحرب ، فسيكون في وسع كاتبة اختزال بنيويورك أن تسافر

يوم الجمعة بعد ساعات العمل ، وتقضى أسبوعين فى شراء ما تحتاج إليه من «رودى لابيه» بباريس ، ثم تستقل طائرة مساء الأحد فتعود بها إلى آلتها الكاتبة صبيحة يوم الإثنين . وتدل المراجعات على أن الرحلات إلى إنجلترا ستكون أول ما يرغب فيه أوائل المسافرين الأمريكيين بعد الحرب ، ثم فرنسا ، ثم بلاد البحر الأبيض المتوسط .

وقد أثبتت الطائرات التى تعبر المحيط اليوم ، فى طيرانها المعتاد بمعدل طائرة كل عشرين دقيقة ، أن نظام السفر الجوى بعد الحرب إلى جميع البلدان على أساس الاشتراك (أبونيه) أصبح ممكن التنفيذ . وستكون الأجور من القلة بحيث يستطيع الرجل أن يرحل بزوجته وأولاده إلى أوربا بنفقة زهيدة كالتى كان ينفقها آنفاً فى الرحلة فى الولايات المتحدة نفسها .

وقد وضعت عدة شركات للنقل الجوى بيانات موقوتة للرحلات وأجورها ، حتى إن « شركة الخطوط الجوية الغربية فوق القارة » (ترانسكونتيننتال وسترن) أخذت تحول منذ الآن ٥ طائرات ، من التى تطير فى أطباق الجو العالية ، إلى طائرات تقل الركاب فى زمن السلم وتسع كل منها ستة وثلاثين مسافراً . وستبتدئ ، بعد موافقة إدارة الملاحة الجوية المدنية بالولايات المتحدة ، رحلات جوية يومية إلى لندن بأجر مقداره ٢٦٤ ريالا و ٨٠ سنتاً ، وتستغرق الرحلة ٢٢ ساعة و ٤٠ دقيقة . وقد طلبت هذه الشركة صنع ٤٠ طائرة ركاب « كونستيليشن » من مصانع « لوكهيد » تسع كل منها ٥٧ راكبا لتقل المسافرين بعد الحرب ، من نيويورك إلى لندن فى نصف المدة ، وبأجر مقداره ١٩٥ ريالا .

وتنتظر « شركة الخطوط الجوية الأمريكية » (أميريكان إرلاينز) أن تتسلم فى شهر يونية ١٩٤٥ ، ثلاثين طائرة دوجلاس د س ٦ ، تسع كلٌّ منها ٥٦ راكبا . وقد اشترت « شركة بنسلفانيا الجوية المركزية » (بنسلفانيا سنترال) خمس عشرة طائرة د س ٤ ، تسع كلا منها ٤٨ راكبا ، للطيران من نيويورك إلى لندن . وتنتظر « شركة الخطوط الجوية الأمريكية بان أميريكان » أن تتسلم فى سنة ١٩٤٥ سفنا جوية فاخرة تمكنها من أن تنظم رحلتين جويتين سريعتين كل يوم من نيويورك إلى لندن ، بأجر مقداره ٢٦٧ ريالا ذهابا وإيابا .

ويترقب معظم رجال السياحة إقبالا على الرحلة إلى روسيا بعد الحرب . وتعد شركة « الخطوط الجوية الشمالية الشرقية »

(نورث إيست) و « شركة الخطوط الجوية الشمالية الغربية » (نورثوست) و « شركة بنسلفانيا الجوية المركزية » و « الخطوط الجوية الأمريكية » (بان أميريكان) رحلات إلى موسكو ، وقد خفض أجر بعضها إلى ٢٩٠ ريالا .

وستكون « هوائى » فى طليعة أهداف السياح . وثمة الآن خمس شركات جوية كبيرة تتنافس على الطريق الجوى إلى تلك الجزائر ، وقد خفضت أجر الرحلة إلى مستوى أجر الباخرة قبل الحرب . وتضع « شركة الخطوط الجوية الأمريكية بان أميريكان » خططها لرحلتين كل يوم ، يسافر فى كل منها ١٢٨ راكبا ، فيغدو برج « ألوها » فى هوائى على بعد ثمانى ساعات من البرج الذهبى بسان فرنسسكو ، ولا تكلف الرحلة المسافر إلا ٩٦ ريالا .

ومنذ اليوم يستطيع المرء أن يطير إلى ألاسكا ، ببراريها الرائعة التى لم يردها رائد من قبل ، وبما يتاح فيها من صيد السمك والقنص — وذلك وفقا لجدول أعدته شركة « الخطوط الجوية الأمريكية بان أميريكان » ، من « سياتل » إلى « نوم » بأجر قدره ٤٢١ ريالا للذهاب والإياب . وتعد « شركة الخطوط الجوية الغربية فوق القارة » عدتها لنقل السياح من شيكاغو إلى نوم فى ١٧ ساعة بأجر قدره ٢٣٢ ريالا . أما « شركة الخطوط الجوية الشمالية الغربية » فقد دفعتها المنافسة أن تجعل الأجر فى الميل الواحد ١٢ مليما .

وإذا أنفقت ١٢ — ١٣ مليما للميل الواحد فى الرحلة ، أمكنك أن تقطع جبال « الأنديز » فى قارة أمريكا الجنوبية طائراً إلى « جنة هواة الرياضة » فى شيلى ، حيث تصيد فى جداولها سمكا لذيذاً ملونا بألوان قوس قزح ، وتزن السمكة الواحدة ٢٧ رطلا وحيث تجد ٣٠٠٠ ميل تصلح للانزلاق على الجليد لا يوجد لها مثيل حتى فى سويسرا . وقد وضعت شركة « الخطوط الجوية الأمريكية بان أميريكان » برنامجا يخفض أجرة الرحلة المفردة إلى « ريو دى جانيرو » من ٤٨٩ ريالا إلى ١٧٥ ريالا ، ومدة الطيران من ٩١ ساعة إلى ٢١ ساعة .

وتعتقد شركة الخطوط الجوية الأمريكية بان أميريكان » أن وفرة طلبات السفر إلى ألمانيا تسوغ تنظيم رحلتين يوميا إلى برلين ، كل منهما تستغرق ١٧ ساعة ، وأجرها ٢١٦ ريالا للذهاب والإياب . وستكون الرحلة إلى طوكيو والعودة منها فى عام ١٩٤٨ مثلها فى زهادة الأجر . ولن يزيد بعد جبل فوجياما فى اليابان عن نيويورك ، على ٣٠ ساعة . وسيستغرق الطيران من سان فرنسسكو

إلى سنغافورة ٢٩ ساعة ، مع أن أسرع رحلة بحرية تستغرق مثل هذا الرقم أياما .

أما الرحلة حول العالم كله بطائرات السياحة ، فستكون أمراً قريب التحقيق بالسفن الجوية المتفوقة التي تختزل الرحلة حول العالم أجمع إلى ٦٠ ساعة طيران . وقد تقدمت ثلاث شركات جوية كبيرة تطلب التصريح بإنشاء خطوط للرحلة حول الأرض . ففي إمكان « شركة إكسبورت الأمريكية » أن تبدأ رحلاتها في اليوم الذي يلي يوم النصر بطائرتين من النوع المعروف بـ (فلاينج أيسز) تسع كل منهما ٢٠ راكبا . وقد أعدت شركة « الخطوط الجوية الأمريكية بان أميريكان » برنامج رحلة حول الأرض في ثلاثين يوما ، بأجر قدره ٩٠٠ ريال تقريباً للرحلة كلها ، وهذا المبلغ يشمل نفقات الفنادق ، ومشاهدة المناظر . وسيسافر السياح بسرعة ٣٠٠ ميل في الساعة في طائرات (كليبر) المريحة ، التي تسع كل منها ١٥٣ راكبا ، وينتظر أن تسلم هذه الطائرات في سنة ١٩٤٦ . وتعد « شركة الخطوط الجوية الغربية فوق القارة » رحلة جوية فاخرة تستغرق ٢٧ يوما ، ينفق ثلاثة أيام منها وحسب في الطيران ، وتقضي المدة الباقية في مشاهدة المعالم والآثار .

فإذا جاء السلام لم يستغرق إنتاج الطائرات السريعة أكثر من ثلاثة أشهر إلى ستة فحسب . وقد تلقت مصانع دوجلاس للطائرات حتى الآن طلبات من ثلاث شركات جوية ، قيمتها مجتمعة ٥٠ مليونا من الريالات ، على أن توافيها بما تريد يوم يطلق مجلس الإنتاج الحربي سراح المواد اللازمة لبنائها .

ويزعم « جلين مارتن » رئيس الشركة المنسوبة إليه ، أن سوف تصنع طائرات تسع كل منها مئة راكب ، وفيها حمامات خاصة ، وحمامات رشاشة (دوش) ووسائل تمكن راكبها من محادثة من يريد من أهل الأرض ، وحجرة للعب الورق وأخرى للشرب ، وثالثة للألعاب الرياضية كرمي الحلقات ، وتنس المائدة ، وحجرة للكتابة فيها إحدى لاقطات الأخبار البرقية ، ومكتبة وبهو للمشاهدة يحيط به زجاج لا يتكسر . وسيمحو التحكم في ضغط الهواء بالحجرات ما يزعج المسافرين مهما ارتفعت الطائرة . أما تحسن « الرادار » فسيكفل الأمن في الارتفاع والهبوط .

وسيحتفظ السفر البحري بإغرائه حين لا تشتد الحاجة إلى اختصار زمن الرحلة ، ولن تكون قصص كوارث الألغام العائمة التي خلفتها الحرب الماضية معوقة عن الاحتفاء بالرحلة البحرية . والحق أنه لم تسجل أية حادثة تدل على أن سفينة سياحة

قد ارتطمت بلغم عائم ، وستتمنطق السفن الأولى بالأحزمة الخاصة التي تقيها خطر الألغام المغطسة .

ويقول أحد رجال شركة « أميريكان إكسبرس » ، إن السياح الأوائل بطريق البحر يستطيعون أن يتطلعوا إلى رحلات زهيدة النفقة في سفن شحن صغيرة بعد انتهاء الحرب بثمانية أشهر . أما المسافر الذي يؤثر الراحة والدعة ، فسيجد الرحلة إلى إنجلترا والبحر الأبيض المتوسط متاحة له بعد سنة تقريبا ، وإلى قارة أوربا بعد ثمانية عشر شهراً . ويمكن استئناف الرحلة البحرية إلى إسكندناوة يوم تضع الحرب أوزارها تقريبا . وقد روى رجال « شركة الخط الأمريكي السويدي » أن جميع الحجرات قد طلبت لأول سياحة بحرية تنظمها .

وقد أعدت خطط خلابة لشراء تذاكر الرحلات بالتقسيط . ففي السنة التي سبقت الحرب ابتاع آلاف من السياح ، تذاكر رحلات مؤجلة الدفع ، على قاعدة دفع ٢٥ ٪ ابتداء ، ويدفع الباقي اثني عشر قسطا شهريا بعد العودة إلى الوطن . على أن مكاتب السياحة لم تبدأ حتى الآن في استيفاء أجور السفر ، ولكنها تحفظ لديها قوائم تسجل فيها أسماء الطالبين بحسب ورودها ، وهي قوائم يزداد طولها كل يوم بازدياد ما احتبس في نفوس الناس من شهوة السفر .



حين يجتمع ساحران

منذ عهد قريب ذهب دننجر ، الذي يؤثر أن يعرف بوصف « سيد قارئي العقول » ، لزيارة بلاكستون الذي لا يسيئه أن يوصف بأنه مشعوذ وحسب . فلما وصل دننجر ، وجد المشعوذ الكبير مضطرباً يفتش في حجرته عن ربطة عنقه البيضاء .

ثم انفجر بلاكستون : « أنت يا قارىء العقول العظيم ، أفلا تنبئني أين وضعت ربطتي » .

فحصر دننجر ذهنه وقال : « إنها في ذلك الصندوق » فهرع بلاكستون إلى فتح الصندوق ووجد ربطة فرفعها في يده وقال محتقراً صاحبه : « إنك لقارىء عجيب للعقول ! إنها ربطة سوداء » .

فهز دننجر كتفيه وقال : « لو كنت ساحراً بارعاً لحولتها إلى ربطة بيضاء » .

[« هاريت فان هورن في « نيويورك هيرالد تريبون »]

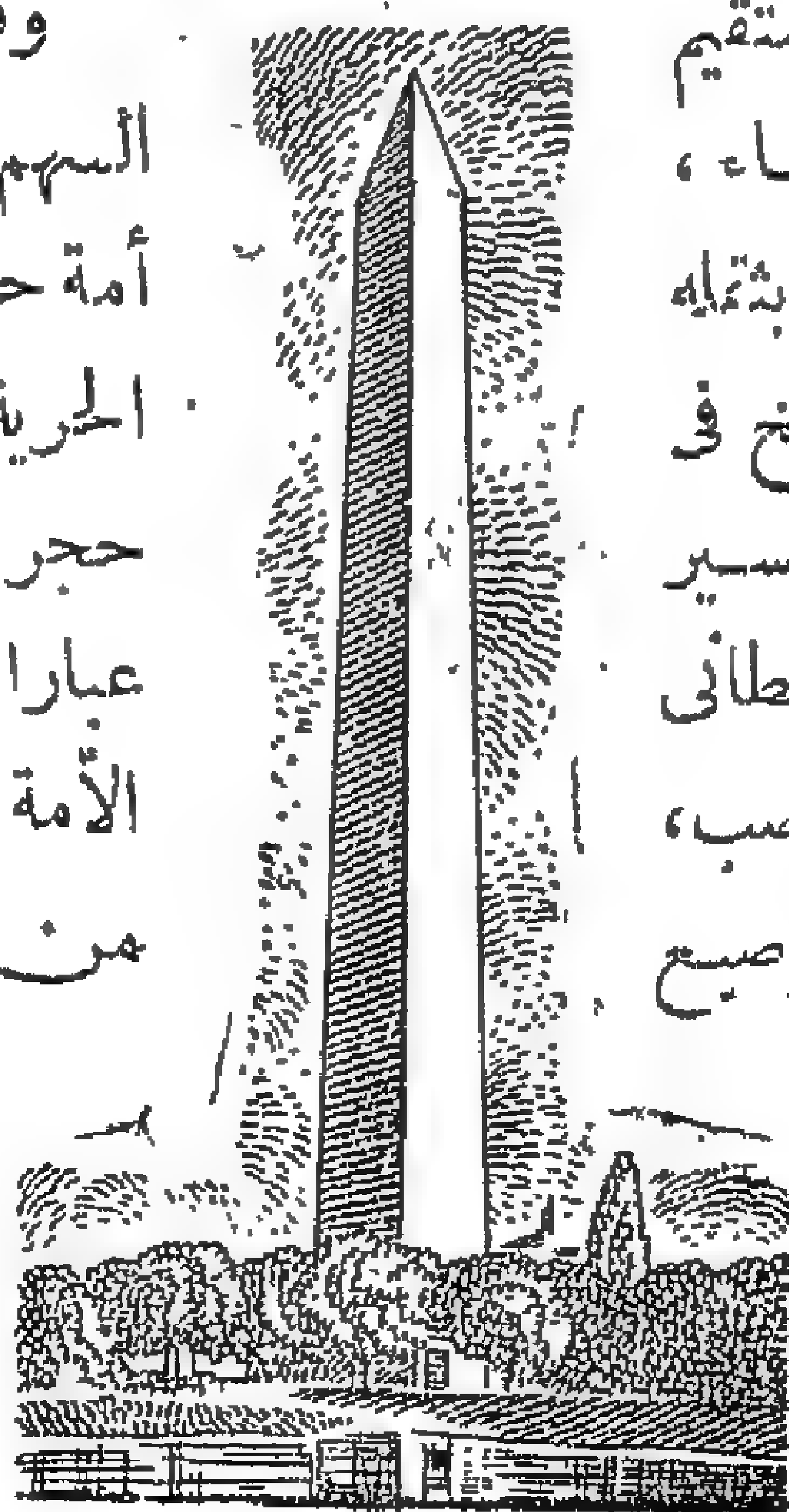
النُّصُبُ الأكمل

نصب وشنطن — إصبع تشير إلى السماء

رونالد كاردس بيتى + + + ملخصة عن مجلة " كليوانيس "

نُصُب وشنطن القومى ليس أطول إله نُصب فى العالم فحسب ، بل من أدنى أمثاله إلى الكمال . وهو يحقق المثل الأعلى الإغريقى للجمال فيجمع بين القوة والرشاقة . وقد اقتبس فى أبعاده بالمسلات المصرية ، فارتفاعه ، وهو ٥٥٠ قدماً ، عشرة أمثال القاعدة وهى ٥٥ قدماً مربعة . ثم إنه أتم ما يكون موافقة للغاية منه ، ذلك أنه فى استقامته وسموقه وتحليقه يعد « رمزاً ناطقاً » للرجل الذى يخلد ذكراه ، فهو يعبر عن المثل الأعلى الجلى السامى الذى اتخذه وشنطن لبلاده ، وعن رجل عميد مستقيم لم ينحرف أو يمل قط فى البأساء ، كما لا يميل أو ينثنى هذا النصب بثقله البالغ ٨١١٢٠ طناً ، الراسخ فى جوف الأرض . وقد قال السير سيسيل سبرنج رايس السفير البريطانى لدى الولايات المتحدة فى هذا النصب ، أثناء الحرب العالمية الأولى إنه « إصبع جورج وشنطن مشيرة إلى السماء » .

والنصب رفيع العيون كأنه قمة مشرفة ، وقد يغيب رأسه أحياناً فى السحب حين تدنو وتُسف ، فإذا كان اليوم طلقاً من أيام الربيع ، لمع النصب كأنه النصل . وهو يرى من البيت الأبيض . وقد كان وما زال مصدر وحى للرؤساء المكروبين منذ تم فى سنة ١٨٨٤ . وقد شهد كلبفلاند ، وقد حفت به الدسائس وخاضت فيه الألسنة المشنعة ، أنه كان يستمد الشجاعة والإيمان من رصانة هذا النصب ونبله . ولشد ما يتمنى الإنسان لو أن كل امرئ فى الحكومة قاس نفسه وعمله كل يوم إلى هذا المقياس العظيم المنحوت من الحجر .



وقد رفعت هذا الأثر الذى يشبه السهم ، دون أن يقع حادث ما ، أمة حرة ، تخليدا لذكرى رجل آتاها الحرية . وهناك أكثر من مئتى حجر فى جوفه الفارغ نقشت عليها عبارات الإهداء من طوائف هذه الأمة ، ومن حكومات أجنبية رأت من بواعث الفخر أن تساهم فى تكريم جورج وشنطن . والحجر الذى أهدته اليونان مأخوذ من خرائب البارثنون ، وقد كتب عليه أنه نظير بركانى .

أما الحجر الذى بعثت به تركيا فقد حفرت عليه بحروف عربية قصيدة فى مدح وشنطن نظمها شـاعر بلاط السلطان . وقدمت ولايات أمريكا ومدنها ومحافلها ومدارسها حجارة فى حجم ما قـدمه ملك سـيام وإمبراطور البرازيل .

وقد صعد كثيرون من الوطنيين ذوى القلوب القوية الدرجات الـ ٨٩٨ إلى نافذته المطلة من قمته ، لكن معظم النظارة آثروا أن يتوقلوا فيـه راكبين ، وكان كثيرون منهم يطيب لهم أن يهبطوا من السلم ، قبل أن يوصد بابه إلى نهاية الحرب . وعسى أن يكون الذين يعرفون الحقائق الغريبة التالية عنه ، قليلين : أنه كان فى وقت ما « برجاً مائلا » وأن مئات تخطوا ذروته ، وأن جوفه يمطر أحياناً على حين تكون السماء صافيـة فى الخارج ، وأنه قضى على حزب سياسى خطر ، وسبب موت رئيس .

فأما المطر فعلّته تكاثف الرطوبة داخل جوفه النـدى البليل ، حتى أن الموكلين به يحتاجون إلى المعاطف وأحذية المطاط للوقاية من المطر والرطوبة . ويفسر تاريخ النصب العجائب الأخرى : فقد وضع الماجور لانفان تخطيطاً للمدينـة ، على أن يقام تمثال من البرونز لوشنـطن وهو يمتطى صهوة جواده فى هـذا الموضع ، فعارض وشـنطن فى تكاليف ذلك طول حياته . ثم اقترح رئيس القضاة مارشال أن يقام له ضريح من المرمر بدلا من التمثال ، فتلكأ الـكونجرس . وأخيراً ألف جورج واترسـون جمعية النصب الوطنى لوشنطن ، وفاز روبرت ميلز المهندس بالجائزة فى مسابقة ، وكان تصميمه يقضى بأن ترفع مسلة مصرية فوق معبد بابيلونى مخروط الشكل تحته معبـد إغريقى مستدير . وكان من فضل جورج ب مارش، الدبلوماسى الأمريكى الممتاز ، أن أمكن تبسيط هذا التصميم المروّع ، والاكتفاء بهذه المسلة الحاضرة التى تخـز كبد السحب .

وفى يوم الاسـتقلال من سنة ١٨٤٨ وضـع حجر الزاوية بنفس المسطار الذى استعمل فى تكليس حجر الأساس فى البيت الأبيض . وبعـد ذلك بعامين ، وفى أثناء الاحتفالات باليوم الرابع من يوليه عنـد القاعدة غير الظليلة للنصب الذى لم يتم ، أسرف الرئيس زخارى تايلور فى شرب الماء المثلوج فمات بعد خمسة أيام .

وارتفع النصب ببطء . وفى سنة ١٨٥٤ بعث البابا بيوس التاسـع بكتلة من معبد الـكونكورد بروما ، فحطمها ذات ليلة رجال ملثمون بالمطارق . وكان هؤلاء خصوما ألدّاء للكاثوليك من حزب « من لا يعرفون شيئاً » ، وكان الحزب من القوة يومئـذ

بحيث قدم مرشحاً لمنصب الرياسة . فأحدث هـذا التخريب الهمجى الذى قاموا به ضجة دولية ، ووصمهم بالخزى وقضى عليهم .

ووقف العمل فى النصب بسبب الحرب الأهلية ، فلما استؤنف لم تجىء قطع الرخام الجديدة مطابقة فى لونها للقديمة ، وهذا هو تفسير « الخاتم » على « أصبع جورج وشنطن » . ووجد مهندسو الجيش أن النصب مال ، فجاءوا بقطعة جديدة من الرخام وضعوها تحته فاعتدل . ولما قارب العمل الانتهاء ، صنعت له ذروة من الألومنيوم المصمت زنتها ١٠٠ أوقية وارتفاعها ٨ر٩ بوصة ، ولما عرضت هذه الذروة فى مدن الساحل الشرقى تخطاها مئات من التلاميذ ليباهوا بأنهم خطوا فوق قمة نصب وشنطن .



الجندى البحار الذى لم يستسلم

أرسل القائد جنديين من مشاة البحرية ، فى دورية استطلاع توطئة لهجوم كبير يشن فى اليوم التالى على اليابانيين فى جزيرة نيوبريتن . وفى أثناء عودتهما داس أحدهما على لغم مخفى وإذا الانفجار ينسف ساقيه كلتيهما . وأدرك أن صاحبه لا يسعه أن يحمله إلى المعسكر ، فأقنعه بأن يمضى وحده . فعالجه صاحبه أحسن علاج يستطيعه ، ومضى متردداً حزيناً يساوره الخوف أن يجد اليابانيون زميله ، ولكنه عاد إلى المعسكر وأبلغ الضابط نتائج الاستطلاع .

وشن الهجوم على اليابانيين فى الموعد المضروب فى اليوم التالى ، وإذا اليابانيون يسرعون فيتقهقرون بغير نظام . فلما وصل مشاة البحارة إلى صاحبهم الجريح ، هالهم ما رأوا . فها هو ذا ساكن صامت ، وجسمه ملفوف بأسلاك شائكة . فقالوا إن هذا شرك نصب اليابانيون فيه لغما .

فلم يجرؤ أحد على لمسه ، فتفكيكه عمل دقيق خطر لا يتولاه إلا سلاح المهندسين ، وإذا هـذا « الشرك الإنسانى » يفتح عينيه ويبتسم ابتسامة الضعيف ويهمس : ها يا أصحاب ، ارفعوا عنى هذه الأسلاك اللعينة ، ومدوا إلى يد المساعدة » . فتقدموا إليه ورفعوا الأسلاك فلم يكن ثمة انفجار .

وسر ذلك أن هـذا الجندى البحار علم أن انفجار اللغم الذى نسف ساقيه سيسترعى انتباه اليابانيين فيقبلون ، فأخذ أسلاك الشرك المنصوب الذى انفجر لغمه ، ولف نفسه به وجاء اليابانيون ، وألقوا عليه نظرة واحدة وفروا . وقد ظل هذا الجندى السريع البديهة مستلقياً لا يتحرك حتى وحده إخوانه . [الملازم سيمور أرنولد جروس]



بنـاة الشبـاب — لمحـة من المواطنين الصغـار وهـم يعملون

وب والدرون

ملخصة عن مجلة "فيوتشر"

قال جويل ، وهو صبي معروق فى العاشرة من عمره وعيناه السوداوان تومضان: « سأحدثك بالأمر وكيف حدث . كنا ، نحن بناة الشباب ، نتكلم على التصويت وأنه جزء من الديمقراطية ، فقال بعضهم إن هناك فى هذا الإقليم عدداً من الكبار قد لا يستطيعون أن يعطوا أصواتهم » .

فقال شوليم ، وهو صبي آخر فى العاشرة: « لأنهم لا يستطيعون أن يجتازوا امتحان القراءة والكتابة » .

فقالت فيليسيا السوداء العينين: « ولذلك كتب ديموس بعض الإعلانات » — وأشارت إلى أطول صبي فى الجمع المتحمس حولى — « وعلقناها فى الدكاكين والمحلات » .

وقال ديموس على سبيل الإيضاح : « ذلك أنهم فى مراكز التصويت يوجهون بعض الأسئلة الغريبة عن الدستور وأمثال ذلك — فقلنا لهم فى إعلاناتنا : « أواثق أنت أنك تستطيع أن تؤدى امتحانات القراءة والكتابة ؟ إذا أردت مساعدة فتعال إلى الغرفة رقم ١٠٥ بالمدرسة رقم ٩٦ ، فى أى يوم بعد الثالثة مساء » .

فسألتهم : « هل جاء كثيرون ؟ » .

فقال جويل : « نعم ، وقد تولينا تعليمهم نحن والمدرسون ، فصاروا يستطيعون التصويت ! » .

وهـذا مظهر للمواطنين الصغار وهم يعملون — وليست هـذه مدرسة وإنما هى مسلاة !

وليست المدرسة رقم ٩٦ إلا واحدة من ١٥٠ من مدارس مدينة نيويورك ، يحاول فيها جماعات من الصبية يسمون أنفسهم بناة الشباب ، أن يجاوزوا بنشاطهم نطاق الصف المدرسى إلى الحياة ، وأن يثبتوا أن للأوساط من الأطفال دوافع إلى أن يصبحوا مواطنين صالحين .

وفى مدرسة متوسطة (تتراوح أعمار الأطفال فيها بين الثانية عشرة والرابعة عشرة) بمانهاتان السفلى ، أدرك بناة الشباب أن عدداً مروعاً من الصبية فى مثل أعمارهم يجوبون الشوارع ليلا ، ويشترون نشرات محظورة عن الجنس ، ويعتادون ألعاب

القامرة بالنرد ، والسرقات الصغيرة ، فدعا بناة الشباب إلى اجتماع عام من أهل الحي ، فأعرب الآباء والشرط ، والعاملون الاجتماعيون والصبيان عن آرائهم . وقال شرطي الدورية واسيلوسكي أنه حاول أن يجعل من كنيسة مهجورة مركزاً رياضياً للأطفال في منطقته ، قال : « ولكني أحتاج إلى معونة » .

فقالت إحدى الأمهات : « ولماذا لا يقوم بعضنا بالإشراف على مثل هذه الأماكن كل يوم ؟ » فتطوع كثير من الآباء ، فضوعفت التسهيلات الرياضية في المنطقة ، وانصرف الأطفال عن الشوارع .

وكانت سابره هولبروك ، الحسناء الزرقاء العينين الحديدة الفؤاد ، هي التي أطلقت الشرارة التي هدت بناة الشباب إلى نهجهم. وهي زوجة رجل من رجال الإعلانات بنيويورك ، وأم فتاتين صغيرتين نشيطتين . وقد تخرجت في كلية فاسار ، فذهبت إلى بوسترن لتعنى بالأطفال المتخلفين ، فكان مما راعها الفرق الحادّ في عقول الأطفال بين المدرسة والعالم ، فلماذا لا تكون المدرسة أوثق اتصالا بالحياة ، وبذلك تتيح للأطفال أن يكون لهم جهد في تربية أنفسهم ؟

ولما تزوجت سابره وانتقلت إلى نيويورك ، سنحت لها فرصة للتحدث مع طائفة من تلاميذ المدارس المتوسطة ، وفي هذا تقول : « كانوا يثرثرون بالآراء في الديمقراطية والسياسة والمجتمع ، والجرائم ، والعصابات ، وآبائهم ، ومستقبلهم هم ، وفي كل شيء . ولكنهم كانوا كأنما لا وقت عندهم ولا تشجيع لهم ، على الإعراب عن آرائهم في المدرسة ، ولا فرصة على التحقيق لإخراج أي رأي من هذه الآراء إلى حيّز العمل » .

ونالت المسز هولبروك إذناً من لجنة التعليم في تنظيم جماعات للمناقشة والبحث في بضع مدارس بنيويورك ، بعد ساعات الدراسة ، واتخذت من المتطوعين زعماء وقادة . فلم تقتصر هذه الجماعات على الكلام ، بل استطاعت أحياناً أن تعمل وفق آرائها. ولما قررت الهيئة المشرفة على التعليم بمدينة نيويورك ، أن تسمح لسابره هولبروك بالتوسع ، نظمت جماعة بناة الشباب وصار نيوبولد موريس رئيس مجلس مدينة نيويورك ، رئيساً لمجلس الإدارة .

وظلت زمناً تعمل في مكتب كالجحر ومعها مساعد واحد ، وتؤدى النفقات من جيبها الخاص ، ومن تبرعات عدد قليل من الأصدقاء الذين أظهروا اهتماماً بالأمر ، ثم أخلى لها أحد رجال الصناعة جانباً كبيراً من طابق في عمارته ، وخفف نادي الروتاري

بنيويورك وغيره من الهيئات ، للمساعدة على سد النفقات . وكانت هى قد واظبت على بذل نشاطها للمشروع ستة أعوام بدون أجر .

ومن الأمور الأساسية فى كيان بناة الشباب اختيار الزعيم المعلم لكل ناد . وقد حرصت سابره هولبروك على التدقيق فى اختيار الزعماء بعناية ، فيجب أن يكونوا ذوى عناية واهتمام بالأطفال ، وأن يحترموا الأطفال من حيث هم أفراد ، وأن يكونوا منهومين فى العمل . ويجتمع كل ناد لبناة الشباب مرة فى الأسبوع المدرسى مدة ساعة ، ولكن نشاطه يتجاوز مدى هذه الساعة فى الزمان والمكان . وعلى كل رئيس أن يتولى النصح والتوجيه والتشجيع . ولا يتقاضى الرؤساء ، أو الزعماء أجراً إضافياً ، وجزاؤهم الوحيد هو الاغتباط بأنهم يعملون عمل الرواد .

وتتألف أندية بناة الشباب من ٢٥ إلى ٤٠ طفلا ، وهم جميعاً متطوعون ، غير أن الرئيس أو الزعيم يحاول أن يجعل فى النادى عدة عناصر مختلفة ، فى الجنس ، والدين ، والمركز الاقتصادى ، ومستوى الذكاء ، ليكون أصدق ما يكون تمثيلا لمدرسته .

وحدث ذات يوم فى إحدى المدارس أن كان بناة الشباب يتباحثون فى التمييز بين الأجناس والأديان ، فسأل الزعيم : « هل فى هذه المدرسة شىء من ذلك ؟ » فقال أحد الصبية : « نعم ، فإنا فى حجرة الطعام نجلس متفرقين » . وكان هذا صحيحاً فإن الأولاد اليهود كانوا يجلسون وحدهم ، وكذلك الكاثوليك ، والزنوج ، وغيرهم من الجماعات الخاصة .

فأجمع رأى بناة الشباب على أن هذا خطأ ، وطلبوا من مدير المدرسة الإذن فى إقامة مائدة شرف يجلس إليها التلاميذ بدعوة . وكان هناك ٣٥ قومية ممثلة فى المدرسة وستة أديان ، فدعا النادى على التوالى ممثلى هذه الأجناس والأديان إلى مائدة الشرف ، ونشأت صداقات عديدة من تلاقى مختلف الأجناس والأديان . وكان هذا فى العام الماضى ، أما فى هذا العام فإنه لم تبق حاجة إلى مائدة الشرف .

واشتجر أطفال من اليهود والكاثوليك من مدرستين متجاورتين فى الشوارع ، فأقام بناة الشباب مأدبة غداء لتلاميذ من كلتا المدرستين ، تقرر فيها تأليف لجنة لمجلس الشباب . وقام الأطفال الذين التحقوا بهذا المجلس من جميع الأديان بإصدار صحيفة لحسن الجوار أسموها « أبناء الوطن » ، وهى ترسل إلى جميع العاملين فى القوات المحاربة من أبناء هذه المنطقة ، ليعرفوا أن

الأطفال فى وطنهم يعملون معاً فى سبيل الديمقراطية .

وقد أدخل بناة الشباب فى كثير من المدارس الحكم الذاتى فى الطلبة ، وأدى درس أنواع الحكومات المختلفة إلى إرسال أحد الأندية مندوباً عنه ليشهد اجتماع مجلس المدينة ، وقد أثار أحد بناة الشباب بعد ذلك هذه المسألة : «لماذا يكون الناس شكسين غير لطاف حين يختلفون ؟ »

وفى إحدى مناطق مانهاتان العليا احتاج تلاميذ مدرسة متوسطة إلى ساحة للعب البيسبول ، وكانت هناك حقول ، ولكن أحدها كان غاصاً بالصخور ، وآخر لم يكن له حاجز يمنع أن تتدحرج الكرة إلى نهر الهدسون القريب . فكتب بناة الشباب رسالة إلى روبرت موزز الموكل بأمر الحقول ، يشرحون فيها المزايا التى تستفيدها المدينة من منحهم ساحة : فإن ذلك يعفى الشرط من مؤونة إجلائهم عن الشوارع ولا تحطم الكرات الشاردة النوافذ . وقالوا فى رسالتهم : « سنقوم نحن الشبان بنقل الصخور ، وبعد ذلك نتولى تنظيف الساحة وإخلاءها من الورق والفضلات » . وقد فاز الشبان بالساحة ، وتعلموا درساً فى الحكم الديمقراطى مؤداه أن الوسيلة لنيل شىء هى أن تساهم فيه بجهد .

وفى المدرسة رقم ٤١ قام بناة الشباب بدرس الفرصة الميسورة فى المنطقة للرياضة ومراقبتها — مثل الألعاب ، والكشافة للصبيان والبنات ، والموسيقى ، والتصوير ، والسباحة — ودونوا المعلومات التى حصلوا عليها ، وفى جملتها العناوين والساعات والتكاليف فى نشرة جذابة سموها «أماكن للعب» ، ووزعوها فى المدرسة ، وأدخلوا كل تلميذ تقريباً فى لعبة واحدة على الأقل خارج المدرسة . وأنشأت مدرسة أخرى مركزاً للاستعلامات فى دكان خال يفد إليه التلاميذ طلباً لأحدث المعلومات عن الرياضة .

وفى مدرسة متوسطة ، فى الجانب الغربى الأدنى من المدينة ، فتح ناد باب المناقشة فى أعمال مكتب الأسعار والإدارة ، فقال أحد الصبية : « تقول أمى إن الدكاكين لا تعبأ شيئاً بالحد الأعلى للأسعار » . وقال آخر : «أمى لا ترى أى فائدة لمكتب الأسعار والإدارة » . فروى رئيس النادى هذه المناقشات لمسز هولبروك ، فرأت أن يزور التلاميذ مكتب الأسعار المحلى ليعرفوا كيف يتوقف هذا النظام الشامل للأمة جمعاء على التعاون بين التاجر والمستهلك . ثم عقد اجتماع من الآباء فى المدرسة خطب فيه أحد رجال المكتب ، فاقترح بناة الشباب أن يضع التجار بياناً واضحاً بالأسعار على

واجهة المتجر ، وأن يطبع البيان بجميع اللغات المستعملة فى المنطقة . وقد رفعت هذه الاقتراحات إلى شستر باولز مدير مكتب الأسعار بوشنطن ، فعمل بها .

وتقول سايره هولبروك : « حينما يبحث بناة الشباب مسألة قومية أو دولية ، فإن الرئيس لا يكلفهم قراءة المراجع فى المكتبة — فإن هذا يكون شبيهاً بالأسلوب المدرسى . وإذا قال الرئيس سنرتب مقابلة مع رجل نابه ذى خبرة بالموضوع ، فإن هذا يحرك النفوس ، وإن لم يخرج عن كونه من أساليب التربية » .

وهكذا لما حدث أن خاض ناد فى بروكلين موضوع ما يحسن أن يصنع بألمانيا بعد الحرب ، رتب مكتب بناة الشباب مقابلات مع ركس ستاوت من رجال مجلس الحرب للكتاب ، وبول هاجن من الألمان اللاجئين ومؤلف كتاب « ألمانيا بعد هتلر » ، وهذان يمثلان آراء متعارضة . وقد اختار النادى لجنة من خمسة لأخذ الأحاديث . وأثار تقرير اللجنة فى الاجتماع التالى مناقشة ممتعة . ومن بين من جادوا بوقتهم على بناة الشباب جون جونتر ، وكونتن رينولدز ووليم شيرار وهم من المعقبين على الأخبار ، وأرثر هيز سولزبرجر ، رئيس تحرير النيويورك تيمس ، وإيلى كولبرستون ، وكلارنس ستريت من مؤلفى الكتب فى السلام العالمى . وأعد نادى التاريخ الحديث فى مدرسة ستيفسانت كتيباً قيماً فى « السلام العالمى كيف يكون ؟ » ، قوامه أحاديث مع ستريت وكولبرستون والمناقشات التى تلتها .

وقد اتفق لى ذات صباح أن شهدت اجتماعاً فى نادى بناة الشباب بمدرسة بنيامين فرانكلين ، وكانت إحدى اللجان تعرض تقريرها عن مقابلة لها مع قاضى محكمة الأحداث . وبعد ذلك اشتركت مع بناة الشباب فى مناقشة مسألة العنصر ، فلما دق جرس الظهر وجه لازاروس روس مدير المدرسة هذا السؤال : « من منكم يحب أن يواصل هذا البحث ، فى مكتبى ؟ » فانطلق صوت واحد من أربعين حنجرة يقول : « أنا » ، ونزلوا كلهم إلى مكتب روس ، حيث مضى الصبيان والبنات البيض والسود فى عرض تجاربهم وآرائهم واعتقاداتهم وآمالهم ، بحرارة .

واستطرد الحديث إلى مشاجرات الشارع والخوف من عصابة للصبيان السود تسمى « الصقور » فسألت : « أهم صبيان سوء؟ » فقال غلام أسود : « كلا يا سيدى . ليسوا أشراراً على الحقيقة ، وإنما هم عصابة ليس إلا » . فقال كثيرون من بناة الشباب إن من رأيهم أن من الممكن توجيه الصقور

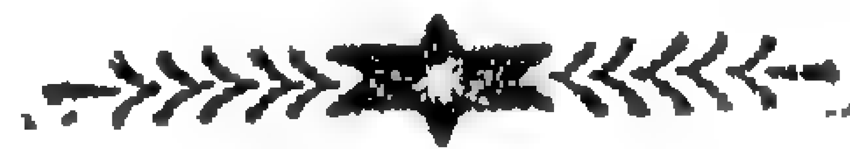
وجهة الخير، إذا عولج الأمر بحكمة . ووعدوا بأن يأتوا بالزعيم لمقابلة المستر روس الذى وعد بالمساعدة .

وقال روس بعد أن انصرفوا أخيراً : « هؤلاء هم بناة الشباب ، وليسوا أكثر من أربعين ، ولكن تأثيرهم يفشو فى هذه المدرسة كلها ، وفيها ١١٠٠ طفل » .

وهذه الروح ليست شيئاً يحقن به الأطفال من الخارج ، وإنما هى روح صادقة لشباب يتوثب بتأثير التوجيه الحكيم والاستنهاض البارع، والواقع أن الـ ٤٠٠٠ من بناة الشباب هم مظهر غليان يسرى فى تلاميذ المدارس جميعاً ، فى أكبر مدن أمريكا . وهذا هو السبب فى أن المدارس التى ليس فيها بناة للشباب تطلب أن يكون فيها أنداد لهم ، وأن سابره هولبروك تتحير وتدرب زعماء آخرين بأسرع ما يستطاع .

وقد اختارت هيئة التعليم بنيويورك أخيراً ثلاثة بارزين من المعلمين الزعماء ليتفرغوا لبناة الشباب ، والإشراف عليهم ، والعمل تحت رياسة المسز هولبروك .

وأنا أجترىء على التكهن بأن فكرة بناة الشباب ستنتشر فى نطاق واسع وتصبح جزءاً لا يتجزأ من التربية العامة .



الحقيقة تكشف

كان يوماً من أيام ألباما القائظة ، فدعوت طالباً إلى أن يتلو جهراً فقرة من رسالة أدبية ، ففعل متعثراً . وحين أتم القراءة سألته أن يبدى رأيه فى قيمة ما قرأ ، وإذا جوابه الصادق يثير عاصفة من الضحك حتى بين الطلبة الذين أوشكوا أن يغفوا ، إذ قال : « يؤسفنى ياسيدى أنى لم أكن مصغياً » .

[جون نيوتن بيكر]

كان وليم ألدن سمث عضو مجلس الشيوخ يروى هـذه القصة عن تقديمه إلى حفلة فى الخلاء أقامتها جماعة من الفلاحين فى ولايته . قال رئيس الحفلة : « سيحدثكم السناتور سمث الآن ساعة ، فإذا انتهى عزفت الجوقة لحناً يدعوكم ليجتمع شملكم ثانية » .

[ج . لن سمث]



مَوْلِدُ دُسْتُور

مَشَاكِلُ أَمْرِيكَا بَعْدَ حَرْب ١٧٨٧

إدوين مولر

كان الاضطراب والفوضى يهددان البلاد ، فنهض القوم لمواجهة الخطر ، فإذا هو الدستور الذى لم شعث ثلاث عشرة جمهورية صغيرة متنافرة ، صارت هى الولايات المتحدة الأمريكية .

كان يوم ٢٥ يناير سنة ١٧٨٧ أتعس يوم فى تاريخ أمريكا ، إذ كانت الثورة قد نجحت ، ولكن الثلاث عشرة ولاية التى فازت باستقلالها كانت أبعد ما تكون عن الوحدة ، وكانت الفوضى سائدة حتى فى داخل كل ولاية على حدة .

فى ذلك اليوم من شهر يناير قاد الكابتن دانيل شيز جيشه المؤلف من ألفى مقاتل وصعد به فوق جبال سبرنجفيلد ، وكان يرتدى ملابسه الأوروبية القديمة . وكانت البنادق التى يحملها رجاله هى بعينها التى قاتلوا بها البريطانيين وجنودهم المرتزقة . أما الآن فهى ستطلق على حامية ماساشوستس التى اصطفت للدفاع عن دار الصنعة (الترسانة) .

كان شيز رجلا بسيطاً من عامة الشعب، وكان قد خاض غمار القتال فيما مضى ليرد المظالم التى لا تطاق والتى صبها عليه قوم أشرار . وإنه ليعتقد الآن أنه يحارب مرة أخرى فى سبيل الغرض نفسه . ويرى أن المحامين ورجال المال فى بوسطن ، وأن رجال التشريع والقضاء الخاضعين لهم ، لا يقلون شراً وفساداً عن الملك جورج الثالث ووزرائه ، فقد دفعوا به ، وبعامة الشعب فى كل مكان، إلى الدمار . أو هكذا كان يعتقد .

مضى الجند قُدُماً يصعدون على سفح الجبل ، وشمس الغروب تلقى شعاعها على الموقع الذى ينتظرهم فى أعلى الجبل . وكان برداً قارساً ، هو أقسى شتاء كان منذ سنوات كثيرة .

فلما صارت المسافة بين الجيشين ٣٠٠ ياردة جاء أحد الرسل يعدو هابطاً من الجبل ، حاملا رسالة من الجنرال شبرد، قائد الحامية ، يقول فيها :

« قفوا رجالكم وإلا أطلقت النار »
فزمجر شيز قائلا :
« قل له : ذلك ما نبغى »

ثم لم يبق بينهما إلا مئة ياردة ، وإذا صيحات الأمر تصدر من أعلى ، وإذا البنادق تسدد . ثم انطلقت قذيفة من المدفع ، ثم أخرى — ولكنهما مرتا فوق رءوس العصاة الزاحفين . فأخذ التردد والخوف بعضهم ، ولكن المقاتلين الممرسين كانوا فى الطليعة ، وعلى إثرهم مضى الباقون .

أمسك شيز عن إطلاق نيرانه زمناً طويلا ، فجاءت القذفة الثالثة ، ولكنها فى هذه المرة كانت قاتلة ، فسقط الصف الأول من رجاله ، بعضهم يتلوى فى الثلج ، وبعضهم ملقى بلا حراك .

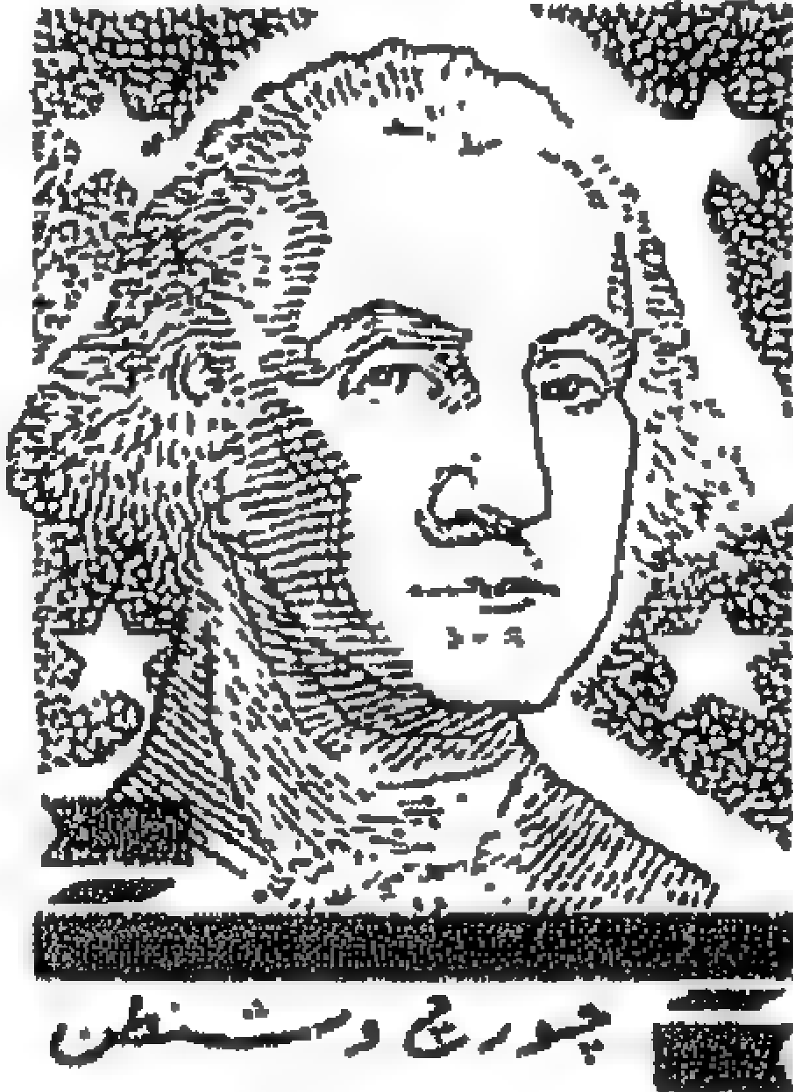
وتفرق شمل شيز وجنوده ، وفروا إلى أسفل الجبل ، وانتهى بذلك خطر العصيان .

على أن قذائف الجيش المرابط لم تكن كفيلة بمعالجة القلاقل والقضاء على الأخطار . وقد كتب وشنطن يقول :

« إن فى كل ولاية من المواد القابلة للالتهاب ما تشعل نيرانها شرارة واحدة . ولقد خفت خطر هذه القلاقل خوفاً لا أستطيع التعبير عن مداه » .

ذلك أن عصيان شيز لم يكن سوى إحدى « القلاقل » التى وقعت ، وقد جرت مصادمات مسلحة فى ولايات ماساشوستس الغربية ، وفيرمونت ، وفى أنحاء أخرى من نيوإنجلند . وفى نيويورك مست الحاجة إلى الاستعانة بالجيش المرابط فى مقاطعتى دتشيس وكولمبيا .

بل لقد وقعت بداية حرب بين الولايات ، ذلك أن وادى وايومنج فى الشمال الشرقى من ولاية بنسلفانيا ، كان قد صار مقاماً لبعض رجال من ولاية كونكتكت ونسائها . وفى أحد فصول الربيع ثارت عصابات سسكويهانا وأغرقت الوادى ، ودمرت المنازل والحظائر ، وأهلكت الماشية . فأرسلت السلطات المسئولة فى بنسلفانيا فصيلة من الجيش المرابط لنجدة السكان ، ولكن الجنود فعلوا ما يفعلون فى أراضى الأعداء ، فراحوا يسرقون ويحرقون ، فقاومهم السكان ، فما كان منهم إلا أن أخرجوهم من بيوتهم وهم يهددونهم بأسنة الحراب ، ثم أحرقوا ما بقى من ديارهم ، وطردوهم من الولاية .


جورج وشنطن

وغلبت الحكمة فى بنسلفانيا ودفعت التعويضات اللازمة فى الوقت المناسب ، بحيث حالت بين كونكتكت وبين إرسال حملة تأديبية لرد العدوان . وبينما كانت الولايات على هذه الحال من التنازع ، كانت الحرب الخارجية توشك أن تشتعل ، فإن بريطانيا ظلت على عدائها ، ورفضت أن تسحب حامياتها من الغرب . أما أسبانيا فكانت تهدد بخنق الولايات الغربية بسد مصب نهر المسيسبي . ولم يعد ثمة جيش يصلح لمواجهة هذه الأخطار المهددة .

وكذلك لم يكن ثمة أسطول لحماية السفن الأمريكية ، فراح قرصان البربر — لصوص البحر المتوحشون الذين جاءوا من ساحل إفريقية الشمالية — ينقضون على كل سفينة تدخل البحر الأبيض المتوسط . وكانت بريطانيا وفرنسا وأسبانيا قادرة بعض القدرة على حماية سفنها ، أما أمريكا فلا . ومن ثم كان القرصان دائماً يهللون لرؤية أي علم أمريكى . وكان الأمريكيون يختطفون ويباعون فى سوق الرقيق ، ويقتلون . ومضى الأمر على هذا المنوال عاماً بعد عام ، وأمريكا عاجزة عن علاجه .

وكانت المشاكل الاقتصادية هى همّ كل أمريكىّ فى بلاده ، تلك المشاكل التى دفعت شيز وأمثاله إلى التمرد والعصيان . فلم يكن ثمة نقد وطنىّ ، بل كان هناك خليط مضطرب من الريالات والشلنات ونحوها من شتى أنواع النقد . وكان لكل ولاية نظامها فى ورق النقد ، وبعضه أغرب من بعض ، وقد تفاوتت قيمته تفاوتاً عظيماً ، ولكنه يتجه باطراد إلى غاية الهبوط .

وراح المعلقون الأجانب يعقبون على شئون أمريكا باستهتار واضح . ومن ذلك قول أسقف جلوستر :

« أما عظمة أمريكا فى المستقبل ، فإن التفكير فيها من أسخف ما يخطر بالبال ، ومن أشدما يكون تطرفاً فى الوهم والخيال . لأن تنافر الأمريكيين وتضارب مصالحهم ، والخلاف فى حكوماتهم ، وعاداتهم وطباعهم ، تومىء كلها إلى أنه لن يكون لهم قط مركز للوحدة ولا مصلحة مشتركة . وهذا الشعب المشتت الوحدة أبد الدهر ، الذى يسوده الشك والارتياب ، سيظل ينقسم ثم ينقسم إلى دويلات صغيرة أو مقاطعات طبقاً للحدود الطبيعية » .

ولم يكن ذلك فى الحقيقة شعباً ، وإنما هو حلف من ١٣ جمهورية مستقلة ممتدة على ساحل طويل ، وقد ظل الحلف بينها قائماً على أساس واهن من مواد نظام الاتحاد الذى وضعه (الكونتننتال كونجرس) فى وقت إعلان الاستقلال ، ولم تقبله الولايات

كلها حتى كانت سنة ١٧٨١ . والواقع أن تلك المواد تضمنت معاهدة اتفقت بمقتضاها الولايات الثلاث عشرة أن تعمل معاً — على مثال ما تفعل الأمم المتحدة اليوم .

وكانت الأداة الوحيدة التي تكفل التضامن فى العمل هى الكونجرس . وكان هذا كل ما يمكن أن يسمى « حكومة الولايات المتحدة » إذ ذاك ، ولم يكن الكونجرس يزيد كثيراً على أن يكون مجلس سفراء ، وكانت له سلطات معينة مفروضة ، كإعلان الحرب وشنها ، وإصدار النقود ، ولكنها كانت سلطات وهمية .

ولم تكن ثم سلطة تنفيذية مركزية ، وقد كان هناك رئيس حقاً — وهو رئيس الكونجرس — بيد أنه لم يكن له من السلطان أكثر مما لأى عضو آخر . وقد كان قبل جورج وشنطن فى أمريكا أربعة عشر رئيسا ، بين عامى ١٧٧٤ و ١٧٨٩ ، ولكن من منا يذكر اليوم اسم رئيس واحد من هؤلاء ؟

وقد استطاعت المحالفة أن تظفر فى حرب ، ولكنها أخذت تتفكك عراها حين انتهت الحرب ، كما يحدث دائما ، وانصرف كل عضو من أعضائها إلى ما يهمه وحده .

وفى سنة ١٧٨٣ اجتمع مجلس (الكونتننتال كونجرس) فى فلادلفيا . وهناك أمام أبواب الدار التى اجتمع فيها المجلس ، اصطف ثمانون جنديا من الذين ثارت ثورتهم لأنهم لم يتقاضوا أجورهم ، وبعد أن تساقوا كؤوس الخمر شرعوا يرمون النوافذ بالحجارة ، ثم سددوا بنادقهم وهددوا باختطاف النواب وأخذهم رهائن حتى تدفع لهم الأجور .

واستعان الأعضاء بالحكومة ، فلم تصنع شيئا . واستعانوا بالسلطات المدنية ، فلم يظفروا بطائل . وعندئذ فروا على نحو فاضح إلى برنستون ، حيث آوتهم كليتها وأكرمتهم .

كان الكونجرس ضعيفاً لأنه لم يكن له من الوسائل الصالحة ما يكفل تنفيذ قوانينه . وقد صدق نوح وبستر حيث قال : « إن القانون بغير عقاب ليس إلا نصيحة ! » ولم يكن للحكومة المركزية من الحول ما تستطيع به أن تجمع المال ، أو تحتفظ بجيش أو أسطول ، أو تنشىء علاقات تجارية أو غيرها بين الولايات .

وقد اهتدى بعض الأمريكيين إلى علاج هذه الحال ، وكان من بينهم وشنطن ، الذى كان يؤكد أن الأمل الوحيد هو الاتحاد الصحيح تحت لواء حكومة اتحادية واحدة .

ولكن أوساط الأمريكيين لم يكونوا

يؤيدون ذلك — إن الحين لم يحن بعد . وكان وشنطن قد قال إن الشعب يجب أن يكون مستعداً لتضحية بعض المصالح المحلية فى سبيل المصلحة العامة ، ولكن الولايات لم تكن مستعدة للنزول عن أى جزء من سيادتها فى سبيل « دولة عليا » — وهى كلمة شاع استعمالها إذ ذاك .

كان أهل الولايات المختلفة لا يكاد بعضهم يعرف بعضا ، بل كان الزمن الذى يفصل بعضهم عن بعض أطول من الزمن الذى يفصل الأمريكيين اليوم عن حلفائهم الروسيين أو الصينيين ، إذ كانت المسافة بين بوسطن ونيويورك تقطع فى أسبوع أو عشرة أيام — وكانت الرحلة مملة ، باهظة ، مضنية . وكان الذهاب من الشمال إلى الجنوب رحلة طويلة فى المحيط ، تستغرق من الزمن أطول مما تستغرق الرحلة من سان فرنسسكو إلى أستراليا اليوم .

ولم تكن ثم جمعيات صحفية كبيرة ، ولا صحف ، ولا مجلات تربط بين مختلف الأنحاء . ولقد كتب ماديسون إلى جفرسون يقول : « إن الذى أعرفه عن شئون جورجيا يعدل فى قلته ما أعرف عن شئون كامتشكا ! » .



بنيامين فرانكلين

وكان أهم الأسباب فى قلة الرغبة فى إنشاء اتحاد وطنى قوى هو تلك الغريزة الأنجلوسكسونية السليمة، غريزة الحياة بأقل ما يمكن من سلطان الحكومة

وقد حارب الشعب كيما يتخلص من إسراف سلطان الحكومة ، فلماذا يفرضها على نفسه بنفسه ؟

وهكذا كانت تقوم فى سبيل تكوين الشعب عقبة كؤود راسخة من روح المقاومة ، يقتضى التغلب عليها حربا شعواء لها من أسباب المخاطرة والقوة ما كان لتلك التى تمخضت عن الثورة الكبرى .

كان الذين وضعوا مشروع الدستور وصاغوا نصوصه نخبة ممتازة ، يحق لواحد منهم أو اثنين أن يتبوأ مقام العبقرية

كان أحدهما ، إسكندر هاملتون ، شابا لم يكد يتجاوز الثلاثين ، ولكنه أثبت أنه راسخ القدم فى كل ميدان خاض غماره — فى التجارة ، والمالية ، والقانون ، والفن العسكرى ، ثم فى فن الحكم فوق ذلك كله . وقد انحصرت أمواج همته الدافقة حينئذ فى العمل على إنشاء حكومة مركزية قوية — أى إنشاء شعب . وقد كان يهدف إلى ذلك

باطراد خلال السنوات العصيبة بين ١٧٨١ و ١٧٨٧ ، مع وشنطن وجيمس ماديسون وغيرهما .

وكان هاملتون هو الروح المسيطرة فى هذه الجماعة البعيدة النظر ، كان يدير رحى الحركة ، حريصا على أن لا يغالى فى سبق الرأى العام . وكان الأمل ضئيلا فى تحقيق شىء من طريق الكونجرس ، بل كان الهدف هو تأليف هيئة جديدة ، أو جمعية تضع دستوراً ، وتقيم بناء الشعب »

ولم يكن من الميسور التصريح بهذا الهدف — لأن الأمة لم تكن على استعداد لقبوله ، فسار إليه هاملتون وجماعته من طريق غير مباشر . وفى سنة ١٧٨٦ اقترحوا أن يمنح الكونجرس تفويضا لجماعة من المندوبين عن جميع الولايات لإدخال بعض التعديلات على مواد الاتحاد كما كانت إذا ذاك — ولا أكثر من ذلك . ومع ذلك فقد اعترض الكونجرس فى أول الأمر ، وكذلك اعترضت حكومات الولايات .

ولكن وشنطن أيد الاقتراح، وقبله الكونجرس بعد لأى تحت تأثير هيبة وشنطن وإغراء هاملتون وماديسون ، وأصدر قراراً بدعوة الهيئات التشريعية فى كل ولاية لإرسال مندوبين إلى فلادلفيا .

وتلقت الهيئات التشريعية الاقتراح غير متحمسة ، وراحت تتلكأ فى الأخذ به . ولكن ١٢ ولاية عينت مندوبيها آخر الأمر ، وأصرت ولاية رود أيلاند على أن تنفض يدها من الأمر كله .

وفى مايو سنة ١٧٨٧ اجتمع فى فلادلفيا خمسة وخمسون مندوبا أحسن اختيارهم ، فلم يغب عن هذا الجمع ، من الذين صعدوا إلى أوج العظمة خلال سنوات الثورة ، سوى عدد قليل . فكان بينهم وشنطن ، وبنيامين فرانكلين ، وماديسون ، وهاملتون . وكان توماس جفرسون وجون أدمز فى أوربا حينذاك . أما صمويل أدمز وباتريك هنرى وريتشارد هنرى لى ، فقد تخلفوا فى بيوتهم غير موافقين .

ولما اجتمع المندوبون فى « قاعة الاستقلال » انتخبوا وشنطن رئيسا، وبدأوا مهمتهم . وسرعان ما واجهوا القرار الأساسى الذى لم يكن بد من اتخاذه ، وهو : لماذا جاءوا ؟ ألتعديل « مواد الاتحاد » أم لتمزيق تلك المواد


الكسندر هاملتون

ووضع دستور جديد ، وتأليف حكومة قوميـة حقا ؟

وعندئذ أسفر هاملتون وماديسون وجماعتهم عما فى نفوسهم ، وراحوا يروّجون لقضيتهم بكل ما أوتوا من قوة عبقريتهم ، فأخذت الجماعة تميل إليهم شيئاً فشيئاً وفى تردد ، حتى وصلت إلى قرارها آخر الأمر ووافقت على وضع دستور جديد وحكومة مركزية قوية .

فلما قرّ القرار ، عاد بعض المندوبين أدراجهم ورجعوا إلى بلادهم ، وقالوا إن قومهم لن يطيقوا التسليم بأى نصيب أساسى من سيادة ولاياتهم . وبقى آخرون لا لشىء سوى المعارضة . وتردد كثيرون فى رأيهم ، وذهبوا إلى وجوب الحد من الحكومة المقترحة وإضعافها حتى يقبلها الشعب .

وعندئذ استطاع وشنطن أن يصون وحدتهم بكلماته المشهورة : « إذا نحن قدّمنا للشعب فى سبيل إرضائه شيئاً لا نقره نحن ، فكيف نستطيع بعد ذلك أن ندافع عن عملنا ؟ هيا بنا نرفع راية يلوذ بها العقلاء والشرفاء جميعاً » .

ولكن الخلاف فى الرأى ظل قائماً على مدى ما ينبغى أن يذهبوا إليه ، فقد سلموا بأن الحكومة المحلية يجب أن تضحى فى سبيل الحكومة القومية ، ولكن إلى أى حد تكون هذه التضحية ؟

كان هاملتون يرى أن تقسم الولايات وحدات صغيرة على مثال المديريات الحالية فى فرنسا ، ويعطى رئيس الجمهورية حق تعيين محافظيها .

ولكن الأغلبية عدّت ذلك غلوًّا ، فلما رفض المشروع هوى معه هاملتون ، وبرز جيمس ماديسون وصار الزعيم المتّبع . وكان رجلا خجولا نحيل الجسم شديد الحياء ، ضعيف الإقبال على الجدل العنيف والمناقشة الحامية ، ولكنه كان مثل هاملتون خبيراً متضلعاً من فلسفة الحكم ، وكان فى وسعه أن يبين الأخطاء والمزايا فى «مجلس الوثام» الذى ألفه اليونان، أو فى أى نظام سواه من أنظمة الحكم القديمة والحديثة، فضلا عن درايته بأعمق أصول السياسة .

وسار المندوبون فى طريقهم خطوة خطوة ، مستشعرين شيئاً من النفور فى بعض الأحيان مما هم بسبيله من تجديد وابتداع . فلما طرح موضوع تخويل السلطة التنفيذية لرجل واحد ، ساد الاجتماع صمت عميق ، ثم نهض الشيخ الهرم مستر فرنكلين وقال : إن الموضوع من الطرافة بمكان ، وإنه يود أن يستمع فى هذا الصدد إلى أقوال المندوبين . فكان

ذلك إيذاناً بانطلاقهم فى المناقشة . وكلما تعقد الموقف أمكن الوصول إلى حل وسط.

وقد كادت إحدى المسائل الأساسية تنهى بالمؤتمر إلى الإخفاق ، وهى المسألة الشائكة فى كل محالفة : هل تشرف على تنفيذها الولايات الكبرى ، أم تستمتع الولايات كلها ، كبيرها وصغيرها ، بحقوق متساوية .

وقد دارت رحى المعركة من أجل الاقتراح الخاص بالمجلس التشريعى القومى ، فقد تقدمت فرجينيا باسم الولايات الكبرى باقتراحها فى هذا الصدد ، وهو يرمى إلى انتخاب مجلس نواب على أساس عدد السكان ، ومعه مجلس أعلى يختار مجلس النواب أعضاءه من بين أشخاص تعينهم المجالس التشريعية فى مختلف الولايات .

ولكن الولايات الصغيرة ثارت على هذا الاقتراح ، وقدمت نيوجرسى اقتراحاً يخالفه يقضى بتشكيل هيئة تشريعية من مجلس واحد يمثل الولايات ، لا الشعب ، وتكون أصوات الولايات جميعا على السواء .

وهذا أيضاً قوبل بحملة من الولايات الكبرى ، واحتدم النضال ، وظن أنه لا سبيل إلى الوفاق .

وعندئذ تقدم وفد كونكتكت باقتراحه ، وهو الذى عرف « باتفاق كونكتكت » . وقوامه إنشاء مجلسين أحدهما ، وهو الأدنى ، ينتخبه الشعب على أساس عدد السكان ، والآخر ، وهو المجلس الأعلى ، تختاره الهيئات التشريعية فى الولايات ، على أساس صوتين لكل ولاية .

وقد قتل الاتفاق بحثاً بكل تفصيلاته ، وقد قال أحدهم إن المجلس الأول مع اطراد زيادة السكان ، سيصبح هيئة صعبة القياد بعد ١٥٠ سنة .

فقام جورهام مندوب ماساشوستس وسخر ضاحكا من اعتقاد صاحب الاعتراض أن تدوم أية حكومة يمكن أن يتفقوا على تأليفها ١٥٠ سنة .

وهكذا استطاعوا بالتوفيق بين مختلف آرائهم أن يسيروا قدماً إلى هدفهم — وهو إنشاء حكومة قومية ، تكون قوية ومركزية ، ثم لا تتلاشى تحت سلطانها الولايات . وقد كانوا يعملون فى جو من الهياج والعزم المر الشديد . وكثيراً ما عقدت الجلسات المستعجلة لتسوية الخلافات الحادّة . وكانت حرارة الجو شديدة شدة لم يعهد لها مثيل منذ سنين ، وفى هذا الجو كانت الأعصاب تثور فى بعض الأحيان . فإذا استولى العناد على أحد الأعضاء ، وأبى أن يصغى إلى رأى غير رأيه هو ، قص مستر فرانكلين قصته

المأثورة عن السيدة الفرنسية التى قالت لأختها يوماً وقد احتدم بينهما الخلاف : « لست أدرى كيف كان ذلك ياأختاه ، فإنى لم ألق أحداً قط هو على حق دائماًسوای أنا ! »

وهكذا نهض بناء الحكومة فى بطء ، ولكن فى اطراد ، بأيدى أولئك البنائين الذين أحسنوا التوازن بين الفروع الثلاثة : السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية .

وأخيراً تم العمل، وكتب الدستور، وقد بدأوه قائلين — ولعلهم كانوا إذ ذاك يعانون شيئاً من الحيرة والتشكك فى أعماق نفوسهم: « نحن ، شعبَ الولايات المتحدة . . . » .

بهذا قدم الدستور إلى الشعب الأمريكى، فلم يرقه بوجه عام .

ذلك أن الرجل من أوساط الناس أحس بأن شيئاً ما قد ألقى على عاتقه وهو غير مريد له ، فإنه كان قد اقتنع بضرورة التنازل عن جزء يسير من سيادة الولايات، أى من حريته هو ، ولكن هذا الدستور قد غلا غلواً كبيراً . فهذه هى « الدولة العليا » التى كان يمقتها . إنه يلمح بوادر الطغيان من بعيد: طغيان «الكونجرس» الذى يستطيع أن يسيطر على الانتخابات ، وخاصة طغيان رئيس الجمهورية . ولهذا سمى الدستور مؤامرة من المترفين على عامة الشعب .

عندئذ خاض هاملتون غمار المعركة فى نيويورك ، ويومئذ كشف عن مبلغ عظمته ، حين لم يحقق الدستور آماله . لقد رآه عملا وسطاً مشكوكا أعظم الشك فى قيمته ، وإن كان خطوة إلى الأمام بالنسبة للنظام القائم . وقد دعا إلى قبوله بكل ما أوتى من بلاغة لا تبارى ، واستطاع بمهارته أن يوجه مختلف الأحزاب إلى تعضيده وتأييده ، وراح يشرح قضية الاتحاد بين الولايات فى السلسلة العظيمة من المنشورات الاتحادية التى كتب هو معظمها .

واشتد النضال فى أنحاء الولايات الثلاث عشرة ، فكانت هذه أول معركة سياسيةوطنية تخوضها أمريكا — وكانت من أحمى المعارك . وكان الصراع عامة بين المدينة والريف ، فكان أكثر الفلاحين وصناع القرى عدواً للدستور ، وكانت الطبقات التجارية فى المدن معه .

وامتلأت الصحف بالرسائل الحماسية من الجمهور ، وفاضت النشرات كالسيل من غير توقيعات ، وبيع معظمها بثمن تافه . وأدلى أصحاب الإمضاءات المستعارة على اختلافها بدلوهم ، فكانت هناك توقيعات « الحق الصراح » و «بروتس» و « حر قديم » .

وقد وصف أحد كتاب النشرات التي صدرت ضد الاتحاد الدستور بأنه « وحش ، مروّع مخيف فتاك ، ذو انياب طويلة من حديد » .

ولقد وقعت بعض أعمال العنف ، ففي وائل المعركة بلغت حماسة الناخبين في بنسلفانيا حد الغليان ، وكانت أغلبية الهيئة التشريعية تؤيد الدستور ، حتى إذا هموا بالتصويت تمهيداً لتقديمه إلى ناخبي الولاية كلها ، حاولت أقلية الأعضاء تعطيل التصويت ، بأن ظلوا في منازلهم لكي لا يكتمل النصاب القانوني للجلسة .

فهاجمهم جمع كبير من الغوغاء الذين يؤيدون الاتحاد وأخرجوهم من مساكنهم ، وحملوهم قسراً واجتازوا بهم الشوارع إلى دار الحكومة ، وأجلسوهم بالقوة في مقاعدهم حتى أخذت الأصوات .

وكثيراً ما كانت اجتماعات الاتحاديين وغير الاتحاديين تفض بالقوة ، وكذلك أحرقت نسخ من الدستور على الملأ . وحدث في ألباني أن التقت مظاهرة لتأييد الاتحاد بأخرى ضد الاتحاد ، فالتحم الجمعان في معركة طاحنة استعملت فيها السيوف والحراب ، وأسفرت عن قتيل وثمانية عشر جريحاً .

وتم التحول بالتدريج إلى تأييد الدستور .

ولم يكن مرجع هذا التحول إلى قوة حجج هاملتون وغيره من الاتحاديين فحسب ، بل لأن الرجل من عامة الناس استطاع آخر الأمر أن يستبين بنفسه ما ينبغي أن يختار : فإما الفوضى المتفاقمة ، وإما الحكومة المركزية القوية . وكما يقول فلاح بسيط من بركشاير يدعى جوناثان سميث : « أليس الأفضل أن نقيم سياجا لا يروق جميع الناس ، بدلا من أن نظل نتجادل في أمره حتى تأتي الوحوش الضارية فتلتهم المحصول ؟ » .


جيمس ماديسون

وقد تجلت إرادة الشعب في مؤتمرات الولايات ، وكانت ديلاوير أول ولاية أقرت الدستور في ٦ ديسمبر سنة ١٧٨٧ ، وتلتها بنسلفانيا ونيوجرسي في الشهر نفسه . فلما حل يوم ٢١ يونيه كانت تسع ولايات قد وافقت عليه ، وهو العدد اللازم لقبوله . أما بقية الولايات فقد ظلت تكافح في سبيل إقراره في السنتين التاليتين .

وهكذا ظفر الشعب الأمريكي بدستوره غير موقن تمام اليقين أربح أم خسر في هذه الصفقة . ثم مضى فأدخل عليه التنقيح ، وقد بدأ ذلك التنقيح في بعض المبادئ

الهامة من اليوم الذى أقر فيه الدستور — بالتعديل ، والتفسير ، والتطبيق . وقد قال جفرسون فأوجز : إن الدســتور لوحة جميلة ، ولكنها فى حاجة إلى بعض التنقيح . وكان أول ما أدخـل من التنقيح إضافة عشرة تعديلات ، هى « قانون الحقوق » . وكان نقص مثل هــذا القانون موضوع مهاجمة الشعب للدســتور فى كل مكان ، فقـد كان الشعب يطلب النص على ضمان حريات معينة له فى ظل الحكومة الجديدة ، ومن بينها الحرية الدينية ، وحرية الخطابة والصحافة ، وحق اجتماعهم آمنين ، وضمان أن لا يحرم أحد حياته أوحريته أو أملاكه بغير إجراءات قانونية .

وقد رفضت بعض الولايات فى أول الأمر إقرار الدستور إلا إذا أضيفت إليه تعديلات تكفل تلك الحريات ، وانتهى الأمر بأن دبابته على أساس عهد غير مكتوب بإدخال التعـديلات المنشورة ، يوم يتم أول اجتماع للكونجرس .

ولقـــد نفذ هذا الاتفـاق ، وأقر الكونجرس الأول « قانون الحقوق » ، وقد صيغ فى عبارات يبدو فيها أثر جفرسون واضحاً ، ثم أبرمت الولايات منفردة نصوص القانون .

وقد كان دســتور الولايات المتحدة الأمريكيــة أنموذجا لكثير من الشعوب الجـديدة الأخرى أخـذت به فى إقامة حكوماتها ، وربما أصبح أنموذجا لحكومات أكبر فى المستقبل . وقد كتب جون فيسك منـذ قرابة ستين عاما يقول :

« إننا لنرجو ، يوم تجتمع مؤتمرات أخرى أكبر من مؤتمرنا هذا ، أن يصنعوا بين دول كاملة السيادة مثل الذى صنعنا ، بحيث يتوطد السلام ويقل العنف فى بلاد أخرى غير هذه البلاد التى كانت أول مثل » .

عالمه الخاص :

شوهد جندى فى مطار سيداليا بولاية ميسورى يثبت على منامته أشرطة شاويش ، فسئل عن ذلك فقال : « ألا يحق لى أن أحلم ؟ » .

الحقيقة الهائلة :

روى لترد ليونز فى مقاله الذى ينشر فى صحيفة نيويورك بوست أن طبيباً نفسياً فى كاليفورنيا سئل : « أأنت نبوليون ؟ » فقال « لا » فدل جهاز كشف الكذب على أنه كاذب فى رده .

حكمة الحيوان اختارها ألن ديفو

— ٥ —

[تختلف حكمة الحيوان عن « عقلنا المدرك » ، إذ هي ترجع إلى الإلهام في أكثر أمرها ، ولكنها كثيراً ما بهرت رواد السبارى ، وقد انتخبت المشاهدات التالية من آلاف من رسائل القراء .]

هداية الدب

عثرت في ولاية نيو سوث ويلز بأستراليا على طـفلاً صغير من جنس « الكولة » ضلت عنه أمه (والكولة الرمادى حيوان كالدب ظريف ذو فرو ، صغير الجسم يلوح كأنه دمية دب من دمى الأطفال) . فرعيته وغذيته ، وسرعان ما أصبح لي رفيقاً مخلصاً يرافقني حيثما تنقلت بعيداً أو قريباً .

وتوغلت ذات يوم في الولاية ، فحاصرتني نار اكتسحت الأعشاب ، واندلعت نحوى في سرعة مفزعة ، وهي تزأر . انطرحت على الأرض أتنفس ما قد بقي من الأوكسيجين على مقربة من سطحها ، ولقد أيقنت أن منيتي قد اقتربت . وحينئذ ذكرت الكولة — فرأيته يسعى إلىّ مسرعاً ، ينتش ثيابي نتشة ثم يرتد مسافة قصيرة . ومع ما أنا فيه من حيرة ، أدركت أنه يريد أن يحملني على أن أتبعه . وعلى بضع مئات قليلة من الأقدام ، وقفت على بحيرة صغيرة ما عرفتها قط ، فارتميت فيها والكولة على كتفي ، وقضينا هنالك الساعات التي قضتها النار وهي تحتدم ، فكنت أغمر نفسي والكولة معي ، كلما زادت درجة الحرارة زيادة غير محتملة . ولولا حكمة « دب الأعشاب » وإخلاصه ، لما كنت اليوم في الأحياء . [هـ . كوجل]



سهارة السلحفاة

على مقربة من بيت صديق في كاليفورنيا ، وفي قعر خليج جاف ، عاشت سلحفاتان بريتان ، أصبحتا بعد قليل كالحيوانات الأليفة ، إذ كان صديقي لا يقصر في تقديم الطعام لهما . وأحب الطعام إلى السلاحف هو الخس ، وكان مضيفهما يدعوهما إلى الطعام بقرع وعاء من صفيح . وقد دعاني ذات يوم لأراهما وهما يلتهمان طعامهما .

قرع الوعاء فأقبلت السلحفتان مسرعتين تعدوان — عدوَ السلاحف — وجاءتا جنباً إلى جنب إلى حيث كان الخس المحبوب . فلما صارتا على بضع أقدام منه فاجأت كبراهما الصغرى فزحمتها . وبحركة خبير ، أدخلت رأسها تحت منافستها وقلبتها على ظهرها ، ثم أسرعت إلى الطعام تلتهمه . كان ثلث ما قدّم لهما من الخس قد التهم قبل أن تتمكن الفريسة المحنقة التي صرعها ذكاء صاحبتها من أن تضرب بسيقانها وتتقلب حتى تستوى على أقدامها مرة أخرى . [إلزورث إ . زان]



العهد الأخير

وقفت ببابى هرة هائمة نزعت إلى العيش فى البرية ، كما تفعل الهررة ، وماءت . حاولت أن أستدرجها حتى تدخل ، ولكنها ظلت تحدق فى عينى متوسلة . لقد رفضت ما قدمت لها من اللبن . جعلت تموء ، ثم أخذت تتلفت إلى ، ثم انقلبت راجعة .

شعرت بشىء من سخافة العقل ، ولكنى تبعتها ، فقادتنى إلى كومة من الدريس فى مخزن قديم ، فرأيت فى وسط الدريس أربع قطاط صغيرات مخبوءة هناك .

ولقد بدا لى ذلك أمراً عجيباً ، فإن الهررة تمعن فى إخفاء المكان الذى تدس فيه صغارها . وفى اليوم التالى زرت هذه الأسرة الصغيرة مرة ثانية .

وجدت الصغار يتضوّرون جوعاً ، ويجاهدون فى العثور على ما يرضعنه ، ولكن أمها كانت هامدة همود الموت ، وجسدها البارد ملقى بجوارهن بحيث يحميهن . ففهمت . لقد ألهمت الأم أن منيتها قد اقتربت ، فبذلت غاية جهدها حتى تضمن لصغارها من يحوطهم ويكفلهم . [أنا نيلسون]





لأنْ تضىء شمعة صغيرة خير لك
من أن تسبّ الظلام . [كونفوشيوس]

حُكْمٌ على الهند

ملخصة عن كتاب بقلم بفرلى نكولز



[« حكم على الهند » ثمرة رحلة أتمها حديثاً صحفى انجليزى من أقدر الكتاب على إثارة الإهتمام. وكتابه يصف مغامرة شخصية بين الشعب الهندى وزعمائه الحاليين ويعرض آراء شخصية تخالف بعض الآراء الشائعة فى موضوع الإستقلال الهندى]

حكم على الهند

لما دخلت مستشفى هندياً لعلاج قدمى الملتهبة ، كان أول ما علمته أنه ليس ثم سوى ممرضة واحدة مدربة لكل ٦٥,٠٠٠ من سكان الهند . وهذا الرقم يعادل إجمالا ، أن يكون لكندا كلها ٢٠٠ من الممرضات . وفى مدينة بشاور التى أويت فيها إلى مستشفى يوجد ٦٠,٠٠٠ حالة من التدرن الرئوى وحده ، فإذا جعلنا ممرضة واحدة لكل عشرة من هؤلاء المساكين ، فإننا نحتاج أن نستخدم هيئة التمريض بأجمعها فى الهند لهذه المدينة الصغيرة نسبياً .

ولا يزال التمريض فى الهند مهنة تعدها السواد الأعظم من النساء الهنديات وصيعة ، وليست العادات التى اضطرت فلورنس نيتنجيل أن تكافحها فى إنجلترا فى العهد الفكتورى ، سوى أهواء ونزوات إذا قيست بالقواعد المقررة المستحكمة للطبقات والتقاليد ، التى تحكم المرأة الهندية .

وهذا هو السبب فى أن نسبة كبيرة من جماعة الممرضات الصغيرة ، تتألف من الفتيات المولدات (الهنديات الإنجليزيات) ومعظمهن مسيحيات . والمهانات التى كثيراً ما تتعرض لها هؤلاء الفتيات مما لا يصدق ، وخاصة حين تكون إحداهن موكلة بحالة خاصة . وقد حدثتنى فتاة عالية الثقافة شديدة الذكاء أنها تطالب بأن تأكل مع الكناسين ، وأنه بعد أن يستحم مريضها بالمطهرات ، يصر المريض على الاستحمام مرة أخرى ليميط عنه « لوثة » لمسها .

وهؤلاء الستون ألفاً المصابون بالتدرن؟ من أسباب ذلك ، ربطة « البوردا » . وأنت إذا سرت فى شوارع بشاور فإنك لن ترى وجه امرأة ، والنساء القليلات اللواتى تلقاهن مغطيات من الفرع إلى القدم ، وليس لهن سوى شقين ضيقين للعينين ، وخرق ضئيل للفم — وهذا هو كل الهواء النقى الذى ينلنه .

وحدثنى الطبيب الموكل بجناحى ، قال : « لو أن أحداً أراد أن يخترع ثوباً مثالياً لتفريخ الجراثيم لما استطاع أن يجىء بخير من البوردا . ونحن نكافح هذا الرداء سنة بعد سنة ، ولكنا لا نستطيع أن نكافحه جهرة مخافة أن نسىء إلى الإحساس الدينى فى الشعب » .

وقالت ممرضتى صباح يوم — وكان الاثنين — : « قد نشأت متاعب فى إحدى حجرات الجناح المجاور » .

« جاء غلام صغير ومعه ١٨ من أقربائه يصرون على النوم بجانب سريره » .

« ثمانية عشرة ؟ » .

« نعم ، أبواه وجدوده وعمومته وخؤولته وإخوته وأخواته وأبناء عمومته ، فضلا عن ثلاثة أطفال لا يكفون عن الصراخ . وهو أشد ما يكون حاجة إلى الهدوء التام » .

« ولماذا لا تتخلصون منهم ؟ » .

« لا نستطيع . ولو أنا طلبنا من أحدهم فقط أن يخرج لحملوا الغلام ، ولكان الأرجح أن يقضى نحبه قبل الصباح » .

ويرجع ذلك إلى نظام الأسرة المشترك فى الهند ، وهو يقضى بأن تعيش الأسرة المكونة من ٢٠ أو أكثر تحت سقف واحد . ولما أخذت أتماثل وأستطيع أن أطوف بأنحاء المستشفى الأخرى على كرسى ذى عجلات ، وجدت أن كثيراً من الغرف هى عبارة عن مستشفى مجانين صغير . فإن كل شبر من الأرض يحتله بعض أعضاء الأسرة من العجائز إلى الرضع الصارخين .

أضواء على الهندوسية

لا أذكر أن كاتباً واحداً من مئات الكتاب الذين لفتوا الأنظار إلى « تدين » الهند ، قد عالج ما ينطوى عليه ويفضى إليه فى العالم الحديث — أو بين كيف أن التعصب الدينى يجتاح اليوم حياة الهند وينفذ إلى كل وجه من وجوهها . إن الهندوسية فى أشد صورها تطرفاً ، قوة هائجة . وصوتها يرتفع فوق ضوضاء المصانع ، ويتحكم فى مجتمعات السياسيين والطلبة .

وقد كانت الهندوسية فى أصولها الأولى ضرباً من الروحانية فى الحياة ، شديدة العسر ، مسرفة التجرد . وقد خلدت فى قليل من الآثار العظيمة مثل « باجافاد جيتا » و « أوبانيشاد » . وهذه « الديانة » — وهى على كل حال تجاوز إدراك أى جمهور كبير من الناس — قد مسخت حتى عادت لا تتبدى على أصلها ، واستعارت من هنا وههنا ومن كل مكان ، وكدست جملة من الخرافات ، وألهت الغريزة ، وقدست الراحة ، وخلعت على الشهوات الإنسانية برداً من الأمر الإلهى ، حتى ألفت نفسها مثقلة بعدة آلاف من « الأرباب » بعضها أسوأ ما تكون صفات ، ففيها أرباب للشره . وأرباب للشهوة .

وأخلق بالغيرة الدينية التى دافع بها الهندوس عن عادة فظيعة كزواج الأطفال ، وهم يكافحون قانون زواج الأطفال ، أن تكون فى نظر الغربى من الأوساط بمثابة ضوء يكشف عن الحقيقة ، وحتى اليوم لا يزال القانون يخالف علناً .

وقد وقفت أنا نفسى فى معبد القرد فى بناريس ، على حين كانت صفوف من الفتيات الصغيرات لا يمكن أن تتجاوز أعمارهن الثانية عشرة ، تجر إلى الأصنام لتتوسل إليها فتجود عليها « ببركات » الخصب . وكن يستأخذن من المسكنة كأن بهن خجلا من أنهن لم ينهضن بواجب الأمومة المقدس .

وثم «السوتى» وهى عادة حرق الأرملة حيّة ، و « الثوجى » ، وهى استخدام القتلة الدينيين المحترفين ـــ هذه كانت جزءاً من الديانة الهندية ، وقد ألغاها البريطانيون ، وقاوم الهندوس إلغاءها مقاومة عنيفة باسم دينهم .

وكذلك الحال فيما يتعلق بالديفاداسى ، وهو هيكل البغايا اللواتى يتخذن من طفولتهن لقضاء حاجات الحجاج والكهنة . وليس أمرهن بارزاً كما كان فى المدن الكبيرة ، ولكن ما عليك إلا أن تميل قليلا عن الطريق المألوف ، لتراهن جالسات عند الغسق على عتبات البيوت الصغيرة المحشودة حول منطقة الهيكل .

وقد كتب أحد كبار الهندوس على سبيل البيان والاعتذار يقول : « إن فكرة السماح للفتيات الصغيرات من طبقة البغايا أن ينشأن فى جوّ الهياكل ، ترمى إلى بث شىء من الدين فى نفوسهن ، وشىء من خشية الله ، حتى إذا بلغن أمكن أن يتقين الاختلاط الجنسى بلا حساب . فبغايا الهند ، لهذا ، من أشد الخليلات المعروفات فى هذه المهنة المنكودة ، خوفاً من الله وولاء » .

الشعوذة

لو أنه قيل لرجل بريطانى أو أمريكى من الأوساط : إن الزهرى يشفى بشرب قدح من الشاى ، لارتاب وأنكر . وإذا قيل له فضلا عن ذلك : إن هذا الفنجان من الشاى نفسه يشفى الدرن أيضاً ، والحمى المخية ، والملاريا ، والسيلان ، والنزلات الشعبية لنازعته نفسه أن يقذف بفنجان الشاي فى وجه مخترعه :

وأمامى ، وأنا أكتب ، فنجان الشاى ، أو على الأصح ملء حق صغير منه ، وقد ارتد إلىّ الآن من معمل التحليل ، وهو لاضير منه ، ولا فائدة منه على الإطلاق بطبيعة الحال لأى مرض مما يوصف له . وقوامه عشب يشبه الذى ينبت فى أمريكا الجنوبية ويسمى « ماتى » . وفيه أيضاً عناصر من السعتر ، والحبهان ، والقرنفل ، وأوراق جافة من أزهار عادية . وقد تكون له فائدة فى الهضم ، ولكن هذه كل مزيته.

وقد قدم لى هذه المادة أحد كبار رجال الطب الهندوسى ـــ وهو طب لا يعدو أن

يكون ضرباً من الشعوذة يطلقون عليها إسم أيورفيدا ، وهى خليط من التِّجامة (التنجيم) والسحر ، والدين . ويزعمون أنها اهتدت إلى أسرار قديمة سبقت الطب الغربى بمراحل ، وهى دعوى تستفيض فى الهند الحديثة، والطلبة يلتحقون بها بالآلاف. وفى كثير من أنحاء الهند يزيد عدد الأطباء فى اتباع إيورفيدا عشرين أو ثلاثين فى المائة على عدد الأطباء العلاجيين على الطريقة الغربية .

والباعث الرئيسى على نمو هذه الشعوذة الضخمة ، بسيط كل البساطة — وهو الوطنية الهندية ، وهذا الدجل مظهرها الطبى .

والأشياء التى لا يحاولها طب إيورفيدا أعظم دلالة مما يحاول . فهو يحتقر المجهر (الميكروسكوب) ويهمل ميدان علم الجراثيم كله ، ويرفض الجراحة ، ويعطى المصاب بالسرطان حبة . وليس له مطهرات يستعملها إلا فى أبسط حالات التعفن . ولمنع انتشار الكوليرا يعلق طاقة من الأزهار على الباب، ويتعمد أن يرفض أدوية لا حصر لها ثبت نفعها ثبوتاً لا يرتقى إليه الشك فى الطب الغربى ، مثل مستحضرات السلفوناميد للالتهاب الرئوى ، أو الأنسولين للسكر .

على أن فرعاً من هذا « العلم » قد تقدم تقدماً عظيما ، فإن الإيورفيدا فى صناعة التواعيظ ، فماله فى هذا الباب مزاحم . ولا يأخذ الإحصاء مصانع الكيميائيين الإيورفيديين ، والطلبات على إنتاجها هائل ، ولها فهارس تشرح بلغة مغرية ما تدعيه من تنبيه الرغبة الجنسية .

وهذا هو النظام الذى يحاول باسم الوطنية أن يتحمل التبعة عن صحة خمس الجنس البشرى تقريبا .

الهند الأخرى

لقد كان يبدو لى دائما من العبث أن أنغمس فى السياسة الهندية قبل أن أبذل جهداً لفهم الشعب الهندى . ويرجع السبب فى أن كثيراً من المناقشات سواء أكانت فى مجلس العموم أم فى أعمدة الصحف الأمريكية ، ليس عليها طابع الحقيقة ، إلى نقص فى الصورة الواقعية والجوية .

فمن ذلك مثلا أن عدداً من المعلقين يكتبون كأن الهند التى يحكمها الأمراء لا وجود لها . والواقع بطبيعة الحال هو أن الأمراء موجودون حتى إنهم ليحكمون نحو خمسى رقعة الهند كلها ، ورعاياهم لا يقلون عن ثمانين مليونا . يضاف إلى ذلك أن إماراتهم ، وعددها أكثر من ٦٠٠ ، محيطة بإحكام فى الكيان الرئيسى بخيوط التاريخ والمصلحة الذاتية، حتى إن أية محاولة

نزعها قد يسبب الانهيار للكيان كله . وبعض هذه الإمارات صغير جداً . وهى نومض على دثار الهند كأنها شذور من الذهب ، ولكن البعض الآخر فى سعة فرنسا تقريبا ، يحكمها أمراء ذوو سلطة واسعة ومطامع قوية ، ولا يقوم فى نفوسهم أضأل استعداد للتخلى .

الهندى الرواغ

« هل قابلت هنديا قط ؟ »

ألقى على هذا السؤال المدهش صديق لى ، بعد أن قضيت فى الهند نحو عام ، وقطعت آلافا من الأميال فى تجوابى من ثلوج الحدود الشمالية الغربية إلى أسواق مدراس .

قابلت هنديا ؟

ماذا يعنى الرجل ؟ لقد قابلت كثيرين بطبيعة الحال . وهناك آلاف معرفتى بهم لا تتجاوز نطاق التحدث . ولكن لنفرض أننا نظرنا إلى الهند من زاوية أعم .

هناك أولا ١٨٠ مليونا هم طبقة الهندوس . وقد كانوا هنوداً ولا شك ، وحبة قلب الهند . ولكن تمهل لحظة : هل كانوا كذلك حقا ؟ وما الرأى فى الستين مليونا ممن لا طبقة لهم ؟ هندوس كانوا يتمرغون فى التراب ؟ أكان هؤلاء هنوداً أيضا ؟ إنهم فى نظر طبقة الهندوس لا يعدون آدميين ! لقد كانوا «منبوذين» ومشاربهم من وعاء واحد نكون سما روحيا ، حتى ظلهم نفسه تلويث ، فهل يمكن أن يصف غربى هؤلاء الملايين الستين — الذين يعدهم إخوانهم أدنى بكثير من أحط الحيوانات — « هنوداً » ؟

وإذا كان الهندوس « هنوداً » ، فما الرأى فى المسلمين — نحو ٩٢ مليون منهم — وما يحلمون به من الباكستان ، أى قيام دولة لهم هندية منفصلة ؟ ان هذه الجماعات الهائلة من الناس — الهندوس والمسلمين — مرهفة الإحساس بما بينها من اختلافات حتى لتأبى أن تأكل معا ، أو تفكر معا ، أو تصلى معا ، بل تأبى أن تعيش معا فى رقعة واحدة من الأرض .

ولنبدأ من الطرف الآخر ، بأصغر جماعة فى الهند ، الفارسين ، فلن نجد أن الأمر خير من ذلك . ومع أنه لا يوجد منهم إلا أقل من ١١٥٫٠٠٠ ، إلا أننا إذا حكمنا عليهم بما استطاعوا أن يفعلوه ، فإن هؤلاء الفارسين يكتسبون مرتبة فى الأهمية لا تتناسب أبداً مع عددهم ، فحيثما تكون فى الهند كنوز ، تجد الفارسين . ويكفى مثل واحد ، هو الشبكة الهائلة من مصانع تاتا فإنها كلها فارسية ، فى التفكير ، وفى التنفيذ ، وفى الإدارة والتوجيه فى الوقت

الحاضر . ومصانع ناتا هي الهند الصناعية . ومصانع الصلب التابعة لها في جامشيدپور وهي تستخدم ٣٠٫٠٠٠ عامل ، أكبر مثيلاتها في الأمبراطورية البريطانية . ومصانعها الكهربائية المائية ، أكبر وحده في البلاد . وقد تستطيع مصانعها للطائرات ، على الأيام ، أن تتحدى أكبر امحادق الغرب.

والهند بغير الفارسين تكون كالبيضة بلا ملح ، وبغير جانب كبير من مخها (صفارها) أيضاً .

ولكن — وإنها لضجمة — ليس في وسعنا أن نقول إنهم حقاً « هنود » ، وحتى لو حاولوا أنفسهم ذلك (وكثيرون منهم يفعلون ، مؤثرين أن يعدّوا أنفسهم جماعة منفصلة تعيش على التسامح) — فإن الجمهور الأكبر من الهنود خليق أن ينكره عليهم . ويقولون إن الفارسين فارسيون في الحقيقة كما يشير إلى ذلك اسمهم . وهم يقولون ذلك بلهجة هي أبعد ما تكون من اللطف والمجاملة . ذلك أن الفارسين أثاروا حسداً عظيما . وثم آلاف من الأصابع تتحرق لهفا على دعمهم .

وهناك أيضاً جماعات أخرى كبيرة تبلغ عدة ملايين — من السيخ ، والجين ، والبوذيين — والملايين الخمسة من السيخ ، مثلا ، من الأرستقراطية الحقيقية في الهند ، وهم نجباء يحيون حياة نظيفة ، سريعو الخاطر حفاف الأبدان ، وهم أيضا أعداء ألداء للمسلمين . ولو أن حلم المسلمين بالباكستان تحقق ، فإن السيخ ، الذين يعيشون كلهم تقريبا في البنجاب حيث المسلمون هم الكثرة الساحقة ، يهددون بأن يقيموا دولة منفصلة للسيخ يسمونها خالستان .

فأين إذن الرجل الذي يستطيع أن يقول بإخلاص حقيقي ، وبغير نفاق ، وبدون أي تفكير في المصلحة الذاتية « أنا هندي » ؟

تحت أدنى الدرجات

رجل في نحو الخمسين ، ينتظرني في كرسي من القش على شرفة داره ، جسيم متوقد ، شمائل جذابة جداً ، لكنه عصبي ، ميال إلى العبث برباط حذائه . يبدو كأنه متحرز كأنما هو متهيئ لأن يتقي التعيير من كل جانب هذه نبذة من مذكراتي .

والرجل هو الدكتور أمبدكر ، عضو العمال في حكومة الهند ، ومن أقدر العقول في الهند ، فلماذا إذن هذا الاضطراب العصبي ، وما يبدو عليه من أنه خليق أن يستاء بسرعة ؟

لأن الدكتور أمبدكر (أستاذ في الآداب

من لندن ، ودرجات الشرف من جامعة كولمبيا ، ودرجة التفوق الخاص من جامعة هيدلبرج) هو فى نظر طبقة الهندوس الصميمة « منبوذ » ، أى رجل يلوث إذا مست ثياب العشاء التى يرتدى مثلها فى حى ما يفير (بلندن) قمصان الهندوس .

وكثيرون فى إنجلترا وأمريكا يبدو عليهم أنهم يتوهمون أن « النبذ » آخذ فى التقلص ، وقد قرأوا برضى استنكار غاندى لذلك ، ورأوا صوراً له وذراعه على أكتاف المنبوذين . وهم يحدثون أنفسهم بأن « مثل هذه القدوة القوية فى هذه الأيام المستنيرة لا بد أن يكون لها تأثير ! » كلا . ليس الأمر كذلك .

وغير منكور أنه حدثت إيماءة أو اثنتان مسرحيتان فى السنوات القليلة الأخيرة . مثال ذلك أن بعض الهياكل فتحت أبوابها للمنبوذين ، ولكن ما الذى يحدث ؟ لا يكاد المنبوذون يدخلون حتى يكون الهندوس قد خرجوا . ويصبح الهيكل هيكلا « منبوذاً » ، ملوثاً ، مدنساً ، وبهذا لا يعود مكاناً له قداسة حتى عند المنبوذين أنفسهم .

وحياة المنبوذين هى الأكثر سلبية ، فليس لهم أن يستعملوا الآبار العامة ، ومؤدى ذلك أن يقضى عليهم بأن يشربوا ماء غير نقى . وليس لأولادهم أن يدخلوا المدارس ، وعليهم أن يجلسوا خارجها . وليس لهم أن يدنو من أماكن الاستحمام ، ومن هنا قذارتهم عادة .

وكنت أتحدث ذات مساء مع ضابط صف بريطانى موكل بمعسكر تدريب للمهندسين الهنود الشبان ، وكان يجد مشقة فى جمعهم .

فقال : « إنهم يجيئون بسرعة ، ولكنى مضطر أن أردهم . انظر هناك » .

فرأينا شابين هنديين بارعى المنظر ، واقفين فى ظل شجرة كافور يحدقان فى التراب .

« هذان اثنان من خير من رأيت — جسما وعقلاً ، وهما يبغيان أن يلتحقا بمن عندى ، وأنا أريد أن آخذهما ولا أستطيع »

« ولم لا ؟ » .

« طبقة المنبوذين » .

« ولكن هذه سخافة » .

« هى كذلك بلا مراء ، ولكن هذه هى الهند . ولو أخذتهما ، لألقى رجالى الأدوات وكفوا عن العمل » .

أما إن غاندى صديق المنبوذين ، فيكفى أن نصغى إلى ما يقول الدكتور أمبدكر زعيمهم غير مدافع .

قال لى : « إن غاندى ألد عدو رآه المنبوذون فى الهند » .

وخليق بهذا القول أن يكون صدمة

عنيفة لمعظم الناس ، فإن غاندى لم يكف عن إعلان مقته للنبذ ، وعنده منبوذون فى أشرام ، بل لقد تبنى طفلا منبوذاً ، غير أن الذى لايعرفه معظم الناس هو أن غاندى قاوم بعنف كل محاولة لتحويل المنبوذين صوتاً مستقلا فى شئون الهند .

ومن قوله : « إذا جعلتم للمنبوذين دوائر انتخابية منفصلة ، فإنكم تخلدون مركزهم على الزمن » وهو منطق عجيب ، يستسخفه الذين لم تفتنهم شخصية المهاتما . وهم يرون أن غاندى يخشى أن ينضم الملايين الستون من المنبوذين إلى المسلمين الذين يبلغون ٩٢ مليوناً (كما كادوا يفعلون) ويتحدّوا دكتاتورية الـ ١٨٠ مليون من الهندوس.

ويتوقف مستقبل المنبوذين إلى حد كبير على البريطانيين ، أما ترك مصيرهم فى أيدى مؤتمر يتحكم فيه البراهمة ، كما يفضى إلى ذلك مشروع كريبس ، فإن المؤدى يكون كما قال الدكتور أمبدكر : « القضاء التام على مصالحنا » .

وبعضهم ينكر على أمبدكر حقه فى الزعامة ، وما كانوا يفعلون ذلك لو أنهم شهدوا أى اجتماع من اجتماعاته ، مثل الحشد العظيم الذى كان فى ناجبور حيث حياه ٧٥٫٠٠٠ من المنبوذين وهتفوا له بحرارة قد ينفسها عليه غاندى نفسه .

وقال أمبدكر : « إن حجر الزاوية فى سياستى هو أننا لسنا فرعاً ثانوياً فى الهندوس بل عنصراً منفصلا فى الحياة القومية ، وفى كل قرية أقلية صغيرة من المنبوذين . وأنا أريد أن أجمع هذه الأقليات ، وأضم بعضها إلى بعض ، وأجعل منها أكثريات . وهذا يقتضى جهداً عظيما فى التنظيم — نقل سكان ، وبناء قرى جديدة . ولكن فى وسعنا أن نفعل ذلك إذا سمح لنا .

« ونحن وطنيون أشداء كأى رجل من رجال المؤتمر ، ولكنا لا نريد أن يرحل الإنجليز عن الهند حتى تكفل حقوقنا . فإذا رحلوا قبل ذلك فإن مصيرنا يكون أفظع من مصير أى شعب من الشعوب المظلومة فى أوربا » .

الشمال العاصف

تعد الحدود الشمالية الغربية من قديم أعنف منطقة بركانية فى الهند كلها ، حتى حين لا تطلق القبائل المختلفة النار علينا ، يطلقها بعضها على بعض .

وتتضح رقة غشاء المدنية فى هذه الأرجاء بمجرد مغادرة بشاور عاصمة الإقليم . فأنت تتغدى فى ناد ريفى تحف بك نساء جميلات فى ثياب زاهية ، على حين تعزف فرقة موسيقية صغيرة حاذقة ألحان الجاز الذى كان شائعاً قبل الحرب . وبعد ساعة من ذلك

تكون قد بعدت وصرت فى الجبال فى أغلظ أرض فى العالم — وهى وعرة ولا أمان لها — والطريق الذى تسلكه عبارة عن شريط ضيق من الأمان ، مر كالخيط بنسيج مغمور بالدم ، من الخطر والموت ، وقبل أن يحل وقت الشاى تكون فى ممر خيبر نفسه .

وكان رائدى فى ممر خيبر ضابطاً شاباً عمل أربع سنوات فى منطقة القبائل حيث يوجد عدة لغات ، ولكن أهم أداة للعبارة عن النفس هى البندقية .

« هل لك أن تمنحنى إجازة شهر ياسيدى لأذهب وأقتل ابن عمى ؟ »

وقد لا تبلغ عبارة السؤال هـذا الحد من الصراحة ، ولـكن هذا هو فحوى كثير من الالتماسات التى يقدمها جنود الباتان فى هذه الجهات إلى الضباط الإنجليز .

وقال رائدى : « وإذا رفضت ، فإن الرجل ينفض يده من الخدمة ويرحل ويأخذ معه بندقيته ، ومؤدى هـذا خسارة رجل طيب آخر ، والقلق والخوف من قناص آخر فى الليالى المظلمة » .

ولا شك أن للاقتصاديات شأناً أيضاً .

فقد رأينا تحتنا فى الوادى ، ونحن وقوف هناك ، التراب الذى تثيره الجمال والقوافل الطويلة السائرة .

قال رائدى : « صوب عينك إلى هذا الوادى . فإن هنـاك ثروة — ملء عياب منها تنتظر من يستحوذ عليها بغارة مفردة . وهذه القوافل تحمل الحرائر من بخارى ، والسجاد التركمانى . ومعادن نفيسة كثيرة لصاغة بشاور » .

واستطرد يقول : « والآن انظر حولك . فماذا هنـاك فوق ؟ صخور ، وتراب ، وحسك ، وصبار ، ولا ماء ، وبضعة أمعز ، وحجر فى الصخر لسكناك . فهل تستغرب حين يرى نفر من الجياع هـدفاً كهذا أن يكون الإغراء أقوى من أن يكبح ؟ »

ههنا أرض من القبائل الجامحة لا يحفظ شيئاً من النظام والأمن بينها إلا عدد يسير من الإنجليز دائمى السهر واليقظة ... وقد ألفيت نفسى أفكر فى أنه من اليسير جداً أن نشرح الموقف لجمهور من الأحرار المستنيرين فى بلادنا ، مقتنعين بأن الإنجليز لا يكادون يخرجون من الهند حتى تزدهر البلاد بين مساء وصباح وتنعم بمزايا النظم الديمقراطية التمثيلية .

حزب المؤتمر

ومن التناقض العجيبة أن يكون حزب المؤتمر فى الهند هو حبيب الأحرار الغربيين الطيبى القلوب . ذلك أن حزب المؤتمر هو أولا مظهر دكتاتورية لغاندى مئة فى المئة

وليس معى هذا أن غاندى يحكم جهرة ، فإنه يسيطر بواسطة سردار باتل ، الذى وصفه جون جنتر بأنه منظم حزبى وفاتك لا يرحم .

وكان غاندى أثناء مقامى فى الهند ، فى السجن ، وعبارة « فى السجن » مضللة ، لأن السجن كان أحد قصور أغاخان ، وكان فى وسعه أن يخرج منه فى أية لحظة يشاء إذا وقع على رقعة صغيرة تشتمل على تعهد بعدم تخريب مجهود الحرب . فآثر أن يبقى فى السجن .

ولا شك أن غاندى لم يجاهر فى أى وقت بالانحياز إلى اليابان ، فإنه يتكلم دائماً وإحدى عينيه على أمريكا ، ولو رأته أمريكا ما زال اليابان علينا لكانت النتيجة كارثة على نفوذه . ولكنه ذهب إلى آخر ما يستطيع من مدى ، فزعم أن اليابانيين راغبون فى السلم رغبة قوية ، وأنهم اضطروا بكرههم إلى العدوان ، لأن الإنجليز يدافعون عن الهند .

ويكاد يكون من المستحيل على أحذق الناس أن يتبين متى يكون غاندى مخلصاً ومتى لا يكون . وتأمل سياسته الاقتصادية ، فإنها تبدأ وتنتهى وتدور كلها حول الشارخه ... أى المغزل . فلو أن الفلاحين غزلوا ثيابهم فى بيوتهم ، وواظبوا على ذلك ، لاختفت المساوىء الاقتصادية فى الهند .

وبشبه نظرية المغزل من حيث القيمة العملية أن نقول إن البطالة تزول من الولايات المتحدة إذا اعتادت المرأة الأمريكية أن تحوك جوارب زوجها .

أما المبدأ الآخر الكبير فى برنامج غاندى ، وهو « عدم العنف » المزعوم فقد أدى دائماً إلى العنف .

سأل بعضهم فى صحيفة غاندى « هاريجان » :

« بأى شىء يسمح لإيقاع الاضطراب والخلل فى الحكومة ، فى نطاق عدم العنف ؟ »

فكان الجواب : « لا يسعنى أكثر من الإعراب عن رأيى الشخصى . إن الأمر يجب أن يكون فى نطاق عدم العنف ، وبدون أية شائبة »

وإلى هنا لا بأس . ثم ماذا ؟

« إن قطع الاسلاك ، ورفع القضبان ، وتدمير الجسور الصغيرة لا يمكن الاعتراض عليه فى نضال كهذا »

وفى نشرات المؤتمر ، كانت السرقة ، والإحراق عمداً ، والقتل ، وكل نوع من أنواع التخريب مما دعى إليه علانية ، وباسم « عدم العنف »

ويظهر أنه صحيح أن نفوذ غاندى العملى قد أخذ فى الأفول ، وأنه لا يحتمل أن يعود

إلى سابق عهده ، فإن غاندى الآن فى الخامسة والسبعين ، وقد خرج من السجن فوجد عالما شديد الاختلاف عن العالم الذى خلفه وراءه . ولم تعد بريطانيا تكافح وظهرها إلى الحائط ، ولم يعد اليابانيون يزحفون على الهند .

وأهم من ذلك أن الهوة السحيقة بين ألفاظه السحرية الخاوية ، وحقائق العالم الحديث المثيرة ، أصبحت جلية كل الجلاء . وكل يوم قضاه غاندى فى السجن ، شهد زيادة سريعة فى عدد الشبان الهنود الذين دخلوا فى مدار المجهود الحربى ، أى فى مدار القرن العشرين . فمن آلاف القرى يقبل الشبان على مراكز الجيش حيث يتعلمون للمرة الأولى فى حياتهم مبادىء الصحة والنظام ، ويطلعون لأول مرة على سحر الآلات الحديثة .

ومن أبرع أعمال التنظيم التى قام بها الإنجليز فى الحرب الحاضرة ، العرض الحربى الذى انتقل من مركز إلى مركز ليقف الهنود على مسائل الحرب والأسلوب الذى تدار به . وليس المعرض مجرد عدد من الدبابات وإعلانات الدعاية ، بل هو صورة كاملة وافية هائلة المقياس للحديث فى الهندسة والطيران والنقل والزراعة واللاسلكى والطبخ والخدمة الاجتماعية ، والنبات والطب .

وقد فاز العرض بنجاح تام ، ولا سيما بين الشبان ، على الرغم من الجهود المحمومة التى بذلها المؤتمر لمقاطعته . فكان نقطة تحول فى حياتهم . فقد جاءوا من قرى نائمة لو كان الأمر لغاندى لظلت نائمة ، وإذا بصندوق عجائب العلم الحديث يفتح لهم فجأة . فيحدقون فى دهشة واغتباط متزايد ، ثم لا يلبثون أن يروا أنفسهم يسيرون فى عالم جديد لا يستطيع شىء ، ولا صوت غاندى الساحر ، أن يردهم عنه ، لأن موضعه ينبوبه فى هذا العالم الجديد .

باكستان

وأهم مسلم فى الهند يبلغ الثامنة والستين ، وهو طويل نحيف رشيق ، وعلى إحدى عينيه نظارة (مونوكل) متصلة بخيط رمادى من الحرير ، وحول عنقه بنيقة بيضاء ناشفة يلبسها حتى فى وقدة الحر . وهو يذكرك بسيد إسبانى . ويعد سياسياً من رجال المدرسة القديمة الذين كان المرء يراهم جالسين فى شرفات نادى سنت جيمس .

والمستر جناح رجل يستحق أن يجعل الناس بالهم إليه ، لأنه فى مركز فريد فى بابه من حيث القيمة الاستراتيجية . فهو ليس فقط رئيس العصبة الإسلامية ، وهى هيئة مكافحة متماسكة يدين لها بالولاء ٨٥ فى المئة

على الأقل من مسلمى الهند ، بل هو كذلك الحاكم المحتمل لإمبراطورية جديدة شاسعة — الباكستان .

وصحيح إن الباكستان فى الوقت الحاضر ليس إلا إمبراطورية فى الأحلام ، ولكنها فى أذهان المسلمين لا تنقصها صبغة الحقيقة من أجل ذلك .

ومعناها الحر فى « أرض الأطهار » ، أما مؤداها الجغرافى فرقعة عظيمة فى الشمال الغربى من الهند تتألف من باوخستان ، والسند، وبنجاب، والحدود الشمالية الغربية، تضاف إليها رقعة فى الشرق هى الجانب الأكبر من البنغال .

والمقترح هو أن هذه الأراضى التى يسودها العنصر الإسلامى ، تنفصل نهائياً عن بقية الهند التى يسودها الهندوس ، وتكون منها دولة مستقلة . وأنا أحد الذين يعتقدون أن هذا سيحدث ، بل إنه يجب أن يحدث ، فإذا حدث فإن موقفاً جديداً كل الجدة ينشأ فى آسيا فيحطم توازن القوى الموجود الآن ، ويؤدى إلى تعديل شامل لسياسات كل دولة فى العالم .

وكثيراً ما يقال إن الباكستان نبات سريع الزوال ، وإن المسلمين والهندوس استطاعوا أن يعيشوا معاً إلى الآن ، على نحو ما ، وإن هذا الطلاق السريع إجراء فيه من صفة الحسم فوق ما ينبغى . غير أن هذا القول يهمل الحقيقة الواقعة وهى أن البريطانيين ظلوا إلى الآن المسئولين عن القانون والنظام ، وقد اتقدت الطائفية اتقاداً شديداً باقتراب ساعة الاستقلال القومى .

لما أقيم الحكم الذاتى فى إحدى عشرة ولاية بمقتضى قانون ١٩٣٥ فاز المؤتمر بكثرة عظيمة فى سبع منها فى أول انتخاب . فبدلا من أن يدعو المسلمين إلى مشاطرته ثمرات الحكم ، وبدلا من أن يحاول الوصول إلى أى نوع من الائتلاف ، أقصاهم إقصاء تاماً عن كل مسئولية ، فكان التلاميذ المسلمون مضطرين أن ينهضوا وقوفاً ويحيوا صورة غاندى ، واعتبر علم المؤتمر علماً للأمة كلها ، وفى شئون العمل والتجارة كان التعصب ضد المسلمين من أكبر ملاك الأرض والتجار إلى أحقر فلاحى التربة ، بالغاً غاية اللجاجة .

وخير دليل على صحة هذه المزاعم ، أنه لما شبت الحرب واستقال وزراء المؤتمر ، دعت العصبة الإسلامية إلى الاحتفال بيوم شكر وطنى على انتهاء عهد الاستبداد .

والغريب فى كل ما يقال حول الباكستان له وعليه ، هو المعارضة التى يثيرها فى نفوس المخلصين من مريدى الخير للهند . وهذا راجع إلى قوة دعاية المؤتمر ، فقد استطاع الهندوس بإلحاحهم فى الإيحاء أن يقنعوا

لعالم أنهم هم « الهند » ، وأن كل محاولة لتقسيم « الهند » تكون « مؤامرة خبيثة من الإنجليز » قائمة على المبدأ المقرر : « فرّق تسد » .

وقد انخدع معظم الأحرار في الغرب بهذه الدعاية انخداعا تاما ، ومن أجل هذا رأينا هذا المشهد الغريب : سياسيين إنجلير يدافعون في مجلس العموم عن قضية « الوحدة » الهندية في سبيل قضية الاستقلال الهندي المشترك ، غافلين عن أن إلحاحهم في هذه « الوحدة » المزعومة هو السبب الوحيد المفرد لبقاء الإنجليز في السرج .

ورأي جناح في هذه النقطة صريح . فقد قال لي : « إن الشيء الوحيد الذي يبقي الإنجليز في الهند هو الفكرة الباطلة عن الهند المتحدة كما يدعو إليها غاندي . وإني لأكرر أن الهند المتحدة اختراع بريطاني — أسطورة — وأسطورة خطرة جداً ستثير نزاعاً لا نهاية له . وما دام هذا النزاع قائماً فإن للإنجليز حجة في البقاء ! » .

أبيض ولا كالأبيض

ولعل أعجب ما في الحكم البريطاني أنه حكم حفنة من الرجال . وكانت النسبة في وقت السلم (بغض النظر عن الجيش الضئيل العامل) نحو عشرة آلاف من الرعايا البريطانيين إلى ٤٠٠ من الهنود .

ويبدو أن كثيرين يتصورون أن انسحاب البريطانيين سيكون خروجاً ضخماً . على أن الحقيقة أن هذا الانسحاب يمكن أن يتم في آخر أسبوع ، وأن كل رجل وامرأة وطفل يمكن ترحيلهم في قافلة واحدة .

وماذا تكون النتيجة إذا حاولنا أن نرى الإنجليز بمثل الصراحة التي قوّمنا بها الهنود ، ونظرنا أي ضرب من الناس هم حقاً ، وإلى أي حد يعدون أكفاء لمسئولياتهم ؟

وهل يوجد حقاً هؤلاء الأشخاص الهزليون القدامى ، وهل يصيحون عند الغروب طلباً لقدح من الخمر على نحو ما يصفهم إ . م . فورستر ؟ وهل « يخرجون في وقدة الشمس ظهرا » كما يقول نويل كوارد ؟ وهل ينغمسون في شهوات محظورة في ظل أشجار الصندل والتمر الهندي على ما يصف سومرست موم ؟

أما في بعض المدن الكبرى فالجواب نعم ، ولكن من حسن الحظ أنهم ليسوا بالطراز الغالب ، فإن الإنجليز الأوساط ، رجالا ونساء ، « فئة محتشمة » ولا سيما الذين يعيشون منهم في الأقاليم القصية .

ومهما يكن ما تنكره على هذه الحفنة الصغيرة من الرجال المبعثرين في البلاد كأنهم قبضة من تراب غريب في صحراء متقاذفة ،

فلا بد أن تقر لهم بالشجاعة . ويجب أن نشهد بها للحاميات الصغيرة التى تعيش على الحدود الشمالية الغربية فى تهديد دائم من القناصة ، وللقضاة الذين يشقون أخدوداً مستقيماً فى أدغال من الأكاذيب والخداع والمطاعن، وللأطباء الذين يتشاشون بعاداتهم فى جو مشبع من الخرافات والعداء ، وعلى الخصوص للنساء والممرضات وزوجات الموظفين فى الريف اللواتى لا يجدن صوت الموسيقى والضحك وحفيف الحرير إلا فى صفحات المجلات . على أنه لا يسعنا أن ننكر أن هناك طائفة من الانتقادات توجه إلى البريطانيين فى الهند، إذا نظرنا إليهم على أنهم أفراد لا على أنهم تروس فى الآلة الإمبراطورية .

كنت يوماً أستقل أول قطار ركبته فى الهند ، من جوالبور إلى دلهى . فسألت قائمقام إنجليزياً أحمر الوجه، عن التعبير الهندى الذى يقابل « أشكرك » ، وكان الحمالون الذين حملوا الحقائب ينتظرون أجرهم ، وكان الحر شديداً وكانوا هم قد أنجزوا عملهم بسرعة وإتقان . فبدا لى أن من قلة المروءة أن أكتفى بمكافأتهم وأصرفهم.

فقال القائمقام: « أشكرك ؟ أشكرك ؟ » .

فقلت : « نعم . أشكرك » .

فقال مغمغماً : « ولكنك يا عزيزى لا تفعل ذلك » .

« لا تقول أشكرك ؟ » .

« كلا . على التحقيق — أبداً — إن هذا لا يقال » .

وقد أخذ الإنجليز شيئاً كثيراً من الهند ولكنهم لم يقولوا قط : « أشكرك » وهذا مما يدعو إلى الأسف . فإن مثل هذه العبارات ذو فائدة .

ثم إنه يبدو أحياناً أن البريطانيين الذين يعيشون فى الهند ، لا يعيشون فيها على الإطلاق . وماذا يمكن أن نعرف عن الهند إذا كنت لم ترقط فى عشرين أو ثلاثين عاما شريطاً سينمائياً هنديا ، ولن تسمع أبداً بالباجافاد — جيتا ولم تقض حتى ولا ليلة واحدة فى قرية هندية ؟

وأعترف أنى لم أفعل ذلك كثيراً ، ولكنه حتى التجربة القصيرة علمتنى أكثر مما يستفاد من عشرة كتب . وقد عرفت مثلا ذلك الشعور الغريب الذى يحسه الهنود بالوحدة مع الحيوان ، فقد كان يبدو أنه من الطبيعى أن تكون أربع أماعز صغيرة راقدة فى ركن من الكوخ ، وطائفة من الدجاج تحضن بيضها وترخم عليه للتفريخ فى ركن آخر ، وأن يدفع ثور رأسه فى الباب من حين إلى حين . ولم يكن من الميسور أن أنام ملء جفونى . وكانت اللسعات لا تحصى ، ولكن ما يعوض ذلك كان كثيراً

فالترجيع فى المزمار عند الغسق ، وصور النساء الجميلة عند البئر ، إذ تبدو سوداء كالفحم تحت سماء زرقاء ، وقدح اللبن الرائب ، والفاكهة الغضّة التى جاءونى بها قبل النوم ، وعقد الياسمين الذى قلدونى إياه . ثم الفجر يطلع فجأة أحمر وهاجاً فى لون البرتقال الدامى ، وغناء الفلاحين وهم يمضون إلى حقول الأرز . وما أقل مايعدل فى جماله منظرحقول الأرز فى بكرة الصباح فإنها تشبه لحافاً موشى ذا درجات عدة من الخضرة — من الزروع الحائلة على الحوافى وقد غرست متباعدة فى الأرض الحمراء ، إلى مربعات من الزمرد المتوهج المؤذن بإقبال المحصول .

وسألت الإنجليز مرة بعد مرة : « هل لكم أصدقاء حقيقيون من الهنود ؟ » فكان الجواب دائماً واحداً لا يختلف : « أصدقاء ؟ أعرف بعض الهنود وهم من خير الناس ، ولكنى لا أستطيع أن أسميهم أصدقاء » .

ولعلّ هذه هى المأساة الكبرى ، وإن لم يكن الذنب فيها كله للبريطانيين ، وإليك مثالا : إن معظم الأندية فى المراكز الجبلية مختلطة ، ويجتمع الأعضاء فيها على المساواة التامة ، ومادامو ا يؤدون اشتراكهم فلاسؤال يسأل ، ولا امتياز يمنح . وإلى هنا ، كل شىء حسن — نظرياً . ولكنه ماذا يحدث فعلا؟ يحضر الرجال الهنود وحدهم ليلة بعد ليلة ، ويرقصون مع زوجات الضباط الإنجليز ، ولكن نساءهم يمكثن فى بيوتهن .

ومن أتعس النتائج لهذا التعصب الباقى فيما يتعلق باللون ، ما يعانيه ١٤٠,٠٠٠ من الهنود — الإنجليز ، وهم من عدة وجوه أسوأ الجماعات فى العالم حظاً . فإنهم ليسوا فقط محتقرين من إخوتهم الأخياف من الجانبين ، الإنجليز والهنود ، بل إنهم هم يحتقرون أنفسهم . وهمهم الوحيد ، الذى يكاد يكون داءً مخامراً ، هو أن ينكروا دمهم الملوّن .

وأخلق بهذا أن يكون مضحكا لولا أنه مبك . وقد عرفت مرة ممرضة هندية إنجليزية ، وكانت فتاة لطيفة ذات كفاءة وفيها أناة وصبر ، وهى جميلة السمرة ، ولا يمكن أن يكون ثم شك فى أصلها ، ولكنك حين تسمعها تتكلم يخيل إليك أن فى وسعها أن ترفع نسبها إلى أسرة بلانتاجينت الملكية .

فكانت تقول بلهجة الاحتقار إذا جاء أحدهم بدواء غير المطلوب ، أو تكاسل الكناس فى عمله : « هؤلاء الهنود ! أعوذ بالله من هؤلاء الهنود ! لا يمكن أن يصنع المرء شيئاً مع مثل هؤلاء الناس » .

ومن العبارات المألوفة على لسان الفتاة الهندية الإنجليزية : « لقد طال مقامى هنا ،

وفقدت الاتصال بوطني » وبالهن من مسكينات ، فما كن تعط فى « وطن » ، ولكنهن يؤثرن الموت على الاعتراف بذلك . وأعظم ماتطمح إليه الفتاة منهن أن تتزوج إنجليزياً ، وأن يخرج بها من البلاد ، وبذلك تتخلص من موقف الشك الذى ألقت بها الحياة فيه .

أما الرجال المتهود الإنجليز فإن حالهم لا يبلغ هذا المبلغ من السوء ، فإن نسبة حسنة من الوظائف محتفظ بها لهم فى المصالح العامة ولاسيما فى البوليس والسكك الحديدية ، وقد ارتقى بعضهم بفضل كفايته النادرة إلى مراكز ملحوظة وأفادوا غنى .

غير أن مستقبل الأكثرين من هذه الفئة ليس بالبراق جداً ، فإنهم مع الجزر الحادث بسرعة فى النفوذ البريطانى ، قد أصبحوا متروكين على الشط ، يديرون عيونهم فى البحار الخالية ، عسى أن يظهر فى الأفق شراع عطوف ... شراع لن يجىء أبدا .

غليان

والمرء ، حين يكر الطرف ، لا يسعه إلا أن يدهش للهند وكيف لا تلبث أن تمتزج بدمه ، وكيف تزول الصدمات الأولى بسرعة . فالنور المتوهج على أشجار الموهور الذهبية ، وكان يؤذى العين حين تراه ، يفقد هالته . وأنت اليوم لا تعنى حتى بأن تدير رأسك على حين كنت بالأمس تحدق وتحدق .

وكذلك الفظائع . فبعد عشر دقائق من وصولى إلى الهند رأيت هيكل حصان ، يعرج ويتحامل على نفسه فى الطريق وهو عبارة عن جملة من الآلام والجروح .

وتشبه زيارة لمحطة من محطات السكة الحديدية — وهى الملتقى المحبوب لشحاذى الهند — رحلة فى متحف من الشمع لكل شنيع من الصور . فهناك ترى المجذومين والمصابين بالزهرى فى آخر درجات المرض ، والأطفال العميان — لا الذين ولدوا مكفوفين ، بل الذين أعماهم آباؤهم ليكونوا فى المستقبل مصدر دخل فى سوق الشحاذة .

وترى نفسك فى البداية تسخو على هؤلاء ، ولكن صوت النقود يجتذب إليك حشداً من الناس فيهظك الأمر وكأنهم يشقون الأرض ويخرجون ، ويتلاغطون ، ويتفلون ، ويتأوهون ، ويصيحون ، ويشيرون إلى إصاباتهم ، فتنفض يدك يائسا . وتتعلم أن الكلمة الهندية للفظ « انصرف » هى « ياءو » فتقولها كارها ، ثم تقولها بصوت أعلى ، ثم ترفع الصوت طبقة أخرى ، حتى تلفى نفسك آخر الأمر تصيح بها .

على أنى منذ عام ، فى نيودلهى ، عانيت صدمة من ضرب آخر ، وكانت أول مدينة

هندية كبيرة أزورها ، وكانت تنتظرنا عند المحطة سيارة ضخمة يسوقها عملاق فى ثيــاب بيض مزركشة بالذهب ، وإلى جانبه عملاق آخر ، فقد كنا ضــيوفا على نائب الملك ، فدرنا لنقول كلمة شــكر للحمال الذى كان ماهراً فى أداء مهمته ، فلمــا هممنا بذلك ماتت الألفاظ على شفاهنا . فقد رأينا شيئاً . . شيئاً مكتوباً بحروف كبيرة طولها قدم ، بالطباشير على الجدار وعلى بضع ياردات منا : « اخرجوا من الهند » .

فجعلت عينى تطرف وأنا أنظر إلى هذه العبارة ، واضطرم وجهى — لا غضباً ، بل لأنى شعرت بشىء من الارتباك والاضطراب — كأنمــا ضبطت وأنا أقتحم بابا .

ونظرت بمؤخر عينى إلى السائق الجسيم . وماذا يكون الحال إذا رأى هو أيضاً هذه العبارة والتفت إلينا وقال : « إنكم تعرفون ما ينبغى أن تفعــلوا أليس كذلك ؟ حسن إذن : اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم » ولــكن العملاق كان يحدق أمامه ولا يبدو عليه شىء .

والحقيقة أن هذا كان موقفاً شاذاً جداً . فهنا إهانة حاميــة ، وحض على التمرد ، منشور على عيون المئات من الناس ، ولــكنه ما من أحــد كان يلتفت إلى ذلك . وكان الركاب يمرون مسرعين ، والجنــود البريطانيون يمضون وبنادقهم على ظهورهم التى يقطر منها العرق ، ورجال الأعمــال يحملون حقائبهم ، والنساء الهنــديات فى أردية خضر مفضضة ، وكهنة البراهمــة والفلاحون يحملون الدجاج من أرجله ، والبحارة الهنود ومعهم أشياؤهم . وما من أحد يلتفت أيسر التفات .

وتذكرت بعد ذلك منظراً آخر بعيداً . منظر أشجار شهباء وضباب فى نوفمبر ، وقضبان عليها سواد . حدائق هايد بارك ، وخطباء الجماهير يصيحون : « اذهبوا ! » وكانت صيحاتهم هذه موجهة إلى الملك والملــكة ، وإلى الأعيان وسيداتهم فى إنجلترا ، وإلى جميع الذين يسكنون قصوراً مذهبة . ولا أحد يلتفت ، والشرطى يبتسم ، والجمهور يساهم بعبارات خشنة ، إلا أنها ودية !

فهل صنعت إنجلترا فى الهنــد معجزة أخرى من معجزاتها التى تجىء عفواً ؟ أتراها مرة أخرى قد أخجلت البركان بتجاهل انفجاراته ؟ إن الأمر يشبه أن يكون كذلك .

الرحيل أو عدم الرحيل

لا شك ان معظم الناخبين البريطانيين حين يتفق أن تخطر الهند على بالهم — وهذا نادر — يساورهم شعور كريم غامض بأنه ينبغى أن نرحل ، ولعلهم خليقون أن يعطوا

أصواتهم وفقاً لهذا الشعور حتى ولو عرفوا أنهم يصوتون على خلاف ما تقتضيه مصالحهم.

وليس ثم نهج آخر غير هذا من الوجهة الأدبية ، غير أنه من الوجهة الأدبية أيضاً يجب أن يكون رحيلنا على شرط الاعتراف بالتساوى فى السيادة والاستقلال للأمتين الهنديتين الكبيرتين ـ المسلمين والهندوسيين وإلا كنا فى خطر من منح الحرية بإحدى اليدين وسلبها بالأخرى . ولا يذهب إلى إمكان رحيلنا بين مساء وصباح إلا رجل ليس عنده أدنى تقدير للتبعة. فإن الهند تكون بذلك مجردة عن كل دفاع ضد الاعتداء .

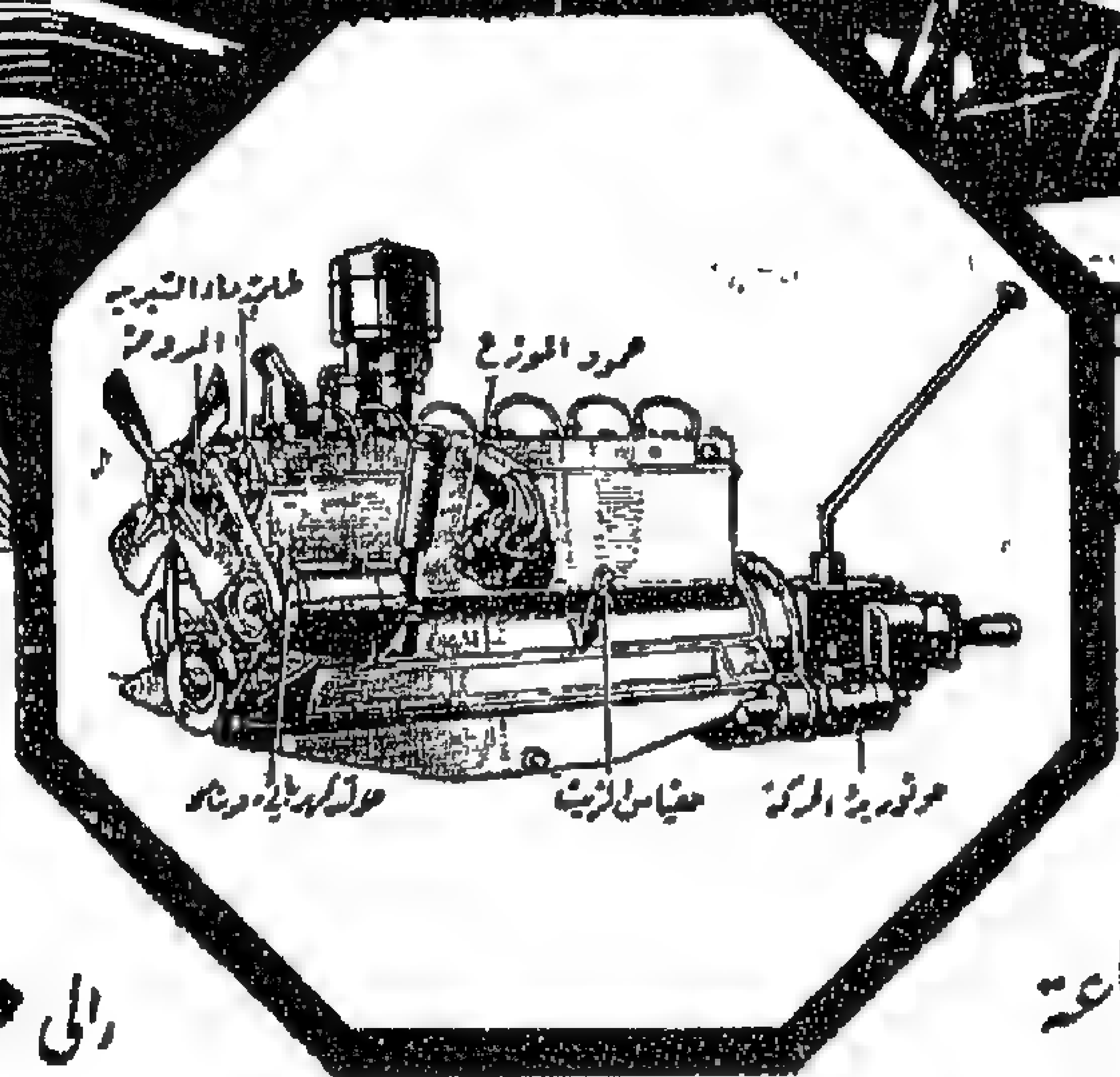
ولم تلق مسألة الدفاع الأساسية هذه إلا عناية ضئيلة من الذين يقولون : « إن الهند متلهفة على الدفاع عن نفسها لو أنها فازت بحريتها » .

وللمرء أن يسأل بحق : « تدافع عن نفسها بماذا ؟ » إنه لا يوجد هناك فى الواقع ما يصح أن يسمى الأسطول الهندى . ففى بداية الحرب كان الأسطول الهندى كله عبارة عن طائفة قليلة من سفن الحراسة الصغيرة ، ومثل هذا الأسطول الذى يشبه اللعبة ، ليس فيه أدنى كفاية لبلد فى حجم الدانمرك ، فضلا عن بلاد فى سعة إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وإسكندناوة ، وإيطاليا والبلقان وزيادة . وحتى أحمق المتفائلين لا يجرؤ أن يزعم أن أسطولا يمكن أن يبنى فى أقل من عشرين عاما .

ومثل هذا يقال عن الجيش الهندى . ولا أحد يتنكر بسالة الجنود الهنود فى هذه الحرب ، ولكن من المضحك أن يقال إن هؤلاء الجنود قادرون على أن يتولوا وحدهم الدفاع عن الهند ، ثما يوجد إلا حفنة من الضباط الهنود وكلت إليهم سلطات واسعة .

والمفروض أننا سنرحل على نحو ما . وقد نرحل بسرعة فتكون تلك مأساة لا يخففها شىء ، وقد نرحل على مهل فنتيح على الأقل لأنفسنا وللعالم فرصة للتكيف على مقتضى التغيرات الهائلة، عنصرياً وحربياً واقتصادياً ، وهو ما يؤدى إليه انسحابنا .

ولكن سواء كان الرحيل غداً أو فى يوم أبعد ، فإن الإنجليز لن يرحلوا عن الهند بالمعنى الروحى ، فقد أفرغنا على الهند سلاما على الرغم من أخطائنا السلبية والإيجابية ، ومن انفجار غضبنا أحياناً ، وقصور خيالنا فى أحيان كثيرة . ومنحنا الهند القانون ولم يكن قانون الأقوى ، وآتينا الهند الحرية ـــ كما سيعترف لنا بذلك آخر الأمر، فقد كانت آراء ملتون ، ولوك ، وولبرفورس ، وميل ، وبرايت ، وغلادستون هى التى أيقظت العقل الهندى وجعلته يفهم الحرية ومعناها الحقيقى .



من ١٠ أميال فى الساعة

إلى ١٠٠ ميل فى الساعة

اذا دلك سطحان معاً يحدث احتكاك —

ومن الاحتكاك تتولد حرارة —

والحرارة تسبب تآكل.

يتطلب محرك السيارة الحديثة عناية أكثر مما كان يتبع فى الماضى . وقد حضرت زيوت شل لمحركات السيارات لتفى بحاجيات المحرك الحديث .

اعتمد على



الخدمة العلمية

الجـرّ .. والقوة ـ مع السرعة

هـذا هو

كليتراك

إنّ كليتراك يوفّر وقتاً ثميناً ، يهيىء التربة على أنواعها ، بغير حاجة إلى انتظار الأحوال « الموافقة » .. يبذر ، يحرث ، يرشُّ ، يذُرُّ ، يحصد المحاصيل ، كلُّ ذلك بكفاية أعظم وسرعة أكبر .

إن اجتماع المزايا الفريدة فى كليتراك — سهولة السيطرة عليه بأطراف الأنامل ، قلة ما يستهلكه من الوقود ، قدرته أن يدور دورة ضيقة ، ارتفاع هيكله عن الأرض ، قوة الجر ، اقتصاد فى الصيانة وغيرها — تجعل كليتراك أفضل جرّار فى الصناعة والزراعة جميعاً .

إن قوة كليتراك الهائلة ، وقدرته على العمل فى جميع الأحوال ، ينجزان المهمة على وجه أوفى ، وبسرعة أعظم ، ونفقة أقل .



شركة محاريث كليفلاند

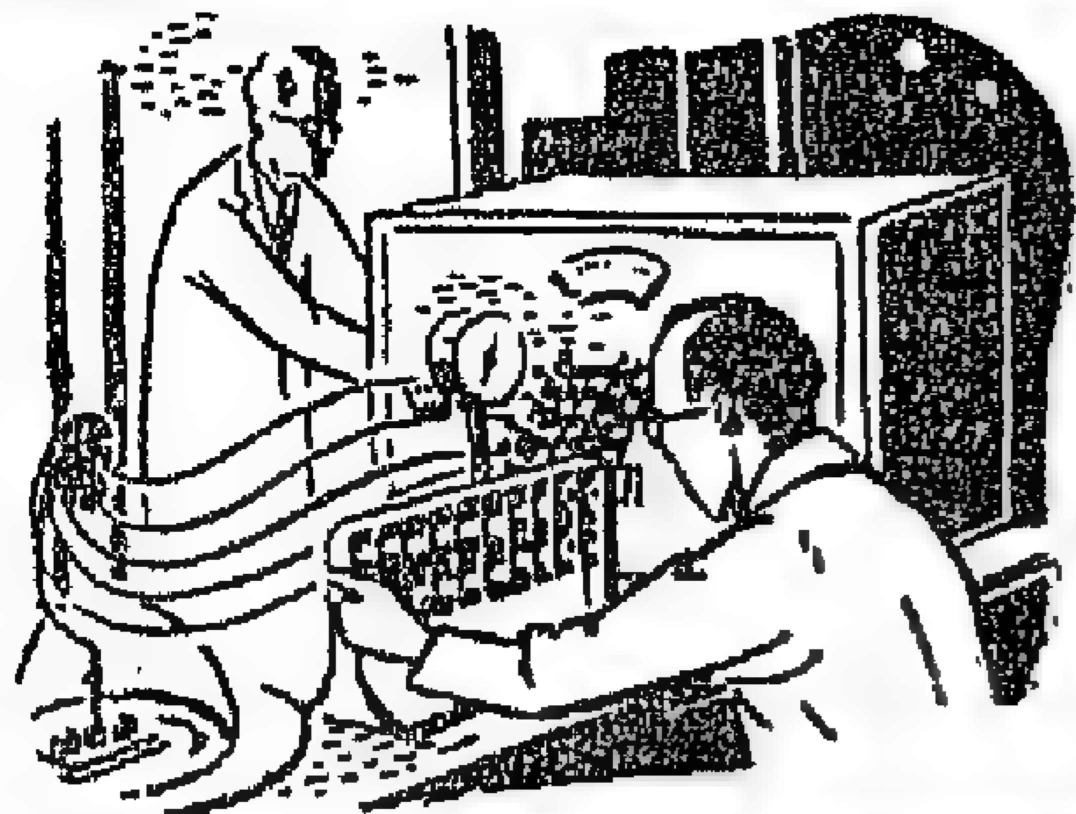
تخدم الصناعة والزراعة منذ ٢٩ سنة

THE CLEVELAND TRACTOR COMPANY

Serving Industry and Agriculture for 29 Years

Export Division

19300 Euclid Av., Cleveland, Ohio, U.S.A.



هندسة أوتو-ليت الفنية

AUTO-LITE

... تحفظ مرتبة الضمان اليوم

... وتبتكر الضمان الآلى للمستقبل



إن كل وحدة من المعدات الآلية التى تشتريها وتحمل اسم أوتوليت — من شموع وبطاريات وأجهزة القيام والإضاءة — تستمد كفايتها من البحث الهندسى الدقيق.

إن معدات أوتوليت المتاحة اليوم تخدم خدمة أطول خالية من المتاعب لأن مهندسى الأشغال صمموها كجهاز كهربائى مترابط الأجزاء متزنها.

وإن البحث المتواصل والتقدم الهندسى فى المعدات الكهربائية الآلية اليوم ليضمن منزلة عالية فى تقدير مستهلكى أوتوليت — أصحاب السيارات، والأوتوبيسات وسائق اللوريات — فى عالم الغد.

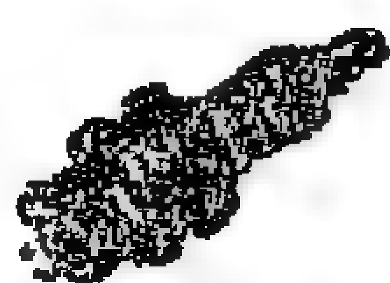
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY (*Export Division*)
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.

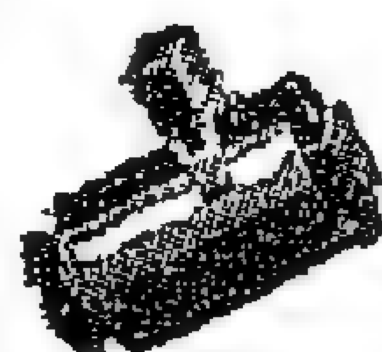
شموع . بطاريات شحن

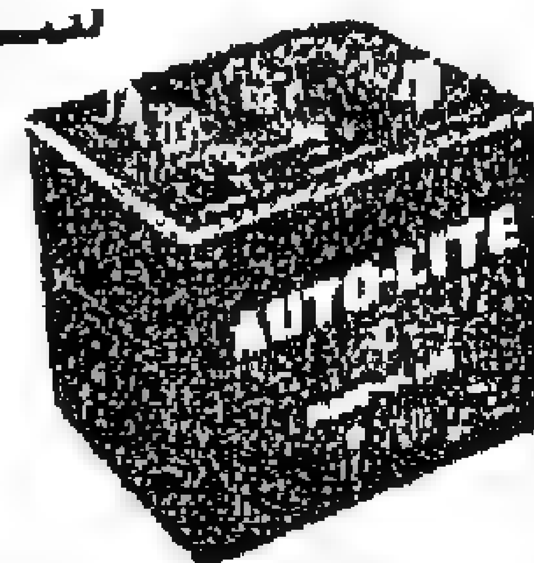
أسلاك . أجهزة للقيام

والإضاءة

والإشعال







نعم ... شيء قليل من أجل
الجودة، يذهب مذهبًا بعيدًا

إنّ جودة "جنرال" المتفوّقة ...
... تذهب مذهبًا بعيدًا
لكسب الأصدقاء

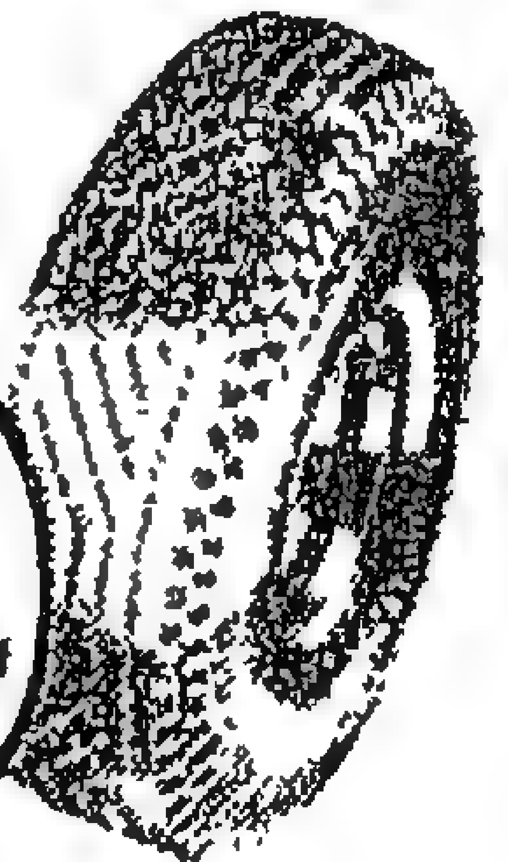
شركة جنرال تير أند رابر اكسبورت

أكرون . أوهايو . الولايات المتحدة

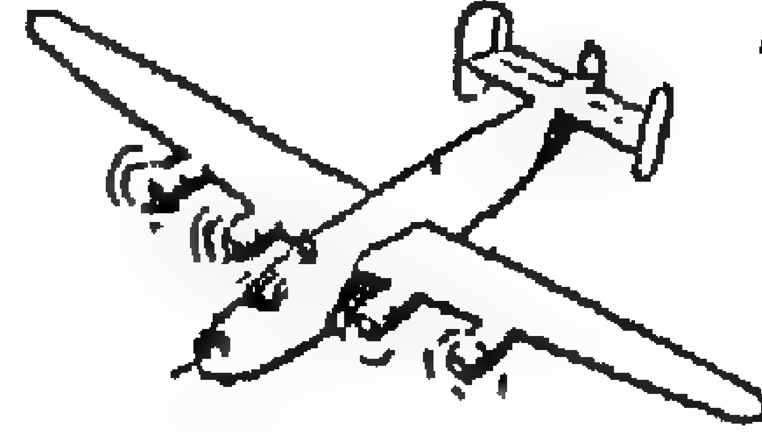
تلغرافيا : جنتيروكو اوكرونوهايو

مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا
ومكسيكو وفنزويلا ، وشيلي ، والبرتغال

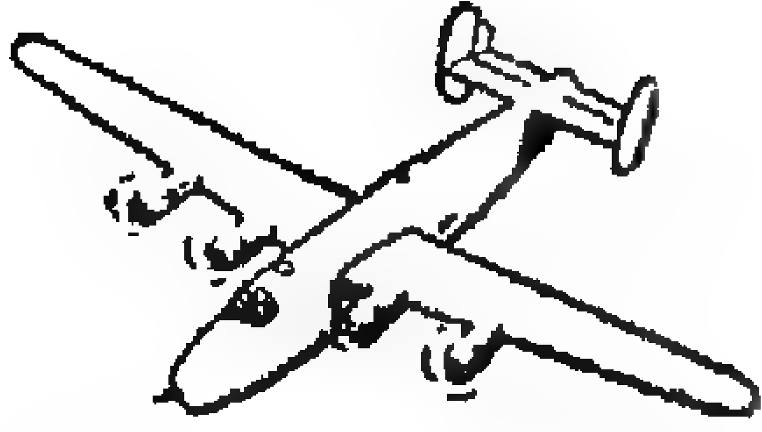




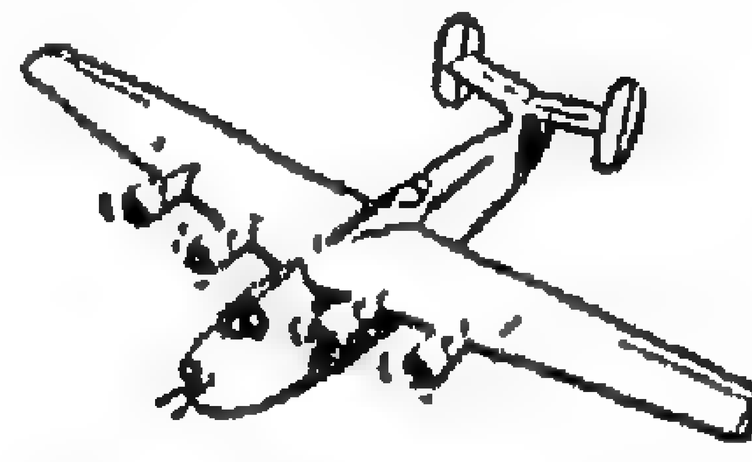
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



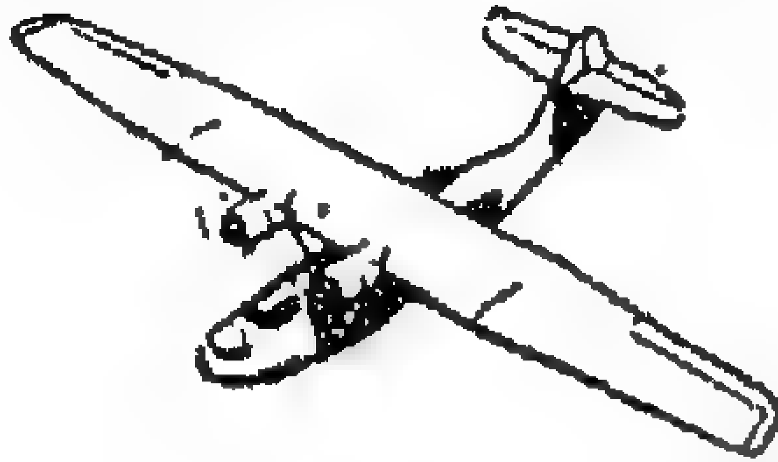
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



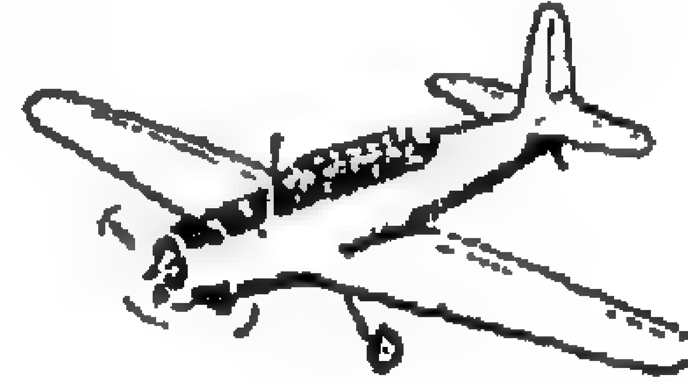
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقـــل



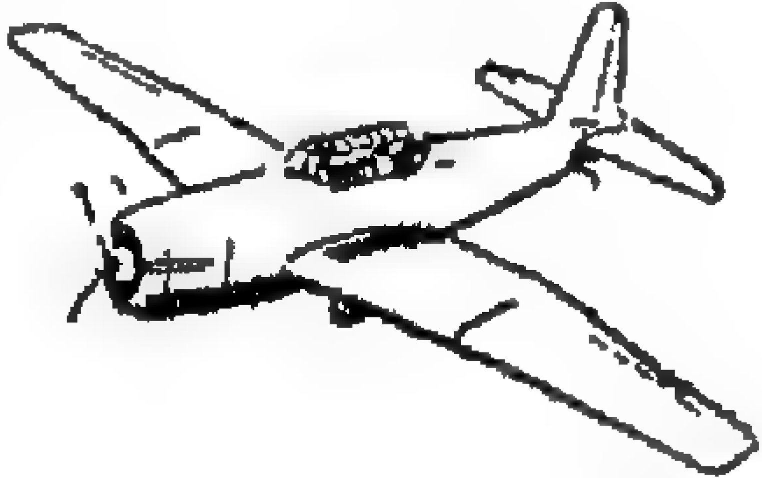
كورونادو — قاذفـــة داورية



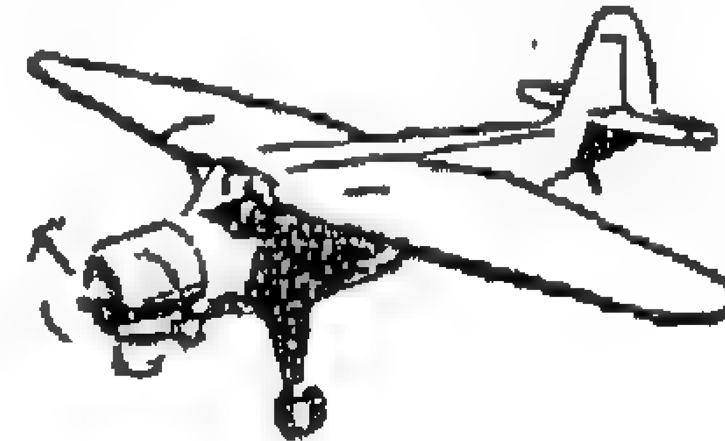
كاتالينا — قاذفـــة دورية



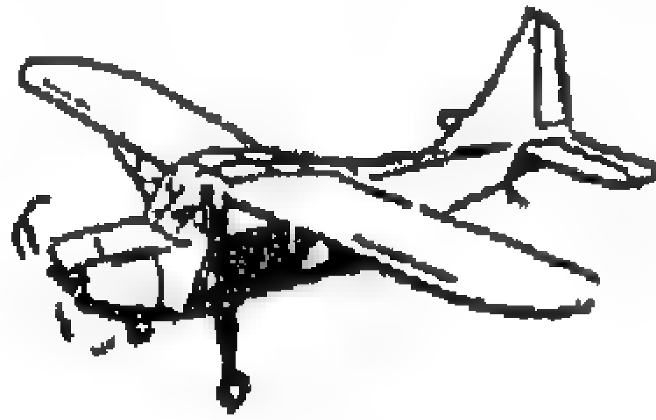
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طـائرة تدريب للملاحة



سنتينل — « الجيب » الطائر

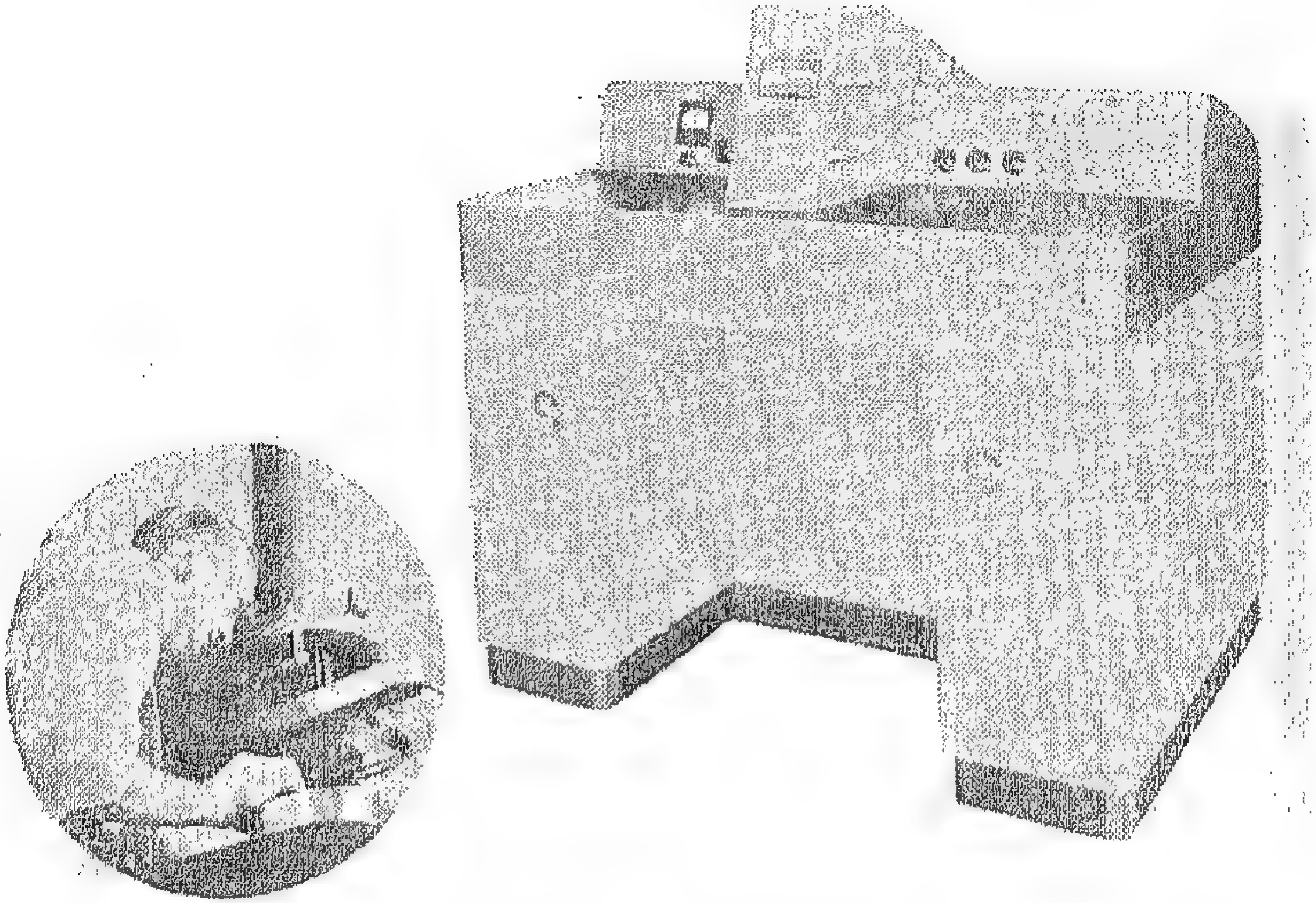
حين نحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد ڤولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.
Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.
Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.
Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

معدات RCA تساعد العلم والصناعة على أن تنجز العمل إنجازاً أتقن وأسرع



المجهر الكهربي (المكرسكوب الإليكتروني) الذي تصنعه RCA هو «عين» إليكترونية ترى ما كان محجوباً حتى الآن من دخائل التركيب في موادّ كثيرة. وهو يصور صوراً دقيقة، يمكن تكبيرها بالتصوير الضوئي أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ مرة.

هذه القدرة على التكبير تتجلى قيمتها كل يوم في الصناعات الكيميائية والمعدنية والخزفية وصناعات العجائن والمنسوجات والبترول والمطاط وغيرها. وهي تكشف معارف جديدة، عن حجم الدقائق وشكلها وانتشارها، وكذلك تفاصيل سطح الفلزات وغيرها من المواد. وهي ترفع الغطاء عن وجوه استعمال جديدة، وتفتح أبواباً تفضي إلى أسواق أعظم.

وهناك الآن نموذجان جديدان من مجهر RCA الكهربي، متاحان لمن يريد، أحدهما هو يونيفرسال تايب (١) وهو يحتوي على آلة تصوير كهربية.

وأما الثاني فهو نموذج مدمج للاستعمال على مائدة (٢) صمم خاصة للاستعمال في الصناعة.

فلكي تظفر بمعلومات أخرى عن وجوه استعمال مجهر RCA الكهربي في بلدك، اكتب إلى:



RADIO CORPORATION OF AMERICA

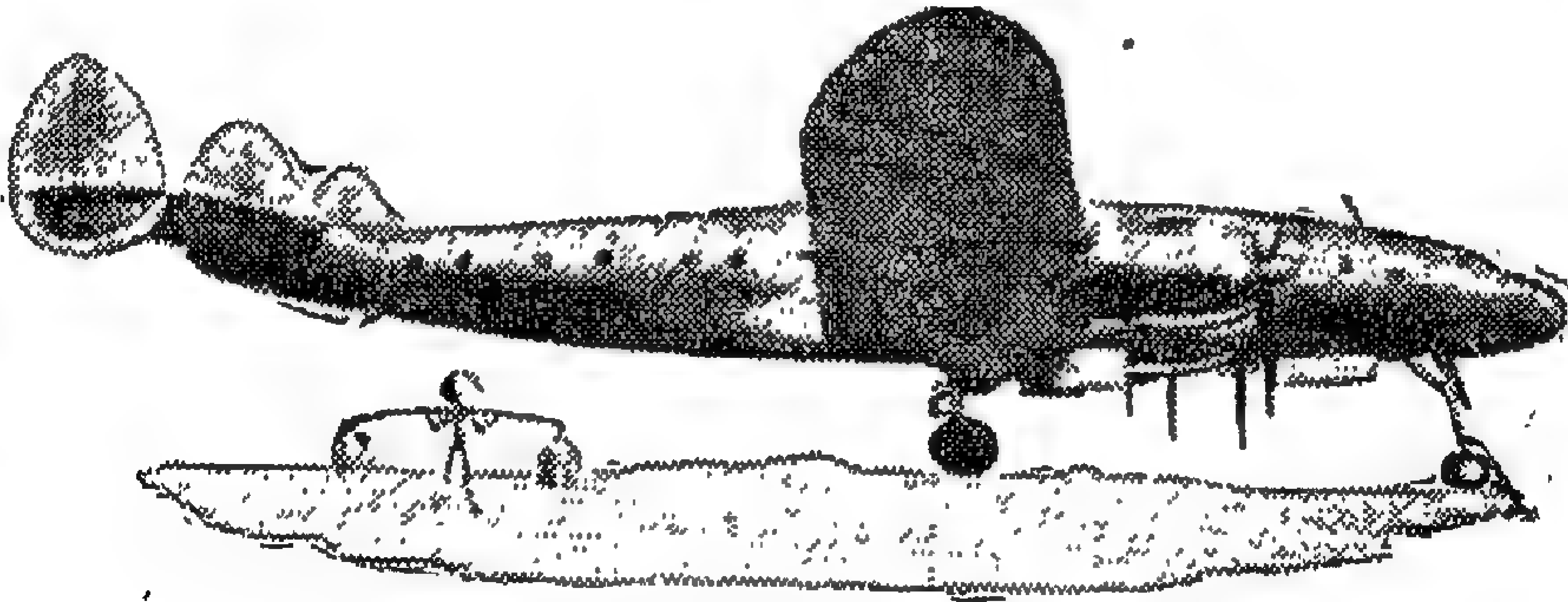
RCA VICTOR DIVISION · CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة في الراديو.. تليفزيون.. صمامات.. فونوغرافات.. اسطوانات.. اليكترونات



الحمولة إما ركاب وإما بضائع

إن النظرة العاجلة فى سجل مزايا الطائرة كونستيليشن ، تدل من فورها على أنها ليست طائرة تقتصر على مهمة واحدة . إن تعدد المنافع هو ميزتها : فجوف الطائرة مثلا ، يمكن تكييفه حتى يطابق المطالب التجارية فى طريق معين ، فتكون حمولتها إما ركاباً وإما بضائع ، أو كليهما . أما فى الطيران فتستطيع أن تنهض بمهمتها بغاية الاقتصاد عابرة المسافة المطلوبة — سواء كانت تقطع قارة من طرف إلى طرف ، أو تطير رحلات لا تزيد على مئة ميل . حقاً إن تعدد المنافع هو ميزتها . وقد وضع تصميم طائرة كونستيليشن لكى تحل جميع المشكلات الخاصة التى تواجهها خطوط الطيران المفردة ، فتصلح أن تكون قطاراً سريعاً طويل المدى ، أو مركبة نوم ، أو قطاراً يقف على كل مدينة .



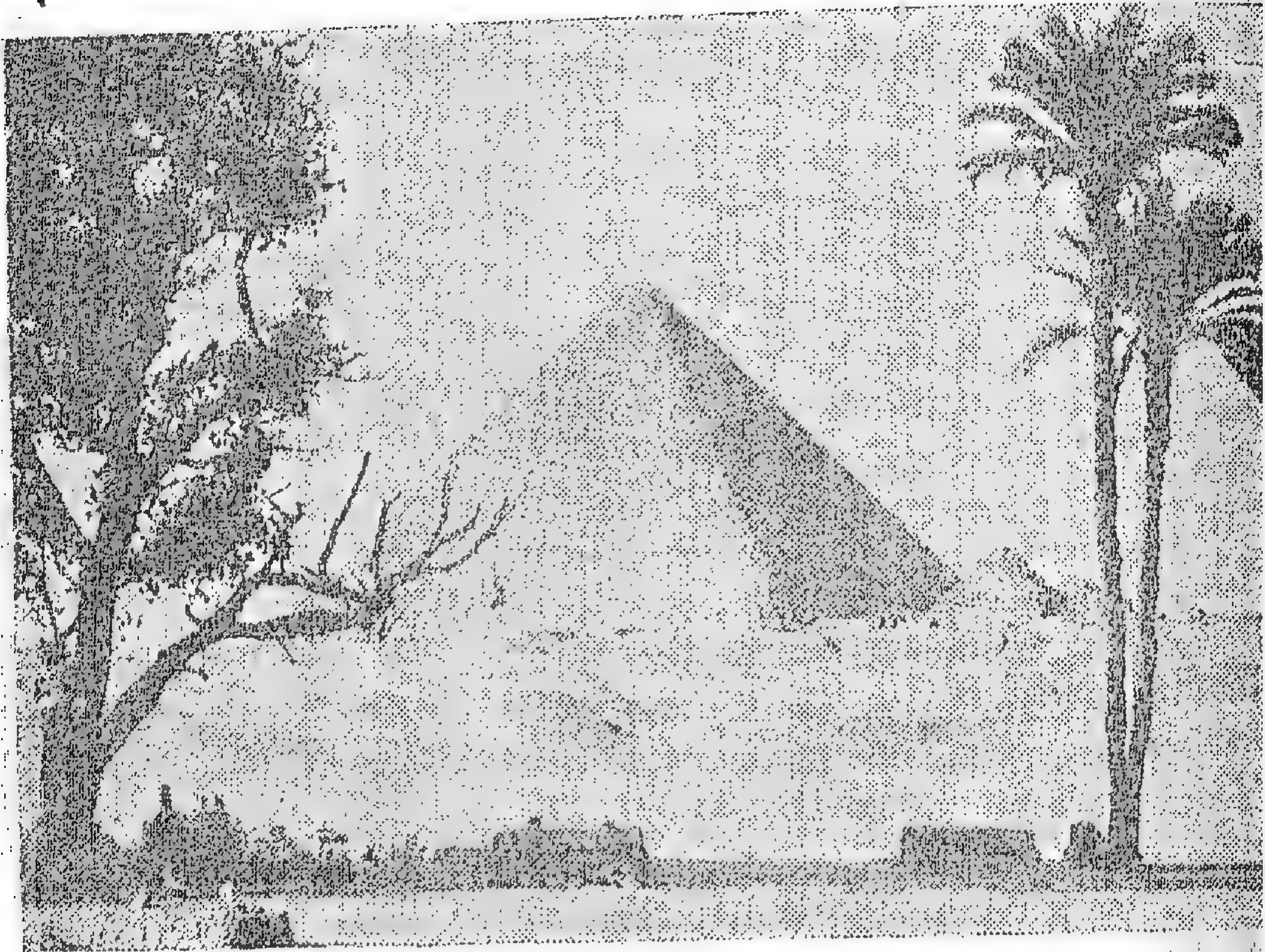
طائرة كونستيليشن لوكهيد

أعظم طائرات النقل البرية ، مقدرة على الحمل

انتظروا من Lockheed كل ممتاز وجديد

Lockheed Aircraft Corporation, Burbank, California, U. S. A.

قديماً كان الأهرام في الحاجة إلى التشحيم



في تلك الأيام التي كان يشيد فيها بناة الأهرام تلك الآثار الخالدة كانت الزيوت المستخرجة من النباتات وحتى الماء يكفي لتشحيم المنحدرات التي كانت تسحب عليها الأحجار الضخمة .

أما اليوم فإن صيانة سيارتك من التآكل تستلزم استعمال زيوت موبيلويل كما أن إطالة عمر آلاتك تقتضي استعمال شحومات جارجويل . فللانتفاع بميزة الوقاية التي تقدمها لك هذه الأصناف بادر بشراء زيت موبيلويل لسيارتك وشحومات جارجويل لكل قطعة من آلات مصنعك



سوكوني - فاكوم



وصفة لأسنانك



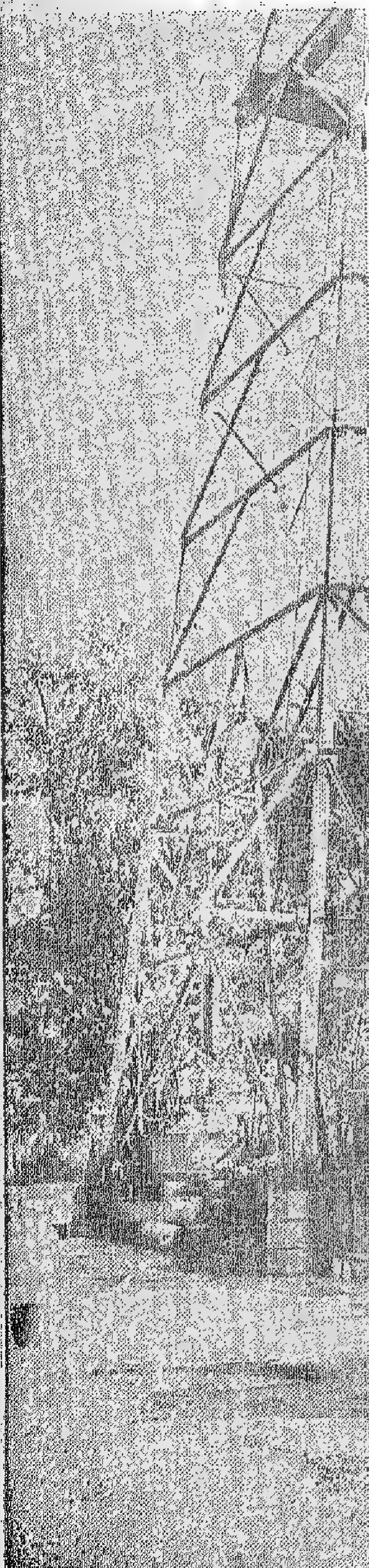
كيف تستعملها ؟ استعمل هذا « الكريم » الطرى مرتين كل يوم على الأقل كما تستعمل أى معجون عادى للأسنان . نظف الأسنان بالفرشة تنظيفاً محكماً بأن تحرك شعر الفرشة على ميناء الأسنان حركة سريعة حثيثة من أعلى إلى أسفل .

أكثر من ١٤ عنصراً — فهو مركب من أكثر من ١٤ مادة أجيد اختيارها ، وأحكمت موازنة تركيبها بحيث تعطيك أعظم مزايا الصقل والتنظيف ، دون أن يكون منها ضرر على مينان الأسنان .

ماذا تنتظر ؟ — ينفذ إلى مالا تنفذ إليه الإبر (بفضل مادة خاصة بالتنظيف) فيصل إلى البقع الدقيقة الخفيـة التى تتكون على الميناء ، ولو استعمل معجون أضعف أثراً من هذا ، لظل بعضها بغير تنظيف .

طعم لذيذ مدهش يستطيبه فمك وينتعش به — إنه يجعل فمك يحس أنه صار أطرى وأنقى وأحلى .

معجون الأسنان ليسترين



٢١ بئراً للزيت في ١٥ شهراً

على قـدر ما يطرد طلب منتجات البترول ويزداد ، يجب أن يزداد ما يستنبط من الزيت الخام الوفير المدخر في جوف الأرض . والوصول إلى كثير منه يقتضى أن تزداد الآبار عدداً وعمقاً . فحفر الآبار على وجه سريع مستمر اقتصادى ، أمر ذو شأن عظيم — لمنع النفقات من الاستفحال ، ولتهيئة الآبار للإنتاج دون تأخير .

إن محركات ديزل كاتربيلار لتضرب أرقاماً قياسية في توفير قوة لحفر الآبار ، قليلة النفقة يصح الاعتماد عليها . وقد استطاع محركا ديزل كاتربيلار المصوران تحت هذا الكلام ، أن يحفرا ٢١ بئراً مجموع عمقها ٥٤٫٢٨٥ قدماً في ١٥ شهراً ، وكانا يعملان معاً ٢٤ ساعة كل يوم . فمعدل حفر البئر الواحدة لم يزد على ١٨ يوماً ونصف يوم .

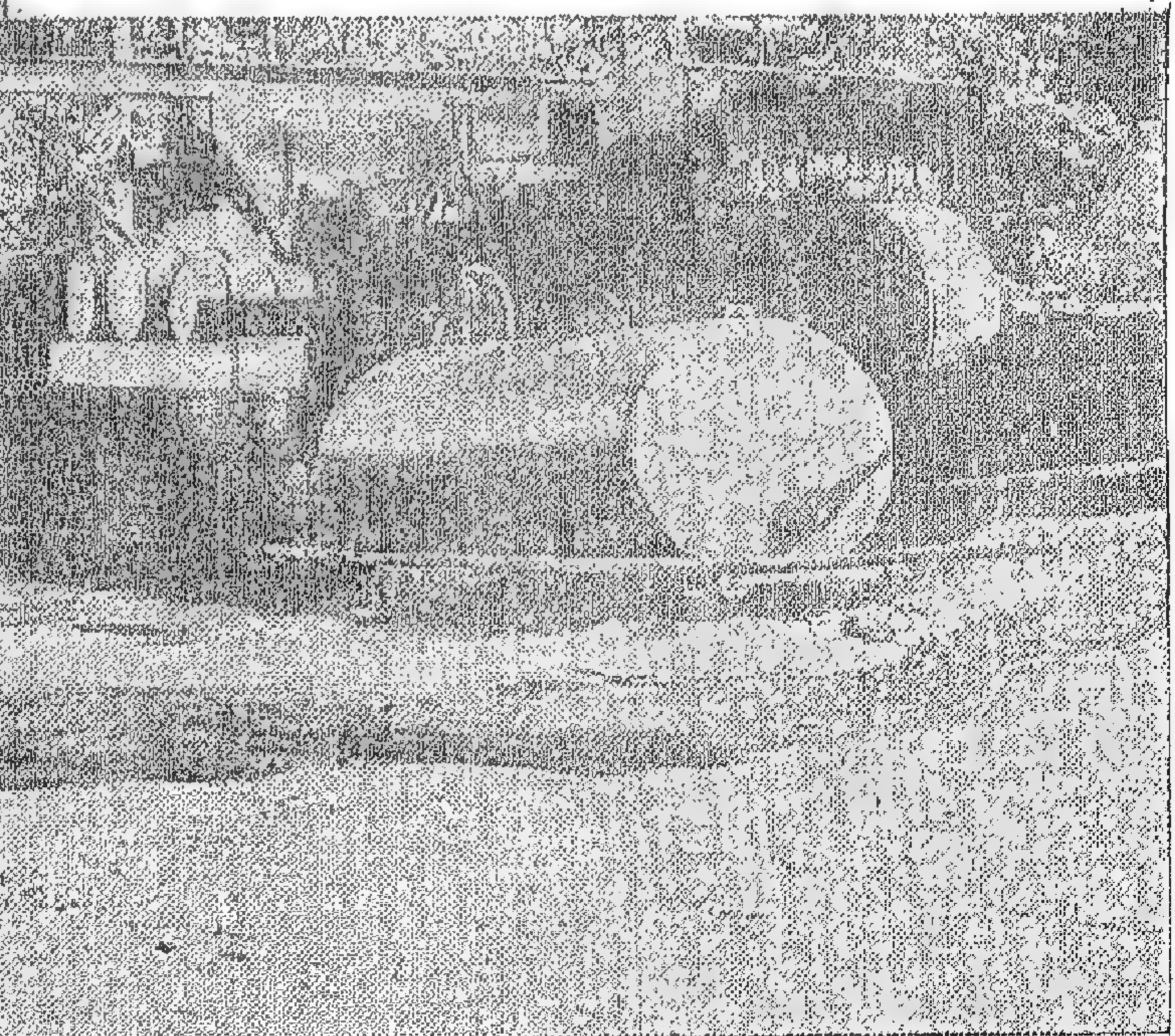
إن محركات ديزل كاتربيلار ، ومجموعات كاتربيلار الكهربائية ، تستعمل في جميع أنحاء العالم في طائفة كبيرة من أعمال الصناعة والزراعة والنقل — وبخاصة المعامل ، والمصانع ، وحقول الزيت ، والمزارع ، وساحقات الصخور ، والمناجم ، والزوارق ، والقاطرات ، ومحالج القطن ، ومصارف الري ، ومعدات البناء ونقل التراب . وثمة هيئة عالمية النطاق لخدمة أصحاب كاتربيلار تساعدهم على حفظ معداتهم في أحسن حال للعمل .

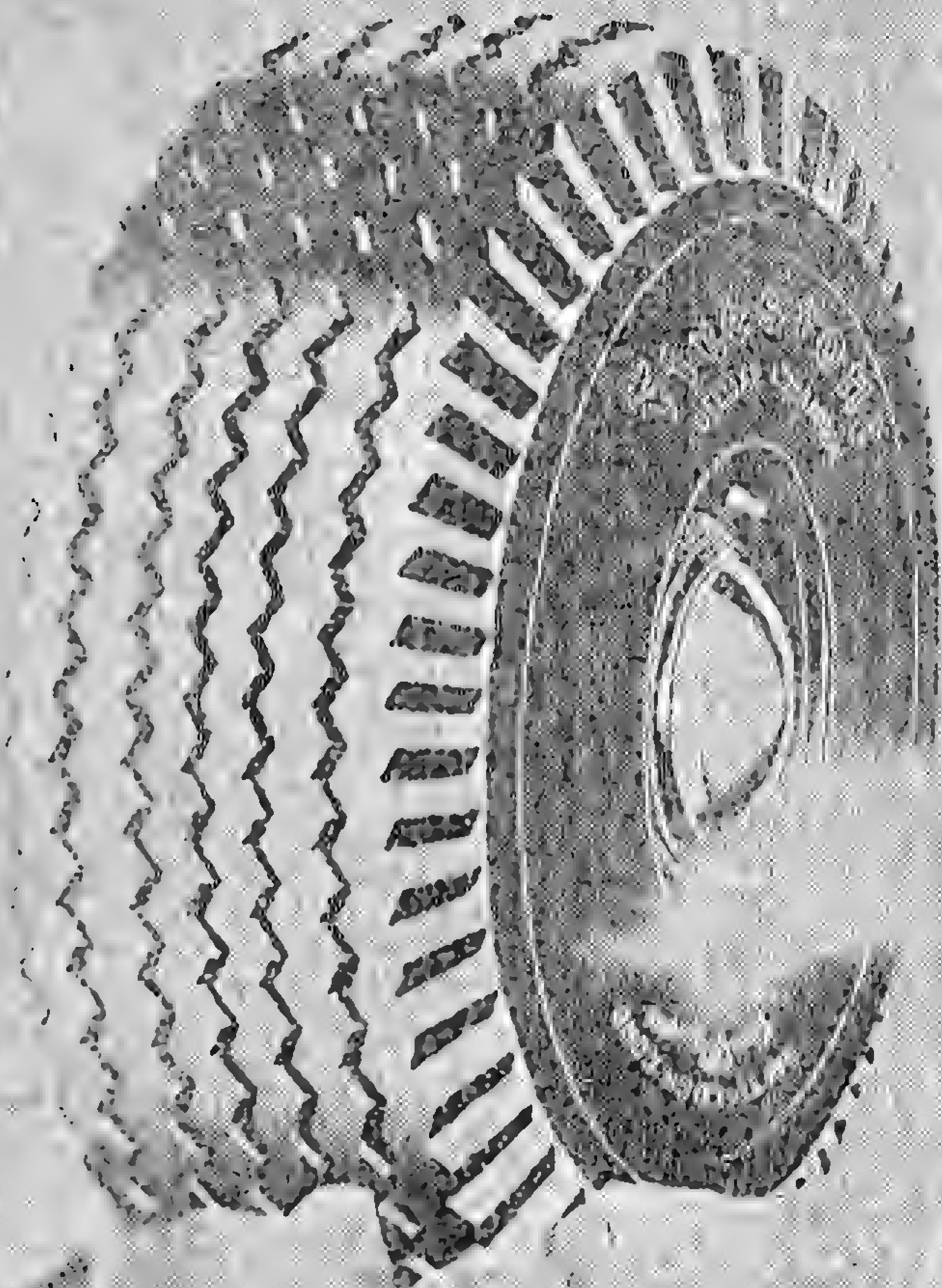
CATERPILLAR TRACTOR CO PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

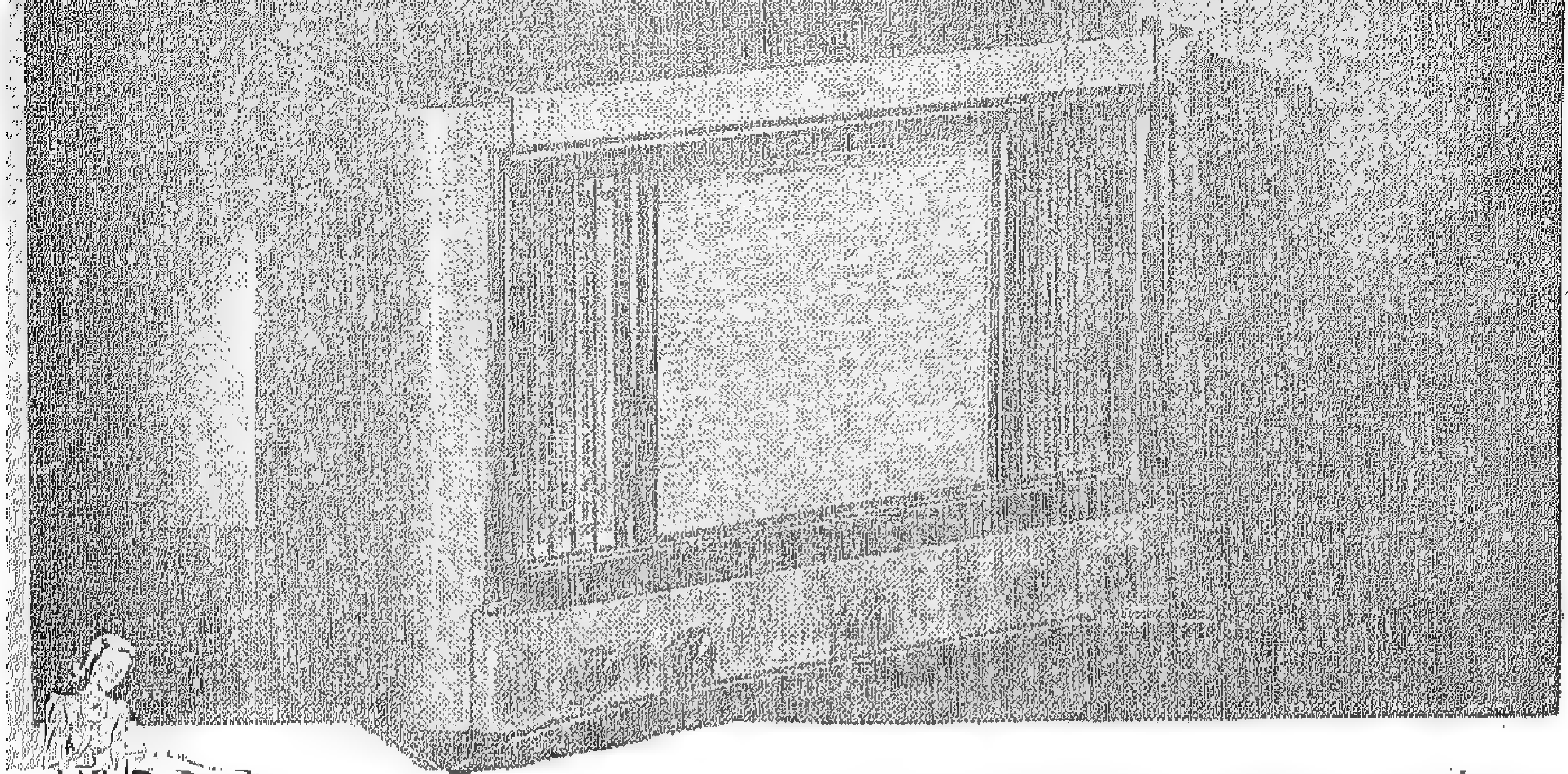
CATERPILLAR DIESEL

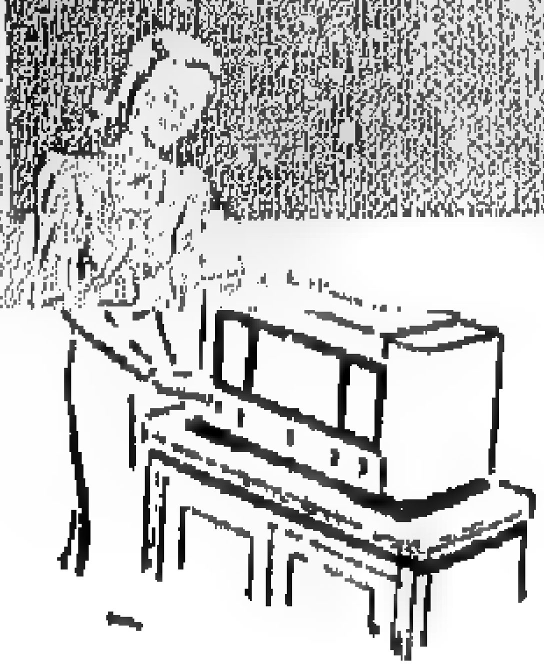
جرارات . محركات . اجهزة كهربائية . آلات زراعية






فايرستون
Firestone





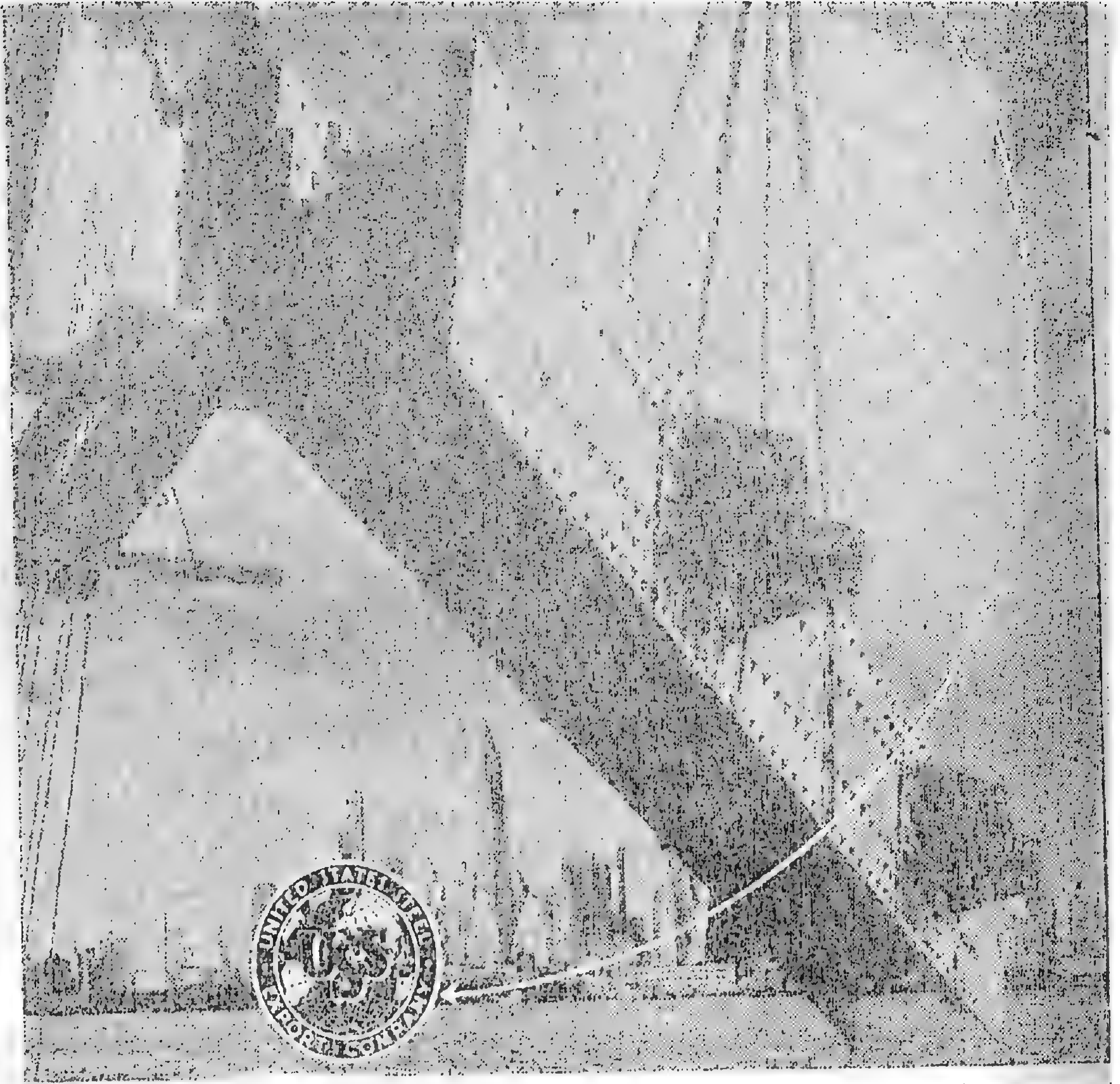
جهاز فيلكو 778-1 جبر صناعة الراديو — أعظم ما صنع على الاطلاق من أجهزة الراديو صغيرة الحجم التي صممت لالتقاط الأمواج القصيرة البعيدة المدى . إن ضبطه بواسطة مناطق الأمواج الواسعة العجيبة تمكنك من أن تسمع المحطات العالمية في أتم وضوح ودقة ، و بغير خشخشة — فضبطه على هذه المحطات العالمية سهل كضبطه على محطتك المحلية

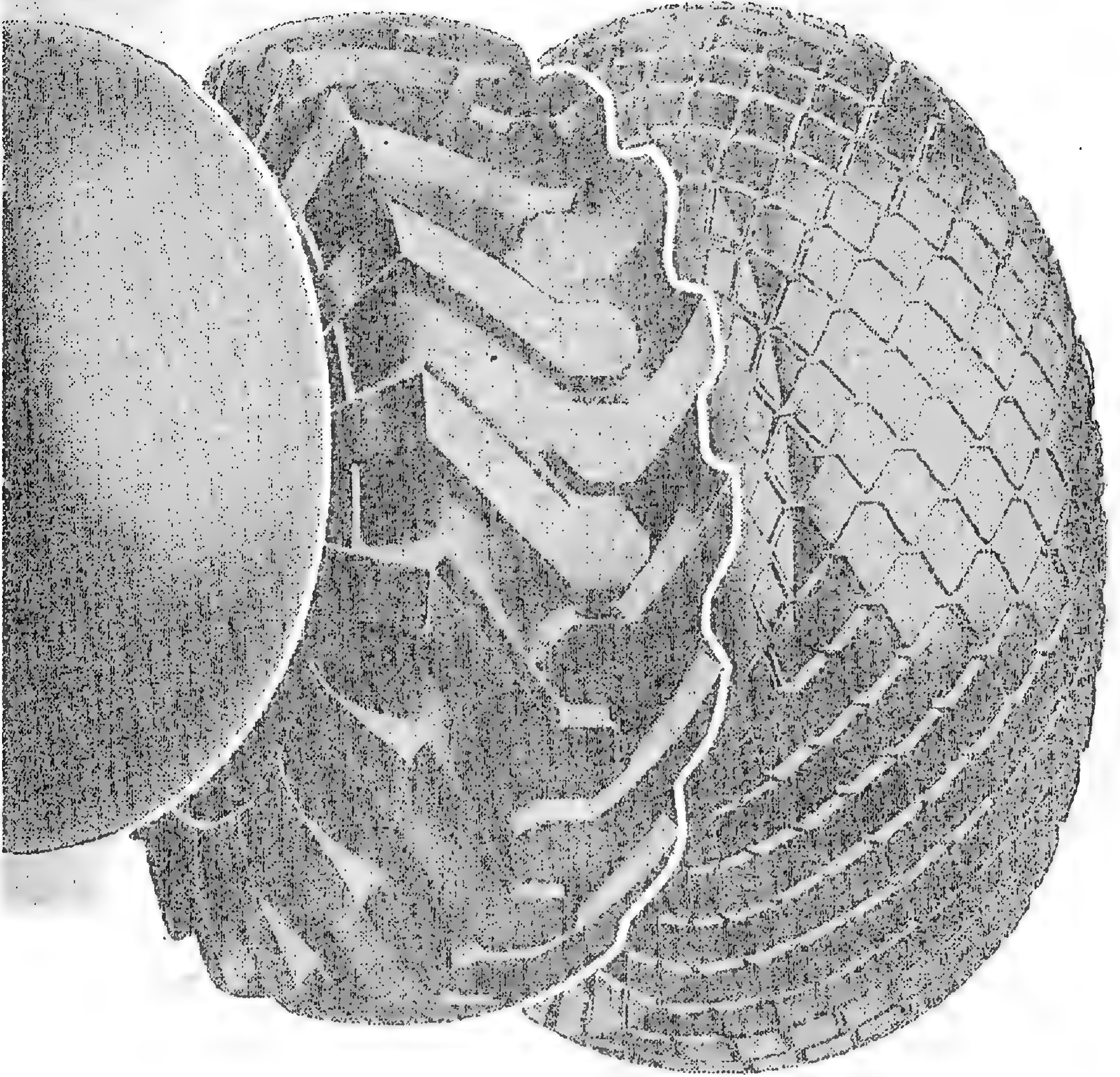
خلال اثنتي عشرة سنة متوالية قبل نشوب الحرب ، ظلت هيئات فيلكو للأبحاث والهندسة ، في طليعة الارتقاء في عالم الراديو — تزيد عمل الجهاز ونغمه تحسيناً ، وتجعل الراديو أنفع في البيت وأبعث على السرور . واليوم ترى فيلكو يعمل عمل الزعيم المتقدم في إنتاج رادار والمعدات الكهيربية (الإليكترونية) لأجل الحرب . وبعد النصر ستأتيك هذه الزعامة بأفضل جهاز صنعه فيلكو على الإطلاق . أما وهو وليد أبحاث الحرب ، فسيكون نغمه أصفى ، وعمله أقوى ، وشكله أرشق . وجرياً على سنته المتبعة في الزعامة ، سيكون هذا الجهاز خير ما يُشرى .

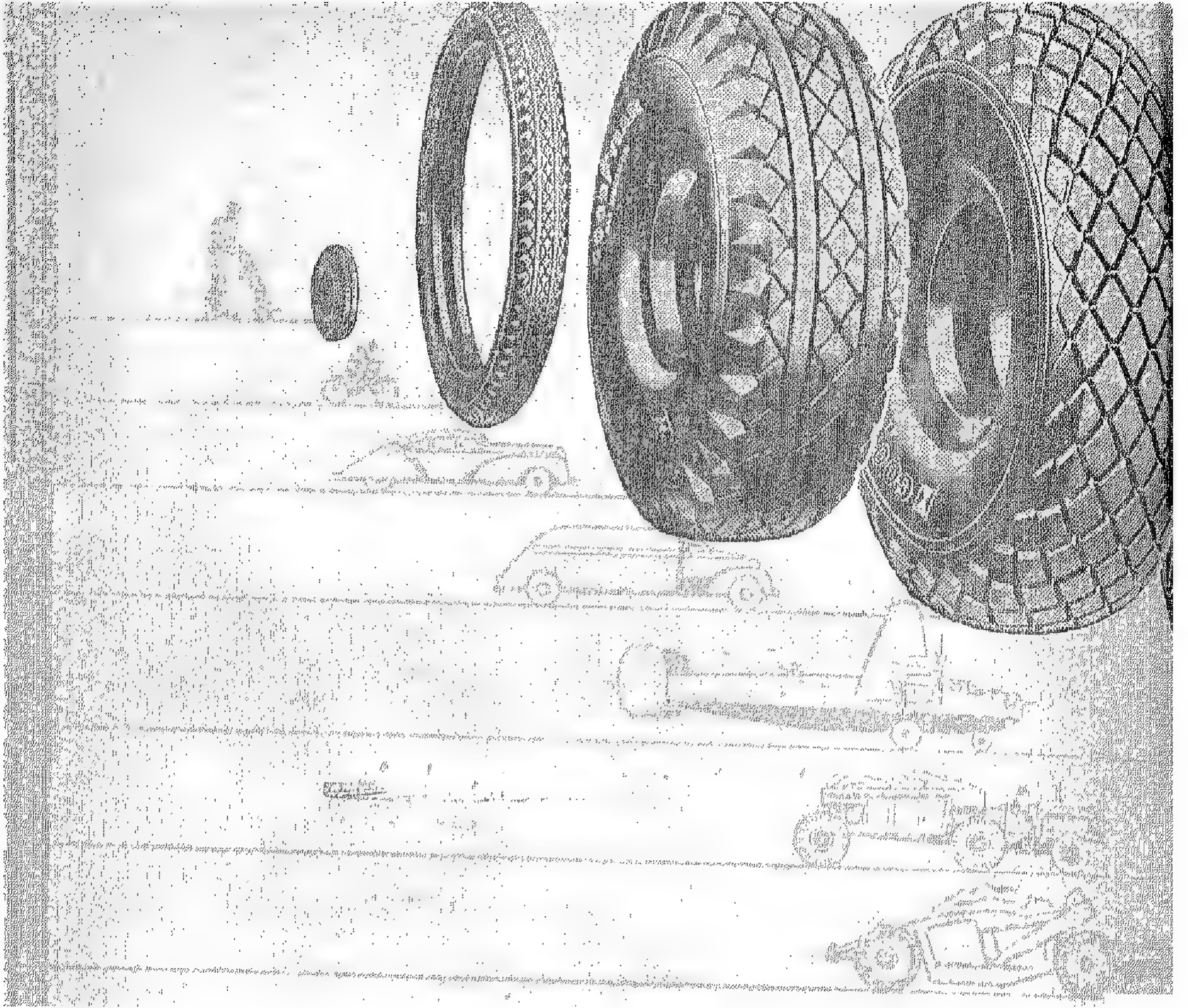
نعم ، تطلع بعد النصر ، إلى فيلكو ، في زعامة الراديو

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.

فيلكو المشهور بالجودة في جميع أرجاء العالم





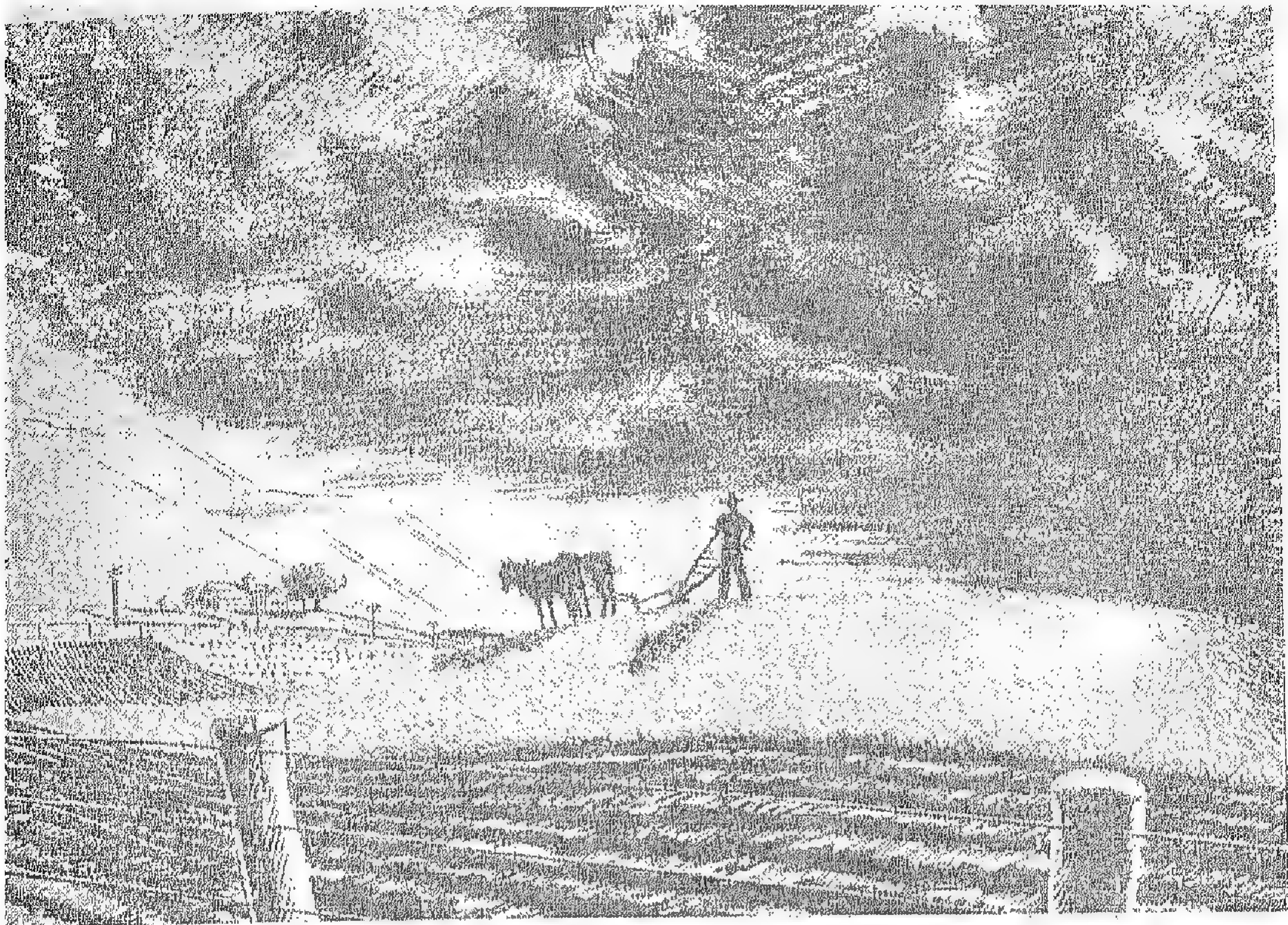


من أقزام إلى جبابرة !

كل شيء يجرى على عجلات — من أصغر سيارات
النقل فى الصناعة إلى ناقلات التراب
مة — يصنع له جوديير أجود الإطارات وهو
ذا التنوع العظيم فى الإنتاج . الذى يجعل كل
ر من إطارات جوديير أصلح ما يكون لمهمته .
وما يدخل فى صناعة كل إطار من هذه
طارات العظيمة ، ليس أفضل المواد الخام
ب ، بل كذلك براعة لا تقوّم بمال . كسبت

فى صنع أكثر من ٣٥٠ مليون إطار منفوخ —
وهو يزيد ملايين كثيرة على ما صنعه أى منتج
آخر للإطارات .

وهذا هو السر فى أن إطارات جوديير تضمن
أطول مسافة ، وأعظم سلامة ، وأكبر اقتصاد
فى الاستعمال . وبفضل هذا الفعل الباهر ، أصبحت
إطارات جوديير أول ما يختاره الناس فى جميع
أنحاء العالم خلال ٢٩ سنة .



فيليبس يتطلع إلى حصاد الغد



منذ خمسين سنة مضت ، وفيلبس يخترع ويصنع أجهزة كهربائية ليجعل حياة الناس أسعد حا[...] وأتم صحة — وقد تقدم رائداً فى تحسين المعدات الكهربية (الإليكترونية) .

وإذن ففيليبس غنى فى ذلك النوع من التجارب التى لا غنى عنها فى استكشاف أشياء جديدة تصنع[...] الكهرباء ، ثم يجعلها متاحة لجميع الناس .

والحرب لم تقف فيليبس عن المضى فى التحسين ، ولا الإقدام فى الإنتاج . إن مهندسى فيليبس ومصانعه ، منهمكة فى إنجلترا وأمريكا وسائر البلاد الحرة فى أرجاء العالم ، تسدى خدمة إلى مجهود الأ[...] المتحدة فى الحرب .

ولكن حين يتم النصر ستجد التلفزيون والأشعة السينية والإضاءة والمعدات الكهربية (الإليكترونية) الصناعية قد أشرفت على جنى حصاد غزير من الأشياء الجديدة التى ستنشأ عن تجارب فيليبس الطويلة وتحسيناته العظيمة التى تمت فى زمن الحرب .

وليس لنا ما نقوله لعملاء فيليبس وزبائنه فى كل مكان أكثر من أن هذه الأشياء جميعاً جديرة بأن تنتظرها

وقد وقفت شركة فيليبس جميع مواردها ، فى طول العالم الحر وعرضه ، على تعجيل النصر



HILIPS

"يجف مداده حال كتابته !"

ليس فى العالم كله قلم كهذا سبق الأقلام !

پاركر "٥١"

PARKER "51"

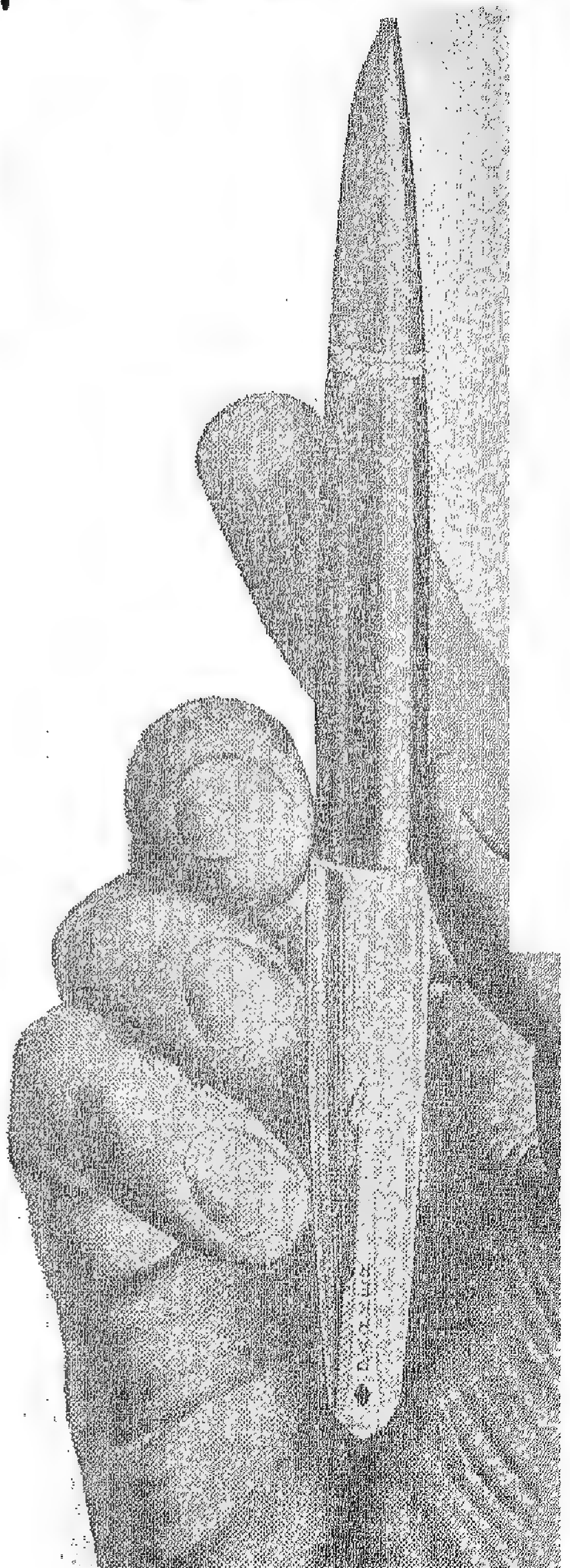
• رشيق طريف فى شكله الأنيق — وهو أرشق فى أداء مهمته — إن قلم پاركر «٥١» يأتيك بمعجزة فى الكتابة .

لايكاد يمس صفحة الورق حتى يسيل حبره من فوره، فتراك تكتب به كتابة تسترسل وتنساب. ثم لاحظ ! إن الحبر يجف وأنت ترسم الكلمات فلا حاجة إلى نشاف : لأن هذا القلم دون غيره قد صنع ليستعمل الحبر العجيب ، الذى يكتب كتابة جافة ، حبر پاركر «٥١» ! وقلم پاركر «٥١» يصلح طبعاً لاستعمال أى حبر . ولم يجتمع من قبل، مثل هذا القلم الساحر والكتابة المنسابة.

إن الطلب على قلم پاركر «٥١» كبير ، فإن لم يستطع مورِّدك أن يوافيك بما تريد ، فسجل طلبك عنده . تطلع إلى الماسة الزرقاء على مشبكه ، إنها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

شركة أقلام پاركر
چانزفيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

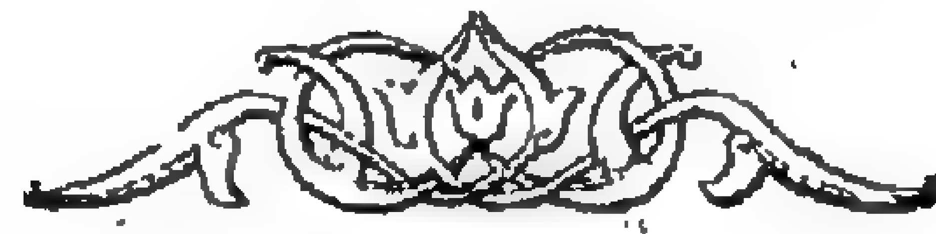
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U.S.A.



[تتمة مقالة الغلاف]

ويتأدبون بآدابها ولكن من غير أن تنقطع صلتهم بالوطن الذى يحملون فى قلوبهم حبه إلى جانب الوطن الثانى الذى اختاروه وأحبوه .

وإنا لنرى فى ما تطالعنا به مجلة المختار فى كل شهر إحدى الوسائل الفعالة لتوثيق هذه الصلة بمختلف وجوهها ، وهى فضلا عن ذلك تنير أفهام طبقة كبيرة من أبناء الأمة العربيــة ، وتبعث فى نفوس أبنائها حب الفضائل والمكارم ، والإقدام على المصاعب والأعمال الجسيمة ، بما تسجله من سَيْر الحوادث وسِيَر العاملين التى تحملها إلى قرائها .



— ٣ —

إننى أحيي المختــار وأرحب به ، تحيةَ عربى يقدس الفكر المستقل ، ووطنى ناضل فى سبيل الحرية ، ومؤمن بالأسلوب الدمقراطى فى الحياة . إن مقالاته تعظم شأن الإقــدام ، وتعلى منزلة عمل الفرد ، وتمجد الرجالَ والنساءَ الذين تحدوا العقبات والعوائق فاقتحموها وعملوا ما يبتغون . إنهم خير مثل لشــبابنا ، إنهم هم الذين يمهدون الطرق للإنسانيــة ، وهم عمد الدمقراطيــة . إن الاجتماع البشرى ليس قرية من قرى النمل ، فلا مقام فيه لرجل أو امرأة ، يرضى أن يصبح جزءاً من آلة لأنه يخشى أن يستقل بنفسه . إن الروح العربية الحرة العريقة التى انبعثت تتدفق ، ينبغى أن تصقل جوهرها بحادثة العبر المستخرجة من تاريخ الفرد فى بناء الإنسانية ، حتى تخرج ذخائر نبلها وعظمتها .

فزيدونا ثم زيدونا من أمثال هذه المقالات .

بعث الروح العربية

١ - دولة سعد الله الجابري رئيس مجلس النواب السوري
٢ - دولة فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء السوري



— ١ —

عتاز العرب من سائر الشعوب بأنهم إذ ينادون باستقلالهم وبعث ماضيهم وثقافتهم إنما ينادون بإحياء حضارة عالمية ومجد تليد لا تجاريهم فى جمعهما أمة أخرى . وإن العمل على إحياء التراث القومى يهيب بهم إلى توحيد الجهود وتضافر الهمم والعزائم، لتكون لهم القوة التى تساعدهم فى تحقيق أهدافهم السامية وأغراضهم القومية .

والبلاد العربية التى كانت حضارتها منار الشعوب قبل عشرة قرون ، تتطلع فى يقظتها إلى الماضى لتستمد منه القوة والرجاء ، وإلى المستقبل لتحيا فيه حياة طيبة وتشارك الشعوب الحرة بعزتها وكرامتها ، وهى موقنة بأنها لا تعجز أن تعود سيرتها الأولى إذا أقبلت بجد على العمل ، واقتبست من غيرها وسائل الرقى والتمدن التى أصبحت ميراثاً مشتركا للإنسانية .

فلا غرو إذا رحبت بكل ما يعزز صلات الثقافة وروابط الفكر ، التى هى الضمان للتعاون والتفاهم والتعاطف بينها وبين الغرب ، ولا سيما الديموقراطيتين الكبيرتين اللتين تتصل إحداهما بالجزء الأكبر من الوطن العربى ، ويرتاد الثانية منهما الألوف من أبنائها فيصطبغون بصبغتها

[البقية على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر سراي سياحة مصرية

ریڈرز ڈائجسٹ

مئی ۱۹۶۵

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الواحد والعشرون (التاسع من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrada)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٠٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون

المختار
من
ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الاثر
السنة الثانية — مايو ١٩٤٥ — المجلد ٤ العدد ٢١

النهاية

[أديب ألمانيا العظيم المنفى يعين الشر الذى أصاب النفس الألمانية]

توماس مان * حائز جائزة نوبل الأدبية * ملخصة عن مجلة « فرى وورلد »

أصبحت خاتمة أبغض وحش فى عصرنا — الإشتراكية الوطنية — على وشك الوقوع . ولو أن غصصها كانت مقصورة عليها ، ولم تكن فى الوقت ذاته غصص أمة منكودة الحظ تشق اليوم من جراء ثـقْـلة خمارها ، لوسعنا أن نتأمل النكبة بارتياح هادئ إلى ما هو حق ولازم .

ومن المستحيل أن تطالب أمم أوربا والعالم المنكوبة أن ترسم خطاً واضحاً فاصلا بين النازية والشعب الألمانى . وقد عانى العالم خمسة أعوام من الحرب مفعمة بالآلام والتضحيات ، وهى حرب كانت ألمانيا هى التى أطلقتها ، وقد واجه خصوم ألمانيا من أول يوم منها حذق ألمانيا وبسالتها وذكاءها ونظامها ومقدرتها الحربية ، أو بإيجاز ، قوة الأمة التى أيّدت كلها النظام النازى وخاضت معاركه . ولم يواجهوا هتلر وهملر اللذين ما كانا يعدان شيئاً لولا أن الشباب الألمانى بيأسه وولائه الأعمى كان يقاتل ويموت ببسالة مضللة فى سبيل هؤلاء المجرمين .

وما من أحد يسعه أن ينكر أن « اليقظة الوطنية » فى سنة ١٩٣٣ كانت تنطوى على القوة الخفية لثورة حقيقية صادقة ، ولكن الخيبة واللعنة كانتا مسطورتين على معارف وجهها . وقد كتبت حينئذ فى يوميتى : « إن الثورات العظيمة تجتذب فى العادة عطف العالم وإعجابه بسماحتها وأريحيتها ، ولكن ما خطب هذه الثورة « الألمانية » التى تعزل ألمانيا ولا تبذر حولها سوى المقت الذى لا ينطوى على إدراك ؟ إنها تباهى بأنها لم تهرق دماء ، وهى مع ذلك أشد الحركات ضغينة وطلبا للانتقام وأظمأها إلى الدم . وقوام شخصيتها البغضاء والحنق والانتقام والخسة . وكان يسعها أن تكون أكثر

سفكا للدماء ، وأن تفوز مع ذلك بإعجاب العالم ، لو أنها كانت فى الوقت نفسه أسمى وأضوأ وأنبل . وقد كتب على الألمان أن يحدثوا ثورة ذات صبغة لم تعهد من قبل — ثورة مناهضة للفكر والحرية والحق والعدل ، ولم يسبق لهذا نظير فى التاريخ . وقد صحب هذا كله ابتهاج عظيم من الجماهير التى تعتقد أنها أدركت مأربها ، والحقيقة أنها إنما خدعت بالمكر السيء المجنون » .

ولن أكتم ما عرفته يومئذ — وإن كنت بذلك أبدو كأنى أنكر تبعة الألمان — وأعنى السرعة التى فشت بها الشكوك وانتسخ بها الوهم فى طول البلاد وعرضها ، والسرعة التى انقلب بها زعم الحكام انهم هم والأمة شىء واحد ، أسطورة وقحة . فقد رأيت الأمة تقع فى فخ لا يسعها أن تنجو منه بعد الآن عناداً منها وضعفا .

وقد كتبت لنفسى دون غيرى : « إن الاقتناع يخامرنى بأن الشعب على الجملة مأوى رعب عميق من حكامه ومن المأزق الذى سيق إليه . وقلة المبالاة والتسليم والقنوط ، — لا الإيمان والحماسة — هى التى « تحمل » هذا النظام وتعززه . والترقب المستخذى والانتظار سائدان . وأخلق بالناس أن يتنفسوا الصعداء كأنما تخلصوا من كابوس إذا انقشعت هذه الغمة » .

هـذا ما كتبته ولست أستطيع أن أنكره . وكان الذى رأيته يومئذ هو أن شعباً يحمل بالسياط على حماسة وطنية ثورية كاذبة ، غير أنه مع ذلك شعب مكتئب يخاف شرور المستقبل ، ويستسلم للقضاء غير عابىء ، شعب يرى أنه قد أقحم فى مغامرة مشكوك فيها دون أن تتاح له أضأل فرصة للمقاومة .

وما لبث ما سميته « حرب انتقام داخلية » أن تطور إلى حالة حرب مع العالم ، حرب مصطنعة أورثتها العزلة اليائسة والوهم الذى يُغذّى بعناية ، بأن الشعب الألمانى هو بطل الحق ، وأن كل ما فى العالم من شر قد اجتمع ضد بلد يستطيع أن يجىء بالخلاص . ولكن كل حالة حرب ، حقيقية أو مزعومة ، تدانى ما بين الشعب وحكومته ، ويدمج خطرها الأمة فى النظام القائم .

ثم جاءت الحرب الحقيقية وبذل الألمان خير ما فى وسعهم ، وشره أيضاً ، وارتكبت فظائع يرتجف لها قلب الإنسانية ، فظائع لا تنسى ولا يكفر عنها شىء . وقد أبوا ما استطاعوا ان يدركوا أنهم خسروا الحرب ، فلما أدركوا ذلك أخيراً أحِلّ التعصب المغروس وروح الكمد حيال الدمار ، محلّ ما ضاع من الإيمان بالنصر .

وكان من المشاهد الفظيعة أن نرى أمة بأسرها تهجم على الجحيم بعيون مفتوحة ،

وأخفقت إخفاقاً زريًّا محاولات شتى للتخلص وزحزحة النظام القائم عن مكانه ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الجوهر والمستقبل . ولم يسبق أن نكبت أمة بأقسى من هؤلاء الحكام والسادة الذين أصروا فى غير شفقة على أن تهلك الأمة معهم .

ويوشك أن تقع الكارثة القوميـــة التى كان يحملها النظام فى أحناء صدره . وقد لبثنا ننتظرها اثنتى عشرة سنة ، نحن الألمان التفيين ، بمزيج من الاستهوال والأمل . نعم تمنيناها — فى سبيل الأخـــلاق ، وبباعث من البغضاء الصادقة ، والرغبـــة فى عقاب الشر السخيف . والآن وقد جاء الانهيار — إفلاس أخـــلاقي ، روحى ، عسكرى ، اقتصادى ، شامل معـــدوم النظير — فإن ما يدركنا من المرثية لكل هـــذا التاريخ الغاوى ، وكل هذا الحمق والنزق ، وكل هذا التحدى للمطالب الحقيقية للعالم الحاضر ، يعادل ما نشعر به من الرضى والارتياح . فإن كل ما هو ألمانى قد صـــار فى خطر ، وفى جملة ذلك الروح الألمـانى ، والفكر الألمانى، والكلمة الألمانية . ونحن مضطرون أن نواجه هـــذه المسألة وهى : هل تجرؤ « ألمانيا » أن تفتح فى المستقبل شفتيها فى شأن من الشئون الإنسانية ؟

وكيف يكون الشعور بأن الإنسان ينتمى إلى أمة لم تعرف قط كيف تصبح أمة ، وكبدت العالم مثل هـــذا العذاب كله فى محاولاتها المستيئسة المخبولة أن تصبح أمة ! وكيف ترى سيكون معنى أن الواحد منا كاتب ألمانى ؟ لأن وراء كل جملة نؤلفها فى لغتنا أمة محطمة محترقة روحيا ، متحيرة فى نفسها وفى تاريخها . أمة ، إذا صح ما يقال ، تقنط من أن تحكم نفسها يوماً ما ، وتؤثر أن تصبح مستعمرة ، أمة سيكون عليها أن تحيا فى سجن منفرد لأن ما تكدس من البغض الرهيب حولها لن يأذن لها فى مجاوزة حدودها ، أمة لن تستطيع أن تكشف عن وجهها مرة أخرى .

وثم شىء واحد محقق ، فلابد من أن ينقضى الريخ ذو الروح الحربى الذى لم يفهم قط معنى كلمة « الحرية » ، والذى لم يفهم من معنى للحرية إلا حقه فى استعباد غيره . إن آلة الحرب التى تسمى ألمانيا كانت لعنة على العـــالم حتى أن أى تدبير للقضاء عليها من حيث هى نزعة عقلية ، لا يمكن أن يستنكر . ويبقى الأمل فى أنه بمعونة الإرادة الألمانية التى نقاها العذاب القاسى ، قد يستطاع إيجاد نوع من الحكومة والحيـــاة للشعب الألمـانى يشجع إنماء خير مواهبه وقواه ، ويربيه بحيث يصبح عاملا صادقاً يعاون على الوصول إلى مستقبل للانسانية أضوأ وأبهى .

كنز على قارعة الطريق

إن تجربة رسل نيكول
تهيء الفرص لكثيرين ممن
يريدون أن يعملوا لأنفسهم



فرانك ج. تايلور • ملخصة عن مجلة "ستون"

يقول رسل نيكول إن رجلا « له خيال وولع بالعمل وله أسرة تعاونه » يستطيع أن يهيء لنفسه كنزاً على قارعة الطريق فى أية بقعة تقريباً من الولايات المتحدة . وعند نيكول الخبر اليقين ، فقد بدأ فى سنة ١٩٣٨ بخمسمئة ريال اقترضها ، وبلغ دخله فى سنة ١٩٤٤ من المتجر الذى افتتحه على قارعة الطريق ، بالقرب من ترمال بكاليفورنيا ، أكثر من ١٥٠٫٠٠٠ ريال . وتخصص نيكول فى بيع أهم محصول فى الجهة ، وهو البلح ومنتجاته .

ويقول نيكول : « كان فى وسعى أن أفعل ذلك فى جهات أخرى فى تجارة النقل أو اللحم أو السمك أو الجبن أو آنية الخزف أو المنسوجات أو أية منتجات محلية أخرى ، لها من المزيّة ما يجعل الناس يتحدثون عنها . وقلما تجد جهة من هذه البلاد لا تنتج شيئاً يكون خيراً مما تجده فى أية جهة أخرى» .

كان رسل نيكول ودوداً هادىء الحديث ، وقد سرح من الجيش سنة ١٩١٩ فعاد إلى وادى كوتشيلا واشتغل سنين يسوق الجرارات للمزارعين ، وفى عام ١٩٢٨ استقر رأيه على أن يبيع بلحاً ، فكانت له قطعة من الأرض على طريق عام ، وكوخ خشبي وضع عليه لوحة كتب عليها « بلح بالجملة والتجزئة » وهيأ كل شىء — إلا البلح — فلم يكن لديه مال يشتريه به .

ودعا نيكول ه . ا . وسترفيلد صاحب بنك كوتشيلا الأهلى أن يصحبه فى سيارته إلى الطريق العام حيث أقام متجره فى منعرج منه ، وبين له أن راكبي السيارات القادمين من كلتا ناحيتى الطريق لا بد لهم أن يروا لوحته . وكان لصدق لهجة نيكول أثرها فى صاحب المصرف فأقرضه ٥٠٠ ريال . وظل نيكول يسوق الجرارات ليلا ويغفى مع أواخر الليل غفوة ، ويبيع البلح فى النهار . وكانت زوجه وابنته تساعدانه فى المتجر ، وبلغ مقدار دخله فى تلك السنة ٣٫٥٠٠ ريال سدد دينه منها وفرغ لبيع البلح .

وحدث بعد ذلك أن أعاد المهندسون تخطيط الطريق العام فقوموا المنحنى ، وأصبح حانوت البلح بعيداً بحيث لا يجتذب

راكبي السيارات ، فلم يفتْ ذلك فى عضد نيكول، وابتاع قطعة أرض جيدة على الطريق العام ثم جمع أخشاب الجسر القديم وعمد التلفون وأقام منها بناء غاية فى الرواء ، صار الفنانون يقصدونه من كل فج عميق ليصوروه أو يرسموه . ورغبة فى تجميل البقعة الجديدة نقل نيكول إليها أربعين نخلة كبيرة من حديقة قريبة أضفت على متجر ڤالبرى جين — وهو اسم ابنته الصغيرة أطلقه على متجره — سحر واحة من واحات الجزيرة ، ومنذ ذلك الحين ازدهرت تجارته.

ويقول نيكول : « إنك فى هذه التجارة لا تبيع منتجاتك فحسب ، بل تبيع خيالا وفتنة وسحراً » .

ولقد تعلم نيكول هذا الدرس عندما بدأ يجرب صنع أكياس للبلح ، وكان يباع إلى ذلك الحين فى صناديق من الورق القوى ، فوضعه نيكول فى أكياس من الورق الشفاف حتى يتيسر للمشترين أن يروا ما بها . وكان يبيعه أيضاً فى آنية صغيرة مزخرفة ، وفى صناديق من خشب أشجار كاليفورنيا .

وذات يوم حدّث نيكول زائراً له حديثاً طريفاً عن زراعة البلح، وكيف كان لا ينمو فى الولايات المتحدة إلا فى حدائق نظم ريها فى وادى كوتشيلا ، وهى صحراء محرقة تحت مستوى سطح البحر يندر سقوط الأمطار فيها ، وكيف نقّبوا فى واحات مصر والعراق وبلاد العرب للحصول على أجود الأصناف لإقامة هذه الصناعة الأمريكية الناشئة ، وكيف تولد نوع النخيل المعروف باسم « دجلة نور » — ومنه محصول الوادى الأوّل — من فسائل منقولة من نخلة واحدة نبتت من نواة واحدة . وكيف يجمع زراع البلح فى تلك الجهة المحصول باحة بلحة كلما نضجت بدلا من الطريقة التى يستعملها العرب إذ يقطعون العرجون بأكمله ، ويكبسون البلح الناضج وغير الناضج معاً .

فلما فرغ نيكول من حديثه طلب زائره المفتون ما قيمته ألف ريال من أجود أصناف البلح ليجعلها هدايا فى عيد الميلاد . وأردف قائلا : « ولكننى أريد قصتك مع البلح »، فطبع نيكول كراسات صغيرة ضمنها قصته وأودعها صناديق البلح .

ويقول نيكول : «وقد علمنى ذلك درساً آخر فى أساليب البيع على الطريق ، فإنه ينبغى أن لا تقتصر على بيع خير منتجات الجهة فحسب بل أن تبيع معها قصة هذه المنتجات أيضاً » .

ولم تفت نيكول بعد ذلك فرصة يضفى بها السحر على منتجاته ، ويضيف إليها أنواعا

جديدة . فقد علم من قراءاته عن البلح أن عرب الصحراء يعيشون على التمر ولبن النوق لا غير ، فجعل يقوم بتجارب أفضت به إلى صنع شراب لذيذ من البلح واللبن . وقد أنقذ هذا الشراب تجارته من البوار عندما قيدت الحرب السفر بالسيارات ، فقد كان الجنود المرابطون فى معسكر قريب للتدريب يستهلكون منه مئات .

ومنذ زمن غير بعيد وقف مسافر على دكانه وطلب شراب البلح واللبن ، وجعل يتجرعه مستطيباً ثم طلب آخر وقال : «أتعرف أين سمعت بهذا الشراب أول مرة ؟» كان راكباً قطاراً فى سيبيريا فلقى أمريكيا آخر ودار بينهما الحديث عن أطايب المأكولات فى الولايات المتحدة . وأطنب الرجل الآخر فى وصف شراب البلح واللبن ، حتى تشوف زائر نيكول إلى تذوقه فى أول فرصة تسنح .

ويعلق نيكول على ذلك بقوله : « إن هذا هو ما أعنى حين أقول إنه ينبغى أن نقدم للناس شيئاً له من المزيّة ما يجعلهم يتحدثون عنه » .

وقد ذكرت له سيدة من السائقات أنها صنعت فطيراً من البلح ، فعقد نيكول مسابقة فى خبز الفطائر انجلت عن فطيرة بلح يقوم نيكول الآن بصنعها ويصنع منها ٢٥٫٠٠٠ رطلا لمواجهة طلبات عيد الميلاد ، و ٤٠٫٠٠٠ رطلا فى السنة . وفى أثناء تجاربه فى صناعة شراب اللبن ابتدع طريقة لتحويل البلح إلى معجون ، ويبيعه باسم زبدة البلح ، وهو يستعمل كالزبد يبسط على الخبز أو لتحلية الفطائر وغيرها .

ولقد أكد له تجار البلح الآخرون أن الناس لن يشتروا بلحاً فى الجو الحار لأن البلح حلو جدا ، فبرد نيكول الصناديق التى يعرض فيها بضاعته ، وأقبل الناس على فاكهته المثلوجة . ثم أدخل فى متجره نظام تكييف الهواء مما جعل الزوار يطيلون مكثهم ، ويطلبون مزيداً من البلح .

وكان نيكول منذ أول الأمر يحتفظ بسجل للزوار ، فساعده ذلك عندما نقص عدد المسافرين بالسيارات ، فكتب إلى آلاف من زبائنه القدماء يسألهم : هل يريدون شيئاً من البلح يبعث بالبريد ؟ فانهالت عليه الطلبات ، واضطر فى السنة الماضية إلى استخدام عشرين عاملا لمواجهة هذه الطلبات فى زمن المحصول .

ولقد أحال خيال رس نيكول الواسع عدداً من محاصيل الجهة النافعة إلى تجارة رابحة : فهذا « التابرزال » وهو بلح فى حجم البرقوق له قلب لذيذ الطعم ، بيد أن قشرته كانت من الرقة بحيث لا يصلح للبيع

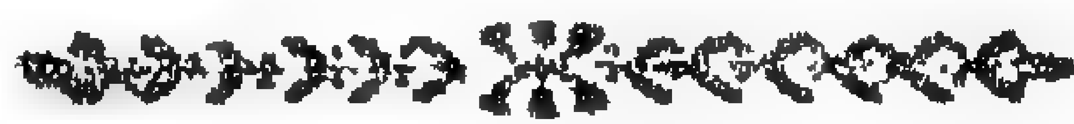
النظم ، وقد صرف أحد الزراع ثلاثين عاماً فى زراعة ستة أفدنة من هذا الصنف ولكنه لم يجد لمحصوله سوقا رائجة . فوضع نيكول هذا البلح الناعم الحلو المذاق فى صناديق مزخرفة وبين عشية وضحاها أصبح « التابرزال » فاكهة ممتازة .

وكان النخيل الذى يظلل الواحة التى أقامها يغل نوعا طريا من البلح لا يستحق الجنى ، ولكن نيكول يجنى منه الآن ٥٠٠٠ رطل فى السنة ، ولا يجد خيراً منه فى صناعة شراب اللبن وفطير البلح .

ويطيب لنيكول أن يشيد بذكر منتجات تجار الطريق الآخرين ، ومما قاله : « إن فى « فوتهيل بوليفار » تاجراً لديه عربتان قديمتان للتبريد يجلب إليهما تفاح الجبل اللذيذ ويبيعه مثلوجاً . وأعرف رجلا افتتح محلا تحت ظلال دوحة من أشجار الجوز وتخصص فى بيع أنواع النقل وأصبح محله الآن من أشد المحلات ازدحاما بالآكلين .

وثمة رجل آخر تخصص فى بيع أنواع الثمار وراجت بضاعته . وإنى أبعث بانتظام بطلبات إلى رجل تخصص فى صناعة الجبن ، وإلى آخر فى ماساشوستس للأسماك . وهناك رجل فى سيارا نيفادا يبيع العسل البرى رطلا بريال . وليس ثمة نهاية لمنتجات هذه البلاد وبخاصة المأكولات التى يمكن استثمارها بشىء من الخيال مقرونا بالصدق والأمانة .

« وحكومة الولايات المتحدة مستعدة لأن تضمن — إلى ألفى ريال — نصف أية سلفة تمنح لقدماء الجنود الذين يؤسسون لأنفسهم تجارات . ولو أننى كنت شابا أبدأ بدءاً جديداً لما توانيت لحظة فى اقتناص إحدى تلك الفرص على قارعة الطريق » .



تعليم لاذع

انصرف محام فى نيويورك عن ممارسة المحاماة فى مكتب يدر عليه مالاً وفيراً ، ليشغل منصب قاض فى المحكمة العليا ، فقال له غنى من أعضاء ناديه : « لست أدرى كيف تدع عملك وتقبل مرتب قاض فى المحكمة العليا ؟ إنى لأنفق ضعف هذا المبلغ لأقيم به أود حياتى » . فقال القاضى : « لو كنت مكانك لما أنفقته ، إنها لا تسواه » .

[وطسون ب. برى]

ستيتنيوس : القوة المحركة في وزارة الخارجية الأمريكية



بوب كونسيدين
مراسل شركة الأنباء الدولية

ملخصة عن
صحيفة "وشنطن بوست"

إدوارد رايلى ستيتنيوس ، أصغر وزراء خارجية الولايات المتحدة سنا ، منذ كان إدمند راندولف وزير خارجية جورج وشنطن ، هو أكثر الأسماء تردداً على الألسنة فى وشنطن . وقد كان يعدّ حين خلف كوردل هل ، رئيساً وسيما لطيف المعشر لا سلطان له — رجلاً فخماً لا يحسن إلا الموافقة . ولكن هذا الكهل الأبيض الشعر ، الأسود الحاجبين الذى لم يتجاوز الرابعة والأربعين ، والذى كان رئيساً لشركة « يونيتد ستيتس ستيل » ، استطاع فى الفترة التى قضاها فى منصبه ، أن يهز وزارة الخارجية التى كان الجمود سنّتها المتقادمة ، أعظم هزة أصابتها منذ مئة عام ، وأنذر هيئة السلك السياسى المتشدّدة فى وشنطن بأن سوف يختصر كثيراً من المراسم ، ويبطل أسباب البطء فى سير الأعمال .

وهو ينظر إلى العالم نظرة الشباب ، ويؤمن بأن الدبلوماسيين ورجال التمثيل الخارجى يجب أن يدربوا كما يدرب طلبة المدارس البحرية والحربية . وقد اعتزم أن يجند الشباب لوزارته حتى تقوم مثل هذه المدرسة ، وأن يستعجل نهاية عصبة الأمم لكى يفسح المجال لهيئة أقوى منها ، هى الهيئة التى اتفقت عليها الأمم المتحدة فى اجتماعات دمبرتون أوكس (*)

إنه يعتقد أن العالم يستطيع أن يعيش فى سلام ، إنْ هو أخذ بالحزم أول أمة تسلك طريق العسف (فيكون الضغط سياسيًّا فى البدء ، ثم دبلوماسياً ، ثم تطبق العقوبات الاقتصادية ، ثم بالقوة أخيراً) . وهو على

---

* « معنى مشروع السلام الذى صيغ فى دمبرتون أوكس » . إدوارد ر . ستيتنيوس ، المختار مارس سنة ١٩٤٥ صفحة ١

يقين من أنه إذا توفر للشعوب الغنية من الشجاعة والمروءة ما يحملها على بذل العون للشعوب الفقيرة ، استطاعت أن تستأصل شأفة السبب الحقيقي للحروب . وهو يرى أن من حق الشعب الأمريكي أن يعلم تماماً ما تنويه وزارة الخارجية وما تعمله . فإذا ما قضى على هذه الفوضى الحاضرة ، نفض يده من عمل الحكومة ، ليتولى عملا آخر .

وما يرجى من نجاحه في تحقيق هذا الهدف الأخير أقل مما يرجى في تحقيق أهدافه الأخرى . فإن أمامه أعمالا كثيرة سوف تستغرق منه زمناً طويلا بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولكن ما طبع عليه من الإخلاص والحماسة يسرع به إلى العمل إذا ما سئل العون .

وستيتنيوس مزيج عجيب من رجل الأعمال ورجل الخدمة الاجتماعية العالمية — فهو من الناحيتين البدنية والعقلية على نقيض ما ألف الناس أن يكون وزير الخارجية ، شيخاً وقوراً . ولعل أكبر تهمة وجهت إليه ، هي ريبة حامت حول احتمال مظاهرته لحي المال « وول ستريت » والشركات الكبيرة . وقد قال لي في هذا الصدد : «حين جئت وشنطن أدركت مبلغ ما أتعرض له من خطر ، لما كان لي من صلة سابقة بشركة يونيتد ستيتس ستيل وشركة جنرال موتورز ، فبادرت واستقلت ، وحولت جميع أسهمي إلى سندات الحكومة . وقطعت كل صلة لي بالأعمال المالية والتجارية » . وهو يتقاضى الآن ١٥ ألف ريال كل سنة وزيراً للخارجية ، يقابلها ١٠٠ ألف ريال كل سنة كان يتقاضاها رئيساً لشركة يونيتد ستيتس ستيل .

من أعظم الأوهام الشائعة عن ستيتنيوس أن ثروة أبيه ساقت إليه منصباً كبيراً بعد منصب . وقد كان والده يتيما نشأ في مدرسة لليسوعيين بمدينة سانت لويس ، ثم صار أحد شركاء مورجان ، فلما صار وكيل وزارة الحربية في الحرب الماضية أرهق نفسه بالعمل . وأما الفتى ستيتنيوس فقد بدأ سيرته التي أصاب فيها النجاح المبكر الباهر ، بفضل « جون لي برات » أحد وكلاء شركة جنرال موتورز ، وخريج جامعة فرجنيا التي تلقى فيها ستيتنيوس العلم .

وقد كان ستيتنيوس نسيج وحده في الجامعة ، فكان عزوفاً عن الخمر والتدخين والألعاب الرياضية ، ولكنه عنى بإنشاء مكتب للبحث عن أعمال في بلدة « شارلوتزفيل » للطلبة الفقراء . ولم يكن مع ذلك غير حبيب إلى سائر الطلبة كما قد يظن ، فإنه كان بساماً حلو المعشر على الدوام . وقد حبته الجامعة برغمها تقديرها له .

وحين برحها فى سنة ١٩٢٤ دون أن يظفر بإجازتها (لأنه مرض فى السنة الأخيرة) سردت مجلة « أخبار المتخرجين » أعماله النافعة ، وختمت ذلك بأنه ، أيًّا ما كان ، لم يكن فتى يعاب ، إلاّ أنه لم يكن مثالا طلاب الكليات .

وكان قد عزم على أن يكون قسيساً ، ولكن برات فجأه فعرض عليه منصباً فى شركة جنرال موتورز فعدل عن رأيه . وقال له برات : « يبدو أن لك كثيراً من الآراء الطريفة فى حقوق الناس . فأجل نظرك فيما حولك وقل لى ، أفى وسعنا أن نبذل لأمتنا جهداً أكبر مما نبذل ؟ »

وقد قضى هذا الشاب ثلاث سنوات موظفاً فى مخازن مصانع « هيات » لكرات المحاور ، وهى مصانع تابعة لشركة جنرال موتورز ، وكان مرتبه أحد عشر قرشاً فى الساعة ، وكان عاملا دؤوباً ، فعلم شيئاً كثيراً عن حياة العامل . وفى سنة ١٩٢٦ عينه برات مساعداً خاصاً له فوضع مشروع تأمين للجماعة ، يشمل موظفى جنرال موتورز الذين يبلغ عددهم ربع مليون ، ويصل مبلغ تأمينهم إلى ٤٥٠ مليون ريال . وقد أنشأ عيادات طبية للموظفين ، وعنى بتنظيف المخازن وحجر الغسل ، وشرع فى تنفيذ خطة جديدة فى الإعلان ذاعت الآن .

وفى سنة ١٩٣١ عين وكيلا للشركة وعهد إليه بشئون العلاقات الصناعية والعامة .

وكانت الولايات المتحدة قد آدها ثقل الأزمة الاقتصادية فى سنة ١٩٣٢ ، يوم تطوع ستيتنيوس للعمل فى تنفيذ مشروع « المساهمة فى العمل » بنيويورك . وكان المشروع مفتقراً إلى تأييد روزفلت حاكم الولاية ، فاختير لكى يظفر بهذا التأييد فاستعار سيارة « كاديلاك » فاخرة من حجرة العرض فى شركة جنرال موتورز وانطلق بها إلى دار روزفلت فى هايد بارك حيث كان روزفلت ووالدته يشربان الشاى ، فدعت مسز روزفلت ذلك الشاب المضطرب إلى الشاى ، فوقع القدح من يده وتحطم ، ولكنه ظفر بالتأييد المنشود .

أمضى ستيتنيوس عاما فى خدمة مشروع الحكومة للإنعاش الاقتصادى ، ثم ضمه صديقه ميرون تايلور إلى شركة يونتد ستيتس ستيل ، فساهم فى إعادة تنظيم هذه الإمبراطورية الواسعة . ولما اعتزل ميرون تايلور عمله ، انتخب هو رئيساً لمجلس الإدارة ، فامتعض من كانوا أكبر منه . وكان عمره إذ ذاك ٣٨ سنة ، فكان الأعضاء الشيوخ يعدونه ناشئا حديث التجربة . ألم يصل إلى اتفاق مع العمال ؟ ألم ينجح فى معارضة خفض الأجور تمشياً مع هبوط

أسعار الصلب ؟ أجل . ومن هنا أخذ روزفلت ذو الذاكرة القوية يستخبر عنه . وتبع ذلك أن تولى العمل فى مجلس الدفاع الوطنى ، ومكتب إدارة الإنتاج ، ثم صار رئيساً لمجلس الموارد الحربية ، فمديراً للإعارة والتأجير .

وحين كان مدير الإعارة والتأجير عهد إليه بتوزيع بضاعة قيمتها ١٥ ألف مليون ريال ، « ولكنه كان حريصاً حرصاً كالتقتير » ، كما قال أحد رجال وزارة الخارجية ، ثم زاد على ذلك : « لقد كان يستوثق دائماً من أن ما يريده الحلفاء كانوا فى حاجة إليه كل الحاجة ، ولا يجدون سبيلا إلى أن يصنعوه لأنفسهم » .

وقد ولى ستتينيوس وكيلا لوزير الخارجية فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، فجاءها بعد أن صقلته تجاربه فى أهم ضرب من ضروب العلاقات الدولية . وقد وفق فى عمله مع كوردل هل ، الذى حمله ضعف صحته على إلقاء العبء شيئاً فشيئاً على عاتق مساعد قوى يحمل ما حمّل ، وفى ٢٧ نوفمبر الماضى أنبأه الرئيس أنه قد اختاره خليفة هل .

ولم يضيع الوزير الجديد شيئاً من وقته ، فلم يكد يفرغ من نقل النبأ إلى زوجته الجميلة بالتلفون ، حتى دعا رؤساء الإدارات فى الوزارة إلى اجتماع عاجل ، وبدأ لساعته يعيد تنظيم الوزارة . ولما دخل إلى مكتب وزير الخارجية ، لم تلبث الغرفة أن أخليت من مكتب هل الثقيل العتيق ، والأثاث المكدس ، وخزانة الكتب الزجاجية الوجه الحافلة بمحاضر مفاوضاته فى التعريفة الجمركية ، ومطبوعات هيئة جامعة الشعوب الأمريكية . ثم دخل النقاشون يطلون الغرفة ، ثم حمل إليها أثاث جديد ومنضدة طويلة بسيطة يتخذها ستتينيوس مكتباً ، وجئ بجهازى تلفون ، أحدهما أسود للمخاطبات المعتادة ، والآخر أبيض متصل بلوحة التلفون فى البيت الأبيض .

ثم خفّ ستتينيوس لزيارة مستر هل بالمستشفى ، وطال الحديث بينه وبين الشيخ الحكيم الذى لم يزل عونه وصديقه .

ويقول ستتينيوس : « أعتقد أنه سيقرّ ما غيرته وما سأغيره . وقد عرضت عليه مشاكلى فكان بالغ الكرم فى مساعدتى . إنه شيخ عظيم ... »

وليس فى وشنطن من هو أكثر دؤوبا فى عمله من ستتينيوس ، فهو ينهض فى السابعة ويعد قهوته بنفسه . وبينا يرتشفها يدوّن ملاحظاته فى دفتر أسود : « ويكون ذهنى حينئذ صافياً — فهذا وقت صالح للتفكير » . وبعد ذلك يطالع صحف نيويورك ووشنطن وبلتيمور وفلادلفيا

ثم يفطر هو وزوجته وأولاده الثلاثة ، حتى إذا فرغ كانت غرفة الاستقبال قد حفلت بحشد من مساعديه الشبان وسكرتيريه ، فيملى عليهم نحو عشرين دقيقة ، ويسلم إليهم بعض مذكراته المدونة ، ثم يخف إلى مكتبه . وهناك يقرأ خلاصة البرقيات التى وردت فى الليل ، ويشرع فى الإملاء على كاتبين من كتاب الاختزال .

ثم يجتمع برجال الوزارة ، ويستقبل وفوداً من الزائرين ، معظمهم من الدبلوماسيين ، ويعقد مؤتمراً صحفياً قبل الغداء . وفى منتصف الساعة الثالثة ، تبدأ فترة مقابلات سريعة مع رؤساء الإدارات ، ويبدأ السفراء فى الدخول من الساعة الثالثة وهو يقول : « إنهم جميعاً يطلبون أن أقابلهم فى الحال » ! وفى الساعة الخامسة يبدأ فى توقيع البريد والبرقيات الرسمية ، ثم يقضى الفترة بعد العشاء إلى منتصف الليل فى الإملاء ومناقشة مشروعات التنظيم مع زملائه والتحدث إلى الرئيس ، ويحشو جيوبه وجيوب شبانه بقدر آخر من المذكرات !

ووزير الخارجية رجل مفتول العضل قوى البنية ، ولكنه لا يمارس الآن رياضة ما ، وهو عضد قوى لجمعية طب العظام ، وقد استقدم طبيبه المتخصص فى العظام إلى وشنطن ، فيزوره ليدلكه كلما سنحت له الفرصة . وله حوض خاص للسباحة ، وجياد للركوب فى ضيعته بفرجنيا التى تبلغ مساحتها ٥٨٠ فداناً ، وهو يتمنى لو يستطيع أن يذهب إليها ، ولكنها أمنية بعيدة !

وفى أول حفل استقبل فيه الممثلين السياسيين ، بعد تقلده وزارة الخارجية ، ضرب مثلا لما يريد أن يصنع لاختصار المراسم ، فقد أراد عدد كبير من الدبلوماسيين أن يحيوه ، فأقام لهم حفلة كوكتيل فى منزل على مقربة من وزارة الخارجية ، فلما تم جمعهم وقف وأعرب عن سروره بحضورهم ، وشكر لهم تهنئتهم ، وطلب أن ينيبوا أحدهم فى الرد عليه باسم الجميع .

ثم اجتاز الشارع على قدميه وعاد إلى عمله .



معجزة الحياة

إننا نكون أدنى إلى إدراك معجزة الحياة ، لو علمنا أن الجنين يبلغ من ضآلة الحجم فى آخر الأسبوع الأول من تكونه ، بحيث لا بدَّ لك من سبعة أجنة حتى تملأ مكان النقطة الموضوعة فى آخر هذه الجملة .

[برنارد لويس فى مجلة « باجنت »]



قاتل يقهر

بول دى كروف

« علة مخيفة تصيب القلب ، كانت تقضى فى الماضى على ٩٧ فى المئة ممن تصيبهم ، تخضع اليوم لعلاج مهدت سبيله جماعة فى مستشفى بروكلين »

التهاب صمامات القلب المكروبى ، وهو مرض يصيب القلب ، يعدّ حتى اليوم أقتل العلل المكروبية ، إذ كان يقضى على ٩٧ فى المئة ممن يصيبهم ، أما الناجون القلائل فلم تكن نجاتهم تُرى إلا فلتة من الفلتات .

وقد استطاع بعض رجال الطب فى العام الماضى أن يردوا هذا الزحف المميت على أعقابه ، وأن يهيئوا لثمانين فى المئة من ضحاياه أملا فى البرء منه . وهذا الظفر فى كفاح الموت يتيح فرصة أعظم فى البقاء لملايين من المرضى بالقلاب (مرض القلب) الروماتزمى فى أدواره المختلفة ، فإن هؤلاء خاصة هم عرضة التهاب الصمامات . وليس من الضرورى أن يكون الروماتزم ثائراً حتى يصيبهم ، فإن التهاب الصمامات ربما سدد سهمه القاتل إلى الصمامات النَّدِبية (التى بقيت فيها ندوب) التى برأت من الروماتزم منذ عهد طويل .

وعلى أن كثيراً من المكروبات قد يسبب التهاب الصمامات ، إلا أن أفتك هؤلاء القتلة دون منازع هو المكروب السبحى الأخضر ، وهو من أعجب الكائنات التى ختلت صيادى المكروبات . والمكروب السبحى الأخضر مخلوق لطيف عادة ، يعيش مأمون العواقب فى أفواه البشر جميعاً على وجه التقريب ، ويحيى حياته الغامضة دون أن يحدث فى الجسم أذى . وهو إذا تسرب إلى دورة الدم ، كما يفعل أحياناً بعد خلع ضرس أو من لوزات أو كهوف فى العظام مصابة ، لم يؤذ البتة — إذا كان القلب سليما من الآفات . ولكن دع هذا المكروب اللطيف يجد طريقه إلى صمامات أتلفها القلاب الروماتزمى أو ترك بها ندوبا ، فما هو إلا أن تراه سفّاحا لا يرحم . إنه يتقى بمهارة سطوة الطب ، بأن يتوغل فى هذه الصمامات ويلتحف بزوائد من الدم الخاثر . وفى هذا العش الخبيث ينمو ويتكاثر بمنجاة ، على ما يبدو ، من كل ما يستعمل فى علاجه من أمصال أو عقاقير . ثم ينسل منه إلى الدم ، فلا يقتصر على تخريب القلب بغاراته على الصمامات الرقيقة ، بل يحدث أذى قاتلا

فى الجسد كله ، إذ تنفصل من صمامات القلب قطع من علق الدم ، فتطوف مع الدم السارى إلى حيث تستقر فى شرايين المخ والكلى والعيون والجلد والرئتين ، بل فى القلب نفسه أيضاً . وانسداد الشرايين هذا يتلف أعضاء الجسم عضواً بعد عضو .

وفى الأدوار الأولى من هذه المذبحة القاسية ، قد لا يحس المصابون إلا بغلبة الإعياء وإلحاح النوم ، وتعتريهم حمى خفيفة ، ويحسون كأنهم مصابون بالأنفلونزا . وقد يحسب أطباؤهم أن ما أصابهم هو طلائع السل أو التيفود أو الملاريا أو الحمى الروماتزمية ، أو سواها من أمراض مختلفة ، ثم تبدو على أجسادهم نقط حمر دقيقة ، وتظهر تحت أظافر اليدين والقدمين طرائق دقيقة من دم منزوف تبدو كأنها شظايا .

ويستطيع الأطباء أن يشخصوا العلة فى بدايتها باختبار الدم لاكتشاف المكروب السبحى الأخضر ، ولكنهم كانوا حتى اليوم إذا ما وجدوه ، فقد استقبلوا مهمة أليمة ، هى إخبار أهل المريض أن الحالة ميئوس منها ، بل لا أمل فيها .

منذ أكثر من ثلاثين عاما وصف الدكتور إيمانويل ليبمان من نيويورك هذا الداء الوبيل وصفه الصحيح المأثور . وحاول مكافحو الموت بعد ذلك أن يعالجوه بكل ما فى جعبتهم من أسلحة — بالأمصال ، وبمركبات الزرنيخ ، وبنقل الدم ، وبالحمى المفتعلة — فذهبت جهودهم سدى . وفى أواخر العقد الرابع من هذا القرن أشرقت من عقاقير السلفا الحديثة بارقة أمل ، وتم الشفاء بها فى حالات قلائل ، ولكنها لا تكفى بحيث تؤثر فى معدل من يعوتون بالتهاب الصمامات .

ثم كانت سنة ١٩٤٣ واشترك البنسلين فى المعركة ، وعقدت به آمال عظيمة ، إذ لم يكن قوى الفعل وحسب ، بل كان أيضاً مأمون العواقب غاية فى الأمن . ومع ذلك ، فعلى أثر امتحانه امتحاناً ظن وافياً ، نشرت لجنة مجلس الأبحاث القومى أنباء تسوء ، فهؤلاء ١٧ مصابا بالتهاب صمامات القلب قد عولجوا بالبنسلين ، فأربعة منهم قضوا نحبهم ، وعشرة لم يتحسنوا تحسناً يذكر ، واثنان من الثلاثة الذين بدا أنهم تحسنوا شيئاً قليلا ، سرعان ما نكسوا بعد انقطاع العلاج . فتقرر رسميا وقف المعركة إلى حين ، لندرة البنسلين يومئذ ، ولأن الجرحى من قواتنا المسلحة كانوا لا يزالون فى أمس الحاجة إليه .

نشر هذا التقرير فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وهو تاريخ ينبغى أن لا ينسى . ففى اليوم السابق ، يوم ٢٧ أغسطس ، وقف الدكتور

لووى ومعاونوه ، فى المستشفى الإسرائيلى ببروكلين فى نيويورك ، بجوار فراش رجل مريض فى الرابعة والثلاثين كاد يودى به التهاب صمامات القلب ، وقد ظلوا ستة أشهر يخوضون معركة خاسرة فى سبيل إنقاذ حياته . عالجوه بجرع كبيرة من عقاقير السلفا ، ثم أضافوا إليها الحمى المفتعلة ، فلم يغن ذلك شيئاً . ثم عادوا فأضافوا إلى العلاج بالسلفا عقار الهيبارين الذى يعوق خثور الدم ، وكانوا يرجون أنْ عسى أن يذيب الهيبارين زوائد علَق الدم عن صمامات قلبه ، فتتعرّى المكروبات السبحية الخضراء وتصبح عرضة لفعل السلفا الساحر . ثم قرنوا الهيبارين فى شهر يونيه بمقادير معتدلة من البنسلين ، ولكنهم ارتدّوا خاسرين .

وأحيط بأطباء مستشفى بروكلين الذين يكافحون الموت ، فعندئذ لجأ الدكتور لووى إلى خطة عنيفة . لقد كان يستعمل ما اتفق الإجماع على أنه المقدار اليومى المقرر من البنسلين ، وهو لا يتعدى ٤٠٫٠٠٠ وحدة إلا قليلا ، فأما والمريض اليوم قد أشرف على غاية الموت ، فقد عزم على أن يخاطر بإعطائه مقادير عظيمة من البنسلين .

بدأ أطباء مستشفى بروكلين يحقنون المريض بخمسة أضعاف الجرعة المقررة — ٢٠٠٫٠٠٠ وحدة كل يوم مضافاً إليها حقن الهيبارين كل يومين . وظل البنسلين ١٤ يوما ولياليها يقطر باستمرار فى وريد من أوردة معصم المريض من قارورة معلقة على سريره . وكانت الإبرة المغروزة فى الوريد مثبتة فى مكانها بقصاصة من الشريط اللاصق ، فكان فى وسعه أن يحرك ذراعه كما يشاء . وكان عجيباً أن لا يضايقه هذا الحقن المستمر فى يقظة ولا فى منام .

واختفى المكروب السبحى الأخضر من دم المريض أثناء هذا العلاج ، فلما قطع عنه نكس الرجل . فلما أعيد علاجه مدة اخرى ب ٢٠٠٫٠٠٠ وحدة كل يوم ، اختفى المكروب الخبيث البتة . وهذا الرجل الذى كان يعدّ من الأموات هو اليوم حىّ فى صحة جيدة .

وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ نقلت إلى المستشفى الإسرائيلى فى بروكلين امرأة فى الثانية والخمسين ، وكانت فى غيبوبة ، وقد أصابها الشلل من انسداد شرايين مخها بعلق الدم ، وكانت على شفا الموت أو فى السّياق ، كما يقول الأطباء .

وبدأ الدكتور لووى ومعاونوه من فورهم علاجها بالجرع العظيمة من البنسلين ، مضافا إليها الهيبارين ، ١٣ يوما . وفى اليوم الثانى من بدء العلاج جلست المريضة فى فراشها ، فلم يمض أسبوعان حتى برأت من علتها .

لقد فرغت لساعتى من محادثة هذه المرأة الخالدة ، فبعد عام ونصف من تاريخ نقلها إلى المستشفى ، ولم يكن يومئـذ من موتها محيص ، تراها اليوم حية قوية تؤدى عملها . وقد قالت لى إنها قرأت فى إحدى الصحف كلمة لثقة من الثقات فى حكومة الولايات المتحدة يقول فيهـا إن البنسلين وإن كان دواء مدهشاً إلا أنه لن يُرتجى منه أن يحيي الموتى. ثم قالت: « لـكن البنسلين ردنى حتى صرت كأنما استويت فى كفنى جالسة ، لقد بُعِثت من رقدة الموت » . وودت لو رأيتها حينئذ وهى تبتسم .

وفى نهاية سنة ١٩٤٣ شرع الدكتور ليو لووى ومعاوناه ، الدكتوران فيليب روزنبلات وهارى ج . جرين ومساعدهم الفنى مورتيمر رسـل ، يكتبون تقريرهم العلمى عن سبع حالات متتابعة غير مختارة ، من حالات الالتهاب المكروبى فى صمامات القلب ، تم شفاؤها بفضل العلاج الجديد . ونشر هـذا التقرير فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية فى يناير سـنة ١٩٤٤ ، فقرر مجلس الأبحاث الوطنى أن يعيد البحث فى أثر البنسلين فى علاج هذا الداء .

والآن أخذت تفد على المستشفى الإسرائيلى ببروكلين أفواج من مرضى التهاب صمامات القلب ، تحملهم سيارات الإسعاف أو النقالات . وكان كثير منهم على حالة يرثى لها ، وبعضهم كان قد أصابه هبوط القلب باحتقان الدم . فكان البدء فى علاجهم هو وحده مخاطرة قد تسرع بهم إلى الموت .

لم يردَّ الدكتور لووى ومعاونوه أحداً منهم ، وحاولوا علاجهم جميعاً بطريقتهم الجديدة ، وإن كانوا يعلمون أن الموت محتوم على بعض من تناهى به الداء منهم ، وذلك قد يزعزع الثقة فى عملهم . ودافع الدكتور لووى عن جرأته فى تقريره المنشور فى مجلة الجمعية الطبية الـكندية فى يناير سنة ١٩٤٥ فقـال : « على الرغم من الظواهر الخطرة التى تجلت على كثير من المصابين ، لم يكن لنا من قبولهم بدّ ، فقـد كان ردّهم كالحكم عليهم بالموت » .

وبعبارة أصرح لم يكن من هم الدكتور لووى أن يسترعى أنظار النـاس بتعداد البارئين ، وإنمـا كان همه أن ينقذ الأرواح .

وقد شارك أطباء بروكلين ، منذ بدأوا عملهم ، مساعد ليس من الأطباء ، ولولاه لقعد بهم العجز . هذا المساعد هو جون ل . سميث نائب رئيس شركة تشـارلس فايزر ببروكلين ، وكانت هذه الشركة من أوائل المهتمين بأبحـاث البنسلين فى أمريكا ، والممهدين لإنتاجه على نطاق واسع فى دنان التخمير . وكذلك تولى سميث إعداد البنسلين

للعلاج الجديد . وبعد نشر التقرير عن شفاء المرضى السبعة الأول ، منح مجلس الأبحاث الوطني الدكتور لووى ومعاونيه مقداراً من البنسلين بلا ثمن ، يضاف إلى ما كانت تساهم به شركة فايزر ، كما منحوا أيضاً سواهم من الأطباء الذين كانوا يومئذ قد بدأوا يخوضون معركة يرجى فيها النصر .

كان مستر سميث يتفقد كل سرير تقريباً من أسرة أولئك المرضى الذين أنقذهم العلاج الجديد ، وكان ينقل يوما بعد يوم إلى علماء شركة فايزر ومهندسيها وعمالها نبأ الأرواح التي ردتها إلى الحياة مهارتهم وإخلاصهم في العمل . ويقول مستر سميث : « كانت النشوة تأخذهم جميعاً ، وكان علمهم بأنهم ينقذون هذه الأرواح عاملا قوياً في زيادة ما تصنعه من البنسلين زيادة هائلة » .

وإذا قدرت العدد العظيم من المرضى الهالكين الذين وفدوا إلى المستشفى الإسرائيلي متعلقين بآخر خيط من خيوط الحياة ، فليس عجيباً بعد أن يبوء الدكتور لووى وزملاؤه بالخيبة في بعض قليل من عدد تطرد زيادته، قد نجح علاجه بالبنسلين والهيبارين نجاحاً باهراً . ففي تقريرهم الثاني المحتوى ٥٤ حالة سجل مكافحو الموت في بروكلين ١٣ حالة أخفقوا في علاجها وانتهت بالوفاة ، وحالة واحدة عاودها النكس ، وثلاثة ماتوا بهبوط القلب بعد تطهيرهم تطهيراً تاما من كل آثار المكروب السبحي الأخضر ، كما أثبت التشريح ذلك . وبين الثلاثة عشر الذين ماتوا على رغم العلاج ، عشرة كان من المستحيل إنقاذهم ، إذ كان الداء قد فتك بقلوبهم فتكا شديداً ، أو انسدت شرايين المخ بعلق الدم ، أو بلغ النحول من أنسجتهم مبلغاً عظيما ، أو نزل بهم الالتهاب الرئوي القاضي . وثلاثة منهم فقط، نشأت وفاتهم عن عدوى بنوع عَصِيّ على البنسلين من المكروبات السبحية الخضراء .

وقد وجد الدكتور لووى وزملاؤه أنه كلما طال فتك الميكروب السبحي الأخضر الخبيث بصمامات القلب ، طال أمد العلاج ، وعظم المقدار اللازم من البنسلين . ولما كان معدل الشفاء بين الحالات غير المختارة (من الإصابة الطارقة إلى الإصابة القاضية) يفوق الآن ٨٠ في المئة ، فإن معظم المرضى يعالجون معالجة مستمرة تدوم خمسة أسابيع على الأقل ، يعطون فيها ما يصل إلى ١٫٠٠٠٫٠٠٠ وحدة من البنسلين كل يوم أو يزيد ، مضافاً إليها الهيبارين .

والهيبارين — على خلاف البنسلين — سلاح ذو حدين ، فإذا زيدت مقاديره فقد يؤدي ذلك إلى حدوث نزف الدم ، وربما

أفضى إلى الوفاة . ومع ذلك فقد وفق الدكتور لووى والدكتور روزنبلات بعونة ا . ه . بوبست والدكتور . و . شانر من شركة « روش — أورجانون » ، وهى إحدى مؤسسات إنتاج العقاقير الطبية ، فاستطاعوا أن يجدوا طريقة مأمونة فى إعطاء هذا العقار . فهم يذيبونه فى مزيج من الجلاتين والحمض الخليك وسكر العنب ، اكتشفه الدكتور جورج بتكن ، فإذا حقن ذوبه هذا ، امتصه الجسم امتصاصاً بطيئاً مأمون العاقبة .

وفى أول ديسمبر سنة ١٩٤٤ أدخل مجلس الأبحاث الوطنى التهاب صمامات القلب المكروبى الندرب (هو الذى لا تكاد تلتئم بؤرة منه حتى تظهر بؤرة أخرى) فى قائمة الأمراض التى يمكن علاجها بالبنسلين عندما تكون جرثومة العدوى غير عصية على البنسلين — وهى تشمل معظم حالات التهاب صمامات القلب . وفى يد مكافحى الموت اليوم من الأسلحة ما يعينهم على خوض المعركة .

وثمة ٢٠ مصنعاً على التقريب من مصانع الكيمياء والعقاقير ، قد نجحت فى زيادة إنتاج البنسلين زيادة بينة ، حتى أن الثمن الذى كانت تدفعه حكومة الولايات المتحدة لكل ١٠٠,٠٠٠ وحدة قد انخفض فى العام الماضى من خمسة جنيهات إلى ما يبلغ ٣١ قرشا .

أما وقد ظهرت اليوم قوة العلاج الجديد على شفاء التهاب صمامات القلب ، فإن الأطباء سيصبحون أشد يقظة فى الكشف عن هذا المرض وهو فى بدايته ، وذلك بفحص الدم بطريقة الاستنبات . وفى وسعهم أن يثقوا بأن الشفاء متوقع فى كل الأحوال على التقريب ، إذا ما اكتشف المرض فى الأشهر الثلاثة الأولى من بدايته ، وقبل أن تتلف صمامات القلب تلفاً بليغاً ، إن كانت المكروبات غير عصية على البنسلين .

منذ سنتين وحسب لم يكن للمصابين به غير ثلاثة فى المئة من أمل فى الحياة !

★ ★ ★ ★ ★ ★

مداعبة

ذهبت منذ عهد قريب أودع زوجى حين سافر بطائرة نقل بحرية إلى تجزائر ألوشيان ، وكان بين ركاب الطائرة كلب صغير ، فأعربت عن سوء حظى وقلت للضابط المسئول : « حسن ! تسمحون لكلب بالسفر فى الطائرة ، على حين لا تجد الزوجات بداً من البقاء فى الولايات المتحدة ؟ » .

فقال الضابط : « ولكنك تنسين يا سيدتى أن جميع المسافرين يستطيعون أن يداعبوا الكلب ! » .

[شرلى ه . كروشو فى « كورونت »]

علموا أولادكم الحياة

الناس كالسلحفاة

عثرت فى إحدى زياراتى للريف أيام طفولتى على سلحفاة ، فأخذت أختبرها بين يدى ، ولكنها أغلقت درعها عليها إغلاقاً محكماً . فلما رآنى عمى أجهد فى فتحها بعصا قال لى : « لا لا ، ليس هذا هو السبيل إلى ما تريد » .

وأخذ السلحفاة إلى المنزل ووضعها على المدفأة ، وبعد دقائق جعلت تشعر بالدفء وأخرجت رأسها وأرجلها وزحفت نحوى هادئة .

فقال عمى : « الناس يا بنىّ كالسلحفاة ، فلا تحاولنّ أن تقسر إنساناً على فعل شىء ، بل أدفئه بشىء من عطفك ، فذلك أحرى أن يجعله ينزل على ما تريد » . [ريلا ليجيت]

غش وندم

كانت أمى وخالاتى مولعات بالخروج لجمع الثمار البرية ، وكنت طفلة كسولا أحمل دائماً أصغر سلة وأتلكأ فى عملى ، والأخريات دائبات فى جمع الثمار . وذات يوم ملأت سلة بالعشب وغطيتها بطبقة رقيقة من الثمار ، وبدت السلة مملوءة ، فأثنين علىّ الثناء المستطاب لما أبديت من نشاط غير مألوف .

وفى اليوم التالى صنعت والدتى فطيراً محشواً بالثمار ، وأعدت لى فطيرة فى إحدى الصحاف تطل الثمار من خلال ثلمة فى قشرتها . لكن تصور ما أصابنى من ألم حين وجدت تحت تلك الرقاقة المغرية — عشباً مما حملت فى سلتى ! .

وقالت والدتى قبل أن تثور ثائرتى : « إنك حين تغشين غيرك إنما تغشين نفسك أولا ، وأنت بذلك تحيين نزعاتك الشريرة ، وسرعان ما يقضى ذلك على نزعاتك الطيبة » .

ومن يومئذ لم يخطر على قلبى قط أن سوف ينفعنى ما أجنيه بالغش . [م . ه ل]

درس المنشار

كنت وابنة عمى لا نكف عن الجدل أثناء قيامنا بأعمال البيت ، وكنت أكبر منها سنا ، فأحاول أن أعلمها كل شىء كيف تعمله ، وكانت طبعاً تمتعض لذلك .

وذات يوم أخذنا جدى إلى كومة الخشب فى الحديقة وأعطانا منشاراً ذا مقبضين ، ثم تخير قطعة كبيرة من الخشب وقال لنا : « انشرا هذه » . فأخذتنا الحيرة ، ولكننا أطعنا . وجعلت أنشر بأسرع ما فى طاقتى ظناً منى بأن ذلك يظهر قصور ابنة عمى ، بيد أن المنشار كان يجمد فى مكانه إذا أنا

دفعته بسرعة تزيد على سرعة جذب ابنة عمي له ، وكنت بذلك أفقد توازني . ثم أدركت أني كلما جذبت المنشار جذباً خفيفاً دون أن أدفعه كان قطع المنشار أسهل وأيسر . وبيّن لنا جدي ، وعيناه تلمعان ، كيف يكون عمل المنشار ذي قبضين : «أن تعملا معاً بانسجام» . وقال : « كلما عرض لكما عمل من الأعمال فتعاونا معاً على أدائه وستجدانه يتم بسهولة وسرعة » .

[مسز وليام . م . هوتشكس]

عربات فارغة

كان أبوانا يجهدان جادّين أن يطبعا في نفوسنا نحن الأطفال سموّ رقة الأدب ، وكانا يمقتان خاصة أن يقاطع المرء صاحبه وهو يتكلم .

وذات صباح ، حين كانت طيور الحدائق تغرد ، ناداني أبي وسألني : «أتسمعين صوتاً غير الطيور ؟ » فأنصتّ لحظة وقلت : « نعم إن ثمة عربة سائرة في الطريق » .

فقال : « نعم إنها عربة فارغة . أتدري كيف عرفت ذلك ؟ » .

فأجبته متعجباً : « لا » .

فقال : « لأنها تقعقع قعقعة كثيرة . إن العربات الفارغة تحدث أشد الضجيج » .

كان هذا كل ما قال ، بيد أنني كنت كلما سمعت صخاباً يبدئ ويعيد عاودني صوت أبي على مدى السنين وهو يقول : « إن العربات الفارغة تحدث أشد الضجيج » .

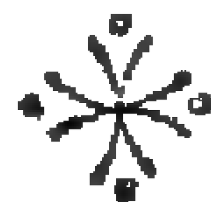
[ماري أجنس كيلي]

اذكروا المحاسن تنسوا المساوئ

حبسني جو عاصف في المنزل عدة أيام لم نكف أنا وأختي في خلالها عن الشجار ، وأخيراً شكا كل منا إلى أمه ضعة أخلاق أخيه . فاستمعت إلى شكوانا صابرة ، ثم طلبت إلينا أن نجلس في ركنين متقابلين من الغرفة وجهاً لوجه نصف ساعة ، وأن يكتب كل منا قائمة بمناقب الآخر وأخلاقه الطيبة ، وثمة جائزة تمنح لأطول القائمتين .

ولا يسع امرءاً يطيل التفكير في فضائل إنسان أن يذكر أيضاً مساوئه ، ولقد وجدت هذا درساً قيما أفدت منه طوال الحياة .

[فرانسيز جرين]



من لانت كلمته وجبت محبته

[علي بن أبي طالب]

كيف تبلع سيفاً



إذا صرخ الأطفال واغمى على النساء ، فقد وثقت من نجاح لعبتك .

زادما العظيم
كما رويت لجون جونكسر مانيكس

ملخصة عن مجلة "كوليرز"

لن أنس أبداً أول مرة بلعت فيها أنبوبة مضيئة طولها قدمان من أنابيب « نيون » ، وكانت مما يباع سرا وتهريباً كأنابيب « نيون » التي يستعملها بالعو السيوف في ذلك الوقت ، لأن الشركات الكهربائية كانت لا تسمح لأحد بابتياع أنبوبة إذا عرفت أنه ينوى أن يبلعها ، فقد قتل كثيرون من بالعى السيوف لأن الأنابيب انكسرت فى جوفهم ، فرأت الشركات أن هذا إعلان سيء .

على أن لبلع أنابيب نيون تأثيراً رائعاً فى الحقيقة ، وذلك لأن جميع الأنوار تطفأ فيما عدا الأنبوبة نفسها ، ثم ينضو اللاعب ثوبه إلى الخصر ، ويبلعها إلى المقبض ، ولا يكاد يفعل ذلك حتى يتوهج الضوء فيه ويشع من جوفه ، فيكون لذلك تأثير سحرى لا يوصف ، ويغمى على أناس كثيرين فى العادة ، وهذا مما يزيد الجمهور للعبة محبة .

وقد كنت أتلهف على أن أكون ممن يبلعون أنابيب نيون ، وكنت فى ذلك الوقت أعمل مع « كرنفال » ، وأعيش فى مركبة مع فلامو « آكل النار » . وبينما كنا ذات ليلة نقوم بألعابنا فى نيوجرسى ، عثر فلامو على كهربائى وعسد أن يصنع له أنبوبتين ، ولابد فى أنابيب نيون من وصلة كهربائية عند الطرفين ليضيء الغاز الذى فيها ، ولهذا تصنع الأنابيب المعدة للبلع على شكل حرف U ، ويبقى الطرفان خارجين من فمك . ومعنى هذا أنك تبلع أنبوبتين ، وهذا بطبيعة الحال أشق من بلع نصل سيف رقيق . ومن أجل هذا يجب أن تكون الأنبوبة أدق ما يمكن ، والأنابيب الدقيقة قصيفة يحتمل أن تنكسر .

وتناولت أنا وفلامو الأنابيب ذات مساء بعد أن انتهينا من العرض الأخير ، فلما أضأناها وهيأناها للبلع اضطربت .

وقلت له : « إنى خائف يافلامو » .

وكنا قد قرأنا قبيل ذلك عن موت « البرنس نيون » أول من بلع أنابيب نيون ، فقد انكسرت الأنبوبة فى جوفه .

وكان « المصباح البشرى الكهربائى » الذى تلاه قد اتفق له أن حدث تماس لسبب ما ، فمات قبل أن يحمل عن المسرح ، فبدا لى أن اللعبة لا تستحق المجازفة .

فقال فلامو : « إذا كنت تخاف يا فتى فلا تبلعها ، فإنه يُخشَى أن يتقبض حلقك فيكسر الأنبوبة » .

وكنت أعلم أن على أن أبلعها على الفور قبل أن تزداد حرارتها ، فإن الأنبوبة الحارة تلصق بجوفك فلا تستطيع أن تخرجها ، فتناولت أنبوبة ومسحتها .

ووقفت وألقيت رأسى إلى الخلف وأمسكت بالأنبوبة بيدى اليمنى وجعلتها رأسية على شفتى ، وجعلت أدخلها فى حلق بيدى اليسرى المضمومة . والقاعدة الأساسية فى بلع السيوف هى أن توجد خطاً مستقيما من الحلق إلى المعدة . وكنت أحس بحرارة لذيذة إذ تنزلق الأنبوبة هابطة فى جوفى ، على خلاف الحديد البارد ، إلا أنها ذات سعة فظيعة .

وشعرت أنها مست عظام صدرى ، وهو شعور يورث الحذر دائماً ويرسل فى البدن رعشة ، ثم انزلق طرف الأنبوبة عن العظم ، فهبطت فى يسر حتى مست يدى اليمنى شفتى .

ونزعت الأنبوبة والتفت إلى فلامو وسألته بلهفة : « هل شع النور فى صدرى ؟ »

فأكد لى بلهجة الاحترام : « لقد كنت يا بنى تضىء كالنار الموقدة ، وإنها للعبة رائعة ، وقد كاد يغمى على أنا نفسى » .

وفى الليلة التالية عرضت على الجمهور بلع أنبوبة نيون فكان نجاحها باهراً ، واحتاج الأمر إلى حمل سيدتين وإخراجهما ، وانتاب أحد الأطفال اضطراب عصبى فرفع والداه قضية على الملعب ، فطارت لى شهرة .

ومعظم بالعى السيوف كانوا قبل ذلك شباناً نزحوا عن مواطنهم ليلتحقوا بملعب متنقل ، ويظل الفتى زمناً ملاحقاً للملعب يؤدى للاعبين ما يكلفونه من أعمال ، ثم لا يلبث أن يطلب تعلم لعبة . وينبغى أن لا يكون شاذاً فى الخلق — ذا جسامة أو نحافة بالغة أو قماءة شديدة — أو لا يدخل فى طوقه أن يقتنى الجهاز الدقيق اللازم للعبة فى الهواء ، أو لا يكون صالحاً للدعاية للعب وبيع التذاكر لها ، أو مقامراً ؛ ولهذا يبلع السيوف .

وكثيراً ما سئلت : لماذا يريد إنسان أن يبلع سيفاً ؟ والجواب أن بالع السيوف فى الملعب يكون فناناً موفور الاحترام ، وهو فن يشتهى كل امرىء أن يحذقه ، ولكن ما أقل من لهم صبر على تعلمه .

ولا تكلفه سيوفه إلا ١٥ ريالا أو عشرين ، وإذا لم يرض عن الملعب فإن فى

وسعه أن يتأبط سيوفه ويثب إلى قطار خلسة ويمضى إلى ملعب آخر ، ويستطيع أن يعرض لعبته فى الحانات أو زوايا الشوارع بقروش ، وهو مطلق الحرية وقادر دائماً على الحصول على ملء جيبه من القروش بعمل لا يستغرق سوى دقائق قليلة .

ويحتاج بلع السيوف إلى التدرب الشاق ثلاثة شهور أو أربعة . وعليك أولا أن تتبين طول السيف الذى تستطيع أن تبلعه، فإذا بلعت سيفاً طويلا جدا فافعل ذلك ببطء وعناية ، حتى تشعر بأن ذبابته لمست قاع المعدة ، وهنا يجب أن تكف . ومن الصعب وصف الشعور بلمس الذبابة ولكنك ستعرف حين يحدث ذلك . ثم ضع علامة على النصل مما يلى الأسنان ، وانزعه واقطعه عند موضع العلامة ، وهذا هو سيفك . وستشعر على الأرجح بالغثيان حين تنزل السيف من حلقك أول مرة ، ويستمر هذا الشعور عدة شهور حتى يألف حلقك مس الحديد البارد .

وطبيعى أن يستطيع رجل مديد القامة أن يبلع سيفاً أطول من سيف يبلعه رجل قصير . ولما كنت طويلا جدا فقد احتفظت عدة سنين بالرقم القياسى فى أمريكا لبلع السيوف (٢٦ بوصة) ، ونزع منى الرقم القياسى وغلبنى عليه رجل أقصر منى لجأ إلى حيلة هى أن يأكل وجبة ثقيلة قبل اللعب فتثقل معدته وتهبط فيها البوصات المطلوبة للتفوق . وأنا أدع للقارىء أن يحكم على هذه الحيلة وهل هى جائزة مشروعة !

ولا يعرف أحد من كان أول من وجد أنه يستطيع أن يبلع سيفاً ، ولكنه لا بد أن يكون ذا شخصية غير عادية ، ونزّاعاً إلى التجريب . وقد كان الحواة المتنقلون يلعبون هذه اللعبة أمام الفراعنة ، وذكر أجريبا أنه شاهدها فى روما القديمة .

وذاع بلع السيوف واشتهر أول ما اشتهر فى معرض شيكاغو العالمى سنة ١٨٩٣ ، وظل سنوات بعد ذلك موضع التشهير بكشف سره المزعوم فى الصحف والمجلات.

وكان التفسير الشائع أن السيف يطوَى ويدخل بعضه فى بعض إلى الغمد ، فكنت أحمل معى سيفاً عارى النصل بغير قراب وأبلعه لأقنع الناس بأن لا حيلة هناك . وأخيراً كسر السيف شاب وهو يعالج أن يهتدى فيه إلى غش أو خدعة ، وسمعته بعد ذلك يقول : « هذا سيف يُطْوَى ، وكان فى وسعى أن أكشف عن سره ، ولكنه انكسر وأنا أحاول ذلك » .

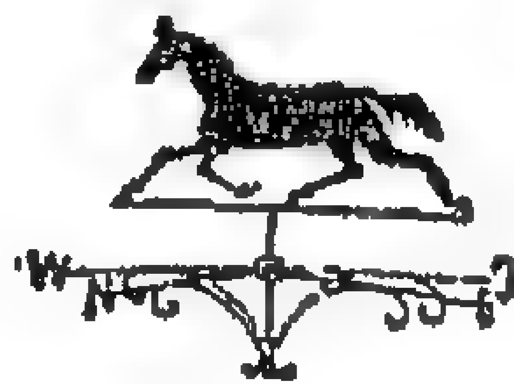
وثم وجوه شتى غير بلع السيف بالطريقة المألوفة ، فهناك صديق لى كان يبلع سيوفاً محمية بأن يبلع أولا غمداً مصنوعاً من مادة

الأسبستوس ، ولكن وجود الغمد سر محجوب ، ومن الصعب جدا أن يمشى المرء وفى جوفه غمد وأن يبدو مع ذلك طبيعيا .

وقد تفشى فى السنوات الأخيرة القليلة وباء فى صورة نساء يبلعن السيوف ، ولست أرضى عن هـذا ، فإن النساء مستعدات للمخاطرة . وقد رأيت فتاة ابتلعت سيفاً من الصفيح ثم جعلت تتلوى حتى انثنى السيف فى جوفها قبـل أن تخرجه . ولست أقيم وزناً لكونها تأخذ فى الأسبوع أجراً قدره ٢٠ ريالا على هذه اللعبـة ، فإنها خطرة .

وظهرت فتاة تبلع أنابيب نيون فى ملعب بمعرض نيويورك العـالمى ، وكانت تقوم بلعبتهـا على مسرح دوار ، فدهشت لاجترائها على بلع الأنابيب ، لأن أيسر هزة فى المسرح قد تكسرها . وبعد أن قامت باللعبـة المألوفة ، جاءت بأنبوبة مركبة على طرف بندقية ، وبلعت الأنبوبة إلى نصفها ، ثم أطلقت البندقية ، فكان من أثر ارتداد مقبضها أن دفع بقية الأنبوبة فى حلقها .

فاندفعت خارجاً من القاعة وبى فزع على حين كان الجمهور يضحك منى . وإنى لأتعثر عند آخر صف ، وإذا برجل يستوقفنى ويقول : « أحسبك تظن أن هذه الفتاة بلعت الأنابيب حقا . أليس كذلك ؟ » . ثم قال بصـوت خفيض : « سأطلعك على سر . هذه الأنابيب مزيفة ، فإنها تتداخل إلى المقبض » .



عانت أم شابة مشقة عظيمة فى أمر ابنها البالغ ثلاث سنوات ، حين دخل حجرة الحمام وأوصد الباب ثم عجز عن فتحه أو امتنع . فهرعت فى يأسها إلى التلفون واستدعت فرقة المطافئ . وبعد قليل جاءها أحد رجال المطافئ يحمل فأساً فى إحدى يديه وجهاز إطفاء الحريق فى الأخرى . فوصفت له حرجها ، وبدلا من أن يعود ليأتى بسلم يدخل به الحجرة من النافذة ، سألها : أهو ذكر أم أنثى . فلما أنبأته تقدم إلى الباب وقال بلهجة الآمر : « اخرجى أيها الفتاة » . ففتح الصبى الباب وخرج منه ، فإذا رجل المطافئ يقول للوالدة : « هى حيلة لا تخيب » . [برنارد سلبر شتين]

عشرة رجال وقميص

كوري فورد • ملخصة عن مجلة "كوزموبوليتان"

« صنعت مسز جونز فى كنساس جيوبا فى قميص — ثم تلقت خطاب شكر من رجال قاذفة ضخمة فى الهند »

هذه قصة قميص — قميص كسواه من الصوف كان للملازم جونز. وهى قصة تبدأ فى شقة صغيرة فى ولاية كنساس، حيث جلست زوجة الملازم جونز على حافة السرير تحيط بها حقائب لم تتم تعبئتها بعد، وجعلت تستعجل إتمام القميص، وتخيط جيوبه الصغيرة لتحمل مواد الإسعاف والطعام، ولم تكن تحلم قط أنها ستنقذ حياة عشرة رجال بعد نصف عام فى الجانب الآخر من العالم.

ولقد قص" هؤلاء الرجال العشرة قصتهم فى قاعدتهم بالهند، وهم جالسون حول منضدة من الخشب فى حجرة المخابرات. قالوا إن قلعتهم الطائرة التى بلغت تكاليفها مليوناً من الريالات ألقت قنابلها على بنكوك وانقلبت راجعة مجتازة خليج البنغال فى طريقها إلى الهند، فإذا جهاز توصيل الوقود يحترق. وإذن فسيتعذر عليهم أن يظفروا بمدد من الوقود، فأخذت المحركات تقف واحداً بعد الآخر. فلما صاروا على مسافة ساعة من شاطىء الهند طلب الطيار من المهندس أن يربطه فى مقعده، ثم أمر تفريغ ما فى فجوة القنابل من خزانات الوقود، فبدأ غازه يتسرب إلى جوف الطائرة.

ولم تمض عشر دقائق حتى وقف المحرك الرابع، وهوت الطائرة، فارتطم ذيلها بالماء ثم اعتدلت ثم ارتطم مرة أخرى، ثم صدم مقدمها الماء صدمة عنيفة كصدمة جدار من الحجر الصلد، وهكذا انفجرت تلك الطائرة التى ملأها الغاز والتى تزن ستين طناً.

قال الطيارون: وكان دويها أشبه بمليون قطار سريع محملة بالديناميت تتصادم مرة واحدة، ولم نر أثراً للطيار البتة. وقال جوزيف فالون الملازم الثانى المهندس: كان الرجال طافين من حولى على الماء مذهولين كالسمك الذى دوخه انفجار الديناميت، ولعل قميص الملازم جونز هو الذى أنقذنا.

كان جونز، مساعداً فى مكتب المخابرات ملحقاً بهذه الجماعة من الأسراب. وقبل أن يبرح الولايات المتحدة كان قد قرأ فى تقارير المخابرات السرية أن نصف الرجال عند ما يقذفون بأنفسهم الطائرات ينسون معدات الإسعاف أو يفقدونها، فكان يحث على وجوب استعمال رداء من قطعة واحدة يكون على الطيار دائماً إذا ماقفز أو اضطر إلى الهبوط فى الماء. ولما لم يستطع أن يظفر بتشجيع المسئولين

صمم على أن يصنع لنفسه نموذجا منها .

جمع مواد مختلفة للإسعاف ، كعقاقير السلفا والضمادات والمورفين ووضع جميع الأدوية فى علب الأسبرين المصنوعة من الصفيح ، وطوى كل علبة فى قطعة من المطاط لتمنع تسرب الماء إليها ، وضم إليها مدية وأقراصاً للغذاء ، وحبلا للصيد وصفارات وطوقا ، وبطارية وخرائط — بل وضع معها كتابا عن أساليب النجاة . وقد خاطت له زوجته عدة جيوب فى القميص ليضع فيها تلك الأشياء وقد بلغ وزنها جميعاً أقل من خمسة أرطال ، وضعها جونز فى حقيبته حين رحلت جماعته إلى الهند .

لم يذهب الملازم جونز فى تلك المهمة الأولى ، ولكنه سلم القميص إلى الملازم فالون قبيل قيام الطائرة وهو يقول له : « ارتد هذا احتياطاً لما عساه يقع ! »

فابتسم فالون وأجاب : « لا ريب ، وأراهن أنك تود لو وقع ما تخشاه لتعرف أيفى القميص بالغرض أم لا ! »

كان مساعد الطيار الملازم الثانى ا . ل . بريجز هو الذى جذب قوارب النجاة بعد أن ارتطمت الطائرة بالماء . فأعطى الأول لفالون المهندس ، وطلب إليه أن يلتقط سائر الرجال . قال : « كنت أعانى مشقة شديدة فى إبعاد الزورق الثانى عن الطائرة . وقد حاولت أن أحل المجاديف ، ولكن الحبل كان معقداً ، وبدأت الطائرة تغوص . فجعلت أقضم الحبل بأسنانى حتى انقطع .

« ثم استطعت أن ألتقط ثلاثة رجال وأضعهم فى زورقى . وكان مع فالون ثلاثة فى زورقه ، فربطنا الزورقين معاً وأخذنا نبحث عن الباقين ، حتى رأينا أخيراً رجلين يسبحان على ربع ميل . وحاولنا أن نجدف نحوهم ، ولكن ذلك كان عبثاً فى هذا الخضم المتلاطم .

« دبرنا أمر مبيتنا . وكان معنا خمس صفائح من الماء وعلبتان من السكر النباتى وصندوق يحتوى مواد شتى للطوارىء . وقد ضاع كل شىء آخر فى الانفجار ، ولم يبق إلا القميص .

« وهطل المطر مدراراً مرتين فى الليل . وكان الجميع مرضى لما تجرعوه من الماء المالح ، وكان مدفعى البرج الأيمن يقذف من جوفه دما . ثم ناموا جميعاً ملء جفونهم إلا أنا ، فإنى ظللت جالساً أدعو الله » .

قال ذلك فى بساطة تامة وهو يرنو بعينين هادئتين ثابتتين . ثم قال : « وطلع الصبح علينا وكل شىء ساكن هادىء ، ولكن حرارة الشمس وجهد التجديف عذبانا بالظمأ الطاغى ، على حين أوشك زادنا من الماء أن ينفد . ولما كففنا عن

التجديف لاحظ أحدنا شيئين يظهران ثم يختفيان فى الماء ، فحسبناهما جوزتين ثم تبين لى أنهما السارجنت وايزمان مدفعى البرج الأيسر ، والملازم بيل عامل اللاسلكى . وكان هذا هو الذى دعوت الله من أجله » .

كان وايزمان يسبح ممسكاً رأس بيل ليرفعه فوق الماء ، وقد فعل ذلك ٢٤ ساعة . وكان وزن وايزمان ١٢٠ رطلا ، أما وزن بيل فكان ١٦٠ على الأقل . ويقول بريجز : « أود أن أسجل أن ما صنعه وايزمان من أروع أعمال البطولة التى سمعتها » .

وسكتوا هنيهة ، وإذا وايزمان يقول فى حياء وهو يفتل أصابعه : « إن كل ماصنعته هو أننى سبحت فى الماء حتى عثروا على . هذا كل ما فى الأمر ! »

كانت ساقا بيل وذراعه اليسرى قد كسرت حين صدمت الطائرة الماء فلم يستطع أن يعوم ، وكان يلقى أشد الألم ، وكان قد عثر على زجاجة من الأكسجين عائمة فى الماء وظل متعلقاً بها حين أدركه وايزمان وراح يعاونه على البقاء فوق الماء .

قال وايزمان : « لم أستطع أن أبقيه فوق الماء طويلا فى الفترات ، لأن الأمواج كانت تتكسر على متلاحقة — حتى ما أكاد أن أتنفس ، فكان يصرخ من شدة الألم فأبادر فأرفعه مرة بعد مرة . وبعد أن قضينا فى الماء بضع ساعات بدأ سرطان البحر يعض عنقى وذراعى وساقى الملازم بيل المكسورتين ، فكنت أذودها عنى ، أما هو فلم يكن يستطيع أن يحرك ساقيه ، وأخيراً خيل إلى أن عقله قد ذهب ، إذ سحب مديته وأراد أن يقتلنى ويقتل نفسه . فتولانى رعب شديد ، ولكننى استطعت أن أنزع المدية من يده . وكانت قواى قد أوشكت أن تخور ، ولولا أنه تخاذل فى تلك اللحظة نفسها لكانت نهايتنا ، « ولعلى عندئذ كنت قد بلغت حد الإعياء ، فإننى أغمضت عينى ، ولما فتحتهما رأيت الزورقين يدنوان منا » .

كان وايزمان قد أصيب بثلاثة جراح عميقة فى عنقه ، وأصيبت ذراعه اليسرى بجرح بلغ العظم . أما الملازم بيل فقد نفذت عظام ساقه اليسرى المهشمة من عضلتها ، وبرز كعبه المحطم من اللحم ، وراح هو يهذى من شدة الألم .

أخرج فالون القميص ، وذروا مسحوق السلفانيميد فى الجروح الفاغرة وضمدوها بالأربطة التى وضعتها زوجة الملازم جونز فى الجيوب الصغيرة ، وصنعوا من بعض المجاديف جبائر لتقى العظام أن يحتك بعضها ببعض ، وأعطوا بيل قدراً من المورفين .

واستطرد بريجز : « عند منتصف الليل

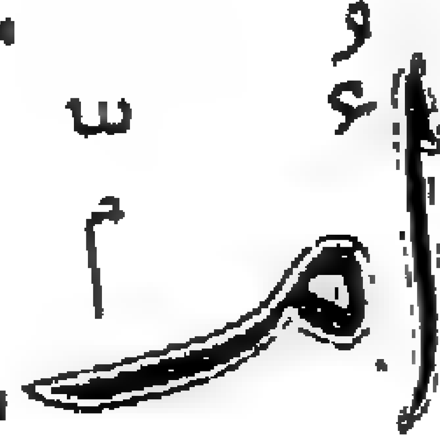
هبت ريح شمالية غربية فنصبنا شراعا وحاولنا أن نصل إلى البر. وكنت أسمع صوت الأمواج ترتطم بكثبان تعترض بيننا وبين الشاطىء ، فلما اقتربنا وجدنا ارتفاع الكثبان يتراوح بين ثماني أقدام وعشر . فابتهلنا إلى الله أن تحملنا موجة فنجوز الكثبان دون أن ينقلب زورقنا . فجاءت موجة وحملتنا إلى الشاطىء دون أن نبتل » .

وكان تأثير المورفين قد زال ، وعاد الهذيان إلى بيل ، وجعل يضرع فى طلب الماء . وكان كل منا قد برح به الظمأ . قال بريجز : « وأسعفنا القميص مرة أخرى إذ وجدنا فى كتاب « أساليب النجاة » فقرة عن تقطير الماء الملح . فأخذنا خرطوما من المطاط من طوق النجاة ووصلناه بزجاجة الأوكسجين التى كنا قد ملأناها من ماء البحر ، ثم غلينا الماء ورحنا نجمع البخار فى وعاء ، وأخذنا نصب على ظاهر الوعاء ماء باردا ليساعد على تكثيف البخار . فكان عملا شاقا ولكننا استطعنا بعد بضع ساعات أن نظفر بثمن جالون من الماء سقيناه بيل . ثم وضعنا بيل ووايزمان تحت خيمة صنعناها من الشراع ، وبللنا بعض الخرائط التى وجدناها فى القميص ووضعناها على جبينيهما » .

وفى الصباح التالى خرج بريجز وفالون يطلبان النجدة ، وعلى بعد خمسة أميال من الشاطىء لقيا أحد الأهلين ، فقادهما إلى قرية صغيرة ، فحملوا منها ماء إلى المصابين ، وصنعوا من زورق النجاة نقالة وحملوا عليها بيل ١٢ ميلا إلى القرية ، وهناك ضمد جراحه طبيب القرية ، وبعد يومين التقطتهم طائرة قد استدعاها العداءون من أهل القرية فنقلتهم إلى مستشفى إحدى القواعد الحربية ، وقد رفض الطبيب أن يقبل منهم أجرا ، فأهدوه أعز ما يستطيعون أن يهدوا — أهدوه القميص .

وتنتهى القصة فى جرينزبورو بولاية نورث كارولينا ، حيث راحت زوجة الملازم جونز تقرأ رسالتين إحداهما من الملازم جونز يخبرها بأن البريجادير جنرال لاندن سوندرز قد نقله إلى القيادة العامة ليتولى تحسين فكرة القميص ، لكى يعرضها على الحكومة فى وشنطن ، والثانية مكتوبة بخط ردىء وقع عليها عشرة رجال ، وقد جاء فيها : « هذه كلمة يبتغى بها رجال الطائرة أن يشكروك ... »

وبينما كانت زوجة الملازم جونز تقرأ هذه الرسالة ، كانت تذكر كيف كان الملازم جونز يستحثها على إنجاز القميص وهو يقول : إنها قد تنقذ حياة إنسان فى يوم من الأيام . وهى ترى الآن أن فكرة القميص قد تنقذ أرواحا أخرى وتعيد طيارين آخرين إلى أوطانهم سالمين .



كورنيليا ستراتون باركر
مؤلفة كتاب «نجوى أميركية»

في صيف مضى، وقبيل مغادرتي موطني لألقي بعض المحاضرات في جامعة ولاية مين، تلقيت خطابا من سيدة تدعى «مسز بولا آ كلي»، أمينة مكتبة في بلدة «برسك إيل» الصغيرة بالقرب من حدود كندا. لقد قرأت بعض كتبي وصحت نيتها على الحضور لتسمع محاضرتي، وإن كان ذلك يقتضيها أن تقطع نصف الولاية سفراً، وإن كان يشغلها أيضاً أيما شغل، عمل، وزوج — ثم ماذا — ثم ثمانية عشر طفلا! نعم، ثمانية عشر، وجميعهم أولادها إلا خمسة.

فلما وقفت، بعد أيام، أمام المستمعين ألقي محاضرتي، نفضت عيناي على غير جدوى صفوف من أرى من الناس ألتمس وجهاً خليقاً بامرأة لها ثمانية عشر طفلا. فلما فرغت من محاضرتي، ورأيتها أول ما رأيت بدينةً ليس لها ما يميزها من سائر النساء، من قبعتها العجيبة إلى حذائها العريض المفرطح، وددت سفَهاً مني لو أني لم أدع الأمر بيني وبينها يتعدّى تبادل الرسائل. على أنني بعد أن قضيت معها ست ساعات في حديث بهيج أنظر بعيني في عينين سوداوين تطلان من وجه لم تمسسه الغضون، علمت علم اليقين أنني كنت مخطئة. فلما أن ازددت بها خُبْراً، وعرفت قصتها من حديثها هي، ومن مذكرات كتبتها على فترات طوال سنوات حياتها الحافلة، فعندئذ عرفتها على حقيقتها: امرأةً بلغت من المروءة والشجاعة والدعابة والإيمان بالحياة مبلغاً خليقاً بأن يحسدها عليه الناس جميعاً.

تزوجت «بولا بارتون» في التاسعة عشرة من عمرها جورج آ كلي، وهو فلاح من زراع البطاطس، وأرمل في السادسة والثلاثين من عمره. وكان لجورج أربعة أولاد، ومعه مزارع أجير وامرأة تدبر بيته. وكانوا جميعاً حضوراً حين أقبلت زوجته الثانية ساعة الإفطار — إلا مدبرة البيت، فإنها غادرت البيت من باب المطبخ ساعة قدم العروسان. وكانت بولا لم تهيء مائدة قط في حياتها، فلما جعلت تبذل جهود اليائس وقعت على مفرش أبيض فأخذته وفرشته على مائدة المطبخ.

وجازت الطريق قبل الفطور جارة من أهل الفضول، فجعلت تتشمم، ووقفت على الباب ولم تجشم نفسها حتى إلقاء السلام،

وأخذت تقول : « مفرش أبيض : أحسن ما عنـد مسز آ كلى ولا شك . عسى أن تـكون آخر مرة تعمدين فيها إلى استعمال المفارش » .

فعاهدت بولا آ كلى نفسها منـذ ذلك الحين أن تضع مفرشاً أبيض على كل مائدة تعدها ما عاشت ، وقد برّت بعهدها .

ولم يمض على زواجها إلا قليل حتى هدّها السل طريحة الفراش ، وقدّر الأطباء أن لم يبق من أجلها غير ستة أشهر . لقد مات أبوها به من قبل ، وماتت به مسز آ كلى الأولى فى هـذا البيت نفسه . وقد حان حين بولا .

ستة أشهر تعيشها !! ولـكنها عاشت حتى ولدت ثلاثة عشر .

كيف كانت هذه المعجزة ؟ نظرت هادئة بعينيها الضاحكتين فى عينى ثم قالت : « ليس إلا أنى عزمت على أن لا أموت » . إنه لأمر هين . ولقد فحصها الأطباء بعـد اثنتين وثلاثين سنة ، فدلت الأشعة السينية على أن فى الرئة ندوبا شديدة التأمت منـذ عهد طويل ، وقرر الأطباء بأنها فى « صحة تعدّ جيدة لفتاة فى السادسة عشرة » .

ولا شك فى أن انتزاع مثل هذه الشهادة من الزمن العاتى يتطلب نفساً جليدة وقلباً فتيًّا ، وكلاهما كان بين جوانح بولا . ففى السابعـة عشرة من عمرها شرعت تزاول التعليم ، وكان وزنها لا يتجاوز مئة رطل يومئذ ، ولم يكن من التلاميذ من يفوقها وزناً فحسب ، بل كان فيهم من هو أكبر منها سنا . وفى ذات يوم أخذ تلاميذ الفصل جميعاً يقذفونها بكرات من الورق ، وكانت بولا حتى ذلك اليوم تستنكر العقوبة البدنية ، ولـكنها فى الظهر تركت غـداءها ومضت سائرة تقطع طول الطريق إلى المدينـة واشترت مسطرة وسوطاً من الجلد المتين .

وبعد الظهر بادرت التلاميذ بقولها : « يستطيع كل من لم يشترك فى قذف كرات الورق أن ينصرف ، أما الآخرون فلينتظروا » . فبقى التلاميذ كلهم تقريباً ، فأقبلت على أضخمهم حرما ، وقالت له : « ابسط يدك » ولم تفكر أدنى تفـكير فيما تفعله إذا ما أبى ، ولـكن التلميـذ فعل ما أمر به ، ومضت بولا من صف إلى صف تؤدب بالمسطرة أو السوط كل فتى وكل فتاة فى الحجرة . وانقطع العبث .

وكانت بولا تزاول التعليم لأنها تحب الأطفال ، ولأنها كانت شديدة اليقين بأن طلعة وجهها تحرمها ما عاشت أن تتزوج وأن يكون لها أولاد .

وكانت تقول أحياناً : « انظرى إلىّ ! ليت خالقى منّ علىّ فجعلنى أخف فى الأنظار

موقعاً » ، ولكنها كفّت منذ سنين عن الكلام فيما كانت ترى نفسها عليه من قلة الوسامة .

وتقول بولا : « لقد قالت لى أمى قبيل زواجى المستر آكلى : « بولا ، ينبغى أن لا يكون لك ولد ، فحسبك أولاده الأربعة » ، فكان جوابى أنى قد عزمت على أن يكون لى اثنا عشر ولداً . وقد فعلت ، وزدت على ذلك ولدين ، توفية للكيل — أحدهما طفل تبنيته » .

ثمانية عشر طفلا ، ثلاثة عشر منهم أولادها ، وآخرهم هو وحده الذى ولد فى المستشفى . وكان ثمة ما لا بد منه من النكبات والمآسى وصنوف الأذى والأمراض — ولكن كان كل ولد يشق طريقه على نحو ما حتى يبلغ مبلغ الرجال ، وهم إلى اليوم أحياء بعد ثمان وأربعين سنة .

فهذا رتشرد . وقد هوى من مقعده العالى فوقع فى موقد المطبخ ولا تزال بعض آثار الحريق ظاهرة على جلده إلى يومنا هذا . وقد شرب رتشرد ذات مرة بترولا وظنه ماء . وقد وطئته عربة ثقيلة فى فناء المزرعة ، حتى دخلت فى بشرة وجهه حصباء من الأرض ثم تآكلت على مرّ السنين . وقد جرّ عليه لعب الكرة وهو بالمدرسة الثانوية أن بقيت ساقه فى قالب الجبس أسابيع . وقد انطلق من رتشرد مقذوف نارى نفذ فى قدمه . أذكر رتشرد فأستطيع أن أمضى فى سرد ما حدث له حتى أخرج بقصة من أعجب القصص عنه ، وهو الآن ملازم أول فى البارجة الأمريكية « أيداهو » .

ثم هذا « جين » وأخوه « بارتون » . وقد عثرا فى المزرعة على بعض الديناميت . وظل جين أياما لا يدرى أحد ما أصاب عينيه : أذهبتا أم بقيتا ؟ أما بارتون فقد طارت ثلاث أصابع من يسراه ، وكان بارتون موسيقار الأسرة . على أن الطبيب استطاع بطريقة ما أن يستنقذ ما تحت المفصل الأوسط من هذه الأصابع ، ويستطيع بارتون الآن أن يعزف على البيانو . ولم تشأ بولا أن تفيض فى خبر « رسل » وكيف مد رجله ليوقع « إمّا » وهى تحمل بين يديها كل الآنية الصينية البيضاء الجديدة ذات الحواشى المذهبة . فقلت لها : « لا شك أنك أوسعت رسل ضرباً » . فأجابت : « لقد ضربته مرة واحدة فيما أذكر . وذلك حين أشعل النار فى ثوب إليزابث » .

وتزعم بولا أن تربية أولادها ، إذا قيسوا بغيرهم ، كانت أسهل وأهون ، وتقول وعيناها السوداوان تومضان : « وربما كان ذلك لأنى لم أطلب إليهم قط أن يفعلوا شيئاً لن يفعلوه مهما قُسِروا عليه » .

ثم إنها كانت تريد قبل كل شىء أن يكون لهم من الشجاعة وصدق العزيمة ما يجعلهم يقدمون على فعل ما يحبون أن يفعلوا، وكانت تقول لأحدهم لا تقل : « لشد ما أتمنى أن أفعل هذا أو ذاك ، ولكن افعله » . وهكذا كانوا إذا خطر لهم أن يذهبوا إلى رحلة حفاة الأقدام ، أو أن يتركوا عملهم ليتجولوا فى كاليفورنيا ، فعلوا ذلك على الفور .

ولقد قال بارتون ذات مرة لأمه : « إنك لم تنشئى أسرة ، وإنما أنشأت ثمانية عشر فرداً » . فعقبت بولا على هذا بقولها : « ربما كان حقاً ما تقول ، ولكن المرء لا يرسل أولاده إلى الجهاد فى الدنيا أسرة واحدة ، فقد كتب على كل أحد منهم أن يلقى الحياة فرداً وحيداً . وينبغى أن ينطوى كل منهم على شجاعة تجعله يستقل بنفسه » .

وكانت بولا نفسها فى بعض الأحيان تنتهز ما يسنح من نوادر الفرص لتفعل ما يجعل بلدة « برسك إيل » تسلكها فى عداد المخبولين . وإنى لأحب ذلك الضرب من النساء اللواتى تعتزم إحداهن فجأة وهى فى الثانية والخمسين أن تذهب مع بعض الأصدقاء فى رحلة من « برسك إيل » إلى « هولتون » — وهى مسافة تزيد على أربعين ميلا . وقد كتبت بولا فى مذكراتها بذكر ذلك : « مضيت فى الطريق العام سيراً على القدم وأنا مبتهجة محبورة » . وبعد أربعة أيام كتبت فى مذكراتها : « رجعنا فقيرين من المال إلا ريالا واحداً ، غنيين بالذكريات الباقية مع السنين » .

ولكن أيام الإجازة هذه كانت نادرة ، فقد كانت بولا مشغولة ببيتها كل الشغل ، وأكثر ذلك أن أولادها الثمانية عشر كانوا هدفا لكل مرض إلا الجدرى . وقد قضت بولا الليل كله مرات لا عداد لها تمرض أحد أولادها ، ثم تقضى النهار كله أيضاً تمرضه وتعمل فى البيت .

ولقد أصيبوا بالحصبة — الثمانية عشر جميعاً ، وأصيب الثمانية عشر بالتهاب الغدة النكفية وبالجديرى . واستؤصلت للثمانيــة عشر لوزهم وأزيلت لأحد عشر منهم الزائدة الدودية . أما من أصابهم الالتهاب الرئوى فلا يمكن حصرهم على وجه التحديد . وكانت شرهم إصابة « سالى » وهى فى الثانية من عمرها . وكانت بولا حين قدم الطبيب ، جاثية على ركبتيها تقطر الكونياك فى حلق « سالى » بالقطارة ... قطرة ... قطرة ... قطرة . ولم تر بولا قط طفلة بلغ منها المرض هذا المبلغ .

وقال الطبيب : « لا فائدة . لقد سرى البرد حتى بلغ وسطها الآن ، وستموت بعد ساعة » . فانتفضت بولا واستدارت وصاحت

به : « اخرج من هذا البيت ! وليخرج منه على الفور كل من يظن أنها ستموت » ودفعت الطبيب ، ودفعت زوجها أيضاً ، خارج البيت . ثم عادت إلى سالى تقطر الكونياك فى حلقها . . قطرة . . قطرة . وفى الساعة الثانيـة صباحاً كانت لا تزال فى موضعها على ركبتيها ، والقطارة فى يدها ، وهى لا تزال تردد : « لن تموت . . . »

وعاشت سالى . وكذلك كان كل ولد من أولادها يمرض ولا يلبث أن يبرأ .

ولقد ضرب على هـذه الأسرة الحجر الصحى ثلاث مرات من أجل الإصابة بالحمى القرمزية . وفى آخر مرة كان روجر ورتشرد وباربارا وأوليف مصابين بها جميعاً وفى وقت معاً ، وكانت أوليف مصابة أيضاً بالتهاب الرئة . وظلت بولا ثلاثة أشهر كاملة لم تخرج من البيت . وكتبت فى مذكراتها : « وطنت نفسى على أن أستمتع بها ، وقد فعلت . إنهـا ثلاثة أشهر بديعة » .

ولقـد أغفلت المذكرات أن تذكر أن بولا لم يكن عندها مربية ، ولا معين أيًّا كان ، وأن زوجها كان فى ذلك الحين يكابد حمى روماتزميـة ، وأنه كان على بولا أن تتعهد الفرن ، وأن تأتى بالحطب للموقد . ولقـد انفجر مرجل الماء الساخن ، ولما كان الوقود غير كاف فى مثل هـذا الشتاء القارس فقد انفجرت أيضاً أنابيب المطبخ ذات ليلة ، حين تجمد الماء فيها ، وفى الصباح انزلقت بولا على جليد أرضه حتى تبلغ الموقد . فيالها من أشهر عجيبة حقاً !

وقبيل مولد « جين » ألقى فى يقين بولا فآمنت بصدق ما يقال من أن الجنين قابل للتأثر فى زمن الحمل ، فدخلت إلى المكتبة وتأبطت ما استطاعت حمله من روائع كتب الأدب العالمى وجعلت تقرأ فيها كل ليلة . وتدخل اليقين فى قلبها قائلة : « سيكون هذا الطفل علامة حاذقاً » .

فإذا جين هو الولد الوحيد الذى لم يتم فى حيـاته قراءة كتاب . وكل ما فى الأمر أن بولا تعودت منذ ذلك الحين عادة القراءة فى الفراش ، ولم تفارقها هذه العادة قط . ولـكن العجب كيف كان يتأتى لبولا أن تسهر على الـكتب بعـد العمل طوال اليوم فى خدمة هـذه الأسرة الـكبيرة ؟ فتقول هى : « لقد كنت فى معظم الأحيان أجد فى القراءة راحة كراحة النوم » .

وكان قد بدا لبولا ، منذ أوائل حياتها وهى زوجة ، أنه لا يجمل بها أن يكبر أولادها وهم لا يرون فيهـا إلا أنها امرأة كدود ، إنها ذكرى لا تليق بأم . فدبرت أمرها بحيث لا تؤدى الأعمال الشـاقة إلا بعـد أن يأوى أولادها إلى الفراش . أما نهاراً

فكانت تلاعبهم وتعمل العمل الهيّن ، كالطبخ مثلا الطبخ لثمانية أفراد أو عشرة عمل هين خفيف ، أليس كذلك !

ولكنها كانت مضطرة إلى أن تنفض يدها من أمر الحديقة التي أحبتها . وقد كتبت في مذكراتها : « ما دامت هنالك أشياء كثيرة لا سبيل لي إليها ، فإني سأجعل العوض مما يعوزني منها ، أن أنصرف بغاية ما تطيق النفس والبدن إلى تنشئة بيت حقيقي ، بيت قائم على التعاون والبهجة والأدب » .

ولقد مرت بها أيام لم تسلم فيها نفسها العظيمة من مساورة الضعف والوهن . وقد رحلوا عن بيتهم مرات — ولم يكن شيء أحب إلي « بابا آ كلي » من المتاجرة . ورمت إحدى هذه الرحلات بولا في بيت شنيع لا راحة فيه ولا ماء . وهذا ما أثبتته في دفترها العتيق : « أنا مجهدة — أكدح ثماني عشرة ساعة في اليوم — لقد بلغ مني الجهد مبلغاً يقصر عنه الوصف ، لا طاقة لي بأن أستمر على هذا المنوال » .

ولم يلبث أن حدث في بعض الأيام ، وهي عند حوض الغسيل بالمطبخ شاردة الفكر في تلك الديون الخالدة التي تؤودهم ، أن سمعت بغتة دوياً كدوي الإعصار الشديد آتياً من ناحية البيت الملاصقة للمخزن . ففتحت الباب فإذا هي أمام جحيم مستعر ، وسرعان ما صار البيت نفسه كتلة من اللهب . وجعلت ترقب النيران المقعقعة وهي تلتهم كل شيء مما قضت تدخره سنين طوالا . وأخيراً شعرت فجأة بأن عبء الدنيا الذي كانت تحمله وتحس ثقله قد زلّ عن أكتافها .

وسألتني بولا : « كيف أجعل هذا المعنى يبدو لسامعه معقولا ؟ لقد خيل لي أن كل همومي ومتاعبي تحترق إلى غير رجعة » .

وعاد الصبية الكبار من المدرسة فألفوها شاخصة البصر إلى البقايا المحترقة الداخنة من شيء لم يبق له وجود فوق الأرض . وإذا بالجميع تتشابك أيديهم ، ويدورون حول الشجر وهم ينشدون أغنية مبتهجة مجنونة مطلعها : « سوف نبدأ حياة جديدة ! » . ومضت بولا تغنيها .

ولكن لقد اجتاحت النار كل ما تملكه أسرة آكلي — مخزن المحصولات الزراعية ، العربة الجديدة ، آلات المزرعة كلها ، حتى السماد الذي كان معداً لتسميد الأرض في الربيع . ويومئذ بدأ عهد طويل كل يوم منه مثقل بعبء من الدين تنوء به القلوب .

وكانت بولا منذ سنوات قبل الحريق قد أقدمت على أمر خطير . فقد كانت فوق تل « هاردى » مزرعة كبيرة معروضة للبيع ، فاقترضت من صديق قديم ما يكفي لشرائها

وأرادت أن تجعلها أجمل موضع للسكنى في « برسك إيل » ، حيث يرى الناظر تحت قدمه روائع مقاطعة أروستوك منشورة منبسطة . ولقد استطاعت بولا بعد ثلاث سنوات أن تبيع قطعاً منها ، وأمكنها بذلك أن تبنى بيتاً ، ثم باعته ليكون وجوده مشجعاً للعمران . فلما وقع الحريق رهنت عقارها لتحصل على ما يلزم من المال ليعاود زوجها زراعة البطاطس ، بما يتطلب ذلك من محاريث وآلات وسماد وبذور .

ولكن على الرغم من كد الزوج وتحامله على نفسه في العمل ، كانت بولا تعرف حق المعرفة أنه لا بد لها من مورد مال نقدي مكفول . وكان نصف الأولاد الثمانية عشر لا يزالون صغاراً في البيت . وكانت بولا الرحيمة السليمة القلب قد تطوعت فقامت بعمل أمينة مكتبة البلدية حتى تتسنى للعجوز إجازة ، وهى أحوج ما تكون إليها . فأعقب ذلك أن طلب المشرفون على المكتبة من بولا آكلى أن تكون الأمينة الدائمة . ومن غير بولا في البلدة له هذه السعة في الاطلاع ، وهذا الحب للكتب ؟

ولقد أحبت بولا عمل المكتبة ، ومرت أسابيع طوال كان فيها المرتب الذى تقبضه من المكتبة هو كل ما تعرفه الأسرة وتعيش به من مال ، ولقد شغلها عملها بالكتب وبالناس ، وبولا تحب الكتب والناس . وقد جعلت المكتبة قبلة من لا أنيس له ، حيث يظفر بصداقتها هى وصداقة الكتب .

وجاء يوم ذكرى زواجهما في إحدى السنين وبولا مريضة في الفراش . ولما كان زوجها يعلم أنه يوم أثير يحتفى بأمره ، حمل إليها باقة من الورد ، وحياها وقال : « أليس هذا يوم ميلادك ؟ » . فقالت في صوت العاتب : « بابا — إنه عيد زواجنا ! » . فأجاب بابا في خجل : « أنا أعرف أنه شيء من قبيل الميلاد . إنه ميلادى ، لأننى لم أبدأ الحياة إلا يوم تزوجتك » .

ولعل أحب فقرة عندى في جميع ما أثبتته بولا في مذكراتها هى هذه : « في يوم الخميس احتفلنا — أنا وبابا — بعيد زواجنا الرابع والثلاثين . وقد أعددنا دجاجاً للعشاء وجاء الأولاد ، فلما انصرفوا حمدنا الله على السنين التى أتيح لنا أن نعيشها معاً ، وأن يحب كل منا رفيقه . وعجب أن جعل حبنا ينمو حتى أصبح حبنا الأول كأنه لا شيء ، إذا ما قيس بالذى بيننا اليوم من ألفة وعطف وتفاهم » .

وفي صباح يوم من أيام الأحد جلست مع أسرة آكلى في برسك إيل . ولقد خيل لى عندئذ أنه لن يتيسر لى يوماً ما أن أرى أو أجالس إنسانين أكرم منهما عند الله

كيف كافح الفرنسيون المجاعة

إدوين مولر

ملخصة عن مجلة "تريكولور"

دهاء واعتماد على النفس يحبطان
سعى الألمان أينما توجهوا .

دبر النازيون أمر هذه الحرب
منذ كان من أهدافهم البعيدة أن يضعفوا الممالك المجاورة ، وذلك بإضعاف أبدانهم وضعضعة نفوسهم، حتى لا يجد «شعب السادة» من ينازعه فى المستقبل حق الحكم فى أوربا .

وكان من أمضى أسلحتهم المجاعة المنظمة، فبها يمكنهم خفض نسبة المواليد ، وزيادة نسبة الوفيات ، وردّ من بقى حيا إلى الدرك الأسفل من الضعف والوهن . وأكثر من ذلك أن يُضوُّوا الأطفال (يعوقوا نموهم) حتى لا يترعرع صغير قط فيصير فتى صحيح البدن .

وقد أدرك النازيون وطرهم فى بعض البلاد ، فقد تنقضى أجيال قبل أن تصح اليونان أو بولندة من علتها . أما فى فرنسا فلم ينجح النازيون ، فهم وإن كانوا قد جلبوا عليها الضر والبلاء ، إلا أنهم أخفقوا فى تجويع الشعب تجويعاً باقى الأثر . وما أخفقوا إلا لأن الفرنسيين أرادوا أن يستنقذوا أنفسهم ، ففازوا النصر فى معركة الطعام . إنها إحدى روائع قصص الحرب التى يمكن اليوم أن تروى .

عاشت فرنسا ما عاشت فى رغد ، فحتى الزراع والعمال كان طعامهم المرق الثخين والخبز الفاخر اللذيذ ، والجبن الكثير ، والنبيذ الأحمر . لذلك لن ينسى الفرنسى جزعه وخيبة أمله حين فرض الألمان عام ١٩٤٠ نظام الجراية . وهذه الجراية يتراوح مقدارها بين ١٣٠٠ سُعْر (وحدة حرارة) و ١٦٠٠ سعر فى اليوم . والذى يقدره خبراء التغذية يتراوح بين ٢٢٠٠ سعر و ٢٦٠٠ سعر ، حدا أدنى لسلامة البدن .

لقد صار عماد جراية الرجل البالغ رغيفاً من الخبز الأسود كل أسبوع ، ونحو رطل من اللحم كل شهر ، وما يقل عن نصف رطل من الزبد والشحم والجبن ، ونحو رطل من السكر ، ومقداراً يقل أو يكثر، وإن كان دائماً لا يكفى ، من البطاطس . وهذا جل طعامه ، سوى ما يمكن الحصول عليه من الخضروات والفواكه مما لا يشمله نظام الجراية .

وكان شتاء عام ١٩٤٠ بلاء عليهم ،

وأخذ الجوع يودى بالشعب الفرنسى إلى الهلاك . وفى سنة ١٩٤١ زاد معدل الوفيات ١١ فى المئة على معدلها فى سنة ١٩٣٨ ، وتراوح النقص فى وزن البالغين بين ٣٠ رطلا و٤٠ رطلا ، وكثرت أمراض سوء التغذية كالسل وفقر الدم والكساح .

أما الأطفال فصاروا إلى شرّ حال ، فقد وقف نموهم ، واستدقّت سيقان الرضّع منهم وانتفخت بطونهم ، وبلغ عدد الوفيات من الأطفال مبلغاً مفزعاً .

ولكن رغبة الشعب فى الحياة لم تهمد ، فانتهى إلى سبيل يكفل له ولأولاده الطعام . لم تمهد لهم هذا السبيل هيئة مسيطرة — بل لعلها كانت وليدة الجهود التى بذلها أفراد اعتمدوا على أنفسهم فى العمل .

وقد نبتت ونمت على مر الشهور طريقة خفية كل الخفاء للإنتاج والتوزيع :

وطبقاً للنظام النازى ، كان على كل عمدة فى كل بلدة أن يقدم بياناً عن جميع المزارع ، يبين فيه المساحة ومقدار محصولها المعتاد ، وكان المفتشون الألمان يزورون كل مزرعة للتثبت من صحة البيان . وكان أكثر العمد وطنيين لا يرضون عن معاونة الألمان ، فوضعوا نظاماً محكماً يدخل الاضطراب على السجلات ، وقدموا بياناً ناقصاً عن المساحة المزروعة . وكانت الحقول تحرث حرثاً غير منظم حتى يصعب تقدير مساحتها ، وإذا وقع حقل بين مزرعتين حرث بحيث لايهتدى إلى موقعه بينهما ، ويقدر ما اختفى بهذه الطريقة بما يبلغ ٢٥٠٫٠٠٠ فدان .

فإذا ما عثر الألمان على خطأ فاستنكروه ، وجد العمدة عذراً مقبولا كأن يقول : « إن الموظف المسئول كان من أسرى الحرب أو العمال المبعدين » ، أما هو فقد بذل غاية جهده . ثم ترى ألمانياً يتميز من الغيظ يستقبل وجه عمدة عليه آيات البلاهة ، وكثيراً ما ينتهى الأمر بالصفعات ثم السجن . ولكن العنف لم يستطع أن يستبدل بالفوضى نظاماً ، ويخلف العمدة آخر فإذا هو مثله بلادة وبلاهة . وفى وقت ما أعاد الألمان إلى فرنسا ٢٨٠ من أسرى الحرب كانوا من الخبراء فى الزراعة ، فجعلوا العمل أحكم تخليطاً وفساداً .

وكانت هناك طرق شتى يمكن بها إسقاط حقل برمته من السجل . فقد حدث مثلا فى إحدى السنوات أن أمر الألمان بإنتاج مقدار كبير من حبوب الزيت ، فزرعت الحبوب كما ينبغى بمراقبة الألمان ، فلما رحل المفتش أتلف الزراع أكثرها ، ولما عاد مرة أخرى ولم ير إلا بضع أعواد سقيمة ، جعل الزارع منهم يشكو له قلة السماد والعمال وقلة خبرته بهذا النوع من الزرع . فيسقط

المفتش ذلك الحقل من حسابه . وعندئذ يزرع الفلاح زرعاً يؤتى أكله قبل أوان التقييع .

أما الماشية والخنازير فكان إخفاؤها أيسر أمراً . وكان لكل مزارع زريبتان للخنازير ، إحداهما فى الجرن والأخرى مخفاة فى الغابات . فإذا أخذ المفتش ينتقل من حقل إلى حقل متخذاً الطريق العام ، ساقوا الماشية فى دروب نائية حتى لا يعثر عليها البتة .

كان ما يربى من الأرانب فى فرنسا وافر العدد ، غير أن إنتاجها زاد زيادة كبيرة إبان الاحتلال ، والأرنب حيوان نَشُور (كثير النسل) ولا يتطلب إلا بعض العناية ، ويكاد يأكل أى نبت أخضر ، وفوق ذلك أنه مما يسهل إخفاؤه . فعلى الفرنسيين أن يقيموا بعد الحرب تمثالا عظيما تكريماً للأرنب .

وهكذا أنتج الفلاح الفرنسى ، بالمكر والجرأة والعمل الدائب ، ما يعوض الجزء الأكبر من النقص فى غذاء الأمة . ولكن هذا لم يكن إلا شطر المعركة ، أما أشق الجهدين فهو وضع طريقة صالحة للتوزيع فى الخفاء .

كان تاجر الجملة وتاجر التجزئة كلاهما يدير أمر تجارتين ، إحداهما مشروعة وتنفذ جهرة ، والأخرى غير مشروعة وتنفذ خلسة ، وكانوا يتقاون الطعام المهرب من المزارع بأن يزيدوا فى حمولة عربات السكة الحديدية فى مقاديرها المقررة ، وبأن يلحقوا بالقطارات عربات شحن أخرى ، وآزرهم عمال السكك الحديدية المخلصون لوطنهم ولقد استخدموا أيضاً سيارات كثيرة فى النقل ليلا .

وكان التوزيع المحرم يتم غالباً كالتهريب من بيت إلى بيت ، فيدور صبى الجزار أو البدال فى ساعات النهار يقيد المطلوب من الطعام الذى لا تبيحه الجراية ، ثم يتم التسليم بعد الغسق ، أو يذهب المشترى فيأخذ ما طلب . وكل هذا ، بلا ريب ، هو سوق سوداء ؛ ولكنها كانت للرجل الفرنسى ضرورة لازمة ، وإخلاصاً للوطن ، وعملا لا لوم فيه ولا تثريب .

ولكن هذه الطريقة لا يمكن أن تجدى إلا فى جزء يسير من التوزيع فى الخفاء ، والأكثر أن يتولى المستهلك بنفسه أمر الحصول على الطعام الخارج عن جرايته ، فيخرج إلى الريف على دراجة أو بالقطار ، فترى أصحاب الدراجات يتسللون إلى المدينة بعد الغسق وسلالهم محملة بالمؤن . أما الرحلة بالقطار فهى أشد خطراً ، ولكن آلافاً من الباريسيين كانوا يرتحلون كل أسبوع إلى نورمندى ليشتروا الطعام . وقد قبض

على كثيرين ، ولكن عدد الألمان لم يكن يكفى إلا لفحص جزء قليل من أمتعة المسافرين . وعلى مر الأيام أصبح الفحص عملا سهلا بيناً ، فصار بعض المفتشين لا يبذل إلا شطراً من جهده فى أداء عمله . وقد أخبرنى أحد الباريسيين أنه وصل مرة إلى محطة سان لازار ومعه حقيبتان كبيرتان تجاه المفتش الفرنسى يصحبه ألمانى وسأل الرجل عما فى الحقيبتين ، فأجاب المسافر : « خنزير سمين ولا ريب ! » ثم ضحك الثلاثة ، وسار هو فى طريقه . ولقد كان خنزيراً مقطعاً . وكانت طرود كثيرة ترسل بالبريد وكثير من الموظفين النازيين كانوا يزاولون تجارة خفية تحتويها طرود البريد ، فهم لا يحبون أن يفتش البريد تفتيشاً دقيقاً .

فإذا كان لأسرة من سكان المدينة صلة بالريف جعلوا لأصحابهم وجيرانهم نصيباً من خيرها . وقد أخبرتنى سيدة باريسية أن صلتها بالريف هى صلتها بعمة لها عجوز كانت تقيم بالقرب من أفرانش ، فكانت العجوز تقطع بدراجتها ما بين ١٥ ميلا و ٢٠ ميلا فى اليوم ، تجمع الزاد من عدد من المزارع وتصدرها بالبريد إلى ست أسر .

وقد حاول الألمان أن يفسدوا عليهم عملهم ، فأخذوا من المزارع خير رجالها ، وخفضوا مقادير الجراية مرة أخرى ، وزادوا مقادير ما يرسل من الطعام إلى ألمانيا . وبذلك ظل الناس جياعاً ضعافاً ، إلا أن ذلك النظام الخفى وقى الأمة شر الهلاك .

وقد نقصت نسبة الوفيات حتى أنها لم تزد ، عند ما تم تحرير البلاد ، غير اثنين فى المئة عما كانت قبل الحرب ، إلا أن نسبة الأمراض التى يورثها سوء التغذية ظلت عالية ، وكان شرها السل ، فقد بلغت نسبة زيادته ١٥ فى المئة . ولم يزل وزن الشبان البالغين دون ما ينبغى ، وكثير منهم لا يستطيعون أن يؤدوا عمل يوم كامل .

أما الأطفال فقد بدأت أبدانهم تنمو مرة أخرى ، وإن كان من المحتمل أن وزن ٧٠ فى المئة منهم لم يزل دون ما ينبغى . ولكن الأطفال ليّنو الأبدان كل اللين ، فالغذاء الطبيعى ، إذا ما ردّ عليهم ، يضمن لهم أن يصيروا إلى الصحة والعافية .

وجاء أغسطس عام ١٩٤٤ ، وتسابق الحلفاء فى أرض فرنسا ، ثم دخلوا باريس ، ويومئذ قال الرجل منهم لنفسه : سوف آكل كما يجب مرة أخرى . نعم ، سوف أنعم مرة أخرى بالمرق الدسم والدجاج المسلوق فى النبيذ الأحمر والبصل ، وسوف أنعم باللوبياء الطرية مطبوخة بالزبد ، وبقطع الجبن الكبيرة المستديرة الذهبية اللون .

ولكن لشد ما خاب أمله ، ففي خريف سنة ١٩٤٤ وشتائها، كان الطعام المتيسر فى فرنسا أقل مما كان فى عهد الاحتلال الألمانى.

هذا أمر لم يكن منه مفر ، فإن الألمان المتقهقرين حملوا معهم ما استطاعوا حمله من الزاد ثم أتلفوا الباقى ، وأخذوا القاطرات ومركبات السكك الحديدية والسيارات أو حطموها . وقد خربت قذائف طائرات الحلفاء والألمان ونيران مدافعهم : القضبان والجسور ، وبذلك عاقوا نقل الطعام .وكان البنزين قليلا لا يكفى آلات الزراعة، وكذلك كان الفحم المطلوب لمعامل السكر . وقد منع صيد السمك من أجل الأعمال البحرية الحربية فى المانش . فلاتقاء كارثة ككارثة عام ١٩٤٠ ، وضعت الحكومة الفرنسية الجديدة نظاما جديداً للجراية ، ولكن الشعب ظل يخالف القانون، وإن كان يومئذ قانون حكومتهم. وجعل كل امرئ يشكو شر السوق السوداء ولكنه يشارك فى رواجها . ولا يزال صبي البدال يقوم بتسليم بضاعته من الطعام الخارج عن الجراية وتزدهر مطاعم السوق السوداء ، حيث يقدم العشاء الفاخر ، وهى تتقاضى عشرين ريالا عن الفرد الواحد. ولا تزال تأتى إلى باريس حمولة عربات من الزبد المهرب ، وكذلك السفر إلى الريف فى طلب الطعام لم يزل مستمراً .

من العسير على شعب دُفع إلى الحرية دفعاً بعد أربع سنوات قضاها مستعبداً ، أن يقلع من فوره عن عادات ألفها فى تلك السنوات . ولكنهم إذا أصلحوا فاسد عملهم فى أمر الجراية وتوزيعها ، وإذا حول الحلفاء بعض مجهودهم للمساعدة فى إصلاح وسائل النقل ، فعسى أن يظفر الفرنسيون فى النهاية بالعافية المستردة ، لا بل بما هو خير من ذلك أثراً فى حياتهم . لقد كانت فرنسا قبل الحرب أمة متخاذلة، وكل طبقة من الناس تحارب أختها ، ولكن هناك ما يدل على أن روح المشاركة التى نمت فى عهد الاحتلال سوف تتجلى فى حياة الأمة السياسية والاقتصادية بعد الحرب .



تزوج ملازم فى الجيش ، فاحتفل بهما أصدقاؤهما قبل سفر الزوج إلى ميدان القتال ، فرفع الملازم كأسه ليشرب تحيةَ عروسه الجميلة وابتسم وقال : « هذه هى المرة الوحيدة التى أخلف فيها مستقبلى وراء ظهرى » .

[رِسدْ أشر فى مجلة « كارانان »]

تصنع من اد السليكونية العجيبة أشياء لا يمكن أن تصنع من غيرها ، حتى لقد أصبحت صناعة كبيرة جديدة .

جلد صناعي وغيره في العجائب الكيميائية

هارلند مانشستر
ملخصة عن مجلة " ذي روتيريان "

منذ سنة تقريباً عمد أحد رجال قسم الإعلان عن شركة « جنرال إلكتريك » إلى علبة سجائر ففتحها ، ثم قذف السجائر في وعاء من الماء .

ثم قال للصحفيين المجتمعين : « تفضلوا فدخنوا » فلما رفعوا السجائر من الماء ، تحدّر الماء عنها قطرات ، ولم يصبها حتى بلل .

وبعد بضعة أشهر أخذ مهندسو « وستنجهوس » محركا كهربائياً قوته ثلاثة حصن وفككوا أجزاءه ثم أعادوا تركيبها بعد أن لفوا عليها نوعاً جديداً سريًا من السلك العازل ، فإذا المحرك يولد قوة عشرة حصن .

وعلى إثر ذلك حلقت القلاع الطائرة المتفوقة فوق طوكيو مجهزة بمادة تشبه المطاط لتغطية المفاصل والأسطوانات وغيرها ، فاحتملت الحرارة احتمالا لا تطيقه أية مادة أخرى .

ثم ظهرت منذ أسابيع مادة جديدة ساحرة تشبه الجلد الناعم ، وتبدو كأنها الصلصال ، ولكن إذا لففتها وجعلتها كتلة ، ثم ألقيتها على الأرض ، فإنها ترتد كأنها كرة .

هذه الأعمال العجيبة ، وكثير مما هو على غرارها ، إنما هي نتيجة لخواص « السليكونات » وهي طائفة جديدة من المواد الراتنجية الصناعية ، وأروع تطور في العجائب الكيميائية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة . والفضل في استحداث هذه المادة الجديدة المتعددة المنافع وتحسينها ، يرجع إلى رجال البحث العلمي في شركتي « داو الكيميائية » ومصانع « كورننج » للزجاج .

تصنع السليكونات جميعاً من مواد أساسية واحدة — البترول والماء الملح والرمل . والمادة الجديدة متفاوتة الأشكال من غاز يتلاشى في الهواء الرقيق ، إلى مادة صلبة كالصخر . وقد تكون سائلة كالماء ، أو كالزيت الكثيف ، أو كالمطاط اللين . ومهما كان القالب الذي تفرغ فيه ، فهي ذات مزايا غير متوقعة لا تقوّم بمال . وقد عولجت السجاير ، ورقاً وطباقاً ،

ببخار السليكونات ، فغدت ممتنعة على نفاذ الماء . وقد عرض الدكتور أ . ل . مارشال أحد الرواد فى استحداث السليكونات عرضاً ليبين إحدى مزاياها . أمسك بيده فوطة مصنوعة من الورق ، فوق إناء يحتوى على سائل سليكونى شفاف ، ثم رش الماء على الورق . فظلت كل قطرة من الماء قطرة فَرْدَةً . فلما أمال الورقة تدحرجت القطرات عنها قطرة قطرة ، وبقيت الورقة لا أثر للبلل فيها . فقال الدكتور مارشال : إن التعرض لبخار السائل السليكونى يضفى على ألياف الورق غشاءً يبلغ من الرقة مبلغاً يعجز المجهر عن تبينه ، ولكنه مقيم على الزمن بحيث تتدحرج قطرات الماء عن ورق عولج به منذ ثلاث سنوات .

هـذه المزية المفردة فى المادة الراتنجية الجديدة ، تفتح أبواباً كثيرة من الرجاء ، مثل أكياس من الورق لا ينفذ منها الماء لدكاكين الخضر ، وأغطية للرأس ترد الماء وتباع لمشاهدى مباريات الكرة بثمن إحدى شطائر الطعام ، وفى الوسع معالجة ملابس الصيف الخفيفة والأحذية بهذا البخار . وقد يستطيع الناس يوماً ما ، أن ينطلقوا آمنين فى المطر المنهمر ، على حين ترتد قطرات المطر عن ثيابهم فتتركها جافة ، وإذا غسلت هذه الملابس أو نظفت بالبخار لم تفقد هـذه الطبقة الواقية الخفية .

وقد استعمل هذا العلاج بالبخار السليكونى فى الطائرات المقاتلة ، فحال دون انقطاع أسباب التخاطب بالراديو . فحين تغيب طائرة فى سحابة ممطرة ، تمتص الأجزاء العازلة المصنوعة من الخزف فى أجهزة الراديو قدراً من الماء ، فتتصل الدورة الكهربائية بين الأطراف ، ويعجز جهاز الراديو عن العمل . فإذا عولجت الأجزاء العازلة بالبخار السليكونى ، تحدّر عنها الماء كما يتحدر عن ظهر بطة .

إن قوة محرك كهربائى ومدة نفعه يرتبطان ارتباطاً كبيراً بمقدار الحرارة التى تستطيع أجزاؤه العازلة أن تتحملها دون أن تحترق . وقد تعاون مهندسو شركة « داو كورننج » — وهى شركة أنشئت فى مشيجن سنة ١٩٤٣ للتخصص فى صنع هذه المادة الراتنجية الجديدة — مع مهندسى وستنجهوس فى تجربة الأجزاء العازلة المصنوعة من هذا الراتينج . فالمحرك الكهربائى فى الترام لا يحتمل عادة حرارة أعلى من ١٣٠ درجة سنتجراد ، فلفت عليه أسلاك عازلة معالجة بالمادة السليكونية ، وجعل يدور دوراناً سريعاً حتى سجل مقياس الحرارة درجة ٢٥٠ سنتجراد . وكان المحرك لم يزل كأحسن ما يكون بعد

ثلاثة آلاف ساعة من الدوران — وهذا يعدل دوران المحرك ٤٠٠ سنة قديماً ، واستعمال هذه الوسيلة في العزل يعني أن المحركات يمكن أن تكون أصغر وأخف ، وأخلق بالاعتماد عليها في كل ما يطلب منها .

هذه المادة الرائعة الجديدة المصنوعة كيميائياً ، يمكن أن تحول شحماً شبيهاً بالغازلين ، فلا يتجمد إذا هبطت الحرارة عن درجة ٤٠ تحت الصفر ، ولا يسيل إذا ارتفعت إلى درجة ٢٠٤ ٤/٩ فوق الصفر . فزيوت التزييت المصنوعة منه تنساب حين تكون درجة الحرارة ٧٣ ١/٣ تحت الصفر ، وإذن ففائدة استعمالها واضحة في طائرات كثيراً ما تحلق في دقائق ، من سطح مطار في منطقة استوائية حارة إلى أطباق الجو العالية الباردة .

هذه الصفة النافعة من صفات السليكونات — وهي قلة التأثر بالحرارة أو البرد — تخفي وراءها قصة ما تم في بناء جزيء . إن عنصر الكربون هو اللبنة الأصيلة في بناء الجزيئات المتشابكة في سلسلة طويلة ، والتي تصنع منها العجائن الكيميائية وكذلك أصناف المطاط الطبيعي والمصنوع . فالكربون لا غنى عنه في العجائن ، ولكن الكربون يتأثر بالحرارة . وقد قضى العلماء سنين يحاولون أن يدخلوا في تركيب هذه الجزيئات مادة تقاوم الحرارة . وعنصر السليكون الذي يكون في الرمل والبلور الصخري (الكوارتز) ، والذي هو من أكثر العناصر في أديم الأرض ، هو أقل من الكربون تأثراً بالحرارة ، فيجعل للعجائن مزية في مقاومة الحرارة . وقد ظفر العلماء أخيراً بما يريدون ، فاعتمدوا على أسلوب من المزاوجة الكيميائية : وضعوا جزيئاً جديداً كل الجدة وقوامه ذرات السليكون والأكسيجين بدلا من الكربون . وفي هذه المزاوجة الكيميائية بين طائفتين من العناصر لم تتحدا قط من قبل ، يتخذ الجزيء من السليكون مزية مقاومة الحرارة العالية والبرد الشديد ، ويتخذ من الكربون صفة تعدد المنافع التي تتيح للعلماء ورجال الصناعة أن يصنعوا من السليكونات مواد متعددة سائلة أو جامدة .

وقد ظل الأستاذ ف . س . كيبنج ، في جامعة نوتنجهام بإنجلترا ، يدرس هذا الموضوع هو وطلبته أربعين سنة ، فوضع القواعد العلمية لهذه المادة العجيبة الجديدة . وقد صنع مركبات سليكونية تشبه الغراء ، ولكنه خلص إلى أنه لا يرجى منها نفع تجاري . ولكن الدكتور إ . س . سليفان أحد باحثي مصانع كورننج ، قرر منذ

عشر سـنوات ، أن يجوب ببحثه الميدان الـكيميائى ، الواقع بين الزجاج والعجائن . فبنى على الأساس الذى وضعه كيتنج وصنع عجينة سليكونية صالحة . وكانت شركته تعلم كل مايعرف عن الزجاج ، فعمدت طبعاً إلى الاشـتراك مع شركة داو الـكيميائية ، وكانت فى طليعة الشركات التى تنتج العجائن ، وإذا للمادة الجديدة فوائد حربيـة سرية ، فبنت الشركتان مصنعاً جديداً كامل العدة لتلبية الطلب المتزايد .

وفى خلال ذلك كان الدكتور مارشال وغيره من علماء جنرال إلكتريك ، يوجهون تجاربهم إلى صنع مطاط سليكونى . ومن الأصناف العجيبة التى صنعوها ، تلك المـادة التى ترتد كالـكرة ، وقد سبقت الإشـارة إليها ، هـذه المادة الغريبة تمط كاللبان ولـكنها لا تلصق . فإذا طبعت عليها طابعاً (كليشيه) حفرت عليها صورة واضحة ، وإذا صنعت منهـا كرة وقذفتها على الأرض ارتدت تتـنزّى ، وإذا وضعت على الأرض استرخت وأصبحت كتلة مستديرة من الغراء اللين . وقد كانت طائفـة من النماذج التى رأيتها قَصِـفة كالزجاج (سهلة الانكسار) وكانت أخرى مما يُمَـطّل أليافاً دقيقة طولها أقدام كثيرة . وهـذه المـادة السليكونية تصطبغ بأى لون تريد ، ولـكن لم يكشف حتى الآن لهذه المـادة المسلية منفعة عملية .

أما المطاط السليكونى الذى صنع بعـد سنوات من التجارب التى أجراها الدكتور مارشال ، فليس لعبـة من اللعب . وقد كشفت طريقة لتنقيته ، فيحتفظ احتفاظاً دائماً بالشكل الذى يفرغ فيه ولـكنه مع ذلك يبقى مرناً . ففى القلاع الطائرة المتفوقة الضخمة تتولد حرارة عالية جداً فى الأجهزة التى تغذى المحركات ورجال الطائرة بنسمة الحياة فى الهواء اللطيف على ارتفاعات عالية . فلم يكن بدّ من مادة مرنة لتغطية صناديق الأجهزة تغطية محكمة . وقد أثبتت التجربة أن أنواع المطاط الطبيعى والصناعى ، لا تلبث أن تصبح قَصِـفة ولا نفع فيها . أما المطاط السليكونى ، وهو لم يكد يخرج من المختبر ، فخير مادة لهذا الغرض .

وحين احتاج الأسـطول الأمريكى إلى مادة مرنة لتكون بمنزلة الوسـادة لعدسات المصـابيح الـكشافة تقيهـا رجَّة إطـلاق القنابل ، جرب رجاله هذا المطاط السليكونى . وهذه المصابيح تتعرض لبرد يبلغ ٤٠ تحت الصفر ولحرارة تبلغ ١٧١ درجة ، فلم يحترق هذا المطاط المصنوع من الرمل ولم يجفّ ولم يتشقق .

وقد حال ضعف مط هـذا النوع من المطاط دون استهلاكه فى كثير من الوجوه

كإطارات السيارات مثلا . على أن المهندسين واثقون بقدرتهم على التغلب على هذه العقبة التى تحدّ من استعماله ، وعندئذ يصبح عمر الإطارات المصنوعة من المطاط السليكونى المقاوم للحرارة — وهى تعدأحد أسباب هلاك الإطار — كعمر السيارة نفسها.

وينتظر أن يكون للمواد الراتنجية السليكونية السائلة ، مستقبل عظيم فى أنواع الدهان والميناء التى تقاوم تأثير الحرارة وضوء الشمس والمواد الكيميائية الأكّالة . وقد رأيت فى مختبر جنرال إلكتريك لوحةً من الفلز طليت بميناء سليكونى ، ووضعت مئة ساعة فى فرن بلغت حرارته ٢٥٠ درجة سنتجراد ، وكان الطلاء لم يزل أبيض كما كان حين وضع فى الفرن . فطلاء من هذا النوع يجب أن يشتد الإقبال عليه فى طلاء أفران الطبخ والمدفئات ، وجميع المعدات التى تطلى عادة بالميناء . وقد دلت الأبحاث على أن الطلاء السليكونى لا يتأثر بالتعرض لضوء الشمس سنين كثيرة ، وهذا يجعله خير ما تطلى به الأشياء المكشوفة للضوء والحرارة كالسيارات .

كان ارتقاء صناعة المواد السليكونية ارتقاءً سريعاً ، فلذلك لا تزال منافعه المرجوة فى المستقبل ضرباً من الظنون ، ولكن رجال البحث العلمى شديدو الحماسة، وجميع الدلائل تدل على أن هذا الأمر ليس ظهورَ عجينة كيميائية جديدة وحسب — بل هو مولد صناعة جديدة .



هذه قصة جندى عن خادم عربة الأكل الذى دأب على جواب واحد كلما سئل عن خير إفطار يستطيع أن يقدمه للركاب ، وقد كان الجواب : « لا تتعب نفسك . كل الطعام سواء — فى رداءته » .

فطلب الجندى عجة مصنوعة على الطريقة الإسبانية وما يتبعها ، وحين فرغ من أكلها استدعى الخادم وقال : « كانت لذيذة — فلماذا قلت ما قلت ؟ » .

فقال الخادم : « أقول دائماً لكل من يسأل ، إن الطعام ليس جيداً ، لحين يأكله يفاجأ مفاجأة تسرّ » ثم انحنى على أذن الجندى وهمس قائلا : « إننى ، كما ترى ، سيكولوجى ! » .

[صحيفة « ب . م »]

أتحسبني أخادعك ؟

ج . س . فرناس

ملخصة عن مجلة " إسكوايير "

اللغز من أبعث الوسائل على الرضى ، لتزويده البشر بما يشتاقون إليه من أن يشعروا كأنهم بله .

وللتمثيل وعلى سبيل البيان أذكر قصة العربى القديم ، وكان رجلا حاد الطبع ، شغف ابناه إلى حد الجنون بسباق الخيل وكان لكل منهما حصان سريع . وأضجر الشيخ جدالهم الذى لاينتهى فى أى الجوادين أسرع ، وبلغ من ضيقه بذلك أنه لما مات ترك وصية يوصى فيها بما يملك لابنه الذى يخسر جواده فى السباق من مكة إلى المدينة .

فاشتدت الحيرة بالفتيين حيال هذا المشكل : كيف تخسر فى السباق إذا كان مسابقك أيضاً يريد أن يخسر ؟ ولكنه كان عليهما أن يحاولا ، فانطلقا يكبحان الجوادين ، ويستديران راجعين ، ويرهقان حصانيهما ولا يبلغان مكاناً ما بسرعة . فلما جن الليل كانا عند منتصف الطريق إلى المدينة ، فاتفقا على المبيت فى خان مريح ، واستئناف السير فى الصباح .

ووجدا فى الخان أعرابيا حكيما بثّاه متاعبهما ، فقال إن مسألتهما فى غاية السهولة ، وهمس فى أذن أحدهما شيئاً ، وفى أذن أخيه نفس الشىء ، وانصرف . فضرب الأخوان ركبتيهما فرحين ، وفى صباح اليوم التالى أسرجا جواديهما وركبا إلى المدينة ، وحثّاهما على إخراج كل ما عندهما من الجرى . وكان سباقاً رائعاً فربح جواد ، وخسر جواد ، وحصل ما تتطلبه الوصية . ولكن ماذا قال ذلك الشيخ الأعرابى حتى حملهما على هذا التصرف ؟

وهذه قصة قديمة تتفاوت رواياتها ، ولكنها مما كانت تحفظه عمتك أو جدتك ، وأخلق بها أن تنبئك بها إذا سألتها . ومهما يكن مبلغ قدمها فإنك تكون ذكيا إذا أدركت سرّها وحللت لغزها . وما يقدر على الحل أكثر من واحد من ثلاثة أو أربعة — يبتسم ويخبرك أن الشيخ الأعرابى الحكيم أشار على الفتيين أن يركب كل منهما جواد الآخر .

وإذا اهتديت إلى حل الأعرابى ، وظننت أن هذا أمر سهل ، فإليك أصعب الألغاز ومن مزاياه أنه أبسطها . يخرج رجل اسمه سميث — أو جونز إذا شئت — ليتمشى

فيلقى صديقاً قديماً لم يره ولم يسمع عنه خبراً منذ عشرين سنة ، فيقول الصديق القديم : « لقد تزوجت مذ قابلتك آخر مرة ، ولنا بنت صغيرة ، ها هى ذى » فيلقى المستر سميث على البنت الصغيرة هذا السؤال : « ما اسمك يا صغيرتى ؟ » وتنزع الصغيرة إلى المشاكسة فتقول : « إن اسمى كاسم أمى » فيقول المستر سميث : « آه ! إذن اسمك مرغريت ؟ » فتقول الفتاة الصغيرة : « نعم » . والآن كيف عرف المستر سميث أن الاسم هو مرغريت ؟

والجواب تدركه بالبداهة كما تدرك الموسيقية فى قصيدة من الغزل . وقد رأيت محامياً ملحوظ المنزلة له عقل كأنه فخ من الصلب ، يعكف على نسخة مطبوعة من هذا اللغز أسبوعاً ثم ينفض يده يائساً . وتستطيع أن تعابث فريستك بالتلميحات فتقول له إنه افترض فرضاً غير صحيح ، وتدعه يحاول الاهتداء إليه ، وقل له إنه لا يستطيع أن يقص هذه القصة بأية لغة أوربية معروفة جيداً ، غير الإنجليزية ، بدون أن يكشف عن موضع السر فيها ، والجواب المحنق الذى يمحو الإلغاز هو أن « صديق » المستر سميث ، القديم ، امرأة وكان المستر سميث يعرف اسمها الأول بالطبع ، ولكنك تفترض دائماً أن الصديق القديم رجل — فتضل ولا تهتدى . فخذ حذرك حين تقص هذه القصة لئلا يزل لسانك « بهو » أو « هى » فيبطل اللغز . فإذا سألك بعضهم سؤالا ، وأساءوا فى أثناء ذلك الرواية ، فأعدها مظهراً الحلم واتلها عليهم مرة أخرى .

وهذه هى زبدة الجميع لأنه ليس فيها إلا ألزم ما يلزم لفخ دقيق يقع فيه الرجل . وهى — بالمقابلة — مثال فظيع لما يجب أن لا يكون عليه اللغز . وهى مشهورة ، وقد صنعوا منها حديثاً شريطاً سينمائيا .. إى نعم ، فإنها هى قصة الفتاة فى فندق بباريس .

عادت فتاة انجليزية وأمها من الهند ، ونزلتا فى أثناء رحلة الإياب بفندق فخم بباريس أثناء إقامة معرض سنة ١٩٠١ . وأحست ماما بتعب فى السفر ، فاستلقت فى غرفتها وخرجت الفتاة تستبضع . وبعد بضع ساعات تعود الفتاة وتصعد إلى الغرفة — ولكن ماما ليست فيها ، ولا الحقائب أيضاً . وأغرب من ذلك أن الغرفة يختلف شكلها — سريران آخران ، وكراسى ، وستائر ، وسجاجيد أخرى . (وفى الروايات المسرفة فى التنميق ترى الفتاة جنرالا فرنسياً كهلا فى الغرفة يغضبه جدا هذا الإزعاج) وتستوثق الفتاة من رقم الغرفة ، وتنزل وتلقى أسئلة عصبية ، فينكر كاتب الفندق

أنه رآها من قبل أو أنه أجر لها غرفة ، فتطلب مراجعة السجل — ولا بد أنه كان من النوع المفكاك الورقات — فلا تجد فيه توقيعها ، وإن كانت واثقة أنها كتبت اسمها فيه . وليس فى أى مكان أى دليل على أنها لم تحلم بالأمر كله . ولكن ماما اختفت — وليس هذا حلماً . فماذا حدث؟

وقد حل بولدوج دراموند اللغز فى الشريط السينمائى . والجواب هو أن ماما العائدة من الهند مصابة بالطاعون الدملى ، ولما كان انتشار خبر إصابة بالطاعون خليقاً أن يصد الناس عن المعرض فقد تعاون رجال الفندق مع السلطات على نقل السيدة إلى مكان آخر تموت فيه ، حتى ولو طار عقل ابنتها .

ولا يصلح تفسير كهذا يحتاج إلى إطالة وإسهاب والغز الجيد هو الذى يمكن حله بجملة واحدة موجزة .

ولكن للغز الخادم وصندوق البريد مزاياه . قالوا إن إنجليزيا غنيا قصد إلى « كان » مثلا ، وترك لخادمه أمراً بأن يحول إليه أوراقاً مهمة ستصل فى صباح اليوم التالى لسفره ، وأعطاه تعليمات يستعين بها على معرفة الظرف . وانتظر فى كان أسبوعاً ، فلم تصل إليه أوراق . فأبرق إلى الخادم يسأله عن السبب ، فرد الخادم ببرقية بأن الأوراق وصلت ، وأنه استطاع أن يرى الظرف من فتحة الصندوق ، ولكن سيده سافر ومعه المفتاح ، فهو لا يستطيع أن يفتحه (وعليك أن تفترض أن الخادم غبى فقد كان يستطيع أن ينتظر ساعى البريد أو يجىء بمن يفتح له القفل) . فأبرق السيد بأنه سيرسل المفتاح وأن على الخادم أن يعجل بإرسال الأوراق ، ولكن الأوراق لم تصل قط إلى كان . فلماذا ؟

وستسمع أسئلة كهذه : نعم ، السيد كان لايزال ينتظر فى كان . كلا ، لم يمت الخادم. نعم ، وصل المفتاح إلخ إلخ . وأخيراً يهتدى بعض الأذكياء من سامعيك إلى الجواب الصحيح ، ذلك أن السيد أرسل المفتاح إلى الخادم بالبريد ، فصار هذا أيضاً داخل الصندوق محبوساً فيه !

ومن الألغاز الحسنة على الجملة ، لغز الأسكتلندى الذى استصحب زوجته إلى التيرول ، فذهبا أول يوم يصعدان فى الجبل، وبعد ساعات عاد الرجل فى حالة نفسية فظيعة يقول إن زوجته سقطت من فوق صخرة ، وأخرجوها ميتة . وكان الموضع الذى هوت فيه مشهوراً بأنه خطر ، وبرئت ساحة الزوج تماماً . ونشرت الصحف الإنجليزية صورته — فقد كان عضواً فى مجلس العموم — مع نبذة وجيزة روت فيها أن

زوجته لقيت حتفها وهى تتسلق الجبل ، ولكن رجلا واحداً فى لندن ، لم ير الزوج إلا مرة واحدة فى حياته ولم يكن يعرف اسمه ، استند إلى هذه الصورة وتلك النبذة فأدرك أنها جريمة قتل ، واتهم الزوج بذلك . فكيف أمكن أن يعرف ذلك ؟

وستتلقى سيلا من الأسئلة هنا . وليس للباعث أى صلة بالحل ، وعليك أن تؤكد الحقيقة التى لا يعتورها اختلاف وهى أن الرجل الذى وجه التهمة ما كان يعرف الزوج أو الزوجة . وكل ماعرفه هو وجه الزوج — وحقيقة أخرى تدينه . ومتى تعبت وكللت ، فقل لهم إن موجه التهمة هو موظف وكالة السفر الذى باع للزوج تذاكر الرحلة — تذكرة ذهاب لاثنين ، وتذكرة إياب لواحد .

وإليك لغزاً بسيطاً يشجع المكدودين — وهو قصة الرئيس القاسى ، وكان رئيساً لشركة صناعية ، فقرر أن يقوم برحلة فى سبيل عمله ، وفى اليوم السابق لسفره جاءه رجل هرم يعمل عنده كحارس ليلى ، وقال له إنه مضطر أن يتكلم لأنه فى الليلة السابقة رأى فى الحلم أن الرئيس أعيد إلى بيته فى نعش ، وهو واثق أن الرئيس سيصيبه مكروه إذا قام بالرحلة . فقال الرئيس لما سمع منه ذلك: « اسمع يا هذا . إنك مطرود » والآن لماذا طرد الرئيس هذا الرجل المسكين وجازاه بذلك على محاولته أن ينقذ حياته ؟ .

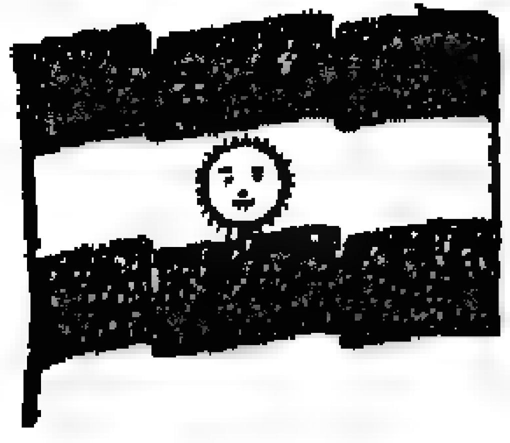
كلا ، لم يكن خسيساً بطبيعته ، ولم يكن ممن تثيرهم الخرافات ، بل الواقع أن الرئيس كان يسخطه أشد السخط أن يرى حارس الليل يحلم فى الليل .

وأخيراً إليك لغز الأمريكى الثرى الذى أصيب بفقر دم حاد حتى احتاج أن ينقل إليه الدم كل شهر إبقاء على حياته ، وكان يقضى فترة الراحة فى إسكتلندة ، فذهب إلى أدنبره لنقل الدم إليه . وبلغ من رضاه أول مرة عن واهب دمه وعن الخدمة أنه لم يسأل عن التكاليف ، بل أعطى كلا من واهب الدم ومن الدكتور مئة جنيه . وفى المرة الثانية كان الحال باعثاً على رضاه كذلك ولكنه لم يعط كلا منهما سوى ٥٠ جنيهاً ، وفى المرة الثالثة كان كل شىء يدعو إلى الارتياح أيضاً ، ولكنه طلب الحساب ولم يدفع أكثر منه . والمسألة هى: لماذا نقص مايدفعه وإن كان لاشىء يدعو إلى الشكوى؟ والجواب — وأسرع فى الهرب قبل أن تقذف به — هو أن شرايينه امتلأت بالدم الإسكتلندى ؟

❦ ❦ ❦ ❦

ذهب أحد المراسلين الصحفيين إلى الأرجنتين لكى يدرس كل ما لها وما عليها فكتب هذا ، وهو . . .

تقرير عن الأرجنتين



جون لسيير • ملخصة عن مجلة " ستردای إيفننج پوست "

الأرجنتيني الصميم أنه يستطيع أن يبذّ أى إنسان لأنه أرجنتيني وكفى ، وأن حقوقه الخاصة ينبغى أن تكون المقدّمة ، وليس ذلك إذا نازع الأرجنتيني خصما من أى الناس كان فحسب ، بل أيضاً حين ينازع الأرجنتيني أرجنتينياً مثله . وترى المارة فى شوارع بوينس إيرس يؤثرون أن يصدم بعضهم بعضاً على أن يفسح أحدهم طريقاً لأخيه ، وكثيراً ما ترى سائق سيارة صدم حاجزها يظل يطارد السيارة الأخرى حتى يصدمها صدمة أشد .

وهذا الذى يُرى سخافة ، يرجع إلى خوف متأصل فى الشعب كافة من أن يظن بأحدهم أنه مغفل . وأن يكون الرجل مغفلا حقا ليس أمراً ذا بال ، أما أن تجعله فى أعين الناس مغفلا فهو عليه أشد غضاضة من الموت .

ونحن ، سكانَ الولايات المتحدة ، كمثل أهل الأرجنتين غيرة على حقوقنا الخاصة ، وسرّ الخلاف الذى بيننا وبين أهل الأرجنتين هو أنهم يعتقدون أننا نحاول أن نجعلهم مغفلين فى أعين الناس ، على حين أننا نعتقد أنهم يحاولون أن يجعلونا فى أعين الناس كذلك .

وهذه الخصومة هى التى أشاعت بين الناس أن ثورة الأرجنتين فى ٤ يونيو سنة ١٩٤٣ ، تلك الثورة التى طاحت بالرئيس رامون كاستيلو ، كانت موجهة بطريقة ما إلى الولايات المتحدة ، ولا شىء أنأى عن الحق من ذلك ، فقد كانت ثورة أرجنتينية خالصة .

عند ما شبت الثورة كان الشعب كله يناصرها ، وكان يرجو فيها أن تغير النظام الاقتصادى الإقطاعى الذى جعل الكثرة من سكان الأرجنتين رقيقاً فى مزارع القلة المختارة ، وهى حفنة من الأغنياء — نحو ٢٠٠٠ أسرة أو ٣٠٠٠ — قد سيطرت منذ زمان على ١٣٫٥٠٠٫٠٠٠ من أهل الأرجنتين ، بما ملكوا من سهوب المراعى الرائعة الخصب .

وقد مضى على الثورة أكثر من عام ، والناس لا يزالون يؤملون أن سيحدث التغيير ، ولكنهم لم يعودوا يؤمنون برجال

الحكم. وليست الحكومة الحاضرة أكثر ولا أقل من عصابة متنابذة من الجنود يختلفون فيما بينهم على ما ينبغي أن يُفعل ، وعلى أيهم يحوز فخره ، وليس لهم اهتمام بما يجرى فى الدنيا إلا بمقدار ما يؤثر فى مستقبلهم هم أنفسهم فى الجيش .

وتسير الأمور فى هذه الحكومة العجيبة على نهج معكوس ، فالرئيس أدلميرو فاريل جنرال فى الجيش ، وجوان بيرون نائبه ويعرف بالكولونيل لأنه كولونيل فى الجيش ، هو الذى يأمر الجنرال بما ينبغى أن يصنع . وهو عظيم المطامع ، ونشاطه الذى لا يحد جعله قادراً على أن يتولى أعمال وزير الحرب ووزير العمل والخدمة الاجتماعية ، علاوة على أعمال نائب الرئيس ، ومع ذلك فليس هو صاحب الحل والعقد ، فإنه يتلقى الأمر من عصبة من الضباط فى رتبة صاغ ويوزباشى وملازم ، وهم الذين تولوا الثورة .

وقوة هذه الجماعة من الجند أمر لا إبهام فيه ، فهى القوة القاهرة وحدها . وهم من رجال « الكامبوده مايو » ، وهو حرس مؤلف من وحدات من كل فرع من فروع الجيش ، مزود بأحسن الأسلحة والعدد ، وليس ثمة حرس آخر يبلغ من قوته وتماسكه أن يصد جيوش الكامبوده مايو إذا ما تحركت قاصدة « الكازا روسادا » ، وهو البناء الأشقر الإسبانى القديم الذى يضاهى البيت الأبيض . وهى قوة ساكنة ولكنها خطر دائم . ومنذ كانت الثورة تداول الحكم ثلاثة رؤساء ، وثلاثة نواب رؤساء ، ونحو ستة وثلاثين من الوزراء . وخلال هذه التقلبات كلها كان قائد الكامبوده مايو الكولونيل إدواردو أفالوس يجلس فى مجلس الوزراء ، ساكن الوجه ، وهو لا يشغل منصباً فى الوزارة ولا يحمل تبعة — ولكنه يستطيع أن ينقض أى قرار .

ويعتقد الناس كافة فى غير الأرجنتين أن كاستيلو إنما سقط لأن أهل الأرجنتين سخطوا منه سياسة الحياد ، ولكن قليل من أهل الأرجنتين من يودّ لها بعض الود أن تغير شيئاً من موقفها الذى يجلب لها الربح ، وهو موقف الدولة المحايدة . أما منشأ هذا الرأى الفاسد ، فهو أن كاستيلو قد كمم أفواه معارضيه — وهى حركة وصفتها المعارضة بأنها ميل إلى هتلر . والواقع أن سياسة تكميم الأفواه هذه ، ليست إلا جزءاً من جهود كاستيلو حتى يستمرّ حكم « القلة المختارة » على يد الحزب المحافظ .

ولجمهرة الشعب الأرجنتينى عقيدة سياسية تخالف عقيدة القلة المختارة ، وهى وإن كانت تعدّ مبدأ معتدلا من مبادىء الأحرار

فى كل مكان آخر على وجه التقريب ، إلا أنها تسمى مبدأها مبدأ المتطرفين . وقد حارب هؤلاء المتطرفون المحافظين ربع قرن ، حتى إذا كانت سنة ١٩١٦ انتخب الرئيس منهم ، وتلتها أربعة عشر عاماً . فكانت الفترة الوحيدة فى تاريخ الأرجنتين التى كان للبلاد فيها حكومة ديمقراطية صحيحة . وقد طبق المتطرفون برنامجاً يشمل قانون تحديد أدنى الأجور ، وقانون جعل مدة العمل ثمانى ساعات، وقانون تخفيض أجور السكن، وإبطال القصاصات التى استعملها البارونات مكان النقود لكى يظل عمالهم فى رق مطلق، ولكن المتطرفين انزلقوا إلى سياسة تثير الريب ، فاتخذها قائد سياسى طموح تهمة لهم ، وأغرى الجيش بالاشتراك فى السياسة والاستيلاء على الحكومة بالقوة ، وذلك فى سنة ١٩٣٠ . وعاد الحزب المحافظ المريب إلى الحكم ، وظل قابضاً على زمامه ثلاث عشرة سنة بتزييف الانتخاب ، وبما كان فى صفوف المتطرفين من تصدع . ولم تكن قدمهم قط أثبت مما كانت فى زمن رياسة كاستيلو فى سنة ١٩٤٣، إذ استباح كل ضروب التزييف وكم الصحافة وألجم المعارضة .

ولما اختار كاستيلو محافظاً آخر خليفة يخلفه ، كان الشعب الأرجنتينى قد طفح كيله . ولكن المتطرفين ، برغم ظفرهم بما بين ٦٠ و ٨٠ فى المئة من الأصوات ، كان ينقصهم الزعيم القوى ، وكانت هذه هى الفرصة التى يترقبها أصحاب المطامح من ضباط الجيش ، فسارت جيوشهم تختال مرحاً إلى « كازا روسادا » يتغنون ويمزحون ، وبوليس المدينة يفسح لهم طريق المرور .

وكان برنامج الجنود فى الحكم هو القضاء على الغش ، ورفع المظالم عن الفقراء ، وتحويل الموارد الطبيعية إلى صناعات بأموال أرجنتينية وتحت إدارة أرجنتينية، ومصادرة ما يملكه الأجانب من المنافع العامة ، وإنشاء أهراء الغلال ومطاحن الدقيق، وذلك لتقليل نفقات المعيشة . وهذا برنامج يحبه الناس ، ولكن ليس فى الجيش سوى قليل ممن مارس عقبات العمل التى تعرض للحكومة كل يوم، ولم يكن الجيش يريد أن يولى أحداً من غير الجيش ثقته ، فنجم عن ذلك أن أصبح البرنامج نمطا مرقعاً تعبث به أيدٍ لا تلقى بالاً إلى الأساليب القانونية المعتادة ، ويُرى فى عملها من عدم المبالاة ما يصعق حتى من ينظر نظرة عابرة .

وأظهر شىء فى هذه الفوضى هو أن رجال الجيش مصممون على توطيد مكانة الأرجنتين من حيث هى أمة . وفى خلال الحرب فاقت قيمة الإنتاج الصناعى قيمة الإنتاج الزراعى لأول مرة ، وقد أتاحت

الحرب للأرجنتين أن يكون لها أسطول تجاري باستيلائها على سفن المحور . والأرجنتين في هذه الآونة متأهبة للسير في طريق استقلالها، أي التحرر من قبضة إنجلترا.

ولقد ظلت تلك البلاد تابعة للإمبراطورية البريطانية في الشؤون الاقتصادية نصف قرن، ولم يحدث تقدم عظيم في سهوبها إلا بعد أن قام البريطانيون فأنشأوا السكك الحديدية، وبيوتا لشحن اللحوم، ومنشآت في الموانىء لجمع غلال الأرجنتين ولحومها وأصوافها وجلودها وتخزينها وإرسالها في السفن إلى ما وراء البحار.

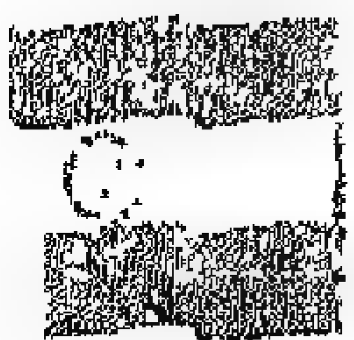
وكانت المصانع الإنجليزية تحول هذه المواد الخام إلى منتجات، لكي تباع في سائر أنحاء العالم. وتبلغ الأموال الإنجليزية المستثمرة في الأرجنتين اليوم ٥٫٤٣٩٫٠٨٤٫٠٠٠ بيزو، وهي ثلاثة أرباع مجموع المبالغ الأجنبية التي تستثمر في الأرجنتين.

ولقد كان لهذا عواقبه السياسية، فكثير من التجار البريطانيين أخذ يشجع الأرجنتين على التوجس من نيات الولايات المتحدة، وذلك لكي يستأثروا وحدهم بهذه السوق الواسعة. ولقد فعلوا في هذا السبيل أكثر مما فعله الألمان في بث العداوة بينها وبين الولايات المتحدة. والتجارة البريطانية أيضاً هي التي تمكن البارونات ملاك الأرض من الاحتفاظ بسلطانهم. وما دامت المواد الأرجنتينية الخام تصنع في إنجلترا، فإنه مما يزيد في رخاء ملاك الأرض أن لا يصنعوا شيئاً سوى تربية الماشية والزراعة وتسميد الأرض والحصاد، وبذلك تظل نفقات الإنتاج قليلة.

والسياسة القومية البراقة التي أخذت بها الحكومة العسكرية قد أخفت عن الأنظار معركة الأرجنتين في سبيل بلوغ استقلالها بأن تصير أمة صناعية. وقد قتل الجنود حرية الرأي وهم يهزون أعلام الوطنية، فمئات من المدرسين قد طردوا بلا تردد — بعضهم لأنهم يهود وبعضهم لأنهم ليسوا بكاثوليك، وبعضهم لأنهم كاثوليك يؤمنون بحرية العقل. وقد طرد ١٥٠ من طليعة مفكري الأرجنتين من وظائفهم لأنهم وقعوا منشوراً يطلبون فيه عودة الحقوق الديمقراطية.

وترى الزعماء السياسيين الشجعان القلائل إما في السجون وإما تحت الرقابة. وقد حلت اتحادات العمال، وفرضت على الصحافة والإذاعة رقابة مسرفة في قسوتها العجيبة.

وأول ما تفكر فيه الحكومة اليوم هو المحافظة على مكانة رجال الجيش. وقد زادت ميزانية الحرب في سنة ١٩٤٤ على ميزانية سنة ١٩٤٢ مرة ونصف مرة تقريباً،



وأعلنوا إنشاء فرقتين جديدتين على الأقل فى الجيش ، وأخذوا فى إنشاء ستين ثكنة جديدة فى نواحى البلاد المختلفة . ومصانع الآلات ومعامل سبك المعادن غارقة فى الأعمال الحربية ، ومناجم الحديد والنحاس تعان بالمال ، وألفت شركات لإنتاج الكروم والألمنيوم والزنك وكربور التنجستن والمطاط الصناعى والمركبات الكيميائية .

والشعب الأرجنتينى يؤيد هذه النواحى من البرنامج التى تبشر برفع مكانة الأرجنتين فى العالم . وهم يؤيدون الحكومة ، حتى وإن كانوا يعتقدون أنها مخطئة ، اذا ما هاجمها أى الدول الأجنبية كان ، ولاسيما الولايات المتحدة .

وعلى أن الأرجنتين قد ساعدت الولايات المتحدة فى هذه الحرب بأساليب كثيرة ، إلا أن الولايات المتحدة جعلت ترغى وتزبد لأنهم لم يفعلوا كل ما تريد . وفى خلال ذلك لم يقل البريطانيون شيئاً ، وظلوا يعاملون الأرجنتينيين كأن من حقها أن تفعل ما تريد ، فأفضى ذلك إلى أن أنفذت الأرجنتين خلال الحرب كل ما تريده الإنجليز ، حتى لقد فتحوا ثغورهم لسفن الحلفاء الحربية وطائراتهم .

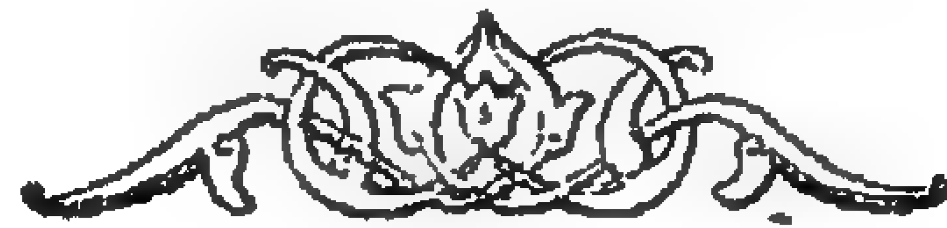
وترى الأرجنتينيين ، على ما يشقون به من شدة وطأة الحكومة العسكرية ، قد بلغ بهم رخاء العيش أن لا يبالوا فلم تزعجهم قط رغبة إلى الاشتراك فى الحرب مع أى الفريقين المتحاربين . فهم يهنأون باللحم والزبد والخضر والنبيذ غير مقيدين بنظام الجراية . وهم يعتقدون أن مشكلاتهم الاقتصادية بعد الحرب ستعجز عقول رجال الجيش الذين لا دربة لهم على علاجها ، فيومئذ يستدعى الخبراء فى الشؤون المالية والأعمال من غير رجال الجيش .

وإذا لم يكن فى نيتنا ، نحن الأمريكيين ، أن نخوض الحرب لإرغام أهل الأرجنتين على إنفاذ إرادتنا المضادة لرغباتهم ، فإن السلاح الوحيد الذى نستطيع أن نستعمله هو العقوبات الاقتصادية ، والعقوبات الاقتصادية لا تجدى بدون مساعدة إنجلترا ، وإنجلترا لا تريد العقوبات خشية أن تبور سوقها الهائلة فى الأرجنتين بعد الحرب .

فلو استطعنا بمساعدة إنجلترا ، أو بغير مساعدتها ، أن نفرض على الأرجنتين حكومة جديدة ، فلن تكون هذه الحكومة فى الوقت الحاضر إلا عصبة من رجال الجيش ، ولعلها تكون عصبة مقنعة ، أما أى عمل آخر فيحتاج إلي وقت حتى ينمو .

ولنفرض سوى ذلك أننا أخذنا بالرأى العملى فتركنا الحكومة الأرجنتينية للأرجنتينيين ، فسيكون عند الأرجنتين فى نهاية الحرب مبلغ ٧٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال

تنفقها ، وقد جمعت كل هذا المبلغ مما لها فى الخارج من بيع مؤونة الحرب للحلفاء . والأرجنتين تريد أن تنفق مقداراً كبيراً من هذا المبلغ فى شراء آلات لتقيم بها مصانعها ، والولايات المتحدة تريد أن تبيع آلات بعد الحرب حتى تستمر المصانع فى عملها ، وحتى يجد الناس ما يعملون . فإذا استطعنا أن تتفق نحن والأرجنتينيين ، فهم سيقبلون على الولايات المتحدة ليشتروا هذه الآلات . وتدل التجارب على أن الارجنتينى يدخل الولايات المتحدة ، وفى نفسه حفيظة على الأمريكيين ، ثم يفارقها وفى نفسه أننا خير الناس . فإذا فعلنا فعسى ، أن يكون ذلك أدنى إلى أن نظفر بودهم .



إلى الأصدقاء الذين لهم على دين الرد على رسائلهم :

حين أضع طابع بريد على رسالة أشعر بنشوة ، فها أنا أرسل قطعة من نفسى إلى آخر ، وآمر حكومتى أن تعيننى على ذلك . فإذا ما ألقيت الرسالة فى صندوق البريد كانت النشوة أعظم ، لأننى أعلم أن الرسالة سوف تتجاهل حد المكان ، وتطوى المسافات . قد تكون سفيراً له حق العقد والإبرام ، أو حكماً يبدد سوء التفاهم ، أو رسولا أفضيت إليه بسرى ليسره إلى سواى . إن فى هذه القصاصة المطوية من القوة ما يجعل أصابعى تتمهل فى إطلاق سراحها حتى أنعم بما فى هذا العمل من لذة .

إن إرسال رسالة بالبريد ، يبعث فى من النشوة ما يجعلنى أتمنى أن أجد وقتاً يتسع حتى أكتب رسالة واحدة .

[برجس جنصن فى « ستردي رفيو الأدبية »]



نابغة التهريج



لقد هزّ برستون سترجس ، زعيم واضعى الروايات المضحكة المغربة ، مدينة هوليود هزة عنيفة .

فرانك س. نوجنت
ملخصة عن مجلة " فرايتى "

زعيم مؤلفى الروايات المضحكة اليوم فى هوليود هو برستون سترجس (اسمه الأول — إدمون برستون بيدن) الذى وضع مهازل خارجة عن المألوف ، فهز بها صناعة السنما هزة لم تر مثلها منذ كانت الأفلام الناطقة . وقد رزقه الله خيالا مُغْرباً يضاهى خيال « والت دزنى » ، ويتنكب الطريق المطروق ولا يكاد يقربه حتى يتخطاه . وعسى أن يكون بين هذه الحقيقة وبلوغ أجره السنوى ربع مليون ريال ، صلة وثيقة .

وسترجس هو الرجل الذى عمد إلى أساليب هوليود العتيقة فى روايات التهريج فنفض عنها الغبار وصقلها وأدخل عليها محسنات من لدنه ؛ وأخرج فى خمس سنوات ثمانى روايات هازلة مبتدئاً برواية « ماك جنتى الكبير » وأتبعها بروايتى « السيدة حواء » و « معجزة خليج مورجان » ثم بأحدث رواياته وهى « حيّوا البطل » .

هذا الرجل الذى يكتب ويدير ويخرج وحده هذه المهازل التى تعدّ سخرية بالعقل هو رجل وثيق التركيب طوله ست أقدام ، يركب سيارة صغيرة أصغر من مركبة ابن له فى الثالثة من عمره . وإذا أراد أن يستدعى سكرتيرته ضغط بيده بوق سيارة قديمة ، متجاهلا جهاز التخاطب بين حجر المكتب . وعلى منضدة وراءه تمثال صغير ناله جائزة من أكاديمية الصور المتحركة . أما منزلة الشرف على منضدته فيحتلها تمثال ارتفاعه قدم واحدة ، ويمثل كفل جواد .

ولعل ما عاناه مكتب هيز للرقابة الأدبية بمدينة هوليود ، من برستون سترجس هو أضعاف ما عاناه من أى إنسان آخر . ولكن سترجس حاز النصر فى معركة بعد معركة بحيلة بسيطة هى أن يطيع نص القانون ويخالف روح كل مادة فيه . ومن مبادىء مكتب هيز أن الرذيلة ينبغى أن لا تزيّن للناس ، وأن مرتكب الشر

ينبغي أن يعاقب ، وأن الخير ينبغي أن يكون الأعلى .

ففي رواية « ماك جنتي الكبير » بدأ أثم شخص فيها سيرته السياسية بأن أعطى صوته في انتخاب واحد سبعاً وثلاثين مرة ، وأصبح أخيراً حاكم إحدى الولايات ، وحاول بسلطان الحب والوظيفة ، أن يعمل أول عمل نزيه في حياته ، فأهين من أجل ذلك واضطهد وتحطم . والعبرة الأخلاقية — أوغير الأخلاقية — المستخرجة من هذه الرواية غاية في الوضوح ، ولكن لما احتج مكتب الرقابة على الرواية قرأ عليهم سترجس نص القانون ، مذكراً لهم : إن مرتكب الشر ينبغي أن يعاقب ، فمجرم مثل « ماك جنتي » لا يمكن أن يظل في منصبه ، أليس كذلك ؟

أما ترودي كوكنبلوكر في رواية « معجزة خليج مورجان » فكانت فتاة شقراء تستهويها بزة الجند شهدت حفلة راقصة ، وفي أثناء الرقص صك رأسها الثريا ، فاستيقظت في غدها تذكر ذكرى غامضة أنها تزوجت في الليلة الماضية جنديا اسمه راتزكي . . . ولما كان راتزكي هذا قد سافر مع الجيش ، إذا « ترودي » تجد نفسها في ورطة كما يتبين من الفلم ، فهي لا تملك خاتم زواج ولا شهادة زواج بل تجدها لا تعلم كيف تكتب اسم زوجها .

وقد أنقذها سترجس من ورطتها بأن جعلها في الرواية تلد ستة توائم ، وهي عجيبة رائعة لا تدعه يخطر ببال أحد أن يسأل عن عقد زواجها صح أو فسد .

وساورت الريبة مكتب الرقابة ولكن لا حيلة له ، فهذه ترودي قد تزوجت . وقد قال سترجس : « أليست الرواية عبرة للواتي يتسرعن في الزواج دون تدبر في زمن الحرب؟» فعارض الرقباء : « ولكن كيف بتلك الخاتمة الهنيئة؟» فصاح سترجس : « هنيئة ! أو تظنون أن الفتاة الأمريكية تشتهي أن تلد ستة توائم ؟ » فامتعض الرقباء ثم وافقوا على الرواية .

ولعل سترجس هو الرجل الوحيد في هوليود الذي نُشِّيء ليصير عبقريا . كانت والدته ماري دستي صديقة حميمة لإيزيدورا دنكان الراقصة العالمية المشهورة التي كانت ترقص حافية القدمين ، هازئة بآداب الناس وسننهم — ومنها الزواج — ومع ذلك سحرت قلوب القارتين أوربا وأمريكا . وقد رحلت به أمه إلى أوربا وهو لا يكاد يحسن أن يدب أو يدرج ، فأتيحت له ثقافة لا تنبغي لطفل . ففي الخامسة من عمره شرع يتعلم العزف على البيانو والكمان ، ويتلقى دروساً في النحت والتصوير . وفي

زمن موسم الأوبرا ، كان ينام بعد الظهر حتى يظل يقظان فى حفلات الليل . وأريد له أن يلبس رداء ، من الطراز الإغريقى وسراويل قصيرة من القطيفة الحمراء ويضع على رأسه طاقيــة مستديرة وينتعل خفين .

وقد ركب دراجة ، وهو فى ثيابه هذه ، ومضى فى شــوارع شيكاغو إلى مدرســة الدكتور كولتر ، بعد أن تزوجت أمه مرة ثانية رجلا يدعى سولومون سترجس ، من سماسرة مدينة شيكاغو . وما انتهى الفصل من السنة الدراسـية حتى حذق قتــال الشوارع ، فـكان ذلك فرحَ ربيبه وفزعَ أمه . وحين أصرت على أن يعودوا إلى فرنسا أبى زوجها ، فـكان الطلاق .

عادت الأم وابنها إلى أوربا ، أما هى فافتتحت معهــداً للتجميل باسم « معهــد دستى » وجعلت تجول فى بلاد القارة مع إيزيدورا دنكان . وأما ابنهـا فذهب يتلقى العلم فى فرنسا وسويسرا وعلى مربِّين فى ألمانيـا . فلما بلغ الخامسة عشرة كان لسانه بالفرنسية أطلق منه بلغته الإنجليزية ، واشـتد بغضه للفنون على اختلاف أنواعها ، وصار مطمحه أن يصبح كربيبه من رجال الأعمال .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى اضطرته أن يعود إلى الولايات المتحدة حيث جعل يسرع التنقلة من عمــل إلى عمل ، فصــار ساعيــاً فى حى المـال فى نيــويورك ، ثم عاملا فى أحد فروع معهد دستى ، ثم تلميذاً طياراً فى فيلق الطيران ، ثم مخترعاً لصنف من الدهان الأحمر للشفاة لا يزول بالتقبيل ، ثم ناظما للأغانى ، ثم ناشراً للأغانى ، ثم زوجاً مطلقاً . ثم فى سنة ١٩٢٧ — وعمره يومئذ ٢٩ سنة — أصبح معدماً .

وجاءت جراحة الزائدة الدودية فأطلقت خياله ، وذلك أنه رأى فى ليلة عيد الميلاد ، فى دهاليز المستشفى ، رهطاً من الممرضات يسرن وبأيديهن شموع مضاءة وهن ينشدن الأناشيد ، ولم يكن سترجس ساعتئذ قد أفاق من غشية المُـرَقِّـد (البنج) . فخيل له أنه لم ير فى حياته أجمل منظراً من أولئك الممرضات سائرات فى صفين . وإذن ، أفلا يكون منظراً عجباً لو هن شرعن جميعاً يضربن بأرجلهن راقصات ، كما يكون ذلك فى الـكوميــديا الموسيقية ؟

وقضى بعدئذ مدة نقهه وهو يضع أساس رواية كوميدية حافلة بضروب المغالاة ، يكثر فيها رقص الممرضات وغناء أطباء المستشفى . ثم قضى أشهراً وهو يحاول إقناع أصحاب الملاهى بمدينة نيويورك بقبولها . لم يفلح . ولـكنه جعل يرى نفسه من كبار مؤلفى الروايات المسرحية . وأنشأ بعد ذلك بنحو سنتين رواية عنوانهــا « مخجل جداً ! »

مثلت أربعة وستين أسبوعاً متوالياً فى نيويورك . فأيدت ما كان يراه فى نفسه .

ووضع بعد ذلك ثلاث روايات أخرى ، ولكنها لم تصب شيئاً من النجاح . وفى سنة ١٩٣٢ هجر نيويورك ونزح إلى هوليود . تعاقدت معه شركة يونيفرسال بأجر ألف ريال فى الأسبوع . وكانت الرواية الأولى التى وضعها اقتباساً من رواية « ولز » وعنوانها « الرجل الخفى » . وكان تسعة مؤلفين قبله قد حاولوا اقتباسها فأخفقوا وأخفق هو بعدهم ، فاستغنت عنه الشركة بعد ثلاثة أشهر .

على أنه لم يقنط ، بل ألف رواية للسنما هى « المجد والقوة » . فاشترتها شركة « جسى لاسكى » بمبلغ ١٧٫٥٠٠ ريال ، وشرعت فى تصوير مناظرها بلا تنقيح يذكر ، فهزه الفرح فكتب رواية أخرى هى « وشاح الوقار » وهى قصة رجل أعطى صوته سبعاً وثلاثين مرة فى انتخاب واحد ، وأصبح حاكما لإحدى الولايات .. الخ . ولكنه لم يجد شركة واحدة تقبلها .

على أن رواية « المجد والقوة » كانت قد أعلت مكانته وصيته بين مؤلفي روايات السنما . فانتقل من شركة « جولدوين » إلى شركة « ر . ك . و » ومن شركة « فوكس » إلى شركة « بارامونت » إلى أن بلغ أجره فى الأسبوع ٢٥٠٠ ريال . على أنه لم يكن راضياً ، فهو إذا رأى رواياته فى السنما ساءه أن يرى الممثلين لا يحسنون إلقاء كلماته كما أرادها هو أن تلقى ، وأن المناظر لا تمثل كما أرادها هو أن تمثل . فغلب عليه الهوس ، وظل يضايق مديرى شركات هوليود سبع سنين حتى يتيحوا له أن يخرج صور رواياته بنفسه .

وفى سنة ١٩٣٩ استسلمت له شركة « بارامونت » وقبلت أن يتولى الإشراف على إدارة إخراج روايته التالية . فأخذ على الفور روايته القديمة « وشاح الوقار » ونفض عنها غبار القدم ، وصاغ منها رواية جديدة بعنوان « ماك جنتى الكبير » ، وحاز بها جائزة أكاديمية هوليود التى يشتهيها كل مؤلف ، والتى تمنح لصاحب أحسن رواية سنما مبتكرة فى عامها . فساقت إليه مالا وفيراً ، وكذلك التى تلتها وعنوانها : « عيد الميلاد فى شهر يوليو » ، فعندئذ ألحت الشركة عليه أن يتعاقدا .

كانت مدة العقد ثلاث سنوات بأجر قدره ٣٢٥٠ ريالا فى الأسبوع ، ومكافأة قدرها ثلاثون ألف ريال عن كل رواية يخرجها ، وعشرة آلاف ريال عن كل رواية يكتبها . ولما انقضت مدة العقد منذ شهر ، وأبى هو تجديده ، صارت جميع

الشركات تبذل له ودها ، إلا أنه لم يأبه بهم جميعاً وأصبح شريكا « لهوارد هيوز » الغنى الكبير الذى أثرى من البترول، والمخرج السينمائى الهاوى .

وحين كان سترجس فى سنة ١٩٣٤ يتعلم اصول كتابة روايات السينما ، أقبل على مشاهدة كل فلم ناجح ليكشف سرّ إقبال الجمهور عليه ، ودوّن ملاحظاته على القواعد التى لها السلطان على دخل كل فلم ، فإذا هى كما يلى :

١ فتاة حسناء خير من دميمة . ٢ ساق خير من ذراع . ٣ غرفة نوم خير من غرفة جلوس . ٤ قدوم خير من رحيل . ٥ ولادة خير من موت . ٦ مطاردة خير من ثرثرة . ٧ كلب خير من منظر طبيعى . ٨ قطة خير من كلب . ٩ طفل خير من قطة . ١٠ قبلة خير من طفل . ١١ سقوط المرء على عجزه خيرها جميعاً .

ويرجع كل نجاح سترجس أو معظمه فى رواياته إلى مراعاة المادة الحادية عشرة .

وبيّن أن سترجس وقد بلغ السادسة والأربعين ليس مخبولا كما يتظاهر أحياناً ، وجانب كبير مما أثر من خبله إنما فرّخ فى مخيلة مديرى الإعلان الذين يروجون له . وبعض ذلك كركوب السيارة الصغيرة والنفخ بالنفير ، له منفعة عملية . فقد اشترى السيارة الصغيرة لزوجه منذ ثلاث سنوات لأنها كانت تخشى أن تسوق سيارة كبيرة . فاستعملتها قليلا ثم سئمتها ، فالآن والبنزين يوزع بالبطاقات . . . وكفى . . وأما النفير فإنه يستعمله لأن سكرتيرته (التى تعامله معاملة خالية من كل توقير) قالت له مرة : إن صوته فى المكبّر صوت رجل يتكلم وملء فمه حبوب .

أما شهرته بالشذوذ فناشئة من أساليب عمله التى تعد شاذة حتى فى هوليود . فهو يحضر إلى الإستوديو عادة فى الظهر ، ويتجه رأساً إلى الإدارة العامة ، فتحفّ به حاشية وهو يسير . وقلما يجلس إلى مائدة ومعه أقل من اثنى عشر مدعوا ، ويندر أن يقضى أقل من ثلاث ساعات على المائدة ودائماً يدفع هو الحساب . وحين يعود إلى مكتبه يملى على سكرتيرته طائفة من الرسائل وكثيراً ما يمزّق نصفها بعد أن يقرأها . وفى الساعة السادسة يتناول الشاى — أى القهوة ، وقطعاً من البسكويت والجبن . وقد يبدأ عمله الساعة الثامنة أو التاسعة أو العاشرة مساء ويستمر إلى ما بعد الفجر . (وهو يقول إن عقله ينشط ببطء ، وأنه يستغرق نهاراً كاملا فى إعداده لعمل الليل) .

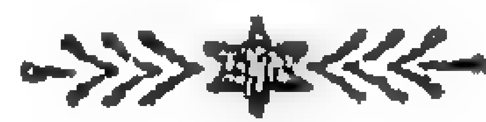
وهو يملى قصصه ولكن يندر أن يكون مدارها واضحا فى ذهنه حين يبدأ الإملاء ،

وهذه الطريقة فى التأليف ، تفضى به حتما إلى مواقف لا يعرف كيف يخرج منها ، وقد يستعصى عليه الخروج منها بضعة أيام. وهو يعدّ هذا مزية ، فإن جمهور النظارة سوف يحار كما حار ، ولا يتيسر له أن يسبقه إلى المخرج من هذه الحيرة .

وعلى الرغم من هذا الأسلوب — أو ربما كان هو السبب — يكتب سترجس رواياته بسرعة مدهشة . فقد ألف رواية « معجزة خليج مورجان » فى ثلاثة أسابيع ونصف أسبوع ، ورواية « حيّوا البطل الفاتح ! » فى ستة أسابيع ، معيداً كتابة كل منها ثلاث مرات !

والحقيقة أن سترجس رجل مجاهد ، فهو يحاول أن يتغلب على الرأى القديم السائد فى هوليود ، وهو أن وضع رواية سنما هو عمل بضعة أشخاص ، وأن عقول اثنى عشر رجلا يصدم بعضها بعضا خير من عقل رجل واحد يعمل منفرداً .

ومن المحتمل أن لا يحرز سترجس ظفراً باقيا ، ولكنه خليق أن يظلّ يعمل حتى يحفز رجال السنما إلى بعض التفكير .



هذه طبيعة البشر

يسافر بالقطار كل يوم من بلدته إلى مدينة نيويورك رجل فنان ويحمل فى جيبه تذكرة الاشتراك (الأبونيه) تامة فيها صورتها . وهو يعرض هذه التذكرة على المفتش مرتين كل يوم . فيلقى المفتش نظرة عليها ويحنى رأسه . ومع ذلك فقد مضت سنتان والتذكرة التى يحملها هذا الفنان ، تحتوى على صورة أصلية لصينى من حكام الولايات فى عهد أسرة منج القديمة .

[مجلة « ادفرتيزنج آند سيلنج »]

فى إحدى قواعد القاذفات الأمريكية فى جزائر ماريانا ، أمر ضابط أمريكى بنقل حمل من الخشب وتكديسه أمام خيام الجند . ونصب على الكومة لوحة كتب عليها « ملك الحكومة » فما أقبل الليل حتى اختفت كومة الخشب واللوحة أيضاً . فلم يقل الضابط شيئا للجنود الذين أخذوا الخشب واتخذوه أرضاً لخيامهم . فذلك ما كان يبغيه . [ميد باسيفيكان]

أصدق صديق للإنسان

ألن ديفو

وفاء

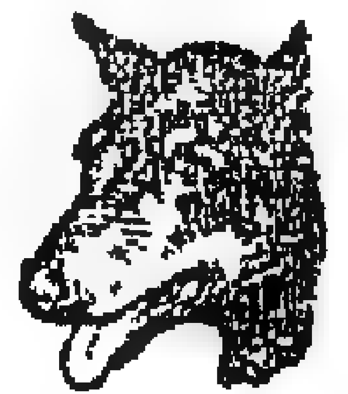


كانت بوتش ، كلبة ناقلة الجنود التي أقلتنا إلى جوام ، من أصل غير معروف . ولكننا كنا جميعاً نحبها ، وكان صديقها الأثير عندها ساعي الفرقة الذي أعد لها فراشاً وثيراً بالقرب من فراشه . وأخذ بعد بدء الهجوم على جوام يصحبها معه في رحلاته إلى جبهة القتال .

وذات ليلة لم يعد الساعي ولم نعلم طبعاً ما حدث له حتى خرجنا للبحث عنه ، فوجدناه جريحاً على بعد ميلين من الشاطئ من جراء انفجار لغم أرضي . وكانت بوتش هي التي دلتنا على مكانه ، فقد عادت تتعثر في الظلام ، وفمها مقرّح دام ، وهي تحمل بين نواجذها قبعة الساعي الفولاذية .

[كلايد ا . ويكس]

خبيلة



ضاقت كلبتنا الصغيرة لودو بجرائها (جمع جَرْو) وقد كبرت وصارت شياطين صغيرة . وكانت تريد أن تخرج للنزهة معنا إذا ركبنا الخيل ، ولكن على أن لا يجرى في أثرها أولئك الصغار المتعبون . وأخيراً خطرت لها فكرة . كانت إذا شرعنا في إسراج الخيل تجرى إلى الحقل وتجعل تحفر في الأرض الرخوة بهمة ، ولا تكف عن ذلك إلا لتقحم أنفها في الحفرة ، ثم تنفخ ثائرة كأنما وجدت حيواناً عجيباً على قيد أنامل منها في قعر الحفرة . واستهوى الأمر الجراء فجعلت تحفر هي الأخرى كأن بها مساً من الجنون . فإذا شغلها ذلك انسلت لودو تجرى في أثر الخيل .

وكانت لودو تفعل ذلك كلما خرجنا لركوب الخيل ، فعلمنا أنها خطة محكمة التدبير . كانت تستعمل طريقة التربية التي يستعملها الآدميون — إذ تصرف انتباه أولادها عما لا تريد وتشغلهم بشيء محبب إليهم .

[جودى فان درفير]

موزع صحف



كان كلبي تاد يعرف الطريق التي أسلكها في توزيع الصحف معرفتي بها . فإذا أغفلت منزل أحد المشتركين ، جعل يعوى يذكرني به ، فإن كان المشترك قد انتقل من منزله أكتفي بكلمة : « لم يعد مقيما به يا تاد » ،

وفى اليوم التالى يمر على المنزل دون أن يلقى إليه نظرة .

وذات صباح حين أشرفنا على نهاية الطريق الطويلة قلت ضجراً : « لقد فُتْنا أحد المشتركين ياتاد وإنى لأكره أن أعود كل هذا الطريق . ولست أدرى من الذى تركناه » ، فهمهم تاد لحظة ثم نصب أذنيه وجعل ينبح وهو يجرى جيئة وذهوباً كما تفعل الكلاب حين تقول : « اتبعنى » .

وسرت فى أثره ، وبالقرب من بداية الطريق اندفع تاد إلى فناء دار ، وكانت دار مشترك جديد ، هو الذى تخطيته .

[فرانك ج . ولز]

من شابه أباه فما ظلم



كان « تم » كلبنا الراعى الكبير يأخذ بالشدة تلك الكلاب الضالة التى تجترىء على دخول المزرعة ، وكان عليها إما أن تنازله وإما أن تفرّ منه . ولشد ما كانت دهشتنا حين رأينا « تم » قادماً وفى أعقابه كلبة خِلاسيّة لم نرها قبل ذلك ، وقد قادها إلى صحفة طعامه ووقف ينظر صامتاً إلى ضيفه وهى تزدرد الطعام الذى لم يجرؤ كلب آخر قط أن يمسه . ثم قادها بعد ذلك إلى مخزن الحبوب حيث وجدناها راقدة على فراشه .

وبعد أسبوع من هذه الضيافة ، أنجبت الكلبة سبعة جراء كان كل منها صورة ناطقة من كلبنا « تم » .

[جورج ج . جوبسون]

صديق قديم



كان درايف كلب مزرعتنا لا يخطىء فى إمساك أية دجاجة نريدها للذبح سوى ديك واحد ، فقد كنا نطلب إليه مرة بعد مرة أن يمسك الديك ولكنه كان إما أن يقعى ويحملق فينا كأنه لم يفهم شيئاً مما نقول وإما أن يعدو هارباً .

وسر ذلك أن الديك ، ولم يكن قد تم نموه ، أصابه عرج حيناً ما ، وحدث أن شارك جرواً صغيراً — هو الذى صار فيما بعد كلبنا درايف — صندوقاً خشبياً خلف موقد المطبخ مدة أسبوع واحد ، فاتصلت الألفة بينهما منذ ذلك الحين .

[مسز هـ . ا . دانكر]

قالت فتاة حسناء لبائع الكتب فى المحطة ، قبل أن تتخذ مقعدها فى القطار : « أريد كتاباً جيداً يستوقف إلىّ نظر جندى » .

[ا . جون كاونوس فى « نيويورك تايمز »]

أصبح الصاروخ اليوم سلاحاً أساسيا

وليد الحرب المهول الصاخ

منذ ٢٩ شهراً وحسب قذفت جيوش روميل فى تونس بأول صواريخ القتال الأمريكية — البازوكا ، محطمة الدبابات ، وفى هذا الزمن القصير أصبح هذا الوليد الصاخب الذى تمخضت عنه الحرب ذا شأن يضارع شأن الأسلحة التى تستعمل فى جميع الميادين الحربية — برا وبحراً وجوا — من مثل الأسلحة الصغيرة ، ومدافع الجيش أو مدافع الأسطول . ولم يظفر أى سلاح من قبل بمثل هذا الرضى الشامل ، فى مثل هذا الزمن القصير .

ويدل على ما لحرب الصواريخ من خطر الشأن ، أن بحرية الولايات المتحدة قد ضاعفت ميزانيتها لإنتاج الصواريخ اللازمة للأسطول وللجيش جميعاً ثلاثة أضعاف ، وأما الجيش فقد ضاعف المبلغ اليسير الذى أرصده للصواريخ فى العام الماضى ١٣ ضعفاً ، فبلغ الآن ١٣ مليون ريال كل شهر . وقد قاربت نفقات برنامج الجيش والأسطول لإنتاج الصواريخ فى أمريكا ، أن تكون كنفقات ذخيرة المدافع الضخمة .

وقد جرى منذ عهد قريب حديث بينى وبين ضباط الجيش والأسطول الأمريكيين الذين عهد إليهم ببحث الصواريخ والسهر على تحسينها ، وليس فى وسعهم أن يسهبوا فى وصف حجم الأسلحة التى لم يأت حينها بعد ، أو يذكروا مداها أو قوتها المدمرة ، ولكنهم يخبرونك أن عدداً من الأنواع التى لم تزل فى دور التجربة ، ودون حدّ الكمال ، قد أرسلت إلى المصانع لتصنع وترسل وراء البحار على جناح السرعة ، وأنه لا يكاد أحدها يرسل إلى المصانع حتى يكون التحسين قد تم فى نموذج منها ، جعل يرتقب دور إنجازه فى خطوط التجميع .

بين الصاروخ المستعمل الآن الذى يبلغ قطره ٤٫٥ بوصة ، وبين صاروخ البازوكا الأول الذى قطره ٢٫٣٦ بوصة ، بون بعيد . كان طول الأول ١٨ بوصة ، وأما الجديد فطوله ٣٦ بوصة تقريباً ، ووزنه ٣٨ رطلا بدلا من ٣½ رطل وحسب . وقذيفته فى شدة قذيفة مدفع الهاون الذى قطره ١٠٥ مليمترات .

ولقد استخدم الجنود فى حرب الغابات مدفعاً ذا ماسورة واحدة ، يبلغ قطرها

٥ر٤ بوصة ، وهو مركب على حامل له ثلاث قوائم قابلة للطى ، ولا يزيد وزن الماسورة القاذفة والحامل والصاروخ على ٥٠ رطلا . وفى وسع الرجل الفرد أن يزحف بها جميعاً وأن ينصبها ثم يطلقها . ويلجأ الجندى إلى إطلاق المدفع بالضغط على زر فى طرف سلك كهربائى من مسافة تقيه زوبعة الغبار والحصباء التى يَسْفها عاصف الغازات الساخنة التى تعمى الأبصار ، وهى تندفع من فوهة الماسورة الخلفية فوق الحامل ، وكثيراً ما تثنيه أو تحطمه . ولذا تعد ماسورة القذف قد انقضى أجلها إذا أطلقت قذيفة واحدة . ويمكن وصل عشرات منها فتنطلق فى وقت معاً .

أما البازوكا المجهزة بماسورة للقذف تحمل على الكتف فتحتمل الإطلاق مراراً ، ويسع الفرد الواحد أن يحمل قدراً وافراً من صواريخها الخفيفة ، فلذلك صار نوعها المحسن سلاحاً يعين عند الحاجة ، إذ يمكنها أن تخترق درعاً فولاذية سمكها ست بوصات من مسافة ٢٠٠ ياردة . ويرجع الفضل فى ذلك إلى « الحشو الأجوف » المشهور ، وهو اختراع أمريكى يجعل عصفة الانفجار مركزة فى نقطة واحدة ، فيمتلئ جوف الدبابة المصابة بالغازات المتقدة ، وبشظايا متطايرة من الفولاذ المصهور

ولقد أظهرت فتوحات الأسطول الأمريكى فى جزر المحيط الهادى ما لصواريخ القتال المرصوصة من قدرة فتاكة مخيفة ، إذ كان على الجنود أن يهبطوا على سواحل محصنة تحصيناً شديداً ، ثم يوغلوا فى الأرض والمدافعون الكامنون فى الأدغال يقاومونهم . وأدرك رجال الأسطول أنهم فى حاجة إلى سلاح قوى قصير المدى يلجأ إليه فى تلك الفترة الحرجة الواقعة بين لحظتين : بين كف المدافع البحرية عن الضرب ، وحين وصول مراكب النزول إلى الساحل . ولكن هذه المراكب كانت من خفة الوزن بحيث تعجز عن أن تحمل عدداً كافياً من المدافع الكبيرة وعروشها الثقيلة . فما كان هناك من شك فى أن يصبح الصاروخ ، بمواسيره الخفيفة وطلقته المهلكة القصيرة المدى ، هو الحل المطلوب .

تحوّلت زوارق الهبوط إلى حاملات للصواريخ ، وغدت طلائع القوات التى تقتحم جزائر المحيط الهادى تضارع البارجة فى قوة نيرانها . فإذا دنت من الشاطئ أرسلت مواسيرها المرصوصة تياراً متصلا من صواريخ شديدة الانفجار تسقط على الساحل فتدكّ المصاطب المحصنة ، وتحطم خطوط الأسلاك الشائكة ، وأوكار الرشاشات والحصون ، كأنما هى زوبعة مدمرة . فإذا

هبط الجنود ساحل الجزيرة حمت زوارق الصواريخ إنزالَ المعـدات ونصبَ المدافع وحفر الخنادق ، وحينئذ تشرع سفن الصواريخ فى إطلاق نارها ممهـدة طريق القوات الزاحفة .

ولقد أصابت سفن الصواريخ نجاحاً حمل رجال الأسطول على الشروع فى تركيب هذا السلاح الجديد فى سفن أكبر ثم أكبر.

وما الصاروخ إلا غلاف أسطوانى من المعدن ، مدبب الرأس ، فى مؤخره منفس أو أكثر، وفى الرأس شحنة شديدة الانفجار كما فى قنابل المدافع ، أما الجزء الخلفى محشوٌ بالبارود ، فإذا مسته النار استعر ، واندفعت الغازات الناشئة من المنفس . وليس سبب اندفاع الصاروخ قدماً هو اصطدام الغازات المنفوثة بالهواء ، بل هو الضغط الناشئ من تمدد الغاز فى جوف الأسطوانة على مقدمة الصاروخ . وهـذا فرق له خطره ، فهو يفسر ازدياد سرعة الصاروخ فى طبقات الجو العليا حيث تقل مقاومة الهواء الرقيق لمسير القذيفة . ولو كان اندفاع الصاروخ ناشئاً عن ضغط الغازات عند انفلاتها واصطدامها بالهواء ، لخفت سرعته فى الهواء الرقيق ، حيث يكون ما يصطدم به أرق وأوهى .

إن خفة وزن الصواريخ تجعلها سلاحاً ذا شأن خاص فى الطائرات ، فهى لا ترتد عند انطلاقها ، أو ترتد ارتداداً يسيراً فلا تحرف الطائرة عن مسيرها ، كما يفعل انطلاق مدفع وسط . فبعض طائرات الأسطول تحمل صواريخ قطرها خمس بوصات ، وهى تضارع فى قوتها المتفجرة قذائف المدافع البالغ قطرها ١٥٥ مليمتراً.

وبعض المقاتلات تحمل بطارية من ست مواسير صاروخية تحت كل جناح . ودقة الصواريخ إذا أطلقت من الطائرات أثناء طيرانها ، تفوق دقتها إذا أطلقت من قواعد ثابتة ، لأن سرعة الطائرة تضاف إلى سرعتها ، والسرعة من العوامل التى تبقى على الجسم المتحرك اتجاهه . فلذلك كانت صواريخ الطائرات أحكم رماية مما يوازيها ثقلا من قنابل تلقى من طائرة على هدف ما ، وإذا كانت المسافة لا تزيد على ٤٠٠ ياردة ، فإنها تضارع فى إحكامها نيران مدافع الطائرات الرشاشة .

وليست الصواريخ بدلا من أسلحة أخرى بل هى سلاح جديد يضاف إلى ما سبقه ، فمدافع الطائرة الرشاشة يمكنها إطلاق مئات الرصاصات ، مقابل اثنى عشر صاروخاً تطلقها الطائرة ولا تتعداها ، وهى إذا ثبتت تحت الأجنحة زادت مقاومة الهواء لجسم الطائرة ، فعندئذ تقل سرعتها فتؤثر فى قدرة الطائرة

على خفة الحركة ، ولذلك توضع بحيث يستطيع الطيار أن يطرحها إذا أراد .

إن السلاح الألمانى « ف ٢ » صاروخ ، لأنه يستمد قوته الدافعة جميعها من الوقود الذى يحمله ، ولا يعتمد فى ذلك على احتراق أكسجين دخله من الخارج كما هو شأن السلاح الألمانى « ف ١ » (القنبلة الطائرة) فهذه تعد آلة لا صاروخاً . وترى وزارة الاستعلامات البريطانية أن السلاح الألمانى « ف ٢ » يرتفع ٦٠ ميلا فى الجو ، وأن سرعته تصل إلى ٣٠٠٠ ميل فى الساعة (أى أنه أسرع من الصوت مراراً) ، وأن أقصى مداه ٢٠٠ ميل .

ويتوقف ما قد تبلغه الصواريخ من شأن فى المستقبل توقفاً كبيراً على مقدار التقدم فى إحكام رمايته ، وقد زادت دقته بإتقان صناعة أجزائه . وقد كانت البازوكا فى أول أمرها مجهزة بزعانف ثابتة تحفظ اتزانها ، وأما الصواريخ الجديدة فمجهزة بزعانف مطوية تنفتح حين انطلاقها من الماسورة وقد تفنن المهندسون فى إعداد منافس فى ذيل الصاروخ ، فصار لأول مرة ينطلق وهو يدور على نفسه أثناء انطلاقه . وهذه محاولة بكر يقصد بها أن يتيسر للصاروخ من الإحكام فى الرماية ، ما تيسره للقنبلة ماسورة ذات جوف حلزونى .

خلال ذلك استنبط الجيش الأمريكى نوعاً من البارود الدافع يمتاز بأنه يحترق احتراقاً مطرداً ، فيتفوق على أنواع الوقود التى استخدمت من قبل فى الصواريخ ، من حيث سرعته التى يولدها وقلة تأثره بالأحوال الجوية .

إن الرجال الذين يبحثون فى مسائل الصواريخ لا يعرفون طعم الراحة . فى صحراء موجاف فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة وفوق فضاء واسع من الأرض يتخذونها للتجربة ، تسمع اليوم قصف الصواريخ التى يوالى رجال البحث من الأمريكيين امتحان نماذجها الجديدة ، وإن الجيش والأسطول الأمريكيين لعلى ثقة بقدرتهما على بذّ الألمان ، وهم يسيرون قدماً فى تحسين هذا السلاح الجديد المفزع .



قالت فتاة عاملة لزميلتها : « لقد دبرت أمر العالم الذى يلى الحرب تدبيراً دقيقاً — فحين يعود الشاب الذى يحلّ محلى أتزوجه » .

[فرانك بيفن فى مجلة « إسكواير »]

فأر المسك
ومستنقعاته العجيبة في لويزيانا

كارولين رامسي



فى كل شـتاء ينصرف عشرون ألفاً من الناس عن كل عمـل ، ليخرجوا إلى المستنقعات الواسعة فيصيدوا فئران المسـك .

« ألسيه بروسـار » رجل ينال أجراً حسـناً فى « ثيبودو » بولاية لويزيانا ، ويعيش وادعاً آمناً فى بيته الأنيق الصـغير . ولكن إذا جاء الخريف قلق « ألسيه » ، فإن المستنقعات تناديه . ذلك بأن حبه لحياة الخلاء غالب عليه ، وكذلك حمى المقامرة . ففى أواخر نوفمبر يدخل على رئيسه ويخبره بأنه ذاهب ورئيسه أخبر به من أن يحاول صدّه عما نوى .

ويخرج ألسيه فى عشرين ألفاً من ألفاف النـاس الذين يسكنون لويزيانا ، ليصطاد فئران المسك . وهؤلاء الصيادون يقضون تسعة أشهر من السنة يقطعون الشجر ويجمعون الطحلب ، ويصطادون السمك والمحـار ، وهم اليوم يزاولون العمل فى أحواض بنـاء السفن . فإذا جاء الشتاء خرجوا فضربوا خيامهم فى المسـتنقعات مهـاجرين هم وأسرهم جميعاً ، فى كل عام هذه الهجرة العظيمة .

وما يتجهز به ألسـيه طراز وحده . زورق لسكناه ، وآخر لابنـه المتزوج ، وستة زوارق صغيرة ، ورَمّشان أو ثلاثة أرماث ، وهى قوارب لطيفة جميـلة الشـكل تصنع من قطعـة واحـدة من الخشب . وتحمل هذه القوارب حتى تغص بكثير من المواقد والطنافس ، والطسوت والقـدور والأطباق ، وكل ما إلى ذلك من أداة المنزل . وربما كان فيهـا قفص به دجاج يصيح ، وخنزير فى حظيرة ، وربمـا وسع القارب أيضاً بقية الأسرة . أما الأطفال — ومعهم دائماً أطفال — فيلوحون لكل من يمرون به ، فرحين بأنهم سيمضون ثلاثة أشهر فى مخيم ، بعيدين عن حجرة المدرسـة . أما الإقليم الذى ينتهى إليه أولئك الصيادون ، فلا مثيل له فى أمريكا كلهـا . فهو مستنقع بين المنطقة المعتدلة وخط الاستواء ، طوله ٤٠٠ ميل وعرضه من ١٥ ميـلا إلى ٣٠ ميلا ، يمتد على سـاحل الخليج من مصب نهر المسيسبى إلى خط تكساس . وفى هذه الأرض النزّازة التى لا شجر بها ينبت عشب أثيث ملتفّ يبلغ ارتفاعه كتف الإنسان ،

ينقلب فى الشتاء ذهباً ناضراً . ولست تجد هناك أرضاً صلبة ، إلا أنه فى وسع المرء أن يمشى متنقلا من جذر إلى جذر من جذور الأعشاب ، ولكن عليه أن لا يغفل وإلا ساخ إلى خصره فى الحمأة المنتنة .

هذه هى جنة فأر المسك ، حيث يصير هذا الحيوان على طعام واحد ، هو جذور الأعشاب الحلوة ، وحيث يتكاثر تكاثراً لا يصدقه العقل . ومن هذه المنطقة يخرج الصيادون كل عام بأكثر من ٦٠٠,٠٠٠ جلد من جلود فئران المسك — أى مثل ما يجمع منها فى الولايات المتحدة كلها ، بل أكثر مما تخرجه كندا وألاسكا مجتمعتين . وهذه الشقة الضيقة من المستنقع الرجراج يزوّد صناعة الفراء الأمريكية العظيمة بزادها الأعظم ، لأن فأر المسك فى مختلف صوره هو عماد تجارة الفراء .

ومن الممكن أن تعتمد هذه الصناعة على مورد من الجلود لا يتفاوت إلا تفاوتاً يسيراً من سنة إلى سنة . أما الرجل من الصيادين فيختلف أمره اختلافاً شديداً . فقد لا يحصل فى بعض السنين إلا على ٣٥٠ ريالا ، ينفقها فى طعامه وشرابه وحاجاته ، وفى سنين أخر يصيب ربحاً عظيما . وقد بلغ دخل كثير منهم فى الموسم الماضى ٣٠٠٠ ريال ، وربح بعضهم ٥٠٠٠ ريال وهو عند أحدهم مبلغ عظيم ، وهذا الضرب من المقامرة حبيب إليهم .

إنه لعمل مضن . يبدأ ألسيه بأن يشعل النار فى العشب النابت فى البقعة التى استأجرها ، فتأكل النار منه حتى لا يبقى من سوقه غير عشر بوصات فوق سطح الماء ، فذلك يجعل السير فيها أسهل ، والعثور على الفخاخ أهون . ثم ينشىء له مصيدة ، وذلك بأن يجر رَمَثه مرات على مدرجة الطريق فيحطم ما بقى قائماً من أصول العشب ، فيمهد تلك الحمأة اللينة ، ليشق مجرى من الماء يسبح فيه الرَّمَث ويعفيه من مشقة السير . ولقد علمه هذه الحيلة فأر المسك نفسه ، فهو يتخذ فى الماء مسالك ضيقة متقاطعة فى أرجاء المستنقع ، ولا يزيد عرض أحدها على ثلاث بوصات .

والموسم المعهود ٧٠ يوماً يبدأ من ١٠ ديسمبر . وفى البقاع التى تؤجر للصيادين ، آلاف من الدروب الضيقة تدل على مسارح الفأر ومراعيه . ويعمد الصياد إلى مجازة لا يزيد عمق الماء فيها على ست بوصات ، وينشىء ربوة من الطين يضع الفخ عليها ، ثم يغطى أعلاها بقليل من الطين أيضاً لينكّرها ، ويغرس فيه قصبة طويلة يجعلها علامة على المكان . ولا حاجة به إلى الطعم ، فالفخ يكون تحت الماء بقدر

بوصتين ، فإذا مر به الفأر الكبير فلا مناص له من الوقوع فيه ، أما الفأر الصغير فيمرّ من فوق الفخ سابحاً لم يمسسه سوء .

ويبدأ العمل المعهود كل يوم بتفقد الفخاخ قبل تنفس الصبح ، بعد أن يستيقظ الأب وأولاده فيشربوا قهوتهم المألوفة فى لويزيانا، ويلبسوا أحذيتهم الطويلة ، ويلقوا غرائر الفئران على كتوفهم ، ويأخذوا عصيهم الطويلة التى يستعينون بها على دفع الرمث ، والعكاكيز التى تهون عليهم مشقة السير فى المستنقع ، ثم ينطلقون .

وإذا وفق الصياد ظفر بنحو ٣٠٠ جلد كبير و ٥٠٠ جلد صغير فى أسبوع واحد . فإذا ساء حظه صاد نحو ٧٥ جلداً جيداً و ١٥٠ أقل جودة . والجو هو سبب هذا الاختلاف الشديد ، فإن فئران المسك تنشط فى ليالى القرّ ، فلا تزال دائبة تمرق فى مساربها ، جاهدة فى البحث عن طعامها ، أو فى طلب المغازلة ، أو عاملة فى ترميم بيوتها .

ويشتغل نساء أسرة ألسيه بسلخ الفئران ، وينشرن جلودها على شبكة من السلك حتى تجف . ويفد تجار الجلود مرة كل أسبوع ، فيقسمون الجلود على خمس درجات ويدفعون فيها ثمناً على جملتها كلها . وكان أعلى ثمن قدرته الحكومة فى السنة الماضية للجلد الواحد من أجود صنف هو ريال ونصف ، وفى خلال الحرب الماضية كان ثمنه ربع ريال ، وفى سنة ١٩٢٧ ريالان ونصف .

والمشترى يعمل لحساب النقابة التى يستأجر منها الصيادون الأرض . وهناك خمس نقابات كبيرة مستولية على أكثر المستنقعات ، فتستأجرها من كبار الملاك الذين اشتروا بقاعاً واسعة منذ سنين مضت ثمن الفدان منها يتراوح بين قرشين وأربعة قروش . وتملك الحكومة أيضاً مناطق واسعة تؤجرها ، ويوهب جزء من دخلها للمدارس .

ويقوم مندوبو النقابات كل سنة بمسح الأرض المؤجرة وتوزيعها بالتساوى ، حتى يتسنى لكل صياد أن يصيد ألفى فأر تقريباً . وينص العقد الذى بين النقابة والصياد ، على أن الأجر هو ٣٥ ٪ من الصيد ، ويدفع نقداً لا عيناً ، بعد أن يدفع مندوب الشركة ثمن الفراء . وهذه طريقة بغيضة مكروهة ، ولكنها لا تزال متبعة ، هذا على أن بعض الصيادين قد اشتروا الأرض التى يصيدون فيها ، وبعضهم قد جمع من المال ما يكفى لدفع الأجر نقداً ، ثم يبيع جلوده فى السوق الحرة .

ولكن ما خبر ذلك الحيوان الصغير الذى تقوم على جلده هذه الصناعة العظيمة ؟

أول ما يقال عنه إن نصف اسمه كذب — فإن فأر المسك ليس فأراً البتة ، ولكنه ينضح بمسك أذفر (قوى الرائحة) يضارع، كما دلت البحوث الحديثة، الأصناف الغالية التى تستوردها صناعة العطور . وهو حيوان قوى وثيق التركيب ، يبلغ طوله ١٢ بوصة ، وطوله ذنبه ١٠ بوصات ، يتخذه مجدافاً وسكاناً حين يسبح : وهو يطلب طعامه فى الليل . وفى وسعه أن يقرض بأسنانه الحادة جذور الأعشاب وهى على ست بوصات تحت الماء ، ثم يطفو إلى سطحه ، ممسكا طعامه بيديه الصغيرتين ، ويغسله ثم يقضم منه متطعما مستطيباً له .

وبيت فأر المسك، المبنى فى الأعشاب والطين مسكن عبقري التصميم ، فى وسطه سلم يؤدى إلى حجرات مختلفة ، أكبرها غرفة أولاده . ويعلو على سطح الماء ما بين قدمين إلى أربع أقدام ، وقطره عند القاعدة يتراوح بين أربع أقدام وعشر ، تتفرع منه الأنفاق مؤدية إلى مداخل تحت الماء .

وفأر المسك فى لويزيانا يلد فى أى شهر من السنة ، إلا شهرى أغسطس وسبتمبر ، وتطرد الأم أبا أولادها ثلاث مرات فى السنة فيظل بعيداً عن البيت أسبوعين ، تضع فى خلالها بطناً يختلف عدد صغاره من ثلاثة إلى سبعة . وقد يتضاعف تعداد فأر المسك ستة أضعاف فى سنة واحدة على رغم مايلقاه من المنك الجائع (نوع من ابن عرس) والتمساح الأمريكي والبوم والصقور والحيات وسمك أبى منقار والراكون . ولولا الصيادون لنما فأر المسك وانتشر حتى تصير مراعيه لا تكفيه .

أما الإنسان والوحش المفترس فليسا بألد أعداء فأر المسك ، إنما هى سنوات القحط ، إذ تجف المستنقعات فلا عشب إلا القليل ، فتموت الفئران جوعاً ويكاد نسلها ينقطع وعندئذ تقل الفراء فى السنة التالية.

والفيضان مؤذ كالقحط ، فهو يغرق بيوت الفئران ويغطى سوق العشب وقصبه حتى لا يجد الفأر مأوى يستريح فيه . ففى الفيضان الطاغى الذى حدث سنة ١٩٢٧، حين غمر الماء وطمّ على المستنقعات مئة يوم وثمانية أيام ، لم يلبث موظفو وقاية الحيوان والصيادون وأصحاب الأرض أن صنعوا أطوافاً عائمة من الخشب وكسوها بالعشب وتركوها طافية على الماء ، فتسلقتها ملايين من الفئران ، وكذلك نجت من الفيضان .

لقد مضى زمن كان لا يعبأ فيه أحد شيئاً بما يصيب فأر المسك الضعيف ، ولكنه هو الذى جعل لويزيانا أولى الولايات التى تنتج الفراء فى الولايات المتحدة ، فهذه لويزيانا تشكر له ما أولاها من جميل الصنع .



مدرسة تحت قذائف النّار

فردريك بايستون و هولمان هارى
ملخصة عن "ذى أمريكان ليجيون مجازين"

كنا تحت وابل من النار فى نقطة ارتكازنا فى ساحل أنزيو بإيطاليا، حين لقينا «وتشردم. تونيس» من خيرة الجند. والمراسلون عادة يدّعون الكتابة وهم تحت النار، إذا وسعهم ذلك، ولكن تونيس كان يكتب درساً فى حساب المثلثات ! وكان يقول: «أريد أن أتهيأ لصناعة من الصناعات قبل مغادرة الجيش».

وكان تونيس فى الرابعة والعشرين. وقد غادر المدرسة فى الرابعة عشرة، وصار يتنقل من عمل إلى آخر. ولم يكد يتزوج حتى أبحر مع فرقته. وكان يأخذ أمره مأخذ الجد، وقد أفاد من تجاربه فى الجيش أن الذين يعرفون شيئاً من الصناعات المفيدة هم الذين يتقدمون ويرتقون. فلذلك أجمع عزمه على أن يصير كهربائياً.

سمع تونيس أن فى جيش الولايات المتحدة نظاماً موضوعاً لتيسير الدراسة لمن يريدها. وقد نصحه الناصحون أن يبدأ بتحصيل الهندسة وحساب المثلثات ليكونا الأساس لدراسته الكهرباء، فبادر بإرسال ريالين رسم التسجيل، ولم يلبث أن جاءه منهج الدروس.

وكان يقول وهو فى أنزيو: «إنه لعسير جداً وجود فسحة من الوقت للدرس. فإذا خيم الليل، انحدرت إلى مكمنى وغطيته بملاءة، واستعنت بنور شمعة صغيرة على بعض الدرس، حتى إذا طلع علينا الألمان بقنابلهم وقذائفهم، عجزت عن أن أفكر فى درسى».

وحين يتم تونيس دروسه، ترسل أوراق الامتحان إلى ضابط فى فرقته ليمتحنه. فإذا جاز الامتحان أرسلت إليه دروس المنهج التالى — وهى دروس فى أصول الكهرباء. والريالان اللذان يدفعهما رسماً يشملان جميع المناهج التى يريد تحصيلها، مادام يُتم كل درس فى شهر واحد، دلالة على صدق عزمه.

ومثل آخر، هو الجندى «دويت ب. شير»، فإنه حين جند كان قد أتم سنتين فى الدراسة لنيل الدرجة فى جامعة وشنطن. ولقد ألفيناه، فى فترة من فترات الهجوم على مدينة فالمونتونى فى جنوب روما، يستذكر تاريخ الأدب الإنجليزى. وكانت

المدافع الأمريكية تتصف رعودها والقنابل الألمانية تدوى فوق رؤوسنا ، ولكن شيركان يقول إنه ألفها حتى ليستطيع أن يذاكر على أحسن وجه .

ثم يستطرد فيقول: « ولقد اتفق الجيش مع الجامعة على اعتماد نتيجة امتحانى إذا أنا أديته أمام الضابط ، فجامعتنا من الجامعات التى رضيت هذا وعملت به . فأنا ولا ريب أواصل الدراسة المنتظمة فى جامعتى نفسها » .

والولايات المتحدة تدير اليوم مدرسة المراسلة لجنودها ، وهذا بغير شك أعظم تدبير فى التاريخ لتعليم الجماعات . فهناك ألوف فى ميدان القتال ، ممن قطعتهم الحرب عن دراستهم ، يواصلون دراساتهم بالمراسلة . وهناك أيضاً مئات الألوف غيرهم وراء الخطوط يضعون أسس عملهم فى الحياة . فما من رجل أو امرأة فى الخدمة الحربية يستعين بمدرسة المراسلة الممتدة إلى أطراف المعمورة إلا ويعود إلى حياته المدنية بمعرفة جديدة نافعة .

ويتولى إدارة معهد قوات الولايات المتحدة المسلحة الكولونيل « فرنسيس ت . سبولدنج » عميد التربية فى جامعة هارفرد ، ومقره فى مدينة ماديسون فى ولاية وسكونسن ، وله فروع تامة الأهبة فى تسعة ميادين من ميادين الحرب الكبرى .

ويقدم المعهد أكثر من ٢٠٠ منهج فى ١٧ فناً من فنون الدراسة الواسعة ، وتشمل دروس المراسلة التى تقدمها ثمانون كلية وجامعة أمريكية .

ولما أنشىء « معهد القوات المسلحة للولايات المتحدة » فى إبريل سنة ١٩٤٢ ، ساور الشك فى مستقبله أصحاب الرأى ، وقرر الجيش أن السماح للدراسات الخارجية بالافتيات على الواجبات الحربية من الأمور التى لا يمكن النظر فيها ، ثم إن إكراه الجند على الدراسة فى أوقات فراغهم قد يحرمهم ما يحتاجون إليه من راحة أو رياضه . فالمسألة إذن هى : هل يوجد بين القوات المسلحة عدد لا بأس به يحبون « مختارين » أن يصرفوا أوقات فراغهم فى هذا الجهد المضاف ؟

وبدأت الشكوك تزول حين بلغ نبأ هذه المؤسسة الجديدة إلى خطوط القتال فى أقصى الميادين . لقد سرت الفكرة كالنار فى الهشيم من أيسلندة إلى المحيط الهادى ، ومن لندن إلى القاهرة وروما ، على البوارج الحربية وفى ميادين القتال البرية . وفى أواخر شهر ديسمبر الماضى بلغ إحصاء من يعكفون على الدراسة فى أرجاء المعمورة ٨٦٠٫٠٠٠ من الرجال والنساء . ويتقدم كل يوم ما يبلغ ١١٠٠ طلب ، وينتظر أن يبلغ عدد

المسجلين فى المعهد ثلاثة أضعافه هذا الشتاء . ويوجد الآن ١٥ مليون كتاب لتوزيعها فى أقرب وقت . وقد انهالت الطلبات على المطابع لطبع كتب الدراسة والبيانات .

وتدل الاحصاءات حتى الآن على أن ١٧٠٠ من طلبة المدارس الثانوية الذين قطعت الحرب عليهم دروسهم قد حصلوا بالمراسلة على شهاداتهم ، وأن نحو مئتين قد أتموا دراستهم فى الجامعة .

ولقد سئل خمسون من هؤلاء الطلبة فى الجيش الخامس ، فإذا كل واحد منهم راض كل الرضى عن منهج دراسته الخاصة ، مرتاح لسرعة رجع البريد بالإجابات على الأسئلة . وقد اتضح للجيش أن المعهد بمراسلاته يعدّ أفضل عامل بين العوامل التى تقوى الروح المعنوية .

وقد يجتمع أحياناً بعض الطلبة فيكونون كالفصول ليتدارسوا موضوعاً معاً . وسواقو سيارات القيادة وسيارات جيب مثلاً كثيراً ما يطول بهم الانتظار من غير عمل . ولما كان كل اهتمامهم بالآلات ، وإنهم يظلون كالمسحورين تحت غطاء دبابة من الدبابات الألمانية التى تسير بمحرك ديزل أو بفك كون سيارة صغيرة وجدوها بين الغنائم التى وقعت للجيش ، فلذلك أنشأ « بدى بل » من برونزفيل فى ولاية تكساس فصلا تابعاً للمعهد لدراسة هندسة الديزل ، فترى السواقين يؤهلون ليصبحوا جميعاً خبراء فى الديزل بعد سبعة عشر درساً مع المران على الآلات المغنومة من العدو .

ولم يجد المعهد طريقة لنشر تعلم اللغات الأجنبية إلا بمثل هذه الفصول ، لأن الأمر يتعلق بتعليم لغة الكلام وحدها . فكان يوزع على كل عشرة أو أكثر أسطوانات مسجلة الوجهين قياسها ١٢ بوصة ، ومعها إرشادات مطبوعة ، فيتاح لهم بذلك تحصيل كلمات مستعملة تبلغ ثلثمئة كلمة ، وجمل مفيدة تبلغ مئة وخمسين جملة ، فى عشر ساعات أو اثنتى عشرة ساعة من هذه الدروس المشتركة . ومناهج التوسع فى تعليم لغة من اللغات تتألف من ٢٤ أسطوانة مسجلة الوجهين . وتستطيع الجماعة فى ٢٠٠ ساعة من ساعات الدراسة أن يجيدوا عدداً لا يقل عن ١٥٠٠ كلمة ، مع التزود بحسن النطق وطلاوة اللسان . والمناهج ميسورة لتعلم الفرنسية والألمانية والصينية ، وسوف تكون ميسورة عن قريب لتعلم ثمانى عشرة لغة أخرى .

ولقد أراد جاويش شاب يتولى صرف المرتبات فى إحدى سفن البحرية الأمريكية أن يعرف منهج تعلم الصينية أو الروسية وقال : « سيكون أمامنا توريد الكثير من البضائع إلى هذه الأقطار ، ولا شك فى أن

معرفة اللغة تكفل لى عملا لا بأس به فى حركة البيع أو الترويج فى هذه الأسواق المنتظرة » .

وقد أظهر ضباط الأسطول والبحارة وخفر السواحل اهتماما شديداً بجهد القوات المسلحة، وأذاعوا خبره بين رجالهم وأهابت البحرية بالمعهد أن يساعد على تزويد المجندين بدراسة ترفع من درجتهم فى الخدمة ، كما أنها عينت فى كل محطة بحرية ضباطاً من هيئة التعليم لتنظيم فصول للدراسة .

وهناك عشرات الألوف من طلاب المعهد منتشرون فى مناطق المحيط الهادى النائية . ومن هؤلاء مدفعى عاقته عوائق شديدة عن التقدم فى دراسته . وقد كتب يقول : «هذه هى المرة الثانية التى أكتب فيها طالباً نسخة الدروس من جديد ، ويرجع ذلك إلى شىء من سوء الحظ . ففى المرة الأولى فقدت أوراق الدرس حين غرقت السفينة . وفى هذه المرة طاحت بها قنبلتان . ولقد انتظرت بعد ذلك بعض الوقت لأتبين ما سيكون قبل الشروع مرة أخرى » .

وفى الرسائل الواردة على مقر المعهد فى ماديسون أخبار طريفة . من ذلك رسالة وردت من سيدة برتبة ضابط فى البحرية ، وهى مشرفة على بعض ثكنات الجند ، وقد ضايقها كثرة الشكوى من المواسير ، حتى طلبت من المعهد أن تتلقى دروساً فى السباكة .

وكتب جاويش فى جزائر البحر الكاريبى بلهجة الحزين الواجد يبسط السبب فى تأخره فى إرسال دروسه قائلا : « إنها حشرات المنطقة الحارة، لقد أكلت أوراقى » .

وأما الجند القائمون بالمراقبة منفردين فى مراكز نائية لا يكثر ورود البريد إليها ، فإنهم يطلبون منهجاً يدرسه المرء وحده بغير معين . ولقد بذل المعهد كل جهد فى إخراج هذه الكتب، حتى يستطيع الطالب تصحيح إجاباته وتقدير درجتها دون الرجوع إلى معلم أو انتظار تصحيح يجىء بالبريد . ويتلقى الأسرى الأمريكيون فى معسكرات الأسر الألمانية هذه الكتب عن طريق جمعية الشبان المسيحية الدولية ، وعن طريق لجنة الصليب الأحمر الدولية بجنيف .

ويستعد المعهد للفترات التى تلى الحرب فى أوربا وآسيا ، تلك الفترات الفارغة المملة التى يجد الجندى الأمريكى فيها متسعاً من الوقت . فلسوف يزود بمناهج أخرى كثيرة فى نظام الحكومة والتربية المدنية . وتوضع الخطط منذ الآن لتنظيم جماعات المناظرة والمساجلة فى أهم المسائل التى تشغل الأذهان وقتئذ . إن فرص الدراسة سوف تتاح للجند فى أوسع نطاق ، حين تخمد نار الحرب ويبرد حديدها .

القاذفة المخيفة ب ـ ٢٩

لا غرابة فى أن مقاتلات اليابانيين تؤثر أن لا تنازل القلاع الطائرة المتفوقة .

بروس بليفن • ملخصة عن مجلة " ذى نيو ريببلك "

منذ حين أذنت القوات الجوية الأمريكية فى نشر بعض الحقائق عن القاذفة « ب ــ ٢٩ » فذهبت لأراها بعينى. هى أقوى قاذفة فى العالم، فهى تفوق كل قاذفة معروفة تحليقاً وسرعة ومدى ، بل إن ما بين طرفى جناحيها أطول من المسافة التى قطعها أول من طار ، وهما الأخوان رايت حين طارا فى كيتى هوك .

كل شىء فى هذه الطائرة يواتيك على المبالغة فى تفضيلها . وليس فى تاريخ الحرب سلاح بذل فى سبيله من المال وجهود الرجال مثل الذى يبذل من أجل الطائرة المتفوقة ب ــ ٢٩ . وقد أرصد لها الجنرال « هاب » أرنولد ، قائد السلاح الجوى الأمريكى ، ومعاونوه ثلاثة بلايين ريال من قبل أن تنطلق واحدة منها فى الجو . وأكب ٧٥٠ مهندسا سنتين على وضع تصميمها . ولا يزال ألف مهندس يعملون على إدخال تعديلات فيها ، على ما بدا من نجاحها الباهر . وقد شرعت المصانع تدخل نحو ألف تعديل فى بنائها . وفى كل طائرة منها أجزاء مختلفة تبلغ عدتها ٥٥٫٠٠٠ جزء مرقوم ، فيبلغ وزنها وهى على أهبة العمل ٦٣٫٠٠٠ رطل ، وقد يكون وزن القنابل وحده ٢٠ ألف رطل منها .

والقاذفة الكبيرة التى تقطع ٣٠٠٠ ميل أو أكثر فى مهمة واحدة ، تمتحن رجالها امتحاناً قاسياً وهم فى الجو . فليس فى وسع امرىء أن يقطع تلك المسافة مرتديا رداء ثقيلا مدفأ تدفئة كهربائية ، مستنشقاً الأكسجين ، دون أن يبلغ منه الإعياء كل مبلغ . فلو أنه كان لزاما على المدفعيين أن يدسوا أنفسهم فى كرة مصنوعة من العجائن ، وكان عليهم أن يطلقوا مدفعا رشاشاً بأيديهم ، لأخذهم من الإعياء ما يعجزهم عن إصابة شىء ما ، فناهيك بطائرة يابانية من طراز « زيرو » تنقض عليهم بسرعة ٤٠٠ ميل فى الساعة .

فانكب المهندسون على العمل ، ويسر لهم الالتجاء إلى عدد من الأجهزة أن يهيئوا للركاب أسباب الجلوس مستريحين وعليهم ملابس خفيفة ، فى مقصورة قدّر ضغطها الجوى ، فيدور فيها هواء نقى مدفأ ، ضغطه كضغط الهواء عند سطح البحر ، فيقومون بأعمالهم فى أحوال تقصى عنهم أسباب الإجهاد قدر الطاقة .

وكان أول هذه الأجهزة جهاز يدير المدافع من بعيد . ففي القاذفة خمسة أبراج للمدافع متفرقة يحتوى كل منها على رشاشين يمكن تسديدهما فى جميع الاتجاهات الواقعة على محيط أكبر قليلا من نصف كرة . ثم هناك أيضاً خمس قباب من زجاج غير قابل للكسر — وهى مواقع للمراقبة والتسديد يستخدمها المدفعيون . وقد أعدت الأبراج ومواقع المراقبة والتسديد بحيث تتيح للمدفعيين خير مجال للرؤية وتسديد النيران فى كل مكان وفى أى وقت . والواقع أنه يمكن تسديد النار من أبراج عدة إلى أية مقاتلة معادية من حيثما أقبلت ، ومهما يكن ميل زاويتها . ثم هناك جهاز إلكترونى يسمح لكل مدفعى بأن يسيطر فى لمح البصر على المدافع التى فى برج أو أكثر غير برجه ، مع أنه لا يطلب منه فى العادة إلا أن يدير برجا واحداً . ففى الوسع تسديد كل المدافع أو بعضها على ٣٠ وجهاً مختلفاً ، تسديداً فى إثر آخر .

وهذا حسبك من العجب ، ولكنه ليس إلا بدء العجب ، فإحكام رماية هذه المدافع لا يضارع . وقد أنجزت هذه القاذفات أربع عشرة مهمة فى المحيط الهادى قبل أن تستطيع مقاتلة يابانية أن تسقط واحدة منها . بل حدث مرة أن تمكنت قلعة طائرة متفوقة من أن تصد وحدها هجمات ٧٩ مقاتلة فى معركة استمرت أربع ساعات ، فأسقطت سبع مقاتلات وعادت سالمة إلى قاعدتها . وقد بلغ إحكام رماية هذه المدافع حتى شوهد بعض الطيارين اليابانيين فى إحدى الغارات الأخيرة وهم يقفزون بالمظلات من مقاتلاتهم قبيل دنوها من مرماها .

ويعود الفضل فى ذلك النجاح إلى جهاز جديد هو الآلة الحاسبة الإلكترونية . فإطلاق النار من مدفع رشاش مثبت فى طائرة منطلقة مسرعة ، على طائرة أخرى ، يثير مشكلات معقدة . فلا شك فى أن الرصاصة المسددة مباشرة من إحداهما إلى الأخرى تميل عن هدفها عدة ياردات ، لأنهما تطيران فى اتجاهين متضادين . والقاذفة ب — ٢٩ تحدث تياراً من الهواء يكفى لأن يحرف الرصاصة ، ثم إن قوة جذب الأرض تخفضها عدة أقدام ، ثم إن سير الرصاص يختلف باختلاف درجات الحرارة وكثافة الهواء بين طبقات الجو السفلى والعليا .

والآلة الحاسبة الإلكترونية تحل جميع هذه المشكلات حلا بالغ الدقة وبسرعة الضوء . وربما أمكننى تصوير الأمر بوضع حوار يدور بين المدفعى والآلة :

المدفعى : نحن نطير الآن على ارتفاع ٣١٫٠٠٠ قدم فى درجة من الحرارة تبلغ

أربعين تحت الصفر ، فأرجو أن تقدرى شأن هذين العاملين فى جميع ما تفعلينه .

الآلة : (لا تنطق) .

الدفعى : تبلغ سرعتنا ٣٠٠ ميـل فى الساعة ، ويطير العـدو فى اتجاه مخالف بسرعة ٤٠٠ ميل ، فأدخلى هذين العاملين أيضاً فى تقديرك .

الآلة : (لا تنبس بحرف) .

الدفعى : وقدرى شأن قوة الجاذبيـة ومقاومة الهواء للرصاص ، ثم شأن المسافة التى تفصل بين عينى وبرج المدافع الذى يبعد عنى بضع ياردات .

الآلة : (تشهق،أو هذا ما كنت أفعله أنا لو كنت فى مثل مأزقها هذا) .

الدفعى : قدرى كل هذا جملة واحدة ومن فورك ، واستمرى كذلك على حسب ما ينبغى ، حتى إذا أطلقت تلك المدافع كنت على ثقة من إصابة الهدف ٩٩ ٪

الآلة : (لا تجيب إلا بهدير خافت) .

ولقد رأيت شاهداً على قدرة هذا الجهاز فى فندق ولدورف — أستوريا بنيويورك حيث أقيم برجان ، وجهاز تسديد ، وآلة حاسبة إلـكترونيـة ، وهى صندوق مربع أسـود فى حجم الحقيبة الـكبيرة تغطيه العدادات ، وتمتد منه أسلاك ضخمة مغطاة كأنها أذرع أخطبوط .

وجلس الرجل الذى يعرض الآلة ، وكان موفداً من شركة جنرال إلـكتريك ، خلف جهاز التسديد ، وهو مجموعة من آلات معقدة ذات منافذ كثيرة ترتفع عن الأرض نحو خمس أقدام . وكان رأسه مختفياً بين أسنان التروس . وكان قبالته لوحة من الزجاج المصقول ظهرت عليهـا دائرة من نقط مضيئة حمراء . وكان قد قدّر حجم طائرة يابانية تدنو منه ، فضبط المقاييس على حسب حجمها . فلما أثبت جميع المعلومات الأخرى فى الجهاز ، لم يكن عليـه إلا أن يبقى صورة الطائرة اليابانية ماثلة فى الدائرة المضيئة الحمراء ، بحيث يطابق الخط الممتد بين طرفيها القطر الأفقى للدائرة،ثم يضغط على الزناد . فيتولى الجهاز إتمام العمل .

وجهاز التسديد هذا — المدفعى وجميع الأجزاء — مطلق الحركة فى كل اتجاه ، فإذا تحرك تبعه البرج على الفور وفى دقة متناهية ، مع أنه يبعد عنـه عشر أقدام ، ولا يصله به إلا بضعة أسلاك . فإذا كانت الوصلة تشمل برجين أو ثلاثة رأيتها تدور برشاشاتها الثقيلة السود فى توافق تام مع جهـاز التسديد ، خاضعة لإرادة المدفعى الذى يبـدو كأنه لفافة بشرية واهية بين تلك الآلات الضخمة الفتاكة .

ولعـل أعجب ذلك أن تشاهد المدفعى

وهو يبذل غاية طاقة البشر وهو يسدّد مدافعه إلى الهدف، وقد وقفت الآلة الحاسبة عن عملها . ثم يعيدها لتعمل ، فتنطلق نبهة ، وتحدث رجة خفيفة ، إذ تصحح الأبراج كلها معاً خطأ ذلك الشخص الفانى فى تسديدها ، وجهد ما يستطيعه يبدو قاصرا بالقياس إلى ما تفعله الأجهزة الإلكترونية .

ولما كان نطاق النار لكل زوج من المدافع أكثر من نصف كرة ، فربما سدّد بعضها إلى جزء من الطائرة نفسها ، فترى مثلا أن قسما من ذيل القلعة المتفوقة يقع فى مرمى البرج الأوسط فى أعلى القاذفة ، ولكن الآلة قمينة بأن تدبّر هذا الأمر . ولنفرض أن المدفعين يطلقان الرصاص (٨٠٠ طلقة فى الدقيقة) على طائرة عند مؤخرتها ، وأنهما يتحركان من الشمال إلى اليمين مارين بالذيل ، فما يكادان يصبحان على بعد جزء من البوصة ، من المكان الذى يصيبان من عنده نسيج الذيل برصاصهما ، حتى يتوقفا عن الإطلاق من تلقاء نفسهما ، ويسبق المدفع الأيمن المدفع الأيسر بجزء من الثانية . ثم ما يكادان يصلان إلى حيث يسعهما الضرب دون أن يصاب الذيل ، حتى ينطلقا مرة أخرى — فيسبق المدفع الأيمن صاحبه بجزء من الثانية . فإذا علمت أن تحريك المدافع فى دورة قدرها ١٨٠ درجة يستغرق ثانيتين لاغير ، استطعت أن تتخيل مقدار السرعة التى يتم بها هذا الأمر . وحتى الهواة العسكريون يستطيعون أن يدركوا ما لهذه القاذفة ، ثم ما يتبعها من طائرات أضخم منها وأعظم ، من خطر الشأن . وإنى لأحب لكل أمريكى أن يكون على علم بجميع الحقائق عن القاذفة ب ـ ٢٩ يوم يأتى زمن المناقشة فى خطط السلام ، فإنه إذا كان فى وسع الولايات المتحدة أن تصنعها الآن، فإن أعداءها سوف يستطيعون ذلك عاجلا أو آجلا .



حدث هذا فى « فيفث أفنيو » بنيويورك . كانت الفتاة تحمل بين ذراعيها رزماً كثيرة ، فأقبلت على جندى المرور وأسرت إليه بضع كلمات ، فأخذ الرزم منها على الفور ، وأما هى فانحنت وقوّمت خط جوربها ، ثم استردت رزمها وشكرت الجندى ومضت فى سبيلها . فلما أصبحت على بعد خطوات منه نظر إلى مؤخر ساقيها وقال : « نعم . هذا أحسن » ثم صفر بصفارته ، وانطلق تيار المرور مرة أخرى .

رجـــل ومحـــراث

ابتدع ماك جودر طريقة فى حرث مزرعته الجبلية ، فظل ثلاثين سنة يجنى منها ربحاً فى كل سـنة ، وصان أرضه فى منطقة تكتنفه قد نهكها تآكل التربة .

هـارولد مـارتن + + + ملخصـة عن صحـيفة "اتلانتا كونستيتيوشن"

ماك جودر رجل يُرَى من عامة الناس ويبلغ من العمر إحـدى وستين سنة ، قوّس العمل ظهرهُ قليلاً ، وتراه يرتدى قبعة عتيقة وسترة قديمة سمراء وثوبا أزرق نصل لونهُ ، من تلك الثياب التى يرتديها كثير من الزراع فى ولاية جورجيا. وهو يقطن منزلا عاديا مسقوفاً بالصفيح لا طلاء عليـه ، وليس فى بيته ما يميزه عن غيره إلا أن ما فيـه من طعام وفير هو من محصول مزرعتـه . ومخزنه مبنى بالحطب أما سائر المبانى فى المزرعة فتبنى مائلة ضد اتجاه الريح ، شأنها فى ذلك شأن غيرها . وليس فى هذه المبانى ما يميزها عن غيرها ، إلا أن ترى لدى جودر علفا يبيعه يوم يكون لابد لكل مزارع آخر تقريبـاً من أن يشترى علفاً .

وأول ما يستوقفك من أمر ماك جودر هو مزرعتـه ، التى لا تضارعها مزرعة أخرى فى جورجيا . فهى خضراء يانعـة كالجنة ، قائمـة بين التلال التى تآكلت تربتها فى « هول كونتى » . فتربة هذه المزرعة عميقة خصبة كأنها أرض بكر لم يشقها محراث من قبل ، تضارع فى خصبها أرض الوادى ، مع أن كل بوصة مربعة منها مائلة منحدرة ، يبلغ انحـدارها من ١٥ قدما إلى ٢٠ فى كل مئة قدم ـــ فهى شبيهة فى انحـدارها بما يحيط بها من أرض تكثر فيها الأخاديد العميقة كأنها جراح فاغرة وحروق واسعة ، حيث ذهب تآكل السطح بالتربة وجرفها بعيداً .

ويخيل إليك إذا رأيت هـذه المزرعة فى موسم الزراعة ، أنك لم تر ما يضارعها كآبة وإهمالا . فحقولهـا ليست منبسطة عارية مكشوفة للريح والشمس والمطر ، كسائر الحقول فى سائر المزارع ، بل تكسوها نفاية النبات ـ حطب الذرة والقطن وسيقان البسلة والحشائش . ويظل منظرها كذلك ، حتى تنبت محاصيل الربيع فتغطى هـذه الفضلات ، ويجنى ماك جودر من محاصيـل القطن والذرة والحبوب ثلاثة أضعاف معدل ما يجنى فى هـذه المنطقة أو أربعة أضعافه . ولم يزل جودر يجنى ربحاً

من مزرعته منذ ثلاثين سنة ، فى فصول الجفاف والمطر على السواء .

ويعلم ماك جودر سر ذلك ، ويسره أن يفضى به إلى كل سائل . فهو يقول : « انبذ محراثك القلاب ، واترك على الأرض كل ما لا حاجة بك إلى أكله أو بيعه ، ودع الطين حيث أراد ربك القدير أن يكون — فى باطن الأرض » .

بدأ ماك جودر يدرس أسباب تلف الأرض وتأكل التربة منذ أربعين سنة حين كان فلاحاً أجيراً ، فخلص إلى أن السبب هو المحراث القلاب ، الذى يدفن فى باطن الأرض بقايا المحاصيل التى تتركها على سطحها بعد الحصاد . فلكى تظل التربة قادرة على الإنتاج ، لابد من أن تترك طبقة كثيفة من المواد العضوية المتناثرة على الأرض ، لتحفظ الماء على التربة ، ولابد فى الوقت نفسه من أن تشق الأرض لكى يتسرب الماء إليها حين سقوطه ، ثم لا بد لك من أن تبقى غذاء النبات قريباً من سطح الأرض حيث تتمكن جذور النبات من أن تتغذى به .

وقد خلص جودر إلى هذه الآراء ، قبل أن يكتب إدوارد فوكنر كتابه(*) « جريرة الحارث » ، بثلاثين سنة ، ولكنه ظل عاجزاً عن تنفيذها وهو فلاح أجير . ولذلك وفر ما استطاع من أجره حتى جمع مالا مكنه من شراء مئة فدان من أرض شجراء وقد قال : « لما كنت قد بدأت عملى فى أرض بكر كهذه ، قدرت أنى أستطيع أن أتبين أمصيب أنا أم مخطىء » .

وأخذ يقطع الشجر ، وعندئذ عمل أول ما خالف به سنة الزراع ، فهو لم يلق فى النار إلا الجذوع والأغصان الكبيرة ، وأما ما بقى من الأغصان الصغيرة والورق وسائر النفايات بعد الحطب ، فقد تركه ملقى على الأرض حتى يتحلل .

ولم يكن ثمة محراث يستطيع أن يحرث به الأرض كما يريد ، فصنع محراثه بنفسه . أخذ حديدة جاروف قديم كان يستعمل فى تمهيد الطرق ، وطرق قطعة منه طولها ١٤ بوصة وعرضها أربع بوصات ونصف ، حتى صارت قليلة التقعير ، ثم ثبت فيها طرفاً مدبباً ، ثم وصله بالنِّير (العريش) وفيه زوج من الخيل . فلما جرب محراثه غاص إلى عمق يختلف من ١٢ بوصة إلى ١٤ بوصة ، أى بلغ عمق غوصه مبلغاً يكفى لوصول رأس المحراث إلى سطح طبقة الصلصال . فشق الأرض كالمحراث العادى (البلدى) ولكنه ترك نفايات النبات منثورة على سطح الأرض ، فأطلق على محراثه هذا

(*) « أبطلوا المحراث » ، المختار ، مارس ١٩٤٤ ص ٧٠

الذي صنعه بيده اسم (لسان الثور الفجاج).

ثم سير على الأرض مِسْلفة أسطوانية، ففتتت المدر وخلطته بطبقة عمقها بوصة أو بوصتان من التراب.

وكان جودر قد قطع الشجر من مساحة تبلغ ثلاثين فداناً، فحرثها كلها هذا الحرث ثم زرعها. ولم ينشىء في السنوات الأولى مصاطب على منحدر الأكمة، فقد كان يريد أن يعلم أتستطيع هذه الطبقة من سطح التربة التي اختلطت ببقايا الأشجار أن تظل متماسكة. وقد ظلت، إلا حيث كان سيل المطر جارفاً، مع أنها كانت تغطي أرضاً منحدرة يبلغ انحدارها عشرين درجة. وقد جرفت الأمطار الغزيرة التربة في بعض المواقع، فبدأ يقيم المصاطب.

وهو يقول: « إذا انهارت المصاطب، حين يتدفق المطر الجارف، فخير للزارع أن لا ينشىء مصاطب قط، فسطح هذه الأرض يجب أن يكون قادراً على أن يتشرب المطر إلا أغزره ».

وقد أقنعه ما جناه من المحاصيل، وثبات التربة على المنحدرات، أنه قد وفق إلى جادة الصواب. وهو يعتقد أن أرضه لم تزل خصبة عميقة كما كانت يوم أزال عنها الغابة.

ومنذ عشر سنوات خطر له خاطر آخر، فقد حسب أنه إذا كان قد وفق بطريقته إلى إنقاذ الأرض الجيدة ومنعها من التآكل بما يجرفه منها المطر، ففي الوسع أن يعتمد على الطريقة نفسها في إصلاح الأرض التي بلغ منها التآكل والتلف مبلغاً شديداً. فاشترى ثمانية أفدنة أو تسعة كانت تجاور أرضه، وهي أرض قد نهكها المحراث القلاب فجرفت تربتها تماماً أو كادت، على حين كان يحرث أرضه بمحراث « لسان الثور ».

وقد قال لي وهو يشير بيده: « كان في هذا الموضع بقعة جرفت فلا يستطيع بغل أن يعبرها، كانت أخدوداً عمقه ست أقدام إلى ثمان، وكان هناك أخدود آخر ». ومع ذلك فإن جودر استطاع أن يصلح الأرض حتى ليعجزك أن ترى أين كانت هذه الأخاديد العميقة.

ثم قال: « لا بد أن ينقضي زمن طويل، قبل أن يكفي ما يتجمع من الفضلات وبقايا النبات لإصلاح هذه الأرض حتى تضارع أرضي الأولى، ولكنها تغل الآن ثلاثة أضعاف ما كانت تغله حين اشتريتها أو أربعة أضعافه، وليس فيها أثر لتآكل التربة.

وعلى قمة تل نال منه التآكل فردّه جودر إلى الإنتاج المثمر، خلع هناك قبعته وجعل يتحدث عن الأرض حديثاً حافلا بالشعور العميق حتى كأنه شعور ديني.

قال : « إن حبي الأرض يفوق فيما أظن حب أي امرئ آخر لها ، أو يعادله وعندى أن كل من يسيء استعمالها يقترف إثماً لا يغتفر » .

وطريقة جودر فى فلاحة الأرض أشق من طريقة المحراث القلاب ، وأسهل منها معاً ، فهى تستغرق زمناً أطول قليلا فى إعداد التربة ، لأن محراث لسان الثور لا يجارى المحراث القلاب فى مقدار ما يشقه من الأرض ، ولكنها أيسر بعد إعداد التربة ، إذ تستطيع المحاصيل نفسها فى مستهل نباتها أن تبيد كثيراً من الحشائش ، فلين التربة ييسر تفتيتها على جذور الحشائش ، لئلا تتجمع حول الجذور .

ويجنى جودر ٩ أرادب (٥٠ بوشلا) من فدان الشوفان ، على حين لا يزيد متوسط محصول المنطقة على ٤٫٥ أردب (٢٥ بوشلا) ، ويجنى ٤٫٥ أردب إلى ٤٫٧ أردب من القمح ، مع أن متوسط غلته فى المنطقة يبلغ ١٫٨ أردب ، ويجنى ٩ أرادب إلى ١٣٫٥ أردب من الذرة فى الفدان الواحد ، وقد بلغ محصوله أحياناً ١٦٫٥ أردب وهو محصول الأرض فى الوادى ، مع أن أرضه قائمة على منحدر . قال : « عندى دائماً ما يكفينى ، ويتبقى شىء أبيعه » .

ويخالف جودر ما جاء فى كتاب «جريرة الحارث » فى أمر واحد ، فهو يرى أنه يجب أن تشق الأرض شقاً عميقاً لتستطيع المياه أن تتسرب فيها . أما كتاب « جريرة الحارث » فيقول : إن طبقة السطح المختلطة هى كل ما يحتفظ بالماء اللازم . ولكنه لا يجادل فى ذلك ويكتفى بأن تجاربه دلته على عكس ما يقوله ذلك الكتاب .

وقد استطاع جودر فى الفصول السمان والفصول العجاف أن يجنى ربحاً من مزرعته كل عام . وهو يرى مخزنه غاصاً بعلف لماشيته ، وخزانة طعامه ممتلئة بكل ما يلزم لأسرته . وهو يتسلق مصاطب حقله إلى أعلى المنحدر ، حيث قد تظن التراب رقيقاً والأرض مواتاً ، ويأخذ بيده حفنة من تربة سوداء طرية عمقها ثمانى بوصات ، فيطفح وجهه بشراً ويقول : « كل ما أطلبه هو أن أترك التربة هنا فى مثل جودتها حين جئت ، قادرة على أن تغذى جيلا آخر من بعدى » .



أهدى بول لوكاس الممثل خاتما إلى زوجته فى يوم احتفالهما بعيد زواجهما السادس عشر ، وإذا العبارة التالية منقوشة على الخاتم : « جزاء ما أسديت من خدمة فوق حدّ الواجب » . [ولتر ونشل]



سر الأبراج الحجرية

من كان هذا الشعب الغريب؟
ومن الذين استأصلوا شأفته ؟
قصة عالم أثرى تخالها بوليسية . .

✡ ✡ ✡

فرانك س. هيبن • ملخصة عن مجلة "ستردای إيفننج بوست"

عثر «جو أريانو» على الأبراج سنة ١٩٣٣ وهو يبحث عن الذهب فى أرض موحشة مجهولة فى الوسط الشمالى من ولاية «نيو مكسيكو». وهكذا أتيح لمزارع مكسيكى خرج يبحث عن الذهب ، أن يكشف لنا الغطاء عن سر قديم مضت عليه ٧٠٠ سنة ، هى قصة مثيرة من قصص العنف ، وإهراق دماء لا أول له ولا آخر .

أحضر جو إلى مدينة «سانتافيه» ثمانى برام من الفخار قديمة منقوشة ، قال إنه عثر عليها بين أنقاض الأبراج الحجرية والأقاليم الجنوبية الغربية حافلة اليوم بأنقاض القرى القديمة ، ولكن ليس فى شىء منها أبراج حجرية ، فهذا إذن شىء لا مثيل له ، فلذلك هيأنا بعثاً انطلق للفحص عن أبراج «جو أريانو» .

قادنا جو فى طريق ترب صغير يؤدى إلى وادٍ عميق وعر يحاذى نهر «غالينا» ، ورأينا البرج الأول عند ما أشرفنا على وادٍ عميق جوانبه من صخر رملى خشن ، وكان قائماً على إحدى تلك القنن الصخرية المشمخرة . ومن خلال المناظير ، استطعنا أن نرى سائر الأبراج ، مفردة ومجتمعة ، تلوح فوق الصخور كأنها صروح القرون الوسطى .

من بنى هذه الأبراج ؟ وماذا حمل هؤلاء القوم على أن يرتدوا إلى ذلك المكان الوعر الشنيع الوعورة ، ويشيدوا قلاعهم المنيعة فى مثل تلك المهالك المخوفة ؟ لم نستطع أن ننسب هذه الآثار إلى قبائل «النافاهو» أو «الأباش» أو غيرهما من الهنود الحمر الذين يسمون «الهنود المغيرين» .

ضربنا خيامنا وقضينا أسابيع فى بحث شامل ، فتسلقنا الصخور الشامخة على حفافى الوادى العميق ، وضربنا أميالا فى كل اتجاه . فاستبان لنا أن ما لاح لنا أول الأمر كأنه مجموعة ضئيلة من الأبراج الصخرية فى وادٍ منعزل ، إنما هو سلسلة متصلة من قرى ذات أبراج . وقد أحصينا فى قسم واحد أكثر من ٥٠٠ برج منتشرة فى مساحة

تراوح بين ٣٥ ميلا و ٥٠ ، وقضينا ثلاثة أشهر فى الحفر عن خمسة أبراج . وقد اتضح لنا بعدُ ، أن البرج الأول مثال كامل منها . ارتفاعه فى الأصل ما بين ٢٥ قدماً و ٣٠ قدماً ، والجدران مشيدة بقطع مربعة خشنة من الصخر الرملى مثبتة بملاط من طين أنضجته الشمس ، وهى جدران مزدوجة فى جوفها حشوة من المدَر حتى يبلغ سمكها عند القاعدة ست أقدام .

وكان جزء من سقف هذا البرج لا يزال قائماً ، وبه وكر من الحجر يحارب سكانه من وراء جداره ، ولا سبيل إلى الدخول والخروج ، إلا من سلالم تؤدى إلى فتحة فى السقف ، ولقد وجدنا أجزاء من هذه السلالم فى الأنقاض .

ولما أزحنا التراب وبقايا البناء المتهدم فى جوف البرج ، لاح لنا طرف من تخطيط ملون على الملاط الذى طلى به الجدار من الداخل . ثم أخذت تتكشف لنا واحدة بعد واحدة ، صور النباتات والطيور والزهور تتخللها رايات مثلثة الشكل .

أما أرض البرج ، ومساحتها ٢٠ قدماً فى ٢٠ قدماً ، فكانت مرصوفة ببلاط ضخم من الصخر الرملى ، وعلى جوانب الحجرة مقاعد غائرة فى الجدار مبنية بالحجر واللبن عليها مُظلّة من الصخر الرملى . وكانتْ هذه القاعد الغائرة تتخذ أيضاً صوامع للاختزان . وفى أحد جوانب الأرض ، موقد نار له حافة تطيف به ، وثمة نفق فى الجدار للتهوية ، هو أشبه بمدخنة تبدأ من الأرض .

وحينما نظرت فى جوف البرج ، رأيته نبض الحياة — وخفوت الموت أيضا — وكانت هبّة الهواء المختزن منذ قرون فى تلك المطامير عند ما تفتحها ، أشبه برائحة قبر فرعونى . وكانت المطامير غاصة بأمتعة سكانه : حقائب من جلد الظبى بها ذرور التجميل المستعمل فى أيام المحافل ، وحلى من الأصداف ، وعصى للكهان منقوشة من الخشب ، وريش ، ودمى صغيرة تمائم للحظ ، وأردية من جلود الظباء ، ومطارف من الريش ، وسهام من الخيزران والصوان ، ومقانع وقرون .

وليس شئ من جميع ما تُرك فى هذه الفوضى ، ما هو أعجب من سكان البرج أنفسهم . ستة عشر هيكلا منثورة على هيئات مختلفة ، ومعهم قصتهم المحزنة . وحينما تطلعت رأيت شواهد على أن هذا الحصن قد هوجم ، وأن المدافعين عنه قتلوا ، وأن البرج قد ضرب بالسهام النارية ، وأن خشب السقف قد احترق ثم تقوض السقف ، وأن أولئك الذين كانوا يحاربون فى الوكر

قد سقطوا مع السقف عند انهياره . واصطلحت حرارة هذه البقعة الجنوبية وجفافها وفعل النار فى تفحم الأجسام ، فحفظت الجثث حفظاً تاماً، فكانت الهيا كل أحسن حالا من كثير من المومياتالفرعونية.

فهذه جثة امرأة انقلبت على ظهرها فى إحدى صوامع الحزن . لقد دقت عظامها الأحجار المتهاوية ، ولكن جسمها بقى على خير حال ، حتى تكاد ترى على وجهها وسْم تباريح العذاب ، وقد نشب فى صدرها وبطنها ستة عشر نصلا من نصال السهام المحترقة ، وقد قبضت بيسراها على قوس صغيرة من خشب السندان شديدة بادية الشدة ، لا يزال فى طرفيها بقية من وترها .

وهذه امرأة خرى فى كتفها سهم ، وقد بلغ منها التهشيم ، ولكن تصفيف شعرها لم يزل فى خير هيئته ، وقد فرقته ثم أرسلت على كلا الصدغين ثلاث غدائر ، عقصتها إلى أعلى ، وثبتتها بسيور ملونة من جلد الغزال، وجمعتها عقدة واحدة فى مؤخر رأسها . أمامفرق الشعر فكان مدهوناً بدهان أحمر.

وعلى الأرض ثلة من المحاربين ، وفى يد أحدهم ثلاث قسى وحزمة فيها سبعة وعشرون سهماً ، وبيِّن أنه كان يوزع الذخيرة حين صرعته ضربة فأس . ورأينا آخر مات مثل ميتته الشنيعة ، فلا تزال ترى فأساً مشرشرة الحد ومغروزة فى جمجمته وقد غار فيها نصف النصل .

وعند فوهة المدخنة رأينا أشد المناظر مجلبة للأسى ، فهذا فتى فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر ، مضفور الشعر طويله ، قد دس من بدنه ما استطاع فى جوف الفجوة الصغيرة . والظاهر أنه كان لم يزل حيا عند ما خر السقف الملتهب ، إذ لم يحترق من جسده غير الجزء الأسفل ، وقد اخترق ظهره سهم . وإنك لتستطيع أن تقرأ فى قسمات وجهه الجامد دلائل الفزع التى ظلت مرتسمة عليه قروناً طويلة ، منذ اندس فى تلك الفجوة لكى يتقى لفح النار .

أزحنا التراب عن سبعة عشر برجا فى غالبنا ، فزودنا كل منها بتفاصيل جديدة عن تلك الفاجعة المروعة . فالأبراج جميعها قد أحرقت ، وكل منها قد ظل حتى النهاية يدافع عنه كل رجل وامرأة ممن وجدنا جثثهم فيه . أما ما كان فى نفوسنا من لهفة العلم على معرفة جواب هذا السؤال : من بنى هذه الأبراج ، فقد أذكاها سؤال آخر : من أباد القوم الذين بنوها ؟

فى وسعنا أن نعرف تاريخ هذه الخرائب بالفحص عن نماذج الخشب التى وجدت بها . وإن تعاقب فترات الجفاف والرطوبة –

كما يتبين من مقاطع خشب السقف والسلالم تدل على أن هذه الأخشاب قد قطعت بين سنة ١١٤٣ و ١٢٤٨ بعد الميلاد . ويبدو جليا أن أهل غالينا ، لم يكونوا من هنود « البوبلو » المعروفين ، فإن هيا كل أبدانهم تختلف بعض الاختلاف ، أما الأدوات والأسلحة فأشد تباينا واختلافا . وبناؤهم أبراجا من الحجارة ، هو وحده يميزهم عن أقوام « البوبلو » الذين نعرفهم الآن .

ولقد عثرنا فى بعض الأبراج على قطع من الفخار من طراز غير معروف فى أقاليم الجنوب الغربية ، ولكنه طراز شائع فى شرق وادى المسيسيبى . ووجدنا أيضاً أن هؤلاء قد زرعوا صنفاً من الحنطة وضروباً من اليقطين ، كانت معروفة عند الأقدمين الذين عاشوا على مقربة من « أيووا » وفى وادى الميسورى .

وعلى مقربة من الأبراج الحجرية وجدنا حفراً مستديرة ، يبلغ محيطها من ٣٠ قدما إلى ٥٠ ، محتفرة فى الأرض ، ويلوح أنها كانت بيوت أهل غالينا . والبيوت المحفورة كانت معروفة عند الهنود الذين عمروا سهول أمريكا فى سالف الزمن .

ومن هذه الدلائل وغيرها انتهينا إلى أن أهل غالينا قد وفدوا من السهول منذ بضع مئات من السنين قبل أن يبادوا . ويبدو أنهم وجدوا أن الجنوب الغربى قد حل به قوم آخرون ، وهذا خليق أن يفسر لنا لماذا اختاروا إقليم غالينا الوعر ، على جماله ، فاتخذوه موطناً . أما من أين اقتبسوا طريقة بناء الأبراج فذلك أمر مجهول ، ولربما كانوا هم الذين اخترعوا ذلك النمط الهندسى ، عندما حفزتهم الحاجة إلى الدفاع عن أنفسهم .

ولكن من هم أولئك الذين اجتاحوا إقليم غالينا حوالى سنة ١٢٥٠ ، وأحرقوا تلك الأبراج الصخرية برجا برجا ؟ فإن تكن جثث بعض المغيرين لم تزل مطروحة مع جثث صرعاهم ، فإننا لم نستطع حتى الآن أن نميز بعضها من بعض . وإذن فالدليل البين الذى نستدل به إلى معرفة أولئك الذين قضوا على أهل غالينا ، هى النهام المغروزة فى الجثث . إن هنود « النافاهو » و « الأباش » يتخذون عادة نصالا عريضة شائكة مركبة فى قداح ثقيلة . والسهام المغروزة فى جثث أهل غالينا ، سهام مركبة من قداح من الخشب والقصب ، ونصل مثلث صغير من الصوان ، وفى كل منها ثلاث ريشات وعلى فوقه علامة مميزة ، حتى يمكن تمييز القتلى وإحصاؤهم بعد المعركة . وهذه السهام المركبة هى من نفس الطراز الذى يستعمله هنود « البوبلو » .

هل كره بعض عشائر «البوبلو» تقحُّم أهل غالينا على تلك الأرجاء فأبادوهم ؟ لم نتحقق من ذلك بعد، ولكننا على يقين من أن أبراج غالينا ، القائمة على جروف منيعة وقمم لا تنال ، قد رماها فدمّرها واحداً بعد واحد ، عدوٌّ غير معروف . وكل برج من هـذه الأبراج جزء من الفاجعة التى وقعت حوادثها منذ ٧٠٠ سنة خلت.

وقد وصلنا منذ أيام كتاب من جو أريانو ، فقـد عثر فى جوف إقليم غالينا على بيت فى أنف جبل فى واد عميق لم نَجُب أرضه بعد. وفى ذلك عدة البيت أبراج ، وكل محتوياتها سليمة قد حفظها الجفاف . ويوم تضع الحرب أوزارها ، سنعود ثانية إلى إقليم الأبراج لنكشف عن بقية القصة الضائعة ، إذا استطعنا ووفقنا .



فى مقصف للجنود بمدينـة هوليود ، جلست فتاة أمام آلة كاتبـة تطبع عليها رسائل يمليها الجنود ، لكى يرسلوها إلى آبائهم أو أصدقائهم أو حبيباتهم . ومنذ عهد قريب وقف بحار طويل أشقر لا يزيد عمره على ١٩ سنة ، فى صف طويل ينتظر دوره ليملى على الفتاة رسالتـه . فلما وصل إليها وقف بادى الحياء فدعته إلى الجلوس ولكن عزمه خانه فى اللحظة الأخيرة فتمتم قائلا : « لا بد .. لا بد من أن أعيد التفكير فى المسألة » ، وعاد إلى آخر الصف .

وأخيراً جلس على كرسى بجوار الفتاة ، وجعل يملى عليها ما يلى، وهو يتلعثم فى كلامه، وينظر تارة إلى حذائه وتارة إلى السقف .

« حبيبتى : هذه هى الليـلة الأخيرة من إجازتى ، وغـداً أسافر ولكنى أريد أن أقول لك إنك أجمل من رأيت فى حيـاتى . ويا ليتنى لقيتك من قبل . ترى أترضين أن تكتبى إلى فى الحين بعد الحين ؟ إن ذلك فضل أقدره ، وإنك لفتاة مدهشة . فأتمنى لك كل خير ، وأرجو أن تكتبى إلى . إننى لم ألق فى حياتى فتاة مثلك — صديقينى » .

وبعد أن أعطى الكاتبة اسمه وعنوانه وقف وقال مسرعا فى قوله : « هذا وحسب ، وشكرا » وانصرف . فصاحت الفتاة : « هاه ، يا بحار ! ما اسم الفتاة وعنوانها؟ » فالتفت البحار وبلع ريقه وقال : « لست أعرف اسمك » ومضى .

هامش : (وقد قالت لى الفتاة : هذا فتى لا أجد بدّا من أن أكتب إليه)

[بيتر هلمرز]

بُـرج الشـهرة

روبرت فونتين
ملخصة عن مجلة " ذى أميريكان ميركيورى "

سنين قضيتها أقرأ القصص وأخال نفسى نابليون أو ولنجتون وأنا تحت شجرة التفاح فى فناء دارنا ، بدأت أتوق إلى أن أجعل لمغامراتى نصيباً أكبر من الحقيقة .

فمن رأس تلك الشجرة كان فى وسعي أن أرى الفناء الفسيح الذى يضع فيه مستر فربيرن أحطابه ، وأن أرى سائر الأطفال ، ومعهم سالى الصبية الشيطانة ، وهم يعدون ويقمصون .ويصيحون صياحاً كأن فيه نغمة مرح .

قلت لأمى وأبى : « لا بدّ لى الآن من أن أنطلق وألعب كسائر الأطفال فى فناء بيت فربيرن . إننى لا أحب أن أجلس دائماً وحدى تحت شجرة » .

فتعجب والدى وقال : « هكذا ! اسمع يابنى : جلس ذات مرة عالم تحت شجرة ، ولما صكت رأسه تفاحة ، غدا رجلا ذائع الصيت . فليس لزاماً أن تنتقل إلى مكان آخر لتصبح رجلا ذائع الصيت » .

« لست أبغى الصيت ، بل أريد أن أخرج للرياضة » .

فقالت والدتى : « أنت أصغر جدا من أن تحتمل الألعاب الجافية » .

فقلت ملحا : « لست صغيراً ، وإنما أبدو صغيراً » .

فهز والدى كتفيه وقال : « دعيه يذهب ، أين كنا نكون لو أن أم كولمبس حبست خطاه إلى الأبد فى فناء دارها » .

فلما دخلت فناء فربيرن نظر إلىّ الأطفال باستهزاء ، فقد قالوا إننى صغير جداً ، نحيف جداً ، شديد الخوف . وكان على أن أشترى المثلجات لكل منهم من قروشى القليلة ، حتى يسمحوا لى ببعض اللعب .

لم يكن فى وسعى أن أفعل شيئاً مما يفعله الآخرون ، إذ كنت أهاب أن أقفز فى حفرة على التبن الذى فى قعرها . وكنت لا أكاد أبلغ منتصف كومة الحطب حتى أسقط متدحرجاً . وكنت لا أكاد أخطو خمس خطوات وحسب على حافة السياج المرتفع ، حتى أهوى فى حقل الطماطم فى الحديقة المجاورة .

ولما كنت أضعف هؤلاء المغامرين فقد نالنى عقابهم ، فقيدونى فى إصطبل جواد يدعى هاري،وهو جواد كبير الحجم لطيف، إلا أن أرق الخيل حاشية لا يطيق أن يرى طفلا صغيراً مربوطاً فى ذيله ، ولا سيما فى الصيف حين يكثر الذباب .

وكان ضحك الأطفال يعلو حين أحاول أن أتجنب هارى وهو يخبط بى الجدران.

وفى النهاية فك عني القيد دون أن يصاب جسمى بسوء، وإن أصاب نفسى أذى بليغ.

« سأريهم ، هؤلاء الرعاع ! » .

هكذا قلت لنفسى فى الليل وأنا فى فراشى، وجعلت أبتهل إلى الله أن يبعث إلى ملكا يعيننى حتى أصبح قويا وشجاعاً .

وفى المدرسة سألت أستاذى : « كيف يصير الإنسان قويا شجاعاً ؟ »

فقال : « القوى الشديد الباس من عمر قلبه الإيمان » .

فقلت لنفسى : « حسن ، سأملأ قلبى إيماناً » .

وجعلت كل ليلة أخاطب صورتى فى المرآة : « أنت مؤمن ، أنت شجاع قوى » .

وبعد شهر من هذه المحادثة التى لم يقاطعنى فيها أحد ، قررت أن فى قلبى من الإيمان ما يكفى . وكما يحدث دائماً جاءت اللحظة الحاسمة .

كنت أسير على مقربة من الكنيسة حين قابلت سالى وسائر الأطفال ، فقال أحدهم : « الجواد هارى فى وحشة يتلهف إليك » .

وسألنى آخر : « أترى أمك قبلت رضوض جسمك حينما عدت إلى البيت ؟ »

وقالت سالى : « إخاله سينمو ويكبر حتى يصير قزماً ! » .

فجمعت قبضة يدى وتوهجت النار فى عينى .

وتوجهت إلى الله وقلت : « اللهم اهدنى إلى عمل أعمله ، اللهم اجعلنى الساعة عجيباً خارقاً ، وسأكون غلاماً صالحاً ، ولن آخذ نقود الصدقات أشترى بها المثلجات » .

فما هو إلا أن لاح فى نفسى خاطر يتألق .

رأيت برج الكنيسة ومن حوله عرائش الكرم المتينة العتيقة التى يسهل على طفل صغير أن يتسلقها ، وإن كانت شيئاً تافها يستهين به الأطفال الكبار .

فقلت لنفسى : « هلم ! » .

وتسلقتها شيئاً فشيئاً ، على حين كان المستهزئون فى دهشة ينظرون . وتسلقت ثم تسلقت ، حتى صرت لا أكاد أسمع صيحات الخوف على ممن كان تحتى ، ووصلت أخيراً إلى حافة البرج ، فقد تجاوزت عرائش الكرم ولم يبق هناك سوى بلاط أملس .

ترددت ، ثم غمر قلبى شعور غريب بأن ملكا يدفعنى ويقول لى : لا تفقد إيمانك .

قلت لنفسى : « هذا ملك يحوطنى ، فكأنها إذن مشيئة الله تريدنى أن أبلغ القمة » .

بلغتها ونظرت تحتى ، فرأيتنى قد صعدت

على لوح زجاج أملس . كان زملائى على الأرض يلوّحون ويصيحون . فامتلأت زهواً ، لقد وفقت أعجب التوفيق .

وسرعان ما شعرت بحرارة شديدة وظمأ طاغ ، وعزمت على أن أعود أدراجى .

ولكن — ويا للأسف — لم يكن الهبوط هيناً كما يظن ، فأنت فى صعودك تستطيع أن تعلق بالبلاط ، وأما فى الهبوط فأنت حرىّ أن تنزلق يجـذبك إلى الأرض ثقـل جسمك .

فأخذنى الرعب من فورى فتعلقت بقمة البرج وتمتمت : « أأنت تاركى ، يارب ، أهوى من هذا العلوّ فتندق عنقى وعظامي؟ اللهم أرسل إلى من ينقذنى، وليكن غراباً فى منقاره سـلم ، وإلا فأرسل إلى ملـكا فإن الغراب لا يحمل السلم ، اللهمّ أرسل ما تشاء ، ولك على أن أطيعك ما عشت » .

وكأن الله استجاب دعائى ، فقد أخرج القس ماكنتوش رأسه من نافذة الصومعة فى أسفل الـكنيسة ، فهدأت نفسى ، فقد بعث الله من ينقذنى . وسيهتدى القس بلا ريب إلى حل ، وسرعان ما سمعت رنين أجراس هائل ثم صوت إنذار .

هى فرقة المطافىء !

وفى مثل لمح البصر امتدّ السلم الضخم ، وما كدت حتى حملت إلى الأرض آمناً .

ولما صرت على الأرض ، ولم تزل فرائصى ترتعد ، أبيت أن أجيب على أى سـؤال ، أو أن أكلم أى إنسان إلا القس ماكنتوش سألني غاضباً : « ما معنى هذا ؟ »

وكان الاضطراب قد هدّ جسمى ، ولـكنه أيضاً أيقظ ذهنى ، فقلت له : « يا أبتاه لقد استبدت بنفسى رغبة عنيفة ، أن أدنو من السماء ومن رحمة الله ، صدقنى يا أبتاه ، فعرجت إلى أقصى ارتفاع أستطيع أن أبلغه . أفترانى أخطأت ؟ »

فنظر حـوله جافلا وبدا كأنه يخاطر بمكانته وعلمه .

ثم قال لى وهو يمسح بيـده ، رأسى الذى يتصبب منـه العرق : « كلا ! يابنى ، كلا ! ولـكن الدنو من السماء ميسّر للروح ، أما البدن فلا حاجة بك إلى حمله معك » .

وفى صباح اليوم التالى فى وقت الفطور ، وكنت مقبلا على طعامى ألتهمه ، ندّت عن والدتى صرخة . قالت ، وكانت تقرأ إحدى الصحف : « ياله من خبر ! اسمع ، صبى مجهول يتسلق برج الـكنيسة فى طريقه إلى السماء ، هكذا قال القسيس ، وهو فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمره » .

فكشر والدى ضاحكا ونفخ فى قهوته نفخاً رفيقاً ثم قال : « لعله مخبول » .

فقالت والدتى : « إن سألتنى رأيى ،

قلت لك : لعله يعيش في بيت لا يشعر فيه بحب من والديه أو عنـاية ، فأراد أن يفر بنفسه » . فقال والدى موافقاً : « جائز » .

فأردفت والدتى وهى جادة فيما ترى : « يجب أن يسجن أمثال هؤلاء الآباء » .

فسألنى والدى : « ما رأيك يابنى ، فأنت فى سن هذا الشيطان الجرىء ؟ » .

« أنا ؟ آه . . لا أدرى فأنا لا أحب أن أتسلق فيأخـذنى الدوار . أخبرنى يا أبتى ماذا فى العرض الجديد فى المسرح ، أهناك كلب يتقلب كالبهلوان ؟ أم هناك فتيات جميلات يغنين ؟ » .

خرجت والدتى ذاهبـة إلى المطبخ ، فهمس والدى فى أذنى : « إذا أردت مرة أخرى أن تزهى على أقرانك ، فخـذ مع الإيمان سلماً وقطعة حبل — أفهمت ؟ » .

فقلت : « أجل » ، واحمر وجهى خجلا وذهبت أدنى أنفى من صفحة الطعام .



الحيوان الذكر

كان هنرى وزوجه يعيشان فى مزرعة يربيان فيها الدجاج ، وكانت زوجه شـديدة الدؤوب فى عملها ، ولم تـكن تحجم عن أن تسوق الجرارة ، أو أن تبنى بيتاً للدجاج ، أو أن تقوم بأى عمـل يعد من أعمـال الرجال . وأما هنرى فكان يؤثر زيارة جيرانه ومحادثتهم على كل عمـل . وفى أحد الأيام مررت وزوجى بسيارتنا ، فوجدنا زوجه على مقربة من الجرن ، وهنرى واقفاً يراقبها . فوقفنا لهم ، وبعد حديث دام بضع دقائق عادت زوجه إلى عملها ، وأما هنرى فمضى مستغرقاً فى قصة يقصها وقدمه على سلم سيارتنا .

وسمعنا قعقعة فالتفتنا ثلاثتنا إلى الجرن ، وإذا زوجه تجهد جهد طاقتها أن تحرك برميلا من الصلب فيه ٥٠ جالوناً من الزيت ، ولـكن هنرى لم يقطع حديثه إلا هنيهـة ليقول لزوجته دون أن يحرك قدمه : « لا تحاولى أن ترفعيه ياعزيزتى . دحرجيه » .

[أودريه ساندبرج]

كنت أقضى إجازتى مع صديق فى كنتكى ، فعزمنا أن نخرج إلى التلال لنرى كيف يعيش سكان الجبال . فوصلنا إلى دار فى مزرعة ، ووجدنا رجلا مستلقياً فى شرفتها يدخن غليوناً ، ورأينا امرأة تحفر قطعة من الأرض . فدنوت من الرجل وسألته : « أليس ما تعمله زوجتك عملا شاقاً ؟ »

فقال : « نعم ، ولـكن العمل يجرى بالتناوب » .

فقلت : « فهمت ، فحين يتعبها العمل تتولاه أنت » .

فقال : « لا . حين يتعبها العمل فى الحديقة تتحول إلى العمل فى الدار » .

[ا . ت . سليفسترينى]

أيهما تصدق — أشهود العيان
فى جريمة ، أم دليل القرائن ؟

رجل يحاكم محاكمة فيها تلف نفسه وحياته ، وشهادة شهود العيان من أهل الشرف والذمة قد تسوقه إلى المشنقة ، وعسى أن يكون على ذلك بريئاً .

وهذه ثلاث قضايا حدثت ، فأنعم النظر فيها .

كان الشيخ « شولر رينير » لا يثق بالبنوك . ولقد قضى أكثر عمره ، وهو ٧٠ عاما ، يكد ويكدح فى مزرعته بنيوجرسى ، وكان يدخر المال الذى يربحه فى خزانة صغيرة فى جدار منزله الريفى . فزعم جيرانه أن فيها مبلغاً يتراوح بين ٢٥ ألف ريال و ٥٠ ألفاً ، ورقا وفضة .

وذات يوم بعد الظهر خرج شولر رينير فى بعض أعمال تمنعه أن يعود قبل الساعة السادسة . وأخذت « جين نيكسون » ، خادمته ، سنة من النوم وهى على كرسيها فى الردهة . ثم دنت منها أقدام تمشى على حذر ، وفتح الباب ، واستيقظت جين على صوت أجش يقول : « اجلسى كما أنت والزمى الصمت » فإذا أمامها شبح مفزع طويل ، مقنع بقناع أحمر ، وفى يده بندقية .

وبينا كانت تراقبه وقد ملئت رعباً ، اختطف هذا الشبح الشنيع المنظر مطرقة ثم انقض بها على الخزانة فحطمها ، ثم استخرج المال وذهب به .

وسمر الذعر جين نيكسون فى كرسيها ، بل سمرها الذعر وبداهة العقل معاً . فلم تكن فى حاجة إلى أن تعدو وراءه ، وتتعرض لفتك سلاحه ، ولم ؟ « لأنى أعرف من هو » هكذا قالت للفلاح الشيخ الثائر حين عاد إلى داره .

فحين كان اللص يسرق الخزانة زلّ القناع عن وجهه ، ورأت جين نيكسون وجهه وهى على بعد خمس أقدام منه ، وإنها لتعرفه كما تعرف وجه شولر رينير نفسه . وقالت : هو وجه « ول هاملتون » الذى يعمل فى المزرعة المجاورة .

وألقى القبض على ول هاملتون بعد ظهر هذا اليوم نفسه ، وقد أيد اتهامه ثلاثة شهود آخرون . فقد رآه قسيس القرية وهو يعدو من بيت رينير حاملا حقيبة ، ثم نادى عليه فلم يلب نداءه ، ثم شاهده اثنان من الصيادين رابضاً خلف ألفاف

من الشجر فى مزرعة رينير فادياه ، فما أجاب .

ولاشك أنه من سوء حظ ول هاملتون — هذا الرجل المبرأ من كلّ عيب — أن يتفق بعد إحكامه التدبير أن يزلّ القناع عن وجهه ، وأن يتفق أن يمر القسيس ، وأن يتفق أن يكون الصيادان فى الحقل .

ولنتدبر الآن قضية أخرى لا تقل غرابة عن قضية ول هاملتون ، فالمتهم فى هـذه أعظم وقاراً وأعلى مقاما .

كانت «نانسى لويس بتس» سجينة فى أحد سجون ولاية انديانا . وقد تزوجت قبل أن تحاكم وتدان بثلاثة أشهر وحسب ، ويبدو أنهـا كانت فى حاجة إلى مال لأن زوجها وليم أصبح بلا عمل وإنها لتحبه حبا جما . فعزمت — فيما يظهر — أن تستغل شيئا من مواهبها فى تزوير الشيكات ، فذلك خير من أن تظل دائبـة على قاصمة الظهر من غسل ملابس الجيران وخياطتها .

وجازت الشيكات على عشرات من مخازن التجارة فى ولاية إنديانا . وقد نم خط نانسى على شخصيتها ، كما قال رجال المباحث ، وساعدهم فى النهاية على اقتفاء أثرها ، وقد ثبتت التهمة بشهادة سبعة من التجار تعرّفوها دون تردد . ولا غرو أن يكون هناك سبب خليق بأن يذكرهم بها ، فإن كتابة الشيك — وقيمته دائماً أكبر من ثمن الشراء كى يتسنى لها أن تصرف الباقى نقـداً — كان يقتضيها أن تحادث التاجر وجهاً لوجه بضع دقائق .

فرأوها توقع بأسمـاء ، ظهر فيما بعد أنها منتحلة . وقد دافع عنها زوجها دفاعاحاراً .

وهاهو ذا مثل أغرب فى التحول الباعث المثير ، من الاستقامة إلى طلب المال من أهون سبيل . فهاهما شابان متهمان بالقتل ، وسينسحب المحلفون حالا للمداولة فى الحكم وإن كان مفروغا منه .

فذات صباح من شهر يناير قبل الساعة التاسعة اقتحم ثلاثة لصوص داراً للسنما بمدينة لين بولاية ماساشوستس ، وسددوا بنادقهم إلى عشرة من الخدم ينظفون الدار ، ثم ساقوهم إلى إحدى الغرف . وكان أمين الخزانة فى طريقه ، لا يريبه شىء ، وهو وحده الذى يستطيع أن يفتح الخزانة .

وفى ذلك الحين أقبل ملصق إعلانات كبير السن فدخل المسرح ليأخذ سلماً ، فأمروه أن يدخل الغرفة ، ولكن الخوف لم يسرع إليه إسراعا يرضى اللصـوص ، فضربوه فصرعوه ، ثم هشمت رأسه رصاصة لغير سبب بين ، سوى القسوة التى لا تعرف الرحمة .

ثم وصل أمين الخزانة وفتحها لهم مطمئناً

لأنها كما قال : « كانت خالية » ، فقد أودع دخل اليوم السابق فى القسم الليلى لأحد البنوك ، فى الثانية صباحاً . وهكذا لم يخرج اللصوص من هذه المغامرة بشىء سوى القتل .

وكذلك بقى عشرة أشخاص ساعتين ونصف ساعة ، فى حجرة واحدة ، مع هؤلاء القتلة ، فتيسر لهم من الفرص خيرها حتى يتفرسوا وجوههم ، ويذكروا ذكراً راسخاً ملامحهم وهيآتهم ونبرات أصواتهم .

وقد عرفوا أن أحد اللصوص كان يدعى ماك ، ورأوا آخر يرتدى سترة زرقاء ذات مشباك من نحاس أصفر .

عثرت شرطة بوسطن فى اليوم التالى على جثة قتيل ملقاة على شريط السكة الحديدية . وقد تبين أنه سائق سيارة يدعى « ماكانون » . ماك ! واتضح أنه كان صديقاً لسائقين ببوسطن هما « لويس بيريت » « وكليمنت مولواى » ، وقد عرفا بالاستقامة وحسن السيرة . فلما سئلا عما كانا يصنعان فى صباح يوم ٢ يناير ، كان جوابهما مضطرباً متناقضاً . وكان بيريت حين قبض عليه مرتديا سترة زرقاء ذات مشباك من نحاس أصفر .

وضع بيريت ومولواى بين عدد من الرجال ، فاستطاع خمسة من موظفى السينما الذين تهيأ لهم أن يذكروا هيئة القتلة ، أن يهتدوا إليهم بين صف الرجال ، وأن يميزوهم بدقة . ألم يروهم بأعينهم ؟

فها هى ثلاث قضايا محكمة غاية الإحكام : ول هاملتون الذى رأته جين نيكسون والقس واثنان من الصيادين . ونانسى لويز التى اهتدى إليها التجار السبعة . والمجرمون الذين ظل معهم موظفو السينما ساعتين ونصف ساعة فى حجرة واحدة .

وهذه القضايا جميعها متشابهة فى أن أبطالها تنكبوا بغتة سيرتهم المعروفة بالاستقامة والاعتدال ، كما أنهم جميعاً متشابهون من حيث أن ول هاملتون ونانسى وباريت ومولواى أبرياء كل البراءة .

فحين كان ول هاملتون فى السجن وصلت رسالة من رجل كان ضميره يؤنبه ، لأنه كان يعلم من الذى حطم خزانة رينير . وهو « جون إلزورث » مراقب العمارة التى يقطن فيها كاتب الرسالة ، والذى يحمل له فى قلبه حقداً . فلما تعقب رجال الشرطة جون الزورث عثروا عنده على المال المسروق .

وحينما استقبلت نانسى لويز شهرها السابع فى السجن عادت الشكاوى تتوالى عن الشيكات المزورة . فأخذ أحد رجال المباحث المرتابين فى الأمر ، صورة نانسى وعرضوها على أصحاب أحد المحلات التى رفعت إليهم شكواها . فقالوا : « لا شك إنها هى » .

وهكذا أفرج عن نانسى لويز التى لايمكن أن تزور الشيكات وهى فى السجن . وبعد مضى ثلاثة أعوام اعترفت المجرمة الحقيقية .

وحين بقى لويس باريت وكليمنت مولواى فى قاعة المحكمة ينتظران ، وقد انسحب المحلفون ، أقبل أحد المبلغين وهمس فى أذن وكيل النيابة ، ثم أوقفت المحاكمة ، وأفرج عن باريت ومولواى فى نفس اليوم . فقد قبض على شابين آخرين فى نيويورك ، ثم أدت أقوالهما إلى القبض على رجل ثالث فى بوسطن . فأفضى بقصة غريبة من الجرائم والقتل ، لاعن جريمة سنما لين فحسب بل عن جرائم كثيرة غيرها . وهؤلاء الفتيان القتلة هم الشقيقان ميلين وشريكهما ابراهام فابر . ولم يكن بينهم من يسمى ماك ، إذ كانوا يستعملون أسماء منتحلة حين يدعو بعضهم بعضاً .

ولو وضعت صورة ول هاملتون بجوار صورة جون إتورث فمن العسير أن تتصور أدنى شبه بينهما .

وقارن ، كما فعلتُ ، صورة نانسى لويز بالمزورة الحقيقية ، فمن الصعب أن تتخيل كيف يمكن أن تلتبس صورتهما . وأخيراً ضع ، كما فعلتُ أيضاً ، صورة الشقيقين ميلين بإزاء صورتى باريت ومولواى ، تعرف كيف يشق عليك أن تعثر على أربعة رجال يتباينون هذا التباين .

فليت شعرى كيف يقسم كل هؤلاء الشهود قسما بَتًّا أن هؤلاء هم المجرمون . فنى جميع هذه القضايا كانت الفرصة خير فرصة للتحقق من شخصية المجرمين ، غير أنها أدت ولا ريب إلى وقوع فى خطأ شنيع .

ولقد حدث ذلك فى قضايا لا تحصى ، ويمكن أن يحدث ذلك لأى إنسان . يسأل رجال الشرطة هذا السؤال المأثور : « أين كنت فى صباح يوم كذا وكذا ؟ ؟ » فربما كان من العسير أن تجيب ، لأن معظمنا لايقيّد ما يصنعه فى كل لحظة . ولاشك أننا لم نشترك فى أية جريمة ، غير أنك تجد من يحلف اليمين مشيراً إليك : « هذا هو الجانى » .

ومثل هذا الدليل لا يمكن أن يرفض رفضاً باتاً ، ولكن لما كانت شهادة العيان مظنة الخطأ كما ترى ، صار رجال الشرطة أقل ثقة بها من ثقتهم بدليل « القرائن » على كثرة الإساءة فى استخدامه .

وفى وسع ول هاملتون ونانسى لويز وكليمنت مولواى ولويس باريت ، وهم أربعة « مجرمون » فى قضايا اكتشف سرها عفواً ، أن يخبروك لم يكون ذلك ؟ فهم يعلمون ، كما يعلم علماء النفس والمشعوذون ورجال المباحث ، أن عيوننا وآذاننا غير معصومة ، وأنها حرية دائماً بأن تخدعنا — وأنها قد تخدع شاهداً عابراً سليم القلب .

باب الكتب

رواية الضابط البحرى إليف دافيد رتشردسون نفسه عن حربه الخفية فى جزيرة ليتى.

عصابة أمريكية فى الفلبين

ملخصة عن كتاب بقلم إيرا ولفرت

فى هذا الكتاب رواية تامة لأول مرة لقصة الضابط رتشردسون الرائعة عن الحرب الخفية على اليابانيين فى الفلبين . وقد ظل المطاردون الباقون من كارثة باتان عامين يقومون بهذه الحرب الخفية الباسلة ، دون أن يشار إليهم فى الأنباء ، فقد كتم الجنرال ماك آرثر خبرهم ، لأن العصابات التى كانت تشن هذه الحرب كانت ترسل إليه باللاسلكى معلومات ثمينة عن حركات سفن اليابان وطائراتها وجنودها .

فى كتاب و . ل . هوايت الخالد — عن زوارق الطربيد التابعة للولايات المتحدة فى معركة الفلبين الأولى — يروى الملازم روبرت ب . كيللى كيف أن الضابط إليف دافيد رتشردسون فى عيد ميلاده الرابع والعشرين يدير دفة الزورق ، حين أغرقوا طراداً يابانيا بعد معركة تجلت فيها البطولة . وبعث كيللى برتشردسون إلى شاطئ سيبو فى قارب ليجئ بطبيب للجرحى وفى أثناء غيابه ، دمرت الطائرات اليابانية زورق الطربيد . وفى اليوم التالى — ١٠ إبريل — سقطت باتان .

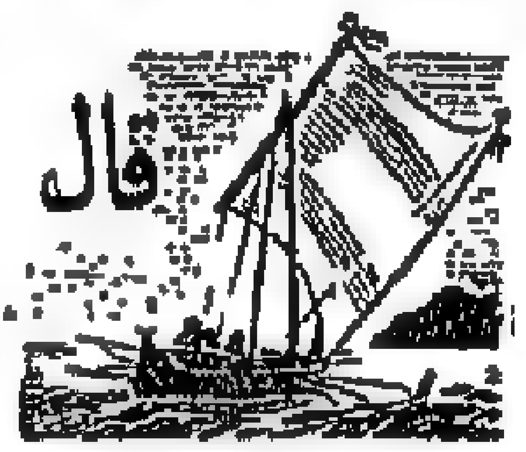
جمع الضابط رتشردسون من بقي من رجالنا وانضم إلى قواتنا البحرية في جزيرة ماكتان ، ومن هناك ، كما قال الملازم كيالى ، « يحاولون جميعاً أن يهربوا إلى جزيرة ليتى . وكان هذا آخر عهدى بهم »

ولـكن هذا لم يكن آخر عهد العالم بهذا الضابط الشاب ، فقد فر إلى ليتى ، ثم اشترى هو و ١١ أصحابه آخرين زورقاً شراعيا صغيراً وأوقروه بالمؤن ، ومن بينها خنزير حى ، وانطلقوا إلى أستراليا ، غير أنهم لم يقطعوا سوى ٢٠ ميل حتى ثارت بهم عاصفة مفاجئة فقلبت زورقهم على مسافة ثمانية أميال من الشاطىء . واستطاع خمسة منهم ، بعد أن سبحوا ثلاثة عشر ساعة في الماء ، وبعد جهد لايكاد يصدق أن يبلغوا الشاطئ ، والتقط الأهالى الموالون الآخرين .

وكان رتشردسون يرجو أن يبحر مرة أخرى إلى أستراليا ، وإذا بفرصة نادرة تسنح له ليؤدى خدمة مباشرة لبلاده .

فقد اتصل بالعصابات ، وساعد على تنظيمها وتدريبها وقيادتها ـ ثم قصص أخرى عن حرب العصابات ، ولـكنه ما من قصة أخرى تفوق قصة هذا الكفاح في الفلبين ، وقدرتها على تحريك النفوس وتقوية القلوب .

وقد كتبها أيرا ولفرت كما رواها الضابط رتشردسون بألفاظه :



رتشردسون : ظلت الرقعة التى كنت فيها من الفلبين هادئة طول الصيف من سنة ١٩٤٢ ، ولم تكن لليابانيين هناك قوة كبيرة ، فقد مضى جيشهم الرئيسى فى زحفه ولم يخلف وراءه إلا شراذم ، فقضيت أنا ومن معى من الرجال عدة شهور حول القرية ، على مقربة من الموضع الذى غرق فيه الزورق الذى حاولنا أن نذهب به إلى أستراليا ، وزجّينا الوقت بصيد السمك والسباحة ، والكسل على العموم .

وكنا نعيش مع أسر من الفلبين ، ونتنقل بينها من حين إلى حين حتى لا يبهظ أسرة واحدة منها عبء إطعامنا ، واتقاء لليابانيين الذين كانوا يرسلون أحياناً دوريات ولـكن الأهالى كانوا ينذروننا إذا أقبل اليابانيون ، حتى ولو كنا فى قرية غريبة أو مارين بضيعة فى الجبال .

« نعم يا سيدى ، نعم ، كان الأمريكيون هنا يا سيدى ، وقد رأيتهم بعينى رأسى يا سيدى ، ولـكنهم رحلوا منذ ثلاثة شهور أو أربعة » .

هذا ما كان يقوله الفلبينيون ، ولعلنا ما اختفينا إلا قبل ذلك بخمس دقائق .

وكان هناك أمريكيون مبعثرون فى كل مكان مختبئين . وحوالى أول سبتمبر ملّ طول الإختباء من العدو « أبوت » — وكان راعياً فيما سلف — وأمريكى آخر اسمه تونى هيراتيك ، وكان فى الجبل قرب بالينجاساج ،وكانا يختلفان كثيراً إلى المدينة، فأهلها يعرفونهما . وفى أول سبتمبر أقبلا كالعادة فقيل لهما إن هناك ثلاثة من اليابانيين فقال أبوت : « تعال نطردها من المدينة » .

وكان معهما بنادق أتوماتيكية من طراز برونج ، وكان اليابانيون مسلحين أيضاً ، ولكنهم ذعروا فدخلوا فى كنيسة من الخشب وصعدوا إلى برجها ، ولم يكن وقت أبوت وهيراتيك يتسع لحصارهم وتجويعهم فأضرموا النار فى الكنيسة ، ولم يحتج أحد .

فألقى أحد اليابانيين بنفسه من البرج وتحطم ومات على الأرض، واحترق الآخران مع الكنيسة ، وانصرف أبوت وهيراتيك إلى شأنهما ، وقال الأهالى لهما : « مرحى ! خيراً صنعتما ! » وإن كانت كنيستهما قد دمرت تدميرا .

ونقل التهامس الخبر ونشره فى طول الجزيرة وعرضها ، وذاعت فكرة « اقتلوا اليابانيين » وهى بسيطة،ولكن مامن أحد عنى بأن يعمل بها من قبل ، فالآن بدأوا. وفى نحو أسبوعين وجدت حوالى خمسين عصابة منفصلة تجوب الجزيرة ، وكل منها يحمل اسماً ضخما،وعلى رأسها زعيم طموح.

ولم تكن ثم صعوبة فى تأليف هذه العصابات ، فقد كان مما أدى إليه وجود اليابانيين تعطل كثير من الرجال : أصحاب زوارق صودرت مراكبهم، وجنود فلبينيون سابقون . وجاءت سياسة عدم التعاون الفلبينية مع منهاج « الرخاء المشترك » اليابانى فزادت عدد العاطلين ، من معلمى المدارس مثلا ، والموظفين والأعوان السياسيين على اختلافهم، وسائقى سيارات النقل .فالعصابة من هؤلاء الرجال كان لها مقام محترم فى جماعاتهم .

وكان غير الصالحين يقودون هذه العصابات فى البداية ، فكانوا يهبطون قرية من القرى ، ويزعمون أنهم مقاتلون فى سبيل الحرية ، ويأخذون من الأهالى ماشاءوا — ثيابا ، وبنادق ،وطعاما ،وكل ما يستطيعون أخذه حتى النساء !

فقلت لمن معى من الرجال : « إن هذا النوع من النشاط لاينبغى لنا » .

وبعد قليل سمعت بكولونيل أمريكى له جيش من عصابة صغيرة فى ماليتبوج على

شاطىء ليتى الجنوبى . فاستطعت أن أذهب إلى هناك ، وعرفت أنه الكولونيل مورجان الذى كان فيما سبق فى خدمة البوليس الفلبينى . وقد انضم إلى الكولونيل وندل فرتيج من جيش الولايات المتحدة الذى عهد إليه الجنرال دوجلاس ماك آرثر بعد التسليم ، فى تنظيم نشاط العصابات . وأخبرنى مورجان أنه يعمل الآن فى معاونة فرتيج على توحيد العصابات فى كل مكان وتقسيمها إلى مناطق عسكرية منفصلة ، ومتى اتحدت فإنها تحصل على الاعتراف بها والمساعدة لها من ماك آرثر ، ولكنه لا اعتراف بها ما بقيت هوجاء .

فبدا لى أن هذه فرصة حسنة ، وانضممت إليهم ، فأرسلنى مورجان إلى زعيم عصابة آخر هو الكولونيل روبرتو كانجليون ، وهو رجل قضى فى جيش الفلبين سبعة وعشرين عاما ، وكان أول وطنى عينه ماك آرثر قائد فرقة ، وبعد الهزيمة سلم هو ووحدته ، ثم استطاع بعد ذلك أن يفر إلى جنوبى ليتى .

وكان لكانجليون بيت صغير نظيف مخبوء فى الجبال ، لا يستطيع أحد أن يدنو منه ، لأن رجالا كامنين فى الأدغال يقفونك بالسلاح حتى يأذن فى مقابلتك . وكان هنا مقر قيادة العصابات فى ليتى ، على ما كانت من ضعف فى ذلك الوقت .

وكان كانجليون لا ينهب . وقد أقام مصنعاً بدائيا للصابون ليحصل على المال ، وهذا المصنع عبارة عن عجلة من الخشب ويد تدير مخرطة ساذجة تخرط جوز الهند ، ثم تغلى الخراطة التى تتناثر ويطفو الزيت على السطح ، وبعد أن يتبخر الماء يضاف إلى الزيت خلاصة رماد الخشب ، ولم يكن هذا صابوناً حسناً ، ولكنه كان خيراً من لا شىء ، وكان الأهالى يتلهفون على شرائه .

لما زرت الكولونيل كانجليون أول مرة ، كان جندى يدير العجلة ، وكان الكولونيل يمسك بقشر الجوز للعاصر ، فقدمت نفسى إليه وعرفته أنى ضابط فى بحرية الولايات المتحدة ، فقال إنه سمع بى من أمريكيين آخرين . وبحثنا بإسهاب مسألة تنظيم العصابات وكيف نوحدها لنحصل على الاعتراف والمساعدة ، وكيف نبقى حتى تأتينا المعونة دون أن نكون عالة وحملة على الأهالى .

وانصرفت فى مهمة ، فإنه كان قد أرسل اثنين ليتصلا بالكولونيل فرتيج ، فاختفيا ولم يظهر لهما أثر ، فعرضت أن أكون أنا الثالث الذى يقوم بهذه المحاولة .

إلى منداناو فى زورق شراعى صغير ومعى مسدس أعطانيه الكولونيل كابجليون ، وكان أول همّ لى أن أجد كولونيل اسمه ماك ليش ، فإنه هو الخليق أن يعرف مكان فرتيج .

وساعفنى الحظ مع اليابانيين ، فلم أر أحداً منهم ، ووجدت الكولونيل ماك ليش بسهولة . فلما صرت عنده رأيت عصابة حقيقية ، فقد كان هناك مَنْسَر كامل من الجيش والأسطول وجدوا الطريق بسلام إلى أرض العصابات .

فقال ماك ليش إنه سيذهب قريباً إلى مقر القيادة العامة — كما يسمى البيت الذى يقيم فيه فرتيج — وأنه يسره أن أرافقه ، فركبنا الزورق « روزاليا » ، وهو زورق بخارى حسن اغتصبوه من اليابانيين .

وقال لى الكولونيل ماك ليش : « إننا بدأنا بقيد معوّق ، فإن معاركنا الحالية هى فى سبيل المؤن . ولسنا نقاتل حتى من أجل حياتنا ، فإن هذا يكون تبديداً للرصاص ، وكل ما نفعله هو أن نجرى . ولكننا نقاتل اليابانيين من أجل المؤن . ومن هنا استولينا على روزاليا » .

ووكل إلى الكولونيل ماك ليش قيادة الزورق وقال : « لما التحقت بالجيش قال الأسطول : سنحملكم إلى هناك . حسن يا بنى ، خذنى إلى هناك » فراجعت السرعة والاتجاه ، وأقلعنا فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وفى نحو الساعة الرابعة صباحاً كنا ماضين بسرعة حسنة ، وفى لين ويسر ، والمراقبان اللذان فى المقدمة يبدوان يقظين غير واضحين ، والحال تبعث على الرضى ، وإذا بهما يحولان من السواد إلى الشهبة اللامعة ، فقد ارتمى عليهما نور كشاف — نور كبير — من مدمرة .

وكان النور علينا تماماً ، فجعلنا نبدو فى لون باهت من الخضرة الضاربة إلى الزرقة . وكما يحدث أحياناً فى الحرب لم يتحدنا أحد لحسن الحظ . ولا أزال إلى اليوم أرتجف كلما فكرت فى ذلك . فمضينا بأقصى سرعة — نحو ست عقد فى الساعة — وانطلقنا إلى الشاطىء رأساً . وكنا على مقربة من سلسلة من الصخور تمتد من الشاطىء إلى البحر مسافة ميل ، فإذا كان المد عالياً استطاع الزورق ان يسير فوقها ولم تستطع سفينة أن تتبعه ، فأسرعنا إلى الساحل ووثبنا إليه .

وقصدت أنا والكولونل ماك ليش إلى الجبال ، وشرعنا نشق طريقنا فى حقول

الأرز ، وما لبثنا أن أقبلت امرأة تعدو نحونا من الطريق وتصيح : « اليابانيون ! اليابانيون آتون » .

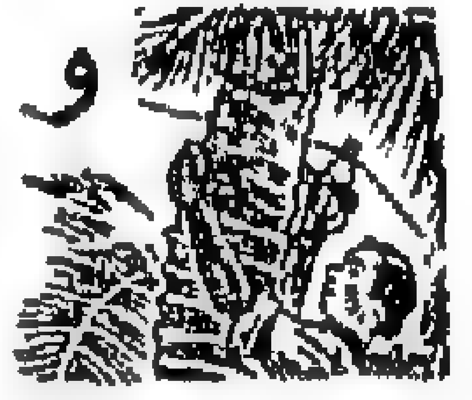
ومرت بنا سرية من اليابانيين ونحن مختبئون ، وكانت لهم ضوضاء وهم يمشون ، ولمعداتهم صرير وصريف ، فمروا بنا كأنهم أشباح تتراءى فى حلم ، واستأنفنا السير واضطررنا إلى الاختباء من عدة دوريات يابانية .

وقد علمنا فيما بعد أن اليابانيين نزلوا قبل ذلك بوقت قصير فى عدة مواضع على طول الساحل المجاور ، فى حملة مفاجئة ليأخذوا العصابات على غرة ، ويستولوا على مؤنها . وكان يساعدهم رجال من الطابور الخامس ، فهم يعرفون على وجه الدقة إلى أين يقصدون . وكان فرتيج يتخذ مستودعات من بيوت مبعثرة بعثرة واسعة فى الجبال ، وكان اليابانيون يرسلون الطيارات فوق المستودعات ، إذا تعذر على جنودهم الوصول إليها ، وقلما كانت الطائرات تخطىء ، فكانت تهتدى إلى البيت المنشود من بين عدة من أمثاله وتضربه حتى تسويه بالأرض .

ولكنهم لم يهتدوا إلى فرتيج ، ولما وجدناه أخيراً كان قد اتخذ مقراً جديداً فى بيت جبلى عادى على قوائم من خشب ، وكان مقراً متنقلا لم أر فى حياتى أسهل من نقله . وكانت لفرتيج حقيبة صغيرة وضع فيها الخرائط والأوراق والشفرة ، وفى وسعه أن يثب من نافذة وينطلق ومعه الحقيبة إذا تطلب الأمر الهرب فى أية ساعة من النهار أو الليل . أما سجلاته وملفاته فكانت مخبوءة بعناية فى جحور مغطاة فى جوف الأرض . وكان فرتيج ، لما وصلت ، على اتصال يومى بمقر قيادة الجنرال ماك آرثر فى المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادى . وكان الاتصال قد حدث فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، إذ كان روبرت س. بول أحد رجال فيلق الطيران من ولاية أنديانا ، ووليم . ف . كونكو وستيوارت ويليفر من رجال اللاسلكى فى عمارة زوارق الطربيد للدوريات ، قد نجوا من اليابانيين وانضموا إلى فرتيج فى الجبال فقال لهم : « أنتم سلاح الإشارة عنــــدى » فبحثوا وصنعوا جهازاً مرتجلا ، وأخيراً أوجدوا الاتصال اللاسلكى ، وكان جهازهم عجيباً ، ولكنه يستطيع الإرسال والتلقى .

وظلوا أسبوعاً يرسلون الإشارات ويحاولون الاتصال بسان فرانسيسكو ، ولكنهم لم يتلقوا جواباً ، فظنوا أن جهازهم ربما كان مختلا ، فكانوا يفكونه كل ليلة ثم يركبونه مرة أخرى ، غير أنهم لا يتلقون جوابا .

ثم جاءتهم فجأة نقط وشرطات — حصل الاتصال مع سان فرانسيسكو ، واستعرف الكولونل فرتيج إليها ، وصار معنيا بعد بعد ذلك بإمكان إيجاد هيئة استخبارات فعالة للعصابات ولماك آرثر . وقد تحدثنا نصف يوم فى المسائل التى يقتضيها تنظيم العصابات على قاعدة عملية صحيحة ، ثم شرعت فى العودة إلى ليتى .



وكان علينا أن نقطع نحو ثلاثمائة ميل حافلة باليابانيين قبل أن يتسنى لى وأنا آمن أن أستقل زوقاً إلى ليتى . ولم أكن قط بديناً ، ولكنى فقدت نحو ٣٠ رطلا فى هذه الرحلة ، فلما شارفت نهايتها كنت أحس عظامى تحتك تحت جلدى وتخزه ، وكانت جماعتنا مؤلفة من الكولونل ماك ليش وعشرة من الجنود الفلبينيين ، ومنى ، ومعنا ٢٠٠٠ طلقة من عيار ٣٠ر٠ وخمسة صناديق كبيرة من المهمات الطبية ، وكنا نضطر إلى التلبث بكل بلدة لنحصل على حمالين متطوعين يساعدوننا على الوصول إلى البلدة التالية .

وكنا نمشى يتقدمنا رائد فلبينى يكشف لنا الطريق ، وكان أعزل ، وكل ما يبدو عليه أنه صبى من أهل الناحية يؤدى رسالة . ويتبعه طليعة من أربعة جنود ، ثم الباقون ومعهم الأحمال والمهمات ، وأخيراً تجىء الساقة . فإذا شوهد ما يدعو إلى التحرز تراجع الرائد إلى الطليعة ، ونفخت الطليعة فى بوق من الصدف ، والنفخ فيه يحدث صوتاً طويلا حزيناً بعيد المدى .

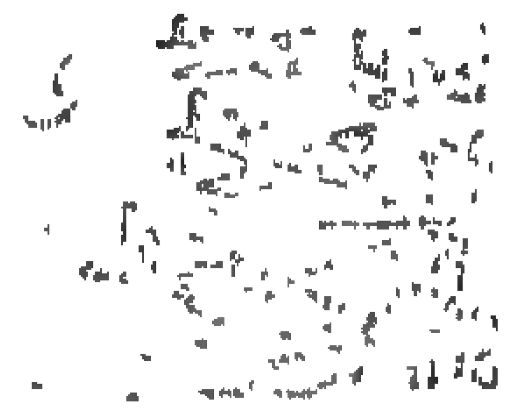
وهناك طائر له مثل هذا الصوت ، فهو نافع للتحذير ، ولكنا كنا إذا سمعنا صوت الطائر نظن أن العدو قريب فنختفى فى الأدغال ، وكان هذا يعوق تقدمنا كثيراً ، فكنا نرسل أحدنا يعدو إلى الطليعة لنعرف أنفخوا فى بوقهم أم ذاك صوت الطائر .

وحاولنا أن نسير بمعدل ١٥ ميلا فى اليوم ، وبعد قليل صار قلبى يخفق كأن فيه ريحاً ، وكل من يسير فى الأدغال يصيبه ذلك عاجلا أو آجلا من التعب ، فترقد وتحس كأن مضخة تفرغ ما فيها فى صدرك ، وبعد الراحة تزول عنك ، وأحياناً تحم أيضاً ، ولكن هذا أيضا يزول .

ولن أنسى قط هذا المسير — الحسك والأشواك تمزق الذراعين والساقين ، ورائحة الأدغال الرطبة العفنة ، واضطراب قلبى ووجيبه ، والعرق والقروح ، وما يتصبب من العرق الملح يكويها ، والإعصار يقذف بالمطر بشدة ، فيحس المرء أن القطرة

كيس من حصى ، وصوت البوق ، وطابور من مصفحات اليابانيين يمر بنا ونحن مختبئون في الغابة نتساءل والعرق يسيل : ماذا نصنع هنا ؟ وماذا رمى بالأمريكيين في عالم كهذا؟

ولما عدت إلى الكولونل كانجليون لم يعرفني أول ما رآني ، فقد كان البرق قد حمل إليه نعيي .



كانت المشكلة الأولى عند كانجليون هي الذخيرة . وكان جيشه الصغير يستعمل فواصل البطاريات ، وأطرافها وغيرها من المعادن اللينة لصنع الرصاص . فإذا استعملت هذا المعدن ، وأطلقت بعض طلقات ، سدت أنبوبة البندقية وارتدت عليك فقذفت بك عشر أقدام .

وصارت مسألة الذخيرة كلها مسألتي ، وكنت قد اتفقت مع الكولونل ماك ليش على أن يعطيني ٤٠٠٠ طلقة فارغة من عيار ٣٠ر٠ فنحشوها ونعيد إليه ألفاً محشوة . ووجدت شابا اسمه كويزون لتنظيم مصنع للذخيرة . فبحثنا حولنا وعثرنا على كور يدوي وعدد من المناشير ، ومبرد . فكان منها مصنعنا للأسلحة الصغيرة .

ويبلغ كويزون من العمر الحادية والعشرين ، ولم يكن له عهد سابق بالجيش ، ولكني جعلت منه « ملازماً ثالثاً » لأنه ذكي مِطْواع .

وبحثنا في دور المدارس عما يصلح لملء أصداف الرصاص ، وكانت القضبان النحاسية للستائر مصنوعة من معدن قوي سمكه كسمك الرصاصة من عيار ٣٠ر٠ ، فجعلنا نقطع القضبان إلى أطوال ملائمة ونبرد طرفها حتى تصبح مدببة ، ثم ندس هذه الرصاصة في بندقية قديمة محطمة من طراز سبرنجفيلد ، ونتناول قضيباً وندفعها به ، فإذا خرجت من أنبوبة البندقية فهي صالحة وإلا بردناها مرة أخرى .

أما المواد المتفجرة فاتخذنا لها مزيجاً من الكبريت وفحم قشر الجوز والإثمد ، ولكن مصدرنا الرئيسي للمواد المتفجرة كان الألغام البحرية اليابانية ، التي كنا نفكها ، وكنا نخلطها بمسحوق الخشب لنؤخر الاحتراق لأن المادة المتفجرة في اللغم أعنف من أن تصلح لرصاصة بندقية ، وقد نسفت خمس بنادق قبل أن نفطن إلى ذلك .

وكانت الطريقة أن نفرغ البارود في غلاف الرصاصة بقمع صغير صنعناه بأيدينا، ثم نضع القطعة من قضيب الستائر في الغلاف، تطوى فتحة الغلاف عليها بكلبتين (زرادية).

وكانت مهمة كويزون أن يقدر النسبة

اللازمة للمزيج ، وكان الأمر كله أمر تجريب ووقوع فى أخطاء ، فإذا حصل خطأ انفجرت الرصاصة فى أنبوبة البندقيــة ، فيخرج اللهب من بين المزاليج فيحرق يديه . وقد أتلف ذات صباح ثلاث بندقيات واحترقت يداه ثلاث مرات على التوالى ، وردّت كتفاه إلى الخلف بشدة تأذت منها قدماه .

فقال أخيراً : «سيدى، إنى لست مرتاحا إلى هذا الضرب من العمل ، وسأضع البندقيــة على المنضدة ، وأختبرها عن بعد يا سيدى » .

ثم استطعنا أن نستولى على ميزان صيدلى فامتنع أن تنسف البندقيات ، وكان استعمال هذه الذخيرة يرهق البنادق ، ولكنها كانت تفتك باليابانيين .

بل لقد كان هناك مدفع للهجوم على بلدة وقد صنعه الكبتن زابنتا الفلبيني وزوجته ، وكانت أنبوبته قصبة غاز عيار ثلاث بوصات وقد وقياها من الانفجار بغلاف من المعدن، وحلقــات مقواة بأسافين ، أما دبوس الإطلاق فكان عبــارة عن مسمار مدبب مقوى بأحزمة من المطاط مأخوذ من أنبوبة داخلية . وصنع زابنتا وزوجته ثلاث قنابل من قصبة نحاســية من عيار ثلاث بوصات وحشواها رصاصاً ، مضافا إليه ما وجداه من «الخردة» . وكان غلاف البارود طوله أربع بوصات وقد ملآه بالبارود إلى الحافة لأنهما كانا يريدان أن يســتوثقا من أن القنبلة ستنطلق .

ووضع هــذا المدفع المخترع على تجلات من الخشب ، وكان طول الحبل ٣٠ قدما لأنهما كانا واثقين أنه سيحصل ارتداد عظيم إذا انطلقت القذيفة .

وكان هناك من اليابانيين ١١٠ فى مدرسة البلدة، وهى مبنية من الأسمنت المسلح ليكون جوها طيباً .

وجر زابنتا وزوجته المدفع إلى مكانه ، وقضيا طول الليل يسدّدانه ، وحولهما جمهور متحمس يدلى إليهما بالنصائح ، وانتظرا إلى الفجر ليكونا على يقين من أن كل شيء على وجهه، ثم ارتد كل امرىء إلى الخلف، وتناولت السيدة زابنتا الحبل وجذبته .

فحدث أعظم انفجار على ظهر الأرض . واندفع المدفع واثباً فى الهواء ودار دورة كاملة وهوى على قصبته وشرع يتوثب ، وبلغ من تراجعه فى توثبه أن اضطرت السيدة زابنتا أن تجرى ، ولكن القنبلة كانت قد انطلقت واخترقت الجــدار وأصابت الشظايا مَنْ وراء الجـدار من اليابانيين . وكنا نسمع توجع اليابانيين طول النهار .



وكنا يومئذ فى سباق مع الزمن، ولا يخفى علينا أنه متى بلغنا من القوة مبلغاً يزعج اليابانيين فإنهم سيجيئون إلينا ويسحقوننا ، ولم نكن نتوقع أن نستطيع الفوز إلا بعد أن يعود ماك آرثر ، ولكنا كنا نعول على الفتك باليابانيين ، وعلى أن نستبقى أمل الأهالى فى التحرير يوما ما .

وفى أثناء ذلك أقام كانجليون فى منطقتنا حكومة جديدة ضد اليابانيين . وقد وضعت أنا إعلانها « رقم ٢ » وقد نص على أنه فى يوم ٢٥ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ أو قبله يجب أن يسلم من يملك المهمات الآتية اللازمة لإدارة الحرب ، إلى أقرب رئيس بلدية . وتضمنت القائمة الورق والإطارات وزيوت التشحيم ، والأسلحة النارية ، والذخيرة ، وأجهزة الراديو والمحركات والآلات — وبعبارة أخرى كل شىء ينفع حتى الخيوط والأزرار ، على أن يكون الدفع بواسطة سندات تسدد بعد النصر ،وكل من لا يلبى هذا النداء متطوعا يكون عرضة للمصادرة .

وقد حصلنا على مقادير عظيمة من المواد أكثرها قديم ، ولكن استعماله ممكن بقليل من التجديد . وقد أضفنا إلى ما تلقينا ، بالإغارة على الدكاكين الصينية ، وكان الصينيون فى الفلبين ممثلين إلى حد ما للصين القديمة فى التفكير — الصين التى لم تكن أمة وإنما كانت نهباً لسادة الحرب ، وهؤلاء يعدون كل حكومة أجنبية وغادرة ظالمة . وكان الصينيون قد قدموا من بضائعهم ما لا يعدو أن يكون رمزاً ، فأغرنا عليهم ، وعدنا بأحمال كبيرة ، ولم تثر الغارات عداوات بين الصينيين ، فقد تقبلوا ذلك راضين به على علاّته .

وقد غنمنا من الغارات ٢٠٠٠ بالة من المنسوجات ، فوضع كانجليون تصميما لبزة تصنع منها ، وهى عبارة عن قميص قصير الكمين وسراويل ، وقد صنعنا ٧٠٠ بزة من الألفى بالة ،وكانت خشنة الملمس، ولكنها على كل حال بزة .

واستطعنا بفضل الحكومة المدنية أن نوجد داراً لضرب النقود ، فطبعنا أوراقاً نقدية بقوالب من الخشب ، وكان فيها صور جاموس ، وكوخ ومناظر محلية — وكانت تبدو ذات صبغة رسمية .

وكانت دار سكّ النقود تعمل على قاعدة التجميع فى مدرسة قديمة ، فرجل يقطع الورق ، وآخر يضعه فى قطار ، ويغمس القالب الخشبى فى محبرة ثم يطبعه على الورق .

ولم نخف من التزييف ، فقد كان عندنا كل ما هناك من الورق ، وكان بعض هذا الورق النقدى مطبوعا على ورق اللف

وبعضه على ورق الكتابة ، وهو مسطر وله هوامش . وصنعنا الحبر بأن أخذنا مصباح زيت وجعلنا عليه غطاء يتاقى السخام (الهباب) ثم نمزج السخام بالجلسرين .



وعيني كانجليون رئيساً لهيئة أركان الحرب ، وكان طبيعيا أن أشعر أن من الضروري أن يكون هناك أركان حرب أنا رئيسهم . ولم يكن لنا ضابط للإشارات ، أو قسم لحرب الدعاية ، أو قسم طبي أو قسم للنقل . فعينا فيلوزو — وهو سياسي سابق — رئيساً للدعاية ، وأعطيناه جهازاً للراديو ليكون مصدراً للأنباء ، فصاغ الأنباء فى عبارات نارية كان قسم النقل يوزعها . وقد أنشأ قسم النقل رجل من رجال الأسطول الأمريكي ساهم فيه بموتوسيكل التقطه فى مكان ما . وأضفنا إليه مركبة خبأها بعضهم فى الأدغال ، وأخذنا من المدنيين ثلاث سيارات خفيفة وثلاث سيارات نقل ، ولم يكن عندنا دهان ندهنها به فتشبه سيارات الجيش ، وكان مكتوبا على أحدها « شركة جوز الهند الدولية » فتركناه عليها .

وكان البنزين مشكلة تتطلب الحل السريع ، فتخطى بنا هذه العقبة فرانك ليرد . وهو أمريكي عمل فى الجيش ١٥ عاما ، ومن قوله : « إنك فى الجيش تتعلم كيف تصنع أى شىء » فجئناه ببراميل وأنابيب مطلية بالزنك ومفتاح إنجليزى ، فعالج أمر البنزين ، واستخلص الكحول من ال « توبا » وهو شراب محلى من التمر .

وكان هذا وقوداً لا يعتمد عليه لأنه يمتص الماء بسرعة ، فإذا تركت زجاجة وفيها هذا الوقود إلى نصفها ، وبغير سدادة ، فإنها بعد ساعات قليلة تمتلىء إلى عنقها لأن كحول « التوبا » يمتص الرطوبة من الهواء .

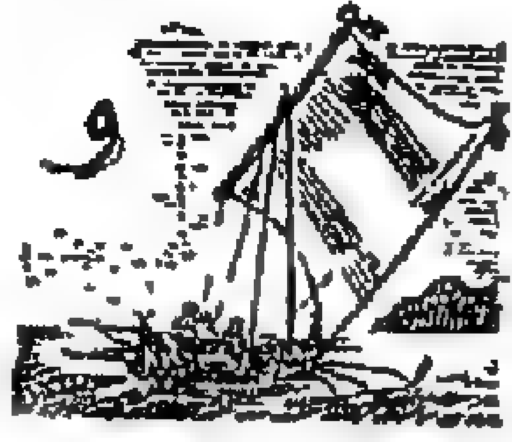
ولكن السيارات كانت تستطيع أن تقطع من ستة أميال إلى ثمانية أميال بجالون من هذا الوقود ، إذا جعلته يتدفق إلى الكاربورتر بأكثر من المعتاد . وقد أقبل عليه الجنود يحتسونه ولكنهم كفوا عن ذلك بعد أن أصيب أحدهم بالعمى الوقتى . وكان ليرد يستعمل الأنابيب المطلية بالزنك فى التقطير ، أما لتقطير الشراب فيجب أن تستعمل أنابيب من النحاس ، وقد استطعنا الحصول عليها ، بعد أن انتظمت الأمور ، بأن انتزعنا أنابيب النحاس من السيارات المحطمة .

ووضعت سلاح الإشارة تحت إشرافى الخاص ، وكان كانجليون يستخدم العدائين الذين كانوا يقومون برحلاتهم فى زمن يتراوح بين أسبوع وشهر أو شهرين .

وكان الأهالى قد قطعوا كل أسلاك التلفون بعد دخول اليابانيين، وكان هذا عملا وطنيا . ومن الممكن أيضاً اتخاذ المسامير من الأسلاك ، وكانت المسامير نادرة جداً، وقد حصلت على كمية من الأسلاك بأن أرسلت الجيش ليستولى على كل الأسلاك الشائكة وينزعها عن الأسوار ، ثم وكلت إلى لفيف من الجنود أن يعملوا بالكابستين فيفكوا الأسلاك ويلفوها على بكر .

واتخذت من زجاجات الصودا القديمة عوازل ، فكنا إذا وجدنا أعمدة تلغراف نربط الزجاجات إلى قممها بالسلك ، ولكننا كنا على الأكثر نتخذ النخيل لمخاطباتنا ، فاستطعنا فى شهر ونصف شهر أن نمد من خطوط التلغراف ما يقرب من ١٤٠ كيلومتراً .

وهكذا اتصلت مخابراتنا أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، وأفادنا ذلك سرعة عظيمة فى تلقى الأنباء وإرسالها . وكانت الأنباء هى المهمة الأولى لكل وحدة فى منطقة يابانية ، وكان كانجليون يريد أن يتصل به الخبر كلما عطس يابانى ، فصار البرق يبلغه ذلك فى نفس اليوم الذى يعطس فيه اليابانى لا بعد شهرين . وبذلك تهيأت لنا مقومات جيش ، فعندنا المخابرات ، وعندنا البزات العسكرية ، والجنود يدربون ويقومون بتجارب فى الكمين ، ومناورات الليل ، والزحف السريع ، وإصابة الهدف .



وفى ٢٧ من أكتوبر وردت رسالة من الكولونيل فرتيج يدعو فيها بعضنا إلى مقر قيادته ، فظننا أن ذلك معناه الجلاء إلى أستراليا ، فركبنا لرحلتنا زورقاً كبيراً حسناً كان قد استولى عليه الكبتن فالى من رجال العصابات .

وهو زورق صالح ، جاء وعليه ١٥ يابانيا لعلهم كانوا آتين من اليابان مباشرة ، ونزلوا إلى البر يبغون جوز الهند واللحم ، فحمل رجال فالى بنادقهم وراء ظهورهم وعلقوا جوز الهند على فوهاتها وكعوبها ، وأحاطوا بلا ضجة باليابانيين وهم ينزلون ، فلما دنوا منهم ألقوا جوز الهند وأطلقوا النار فصرعوا اليابانيين جميعاً .

ولما بلغنا مقرّ فرتيج تبينت أنى لست ذاهباً إلى أستراليا ، وإنما وقف الأسطول على خبرى ، فأنزلت من رئيس أركان حرب العصابات إلى ملازم فى أسطول الولايات المتحدة ، وكلفت أن أنشىء شبكة لاسلكية للتجسس على النقل البحرى اليابانى . وكان ماك آرثر فى ذلك الوقت لا يعنيه أن

تقتل اليابانيين أو لا تقتلهم ، وإنما يعنيه أن يتلقى أخبارهم .

على أن النبأ العظيم كان أن غواصة آتية إلينا تحمل مؤناً ، وكان فرتيج قدأوفد نحو ٥٠٠ جندى للمساعدة على التفريغ ، ودعا رؤساء العصابات من أماكن قصية مثل مانيلا . وغرضه الظاهر تنسيق نشاطهم ، أما غرضه الحقيقى فهو أن يروا الغواصة والمعونة التى تبذلها أمريكا . وأعد أيضاً ملء سيارتى نقل من الخضر الطازجة والفاكهة لإهدائها إلى الغواصة ، فقد كان يبغى أن تعود إلى مقر ماك آرثر فتبلغه أن له نظاماً حقيقيا نافعاً .

ولما دنا موعد ظهور الغواصة سرنا جميعاً إلى خور صغير على مسافة ستة أميال من المقر العام ، ولم يكن لليابانيين جنود يكفون لحراسة كل الجزيرة ، وكانت هذه المنطقة خالية منهم . وحوالى الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ ارتفعت صيحة على طول الساحل فقد طفت الغواصة .

وكان عندنا زورقان لإرشادها ، وكنت أقود أحدها ، بل كان عندنا أيضاً فرقة موسيقية فى قمصان بيض وسراويلات بيض عزفت بعض الأدوار .

فقال أحد بحارة الغواصة : « يظهر أننا غلطنا وذهبنا إلى هوليود ! » .

وكنت مزهواً جداً بالأسطول فى ذلك اليوم أمام كل هؤلاء الفلبينيين . فقد كانت الغواصة ضخمة كالبارجة ، وقد حملت إلينا بنادق تومى وبنادق عادية ، وقنابل يدوية ، ومدافع بازوكا ، ومدافع رشاشة من عيار ٥٠ر٠ ، وذخائر ، وأكسية للتمويه فى الأدغال وسجاير وشكولاته ملفوفاً عليها ورق كتبت عليه هذه العبارة « سأعود — ماك آرثر » .

وكان فرتيج قد نظم كل شىء بحيث استطاعت الغواصة أن تفرغ شحنتها وتبحر فى منتصف الليل . فشعرت كأنى مدار بى ، فإن هذه الغواصة ستقطع الطريق إلى أستراليا فى أقل من الوقت الذى تستغرقه عودتى إلى ليتى ، فلو أنى ذهبت فيها ، لعدت إلى الأسطول وإلى الاتصال اللاسلكى بالولايات المتحدة ومكافحة اليابانيين بأجهزة مصنوعة فى الولايات المتحدة ، لا بزجاجات صودا مشدودة إلى النخيل .



وكان بين الموجودين فى الغواصة « لونج توم باكنتر » ، وسيرته مع العصابات مثال لسير كثيرين من الأمريكيين المقاتلين الذين اختبأوا بعد الهزيمة فى الفلبين.

ولم يكن باكستر طويلا جدا فى الحقيقة ، ولكنه كان أطول من أهل الفلبين فسموه الطويل — لونج . وهو شاب أمريكى من الأوساط يناهز العشرين ، وقد جند وألحق بالفيلق الجوى الذى كان مرابطاً فى منداناو . فلما صار الموقف ميؤوساً منه فر إلى الجبال ، وبعد رحلة شاقة وصل أخيراً إلى هيناتوان على الشاطىء ، غير أنه كان فى حالة سيئة ، فدعاه العمدة ورئيس الشرط إلى العشاء ، وقدموا له طعاما جيداً ليطول الأمر إلى منتصف الليل ، ثم دعاه العمدة ليريه شيئاً فى ركن ، وسدد رئيس الشرط مسدساً الى ظهره ، ومضى به إلى السجن . وكانا قد تعمدا أن يفعلا ذلك فى الليل ، حتى لا يتدخل أحد من الأهالى المعادين لليابانيين ، وكانا يبغيان أن يتحببا إلى اليابانيين.

وتسلمته دورية يابانية ذهبت به إلى السجن فى سوريجاو ، حيث زاره يوزباشى يابانى ومعه جنديان يحملان بندقيتين مسددتين إليه .

ووقف الضابط ينظر إلى لونج برهة ، ثم ركله فجأة فى فخذه ، وركله فى ساقه ولطم وجهه .

وكان يتكلم وهو يضربه ، ويضربه حتى يقع على ركبتيه ويقول : « هذا لا يكفى » ويجذبه من صدر قميصه ويقول : « فلنجرب هذه الطريقة » ويصرعه مرة أخرى ، ويقول : « هذا حسن . هذا أحسن » ويركله وهو مطروح على الأرض قبل أن يشده وينهضه ويصرعه مرة أخرى ، والجنديان لا يتحركان ومعهما البندقيتان مصوبتين . ثم انصرف الثلاثة أخيراً ، بدون كلام أو تفسير .

وفى اليوم التالى أقبل اليوزباشى مرة أخرى وسأله : « كيف حالك يا نوم باكستر ؟ » وكان يدخن سيجاراً كبيراً ، ويبدو عليه الامتلاء والرضى ، كأنما طعم لساعته .

وكان لونج راقداً على فراشه ، فدفع إحدى رجليه لينهض ، وكان حافياً ، فأمسك اليابانى بقدمه ولسعه بالسيجار ، وجعل لونج يعالج الخلاص واليابانى يكوى بسيجاره الجلد الرقيق ، وأخيراً اصطدم رأس لونج وهو يتلوى بالجدار الحجرى فغاب عن الرشد .

وظلت هذه المعاملة أسبوعين ، وكان اليابانى حريصاً على إصابة ساقه بحذائه العسكرى ، وقد كانت الندوب باقية بمدسنة .

وفى عصر يوم أطل لونج من كوة محبسه فرأى مشنقة تنصب فى ساحة خلف السجن ، وقال الحارس فى صباح اليوم التالى للونج إن السبت التالى سيكون يوم احتفال ، وأن اليابانيين ينوون أن يحتفلوا فيه بشنقه .

فانتظر لونج طول النهار حتى دخل الليل ، وكانت تلك ساعات من أطول ما مر بإنسان ،

فلما جن الليل شرع يقطع قضبان الكوة بأداة لفتح العلب وجدها فى محبسه .

وكانت القضبان الغليظة مصنوعة من خشب ال « بايونج » وهو أصلب خشب معروف . وكان عليه أن يكسر قضيبين ، ولم يكن فى وسعه أن يواصل العمل بانتظام واطراد ، لأن هناك حارسين يتمشيان طول الليل أمام بابه . وأصيبت يداه بجروح فى الساعتين الأوليين من العمل ، ولكنه دأب عليه ، وصنع طينا من التراب يسد به الفراغ فى القضبان .

فلما طلع فجر الثلاثاء كان قد قطع الجزء الأسفل من القضيبين ، أما الجزء الأعلى فكانت معالجته أشق ، لأنه لم يكن يستطيع أن يصل إليه بآلة رافعة ، ولأنه كلّ وأضمره الإعياء ، وكان يلهث وهو يعمل ، وكانت أنفاسه تخرج عالية الصوت فى سكون الليل فيخشى أن يتنبه الحراس ، غير أنه ما كان يستطيع أن يكتم أنفاسه ، وتعبت عضلات ذراعيه حتى لصارت ترجف ، وكانت يداه مجرحتين ، ولكنه ثابر .

وفى ليل الثلاثاء ثار إعصار ، وهطل المطر أيضاً ، ثم انقطع المطر وسكنت الرياح فى الساعة العاشرة ، غير أن محطة الكهرباء أصابها خلل فانطفأت مصابيح الشوارع ، فانتظر لونج دقيقتين بعد مرور الحارسين فى الخارج ، وهو يعد الثوانى ، وقدر أن يكون له السبق بمقدار ١٣ دقيقة ، ثم نزع القضيبين وخرج .

وتسلل إلى الشاطىء ووجد قارباً صغيراً يملأ الماء ثلاثة أرباعه ، وليس به مجداف ، فراح يبحث كالمحموم عن شىء يصلح للتجديف ، قبل أن يجىء حراس الشاطىء ، فلم يجد إلا قطعة من الخيزران طولها ٦ أقدام وقطرها نحو بوصتين .

وليس فى وسعك أن تجدف بعصى مدورة ، فلم يقطع فى ساعة ونصف ساعة إلا نحو نصف ميل ، ولكنه بعد ذلك دخل فى تيار فحمله بضعة أميال ، فلما كان الفجر مال بالقارب إلى الساحل .

ولم يكن يدرى ماذا يصنع ، فقد كان وجهه الوارم من لكمات اليابانى ، كأنه علم يدل عليه أينما سار ، ثم أقبل رجل كهل كان يصطاد السمك طول الليل وكان لا يعرف الإنجليزية ، ولكنه ذهب بلونج إلى كوخه وأطعمه وغطاه بالغرائر ، فنام على الفور . واستيقظ بعد العصر ، وكان الرجل الكهل واقفاً عند رأسه ومعه مسدس ، وإلى جانبه صبى فى العاشرة من عمره .

وقال الصبى : « إنى ابن أبى » وكان الرجل قد جاء بابنه لأنه يتكلم الإنجليزية : « وأخى ياسيدى فى الجيش ، وقبل التسليم أعطى

أبي مسدسه ، وهو لك الآن » .

وكان من عيار ٣٢ر، ومعه خمس طلقات . وذهب الرجل بلونج في تلك الليلة إلى أسرة أخرى على الساحل فبقى معها نحو أسبوعين ، وكانت الأسرة كلها تعمل في الحقول طول النهار ما عدا فتاة صغيرة ، كانت تلعب وترتع حول البيت وحدها ، على حين كان لونج ينام نهاراً وليلا . ثم إن رجلا من الطابور الخامس عرف أن لونج هنا ، فأرسل اليابانيون جنديين للقبض عليه ، وقف أحدهما أمام البيت والثانى خلفه ، وأكبر ظنهما أنهما لا يناديانه حتى يخرج إليهما مرفوع اليدين ولكنهما نسيا الفتاة الصغيرة . فقد أيقظت لونج وأسرت إليه بصوت خفيض جدا : « رجلان — جاءا هنا »

وكان المسدس مع لونج ، وكان قد نام والمسدس إلى جانبه مرفوع الزناد ، فذهب إلى النافذة ورأى رجلا واقفاً وفمه مفتوح من الدهشة ، فلما هم الرجل بتسديد بندقيته ضربه لونج بين عينيه ، ثم رأى الرجل الثانى فأرداه . وخرج من هذه الحادثة بمسدسين آخرين ، فصار معه ثلاثة مسدسات وثمانى عشرة طلقة — وبهذه الذخيرة بدأ حرب عصابات بمفرده .

وكان نقل الأخبار بالتهامس يبلغ في العادة كل أمريكى وجود غيره ، وبهذه الوسيلة اتصل لونج توم باكستر بجوردون سميث ، الذى كان طباخا في الفيلق الجوى التابع للجيش ، وبدتش جيزين وهو شخصية لم يكن يجرؤ حتى كونراد أن يبتدعها . وقد مات دتش ولاشك ، ولكنه في زمنه قد ركب البحر في سفن شراعية وأخرى بخارية بين شيلى والشرق ، واشتغل بكل عمل من التعدين إلى تهريب الرقيق لأثرياء الصينيين .

وذهبت عصابة الثلاثة إلى منجم منداناو للحديد ، وحصلوا على أنبوبة من الحديد طولها نحو ثمانى بوصات ، وحفروا فيها أخدوداً بمبرد لتتطاير شظاياها حين تنفجر ، وحشوها بقطعتين من الديناميت وجدوهما في المنجم وجعلوا لها غطاء وفتيلا .

ثم هبطوا إلى مالامونو حيث اتخذ عشرون من اليابانيين المدرسة ثكنة ، وبقى جيزين وسميث على التل ليحموا ثالثهم ، وتسلل باكستر بين الحشائش العالية إلى مبنى خلف المدرسة مباشرة ، فأشعل الفتيل وأمسكه ثانية أو نحوها ، وهو يصغى إلى الغمغمة ، وإلى اليابانيين وهم يلغطون داخل المدرسة : ثم قذف بالأنبوبة من النافذة .

وقال لى باكستر : « بعد ذلك ذهبت أعدو بأسرع ما أستطيع ، ثم نظرت ورأى تخيل إلى أن جوانب البناء تكورت قليلا ، ثم

بدأت الأشياء تطير من خلال الجدران ».

هذه هي قصة لونج توم باكستر على قدر ما أعرف ، وبعد أن أبحرت الغواصة كانت مهمته التالية أن يحرس النهر ، ولم تكن هناك طرق في الأدغال ، فإذا حرم اليابانيين الانتفاع بالنهر ، فإنهم يضطرون أن يسيروا أميالا حول هذه البقعة ليحافظوا على الاتصال بين حامياتهم .

وكان آخر مرة رأيته فيها ، يمشي مترهلا مع رجاله ، وقد لوحته الشمس وانتفش شعره حتى بدا كأنه واحد منهم .

فقلت له : « مع السلامة يابني ! »

فلوح لي ببندقيته وقال : « واظب على الضرب » .

وكانت مهمته خطرة جدا ، فقد كانت الطريقة الوحيدة لحراسة النهر أن يركب قاربا من قوارب الأهالي ، وكانت على طول جانبي هذا النهر اللعين ، أماكن كثيرة يسهل التربص فيها ، ولم أسمع به بعد ذلك ، ولكني أرجو مخلصاً أن يكون حيا .



و شرعت في الإياب إلى ليتي في أول ديسمبر على زورق ومعي من المهمات ما يكفي تركيب ثلاثة أجهزة للراديو ، وبعد رحلة مثيرة كثر فيها التواري عن زوارق الدوريات اليابانية ، نزلنا في بورجوس حيث أقمنا أنا والملازم جوزيف ريفا ريال — من رجال اللاسلكي سابقا ، محطة لاسلكية واحدة.

وكانت هذه هي المرة الأولى والوحيدة ، التي عملت فيها عصابة كان لي بها شأن، بنجاح من أول الأمر . وقد أقمنا المحطة في منزل بجوار الطريق، ومددنا السلك بين شجرتين من أشجار جوز الهند ، وأرسلنا رسائلنا اللاسلكية، ولكن فرتيج لم يتلق أية رسالة مدة يومين، فقد كان في الطرف الآخر عنده خلل ما ، على ما يظهر ، وكانت لهم متاعبهم ومصاعبهم هناك .

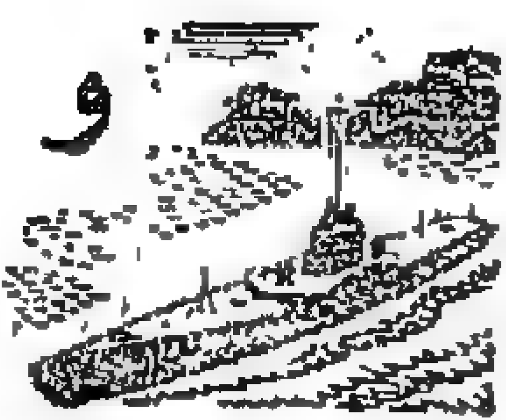
وفي اليوم التالي هبط اليابانيون في كل مكان ، واستولوا على كل البلاد التي كانت في أيدينا في جزيرة ليتي ، وعلى بلدتين في جزيرة باناؤن على الجانب الآخر من الخليج ، وكانت عصابات ليتي الجنوبية قد بدأت تحز جلودهم، فمدوا أصابعهم ليقضوا علينا .

ولم يجد اليابانيون في المنطقة الجنوبية من ليتي جيشاً يقاومهم ، فزحفوا شمالا على الشاطىء وانتشروا في الجبال ، وراقبناهم وهم ينظرون مستغربين إلى نظامنا التلغرافي الذي استخدمنا فيه زجاجات الصودا ، وتلاقت ظوا بيرهم على غير شيء .

وكان العمل الوحيد الذي قاموا به هو

شروعهم فى استخدام نظامنا التلغرافى ، فقطعنا الخط ، فأصلحوه ، فقطعنا الأشجار ، فوصلوا الخط بأشجار أخرى ، فقطعنا فى ليلة واحدة عشرة كيلو مترات من الأسلاك ، فنفضوا أيديهم يائسين .

وكان كانجليون يدير حرباً تنطوى على الذكاء والحذر ، فما كان عنده سوى ٧٠٠ رجل ، ونصف هذا العدد من البنادق ، وقليل من الذخيرة ، وقد طاردهم اليابانيون بأكثر من خمسة آلاف مسلحين أسلحة ثقيلة . غير أن كانجليون كان يعلم أن اليابانيين خليقون أن يملوا إرسال طوابيرهم فى زحف سريع طويل لا ثمرة له ، وأخلق بهذه القوة أن تكون باهظة التكاليف ما دامت لا تصنع شيئاً ، على حين تنشط العصابات فى جزر أخرى ، وحينئذ يشرع اليابانيون فى سحب قوتهم ، وليس فى وسعه أن ينتظر حتى يتم انسحابهم ، إذ لا بد لأسباب سياسية من أن يقع قتال ، فقد أمد الشعب بالعون جيشاً من العصابات ، فلا مهرب من أن يقاتل من أجلهم ، وإلا فكيف يبقى الأمل فى التحرير إلى أن يعود ماك آرثر ؟ وإذا انتسخ الأمل فى التحرير ، فمن أين لماك آرثر بالاستخبارات ؟ وأية قوة تكون هناك لساعدته حين يجىء ؟ كلا ، لا بد من القتال ، ولكن ليس الآن — واليابانيون كأقوى ما يكونون .



وفى أثناء ذلك ذهبت أنا وريفاريال والجاويش بدرو باتوران لإقامة الجهاز اللاسلكى الرئيسى ، فجدفنا فى الخليج ليلا ، وفى صباح اليوم التالى قادنا دليل من رجال العصابات مسافة أربعة أميال مصعدين فى النهر إلى كوخ خرع فى الجبل ، وكان كل ما أحتاج إليه آلة ومولدا ووقوداً وبنزيناً وزيتاً للتسخين وأسلاكا ، فاهتديت إلى شاب ذكى هو الملازم جوانيتو بيى ليحصل لى على ما أريد ، وتذكرت محركا ومولداً فى سوجود ، كانا يستعملان لتوليد الكهرباء لتصفيف الشعر ، وكانا عند رجل من الطابور الخامس ، فذهب جوانيتو ليلا وجاء بهما منه .

واستغرقت رحلة الذهاب والإياب ثلاثة أيام ، خالطنا فى خلالها الفلبينيين وعشنا فى جوارهم ، وأنشأنا نظاماً للحراسة بالتطوع ، واستأجرنا مساعدين ، وموهنا طريقنا إلى الكوخ وملأناه حجارة وحشائش ، فجاء التمويه آية من آيات الفن .

وتبينا أن قوة المولد ١١٠ فولت ، وكان

الجهاز يحتاج إلى ٢٢٠ فولت ، فظللنا خمسة أيام نحل ونربط ونحاول عبثاً أن نزيد القوة ، فلم نوفق فى شىء مما صنعنا .

وكان الحراس المتطوعون غير ذوى خبرة وسريعى الاضطراب . فأنبأونا مرة أن اليابانيين قادمون فرحلنا ، واحتاج نقل المحرك على أعواد إلى اثنى عشر رجلا ، وحمل برميل زيت التشحيم إلى خمسة عشر رجلا ، وكانت جملة الحمالين خمسين ، ودخلنا فى الأدغال وخضنا جدولا كثير الصخور . وكان الرجال منا ربما وقع ، أو العود انكسر فلا يصيح أحد ولا يتكلم حتى بصوت عال ، وسرنا فى سكون على قدر المستطاع ، دون أن يكون هناك ما يدل علينا سوى أصوات الببغاوات إذ تصرخ وتصيح بنا .

واتضح أن النبأ الذى جاءنا باطل ، فدعوت كل الحراس المدنيين وكلمتهم جادا وقلت : « لقد ضيعنا وقتاً ثميناً ، ومن الضرورى أن تكونوا شجعاناً ، ورجالاً لا نساء ، وأن لا تتوهموا أن وراء كل طائر يابانيا » .

فوافقوا ، ووعدوا أن ينبئونا بقدوم اليابانيين دون أشباحهم .

وساعفنا الحظ مساعفة جميلة ، فوجدنا محولاً للتيار الكهربائى يحول الـ ١١٠ فولت إلى ٢٢٠ وكان يستعمل قبل ذلك لآلة إلقاء الصور السينمائية على الشاشة .

وهى الوحيدة فى جنوبى ليتى . ولكن تحريكنا أبى أن يعمل ، فكان يهسهس ويكركر ثم يقف ، فنعيد الكرة ، فيعيد سيرته الأولى ، ولا يزيد على أن يطمعنا .

وأخيراً أهملناه وخرجنا إلى حيث اليابانيون ، ووجدنا محركاً استولينا عليه وقضينا يومين نركبه فوق كتل خشبية هيأناها . ولم يكن عندنا مثقاب ، فكنا نحمى مسماراً وندقه بالمطرقة فى الكتلة حتى ينفذ ؛ ولكن المسمار ينثنى ويلتوى إذا طرقته بشدة .

وإذا بحارس متطوع يقبل وهو يلهث فى الساعة الحادية عشرة ذات مساء ويبلغنا أن اليابانيين فى طريقهم إلينا . ولم يكن البلاغ كاذباً فى هذه المرة ، فشرعنا ننزع الأسلاك ونضع المهمات فى الصناديق ، وكنا نعمل فى هرج ومرج ، غير أنا استطعنا أن ننقل أشياءنا إلى الأدغال ، وأن نخفيها قبل أن يصل اليابانيون .

وأقمت المحطة فى كوخ فى جوف الأدغال بنى لهذا الغرض ، وحوالى ذلك الوقت رأى كانجليون أنه قد آن أن يضرب ، فأمر رجاله أن يهجموا فى منتصف ليلة أول فبراير سنة ١٩٤٤ وظلت الوحدات طول الليلة الأخيرة من يناير تهبط من الجبال لتتخذ مراكزها التى عينت لها من قبل .

وكان الهجوم هجوم عصابات . فليس

هناك جنود يزحفون بعد تمهيد بستار من نار المدفعية ، وكان مع جو نازارينو — قائد مدفعية كانجليون — مدفع واحد من مدافع المورتر من عيار ٨١ مم وخمس قذائف ، ومدفع بازوكا . وكانت الخطة أن يتربص الجنـود على مقربة من المدن حتى تخرج الدوريات اليابانية — إلا فى مدينة آناهاوان فقد كانت الحامية اليابانية فيها مؤلفة من اثنى عشر رجلا لا يخرجون فى دورية قط ، فاحتاج جنودنا أن يدخلوا عليهم بعد أن اتفقوا على الأمر مع العمدة ، ووجدوا قنبلة يدوية لم تنفجر — وهـذه هى الخطة فى جوهرها .

ودعا العمدة الحامية إلى الإفطار صباح أول يوم من فبراير فحضر رجالها جميعاً ما خلا واحداً ، تركوه فى الخارج ليقوم بالحراسة ، ثم قال لهم العمدة إنه أعد لهم شيئاً خاصاً فى الفناء الخارجى ، وأنه ذاهب ليحضره .

فكان خروجه هو الإشارة المتفق عليها مع رجال العصابة ليشرعوا فى العمل . وكان بعضهم قد زحف إلى قريب من البيت ومعه القنبلة اليدوية ، وتقدم آخر ، من الحارس ، وعليه قميص من قمصان اللعب فوق سراويله ، وكان معه مسدس فى حزامه تحت القميص ، وفى كلتا يديه دجاجة حية مشدودة الرجلين بخيط ، فمد يديه بالدجاجة إلى الحارس دون أن يقول شيئاً ، فأومأ إليه الحارس أن يدخل بالدجاجة ، فأظهر الرجل أنه غير فاهم وترك الدجاجة تسقط من يديه ، فأخرج اليابانى صوتاً كالتمطق من الغيظ وانحنى ليمسك الدجاجة ، وقد عز عليه أن يراها تضيع .

وكان حامل القنبلة قد جذب خيطها لما رأى زميله يسقط الدجاجة ، وأخذ يعدو ، فلما انحنى اليابانى على الدجاجة أخرج الواقف أمامه مسدسه وأرداه برصاصة فى قفاه ، وقذف الآخر بالقنبلة من نافذة البيت ، ثم هجم الباقون من الباب بالبنادق ليقضوا على الذين فى الداخل .

وكان جو نازارينو مزهواً بمدفع المورتر والقذائف الخمس فحاول أن يدخل برجاله بلدة ليلوان ، وبدأت المعركة بقنبلة من قنابل المورتر سقطت خارج بنـاء المدرسة التى فيها الحامية اليابانية ، فخرج اليابانيون واحداً وراء واحد ليلجأوا إلى الجحور ، وكان حولهم أسلاك شائكة أيضاً ، وقاوموا طول النهار ، وانتهت معركة اليوم بغير نتيجة .

وفى تلك الليـلة أطلق اليابانيون قنبلة مضيئة ، وذهب جو إلى أن معنى ذلك أنهم يطلبون مدداً من وراء بوغاز ليلوان . فوضع رجاله على الشاطىء ، فلما أقبل زورق

غاص باليابانيين كان جو ورجاله مستعدين لاستقبالهم. ورسا الزورق على رملة الشاطىء ففتح عليهم جو وجماعته أفواه البنادق ، وعدّوا ثمانين يابانيا فى الزورق ، فكانت مذبحة ، وقضى الرجال بقية الليل يغطسون طلباً للجثث والبنادق والمؤن، وكانوا يبغون أن يأخذوا ثياب القتلى وأحزمة الرصاص .

أما مدفع البازوكا فاستعمل للتسلط على بوغاز ليلوان . وفى ١٠ من فبراير أقبل زورق بخارى حتى صار على مسافة ٧٥ ياردة من الشاطىء ، وكان رجال جو لم يطلقوا هذا المدفع قط ، ولم تكن القذائف من الكثرة بحيث تسمح بالتدريب، فجعلوا هدفهم المحرك ثم شدوا الزناد .

فحدث انفجار فى الماء على مسافة ٥٠ ياردة من الجانب الآخر من الزورق فتجمع اليابانيون عند الجانب الثانى وظهرت عليهم الدهشة من فورة الماء وجيشانه ، وكانت القذيفة قنبلة من النوع الذى يتأخر انفجاره، والذى يستعمل ضد الدبابات ، وقد اخترقت جانب الزورق فوق خط الماء ونفذت من الجانب الآخر ثم انفجرت فى البحر دون أن تحدث أذى ، ولكن اليابانيين لم يعبروا بوغاز ليلوان فى زورق بعد هذا ، وآثروا أن يقطعوا ستين ميلا فى لفة طويلة ، على أن يخاطروا مرة أخرى .



ثم جاءت الطائرات فألقت قنابلها وضربت بمدافعها ، ومحت أربعة بيوت كنت من قبل فى إحداها أنا ومحطتى اللاسلكية، ولكنهم لم يقتربوا من دار محطتى الجديدة فى الأدغال ، لأنهم عجزوا عن الاهتداء إليها ، وكانت نتيجة الغارة أن فقدت عمالى أسبوعاً كاملا ، فقد جاءت زوجاتهم وأخذنهم ليحفروا لهم وللأطفال خنادق .

وأرسل اليابانيون سرايا قوية التسليح مع دورياتهم ، فتركتها العصابات تمر دون أن تتعرض لها . فلما كان المساء وعاد اليابانيون يجرون أرجلهم من التعب والإعياء وقد قطعوا نحو ١٥ ميلا على الأقدام دون أن يجدوا شيئاً ، انقضت عليهم العصابات .

وليس هناك رقم دقيق لخسائر اليابانيين، ومن المحقق أن الخسائر بلغت المئات، ولعلها على الأيام دخلت فى الآلاف ، وكان الماجور الذى يتولى الأمر فى منطقتنا يتخذ سبورة يسجل عليها بالطباشير جملة الخسائر اليابانية لتقوية الحالة النفسية بين رجاله ، غير أن العصابات قلما تستولى على ساحة ، وإنما تضرب حتى تنفد ذخيرتها ، ثم تتراجع . ومتى كنت لا تستولى على ساحة فإنك لا تستطيع أن تحصل على إحصاء دقيق للقتلى .

ومهما يكن من ذلك، فقد بلغت خسائر

اليابانيين مبلغاً جعل رد الفعل من جانبهم مقروناً بالوحشية ، فكان أهالي البلاد يفرون مذعورين إلى الجبال ، وكان من جراء هذا أن صار مركز اليابانيين حرجاً فيما يتعلق بالأقوات ، لأن حامياتهم كانت تعيش عيالا على أهل المدن ، وكانوا يضطرونهم إلى العمل لهم . ولم يكن يسعهم أن يعيشوا في بلاد مهجورة ، فقصدوا إلى الجبال ومعهم رجال الطابور الخامس ليجيئوا بالفارين ، فإذا عرف رجال الطابور الخامس أسرة من أسر البلدة أكرهوها على العودة ، وكانت الأسر الجبلية تُقتل حتى لا تعاون العصابات .

غير أن الجلاء عن المدن استمر وكان عوناً كبيراً لنا ، لأنه أكره اليابانيين على ابتعاث فرق للبحث والتفتيش نستطيع أن نفتك بها . وكان بين أهالي البلاد مئات من الأبطال . وهذه قصة لن تروى على الوجه الذي ينبغي أن تروى به ، فإن فصولها كثيرة جداً ، وكثير منها وقع في أماكن معزولة كان شهودها الوحيدون أولئك الذين أصبحوا قتلى .

واخترعت العصابات حقول ألغام محلية لم تكلفهم قرشاً ولم تتطلب شيئاً من المواد الحربية الباهظة الأثمان ، فكانوا يدسون أعواداً من الخيزران أطرافها محددة مسنونة في الحشائش على جانبي الطريق ، ويستعملون لهذا الغرض نوعاً خاصاً من الخيزران اسمه « بانجا كي » . فإذا جرحت نفسك عليه خبث الجرح . والأهالي ينفرون من استعمال هذا النوع ، ولكن العصابات صنعت آلافاً من هذه الأعواد المسنونة وغرستها على الطريق الذي يسلكه اليابانيون ، بحيث يكون السنان خارجاً من الأرض نحو قدم ، حتى إذا أقبلت دورية يابانية أطلق رجال العصابات عليها النار أو جهجهوا بها ، فينطرح اليابانيون أرضاً للتوقي فتطعنهم هذه النصال الفتاكة . وقد قتل كثيرون من اليابانيين بهذه الطريقة ، وجرح آخرون أجهزت عليهم العصابات بالخناجر .

وصار رجال الجبال يحملون الخناجر والخنجر العادي له نصل طوله ١٢ بوصة وهو يحمل في قراب على الكتف ، وكانوا يحملون هذا ويحملون أيضاً خنجراً صغيراً تحت القميص ، فإذا قبض عليهم ألقوا الخنجر الكبير — طبقاً للأوامر — وانتظروا حتى يدنو الياباني لتكتيفهم ، وحينئذ يستل الرجل منهم الخنجر الصغير ويضرب به حتى يقتل . وقد انتهى الأمر باليابانيين إلى أن صاروا يتقون الاقتراب من الأسير حتى يخلع قميصه . ثم صار أهل الفلبين

يضعون قطعاً من الزجاج فى أفواههم ، أو مواسى إذا وجدوها ، ويسنون الأظفار ويطيلونها ، ليفقأوا بها عيون أعدائهم — أى شىء يؤذى وكفى . وظل جيش كانجليون يقاتل اليابانيين قتالا دموياً مستميتاً ويدفعهم ببطء إلى مدن الشاطىء حتى سلمت الجبال لنا .



وكانت محطتى فى الأدغال كالسفينة فى البحر ، فصنعت مكتباً من خشب باب ، ووضعت عليه جهاز التلقى ، وجرس باب له مفتاح تلغراف ليدق ، فإذا أردنا أن نرسل رسالة أذنت المهندس بدق الجرس ، كأنى فى برج سفينة . ودقة واحدة معناها الابتداء ، ودقتان للتوقف ، وثلاث لخفض القوة ، وأربع لزيادتها ، وخمس للحضور للأكل . ولم تكن هناك إشارة لوقف المحرك ، فإذا وقف كان ذلك لخلل ، وكان لا بد من البنزين للابتداء ، وهو نفيس نفاسة الماس ، أما بعد أن يشتغل المحرك فإنه يعمل بعد ذلك بالزيت الوسخ وعندنا منه الكفاية ، فقد كانت سفينة يابانية قد ضربت بالطوربيد على مقربة من الشاطىء ، فحمل الماء براميل كثيرة من الزيت إلى البر ، فجئت بكل مدنى وكل رجل من رجال العصابات من مسافة عشرين ميلا ، فظلوا يعملون ثلاث ليال لنستولى على هذا الزيت . أما البنزين ! البنزين !

وصار استقطار « التوبا » غير عملى ، فإنه ينمو بجوار البحر ، وعلى أنه لم يكن عندنا حينئذ شىء نصنع منه جهازاً للتقطير .

وتمت إقامة شبكتى اللاسلكية ، ولكنى لا أستطيع أن أزعم أنها تعمل بغير توقف ، وبعثت بجهاز للراديو إلى المنطقة الشمالية من ليتى مع رجل من رجال العصابة اسمه كابيليوس ، وكنا قد ركبناه مما فضل من هنا وهنا ، واستغرقت إدارته مثل طول الأبد . وقضى كابيليوس ثلاثة أسابيع ليقطع مئة وعشرين كيلومترا إلى المحطة الجديدة ، فقد كان اليابانيون على طريقه فلم يكن له معدى عن التحرز وأخيراً بدأ العمل ، فإذا جهاز الإرسال يرسل ، أما جهاز التلقى فيأبى أن يتلقى . وكنا قد جربناه فوجدناه صالحاً فى الحالين ، أما هو فاختلف الحال معه ، ولم يكن يعرف كيف يصلحه ، ولا كان عندى رجل أستغنى عنه فأبعث به إليه ، فظل يبعث إلينا برسائله يسألنا فيها هل نسمعه .

فأرسلت إليه عدّاء يحمل منهاجاً ، ويأمره أن يذيع فى الساعة الثامنة صباحاً والساعة الرابعة مساء ، فسلخ الرجل ثلاثة

أسابيع فى الذهاب وثلاثة فى الإياب ، وجاء يقول إن كابيليوس ليس عنده ساعة ! فرددته إليه ومعه ساعة، وغاب ستة أسابيع أخرى فى رحلتى الذهاب والإياب، ثم صارت الدوريات اليابانية أنشط ما تكون فى الساعة الثامنة صباحاً والساعة الرابعة مساء ، فلم يستطع أن يذيع فى هذين الوقتين ، وطلب توقيتاً جديداً ، واضطررت أن أبعث عدّاء بالتوقيت الجديد غاب ستة أسابيع ، وبعد ذلك اضطربت ساعته . فكان كل مايسعنا هو أن ندع جهاز التلقى مفتوحاً خمس دقائق فى الصباح وخمساً فى المساء عسى أن نسمع منه نبأ.

ولم تكن ثم قطع للتغيير لأى جهاز من أجهزتنا . ولما اتفق أن انتظم أمر جهازى توقفت محطة منداناو، فقد ذهب اليابانيون إلى هنـاك مرة بخمسة عشر ألف رجـل ومائة طائرة ، ونسفوا منشئات فرتيج ، ولم تستطع منداناو أن تنبس بأخفى همهمة أكثر من أسبوعين .

ثم يقبل اليـابانيون علينا فيضربوننـا ، وكنا نستطيع عادة أن ننقذ معظم أجهزتنا ولكن إعادة تركيبها كان يستغرق وقتاً ويستنفد جهداً . وقد فقدنا جهاز إرسال لما أغاروا على محطة أقمتها بإشراف جوزيف سنت جون من رجال الفيلق الجوى التابع للجيش وكان معى فى الزورق الشراعى حين أزمعنا الذهاب إلى أستراليا .

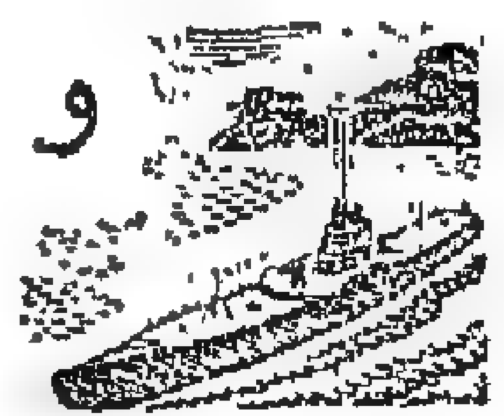
وكان أول ما شعر به الرصاص يخترق كوخه ، فلما خرج منه رأى نحو مئة يابانى يهبطون عليه من الجبـل ويطلقون النار ، ولم تكن عنده ذخيرة ، فرمى بندقيته ليتخفف ، وأحنى رأسه وذهب يعدو .

وكان على مسافة خمسين قدماً من الكوخ حقل نباته عال جداً ، فأدرك أنه إذا دخل فيه ترك أثراً . وكانت هناك شجرة مقلوعة على حافة الحقـل فألقى بنفسه تحتها ، وكان ما تحتها ضيقاً ، ولكنه كاف لبدنه المعروق . والنبات الذى اضطر أن يدخل فيه ويدوس عليه حتى يتصل إلى الشجرة ، قوى يستطيع أن يرتد واقفاً فلا يبقى هنـاك أثر . وكان معه مسدس فرفع زناده . وقال لى فى وصفه: « لقد كنت تستطيع أن تسمع صوت هذه المطرقة وأنت فى الصين ! » .

وأقبل اليابانيون يطعنون بأسنتهم يمنـة ويسرة ويحرقون بها النبات ، ومشى أحدهم على الشجرة التى كان منطرحاً تحتها وجعل يطعن على جانبيها ، وظل جونى راقداً لا يتحرك ، وأمطرت السماء وأصاب جذع الشجرة وسال عليه ، فلم يتحرك ، وخرج النمـل الأحمر ومشى على جفونه ودخل فى أذنيه ، وجاس خلال أنفـه ، فلم يطرده . ولبث هكذا خمس ساعات ونصف ساعة ،

وكان اليابانيون كل دقيقتين أو ثلاث يطلقون النار جزافاً فى الغابة وفى النبات والجبل لإقصاء العصابات ، ثم انصرفوا وأخذوا معهم كل ما كان عند جونى ، وفى جملة ذلك ١٥٠ بيضة ، وغرارة أرز ، وحذاءان لجونى .

كلا ، لم يكن ثم آخر للمتاعب — فالأدوات العازلة تحترق ، ومحوّلات التيار والأنابيب تهلك ، والأعوان يفقدون رباطة الجأش ويقولون إنهم مضطرون إلى ترحيل أسرهم إلى مكان أمين ، ثم لا يعودون . ولكن جزيرة ليتى لم تكف قط تماماً عن الإذاعة ، فقد كان بعضهم يأتى بالمعجزة ، فتظل تذيع . وأعتقد أن جزيرتنا هى الوحيدة التى لم تفقد اتصالها طوال عام آرثر يوماً واحداً . ثم جاءت غواصة أخرى ، فطاب الحال بعد ذلك .



وكان لابد من معجزة أخرى لتجىء الغواصة ، فقد اختل المكثّف فى جهاز الراديو ، ثم أخذت البطارية تخلو من الكهرباء ، فوصلنا بطاريتين بشريط لنحصل على القوة اللازمة للإذاعة ، وكانت هذه آخر رسالة أعانت عليها البطاريتان ، ولكنها أثمرت ثمرتها ، فأتمت الترتيبات الخاصة بالغواصة .

وخرجت الغواصة من الماء على مقربة من الساحل حوالى الساعة السادسة ليلا ، وكان معنا ٤٠٠ فلبينى ينتظرون تفريغها ، ولم يكن هناك رصيف فاستخدمنا القوارب الصغيرة للتفريغ . وكان عندنا منها خمسون . ولكننا اضطررنا أن نربط كل قاربين معاً لنقيم عليهما سطحاً يتسع لشىء ما ، وكان الربان يحتفظ بمستوى الغواصة بإدخال مقادير من الماء فيها كلما أفرغت منها شحنة .

وسألنى : « أين اليابانيون ؟ » .

قلت : « على مسافة خمسة كيلو مترات تحتنا وسبعة كيلو مترات فوقنا » .

فقال : « يا بنى إذا كنت تريد أن تفزعنا فأنت موفق » .

وقد أرسل اليابانيون دورية لترى ما هذه الضجة كلها وما داعيها ، ولكن ١٥٠ من رجال العصابات كانوا رابضين لها فى خنادق حفروها بخناجرهم ، فلم ينجُ من اليابانيين أحد إلا من ولى هارباً .

وأرسل اليابانيون فيما بعد سفناً حربية ، ولكنه لم يكن ثم شىء تضربه ، فقد ذهبت الغواصة ، وذهبنا نحن أيضاً ، ومعنا من البنادق أكثر مما عند كابجليون من الرجال ، ومن أجهزة الراديو أكثر ممن عندنا من رجال اللاسلكى ، أجهزة جديدة لامعة قوية من أسطول الولايات المتحدة ، ومهمات

طبية ، وصناديق طبية كبيرة . وأذكر أن الدكتور بارادو رئيس القسم الطبي عندنا فتح إحداها على الشاطىء ثم قعد يحدق فيها. فلما صرت إلى جانبه قال : « سأحتاج أن أراجع كتبي مرة أخرى لاتذكر فيم تستعمل كل هذه » ، وكانت عيناه مغرورقتين بدموع الرضى والفرح .

وكان في الغواصة شابان أمرت أن أساعدهما على إقامة محطة أرصـاد جوية ، وكانا مضطربين في البداية ، فسرني أن أمثـل معهما دور المحارب القديم ، وكنت أقول لهما كلاماً كهذا : « لا شيء يدعو إلى القلق ، فليس هنـاك يابانى على أقل من مئة ياردة من هنا ! » وكان معهما أربعة أطنان من المهمات ، فجمعت ستين من الشبـان الفلبينيين لحملها .

وما كادت المحطة الجوية تقام حتى تلقيت رسـالة تأمرني أن أذهب إلى سـامار الجنوبية ، وأنشىء محطة لاسلكية ، وأخطط حقـل ألغام في بوغاز سوريجـاو بين هومونهون وجنوبي ليتي .



وجزيرة هومونهون أقل من ستة أميال طولا ، ولا يتجاوز عرضها في أوسع مكان ميلا ونصف ميل ، وكانت الدوريات اليابانية تختلف إليها من حين إلى حين ، والسفن اليابانية تمر بها كل يوم ، وكانت في جزيرة سولوان ، على بعد أربعة أميال ، حامية يابانية من مشاة الأسطول ، ولا مكان للاختباء في هومونهون إذا جد العدو في البحث . ولم يكن معي غير ستة من الجنود ، فإذا جاء اليابانيون لم يبق لنا من سبيل سوى الجرى ، وفي هومونهون تجرى ما تجرى فلا تنتهي إلاّ إلى ماء .

واجتمع الأهالي لمشاهدتنا ونحن ننزل ، فأعطيناهم مجلات وصابوناً وشكولاته وكبريتاً كتب عليها كلها « سأعود — ماك آرثر » وكانت الصور المنشورة في المجلات بمارسم في سنة ١٩٤٤ ، فهي تثبت للأهالي أننا على اتصال بماك آرثر ، واستولت على قلوبهم صور السفن اليابانيـة المغرقة ، وعلى عقـولهم الخرائط التي تبين ما فعله نيمتز وماك آرثر إلى الآن .

وكان معي للأهالي ذخيرة من الأسبرين والكينين والأتبرين — فقد كانت الملاريا متفشية في الجزيرة — وأخبرتهم أن ماك آرثر أرسل هـذا إليهم ليثبت لهم كيف أنه دائم التفكير في أهالي الفلبين .

ثم ألقيت فيهم خطبة مدارها أن ماك آرثر ليس ببعيد . وكنت أعرف إحساس الأهالي ، ففريق منهم يطلب الحرية بأي ثمن ، فالكلام

على ماك آرثر يشعل النار في قلوبهم . وفريق آخر كبير يبغي السلام بأي ثمن ، فالكلام على ماك آرثر يغريهم بأن يتبعونا وأن يدركوا أن هذا هو ثمن السلام .

وأبى جهاز الراديو الكبير الجديد أن يعمل ، فعالجناه أربعة أيام ، وركبناه ، ونقلناه من موضع إلى موضع . ثم تنبهت إلى أن أشجار هومونهون هامدة قميئة ، وأن التربة حمراء ، فالجزيرة ليست إلا كتلة من خام الحديد . وكان عندنا جهاز صغير أقمناه في زورق وربطنا سلك الهواء بعود الشراع ، وبعدنا عن الشاطىء مقدار عشرين قدماً ، وجعلنا طرفه الآخر في جوف الماء ، فصلح الأمر .

ولم نقض وقتاً طويلا في تخطيط المسالك بين حقول الألغام في البوغاز ، فقد كانت السفن اليابانية من كل حجم كثيرة المرور وكان معي منبه ، وبوصلة صغيرة . فأذكر لمساعدي البيانات الخاصة بالمسافة والاتجاه والمسالك والسرعة فيدونها في كل دقيقة حتى تختفي السفينة عن النظر .

وكنت أجلس في بيت على الشاطىء تماماء ، وعلى بعد قليل من النافذة والمنظار على عيني ، وكانت السفن تدنو جداً من الشاطىء حتى كنت أستطيع أحياناً أن أقرأ ما تطالعني به وجوه اليابانيين ، وأن أدرك ما يحس به المرء وهو على هذه السفن .

ثم حدث ذات صباح ، ومساعدي يشتغل بالراديو في القارب ، أن سمعت أزيزاً فوقي وإذا بطائرة من طراز زيرو فوقنا مباشرة ، وكانت منخفضة فرأيت اليابانيين اللذين كانا فيها ، وكان أحدهما ينظر إلى الزورق بمنظار ، ولم تعد الطائرة ، ولكن بعد ظهر ذلك اليوم أقبل أحد زوارق الحراسة يسير بجوار الشاطىء ، وكنت قد أخرجت كل مهماتي من البيت وخبأتها ، وأمرت رجالي فتواروا متباعدين في الحشائش العالية القريبة من الساحل ، ولم تكن ثم فائدة من الجري ، وكنا على كل حال نستطيع أن نقتل بعض اليابانيين إذا نزلوا إلى البر ، ولكن الزورق اكتفى بالمرور واكتفى رجاله بالنظر بالمناظير ثم انصرفوا . وأكبر ظني أن الطائرة لم تستطع أن تعين لهم مكاننا بدقة .

وبعد أن تم تخطيط المسالك بدقة في حقول الألغام ، وأرسل الرسم إلى مقر قيادة ماك آرثر ، قسمت رجالي فريقين ورحلت بأحدهما إلى سامار ، وقدرت أن يكون الذين تركتهم في هومونهون في أمان ، ما دام ليس معهم رجل أبيض ، فإذا جاء اليابانيون ، فما عليهم إلا أن يطرحوا بنادقهم فلا يستطيع أحد أن يفرق بينهم وبين بقية الأهالي .



و في ١٢ من سبتمبر أقبلت طائرات الأميرال هالسى، وكنت قد أنشأت محطتى اللاسلكية فى جنوبى سامار فاختلت ، فأصلحناها ، فاختلّ المولد الكهربائى فأصلحنا المولد فاحترق ، فسرقنا بعض المولدات من سيارات مكتب الحامية البوليسية التى يسيطر عليها اليابانيون ، ثم أحتجنا أن نعود فنسرق أحزمة المراوح ، وقد عانينا مشقة كبيرة فى الوصول إلى مكان السيارة الأولى ، فإذا بها ليس فيها حزام مروحة ، فاضطررنا إلى المخاطرة بالذهاب إلى مكان السيارة الثانية .

ثم أقبلت الطائرات . وياله من يوم لم يسبق له مثيل فى أى مكان ! وكنت قد نهضت لساعتى من الفراش ، وإذا بضجيج يملأ السموات ، فخطر لى أن العصابات لابد أن يكون شأنها قد عظم جداً ، إذا كان اليابانيون يرسلون عليها كل هذه الطائرات، وأقبل الرجال يعدون .

وصاحوا: «الطائرات ياسيدى ! طائرات، طائرات، طائرات ، طائرات كثيرة ، كثيرة، يا سيدى ! »

وكنا نرسل الطائرات إلى ماك آرثر عن الطائرات، فأردت أن أعدها وأعين طريقها. وانقضت برهة وأنا لا أستطيع أن أرى هذا المنظر حق رؤيته ، ثم أدركت أنها طائرات أمريكية من طراز لم أره من قبل ، وكان آخر ما رأيت من الطائرات الأمريكية يرجع إلى نحو ثلاث سنوات خلت ، ولكن هذه شارة النجم — الشارة القديمة التى لا يمكن أن يرتقى إليها الشك .

وصاح الرجال : « طائرات أمريكية ؟ »

فقلت : « طبعاً ! تراكم تظنون أن عند اليابانيين كل هذا العدد من الطائرات ، وما من واحدة منها إلا وهى جديدة جداً ؟ »

وحاولت أن أبدو رصيناً هادئاً ، ولكن يا لله ! لقد تعذر على أن ألزم نفسى الهدوء ، وإذا أنا أهتف هتافاً كاد يخلع عنقى .

وظلت هذه الطائرات تجىء كل ساعة ، وفى الموعد بدقة ، طول النهار ، ثلاثة أيام على التوالى فهتفنا حتى تمزقت ضلوعنا وثيابنا ، وصفقنا حتى ورمت أكفنا ، ونططنا كنطاطيد الأطفال .

وكانت الغارة على مانيلا ، ولم نشهد إلا مثالا واحداً لضربها ، وكان هناك نحو ٣٦٠ يابانيًّا على سفينة شراعية جاءوا لنجدة الحامية فى جويوان ، فخرجت ثلاث طائرات من السرب لترى ما هنـاك ، ولكن طائرة واحـدة هى التى ألقت قنابلها ، فأصابت هدفها ، فوالله لو أنه أخطأ الهدف لاحتجت إلى بيان طويل وتعليـل شاق ! ولكنه

أصاب فكان كل ماقلته للفلبينيين: « مالكم خرجتم عن طوركم ؟ إن الطائرات الأمريكية لا تخطىء الهدف — لا تخطئه أبداً » .

لقد انتظرت مجىء ماك آرثر مدة عمر كامل على ما كان يخيل إلى ، مذ خرج به زورق طربيد من كوريجيدور . وقد عملت لعودته ، وكابدت ما كابدت فى سبيلها أيضاً ، وكانت تلك اللفافات الصغيرة المكتوب عليها « سأعود — ماك آرثر » على الصابون والشكولاته كأنها شريط من النار يمر برأسى وأنا نائم ، وكنت أحلم أن تكون العودة على هذا النحو : يقبل جنود ماك آرثر هاجمين على الشاطىء ، وننحدر نحن هاجمين على الشاطىء ونطعن اليابانيين من الخلف ، ونلتقى بالقادمين على جثث اليابانيين ، ونتصافح . ثم أستيقظ متثائباً ، وما زال لى إحساسى باليد الأمريكية التى صافحتها فى المنام .

على أن الذى حدث جاء على غير ذلك الوجه.

فقد سمعنا ذات صباح انفجارات كأنها الرعد البعيد ، وكان هذا هو الأسطول الأمريكى ، وكان ماك آرثر ينزل فى جزيرة ليتى على مسافة أربعين ميلا منا ، فلما وصل النبأ إلى أقرب بلدة رفعت العصابات العلم الأمريكى على دار المدرسة ، ولما جئنا وحيينا العلم هتفت المدينة .

وسألت : « لماذا لا ترفعون علم الفلبين أيضاً ؟ » .

« كلا ياسيدى ، إن ماك آرثر آت ! وهذا للترحيب به فقط ياسيدى » .

فقلت: «إن الأمريكيين يسرهم أن يروا علم الفلبين أيضا » .

فضج الجمع بالهتاف وارتفع العلم الفلبينى إلى جانب العلم الأمريكى وأمسك رجل بذراعى وقال : «من فضلك ياسيدى» فقد ادخر شيئا ثلاث سنوات ليوم التحرير ، فهل أشاركه فيه ؟ وإذا بهذا الشىء ثلاث زجاجات من شراب الكوكا كولا ، معفرة كأنها النبيذ المعتق . ولم تكن مثلوجة ، ولكن طعمها أذكرنى بلادى ، ونبهنى إلى روح عرفان الجميل فى نفوس أهالى الفلبين .

ثم استولينا على زورق خرجنا به لنستقبل الأسطول ، وكانت الطائرات تمر فوق رءوسنا كل ثلاث دقائق فى أسراب من ثلاث طائرات أو تسع ، وقد يجربون مدافعهم وهم فوقنا ، ولم يكن معى علم أمريكى ألوح به ، ولكنى لوحت بكل شىء معى ، فقد أردت أن يعرفوا أن الزورق ليس يابانى ، وإنما هو للضابط رتشرد سن من أسطول الولايات المتحدة ، وأنى أقود القوة التى مهمتها التمهيد لساعة الغزو تأييداً لماك آرثر.

وظللنا نسير بعد الظهر كله ، فلما كان

الغسق سكنت الريح ، فلم يبق لنا إلا أن نجلس حيث نحن ، حتى أقبلت فجأة سفينة كبيرة تنساب إلى جانبنا ، فأشارت إلىّ أن أستعرف إليها ، فكدت أموت من الجزع لأنى لم أدر كيف أجيب .

وأجبتها بنور البطارية، وبشفرة مورس: « أنا ضابط أمريكى فى طريقى إلى البيت ، الماجور رتشردسون » .

فدنت المدمرة ، ودعيت بمكبر الصوت أن أدنو بالزورق من الجانب .

فجدفنا كالمجانين ، وشددنا ظهورنا ، وقوينا قلوبنا ، وكان القمر يريق ضوءه على المدمرة ، فرأيت كل مدفع ، بما فى ذلك البطارية الرئيسة ، مسدداً إلينا . فلما صرنا على مسافة ثلاثين قدما ، أمرونا أن نبقى حيث نحن، ووقف البحارة صفًّا على الحاجز يطلون علينا .

وسأل سائل له صوت ضابط : « من أنت ؟ » .

« أنا الماجور رتشردسون ، وأنا من من رجال الأسطول أيضا » .

فسمعت بعضهم يقول : « هذا الرجل مخبول » .

وأخيراً أمر الضابط أن أصعد ، وألقى نور المصباح الكهربائى علىّ ، وكانت على رأسى خوذة الشمس ، وفى قدمى حذاء الأدغال ، وكنت مرتديا سراويل قصيرة وقميصا قصير الكمين ، ومسدسى فى حزامى وبندقية تومي على كتفى .

فدلوا سلما من الحبال لى وللثلاثة الذين معى ، فلما صعدت إلى السطح أمسك بى بحار ضخم ، على حين نزع غيره سلاحى . وكنت واقفاً أبتسم ، فقد طاب لى الموقف ، وأريتهم خاتم الأسطول وشاراتى الخاصة من كوريجيدور ، ولم أستطع أن أقول شيئا من كثرة الابتسام،فاكتفيت بأن أمد يدى بهذه الأشياء .

وكان الذين معى يلبسون سراويلات قصاراً قذرة مهلهلة وليس فى أقدامهم نعال

فصاح بحار : « أهذا هو الجيش ؟ أين ثيابهم ؟ » .

فرفع تيودورو إصبعه الذى يحرك به زناد البندقية وقال : « هذا يا سيدى كل ثيابى » .

فمضوا بى إلى غرفة الطعام ليقدموا لى الألوان الأمريكية الشهية ، وكنت أتلهف عليها منذ ثلاث سنوات ، ولكنى لم أستطع أن أطعم شيئا،فقد كانت أطيب من أن توافق ذوقى ، بعد أن اعتدت الأكل من الشجر كل هذا الزمن .

واغتسلت ورقدت على سرير حقيقى له زنبرك ، وأغطية بيض ووسادة ، غير أنى

إنهم فقد كان لنا حدا ، وأخيراً نمت على السجادة على الأرض .

ولما استيقظت فى الصباح وصعدت رأيت ثلاثة من الخدم الفلبينيين ، وكانوا فتيانى ا فى ثياب الأسطول الأمريكى — قبعات وقمصان وسراويلات وأحذية سود وغير ذلك . وتحت إبط كل منهم نحو ست علب من السجاير والصابون وصابون الحلاقة والمواسى والشكولاتة ، فقد أعطاهم البحارة كل شيء إلا هيكل السفينة !

وبعد عصر ذلك اليوم أمرت أن أذهب إلى الطراد « ناشفيل » فأخذ بعض الضباط يحادثوننى لتزجية الوقت على ما خيل إلى ، وأنا أتساءل : لماذا بعثوا بى إلى هنا ؟

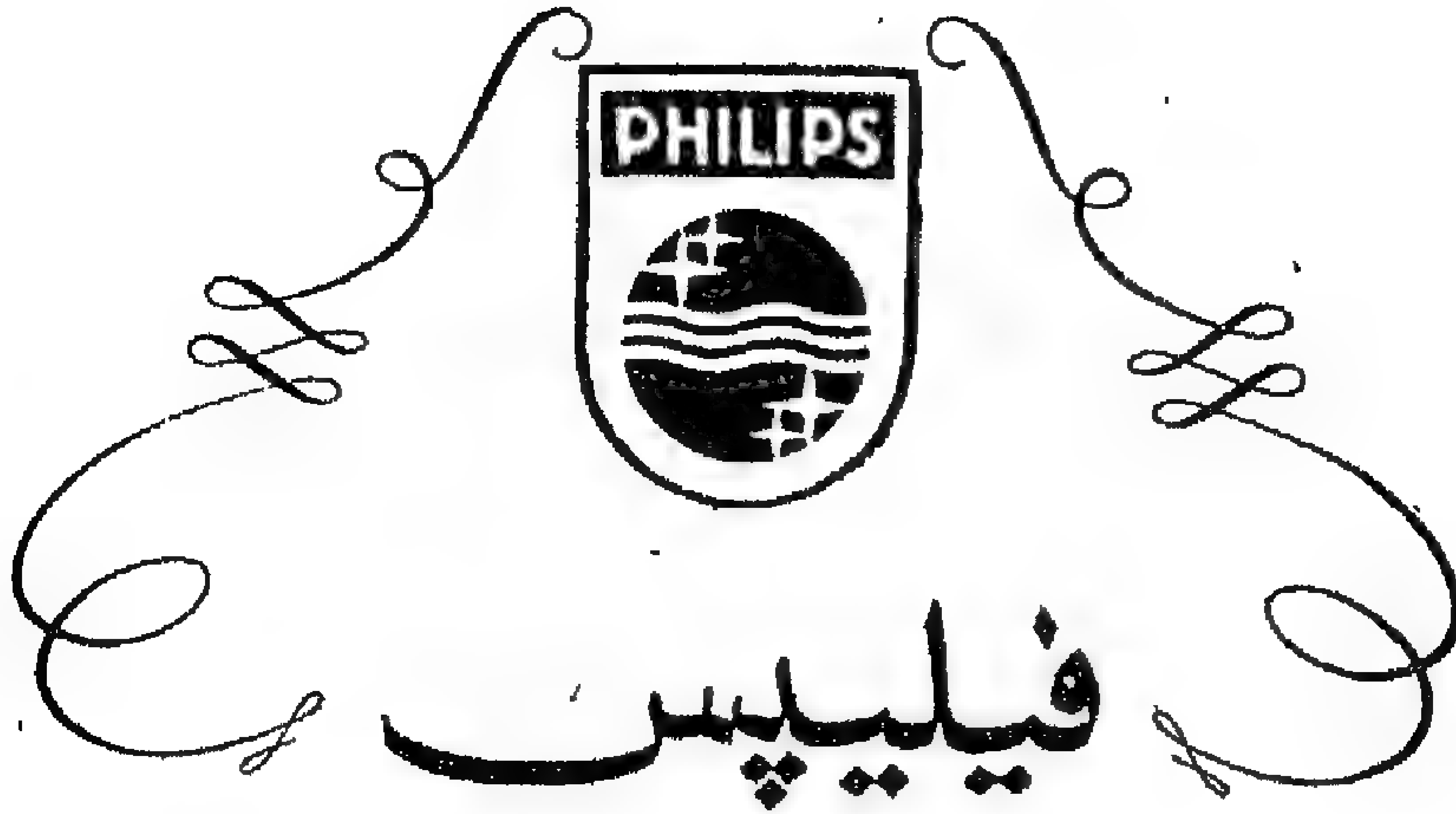
وقال مراسله : « سيقابلك الجنرال الآن يا سيدى » .

فلم أفهم هذا حق الفهم ، وتبعت المراسل إلى غرفة فإذا الجنرال ماك آرثر جالس فيها ! فذهلت . ووقف الجنرال أمام المكتب ومد يده ، وبلغ من دهشتى أنى لم أمد يدى فاضطر أن يتناولها هو من جانبي .

ودام حديثنا نحو عشر دقائق ، ولست أتذكر مادار فيه ، وكان أكثره أسئلة من الجنرال ماك آرثر . ويا للجحيم ! أتراك تظن أنك تستطيع أن تجلس وتروح تثرثر مع جنرال ؟ وقد أدهشنى أن أعرف أن ماك آرثر لم يكتف بأن يقرأ كل رسالة بعثنا بها ، بل كان على ما بدا لى قادراً أيضاً على تذكر تفاصيل كل منها . غير أنى أذكر الشعور بالألم الذى كان يخالجنى كلما نسيت أن أقول : « سيدى » وكان الألم يتكرر كثيراً ، لأنى لم أقل « ياسيدى » لأحد ، كل هذا الزمن ولهذا كنت أنسى .

وأحسب أن القصة تنتهى هنا . وقد عملت مع الفيلق الجوى التابع للجيش فترة للمساعدة على تعيين الأهداف اليابانيــة ، والتقيت بزملائى رجال العصابات فى تكلوبان أنا والسكولونيل كانجليون ، وجو ريفاريال فتعانقنا حتى كادت تنشق صدورنا ، ثم تلقيت أمراً بالعودة إلى الوطن لأستريح ، ثم يعين لى بعد ذلك عمل .

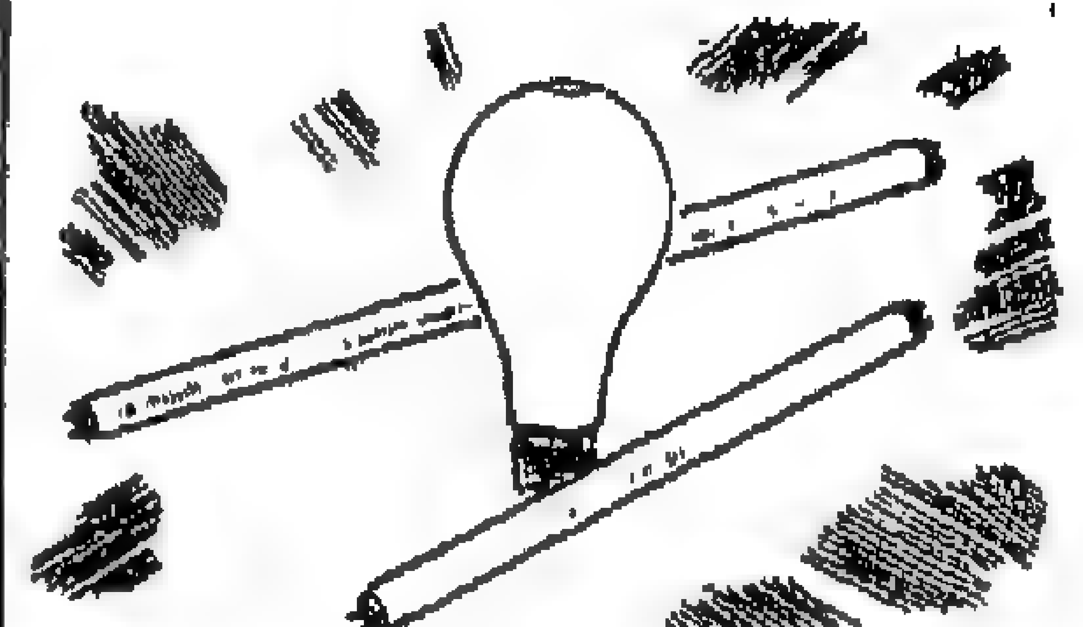




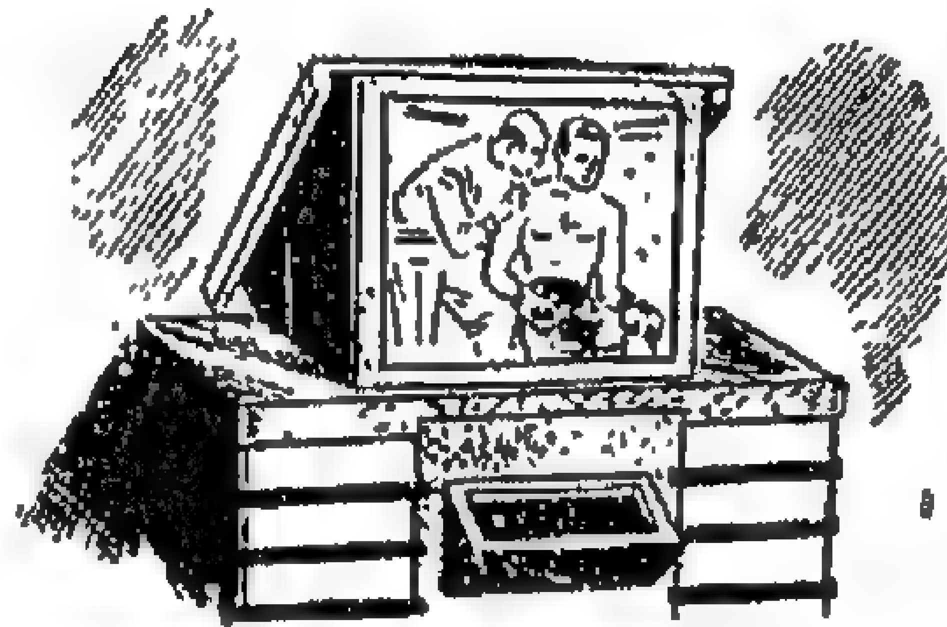
فيليبس

مكرَّم في العالم أجمع

لما أسداه من خدمات إلى صحة وسعادة ملايين من الناس فى جميع الأقطار



فى الإضاءة : يجهز فيليبس ملايين من البيوت بالراحة والمتعة الناشئتين عن الإضاءة الوافية ، التى يعتمد عليها . وستزداد متعتها بعد الحرب باستعمال الإضاءة المتألقة التى حسنت وسائلها .



فى التلفزيون : كان فيليبس سباقاً فى تحسين التلفزيون وسيكون فى الطليعة ثانية . فى عالم ما بعد الحرب ، مقدماً أجهزة التلفزيون المستقلة الفائقة الجودة .



فى الراديو : كان فيليبس رائداً فى كثير من التحسين والتقدم الخطيرة فى هذا الميدان

إن فيليبس اشتهر فى العالم أجمع منذ خمسين سنة بما أسداه إلى خير الناس وراحتهم . ومآثره فى أثناء الحرب سترفع من منزلته العالية ، بأن تتيح وسائل جديدة عجيبة لتيسير أسباب العيش .
حين يتمّ النصر ، سيتطلع العالم مرة أخرى إلى فيليبس للظفر بأجود ما فى عالم الراديو ، والتلفزيون . والأشعة السينية ، والإضاءة ، وفى أساليب استعمال الكهيربات (الأليكترونات) فى الصناعة . ذلك بأن فيليبس يتأهب لإخراج أشياء خليقة بأن تعبر للظفر بها .

أما الآن . فإن فيليبس يسدّد إلى العدو المشترك كل قوته المستمدّة من جماع عبقريته الهندسية ووسائل إنتاجه فى البلاد الحرّة .

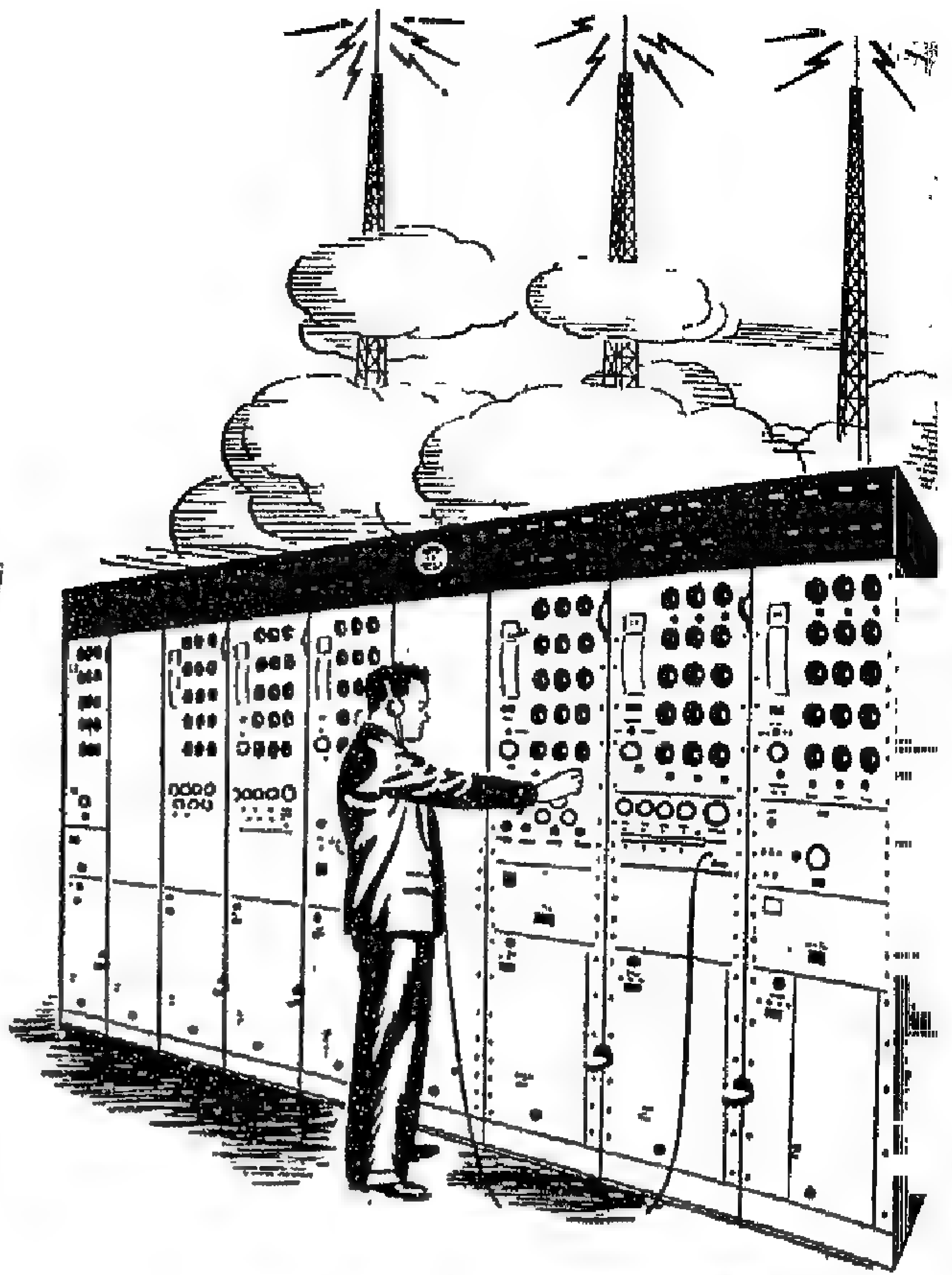
PHILIPS 

وقد وقفت شركة فيليبس جميع مواردها ، فى طول العالم الحر وعرضه ، على تعجيل النصر .

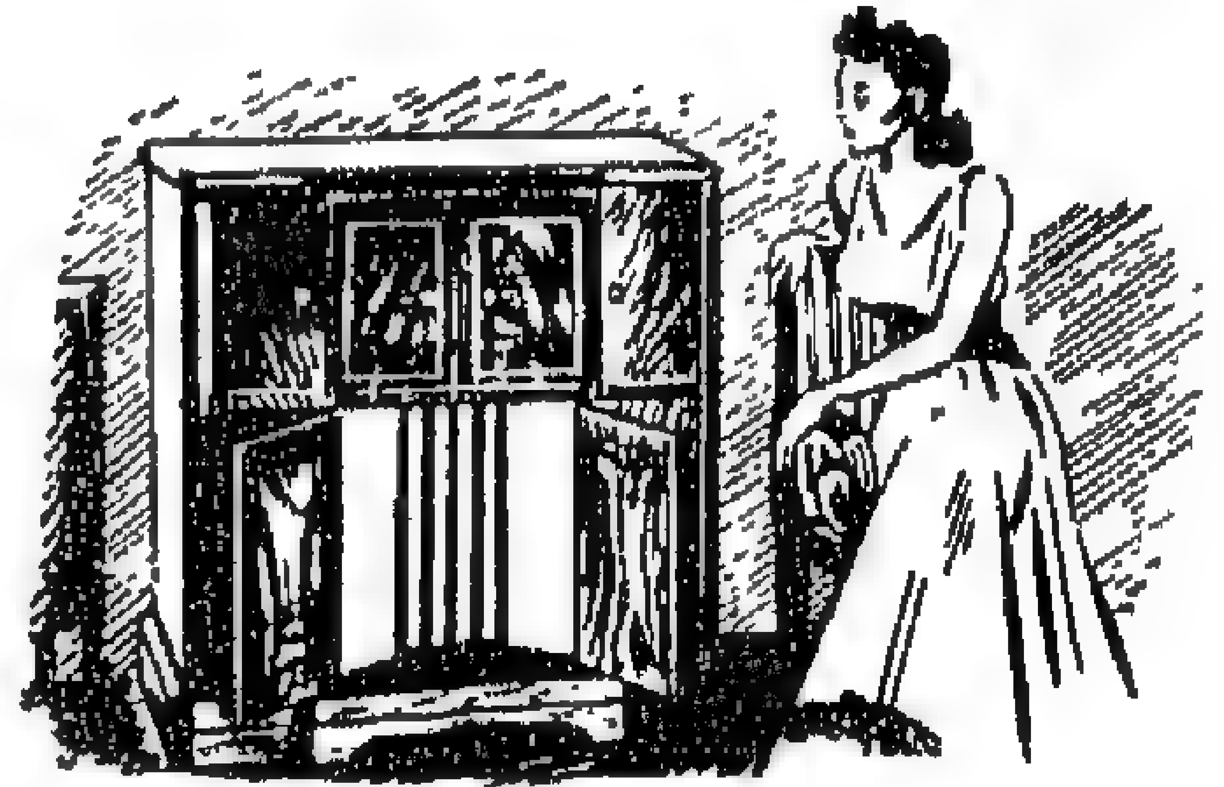

CALTEX

RCA تقـــــدم

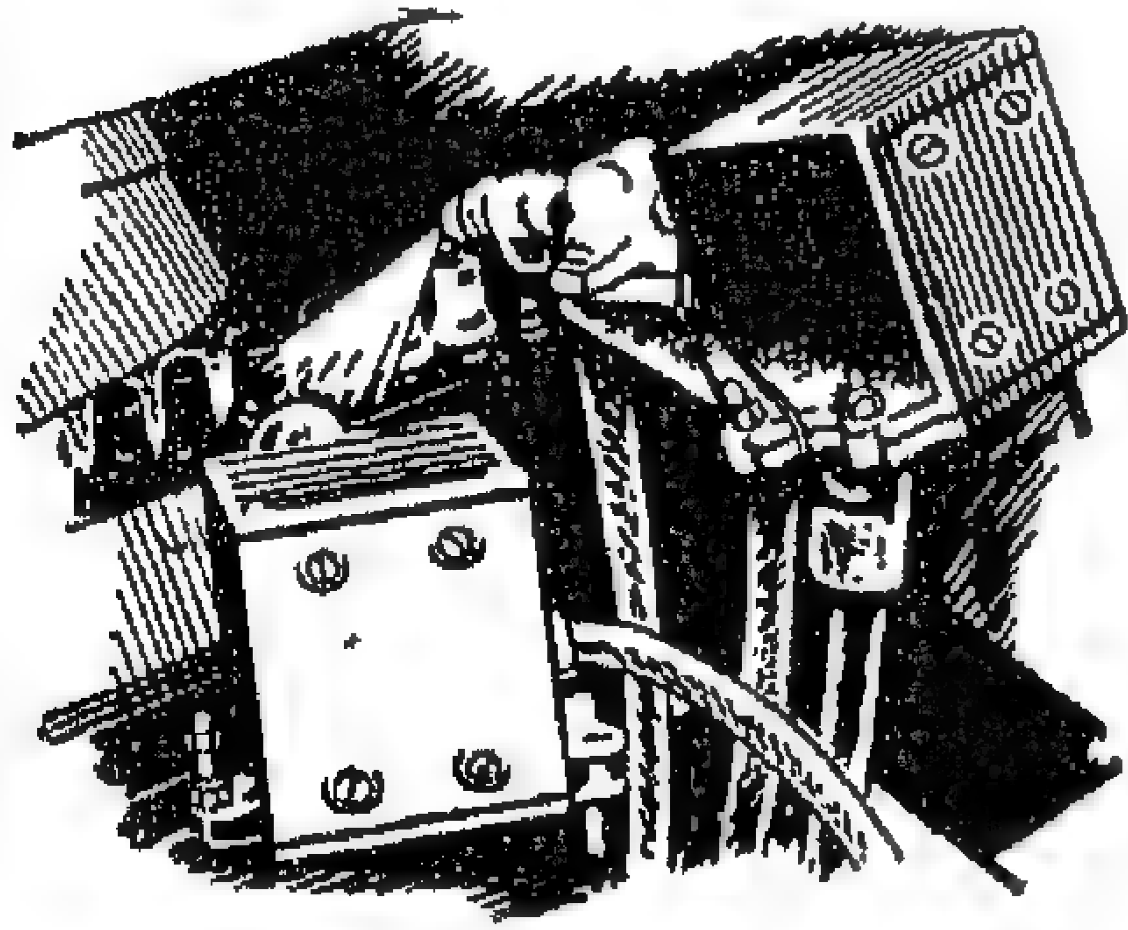
أحدث مبتكراتها



حلم خبراء الراديو: إن جهاز الإستقبال RCA ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحى الفائدة، هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صور للاذاعة الواحدة على ثلاث أسلاك هوائية مختلفة. ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث. وبحوث RCA المنقطعة الآن لخدمة قضية الأمم المتحدة، تعدنا براديو أجود ومنتجات أخرى لعالم أفضل، حينما يأتى السلام.



أعظم أجهزة الاستقبال إتقاناً: هو جهاز RCA QU8. وهو ...م أقصى مما يمكن تقديمه فى عالم الراديو بوساطة صماماته ...ية والعشرين ومناطقه الموجية التسع، كما يقدم أجود نوع ...إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذى يغير عشرين قرص ...اموفون تغييراً أوتوماتيكيا بدون أدنى ضعف فى الإخراج. ...ر يقوم بتسجيل برامج الراديو أو الأحاديث، ويمكن ...تخدامه كجهاز فعال للخطب العامة — فمنظره رائع وصوته ...يم، وهو ذلك النوع من راديو RCA الذى سيتاح لك ...تخدامه مرة أخرى حين يأتى السلام.



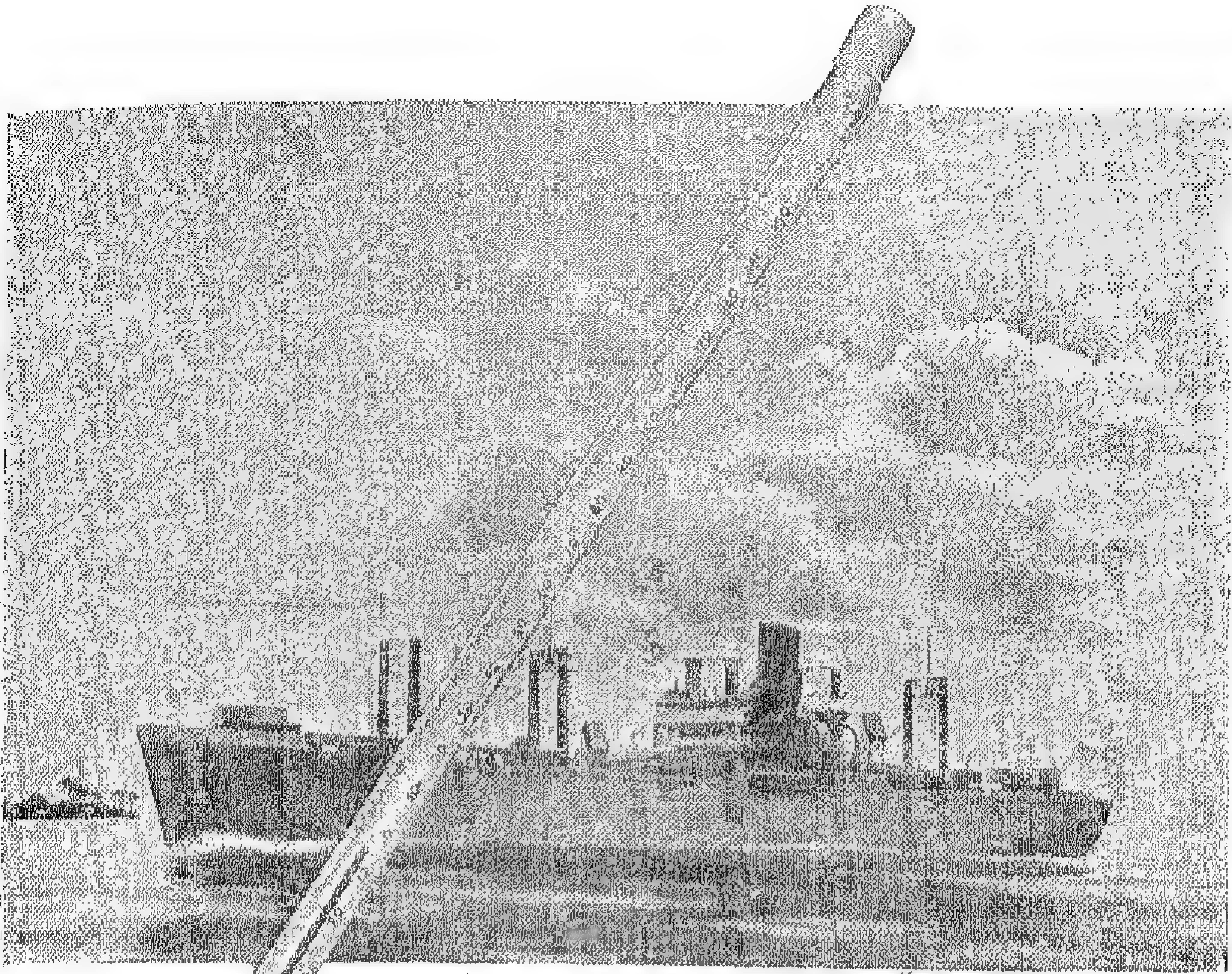
أنبوبة تساعد على طلاء أخرى: فى رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية، يتولى صمام RCA الالكترونى الاقتصاد فى الطلاء برشه رشا أوتوماتيكيا حينما تكون الأنابيب تماماً أمام صنبور الطلاء. وتصنع مئات من صمامات RCA العجائب فى الصناعة الحديثة. وهناك صمام RCA خاص لكل غرض!



RADIO CORPORATION OF AMERIC

RCA VICTOR DIVISION, CAMDEN, N. J., U. S. A.

.. م القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. إسطوانات .. اليكترونات



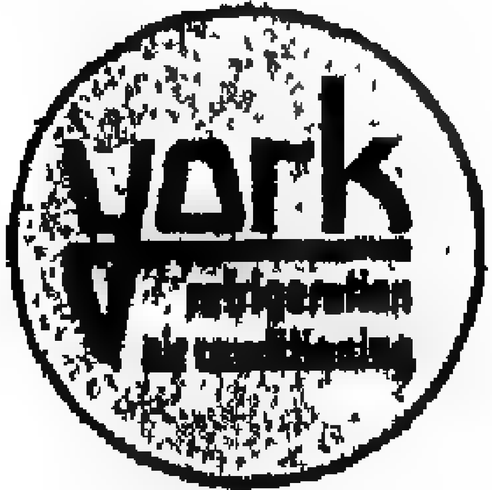
شحن مبرّد

سفن مبردة تبريداً تاماً ـ أن سفن «ريفرز س ٢» تلعب دوراً هاماً فى نقل الطعام الطازج إلى جيوشنا وراء البحار . وقد بنتها شركة « مور دراى دوك » وجهزتها شركة يورك ، فهذه السفن هى مخازن تبريد عائمة . وحرارتها لا ترتفع عن درجة ١٠ تحت الصفر ، فهى لذلك عامل عظيم فى قدرة قواتنا المسلحة على الحرب .

وإليك ما قاله موظف فى شركة « يونيتدفروت » التى تسير هذه السفن ، عن عملها : « إن صدق الاعتماد عليها يبهج النفس ولا سيما فى الأحوال الدقيقة التى تقتضيها سرعة الشحن والتفريغ والسفر ، وهذه السرعة هى إحدى المطالب الكبرى فى تجارة التبريد ولم يحدث مرة ما أن عجزت إحدى هذه السفن عن توصيل شحنها إلى غايته فى حالة تامة ـــ وفى الموعد المضروب » .

ومع ذلك فإن معدات يورك المستعملة فى أسطول سفن التبريد ، ليست إلا جزءاً مما تشتد إليه الحاجة فى أجهزة التبريد ، اللازمة لتموين قواتنا المسلحة . فأجهزة التبريد القائمة بنفسها ، المركبة فى سفن النزول إلى الشاطىء ، وسيارات النقل ، والسيارات المقطورة ، تنقل جرايات طازجة من نقطة الارتكاز على الشاطىء إلى منطقة القتال.

فأجهزة يورك تخدم قواتنا المسلحة . من السفينة إلى الشاطىء ، وفى كثير من الأحوال ، اقتضى الأمر أساليب جديدة متفوقة ، وما تم تحسينه واتقانه فى أثناء الحرب سيتجلى فى ما يتاح لعالم يسوده السلام من وسائل تكييف الهواء والتبريد التى أحسنت تحسيناً عظيماً



مارکة مسجلة

York Corporation, York, Penna.

يورك للتبريد وتكييف الهواء

المقر الرئيسى لأجهزة التبريد الميكانيكى منذ عام ٨٨٥



كريم جليدر وإسكواير
للحلاقة بدون فرشاة

صنعا خصيصاً للرجال الذين عليهم أن يحلقوا كل يوم

كريم وليامز الفاخر للحلاقة

يحتوى مادة «لانولين» الملطفة وهى تعينك على تنعيم الحلاقة دون أن يلتهب الجلد

أكوافلفا

أشهر لوسيون فى العالم يستعمل بعد الحلاقة
مبرد ، منعش ، نقى ، زكى الرائحة

WILLIAMS

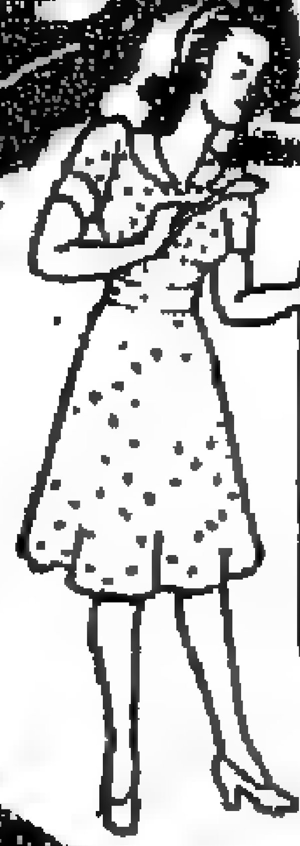
منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

إذا أردتِ طبخاً أسرع وأيسر

وطعاماً أشهى وأعظم تغذية

انظري بعينيك وأنت تطبخين



من الفرن
الى المائدة

فاستعملي جلاس بيك

آنية من الزجاج للفرن

آنية من الزجاج بظهر الفرن

معين جديد لك على الطبخ ـ لذة جديدة فى الأكل ، كذلك ـ ييسرهما لك جلاس بيك ،
ـ أحدث وأصح طريقة للطبخ . إن الأطعمة التى تطبخ أو تسلق أو تقلى ، فى آنية الزجاج المعدة للاستعمال فى الفرن أو على ظهره ، تكون أطيب طعماً ـ وأزكى رائحة ـ وأشهى منظراً ـ أما الطبخ فأيسر وأسهل . وأنت ترى الطعام بعينيك أثناء طبخه ، وتقدمه على المائدة فى نفس صحون الزجاج البراقة التى تطبخ فيها ـ من الفرن إلى المائدة رأساً . فاحرص على أن تشتري جلاس بيك ـ وتحقق من هذا الإسم على كل قطعة .

SunFlame

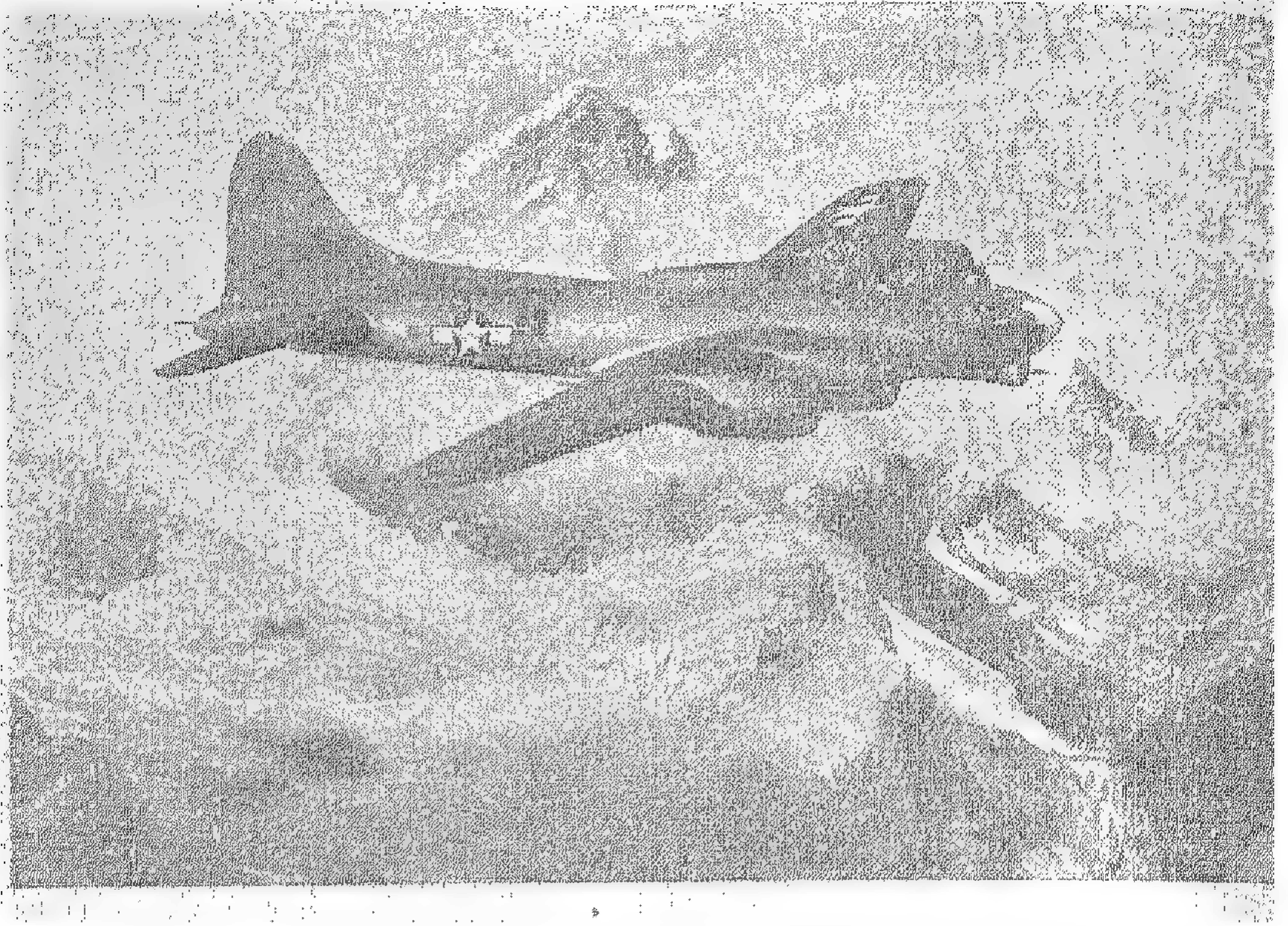
SUN FLAME APPLIANCES LTD. RIDGEFIELD, NEW JERSEY, U.S.A.

شفرات

مازالت جيليت اشهر شفرات العالم فى السرعة والنعومة والاقتصاد. ولو ان انتاجها محدودًا فسواء اشتريت شفرات جيليت الزرقاء أو جيليت استندرد تضمن احسن حلاقة.



جيليت



"حقاً إنّ هذه المحركات لقويّة"

كتب شقيق مدفعي البرج الأوسط في قلعة
ُرة إلى ستوديبيكر يقول على لسان شقيقه :
« إن محركات رايت ـ سيكلون التي يصنعها
ُوديبيكر لهي حقاً يُعتمد عليها وإنها حقاً لقوية »
وإن أقوالا من هذا القبيل لتظفر طبعاً بخير
ير . ولكن رجال ستوديبيكر ونساءه يعلمون
الشأن الحقيقي إنما هو لفعال رجال الطائرات
واسل ، ورجال المطارات الأشداء ، بل هو
ن فعال قواتنا المحاربة جميعاً في كل مكان .
وهيئة ستوديبيكر تدرك أنها وحدة واحدة

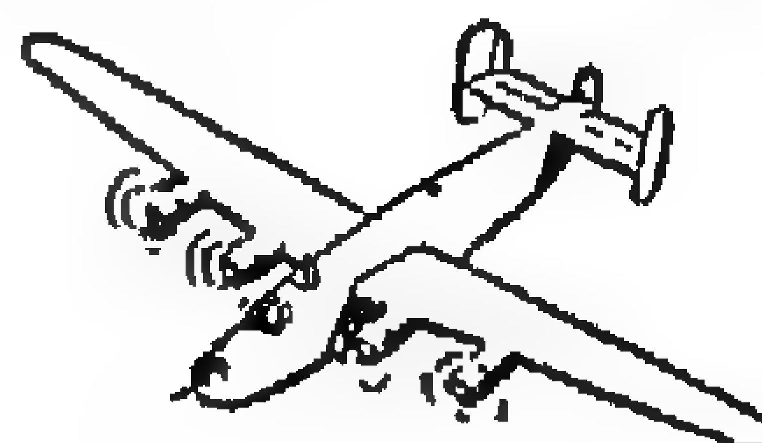
وحسب في جماعة الأمم المتحدة ، التي تنتج وتحارب . وفي هذه الجماعة يعد مجهود كلّ فرد مجهوداً عظيماً .

وستوديبيكر يفاخر بما عهد إليه به من أعمال في هذه الجماعة ـ أعداد وافرة من محركات رايت سيكلون للقلاع الطائرة صنع بوينج ـ وسيارات للنقل الحربي الشاق ـ ولنقل الموظفين وعربات الشحن من طراز ديزل ـ جميع هذه ما فتئت تتدفق من مصانع ستوديبيكر الخمسة العظيمة .

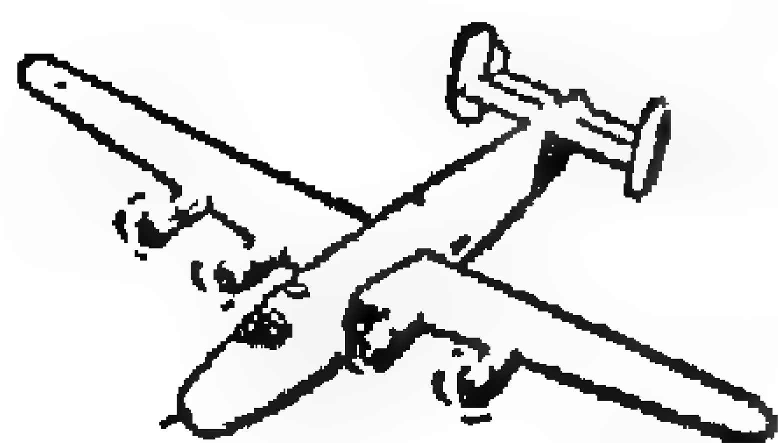
The Studebaker Export Corporation
SOUTH BEND, IND, U. S. A.
Cables: STUDEBAKER

ستوديبيكر يُنتج محركات سيكلون لأجل القلاع الطائرة

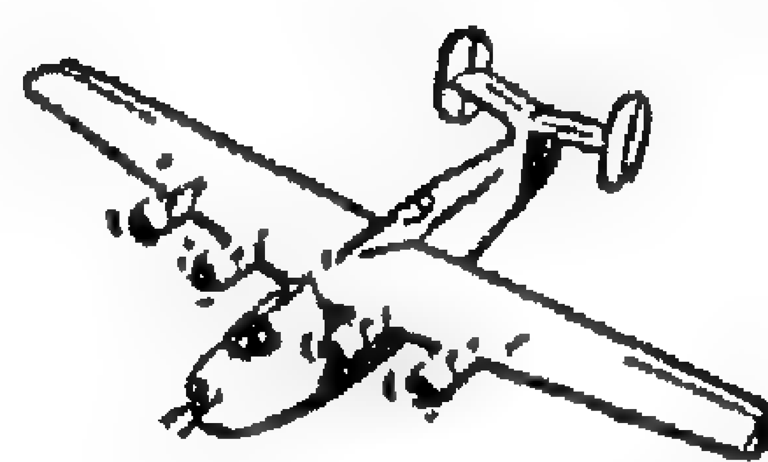
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



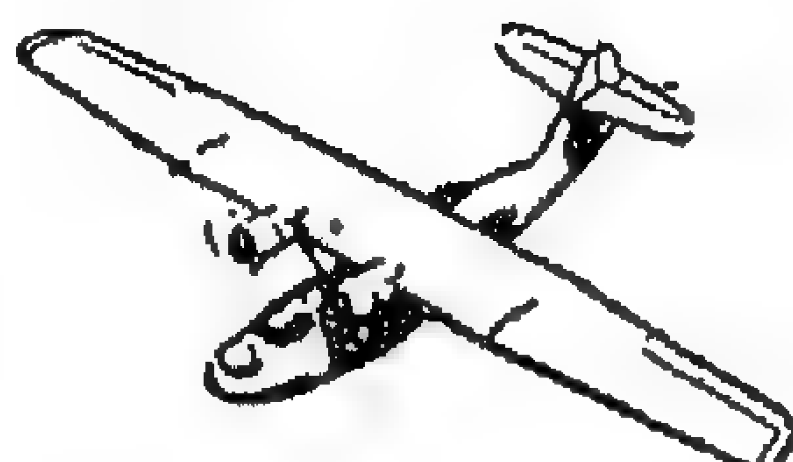
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



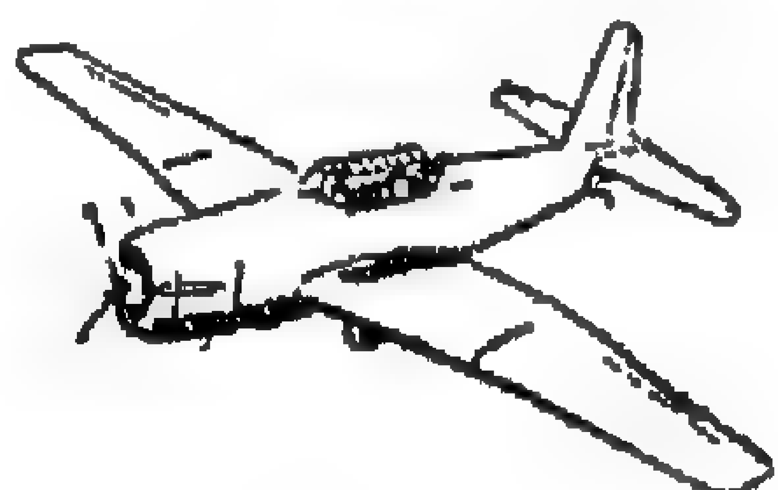
كورونادو — قاذفة داورية



كاتالينا — قاذفة دورية



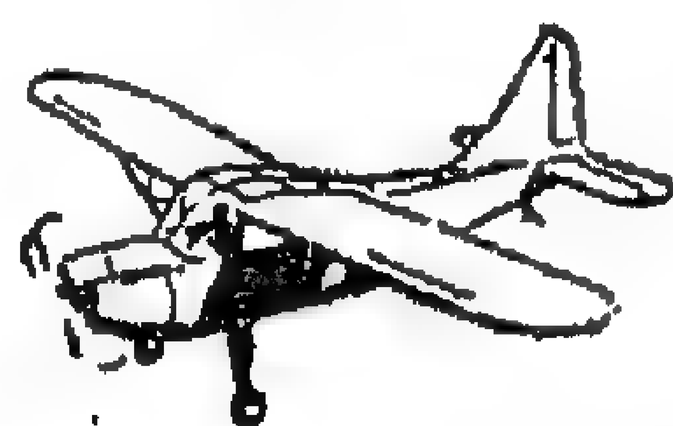
ڤاليانت — طائرة تدريب أساسية



ڤنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



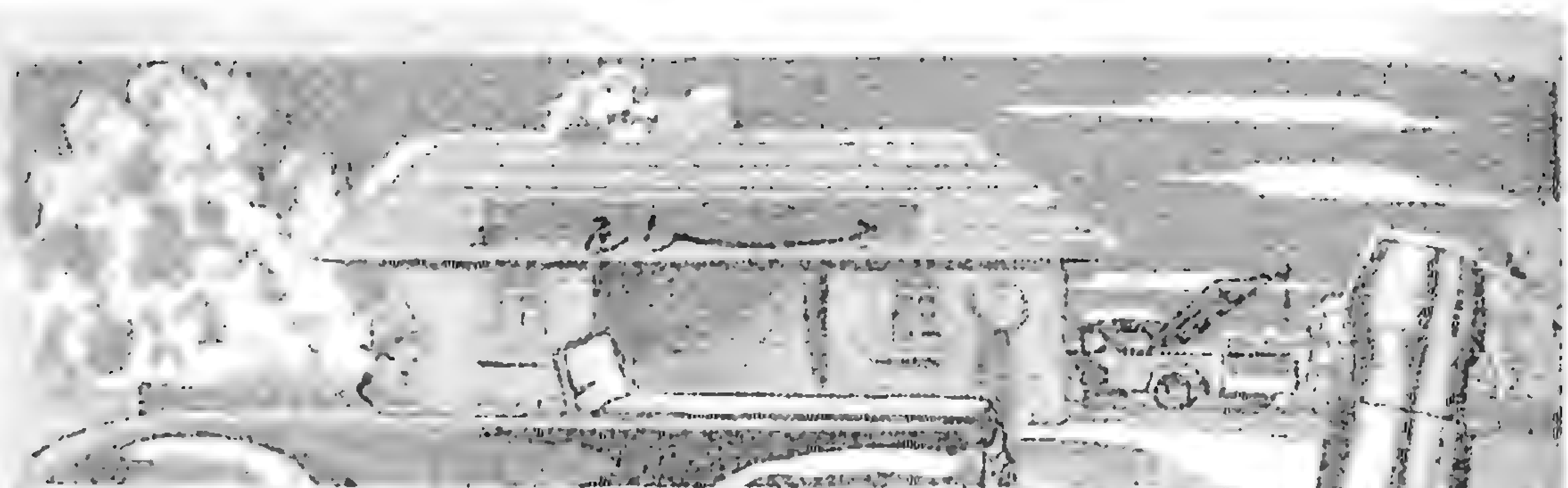
سنتينل — « الجيب » الطائر

حين نحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد ڤولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.
Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.
Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.
Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

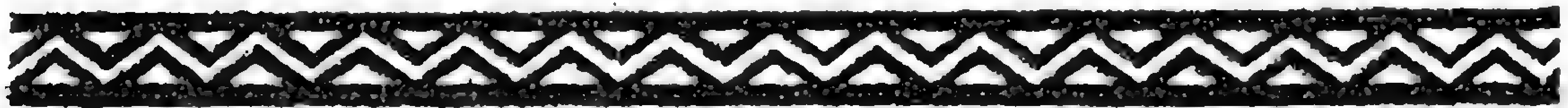






إن سيارتك الخاصة ، أو سيارة النقل ، او الجرّارة ، لتستطيع أن تخدمك زمناً أطول ، وتكلفك نفقة أقلّ ، إذا رفعتَ عنها العبء الذى تلقيه عليها شموع الاحتراق القذرة أو المتآكلة . فركّب شموع إحتراق شامپيون ، فى فترات منتظمة ـ فهى تزيد السرعة والقوة ، وهى توفر على الفور ، من الوقود الذى يستهلك ، ما يوفى ثمنها اليسير . إن العالم بأسره يعرف شموع شامپيون ويعترف بأنها شموع احتراق يعتمد عليها لأنها تحفظ المحركات دائرة كأفضل ما يمكن أن تدور

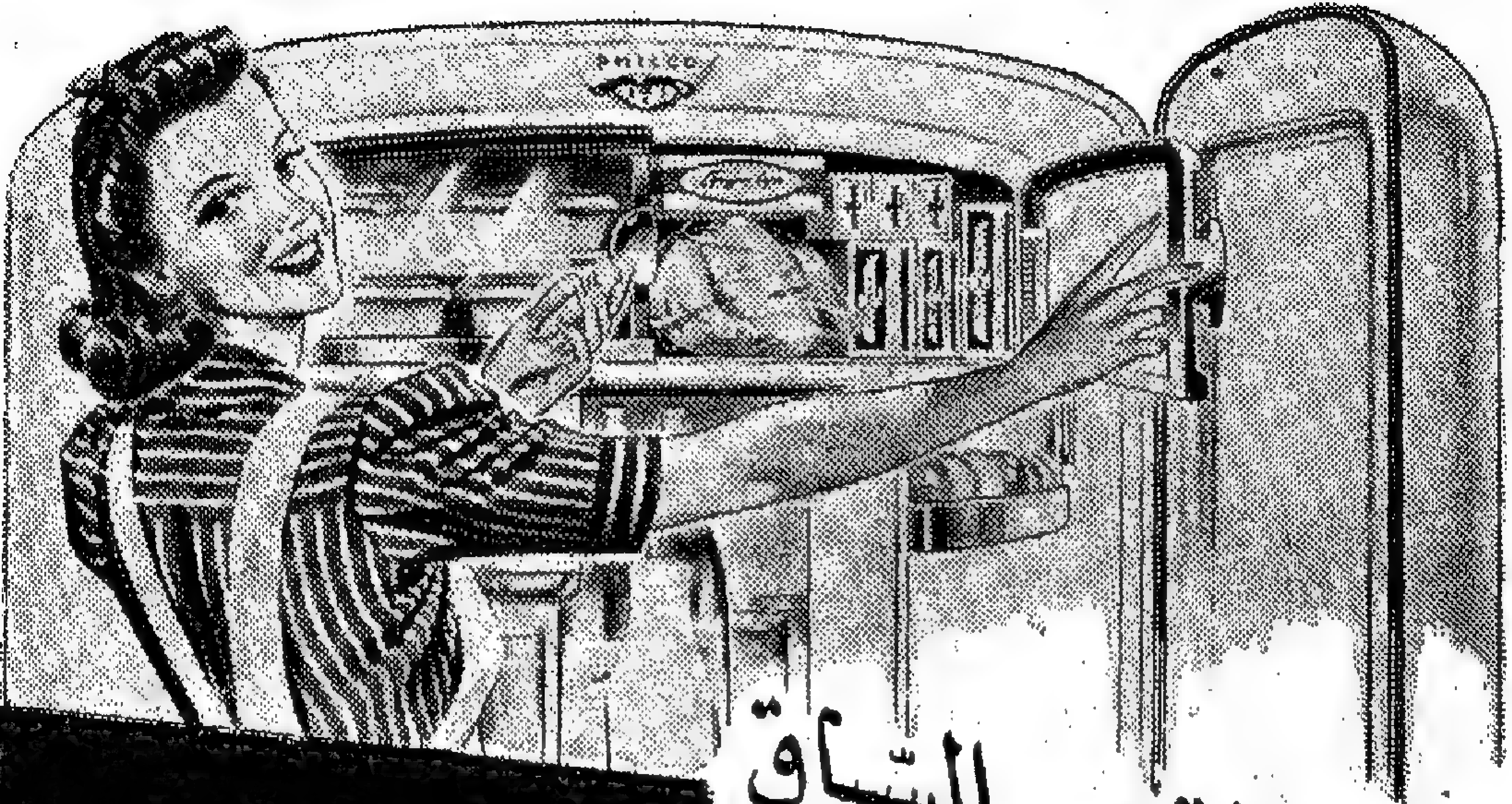
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U S A • Windsor, Can • Feltham, Eng.



حتى قبل أن تنشب الحرب

قدمت لك

ثلاجة فيلكو



هذا التصميم السبّاق

حجرة كاملة منفصلة

للتخزين المبرد

عدا على حجرة مكعبات الثلج

واليوم يحق لجميع الذين يملكون ثلاجات فيلكو ، أن يهنئوا أنفسهم على حسن اختيارهم . لأن فيلكو ، قدم قبل الحرب نوعاً جديداً تام الجدة من الثلاجات يحتوى على حجرة منفصلة كبيرة « للتخزين المبرد » حيث يمكن أن تحفظ جميع أصناف الطعام ، مدى أسابيع ، على درجات من البرودة تحت درجة التجمد . وهذه صفة مميّزة ، وهى مثل واحد على هذا التصميم السباق ، الذى أدخله فيلكو فى صناعة الثلاجات .

وغداً تحت تأثير تصميم فيلكو السباق ، ستكون الثلاجة أجل وأكثر نفعاً ، وأيسر استعمالا فى البيت . وثمة ، أفكار جديدة تنتظر أن تبحث وتستغلّ ، حين يعود مهندسو فيلكو ، من معامل أبحاث الحرب . فترقّب فيلكو فى ميدان صناعة الثلاجات ، بعد الحرب ، فستجد أدلة جديدة على التقدم الهندسى ، الذي جعل من اسم فيلكو رمزاً للسبق ، على مرّ السنين .

فيلكو

المشهور بالجودة فى جميع أنحاء

CO INTERNATIONAL CORPORATION, 230 Park Avenue, New York, U.S.A.

الشمالية النائية فى أقصى فنلندة ، فإن تلك الشعلة المتوهجة التى تضيء لنا أيامنا ، تخلف وراءها ، إذا آذنت بمغيب ، ضياء الليل الذى يكفل لنا من الضوء ما يعيننا على القراءة ؛ فمن أجل ذلك يتسع لنا جميعاً من الوقت ما لا يجعل أحداً يلجف فى طلبها حتى يتصفحها .

وفى « وادى الحجارة » ، فى المكسيك ، شاهدت ما يشبه أن يكون غارة على المكتبة كلما وصلت أعداد ريدرز دايجست . ولا أدرى بأية حيلة كان غيرى يظفر بنسخته ، أما أنا فكنت أرشو زوجة صاحب المكتبة كل شهر بزهرة أوركيد أقطفها من حديقتى . ومما يعزى النفوس ، فى هذا الزمن الذى تقام فيه الحواجز العظيمة بين الأمم ، أن تعلم أن هناك دافعاً ملحًّا يدفع الناس إلى أن يتبادلوا الأفكار ، وأن يهتدوا إلى أساس مشترك ييسر لهم أن يتفاهموا ويحترم بعضهم بعضاً .

فى منتصف الحرب الماضية كتبت « سلمى لاجرلوف » قصة عنوانها « ضباب » ، وهى قصة رجل اعتزل الناس ، حتى لا يشعر بتباريح العذاب والبلاء التى أنزلتها الحرب بالإنسانية ، ولكنه جنّ فى عزلته التى رماه إليها جُبْنه . وهذا المصير أو نحوه ، هو قدر مقدور على كل من يحاول اليوم أن يعيش معتزلا ولا همّ له إلا نفسه .

كلا ! بل ينبغى أن نعيش ، وأن نكافح تحت ظلال القوة الروحية المسيطرة التى تصوغ مستقبل العالم . فعلى كل منّا أن يبذل معونته على طريقته و بقدر طاقته ، فى هذا التحول العظيم المفضى إلى مجتمع من الناس تكفل فيه حرية الناس وحرية الرأى .

ولكن هذا المجتمع من الآراء ، أو من الناس ، أو من الأمم — يتطلب أساساً من حسن التفاهم بين من سيؤلف بينهم هذا المجتمع . ومن أجل ذلك أبعث إلى « المختار » من ريدرز دايجست أمنيةً من صميم القلب : « اللهم افتح الأبواب المغلقة لهذا الداعى إلى الوحدة ، الحامل لتلك المعانى النبيلة الكريمة التى إذا ألقى سرّها فى نفوس الناس والأمم ، آتت أكلها ثمرات جنيّة من الحرية والعدل والتقدّم » .

إلى جهات الأرض الأربع

اديثا موريس • مؤلفة سويدية مشهورة ورحالة عالمية

وقع لى أمر غريب عجيب ، وأنا على مشارف الصحراء الكبرى . كنت وحدى ، وليس معى شىء ، حتى ولا كتاب أخالف به بين الساعات المتوالية الطويلة المملة . وجاء يوم فإذا ناسك وقور من المسلمين يدعونى إلى شرب القهوة عنده ، ولم يكن ذكره القهوة إلا استدراجاً ، أما حقيقة ما كان يبتغيه فهو أن يتيح لى أن أرى مجموعة مطبوعاته ، رجاء أن أضيف إليها شيئاً . ففى تلك النفس الخاشعة ، لم تزل تضطرم شعل من الرغبة فى اقتناء كل ضرب من المطبوعات التى تنالها يده من جود زواره القلائل .

وأضاء الزهو وجهه وهو يرينى أنفس ذخائره : تقويمان لوحتهما الشمس وقوست جلودها ، ونتيجة . . . وأول نسخة من ريدرز دايجست وقع عليها بصرى فى حياتى . فناولنيها وهو يقول : « هذه أنفس ذخائرى ولكننى لا أستطيع أن أقرأها » . ثم نفخ التراب عن أوراقها برفق وقال : « خذيها . إنك تستطيعين أن تقرأيها » .

ولست أدرى كم مئة من ريدرز دايجست قد قرأت منذ ذلك اليوم . ونزلت فى خان عتيق نزل فيه من قبل ألفريد ده موسيه ، وجاءتنى امرأة عربية تقول وقد ضاق صدرها : « سيدتى ، لقد قرأت نسختك من ريدرز دايجست ثلاث مرات ، أتراك ستقرئينها من أولها إلى آخرها مرة رابعة أم تراك ستتكرمين فتدعينها ليقرأها سائرنا ؟ »

وفى صيف سنة ١٩٣٩ وجدت فى نزل صغير فى بتسامو نسخة من ريدرز دايجست يغطيها قشر السمك ، خلفها وراءه صياد إنجليزى . ومن حسن الحظ أن لم يكن من الضرورى أن نتنازع على هذه المجلة الصغيرة فى تلك الأصقاع

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المختار

من ريدرز دايجست

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الثانى والعشرون (العاشر من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العـام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العـام : باركلى أتشيسون

المختار
من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الثانية يونيه ١٩٤٥ المجلد ٤ العدد ٢٢

هل تستطيع العصابات أن تحرر إسبانيا الفاشية؟

عزم المحاربون القدماء ، الذين شنوا أول حرب على الفاشية ، على أن يحوزوا النصر الأخير .

يتدألان ملخصة عن مجلة "كوليير"

أخذت جيوش فرانكو تسير تحت شمس إسبانيا الحامية مارّة بالمنصة التى وقف فيها العارضون فى أوفيدو ، عاصمة إقليم أستوريا فى شمال غرب إسبانيا ، على حين كانت فرق الموسيقى تعزف ألحان حزب الفلانج على مسامع الألوف المجتمعة هناك بأمر من الحزب . كان ذلك فى يوم ١٧ يوليو سنة ١٩٤٣ ، وهو يوم العيد السنوى السابع لثورة القواد الإسبان على الجمهورية الإسبانية . ووقف موظفو القنصلية الألمانية على منصة العرض ، وقد أرهفوا أسماعهم حين عزفت إحدى الفرق المارة النشيد الوطنى الألمانى ، وهتف الفلانجيون ورفعوا أذرعتهم بالتحية النازية الفلانجية ، وكان يوماً مشهوداً .

وكان يقف فى صفوف الجانبين ثلاثة رجال قد أرسلوا إلى أوفيدو ليستوثقوا من أن الاحتفال كان قد استأثر بالتفات الجيوش ورجال الشرطة ، ولو كان رجال شرطة فرانكو أشد يقظة لتبينوا أنهم من عمال المناجم ، ولخامرهم الشك فى أنهم من جواسيس عصابات بيبون دى لا كامبا ، وبيبون إذا وقف على قدميه الناعلتين يبلغ طوله ست أقدام وأربع بوصات ، وهو يقود أكبر جيوش العصابات وأشدها بأساً فى إسبانيا .

وبينما كان الفلانج يلهون فى أوفيدو هبط بيبون ورجاله من جبال أستوريا وأحاطوا بمدينة سان استيبان دى پرافيا على مسافة ٣٥ ميلا ، وفتحوا أبواب السجون ،

وأطلقوا سراح جميع المسجونين السياسيين المنــاوئين لفرانكو ، وجمعوا كل عربات النقــل وسياراته الموجودة فى النـواحى المجاورة ، وأخذوا من دار الصنعة الضخمة كل بندقية ورصاصة وقنبلة .

وألغى فجــأة الاحتفال فى أوفيدو ، وأسرعت الجنود إلى سان استبان دى برافيا ولـكنهم حين وصلوا كان بيبون قد انصرف وكانت الذخائر قد سلبت ، وكان المسجونون السياسيون قد فروا ، وخرج معهم ٣١٤ رجلا من أهل المدينة وانضموا إلى رجال العصابات .

وبيبون هو أكثر قادة العصابات اليوم فى إسبانيا نشاطاً ، وهو باعث الرعب فى قلب جيوش فرانكو فى أستوريا . وكلما قدرت مكافأة جـديدة كبيرة لمن يأتى به حياً أو ميتاً ، يقدّر هو مكافأة مقدارها قرش « لمن يأتى بفرانكو ميتاً أو حيا ، والأفضل أن يكون ميتاً » . ويقدر عدد الرجال الذين يقودهم باثنى عشر ألف رجل ومعظمهم من عمال المناجم السابقين الذين يفخرون بقدرتهم على حمل الديناميت ، وبأنهم يحسنون الرماية أيضاً .

وعمال المناجم يكرهون فرانكو لما فعله فى إسبانيا ، ولأنه قاد المغاربة الذين أخمدوا حركة إضرابهم سنة ١٩٣٤ ، وقتل حينذاك مئات من عمال المناجم العزّل ، والباقون منهم لم ينسوا له ذلك ، ولـكنهم لم ينفردوا وحدهم ببغض فرانكو ، فكثير من جنود الجمهوريين ، بعد هزيمتهم فى سنة ١٩٣٩ ، لاذوا بالجبال جماعاتٍ صغيرة . وفى السنتين الأوليين كانت كل جماعة لا تتجاوز العشرة ، وكانوا يغيرون إغارات ضئيلة على مراكز الجيش ومستودعات التموين . ولما كان هتلر يجتاح أوربا كان موقفهم يبعث على اليــأس ولـكنهم لم يستسلموا .

وفى بادىء الأمر أخــذ عددهم يزيد فى بطء ، ولما اشتدت وطأة طغيان فرانكو تكاثر عدد الذين انضموا إلى رجال العصابات من الإسبانيين ، فقد كانت إسبانيا فى مجاعة ، وجعل فرانكو حالة إســبانيا الإقتصادية خاضعة لحاجات الألمان ، وسادت الفوضى .

ومات من المرض والمجــاعة فى إسبانيا بين سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٤ عدد من الناس أكثر ممن ماتوا فى أى قطر آخر من أقطار أوربا ، وكانت نسبة عدد الموتى من المدنيين أعلى نسـبة فى أوربا ، بما فى ذلك البــلاد التى اجتاحتها الجيوش مثل يوجوسلافيا واليونان . وبالرغم من أن الحرب الإســبانية وضعت اوزارها منــذ ســنة ١٩٣٩ ، فإنه لم يكن هناك إصلاح ولا إحياء ، فأسعار الضروريات باهظة ،

والعمال الذين يبلغ أجرهم نحو ٢٠ قرشاً عليهم أن يدفعوا ٢٤ قرشا ثمناً لاثنتى عشرة بيضة.

ومعظم المصانع الجديدة يملكها الألمان، فقد كان الألمان يحتلون إسبانيا، هذه هى الحقيقة وإن كتمت ولم تذع، وبالرغم من اقتراب هزيمة ألمانيا ظلت إسبانيا محتلة.

الشركات المساهمة فى إسبانيا، وعددها اليوم ٤٨٠٠ شركة، منها ٩٨٧ يسيطر عليها أصحاب الأموال من الألمان سيطرة تامة، ويقدر عدد الشركات التى يشرف عليها مديرون من الألمان بألفين.

ومن عهد قريب فى الصيف الماضى أنشأ الاتحاد الكيميائى الألمانى الضخم ! . ج. فاربن أربعة مصانع كيمياثية فى مدريد، وفى خلال سنة ١٩٤٤ أتم إنشاء مصنع لعمل الزيت الصناعى قرب قرطبة ومصنعاً للمغنسيوم فى سانتاندر. والشركات الألمانية لصناعة الفولاذ والنسيج تسيطر أيضاً على مصانع الذخيرة ومصانع النسيج والمناجم.

ورجال العصابات يعرفون ذلك، فصاروا يبذلون الجهود بعد الجهود ليمنعوا النحاس والولفرام والزئبق والحديد والفحم والقنابل والبنادق والدبابات وآلات الطائرات التى تصنع فى إسبانيا من أن تصل إلى جيوش هتلر، فكانوا يخربون السكك الحديدية، وينسفون الجسور، ويعرقلون العمل فى المصانع التى يملكها الألمان، ويزودون أنفسهم بالأسلحة ليكونوا مستعدين لليوم العظيم حين يجىء.

وزعيمهم فى مقاطعة قشتالة رجل قصير القامة نحيف، تبدو عليه سيماء العلماء، يعرف بالمهندس. ومهما كان ماضيه — وهو غير معروف — فإن هذا المهندس من أقدر قادة العصابات فى إسبانيا، وهو يعمل فى جبال وادى الرَّمل (جواديراما) منذ سنة ١٩٣٩

وحينما تعوزه المؤن يحصل عليها بفضل هذا الدافع القوى الذى ميّز العصابات الإسبانية التى حاربت نابليون، ففى السنة الماضية دخل «المهندس» وجماعة من رجاله مدريد راجلين، وهم فى ملابس العمل، ويمموا شطر إحدى دور الأدوية الكبيرة، فما هو إلا أن جردوا حراس المصنع من أسلحتهم. (ولم يقاوموا مقاومة كبيرة، بل إن بعضهم تطوع ودل على المكان الذى يُحفظ فيه أحسن الأدوية) وحمّل المهندس ورجاله ثلاث سيارات للنقل من سيارات الشركة، وعادوا أدراجهم إلى مقر قيادتهم. واستعملوا هذه الطريقة نفسها فى الحصول على ملابس من مخزن مارتينيز كوروس وهو من أكبر مخازن مدريد.

وبعد غزو الحلفاء شمال إفريقية، استولى ٥٠٠٠ من رجال العصابات على مدينة مالقة فظلت فى أيديهم ٤٨ ساعة بعد معركة حامية، وكانوا يرجون أن ينزل الأمريكيون فيها ويساعدوهم فى تحرير إسبانيا ، ولكنهم يئسوا أخيراً من المساعدة وانسحبوا .

فإذا شئنا أن نقدر ما يرجى من قيام الشعب بثورة ناجحة ضد فرانكو (لا استبدال حزب حربى بفرانكو وحسب) فينبغى أن نتذكر أننا إذا استثنينا بعض نواحى اليونان ويوغوسلافيا ، فلن نجد بقعة من أوربا ذات شأن حررها مجهود المجاهدين فى الخفاء وحدهم . نعم لقد استطاعوا أن يقوموا بأعمال التخريب فى المصانع ، وهاجموا دور الصنعة ، ونسفوا الجسور ، ولكنهم لم يستطيعوا هزيمة عدو مزود بأسلحة الحرب الحديثة جميعها ، إلا بعد أن قدم لهم الحلفاء مساعدة صالحة ، هى جيوش الغزو .

والإسبان المقيمون فى فرنسا قوة لها خطرها ، وقد تتولى هى مهمة الجيش الغازى ، فإن أكثر من ٥٠٠،٠٠٠ من الجمهوريين عبروا الحدود من إسبانيا إلى فرنسا فى سنة ١٩٣٩ بعد هزيمتهم ، وكثير منهم تفرق فى مختلف نواحى العالم ، ولكن ربما كان عدد الباقين ٣٥٠،٠٠٠ ، ومن هؤلاء ٥٠،٠٠٠ حاربوا مع الأنصار الفرنسيين لتحرير البلاد ، ولقد كانوا هم نواة القوة الفرنسية فى جنوب فرنسا لتمرسهم بفنون الحرب ، وكان عددهم ثلاثة أضعاف عدد الفرنسيين ، وقد ساعدوا فى تحرير مدن مثل مرسيليا وبربينيان وبوردو . ولما استولى الأنصار على دار البلدية فى باريس ، كان الإسبانيون فى طليعة الذين بذلوا أرواحهم ، وكان الإسبانيون يقودون بعض دبابات الجنرال جاك ليكلير التى كانت تحمل اسم وادى الحجارة ومدريد ، والتى اجتازت شوارع عاصمة فرنسا المحررة .

والهيئة التى تحرك الإسبانيين الذين يعملون فى الخفاء ، هى المجلس الأعلى للاتحاد القومى الإسبانى ، وهو مؤلف من ممثلى الجماعات المعادية لفرانكو ، من أحزاب اليمين الكاثوليك إلى أحزاب اليسار الفوضويين والشيوعيين ، وبين الطرفين تجد أحزاب الاشتراكيين والجمهوريين والوطنيين ، وبين هؤلاء وهؤلاء الجناح الأيسر للاشتراكيين من بلاد الباسك وولاية قطلونية ، وقد أنشأ المجلس الأعلى مجالس محلية بلغ عددها اليوم ٩٠٠ مجلس .

وأهم حادثة سياسية فى إسبانيا فى السنوات الأخيرة هى انضمام الحزب الشعبى الكاثوليكى إلى المجلس الأعلى فى سنة ١٩٤٣ ، وهذا

الحزب يمثل جماعات الكاثوليك من الطبقة المتوسطة واتحادات الكاثوليك ، وهم أفقر الإسبانيين وأكثرهم شقاء . وقد ناصر كثير من أعضاء هذه الجماعات فرانكو ، مؤمنين بأنه كان « يحارب البلشفية في سبيل المسيحية » ، وموقفهم في الوقت الحاضر ، مضافاً إليه ولاء الكاثوليك من بلاد الباسك ، يبطل ادعاء فرانكو أن كاثوليك إسبانيا يناصرونه ، إذا استثنينا بعض الأعضاء الأقوياء من رجال الكنيسة .

وبرنامج المجلس الأعلى يشمل ما يأتى : قطع جميع العلاقات الاقتصادية والسياسية بينهم وبين ألمانيا ، وإعادة حرية الصحافة والنشر وحرية الدين ، والبدء فى إعادة إنشاء كيان إسبانيا الاقتصادى ، وإنشاء جمعية استشارية لعمل ميثاق دستورى يضمن حرية إسبانيا ، على أن يقر الشعب هذا الميثاق بانتخابات حرة ديمقراطية .

وقد حارب الجمهوريون الإسبانيون الفاشية زمناً أطول مما حاربتها أية قوة أخرى فى العالم ، فهم يحاربونها منذ سنة ١٩٣٦ ، وهم مصممون فى هذه المرة على أن لا تفلت منهم الحرية . وقد برموا بتلك الأساليب المختلفة التى يحلم بها رجال السلك السياسى لإعادة الملكية إلى إسبانيا .

وفى الوقت الحاضر تجد كثيراً من قادة الجمهوريين فى المنفى ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى اتفاق يضمن مستقبل إسبانيا . وقد يكون جوان نجرن ، آخر رؤساء الجمهورية ، هو أمل أهل إسبانيا ، لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يضم شمل الأحزاب المختلفة ، ولكن لا ريب فى أنه ليس فى وسع زعيم جمهورى أن يحكم البلاد آمناً دون أن ينتهى إلى اتفاق مع المجلس الأعلى ، فإذا لم يتم بينهما اتفاق ما ، وحل محل فرانكو حكومة انتقال لا يؤيدها المجلس الأعلى ، فإن أهل إسبانيا المنهوكين الساغبين الذين لا يريدون حرباً أهلية سيضطرون برغم ذلك إلى إشعال نارها ، وإنهم ليذكرون إخوانهم الذين ماتوا ألوفاً على حدود مدريد وهم يرددون : « ستكون مدريد مقبرة الفاشية » وقد وطنوا أنفسهم مرة ثانية على الموت حتى يحققوا صدق هذه الكلمات .



الديكتاتورية : هى نظام فى الحكم يجعل كل مالم يحرّم على الناس أن يفعلوه فرضاً واجباً أن يفعلوه . .

[منشستر جارديان]

ما الذى تعرفه عن الرجال

أمرام شينفلد

ملخصة عن مجلة "ومانز هوم كومبانيون"

مسائل تثبت أن الرجال والنساء جميعاً لا يعرفون كل الحقيقة عن الفروق بين الجنسين

——****——

لم يزل النساء يعتقدن أنهن يفهمن الرجال خيراً مما يفهمهن الرجال. وربما كان ذلك، بيد أن العلماء قد وقعوا فى السنين الأخيرة على بعض حقائق تتعلق بالرجال لن يدهش لها النساء فحسب بل الرجال أنفسهم

فإذا قرأت ما يلى فتبيّن لنفسك ما هو الصحيح منها وما هو الخطأ — على أن تذكر دائماً أننا إنما نتحدث عن الأوساط من الرجال. فإذا أصبت فى الإجابة على نصف المسائل المطروحة، فقد أحسنت

أجسام الرجال أكمل وأمتن بناء من أجسام النساء

خطأ. إن الذكور يولدون وفيهم من عيوب البدن وضعف البنية أكثر مما فى الإناث، وأجسامهم أكثر قبولا للخلل، وأقل منها كفاية فى العمل من الوجهة الكيميائية وجسم الرجل لا يفوق جسم المرأة إلا فى نمو العضل وحسب.

الرجال أسرع إلى الهرم من النساء

صحيح. جسم الرجل فى الأحوال العادية أسرع إلى الفساد، فهو من الوجهة الحيوية أكبر سناً من امرأة فى مثل سنه، وهو أقل منها مقاومة لأغلب الأمراض. فإذا أضفنا إلى ذلك المخاطر الأخرى فهو أقل منها فسحة باقية فى الأجل

أثبت الاختبار أن ذكاء المرأة كذكاء الرجل

خطأ. الذكور خير من الإناث فى المسائل الميكانيكية والحسابية والعقلية المجردة. والنساء خير منهم فى اللغات والحفظ عن ظهر قلب، وفى شئون الاجتماع وذوق الجمال.

ومن أجل هذه الفروق كان غير ممكن أن يقارن بين ذكاء الجنسين بالعدل

الرجال أهدأ عاطفة من النساء

صحيح أجمع خمسون بحثاً من خير الأبحاث النفسية الحديثة على أن اعتدال العاطفة فى النساء أقل منه فى الرجال.

الرجال أقل ميلا إلى هياج الأعصاب (الهستريا) من النساء

خطأ. فى أثناء قذف لندن بالقنابل كانت حالات هياج الأعصاب بين الذكور من المدنيين أكثر منها بين النساء، وكان الذكور الذين يعالجون منه أبطأ شفاء من الإناث.

الرجال أشد ميلا إلى الانتحار من النساء إذا واجهتهم أخطار مهددة أو آلام شديدة

صحيح. إن معدل الانتحار بين الذكور أربعة أضعافه بين الإناث، ويكاد يكون فى السن العالية ثمانية أضعافه بين الإناث. وربما كان ذلك لأن الرجال قد شكلهم المجتمع بحيث ينظرون إلى إخفاقهم بنظرة أكثر جداً، أو لأن المرض أثقل وطأة عليهم. وإذا كانت هذه الحقيقة، ثم

الحقيقة الأخرى وهى أن الرجال أكثر ميلا إلى هياج الأعصاب، تبدو كأنها لا تلائم ما أوضحناه من أن النساء أحدّ عاطفة ، فاذكر قصة القصبة التى سامت على الزوبعة على حين تحطمت لها الشجرة العظيمة . فالنساء باستسلامهن للعاطفة ينحنين للشدة ، أما الرجال فقد تنهار لها قواهم لأنهم أصلب عوداً .

الرجال أقل تمييزاً للألوان من النساء

صحيح . إن عمى الألوان هو فى الرجال ثمانية أضعافه فى النساء . والاهتمام بالألوان أسرع ظهوراً فى البنات منه فى الأولاد .

الرجال لا يحتملون الحر والبرد أو التعرض الشديد للجو كما تحتمله النساء

صحيح . أجسام النساء مبطّنة بطبقات من الشحم وتؤدى وظائفها الغددية والكيميائية على وجه أتم .

حواس الرجال أقل رقة من حواس النساء

خطأ . إن أدق الاختبارات العامية لم تظهر أى فرق يذكر فى التأثر بالألم أو فى حواس الشم أو اللمس أو الذوق .

الرجال عامة أقل مهارة يدوية من النساء

صحيح . وجد فى اختبارات المواهب أن النساء خير منهم فى الحركات الدقيقة . ويظهر هذا الفرق منذ الصغر فإن البنات يستطعن أن يزررن ملابسهن ويدرن أكر الأبواب بأسرع مما يفعل الأولاد .

الرجال يرثون من المواهب فى الفن والموسيقى أكثر مما ترث النساء

خطأ . كلا الجنسين سواء فيما يرى من نبوغ ، بيد أن المؤثرات الطبيعية (ومنها وظائف الأنثى وحمل الأولاد وقصور الهمة) والقيود الاجتماعية أيضاً ، تمنع النساء أن يُظهرن من نبوغهن مثل ما يظهر الرجال .

الرجال أعمق نوماً من النساء

خطأ . الذكور من الأطفال أكثر قلقاً فى نومهم ولا ينامون قدر ما ينام البنات وهذا الفرق يعتز بين الجنسين فى سن البلوغ

الرجال أقل بصيرة وبديهة من النساء

صحيح . البنات منذ الصغر أكثر ملاحظة للناس وإدراكا لهم من الأولاد ، وكلما كبرن نمت تلك القوة فيهن ، ويساعد على نمائها حاجة الأمهات لتفهم أطفالهن وتفهم المرضى — والأزواج .

الرجال أقل اهتماماً بمظهرهم من النساء

خطأ . يمتنع الرجال فى أمريكا وأوربا فقط — من جراء الانقلابات الاجتماعية فى القرن الماضى — من إبداء اهتمام كبير بملابسهم أما الرجال فى أغلب بلاد العالم فهم كالنساء غروراً واهتماماً بالملابس ، وكثيراً ما ينفقون من الوقت والمال على مظهرهم أكثر مما ينفق النساء



فى حرم المحكمة

كانت السيدة التى دعيت إلى منصة الشهادة فى المحكمة جميلة ولكنها جاوزت عهد الشباب . فقال القاضى الكريم الأخلاق : « دعوها تبدأ بذكر سنها ، ثم تقسم اليمين »

[صحيفة « بوسطن بوست »]

سفينة الجحيم

إيرا ولفرت

أمريكيان نجوا من سفينة سجن يابانية أصيبت بطربيد يرويان قصتهما الصحيحة المفزعة

تبوأت قصة « نـقب كلكتا الأسود » مكانها فى التاريخ زمناً طويلا ، ولكن هـذه الحرب قد أنشأت قصة أمريكيين أشد منها هولا .

ويرويها اثنان من الذين نجوا ، هما الجاويش البحرى فرل دوايت كتر وعمره ٢٦ سنة من كولورادو ، واونى إزورث كلم وعمره ٣٥ سنة وهو من تكساس .

قال كتر : « أخرج ٦٥٠ رجلاً منا من المعتقل اليابانى فى لاسانج فى جزيرة مندناو فى الفلبين وصفّونا خمسة خمسة ، وعقدوا بعروة سراويل مَن كان فى أطراف الصفوف حبلا سمكه نصف بوصة ، ومن لم يكن يلبس سراويل عُقـد الحبل على معصمه ، فإذا كان المعصم مقروحاً ترفقوا بصاحبه — فعقدوا الحبل حول عنقه .

وكان لنا فى الطريق متسع حتى نتفرّق ونمشى على راحتنا ، ولكنهم كانوا يشدون الحبل شدا محكماً حتى يزحم بعضنا بعضاً ، وجشّمونا المسير على هـذا النمط ميلين ونصف ميل إلى حيث كانت تنتظرنا إحدى سفن الشحن ، وكان بعض الزملاء يظلعون فى سيرهم من جراء القروح التى فى أقدامهم ، وأصيب بعضنا بالملاريا ، وأصاب اثنان أو ثلاثة مس من الجنون ، فكانوا لا يكفون عن الصياح .

ولم يكن أحد منا فى تمام عافيته ، وكنا قد قضينا جميعاً فى أسر اليابانيين ما لا يقل عن ٢٩ شهراً ، تنقلنا خلالها من معتقل إلى آخر ، وأخيراً حملنا إلى سفينة السجن وحشرنا فى عنبرها .

وقال كلم : « نعم لقد حشرنا حشراً ، فقد جئت فى جماعة يبلغ عددها مئة من مطار معسكر ماتينا ، وحشرنا مع ٦٥٠ رجلا ، وكان كل منا يتكىء على صاحبه أو يضطجع على بدنه ، وكان الهواء كثيفاً كريه الرائحة ، فلم يمض يوم أو بعض يوم حتى كان أشدنا أيداً قد خارت قواه ، فاستلقينا وقد نال منا الإعياء » .

وقال كتر : « كان إلى جانبي فتى قد أصابته الملاريا ، وقد بلغت درجة حرارته نحو ٤٢ ، وأنا أكاد أكون خبيراً بالملاريا فقد أصبت بها ٤٨ مرة منذ دخلت باتان ،

وكل ما أعطانيه اليابانيون من حبوب الكينا فى هذه المرات جميعها هو ١٦ حبة لأعالج بها نفسى(*) .

وقلت : « أيها الرّفاق ، إن هذا الفتى قد بلغ منه المرض وعلينا أن نعدّ له مكاناً ينام فيه » وأخذنا نتدافع ونتزاحم حتى أفسحنا له مكاناً يأويه .

« وبعد فترة اهتدينا إلى طريقة ، وذلك بأن نتناوب النوم فينام أحدنا ساعة فى النهار وأخرى فى الليل ، ثم يأخذ نوبته واقفاً ثم جالساً على ركبتيه ثم متربعاً ، كما يجد راحته ، ثم يأخذ نوبته فى الجلوس محتبيا ، وظللنا نفعل ذلك ١٨ ليلة و ١٩ يوماً » .

وقال كلم : « وفى بادئ الأمر قلنا « يارب متى ينتهى هذا ؟ » ولكن بعد هنيهة لم نعد نفكر فى الأمر فقد تبلّدَ حسّنا » .

وقال كتر : « وكان يقدم لنا الطعام مرتين فى اليوم ، فكانوا يدلون لنا الطعام فى الدِّلاء ، وكانت كل وجبة من الأرز المغلى ونحو أربع أوقيات من الحساء الخفيف لكل رجل ، وعند اليابانيين نوع من البطاطس الحلو اسمه « كاموت » ، وكانوا يصنعون لنا الحساء من قشره المغلىّ .

« ولا يعطى أحدنا أكثر من ثلثى كوبة ماء فى اليوم . وأخيراً أحكم اليابانيون قفل الفتحة ، وفى أول الأمر تركوا لوحاً فى كل جانب ليدخل منه الضوء والهواء ، أما الآن فاعتكر الظلام فى العنبر وفسد الهواء ، حتى صار الرجال يلهثون كالكلاب » .

فلماذا عامل اليابانيون الرجال هذه المعاملة ؟ لم تكن هذه عقوبة ، فإنهم إنما كانوا ينقلونهم من إحدى نواحى مندناو للعمل فى ناحية أخرى .

ولوّح كتر بيديه وقال : « لقد تركت التفكير فى تعليل أعمال اليابانيين ، ولقد كنت مع المشاة البحرية فى الصين قبل الحرب ، وقضيت خمس سنوات وأنا أراقب أعمال اليابانيين ، وحاربتهم واستأسرت لهم ، وكل ما تعلمته هو أن أدع محاولة التفكير فيما يجعل اليابانيين يفعلون ما يفعلون » .

وقال كلم : « وأكثر من نصف الوقت الذى قضيناه فى السفينة لم يكن هناك ما يوجب أن نقضيه فيها ، ولقد ظللنا مرابطين فى رصيف الميناء ، وأظن أنهم أبقونا هناك لأنهم لم يفكروا البتة فى أمرنا متنا أو بقينا » .

وقال كتر : « وغباؤهم يسترعى النظر . وأذكر أننى وأنا فى سجن دافاو كنت أبنى حاجزاً حول ساحة الدجاج ، وكان هناك دجاج ينقف بيضه ويأكل القشرة ، ويعلم الناس جميعاً أن الدجاجة تصنع ذلك إذا

(*) أقل قدر لمعالجة الملاريا هو ٣٠ حبة فى اليوم .

نقص ما ينبغى من الكلسيوم فى غذائها ، ولكن اليابانى إذ رأى الدجاجة تصنع ذلك قذف بها إلى قفص صغير وأبقاها فى الحبس منفردة ثلاثة أيام ، ووضع علامة على القفص تدل على أن الدجاجة قد عوقبت لأنها كسرت بيضها ، وكأنه لا يكاد يخطر ببال أحد من اليابانيين أن هذا أمر مضحك . ولقد رأيت مرة حارساً يقطع ذنب ثور عقاباً له على مروره فوق مسْحاة » .

وقال كلم : « كانت هناك أوامر قاطعة تمنع العمال من حمل الطعام إلى المعسكر ، وكنا جميعاً نخالف ذلك ، ولكننا كنا نضرب بالهراوات وأطراف البنادق حين ينكشف أمرنا . وكان فى دافاو عدد وافر من البرتقال على أشجاره ، وعند ما كان اليابانيون يفاجئون أحداً منا وهو يأخذ منها كانوا يصفون جميع العمال صفين متقابلين ويأمروننا أن يضرب بعضنا بعضاً ، ثم يتضاحكون منا كما يتضاحك الأطفال . وكنا بلا ريب نتضارب برفق ، ويومىء بعضنا لبعض أين تكون الضربة حتى يستطيع أن يدور مع الضربة . وكان اليابانيون يمرون بين الصفوف فإذا بدا لهم أنك لا تضرب بما ينبغي من عنف ضربوك بالهراوة أو لكزوك بالحربة » .

واسترسل كلم يقول : « والضرب من تقاليدهم ، فضباطهم يلطمون رجالهم أمامنا ، ويطرحونهم أرضاً ، ويضربونهم بصفحة السيف ، وضابط الصف يضرب الجنود ، والجندى الذى يحمل ثلاثة نجوم يضرب الجندى الذى يحمل نجمتين ، والذى يحمل نجمتين يضرب الذى يحمل نجمة واحدة والجندى الذى يحمل نجمة واحدة لا يستطيع أن يضرب أحداً إلا الأسير أو الرجل المدنى .

« وقد حدث فى نحو الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ — وهو يومنا التاسع عشر على ظهر سفينة الجحيم — أن أصاب سفينة أخرى من سفن القافلة طربيد أمريكى ، فنفخ نافخ البوق لينذر ركاب السفينة ، ولكنه لم ينفخ سوى نفختين أو ثلاث ثم انقلب يلهث من الخوف » .

ونظر كتر من الفتحة ورأى بندقية أتوماتيكية مثبتة فى المنفذ ، فما كاد المدفع يرسل نيرانه حتى ألقى أحد اليابانيين قنبلة ، وكان اليابانيون يطلقون النار على الأمريكيين كأنهم فيران فى مصيدة ، وسقطت القنبلة تطقطق عند قدم كتر اليسرى فركلها كتر حتى غابت تحت بعض الألواح وانفجرت تاركة تسع شظايا فى ساقه اليسرى وأربعاً فى ساقه اليمنى وثلاث شظيات فى كل ذراع .

ثم أصاب سفينة السجن طربيد ، وقال

كام : « عند ما وقع الانفجار الأول شمل الظلام هنيهة كل شئ ، ولما ثبت إلى نفسى كان الظلام من الشدة بحيث ظننتنى أننى تحت الماء ، ولم أجترئ على التنفس ، وكانت أشياء كبيرة لينة ترتطم بى فخلتها إسفنجاً ، وخطر ببالى أنى ميت ، وأن الميت هكذا يكون ، فأنت تسبح فى الظلام وتظل قطع كبيرة من الإسفنج الناعم ترتطم بك ، ولكن سرعان ما أدركت أن هذه القطع لم تكن إسفنجاً ، وإنما كانت أجساد الموتى من الأمريكيين ، وعلمت أنى لست تحت الماء ، وأن سبب الظلام هو أنى بقيت مطبقاً جفنى من الخوف .

« وكان السلم غاصًّا بالزملاء الذين كان بعضهم يثب من فوق بعض ، فأخذت فى الصعود معهم حتى أخرجت رأسى من فتحة العنبر . فأبصرت جنديا يابانيا يطلق مدفعاً رشاشاً على كل من يخرج من العنبر ، وأصابتنى رصاصتان إحداها فى الناحية اليمنى من رأسى ، والثانية تحت الذقن تماماً ، محدثة جرحاً عميقاً وألقتنى على ظهرى فى جوف العنبر .

« واستك مسمعى فلم أستطع أن أسمع ، وكنت أتقلب بين العظام المهشمة واللحم الممزق ، ثم عدت إلى ظهر السفينة . وكان اليابانى الذى يحمل المدفع الرشاش قد ذهب ، ولكن يابانيا آخر كان يطلق علينا بندقيته من برج السفينة فذهبت مارقاً وأقمت حاجزاً بينى وبينه .

« وكان الموتى من الأمريكيين فى كل مكان ، وكان الماء غاصا برؤوس الأمريكيين واليابانيين وهى تهتز ، وكنت أستطيع أن أرى الشاطئ على بعد ثلاثة أميال ، وأتذكر قولى لنفسى : « إن عليك أن تسبح سبحاً طويلا » فخلعت السراويل التى لم يكن يسترنى غيرها .

« وجاء يابانى يزحف فقبضت بيدى على منطقة النجاة ونزعتها منه ، ولست أدرى من أين جاءتنى القوة ، فلست أستطيع أن أصنع ذلك الآن . ولم ألق عناء فى التغلب عليه ، وعسى أن يكون قد جمد من الرعب .

« وانحدرت من السفينة فلما لمست الماء لم أستطع تحريك ذراعى اليمنى فقد كان فى كتفى شظيتان من فولاذ الطربيد وشظية أخرى فى أعلى الذراع ، ولم أكن قد تنبهت لها من قبل » .

وعندئذ كان الجاويش كتر قد أفاق من غشيته بعد انفجار القنبلة ، وأخذ يحاول الصعود على السلم الحديدى . قال :

« لم تكسر الشظايا عظمة من عظامى ، ولكن دمى كان يسيل ، ولما تسلقت نحو ثلث المسافة صدمنى شئ أعادنى إلى جوف

العنبر ثانية ، وصعدت نصف المسافة ثانية وإذا بدفقة من الماء تندفع من العنبر وتقذف بي إلى ظهر السفينة ، وقد أنقذ هـذا المـاء حياتي ، ولـكنه أغرق كل من كان تحتي .

« وبلغ ارتفاع المـاء على ظهر السفينة ثلاث أقدام ، وكانت الأجساد تموج فيه ، وجاء أحد اليابانيين فصككته على فـكه بيـدى الدامية فخرّ على ظهره ، ووضعت قدمى فوق عنقه ، ونزعت عنه منطقة النجاة . ورأيت حينذاك أن اليابانيين يطلقون علىّ الرصاص من البرج ، فانبطحت في ظل البرج بحيث لا يستطيعون أن يصيبوني .

« ورأيت إذ ذاك صديقي هارى ميسون واقفاً في المنفذ وهو يلقى لنا الألواح لنتخذها مناطق للنجاة، فصحت به: « طأطىء رأسك إنهم يطلقون عليك الرصاص ! » .

« وفجأة ارتفعت في الهواء اللوحة التى كانت في يده ، فقد أصابته رصاصة فدار دورتين ثم هوى ، فبادرت أبحث عنه تحت الماء ، ولـكن الماء كان غامراً طاغيـاً وقد احتمله معه ، ولمـا عدت إلى مكانى تحت البرج لاحظت أن منطقة النجاة قد مزقتها رصاصة ، والعجيب أنى لم أتنبه قط إلى أن الرصاصة قد أصابتني .

« وهبطت مع السفينة ، وخشيت أن أبتعد عن البرج خشـية الرصاص ، وقد ظل اليابانيون يطلقون الرصاص كأنما قد ألهتهم شهوة القتل عن خوف الغرق . وأقسم أنى سمعت طلقات في ذلك الصمت القليل الأخير الذى يشوبه خرير الماء ، قبل أن تغرق السفينة وتجرنا جميعاً معها » .

وقال كلم : « وحينما غرقت السفينة كنت قد ابتعدت عنها وأخذت أسبح جاهداً ، وكان الماء يتلاطم حولى من كل ناحيـة ، ورأيت أمريكيا متعلقاً بلوح من الخشب ، فيممتُ نحوه موجة من الماء . وسرعان ما تصلبت ذراعاه وغاص في الماء ، ولم أستطع أن أتصور ما حدث ، فقد كان عقلى مثل عضلة أصابتها رصاصة فجمدت ، وكان هناك أربعة من الأمريكيين أو خمسة يحركون أيديهم وأرجلهم في الماء فقصدتهم . وأقبل عليهم موج متدافع ولوّح أحدهم بذراعيه ، وحدث حولنـا تلاطم واصطدام وسرعان ما غابوا جميعاً في الماء .

« وأدركت أن الرصاص يطلق علينا ، وشرعت أسبح بعيـداً عن كل إنسان ، وجرى في خاطرى أنه خـير لى أن أنفرد بنفسى ، وأبصرت حينذاك قارباً يابانيا على مسافة ١٠٠ ياردة وفيه ضابط يابانى في يده سـيفه ، وتحرك بالقارب نحو جمـاعة من الأمريكيين ، واتـكأ الضابط اليابانى على حافته وأخذ يضرب الرؤوس السابحة ضرباً

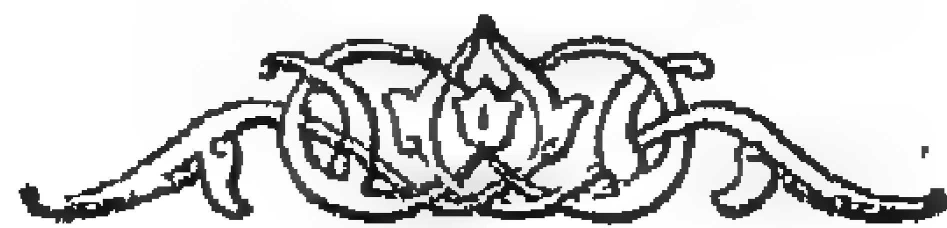
منكراً . وعلى بعدمنه خمسة قوارب أخرى ، ورأيت فى كل قارب شعاع الشمس وهو يتألق على السيوف .

« ولم أصل إلى الشاطئ إلا بعدساعتين ، ونهض من بين الحشائش جماعة من مقاتلة العصابات الفلبينية ، وخلع الأول سراويله وأعطانيها ، ولم يزل الرصاص يطلق من جميع النواحى ، وأصاب الطربيد سفينة أخرى عند الشاطئ ، وخرج منها اليابانيون وانتشروا على الشاطئ ، وكانوا يطلقون النيران على الأمريكيين حين يخرجون من الماء » .

وقال كتر : « بعد أن غصت مع سفينة الجحيم طفوت فى وسط جماعة من اليابانيين ، وكان أحدهم قد أمسك بمنطقة مستديرة من مناطق النجاة فانتزعتها منه ، ودفعته بعيداً ، وأخذت أسبح نحو الشاطئ . وأبصرت هارى ميسون مستلقياً على ظهره فوق لوح من الخشب ، وكان ثلاثة من ضباط الجيش يجرونه ، وكان أحدهم قد أصيب برصاصة فى ساقه ، ولكنه لم يسبح فحسب بل ظل يساعد فى دفع لوح الخشب ، وكان الرصاص قد مزق كتف هارى وقطع له شرياناً ، ولم يكن هناك شئ يمكن استعماله لمنع النزف ، فلذلك ترفق الضباط فى دفع لوح الخشب نحو الشاطئ غير عابئين بما يهددهم من خطر ، وسبحت لأعاونهم فما كدت أصل حتى كان هارى قد مات ، فتركناه طافياً فوق لوح الخشب وتفرقنا ، فذلك أخلق أن يضمن سلامتنا حتى نعود إلى الشاطئ .

« وكان اليابانيون على الشاطئ يوالون إطلاق الرصاص على الأمريكيين عند خروجهم من الماء ، فيممت شطر ناحية بعيدة عن الشاطئ وظللت فى الماء حتى أرخى الليل سدوله » .

واسترد كتر وكلم عافيتهما بعد هذه المحنة ، وذلك بقوة الشباب الساحرة المعجزة ، وحملتهما غواصة أمريكية من مندناو بعد ٣١ يوماً من إنقاذهما بوساطة رجال العصابات ، ولقد كان فى سفينة الجحيم ٧٥٠ أمريكيا لم ينج منهم فيما يُعرف سوى ٨٣ رجلا .



ليس التوفيق فى الزواج أن يجد المرء زوجة صالحة ، بل أن يكون هو زوجاً صالحاً .

كن سيد عملك — ٣ —

المزاد العام

فى أيام الأزمة الاقتصادية فى أمريكا لاحظ الدلال لى مارتن من مدينة لادى سميث بولاية ويسكونسن أنه لم يدلل على مبيعات تكفى أن ترد عنه شبح الفقر. فابتدع طريقة « المزاد العام » ، فأعلن فى جريدة محلية وحدد موعداً ومكاناً يجلب إليه الرجل أى شئ انقضت حاجته إليه ، ويحب أن يبيعه . وقد بلغ ربحه فى أول بيع تسعة قروش فقط ، ولكنه ثابر حتى نجح ، وظل يقيم هذه المزادات مرتين فى كل شهر سبع سنوات . وكان معدل دخله من كل مزاد حوالى ألفى ريال، يأخذ منها مارتن ١٠ فى المئة . ويقصد مزاده جمهور من الناس يتراوح عدده بين خمسمئة شخص وألف ، يأتون من ست مقاطعات ، ويشترون أشياء مختلفة من بيانات إلى مواش ، وملابس قديمة وفئران أليفة . وقد هيأ مشروعه هذا عملا لمساعد له وكاتبين .

تنظيف الأرض

تنظيف أرض الغرف مشكلة قائمة فى البيوت والمخازن والكنائس والمطاعم وعيادات الأطباء ومكاتب الأعمال.

وإذا كان الرجل خبيراً بتنظيف الارض المصنوعة من الخشب، وكان يحسن تركيب أخشابها على اختلاف أنواعها ، وجمع لعمله ما يلزمه من الآلات ، كان خليقاً أن يضمن لعمله الزبائن والربح فى كثير من البلاد . ويمكنه أن يتولى تنظيف البيوت نهاراً وتنظيف المحلات العامة بعد ساعات العمل .

وقد يتسع المشروع حتى يشمل أعمالا كثيرة كتنظيف الأثاث وصقله وغسل المصنوعات الخشبية وتنظيف الشبابيك والمرايا

تيسير غسل الملابس

رأى ماك إوين من فورت لودرديل بولاية فلوريدا أن كثيراً من النساء يحببن أن يغسلن ملابسهن بأيديهن ، لو تيسر لهن استعمال أجهزة حديثة ، فأنشأ مغسلا خاصا فى بناء مساحته ٢٢ قدماً فى ٥٠ ، جدرانه من الخشب ، وأرضه من الإسمنت وتتوافر فيه الشروط الصحية ، وأقام فيه ١٤ مجموعة من الأجهزة ، تحتوى كل منها على آلة كهربائية للغسل. وهناك حبال للنشر فى فناء مشمس ، وعربات عجلها من المطاط لنقل الغسيل الثقيل من السيارات وإعادته إليها ، ولحمله إلى حبال النشر .

وقد جعل ماك إوين أجر استعمال آلة الغسل الكهربائية وثلاثة طسوت ١١ قرشاً

فى الساعة ، وأجر المَدْرجة الكهربائية (الجندرة) ١٥ قرشاً ، وأجر مكواة اليد الكهربائية ٤ قروش ، أما ثمن الصابون والنشاء وغيرها فشئ زهيد . ويبلغ عدد زبائنه فى اليوم ١٢٥ زبوناً .

أمتعة الأطفال المستعملة

تستطيع الأم أن تستبدل سريراً من الخيزران بأرجوحة أو عربة صغيرة أو تشترى مجموعة كاملة من أمتعة الأطفال القديمة التى تم إصلاحها ، وذلك فى متجر صغير فى مدينة جلنديل بولاية كاليفورنيا . وقد بدأ هذا المتجر منذ سنتين ورأس مال صاحبه ٥٠ ريالا وكدح لا يفتر ، فصارت قيمة ما يتجر فيه اليوم ١٥٫٠٠٠ ريال فى السنة . وهو يشترى ويصلح ويبيع كل أنواع أمتعة الأطفال ، من الأراجيح والكراسى والدرّاجات . وكلما اتسع العمل أضاف إلى ما عنده أصنافاً جديدة من الأثاث والأمتعة .

وصاحب المتجر هو جلبرت جلاسو ، وتراه يسعى إلى توسيع عمله بأن يرسل بطاقة ومعها هدية إلى كل والدة يذكر اسمها فى كشف المواليد فى الصحف . وهو على ثقة من أنك تستطيع أن تعمل كما عمل فى أية بلدة متوسطة برأس مال قليل .

دمى الأطفال

أنشأت المسز مارى جولت والمس آن والتون ، من مدينة كارترزفيل بولاية جورجيا ، مصنعاً صغيراً برأس مال من فضلات الأقمشة وخيوط النسج لا تساوى إلا ٢٧٠ ريالا ، فاتسع نطاقه فى سنتين حتى بلغت أجور عماله ١٠٠٠٠ ريال فى الشهر . ومن هذه الفضلات صنعت السيدتان دمى وعرائس متقنة تمثل طوائف من الأمة . وقد حملتا نحو ١٥٠ منها إلى ميامى لتعرفا مقدار رواجها ، فطافتا بها بين الناس على شاطئ البحر ، فكثر الإقبال عليها ، فعادتا من فورهما إلى نيويورك . فطلبت مخازن نيويورك منهما أن تصنعا لها ٣٥٠ دمية .

وهما تملكان اليوم مصنعاً تبلغ مساحته ١٥٫٠٠٠ قدم مربعة ، ويعمل فيه ١٥٠ امرأة ، وثلاثة رجال ، وينتج فى اليوم ١٨٠٠ دمية تباع بين نيويورك وهنولولو بثمن يتراوح بين ٤٠ قرشاً و ١٢٠ قرشاً .

وهذه الدمى تمثل ١٥ رجلا وسيدة من أبطال القصص المشهورة ، وطوائف المجندات فى الأسطول والجيش ، وممرضات الصليب الأحمر ، والجنود والبحارة ، ومنها ما يمثل الحيوان فى قصص الحيوان المشهورة كالأرانب والبط والفيلة .

النـازى يدفنون مصانعهم فى جوف الأرض [٧]



إدوين مولر • ملخصة عن مجلة "ذى أميريكان ميركيورى"

حلّ يوم الغزو فى يونيه سنة ١٩٤٤ كانت القاذفات الأمريكية والبريطانية قد دكت مصانع الطائرات الألمانية إلا قليلا، وأصبح للحلفاء السلطان المطلق على الجوّ، ومضوا فى الأشهر التالية يقذفون مصانع الطائرات ليحولوا دون ترميمها، وظلت طائراتهم تدقّ مصانع الدبابات والمدافع وسيارات النقل وغيرها، حتى خلنا أن أداة هتلر الحربية لن تستطيع أن تعد عدتها لهجوم كبير آخر.

ولكنها فعلت.

وحين انطلق رونشتد فى ديسمبر الماضى يلهب جيوش الحلفاء، ملأ لهم الجوّ أسراباً كثيرة من الطائرات الجديدة، وأسرف إسرافاً فى ما أرسل عليهم من دبابات ومدافع وسيارات نقل، وازداد ما يقذف من القنابل الطائرة والصواريخ.

فمن أين جاءت كل هذه الأسلحة الجديدة؟ لقد جاءت من مصانع عظيمة جديدة مدفونة على مئات الأقدام فى جوف الأرض.

كانت ألمانيا كالمذعورة تنبش جوف الأرض تبتغى فيه ملجأ، وقد بلغت ما أرادت. وكان الظن أنه حين جاء أول فبراير سنة ١٩٤٥ كان ثلث إنتاج ألمانيا الحربى يتم تحت الأرض. ولن يقتصر أثر هذا التطور على خطة الحرب فى أوربا وحدها بل يثير مشكلات جديدة خطيرة فى حرب اليابان، وإنه ليجعل ما يمكن أن يكون فى أى حرب كبيرة فى المستقبل، شيئاً يقصر عنه الخيال.

وقد فرغت لساعتى من زيارة أحد هذه المصانع المدفونة المفزعة.

فى مقاطعة الآردين الوعرة ذات التلال، على تخوم فرنسا ولكسمبورج، ترى وادياً طويلا متعرجاً تبعثرت فيه المناجم والمصانع، جللها تراب الفحم والدخان. وفى منتصف الوادى تقع قرية تيل، فترى صفاً من الأكواخ الحقيرة، وينعطف من شارعها طريق ينتهى فجأة عند سفح أكمة. وهناك ثغرة لا تكاد تستوقف النظر — هى مدخل منجم قديم. ولم يعلم بخبرها قط المستكشفون

من طيارى الحلفاء ، ومع ذلك كان يدخل من هذه الثغرة كل صباح خمسة آلاف عامل ومعهم مقادير كبيرة من ألواح المعدن وغيرها من خامات الصناعة ، وكان يخرج منها كل يوم أكثر من مئة قنبلة طائرة معدة لأن تنقل إلى قواعد قذفها .

مضيت أنا ودليلى وأضاء كل منا مصباحه ، وركبنا مركبة مضت تقعقع فى ظلام النفق الضيق ، وترى على جانبيه مداخل إلى أنفاق أخرى ، — بين المدخل والمدخل بضع مئات من الأقدام — فلما قطعنا نحو ميلين وقفت المركبة ، وجهدنا حتى تبينا على ضوء المصابيح أننا فى حجرة كبيرة معقودة السقف قد يبلغ عرضها ٦٠ قدماً ، وكانت أرضها من الأبرق (الخرسانة) وكان سقفها وجدرانها التى لم تتم مدهونة بالبياض . فتلمسنا طريقنا بين الآلات المتراكمة ، واجتزنا دهليزاً قصيراً إلى حجرة أخرى تماثلها ، ثم إلى ثالثة فرابعة وكان وقع أقدامنا يتردد صداه فى السكون الرهيب . فأحصيت عشرين حجرة ثم ضلّ عنى التعداد ، وقيل لى إنى لم أر إلا أقل من النصف . وكل هذه الحجرات قد نقرها فى الصخر الصلد عمال ساقهم الألمان فى العمل سوقاً حثيثاً .

وقد صفت مئات من خير الآلات صفوفاً منتظمة كأنها خط طويل من خطوط التجميع : محركات ، ومخارط ، ومطاحن ومكابس ، وآلات للحام الكهربائى ، وآلات للحام بالغاز ، ومناشير ، وأحواض ، بعضها مصنوع فى ألمانيا وبعضها فى إيطاليا أو فرنسا أو أمريكا . ورأينا أكواماً منسقة من صفائح الألمنيوم وصناديق ملؤها قطع شتى ، وفى إحدى الحجرات عشرة هيا كل للطائرات أو أكثر ، قد بقيت جميعها كما تركها العمال حين دخل الحلفاء .

كانت القوة التى تحرك الآلات تأتى من الخارج ، فإذا انقطع تيارها من جراء قذائف الحلفاء ، فلديهم مولدات حاضرة لوقت الحاجة . وقد وضعت آلات الحفر على مقربة من المدخل العام لتستعمل إذا سدته قذائف الحلفاء .

كان عمال هذا المصنع الضخم المدفون فى باطن الأرض ، من المسخرين رجالا ونساء — ولعل عددهم كان ١٠٫٠٠٠ من الروس والبولنديين والتشك والإيطاليين . وقد صممت جميع آلاته على أن لا تقتضى من العامل إلا أقل ذكاء . وهذا الضرب من التصميم الذى بلغ فيه الألمان أعظم مبلغ فى زمن الحرب ، يفسر أمر الإنتاج العظيم الذى استطاعوا أن يظفروا به من عمال مسخرين كارهين غير حاذقين . ولا

يحتاج مثل هــذا المصنع إلا إلى عدد قليل من الرؤساء والمهندسين الألمان ، ومعهم عصبة شديدة البأس من حراس الجستابو .

وحياة العمال هناك كحياة السجناء ، ويسكن بعضهم فى قرى الوادى ، يحشر منهم كل عشرة أو خمسة عشر فى غرفة واحدة ، ويسكن أكثرهم فى ثكنات أنشئت على عجل ، وينامون على أكياس من القش ملقاة على الأرض ، ويفطرون على قدح من الحشائش المغليــة ، وخمس أواق من الخبز الأسود ، وغداؤهم ملء كوبين من حساء البطاطس أو اللفت ، وعشاؤهم ثلث أوقية من (السجق) وخمس أواق من الخبز .

والمشرفون الألمان يعملون على ثلاث نوبات ، كل نوبة ٨ ساعات . أما العمال فيعملون على نوبتين ، كل نوبة ١٢ ساعة ، من السادسة إلى السادسة . فإذا انبلج الفجر قاد الحراس الألمان أولئك العمال إلى المدخل ، وحشروهم فى المركبات ، ونقلوهم إلى جوف المصنع . وحجر العمل تضاء بالكهرباء ، والتهوية فيها جيدة ، لا من أجل العمال ، بل لئلا يصيب الفساد الآلات ، وأكبر الظن أن المصنع خلو من المرافق الصحية .

والذين يعملون فى هذا المصنع لا يستطيعون أن يصفوا لك ما فيه من الضجيج ، وهم إذا استعادوا ذكر ما فيه جحظت عيونهم ووضعوا رؤوسهم بين أيديهم ، فإن هذه الآلات تحدث ضجة هائلة ، وهى تعمل بأقصى سرعة ممكنة ، والحجرات يتردد فى جوانبها الصدى ، فيتضخم الضجيج حتى يصبح زئيراً مدمّراً .

وعلى الجدران لوحات كثيرة ، بعضها للتربية السياسية : « أنت الآن موظف فى الريخ الألمانى ، فتحيتك يجب أن تكون : هايل هتلر » ، وبعضها صور متخيلة تصور ما يتوهمونه من دمار تنزله القنابل الطائرة بالحلفاء ، ولكن معظمها كان تحذيراً للذين قد يتوانون فى عملهم . وثمــة صور تمثل ضروب العقاب من جلد وحرمان من الطعام والماء . وترى الرؤساء ورجال الجستابو يسيرون جيئة وذهابا للتفتيش على الإنتاج . وبين الحين والحين يأخذون رجلا توانى فى عمله ويجعلونه أمثولةً لسواه .

ولم يحـدث قط عصيان ، فالعمال ، إذا ما فرغوا من العمل وقد أضناهم الضجيج والتعب ، لا طاقة لهم على شىء إلا أن يسيروا مترنحين إلى بيوتهم ، ثم يلقى أحدهم بنفسه على فراش القش وينام . ولما اطلع ضباط المخابرات من الحلفاء على ما يجرى فى هذا المصنع وغيره ، صاروا لا يعتمدون على ثورة العمال المسخرين فى ألمــانيا .

وقد وجد الحلفاء عشرات من هــذه

المصانع المدفونة فى كهوف وأنفاق فى المناطق التى حرّروها ، وما وجدوه منها فى فرنسا وبلجيكا ولكسمبورج لا يعد شيئاً مذكوراً إذا قيس إلى ما رأوه فى ألمانيا .

لم يفكر الألمان فى دفن مصانعهم فى باطن الأرض إلا أخيراً ، ففى أول الحرب كانوا على ثقة من أن الريخ فى مأمن من الهجوم الجوى ، ثم بدأوا يقلقون حين رأوا التقدم العظيم فى صنع القاذفات الضخمة من أمثال لانكستر وهاليفاكس فى إنجلترا ، والقلاع الطائرة وليبريتور فى أمريكا . وبعد أن شن أول هجوم بريطانى بألف قاذفة على كولون سنة ١٩٤٢ عزم الألمان على أن يتدبروا لأمرهم ، فاستغرق وضع الخطط ومسح الأرض سنة كاملة ، فما جاء منتصف سنة ١٩٤٣ حتى كان مشروع دفن المصانع فى باطن الأرض قد قطع شوطاً كبيراً . وقد تم هذا الانتقال على مراحل محكمة التنسيق ، فلم ينقل مصنع واحد كل آلاته دفعة واحدة ، ولا وقف مصنع واحد عن الإنتاج تماماً وهو ينقل آلاته . وكان يتحرّون أن يتخذوا المناجم والكهوف وأنفاق السكك الحديدية المهجورة ، التى تكون فى حضن أكمة ، فيجعلوها مداخل للمصانع حتى تكون بمنجاة من خطر القذائف . فإذا لم يجدوا بداً من اتخاذ مدخل لا يحميه مثل هذا الموقع الطبيعى ، غطوه بطبقة من الأبرق (الخرسانة) سمكها يتراوح بين عشر أقدام وثلاثين قدماً .

وفى بعض هذه المصانع ما يزيد على عشرة آلاف عامل ، وهى تتخذ أيضاً مستودعات للقنابل والطائرات والزيت . وبعد أن كانت الغارة الكبيرة على بيناموندى(*) جعلت جميع مصانع القنابل الطائرة والصواريخ ومعاملها فى جوف الأرض . ومن المحتمل أيضا أن تكون الصناعات الألمانية الحربية الخفيفة مثل صناعة الأسلحة الصغيرة ، والذخيرة ، والأدوات الكهربائية وأدوات الصناعة الدقيقة ، قد جعلت فى مأمن فى باطن الأرض . أما صناعة الدبابات والقاطرات والمدافع الثقيلة فتحتاج إلى آلات ضخمة ومساحات واسعة ، ومع ذلك فقد روى أن مصنعاً واحداً على الأقل من مصانع القاطرات قد دفن فى باطن الأرض .

ولم يهتد الألمان حتى الآن إلى حل مشكلة بعض الصناعات ، كصناعة الصلب ، فليس فى وسعك أن توقد تنوراً لصهر الحديد فى كهف ، وغير مستطاع أن تجعل

(*) « أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب » المختار ديسمبر ١٩٤٤ ص ٣٢

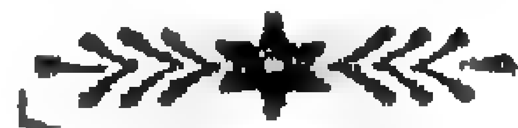
مصـنع تكرير للزيت فى جوف الأرض .
فكيف تستطيع قاذفات الحلفاء أن تهاجم هذه المصانع المدفونة هجوماً مجدياً ؟ والجواب : إنها لا تستطيع . ربما انسد مدخل أحد المصانع ، ولكن غاية ما فى ذلك أن يقف العمل فيه قليلا . وقد تقذف خطوط السكك الحديدية التى تفضى إلى المصنع ، ولكنها ترميمها ميسور . وليس ثمة طريقة لتدمير مصنع منها إلا أن تستولى عليه .

ولم تعد للألمان فسحة من الوقت حتى يدفنوا جميع مصانعهم فى جوف الأرض ، ولكن ربما اتسع الوقت لليابانيين ، فهم يعيشون فى أرض تكثر فيها الآكام والمناجم والكهوف .

وكل هذا يوحى بصورة جديدة للحرب المقبلة . والأمم حين تتأهب لها لن تهمل أمنع أسباب الدفاع ، فستنشىء مواقع تحت الأرض صممت وحفرت خاصة للمصانع . وكل المصانع التى لا غنى عنها فى الحرب والتى تراها اليوم ظاهرة على الأرض ، سينشأ مثلها تحت الأرض . وستشيد فى باطن الأرض أيضاً مساكن ومستشفيات ومدارس ومعابد وساحات للرياضة ، وتخزن فيها مقادير كبيرة من الطعام .

ولن تبتدىء الحرب المقبلة بما جرى به العرف من إعلانها ، بل بألوف من القنابل الطائرة تقذف من بلد إلى بلد ، مجتازة الحدود أو المحيطات . وحين تتهدم المبانى التى على سطح الأرض تأوى شعوب بأسرها فى باطن الأرض ، كالأرانب ، ويومئذ يخلو وجه الأرض من آثار الحياة ، ويجرى عليه جحيم من النار والتفجر والغاز السام .

ولو رأى سكان المريخ كل هذا لحيّرهم إلى أين تسير هذه الحضارة التى مهدنا لها وأنشأناها .



بين الجزاء والعقاب

عهد إلى موظفة فى شركة بأن ترسل إلى عملاء الشركة تنبئهم بأن جهازاً جديداً للتدفئة بالغاز قد أعد للتسليم لمن يطلبه . ولكنها أخطأت فأرسلت أكثر الظروف فارغة . ولم يكشف الخطأ إلا حين توالت المخاطبات بالتلفون من العملاء يسألون عما كان ينتظر أن يكون فى الظروف ، فتبينت الشركة أن هذا الخطأ أحدث من الاهتمام بين العملاء أكثر مما كانت ترجوه من الرسائل — وينتظر أن تنال الفتاة مكافأة طيبة .
[صحيفة « فلادلفيا ريكورد »]

ما أكثر الصغار الذين ساروا سيرة جديدة فى المدرسة الابتدائية رقم ٣٧ بنيويورك

الطفل "الفاسد" يُبعث بعثاً جديداً

إلسى ماك كورميك ● ملخصة عن مجلة "سرفاى جرافيك"

ليس فى مظهر المدرسة الابتدائية رقم ٣٧ بنيويورك ما يدل على أنها من أعلى المدارس الابتدائية شأناً فى البلاد ، بيد أنك إذا ما دخلتها ، ابتسم لك من تلقى من الصغار فى الردهات، وألقوا عليك تحية الصباح بمودّة صادقة لا تتوقعها . فإذا ما صحبتك رئيسة المدرسة المسز ليليان . ل . رشكيس إلى حجرة الدرس ، رأيتها مزينة الجدران بصور من عمل التلاميذ ، ورأيتها من النظافة بحيث يرضى عنها ربان بحرى ينظر بعينى صقر . ثم ترى تلميذاً يخرج إليك مزهواً زجاجة زيت الليمون التى يستعملونها فى صقل مكاتبهم . ويقترح عليك آخر أن تفتح مكاتب التلاميذ لترى كيف نظامها . فإذا هممت بالانصراف دعاك الصغير الذى يفتح لك الباب أن تعود فتزور المدرسة ، بلهجة المضيف الودود .

ومن يزور المدرسة فى صباح يوم الخميس حليق أن يشهد الاجتماع المدرسى ، فيرى ٢٥٠ تلميذاً يستمعون للخطيب مصغين . ثم تنهال الأسئلة ، وهى تدل أكبر الدلالة على سعة الاطلاع المدهشة فى تلاميذ تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة .

وهم من أجناس مختلفة ، وبينهم كثير من السود ، ولكنه لم يكن فى حجرة الدرس وجه واحد تبدو عليه السآمة أو العبوس ، وليس فيهم إلا كل أنيق يقظ ، حتى ليخطر لزائرها أنها مدرسة للأولاد المتفوقين فى اختبارات الذكاء، والذين تشهد لهم السجلات بأحسن السلوك .

بيد أن الحقيقة هى أن الأولاد الذين ألحقوا بالمدرسة الابتدائية رقم ٣٧ هم من ذوى الخلق المعوج فى مدينة نيويورك . فبعضهم كان فى العصابات التى تعيش على السلب والنهب ، ومنهم من اعتدى على غيره من الأولاد بالضرب أو بالطعن بالسكين ، ومنهم من كانت عادته الهرب من المدرسة ، والتطاول على المدرسين ، وتخريب كل أثر قائم ، وإشاعة الجلبة والضجيج المستمر فى حجرات الدرس . ولا يقل من دخل المحاكم منهم عن النصف ، وقد كان إرسال كثير منهم إلى المدرسة رقم ٣٧ على سبيل التجربة الأخيرة قبل تسليمهم إلى معاهد الإصلاح .

ومن هذه المادة الخام أنشأت السيدة رشكيس ، هى ومن معها من المدرسين ، مدرسة يعدّ مستواها من حيث المواظبة

والأدب وحسن السلوك ، فوق المتوسط . وهى كما قال جوفنال مارشيسيو ، قاضى محكمة العلاقات المنزلية فى نيويورك، قد أنقذت أكثر من ٩٠ فى المئة من تلاميذها ، وهيأتهم ليكونوا رجالا صالحين فى المجتمع .

والمعتاد أن يأتى الولد المرسل إلى المدرسة رقم ٣٧ بحراسة الموظف الموكل بالمتشردين ويكون الولد شكساً مشاغباً سفيهاً ، وإنه ليتوقع أن يجد فى المدرسة من الشدة ما يناسب شر أخلاقه .

ولكن الفصل الذى يسلكونه فى زمرته يحيره . فهو فصل صغير ، لا يزيد تلاميذه على ستة عشر ، والمكاتب موزعة فى الحجرة على هيئة نصف دائرة غير منتظمة ، ثم يرى أن الأولاد يبدو عليهم الاهتمام بدرسهم . فيحس القادم الجديد كأن الأنظار كلها ترمقه ، فيصفر لهم صفير الاستهزاء ، وإذا به يدهش حين يرى زملاءه — لا المعلم — هم الذين يسكتونه ، ويسمون أفاعيله «شغل أطفال» .

وسرعان ما يتبين صاحبنا أن سوء السلوك لم يعد يسترعى الأنظار ، وأنه لا يستطيع هنا أن يطمع فى الصيت إذا هو تباهى بسوابقه ، فإن بين هؤلاء الأولاد من يضارعه ، بل يزيد سجل اعتداءاته على أى سجل . وهكذا ينتهى الأمر بأن تنهار جميع الدعائم الفاسدة التى تقوم عليها شخصية هذا الفتى .

وما هذه إلا الخطوة الأولى ، وتقول المسز رشكيس : « إن أهم شىء هو معرفة العمل الذى يصلح له . فهو لم يلق حتى الآن غير الملامة والنقد ، وإنه ليشعر فى نفسه أن ليس فى الناس من يريده أو يحبه » .

وما يكاد التلميذ يدخل المدرسة حتى يختبره طبيب العقل وعالم من علماء النفس موفدان من « مكتب إرشاد النشء » ، ويزور أسرته أحد المربين . ويقدم ما جمعوه من نتائج أبحاثهم إلى مجلس يضم الرئيسة والمدرسين ، فيدرسون مشكلة الطفل وأسبابها ، ويحللون كفاياته وخصائص أخلاقه ، ويضعون الخطة لتقويم اعوجاجه.

ولقد اتضح أنه فى تسع حالات من عشر يقع اللوم على الوالدين . وقد تبين فى درس أمر ٦٥ طفلا أن أربعة منهم فقط كانت حال أسرهم مرضية . وتدل التقارير مرة بعد أخرى على أن من الأسباب : القذارة ، وقلة المبالاة ، وقلة إدراك أمور الطفل ، والقسوة فى المعاملة ، وكثرة الشجار ، والطلاق ، وقلة مكث الآباء فى بيوتهم .

وليس لزاماً أن يكون جمع الأطفال من بيئة الفقراء . فهذا « فرانك » مثلا ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وهو

طفل تحزنك رؤيتـه ، ويختلج بدنه من ضعف أعصابه . ويدل سجله على أنه يكثر الصياح فى حجرة الدرس ، وأنه بذئ اللسان ، وأن زملاءه يكرهونه ويخافونه .

وقد تبين للمربى الذى زار داره أن بيته أنيق الترتيب ، وأن أسرته لم تكن غير متعلمة . أما المشكلة فهى أن الوالد كان يتطلب من ولده طاعة سريعة ضارعة ، فإذا تردد ضربه . ومن أجل ذلك صار سلوك الولد فى المدرسة ضرباً من الاحتجاج.

وكان فرانك ذا مقدرة فى الرسم ، إلا أن موضوعات رسمه كما اتضح لطبيب النفس ، كانت هياكل العظام وتوابيت الموتى والمدافن ، فعهدت إليه المدرسة فى صنع صور على الجدار لحجرة الدرس تمثل مناظر من تاريخ الولايات المتحدة فى عهدها الأول . ولقد حفزته الرغبة فى التثبت من تفاصيل صورته إلى دراسة الكتب المؤلفة عن ذلك العصر ، فأجاد فى أشهر قليلة من القدرة على المطالعة ما يقتضى سنتين . وكان لما ناله من الثناء على رسومه تأثير كبير فى طبعه وخليقته ، وزال ما كان يلحقه من اختلاج بدنه . ثم بلغ من رزانته واتزانه أن ألقى خطاباً فى الاجتماع المدرسى . ولم يعد فرانك بعدها عقدة من العقد على الرغم من أن معاملته فى البيت لم يطرأ عليها تحسن كبير .

ومن أغلاط الوالدين الشائعة ما يشهد به حال الطفل « سولى » ، وهو من أسرة متوسطة ذات يسار . وكان فى مدرسته يأبى أن يقول كلمة فى حجرة الدرس ، وكان إصراره على موقفه الساخر يفسد سلوك التلاميذ . فلما دخل المدرسة الإبتدائية رقم ٣٧ لم يلبث أسبوعين حتى اختارته المسز رشكيس على غير قصد وجعلته غلام مكتبها . وبلغ من ارتياحه إلى تبليغ الرسائل ، والرد على التلفون ، أن نسى عبوسه وصمته .


مسز ليليان ل . رشكيس

ولم يمض أسبوع حتى كان « سولى » قد قص على المسز رشكيس قصته ، فقد كان له أخ ألمعى الذكاء يعد نفسه لعمل فنى ، فغلبه على اهتمام أمه وحبها . وقال لها : « قلت لنفسى : ماذا تجدى علىّ محاولتى أن أكون شيئاً مذكورا ؟ » . فعمدت مسز رشكيس إلى إقناعه بأنه قادر على خدمة المجتمع فى وجوه أخرى ، وإن لم يلتحق بعمل فنى .

فشب سولى حتى أصبح من المواطنين

الصالحين النافعين ، وهو اليوم صاحب مصنع صغير ، ورب أسرة سعيدة .

ومن عادة المعلمين والآباء أن لا يطمئنوا إلى تكليف طفل فى نفسه آفة بعمل فيه تبعة ، غير أنه قد ثبت أن مثل هذا العمل يكون فى أكثر الأحيان كالدواء لخلقه . مثال ذلك « جورج » ، وهو ولد لم يكن على وفاق مع زوج أمه ، فكان يعبر عن شقائه بهربه من المدرسة وحدة غضبه . وقد طردته ست مدارس قبل التحاقه بالمدرسة رقم ٣٧ . وقد ظهرت بشائر جده واهتمامه ، حين طلبت المسز رشكيس من الأطفال أن يقترحوا الطريقة المثلى لاختزان اللبن وتوزيعه على التلاميذ فى ضحى كل يوم . ولقد وقع الاختيار على طريقة جورج إذ كانت أوفى طريقة ، وعهد إليه بتنفيذها . فقام بالعمل على وجهه ولم يتوان يوماً واحداً.

ولقد كتب زوج أمه يقول : « لقد أصبح جورج غيره بالأمس ، وهو الآن سعيد ، وقد زالت ثورات غضبه » .

وثمة طفل آخر يعرفه كل المعرفة الموكلون بالتلاميذ الهاربين ، فعهد إليه أن يدير الصور المتحركة . وقد قضى فترتين من مدد الدراسة دون أن يتأخر أو يتغيب مرة واحدة . ولما سئل عن سر مواظبته ، قال : « إنى لم أكن قبل اليوم فى مدرسة أحس فيها بحاجة أحد إلىّ » .

والمسز رشكيس هى قلب المدرسة ، وهى امرأة ناضجة متحمسة حنون ولكنها ليست ممن تستخفهم العاطفة ، وفى وسعها أن تكلم الطفل على قدر عقله ، وأن تعرف وجهة نظره ، وأن تنفذ فى الستار الذى يقيمه الطفل بينه وبين الكبار . ولقد كان انتساب الطفل إلى المدرسة رقم ٣٧ عاراً ومسبة ، ولكن الرئيسة الجديدة عملت على أن تجعله مفخرة حين تولت أمر المدرسة فى عام ١٩٣٠

وكانت أهم المشاكل هى أن تجعل الدروس ممتعة للأطفال ، فالمنهاج الحاضر هو نتيجة بحث دقيق تولته هيئة التدريس وأهل الاختصاص فى مدينة نيويورك ، ولجنة استشارية من رجال التربية وعلماء النفس المشهود لهم. ومن البين أنهم بلغوا ما أرادوا ، فإن سجلات الحضور فى المدرسة يمكن مقارنتها بسجلات المدارس الأخرى ، وإن كان لا بد لبعض التلاميذ من السير أكثر من ساعة من بيوتهم إلى المدرسة .

وهم فى هذه المدرسة يعالجون الموضوعات المأثورة بطريقة مستحدثة . ولقد لاحظت فى كل فصل زرته أن الدرس مرتبط بموضوع رئيسى ، مثل « عظماء أمريكا رجالا ونساء » ، « قصة الصناعة الأمريكية »

« البيت الأمريكى » . وقد يشق عليك أن تتصور أن البحث فى مسألة « البيت الأمريكى » يروق أطفالا فى الحادية عشرة، كانوا أشد الأولاد شغباً فى مدارس نيويورك ، ولكننى لم أزر قط مدرسة كان تلاميذها أشد اهتماماً بمثل هذا الدرس ، فقد تجمع هؤلاء الصغار حولى يطلعوننى على رسوم تبين تطور السكنى وارتقاءها ، وعلى نموذج مصغر صنعوه لمنزل كامل من طبقتين . ولقد نقل كثير منهم ما استفادوه من المدرسة إلى بيوتهم ، فكانوا يدهنون الأثاث ويصلحونه، ويرتقون بمستوى أهلهم فى النظام والنظافة .

والمدرسة تصرف إلى التغذية اهتماماً خاصاً ، لأن الطعام غير الملائم قد يكون له أثر كبير فيما يصدر عن الأولاد من سوء الخلق . فقد تبينت إدارة المدرسة أن فطور بعض الأطفال لا يعدو ما ثمنه مليمان أو ثلاثة ملاليم من الحلوى يشترونها فى طريقهم إلى المدرسة . وفى بعض البيوت، التى لا تجد فيها من يشرف عليها ، لا يطعم الأطفال غير الشطائر (الساندوتش) فى غدائهم ، أو صحفتين من المثلجات . وقد انتهى الأساتذة إلى إعداد فطور جيد للتلاميذ يتألف من الفاكهة واللبن والحبوب ، وأبلغوا أمره إلى الأمهات ، ودعوهن أن يحضرن دروساً فى أصول التغذية . فإن جودة التغذية تفضى إلى قلة المرض وإلى زيادة استقرار العواطف.

وكان ١٥ فى المئة من الأطفال الذين يلحقون بالمدرسة فى ألسنتهم لثغة أو تأتأة مما يدل على اضطراب النفس وعواطفها . فعين لهم أستاذ متخصص فى إصلاح المنطق ليعينهم على التغلب على آفات اللسان. ثم يمرنون على الخطابة العامة فيكتسبون منها الاتزان والثقة بالنفس .

وتتيح أوقات الاجتماع للأطفال وسيلة التنفيس عن نشاطهم ، فهم فى كل يوم أحد يتباحثون فى المسائل المدرسية ويتبادلون الرأى ، فيتعلم الأولاد أن يحترم بعضهم آراء بعض ، وأن يختلفوا دون أن يفضى اختلافهم إلى الملاكمة . ولهذه الاجتماعات روعتها ، فالطبول تقرع وهم ينشدون النشيد الأمريكى، والنفير والجرس يؤدون تحية العلم ، وينشد التلاميذ الكبار لحناً نغماً رائعاً . وقد كان معظم هؤلاء التلاميذ الكبار من المشاغبين العتاة فى مدارسهم السابقة ، ولكن ما يحسونه هنا من كرامة نفوسهم أحدث تغيراً مدهشاً فى أخلاقهم .

والمدرسة رقم ٣٧ تعنى كل العناية بتعليم الحرف ، ولقد هيأت مصانعها الصغيرة لأشغال الخشب والطباعة ، وتمريناتها على

أعمال المكاتب ، عدداً كبيراً من التلاميذ لإتمام الدراسة فى المدارس الثانوية للحرف. وهى تشجع الكبار منهم على اتخاذ عمل فى غير أوقات الدراسة ، فإن كسب المال يزيد احترامهم لأنفسهم ، ولا يترك لهم فسحة من الوقت لمصاحبة العصابات من أهل جيرتهم . ثم تراهم أيضاً حراصاً على إعداد أنفسهم لما يرغبون فيه من الأعمال بعد أن تنقضى سنوات الدرس .

ولا يكاد يمر يوم لا يزور فيه المدرسة تلميذ من تلاميذها الأقدمين ، ليحدث مسز رشكيس حديث عمله الجديد ، أو يقدم لها عروسه ، أو يعرض عليها صور أولاده ، أو ليريها وساماً أنعم به عليه لما أداه من خدمات فيما وراء البحار . ولقد رأيت عندها بحاراً أصهب الشعر برتبة الأونباشى ، قدم أخيراً من جنوب المحيط الهادى ، يحمل شارة القلب الأرجوانية تدل على أنه جرح فى القتال ، وإشارة تكريم له فى نشرة يصدرها رئيس الجمهورية . فلما قدمته مسز رشكيس إلى التلاميذ أنشدوا فى صوت واحد « نشيد البحرية » بحماسة ارتجت لها قاعة الاحتفال .

ولقد قال الفتى بعد ذلك : « إنى لا أستحق كل هذا الثناء ، فهو أولى أن يوجه إلى الأساتذة الذين جعلونا رجالا » .

ويقول القاضى مارشيسيو إن إنشاء مدارس مثل المدرسة رقم ٣٧ فى الولايات المتحدة ، إنما هو خطوة واسعة تؤدى إلى معالجة الإجرام فى الناشئة . ولقد أشار الدكتور فرانك . ج . أوبرين المراقب المساعد إلى أن زيادة النفقات تعد شيئاً زهيداً إذا قيست إلى ما ينفق على المجرمين الأحداث فى معاهد الإصلاح أو السجون ، هذا فضلا عن إنقاذنا لمستقبلهم من الضياع. ويضيف الدكتور فرانك إلى ذلك : « إن كثيراً من معالم هذه الطريقة لا يقتضى زيادة فى النفقة ، فإن إذاعة روح الصداقة والمحبة ، وإشعار التلميذ بالكرامة ، وتحميله التبعة الذى يعامله الثقة بنفسه ، كلها من الأمور التى يمكن تطبيقها فى أى معهد فيه معلمون من ذوى الحجى والعطف » .

فكل جماعة، مهما كانت صغيرة ولا قدرة لها على أن تنشئ مدرسة خاصة ، تستطيع العمل بهذه المبادئ فى سائر مدارسها ، فإن هذا الضرب من الحياة المدرسية كفيل بإظهار الجانب الصالح فى الأطفال جميعا .





جحيم يتفجر في كنساس

تشب النيران كل بضع دقائق في مصنع « سن فلاور » حيث تعالج الفتيات بارود الصواريخ الجديد ، أدهى أنواع البارود على الإطلاق ، ومع ذلك فإنهن أدنى إلى السلامة هنا منهن في بيوتهن .

بول و . كيرني

ملخصة عن مجلة "الكيمياء"

قد تمضي سنوات على ألوف من المصانع دون أن تشب فيها نار — فإذا شبت النار الأولى فربما كانت الأخيرة القاضية. ولكن في بلدة « سن فلاور » بولاية كنساس مصنع تشب النار في قسم واحد منه مئة وخمسين مرة كل يوم ، وقد بلغ هذا العدد مئتين وخمسين في أربع وعشرين ساعة منذ عهد قريب . وهذا المصنع من أكبر مصانع البارود في العالم . وقد احتشدت في جنباته أسباب الموت الزؤام ، ومع ذلك فإن معدل الحوادث فيه أقل من معدلها في الصناعة الأمريكية جميعاً .

بنت الحكومة الأمريكية « مصنع سن فلاور » للذخائر ، وعهدت بإدارته إلى شركة هركوليز للبارود ، تحت إشراف قسم الذخائر في الجيش الأمريكي . وهو يشغل أرضاً مساحتها أربعون ميلا مربعاً قام في أرجائها خمسة آلاف بناء ، وهو أحد خمسة مصانع تصنع للجيش والأسطول البارودَ الجديد المستعمل في دفع الصواريخ . وهذا البارود اللازم لدفع الصواريخ والنفّاثات يجب أن يستعر استعاراً شديداً .

وهنا حيث يصنع هذا البارود في « سن فلاور » ويشب ١٥٠ حريقاً كل يوم ، ترى ستين في المئة من العمال من النساء ، ولكن أسباب الوقاية بلغت من الإحكام مبلغاً عظيما ، فلم تحدث وفاة ما ، ولم يصب إلا سبعة عشر عاملا بإصابات بسيطة منعتهم عن العمل زمناً قصيراً وحسب . وهؤلاء العمال الذين يعالجون أدهى أنواع البارود ، أدنى إلى السلامة في هذا المصنع منهم في بيوتهم أربعة أضعاف .

إن برنامج الجيش والأسطول الأمريكيين لصنع الصواريخ يقتضي اليوم صنع مقادير من بارود الصواريخ تبلغ قيمتها ١٥٠ مليون ريال كل شهر . ولم يكن أحد في الولايات المتحدة يعلم منذ ثلاثين شهراً ، كيف يصنع هذا البارود . وحين طلب قسم الذخائر في

« وليد الحرب المهول الصارخ » المختار مايو ١٩٤٥ ص ٦٤

الجيش إلى شركة هركوليز أن تنشىء مصنعاً لبارود الصواريخ فى أغسطس ١٩٤٢ ، هرع مهندسان من مهندسيها وأحد ضباط قسم الذخائر ، إلى انجلترا ليظفروا بصيغ تركيب البارود التى كان الإنجليز تعلموها من الفرنسيين والألمان .

فلما عادوا إلى أمريكا تبينوا طرقاً لزيادة السرعة فى أساليب البريطانيين فى الإنتاج . ولكن كل وسيلة تقريباً من وسائل توفير الوقت التى عمدوا إليها ، كانت تزيد الخطر على العمال ، وتقتضى احتياطات محكمة لضمان سلامتهم . فمثلا كان البريطانيون يخلطون البارود ثم يجففونه أربعا وعشرين ساعة قبل بسطه رقائق ، فذهب الفنيون الأمريكيون إلى أنه إذا ما أحميت الأسطوانات استطاعوا أن يجففوا البارود ويبسطوه دفعة واحدة . ولما كان ٥٠ فى المئة من بارود الصواريخ مؤلفاً من نتروجليسرين ، على حين لا يزيد النتروجليسرين فى أصناف البارود الأخرى على ٢٠ المئة ، فقد كان هذا الرأى باعثاً على الجزع ، ولكن أرقام الإنتاج تبلغ مبلغاً عظيما إن تم إنفاذ هذا الرأى . فدعى المختصون بضمان سلامة العمال لكى يزيلوا ما فى العمل من خطر يهدّدهم .

تبدأ صناعة بارود الصواريخ بمعالجة القطن بالحمض النتريك لصنع النترسلولوز ، أو قطن البارود . ويمزج هذا بالنتروجليسرين ومواد أخرى ، ثم يخضّ حتى يصبح كالمرق الكثيف ، فى مراجل كبيرة مجهزة بمراوح متحركة مصنوعة من المطاط . وحين تنظر فى جوف أحد هذه المراجل ، تسرى فى بدنك قشعريرة ، إذ تذكر أن هذه المراوح تخضّ النتروجليسرين وقطن البارود ، كما تخضّ زوجتك عجيناً رقيقاً لتصنع منه فطيراً . ولكن الثقة الهادئة البادية على وجود صناع البارود سرعان ما تبدّد مخاوفك ، ولا تلبث حتى تبتسم ابتسامة خفيفة حين تسمعهم يذكرون العربة التى تنقل هذه المادة فيقولون « عربة الملائكة » .

وهؤلاء الناس يعلمون أن الكارثة تكتنفهم فى كل وقت ، فلا تفوتهم حيلة من الحيل فى اجتناب الأذى . والعمال الذين يعملون فى مناطق الخطر يعلمون أن حمل عود من الكبريت القدّاح هو الطرد من العمل فى الحال ، والمبانى مبنية كأصغر ما يمكن أن تكون ، وتفصل بينها مسافات بعيدة .

وحتى عدد الذين يعملون فى بناء واحد ، عدد محدود ، فإذا كانوا خمسة ، وجب أن يخرج أحدهم من البناء قبل أن يدخله زائر . ويحيط بكل بناء خطر جدار من التراب يبلغ سمكه عند قاعدته اثنتى عشرة قدماً ، لكي تتحوّل قوة أى انفجار إلى فوق .

وللمبانى مزالق للنجاة بدل السلالم ، وأرضها ملطلة بالرصاص لتخفيف خطر الشرر ، وثمة احتياطات كثيرة أخرى .

ولا يكاد يخرج هذا المرق الكثيف من الدور التى يخلط فيها ، حتى يكون قد جفف فصار معجوناً رطبا ، فينقل إلى الدور التى يبسط فيها . فيلقى قدر زنته ستة أرطال من هذا المعجون على أسطوانتين ضخمتين من الصلب قد أحميتا إلى درجة ٩٨ سنتجراد ، فتضغط الأسطوانتان المعجون حتى يصبح رقيقة تشبه ملاءة من المطاط الأسود . وفى هذا المكان تشب أكثر الحرائق .

ترتدى كل عاملة ثوباً أنيقاً أبيض ، وحذاءين وقفازين وعمامة لا تأخذ فيها النار ، وتتقنع بقناع من العجائن الكيمائية يغطى وجهها ، وتتدلى منه فوطة مدسوسة فى طوق ثيابها لتقى حلتها . وجميع الملابس مما لا تأكله النار .

ودار البسط (وثمة عشرات منها) بناء منخفض يبلغ طوله نحو مئة قدم ، وله شرفة مسقوفة تمتد من طرف إلى طرف . وفى كل بناء أربعة عنابر ، وفى كل عنبر آلة وعاملة واحدة ، وبابان للخروج . وللعاملة مساعدة تنقل إليها من دار الخلط ملء دلو من معجون البارود ، وتسلمها إياه عند الباب الخارجى . فتمشى العاملة مسافة خمس وعشرين قدما وتفرغ البارود على الأسطوانتين ، ومن ساعتئذ لا تولى الآلة ظهرها أبداً .

تراها ترجع القهقرى إلى باب العنبر الداخلى ، حيث الأذرع التى تسيطر بها على الآلة ، فتحرك الأسطوانتين وتقفهما مراراً حتى يصبح معجون البارود موزعا توزيعا متساويا عليهما . ثم تدخل العنبر ثانياً وتفرغ ملء ظرف صغير من مادة كيميائية ، منحنية قليلا لكى تبسط المادة . ثم ترتد متقهقرة فتمد يدها وراءها لتأخذ مكنسة ، وتعود لتكنس الآلة والصحن الكبير الذى تحتها ، ثم تعود القهقرى ، كأنها مروضة الأسد فى قفصه ، فتضع المكنسة مكانها .

والآن تبدأ الأسطوانات تدور و « تطبخ » البارود وتضغطه فى أربع دقائق أو خمس فتجعله كالملاءة ، وتجلس الفتاة على كرسى فى الشرفة لتراقب الساعة ، وفى الوقت المحدد تعود إلى أذرع السيطرة فتحرك إحداها ، فتقطع شفرة رقيقة تلك الملاءة عن الأسطوانتين ، فتسقط فى الصحن تحت الآلة . وحين تفعل ذلك تسارق النظر على حذر إلى هيكل الباب ، لأن معظم الحرائق يشب فى أثناء هذا العمل .

ويسبق شبوب الحريق دائما صوته

قرقعة مخيف ، فهو نذير للفتاة بالإسراع إلى الفرار . فضغط الغاز الذى يتولد فى جزء من الثانيــة يبلغ مبلغاً عظيما يحس خارج البنــاء ، على أربعين قدماً أو أكثر من الآلة . وقد ضغط مرة فتاة عاملة على الجدار فكانت كأنما سمّرت عليه — قالت : « كأن مارداً أخذ بتلابيبي وضرب بى الألواح » . وكانت نفخة الغاز كافية لتطرح فتــاة أخرى على الأرض ، ولكنها ظلت محتفظة برباطة جأشها ، فبقيت منطرحة على الأرض وخرجت متدحرجة من البــاب .

وعلى أن مقدار البارود فى معظم الآلات لا يزيد على ستة أرطال ، فإن هذه المــادة تحترق كأنها مشعل عظيم متوهج ، فتستطير منه ألسنة طويلة هادرة من اللهب ، وعلى أثرها سحب من الدخان الأصفر الخانق . وأحياناً تتطاير فى كل جهة قطع من البارود المشتعل . وقد كنت واقفاً على عشر أقدام خارج الباب الخارجى حين رأيت أول نار شبت هناك ، فإذا هبّــة قوية من الضغط كادت تطير قبعتى عن رأسى .

ومع ذلك فإن الآلات فى الأماكن التى تشبّ فيهــا هــذه النيران تعود إلى العمل بعد عشرين دقيقة ، والنار نفسها لا تتعدى أبداً الموقع الذى تشب فيه . وترى تفسير هــذه المعجزة فى نظام الوقاية البارع الذى وُضع تصميمه وأتقن قبل الشروع فى بناء مصانع بارود الصواريخ . فقد دعا س . ل . جونز مهنــدس شركة هركوليز المختص بسلامة العمال ، جماعةً من مهندسى شركة « أتوماتيك سبرنكلر » (الرشاش الآلى) الأمريكية وقال : « أريد أن تبتكروا نظاماً للرش ينطلق يعمل فى نصف ثانيــة أو أقلّ » .

فعاد المهنــدسون وهم يدمدمون ، لأن أسرع نظم الرش تستغرق ثلاث ثوان قبل الشروع فى العمل . ومع ذلك فقد نجحوا فى وضع نظام للرش يستطيع أن يقذف تياراً من الماء على نار مشبوبة فى نصف ثانية ، وقد استطاع أن يفعل ذلك مراراً فى خمس ثانية .

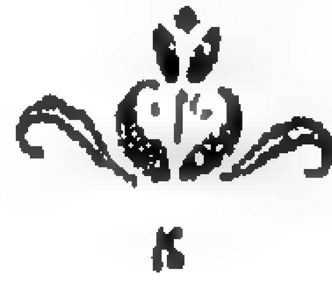
ويركب نظام « الطوفان » هذا فى كل آلة فيجعل جزءاً أصــيلا فيها . وتركب أجهزة دقيقة الإحساس على بضع بوصات فوق الأسـطوانتين وتحتهما ووراءهما . وتكتنف جانبي الآلة أنابيب يقــذف من ثقوبها رذاذ من المــاء يكون كالضــباب ، وثمة أنابيب أخرى ترسل ماءها على سائر أنحاء العنبر وعلى العاملة أيضا . فحين ترتفع فجأة حرارة البارود ، كما يحدث قبل نشوب النار ، تحرّك الأجهزة الحساسة الصمامات فى أجهزة الرش ، فينطلق المــاء من كل

ثغرة بمعدل ٣٥ جالونا فى الدقيقة . فيسقط « طوفانه » على الآلات وفى الغرفة كلها عند مدخلها . ومعظم الحرائق يخمد فى خمس ثوان ، قبل أن يحترق معظم البارود .

والعاملات الجديدات اللوانى يبدأن العمل مساعدات للقديمات فى نقل البارود ، معرضات لهياج الأعصاب حين يعهد إليهن أولا بإدارة إحدى هذه الآلات ، ولكن ثورة أعصابهن تهدأ بعد أن يشاهدن الحريق الأول . وقد قالت إحداهن : «أمّا وأنت ترى النيران تشب حولك النهارَ كله ، فإنك لا تملك إلا أن تتعودها » .

إن البلل وتشعيث الشعر المصفف هما أعظم خطر يتعرض له .

ومنذ أشهر أصيب عامل بإصابة شديدة ، فأفسد هذا الحادث البسيط نجاحا متصلا منقطع النظير فى سلامة العمال فى هذا المصنع . فقد سلخ المصنع مليوناً ومئة وخمسة وعشرين ألف ساعة ، من ساعات عمل الرجل الفرد ، دون أن يصاب أحد من العمال . وقد كان هذا العامل الذى أصيب نجّاراً ، ولم يزد ما أصابه ، فى بقعة مساحتها ٤٠ ميلا مربعاً يطيف بها الموت الزؤام ، على أن انزلق من السطح فالتوى بعض عضل ظهره .



صوت التجربة

فى سنة ١٩٣٦ كان الجنرال سيمون بوليفار بكنر قائد القوات الأمريكية فى ألاسكا الآن ، يتابع دراسات خاصة بالضباط من رتبة قائمقام ، فقال محاضر صغير السن إنه ينبغى لقيادة الآلاى أن يَعدّ برامج التدريب للسرايا ، لأن الضباط من رتبة يوزباشى قد تعوزهم التجربة فيرتكبون أخطاء إذا هم أعدّوا هذه البرامج .

فوقف بكنر وقال : « كان العم زيك مشهوراً فى بلدته بالحكمة وسداد الرأى . فسأله صديق فى أحد الأيام : « كيف أدركت كل هذه الحكمة يا عماه ؟ » »

فقال الشيخ : « لأن آرائى صائبة . والرأى الصائب تكسبه بالتجربة ، والتجربة — آه .. التجربة بنت الرأى الفاسد » . [الجنرال جون و . لايج]

الجمد في الطريق إلى موسكو



ألوف من الطائرات تنقل في الجو نقلا مأموناً من مونتانا إلى موسكو فوق « ألسيب » وهو الطريق المار بالدائرة القطبية حيث كان الموت بالمرصاد لرجال الطائرات التي ترغم على الهبوط .

وزلي برايس • ملخصة عن مجلة "ستردای إيفننج پوست"

أشد الطرق الجوية برداً في العالم هو الطريق الذي يبدأ في ولاية مونتانا على حدود كندا في المنطقة الغربية من الولايات المتحدة ، فيعبر ألاسكا وسيبريا متجهاً إلى موسكو . ولقد سلكته قاصدة روسيا ستة آلاف طائرة مقاتلة وقاذفة أو تزيد ، فكانت تطير مندفعة خلال أطباق الجو القارس . وقد أطلق عليه اسم «ألسيب» منحوتاً من الحروف الأولى في لفظي ألاسكا وسيبريا .

وقد جاد أحد عشر رجلا بأرواحهم في يوم واحد ليصونوا مسلك هذا الطريق . وكان بعض هؤلاء على متن ناقلة طواها عارض من السحاب فوق كندا . ويعتقد الطيارون أنها اصطدمت بجبل فانهال عليها الثلج ودفنها إلى الأبد . وكان آخرون في طائرة مخصصة لموظفي الخط كانت تحاول الوصول ليلا إلى «وطسن ليك» في عاصفة ، فلما سقطت مات الطيار ومساعده ، وبقي اثنان من ركابها على قيد الحياة ، فمكثا ١٤ يوماً مع الجثث التي جمّدها البرد . ثم ربطا الزلاجات بسيقانهما المكسورة ، ولبسا أحذية الثلج في أيديهما ، وزحفا زحفاً في جو هبطت حرارته إلى ٤٥ تحت الصفر ، ثم عثر عليهما بعد أربعة أيام وهما لا يزالان يزحفان ، وقد قطعا أربعة أميال .

وفي اليوم نفسه اجتازت ناقلة منطقة يوكون على ارتفاع ١٤٫٠٠٠ قدم ، وقد تعطل جهاز التدفئة فيها ، وكانت درجة الحرارة ٥٦ تحت الصفر . فحاول أحد ركابها ، وكان جاويشاً ، أن يعيد الحياة إلى قدميه المتجمدتين ، فعرضهما للهيب متصاعد من جهاز صهر المعادن .

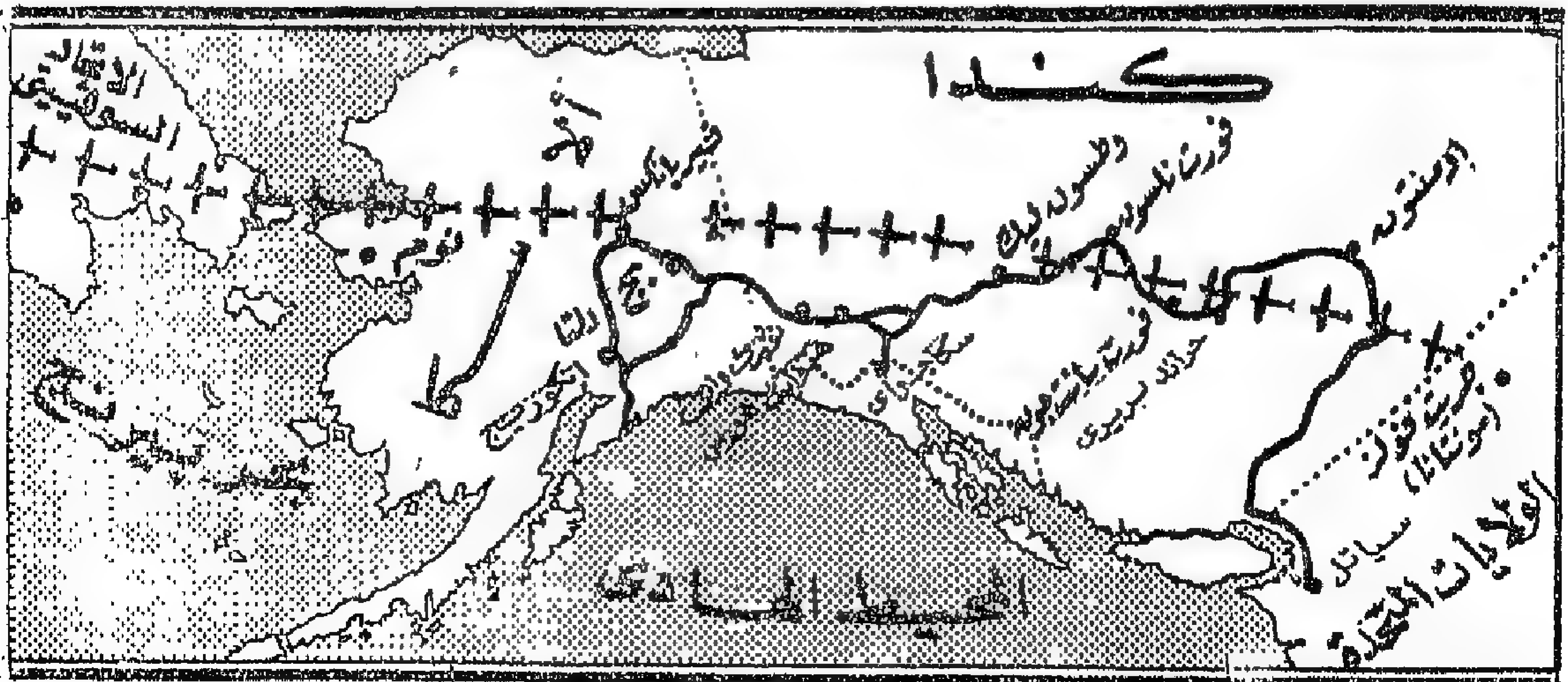
وكان ذلك يوماً في أبرد شتاء عرف في ألاسكا منذ ربع قرن ، شتاء ١٩٤٢ — ١٩٤٣ ، الذي جرب فيه طريق « ألسيب » أول مرة . فثمة بضع مئات الطائرات يجب أن تسلم للطيارين الروس في فيربانكس بألاسكا في شهر ديسمبر . ولكن لم يقطع هذا الطريق سوى ١٤ طائرة منها وحسب ،

فقد سد البرد والجمد مسالك الطريق إلى موسكو .

ولم يكن بدّ من تحطيم العوائق ، فقد كان النازيون أسرع فى تسيير دباباتهم الجديدة إلى ستالينجراد من الأمريكيين فى تسليم الروس طائرات ب — ٣٩ المسلحة بالمدافع التى تنسف تلك الدبابات . أما طائرات الإعارة والتأجير المرسلة بحراً إلى روسيا عن طريق مورمانسك ، فكانت مئات منها تغرق وهى فى صناديقها . فجاء أمر الرئيس روزفلت بأنه يجب أن تقدم الطائرات المرسلة إلى روسيا على كل شىء ، حتى على الطائرات المرسلة إلى سلاح أمريكا الجوى ، فإن ستالينجراد إذا سقطت ، ضاعت روسيا وخسر الحلفاء الحرب .

وكان عملا يضنى الرجال ويزلزل القلوب ، فاضطلعت به الجماعة السابعة لنقل الطائرات ، وفرقة ألاسكا من قيادة النقل الجوى فى سلاح الطيران الأمريكى . وفى الشتاء الماضى اجتازت هذا الطريق ألوف من الطائرات تخرج جماعات جماعات ، وكانت توجهها الأشعة اللاسلكية ، وتهبط للتزود بالوقود من قواعد جوية عظيمة ، فيها مدارج معبدة وحظائر مدفأة .

ولم تكن محطات الوقود فى أول الأمر سوى مدارج ضيقة من التراب ، وكان الميكانيكيون يسكنون فى خيام ، ويصلحون الطائرات فى العراء ، وكانت أجهزة اللاسلكى سخرية الساخرين . وكان الطيارون يقطعون ١٩٣٥ ميلا بين جريت فولز فى ولاية مونتانا ، وفيربانكس فى مقاطعة ألاسكا ، مقتفين أثر طيار آخر يكون قد قطعها من قبل . كانت الخرائط تحدد مواقع الأنهار



الكبيرة تحديداً صحيحاً ، ولكن بعض البحيرات كانت مرسومة على ٥٠ ميلا من موقعها الصحيح. ورب جبل تبلغ قمته ٥ر٠٠٠ قدم، فلا ترى ارتفاعه على الخريطة أكثر من ٤ر٠٠٠ قدم .

ثم يذوب الثلج في الربيع فتنشأ عنه بحيرات تبقى حيناً ، فيختلط الأمر حتى لا يميز بينها وبين البحيرات الحقيقية المرسومة على الخرائط . وتشب حرائق عظيمة في الصيف ، فيتكاثف دخانها حتى يستر فورت نلسون وفورت سانت جون ووطسون ليك ، ثلاثة أيام متعاقبة . وفي الشتاء يخفي الثلج بحيرات وأنهاراً يتخذها المسافرون أعلاماً يهتدون بها . وإذا هبت الريح سفت الثلج فيستر المدرج ، فلا ترى شيئاً من مسافة ثلاثين قدماً فوقه قبل الهبوط . وإذا كان الجو ساجياً عجز الطيار عن أن يقدر بعد طائرته عن الأرض وهي تهبط ، وذلك لانبساط الثلج أمام عينيه ، فلا بد من أن تغرس أشجار على جوانب المدارج ، لتعين العين على صحة التقدير .

ولا يزال بعضهم حتى الآن يضل الطريق مع ما هيء من خرائط مفصلة ومحطات للتوجيه اللاسلكي ، فالثلج يحدث في أجهزة الاستقبال اضطرابا فتختلط الأصوات . أما الجبال والرواسب المعدنية فتؤثر في الأشعة اللاسلكية فتعوج وتنثني، أو تنحرف متجهة إلى طرق غير مطروقة . ويحذر الطيارون من أنه ربما انقلبت الإشارة الثابتة التي تدل على الاتجاه الصحيح إلى جلبة وضوضاء ، أو تحولت إلى صمت خداع . وقد تنحرف إبرة جهاز التوجيه الآلي

عاد الروس إلى ألاسكا بعد ثلاثة أرباع قرن منذ اشترتها أمريكا من القيصر إسكندر الثاني . ويذرع الطيارون السوفيت شوارع فيربانكس في أحذيتهم الضخمة وسراويلهم الزرق المتنفخة وقلابقهم المكسوة بالفرو ، في انتظار الطيارين الأمريكيين لكي يتسلموا منهم الطائرات ويطيروا بها فوق مفاوز المنطقة المتجمدة إلى الميدان الشرقي الأوربي ، ومع الطيارين عدد من النساء الميكانيكيات . ويأكل الروس طعام الأمريكيين ويشترون مما يشترون وقد زودوا بنقود أمريكية خلفتها القوات الأمريكية في حملة أركانجل في روسيا سنة ١٩١٩

والأمريكيون والروس لا يتكلمون لغة واحدة ، ولكن لا فرق بينهم في الجوهر ، فكلاهما يميل إلى الأغاني المرحة ويحب المغامرة والطعام الشهي والنساء الجميلات والملابس المزخرفة الزاهية . والطيارون الروس والأمريكيون يعجب بعضهم ببعض ، فالشجاعة تحيي والرجال الذين يطيرون في طريق ألسيب شجعان حقا .

[رتشرد نويبرجر في مجلة « كورونت »]

منجذبة إلى أضـواء القطب الشمالى أو إلى أقرب قمة عالية . والجو يتقلب تقلباً عنيفاً مفاجئاً ، وقد تنقلب الرؤية فى قاعـدة « نوم » فى ٢٠ دقيقة وحسب ، من مدى لا حد له ، إلى « صفر فى صفر » ، دلالة على أن ارتفاع السحاب وكثافته فوق المطار قد جعلا مجال الرؤية معدوماً فى كل اتجاه . وتربض السحب طول العام متراكباً بعضها فوق بعض على الطريق ، فيتراكم الجمد على الطائرات ، وهو أخوف مايخافه الطيارون .

ويقع على عاتق سرب الأرصاد الجوية السـادس عشر من سلاح أمريكا الجوى مهمة تقدير الحالة الجوية ، وهو يعتمد فى ذلك على ١٢٥ محطة موزعة على طول الطريق ، وبعضها يقع فى مناطق موحشة داخل الدائرة القطبية ، فما تظفر من البريد والمؤن إلا بما يلقى عليها بالمظلات . ورجال هذه المحطات جماعات ، كل منها سبعة رجال أو ثمانية من المتطوعين ، ثبت للذين يختارونهم أدق اختيار أنهم أقوياء الشكيمة شداد المراس ، إذ ربما مضت عليهم ستة أشهر دون أن يروا وجهاً جديداً ، فينبغى أن يكونوا أهل صبر وجلد .

فى يونيو سـنة ١٩٤٢ بدأ العمل فى طريق ألسيب لنقـل الطائرات فى الجو ، فوقع اختيار قيادة النقل الجوى على « جريت فولز » لتكون قاعدته الجنوبية ، لأن الجو فيها صاف صـفاء البلور فى ٣٠٠ يوم من السنة . وإلى الشمال كانت تقع سلسلة من مطارات التدريب تابعـة لسلاح الطيران الملـكى الـكندى ، وممتدة إلى مدينـة إدمونتون ، ثم تليهـا بعض المـدارج التى يستخدمها الطيارون المحليون فى الأدغال . وقد كان هذا طريقاً جويا ، ولـكنه طريق مختـلّ ، فلم يكن بد من أن تنشأ مهابط أخرى بين المهابط القائمة ، وأن توسع حتى تصير فى حجم المطارات الحربية ، ثم تعبّد أرضها .

فمدينـة إدمونتون مثلا ، لها مطـار معروف ، ولـكن حدث فى صيف سنة ١٩٤٢ القـائظ أن غاصت القاذفات الأمريكيـة الضخمة حتى محاور عجلها فى قاره الذى أذابته الشمس ، وأسرع الـكولونيل تد بولن إلى معسكر فيه عمـال ينتظرون أن ينقلوا شمالا لـكى ينشئوا مطاراً فى « بج دلتا » على الطريق إلى فيربانكس ، فخطب فيهم وقال : إن فى مطاره ٨٠ طائرة جاثمة لا تتحرك ، ولا بد من أن تطير إلى الألاسكا — فقد قذف اليابانيون قاعـدة دتش هاربور بقنابلهم . وكان عنده حمل قطار من بُسط الفولاذ ، ولـكن يعوزه العدد الكافى من الجنود لإنزالها وبَسْطها على المطارات ،

ويعوزه المال أيضاً لاستئجار المـدنيين ، فمن منكم يتطوع للعمل — وبغير أجر ؟

وتطوعوا جميعاً — ١١٥٠ رجـلا ، وفرشوا البُسط فى سرعة لا تقدر بمال ، وأنجزوا العمل فى الثالثة صباحاً ، ثم وقفوا عند الفجر يلوّحون للقاذفات وهى فى طريقها إلى غايتها .

وكانت الطائرات الأولى التى طارت إلى روسيا فوق طريق ألسيب خمساً من طائرات الهجوم طراز (أ — ٢٠) ، بدأت رحلتها من جريت فولز فى ٣١ أغسطس ١٩٤٢ ، ثم أرسلت جماعة نقل الطائرات السابعة فى ذلك الخريف عـدداً أكبر من القاذفات مع طائرات نقل من طراز (ث — ٤٧) ومئات من المقـاتلات طراز إيرا كوبرا (ب — ٣٩) . وكان الشبان من الأمريكيين ، الذين لم يكادوا يتمسّون تدريبهم على قيادة تلك الأنواع الجديدة ، يترفقون فى الهبوط بها فى فيربانكس كأنها بيض يُخشى أن يتكسر . أما الطيارون الروس الذين كانوا يتسلمون تلك الطـائرات ، فكانوا أكبر سناً وأشد بأساً ، وجميعهم من الطيارين المقاتلين ، فكانوا يطيرون بهـا كأنهم فى حومة القتال ، ويطلقون لها العنان . وكان عليهم أن يطيروا إلى « نوم » ثم أن يعبروا مضـيق بيرنج فى طريقهم إلى موسكو ، أى حوالى ٦٠٠٠ ميل ، وكانوا على عجلة فى أمرهم .

ومضى نقل الطائرات على خير حال حتى أطبق الشـتاء الأول ببرده ، فكان الميكانيكيون يتناوبون الخروج كل عشرين دقيقة من خيام مدفأة إلى الطـائرات ليتعهدوها . فإذا عريت أيديهم سقطت أصابعهم من البرد ، وإذا ارتدوا القفازات عاقتهم حتى لقد يستغرق تغيير شمعة الشرارة ساعتين من وقتهم . وكان البنزين إذا انصبّ على الأيدى ، تجمـدت كأنما مسها هواء سائل ، وكان الصقيـع يذهب بأصابع الأقدام . وقد فقد أحـد الضباط المنكودين شـفته السفلى . وكان الرجال يختفون إذا اشتملت عليهم العواصف الثلجية وهم على بعد ١٥ قدماً من مدرج الطيران ، فكانت جماعة الإنقاذ تركب الجرارات لتبحث عنهم .

أما أعقـد مشكلاتهم فكان تحريك المحركات . وقد نصحهم رواد الطيران فى ألاسـكا بأن يخففوا الزيت ببعض البنزين عند هبوط الطائرة ، وأن يدفئوا المحرك فى الصباح بالنار . أما الآن فقد أصبح فى وسع البريجادير جـنرال ديل ف . جافنى قائد فرقة ألاسكا أن يضمن دوران المحرك إذا اتبع الأسلوب الآتى : يخفف الزيت ، ويدس جهازاً كهربائياً للتدفئـة فى خزان الزيت

ويتركه فيه طول الليل ، وفى الصباح يزيد الحرارة ساعتين . ولكن عليك أن تسخن آلة توليد الحرارة أولا حتى تستطيع أن تشعلها .

وقد قتل عشرون طياراً على طريق ألسيب ، وبعضهم ضاع ولم يعثر عليه . وفى الشتاء الأول كاد الموت يكون حتما على كل من اضطر إلى الهبوط ، أما الآن فقد قلّ مقدار ما يفقد من الطائرات إلى طائرة واحدة من كل ١٢٠ ، كما صرح بذلك الكولونيل كرميت هات قائد الجماعة السابعة لنقل الطائرات ، ولكن معظم الطيارين ينقذ .

وأنشأت فرقة ألاسكا فى ديسمبر ١٩٤٣ جماعة للبحث والإنقاذ ، وجعلت الميجور حوزيف وستوفر قائداً لها ، وهو طيار قديم مجرب ، ومن يومئذ لم تفقد طائرة إلا وعثروا عليها .

وقد عمد بعض الطيارين الضالين إلى تحريك جهاز الاستغاثة بالراديو ، فأتتهم طائرة الإنقاذ فى أربعين دقيقة . ويعمد آخرون إلى إرسال أعمدة الدخان فى الهواء ، أو رسم علامة الخطر على الثلج بالأقدام قبل إحاطتها بأغصان الشجر . فإذا لم ير الطيارون الباحثون هذه العلامات نقبوا عن أرض اسودت من النار ، أو شجر تكسرت أعاليه ، فهذه دلائل قاطعة على سقوط طائرة . وإذا عجزت طائرة الإنقاذ عن الهبوط على الزلاجات أو العوامات ، ألقيت المؤن بالمظلات ، ثم يتجه فريق من رجال الإنقاذ إلى المكان فى زلاجات تجرها الكلاب .

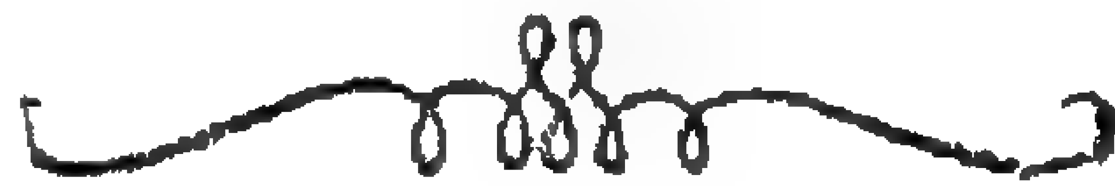
ويعود الطيارون الذين ينجون من الهلاك بعد أن يقفزوا بالمظلات أو يضطروا إلى الهبوط ، فيروون روايات عجيبة عن حسن حظهم . فالملازم توماس ديكيارا الذى قفز فى زوبعة شتوية دون قفازات أو مؤونة أو عيدان ثقاب ، قد هبط على مقربة من الخط الحديدى الوحيد فى منطقة تبلغ مساحتها مئات الأميال ، وبعد خمس عشرة دقيقة التقطه قطار لا يقطع الطريق إلا مرة كل أسبوع . وكان الملازم كرين هو الرجل الوحيد الباقى على قيد الحياة من ركاب قاذفة ساقطة ، فعثر على كوخ صياد غاص بالمؤن ، وبعد أربعة وثمانين يوماً عاد إلى قاعدته .

ويزود الطيارون قبل رحيلهم بتعليمات خاصة عن المحافظة على الحياة فى المنطقة المتجمدة . فالأقدام هى المشكلة الأولى . وقد اتضح أن أحذية الطيارين المبطنة بالصوف ، والتى كانت تقدر أعظم تقدير ، لا قيمة لها على الأرض ، فداخلها يبتل من العرق وقطع الثلج ، والأقدام تجمد إذا ابتلت ،

وخير منها أحذية خفيفة من القماش الخشن، نعالها من الجلد اللين، فضفاضة بحيث تسمح بلبس عدة أزواج من الجوارب. فإذا لم تكن هذه الأحذية متاحة، أشير على الطيارين بأن يلفوا حول أرجلهم شرائط من قماش المظلات

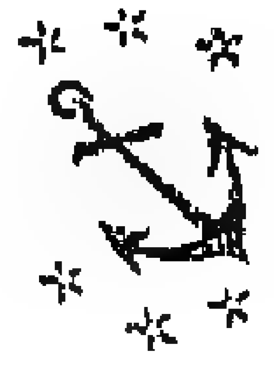
ويعد الجنرال جافني طريق ألسيب أعظم طرق العالم مشقة — فهو مماثل لطريق بورما الجوى بين الهند والصين، ولكنه خمسة أضعافه فى طوله، وهو محتاج إلى ما يزيد على ٢٠ قاعدة جوية وميداناً للهبوط الطارئ. وأكثر هذه الميادين بعداً وانقطاعاً عن الدنيا ميدان «جالينا»، الواقع على منعرج فى نهر يوكون بين مدينتى فيربانكس ونوم. وفى الربيع الماضى ارتفع مستوى نهر يوكون بعد أن سدت الثلوج مجراه، فأغرق المدارج والشكنات والحظائر تحت ست أقدام من الماء. وعثرت طائرات الإنقاذ على رجال المطار متجمعين على ثلاثة أكوام من الحصى وسط الماء القارس والحطام الطافى.

فإذا منع الماء أن يدخل مطار «جالينا»، بزيادة السدود حوله، أصبح طريق ألسيب صالحاً للعمل فى جميع فصول السنة من مونتانا إلى نوم. وهو الآن الطريق الجوى الذى حظى أكثر مما حظى أى طريق جوى آخر بمعدات تهيئه لمواجهة الشتاء. ويحتمل أن يصبح هذا الطريق الذى أنشأته قيادة النقل الجوى لإمداد روسيا، جزءاً من شبكة خطوط الجو فى زمن السلم.



● روى آرثى بلوم، خبير مكتب الأرصاد الجوية فى مطار وشنطن القومى، أن سيدة استدعته بالتلفون فى أحد أيام مارس لتسأله عن حالة الجو يوم ١٨ يونيو، لأنها تنوى أن تقيم حفلة فى الخلاء احتفالاً بزواج كريمتها. فقال: «لا نستطيع أن نعلم حالة الجو على هذا المدى البعيد». فقالت محنقة: «ما بالكم يا قوم، أليس عندكم تقويم؟» [فرانك كارى]

● تعب جزار فى بردجبورت بولاية كونكتكت، من تكراره لعملائه: «لا لحم اليوم»، فأخذ ذيل بقرة وربط عليه شريطاً وعلقه، وعلق فيه بطاقة جاء فيها: «لم يبقَ إلا هذا». [جيمز هوارد فى صحيفة «ب.م»]



الرجل الذى لم يرد أن يموت



بوب دايفس * ملخصة عن مجلة "نيويورك صن"

قال طبيب الجيش: «إن علم الطب ليس آخر سلاح لإنقاذ الأرواح، كما يعلم كل طبيب مارس العمل فى جبهة القتال وسأضرب لك مثلا:

«كان بين الجرحى فى مستشفى مؤقت وراء خطوط القتال فى شاتوتيرى سنة ١٩١٨ جندى إرلندى من مدينة أيوا، أصيب برصاصة اخترقت ظهره خلف الترقوة اليمنى ونفذت فى الرئة والحجاب الحاجز والمرارة والكبد، وثقبت فى أمعائه ١٣ ثقباً منها ستة ثقوب مزدوجة».

فسألته: «هل كان الجريح فى وعيه؟»

قال: «أجل كان كامل الوعى طيب النفس، ولما أخذنا نتهيأ لإجراء الجراحة قال بصوت سمعه كل واع بالمستشفى: سأكون بخير حال، فلا يشغلك أمرى يا دكتور.

«وخدرناه بالأثير ثم فتحنا بطنه وخطنا الثقوب، وفعلنا كل ما ينبغى. وأعجب العجب أنه لم يمت، بل لقد أفاق من المخدر نشيطاً نشاطاً مدهشاً، وقال إنه بخير حال، وكان إلى جواره اثنا عشر آخرون مصابون بجراح بليغة، فاستوى أحدهم فى سريره جالساً ونظر إلى جندى أيوا فانطلق ضاحكا وهو يقول: «إذا كان هذا الرفيق قد استطاع أن يبرأ فكذلك أستطيع أنا».

«ومن يومئذ إلى أن انقضى الأسبوع كنت كلما دعيت إلى حجرة أخرى، حيانى الجريح بتحية لا تختلف: «سأكون بخير حال، فلا يشغلك أمرى يا دكتور». وكذلك أصبح يدعى بالرجل الذى لا يريد أن يموت، وقد ألقى فى كل نفس ممن حوله عزماً على أن تعيش. وانتكس مرات فارتفعت حرارته، وتواتر نبضه، واختلفت عليه الأعراض المقلقة، ولكن إيمانه بالشفاء لم يتزعزع مرة حتى وهو فى بحرانه الدائم.

«بل لقد جعل يرسل الممرضات رسلا إلى المرضى ويقول لإحداهن: قولى لهذا الرجل الراقد هناك ذى الرأس المهشم إن فى أحشائى من ١٣ إلى ٢٠ ثقباً، وإننى سأعود إلى الجبهة من جديد. وقولى لذلك الرفيق الذى يحسب أنه سيفلج، إن هذه الحرب لم تكد تبدأ، وسليه أن ينهض قائماً على ساقيه بأسرع ما يستطيع. وكانت رسالته إلى ضابط أصيب برصاصة فى جنبه

الأيمن : ما دام قلبك سليما فلا عليك ، إن شاباً مثلك يستطيع أن يحتمل شيئاً كثيراً من نوائب القدر ويتغلب عليها ، وعند ما أعود إلى الفرقة سأقول لأصحابى إن قضاء شهر فى المستشفى ليس إلا إجازة .

« وعند ما غادرت المستشفى مررت بهذا الجريح لأودعه فقال لى : أعلمنى بعقرك لأرسل لك كتاباً يحمل إليك نبأ عودتى إلى فرقتى . إن الرجل لا يستطيع أن يقضى حياته راقداً هنا محوطاً بطائفة من الممرضات بخدمتـه . الوداع يا دكـتور ولا يشغلك أمرى .

« ولا ريب فى أن هذه النغمة المتفائلة التى ظلت تتردّد كل يوم ، قد ألقت سرها فى قلب كل من كان فى المستشفى . وقد مات أربعة من اثنى عشر مصاباً بالجروح البليغة ولـكن الثمانية الباقين تأثروا بما سمعوا منه حتى خرجوا من المحنة سالمين . ولقد كان الأطباء والممرضات جميعاً يشعرون بالقوة التى يبثها هـذا الرجل الفرد وهو يصيح حتى يسمعه كل أحد : « سأكون بخـير حال » . وقد لاقيت فيما بعد طبيباً من أطباء المستشفى كان هناك يوم فارقها هذا الرجل المتفائل ، فأخبرنى أن كل زملائه فى الحجرة كانوا يؤمنون أن هذا الإرلندى هو الذى أخرجهم من القبور .

« لقد علمنى هـذا الجندى أن المريض الرعديد مصيره إلى الهلاك ، وأن الدواء بلا أمل لا خير فيـه . ومن الهدايا التى خرجت بها من تلك الحرب ، رسالة جاءتنى من جبهة القتال بخط جندى عاد إلى فرقته وهذا نصها بتمامه :

« إننى بخير حال ، فلا يشغلك أمرى يا دكتور ! » .



نشر مخزن كبير فى بلدة جاكسونفيل سلسـلة من الإعلانات عن صنف جديد من رقائق الصابون ، وكان فوق الـكلام صورة غسالة تبتسم وذراعاها غارقتان إلى المرفقين فى رغوة الصابون . وفى بريد الصباح التالى تلقى المخزن رسالة ، تحتوى على قصاصة الإعلان وقد كتب تحتها : « أنا لا أعبأ شيئاً برقائق الصابون ، ولـكن أين أجدُ الغسالة ؟ »

"الفتق"... إماطة اللثام عن حقيقته

بول دي كروف

يصيب الفتق ملايين من الناس ولكن قل من يعلم أن علاج الفتق بالجراحه بسيط ميسور

لي صديق من المثقفين في بداية العقد السادس من عمره، ولم يشتد به مرض قط، فانتابته ذات صباح نوبة من السعال، وما لبث أن شكا من ألم في الصِّفاق (ما بين أسفل البطن وأول الفخذ) ثم اشتد الألم، وغثيت نفسه، وأحس بنتوء في موضع الألم فأسرع إلى طبيبه، فأخبره أنه مصاب بالفتق.

كان صديقي يعرف كلمة الفتق ولاريب، ولكن لم يكن يدرك شيئاً من خطر الفتق، ولا ما عسى أن يكون له من أثر خطير في حياته. وكان قد قرأ ما ينشر الدجالون من دعايات عن أحزمة الفتق وعلاجه بلا ألم. على أنه كان يظن دائماً أنه لا يصاب بالفتق إلا الذين يزاولون أعمالا مرهقة للبدن، ولم يكن يدري شيئاً عن حقيقة الفتق، ولا عن سبب إصابته به، ولا كان يعلم أن له علاجاً ناجعاً.

وكان صديقي في جهله مثلا لمعظم الملايين من المصابين بهذه العلة التي يبدو أن الناس اتفقوا على كتمان أمرها، فلم يظهر عنها مثلا غير مقال واحد في المجلات العامة بالولايات المتحدة في السنوات الخمس الماضية.

والسبب الذي لا يكاد يكون فيه شك لهذا التحريم، هو أن أغلب الفتوق تحدث في الصِّفاق على مقربة من أعضاء التناسل. وكذلك أسدلت الحشمة المتكلفة ستورها على المرض، فأصبح علاجه مسرحاً لأرخص أنواع الدعاية والشعوذة.

إن الفتق العادي ليس إلا نتوء طية من طيات الأمعاء في عضل الجزء الأسفل من جدار البطن حيث يتصل البطن بالفخذ، ومثل هذا الفتق يسمى فتقاً في الصِّفاق غير مباشر، وهو غير مباشر لأن الأمعاء تتدلى مائلة في جدار البطن، وهو فتق الصِّفاق، لأن الصفاق هو الاسم الطبي لما بين البطن والفخذ. وقد يظل هذا النتوء صغيراً زمناً طويلا ولكنه يأخذ يزداد، وقد تهبط منه الأمعاء الناتئة في النهاية إلى الصَّفَن — كيس الخصيتين.

وليست العلة الأولى التي تنشأ عنها هذه الفتوق هي إجهاد البدن أو ما يصيبه من أذى كما يظن الناس، بل إن مرجعها إلى زمن الطفولة. ففي وقت الميلاد تكون

خصيتا المولود الذكر لا تزالان فى بطنه ، ثم تأخذان أثناء نموه فى الهبوط ، تدفعان أمامهما أغشية البطن الرقيقة ، وتثويان فى كيس منها ، ويشق هذا الكيس طريقه بين عضلات البطن مكوناً فيها قناة يبدأ أعلاها فى البطن وينتهى أسفلها فى الصَّفَن حيث تستقر الخصيتان .

وينسدّ هذا الكيس فى معظم المواليد من أعلاه فى البطن ومن أسفله فوق الخصيتين عقب الميلاد ، ويتلاشى بعد أن تكون الخصيتان قد مرّتا فيه إلى مستقرهما ، ولكنه يدوم فى بعض الحالات ، بل قد يدوم على الحياة ، فيؤلف موضعاً ضعيفاً فى جدار البطن يصبح موضع الفتق فى المستقبل .

فإذا زلت قدم الإنسان أو أجهد إجهاداً مفاجئاً ، أو سعل أو عطس بعنف ، أو رفع ثقلا أو دفعه أو جره ، فقد يحدث الفتق من هبوط طية فى الكيس من طيات الأمعاء . ولا يزال الضغط فى داخل البطن يدفع هذه الطية فى الكيس شيئاً فشيئاً ، فيتسع موضع الضعف فى جدار البطن . ويصبح هذا الكيس كأنه وتد يدق بين عضلات البطن فيضنيها ويوهنها حتى تصبح من الرقة أوهى من نسيج الشباك .

بل لقد يختنق الفتق من ضغط العضلات عليه عند عنق الكيس فى داخل البطن ، فيعوق هذا الاختناق سير محتويات الأمعاء سيراً طبيعياً . وأسوأ من هذا أن يؤدى الضغط إلى وقف دورة الدم فى جدر الأمعاء نفسها ، ويسمى هذا الحادث المشؤوم باختناق الفتق الذى لا تجدى فيه إلا الجراحة العاجلة ، خشية أن تبدأ أُكلة (غنغرينا) الأمعاء التى قد تظهر آثارها فى خمس ساعات أو ست . ويبلغ معدل الوفيات بالفتق المختنق ، إذا لم تعمل للمصاب هذه الجراحة ، نحو مئة فى المئة .

وإنه لأبعد ما يكون عن الحقيقة أن الفتق يكثر حدوثه للعمال فى الصناعات الثقيلة . ومن الطبيعى أن يكون الفتق إلى الرجل الذى يقطع الصخر أسرع منه إلى رجل الدين ، ولكن ذلك لا يمنع أن يحدث للموظفين عاجلا أو آجلا ، إذا كان لديهم هذا الكيس الذى رافقهم من عهد ميلادهم دون أن يحسوا بوجوده .

ويندر أن يهبط الفتق على صاحبه هبوط الصاعقة ، وإنما هو مرض بطىء مطرد قد يظل يسرى سريان النار تحت الرماد سنين كثيرة ، قبل أن يبدأ فى تعذيب من يصاب به . ويقول الدكتور ج . ج . مورهيد الجراح بمدينة نيويورك ، إن عدداً كبيراً جداً من الرجال قد يكونون مصابين بالفتق ولا يشعرون به شهوراً أو أعواماً ، ومع ذلك فالأطباء الحاذقون يستطيعون

أن يتبينوا المرض فى أغلب الأحيان حتى فى هذا الدور الخفى . واحتمال الإصابة بالفتق من أكبر الأسباب التى توجب على المرء أن يحرص على أن يفحصه طبيبه فى فترات .

وقد يصاب النساء بالفتق ، وإن كانت إصابتهن أندر كثيراً من إصابة الرجال . والفتق فى النساء خليق أن يُعجزهن، وأن ينتهى إلى الاختناق الخطير . ويحدث فيهن الفتق من ضعف فى المكان الذى تمر فيه أوعية الدم الكبيرة من البطن إلى الفخذ ، والفحص الطبى يكشف هذه الحالة فى أول عهدها .

ومعظم ضحايا الفتق قوم يقضون حياتهم فى كرب ممض وهمّ مقيم ، فإن النتوء فى الصّفاق لا يلبث أن يبدو لهم فيدركوا أن عضواً حيوياً من أحشائهم صار فى مكان لا ينبغى أن يكون فيه . وهذا الكرب يضنى الفكر كما يضنى الجسم ، إذ يظلون فى خوف دائم من أن يجرّوا شيئاً أو يدفعوه أو يرفعوه ، أو يقوموا بعمل شاق ، بل حتى تراهم يخافون العطاس .

ويحاول الملايين من المصابين بالفتق أن يكبحوا هذه العاهة الخطرة المضنية باستعمال الأحزمة . والعادة أن يكون رد الفتق ممكنا فى أدواره الأولى بدفع طية الأمعاء الناتئة من مكانها فى الكيس إلى البطن ، وعندئذ قد يمكن أحياناً حبسها فى البطن بحزام ، لكن الأحزمة لا تشفى الفتق أبداً ، وإنما هى تخفيه .

والأحزمة فى ذاتها كرب ، وأشدما تكون مضايقة فى الصيف . وفوق ذلك فإن ضغط الحزام الدائم يوهن العضلات ، ويجعل برء الفتق أعسر إذا مست الحاجة إلى إجراء جراحة فى المستقبل . وكثيراً ما يجد الجراحون أن الفتق قد أفلت من جانب الحزام مع وثوق المريض من حبسه ، بل إن الحزام ، مع عجزه عن علاج الفتق ، قد يمهّد الطريق للاختناق .

ولولا الفتق لزاد فى جيش الولايات المتحدة اليوم ٢٤٠٫٠٠٠ من المقاتلين الأشداء . ويقدرون أن عمال الصناعات المصابين بالفتق يقلّ معدل قدرتهم على العمل ٢٥ فى المئة . وليست ثمة وسيلة تقى من الفتق قبل حدوثه ، ولكن الفتق مرض من أقرب أمراض الجسم شفاءً .

وقد انقضت ٢٥ سنة زاد فيها معدل الشفاء الدائم زيادة باهرة ، ولعل أكثر من ٣٠ فى المئة من مرضاه كانوا ينكسون بعد الجراحة فى العقد الأول من هذا القرن .

ولكن المصابين بالفتق اليوم يبرأون فى ٩٥ حالة من كل ١٠٠ ، برءاً دائماً فى

المستشفيات التى يمتاز جراحوها بالمهارة وكثرة التجارب .

إن الفتق إصابة آلية بسيطة فى جهاز الجسم البشرى ، ومن اليسير التغلب عليه . وإليك موجزاً من الجراحة التى تجرى له : يكتشف الجراح كيس الفتق المسبب للعلة فيشقـّه، ويعيد الأمعاء إلى مكانها ، ثم يحكم سدّ الكيس من عند عنقه فى جدار البطن ويزيله . ثم يدعم جدار البطن الواهى بتثبيت العضلات والأربطة بعضها فوق بعض .

والخطر من هذه الجراحة لا يكاد يذكر إذا أتيح للمريض جراح ماهر . وفى أكثر المستشفيات الحديثة يستطيع المريض أن يجلس فى سريره فى اليوم الذى يلى إجراء الجراحة ، بل لقد يستطيع أن يتمشى فى اليـوم الثالث . وجاء التخدير الموضعى فأصبح الشيوخ أنفسهم والمصابون بالقلاب لا يحرمون من العلاج الجراحى كما كانوا يحرمون فى الماضى . ولقد بلغ من نجاحها أن أصبح جيش الولايات المتحدة الآن يقبل من كان يرفض من المجندين المصابين بالفتق ، إذا عولجوا بالجراحة الموفقة .



مشاهد فى زمن الحرب

قد يهمّ الذين يضطرون إلى الوقوف فى مركبات الترام وقطارات النفق ، أن يعلموا ما حدث لجوزيف بارنز محرر الشئون الخارجية فى صحيفة نيويورك هيرالد تريبون . فقد كان عائدا من إنجلترا فى قاذفة فاضطر أن يظل واقفاً فيها طول المسافة من جزيرة أيسلندة .

[صحيفة « نيويورك هيرالد تريبون »]



لم تزل قبيلة تشيبيوه من الهنود الحمر ، محافظة على ما جرت به تقاليدها من تجهيز الميت بكل ما يلزمه لرحلته إلى أرض السعادة . فحين مات شيخ القبيلة جونى أنتواين من عهـد قريب ، وضع أتباعه على تابوته وعاء من الثمار وماء للشرب ومعها بطاقات التموين !

[جون ديفيد بايك]

الرجل الذى أعاد بناء أسطول المحيط الهادى للولايات المتحدة ، يرى أن الروح المعنوية خير عدة للهجوم .

نيمتز وقواده البحريون

فلتشر برات

ملخصة عن مجلة "هاربرز"



دعى الملازم « لامار » لمؤتمر عاجل فى وزارة البحرية وكان فى حمامه فى ساعة متأخرة بعد ظهر يوم الأحد ، ولم يذكر له شيء عن الغرض منه . وقد احتشد لدى الباب عدد كبير من مشاة البحرية فى ذلك اليوم الأغبر من ديسمبر سنة ١٩٤١ ، فأدرك لامار أنها هى الحرب . وكان قد دار حديث متقطع بين نوكس وزير البحرية ، وفورستال نائبه ، والأميرال ستارك ، والرير أميرال نيمتز من مكتب الملاحة البحرية .

وكانوا يُرَوْن كالحيارى لافتقارهم إلى الأنباء عما كان يجرى فى هنولولو (حيث كانت المدافع الرشاشة لاتزال تدوى) . وكانت المناقشة إذا انحصرت فى أمر محدود ، تنتهى عادة بالموافقة على اقتراح نيمتز .

لم يكن هو يومئذ سوى أحد رؤساء المكتب (وعددهم سبعة) ، وكان من صغار أمراء البحر ، ولكن مدار حديثهم فى ذلك الاجتماع كان : « بمن نستطيع أن نثق ؟ » وقد كان نيمتز الضابط بمكتب الملاحة ، وهو المكتب المختص بشئون الموظفين ، خليقاً أن يعلم الجواب . وكان هو المرشح بعد القائد الموجود لقيادة أسطول المحيط الهادى .

إن قائد الأسطول فى أية بحرية يجب أن يعزل لساعته إذا هزم ، فقد أضاع الثقة به . وفى تلك الساعات السود ، حين كانت القنابل لا تزال تتساقط على بيرل هاربور ، لم يكن مقدار الخسائر التى وقعت معلوماً فى وشنطن ، بيد أنه كان من الواضح أن الولايات المتحدة ، فى ظل قيادة الأميرال كيمل لم تعد تملك أسطولا صالحاً للهجوم .

عمل فلتشر برات فى دار الكتب الحربية فى الحرب العالمية الأولى . ثم اشتغل بالكتابة وتخصص فى الشئون العسكرية . وهو عضو فى المعهد البحرى للولايات المتحدة ومؤلف كتب فى القوة البحرية وتاريخ الأسطول الأمريكى . وقد عاد برات حديثاً من بيرل هاربور حيث حادث الأميرال نيمتز وغيره من الضباط .

فما هو إلا أن ذكر الاسم التــالى فى القائمة ، اسمَ تشستر . و . نيمتز . وقد كان الأميرال كيمل صديقه الصدوق ، فلم يكن يود أن ينافسه ، ولـكن ليس لضـابط فى زمن الحرب حق مجاملة خلانه وأصحابه . فحين أمر نيمتز أن يتولى قيادة أسـطول المحيط الهادى ، لم يكن قد نام أو أكل شيئاً يذكر منـذ بضعة أيام . وقبيل أن يركب القطار إلى سان فرنسيسكو انتحى أحد الجراحين بالملازم لامار وأخبره بأنه اختاره حارساً له — ليتعهد الأميرال حتى يصيب شيئاً من الطعام والنوم خلال رحلته .

وقد تمت هذه الرحلة فى أحوال تـكاد تـكون منتزعة من قصة متخيّـلة ، فقد اشترك الأميرال والملازم فى غرفة واحدة بالقطار ، وقد حمل نيمتز اسما مستعاراً هو « مستر وينرايت » ، وزوّد بتعليمات تقضى ان يتجاهل كل إنسان . ولقد اسـتطاع أن يصطنع بروداً تاما على ملامحه عندما حيّاه أحد معارفه القدماء . وكان ذلك احتياطاً حكيما ، فبمن يستطيع المرء أن يثق ؟ لقد قذفت إحدى سفن الشحن بالطربيد بين سان فرنسيسكو وبيرل هاربور ، ودأبت دوريات القاذفات على الحراسة الدائمة فى بحر صار كبحر الظلمات .

وكان لامار قد قضى مع رئيسه أكثر من عام ، ولـكنه فى هذه الرحلة وجد فى « نيمتز » رجلا آخر لم يعهده من قبل . فقد كان مما يؤثر عنه فى وشنطن أنه حريص كل الحرص على الرسميات والعناية بالتفاصيل ، أما الآن فقد انقلب إنسـاناً لطيف المعشر يضحك ويروى الفـكاهات . وكان أول تقرير كامل عن خسـائر بيرل هاربور فى حقيبة لامار ، وقد أمر أن يخفيهُ عن نيمتز أطول مدة ممكنة ، فصـار لامار مشغول الذهن بذلك ، حتى أن نيمتز قال له قبل أن يصل القطار إلى شيكاغو إنه لن يحسن قط ألعاب المقامرة بالورق ، فاخترع له سلسلة كاملة من الألعاب التى يلعبها الرجل بمفرده لتبين له كيف تـكون عمليات التوفيق والتبديل الحسابية . فلم يكن الملازم يدرى أيهما يُسرّى عن الآخر ! !

وفى فترة الانتظـار بين القطارات فى شيكاغو ، أفلتت من لامار إشارة إلى ذلك التقرير الـكامل عن خسارة بيرل هاربور ، ومن هذه اللحظة أصبحت الـكلمة للأميرال . وسرعان ما وضع نظاماً ثابتـاً للعمل بدأ تنفيذه منذ تحرك القطار من مدينة سانتا فى . وبمقتضى هـذا البرنامج كان نيمتز يشرب كأسين من الـكوكتيل القوى ، ويأكل عشاء كاملا ، ثم يعكف بقية المساء على تلاوة شطر من التقرير ، مهمهماً ومتمتما بين الحين والحين :

« إن هذا لخليق أن يقع لأى إنسان » .

فلما بلغا شاطىء البحر قفل لامار راجعاً ، واستقل الأميرال طائرة إلى بيرل هاربور ، ويقول الذين رأوه حين لقى كيمل ، إنه كان يحاول أن يجره جرا إلى دار القيادة ، ونيمتز يتأنى وهو ينظر إلى الأنقاض المتراكمة على امتداد الشاطىء

ولما دخلت صفوف رجال بيرل هاربور إلى حجرة الاجتماع فى ٣١ ديسمبر ليقابلوا قائدهم الجديد، لم يحملوا معهم سحب الكآبة القاتمة لتلك الكارثة وحسب ، بل دخلوا وهم يعتقدون أنهم سينقلون . وكانوا يرجحون كل الترجيح أن يعود « كيمل » إلى حيث يواجه مجلساً عسكريا ، وأن يجىء فريق نيمتز فيحل محلهم . ولكن الأميرال نيمتز قال لهم إنه يريد أن تظل هيئة أسطول المحيط الهادى كما هى لتعمل معه ، بلا تغيير .

وقد قيل إن هذه اللحظة هى لحظة الأزمة الحقيقية فى بيرل هاربور ، لحظة النصر بعد الهزيمة التى مهدت لما تمَّ بعدُ من انتصار أمريكا فى المحيط الهادى . وقد كانت أيضاً بداية اجتماعات تعقد كل يوم ويحضرها جميع الضباط فى بيرل هاربور ويتولى رياستها الأميرال .

ولم تكن تلك الاجتماعات كلها جميلة وضاءة ، ولاسيما فى الأيام الأولى ، حين كانت عامة الأنباء سيئة . وكان ضباط الطيران ، الذين يقودون القوة الوحيدة المهاجمة ذات الأثر لدى الأسطول إذ ذاك ، قد اشتد حنقهم لما كان من أول نبأ قوبل به نيمتز عند وصوله — وهو أن القوة البحرية المؤلفة من حاملات الطائرات التى عهد إليها بنقل النجدة إلى جزيرة ويك قد أمرت بالعودة لظهور الأسطول اليابانى على مقربة من الجزيرة .

ثم إن أميرالات البوارج يحسون أنهم أصبحوا فى المرتبة الثانية بعد القوات الجوية . وكانوا يعتقدون اعتقاداً صادقاً أن إرسال قوات قوامها الطرادات وحاملات الطائرات إلى مياه يمكن أن تلتقى فيها ببوارج العدو، ربما أدى إلى كارثة تخسر أمريكا من جرائها الحرب .

وقد حسمت هذه المشكلة الاستراتيجية فى بحر المرجان فى مايو سنة ١٩٤٢ ، عندما فاجأ الأسطول اليابانى الذى دار بجزر سليمان أسطول الحاملات الأمريكية تجاه أستراليا ، فلاذت البوارج اليابانية بالفرار . ولكن الأمر المهم هو الطريقة التى حلَّ بها نيمتز مشاكل علاقاته الخاصة بهؤلاء الضباط . ففى مبدأ المناقشات ذكرته حدة الأخذ والرد قصة رواها للحاضرين ، فتبلّجت الأسارير ضاحكة ، فلما عادوا إلى المناقشة عادوا يتطلبون أساساً يجمعون عليه .

وقد استطاع نيمتز أن يحذق سياسة التندر بالقصص ، بفضل ذاكرته وقدرته فى الأدب التى تتيح له أن ينتزع فكرة دقيقة من كتاب قديم ويجعلها مطابقة لموضوع جديد .

ومن ذلك أن الاستعداد لأعمال غزو سيبان سنة ١٩٤٤ أثار بعض قوارص الكلام بين قواد الجيش والبحرية . فقال نيمتز : « إن هذا كله يذكرنى بأول عمل اشترك فيها جنود البر والبحر ، وهو الذى تولاهُ نوح عليه السلام ! فإنهم عند ما كانوا يفرغون حمولة الفلك رأى زوجاً من القطط يخرجان منه وخلفهما ست من صغار القطط ، فقال : « ما هذا » فأجابه القط الكبير : ها ! ها ! كأنكم كنتم تظنون أننا كنا فى عراك طول الوقت ! ! »

وكان أحبّ شىء إلى نيمتز أن يكون على بصيرة بأساليب تفكير من يحيط به . وتقضى العادة فى بحرية الولايات المتحدة بأن يزور قائد السفينة أو مجموعة السفن ، كبيرَ القواد حين يدخل الميناء . وكان الجميع يعتقدون أن هذا التقليد سيغفل أمره زمن الحرب ، هو وأمثاله من التقاليد ، ولكن نيمتز جعل الزيارة فى أمثال تلك الأحوال أمراً محتوماً ، فيدخل الزائر ويؤذن له بالجلوس ، ثم يواجه لساعته بأسئلة محرجة . ومع ذلك فقد



كان الأميرال يعنى بطريقة الإجابة أكثر من الإجابة نفسها . فقد كان يلتمس الرجال الذين تتجلى مواهبهم فى المآزق الشديدة . وفى ذلك ما يفسر ظاهرة من أعجب الظواهر فى حرب المحيط الهادى — وهى كثرة التغيير فى القواد . فإنما هى طريقة نيمتز فى اختيار القائد وفقاً للمهمة التى يراد أن يعهد بها إليه .

ويجتمع نيمتز أحياناً بالقائد الأعلى لأسطول الولايات المتحدة ، الأميرال كنج ، على شاطىء المحيط الهادى ، ويطير كلاهما إلى المكان المحدد للاجتماع . وهذه هى الرحلات الوحيدة التى ينتقل فيها نيمتز بالجو ، وقد شب هو نفسه فى سلاح الغواصات ، وليس له ولع خاص بالطيران ، بل إنه يعود من تلك الرحلات مجهداً مكدوداً .

وفى أحد تلك الاجتماعات الأولى تمّ الرأى على شن غارات على جزر مارشال وجلبرت فى أواخر يناير من سنة ١٩٤٢ ، على أنها تجربة تلقى ضوءاً على مسألة كانت تثير الجدل والخلاف إذ ذاك ، وهى : هل تستطيع القوات البحرية التى قوامها الطرادات وحاملات الطائرات أن تدافع عن نفسها فى دورة طويلة المدى فى المحيط ؟ ومما له مغزى أن الاختيار قد وقع يومئذ على « هولسى » لتولى القيادة وكان نيمتز قد توسم فيه أنه قائد شديد المراس يمضى فى

القتال إذا واجهته صعاب مباغتة .

ولما استقر الرأى على غزو جزر سليمان فى صيف سنة ١٩٤٢ ، طلب نيمتز أن يعهد بالقيادة إلى الفيس أميرال روبرت غورملى ، ذلك الضابط الضخم الأصلع ، الذى يتعاقب على قسمات وجهه التبسم والتجهم . وهو من أذكى رجال البحرية ، ومن أقدر الخبراء فى فن الخطط الحربية . ثم هو فوق ذلك قد درس منطقة جزر سليمان وتوزيعها الجغرافى والمياه التى تحيط بها .

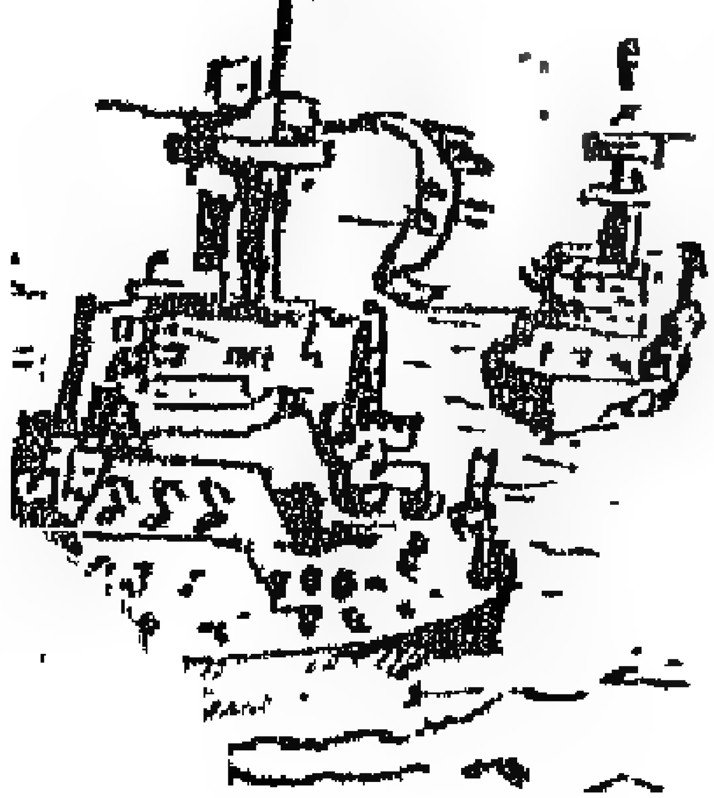
وهكذا تولى غورملى قيادة أول هجوم أمريكى على القوات اليابانية . وفى الليلة الثانية ، على مقربة من جزيرة سافو ، أغرقت حاملات الطربيد اليابانية أربعة طرادات ثقيلة وأعطبت خامسة ، وهلك بذلك قلب الحملة الأمريكية كله .

كان الرأى أن يتم النزول فى جزر سليمان فى الصباح ، فخرج نيمتز من باب مكتبه نحو ساحة الرماية ، وهدأ من أعصابه الثائرة بطريقته المعتادة ، وهى إطلاق النار على الهدف . وعندئذ ، جاءته الأنباء السارة الأولى ، فكف وعاد إلى عمله . ولما جاءته قصة كارثة جزيرة سافو مكث الأميرال طويلا متجهم الوجه ، وراح يرسل طلقاته نحو الهدف بأسرع ما يستطيع ، ثم دخل مكتبه ليملى أوامر جديدة .

ومن البيّن أن يكون أحد هذه الأوامر عزل « غورملى » ، فقد كان نيمتز على بعد ٧٠٠ ميل من مكان الكارثة ، وكان من العسير أن يعد مسئولا عنها مباشرة ، ولكنها حدثت فى زمن قيادته ، فتأثيرها خليق أن يشبه أمر كيمل وبيرل هاربور . ثم إن معركة جزر سليمان أصبحت لساعتها مسألة دفاع عنيد حاسم فى كفاح قوات متفوقة . فلم يكن ثمة سوى قائد واحد يصلح لهذه المهمة — وهو هولسى .

كان هولسى مريضاً ، فلما أبل من مرضه كان عليه أن يدرس المسألة ، فلم يستطع أن يتولى قيادة الحملة إلا فى منتصف أكتوبر ، وكانت الفترة التى انقضت قبل ذلك ، وهى شهران ونصف ، أحلك فترة فى الحرب لقيها نيمتز ، فكان عليه أن يواجه الأزمة الثانية ، حين كان مشاة البحرية لا يكادون يحتفظون بمواطىء أقدامهم على جزيرة وادى الكنار ، والأسطول تصيبه سهام النقد لأنه يخفى ما خسر ، وبعض التعيينات فى القيادة وفى هيئة الضباط موضع الشك والارتياب .

لم يتنبه أحد لأى تغيير فى مظهر الأميرال ، إلا أنه أصبح أكثر لطفاً ، وأشد تلطفاً مع مرءوسيه . ودعى الأميرال غورملى ليتولى رياسة القسم البحرى الرابع عشر ، كى يستعان



فى مقرّ القيادة بذهنه المتوقد فى الفن الاستراتيجى. والمعتاد أن توضع الخطط قبل أن تفتح المدافع فوهاتها بنحو ٨ أشهر، وهذا الوقت الطويل ضرورى لجمع المؤن وحشد السفن، وإجراء التجارب. فلما جاء يناير سنة ١٩٤٣، كان واضحاً أن اليابانيين قد يئسوا من جزيرة وادى الكنار فأسقطوها من حسابهم. أما فى الولايات المتحدة فإن برنامج فورستال لبناء السفن كلل بالنجاح، وأصبح فى حكم المؤكد ضمان الوسائل الميكانيكية الضرورية للقيام بأعمال الهجوم. ولكن أى طريق تسلكه قوات الهجوم؟

إن الرأى المأثور فى الفن الاستراتيجى الأمريكى هو الهجوم فى وسط المحيط الهادى، حيث يرجى أن يؤدى الهجوم إلى استدراج معظم الأسطول اليابانى إلى القتال. ولكن نيمتز اختار أن يشق طريقه بين جزر سليمان، على ما يقتضيه ذلك من معارك طويلة باهظة من أجل الاستيلاء على الشواطىء، ومعارك الطائرات نهاراً، ومعارك المدمرات ليلا. وليس هنالك أدنى شك فى أنه اختار الرأى السديد. فإنّ قوات الولايات المتحدة لم تكن تملك يومئذ من التفوق فى العدد ولا التدريب ما يسمح لها بالقيام بهجوم مستمر.

وقد وضع جانباً كبيراً من الخطة الفنية ضابط جديد عين لرياسة هيئة أركان الحرب فى ربيع سنة ١٩٤٣، وهو الأميرال تشارلز ﻫ. ما كموريس. وكان قد استقدم على عجل، ولم يكن إلا ربّاناً للبارجة «سان فرنسسكو» عند ما نشبت معركة «كيب إسبرانس (*)» سنة ١٩٤٢. ويمتاز ما كموريس بذاكرة عجيبة فيما يتعلق بحفظ الأرقام، أرقام الأطنان والتواريخ والمسافات. وفى أثناء محادثة قصيرة وجد فيه نيمتز قدرة مدهشة على تلمس طريقه خلال نسيج مشتبك من مثل هذه الأرقام، والوصول إلى إدراك شامل للموقف.

وكان لدى نيمتز منصب آخر لريموند سبروانس بطل معركة جزيرة ميدواى فى يونية سنة ١٩٤٢، وكان ذلك المنصب هو رياسة القوة الثامنة والخمسين التى غزت جزر ماريانا، وخاضت غمار المعركة الأولى فى بحر الفلبين. وقد علق أحد ضباط القيادة العامة تعليقاً يلقى ضوءاً على نيمتز وأساليبه، قال: «أجل، إن الأميرال يرى أن من الصواب إطلاق العنان لريموند الآن. فقد انتهى به إلى حيث يتشابهان فى التفكير وفى الكلام!».

(*) على مقربة من «كيب اسبرانس» فى يومى ١١ و ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٢ أغرقت قوة من بحرية الولايات أربعة طرادات وأربع مدمرات يابانية. ولم تخسر إلا مدمرة واحدة.

وفى هـذا الوقت كان العمل الذى بدأ فى آخر يوم من سنة ١٩٤١ قدتم ، فأعيد بنيان الأسطول . وقد كثر فى أثناء الحرب ذكر ما طرأ على أسطول الولايات المتحدة من تقدم فى الوسائل الفنية وزيادة فى السفن والرجال . ولكن الذى لا يفطن إليه الناس عامة هو التقدم المعنوى والحربى ، والفضل فيهما راجع إلى تشستر نيمتز ، كما أن اللوم كان لابدّ واقعاً عليه لو لم يكن ذلك التقدم .

ومن خلق رجال الأسطول : الحزم ، والثقة المطلقة بالنفس ، واتخاذ الرأى الفاصل العنيف . ولكن نيمتز يختلف عنهم فى لين طباعه واجتهاده فى إدراك حقائق الأسباب . وقد جعله اتصاله الدائم بأرجح العقول فى رجال الأسطول أقل تشبثاً فيما يرى ممن هم أصغر منه مرتبة .

وقد أتيح له كذلك أن يقارع أصحاب أرجح العقول من رجال الأعداء . ومن عادة الأميرال ، كما هى عادة رجل الحرب الحق ، أن يسبق حركة عدوه بأن يتصور نفسه فى مكانه ، ويقدر ما عساه أن يصنع ، مستعيناً بالأنباء التى تصله عن حركات العدو التى يراها المراقبون . وقد عاد هذا العمل بربح وفير فى معركة بحر المرجان (حيث دفعته الجرأة على أن يرسل جزءاً كبيراً من قوة البحرية الأمريكية التى كانت هزيلة إذ ذاك — إلى مكان بعيد عن قواعدها) وكذلك فى ميدواى (حيث كان يظن أن تكون الحركة التى قام بها العدو فى المحيط الهادى هى الخدعة ، وأن الحركة المتجهة إلى ألاسكا هى الهجوم الأصيل) .

ولكن اليابانيين ، وقد أخفقوا مرة بعد أخرى فى الضرب بقواتهم المتفوقة ، قد أصبحوا يتخبطون . ويقول نيمتز : « لست أدرى ماذا عسى أن أفعل لو كنت مكانهم ؟ ولكنى لم أكن لأفعل ما فعلوه » .

وكانت العاقبة أن أخذ يبذل جهده فى دراسة أسلوب تفكير اليابانيين . وهو يقرأ بسرعة فائقة ، ويستوعب فى الليلة كتاباً بسهولة . وقد راح حينئذ يقرأ كل ما تقع عليه يداه عن اليابانيين ، حتى وصل إلى بعض النتائج المدهشة مستعيناً بالأميرال ماكموريس . من ذلك أن القواد اليابانيين كانوا مكافئين أن يرسلوا التقارير بأنهم نجحوا فى أية مهمة يقومون بها ، وأن على رؤسائهم فى القيادة أن يصدقوا هـذه التقارير ولو جاءت تناقض المعقول . وعلى هذه النتائج بنيت الحركات الاستراتيجية التى بدأت فى سيبان ، وأدّت إلى موقعة بحر الفلبين الثانية ، فكانت المرة الوحيدة فى هـذه الحرب التى حاقت فيهـا الكارثة بأسطول بحرى كامل .

هذه هي طبائع البشر

بدت على حانوتيّ اشتهر بالمرح في بلد صغير بولاية أوريجون علامات الاكتئاب، فسأله صديق عن دخيلة أمره. فأسر إليه الحانوتي أنه لم يعد قادراً على تقدير ما سيكون له من عمل، وأضاف: «لقد كنت أقرأ الجريدة الأسبوعية وأقدر ما يمكن أن يكون من وفيات، ولكنني لا أستطيع اليوم أن أقدّر شيئاً. فقد قرأت ذات مرة أن فلاناً قد أثقله المرض، ثم لم ألبث أن قرأت أنه عوفي وبرأ كأحسن ما كان». ثم أضاف مسرعاً: «لا لأني آسف على شفاء إنسان، ولكن كل شيء أصبح مشكوكا فيه. أو تدري إلامَ أعزو ذلك — إلى عقاقير السلفا اللعينة».

[كاثلين د. سلفن]

كان والد له سبعة أطفال يفحص بطاقات التموين باحثاً عن قسيمة لشراء حذاء، وأخيراً وجد قسيمة في دفتر التموين الذي كان باسم طفله الصغير، وعمره ثلاثة أسابيع. وصاح وليام أكبر أولاده، وكان يراقب ما يفعله أبوه: «عجباً: أو حصلت على دفتر تموين ولم تمض أيام على الطفل الرضيع!». فأجابه والده: «طبعاً يا بنيّ».

فقال وليام: «تالله إنكما — أنت وأمي — لتأتيان «أي شيء!» للحصول على دفتر تموين. أليس كذلك؟».

[جوزيف سلنر]

في أحد أيام الشتاء أدهش والدي أفراد الأسرة بشراء تذكرة لحضور حفلات راقصة. وسألته أمي: «يا ويلتا! لماذا فعلت هذا وأنت تعلم أنك لن تذهب إلى هذه الحفلات؟». فأجابها والدي: «إني أعلم، ولكن أنْ يحبس المرء نفسه عن الذهاب إلى شيء، أكثر إمتاعاً من أن يبقى في منزله لغير شيء إلا البقاء».

[وير هولبروك]

دعاني منذ حين جراح شهير لأرى جراحة خطيرة كان على وشك أن يجريها، فلما أخذ يستعد للجراحة من غسل يديه وارتداء غطاء الرأس والمعطف والقفازات المصنوعة من المطاط — بدا واثقاً من نفسه ولكنه متوتر الأعصاب بعض التوتر.

فسألته: «أكل شيء معدّ؟»

فاجاب: «تقريباً» ثم سكت وأحنى رأسه لحظة ثم سار هادئاً ساكناً إلى غرفة الجراحة، ولم ترتعد يداه قط وهو يعمل.

وقلت له بعد فراغه : « لقد عجبت لما رأيتك وقفت تدعو قبل دخولك غرفة الجراحة ، وكنت أحسب أن الجراح لا يعتمد إلا على مهارته » .

فأجاب : « ليس الجراح إلا بشراً ، فلا يستطيع أن يأتى بالعجائب وحده ، وإنى على يقين أن العلم لم يكن ليصيب ما بلغه من تقدم لولا معونة شىء أقوى من الإنسان » ثم أردف قائلا : « إنى لأحس وأنا أجرى الجراحة أنى أقرب إلى الله ، حتى ما أدرى متى تبطل مهارتى ، فتبدأ معونته سبحانه وتعالى » . [كينيث روبرتس]

فى صيف مطير كان جارى « كلارنس » يعانى مشقة فى حرث حقل فى مزرعة له بأوكلاهوما . وأخيراً غاصت جراراته فى الطين حتى اضطر إلى الذهاب إلى مخزن المزرعة لإحضار رافعة وسلسلة ومجرفة . ورآه عابر طريق وهو يجهد فى إخراج الجرارة الثقيلة فقال له : « أهناك شىء يتعبك يا كلارنس ؟ » فأجابه كلارنس باسماً : « لا . . لا تعب ألبتة . ما من شىء يتعب إلا ما لا أستطيع أن أتغلب عليه » .

[جاى هارب]

كان رصيف السكة الحديدية فى إحدى المدن يزخر بالمجندين الجدد وأصدقائهم وأقاربهم الذين جاءوا يودعونهم . وكان لكل جندى من يودعه سوى جندى شاب وسيم أسود الشعر وقف وحيداً ، قد عاجله الحنين إلى الوطن ولما يغادره . فلما بدأ القطار يتحرك اندفعت إليه بنت جميلة وقبلته ، وسمعتها تقول له فى صوت خافت : « عند ما سافر شقيقى إلى الميدان فى السنة الماضية لم أتمكن من وداعه ، وقد قتل منذ ثلاثة أسابيع . ففى رعاية الله وحافظ على نفسك » . [ت . ف ولكرسن]

كان أحد محال بيع الكتب بنيويورك — وقد قل عدد عماله بسبب الحرب — يعج بالزبائن كل فى انتظار حاجته . وقرع جرس التلفون فى قسم المشتريات بالبريد وطلب المتكلم كتباً معينة فأجابه الكاتب : « أمهلنى دقيقة » ثم عاد يخبره أن جميع هذه الكتب موجودة وأن ثمنها ثمانية ريالات ونصف ، والدفع عند التسليم ، فبأى اسم وعنوان يرسلها .

فأجابه المتكلم : « لا حاجة إلى إرسالها ويكفى أن تحضرها إلىَّ خارج المحل ، فإنى فى كشك التلفون العمومى المقابل » .

[ا . ه . نايهاوس]

قضية القنصل القتيل

آنتونى أبوت

قصة حقيقية مبنية على وقائع منتزعة من كتاب « الأطباء أبناء مايو » ، تأليف هيبت كلابساتل .

يرتكب رجل جريمة قتل ويشعل ناراً — وتكون عقبى هذه الجريمة أن يتخاص شعبٌ من آلامه وأوجاعه .

أعنى بذلك حريقاً مشهوراً اندلعت نيرانه فى منتصف الليل ، منذ سنوات مضت ، فى السفارة الألمانية بمدينة سنتياجو فى شيلى . فلم يكد يعرف هول هذا الحريق إلا فى اليوم التالى ، وذلك حين عثر البوليس على الآثار فى المدفأة ، فأقبل رجال المباحث والأطباء الشرعيون يفحصونها ، ثم استدعوا السفير الألمانى ، فجعل يجيل طرفه فى الغرفة وقد امتقع لونه من الغيظ ، فلم يكن كالحريق المعتاد ، فقد كان حريقاً عمداً وجريمة قتل ، وقد تبين من الجمجمة المحترقة والعظام التى فى المدفأة أن الرأس حطم بآلة غليظة ، قبل أن يحرق الجسد .

صاح السفير الألمانى : « لقد اغتال قنصلنا المسكين مجرم ، وحرق جسده فى مدفأته هو ، ولعله أيضاً قد سُرق ، افتحوا الخزانة ! » .

كان السفير على حق ، فقد سلب من الخزانة مالٌ جزيلٌ وبعض الأوراق المالية .

ويومئذ ثارت ثائرة الحكومة الألمانية ، وبذل وزير خارجية شيلى ، ما فى وسعه ليخفف من غلوائها . وقال للسفير الألمانى : « إن بواب العمارة قد اختفى ، ولابد أن يكون هو الذى قتل قنصلكم وسرق أموالكم ولاذ بالفرار ، ولكن رجال شرطتنا سيقبضون عليه وتتمُّ كلمة العدالة ، وسندفع لكم تعويضاً » .

وظلت الحكومة الألمانية ترسل صيحات الغضب وتهدد بإعلان الحرب إذا لم يقبض على البواب الهارب على الفور ويساق إلى المشنقة ، وخلال ذلك أعلن رئيس جمهورية شيلى نعيه للفقيد الألمانى ، أما نظام جنازته التى تكفلت شيلى بتشييعها قبل إرسال جثمانه إلى ألمانيا على بارجة حربية ، فكانت ضرباً من التذلل لم يعرف له مثيل .

ظلت سلطات البوليس وحدها ساكنة هادئة ، وأخذت تستقصى تفاصيل الحادث فاستدعت الدكتور جيرمان فالنزويلا الأستاذ فى الطب الشرعى بكلية الطب ، فتبين اضطراباً غريباً فى التقرير عن الحادث ، فقد ورد فيه أن القتيل كان فى نهاية العقد الخامس من عمره ، ومع ذلك فالجمجمة التى أمامه كاملة الأسنان ، فغادر المعمل وأسرع إلى دار أرملة القنصل .

قال لها : « هل عالج زوجك أسنانه ياسيدتى علاجاً كثيراً ؟ »

قالت : « بالطبع » .

« أرجو أن أعرف اسم طبيب أسنانه »

وما هو إلا أن كان الدكتور فالنزويلا يحادث طبيب القنصل ، ونظر كلاهما فى البطاقات والسجلات فتبين أن القنصل كان قد عالج كثيراً من أسنانه ، غير أن الجمجمة التى كانت فى المدفأة لم يكن قد خلع من أسنانها سوى ضرس واحد .

وأسرع الدكتور فالنزويلا إلى منزل البواب ، فلوحت زوجته بيديها فى وجهه محتدة وهى تصرخ : « إن زوجى لم يؤذ أحداً قط ، ولم يحرق بيتاً قط ، ولم يسرق قط ، ولم يقتل أبداً ، لا لم يفعل زوجى من ذلك شيئاً ألبتة » .

هدأ الدكتور من روعها ، فهو لا يريد سوى أن يسأل عن أسنان زوجها . نعم ، لقد كانت أسنانه نظيفة متينة جميلة ، وكانت هى أسنانه ، ولم يخلع فى حياته سوى ضرس واحد .

ومضى الدكتور فالنزويلا من فوره إلى رئيس المباحث ، وكانت العاقبة أن ألغى أمر القبض على البواب ، فقد عرفوا الآن أن البواب لم يكن هو القاتل بل كان القتيل ، وصدر الأمر بالقبض على القنصل الألمانى الهارب ، فقد اتضح أنه قتل البواب ، ثم ألقاه فى المدفأة ، ثم اختلس الأموال من الخزانة وأشعل النار ، ثم مضى وهو يُعدُّ فى الأموات ، يتمتع بالحياة وفى حقيبته ثروة وافرة .

وظل تدبير جريمته يبدو إلى حين ناجحاً كل النجاح ، فقد بلغ المجرم الهارب حدود شيلى الجنوبية ، وكاد يفلت إلى الأرجنتين ، لولا انهيار تل عاق سير القطار ، وقبل أن ترفع الأنقاض كبل القنصل بالأغلال ثم شنق بعد ذلك .

استردت حكومة شيلى اعتذارها وألغت نظام الجنازة ، ثم اعتذرت لها الحكومة الألمانية وقدمت لها مبلغاً باهظاً تعويضاً ، ولما تسلمت الحكومة هذا التعويض أرسل رئيس الجمهورية إلى الدكتور فالنزويلا طالباً منه أن يحدد بنفسه المكافأة التى ستمنحها له حكومة بلاده المعترفة بجميله .

أغمض الدكتور فالنزويلا عينيه كأنما كان يصغى إلى صرخات الألم والعذاب الذى يعانيه شعبه ، هذا الشعب الفقير الذى لا يملك أسباب العلاج ، ولا يجد عدداً كافياً من أطباء الأسنان . فلم يطلب شيئاً إلا ما يكفى من المال لبناء كلية طب الأسنان وتجهيزها ، وهى اليوم قائمة هناك ، ثمرة غريبة من ثمرات الخير أنبتتها جريمة مستبشعة ، وأثر خالد لمروءة طبيب .

السير توماس بيتشام وأساليبه العجيبة

شريف انجليزى ديمقراطى يزاول أعظم مهن العالم ديكتاتورية



* * *

ونثروب سارجنت

ملخصة عن مجلة "لايف"

إذا استثنينا جاويشية الجيش ومدربى الحيوانات، فإن مديرى فرق الموسيقى « السمفونية » هم على الأرجح أشد الناس استبداداً وقسوة فى الأمم المتحضرة اليوم . ولا يعلل ذلك بأن مديرى هذه الفرق مفطورون على سرعة الغضب ، بل لأنهم يخالطون الموسيقيين الذين ينزعون إلى العبث والشذوذ كالقرود الذكية .

ولا آخر للوسائل التى تستطيع بها فرقة أن تعذب مديرها ، ففى وسع الزامر الذى أتقن آلته (الترومبون) أن يقذفه بكرات من الورق بدقة بالغة من خلال الموضع الملتوى فى آلته ، ووجهه البرىء إلى الناحية الأخرى . وإذا وضعت قطعة صغيرة من النقود فى أحد الثقوب فى كمان رئيس الفرقة أحدثت صوتاً غريباً كالمواء .

ومن الوسائل المسلية لتعذيب المدير أن يوقع العازف نغمات مغلوطة ليرى متى يفطن المدير إلى ذلك ، وقد لا يفطن المدير إلى الغلط أبداً . وقد حدث فى إحدى فرق السمفونيات الراقية بالولايات المتحدة أن دس عازف الكمان الكبير فقرة من نشيد وطنى فى سمفونية برامز ودأب على ذلك عدة مواسم متتالية ، ولم يفطن المدير قط إلى هذا الدس . ويعد العازف هذه الخدعة من أعظم ما وفق إليه فى حياته الفنية .

ومن هذا يتضح لماذا يفترض معظم كبار المديرين من بداية الأمر أن الموسيقيين فى فرقهم مجرمون على الأرجح . ولابد للمدير من أن تكون له اليد العليا وأن يحتفظ بسيطرته . وتختلف وسائل المديرين إلى هذه الغاية باختلافهم، فتوسكانينى

مثلا له قدرة دقيقة جداً على معرفة ما يصنع كل فرد ، وفى وسعه أن يشعر بالحافز إلى العبث قبل أن يحدث تقريباً . وستوكوفسكى يخضع فرقته بنظرة فيها تسام وعظمة ، وفريتز رينر يصك جباه رجاله بوابل من الجمد اللفظى لا رفق فيه ، وسرج كوسيفتسكى يصرخ من الألم لأيسر شبهة تهاون .

ولعل أغرب وسيلة وأشدها انحرافاً عن المألوف هى التى يجرى عليها السير توماس بيتشام مؤسس فرقة الفيلهارمونك اللندنية ومديرها ، الذى كثيراً ما يتولى إدارة الفرق فى الولايات المتحدة وهو رجل له أبهة وسمت وعليه جلال يكسبه شخصية ملحوظة فى أى مجال فى الحياة . وهو يبدو كأنه اعتاد القيادة والأمر ، حتى إن المحاولات الصغرى للعبث لا تكون فى حضرته إلا غثة سخيفة . وهو لاطمئنانه إلى ما اعتاد من السيطرة ، يسعه أن يلين دون أن يخشى أن يفقد سلطانه ، وهو يستطيع أن يمزح ، وأن يستشير رجاله ، وأن يمثل طاحونة هواء ، وأن يمضغ طرف عصاه ، وأن يعترف فى صراحة أنه لا يحفظ الصوت — ومع ذلك يحتفظ بجو من الوقار والاحتشام . ويروى أن برنارد شو قال : « إن بيتشام هو المدير المدرك الوحيد الذى قابلت » وهو على كل حال ذو موهبة يستطيع بفضلها أن يعامل رجاله معاملة الزملاء الراشدين ، وهذا فيما يحس عازفو السمفونيات سلوك لا عهد لهم به يتركهم مضطربين .

ويذهب كثيرون من رجال الفرق الموسيقية أن بيتشام لا يقوم فى الحقيقة بمهمة الإدارة على الإطلاق ، فإشارات كوسيفتسكى المصقولة بعناية ، وأسلوب توسكانينى الدقيق فى إيماءاته بعصاه — أشياء يستغنى عنها بيتشام . وهو فى الواقع ليس له فن ّما فى استعمال عصاه ، فترى شخصه الجليل المجتمع يثب وينحنى كأنه مراهن مهتاج الأعصاب يوشك جواده أن يفوز ، ويندفع كالمبارز ، ويُومى كأنما يهم بمصارعة النافخ فى الناى . وإذا أشار إلى الضاربين على الآلات النحاسية ليدخلوا دخولا قويا ، قام بمثل حركات قاذف الكرة ، وكثيراً ما يدع عصاه تقع من فرط اهتياجه ، بل قد يقع هو عن المنصة . وقد قال مرة بعد حادثة من هذا القبيل : « إن المنصات مجعولة خصيصاً كجزء من مؤامرة للتخلص من المديرين » . وحدث مرة فى حفلة موسيقية بقاعة كارنيجى أن بلغ من اهتياجه الفنى أن انقطعت حمالة سراويله فاضطر أن يغادر المسرح وهو ممسك بأطراف السراويل .

والعجيب من أمر هذه الحركات الرياضية

هو أن الموسيقى التى يديرها السير توماس تخرج دقيقة مصقولة الحواشى بارعة . وما من مدير آخر مشهور من معاصريه — حتى ولا توسكانيني — يستطيع أن يباريه فى إكساب الموسيقى تلك الرقة ، مع القوة التى تفيضها حركاته العنيفة على سمفونية لموزارت أو هيدن .

وترجع وثاقة الحال العجيبة التى يتمتع بها بيتشام من بعض الوجوه إلى أنه من الوجهة المالية مستقل تمام الاستقلال ، فإنه من أغنى الإنجليز ، ذلك أن الثروة التى تبلغ ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال والتى جمعها آباؤه من اختراع أشهر مسهل فى إنجلترا وبيعه — حبوب بيتشام — قد مكنت السير توماس من أن يشترى فرقاً لموسيقى السمفونيات، ودوراً للأوبرا ، كما يمكن أن يشترى غيره من أصحاب الملايين إسطبلات لخيل السباق . ولعله المدير الوحيد فى العالم الذى يتولى الإدارة لما يفيده من المتعة — وهى متعة لا تشوبها أو تعكر صفوها أية شائبة من القلق ، من جراء ما عسى أن يكون رأى النقاد أو المستمعين أو مجالس الإدارة فيه .

وثم عامل آخر هو بلا شك ظرفه والاتزان العظيم الذى يمتاز به عقله الذى يطيب له أن يتحدى تقاليد الأبهة الجوفاء التى كثيراً ما تحيط بمهنة المديرين ، ولكن لعل أهم عامل هو أنه حجة فى فن الموسيقى ، ذلك أنه على الرغم من مخرقته عالم بالموسيقى وفنان راسخ القدم .

ولما كان السير توماس صغيراً كانت دار آل بيتشام قرب ليفربول ملتقى لمشهورى الموسيقيين من جميع أصقاع أوربا . وبينما كان توماس فى صباه يدرس البيانو والتلحين الموسيقى ، أحاط علماً بتقاليد الموسيقيين وأحوالهم النفسانية .

ولما بلغ العشرين نظم فرقته الأولى لموسيقى السمفونيات ، وكان هذا المشروع قصير العمر ، ولكن السير توماس لم ييأس . وبعد ذلك بقليل اتخذ مقعده بين صفوف الموسيقيين فى فرقة بريطانية صغيرة للأوبرا التماساً لوظيفة عازف مرافق لمغن ، وكان أحد المغنين قد نسى اللحن ، فعرض السير توماس خدمته فقال له رئيس الفرقة : « ولكن أمدرك أنت ما عليك ؟ سيكون عليك أن تعزف من الذاكرة وحدها » فقال السير توماس : « أعرف هذا على التحقيق » . ولم يقتصر السير توماس على مرافقة المغنى فى نغماته بالعزف ، بل راح يتابع ويرافق مغنين آخرين متتالين فى عدة روايات ، بلا خطأ ومن الذاكرة ، فعينه رئيس الفرقة مديراً لا عازفاً مرافقاً .

وهو اليوم من الثقة بعلمه بحيث يندر أن يكلف نفسه عناء الدرس والمراجعة ، وهو ما يعده معظم المديرين ضرورياً . وقد عرف عنه في مسرح « كوفنت جاردن » أنه لا يحضر إلى مكان الفرقة إلا في الدقيقة الأخيرة قبل الابتداء ، فيتناول عصاه ويقول لعازف الكمان الأول: « قل لي يا صاحبي : أي أوبرا سنعزفها الليلة ؟ » .

وقد زار بيتشام الولايات المتحدة مرات عديدة، وصار فيها من أحب مديري الفرق الموسيقية وفرق الأوبرا . ولا يزال وهو في الخامسة والستين في ذروة مجده .

وقد نال السير توماس رتبة الفروسية على أثر خدمات أداها للإمبراطورية البريطانية كسفير ثقافي في إيطاليا في الحرب العالمية الأولى ، ولا يزال قادراً على التحدث بعمق وظرف وفكاهة في أي وجه من وجوه السياسة الدولية أو فلسفة الحكومات ، وقد تعمق في درس روايات عصر الملكة اليصابات، وعلى الخصوص روايات بومونت وفلتشر وهو يضع الآن فيها كتاباً .

ومع أنه ينظر إلى الحياة نظرة الرجل الذي يعيش في عزلة عقلية يستمتع بها ، إلا أن هناك موضوعين يتلهب من جرائهما حنقه : موسيقى الراديو وموسيقى السينما . وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً فيما يتعلق بموسيقى الراديو أنها « لن تستطيع أن تبلغ الكمال الصوتي الذي يجده المرء في العزف الحقيقي ، لأنها تضطر إلى المرور بمفاتيح وروافع وآلات كهربائية يديرها رجال كلهم تقريباً ميكانيكيون لا فنيون » .

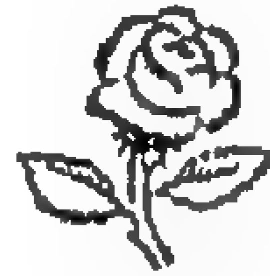
والثانية هي موضع بغضه الخاص ، وقد راح مرة يزأر في حديث ويقول: « لو كنت رئيساً لجمهورية هذه البلاد لكان أول ما أصنع هو أن ألغي الموسيقى والكلام من السينما . إن الأشرطة السينمائية جنون محض في مستشفى مجانين . والآن وقد انقضى عهد الأشرطة الصامتة ، فلست تستطيع أن تذهب إلى مكان ما ، ولا تسمع شيئاً » .

والطريقة التي يعالج بها بيتشام مصاعب التدريب هي طريقة زميل فنان متطامن يطلب المعونة على حل مسألة متعبة . وهو أحد المديرين القليلين الذين يدركون أن الفرقة هي التي تقوم بالعزف . فإذا وقف ليصحح فقرة مغلوطة ، تدبر الأمر في صراحة، فيقول شاكياً ويرفع أحد حاجبيه: « ما من أحد يعزف شيئاً كهذا الذي هو عندي . وأعتقد أن نغمة ج العالية في البوق (وينظر إلى الزامر) أعلى مما يجب ، وليس الذنب في هذا لك » ثم يعيد الفقرة ويبتسم راضياً عن التحسن .

وقلما ينفجر غضبه ، فإذا حدث ذلك

راح يمشي جيئة وذهاباً ولحيته مدفونة فى صدره ، وهو يزأر كالأسد ، وأحياناً يتخذ غضبه صـورة أهدأ وأبرد ، فيكون أدعى إلى اضطراب المسيء ، فيقول له بأدب كالصقيع : « إننا لا نستطيع أن ننتظر منك أن تتابعنا طول الوقت ، ولـكن إذا سمحت بأن تـكون على اتصال بنا أحياناً . . » .

ولو كانت شخصية بيتشام أقل جلالا ، لـكانت قلة تكلفه خليقة أن تقضى على مكانته ، فأما والحال على خلاف ذلك فإن تبسطه يدع رجاله مضطربين . والواقع أن الموسيقىّ من الأوساط لا يشعر أن العزف كان عظيما إلا إذا نُخس ووخز وأرعب إلى حد يفقده أعصـابه وهو يعمل . وقد حدث مرة بعد أن قامت فرقة بيتشام بعزف جميل جدا فى قاعة كارنيجى أن أقبل ناقد على أحد عازفى الـكمان وقال له : « لقد كان عزفاً بديعاً » فـكان جواب العـازف : « لا تـكن أبله . إن هـذا الرجل بيتشام خدعة كبيرة ، وهو لا يسـتطيع الإدارة على الإطلاق ، ويتصرف كأنما موسـيقى السمفونيات ليست إلا لهواً » .



ما بين القطبين !

نشرت مجلة بريطانية منذ عهد قريب القصـة التالية : بعيد الاستيلاء على مدينة آخن ، أراد ضباط المخابرات العسكرية من الحلفاء أن يستطلعوا الرأى العام فى المدينة . فسألوا ، الرجل بعد الرجل عن آرائه السياسـية ، فإذا هم جميعاً مناهضون لهتلر ، ولـكن خوف الجستابو ختم على أفواههم . وأخيراً قال ضابط لأحد هؤلاء الذين يزعمون أنهم أعداء هتلر : « إن آراءكم يا أهل آخن تبعث على الرضى ، فقد كنا نظنـكم جميعاً من مؤيدى هتلر » .

وإذا الرجل يجيب متحمساً : « إننا نبغض هتلر . وكل ما يقال على نقيض هـذا ، إنما هو دعاية قذرة من دعايات الدمقراطية اليهودية الشيوعية الرأسمالية المنحلة » .

[ادوين لاهى فى صحيفة « شيكاغو ديلى نيوز »]

قهر أفظع عدو في المحيط الهادى

المرض

فردريك س. باينتون
المراسل الحربي في المحيط الهادى

أعمال طبية باهرة قام بها أطباء الجيش والأسطول فى مكافحة الأمراض الفتاكة فى المناطق الحارة، والتى كانت قد فعلت بالجنود أكثر مما فعلت نيران الأعداء

ملخصة عن
"ذى أميريكان ليجيون مجازين"

هذه القصة فى جزيرة وادى الكنار، وكانت معركة مفظعة ربما انتهت بهزيمة، لا أمام اليابانيين، ولكن أمام الحشرات والهوام الناقلة للأمراض.

عند ما بدأت الحرب فى الأدغال الرطبة بجزائر سليمان، كنا نعرف كثيراً عن مهالك أمراض المناطق الحارة، ولكنه لم يكن وافياً. فثارت بنا الحشرات، وتكدس المرضى فى المستشفيات، فجاءت الملاريا وحمى الدنج والدوسنطاريا، فأعجزت الجنود عن القتال، كأنْ قد أصابهم رصاص اليابانيين سواء بسواء. وكان الجند يصابون أحياناً بداء الفيل، وهو أحد الأمراض التى ينقلها البعوض، ويورث أوراماً تنتفخ لها أرجل المرضى حتى تصير كأعمدة التلفون. وأخذ الجنود والمشاة البحرية الذين يحاربون بين حشائش «الكوناى» الطويلة فى جزر بريطانيا الجديدة وغينية الجديدة يصابون بحمي التيفوس المتوطن، أو ما يسمى بتيفوس الأعشاب، وهى حمى من أخطر أمراض المناطق الحارة.

زرت حديثاً معسكراً من معسكرات المحيط الهادى فقرأت على لوحة معلقة هذا النص الصريح: «صرع المرض فى جزيرة وادى الكنار عشرة جنود، فى مقابل كل جندى جرحه اليابانيون». وإنه لتقدير صحيح لما حدث هناك.

وقد اتخذت قوات الولايات المتحدة كل حيطة ممكنة، فوضعوا الشباك على النوافذ وطهروا المراحيض، وحرقوا القمامة، وحرص الجند ما استطاعوا على أن يشربوا من مزاداتهم، وعقموا الماء فى مطاعمهم كي يأمنوا الأميبا المخيفة التى تورث الدوسنطاريا الأميبية. ولكن الماء النقى كان ينفد من الجند المحاربين فى الغابات، فيردون الماء حيثما اتفق يطفئون به أوار الظمأ القاتل المستعر، ولا يسعهم وهم يقاتلون أن يدخلوا كِنّاً ليأكلوا، فترى الذباب يدب على طعامهم.

وفى جزيرة طـراوة ازدادت الأمور سوءاً ، فقد توارت بأعشاب الغاب مئات من جثث القتلى اليابانيين، فتكاثرت ملايين الذباب على هـذه الجثث المنتنة ، وطفقت إصابات الدوسنطاريا تزداد .

ولم تكن ثمة كفاية من المادة العجيبة د . د . ت . مبيدة الحشرات حتى يطهر الميدان فتذكر طبيب من أطباء المشاة البحريين مركباً يسـمى « بينايت » هو زرنيخور الصوديوم . والتجأ إلى س . إ . يمبرتون المتخصص الأول فى الحشرات لجمعية زراع قصب السكر فى هوائى ، وهو رجل سلخ عشرين سنة فى دراسـة حشرات المناطق الحارة ، فسـأله : « هل يقتل البينايت يرقات البعوض والذباب ؟ »

فأجابه يمبرتون : « أجل . ويقتل الكبير من الذباب والبعوض أيضاً إذا بقى نديًّا . وهو صالح على كل حال ، وإن لم يكن أثره يدوم دوام د . د . ت » .

وحين غزت قوات الولايات المتحـدة جزيرة بليليو فى سبتمبر الماضى نزلت على الشاطئ قوتان فى وقت واحد — إحداهما من الجند والبحارة للقضـاء على اليابانيين ، والأخرى من الفرق الصـحية للقضاء على الهوامّ . وضمت كل فرقة منهـا ١٥ رجلا يحمل كل منهم رشاشة مملوءة بالبينايت. وقد أهلك منهم رصاص رماة اليابانيين وقذائفهم من أهلك ، ولكنهم بلغوا ما خرجوا له ، فأخذوا فى رش السـائل أمامهم مبتدئين بالسـاحل متجهين إلى الداخل ، فوق منشآت اليابانيين الحربية ، ومراحيضهم ، ومستودعات طعامهم ، وأكواخ الأهالى . وتبعتهم فى النزول إلى الشاطئ الرشاشات الآليـة ترش المستنقعات والقرى وخيـام الجنـود ، وقامت طائرات مجهزة تجهيزاً خاصا برش سـائل د . د . ت فى بعض الأماكن .

قال لى أحـد الأطباء : « لقـد كانت النتائج باهرة ، ولعـله الحادث الأول من نوعه فى تاريخ الغزوات الحربية فى المناطق الحارة — أن يكون عـدد ضحايا البعوض والذباب أتفه من أن يذكر » .

لقد كانت حمى الدنج مثلا تتوطن جزيرة أنجور ، وكان كثير من السكان مصابين بنوع خفيف منها ، ولكن بعـد ثلاثين يوما لم تعرف إصابة واحـدة فى القوات الأمريكية . وفى إحدى فرق الجيش لم يحدث أكثر من سبع إصابات بالملاريا ، وربمـا كانت إصاباتهم قبـل الغزو . وفى عنفوان المعركة نسى بعض البحارة أن يتعاطوا أقراص الأتبرين ، فظهرت بينهم ٧٢ نكسة بالملاريا، ولم يرحل منهم عن الميدان غير أربعة .

وصادفت قوات الولايات المتحدة فى سيبان سحباً كثيفة من الذباب ، فقد أصدر اليابانيون قانوناً يحرم قتل الذباب(١) وكان فى وسع المرء إذا لوّح بيده أن يقبض على مئة منها ، وكان الذباب يدبّ فى المناخر والعيون ، وكان أكثف ما يكون حول المطابخ والمراحيض.

وشحنت أطنان من محلول مسحوق د . د . ت فى طائرات النقل لمكافحة هذا الوباء . وكان قواد هذه الطائرات يحملون أرواحهم على أكفهم ، وهم يحلقون فوق الأشجار ، حتى يكادوا يمسون عذباتها ، ويغطون الجزيرة تغطية بهذا القاتل للحشرات . واليوم لا يوجد فى سيبان من الذباب أو البعوض ما تجده فى صقع مثله من أصقاع الولايات المتحدة . أما حمى الدنج التى كانت تستوطن الجزيرة يوما ما فقد استؤصلت شأفتها ، ولم تعد ثمة ملاريا ولا دوسنطاريا .

كان أعدى أعدائنا هناك برقات القُراد التى تعدى عضتها بذلك التيفوس الخطر المسمى بتيفوس الأعشاب ، فإن الحقول المترامية المكسوة بأعشاب « الكوناى » والتى يبلغ ارتفاعها ٢٠ قدما فى غينة الجديدة وبريطانيا الجديدة والجزر المجاورة ، تهيئ مسارب محجوبة للجرذان التى يبدو أنها عائل هذا القراد المميت . وقد عرفت الإصابة الأولى بالمرض فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ وبلغت الإصابات فى بضعة أسابيع ٢٣٠ مات منهم ٢٢ ، وأصيب كثير من الناقهين بخلل مستديم فى القلب أعجزهم عن الخدمة العسكرية . ولقد كان الفضل فى تقليل معدل الوفيات للتمريض الدقيق دون سواه . ففى بورما حيث واجهت عصابات « مريل » هذا المرض فى جوف الأدغال دون أن تكفل لها الرعاية الطبية الوافية ، كان معدل الوفيات أكبر من ذلك بكثير ، وكان المرض يدعى على سبيل التهكم « بالسلاح السرى لليابان ! ».

وفرض على هذه المنطقة كلها نظام دقيق للوقاية ، فأبيدت الحشائش والأعشاب ، وأحرقت أنقاض المعسكرات ثم رشت بمبيدات الحشرات ، وحذر الجند أن يجلسوا أو يرقدوا على الثرى ، وغمست الكسى كلها — أحذية وجوارب وأردية — فى محلول د . د . ت ، وللخلاص من الجرذان نصبت المصايد وفيها طعم غير سامّ ، وتظل كذلك ستة أيام حتى يتعود الجرذان أن تأتيها بحثاً عن طعامها . وفى اليوم السابع يضاف السم

(١) لكى يحمى اليابانيون محصول قصب السكر من حشرة تفتك به استوردوا ذبابة أخرى تعد عدواً طبيعياً لهذه الحشرة الفاتكة ، ثم فرضوا غرامة على قتل أية ذبابة منها حتى يمهدوا لها سبيل الحياة .

إلى الطعم ، فتموت الجرذان بالألوف ، وبذلك زال خطر تيفوس القراد .

كانت أكواخ القرى المسقوفة بالبوص، والتى ينقصها أبسط الوسائل الصحية، مباءات للعــدوى . وكان الأهالى أنفسهم يعانون الدنج والملاريا والفرمبيزيا (بثور توتيــة الشكل) وأمراض الجلد والدرن والطفيليات المعوية ، فما مضى ثلاثون يوما على غزو إحدى جزر ماريانا، وعدد سكانها ١٧٠٠٠ حتى عولجوا بأكثر من ٤٢٫٠٠٠ علاج ما بين طبي وجراحى ، وبلغت وفيات سوء التغذية والدوسنطاريا فى هذه المدة ٥٠٨ .

طهرت السلطات الحربيــة والبحرية القرى والمراحيض والمجارى ، وعالجت الرشاشات الآليــة كل المياه الراكدة ، واستخدمت النساء الوطنيات لجمع جذور التارو وقطع خضر الكانكونج لتضيفها إلى ما وزع على الأهالى من جرايات الجنود الأمريكيين . وفى ديسمبر سـنة ١٩٤٤ ، أى بعد ٩٠ يوما لا غير ، هبط عدد مرات العلاج الطبي والجراحى إلى ٩٤٠٠ ومات ٥٠ فقط ، فإذا ما زال أثر سوء التغذية والأمراض المزمنة انخفضت مرات العلاج إلى بضع مئات .

أما فى جزر مارشال فقــد كان ٩٠ فى المئة من السكان يعانون الفرمبيزيا ، وهو تحــدث قروحا قبيحة ، وأوراما مؤلمة فى المفاصل ، ويوهن قدرة الأهالى على العمل ، فاستطاعت حقن الأرسفينامين (٩١٤) أن تقضى على هذا المرض فى هذه الجزر . وفى شهر يناير من هذا العــام لم يعالج منه أكثر من شخص واحد من الأهالى .

وتتولى السلطات الحربيــة اليوم تعليم الأهالى الأنظمة الصحية ، ويدرب النساء على التمريض أو المساعدة فيــه ، ونظمت الوسائل لرعاية الأطفال .

وقد استطاعت هــذه العناية الطبية أن تزعزع دعاية اليابانيين بين الأهالى أن الأمريكيين قتلة وشياطين . فلما استولت القوات الأمريكية على قوات جزيرة بليليو وجدت الأهالى مختبئين فى الـكهوف التى فروا إليهــا مذعورين ، وكانوا مصابين بالأمراض الجلدية وسوء التغذية والطفيليات المعوية ، وكانوا فى حالة يرثى لها . فلمــا أغروا بالخروج من مخابئهم والخضوع للعناية الطبية ، برأوا ولم يحتج إلى رعاية المستشفيات إلا ثلاثة منهم فى ديسمبر المـاضى . واجتمع زعماء قبــائل الشامورو فوقعوا على رَقّ سجلوا فيه شكرهم لمـا أسدى لهم من معونة ، وهم يبذلون قصارى جهــدهم للأمريكيين اليوم اعترافا بالجميل .

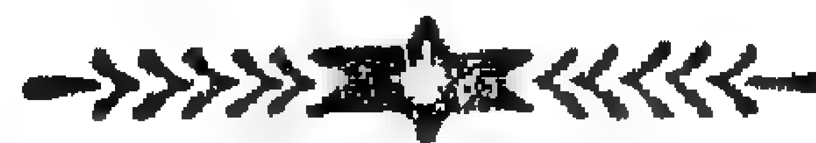
وليس معنى هذا أنه لم يعد هناك إصابات

من الملاريا والدنج والدوسنطاريا ، فهناك مرض جلدى يشبه القراع الإنجليزى ينشأ من غزارة العرق وقلة ما يتاح من فرص الاستحمام . ولكن أمراض المناطق الحارة لم يعد لها من الخطر ما كان ، ولم تعد ثمة أوبئة توهن قوى الألوف . ويمكن أن نقول مطمئنين — كما قال لى طبيب بحرى — إن الخسائر الناشئة من البعوض والذباب قد هبطت إلى جزء من ٢٥ مما كانت عليه فى سنة ١٩٤٢ .

على أن اليقظة الدائمة يجب أن تظل قائمة لتحمى الشعب الأمريكى على الأقل من أمراض لا تتيح له بيئته حصانة منها . ففى كل يوم تطير عشرات من طائرات المستشفى من جزر ليتى وسيبان وأمثالها تحمل الجرحى من الجنود إلى الولايات المتحدة ، وربما كان فى إحدى هذه الطائرات حشرة واحدة قادرة على نقل مرض قد ينتشر أسرع انتشار .

ومن أجل ذلك تقوم الفرق الصحية بتطهير الطائرات حين قيامها وفى محطات على الطريق . وثمة مصايد موضوعة فى كل المطارات لصيد كل نوع من أنواع حشرات المناطق الحارة ، وتفتش الطائرات التى تصل إلى هنولولو بعناية ، ثم توضع كل حشرة توجد فيها فى ظرف ، وترسل هذه الظروف إلى س . ا . يمبرتون فى معمل جمعية زراع قصب السكر ، حيث تقارن بمجموعة من الحشرات المعروفة المصنفة يبلغ عددها ٢٠٠,٠٠٠ ، وبعد تمييزها يفحص عن قدرتها على نقل الأمراض . وإلى اليوم لم يستطع أن يفلت من هذه المخافر مرض جديد .

إن الخبرة التى اكتسبها الخبراء الأمريكيون الطبيون فى المحيط الهادى ستكون لها قيمة فى السلم لا تقدر ، وستوقى حاميات الجزر يومئذ أمراضاً كانت تسم هذه الجزر يوما ما باسم « مقبرة الرجل الأبيض » ، وسيصبح السائحون والتجار فى أمن من الأمراض ، كأنهم فى الولايات المتحدة . ويومئذ تكون الحشرات قد غلبت على أمرها



قالت أرلين فرنسيس فى إذاعة إنها سألت أحد المجندين : « ماذا كنت قبل أن تجند ؟ » فجاءها الرد السريع : « على خير حال » .



هذه قصة نجاح باهر تبعث النشوة فى النفس

فى زمن الحرب

رالف ولاس

ملخصة عن مجلة "فيوتشر"

لست تجد بين القصص العجيبة الحافلة بآيات البراعة والتحقيق التى أثرت عن العلم فى أمريكا ، قصة أعجب من قصة والدو . ل . سيمون ، فى مدينة أكرون بولاية أوهيو . ففى العقد الثالث من هذا القرن ، كان سيمون ينفق على زوجته من مرتب لا يزيد على خمسين ريالا فى الشهر ، يكسبها من التعليم بعض الوقت ، على حين يتابع دراسته العلمية العالية ليظفر بدرجة الدكتوراه . ولكنه اليوم ، وقد بلغ السادسة والأربعين ، يعد عالماً من أعظم علماء الكيمياء الصناعية فى العالم .

وإنّ ما أسداه سيمون إلى برنامج إنتاج المطاط فى أمريكا خلال الحرب ، أعظم مما أسداه أى عالم آخر . فمن مخترعاته مادة مركبة بالتأليف الكيميائى لا تأتلف مع المواد الأخرى ، ولا تشتعل ، وتدعى « كوروسيل » وقد مكنت المهندسين الأمريكيين أن يهوّنوا من خطر النار ، وأن يخففوا وزن كل سفينة وكل طائرة حربية . والمئات من دبابات الولايات المتحدة مدينة بسيور عجلاتها المتنوعة من المطاط وزيادة سرعتها ، إلى الأسلوب الذى ابتكره سيمون لربط المطاط بالمعدن . وأهمّ من ذلك شأناً أنه كشف قبل نشوب الحرب مادة « أمريبول » ، وهى أول مطاط مركب من البوتادين صنع فى الولايات المتحدة للتجارة .

ترجع براعة سيمون العلمية الساحرة إلى أيام حداثته وهو يجول فى البلاد الأمريكية من ساحلها الشرقى إلى ساحلها الغربى . وقد كان والده مهندساً يعمل ما يصيب من عمل ، فقد أنشأ محطّات للاضاءة ، وأخرى لصنع الثلج ، ومدّ سككا حديدية كهربائية ، وبنى سدوداً . وأما والدو الصغير فقد وهب عقلا يستطلع ولا يمل ، فكان دائماً يقلب كتب أبيه الهندسية منذ تعلم الهجاء .

وحين كان فى التاسعة صنع وحده وبغير معونة ، بطارية سائلة من غطاء جرّة من الزنك ، ومن قلم كربون كان فى مصباح قديم ، ومن ملح النوشادر مذاباً فى الماء .

فاستعمل البطارية فى تحريك جرس للاتصال بصديق يجاوره، ثم أنشأ أول لاقط لاسلكى فى بلدته. وقد كلفه شراء أجزائه خمسة ريالات كسبها من جمع الفراولة بأجر يبلغ قرشين فى الساعة. فلما كان فى الفصل السادس من المدرسة اخترع جدولا رياضياً للوغاريتمات خاصاً به ليعينه على الظفر بأجوبة المسائل الحسابية بأسرع ما يمكن.

وفى سنة ١٩١٤، حين كانت أسرته تقطن شمال أمريكا الغربى، عثر والدو على رسالة ألمانية فى الكيمياء العضوية، وإذا هذه الرسالة الجافة الثقيلة تقدح شرراً فى ذهن الفتى. فقد قرأ فيها كيف تركب الأصباغ، وكانت كل فقرة منها تدل على أن كل مركب عضوى يمكن صنعه بالاعتماد على العلم والبحث، فانفسحت له عندئذ آفاق عالم عجيب.

ولم يكن فى وسعه أن ينفق على طلب العلم فى الجامعة، ولكنه عزم على أن يكسب نفقة الطلب، فقضى سنة يقطع العشب مع جماعة من المساحين عهد إليهم أن يشقوا طريقاً فى أرض معشبة بولاية وشنطون، حيث تكثر الحيات ذوات الأجراس، وكان مرتبه الشهرى ٦٥ ريالا فجمع خمسمئة ريال.

وقد بدت عليه مخايل النجابة المدهشة فى البحث العلمى منذ أيامه الأولى فى جامعة وشنطون. وقبل أن تخوض الولايات المتحدة غمار الحرب العالمية الأولى، طلب قسم مخابرات الجيش من قسم الكيمياء فى جامعة وشنطون بحث مسألة، فعهدت الجامعة إلى هذا الفتى الغرّ ببحثها، وكان فى السنة الثانية وسنه ١٨ سنة. وكانت المسألة هى إيجاد مواد لتظهر المكتوب بحبر سرى. فلم تنقض ثلاثة أشهر حتى كان قد كشف أكثر من مئة مادة، وأرسل نتائج بحثه إلى قسم مخابرات الجيش. ثم ابتكر أسلوباً يزيد مقدار المتفجر من ت. ن. ت. الذى يستخرج من قدر معين من مادة التولوين. فلما كشف طريقة لصنع غاز الخردل من معدن السلينيوم، نشرت الجمعية الكيميائية الأمريكية تقريره — وهو شرف لم يكد يناله طالب جامعة من قبل.

وكان خلال ذلك يعمل أى عمل تناله يده: خادماً فى أحد مبانى الجامعة، أو محللا كيميائياً فى إحدى الصناعات المحلية. فلما تخرج كان فى العشرة الأوائل فى فرقته، وكان المقدم عليهم جميعاً فى الكيمياء. وحين كان يُعدّ رسالة الدكتوراه اعتمد على دخل يسير من التعليم، فتزوج مارجورى جن، وهى فتاة شقراء كانت طالبة فى قسم الكيمياء، وقد عرفها منذ السنة الأولى فى الجامعة. وزاولت زوجته

التعليم أيضاً لتعينه على نفقات البيت ، ومع ذلك فقد مرت بالزوجين الفقيرين أشهر لم يتجاوز طعامهما فيها حبوب القمح المشوية والخضر يهديها إليهما فلاح صديق ، ولكن والدو ظفر برتبة الدكتوراه وأصبح مدرساً في الجامعة .

وتلقى سيمون في أحد أيام ١٩٢٦ رسالة من الدكتور هارلان ل . ترومبول ، مدير البحث الكيميائي في شركة ب . ف . جودرتش ، فقد كان ترومبول يبحث عن شاب ممتاز ليوليه مهمة خطيرة . فهل رضى سيمون ؟

رضى ؟ ولم تمض أيام حتى كان في أكرون ، وإذا المهمة مما يتراءى للكيميائيين في الأحلام . فمنذ سنوات كان رجال شركة جودرتش قد سجلوا طريقة لربط المطاط بالصلب بمادة جديدة لصاقة محضرة من المطاط ، فأنشئت تجارة كبيرة قيمتها مليون ريال ، وقامت على اتخاذ بطانة من المطاط للخزانات التي تنقل الأحماض على سيارات ، وكان لهذه الطريقة منافع صناعية أخرى . وشركة جودرتش تريد الآن أن تجد جميع المواد المركبة الشبيهة بالمطاط التي تصلح لربط المطاط بالصلب رباطاً لا ينفصم .

وقضى سيمون شهوراً يصنع بالتركيب الكيميائي مادة لصاقة بعد أخرى ، وكان كثير منها لا يرجى منه نفع ، وبعضها يصلح للتسجيل . وأقدم ذات صباح على أن يسلك طريقاً غير مطروق ، فمنذ سنوات كان عالم روسي قد حضر مركبا دعاه « بوليفينيل كلوريد » ولكنه كان صلباً يشبه المادة القرنيــة ، فأهمل لقلة جدواه . ولكن تركيب جزيئاته كان شبيهاً بتركيب جزيئات المطاط ، فقرر سيمون أن يجرب أن يحوله إلى مادة لصاقة ، بأن يصب عليه مادة الأثير المغـلى .

تجمدت في أنبوبة الاختبار مادة هلامية (جلاتينيــة) — وهي هي الشيء الذي لا يريده ، فكسر الأنبوبة وضغط المادة بإبهامه وسبابته ، فدهش إذ رآها تمط ، فأخذته هزة الفرح حين أدرك أنه وجد مادة مركبة جديدة تشبه المطاط .

ودلت التجارب على أن المادة الجديدة ذات خواص عجيبة ، فهي على خلاف المطاط الطبيعي لا تشتعل ، ولا تكاد تتأثر بأوكسجين الهواء ، على حين أن المطاط الطبيعي يتأثر به بسرعة . ثم إنها كذلك لا تتأثر بالزيت أو البنزين ، على حين يمتصهما المطاط كالإسفنجة . وقد دعاها « كوروسيل » لأنها تقاوم خاصة أكل الأجسام في كل حمض معروف تقريبا .

وصنع سيمون بعد ذلك طائفة من المواد

الكيميائية تقاوم فعل الزمن، وقد استعملت هذه المواد فى إطالة عمر العجلات المصنوعة من المطاط الطبيعى أو الصناعى جميعاً .

ودعى سيمون فى سنة ١٩٣٥ لينصرف عن بحوثه إلى حصر اهتمامه فى صنع مطاط مركب يصلح للعجلات ، فقد مضى ربع قرن وعلماء روسيا وألمانيا يحاولون تحقيق هذه الأمنية . فعمد سيمون أولا إلى دراسة كل تفصيل من تفاصيل عملهم ، فقضى ستة أشهر يجهد ست عشرة ساعة كل يوم فى مطالعة التقارير العلمية بالفرنسية والألمانية والإنجليزية .

فلما أنجز ذلك ، كان يعرف العناصر الرئيسية اللازمة فى تركيب هذه المادة ، ولكنه كان يجهل الصيغ السرية التى تركب بمقتضاها أصناف المطاط الصناعى الخمسة الرئيسية فى العالم . فما هو إلا أن شرع فى تركيب كل منها فى معمله ، وهذا العمل يقتضى تكتيل جزيئات المواد الرئيسية — وهو تفاعل كيميائى غريب تتصل فيه الجزيئات بعضها ببعض كأنها صف من الرجال أمسك كل رجل منهم بيد صاحبه ، وهذه الخاصة تعطى المطاط الطبيعى وجميع أصناف المطاط المصنوع ، صفة المرونة التى تتصف بها . فلم تنقض ستة أشهر حتى كان سيمون قد صنع جميع هذه الأصناف الرئيسية — وهو عمل علمى مدهش .

أما وقد ظفر سيمون بكل هذا العلم ، فقد سافر إلى أوربا فى سنة ١٩٣٧ عسى أن يصيب شيئاً من العلم بأساليب ألمانيا فى صنع المطاط الصناعى . وكان أخص ما يعنيه مطاط بوناس الذى اعتمدت عليه جيوش هتلر فى سحق بولندة وفرنسا . فاستقبله علماء ألمانيا واحتفوا به ، ولكنهم لم يتيحوا له أن يرى شيئاً إلا ما يُصنع من مادته « كوروسيل » وكان الألمان قد انتحلوها وصنعوا منها مقادير كبيرة أطلقوا عليها اسم « إيجليت » . وأما مصانع بونا فلم تكن مباحة له زيارتها ، وقد اقتفى الجستابو أثر خطواته ليضمنوا تنفيذ الأوامر .

فلما عاد سيمون من أوربا كان قد وثق بأن لا مفر من نشوب الحرب ، وإذا استولت اليابان على مزارع المطاط فى الشرق الأقصى ساءت حال الولايات المتحدة ، فأوصى شركة جودرتش بمضاعفة البحث العلمى فى المطاط الصناعى . فزيد فى الحال عدد العلماء الذين تحت إشرافه ، وابتكرت طرق معقدة لاستخراج الخامات اللازمة لصنع المطاط من الكحول والبترول ، وصنعت آلات تتسع كل منها لمئة أنبوب ، وجعلت تدور ليل نهار لتكتيل الجزيئات وفقاً لصيغ كيمائية جديدة ، فصنع نحو ١٤٫٥٠٠

صنف من المطاط الصناعى ، وأجرى أكثر من ربع مليون اختبار لتقدير قيمة نماذجها المختلفة .

وإذا صيغة من صيغ سيمون تبدو حافلة بالأمل العظيم ، وهى الآن سر حربى إلا أن مادة البوتادين ، من عناصرها الرئيسية. ولكن لم يزالوا يجدون من المشقات مايقصم الظهر ، فالبوتادين يجب أن يصفى حتى يبلغ من النقاء درجة ٩٩ فى المئة ، قبل أن يصلح لتركيب المطاط . وقد أفسدت العمل مراراً مقادير يسيرة من الأوشاب تعلق بأحذية العمال الذين ينظفون المراجل . وكان المطاط الأول الذى صنع أشبه بالجلد ، لا يصلح أن يفرغ فى القوالب لصنع إطارات العجلات ، ولكنهم ذللوا هذه العقبات واحدة بعد واحدة .

وأقبل خريف سنة ١٩٣٩ ، واكتسح النازيون بولندة ، وعين جون. ل . كولير رئيساً لشركة جودرتش ، فألقيت على عاتقه مشكلة ما يصنع بمادة سيمون المركبة التى اسمها « أمريبول » . فقد أنفقت مئات الألوف من الريالات على البحث العلمى ، ويقتضى صنع إطارات العجلات من الأمريبول مئات ألوف أخرى من الريالات — وربما فقدت الشركة منزلها إذا فسدت الإطارات. ثم إن هذا المطاط الصناعى أكبر نفقة من الطبيعى ، فاستدعى كولير العالم سيمون . أفترى سيمون وزملاؤه على يقين من أن المطاط المركب الجديد يحتمل ؟ نعم ، إنهم على يقين . إذن فهو يقبل أن يخاطر .

وفى ربيع سنة ١٩٤٠ عرض كولير على جماعة من كبار رجال الصناعة أول إطار صنع فى أمريكا من مطاط مركب بطريقة تجارية ، فلم تنقض بضعة أشهر حتى اشترت الإطارات الجديدة عشرات من الشركات وألوف من الناس ليمتحنوها ، ففاقت النتائج أقصى ما كان يتمناه سيمون . وقد دخل فى صنع إطارات أمريبول ٥٠ فى المئة من المطاط الصناعى ، فاحتملت السير مسافة تتفاوت من ٢٥ ألف ميل إلى ٤٠ ألف ميل — فهو أفضل من إطارات بونا الألمانية .

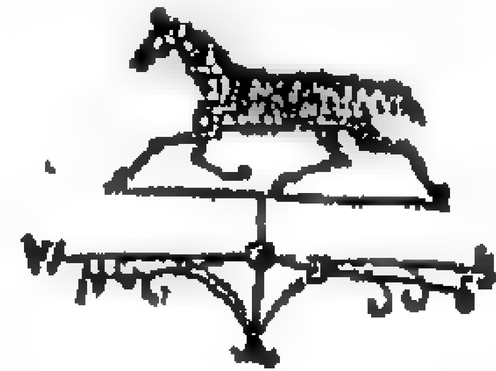
وحين شرعت الحكومة الأمريكية فى إنفاذ برنامج المطاط الصناعى ، انتخب كيميائيو شركات المطاط زميلهم سيمون رئيساً للجنة الفنية الأولى ، وأبيحت مخترعاته لصناعة المطاط ، وقد أصبحت طائفة كبيرة من طرائقه أصولا متبعة فى جميع مصانع الحكومة تقريبا .

كانت سفن أمريكا الحربية تستعمل من قبل أسلاكا وحبالاً معزولة بمركب من المطاط والإسفلت ، فإذا وقعت قنبلة أو

أصاب السفينة طربيد ، اشتعلت المادة العازلة ويغلب أن تجرى النار على الأسلاك والحبال فى نواحى السفينة ، فتقفل الدورات الكهربائية اللازمة للسيطرة على السفينة . أما اليوم فترى المواد العازلة ، فى السفن الحربية الجديدة والطائرات ، مصنوعة من الكوروسيل الذى لا يشتعل أو من «الفينيلايت» وهو مادة تشبه الكوروسيل ولما كان مقدار قليل من هذه المادة أو تلك يكفى ، فإن السفن توفر أطناناً كثيرة من وزن المواد العازلة .

أما ما عسى أن يصنع من الكوروسيل بعد الحرب فأبعث على الدهشة ، فشركات الزيت تتأهب لصنع خزانات من الكوروسيل لزيت المحركات ، وستستعمل كذلك للوقاية من أحوال الجو ، ولصنع غشاء خفى لورق جدران البيوت ، ولتمنع نسيج لا ينفذ منه الغبار ولا الرطوبة ، وقد يستعمل ملوّناً فى تنجيد مقاعد السيارات فيفوق الجلد . وقد صنعت منه جوارب لا ينسلت نسيجها بحبك خيط من الكوروسيل لا لون له مع خيوط الجورب ، سواء كان الجورب حريراً أو نيلونا . وقد بلغ عدد منافعه المرجوة حتى الآن ألفين .

ومنذ أشهر اقترح اسم والدو سيمون لجائزة تشارلز . ل . جوديير — وهى أعظم شرف فى علم المطاط . وعلى أن ما أسداه كان عظيما ، فإن المثل الذى ضربه كان أعظم ، فهو دليل على أن الفتى الأمريكى الذى لا مال له ولا جاه إذا تملك هو الشجاعة والعزم والذكاء ، استطاع أن يصير أحد علماء الدنيا العظماء .



برنارد شو ، تاجر

كان الدكتور مارسيل سترنبرجر المصور الرسمى للبلاط فى بروكسل ، فلما صوّر برنارد شو كان أجره مئتى جنيه ، فوفاها شو بعشرين شيكا قيمة كلّ منها عشرة جنيهات . فلما سئل عن ذلك قال : « يروى لى أن توقيعى يباع بخمسة وعشرين جنيهاً ، فإذا أنا أعطيتك عشرين شيكا ، فكلانا يربح . أنت تبيع كل شيك قيمته ١٠ جنيهات بخمسة وعشرين جنيهاً . والذين يشترون الشيكات من أجل التوقيع سيحتفظون بها فلا تصرف من البنك » .

الآن يمكن أن تروى القصة

قادحات الشرر في جيش فرنسا السري

بليك كلارك + + + ملخصة عن مجلة "تريكولور"

> قصة مدهشة لأمريكيين وإنجليز هبطوا بالمظلات في فرنسا للمساعدة على تنظيم المقاومة وراء الخطوط الألمانية

نطقت الأخبار التي تذاع في الساعة التاسعة من محطة لندن اللاسلكية هنيهة في مساء ٥ يونيه سنة ١٩٤٤، وسمع صوت بريطاني جاف يقول: «إيلين تزوجت جو — نكرر أن إيلين تزوجت جو. الموصلة تشير إلى الشمال — نكرر أن الموصلة تشير إلى الشمال».

وكان هذا كلاماً فارغاً في رأى معظم السامعين وفي جملتهم الألمان، ولكنه كان الدعوة السرية، إلى العمل التي طال انتظار خمسمئة ألف فرنسي لها. وفي تلك الليلة، وقبل أن يضع جندي من الجنود المتحالفة قدمه في نورمندي تهاوت الجسور في فرنسا، وانفجرت السدود، وانفكت القضبان من أربطتها، وجرت القاطرات في غير طريقها، وخرّت الأشجار على الطرق، وارتفعت ألسنة النيران من مخازن الوقود، وهوت خطوط التلفون إلى الأرض.

فلما أقبل اليوم التالي — يوم الغزو — كان الجنود الألمانيون ومؤنهم قد اضطروا إلى المشي خطوة خطوة. وتأخرت القوات التي أرسلت لصد النازلين في نورمندي مقدار ٤٨ ساعة في المتوسط — وتلك مسافة من الزمن عظيمة القيمة للأمريكيين والبريطانيين. وبعد أن تم الاقتحام جعلت العصابات الفرنسية تبلغ الجنرال باتون موضع كل طابور ألماني بدقة، وتحمى جناحه فساعدته على القيام بأسرع زحف في تاريخ الحروب.

وفي الوسع الآن أن نروي قصة العمل الذي قام به المنظمون السريون من البريطانيين والأمريكيين والفرنسيين لإشعال النار في بارود المقاومة الفرنسية.

كانت العمليات كلها تديرها قيادة مشتركة أقامها الجنرال أيزنهاور. وقد اتصلت أول فرقة من الرسل السريين إلى فرنسا بجماعات

كان بليك كلارك أستاذاً للأدب الإنجليزي في جامعة هوائي، وهو الآن في قوات أمريكا المسلحة ومقره في وشنطن

التخريب المحلية التى كانت تتألف من تلقاء نفسها فى طول البلاد وعرضها ، وأقنعت هذه الجماعات بالكف عن أعمال العنف المتفرقة التى لا تثمر الا الانتقامات الدموية ، وأن تقبل القيام بما يكلفها إياه مقر القيادة العامة بلندن .

وقد أطلق على التدابير السرية الثلاثة الكبرى ليوم الغزو أسماء : الببغاء، والتنين، والمدرّع ، وكانت الأهداف هى قطع المخاطبات وإسكاتها ، ونسف الخطوط الحديدية ، وبث الألغام فى الطرق لتعويق الفرق الألمانية المدرّعة .

وكان لا بد من اختيار آلاف من الفرنسيين ، وتدريبهم ، وتسليحهم ، بين سمع الجستابو وبصرهم ، ولإنجاز خطة التنين ، دبّر الرسل اجتماعاً لممثلى مليون من عمال السكك الحديدية برئيس جماعة ديجول السرية ، ولتنفيذ خطة الببغاء وضع رجال ديجول فى مراكز حيوية فى شبكة المواصلات التلفونية والبرقية ، ولإمضاء خطة المدرّع درب القرويون على استعمال المفرقعات وبث الألغام .

وكان يسع المنظم الذى يعمل على إعداد هذه الخطط أن يأمل أن يعيش من ثلاثة شهور إلى أربعة — إذا ساعفه الحظ . وكان عليه أن يحتفظ بملفات للمعلومات كانت تقع أحياناً فى يد العدو ، وكان مضطرا أن يركن إلى عدد قليل من الناس من الممكن أن يكون أحدهم جاسوساً ، وأن يبرز من حين إلى حين الأوراق المثبتة لشخصيته ، فإذا روجعت أرقامها ضاع .

وإذا كان بريطانيا أو أمريكيا فإن عليه أن يتّقى الزلات التى تكشف ستره ، وكان عليه حين يتناول طعامه أن لا ينسى أن يثنى طرف الفوطة على بنيقته على الطريقة الفرنسية ، وأن يجتنب أن يطلب صابوناً للحلاقة أو معجوناً لتنظيف الأسنان ، وهى أشياء اختفت من الدكاكين الفرنسية منذ سنتين .

وكان الجستابو ينصبون الفخاخ لينكشف أمر الرسل ، ففى إحدى المدن حظر بأمر عرفى على الناس أن يركب منهم اثنان دراجة ، وفى مدينة أخرى منع بيع النبيذ الأحمر بعد ظهر الثلاثاء والجمعة ، وعلى أصحاب الحانات أن يبلغوا أمر من يطلب هذا الشراب . ولكن على الرغم من ذلك استطاع بعض الرسل أن يحيوا حياة مزدوجة بنجاح مدهش ، ففتحوا دكاكين للسجاير ، ومحالّ لبيع الكتب ، ومخازن للأثاث المستعمل ، يختلف إليها «الزبائن» المختلفون من غير أن يثيروا الريبة .

وكانت النجاة عسيرة . اتفق مرة أن

الرسول رقم ١٥٤ ، وهو أمريكى ، جرح فى مناوشـة مع الجستابو ، فكبل بالقيود وطرح وهو غائب عن وعيه فى مؤخرة سيارة حربية ، فلما أفاق جرد مسدساً كان مخبوءاً فى جوربه وأطلقه على أقفية الألمان فأرداهم ، وبرد الفرنسيون قيوده ، ثم واصل عمله فى منطقة أخرى من فرنسا .

وكان الرسول رقم ١٧١ ، وهو من رجال ديجول ، فى غرفة بفندق حين باغت الجستابو الفندق ، فراح يعدو إلى الطابق الأعلى غير أنه لم يجد منفذاً إلى السطح ، فاندفع داخلا إلى غرفة ، فألفى خادمة ترتب الأغطية ، فأفهمها بسرعة أنه يبغى النجاة وقال : « أسرعى ، وتعالى نامى معى على السرير » فقالت معترضة محتجة : « كلا ! » فصاح بها : « لا تكونى بلهاء ! إنى أفكر فيما هو أهم ! » .

ودفع رجـل الجستابو الباب وأضـاء النور ، فتظاهر الراقدان على السرير أنهما تضايقـا ، فضحك رجل الجستابو وقال : « تمتعا بليلة سعيدة » وأغلق الباب .

وكان الرسـل يقومون أحياناً بمهمات خاصة . فمن ذلك أن الخدمة السرية للحلفاء طلبت نموذجاً من بارود مفرقع جـديد صنعه العلماء الألمان، فاتصل الرسول الفرنسى رقم ٢٠٢ بصديق له فى مصنع تجرى فيه التجارب ، وكان الألمان قد جعلوا من المستحيل على العمال أن يحصلوا على نماذج ، وبلغ من حرصهم أنهم كانوا ينظفون أظافر كل عامل إذ يخرج ، وفى يوم ما ، بينما كان عمال المصنع يكفون عن العمل ويلزمون الصمت دقيقة على سبيل الإعلان للوحدة الفرنسية ، أصر عامل على مواصلة العمل ، فغضب الوطنيون وضربوه حتى سطحوه ، فخف لنجدته الحراس ونقلوه إلى المستشفى . وبعد شهر كان علماء لندن يفحصون نموذجاً من البارود الذى استولى عليه هذا العامل قبيل وقف العمل بلحظة .

وكان عامل اللاسلكى ألزم ما يلزم لنجاح التنظيم السرى ، وقد حافظ على الاتصال المنتظم بلنـدن ، وكان يطلب الأسـلحة والمفرقعات ، ويوجه الرسل الجديدين إلى أماكن النزول . وعمال التلغراف اللاسلكى — وبينهم فتاة أمريكيـة — هم أبطـال المقاومة الفرنسية المجهولون الذين لم يتغن بذكرهم أحد . وكان الذين اتخذوا باريس مركزاً لمخابراتهم اللاسلـكية ، فى خطر دائم من أن يهتدى إلى مكانهم ٣٦ من الألمان الموكلين بالبحث فى الأثير عن مصادر الموجات . وكانوا من البراعة والحذق بحيث إن سيارة الدورية الألمانية كانت تصل إلى دار الرسول السرى بعد عشرين دقيقة من

إذاعة رسالته اللاسلكية . وما أكثر عمال اللاسلكي الذين فروا من نوافذ خلفية ولم يسبقوا الجستابو إلا بثوان فقط .

وما أقبل يناير سنة ١٩٤٤ حتى كانت القوة الكاملة لكل جماعة من جماعات المقاومة الفعلية فى فرنسا قد باشرت العمل فى خطط التنين والببغاء والمدرّع ، وذلك بفضل نحو ألف من هؤلاء العمال السريين . وبعث مقر القيادة فى لندن إلى كل جماعة بخرائط مفصلة لمنطقة وحدتها الخاصة ، مبينة فيها أهدافاً محلية معينة ، وأرسلت المدربين الخصوصيين فأنزلوا بالمظلات ، فكانوا يعقدون فصولا للتعليم الليلى تشكل اثنين أو ثلاثة من القرويين فى وقت واحد ، يعلمونهم فيها كيف ينسفون السكك الحديدية والجسور . فلما كان أول يونيه صارت خريطة فرنسا المعلقة فى مقر القيادة مغطاة بنقط حمراء إشارة إلى المواضع التى درب فيها الوطنيون ، وزودوا بما يحتاجون إليه ، وتهيأوا لتلقى إشارة الهجوم على الأهداف المعينة .

فلما جاءت إشارة العمل ، مساء اليوم الخامس من يونيه ، تسلل خمسة آلاف من الفرنسيين يحمل كل منهم حزمتين من المواد المتفجرة ونسفوا الخطوط الحديدية فى فرنسا فى أكثر من خمسمئة موضع ، وكان من فضل عامل سرى فرنسى موضوع فى مركز له قيمته الحربية ، أن صارت لندن تعرف موعد قيام كل قطار مهم قبل أن يتحرك بيومين ، فاستطاعت طائرات الحلفاء أن تنقض على كل قطار يحمل جنودا ووجهته نورمندى .

وتلقى رسل خصوصيون أوامر من لندن ، واستطاعوا أن يحيطوا علماً بأعمال محطات المحركات الكهربائية الإضافية الأربع والسبعين فى شبكة التلفون البعيد المدى بفرنسا ، والآن وقد حصلوا على جوازات ألمانية فقد قصدوا إلى هذه المحطات ونسفوها.

وقام آلاف من القرويين ببث الألغام ، ونثروا فى الطرق كل ما من شأنه أن يمزق إطارات السيارات الألمانية . وكان أعظم ما يتطلع إليه الأمل أن تعطل النجدات الألمانية اثنتى عشرة ساعة ، ولكن الرسل استطاعوا أن يعطلوها يومين .

وقد اجتذب نجاح الحركة السرية يوم الغزو آلافاً جديدة اجتمعت لتعاون على طرد العدو من كل بقعة فى فرنسا . وقد أرسلت القيادة موجة جديدة من الجنود السريين يسمون جماعة « دوجلاس » لمساعدة هذه الآلاف على التنظيم السريع ، فهبطوا بالمظلات فى الأراضى المحتلة ، وكان كل واحد من هذه الجماعة عضواً فى فريق

مؤلف من ضابط إنجليزى وآخر فرنسى وثالث أمريكى وعامل لاسلكى .

وقد ذهب معظم رجال هذه الجماعة إلى المناطق الجبلية لمساعدة «الماكى» الذين كان عددهم قد بلغ ٤٠٠,٠٠٠ وكلهم يحتاج إلى الأسلحة . وكان تزويدهم بما ينقصهم أهم ما ساهمت به الولايات المتحدة لمساعدة فرنسا . ففى أربعة شهور نقل بالطائرات إليهم ما زنتـه ١٢,٠٠٠,٠٠٠ رطل من البنادق والقنابل اليدوية والمهمات الطبية .

وفى يوم ١٤ يوليـه قامت ٣٢٨ طائرة أمريكيـة من طرازى القلاع والليبريتور بمهمة جريئة فى وضح النهار ، فألقت من المهمات ما يكفى لتسليح ٣٦,٠٠٠ رجل .

وكان رجال « دوجـلاس » يقاتلون دائماً فى الأراضى التى يحتلها الألمان ، فوقعت لهم حوادث يقفّ لها الشعر . مثال ذلك أن ضابطاً إنجليزيا انكسرت ساقه لما هبط بالمظلة ، وكان راقداً فى بيت فى ضيعة فرنسية وإذا بالألمان قد أقبلوا يبحثون ويفتشون ، فحمـله عامل اللاسلكى وهو أمريكى إلى مستنقع بقى فيه ثلاثة أيام مغموراً بالماء إلى عنقه حتى انصرف العدو .

وكانت « الجماعات الخاصة » هى شياطين جهنم فى الجيش السرى ، وكانوا إخصائيين فى أعمـال التخريب وفى القتال التلاحم ، وكانوا يهبطون فى فرنسا كل ١٥ أو ٣٠ معاً ليقوموا بأعمال تتطلب براعة خاصة .

وقد ألقيت منهم إحـدى عشرة جماعة فى جنـوب فرنسا ليقطعوا على الخصوص طرق الهرب على النازى من ثغرة كاركاسون ووادى الرون ، وكان عددهم ١٨٢ فنظموا ودربوا وحدات « الماكى » واستطاعوا فى عمليات مشتركة معهم أن يقتلوا من الألمان ٤٦١ ويصيبوا ٤٦٧ ويأسروا ١٠,٠٠٠ .

وقد هبطت أول جمـاعة فى مقاطعـة « لو » حيث كان الألمـان أقوياء ، فنظمت ثلاث كتائب وأوقعوا فى كمـين لهم ألف ألمانى ، ونسفوا جسر السكة الحـديدية ، وقنطرة ، وسدوا المقاطعة كلها فى وجوه الألمـان .

ولما شرع الألمـان فى الارتداد تغيرت اساليب الجماعات الخاصة وخططها ، فقامت إحدى الجماعات وهى مؤلفة من ٢٥ بإنقاذ محطة توليد الـكهرباء فى إجوزون ، وهى أهم منشأة كهربائية فى فرنسا ، وكان للألمان هناك خمسمة على أتم استعداد لنسف المحطة حـين يصبح الارتداد ضروريا ، فرتب الضابط الذى يقود الجماعة ، اجتماعاً مع قائد العدو وبعثر رجاله وهم فى بزتهم العسكرية فى صفوف الماكى ، ويسر للألمان أن يلمحوهم فى أثناء المفاوضة ، وهدد بالهجوم بألف وخمسمئة

من جنود جيش المظلات الأمريكي ، وعرض على الألمان أن يتركهم ينصرفون بسلام إلى مدينة أخرى ، فبارح الألمان المذعورون المكان وتركوا المحطة سليمة .

ويقر كل رجل من رجال الجيش السرى بالفضل الصريح التام لوطنية الشعب الفرنسى الذى خاطر بكل شىء للمساعدة على تحرير فرنسا . وما أكثر الذين كانوا مطاردين أبداً ، فكانوا لا يجدون مأوى صالحاً ولا الكفاية من الطعام ، وكانوا يعملون فرادى أو جماعات صغيرة ، وقد واصل بعضهم الكفاح أربع سنوات ، واهبين حياتهم للجهاد ضد الألمان ، وستظل شجاعتهم تلهم كل الشعوب المحبة للحرية .

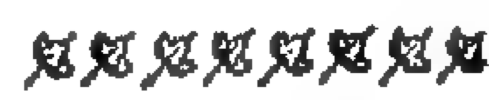


حيرة الطبيب

تولى طالب طب فى السنة الثالثة توليد حامل فى أحد أحياء الفقراء فى مدينة بوسطن . وكان هذا أول توليد تولاه ، ولم يكن له معين ، وكانت الأسرة جميعها تشهد ما يفعل ، على ماجرت به العادة حين يكون التوليد فى البيت .

ولم تكد تتم الولادة ، حتى أخذ الطالب المرتبك الطفل الوليد ورفعه قليلا لكى يلطمه حتى يزفر زفرته الأولى . فما راعه إلا أن ينزلق الطفل من بين أصابعه ، فيقع على كومة من الأغطية ولكن لم يمسه أذى . وكانت جدته الجالسة قرب موقد المطبخ قد التزمت الصمت فما إن سقط الطفل حتى صاحت بالطالب الفزع تقذفه بوابل من الشتائم ولكنه لم يلبث أن استرد رباطة جأشه وقال بلهجة الأطباء المجربين : سيكون بخير ياسيدتى ، ولقد ينبغى أحياناً أن نلقيهم على الأرض ثلاثاً حتى يتنفسوا .

[الدكتور ل . ى . هاكورث]



يروى الجنرال فاند جريفت القصة التالية : جاء جندى مصاب إلى أحد مستشفيات الميدان يشكو الأرق ، فأشار عليه الطبيب بأن يأكل شيئاً قبل أن يأوى إلى فراشه . فقال المريض : « ولكنك يا دكتور أمرتنى منذ شهرين أن لا آكل شيئاً قبل أن أنام » . فغضّ الطبيب بصره وقال مصطنعا وقار صناعته : « يقيناً يابنى كان ذلك منذ شهرين ولكن العلم تقدم تقدما عظيما منذ ذلك الحين » .

[اسوشيتد برس]

نم فى رعاية الله ...

پ . ل . ترافرس

ملخصة عن مجلة "جود هاوسكيبنج"



ترى أكان فى العالم قط طفل يحب أن يدخل فراشه مختاراً ! يقينى أنى لم أسمع فى حياتى بمثله . ولا عجب فالفراش عند الطفل معناه نهاية يوم جميل وختام مغامرة عظيمة . على أننى قد وجدت أن كل طفل مهما اشتد إباؤه أن يرقد ، يحب ذلك الفراش الكريه إذا ما استكن فى أحضانه الوثيرة، فهو مثواه الخاص وملجؤه الأمين وموضع ثقته وطمأنينته .

وكلما عدت بذاكرتى إلى أيام طفولتى وجدت أن وقت النوم يشغل فى مخيلتى أرحب مكان . لم يكن لدى آبائنا — وما كان أسعدهم — كتب عن تربية الأطفال ونفسيتهم ، ولم يكن لهم مرشد فى هذا الأمر سوى حنانهم وحكمتهم ، وما يتاح لهم من وقت يقضونه مع أطفالهم ، فلم تكن كثرة أعمالهم نهاراً لتصرفهم عن قضاء نصف ساعة مع أطفالهم إذا حان وقت الرقاد . فهذا الزمن القصير بما فيه من هدوء وأمن ومودّة بعد انقضاء النهار الصاخب ، يجمع فى ثناياه لحظات لهونا ، ويسلمنا فى رفق ولين إلى أحضان الليل . كانت دواء ناجعاً لكل ما ينشب من خلاف ، ولطالما شعر بعدها حتى أشد الأطفال جموحاً بالدعة والراحة .

وأنت إذا شعرت بالأمن شعرت أنك طيب النفس . وهكذا ينبغي أن يذهب الأطفال إلى أسرتهم مزمّلين فى طهارة نفوسهم .

ولقد تغير موقف الكبار منذ أن كنت صبيا ، فإن الأطفال الذين كانوا يُعدون يوما ما مخلوقات إنسانية لطيفة ، أصبحوا اليوم جنساً قائماً بنفسه له قوانينه الخاصة . ولقد ألّف بعض ذوى اللحى — وكثير منهم من غير المتزوجين — كتباً عن الأطفال، أشاروا علينا فيها بأن لا نُهَدْهِدهم ليناموا ، أو نغنى لهم أراجيز الأطفال. ولقد غالوا فى النع فحرّموا القصص الخرافية « خشية تشجيعهم على الكذب » فما أشقى ذوى اللحى وما أشقى الأطفال بهم .

أما أنا فإنى مستعد للدفاع عن أراجيز الأطفال وإن قُتلت فى سبيلها . وإنه ليبدو لى أنه أمر غير طبيعى أن لا نغنى الطفل أرجوزة عند ما يسلم نفسه للنعاس . ولا حاجة بنا أن تكون أرجوزة من أراجيز

المهد ، فأية نغمة ناعمة خافتة تكفى . ولقد اعتدت أن أغنى لطفل صغير عرفته منذ كان لا يزيد حجمه على حجم سمكة . لم أكن أنا مَنْ علمه أن لا يخشى الليل ويلقاه بشجاعة، ولكنها الذكرى التى مازلت أحملها لأساليب والدتى . وسيذكرنى هو أيضاً حين يستسلم أولاده للنعاس آمنين .

إن القراءة والغناء والقصص الدينىّ تترك أثرها دائماً فى الأطفال ، وإننا لنسىء إليهم إساءة كبيرة إذا أغفلنا أن نقص عليهم القصص الدينية العظيمة ، وأن نعلمهم كيف يصلون ويدعون ربهم . فإن هذه الحقائق القديمة إذا قصت عليهم تفتح لهم كنزاً لا ينفد من الخيال يواتيهم طول حياتهم . إن تلك القصص القديمة تثير فى الطفل أول فكرة حقيقية عن كائن أعظم من نفسه . ولا أظن أن ثمة طفل لم يهتز قلبه وعقله لذكر السموات والملائكة ، وإن الأطفال ليفهمون هذه الأمور أكثر مما يفهمها الكبار . ولما كانوا لا يزالون فى سن التساؤل والعجب ، كانوا أقرب إلى إدراك الحق الخالص .

ودعاء الطفل لإنسان يحبه أن يبارك الله فيه تجعل علاقته بهذا الشخص أقل أثرة ، فهو لم يعد طفلا مدللاً بل لقد وجد هو أيضاً إنساناً يدلّله .

ثم إن الأغانى والقصص والقراءة عند النوم ليست هى العناصر الوحيدة التى تفضى به إلى النوم الهنىء ، فإن بعض الأطفال ممن أوتوا خيالا واسعاً يجدون فى الذهابْ إلى الفراش عذاباً أليماً لخوفهم من الظلام . فإذا ما أطفئت الأنوار تراجعت جدران الغرفة ، واختفت الأشياء المألوفة ، وبدا السرير كزورق ينساب فى بحر لا نهاية له من الظلام . فماذا فى وسعنا أن نفعل بهذا الخوف سوى أن نضىء للطفل نوراً فى ليله ؟ وليس لزاماً أن يكون النور فى غرفة نومه ، فإن بصيصاً من النور من الردهة أو الحمام يكفى أن يزيل مايعتريه من مخاوف ، ويجعله يشعر بالطمأنينة والأمان . وليس ثمة شىء آخر ـ مهما كان مقنعاً ـ يشفيه من هذا الخوف .

إنى أتحدث عن الطمأنينة ولكن لا تظنن أنى أقول إنك أو إنى أو أى إنسان كائناً من كان فى مكنته أن يقيهم شر الأحداث ، فإن الأطفال مخلوقات حية ، وليست الحياة طريقاً آمناً . وإذا ما نظرنا إلى تلك الوجوه المشرقة النائمة أدركنا ، وفى القلب غصة ، أننا لا نستطيع أن ننقذ أطفالنا مما قدر لهم مهما بلغ إعزازنا لهم . ولكن فى مكنتنا أن نوفر لهم لحظات من الدعة والسعادة ، وكنوزاً من الحقائق القديمة يستمدون منها العون إذا حزبهم أمر ، واشتدت بهم الحاجة إلى الغوث والمعونة .

نصف مليون يابانى من المخلّفين

موريس ماركى • ملخصة عن مجلة "ليبرتى"

« أترى نصف مليون من اليابانيين المقيمين فى الجزائر التى خلفها الحلفاء وراءهم ينشئون فى المحيط الهادى امبراطورية لليابان تبقى قائمة بعد هزيمتها » .

□□□

ماذا تراه يُفعل بنصف مليون يابانى خلّفتهم وراءها الجيوش الأمريكية والأسطول ، وهى تخطف خطفاً حثيثاً فى سيرها فى المحيط الهادى ؟ لقد قال الأميرال نيمتز : « إنا تركناهم يموتون فى ديارهم » . وهم من الوجهة الحربية ، ميتون فى ديارهم . ولكن بعض الثقات يقولون — وهم ينظرون إلى مستقبل المحيط الهادى بعد الظفر فى المعركة الأخيرة : « إذا لم يطارد اليابانيون المخلّفون ويبادوا ، فإنهم سوف يسيطرون على المحيط الهادى ، كأنهم هم الذين أحرزوا النصر فى الحرب ولا أقل » .

وأكثر هؤلاء اليابانيين جنود ، وقليل منهم صناع مدربون وعمال ، ومعهم من النساء بضع مئات من زوجات الضباط والممرضات والبغايا . ومن اليابانيين حوالى مئة ألف فى جنوب المحيط الهادى ، فى غينية الجديدة وفى إرلندة الجديدة وفى جزائر سليمان ، أما الباقون وهم أربعمئة ألف فموزعون فى جميع أنحاء القسم الأوسط من المحيط الهادى : من جزيرة أوشان غربى جزائر جلبرت ، وفى جزائر المرجان الأربع ، من أرخبيل مارشال إلى جزائر ويك وترك ، ثم الجزائر الشمالية من أرخبيل ماريانا .

والمراكب اليابانية لا تستطيع أن تمد أية جزيرة منها بالمؤن ، ذلك بأن الأسطول الأمريكى يخفر طريقها خفارة مستمرة ، ثم إنها لا تستطيع أن تتلقى أية معونة من الجو ، لأن طائرات الحلفاء تقذف بقنابلها ما فيها من المطارات مرة أو مرتين كل أسبوع . وتدل الصور على أن هذه الجماعة القليلة تبذل جهد اليائس فى إصلاح الأضرار التى تلحقها ، راجين أن تأتى طائرة يابانية ، ولكن ما تكاد أرض المطار تصلح لمثل هذا الحادث البعيد الاحتمال ، حتى تأتى قاذفات القنابل فتدكها دكا . وإنْ هو إلا عمل رتيب مطرد .

ولا يزال اليابانيون المخلّفون يحتلون حوالى ثلثى غينية الجديدة التى تبلغ مساحتها ٣١٢،٠٠٠ ميل مربع . وأهالى البلاد

الذين من عاداتهم أكل لحوم البشر واصطياد الناس هم على العموم موالون للحلفاء . وهم بين الحين والحين ينقلون أنباءهم إلى الجنرال السير توماس بلامى قائد القوات البرية للحلفاء فى الجنوب الغربى من المحيط الهادى ، وهذه الأنباء تدل دلالة لا بأس بها على أساليب معيشة هؤلاء اليابانيين .

ومن البين أن اليابانيين، على ما عرفوا به من المهارة وسعة الحيلة ، قد دبروا أمرهم على أن يكونوا فى غير حاجة إلى المعونة من بلادهم البتة ، وأرض غينية الجديدة أرض خصبة ، فبذلك كانت لهم مساحات واسعة يزرعونها .

وقد أدخلوا زراعة الأرز ، وطبقوا طرقا صالحة فى تربية الدواجن والخنازير اقتبسوها من أهل البلاد ، وقد أزعجت هذه الأشياء الجنرال بلامى حتى قال : « إن الاستعمار اليابانى فى المساحة المخلّفة فى غينية الجديدة إنما هو حقيقة واقعة . وإذا لم نستأصل شأفة هؤلاء القوم ، فسوف يتغلغلون ويسيطرون على ذلك الإقليم » .

وقد صح ما توقعه ، وكان فى جزيرة ماجورو ، وهى أحد أهداف الحلفاء من مجموعة جزائر مارشال . فعندما دخلت قوات الحلفاء مياه الجزيرة أدهشهم أن يجدوا أنها لم تكن محمية ، فقد جلت الحامية اليابانية منذ شهور ، لكى تجمع قوتها شرقا فى الجزائر الأربع المحصنة من تلك المجموعة التى تخطتها قوات الحلفاء . وقد أخذوا معهم كل امرأة من جزيرة ماجورو ممن بلغن ما بين ١٦ سنة و ٤٠ سنة . وعقبى ذلك أن يصير النسل فى النهاية خلاسيًّا ، ولكن الفرق بين سكان بولينيزيا وميلانيزيا وبين اليابانيين فى ألوانهم وبنية أجسامهم ليس كبيراً ، وإن اختلفوا فى المنشأ والطباع . هذا والآباء من اليابانيين بارعون فى فرض آرائهم ونظامهم على أبنائهم .

وقد خرج منذ زمن غير بعيد قائد مدمرة أمريكية يطوف بمدمرته على بعد عشرين ميلا من شاطىء إحدى جزر الأعداء فى أرخبيل مارشال ، فرأى زورقا منصوب الشراع ، فصعد ربانه المنفرد إلى المدمرة ، وهو زعيم أهالى الجزيرة، وقد خرج راجيا أن يلتقى بسفينة أمريكية فيذكر لها حاجته : فإن قومه ، وهم مئتا أسرة تقريباً ، يلاقون عنتاً شديداً ، فقد استولى اليابانيون على نصف ما يصاد من السمك ، وقد قتّروا عليهم تقتيراً بالغا فى توزيع أثمار الشجر ، وهم يصدونهم عن المخابىء عند ظهور قاذفات القنابل الأمريكية، فهل للبحرية الأمريكية أن تيسر لهم سبيل الجلاء عن تلك الجزيرة إلى جزيرة أخرى تسيطر عليها أمريكا .

فقال ربان المدمرة إن هذا ممكن بلا ريب . فرجع الزعيم إلى جزيرته ، وفى تلك الليلة بين منتصف الليـل والفجر دلفت المدمرة نحو شاطىء الجزيرة . وكانت إحدى ليالى المحاق ، وبعد قليـل انطلق من الشاطىء موكب عجيب ، فقد خرج عشرات وعشرات من الزوارق تحمل كل سكان الجزيرة ، فتحرك الجمع ، وكانت زوارقهم منشورة الشراع ولا يسمع لمجاديفهم صوت .

وخرجوا من الظلمة إلى المدمرة التى كانت تنتظرهم فألقوا لهم الحبـال . ولما أشرقت الشمس على المحيط الهادى كشفت عن منظر عجب : مدمرة أمريكيـة تجر وراءها صفاً واحـداً فيه حوالى مئة زورق غاص" بالرجال والنساء والأطفال . وسرعان ما نزلوا موطناً جـديداً ، ومعهم غذاؤهم وأسـباب علاجهم ، وبدأ الرجال يبنون أكواخاً جديدة .

وقد علم رجال البحرية من الزعيم وقومه أن اليـابانيين حاولوا أن ينشئوا حدائق ، ولـكن قبل أن ينمو الغرس رآها طيارو الحلفاء فألقوا قذائفهم . والسـمك هنـاك هو الغـذاء الأول ، ولم يضـق اليابانيون به لأن السمك غـذاء أصيل فى اليابان . وهذه الجزائر المرجانية ليس من السهل أن تزرع ، فالتربة الرملية ، والرياح التجارية التى لا تنقطع ، وقلة المطر ، تجعل الزراعة المعروفة أمراً مستحيلا ، ولـكن هـذه الجزائر تنبت جوز الهند وفسائل النخيل ونبات التارو وبذور الباندانوس ، وكلها مما يؤكل .

وقد قدر سكان البـلاد عدد الحامية اليابانية بما يقرب من سـبعة الاف وأن حوالى ٤٥٠٠ منهم لا يزالون أحياء . وقد فتكت الطائرات بعـدد كبير منهم ، ومات الباقون بالمرض الخبيث الذى يورثه سوء التغذية (برى برى) وبالدوسنطاريا وما يشبههما من الأمراض .

وقد أجـبر اليابانيون الأهالى على أن يعملوا لهم : بأن يساعدوا فى إصلاح الدارج



كلما دكت ، وفى بناء المخابىء ، والمصاطب للمدافع المضادة . وقد بنيت المخابىء بناء متينا ، فصارت غارات الحلفاء لا تحدث إلا خسارة طفيفة فى الأرواح . ويظهر أن عندهم مقادير كبيرة من ذخيرة المدافع المضادة . ويظن الزعيم أنهم يتلقون فضلا من الذخيرة ، بل مدافع جديدة أيضا من حين إلى حين .

وهذا الظن قد أيدته مشاهدات رجال البحرية فيما يتعلق بأمر دقيق كل الدقة ، فقد ظلت القوة البحرية تعمل فى المحيط الهادى شهوراً ، فلم تلق من الغواصات كيداً ولا عنتا . وتدل الدلائل على أن اليابانيين كانوا يستعملون أسطول غواصاتهم فيما يبذلونه من جهد لدوام اتصالهم بالمعاقل القوية المخلفة المعزولة . ولا ريب فى أن المؤن التى يمكن نقلها بهذه السفن كانت محدودة جداً ، وهى أدوية وذخيرة فيما يظن ، لا مقادير كبيرة من الغذاء ولا نجدات .

ومن المعقول أن يعتقد المرء أن هذه الجزيرة خاصة هى المثل الصادق ، فاليابانيون يوطنون أنفسهم على البقاء ، وهم يرون أن المشكلة أهون عليهم إذا كانوا جماعات كبيرة ، كحالهم فى جزيرة ترك حيث الأرض شديدة الخصب .

ولا تنس أنه لم يخطر ببال حامية واحدة من الحاميات المخلفة أن تسلم . وقد يكون السبب أن هؤلاء اليابانيين المعزولين يصغون إلى الإذاعات الصادرة من بلادهم . ونحن نعرف حق المعرفة كيف تكون هذه الاذاعات ، فقد سمعنا مرة بعد مرة قول اليابانيين إنهم قد أحرزوا انتصاراً لا يصدق فى البحر وفى الجو وفى الأرض . ومن الجائز أن يكون كثير من هذه الإذاعات يقصد بها هؤلاء الجنود اليابانيون المنقطعون فى جزائر المحيط الهادى ، والذين يعتقدون اعتقاداً جازما أن سوف ينقذون ، أو أن سوف ترسل إليهم النجدات فى أوانها حتى يشاركوا فى النصر الأخير الذى تحوزه إمبراطوريتهم.

وإذن ، فماذا يمكن أن يدبر فى أمر هؤلاء ؟ إنه ليُرَى أمراً بعيد الاحتمال أن يموت هؤلاء الناس جوعا ، ثم إن لفتك القنابل وتدميرها خدا تقف دونه . ومما يفسد على الحلفاء نشوة ظفرهم يوم تسلم اليابان بلا قيد ولا شرط — أن يضطروا إلى أن يعودوا لكى يبيدوا مئة من المعاقل الصغيرة الحصينة ، التى لن يصدق قوادها أو يعترفوا بأخبار ذلك التسليم . ومع ذلك فيبدو أن هذا أمر لا مفر منه ، وإلا فإن هذه الجزائر سوف تكون يابانية ، وسوف تكون خطراً دائما ، ويومئذ تكون الإمبراطورية اليابانية قد أنشأت لنفسها ملكا جديداً تابعاً لها ، وإن كانت الهزيمة قد حاقت بها .

[أقصوصة مؤثرة عن رجل يكافح العناصر الطبيعية] .

إيقاد نار

ملخصة عن قصة بقلم جاك لندن

كان النهار قد طلع بارداً جداً ومكفهراً حين مال الرجل عن طريق يوكون الرئيسي وأخذ في طريق غير مطروق يخترق الغابة الكثيفة . وكانت الساعة التاسعة ولا شمس هناك ولا إيذان بشمس ، وكان النهار واضحاً ولكن على وجوه الأشياء سجفاً قاتماً . غير أن هذا لم يكرب الرجل فقد مضت أيام لم ير فيها الشمس .

ورمى بنظرة إلى الطريق الذى أقبل منه ، وكان نهر يوكون ، وعرضه ميل ، قد اختفى تحت ست أقدام من الجمد والثلج . وأجال عينيه شمالا وجنوباً فإذا كل ما تأخذه أبيض إلى آخر مدى البصر ، ولكن احتجاب الشمس والبرد القارس والوحشة لم تترك فى نفسه أثراً ، لا لأنه قد طال اعتياده ذلك ، فقد كان هذا أول شتاء له هنا ، وإنما كانت آفته أنه لا خيال له ، فهو سريع يقظ فى أمور الحياة ولكنه يعنى بالأشياء لا بدلالتها . وكل ما وقع من نفسه حين قدر أن درجة الحرارة ٥٠° تحت الصفر هو أن الجو بارد مزعج ، وهذا كل ما شعر به ، فلم يدفعه ذلك إلى التفكير فى ضعفه كمخلوق ذى طاقة معينة لا يستطيع أن يعيش إلا فى حدود ضيقة معينة من الحر والبرد . وتفل وهو يدور ليواصل السير ، فسمع صوتاً حاداً كالفرقعة أزعجه ، فتفل ثانية ، وقبل أن تصل البصقة إلى الثلج سمع هذه الفرقعة ، وكان يعلم أن البصاق يفرقع على الثلج فى مثل هذه الدرجة تحت الصفر ، ولكن الفرقعة حدثت فى الجو ، فلا شك أن درجة الحرارة أوطأ من ٥٠° . غير أن درجة الحرارة لا تهمه ، فإنه قاصد إلى أرضه القديمة عند خور هندرسون ، وسيكون فى المخيم فى نحو الساعة السادسة ، ولا بد أن يكون القوم قد أوقدوا ناراً وأعدوا عشاءً ساخناً .

وانطلق يمشى بين الأشجار الكبيرة ، وكان الطريق غير واضح ، فما سار فيه رجل ، جيئة أو ذهاباً ، منذ شهر ، وكان يتبعه كلب كبير من كلاب هذه الأرض ، وقد ثقل عليه البرد القارس ، وأدرك بفطرته أن هذا ليس وقت السير ، وكانت غريزته أصدق من رأى صاحبه . والحقيقة أن درجة الحرارة لم تكن ٥٠° تحت الصفر

ل ٦٠ ، وساور الكلبَ خوفٌ غامض جعله يتبع خطوات الرجل، وباله إلى كل حركة غير عادية، كأنما يتوقع منه أن يدخل المخيم ويوقد ناراً، فقد ألف الكلب الادفاء على النار ، وكان يبغيها .

وكانت لحية الرجل الحمراء قد جمدت وزاد الثلج عليها مع كل نَفَس يخرجه ، فلو وقع لتكسرت هذه اللحية المتبلورة كما يتكسر الزجاج . وكان وهو يمشي يحك عظام خديه وأنفه بظهر يده المدسوسة فى القفاز ، وكان إذا كف عن حكها تخدر، وكان واثقاً أن خديه سيجمدان ، ولكن الخد إذا جمد ليس مما يقلق .

وكان يجعل باله بدقة شديدة إلى موضع قدمه قبل الخطو ، وحدث مرة وهو يدور حول منعطف أن ارتد بغتة ، وكان يعلم أن الخور متجمد إلى قاعه ، ولكن هناك عيوناً متفجرة من الجبال وماؤها يجرى تحت الثلج ، فهى فخاخ تحجب بركا من الماء قد يكون عمقها ثلاث بوصات أو ثلاث أقدام ، وهذا هو الذى جعله يرتد فزعاً ، فقد أحس بالرخاوة تحت قدميه وسمع طقطقة غشاء الثلج ، وإذا ابتلت قدماه فى مثل هذا البرد كان ذلك خطراً .

وفى الساعة الثانية عشرة كان النهار أضوأ ما يكون ، ولكن الرجل لم يلق ظلا على الأرض ، وكانت الشمس فى أقصى الجنوب فهى لا تجاوز الأفق ، وفك الرجل أزرار سترته وأخرج غداءه ، وكان قد ألصقه بجلده حتى لا يجمد ، ولم يستغرق ذلك إلا ربع دقيقة ، ولكن الخدر أصاب الأصابع المعرّاة ، فضرب ساقه بأصابعه ودسها فى القفاز ، وحاول أن يأكل لقمة، ولكن لحيته المتجمّدة كانت كالكمامة فحالت دون ذلك ، فقد نسى أن يوقد ناراً ويذيب الثلج ، وأضحكته غفلته . ولاحظ وهو يضحك أن الوخز الذى أحس به فى أصابع قدميه حين قعد قد أخذ يزايله ، فتساءل أترى أصابعه دافئة أم خدرة ؟ وكبر فى ظنه أن هذا من الخدر .

فانتابه بعض الرعب . لقد صدق ذلك الرجل — من أهالى سلفر كريك — حين وصف ما يبلغه البرد من شدة ، أحياناً، وقد سخر منه ! وهذا يدل على أن المرء لا ينبغى أن يبالغ فى الثقة والاطمئنان . وأخرج كبريتاً وشرع يوقد ناراً ، واقتلع بعض حشائش ، وتوخّى الحذر فما لبثت أن تأججت النار، وتسعّرت فأذاب عليها الثلج الذى على وجهه ، وأكل طعامه، وتغلب إلى حين على البرد ، ورضى الكلب عن النار وتمدد قريباً منها . فلما وضع الرجل قفازه على يديه ، وأسدل على أذنيه غطاءهما

وأخذ طريق الخور ، حن الكاب إلى النار ، ألا أن هذا الرجل ليجهل ما البرد!

ثم كان ماخاف أن يكون . ففي موضع كان الثلج الناعم فيه يوهم الصلابة ، وقع الرجل ، وسقط في الماء إلى قريب من ركبتيه قبل أن يستطيع الخروج إلى الطبقة المتينة .

فلعن سوء حظه بصوت عال ، فإن هذا سيؤخره ساعة، إذ عليه أن يوقد ناراً ويجفف ما يلبس في رجليه ، فصعد إلى شاطئ النهر ، وهناك وجد حطباً جافاً مما طرحه النهر ، مختلطاً بالعشب النابت حول جذوع الأشجار الصغيرة . فألقى بعدة أحذال ، وأثقب النار بإدناء عود من الكبريت من لحاء خفيف أخرجه من جيبه .

وكان يعمل على مهل وبحذر ، وهو دقيق الإدراك لما هو فيه من خطر ، وجلس القرفصاء على الثلج ، وجعل ينزع الأعواد مما اختلطت به من العشب ويذكي بها النار ، وكان يدرك أنه يجب أن لا يخفق فإنه إذا كانت درجة الحرارة ٦٠ تحت الصفر فعلى المرء أن لا يخفق في أول محاولة لإيقاد نار ، إذا كانت قدماه مبتلتين . فإذا كانتا جافتين، فإنه يسعه أن يجرى ويستحث دورة الدم ، التي لا يمكن أن يعيدها الجرى إلى قدمين مبتلتين متجمدتين إذا كانت درجة الحرارة ٦٠ تحت الصفر .

وصفع الفضاء ببرده الأرض ، وتلقى الرجل الغشية بكل قوتها ولكنه كان إلى الآن آمناً ، فقد كانت النار محتدمة قوية ، وتذكر نصيحة ذلك الرجل الهرم المجرب في « سلفر كريك » وتبسم ، فقد كان هذا الرجل المجرب جاداً حين قرر أنه ما من إنسان يجوز له أن يقطع أرض كلونديك وحده إذا ما هبطت درجة الحرارة إلى ٤٥$\frac{٥}{٩}$ تحت الصفر . وهذا هو الآن . وقد اتفق له هذا الحادث ، وإنه لوحده ، وقد أنقذ نفسه ، غير أنه لم يدر بخلده من قبل أن تفقد أصابعه الشعور في مثل هذا الوقت الوجيز . وإنها لميتة ، فما يكاد يستطيع أن يمسك بها عوداً ، وإنه ليخيل إليه أنها بمعزل عن بدنه ، حتى إنه ليلمس العود وينظر ليرى هل هو قابض عليه أو غير قابض ، فكأن الأسلاك التي تصل ما بينه وبين أنامله قد تقطعت .

ثم كان الحادث قبل أن يستطيع أن يحل أربطة نعليه . وكان الذنب ذنبه ، أو على الأصح خطأ منه ، فما كان ينبغي أن يوقد النار تحت الشجرة ، فقد كانت الشجرة تحمل عبئاً من الثلج، وكان كلما اقتلع عوداً، تهتز الشجرة ، فيسقط عن غصن منها ما يوقره من الثلج ، وصار كالسيل وهو ينزل عليه بلا إنذار وعلى النار، فخمدت النار.

وذعر الرجل ، فكأنما سمع الحكم عليه بالإعدام . ثم سكنت نفسه نجداً ، وصار عليه أن يوقد مرة أخرى . وكان الأرجح حتى إذا وفق، أن يفقد بعض أصابع رجليه، فجمع حشائش جافة وبعض عيدان صغيرة، وكان لا يستطيع أن يضم أصابعه الخدرة ليقتلع العيدان، فجمع معها طائفة من الحشيش الأخضر لم يكن مرغوباً فيه ، ولكن هذا كان خير ما يستطيع .

ولما تهيأ كل شيء أدخل يده في جيبه ليخرج قطعة أخرى من اللحاء، وكان يسمع صوت خشخشتها ولكنه لم يستطع على فرط اجتهاده أن يمسك بها ، فجعل يضرب فخذيه بيديه ، وبعد مدة شرعت بدايات الإحساس في أصابعه تقوى حتى صارت ألماً لاذعاً مبرحاً، ولكنه رحب به راضياً عنه مغتبطا به ونزع القفاز عن يمناه ، وأخرج قطعة اللحاء ثم أخرج ما معه من عيدان الكبريت، ولكن البرد كان قد جرد أصابعه من الحياة، فلما حاول أن يتناول عوداً من الأعواد سقطت كلها على الثلج ، وعجزت أصابعه الميتة عن أن تمسكها ، ونفى خاطر قدميه الباردتين من رأسه ، ووجه كل همه إلى الكبريت ، وجعل يراقب نفسه ويحل البصر محل اللمس، حتى إذا رأى أن أصابعه على جانبي الكبريت عزم على أن يضمها عليه، ولكن أعصابها كانت قد فقدت الحس .

وبعد محاولة استطاع أن يضم الكبريت بين رسغيه في قفازيهما ، وحمله إلى فمه ، وطقطق الثلج وانشق ، حين جاهد بعنف ففتح فمه والتقط عوداً من الكبريت بأسنانه ، وحكه عشرين مرة على رجله قبل أن ينجح في إشعاله، ولكن رائحة الكبريت المشتعل دخلت في خياشيمه فسعل برغمه فهوى العود إلى الثلج وانطفأ .

لقد كان الرجل الهرم المجرب على حق . جرى ذلك بباله في لحظة من لحظات اليأس المكبوح ، فبعد أن تهبط درجة الحرارة إلى خمسين تحت الصفر ينبغي أن لا يخاطر المرء بالسير إلا ومعه رفيق، وعرّى كلتا يديه فجأة وضم رسغيه على العيدان كلها وحكها برجله فاشتعلت ، واتقد سبعون عوداً دفعة واحدة ! وأحس وهو يدني اللهب من اللحاء أن جلده يحترق ، وكان يشم رائحته، فباعد ما بين يديه ، واشتعلت النار في اللحاء ، فشرع يلقي عليها العيدان .

ولم يكن يستطيع أن يتخير ، فقد كان مضطراً أن يرفع الحطب بين رسغيه ، ولكنه أذكى النار بعناية وبدون لباقة ، فقد كانت النار معناها الحياة ، وأخذ ينتفض من البرد ، فزادت حركاته اضطراباً ، وسقط عود من الطحلب الأخضر فوق

النار الصغيرة ، وكان انتفاضه من البرد يجعل تحريكه للنار نثراً ، فتبعثرت العيدان وخمدت.

وغمره خوف حاد ثقيل الوطأة ، إذ أدرك أن الأمر لم يعد أمر فقد يدين ورجلين وجزع وفزع ، فذهب يعدو على الخور المتجمد ، وعلى الطريق القديم الغامض ، وأشعره العدو أنه صار أحسن حالا ، ومن يدري ؟ لعله إذا واصل العدو ، تدفأ قدماه المتجمدتان . وهو خليق على كل حال إذا ثابر على الجري أن يصل إلى المخيم والرجال.

وخطر له أن من العجيب أن يستطيع العدو بقدمين متجمدتين لا يشعر بهما وهو يضرب الأرض ، وخيل إليه أنه يطير فوق سطح الأرض ، ولكنه عثر مرات ، وسقط آخر الأمر ، ولما حاول أن ينهض عجز . فبدا له أن يجلس ويستريح ثم يقتصر بعد ذلك على المشي ويواصل السير ، ولاحظ أنه يشعر أنه دافئ ومرتاح ، غير أنه لما لمس أنفه أو خديه لم يشعر بشيء ، فخطر له أن الأجزاء المتجمدة من بدنه تزداد اتساعاً وامتداداً ، وحاول أن ينحي هذا الخاطر لأنه خشي عاقبة الفزع الذي يورثه إياه . وشرع يجري مرة أخرى ، وكان الكلب يجري معه طول الوقت ، فلما وقع الرجل مرة أخرى ، لف الكلب ذيله حول قادمتيه وجلس أمامه يواجهه ، في يقظة وتربص عريبين ، وفي هذه المرة انتابته الرعدة بسرعة ، وكان الخدر يدب في بدنه من كل ناحية ، فدفعه هذا إلى استئناف السير ، ولكنه تعثر مرة أخرى وانطرح .

وكان هذا آخر ما عراه من الفزع ، فلما انتظمت أنفاسه ، جلس وشرع يفكر في ملاقاة الموت رابط الجأش . وكبر في ظنه أنه لا بد أن يموت برْداً ، فخير له أن يتلقى الموت كريماً . وقاربه مع هذه السكينة النفسية الجديدة ، النعاس ، فخطر له أن من الخير أن ينام فيقضي نحبه ، وثم ميتات أخرى شر من هذه .

وجعل يتمتم مناجياً ذلك الهرم المجرب : « لقد كنت على حق يا صاحبي .. على حق » ثم غلبه النوم فراح في أطيب سبات عرفه في حياته وظل الكلب يواجهه وينتظر. وذهب ضوء النهار ودخل في غسق طويل بطيء ، ولم يكن ثم ما يؤذن بنار توقد ، ولم ير الكلب من قبل رجلا يستلقي هكذا على الثلج . فلما أطبق الغسق غلبه حنينه إلى النار ، فردد صوته بالعواء ، غير أن الرجل ظل صامتاً . زحف الكلب إلى الرجل ودنا منه وشم رائحة الموت ، فقفقف شعره وتراجع ، وظل فترة أخرى يعوي تحت النجوم الباردة .

ثم دار ومضى في الطريق إلى المخيم حيث يجد من يزوده بالطعام ، وبالنار .

كيف يفسر التآلف الغريب الذى ينشأ بين الأعداء الألداء من الحيوان ؟



تآلف الحيوان

ج . فرانك دوبى

ملخصة عن مجلة " نيتشر "

يدهشنى البتة أن أرى أسداً وحملاً راقدين معاً على أن يكون كل منهما قد انقطعت صلته بعشيرته ، وأن يكون الأسد قد صادق الحمل فى وقت شبعه . نعم تكاد الحيوانات جميعاً تتوق إلى الألفة والرفقة فإذا لم تستطع أن تصاحب من بنى جنسها أنشأت أحياناً مودّات بينها وبين حيوانات غريبة عنها كل الغربة .

كان لأحد رعاة البقر على شاطىء نهر فريو فى ولاية تكساس غزال أليف رباه منذ الصغر مع كلاب المنزل ، فنشأت بينه وبين كلب كبير من الكلاب اسمه « أولد بلو » صداقة وثيقة ، وصارا لا يفترقان . وإذا أخذ « أولد بلو » يلتهم طعامه وقف الغزال يذود الكلاب عنه . وإذا ذهبت جماعة الكلاب إلى الصيد رافقها الغزال وتقدم الكلاب فى إثر الذئاب أو غيرها من الحيوانات . ولما بلغ الرابعة أو الخامسة من عمره جعل ينزع إلى التطواف وحيداً فى الخلاء ، وكانت الوسيلة الوحيدة لإغرائه بالعودة أن ينفذوا « أولد بلو » إلى مكان قريب منه ، فإذا استشعر وجود الكلب أقبل عليه ورافقه عائداً إلى المزرعة حيث يظل بها إلى أن يهتف به هاتف الخلاء فيخرج إليه ثانية .

ولا شك فى أن الباعث فى بعض الأحيان على الألفة الغريبة التى تنشأ بين الحيوان هو غريزة المحافظة على النفس . وقد رأى أحد السائحين فى سهول كنساس منذ سنين ، ثوراً هزيلا من الجاموس فى صحبة جماعة من الخيول الوحشية ، وربما كانت هذه الخيول الوحشية قد احتملت صحبته لا أنها أحبّته ، ولكنه كان فى صحبتها آمناً على نفسه من الذئاب . وثمة ما كان من أمر بفلو جونز الذى جاهد فى سبيل الإبقاء على الجاموس الأمريكى حتى لا ينقرض ، فقد حاز مهراً صغيراً عمره سنتين كان قد قضى سنة يرعى مع قطيع من الجاموس .

عند ما كنت صبيا أعيش فى مزرعة يكثر فيها طير السُّمَانَى (السمّان) ، جاء

صيف فرأيت سماني قد صحبت دجاجنا وجعلت تذهب لتنام معه في بيته . ومع أن من طبيعة السماني أن يجثم في الأرض ، فقد كانت هذه السماني الصغيرة تلازم دجاجنا صباحاً ومساء ، وأخواتها يتصايحن بها من كل جانب أن تعود ، وكأنّى بها قد نسيت بني جنسها .

وفي كثير من الحيوان غريزة الأمومة والكفالة ، فكثيراً ما تفضي بها إلى مودّات غريبة . ففي سنة ١٩٣٤ كفلت بقرة حلوب في وايومنج غزالاً أمريكيا يتيما . وكان لصديق لي في ولاية تكساس حاضنة حيوانات شديدة العطف لم أسمع بمثلها ، هي بغلة كفلت عجلا فأرضعته وربته إلى ما بعد الفطام . وقرأت أخيراً عن حادثة مماثلة في ولاية تكساس أيضاً ، حتى إن الراعي لما اقترب من العجل ركلته البغلة فكسرت فكه .

وللحيوانات كما للإنسان غرائز متناقضة . فقد تعقّبت كلبة ترضع أجراء لها ، أنثى حيوان الكيوت إلى جحرها وساعدت على قتلها . وكان لأنثى الكيوت أجراء هي الأخرى ، فلما أخرج الصغار من الجحر أنّت الكلبة وتشممتهم عاطفة عليهم عطفاً شديداً . وأنقذ جرو صغير من أجراء الكيوت ووضع مع أجراء الكلبة فأقبلت عليه ترضعه وتفليه مع صغارها حتى كبر وصار للكلاب رفيقاً محبوباً .

كان لأولاد إحدى الأسر في أوكهرست بولاية تكساس كلبة يلعبون معها ، فأعطاهم صديق ثلاثة سناجيب (جمع سنجاب) صغيرة ، فاحتضنتها الكلبة في الحال كأنها أجراؤها هي وأرضعتها وربتها . وكانت الكلبة قبل أن تأتي السناجيب على وفاق تام مع هرة ، ولكنها بعد أن احتضنت السناجيب صارت تطرد الهرة مغضبة إذا هي اقتربت من أجرائها .

على أنه لا يمكن تفسير بعض الصداقات التي تقوم بين الحيوانات بما يكون من غريزة الكفالة أو حب العزلة ، وإنما تنمو تلك الصداقات كما تنمو الصداقات الإنسانية عن لقاء يأتي اتفاقاً . وجد أحد سكان دنكان بأوكلاهوما كلباً لجار له يحاول أن ينام على القش في حظيرة بقرته ، وحاولت البقرة في أول الأمر أن تركل الكلب ، واسمه « بك » ، لتقصيه عنها . وأخيراً كان لبك ما أراد ، فقد ظل يرافق البقرة وهي ترتعي ، فإذا ظهر كلب غريب طارده وأقصاه عنها . وقد صار الكلب والبقرة رفيقين لا يفترقان .

ومن أجمل ما أذكر من مناظر الطبيعة منظر رَشَأ مرقط (غزال صغير) وقطتين وقد رقدوا في الشمس على الحشيش الأخضر . ويمد الغزال جيده الجميل على الأرض ، وقد

تمددت على جانبيه القطتان أيضاً ، ويغفو الجميع كما تغفو القطط ، وكان ثلاثتهم يشربون اللبن معاً . وبينما كان الغزال يقضم الحشيش كانت القطتان تضعان أرجلهما الأمامية على ساقه وكتفه أو على رأسه . ولم يكن للغزال الأسير سوى هاتين الرفيقتين يرتع معهما ويلعب ، ولم تبد القطتان رغبة فى رفقة القطط .

حدث منذ سنين أن ربى راعى بقر فى تكساس بطناً من صغار الخنازير مع بطن من الأجراء ، فكانت الخنازير والأجراء تختلط بعضها ببعض وتلعب معاً . وذات يوم اصطاد الراعى ثعلباً ، فحبس كلابه الكبيرة وأطلق الثعلب لتطارده الأجراء . وأخيراً استدار الثعلب نحوها مكشراً عن أنيابه فصرخ جرو يطلب النجدة ، فهرع إليه ثلاثة من رفقائه الخنازير وهاجموا الثعلب وكادوا يجهزون عليه ، لولا أن ذادهم عنه راعى البقر .

إن إسراع الخنازير إلى الجرو فى محنته ليس أعجب من حراسة الكلب لطفل سيده . ومن الممكن ، إذا أتيحت الفرصة ، أن ينمو أى نوع من التآلف بين حيوان وآخر ، كما ينمو بين الإنسان وأى نوع من الحيوان . ويبدو أن ذلك جزء من سنة الطبيعة .



عرف الفيلد مارشال مونتجومرى بأنه لا يدخن ولا يشرب الخمر ولا يسب أحداً ولا يأكل اللحم . فلما دعا القائد الألمانى الجنرال فون توما إلى العشاء بعد أسره فى معركة العلمين ، احتج على ذلك النواب البريطانيون فى مجلس النواب ، فهز تشرشل كتفيه وقال : « مسكين فون توما ، فقد تعشيت أنا أيضاً مع مونتجومرى » .

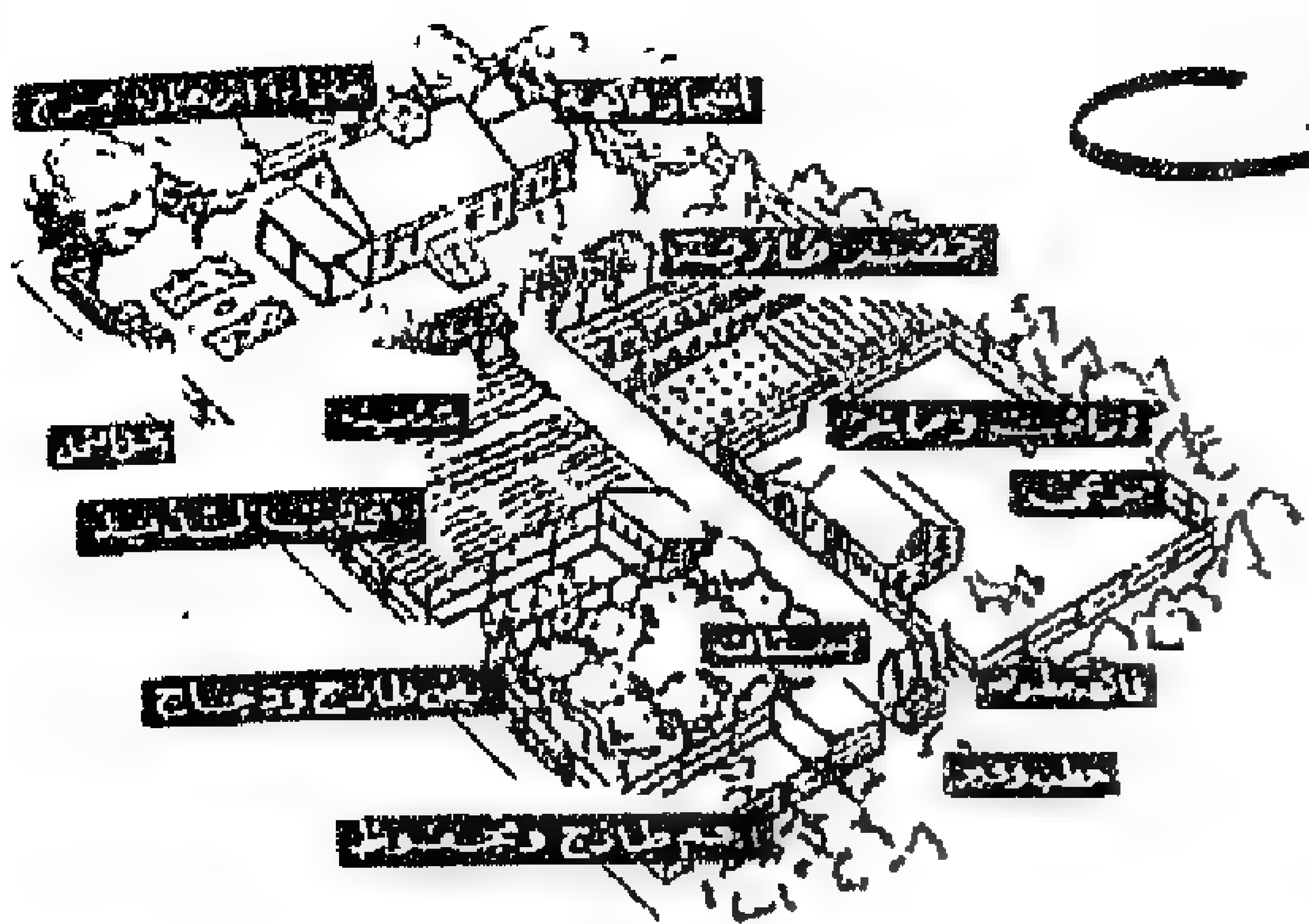


طار الجنرال باتريك ج . هرلى إلى موسكو ليدبر أمر اشتراك ستالين فى مؤتمر طهران ، وبعد أن أقرت جميع التفاصيل سئل هرلى عن الطريقة المتبعة فى تحية روزفلت وتشرشل باللغة الإنجليزية ، فقال : « ما عليك إلا أن تتقدم وتقول هذه الكلمات » . فحفظها ستالين وتحين لإلقائها مأدبة عشاء سبقه إليها روزفلت وتشرشل ، ففتح باب ردهة المأدبة وشخص ببصره إلى الضيوف المجتمعين وقال : « تباً لكم ، ماذا تفعلون هنا ؟ »

"وفّر إنتاجك" مشروع زراعي لسكان المدن

إد روبنسون

ملخصة عن
مجلة "بتر هومز آند جاردنز"



كنا — نحن أسرة روبنسون — نقطن منذ عامين شقة في نيويورك، فتبينا أن متاعب المعيشة في مدينة كبيرة تفوق ما يُزْهَى به الناس من أسباب الراحة في المدن، فكل عمل نعمله كان يكلفنا مالا ويجشمنا عناء.

فلكي نهيئ لطفلنا فرصة اللعب في الخلاء مثلا، كان حتما علينا أن نحمل أغطيته وألعابه، وأن نجتاز طول شارعين، وأن ننتظر الترام، ثم نقطع به طول اثني عشر شارعاً، وأن نحمل كل شيء إلى الحديقة حيث نبحث عن مكان يصلح لجلوسنا، وفي عصر يوم قائظ أقبل علينا شرطي قائلا: « ألا تعلمون أن الجلوس هنا ممنوع ».

فمن يومئذ فكرنا تفكيراً صادقاً في سكنى الريف، فلم نتبين أول الأمر كيف نصنع، ثم تراءى لنا تدبير أمرنا بإنتاج بعض ما نحتاج إليه من طعام. وكنا لا نعرف شيئاً عن الزراعة، فبدأنا نقرأ مئتي كتاب ونشرة، ثم وجدنا على مقربة من نوروك

« أرض صغيرة ورزق وفير »
هذا هو شعار هذين الزوجين الشابين النشيطين اللذين استطاعا أن يجعلا مزرعة في إحدى الضواحي تدر عليهما المال.

بولاية كونكتكت، وعلى مسيرة ساعة من مكتبي بنيويورك، منزلا فيه ست غرف، قائماً على أرض منبسطة شجراء، مساحتها فدانان، وكان علينا أن ندفع نقداً ستمئة ريال، أما الأقساط وفوائدها والضرائب فتبلغ ٤٩٫٣٠ ريالا فقط في الشهر، فكان ذلك أقل مما كنت أدفعه لاستئجار شقتي بنيويورك، حتى مع مصاريف انتقالي.

كانت فكرتنا الأولى أن نزرع الأرض لخاصة شأننا لا للربح منها، فأطلقنا على مشروعنا هذا اسم « وفر إنتاجك »، فأنت إذا لم تنتج إلا أشياء قليلة، فلا بد لك من أن تبيع ما يفيض منها عن حاجتك بسعر الجملة، وأن تشتري ما تحتاج إليه بسعر التجزئة، ولكنك إذا أنتجت مقادير أقل

منها من منتجات كثيرة مختلفة تستهلكها أنت ، قلَّ ما تحتاج إلى شرائه من الأصناف .

ونحن ننتج اليوم من مزرعتنا الصغيرة كل حاجتنا من اللبن والقشدة وبعض الزبد ، وكل حاجاتنا من البيض ، وما يقرب من ١٢٠ رطلا من لحم الدجاج فى العام ، ومئات الأرطال من لحم الخنزير الطازج والمقدد ونخذه المملح ، يضاف إليها الأرانب والضأن والإوز وتوت العليق ، وكل ما نحتاج إليه من الخضر الغضة والمحفوظة والمبردة ، إلا قليلا منها نشتريه ، وكذلك يظفر منها بالسماد لحديقتنا ومرجنا.

وقد يخيل إليك أن العناية بحديقة ، وأشجار فاكهة ، وعنز للبن ، ودجاج ، وأرانب ، وإوز ، ونحل ، إنما هى عمل يرهقنا ، ولكنه عمل علينا يسير ، مع أننى أسافر إلى عملى بنيويورك خمسة أيام فى كل أسبوع . وكلانا فى ريعان عمره ، فعمرى ٣٢ سنة وعمر زوجتى ٢٩ عاماً ، وكلانا قوى ولا يهاب العمل . ونحن نستيقظ فى السادسة والنصف ، وأعود من مكتبى فأعمل فى الحديقة بين السابعة والتاسعة مساء ، وقد نعمل أحياناً حتى منتصف الليل فى موسم إعداد الخضر والفاكهة لحفظها فى العلب . ولست أستطيع أن أشير بهذا الجهد على طاعنين فى السن أو ضعفاء ولكنك إذا أطقته ارتاحت إليه نفسك .

ويدل حسابنا على أن ما ننتج من الطعام لو ابتغيناه من السوق زاد ثمنه ٥٥ ريالا فى الشهر الواحد على نفقات الإنتاج . هذا وقد قل ما ننفقه فى العلاج الطبى وغيره من أبواب الإنفاق الكثيرة ، فنحن فى المدينة نصرف غير قليل من المال فى المسارح ومباريات البيس بول «الكرة» وحفلات الكوكتيل وغير ذلك ، ولكنا اليوم نستفيد من أوقات الفراغ فى بناء حائط أو قطع حطب المدفأة أو رعاية دواجننا ، وتبلغ قيمة ما نوفره من ذلك حوالى تسعمئة ريال فى السنة ، ثم تأتى بعد ذلك أشياء لا تقدر بمال ، كجودة الطعام ، والاعتزاز بمنزلنا ، والشعور بأننا قد بلغنا ما نتمنى .

وكان إنتاج البيض أول أهدافنا ، وظننا أننا فى حاجة إلى ٢٤ بيضة فى الأسبوع ، فاشترينا سبعة فراريج كلفتنا أحد عشر ريالا ، ولكنها لم تضع بيضا فى الأسبوع الأول . وجاءت ليلة فقابلتنى زوجتى فرحة حين عدت من نيويورك — فقد وضع دجاجنا بيضة واحدة ، وظلت الدجاجات السبع ثمانية شهور تبيض حتى وضعت ٦٤٦ بيضة فقدرنا أثمانها وتكاليفها ، فإذا

لكل اثنتى عشرة بيضة ستة قروش ، يقابلها ١٦ قرشاً عنــد البدال ، فزدنا سرب الدجاج إلى عشرين ، وبذلك وفرنا ١٥ ٪ من مصاريف تغذيتها . ونحن نستهلك الآن ٤٨ بيضة فى الأسبوع . فإذا زاد الإنتاج عن حاجتنا بعته لزملائى فى المكتب بسعر ١٦ قرشاً لكل ١٢ بيضة .

ثم يجىء أمر دجاج الأكل ، والذى يربى على الطريقة المسماة «وحدات الدجاج» فتقلل هــذه الطريقة من احتمال هلاك الأفراخ « الكتاكيت » بالمرض ، ويرسل إلينا معهد التفريخ اثنين وثلاثين من هذه الصغار كل دفعــة ، يكلفنا إطعامها أربعة قروش وحسب للرطل الواحــد من لحم الدجاج . والعمل ؟ أتسـأل عن العمل ؟ استغرق إعداد أول دجاجة صغيرة من ذبح وتنظيف ما يقرب من ســاعة ، ولـكننا استطعنا فى اليوم التالى إعداد سبع منها فى ساعتين ، وتستغرق رعاية « وحــداتنا » أقل من عشر دقائق كل يوم ، وبعد تسعين يوماً ظفرنا بما يكفى حاجتنا من الطعام كاملا.

وقدرنا أنه يجــدر بنا أن نربى من الدواجن نوعاً آخر على الأقل ، ووجدت أن الإوز خيرها طعاماً وأسهلها تربيــة ، فبدأنا باثنتى عشرة بيضة من بيض الإوز ، ثمنها أربعة ريالات ، ففرخت سبع منها تحت دجاجتين من دجاجنا ، فأكلنا ثلاثة منها ، وبعنا اثنتين ، وأبقينا زوجاً لتربيته .

فانتحينا بذلك منحى جديداً فى مشروعنا « وفر إنتاجك » ، هو الاتجار مع جيراننا، فقــد قايضنا الإوز بالديوك الروميــة ، والأرانب بالـكمثرى . وفى الشتاء الماضى قايضنا دجاج الأكل والبيض بالبطاطس . فإذا جرى عــدد من الجيران على نظام « وفر إنتــاجك » ازداد تنويع المنتجات المتاحة لهم ازدياداً مطرداً ، وقلت مصاريف الإنتاج ، وقل مجهود العمل .

فلما انقضى الشتاء الأول ، صرفنا جهدنا إلى الحديقة ، فحصلنا أثنــاء الموسم على كل حاجتنا للأكل من الخضر الغضــة ، ثم حفظنا منها للشــتاء التالى ما يقرب من ١٨٧٫٥ رطلا فى العلب أو الثلاجة ، وقد وفر علينا ذلك ما قيمته ١٥٠ ريالا .

وذات يوم تصفحنا قســائم ما اشتريناه من اللبن والزبد والجبن ، فوجــدنا أن مصنع الألبان يأخذ ما يقرب من ٢٥ ٪ مما ننفقه على طعامنا ، فكان من الواضح أنه يجب علينا أن نبدأ بإنتاج اللبن ، ولـكن البقرة الواحــدة تحتاج إلى مرعى مساحته فدانان ، فما هو إلا أن اقتنينا عنزاً حلوباً.

وكلفنا شراء عنز نوبية ومعها رضيعها مبلغ ٤٩ ريالا منها أجرة النقل ، فأدرت

هذه العنز ١١٫٢٥ رطلا فى اليوم ، وما زالت تدر ٣ $\frac{3}{4}$ رطل من اللبن كل يوم ، وذلك بعد تسعة أشهر من ولادتها . وهى صغيرة السن ، ونتوقع أن تدر أكثر من ذلك فى الموسم القادم ، وأصدقاؤنا من سكان المدينة يدهشون حين يعلمون أن ما تناولوه من لبن فى الغداء كان لبن عنز ، فليس للبن الماعز مذاق غريب يميزه متى اعتنى بحلبه ، وهو أدسم قليلا من لبن البقرة وهو صاف متجانس بطبيعته .

ومضينا نحشد أسباب إنتاج المأكولات المختلفة فى مزرعتنا الصغيرة ، فزرعنا بها ١٥ شجيرة من شجيرات التوت البرّى واتخذناها سوراً ، وعشر دوالى كرم ، ومئة من شجيرات توت العُليق ، وبقعة صغيرة من الشليك ، وقد زادت أشجار الفاكهة الثمانية عشرة من جمال المرج المنبسط فى دارنا ، وجنينا من خلايا النحل فى العام الماضى ما يقرب من خمسة أرطال من العسل ، وسنجنى منها هذا العام ما لا يقل عن ١٥٠ رطلا ، وهذا لم يكلفنى أنا وحدى من العمل أكثر من ٢٤ ساعة فى العام .

واشترينا فى شهر إبريل خنزيرين مطعمين ضد الأمراض ، عمرهما سبعة أسابيع ، وذبحناهما فى ديسمبر فحصلنا على ٤٦٠ رطلا من اللحم ، ولم يزد ثمن الرطل منها على خمسة قروش ونصف قرش . وعمدنا إلى تربية الأرانب فاتخذنا ذكراً وأنثيين . ولما كان الأرنب نَثُوراً (كثير النسل) فسنظفر فى العام الواحد بما يتراوح بين ٣٠ أرنباً إلى ٤٠ ، يختلف وزن أحدها من ثلاثة أرطال إلى أربعة ، وهى أسهل فى الطبخ من الدجاج ، ولا تقتضى العناية بها سوى خمس دقائق كل يوم ، ولا يتكلف الرطل من لحمها أكثر من قرشين إلى قرشين ونصف ، ولا نبقى عندنا أكثر من ١٨ أرنباً ، وبيتها لا يشغل من الفراغ أكثر مما تشغله مائدة وسط .

وأكبر ما يبعث فينا السرور من أعمال مشروعنا هو حفظ الأغذية ، إذ نأكل من جنى مزرعتنا طول العام . ومن سعادة الجدّ أن الناس يعرفون اليوم ثلاث طرق لحفظ الأغذية — التبريد السريع والحفظ فى العلب والتجفيف . وقد كان طعامنا ، فى عامين فرض فيهما نظام الجراية ، أجود مما كان من قبل . فالدجاج الذى نأخذه من ثلاجتنا طري ولذيذ ، والخضر الطيبة المذاق تتيسر لنا فى شهر يناير ، وهكذا ، والثلاجة السريعة التبريد هى عماد أمرنا فى مزرعتنا الصغيرة .

نعم إنه لأفضل أن نحفظ بعض ضروب الأطعمة فى آنية من الزجاج ، فلذلك نجد

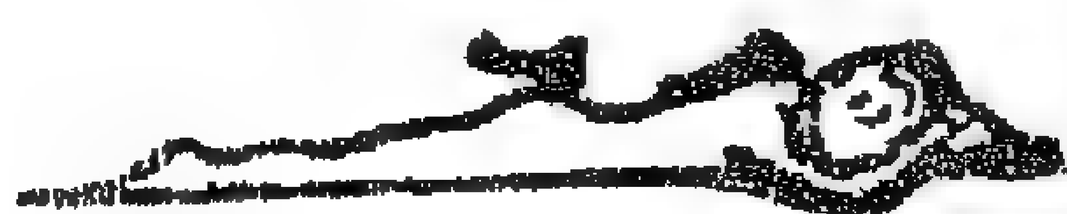
رفوفنا غاصّة بتلك الأوانى البراقة التى تملؤنا زهواً ورضى، وتوفر علينا مالا كثيراً أيضاً. فقد كلفنا إعداد ١٨٧٫٥ رطلا من عصير الطماطم المحفوظة أربعة ريالات فقط، منها ثمن الثمار، والتصفية، وأوانى الزجاج والتوابل، والتيار الكهربائى، ولو اشتريتها لكان ثمنها ١٦٫٥٠ ريالا، فيبلغ مااقتصدناه بذلك ٧٦٪

وسرّ مشروعنا هو هـذا العالم الصغير المضمر فى كلمة « نحن »، فقد كان تعاوننا أنا وزوجتى تعاوناً تاما منذ اتخذنا دجاجاتنا السبع الأولى. وصـدقنى أن المعيشة فى مزرعة كمزرعتنا تجلو ما فى الزواج من معنى صحيح، سواء أكان ذلك فى بطاح الغرب المتسعة أم فى مزرعة صغيرة بالضواحى.

وفى مشروعنا هذا شئ مهم هو ولدنا جاكى، فقد أصبح مخلوقاً لطيفاً مسـتقلا بنفسه لا يهاب شيئاً، فهو يحب جميع حيواناتنا، وسيفيد شيئاً كثيراً من الحياة وأسرار ما فيها، إذا هو ساعدنا فى العناية بتلك الحيوانات، وسـيحمل التبعات صغيراً، ويتعلم كيف يكون كسب الرزق، وأعظم من ذلك أنه سيتمتع بكل مسرات الطفولة التى عرفتُ بها حياة الريف.

ومشروعنا إنما هو نموذج، ولكنه ليس دواءً شافياً — وما هو إلا نموذج لفريق من الناس وحسب، فبعض الناس لا يحب أن يزيد على قدر عمله عملا، وبعضهم لا يطيق، وآخرون ليس بهم إلا أنهم لا يحبون المعيشة فى الريف، ولكن أوساط الأسر تستطيع أن تنهض بهـذا المشروع الذى يجمع بين المعيشة فى الريف وبين العمل فى المدينة، فقد سهلت الآلات والأساليب المسـتحدثة أمر الزراعة. ولما كانت أيام العمل فى الأسبوع قد قلت اليوم، صار وقت الفراغ أوسع مما كان منذ عشرين سـنة. ومن اليسير اليوم أن ينتج المرء محاصـيل النبات والحيوان إنتاجاً صالحاً. وقد تحسنت البذور والنبات وسلالات الحيوان والأسمدة والعلف ووسائل مقاومة الآفات.

ونحن نعتقد أن كثيراً من الأسر ستجرب بعد الحرب فكرة المعيشة فى الريف والعمل فى المدينـة تجربة موفقة، وأنهم سيتخذون الشعار الذى اتخذناه لأنفسنا: « أرض صغيرة ورزق وفير ».



قيمـة كلّ امرئ ما يُحسن

[على بن أبى طالب]

لحيــة جوزيف بالمــر

تاريخ عجيب لذيوع اللحى وزوالها فى أمريكا .

ستيوارت هولبروك * ملخصة عن "ذى أمريكان سكولار"

جوزيف بالمر هو أحد الأفذاذ المغمورين الذين عملوا على أن تصير أمريكا أرضاً تطيب فيها الحياة . وقد أغفل ذكره الآن ، وإنه لإغفال مزر ، فهو رجل من جيل كاد ينقرض .

كان بالمر فريسة اضطهاد من أغرب ما كان فى التاريخ ، ولم يكن للعصبية أو الدين شأن فى هذا الاضطهاد ، إذ كان سببه لحية ، لحية من أضخم اللحى التى عرفتها نيو إنجلند بل الولايات المتحدة .

انحدر بالمر من أجدادٍ شداد الأسْر بنيو إنجلند ، واشترك والده فى الثورة الأمريكية ، وحمل هو نفسه السلاح فى حرب الولايات المتحدة مع إنجلترا سنة ١٨١٢ ، وكان فى الثانية والأربعين من عمره حين نزح من مزرعته فى سنة ١٨٣٠ إلى قرية فيتشبرج الزاخرة . ولم تلبث لحيته أن أصبحت هناك هدفاً للتهكم اللاذع والنكات القاسية ، ولكن قبل أن نروى ما استهدف له من ظلم ، ينبغى أن نذكر بإيجاز تاريخ اللحى فى أمريكا .

اكتشف أمريكا رجال من أمم شتى ، وكان معظمهم يطلق لحيته ، فإن هرمان كورتيس ، وصمويل دى شاملان ، وسير فرانسيس دريك ، وسير والتر رالى ، وكابتين جون سميث ، وفرناندو دى زوتو ، كانوا جميعاً يدِلّون بلحى مختلفة الشكل والطراز ، ثم جاء بعدهم الغلاة النازحون من أوربا والمتشددون فى الدين الذين لا تكاد تجد فيهم إلا مرسلا لحيته ، غير أن المستوطنين الأُوَل لم يبقوا طويلا على لحاهم ، فجعلوا يأخذون منها شيئاً فشيئاً إلى أن كادت تصبح كزلمة العنز ، ثم زالت زوالا تاماً فى سنة ١٧٢٠ . ولم يكن للمجاهدين فى الثورة لحى ، ولم يكن لوشنطن أو أحد من قواده شارب أو أثر من لحية ، وكذلك كان كل من وقع على عهد الاستقلال .

واستمرت الحال على هذا النحو سنوات ، فلم يكن لأى رئيس للولايات المتحدة — قبل لنكولن — شعرة واحدة على عارضيه ، وكان المصورون يرسمون العم سام حتى سنة ١٨٥٨ حليق الذقن والشارب . ولم تنتشر عادة إرسال الشعر فى أمريكا إلا بعد احتدام الحرب الأهلية .

ولما نزل بالمر بلحيته على فيتشبرج لم يكن للحى وجود منذ مئة عام على الأقل ،

وكان بالمر ، على غرابة ما يكسو وجهه من شعر كثّ ، رجلا أميناً طيباً رقيق الحاشية متشدداً فى دينه ، ولكنه متسامح . كان رجلا مشاركا فى ضروب المعرفة ، وكان ثابتاً كل الثبات على مبادئه التى كان يعد منها حق الإنسان فى إطلاق لحية غزيرة الشعر .

لهذا كان الأطفال ، أينما ذهب ، يرمونه بالحجارة ويتصايحون به ، وكانت النساء تأنف منه ، فيعبرن إلى الجانب الآخر من الطريق حين يرينه مقبلا ، وكثيراً ما كان المشاغبون يحطمون نوافذ بيته الصغير ، والرجال يسخرون منه جهرة .


جوزيف بالمر ولحيته

وذات يوم من سنة ١٨٤٠ حين كان بالمر منصرفاً من نزل فيتشبرج أمسك بتلابيبه أربعة رجال مسلحون بمقص وفرشة وصابون وموسى ، وقالوا له : « إن الناس يحسون أن لحيته ينبغى أن تزال » ثم طرحوه أرضاً بعنف ، وأصيب ظهره ورأسه بأذى ، غير أنّه استطاع أن يخرج من جيبه مدية وطفق يضرب حوله بشدة فأصاب أرجل اثنين من المعتدين عليه بجروح لم تكن بليغة ، ولكنها كانت كافية أن تثنيهم عن تولى مهمة الحلاقة . ولما نهض بالمر جريحاً ينزف دما ، كانت لحيته الفخمة سليمة لم يمسسها سوء .

ثم أُلقى القبض عليه فوراً متهماً « بالمبادأة بالاعتداء » وقد أبى أن يدفع الغرامة ، فهى مسألة مبدأ ، كما قال . فأودع سجن مدينة وستر ، ولبث هناك أكثر من عام ، وقضى فترة فى سجن منفرد .

ولم يكن له بدّ ، وهو فى السجن أيضاً من أن يكافح دفاعاً عن لحيته ، فذات مرة هجم عليه السجان ومعه عدة رجال ليزيلوا لحيته الشهيرة ، ولكنه صارعهم صراعاً عنيفاً ، وارتد الرجال دون أن ينالوا منه شعرة واحدة ، وقد نجح مرتين فى ردّ من ابتغى أن يحلق له لحيته من السجناء .

ثم كتب وهو فى السجن رسائل ذكر فيها أنه لم يسجن لاعتدائه على غيره ، بل لأنه يطلق لحيته ، وكان هذا هو الواقع ولا ريب . وتلقى ابنه الرسائل ثم نشرها فى صحيفة وستر سباى ، ثم نقلتها عنها بعض الصحف ، وسرعان ما أخذ أهالى ولاية ماساشوستس يلغطون ، وأدرك رئيس الشرطة أن بين يديه رجلا حديد الطباع عنيداً لا يلين ، وربما كان أيضاً مظلوماً بريئاً ، فأمره أن ينطلق إلى داره وينسى ما حدث ، فأبى بالمر .

وأخذ السجان يحثه على مغادرة السجن ، وكتبت إليه أمه العجوز أن يعود إليها ، ولكن دون جدوى ، فلا شيء يثني سجين وستر ذا اللحية عن عزمه ، فجلس هناك على كرسي كأنه بوذا تحت لحيتـه ، إلى أن اضطر رئيس الشرطة بعد أن عجز أن يحمله هو والسجانون بكرسيه ويتركوه فى الطريق .

ومن يومئذ لم تلق لحية بالمر كيداً ولا عنفاً . ولم يلبث أن اشترك فى كفاح الرق بعد أن أطلق سراحه ، وكثيراً ما كان يذهب إلى بوسطن ليحضر اجتماعات حزب إلغاء الرق ، باذلا وقته وماله فى سبيل دعوته . ولقى هناك إمرسون وثورو اللذين قدّرا فطنته وذكاءه ، ومن يومئذ ذاع صيته .

ولم يعد بالمر يلقى من الناس اضطهاداً بل ألفاهم ينظرون إليه نظرتهم إلى بطل ، ومضت السنون ولحيته تنتشر انتشار الصفصاف ، وتريك صورة التقطت له حينئذ أنها كانت ضخمة هائلة .

وأخيراً بلغت اللحى فى أمريكا ذروة مجدها قبل وفاته بسنوات ، وكان انتشارها فى أمريكا المرة الثانية مباغتاً ، فهاج الشعر دفعة واحدة فى وجوه ذكور الأمريكيين .

ولا يعلم أحد علم اليقين سبب ذلك ، فلما انتخب لنكولن كان حليق الذقن والشارب ولكنه كان ملتحياً يوم تقلد الرياسة ، وكان قواد الحرب الأهلية وجنودهم أيضاً يرسلون لحاهم فى سنة ١٨٦٢ ، وقد أطلق الجنرال برنسايد اسمه على شكل خاص من اللحى .

وكان لاعبو البيس بول فى العقد السابع والثامن من القرن الماضى من ذوى اللحى كما تصورهم رسوم الحفارين المعاصرين لهم ، وكان للصيارفة طراز خاص بهم ، وقد نبذت المواسى وانتشرت فى السوق الجديدة الأدوية المزيفـة التى تنمى الشعر . وكانت خير هدية تقدم للرجل حُقّـاً أنيقاً منها لتنمية الشارب . وأصبحت اللحيـة آية المكانة والهيبة والكمال . وذاعت فى أمريكا كل أصناف اللحى وملايين من الشوارب الضخمة .

غمرت السـعادة نفس بالمر الشيخ ، كما تغمر نفس الداعى إلى الخير عاش حتى رأى ذيوع دعوته ، وقد توفى سنة ١٨٧٥ حين بلغت اللحى أوج انتشارها ، ولم ير منظرها المؤلم وهى تذبل ثم تختفى إلى الأبد .

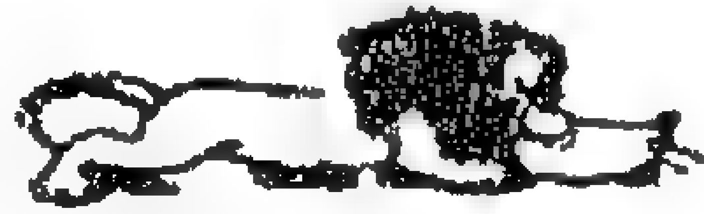
وقد شغل زوال اللحى خلال السنوات الخمس والثلاثين التاليـة فريقاً قليلا من صغار المؤرخين — غير أن مستر لويس جانيت خط لها رسماً بيانياً وجعل أساسه وجوه المتخرجين من جامعة هارفرد التى تخرج فيها . وقد دل بحثه على أن المتخرجين فى العقد السابع من القرن الماضى كانوا

يطلقون لحى كثة كشعر الماعز ، غير أن أكثرهم فى سنة ١٨٧٢ كانوا يطلقون شواربهم فقط وشعر العارضَين . وفى سنة ١٨٩٠ امتنع الناس عن إرسال اللحى وشعر العارضين ، أما الشارب فكان فى ذروة انتشاره .

ثم لحقها الزوال بسرعة محزنة ، فلم يكن لأحد المتخرجين سنة ١٩١٠ لحية . وكان آخر شارب ظهر فى فريق كرة القدم بجامعة هارفرد فى سنة ١٩٠١ ، وكان آخر شارب ظهر فى فريق البيس بول سنة ١٩٠٥

ولقد رأى البيت الأبيض مثل هذا التدهور ، فمن لنكولن إلى تافت انتخب للرياسة رجل واحد بلا شارب ، وهو ما كينلى ، ولكن منذ تولى ولسن الرياسة لم يدخل البيت الأبيض رجل فى وجهه شعر . وقد ظن بعض الناس أن لحية شارل إيفانس هيوز كانت سبب سقوطه فى انتخابات الرياسة سنة ١٩١٦ ، وكانت لحيته هذه هى اللحية الوحيدة الكثيفة بين أعضاء المحكمة العليا .

وإذن فقد مات بالمر الشيخ فى الوقت المناسب ، ولقد كان من همّه أن يضمن لنفسه بقاء الذكر . وهو يثوى الآن فى لحده فى المقبرة القديمة نورث ليومينستر على مقربة من فيتشبرج ، وهو قطعة مربعة من صخر خشن فى طول الرجل ، وفى مقدمته صورة محفورة فى الرخام الأبيض هى رأس بالمر ، بلحيته النبيلة مسترسلة متموجة ، وقد كتب تحت الرأس هذه الكلمة البسيطة : « اضطهد لأنه أرسل لحيته » .



الصوت الهاتف

منذ سنوات ماتت فى ريف كاليفورنيا الجنوبية امرأة مكسيكية ، تخلّفت أسرة مؤلفة من ثمانية أولاد . وكانت أكبرهم فتاة نحيفة ضئيلة لم تبلغ السابعة عشرة ، فحملت على عاتقها النحيل عبء العناية بالأسرة ، فكانت تسهر على نظافتهم وطعامهم وذهابهم إلى المدرسة .

وفى أحد الأيام أثنيت عليها مشيداً بما عملت فردت : « لا يحق لى أن أظفر بثناء على ما لا بد منه » . فقلت : « ليس بشىء لا بد منه يا عزيزتى ، إنك تستطيعين أن تتخلى عنه » . ووقفت هنيهة ثم قالت : « صدقت ، ولكن « لا بد منه » التى أسمع هتافها فى قلبى ، ما أصنع بها ؟ »

[فرنا رولنجز]

الطريق إلى الرق

ملخص لكتاب

فريدريخ ا. هايك

كتب هنري هازليت في جريدة نيويورك تيمس يقول : « إن كتاب فردريخ ا . هايك « الطريق إلى الرق » من أهم الكتب في جيلنا ، وهو يبسط فيه لزماننا النزاع بين الحرية والسلطة ، وفيه دعوة قوية إلى جميع ذوى النيات الحسنة من الاشتراكيين وأصحاب مشروعات الإصلاح ، وإلى جميع الديمقراطيين المخلصين وأحرار القلوب ، أن يقفوا ، وينظروا ، ويسمعوا » .

والمؤلف اقتصادى دولى الشهرة ، وهو نمسوى المولد ، وكان مديراً للمعهد النمسوى للأبحاث الاقتصادية ، ومحاضراً في الاقتصاد بجامعة فيينا في السنوات التي ظهرت فيها الفاشية في أوربا الوسطى . وقد عاش في انجلترا منذ سنة ١٩٣١ حيث عين أستاذاً لعلم الاقتصاد بجامعة لندن ، وقد اكتسب الجنسية البريطانية .

وفي هذا الكتاب يرسل الأستاذ هايك صيحة تحذير وإنذار قائمة على التفكير القوى والمنطق الصارم ، إلى الأمريكيين والبريطانيين الذين يتطلعون إلى الحكومة لإيجاد مخرج من مصاعبنا الاقتصادية جميعها . وهو يبين أن الفاشية وما يدعوه الألمان بحق الاشتراكية الوطنية هى النتائج المحتومة لاطراد الزيادة في رقابة الدولة وسلطة الدولة و « التوجيه » الوطني والاشتراكية .

وقد كتب جون تشمبرلن محرر باب الكتب في مجلة هاربر في تقدمته لكتاب « الطريق إلى الرق » يقول : « هذا الكتاب صرخة تحذير في وقت تردد . وهو يهيب بنا أن نقف ، وننظر ، ونسمع . ومنطقه لا يدفع ، وينبغى أن يظفر بالإصغاء إليه في أوسع نطاق ممكن » .

قضى المؤلف نحو نصف حياته ، بعد أن بلغ مبالغ الرجال فى وطنه النمساء على اتصال وثيق بالفكر الألمانى ، والنصف الآخر فى الولايات المتحدة وإنجلترا . وقد ازداد اقتناعاً فى الشطر الأخير بأن بعض العوامل التى عصفت بالحرية فى ألمانيا تعمل أيضاً هنا فى الولايات المتحدة وأنجلترا .

إن مدى جسامة الفظائع التى ارتكبها الاشتراكيون الوطنيون قد قوت الثقة بأن النظام الجامع لا يمكن أن ينشأ هنا . ولكن علينا أن نتذكر أنه قبل خمسة عشر عاماً كان إمكان حدوث شىء من هذا فى ألمانيا خليقاً أن يبدو خياليا ومستبعداً لا لتسعة أعشار الألمانيين أنفسهم فحسب ، بل لأشد المراقبين الأجانب عداء .

وهناك وجوه كثيرة كانت يومئذ تعد « ألمانية الصبغة » وهى الآن مألوفة فى إنجلترا وأمريكا ، وأعراض عديدة تشير إلى تطور آخر فى الاتجاه نفسه : ازدياد الاحترام للدولة ، وروح القدرية فى تقبل « الاتجاهات التى لامفر منها » ، والحماسة « لتنظيم » كل شىء ، (ونحن نسميه الآن « التوجيه ») .

ولعل إدراك طبيعة الخطر أقل هنا — إذا كان هذا ممكناً — مما كان فى ألمانيا . وما زالت المأساة الكبرى غير مدركة ، وهى أن ذوى النيات الحسنة فى الأغلب والأعم ، هم الذين مهدوا السبيل بسياساتهم الاشتراكية للقوات التى تمثل كل ما يمقتون . وما أقل من يفطنون إلى أن ظهور الفاشية والنازية لم يكن رد فعل للنزعات الاشتراكية فى المدة السابقة ، بل نتيجة لازمة لهذه النزعات . ومماله دلالة أن كثيرين من زعماء هذه الحركات ، من موسولينى فنازلا (وفى جملتهم لافال وكويسلنج) بدأوا اشتراكيين وانتهوا فاشيين أو نازيين .

وفى الديمقراطيات القائمة فى الوقت الحاضر ، يعمل كثيرون من المخلصين فى مقت كل مظاهر النازية ، فى سبيل مثل عليا يفضى تحقيقها إلى الاستبداد المشنوء مباشرة . ومعظم الذين تؤثر آراؤهم فى سير الأمور اشتراكيون إلى حد ما ، وهم يعتقدون أن حياتنا الاقتصادية ينبغى أن توجّه توجيهاً قائما على الوعى والإدراك ، وأنه ينبغى أن نحل « التوجيه الاقتصادى » محل نظام التنافس . ولكن هل ثم مأساة يستطاع تخيلها أعظم من أننا فى محاولتنا صوغ مستقبلنا بإدراك ، طبقاً للمثل العليا ، ننتج فى الواقع ومن حيث لا نحتسب نقيض ما نسعى له ؟

التوجيه والسلطة

لكى يدرك الموجهون غاياتهم لا بد لهم من إيجاد سلطة — سلطة على الغير

يستعملها الغير — في نطاق وإلى مدى لم يعرفا قط من قبل ، وسيكون نجاحهم رهناً بما يفوزون به من هذه السلطة . والديمقراطية عقبة في طريق هذا الخنق للحرية ، وهو ما تتطلبه الإدارة المركزة للنشاط الاقتصادي، ومن هنا يقع التصادم بين الديمقراطية والتوجيه .

ويتوهم كثيرون من الاشتراكيين لسوء الحظ أنهم بحرمان الأفراد ما لهم من قوة في نظام فردي ، وتحويل هذه القوة إلى الجماعة ، يقضون على السلطة ، ولكن الذي يغيب عنهم هو أنهم بتركيز السلطة تركيزاً يجعل من الممكن استعمالها لخدمة منهج واحد ، لا ينقلون هذه السلطة فحسب بل يزيدونها أضعافاً مضاعفة ، لأنهم بجمعهم في أيدي هيئة مفردة ، سلطة كان كثيرون يتوزعونها ويستعملونها منفردين، قد خلقوا مقداراً من السلطة أعظم جداً من أي قدر آخر كان له من قبل وجود . وهي لفرط بعد مداها تكاد تكون من ضرب مختلف جداً.

ومن الخطأ المحض أن يقال إن السلطة العظيمة التي تستعملها هيئة مركزية للتوجيه لن تكون « أكبر من السلطة التي كانت تستعملها في جملتها مجالس الإدارات» ، فليس ثم أحد في جماعة قائمة على قاعدة التنافس يستطيع أن يزاول حتى ولو جزءاً من السلطة التي تملكها هيئة موجهة اشتراكية . واللامركزية في السلطة مؤداها خفض مقدارها ، ونظام التنافس هو الوحيد الذي يهبط بسلطة الإنسان على الإنسان إلى أدنى حد . ومن الذي يشك جاداً في أن السلطة التي تكون للمليونير على — أنا عامله — أقل جداً من السلطة التي يملكها أصغر مستبد في يده سلطان الدولة، وإلى رأيه يرجع الأمر في كيف يسمح لي أن أعيش وأحيي ؟

والعامل غير الحاذق الضئيل الأجر في هذه البلاد ، يملك بكل معنى صحيح ، من الحرية في تكييف حياته فوق ما يملك كثيرون من أصحاب الأعمال في ألمانيا ، أو مهندس أو مدير عمل أحسن منه أجراً في روسيا . فإذا أراد مثلا أن يغير عمله أو ينتقل من المكان الذي يعيش فيه ، أو إذا شاء أن يذهب إلى آراء معينة ، فإنه لا تعترضه عقبة ما . وليس على سلامته البدنية أو على حريته خطر ، وليس ثم قوة وحشية تلزمه أن يبقى في العمل والوسط الذي عينه له رئيس .

وقد نسي جيلنا أن نظام الملكية الفردية أهم ضمان للحرية ، وما تيسر لنا نحن الأفراد أن نكون أحراراً فيما نصنع بأنفسنا ، إلا لأن السيطرة على وسائل الإنتاج موزعة بين أناس كثيرين يعمل كل منهم مستقلا .

ومتى صارت جميع وسائل الإنتاج محصورة فى يد واحدة ، سواء أكانت اسميا يد الجماعة فى جملتها أم كانت يد دكتاتور ، فإن الذى بيده هـذه السيطرة يكون له الأمر كله علينا . ومن الممكن أن تكون القوة الاقتصادية فى أيدى الأفراد أداة للإكراه ، ولـكنها لا تبلغ أبداً أن تكون سيطرة على حياة الشخص كلها . أما متى ركزت القوة الاقتصادية وصارت أداة للسلطة السياسية ، فإنها تخلق درجة من الاتكال والتعويل لا تكاد تتميز من الرق . وقد صـدق من قال إن المعارضة فى بلد تكون فيـه الدولة هى وحدها التى تستخدم الناس فى الأعمال ، يكون معناها الموت البطىء جوعاً .

الخطـر الماثـل

إن الفردية ، على نقيض الاشـتراكية وكل أشكال النظم الجامعة الأخرى ، قوامها احترام الفرد ، والاعتقاد أن من المرغوب فيه أن يكون الناس أحراراً فى إنماء مواهبهم الفردية ومسايرة ميولهم الخاصة . وقد نمت هذه الفلسفة التى بسطت لأول مرة فى عصر النهضة واستفاضت ، فصارت ما نعرفه الآن بالحضارة الغربيـة ، وكان الاتجاه العـام للتطور الاجتماعى هو تحرير الفرد مما يقيده فى الجماعة الإقطاعية .

ولعل أعظم نتيجة أدى إليها تحرير الفرد ومواهبه هو هـذا الرقى المدهش الذى أحرزه العلم . وما استطاع العلم أن يخطو هذه الخطوات العظيمة فى المئة والخمسين عاماً الأخيرة وأن يغير بها وجه العالم ، إلا بعد أن فتحت الحرية الصناعية الطريق للانتفاع الحر بالمعارف الجديدة ، وإلا بعد أن أصبح من الممكن اختبار كل شىء وتجربته ، إذا وجد من يظاهر التجريب على مسئوليته — وقد فاقت نتيجة هذا الرقى كل ما كان متوقعاً . ففى حيثما أزيلت الحواجز التى كانت تحول دون الانتفاع الحر بالذكاء الإنسانى ، صار الإنسان بسرعة قادراً على إرضاء رغباته التى لا يزال نطاقها يزداد اتساعاً ، وقد بلغ العـالم درجة من الدعة المادية والأمن والاستقلال الذاتى كانت قبل مئة عام لا تكاد تبدو ممكنة .

وكان من أثر هـذا النجاح أن يكسب الناس شعوراً جديداً بالسيطرة على مصايرهم ، والاعتقاد بإمكان تحسين أحوالهم إلى غير حد ، وصار ما أمكن تحقيقـه يعدّ ملك إيمان الناس . وقد تم تملكه وانتهى الأمر ، وبدأت درجة التقدم تبدو أبطأ مما ينبغى ، وحدث فضـلا عن ذلك أن المبادىء التى يسرت هـذا التقدم أصبحت تعد عقبات فى سبيل تقـدم أسرع . يجب أن تنحى

بسرعة حتى ليمكن أن يقال إن النجاح الذى أصابته المبادىء الحرة انقلب علة انحطاطها.

وما كان ينبغى لعاقل أن يشك فى أن المبادىء الاقتصادية للقرن التاسع عشر لم تكن أكثر من بداية ، وأنه كانت هناك احتمالات هائلة للتقدم فى الطريق الذى سرنا فيه . ولكن المسألة ، بحسب الآراء السائدة الآن، لم تعد : كيف نستخدم القوات الذاتية التى تعمل من تلقاء نفسها فى جماعة حرة ، أحسن استخدام ؟ فقد أخذنا فى الواقع نستغنى عن هذه القوات ونحل محلها التوجيه الجامع المنطوى على العمد.

ومما له دلالة أن هذا الانصراف عن المبادىء الحرة ، سواء أظهر فى صورة الاشتراكية المتطرفة ، أو فى صورة « تنظيم » أو توجيه قد بلغ غايته فى ألمانيا. ففى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، والربع الأول من القرن العشرين ، سبقت ألمانيا العالم بمراحل فى نظرية الاشتراكية وتطبيقها ، حتى إن المباحث الروسية فى الوقت الحاضر لا تعدو فى الأكثر أن تصل ما انقطع عند الألمان ، وقد حمل الألمان على المبادىء الحرة والديمقراطية والرأسمالية والفردية قبل ظهور النازيين بزمان طويل.

وقبل ظهور النازيين بزمان طويل أيضاً كان الاشتراكيون الألمانيون والإيطاليون يذهبون إلى آراء استخدمها النازيون والفاشيون فيما بعد على نحو فعّال ، ففكرة حزب سياسى يسيطر على نشاط الفرد من المهد إلى اللحد ويزعم أنه يرشده ويهديه فى كل أمره ، كان الاشتراكيون أول من وضعها موضع التنفيذ . ولم يكن الفاشيون ، بل الاشتراكيون ، هم الذين بدأوا يجمعون الأطفال فى سن غضة ويزجون بهم فى هيئات سياسية لتوجيه تفكيرهم ، ولم يكن الفاشيون بل الاشتراكيون هم الذين فكروا قبل غيرهم فى تنظيم الألعاب مثل كرة القدم والرحلات على الأقدام ، فى أندية حزبية لا يتأثر فيها أعضاؤها بآراء أخرى ، والاشتراكيون هم أول من حتم على عضو حزبهم أن يميز نفسه من غيره بأساليب التحية والخطاب ، وهم الذين نظموا « اللجان السرية » وابتكروا الوسائل للإشراف الدائم على الحياة الخاصة ، فخلقوا النموذج الأول للحزب الجامع.

فلما جاء هتلر واستولى على السلطة فى ألمانيا كانت المبادىء الحرة قد ماتت ، وكانت الاشتراكية هى التى قتلتها.

وكثير من الذين راقبوا الانتقال من الاشتراكية إلى الفاشية عن كثب ، قد استبانوا العلاقة بين المذهبين أو النظامين ،

وازدادت وضوحاً لهم ، ولكن كثرة الناس فى البلاد الديمقراطية لا تزال تعتقد أن من الممكن الجمع بين الاشتراكية والحرية ، ولا يدركون أن الاشتراكية الديمقراطية التى كانت الغاية المثالية للأجيال القليلة الأخيرة ، لا سبيل إليها ، وأن السعى لها ينتج شيئاً مختلفاً أتم الاختلاف — هدم الحرية نفسها . وقد قيل بحق : « إن الذى لم يزل يجعل من الدولة جحيما على الأرض هو أن الإنسان سعى ليجعل منها جنة له » .

ومما يقلق أن نرى فى إنجلترا والولايات المتحدة اليوم نفس تجمع القوى ، ونفس الاحتقار تقريبا لكل ما هو حر بالمعنى القديم . وقد كانت عبارة « الاشتراكية المحافظة » هى الصيحة التى اتخذها كثير من الكتاب لإعداد الجو الذى نجحت فيه الاشتراكية الوطنية . « والاشتراكية المحافظة » هى النزعة السائدة بيننا الآن .

الطريقة الخيرة للتوجيه

ويرجع شيوع فكرة التوجيه على الأكثر إلى أن كل امرىء يود بطبيعة الحال أن تعالج مسائلنا المشتركة بأكثر ما يمكن من بعد النظر . وليس موضوع الخلاف بين المحدثين من الدعاة إلى التوجيه ، وبين الأحرار ، هل ينبغى أن نحرص على التفكير السديد المنظم عند توجيه أمورنا ، وإنما الخلاف على خير الطرق للقيام بذلك . والمسألة هى : هل نوجد أحوالا يستطيع الأفراد فى ظلها بعلمهم وابتكارهم أن يتولوا هم التوجيه بأعظم نجاح ، أو هل توجه وننظم كل وجوه النشاط الاقتصادى إلى أقصى حد ؟ أى أن « نوجه عمداً موارد الجماعة بحيث تطابق الآراء الخاصة للموجهين فى مَن من الناس يكون له ماذا من الأمر » .

والمهم أن لا نخلط الاعتراض على الضرب الأخير من التوجيه ، بموقف ترك الأمور تجرى فى مجاريها ، فإن الأحرار لا يذهبون إلى إبقاء الأمور على ما هى عليه ، وإنما يؤثرون أحسن استخدام ممكن لعوامل المنافسة كوسيلة لتنسيق الجهود الإنسانية . وهذا المذهب قائم على الاقتناع بأنه فى حيث يستطاع خلق المنافسة الفعالة ، تكون هذه الوسيلة لتوجيه الجهود الفردية خيراً من غيرها . ولكى تؤتى المنافسة ثماراً حميدة ينبغى سن تشريع دقيق بعناية تامة ، وأنه لا الأحكام القانونية الماضية ولا الخاصة تخلو من مواطن نقص خطيرة .

على أن المبادىء الحرة تعارض إحلال وسائل أدنى وأحط لتوجيه النشاط الاقتصادى محل المنافسة ، وتعد المنافسة أرفع ، لا لأنها

فى أكثر الأحوال أفعل وسيلة معروفة فحسب ، بل لأنها كذلك الوسيلة الوحيدة التى لا تتطلب التدخل الإجبارى أو العرفى من جانب السلطة . وهى تستغنى عن الحاجة إلى « السيطرة الاجتماعية المنطوية على العمد » وتتيح للأفراد فرصة للبت فى هل ما يرجى من عمل معين فيه تعويض كاف ومكافأة مجزئة للمتاعب والمصاعب المرتبطة بهذا العمل ؟

ولا ينفى الاستخدام الناجح المنافسة بعض ضروب التدخل الحكومى . مثال ذلك أن تحديد ساعات العمل ، وتحتيم بعض التدابير الصحية ، وتهيئة نظام واسع النطاق للخدمات الاجتماعية — كل هذا يأتلف تمام الائتلاف مع الاحتفاظ بالمنافسة . وثم أيضا ميادين معينة لا يكون فيها نظام المنافسة عمليا . مثال ذلك أن الآثار السيئة لقطع الغابات أو لدخان المصانع ، لا يمكن أن تكون مقصورة على صاحب هذه أو تلك . ولكن كوننا مضطرين إلى الالتجاء إلى التنظيم المباشر حيث لا يتيسر إيجاد الأحوال الصالحة للمنافسة ، لا ينهض دليلا على أنه ينبغى قمع المنافسة فى حيث يمكن أن تعمل وتنفع . ولا شك أن إيجاد أحوال تكون فيها المنافسة أفعل ما يمكن ، ومنع الغش والتدليس ، والقضاء على الاحتكار — هذه المهمات تهيئ مجالا رحيبا لا جدال فيه لنشاط الدولة .

وليس معنى هذا أن من الممكن إيجاد « وسيلة وسطى » بين المنافسة والإدارة المركزية ، وإن كان هذا يبدو لأول وهلة أولى وأرشد ، أو أخلق بأن تتقبله عقول العقلاء ، فإن العقل بمجرده يضل فى مثل هذا المجال ، لأن المنافسة وإن كانت تتقبل مقداراً من التنظيم يختلط بها ، لا يمكن أن يجمع بينها وبين التوجيه إلى أى مدى نشاء بدون أن تفقد قيمتها كمرشد فعال للإنتاج . والمنافسة والإدارة المركزية تصبحان أداتين ضعيفتين غير مجديتين إذا كانتا غير تامتين ، والخلط بينهما معناه سلب كل منهما القدرة على العمل .

إن التوجيه والمنافسة لا يمكن أن يجتمعا إلا إذا كان التوجيه للمنافسة لا ضدها ، فالتوجيه الذى نوجه إليه كل نقدنا هو التوجيه ضد المنافسة .

النظام المثالى

ولا شك فى أن معظم الذين يطالبون فى البلاد الديمقراطية بإدارة مركزية لجميع وجوه النشاط الاقتصادى لا يزالون يعتقدون أن الاشتراكية والحرية والفردية يمكن أن يجتمعا ، غير أن كثيرين من المفكرين قد

فطنوا من أول الأمر إلى أن الاشتراكية أعظم خطر يهدد الحرية .

وقلما يتذكر الناس الآن أن الاشتراكية فى بداياتها كانت مستبدّة صريحة، فقد بدأت جهرة كرد فعل للمبادئ الحرة التى قامت عليها الثورة الفرنسية . وكان الكتاب الفرنسيون الذين وضعوا أساسها لا يشكون فى أن آراءهم لا يستطاع وضعها موضع التنفيذ إلا على يد حكومة دكتاتورية قوية . وقد تكهن أول المنظمين المحدثين بأن الذين لا ينزلون على حكم هيئات التوجيه المقترحة « سيعاملون كالماشية » .

وما من أحد كان أصح إدراكا من المفكر السياسى العظيم دى توكفيل لما بين الديمقراطية والاشتراكية من تعارض حاسم قال : « الديمقراطية توسع نطاق الحرية الفردية » ، وقال فى سنة ١٨٤٨ : « إن الديمقراطية تجعل لكل فرد كل قيمة ممكنة أما الاشتراكية فلا تجعل الفرد إلا مجرد أداة ، ومجرد رقم . وليس بين الديمقراطية والاشتراكية شىء مشترك سوى كلمة واحدة : المساواة . ولكن لاحظ الفرق : فالديمقراطية تنشد المساواة فى الحرية ، أما الاشتراكية فتنشد المساواة فى الكبح والاستعباد » .

ولكى يسكن الاشتراكيون هذه الشكوك ، ويشدوا إلى مركبة الاشتراكية أقوى البواعث السياسية ـ الرغبة فى الحرية ـ أخذوا يزدادون استخداماً للوعد « بحرية جديدة » ، فقالوا إن الاشتراكية ستجىء « بالحرية الاقتصادية » التى لا تكون الحرية السياسية بدونها ذات قيمة .

ولكى يجعلوا هذه الحجة مقبولة حوّلوا معنى كلمة « الحرية » تحويلاً ينطوى على الدهاء . وكانت الكلمة فيما مضى معناها التحرر من الإكراه ، ومن السلطة العرفية التى يستعملها الغير ، فالآن صار معناها التحرر من الضرورة ، ومن إكراه الظروف التى تضيق لا محالة نطاق الاختيار لنا جميعاً . وبديهى أن الحرية بهذا المعنى ليست إلا لفظاً آخر للسلطة أو الغنى ، فالمطالبة بهذه الحرية الجديدة ليست إلا صورة أخرى للمطالبة القديمة بإعادة توزيع الثروة .

وقد أخذ معظم الباحثين يتخلون عن الزعم القائل بأن الاقتصاد المهيأ الخطط خليق أن يكون أعظم إنتاجاً من نظام التنافس ، غير أن الأمل الكاذب يدفعنا كما يدفعنا أى شىء غيره فى الطريق إلى التوجيه .

ومع أن الاشتراكيين الحديثين مخلصون فيما يعدون من حرية أعظم ، إلا أن ذوى النظر والبصر فى السنوات الأخيرة قد فطنوا

واحداً بعد واحد ، إلى النتائج غير المتوقعة للاشتراكية ، وإلى التشابه الغريب من عدة وجوه بين الأحوال فى ظل « الشيوعية » و « الفاشية » . وقد أعرب الكاتب بيتر دروكر عن هذا فى سنة ١٩٣٩ فقال : « إن الانهيار التام للاعتقاد بإمكان الوصول إلى الحرية والمساواة عن طريق الماركسية قد أكره روسيا على السير فى نفس الطريق الذى سلكته ألمانيا إلى الجماعة الكلية التى لا حرية فيها ولا مساواة . وليس معنى هذا أن الشيوعية والفاشية سواء فى جوهرهما ، فإن الفاشية هى المرحلة التى بلغت بعد أن ثبت أن الشيوعية وهم وخدعة ، وقد ثبت أنها وهم فى روسيا ، كما ثبت ذلك فى ألمانيا قبل عهد هتلر .

وليس رأى الجماهير فى الحركات الشيوعية والفاشية بألمانيا قبل سنة ١٩٣٣ ، بأقل دلالة أو أضعف مغزى ، فإن السهولة النسبية التى يمكن بها تحويل شاب شيوعى إلى نازى ، أو بالعكس كانت معروفة ، وكان أعرف الناس بها الدعاة من الحزبين . وقد تصادم الشيوعيون والنازيون فيما بينهما أكثر مما تصادما بغيرهما من الأحزاب ، لسبب بسيط هو أنهما يتنافسان على طراز عقلى واحد ، واحتفظ كل منهما للآخر بكراهة المؤمن للضال ، ودلت أساليبهما على مبلغ ما بينهما من صلة وثيقة . فكلاهما يرى أن عدوه الحقيقى هو الرجل الذى لا يشاركه فى شىء ، أى الرجل من الأحرار من الطراز القديم . ولكن الشيوعى فى رأى النازى ، والنازى فى رأى الشيوعى ، والاشتراكى فى رأى الاثنين ، نصير محتمل من المعدن المنشود ، وكلاهما يعلم أنه لا سبيل إلى التوفيق بينه وبين الذين يؤمنون إيماناً صحيحاً بالحرية الفردية .

والذى يعدوننا به ، وهو الطريق إلى الحرية ، ليس فى الواقع إلا الطريق الأعظم إلى العبودية والرق . فليس من العسير أن نتبين العواقب التى لا بد منها متى أخذت الديمقراطية طريقها إلى التوجيه . وسيوصف الهدف الذى يرمى إليه التوجيه بعبارة غامضة مثل « الخير العام » . ولن يكون ثم اتفاق حقيقى على الغايات التى تنشد وسيكون تأثير موافقة الأمة على أن يكون هناك توجيه مركزى دون الاتفاق على الغايات ، شبيهاً بأن تخرج جماعة من الناس فى رحلة من غير أن يتفقوا على المكان الذى يقصدون إليه . وتكون النتيجة أن يضطروا جميعاً إلى القيام برحلة لا يريدونها على الإطلاق .

إن الجماعات الديمقراطية لا تستطيع أن تعمل كوكالات للتوجيه ، ولا تستطيع أن

تصل إلى اتفاق على كل شىء — الإدارة الجامعة لموارد الأمة — لأن عدد الطرق الممكنة للعمل لا حصر لها . وحتى لو استطاع مؤتمر يخطو خطوة فخطوة ، ويتـوخى التوفيق فى كل نقطة، أن يتفق على مشروع ما فإنه لن يرضى أحداً فى النهاية على التحقيق .

ووضع خطة اقتصادية على هـذا النحو أبعد فى الإمكان من النجاح فى وضع خطة حربية باتباع إجراءات ديمقراطية ، وكما أنه عند وضع الخطط العسكرية لا مفر من وكل المهمة إلى الخبراء ، كذلك فى الشئون الاقتصادية . وحتى إذا استطاعت الديمقراطية باللجوء إلى ذلك ، أن توفق إلى وضع الخطط لـكل قطاع فى ميادين النشاط الاقتصادى ، فإنه سيكون عليها أن تواجه مسألة التوفيق بين هـذه الخطط المنفصلة وجعلها كلا موحّداً ، وستزداد الحاجة إلى إيجاد هيئة ما ، أو فرد يخوّل سلطة العمل على مسئوليته . فإن الحاجة إلى دكتاتور اقتصادى مرحلة مميزة لهذه الحركة فى سبيل التوجيه .

وهكذا تضطر الهيئة التشريعية إلى اختيار أشخاص يخولون سلطات مطلقة فى الواقع . ويتجه نظام الحكم كله إلى ذلك النوع من الدكتاتورية الذى يثبت فيه رئيس الدولة من حين إلى حين فى منصبه بالتصويت العام ، ولكنه فى الواقع يملك كل السلطات التى تجعله على يقين من أن التصويت سيتجه الوجهة التى يريدها .

وهـذا التوجيه أو التسيير يفضى إلى الدكتاتورية ، لأن الدكتاتورية أفعل أداة للإكراه ، فهى لهـذا جوهرية إذا أريد أن يكون التوجيه المركزى ممكناً على نطاق واسع . وليس ثم ما يسوغ الاعتقاد الشائع بأنه لما كانت السلطة ممنوحة على مقتضى الإجراءات الديمقراطية ، فإنها لا يمكن أن تكون عرفية . فإن مصـدر السلطة ليس هو الذى يمنعها أن تكون عرفية ، إذ يجب أن تكون السلطة أيضاً مقيدة لتخلو من الصبغة الدكتاتورية . وأخلق بدكتاتورية حقيقية للطبقات العاملة (البروليتاريات) حتى ولو كانت ديمقراطية شكلا ، أن تعصف بالحرية الشخصية عصفاً تاما ، كأية حكومة أوتقراطية ، إذا هى تولت إدارة النظام الاقتصادى على نحو مركزى .

إن الحرية الفردية لا يمكن أن توائم سيادة غرض واحد تخضع له الجماعة كلها خضوعاً دائماً . وقد جربنا نحن هذه الحقيقة فى زمن الحرب إلى حد محدود ، إذ كان إخضاع كل شىء لمطالب الحرب العاجلة الملحة هو الثمن الذى نؤديه لنحتفظ بحريتنا

فى النهاية . غير أن العبارات الدائرة على الألسنة والتى مؤداها أن نصنع لأغراض السلم ما تعلمنا أن نصنع لأغراض الحرب — هذه العبارات مضللة جداً ، فإن من الحكمة أن نضحى بالحرية إلى حين لنجعلها فى المستقبل أرسخ قدماً . أما التضحية بالحرية تضحية دائمة لمصلحة التوجيه الاقتصادى فأمر مختلف جدا .

والذين راقبوا التحول من الاشتراكية إلى الفاشية عن كثب ، يرون العلاقة بين النظامين بديهية ، فإن تحقيق البرنامج الاشتراكى معناه القضاء على الحرية ، أما الاشتراكية الديمقراطية التى كانت الأجيال القليلة الأخيرة تعدها مثلا أعلى تنشده ، فلا سبيل إلى تحقيقها .

لماذا يستعلى شرار الناس

ولا شك أن نظاماً « فاشيا » إنجليزيا أو أمريكيا ، يكون مختلفاً إلى حد كبير عن النموذجين الإيطالى والألمانى . ولاريب فى أنه قد يكون لنا أن نتوقع أن نظفر بزعيم من طراز أحسن إذا تم الانتقال والتحول بغير عنف ، ولكن هذا ليس معناه أن نظامنا الفاشى سيكون فى النهاية مختلفاً جدا عن النماذج التى سبقته ، أو أن احتماله سيكون أقل عسراً . وثم أسباب قوية للاعتقاد بأن شر وجوه النظم الجامعة ظواهر ملازمة لهذه النظم تبدو عاجلا أو آجلا .

وكما أن السياسى الديمقراطى الذى يهم بتوجيه الحياة الاقتصادية للأمة لا يلبث أن يضطر إلى اختيار أحد أمرين ، إما تخويل نفسه سلطات دكتاتورية ، وإما التخلى عن مشروعاته ، كذلك الزعيم فى نظام جامع لا يلبث أن يضطر إلى أحد أمرين : إما إغفال الأخلاق العادية وإما الإخفاق . وهذا هو السبب فى أن الذين لا يبالون بما يكون منهم ، أخلق بالنجاح فى جماعة تميل إلى النظام الجامع . والذى لا يستطيع أن يدرك هذه الحقيقة لا يكون قد فطن إلى سعة الهوة التى تفصل ما بين النظام الجامع والحضارة الغربية ذات الصبغة الفردية فى جوهرها .

ولا بد للزعيم فى نظام جامع أن يجمع حوله زمرة مستعدة للخضوع للنظام الذى يوكل إليها أن تفرضه بالقوة على بقية الأمة ، فأما أن الاشتراكية إنما يستطاع وضعها موضع التنفيذ بوسائل لا يقرها معظم الاشتراكيين ، فهذا درس تعلمه كثير من المصلحين الاشتراكيين فى الماضى . فقد كانت الأحزاب الاشتراكية القديمة مكبلة بمثلها العليا الديمقراطية ، ولم تكن فيها تلك

القسوة التى يتطلبها أداء واجبها المختار . ومما له دلالة أنه فى كل من ألمانيا وإيطاليا ، كان نجاح الفاشية مسبوقاً برفض الأحزاب الاشتراكية أن تحمل أعباء الحكم ومسئولياته. وكانت هذه الأحزاب غير مستعدة قلباً وقالباً أن تستخدم الأساليب والوسائل التى دلت عليها ، وكانت لا تزال ترجو أن تقع المعجزة ، وأن توافق أغلبية على خطة معينة لتنظيم الجماعة كلها ، على أن غيرها كانوا قد حذقوا الدرس وأدركوا أنه فى جماعة منظمة مسيرة ، لا يبقى محل للسؤال عما عسى أن توافق عليه الأغلبية ، بل يكون السؤال عن الجماعة الكبرى التى يتفق أعضاؤها اتفاقاً يكفى لجعل الإدارة الموحدة لكل الشئون ممكنة .

وثم ثلاثة أسباب رئيسية تجعل الأرجح فى الاحتمال أن يتألف مثل هذا الفريق الكبير ، المتشابه الآراء إلى حد كبير ، من شر العناصر فى أى جماعة ، لا من خيرها .

الأول : أنه كلما كانت تربية الأفراد أسمى وذكاؤهم أحد ، كانت مسافة الخلف بين آرائهم وأذواقهم أوسع . وإذا أردنا أن نجد درجة عظيمة من التطابق فى النظر ، فإن علينا أن نهبط إلى ذلك الدرك العقلى والأخلاقى الذى تسود فيه الغرائز البدائية . وليس معنى هذا أن المقاييس الأخلاقية منحطة عند سواد الأمة ، وإنما معناه أن الفريق الأكبر من الأمة الذى تتشابه عنده قيم الأشياء تشابهاً شديداً ، هو الذى تكون مقاييسه منحطة .

الثانى : أنه لما كان هذا الفريق ليس من الكثرة بحيث يجعل لمساعى الزعيم وزناً كافياً ، فإنه مضطر أن يزيد عدده بأن يغرى عدداً آخر أكبر بالتحول إلى هذا المذهب البسيط نفسه . ولا بد له من أن يفوز بتأييد كل لين العريكة سهل الانقياد والانخداع ، ممن ليست لهم عقائد قوية أو آراء خاصة ، وإنما هم مستعدون أن يتقبلوا ما يعرض عليهم من القيم محضراً مجهزاً إذا درعت به أسماعهم قرعاً متكرراً كافياً . وهؤلاء الذين يسهل التأثير فى آرائهم الفجة الغامضة ، واستثارة عواطفهم وإحساساتهم هم الذين تتضخم بهم صفوف الحزب الجامع .

والثالث : أن الزعيم إذا أراد أن يوثق ما بين جماعة مؤتلفة من الأنصار ، لا معدى له عن أن يهيب بضعف إنسانى مشترك . ويبدو أن اتفاق الناس على نهج سلبي — مثل كراهة عدو ، أو حسد من هم أحسن حالا — أيسر من الاتفاق على مهمة إيجابية .

ومن أجل هذا كان الذين ينشدون ولاء الجماهير الغفيرة لا يزالون يستعملون لفظى « نحن » و « هم » على سبيل المقابلة

والمعارضة . وقد يكون العدو داخليا «كاليهود» فى ألمانيا ، و «القولاق» فى روسيا ، أو يكون خارجيا . ومهما يكن من ذلك ، فإن هذه الوسيلة لها مزية كبيرة هى أنها تؤتى الزعيم حظاً من حرية العمل أعظم مما يؤتيه إياه أى برنامج إيجابى .

والارتقاء فى الجماعة الكلية ، أو الحزب الجامع ، رهن على الأكثر بالاستعداد للقيام بأعمال منافية للخلق الكريم . فالمبدأ القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة ، وهو يعد فى شرعة الأخلاق الفردية نقضاً لكل فضيلة ، يصبح لا محالة القاعدة العليا فى شرعة المبادىء الجامعة ، ولا يكاد يوجد شىء لا يكون الرجل الجماعى غير مستعد أن يفعله إذا كان فيه « خير المجموع » ، لأن هذا عنده هو المقياس الوحيد لما ينبغى أن يفعل .

ومتى سلمت أن الفرد ليس إلا أداة لخدمة غايات الكيان الأسمى الذى يسمى الجماعة أو الأمة ، فإن معظم وجوه النظام الجامع التى نستبشعها ، تنشأ حتما . فمن وجهة النظر الجماعية ، يكون التعصب والقمع الوحشى لكل خلاف ، والغش ، والتجسس ، والإهمال التام لحياة الفرد وسعادته ، أموراً جوهرية لا مهرب منها ، والأعمال التى تستثير غضبنا وسخطنا كإعدام الرهائن ، أو قتل المرضى والشيوخ ، تعد أموراً تقضى بها الضرورة ليس إلا ، ويغدو قلع مئات الآلاف من الناس من أوطانهم وإخراجهم من ديارهم ونقلهم إلى سواها ، وسيلة سياسية يقرها كل امرىء تقريباً ، ما خلا الضحايا أنفسهم .

فإذا أراد الرجل أن يكون عونا نافعاً فى إدارة دولة جامعة فإن عليه إذن أن يكون مستعداً لانتهاك كل قاعدة أخلاقية عرفها فى حياته ، إذا بدا له أن هذا ضرورى لإدراك الغاية التى رسمت له ، وتتهيأ فى ظل النظام الجامع فرص خاصة للقساة ومن لا يزعهم ضمير ، فلا الجستابو ولا إدارة معسكرات الاعتقال ، ولا غيرها هى وما يقابلها من الهيئات ، أماكن صالحة للصدور عن وحى العواطف الإنسانية . ومع ذلك فهذه المراكز هى التى تفضى إلى أسمى المناصب فى الدولة الجامعة .

وقد لاحظ اقتصادى أمريكى ملحوظ المكانة ، هو الأستاذ فرانك ﻫ . نايت ، بحق أن أولى الأمر فى الدولة الجامعة « لا يسعهم إلا أن يأتوا هذه الأمور سواء أأرادوا ذلك أم لم يريدوه . واحتمال أن يكون ذوو السلطان أفراداً قد يكرهون أن تكون لهم السلطة وأن يستعملوها ،

كاحتمال أن يحصل رجل رقيق القلب جداً على وظيفة جلاد فى مزرعة عبيد » .

وثم نقطة أخرى ينبغى أن نسوقها :

ذلك أن النظام الجامع مؤداه القضاء على الحقيقة ، فليس يكفى لكى يسير النظام الجامع بدقة وإحكام ، إكراه كل امرئ على العمل للأغراض التى اختارها الذين فى أيديهم الأمر ، بل من الجوهرى أن يُحمل الناس على الاعتقاد أن هذه الأغراض هى أغراضهم ، وهذا ما تتكفل به الدعاية والسيطرة التامة على جميع مصادر الأنباء والمعلومات .

وأفعل وسيلة لحمل الناس على التسليم بصحة المبادئ التى يخدمونها هى إقناعهم بأنها هى نفسها ما كانوا يعتنقونه دائماً ، وكل ما فى الأمر أنها لم تكن مفهومة أو مُدركة على الوجه الصحيح . وأيسر ما تتأتى به لذلك أن تستعمل الألفاظ القديمة ولكن تغير معانيها . وقل أن تكون هناك خصائص للنظم الجامعة أبعث على حيرة المراقب السطحى ، وارتباكه ، وأدل فى الوقت نفسه على الجو العقلى كله ، من هذا المسخ التام للغة .

ولم تُمن كلمة فى هذا الباب بمثل ما مُنيت به كلمة « الحرية » ، وهى كلمة يشيع استعمالها فى الدول الجامعة كما فى غيرها ، بل إنه ليكاد يمكن أن يقال إنه فى حيثما يُقضى على الحرية بالمعنى الذى نعرفه ، يتم هذا باسم نوع جديد من الحرية يوعد بها الشعب . حتى بيننا ، نجد موجهين يعدوننا « حرية جماعية » وهى عبارة مضللة كتضليل أى شئ يقوله الساسة الجماعيون . فإن « الحرية الجماعية » ليست هى حرية أعضاء الجماعة أو الأمة ، بل الحرية المطلقة للمُوجِّه أن يصنع بالجماعة أو الأمة ما يشاء . وهذا خلط بين الحرية والسلطة يذهب إلى أبعد حد .

وليس من الصعب حرمان السواد الأعظم التفكير المستقل ، ولكن القلة التى تحتفظ بالميل إلى النقد يجب إخراسها أيضاً . ولا بد من قمع النقد العلنى أو حتى مجرد الإعراب عن الشك ، لأن هذا من شأنه أن يضعف تأييد النظام . والأمر كما يقول سدنى وبيتريس ويب فى وصف الحالة فى كل مشروع روسى : « فى أثناء سير العمل ، يكون كل إعراب عن الشك فى أن المشروع ناجح ، عملا ينطوى على عدم الإخلاص بل على الخيانة . وذلك لما عسى أن يكون من تأثيره فى إرادة بقية العمال وجهودهم » .

وتمتد السيطرة حتى إلى الرعايا الذين لا يبدو أن لهم قيمة سياسية . فنظرية

النسبية مثلا ، قد عورضت لأنها « حملة سامية على أسس الفلسفة الطبيعية المسيحية والنوردكية » ولأنها « تناقض المادية المنطقية والتعاليم الماركسية » . فكل نشاط يجب أن يستمد ما يسوغه من غرض اجتماعى مقصود ، ولا يجوز أن يكون هناك نشاط اختيارى غير مسيّر ، لأنه قد يحدث نتائج غير منظورة ، وليس له فى الخطة المرسومة كفيل .

بل إن المبدأ يمتد حتى إلى الألعاب والملاهى ، وأنا أدع للقارئ أن يخمّن أين نوشد لاعبو الشطرنج رسميا أن « نقضى حملة ودفعة واحدة على حيدة الشطرنج . ويجب أن نستنكر استنكاراً حاسما قاعدة « الشطرنج من أجل الشطرنج » .

ولعل أدعى الحقائق إلى الجزع أن احتقار الحرية العقلية لا ينشأ فقط متى توطد النظام الجامع ، بل يمكن أن يوجد فى كل مكان بين الذين اعتنقوا عقيدة جامعة . إن شر الظلم يغتفر إذا ارتكب باسم الاشتراكية ، وعدم الاحتمال للآراء المعارضة يمجّد علناً ، ومأساة العقلية الجماعية هى أنها تبدأ بأن تجعل المحل الأسمى للعقل ، وتنتهى بأن تهدمه وتقضى عليه .

وثم وجه من وجوه التغيير فى القيم الأخلاقية ، جرّه تقدم المذهب الجماعى ، وفيه مجال خاص للتفكير . ذلك أن الفضائل التى لا يقل التقدير لها فى بريطانيا وأمريكا هى بعينها التى كان الأنجلو سكسون يباهون بها ، والتى يُعترف لهم على العموم بالتفوق فيها . وقد كانت هذه الفضائل هى الاستقلال والاعتماد على الذات ، وروح الابتكار الفردى ، والمسئولية المحلية ، والاعتماد الناجح على النشاط الاختيارى ، وعدم التدخل فى شئون الجار ، والتسامح مع المخالف ، وسوء الظن بذوى القوة والسلطان .

وكل هذه التقاليد والخصائص التى صاغت الخلق القومى وطبعت الأخلاق بطابعها فى إنجلترا وأمريكا ، هى بعينها التى يدأب النظام الجامع ووسائله المركزية على القضاء عليها .

التوجيه — وحكم القانون

ليس أوضح تمييزاً لبلد حر من بلد آخر تحت حكومة استبدادية ، من توخى المبادئ العظيمة التى تسمى حكم القانون . وهذا معناه ، إذا أهملنا المصطلحات الفنية ، أن الحكومة فى كل أعمالها مقيدة بأحكام مقررة ومعلنة من قبل — أحكام تجعل فى الإمكان أن يعرف المرء معرفة تكاد تبلغ حد اليقين ، كيف تنوى الحكومة أن تستخدم سلطتها القهرية فى ظروف معينة ، و تيستر

للفرد أن يرتب شئونه على مقتضى هـذه المعرفة . ففى الحدود المعروفة لأحكام العمل يكون الفرد حرا فى السعى لغاياته الشخصية، وهو واثق أن سلطة الحكومة لن تستخدم عمداً لإحباط مساعيه .

أما التوجيه الاقتصادى الاشتراكى فيستوجب نقيض ذلك تماماً ، فإن السلطة الموجِّهة لا تستطيع أن تقيد نفسها سلفاً بأحكام عامة تمنعها من التصرف على هواها .

فإذا أرادت الحكومة أن تقرر كم خنزيراً تربى ، أو كم خط سيارات نقل يجرى ، وأى مناجم الفحم يستغل ، وبأى ثمن تباع الأحذية ، فإن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تقرر لمدد طويلة سلفاً ، إذ كانت رهناً بظروف الساعة . ومن الضرورى عند وضع هذه القرارات ، الموازنة دائماً بين مصالح أفراد مختلفين وهيئات شتى .

وينتهى الأمر بأن تتغلب آراء بعضهم فى أى المصالح أهم ، ولا مفر من أن تصبح هذه الآراء جزءاً من قانون البلاد ، ومن هنا تتجلى الحقيقة المألوفة ، وهى أنه كلما مضت الدولة فى التوجيه واسترسلت فيه زادت على الفرد مشقة توجيهه لشئونه .

والفرق بين هذين النوعين من الحكم ، مبهم ، وهو شبيه بالفرق بين وضع العلامات على الطرق للإرشاد ، وبين إكراه الناس على سلوك طرق معينة .

وفضلا عن ذلك فإن الحكومة فى ظل التوجيه المركزى لا تستطيع أن تتجنب التحيز ، ولا تعود الدولة أداة نفع مقصود بها معاونة الأفراد على إنماء شخصياتهم الفردية إلى أقصى حد ، بل تصبح منشأة تتعمد التمييز بين الحاجات الخاصة لأشخاص مختلفين ، وتسمح لواحد بأن يفعل ما يجب أن يمنع غيره من فعله . وتقرر بحكم القانون مبلغ الرغد الذى ينعم به أشخاص معينون ، وبماذا يسمح لمختلف الناس .

أما حكم القانون ، وانتفاء الامتيازات القانونية لأشخاص معينين تتخيرهم السلطة ، فإنه هو الذى يكفل تلك المساواة أمام القانون، التى هى نقيض الحكم الغاشم . ومما له دلالة أن الاشتراكيين (والنازيين) قد ظلوا دائماً يحتجون على العدالة الرسمية المجردة ، ويعترضون على القانون الذى لا يبين ما ينبغى أن ينعم به أشخاص معينون من الخفض والرغد ، ويطالبون «باشتراكية القانون» ويحملون على استقلال القضاة .

وفى الجماعة المسيرة يفيض القانون الصبغة الشرعية على ما يظل مع ذلك عملا عرفياً إذا اعتبرنا أغراضه وغاياته . فإذا قال القانون إن هذه الهيئة أو السلطة لها أن

تفعل ما تشاء ، فكل ما تفعله هذه الهيئة أو السلطة يكون قانونيا ولكن أعمالها ليست خاضعة فى أى حال لحكم القانون . ومتى خولت الحكومة سلطة غير محدودة ، فإن كل حكم غاشم يمكن أن يكتسب الصبغة القانونية . وبهذه الطريقة يمكن أن تقيم الديمقراطية أشد أنواع الاستبداد التى يمكن تصورها .

إن حكم القانون إنما نشأ فى العصر الحر وهو من أعظم ثماره ، وهو الكيان الشرعى للحرية . وفى هذا يقول إمانويل كانت : « الإنسان حر ما دام لا يحتاج أن يطيع سوى القوانين » .

الا مهرب من التوجيه ؟

مما له مغزى أن دعاة التوجيه الذين يقنعون اليوم بأن يقولوا إن التوجيه المركزى مرغوب فيه ، قليلون ، أما الأكثرون فيقررون أننا الآن مضطرون إلى ذلك ، بحكم ظروف لا سيطرة لنا عليها .

ومن الحجج التى كثيراً ما يسمعها المرء أن تعقد الحضارة الحديثة يخلق مسائل جديدة لا يرجى لها علاج فعال إلا بالتوجيه المركزى . وهذه الحجة قائمة على سوء فهم تام لفعل المنافسة ، فإن تعقد الأحوال الحديثة هو بعينه الذى يجعل المنافسة الطريقة الوحيدة التى يمكن بها تنسيق الأمور .

وقد كان خليقاً أن لا تنشأ صعوبة ما ، فيما يتعلق بالسيطرة الفعالة أو التوجيه لو كانت الأحوال من البساطة بحيث يستطيع فرد واحد أو مجلس إدارة أن يحيط إحاطة وافية بجميع الحقائق ، ولكن الحقائق التى يجب إدخالها فى الحساب كثيرة ومعقدة بحيث يعجز مركز واحد عن تتبعها والإلمام بها ، وليس فى الوسع الإحاطة التامة بأحوال العرض والطلب التى لا تنفك تتغير فيما يتعلق بالسلع المختلفة ، ولا من الممكن أن يذيع أى مركز مفرد هذه الأحوال بالسرعة اللازمة .

أما فى ظل المنافسة — دون أى نظام اقتصادى آخر — فإن نظام الأسعار يسجل من تلقاء نفسه وعلى صورة آلية كل المعلومات المرومة . ففى وسع رجال الأعمال إذا جعلوا بالهم إلى حركة عدد قليل نسبيا من الأسعار — على نحو ما يراقب المهندس بعض اللوحات — أن يجعلوا نشاطهم وفق نشاط غيرهم من الناس .

وإذا قيس التوجيه المركزى إلى هذه الطريقة لحل المسألة الاقتصادية — باللامركزية مضافاً إليها التنسيق الآلى بواسطة نظام

الأسعار — فإن التوجيه يبدو غليظاً ، وبدائياً ، ومحدود النطاق ، إلى حد يجاوز التصور . وليس من المبالغة أن يقال إننا لو كنا اضطررنا أن نعتمد على التوجيه المركزى فى نمو نظامنا الصناعى لما بلغ قط هذه الدرجة من التنوع والمرونة . وقد تيسّر نشوء الحضارة الحديثة لأنها لم تخلق خلقاً ، وقد جاوز توزيع العمل كل ما كان يمكن أن يحدث بالتوجيه ، وكل نمو آخر فى الكيان الاقتصادى المعقد لا يجعل التوجيه المركزى ألزم ، بل يزيد أهمية استخدامنا لعامل المنافسة وعدم التعويل على السيطرة المفروضة .

ومما يساق أيضاً من الحجج أن التغييرات الفنية جعلت المنافسة مستحيلة فى عدد متزايد من الميادين ، وأن علينا أن نختار أحد أمرين لا ثالث لهما : السيطرة على الإنتاج بواسطة الاحتكارات الخاصة ، أو التوجيه بواسطة الحكومة . على أن الاحتكار يبدو أنه ليس نتيجة لازمة للتقدم الفنى بقدر ما هو نتيجة للسياسات التى اتبعت فى معظم البلدان .

وقد قامت اللجنة الاقتصادية القومية المؤقتة بأوفى درس للموقف ، وهى على التحقيق لا تتهم بالإسراف فى تحيزها للمبادىء الحرة . وقد ختمت اللجنة تقريرها بقولها :

«إن التفوق فى الكفاية فى المؤسسات الكبيرة لم يثبت ، والمزايا التى يقال إنها تقضى على المنافسة ، قد عجزت عن التبدى فى عدة ميادين . . . ولا يمكن التسليم بأن مزية الإنتاج فى نطاق واسع لا بد أن تفضى حتما إلى إلغاء المنافسة . . . على أنه يجب أن يلاحظ أن الاحتكار كثيراً ما أمكن الوصول إليه بالتواطؤ ، وشجعته السياسات العامة . ومتى أبطلت هذه الاتفاقات المنطوية على التواطىء ، وعُكست السياسات ، فإن الأحوال اللازمة للمنافسة يمكن أن تعاد» .

وكل من لاحظ كيف أن المحتكرين الطامحين لا ينفكون ينشدون معونة الدولة لتكون سيطرتهم فعالة ، لا يبقى عنده شك فى أن هذا التطور ليس أمره محتوماً أبدا . وقد ساعدت سياسة الحماية القوية فى الولايات المتحدة على نمو الاحتكارات . وفى ألمانيا كان نمو نقابات الإنتاج يشجع عمداً وباطراد منذ سنة ١٨٧٨ ، وهناك بمساعدة الدولة أدت التجربة العظيمة الأولى « للتوجيه العلمى » و « التنظيم المتعمد للصناعة » إلى إيجاد الاحتكارات الضخمة ، فقد كان القضاء على المنافسة سياسة متعمدة فى ألمانيا اختطتها فى سبيل مثل أعلى نسميه الآن التوجيه .

والخطر أعظم من سياسة فئتين قويتين تؤيدان تنظيم الصناعة على قاعدة الاحتكار : وهما رأس المال المنظم ، والعمل المنظم . وقد جاء النمو الحديث للاحتكار نتيجة للتعاون العمد بين رأس المال المنظم ، والعمل المنظم ، فى حيث تشاطر طوائف العمال الممتازة أرباح الاحتكار على حساب الجماعة ، وخاصة على حساب الذين يستخدمون فى الصناعات التى هى أقل تنظيما . على أنه لا سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه الحركة لا معدى عنها .

إن الحركة التى تنزع إلى التوجيه نتيجة للعمل العمد ، وليس ثم ضرورات خارجية تفرضها علينا .

هل يخلينا التوجيه من التبعات ؟

إن معظم دعاة التوجيه ، الذين درسوا بعناية الوجوه العملية لمهمتهم ، لا يخالجهم شك فى أن الاقتصاد المسير يجب أن يقوم على قاعدة دكتاتورية ، وأن النظام المعقد لوجوه النشاط المتداخلة يجب أن تتولى إدارته هيئات من الخبراء ، وتكون السلطة العليا فى يد قائد عام لا تعوق أعماله الإجراءات الديمقراطية . والعزاء الوحيد الذى يقدمه لنا دعاة التوجيه هو أن هذه الإدارة الاستبدادية لا تسرى إلا على الشئون الاقتصادية ، وهذا التطمين يصحبه فى العادة القول بأننا بالنزول عن الحرية فيما هو قليل الأهمية من وجوه حياتنا ، نحصل على الحرية فى نشدان ما هو أسمى قيمة . وعلى أساس هذه الحجة نرى الذين يمقتون فكرة الدكتاتورية السياسية ، كثيراً ما يصخبون مطالبين بإقامة دكتاتور فى الميدان الاقتصادى .

والحجج التى تساق فى هذا المعرض تؤثر فى خير غرائزنا ، لأنه إذا كان التوجيه يحررنا حقا من المشاغل القليلة القيمة ، ويسهل علينا أن نجعل حياتنا بسيطة فى أساليبها وسامية فى التفكير ، فمن ذا الذى يود أن يغض من قدر هذا المثل الأعلى ؟

ولكن من سوء الحظ أن الغايات الاقتصادية البحت لا يمكن أن تكون بمعزل عن غيرها من غايات الحياة . والذى يسمى تضليلا « الباعث الاقتصادى » ، لا يعنى إلا الرغبة فى الفرصة العامة . فإذا نحن سعينا للمال فإنما نسعى لأن المال يتيح لنا أوسع مجال للاختيار للاستمتاع بثمرات جهودنا — ومتى كسبنا المال فنحن احرار فى إنفاقه كما نحب .

ولما كان دخلنا المحدود من المال هو الذى يشعرنا بالقيود التى يفرضها علينا فقرنا النسبى ، فإن كثيرين منا قد أصبحوا يبغضون

المال ويعدونه رمزاً لهذه القيود . على أن الواقع أن المال من أعظم أدوات الحرية التي اخترعها الإنسان . والمال في جماعاتنا القائمة هو الذي يهيئ مدى مدهشاً للاختيار للرجل الفقير — مدى أعظم مما كان مهيأً قبل أجيال غير كثيرة للأغنياء .

وخليق بنا أن نكون أقدر على فهم قيمة الخدمة التي يؤديها المال، إذا قدرنا المعنى الحقيقي لما يقترحه كثيرون من الاشتراكيين من إحلال « الحوافز غير الاقتصادية » محل « الباعث المالي » . فلو أن كل المكافآت كانت لا تقدم في صورة مال ، بل في صورة إنعامات أو امتيازات أو مراكز ذات سلطة على الغير ، أو مساكن أحسن وطعام أطيب ، وفرص للسياحة أو التعليم ، فإن هذا لا يكون مؤداه إلا أن الذي يتلقى المكافأة يفقد الاختيار ، وأن الذي عين المكافأة هو صاحب الرأي لا في قدرها فحسب ، بل في طريقة الاستمتاع بها أيضاً .

والحرية الاقتصادية ، كما يسميها الذين يعدوننا بها ، معناها على وجه الدقة إعفاؤنا من ضرورة حل مسائلنا الاقتصادية الخاصة ، وأن الاختيارات المرة التي كثيراً ما يؤدى إليها هذا ، ستفرض علينا . ولما كنا في الأحوال الحديثة نحتاج في كل شيء تقريباً إلى الوسائل التي يهيؤها الناس، فإن التوجيه الاقتصادي يفضي إلى التحكم في كل وجوه حياتنا تقريباً ، ولا يكاد يوجد وجه واحد لا يسيطر عليه الموجه ، يدخل في ذلك حاجاتنا الأولية وعلاقاتنا بأسرتنا وأصدقائنا ، وطبيعة عملنا وما نزجي به فراغنا .

ولن تكون سلطة الموجه على حياتنا الخاصة أقل ، إذا كان المستهلك حرا بالاسم في إنفاق دخله كما يشاء ، لأن هذه السلطة تسيطر على الإنتاج .

أما حريتنا في الاختيار في جماعة تجري فيها المنافسة مجراها ، فتقوم على هذه الحقيقة : وهي أنه إذا أبى شخص أن يرضي رغباتنا ، فإن في وسعنا ان نتحول إلى سواه ، أما إذا واجهنا محتكراً فنحن تحت رحمته . وأخلق بالسلطة التي توجه النظام الاقتصادي كله أن تكون أقوى ما يمكن تصوره من أشكال الاحتكار .

ذلك أنها تكون ذات سلطة تامة في تقرير ما نعطاه ، والشروط التي نعطاه بها . ولن يقتصر الأمر على تقرير السلع والخدمات المتاحة ، وبأي كمية تعطى ، بل يكون في وسعها تقرير توزيعها بين المناطق والجماعات ، وفي مقدورها إذا شاءت أن تميز وتفرق بين الأشخاص كيف تشاء ، فليس رأينا

نحن ، بل رأى غيرنا فيما ينبغى أن نحب أو نكره ، هو الذى يعين ما ينبغى أن نحصل عليه .

وتكون إرادة السلطة هى التى تكيف وتوجه حياتنا اليومية ، وأثر هذا التوجيه أكبر ، بوصفنا منتجين . وأكثرنا ، وقته الذى يقضيه فى عمله ، هو جانب كبير من حياته كلها ، وعمله هو فى العادة الذى يعين له المكان الذى يعيش فيه ، والناس الذين يحيا بينهم . ومن هنا كان بعض الحرية فى اختيار عملنا أهم على الأرجح من الحرية فى إنفاق دخلنا فى ساعات فراغنا .

وحتى فى خير العوالم تقيد الحرية ، وقل من يتهيأ لهم اختيار العمل فى نطاق واسع . على أن المهم هو أن لنا بعض الاختيار ، وأننا لسنا مشدودين إلى عمل اختير لنا ، وأنه إذا أصبح العمل مما لا يطاق ، أو تعلقت قلوبنا بغيره ، فإن هناك دائماً وسيلة يستطيع بها الفرد أن يصل إلى غايته ببعض التضحية . وليس شىء أكفل بأن يجعل الأحوال أثقل من أن تحتمل ، من العلم بأنه ما من جهد لنا يستطيع تغييرها . وقد يكون من الشر أن يكون المرء قطعة من آلة ليس إلا ، ولكن شراً من ذلك بكثير أن نعجز عن تركها ، وأن نربط بالمكان وبالرؤساء الذين اختيروا لنا .

ومن الميسور فى عالمنا الحاضر أن نفعل كثيراً لتحسين فرصنا للاختيار ، غير أن « التوجيه » يسير على التحقيق فى اتجاه ضد هذا الاتجاه ، لأنه لا بد أن يسيطر على الدخول فى الحرف والمهن المختلفة ، أو على قواعد المكافأة والأجور ، أو على هذا وذاك . وقد حدث فى حالات التوجيه المعروفة جميعها تقريباً أن كانت السيطرة والتقييد من أول التدابير التى اتخذت .

ومن الممكن الحصول على معظم الأشياء بثمن فى جماعة قائمة على المنافسة . وكثيراً ما يكون الثمن قاسياً فى ارتفاعه ، إذ لا بد أن نضحى بشىء لنفوز بآخر ، غير أن البديل من هذا ، ليس حرية الاختيار ، بل الأوامر والنواهى التى لا بد أن تطاع .

وليس من المستغرب أن يتمنى الناس الإعفاء من الاختيار المر الذى تعرضه عليهم الحقائق القاسية ، ولكن ما أقل من يبتغون أن يكون الإعفاء بأن يتولى غيرهم أمر الاختيار لهم . وإنما يشتهى الناس أن لا يكون الاختيار ضروريا على الإطلاق وما أشد استعدادهم لأن يعتقدوا أن الاختيار ليس ضرورياً فى الحقيقة ، وأنه لا يفرضه عليهم إلا النظام الاقتصادى الخاص

الذى يعيشون فى ظله . والذى يتحصون منه فى الواقع هو أن هناك مسألة اقتصادية .

ومما قوّى التوهم المبنى على الاشتباه ، بأنه لم تعد هنـاك مسألة اقتصادية ، الزعم بأن الاقتصــاد الموجه خليق أن يكون أوفر إنتاجاً من نظام المنافسة . على أن هذا زعم قد أخذ معظم الذين درسوا الموضـوع يتخلون عنه شيئاً فشيئاً ، بل إن كثيرين من الاقتصاديين ذوى الآراء الاشتراكية يقنعون الآن بالأمل بأن تكون الجماعة المسيَّرة فى مثل كفاية الجماعة القائمة على المنافسة، ويشيرون بالتوجيه لأنه يساعدنا على الوصول إلى توزيع أعدل للثروة . ومما لا نزاع فيه أنه إذا أردنا أن نقرر من يأخذ ماذا ، فإن علينا أن نوجه النظام الاقتصادى كله .

ولـكن المســألة التى تبقى هى : أليس الثمن الذى ينبغى أن نؤديه لتحقيق العدل المثالى فى نظر بعضهم سيكون لا محالة زيادة السخط والظلم على كل ما سببه النظام الذى كثر ذمه ، والذى يقضى بترك العوامل الاقتصادية حرة فى التفاعل ؟

ذلك أنه إذا تولت الحكومة توزيع الثروة ، فبأى المبادئ تهتدى أو ينبغى أن تهتدى ؟ وهل ثم جواب قاطع للمسائل التى لا حصر لها عن المزايا النسبية ؟

إنه لا يهيئ الجواب إلا مبدأ عام واحد وقاعدة بسيطة واحدة : المساواة المطلقة بين جميع الأفراد . فإذا كانت هذه هى الغاية ، فإنها خليقة على الأقل أن تكسب الفكرة الغامضة عن العدل الموزع ، معنى واضحاً . ولـكن الناس على العموم لا يعدون المساواة الآلية من هـذا الضرب مرغوباً فيهـا ، والاشتراكية لا تعدنا المساواة التـامة بل « مساواة أعظم » .

وهذه القاعدة لا تقدم جواباً لأية مسألة، فهى لا تعفينا من الحاجة إلى أن نوازن فى أية حالة خاصة بين مؤهلات الأفراد أو الجماعات الخاصة ، ولا تساعد على تقرير شئ . وكل ما تقوله لنـا هو فى الواقع أن يؤخذ من الأغنياء كل ما يستطاع أخذه ، فإذا انتقلنا إلى توزيع الأسلاب ، فإن المسألة تبقى كما هى ، كأنما لم تخطر فكرة «الحرية الأعظم» على البال .

وكثيراً ما يقال إن الحرية السيـاسـية لا معنى لها بغير الحرية الاقتصادية . وهذا صحيح، ولـكن بمعنى يكاد يكون مناقضاً للمعنى الذى يقصده الموجهون حين يسـتعملون هــذه العبارة . إن الحرية الاقتصادية التى هى الشرط لـكل حرية أخرى لا يمكن أن تـكون التحرر من التبعات الاقتصادية الذى يعدنا به الاشتراكيون ، والذى لا يمكن أن يتحقق بإعفائنا من القدرة على الاختيار ،

وإنما يجب أن تكون هذه الحرية هى حرية النشاط الاقتصادى التى تحمل التبعة عن هذا الحق ، مع حق الاختيار المضاف إليها .

نوعان من الأمن

إن الأمن الاقتصادى ، كثيراً ما يصور « كالحرية الاقتصادية » الزائفة ، كأنه حالة لا غنى عنها للحرية الحقيقية . وهذا من بعض الوجوه صحيح ومهم ، فقلما نرى استقلال العقل أو قوة الشخصية بين من لا يستطيعون أن يكونوا على ثقة من أنهم سيشقون طريقهم بجهودهم .

ولكنّ هناك ضربين من الأمن : الاطمئنان إلى الحصول على حد أدنى معين من مقومات الحياة للجميع ، والاطمئنان إلى مستوى معين للحياة ، وإلى المركز النسبى الذى ينعم به فرد أو جماعة من الناس بالقياس إلى الغير .

وليس ثم ما يمنع أن يكفل النوع الأول من الأمن للجميع بغير خطر على الحرية العامة ، فى جماعة بلغت ما بلغته جماعتنا من المستوى العام للثروة — أى حد أدنى للطعام والمأوى والملبس يكفى للاحتفاظ بالصحة . كذلك لا سبب هناك يمنع الدولة أن تساعد على وضع نظام شامل للتأمين الاجتماعى بالاحتياط للمخاطر العادية التى لا يستطيع سوى القليلين أن يحتاطوا لها .

والنوع الثانى من التوجيه فى سبيل التأمين هو الذى له هذا الأثر السىء فى الحرية ، فإنه توجيه مقصود به حماية أفراد أو جماعات من نقص دخلهم .

وإذا كان الواقع ، الذى يزداد وضوحاً ، أنه إذا كان يسمح لرجال أية صناعة تتحسن أحوالها ، بأن يقصوا غيرهم ليضمنوا لأنفسهم الربح الكامل فى صورة أجور أو فوائد أعلى ، فإن الذين يعملون فى صناعات قل طلبها لا يجدون عملا . وكل تغيير ، يؤدى إلى زيادة البطالة . ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أن السعى للأمن بهذه الوسائل فى العقود الأخيرة هو الذى أفضى إلى مثل هذه الزيادة فى البطالة والاضطراب .

إن حالة اليأس التى صار إليها الذين تُركوا خارج نطاق العمل المحمى ، فى جماعة أصبحت أحوالها جامدة صارمة على هذا النحو ، لا يقدرها إلا الذين عانوها . ولم يشهد العالم قط من قبل مظهراً لاستغلال طبقة لأخرى ، أقسى من هذا الاستغلال من المنتجين الوطدى المركز ، للذين هم أسوأ حظاً . والذى يسَّر هذا هو « تنظيم » المنافسة . وما أقل الكلمات التى أحدثت من

الأذى مثل ما أحدثته كلمة « توطيد » بعض الأسعار أو الأجور ، فقد ضمنت لبعضهم الرزق ، وجعلت حالة الباقين تزداد حرجاً على الأيام .

وقد ازدادت فى إنجلترا وأمريكا أهمية بعض المزايا الخاصة ، ولا سيما التى اتخذت صورة « التنظيم » للمنافسة و « التوطيد » لأسعار وأجور معينة . فإنه كلما منحت جماعة مثل هذا التأمين ، ازداد تبعاً لهذا اضطراب الباقين ، لأنك إذا ضمنت للبعض حصة ثابتة فى كعكة غير ثابتة الحجم ، فإن النصيب المتروك للآخرين لابد أن يتفاوت وتضطرب نسبته أكثر مما يتفاوت حجم الكعكة كلها ، ثم لابد أن يزداد النقص فى تنوع الفرص وكثرتها ، وهو العنصر الجوهرى للأمن فى نظام المنافسة .

إن السعى العام للتأمين بتدابير مقيدة تعززها الدولة قد أحدث على الأيام تطوراً مطرداً فى الجماعة — وهو تطور كانت ألمانيا هى السابقة إليه ، كشأنها فى عدة أمور أخرى ، وكانت الدول الأخرى تابعة لها فيه — وقد عجل بهذا التطور تأثير آخر للتعاليم الاشتراكية التى تتعمد الغض من كل مظاهر النشاط التى تستدعى المخاطرة الاقتصادية ، والإنحاء باللوم على المكاسب التى تجعل المخاطر أهلا للركوب ، والتى لا يفوز بها إلا القليلون .

ولسنا نستطيع أن نلوم شبابنا حين يفضلون المركز الآمن ذا المرتب على خطر المغامرة ، بعد أن ظلوا يسمعون مذ كانوا صغاراً أن الأول أسمى وأخلى من الأنانية والأثرة . وقد نشأ جيل الشباب الحالى فى عالم تعلم فيه من المدارس والصحافة أن روح المغامرة التجارية معيب ، وأن كسب الربح مناف للأخلاق ، وأن استخدام مئة رجل استغلال ، أما قيادة مثل هذا العدد فعمل شريف .

وقد يرى الذين ارتفعت بهم السن أن هذه مبالغة ، غير أن التجربة اليومية للمدرس الجامعى لا تدع شكا فى أنه كان من أثر الدعاية ضد الرأسمالية أن تغيرت القيم تغيراً سابقا جدا لما حدث إلى الآن من التغير فى النظم . والمسألة هى : إذا غيرنا نظمنا لمواجهة المطالب الجديدة ، ألا نقضى ونحن لاندرى على القيم التى لا نزال نعلى من قدرها ؟

إن النزاع الذى علينا أن نعالجه أساسى بين طرازين لا يأتلفان من التنظيم الاجتماعى ، كثيراً ما وصفا بالتجارى والعسكرى ، وفى أحدهما يكون الاختيار والمخاطرة مرجعهما إلى الفرد ، وفى الآخر يعفى منهما جميعاً . وفى الجيش يعين العمل والعامل بالأمر ،

وهذا هو النظام الوحيد الذى يؤتى الفردُ فيه التأمين الاقتصادى التام ، على أن هذا التأمين لا ينفصل عن القيود المضروبة على الحرية وعن نظام الطبقات فى الحياة العسكرية — فهو تأمين الثكنات .

وليس من المحتمل فى جماعة ألفت الحرية أن يكون كثيرون من الناس مستعدين عن عمد وإدراك ، أن يشتروا التأمين بهذا الثمن ، غير أن السياسات التى تتبع الآن تخلق بسرعة أحوالا تجعل السعى للتأمين أقوى من حب الحرية .

فإذا أردنا أن لا نقضى على الحرية الفردية ، فإنه يجب أن ندع المنافسة تعمل عملها بلا عائق . ولنعين معدلا أدنى لكل امرىء ، ولكن علينا أن نعترف فى الوقت نفسه بأن كل المطالب الخاصة بتأمين ممتاز لطبقات معينة يجب أن تهمل ، وأن يزول كل ما يسوغ به السماح لطوائف معينة بإقصاء غيرها عن مشاركتها رخاءها النسبى لتحتفظ بمعدل خاص لنفسها .

ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أنه يجب أن يكون من غاياتنا الرئيسية توفير التأمين الوافى من الحرمان القاسى ، ولكنه ليس أوخم عاقبة من هذا الأسلوب الجديد الذى يتخذه الزعماء المفكرون لتمجيد التأمين على حساب الحرية . ومن الجوهرى أن نعود فنتعلم مرة أخرى أن نواجه بصراحة هذه الحقيقة ، وهى أن الحرية لا يمكن أن تنال إلا بثمن ، وأننا كأفراد يجب أن نكون مستعدين أن نبذل تضحيات مادية قاسية للاحتفاظ بها .

ويجب أن نسترد الاقتناع الذى قامت الحرية على قاعدته فى البلاد الأنجلو سكسونية ، والذى أعرب عنه بنيامين فرانكلين فى جملة تصدق علينا أفراداً وشعوباً :

« إن الذين يريدون أن يتخلوا عن حرية جوهرية ليشتروا أمناً وقتياً يسيراً ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمن » .

نحو عالم أفضل

إذا أردنا أن نبنى عالماً أفضل، فلا بد لنا من شجاعة نقدم بها على محاولة جديدة . وعلينا أن نزيل العوائق التى كظت بها الحماقة الإنسانية طريقنا ، وأن نطلق للنشاط الإنسانى الفردى العنان ، وأن نخلق أحوالا جديدة ملائمة للتقدم لا « لتوجيه التقدم » .

ليس الذين يصيحون مطالبين بزيادة « التوجيه » هم الذين يظهرون الشجاعة اللازمة ، لا ولا الذين يدعون إلى « نظام جديد » ليس أكثر من استمرار لاتجاهات

الأربعين سنة الماضية ، والذين لا يستطيعون أن يفكروا فيما هو خير من تقليد هتلر . بل الواقع أن أعلى الناس صوتاً من أجل الاقتصاد الموجه ، هم أتم الناس خضوعاً لسلطان الآراء التي أثمرت هـذه الحرب ومعظم الشرور التي نقاسيها .

ويجب أن يكون المبدأ الهادى فى كل محاولة لخلق عالم من الأحرار هو هذا : أن سياسة الحرية للفرد هى السياسة الحقيقية الوحيدة التى تفضى بنا إلى التقدم .



أرأيت إلى البيضة ؟

نزل ثلاثة طيارين من طائرة محطمة فى سفوح جبال هملايا ، حيث يقال إن رجال القبائل هناك من قناصة الرءوس . فقادتهم جماعة من المحاربين عتاة الوجوه ، فى صمت مخيف إلى كوخ الزعيم . فجلسوا هنيهة والقوم حولهم يتمتمون تمتمة تنذر بالوبال ، وعلى أحد الجدران علّق صف من جماجم البشر .

وأخيراً تجرأوا فطلبوا شيئاً يأكلونه ، وكانوا قد رأوا بعض الدجاج فى القرية ، فكوّر الجاويش أصابعه إشارة إلى البيضة ، فهزّ القوم أكتافهم . وأراد أن يوضح ، فقعد القرفصاء وحرك ذراعيه وصوّت كالدجاج . وإذا أشد القوم عبوساً وشراسة يقفز إلى الساحة ، وجعل يحرك ذراعيه ويصيح كما يصيح الديك ، وهجم على الجاويش كما يهجم الديك على الدجاجة ، فذعر الجاويش فصاح صيحات قوية وجعل ينط على الأرض والديك يطارده .

فانفجر القوم ضاحكين وانشرحت الصدور ، وهتف القوم للطيارين واحتفوا بهم ، ثم رجعوا بهم إلى قاعدتهم آمنين . ولكن الجاويش لا يزال يرتجف كلما رأى بيضة . [كورى فورد وألاستير مكبين فى مجلة « كوليرز »]

الأربعون شيخوخة الشباب ، والخمسون شباب الشيخوخة .

[فكتور هوجو]



حين يهددك الزكام والتهاب الحلق ...

فساعتئذ تقدر ، أكثر مما تستطيع أن تقدر فى أى وقت آخر ، قيمة صديق يعتمد عليه ، هو مطهر ليسترين . فما أكثر ما تستطيع أن تستعين به فى كفاح البكتريا التى لها صلة بالزكام .

فإذا عمدت مبكراً إلى الغرغرة به واستعملته مراراً ، فقد يرد الزكام ردا باتا ، أو يمنعه أن يستفحل . وهذا يصدق ، أيضاً ، على الحلق الملتهب ، الذى يصحب الزكام فى كثير من الأحيان .

فإذا شعرت ، بأن الزكام يهددك ، فمن الحكمة أن تستعمل مطهر ليسترين .



مطهّر ليسترين



بكتيريوم الدرن
كما يرى في مجهر RCA الأليكتروني

المجهر الكهيربي

يعين العلم والصناعة على الإتقان

إنّ مجهر RCA الكهيربي (الأليكتروني) المعروف باسم « العين الكهيربية » يمد آفاق نظر الصناعة والعلم . وهو أداة تكبر الأجسام الدقيقة إلى ٢٢٠٠٠ ضعف وتصنع صوراً ، إذا ما كبرت بالتصوير الفوتوغرافي صار تكبير الأجسام الأصلية ٢٠٠٠٠٠ ضعف عملا ممكناً .

إن قدرة المجهر الكهيربي على التوضيح والتكبير ، لذات قيمة عظيمه لعلماء البكتريولوجيا ولصناعات الكيمياء والمعادن والخزف والعجائن والطيران والنسج والمطاط والبترول وغيرها . وهي معوان جديد للجامعات والمعامل والتجارة والحكومات ، في دراسة أحجام الدقائق والأجسام التي لا يزيد قطرها على واحد من خمسة ملايين جزء من البوصة ، ومعرفة أشكالها وتوزيعها وتركيب جزيئاتها . وثمة الآن نموذجان متاحان من هذا المجهر — أحدهما مكتنز للاستعمال على المكتب ، وهو مصور فوق ، وآخر عام يحتوي على مصورة كهيربية .

اكتب إلينا نزودك بمعلومات إضافية .



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION, CAMDEN, N. J., U. S. A.

المتقدم القافلة في الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات



هو أصدق اليوم منه فى أى يوم سابق ...

"إن طرق العالم قد خددتها آثار عجلات ستوديبيكر"

من روسيا إلى فرنسا ، ومن إيطاليا إلى جزائر المحيط الهادى ، تجد أكثر من ١٦٥ ألف مركبة حربية ، صنعها ستوديبيكر فتراها تكتب صفحات جديدة فى تاريخ النقل .

وأكثر مركبات ستوديبيكر هذه ، سيارات حربية معدة للنقل الثقيل ، متعددة القوى . ولكن يجب أن تضيف إليها مركبات ستوديبيكر الجديدة متعددة المنافع ، لحمل الرجال أو للشحن ، المعروفة باسم « ويزل » ، وهى التى ما فتئت تصل إلى جبهات القتال بكميات تزداد ازدياداً مطرداً .

فوق أرض لا طرق فيها ولا دروب ، وطرق مزقتها القنابل ، تجد مركبات ستوديبيكر تقيم دليلا جديداً فى كل يوم يمر ، على قوة الاحتمال الطويل ، التى لم تزل السمة المميزة لعداتج ستوديبيكر ، منذ ثلاث وتسعين سنة أو تزيد .

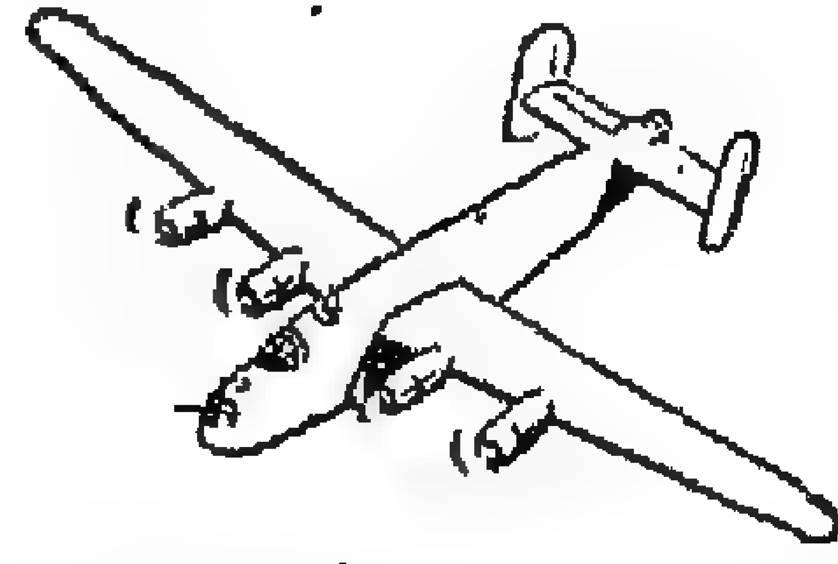
والذين يملكون سيارات ستوديبيكر ، لم يفتأوا يعجبون بمتانة سياراتهم وطول بقائها وقدرتها النادرة على الاقتصاد فى العمل .

إن المهمة الأولى الواقعة الآن على عاتق ستوديبيكر هى المعاونة على كسب الحرب . فحين يتم النصر ، ستتاح للجمهور من مصانع ستوديبيكر سيارات ركوب وسيارات نقل أفضل وأجود من كل ماسبقها .

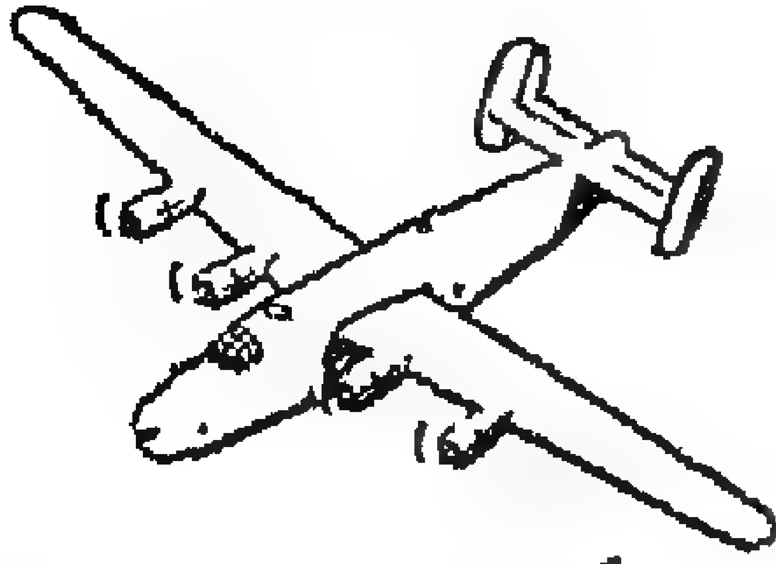
The Studebaker Export Corporation
SOUTH BEND, IND, U. S. A.
Cables: STUDEBAKER

ستوديبيكر ينتج محركات سيكلون لأجل "القلاع الطائرة"

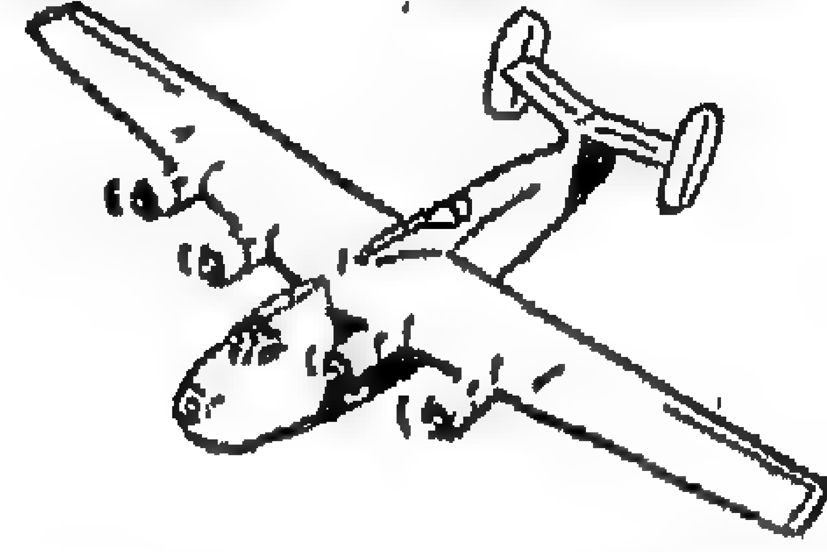
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



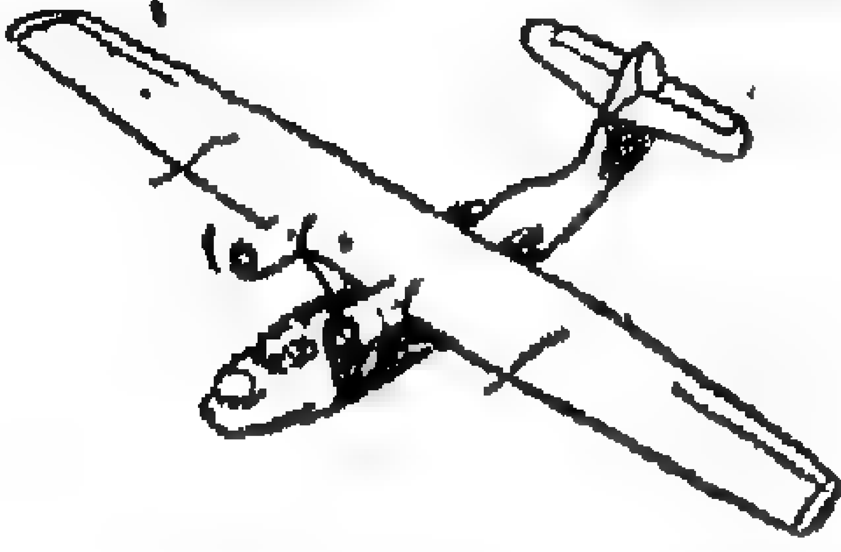
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



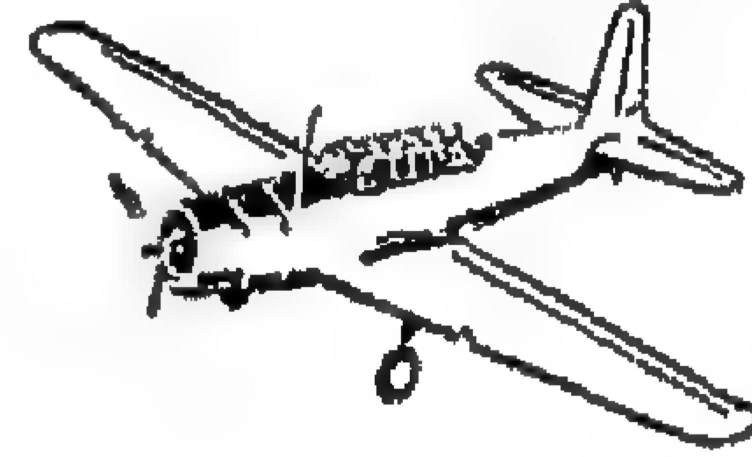
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



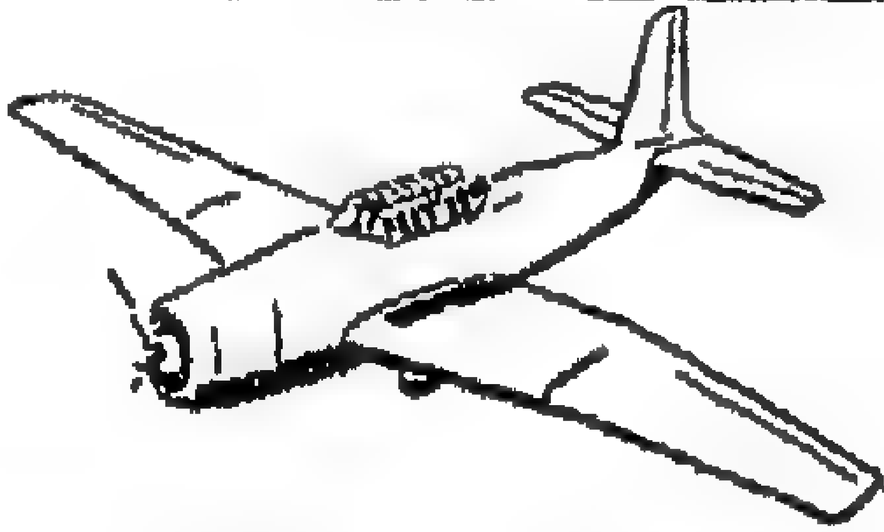
كورونادو — قاذفة دورية



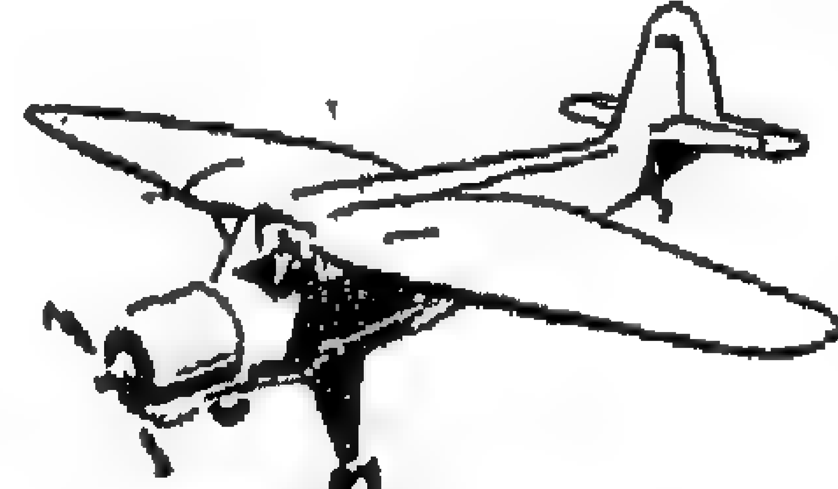
كاتالينا — قاذفة دورية



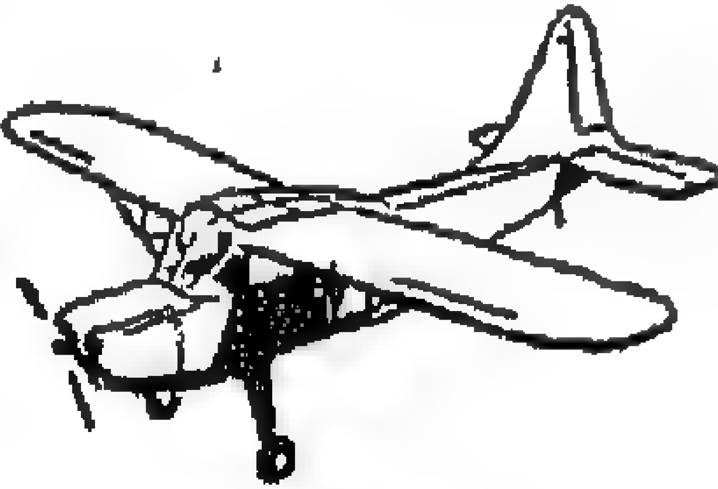
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



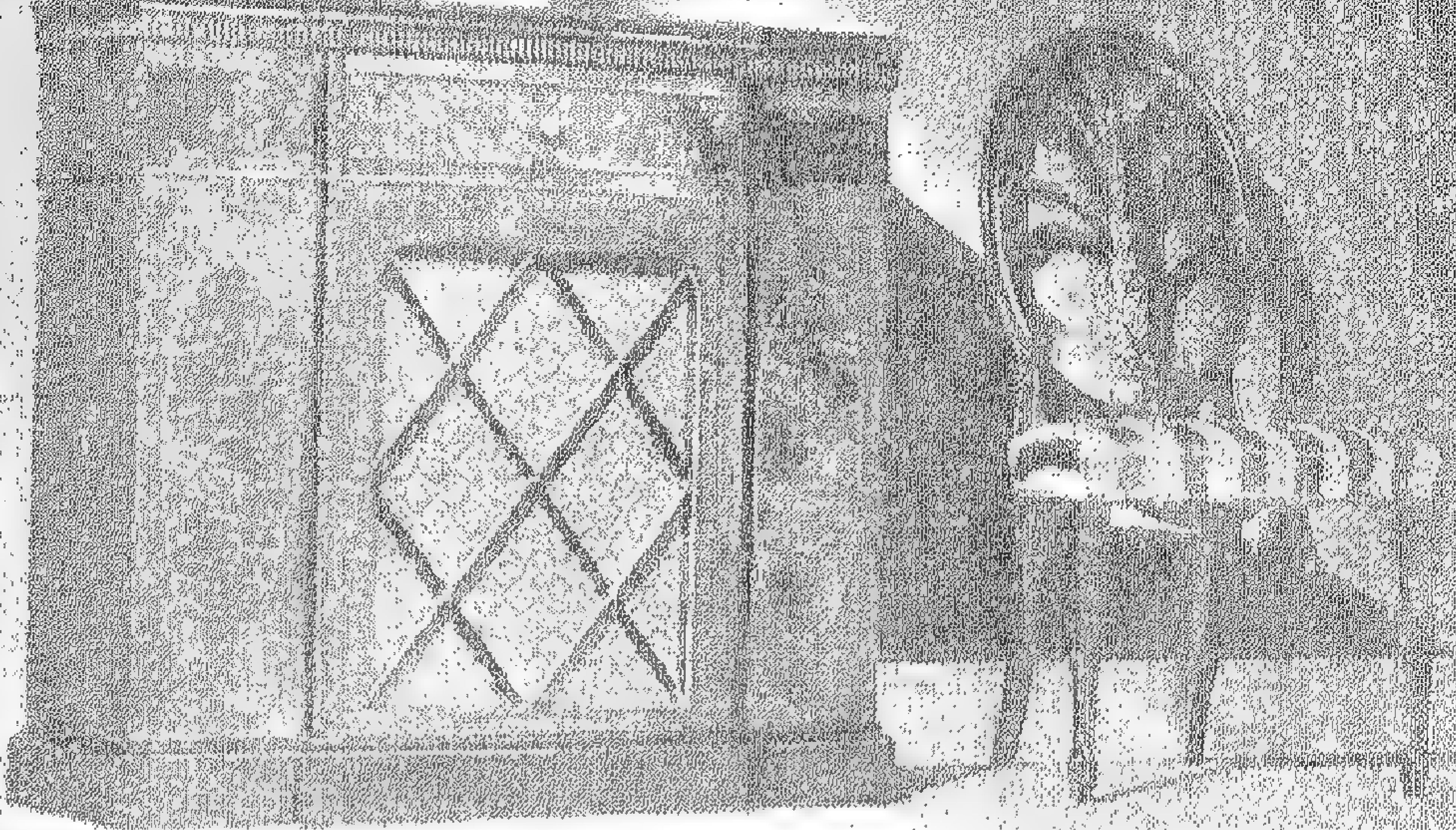
سنتينل — « الجيب » الطائر

حين تحرز النصر، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتى للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب، الطائرات التى تعادل هذه الطائرات، من الصغيرة التى يتلكها أفراد لاستعمالهم الخاص، إلى الضخمة التى تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب.

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.
Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.
Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.
Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N.
Miami, Fla.

عضو فى مجلس إنتاج الطائرات الحربية



... واليوم يتمتع أكثر من ١٧ مليوناً من أصحاب أجهزة الراديو الفخورين بها فى العالم قاطبة، بثمار جنيت من تطلع فيلكو إلى الأمام وسبقه فى التفكير.

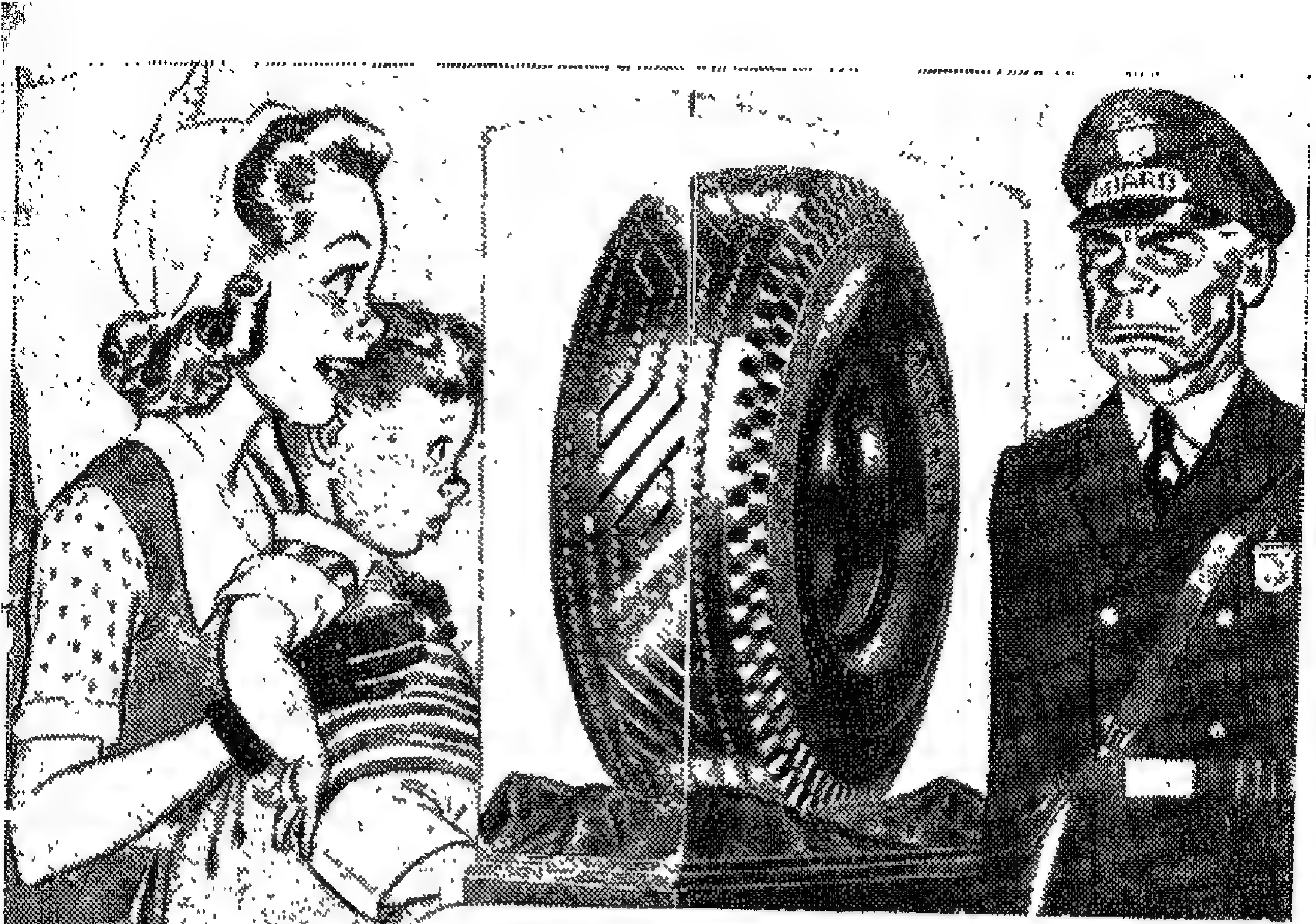
جرامونونات راديو التى تضيف ألواناً جديدة من البهجة إلى الموسيقى المسجلة ...
أجهزة راديو التى تعمل عملا لا يضارع على الموجة القصيرة والإذاعات المحلية جميعاً —
نعم هـــذا هو السبب الذى يجعل أصحاب أجهزة فيلكو فى العالم قاطبة يقولون
« ما أســعدنى لأننى ابتعت جهاز فيلكو ».

فيلكو

المشهور بالجودة في جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION.
230 Park Avenue, New York, U.S.A.

راديو منزلى . راديو فونوغراف . راديو سيارة . ثلاجات . أفران كهربائية .
ثلاجات لتجميد الأغذية وحفظها . أجهزة لتكييف الهواء .



حقاً إنه لثمين !

الإطار الذى كان دائماً هو الإطار المفضل بجودته

* * *

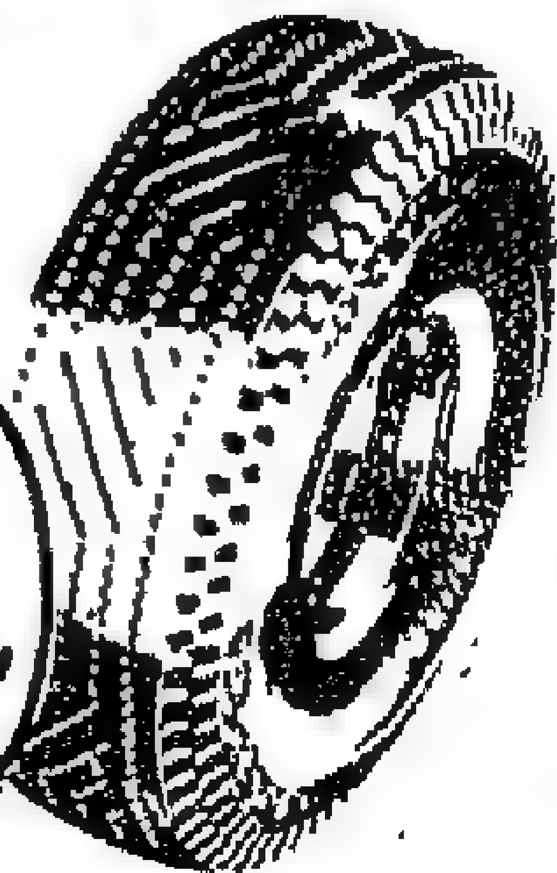
شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت

أكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة

تلغرافياً : چنتيروكو اوكرونوهايو

مصانع فى الولايات المتحدة ، وكندا والمكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلى ، والبرتغال






هدايا وأدوات مكتب فاخرة
صنع جريبنجر

شفرات

ملايين من الناس – فى جميع أقطار العالم – مدينون
لجيليت بما يجدونه من السرعة والنعومة والاقتصاد
فى حلاقتهم اليومية وبالرغم من إنتاجها المحدود
لظروف الحرب فباستعمالك شفرات جليت
الزرقاء او جيليت استندرد تضمن أريح حلاقة
فى العالم.

جيليت





AUTO-LITE

أوتو-ليت يجتاز الامتحان !



إن الاعتماد على عمل المحركات فى البحر ، فى كل وجه من وجوه سير الآلات ، لم يكن فى زمن ما ، أعظم شأناً منه الآن فى مواجهة ضرورات المعارك البحرية السريعة .

إن وحدات أوتو-ليت البحرية ، التى بنيت خصيصاً للخدمة البحرية تثبت يومياً جدارتها فى هذه الخدمة . وهذه المعدات الخاصة قد صممها الرجال الفنيون الذين ابتدعوا فى أوتو-ليت ، اسم خدمة هندسية موقوفة على إتقان وتحسين أدق المعدات الكهربائية الآلية — معدات للسيارات ، واللوريات والأوتوبيسات ، وقد صنعت هذه المعدات بوساطة وسائل الإنتاج فى ستة وعشرين فرعاً كبيراً من أوتو-ليت ، وهى جميعاً تبنى فى كل ما يصنعه أوتو-ليت صفتى الضمان والخدمة .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY *(Export Division)*

Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.

شموع
بطاريات شحن
اسلاك





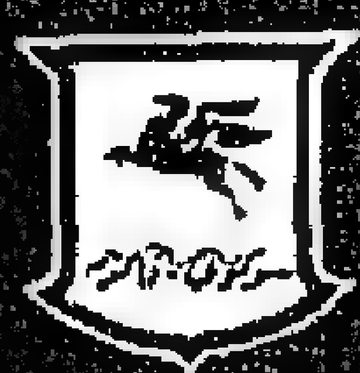
أجهزة للقيام
والإضاءة
والاشعال



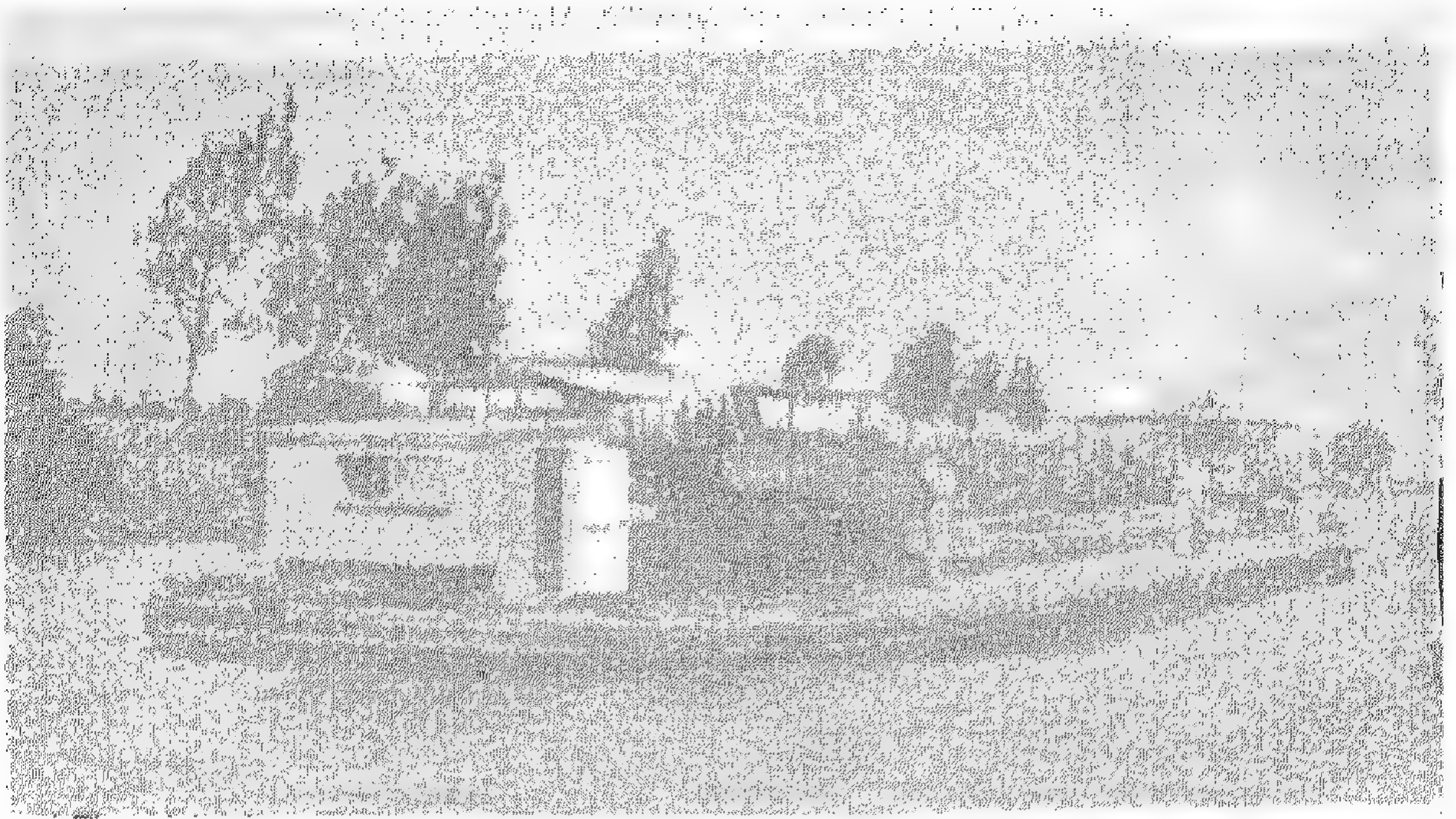
الدرع الواقي
لسيارتك

سوكوني - فاكوم

CR. 4954




زيوت موبيلويل
تطيل عمر المحركات



الشحن ينقل بالقوة المحركة الحديثة في هذا الطريق المائى العريق

إنّ سفينة النقل « أخيليس » ، التى تعمل فى نهر النيل وفروعه فى دلتا مصر ، تنقل شحناً ترتقى زنته إلى ٣٠٠ طن ، بقوة ثابتة يُعتمد عليها يُولدها محرك كاتربيلار ديزل ذو المئة حصان .

وقد بلغ متوسط عمل هذا المحرك البسيط المتين عشر ساعات إلى خمس عشرة ساعة كل يوم — مئتى ساعة أو أكثر كل شهر — منذ أربع سنوات أو أكثر . ولا تقتصر مزيتـه على أنه يدور بزيت غير غالى الثمن وحسب ، بل هو أيضاً لا يستهلك منه إلا قدراً يسيراً كل ساعة ، حتى لتجد أن مزية الاقتصاد فيه ، لا تفوقها إلاّ مزية متانته والاعتماد عليـه زمناً طويلا . والمحرك يولد كل الطاقة اللازمة فى السفينة ، ومنها تحريك مضخات المطافئ والماء العكر .

إن محركات كاتربيلار ديزل أخذت تحل محل أصناف أخرى من الطاقة المحركة فى أنواع كثيرة من السفن . وهى صغيرة الحجم ، يسهل تركيبها ولا تحتاج إلى إدخال تعـديل عليها قبل الشروع فى العمـل ولا تقتضى عمالا دربوا خاصة — وتكاد لا تحتاج إلى رعاية أكثر من مواصلتها بالوقود والماء والمواد المزيتة .

وسيتاح قريباً ، كثير من محركات كاتربيلار ديزل ، للنقل والزراعة والصناعة فى أرجاء العالم جميعاً . تحدث مورد كاتربيلار فى بلدك عن حاجتك .

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا ، الينوى

مفصلة القيادة

ساق الجر

الساق الرابط

من عصر الخيالة

الى عجلة القيادة

التشحيم الصحيح يهيئ قيادة سهلة آمنة تضمن السلامة فى الطريق

اعتمد على

الخدمة العلمية



س. ت. ٩٤١

ولست أظن أنه من باب الاتفاق ، أن نجد فريقاً كبيراً من الذين يركبون طائراتنا فى انتقالهم من بلد إلى بلد فى الشرق العربى ، يحملون معهم هذا الرفيق الممتع المفيد — المختار . وكما استطعنا نحن بطائراتنا المريحة أن ننقل الناس فوق أرض النيل الخصبة ، أو صحراء سينا ، أو جبال فلسطين ولبنان وسوريا، فكذلك استطاع محررو هذه المجلة أن يجعلوا للكلام أجنحة تمكنه من أن يتخطى بسرعة وفى يسر الحواجز القائمة بين اللغات . وقد علمت أن « المختار » ينشر الآن بأربع لغات سوى اللغة العربية ، فليس ثمة شك فى أن أمم السويد والبرتغال وجمهوريات أمريكا الجنوبية ، الذين يقرأون نفس المقالات التى نقرؤها نحن كل شهر ، هم أدنى إلينا فى الفكر والروح ، مما كانوا ، أو يستطيعون أن يكونوا ، من قبل أن يتاح لنا جميعاً أن نتزاور هذا التزاور الفكرى كل شهر

ويخيل إلى أن المحررين ، هم كمهندسى الطيران ، ينظرون إلى آفاق المستقبل فيرون مايدور فى أحلامهم دانى التحقيق ، ويضعون الخطط لتحقيقه . ولذلك أعتقد أنه سيجىء يوم ، يصبح فيه أمراً مألوفاً أن تنشر مجلة دولية كالمختار بلغات كثيرة فى جميع أنحاء العالم فى وقت واحد . ولعل الأساليب المتبعة فى هذا العمل ، كالأساليب المتبعة فى ارتقاء الطيران ، تكون أمراً قد نصلت عنه روعته الأولى ، ولكن العمل نفسه ، بكل ماينطوى عليه من أسباب الفهم والتعاطف بين الناس ، لن يكون ، ولا يمكن أن يكون شيئاً لا روعة فيه ، لأنه يتيح لحياة ملايين من الناس ولأفكارهم ، منفذاً إلى تيار الأفكار العظيم الذى يدور فى الأرض ، ولا ينفك يدور .

الكلام المجنّح

الدكتور حسن صادق باشا

وزير الدفاع والمالية سابقاً
وعضو مجلس الإدارة المنتدب لشركة مصر للطيران

في أحد أيام الصيف الماضي، بعد رحلة جوية عادية بين مصر الجديدة وبورسعيد، قال لي أحد المسافرين: إن الطيران قد فقد كل ما كان له من فتنة. وكنا قد وصلنا إلى مطار بورسعيد في الساعة الثانية والربع تماماً وفقاً لجدول الطيران، لم نتقدم دقيقة ولم نتأخر. وبعد أن لبثت الطائرة هناك ربع ساعة، غادرت المطار إلى اللدّ في فلسطين، فكانت رحلتها عادية كأنها رحلة قطار.

ويبدو لي أن الطائرة لما تحولت من لعبة ميكانيكية جديدة شديدة الخطر، فصارت وسيلة من وسائل النقل يألفها الناس، فقدت معجزة الطيران الباهرة، عندئذ، سحرَها وروعتها. ولكن الطائرة كانت تضم في تلك الرحلة ستة مسافرين سوى صديقي الذي ألف الطيران حتى صار لا يبهره. وكان بينهم طبيبان يقصدان فلسطين، وطالب يقصد بيروت، وسياسي بيمم شطر تركيا، وضابط يريد بغداد، ولست أذكر أين كان يريد المسافر السادس. فهؤلاء ستة أو سبعة من الناس يركبون متن طائرة من مصر الجديدة، فإذا هم يتفرقون بعد ساعات في طول العالم العربي وعرضه، وكل منهم قد طوى برديه على خلائق نفسه، وعلى رأيه في الناس ونظرته إلى شئون الدنيا. ويلوح لي أن روعة الطيران لتتجلى حقا فيما تتيحه من فرص تطّرد زيادتها لاتصال الناس بعضهم ببعض، على اختلاف أجناسهم، وتربيتهم، ولغاتهم، ونظراتهم إلى الحياة

(التتمة على الصفحة السابقة)


Bibliotheca Alexandrina
05336779
